تفسیر ابن کمال

آیاصوفیه
١٢٥

سورة فاتحة الكتاب السورة عبارة عن طائفة من القرآن مترجمة اقلها
ثلث آيات وهي ان جعلت واوها اصلية منقولة من سور المدينة او من السورة
التي هي الرتبة وان جعلت مبدلة من الهمزة فيراد السورة التي هي البقية او القطعة
من الشيء وفائدة تقطيع القرآن سورا ان تنويع الجنس احسن من كونه بيانا واحدا
وانشط للقاري واسهل للحفظ واما افراد الانواع وتلاحق الاشكال فلا يصلح وجها لما ذكر
لانه غير مراعى في ترتيب الآيات وتقطيعها سورا كما لا يخفى على من تتبع وتامل وفاتحة الشيء
اوله وخاتمته آخره اذ بهما الفتح والختم والتاء للنقل من الوصفية الى الاسمية وقيل هي في
الاصل مصدر بمعنى الفتح ثم اطلقت على اول الشيء تسمية للمفعول بالمصدر والفاعلة في المصادر
غير عزيز واضافتها الى الكتاب وهو مجموع كلام الله تعالى المفتتح بالتحميد المختتم بالاستعاذة
بمعنى اللام لان اول الشيء جزؤه واضافة الجزء الى كله بمعنى اللام ثم ان وجه هذه التسمية
بفاتحة الكتاب والفاتحة وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسئلة ظاهر واما تسميتها
بام القرآن فلاشتمالها على كليات المعاني التي في القرآن من الثناء على الله تعالى ومن التعبد بالامر
والنهي والوعد والوعيد واما التسمية بالاساس فلانها مفتتح الكتاب ومبدؤه فكانها
اصله ومنشاؤه واما تسميتها بسورة الكنز فلما قال النبي صلعم انها نزلت من كنز تحت
العرش واما تسميتها بسورة الشفاء والشافية فلقوله صلى الله عليه وسلم هي ام القرآن
وهي شفاء من كل داء واما تسميتها بسورة الصلوة فلوجوب قراءتها فيها وقد سمي بها
كما وقع في الحديث القدسي قسمت الصلوة بيني وبين عبدي وذلك من باب تسمية الشيء
باسم ما يلازمه واما تسميتها بالوافية والكافية فلانها تكفي الصلوة عن غيرها ولا يكفي
غيرها عنها والمراد من الصلوة الركعتان الاخيرتان من الرباعية لان ضم السورة عليها
واجب في الاوليين واما تسميتها بالسبع المثاني فلانها سبع آيات تثنى في الصلوة
وقيل لانها تثنت في النزول فانها نزلت بمكة حين فرضت الصلوة وبالمدينة حين حولت
القبلة وفيها ان الوصف المذكور قد ثبت لها بمكة بدلالة قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني

يعني فاتحة الكتاب على ما نطق صلعم وسلم حيث قال في رواية ابي هريرة رض فاتحة الكتاب
انها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته والآية مكية بالنص وبذلك استدلوا
على مكية هذه السورة مكية وقد مر دليل مكيتها آنفا ووجه الدلالة ظاهر والمكي ما نزل قبل
الهجرة والمدني ما نزل بعدها سواء نزل بالمدينة او في سفر من الاسفار وهي سبع آيات
بالاتفاق الا ان قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاءها عدوا انعمت عليهم آية ولم يعدوا
التسمية آية منها وعليه مالك واصحابه وابو حنيفة واصحابه ولهذا لم يذكرها مالك في الصلوة
ويسرها ابو حنيفة ويقول انها آية من القرآن انزلت للفصل بين السور والافتتاح بها تبركا
وقراء مكة والكوفة وفقهاؤهما على انها آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي واصحابه
ولهذا يجهر بها في الصلوة ولا دلالة في الاجماع على ان ما بين دفتي المصاحف كلام الله تعالى والوفاق
على اثباتها في المصاحف مع المبالغة في تجريد القرآن حتى لم يكتب آمين على صحة القول الثاني اذ لا يلزم
من كونها كلام الله تعالى ان يكون آية من الفاتحة نعم فيما روى ابو هريرة رض من انه صلعم قال فاتحة
الكتاب سبع آيات اولهن بسم الله الرحمن الرحيم دلالة عليها لبسم الله الرحمن الرحيم
قد جاء في الخبر عن خير البشر صلعم انه كان يكتب باسمك اللهم فلما نزلت سورة هود بسم الله
مجريها ومرسيها كتب بسم الله فلما نزلت سورة بني اسرائيل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن
كتب بسم الله الرحمن فلما نزلت سورة النمل انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم
كتب بسم الله الرحمن الرحيم ففي الخبر دلالة على انه ليس من اول كل سورة ولكنها بعض آية من كتاب
الله تعالى في سورة النمل وقالوا اللطف من الله تعالى في عدم كونها آية تامة ان لا يكون الجنب والحائض
والنفساء ممنوعين عنه عند كل مهم بل كالشهادتين لم يجمعها في القرآن في موضع واحد لئلا
يتوهم آية وربما يحتضر الجنب ونحوه فلا يمكنه التكلم بها عند ختم عمره بسم نصب بفعل مقدر تقديره
بسم الله اقرأ وتقديم المعمول للاهتمام والاختصاص واصله باسم بالالف حذفت لكثرة الاستعمال
ولذلك تثبت عند استعمالها بحرف آخر كقولك لاسم الله حلاوة في القلوب او مضافا الى اسم
آخر نحو باسم ربك وطولت الباء لاجله وهي للخفض كسرت لتناسب حركتها وعن عمر بن عبد
العزيز انه قال لكاتبه طول الباء واظهر السينات ودور الميم وكان العباس لسنات لانه
جمع السن الا انه عدل عنه حذرا عن الالتباس ببعض المصادر كما قال الجوهري في الدينار
اصله الدنار بالتشديد فابدل من احدهما في تضعيفه ياء لئلا يلتبس بالمصادر التي تجي على
فعال كقوله وكذبوا بآياتنا كذابا افتتح كتابه العزيز بحرف الباء وآثرها على سائر الحروف لكونها
على الالف حيث اسقط واثبت هيئة الباء مكانه اشارة الى انها وان كان متبوعا للباء صورة
لكنه من توابعها معنى وذلك انك اذا نظرت الى صورة وضع الحروف وجدت الالف مقدما على
الباء متبوعا له واذا تلفظت بالباء وجدت الالف تابعا لها والاسم من السمو لانه رفعة للمسمى

وشعارا له ادخله لدفع توهم الاستعانة بلفظ الله فقط فان القائل اذا قال بالله ابتدى
فمعناه بهذا الاسم واذا قال بسم الله ابتدئ معناه باسمه تعالى ابتدئ فان المقصود منه
حينئذ المسمى الله اسم علم خاص له تعالى عند الخليل ومن تبعه وعلاقة الاشتقاق بينه وبين
غيره انما يتاتى عليته اذا ثبت اصالة ذلك لغيره وذلك لم يثبت بعد وقيل وصف لكنه غلب عليه
تعالى بحيث لا يستعمل في غيره وصار كالعلم لا علم لان ذاته من حيث هو بلا اعتبار امر حقيقي او
غيره غير معقول فلا يمكن ان يدل عليه بلفظ ويرد عليه ان المعتبر في اسم الذات تجريد الموضوع
له عن معنى زايد على الذات لا تجريد الذات عنه عند الوضع فملاحظته بوصف مخصوص لا
ينافي كونه اسم ذات اذا لم يكن ذلك الوصف معتبرا في الموضوع له على ان وضع الاعلام لا احتياج
الى معرفة الموضوع له وملاحظته بشخصه بل يكفي معرفته وملاحظته على انه ينحصر ذلك الوجه
في الخارج فيه الا يرى ان الاب يضع علما لولده قبل ان يراه ولو سلم انه يستحيل ان يضع
علما ولكن لم لا يجوز ان يسمي الحق نفسه باسم يدل على ذاته تعالى بالمطابقة ثم يعرفنا بذلك او
يقال دل على مجرد ذاته تعالى لما افاد ظاهر قوله وهو الله في السموات وفي الارض معنى صحيحا
لان اللازم حينئذ عدم دلالته وضعا على معنى لا عدم دلالته عليه اصلا كحاتم فانه علم ومع ذلك
دل على معنى السخاوة لاشتهاره بها اصله اله فلما دخلت عليه الالف واللام حذفت الهمزة تخفيفا
وعوضت عنها حرفا التعريف فان قلت اذا كان دخولهما قبل حذفها فكيف يكونان عوضا
عنها قلت دخولهما قبل حذفها لا بطريق اللزوم وبعد الحذف يكونان لازمين فيها باعتبار
اللزوم يكونان عوضا عنها ولذلك قطعت الهمزة في يا الله وهو اسم جنس وضع لكل معبود
بحق او باطل ثم غلب منكرا على المعبود بحق كبعوضة وسنة وقد دل على ذلك اي على غلبته
منكرا كلمة التوحيد ثم اختص بذاته تعالى بعد حذف الهمزة وتعويض التعريف عنها ويدل
على هذا ايضا كلمة التوحيد مشتق من اله كعبد وزنا ومعنى وتصرفا او من اله بمعنى
فزع او من اله بمعنى ولع او من اله بمعنى تحير او من اله بمعنى سكن او من وله كعلم وزنا
ومعنى وتصرفا اي تحير ودهش او من وله بمعنى طرب او من لاه بمعنى ارتفع او بمعنى
احتجب وبمعنى استتر فمجموع الاقاويل هو المعبود بالخواص والعوام المفزوع اليه عند
الامور العظام المرتفع عن الاوهام المحتجب عن الافهام الظاهر بالاعلام الذي تحيرت
في صفاته الاعلام وسكنت في عبادته الاجسام وولعت به نفوس الانام وطربت اليه
قلوب الكرام الرحمن الرحيم اصلهما واحد لانهما من الرحمة والاول ابلغ من الثاني لان فعيلا
لمن كثر منه الفعل وفعلان لمن كثر منه وتكرر وحق الابلغ التاخير الا انه قدم لانه
لاختصاصه به تعالى كالعلم وصفه تعالى بالرحمة ومعناها العطف ومنه الرحم
من قبيل اطلاق السبب على المسبب وهو الانعام والاحسان فان الملك اذا عطف على

رعيته انعم عليهم واحسن في حقهم وما في معنى الرحمن من الزيادة كما وكيفا حيث يقال تارة
يا رحمن الدنيا ورحيم الاخرة واخرى يا رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا فرجعه الى
الصيغة فان زيادة البناء لزيادة المعنى وهذا ابعد الرجوع الى اصل واحد في الاشتقاق
بشرط الاتحاد في النوع فلا نقض بنحو حاذر وحذر لان احدهما اسم فاعل والاخر صفة
مشبهة فالرحمن عام المعنى خاص اللفظ حيث لم يستعمل في غير الله تعالى الا تعنتا كرحمن اليمامة و
الرحيم على عكس ذلك الحمد لله هو الوصف والاختصاص لله تعالى يفصح عن ذلك قول
عايشة رضي الله عنها نحمد الله ولا نحمدك وقول علي رضه لا تحمدن امرأ حتى تجربه بل الاختصاص
لذي علم وشعور يرشدك اليه قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وقول العرب
في المثل للناس عند الصباح يحمد القوم السرى ومن هنا تبين ان المحمود عليه لا يلزم ان يكون
فعلا لما حمد به فضلا ان يكون مختارا فيه كما توهم وان من وهم قيام الفرق بين الحمد والمدح
بصحة تعلق الثاني بالجماد دون الاول فقد وهم واتضح انه لا دخل لمسئلة خلق العباد
افعالهم في هذا المقام لان الكلام في الحمد اللغوي والمرجع فيه من وثق بعربيتهم بالنقل
الصريح والاستعمال الصحيح من قبلهم عدم اختصاص الحمد به تعالى واما حمل التعريف على الجنس
دون الاستغراق فمنشأوه امران وهو ان مقتضى مقام الخطابة تخصيص حقيقة الحمد
به تعالى تنزيلا لافراد الحمد الثابتة لغيره منزلة العدم والقصد الى هذا المعنى ظاهر عند كون
التعريف للجنس دون الاستغراق لانه قد يكون عرفيا كما في جمع الامير الصاغة وبساعده
فلا يوجد استيعاب جميع الافراد فلا يتحقق مقتضى المقام والشكر بمقابلة النعمة بالقول
والعمل ولكونه بالفعل كما يكون قيل دابة شكور اذا ظهر سمنه فقد وهم منه بادنى علف له
قال الله تعالى اعملوا ال داود شكرا فهو اخص من الحمد متعلقا واعم منه موردا وهو اللسان والاركان
ومقابل الشكر الكفران ومقابل الحمد الذي يقابل المدح على ما نص عليه الجوهري ومن ههنا ظهر
انهما مترادفان لغة واما الجنان فليس بمورد له بل هو شرط لكون القول شكرا اذ لا دلالة في
قول الشاعر افادتكم النعماء مني ثلثة يدي ولساني والضمير المحجبا على استقلال كل منها موردا
ولما كان الحمد في مقابلة النعمة من شعب الشكر والعمدة وقال صلى الله عليه وسلم الحمد
راس الشكر ما شكر الله من لم يحمده ورفع الحمد بالابتداء وخبره لله واصله النصب على المصدر
وباضمار فعله لكونه من المصادر التي حقها ان تكون كذلك ولا يذكر معها الفعل البتة كشكرا
وعجبا وقد قرئ على الاصل والعدول الى الرفع على الاول للثبات لما في الفعل من التجدد
لدلالته على الازمنة ولذلك كانت تحية ابرهيم عليه السلام احسن في قوله تعالى قالوا
سلاما قال سلام ولان معناه على الرفع الحمد حق لله يستحقه لذاته وعلى النصب لا دلالة
على ذلك ولان الغافل عن معناه وكذا الساهي عن ملاحظته اذا تكلم به على الرفع وانما خص

الاسم المذكور ههنا لكون المحامد كلها مقرونة بمعانيها المستدعية لها فانه اسم ينبئ عن جميع
صفات الكمال لما اخبرنا بانه تعالى حقيق بالحمد باعتبار ذاته المستجمعة بجميع صفات الكمال
وغاية نعوت الجلال حمدا ولم يحمد بتة على استحقاقه له باعتبار افعاله العظام وانارة الجسام
من ربوبيته للكل ورحمته الظاهرة للجميع وخصوص رحمته الباطنة لعباده المؤمنين و
ذلك ان ترتيب الحكم على الوصف كما يشعر بالعلية كذلك تعقيب الحكم بالوصف يشعر به كانه قال
حقيقة الحمد مخصوصة لذاته الواجبة الكاملة بذاتها ولكمالاتها التي لا يشترك فيها غيره رب
العالمين الرب يطلق على المربي والمصلح والسيد والمالك والخالق والمعبود وكل ذلك يتحمله
المقام فيصح ان يراد به ههنا كل منها وكفى ذلك وجها لايثاره على المالك ونحوه ثم ان ربوبيته
تعالى بمعنى الخالقية والمالكية والسيدية والمعبودية عامة بمعنى التربية والاصلاح خاصة
بحسب انواع الموجودات متفاوتة فهو مربي الاشباح بانواع نعمه ومربي الارواح باصناف
كرمه ومربي نفوس العابدين باحكام الشريعة ومربي قلوب العارفين باداب الطريقة و
مربي اسرار الابرار بانوار الحقيقة ولقد احسن من قال انه تعالى يملك عبادا غيرك كما قال وما
يعلم جنود ربك الا هو وانت ليس لك رب سواه ثم انك تتساهل في خدمته كان ذلك ربا
غيره وهو يهتم في تربيتك كانه ليس له عبد سواك يحفظك بالنهار عن الافات بلا عوض و
يحرسك بالليل عن المخافات من غير غرض فما احسن هذه التربية باطلاق الرب على غيره تعالى
لا يجوز شرعا لا مطلقا ولا مقيدا لما رواه الشيخان عن ابي هريرة رض مرفوعا لا يقل احدكم
اطعم ربك وضئ ربك واسق ربك ولا يقل احدكم ربي وليقل سيدي واما قول يوسف عم
ارجع الى ربك وانه ربي فمحمول على الحكاية من الله تعالى لانه عم كان يتكلم بالعبرية فلا حاجة
الى ما قيل انه ملحق بقوله تعالى وخروا له سجدا في الاختصاص بزمانه بل لا وجه له كما لا يخفى
ويجوز لغة ولو مطلقا كما وقع في شعر الحارث بن حلزة من شعراء الجاهلية يمدح ملكا وهو
الرب والشهيد على يوم الحيارين والبلاء بلاء والعالمين جمع عالم وهو في لسان العرب
اسم لنوع من المخلوقين فيه علامة يمتاز بها عن خلافه من الانواع كالملك والانس والجن فيقول
العرب عالم البر وعالم البحر وعالم الارض وعالم السماء على ما نقله ائمة اللسان وهو جمع
لا واحد له من لفظه كالانام والرهط والجيش ماخوذ من العلم والعلامة فيجعل اسما لما يعلم
به الصانع فان فاعلا كثيرا ما يجئ في الآلة بمعنى ما يفعل به الشئ كالخاتم والقالب والطابع فيجعل بناؤه
على هذه الصيغة لكونه كالآلة في الدلالة على صانع واما جمعه فلانه لو افرد لربما تبادر الى الفهم انه
اشارة الى هذا العالم المشاهد بشهادة العرف او الى الجنس والحقيقة على ما هو الظاهر عند عدم
العهد فجمع ليشمل كل جنس يسمى بالعالم لعدم العهد وفي الجمع دلالة على ان القصد الى الافراد
دون نفس الحقيقة والجنس وانما جمع جمع قلة والظاهر يستدعي جمع الكثرة قال وهب بن منبه

ثمانية عشر الف عالم والدنيا عالم منها تنبيها على انها وان كثروا قليلون في جنب عظمته وكبريائه
واما جمعه بالياء والنون فللتغليب لعقلاء منهم الرحمن الرحيم ذكرهما عقيب الحمد لذاته ثناء
على صفاته كما قال النبي صلعم فيما روى عنه يقول العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي
ويقول العبد الرحمن الرحيم يقول الله تعالى اثنى علي عبدي فذكرهما في البسملة لاستمالة قلوب العباد الى
العبودية بالرحمة والغفران وفي الفاتحة للثناء على الله بالجمال والجلال للتربية والرضوان مالك يوم الدين
الملك تمام القدرة وقرئ ملك من الملك وهو تسلط العام والاستعلاء التام وهو اشد مناسبة لله تع
والاضافة الى يوم الدين فان مدار الجزاء على الاعمال من الثواب والعقاب واخذ حق الضعيف
من القوي على الاستيلاء والسلطنة الى الوقت شايع دون اضافة الملك وقيل في ترجيح قراءة
مالك ان فيه زيادة حرف ربه زيادة ثواب لقول النبي صلعم من قرا القران كتب به بكل حرف
عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات ورفعت له عشر درجات واضافته الى اليوم اضافة اسم الفاعل
الى الظرف المجرى مجرى المفعول اتساعا وانما ساغ وقوعه صفة للمعرفة لان اضافة اسم الفاعل
انما يكون غير حقيقية اذا اريد به الحال والاستقبال لكونه في تقدير الانفصال والمراد ههنا
الزمان المستمر او الماضي لقراءة ملك على المعنى واليوم مدة كون الشمس فوق الارض فان
عبارة عن وقت استطارة الفجر الثاني الى غروب الشمس شرعا وهو الوقت المطلق لغة ليلا كان
او نهارا طويلا كان او قصيرا وهو المراد في الآية لعدم الطلوع والغروب ثمة والدين الجزاء
خيرا كان المجزى به او شرا يقال كما تدين تدان وانما خص اضافة ملكه اليه لان الاملاك يومئذ
زايلة قال الله تع والامر يومئذ لله ذكر من اسمائه خمسة الله والرب والرحمن والرحيم والملك
فكانه يقول خلقتك فانا اله ثم ربيتك بوجوه النعمة فانا رب ثم عصيت فسترت عليك فانا
رحمن ثم تبت فغفرت لك فانا رحيم ثم لا بد من ايصال الجزاء اليك فانا مالك يوم الدين
اياك نعبد لانك مالك واياك نستعين لان ما سواك هالك ايا ضمير منفصل منصوب والكاف
للخطاب مثل كاف ذلك وهو اي يا وهما حرفا التنبيه والنداء فادغم الياء وكسرت الالف
لجوار الياء والعبودية التذلل والعبادة ابلغ منها لانها غاية التذلل ولهذا اختصت بالرب عدل
عن الغيبة الى الخطاب وهو صنعة الالتفات وقد اقتضاه المقام وذلك انه اول التورع الى هناك
ثناء والثناء في الغيبة اولى ومن هنا الى اخره دعاء والدعاء في الحضور اولى والمعنى نخصك يا من
لا يسوغ العبادة الا له لاتصافه بما ذكر من اصناف النعم الدنيوية والاخروية ولا يجوز الاستعانة
الا به لكمال قدرته واحاطة ملكوته بكل شيء بغاية التذلل في طلب المعونة لا نعبد غيرك ولا نستعين
سواك قدم الضمير المنفصل للتخصيص والتوحيد وقطعا لاحتمال تعلق العبادة لغيره لانه لا مرية
لكن لا بد من الاحتياط عن ذهاب الوهم اليه ولم يسلك في الحمد لله ذلك المسلك اذ لا باس في تعلق الحمد
لغيره تع وايثار الضمير المتكلم الشامل للقاري ولساير الموحدين للتعميم والتشريك ودرجا لعبادة

فى تضاعيف عباداتهم وخلطا لحاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركاتها ويجاب لها ولهذا شرعت الجماعة وكان
فى ذكر نعاء بكل مقام حسنة فكانه يقول انت منفرد فى المعبودية ولا تحق شركاء فى العبودية ولكن ان نقول ان فى اعبد
معنى التوحيد المشعر عن التكبر وفى نعبد معنى التواضع المناسب لمقام العبادة والتذلل فكانه يقول للعابد انى
واحد من عبيدك وقدم الاستعانة تعليما للعباد وجريا على ما انطبع فى الغرائز من تقديم الوسيلة على الحاجة
لانه انجح لحصول المطلوب واسرع لوقوع الاجابة واطلق الاستعانة ليعم كل مستعان عليه ثم خصصها بقوله
اهدنا للتكرير اجمالا وتفصيلا فيدل على ان اهم المهمات الاستعانة وبتوفيقه فى طلب الهداية والسعادة الاخروية
الباقية وكرر الضمير للتنصيص على التخصيص وكل من العبادة والاستعانة ولولا ذلك لكان التخصيص فى مجموعهما
ولا يلزم من ذلك التخصيص فى كل منهما اهدنا الصراط المستقيم الدين القويم وما يدل عليه القران العظيم قال
على وابى بن كعب رضه اهدنا الصراط ثبتنا عليه كما يقال للقايم قم حتى اعود اليك اى دم على ما انت قبل و
قرئ ثبتنا وفى التعبير عنه باهدنا اشارة الى ان المطلوب هو الثبات فى ضمن التجدد يعنى ثبتنا على اصل
الهداية وزدنا فيها فى كل وقت والهداية دلالة بلطف ومنه الهداية وخص ما كان دلالة بفعله كو
هديته الطريق وما كان من الاعطاء فعل كواهديت الهداية واستعمالها فى الشر كما فى قوله تع فاهدوهم
الى صراط الجحيم فعلى طريقة التهكم كالبشارة فى قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم والفعل منه هدى يتعدى الى
ثانى مفعوليه باللام وبالى اخرى فنى حذف اداة التعدية على طريقة واختار موسى قومه اخراج له مجرى المتعدى
الى المفعولين بالذات ولا بعد فى ان يقصد بذلك الاشارة الى قوة الهداية المطلوبة فكانه قيل اهدنا هداية
كاملة لا تحتاج الى الواسطة وانما قال اهدنا دون اهدنى رعاية للمناسبة مع نعبد ونستعين ولان الدعاء
مهما كان اعم الى الاجابة اقرب كان بعض العلماء يقول لتلامذته اذا قرأتم فى خطبة السبق ورضى الله عنكم
وعن جماعة المسلمين ان ذكرتنى فى قولك رضى والا فلا حرج ولكن اياك ان تنسانى فى قولك وعن جماعة المسلمين
فلا بد ان يكون فى المسلمين من يستحق الاجابة واذا اجاب الله تع الدعاء فى البعض فهو اكرم من ان يرده
فى الباقى ولهذا السبب قالوا السنة اذا اراد احد ان يذكر دعاء ان يصلى اولا على النبى صلعم فانه اذا اجيب
فى طرفى دعائه امتنع ان يرد فى وسطه وقد قال النبى صلعم ادعوا الله بالسنة ما عصيتموه بها قالوا يا رسول
الله فمن اين لنا تلك الالسنة قال يدعو بعضكم لبعض لانك ما عصيت بلسانه وهو ما عصى بلسانك
والصراط كالطريق فى التذكير والتانيث اما فى المعنى فبينهما فرق لطيف كل ما يطرقه طارق معتادا كان او
او غير معتاد والسبيل من الطرق ما هو معتاد السلوك والصراط من السبيل ما لا التواء فيه ولا اعوجاج
بل يكون على جهة القصد فهو اخص الثلثة وفايدة وصفه بالمستقيم ان الصراط يطلق على ما هو فيه
صعود او هبوط والمستقيم ما لا ميل فيه الى جهة من الجهات الاربعة واصل الاستقامة فى قيام الشخص ان
لا يكون منحنيا ولا مستعصيا ولا مائلا الى يمين او يسار صراط الذين انعمت عليهم بدل من الصراط المستقيم
وفايدة التوكيد التكرير والتفصيل بعد الاجمال واطلق الانعام لينتظم كل نعم شددت اللام فى الذين لانه
لا مان والاصل انه مثل عم ثم دخلت الالف واللام للتعريف فالتشديد من اجل ذلك والانعام نفع الغالى

من دونه بامر عظيم خاليا عن العوض والنفعة ولما كان الكفار من جملة الذين انعم الله عليهم على ما صرح
به فى قوله تع يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم خصصهم بقوله غير المغضوب عليهم فى دار الدنيا ولا الضالين
فى بيان الاخرة والمشهور ان نعمة الله تع على نوعين دنيوية ومهادر فى حق الكافر لقوله صلعم الدنيا سجن
المؤمن وجنة الكافر واخروية وهى مختصة بالمؤمن ونحن نقول ان النعمة الاخروية ايضا على قسمين
نعمة نفع وهى المختصة بالمؤمن ونعمة دفع ولا شبهة فى عمومها للكافر ايضا لان الله تع لا يعذب كافرا من
من الكفار بنوع من العذاب الا وهو قادر على ان يعذبه باشد منه وترك ذلك نعمة كتخفيف منه تع عليه غير صفة
مقيدة اى جمعوا بين النعمة والسلامة منهما وانما وصف المعرفة بغير تنزيلا للموصول منزلة المنكر اذ لم يقصد
به معهود او دفعا الى درجة المعرفة لزوال الابهام بالاضافة الى ما له ضد واحد اعلم ان غير لها ثلثة
مواضع احدها ان يقع موقعا لا يكون فيه الا نكرة وذلك اذا اريد به النفى الساذج فى كمررت برجل غير زيد
تريد ان المراد به ليس بهذا والثانى ان يقع موقعا لا يكون فيه الا معرفة وذلك اذا اريد به شئ قد عرف
بمضادة المضاف اليه فى المعنى لا يضاده فيه الا هو كما اذا قلت مررت بغيرك اى المعروف بمضادتك الا انه فى
هذا لا يجرى صفة فيذكر غير جار على الموصوف الثالث ان يقع موقعا يكون فيه نكرة تارة ومعرفة اخرى
كما اذا قلت مررت برجل كريم غير لئيم وعاقل غير جاهل والرجل الكريم غير اللئيم كذا قال صدر
الافاضل وقد تبين منه ان من قال ان غير لا يتعرف اصلا وان اضيف الى المعارف وان من زعم
انه بالاضافة الى ما له ضد واحد بغير الحركة من غير السكون فقد اخطاء من وجوه اما الاول فلانه
وان اضيف الى ما له ضد واحد لكنه لم يعرف ما اريد به بمضادة المضاف اليه فى معنى لا يضاده
فيه الا هو ولهذا لم يكن من قبيل الثانى فلم يتعين تعين الحركة من غير السكون واما ثانيا فلانه
حينئذ يكون معرفة بالحقيقة على ما مر لا بالتاويل كما ظنه ذلك الزاعم واما ثالثا فلانه ح لا يجرى
صفة وانما يذكر غير جار على الموصوف وهو فى صدد توجيه كونه صفة لما قبله وقيل هو بدل
من الذين ولا يعجبنى ذلك لان غيرا اصل وصفه الوصف والبدل بالوصف ضعيف والغضب
تغير يحصل عند غليان دم القلب لارادة الانتقام والقانون فى امثاله وهو ان جميع الاعراض
النفسانية مثل الرحمة والفرح والسرور والغضب والحياء والتكبر والاستهزاء لها اوايل و
لها نهايات ولنبين ذلك فى الغضب فان اوله غليان الدم وغايته ارادة ايصال الضرر الى
المغضوب عليه فلفظ الغضب فى حق الله تع لا يحمل على اوله الذى هو من خواص الجسم
بل يحمل على غايته وهذه قاعدة شريفة بقى ههنا نكتة لطيفة وهى انه صرح بالخطاب لما ذكر
النعمة ثم انه حيث قال غير المغضوب عليهم ولم يقل غير الذى غضب عليهم عطفا على الاول
فجاء باللفظ منحرفا عن ذكر الغاضب فاسند النعمة اليه لفظا وزوى عنه لفظ الغضب تحننا
ولطفا قيل يعنى بالاول اليهود لقوله تع فى قصتهم وباؤا بغضب على غضب وبالثانى النصارى
لقوله تع فى حقهم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وهذا على وفق ما روى عن النبى صلعم من ان

ضلالة وهو بوادي القرى من المغضوب عليهم فقال اليهود ومن الضالين فقال النصارى فان
قلت كيف فسر ذلك وكلا الفريقين ضال ومغضوب عليه قلت خص كل فريق منهم بصفة كانت اغلب
عليهم وان شاركوا غيرهم في صفات ذم وعليهم هنا في محل الرفع لانه نائب مناب الفاعل بخلاف ما
في انعمت عليهم فانه في محل النصب على المفعولية ولا مزيدة لتاكيد ما في غير من معنى النفي فكانه قيل لا المغضوب
عليهم ولا الضالين وعين دخولها العطف على قوله المغضوب عليهم لمناسبة غير لئلا يتوهم في اول
الوهلة بتركها عطف على الضالين على الذين والضلال فقدان الطريق السوي سواء سبقه الوجدان
اولا كما في قوله تع ووجدك ضالا فهدى وانما عدلنا عن تفسيره بالعدول عن الطريق السوي عمدا او
خطاء لان من طلب الطريق السوي ولم يجده او قعد عن الطلب ضال ولا عدول ثمه لا عمدا ولا خطاء امين
مبني على الفتحة كاين لالتقاء الساكنين وجاء مد الفه وقصرها والاصل فيه القصر وانما يمد ليرتفع الصوت
بالدعاء كذا قال ابن خالويه في اعراب القران وذكر ابن درستويه ان القصر ليس بمعروف وانما قصره
الشاعر في قوله امين فزاد الله بيننا بعدا للضرورة وذلك وهم اذ لا ضرورة فانه لو قدم الفاء وقيل
فامين زاد الله بيننا لدفع الضرورة ولا يشدد ميمه فانه لحن والعامة ربما فعلوا ذلك واما في قوله تع
ولا امين البيت الحرام لانه من اممت اي قصدت معناه على قول ابن عباس رض كذلك يكون وقيل اسم
فعل اي استجب وروي عن كعب الاحبار انه قال امين خاتم رب العالمين يختم به دعاء عبده المؤمن
وليس من القران اجماعا وقراءته سنة في الصلوة وخارج الصلوة بعد الفاتحة مفصولة عنها

سورة البقرة مدنية

عن سهل بن سعد رض عن النبي عم ان لكل شيء سناما وسنام القران سورة
البقرة ولا حجة فيه على من استكره ان يقال سورة البقرة وقال ينبغي ان يقال السورة التي يذكر فيها
البقرة كما قال عم السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط القران لان ما يكره من الامة قد لا يكره
منه عم الا يرى انه قال لا يؤمن احدكم حتى يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وقد انكر قول
الاعرابي ومن عصاهما فقد غوى وقال بئس خطيب القوم انت بسم الله الرحمن الرحيم الم
في الفواتح المقطعة اوجه والاوجه انها اسماء السور وعليه الاكثر ومحلها رفع على الابتداء
وقيل نصب وجر على حذف حرف الجر واضماره والمروي عن الصدر الاول في النهي انها اسرار
بين الله تع وبين نبيه وقال بعض الكمل قد يجري بين المحبين كلمات معميات يشير الى سر بينهما
والمقطعات في اوايل السور من هذا القبيل فانه تع قد واضعها مع نبيه عم في وقت لا يسعه فيه ملك
مقرب ولا نبي مرسل ليتكلم بها معه على لسان جبرائيل عم باسرار وحقايق لا يطلع عليها جبرائيل عم
ويدل على هذا ما روي في الاخبار ان جبرائيل عم لما نزل بقوله تع كهيعص فلما قال كاف قال النبي عم
علمت فقال ها قال علمت فقال يا قال علمت فقال عين قال علمت فقال صاد قال علمت فقال جبرائيل عم كيف علمت
ما لم اعلم ذلك الكتاب اصل ذلك ذا اسم مبهم للاشارة واللام عوض عن هاء التي للتنبيه ولهذا لا يجمع
بينهما والكاف فللدلالة في الاصل وضعه الى البعد وانما ذلك بحسب العرف الطارئ فالاشارة به هنا

الى الحاضر اما على الوضع اللغوي ولان ما لا يكتنه بالبصر فالاشارة اليه بلفظ ذلك وهذا سواء
لانه من حيث انه لا يكتنه بالبصر اشبه المحسوس الغايب ومن حيث انه مدرك بالعقل والسمع
اشبه المحسوس الحاضر فصح فيه استعمال اللفظين ولهذا قال جمع من ائمة التفسير والعربية ان معنى
قوله تع ذلك الكتاب هذا الكتاب وتذكيره لان المشار اليه المسمى وهو ذلك البعض من القران ليس بمؤنث
وكذا اسمه المذكور وهو الم ليس بمؤنث نعم له اسم آخر مؤنث وهو السورة لكن الاشارة ليست
باعتبارها فلا حاجة الى التاويل في تذكيره وهو مبتدأ ثان والكتاب خبره والجملة خبر المبتداء
الاول والمعنى ان ذلك هو الكتاب الكامل او خبر المبتداء والكتاب صفة ومعناه هو ذلك الكتاب
الموعود مصدر بمعنى المفعول قال الراغب الكتب ضم اديم الى اديم بالخياطة وفي المتعارف ضم
الحروف بعضها الى بعض في اللفظ ولهذا سمي كتاب الله وان لم يكتب كتابا ومن قال اطلق على المنظوم
عبارة قبل ان يكتب لانه مما يكتب فكانه لم يفرق بين الخط والكتابة لا ريب فيه في محل الحال والعامل فيه
معنى الاشارة فيه اشارة الى كماله في نفسه وقوله هدى اشارة الى كونه مكملا لغيره فيكون وصفا
بالتكميل بعد وصفه بالكمال قال الراغب في الفرق بين الشك والمرية والريب ان الشك وقوف النفس بين
شيئين متقابلين بحيث لا يترجح احدهما على الآخر بامارة والمرية التردد في المتقابلين وطلب الامارة
ماخوذ من مري الضرع اي مسحه للدر فكانه يحصل مع الشك تردد في طلب ما يقتضي غلبة الظن والريب
ان يتوهم في الشيء امرا ثم ينكشف عما توهم فيه ولما كان الريب ضعف كان نفيه ابلغ ثم ان المنفي
عنه منشاء الريب لا نفسه لانه حالة قايمة بالمرتاب لا احتمال ان يوجد في جنس الكلام فلا حاجة الى
نفيها بل لا وجه له في مقام المدح ولم يقدم الظرف لا لان الحصر المستفاد من تقديمه باطل لان باقي الكتب
السماوية ليس بمعجز فلا قاطع لعرق الريب فيه بل لتجريد الكلام لما سيق له فان المفهوم من الحصر المذكور
فضلة في المقام واختيار ما هو احسن نظما وتوسيع دايرة القراء على ما ستقف عليه باذن الله تع
وقرئ لا ريب بالتنوين والرفع والفرق ان المشهورة توجب الاستغراق وهذه تجوزه هدى للمتقين
اي المشارفين للتقوى الصايرين اليه ففيه مجاز وايجاز وهما من اقوى اسباب الاعجاز ونكتة
المجاز التنبيه على قوة ترتب هدايتهم على هدايته بحيث لم يتخلل بينهما زمان فكان هدايته بالذين يهتدون
به هداية بالمهتدين وانما لم يقل هدى للضالين لئلا يندرج تحت عمومه المطبوع على قلوبهم هدى مبتداء
خبره فيه قدم عليه محققا على قراءة من وقف على لا ريب ومقدرا على قراءة من وقف على فيه للعناية والاهتمام تنبيها
على ان المقصود بالاخبار كون الكتاب متضمنا لهدايتهم لا كونهم مهتدين به ولذلك قدم على الفاصلة وايثار
الظرف على الضمير المنفصل للاشارة الى ان الهداية من بعض الفوايد التي تضمنها وتنكيره للتعظيم والهدى
في الاصل مصدر على فعل كالسرى وقد مر تفسير الهداية وما يتعلق به والتقوى على ما قال علي رض ترك الاصرار
على المعصية والاغترار بالطاعة والمتقي اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وقيل المتقي
من سلك سبيل المصطفى ونبذ الدنيا وراء القفا وكلف نفسه الاخلاص والوفا واجتنب الحرام والجفا ولو لم

فصل لا لما فهم من هنا لكنه فانه مع بيّن في موضع ان القرآن هدى للناس وقال هنا هدى للمتقين
فكانه يقول ان المتقين هم كل الناس فمن لا يكون متقيا ليس منه ولما كان معنى قوله للمتقين للذين يتقون
صح ان يكون قوله الذين يؤمنون موصولة بالمتقين على انه صفة مجرورة او مدح منصوب بتقدير
اعني او مرفوع بتقدير هم واما فصله عنه على انه مرفوع بالابتداء مخبر عنه باولئك على هدى فضعيف
لانقطاعه عما قبله والذهاب مذهب الاستيناف مع وضوح اتصاله بما قبله وتعلقه به ومبنى الاستيناف
على تقدير ان يسأل ما بال المتقين مخصوصين بذلك فلا يتم الجواب الا بمجموع القضيتين فيكون القطع
بينهما لكمال الاتحاد والظاهر انه لكمال الانفصال في الغرض والاسلوب على ما يشهد لذلك تصدير
القضية الثانية بان المشعرة بالاخذ في فن آخر والايمان افعال من الامن يقال امنته وآمنته غيري
ثم نقل الى التصديق فقيل آمنه التكذيب والمخالفة ثم ضمن معنى اقر واعترف فعدي بالباء
بالغيب اي بما غاب عن الحس والعقل غيبة كاملة حيث لا يدركه واحد منهما لا بالبديهة ولا بالاكتساب
يعني احوال البعث والجنة والنار كما في قوله تع الا المصلين الذين هم على صلوتهم دائمون والذين
في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم والذين يصدقون بيوم الدين ولقوة غيبته حيث غاب
عن مظهري الحس والعقل عبر عنه بالمصدر كما يقال لمن بلغ الغاية في العدالة عدل ولكمالها في معنى
الغيبة انما تم فيه وباقي الغائبين بمنزلة الشاهد نظرا اليه ففيه اشارة الى قوة تصديقهم برسول
الله صلعم ووفور اعتقادهم بنبوته حيث صدقوه في اخبار لا طريق الى العلم بصدقها لا بالحس ولا
بالعقل ولا بالعقل لا بالبداهة ولا بالكسب وعدم التعرض للتصديق بالمبدا للتنبيه على ان شانه
تعالى اظهر الامور بحيث كان التصديق به تصديقا باجلى المعلومات فلا يناسب ذكره في مقام المدح
بالتصديق باخفى المجهولات وفيه نعي على الدهرية على وجه ابلغ ويقيمون الصلوة اقامة الشيء جعله
قائما والقيام انتصاب القامة ولما كانت هيئة الانتصاب اكمل هيئات من له القامة واحسنها استعيرت
الاقامة للتكميل والتحسين ومنه اقام الامر اذا اتمه وجاء به معطى حقوقه وايضا لما كان استعمال
من له القامة باقامتها استعيرت الاقامة للاستعمال ايضا ومنه اقام القوم سوقهم اذا استعملوها
ولم يعطلوها فالمعنى على الاول يعدلون اركانها ويكملون حدودها وعلى الثاني يحافظون في مواقيتها
ولا يعطلونها والصلوة الاركان المعروفة والافعال المشهورة واصلها الدعاء قال تع وصل عليهم اي
ادع لهم وفيما نقلها الشرع اليه اشتمال على الدعاء وفائدة الاطناب بزيادة الاقامة التنبيه على انه لم يرد
ايقاعها فقط ولهذا لم يامر بالصلوة ولم يمدح بها الا بلفظ الاقامة نحو اقم الصلوة والمقيمين للصلوة
ولم يقل والمصلين الا في المنافقين حيث قال فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون ومن ثم قيل
المصلون كثير والمقيمون لها قليل كما قال عمر رض الحاج قليل والركب كثير وكثير من الافعال التي حث الله تع
على توفية حقه ذكر بلفظ الاقامة نحو ولو انهم اقاموا التورية والانجيل واقيموا الوزن بالقسط و
لما كان المعنى يعبدون الله تع بكل من نوعي العبادة البدنية والمالية عقبه بقوله ومما رزقناهم ينفقون

وقدم ما هو الاشق وبالتقديم احق لانه ام العبادات وعماد الدين وانما لم يقل ويؤتون
الزكوة لئلا يختص المدح بالاغنياء وايضا لما ذكر البدنية مطلقة شاملة للواجبة وغير الواجبة
ناسب ان يذكر المالية ايضا على وجه الاطلاق والرزق اسم لكل ما ينتفع به الحيوان واصله
الحظ والنصيب من اي نوع كان ثم شاع اطلاقه على ما اعطى الله تعالى عبده ومكنه من
التصرف فيه حلالا كان او حراما لقوله عليه الصلوة والسلام لقد رزقك الله طيبا فاخترت ما
حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله واما ما قيل لو لم يكن الحرام رزقا لم يكن المتغذي
به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فيرد
عليه ان الملازمة مسلمة وكذا بطلان التالي مسلم انما الشان في وقوع المقدم فافهم نعم هو محمول
ههنا على المباح دون المحظور بقرينة اضافته الى الله تعالى فان ما يضاف اليه تعالى بخصوصه حقه
ان يكون خاليا عن الكراهة فضلا عن الحرمة وان كان قد يضاف اليه الافعال كلها على سبيل العموم
والاجمال واما الحث على الانفاق والمدح للمنفق وكونه من المتقين فانما يصلح قرينة لكون المنفق
مباحا ولا دلالة فيه على عدم كون الرزق الذي ذلك المنفق بعض منه مشتملا على الحرام وزيادة
حرف التبعيض للحث على الاقتصاد المحمود لانه الجود الذي هو وسط بين الاسراف والاقتار قال
الله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ففيه اخبار صريح في حق الغائبين
ونهي ضمني في حق الحاضرين واما التبذير فلا حاجة للاحتراز عنه الى اداة التبعيض لانه بمعزل عن
مظنة المدح به كيف وهو حرام منهي عنه بابلغ وجه وقوله تع ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين
بخلاف الاسراف فانه قد شاع انه لا اسراف في الخير فكان مظنة ان يمدح به ولما كان المدح
باعتبار تخصيصهم الانفاق بالبعض الحلال من رزقهم لا بالانفاق مطلقا كان ذكر المفعول
وتعيينه اهم من الاخبار عن نفس فقدم عليه اظهارا للاهتمام به والاعتناء بشانه
ومحافظة على الفاصلة والانفاق صرف المال الى الحاجة لا انفاده واذهابه مطلقا فالاسراف
مثلا ليس بانفاق والذين يؤمنون هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه
معطوفون على الذين يؤمنون بالغيب داخلون معهم في جملة المتقين دخول اخصين تحت
اعم اذ المراد باولئك الذين الذين آمنوا وليسوا باهل الكتاب وبهؤلاء مقابلوهم فكانت
الآيتان الكريمتان تفصيلا للمتقين وانما قدم الكتابي لان تصديقهم بتلك المغيبات اغرب اذ
هم لم يسمعوا شيئا منها الى ان اخبر به النبي صلعم فهم بالمدح بذلك الوصف احق ومن ذلك تبين
وجه تخصيص التعبير بالغيب عن المصدق به في حقهم مع ان متعلق التصديق لكمال الفريقين واحد
وظهر ان ما فصل بقوله بما انزل اليك الآية هو بعينه ما عبر عنه اجمالا بقوله بالغيب اليك اصله
الى ك فلب فرقا بين الاضافة الى المكني وغيره والانزال نقل الشيء من اعلى الى اسفل وهو انما يلحق
المعاني بتوسط لحوقه الذوات الحاصلة لها كما في انزال القرآن فانه انزل جملة من اللوح الى

سماء الدنيا ثم نزل منها على لسان جبرئيل عم منجما على الرسول عليه الصلوة والسلام او للنفوش الدالة عليها كما في انزال التورية فانها قد انزلت على موسى عليه السلام مكتوبة على الالواح
فان كان المراد جميع ما انزل اليه عليه الصلوة والسلام الى حين نزول هذه الاية كما هو
الظاهر فالامر هين فان الايمان بالمترقب غير واجب وذلك بين وان كان المراد مجموع
القران والشريعة فمبناه على تنزيل المترقب منزلة النازل لتحقق وقوعه او لارتباط بعضه ببعض
كالشيء الواحد ونظيره قولك كل ما خطب به فلان فهو فصيح ولا تريد به الماضي فقط بل الاتي
ايضا او تغليب النازل على ما لم ينزل وفي يؤمنون اشارة الى ان القران غير متفاوت الابعاض
في البلوغ الى حد الاعجاز فمن آمن ببعضه يؤمن بكله لا محالة والعدول عن صيغة الماضي الى المستقبل
لما فيه من الحدوث التجددي المتضمن للاشارة الى ان ايمانهم بما انزل اليه عليه الصلوة والسلام
يتجدد بحسب تجدد نزول الايات والاحكام والى ان ايمانهم السابق انكار له في الحقيقة
لا تصديق به وقدم الايمان بما انزل اليه لاصالته حيث كان صحة ايمانهم بما انزل من قبل في ضمن
الايمان بما انزل اليه وبسببه ولهذه النكتة لم يكرر الباء في قوله وما انزل من قبلك كما كرر في
امنا بالله وباليوم الاخر والمراد بذلك ما انزل على الانبياء الذين كانوا قبل محمد عليه وعليهم
الصلوة والسلام والايمان به واجب اجمالا لان الله تعالى ما تعبدنا الان به حتى يلزمنا معرفته
تفصيلا نعم ان عرفنا شيئا من تفاصيله فهناك يجب علينا الايمان بتلك التفاصيل وبالاخرة
تانيث الاخر صفة للدار كما في قوله تعالى تلك الدار الاخرة او النشاة كما في قوله تعالى ثم الله
ينشئ النشاة الاخرة سميت بذلك لانها متاخرة عن الدنيا او النشاة الاولى زمانا قيل
للدنيا دنيا لانها ادنى من الاخرة رتبة هم يوقنون تقديم الظرف هنا للقصر عليه كما في قولك
قوله تعالى لالى الله تحشرون وتقديم المسند اليه وهو ضمير مع بناء الفعل
عليه ايضا للقصر عليه كما في قولك انا سعيت في حاجتك والقصر اضافي بحكم الحمل
الغالب في استعمالات البلغاء والمعنى المستفاد من القصر الاول ان ايقانهم مقصور
على حقيقة الاخرة لا يتعداها الى ما هو على خلاف حقيقتها وتعريض بساير اهل الكتاب
وبما هم عليه من امر الاخرة والمعنى المستفاد من القصر الثاني ان الايقان المذكور لا
يتعداهم الى غيرهم وهذا تصريح بانهم على جهالة في امر الاخرة والايقان اتقان العلم
بازالة الشك والشبهة عنه فاليقين هو العلم بالشيء بعد ان كان صاحبه شاكا فيه و
لذلك لا يطلق على علمه تعالى قال الامام ويقال ذلك في العلم الحادث بالامور سواء كان ذلك
العلم ضروريا او استدلاليا فيقول القائل تيقنت ما اردته بهذا الكلام وان كان قد علم
مراده بالاضطرار ويقول تيقنت ان الاله واحد وان كان قد علم بالاكتساب اولئك اي اهل
هذه الصفات فيبتني الحكم على الوصف فينتفي بانتفائه وهذا معنى الاختصاص واولاء كلمة

كلمة معناها الكناية عن جماعة نحو هم جمع لا واحد له من لفظه بني على الكسر والكاف للخطاب والجملة
استيناف لا محل لها فكانه نتيجة الاحكام والصفات المتقدمة على هدى مثل تمكنهم من الهدى
شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه ونكر هدى ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه نحو لقد وقعت
على لحم ومعنى كونهم على الهدى تمسكهم بموجب الدلائل لان الواجب على المتمسك بالدليل ان يدوم
على ذلك فكانه تعالى لما مدحهم بالايمان بما انزل الله عليه اولا مدحهم بالاقامة على ذلك ثانيا من
ربهم نفي الكسب واثبات كونه بمحض العناية والعطاء كالشيء الذاتي المقارن لوجودهم في اول
الكون وفيه زيادة تعظيم لتلك الهداية واضافة الرب اليهم للتشريف فكما يفيد اضافة العبد
اليه تعالى تشريفه فكذلك اضافته تعالى اليه يفيده بل ذلك اقوى افادة له واولئك عاد اسم الاشارة
تنبيها على ان المقتضي للفلاح ايضا موانتصافهم بتلك الصفات وان كل واحد من الاثرين لهم
بالاستقلال والانفراد لا بتبعية احدهما للاخر ولو انفردت احديهما لكفت على تحققهم بالكمال
وانا فيهم على خبرهم وتوسيط العاطف لتناسبهما في الوجود حيث كان احدهما علة للاخر
وتغايرهما في المعنى المقصود فان الهدى حاصل في الدنيا والفلاح في الاخرة فالجملتان
متوسطتان بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع بخلاف كالانعام والغافلون فانهما
شيء واحد بحسب المقصود والمآل وان تعدد بحسب اللفظ والمفهوم هم المفلحون هم
فصل يفصل الخبر عن الصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او
مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك المفلح الظافر بمطلوبه والفلاح الخير
المقطوع ومنه يقال الفلاح للمكاري والاكار لقطعهما الارض في الكراء والكراب وفي
المثل الحديد بالحديد يفلح اي يقطع ويصلح والتعريف للدلالة على ان المتقين هم
الناس الذي بلغك انهم المفلحون في الاخرة او الاشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة
المفلحين وخصوصياتهم ولا دلالة في الاية على خلود الفساق من اهل القبلة في العذاب
لان الفائز بمطلوبه في الاخرة من زحزح عن النار وادخل الجنة فالمعذب بالنار
وان لم يخلد فيها غير مفلح نعم لو قيل ان فيها دلالة على ان الفاسق بل تارك الصلوة وان
كان تائبا لا بد له من العذاب لاحتيج في جوابه الى ان يقال ان المراد بالمفلحين الكاملون
في الفلاح ان الذين كفروا لما انجر الكلام في تقرير ما سيق له الى ذكر خاصة عباده وخلاصته
او لبيان صفاتهم التي اهلتهم للهدى والفلاح قفى على اثره بذكر اضدادهم وهم العتاة
المردة من الكفار المتبوع على قلوبهم بحيث لا ينجع فيهم الهدى ولا يجدي عليهم اللطف
والدعوة والانذار وانما فصل بينهما لتباينهما في الغرض فان الاولى سيقت لبيان شان
الكتاب والثانية سوقها لشرح تمردهم وانهماكهم في الضلال والتاكيد بان لان الخبر
قد بولغ فيه وعلق بما عسى ان يستنكر او يستبعد والتعريف للاشارة الى اناس معهودين

اخرج ابن جرير وغيره بسند صحيح عن ابن عباس رض ان المراد به الكفار من اليهود خاصة
وهو الظاهر بقرينة ايلائه المؤمنين من اهل الكتاب ولان السورة مدنية واكثر الخطاب
فيها لليهود والكفر بالضم والفتح في اللغة الستر ومنه سمي الزارع كافرا فانه يستر البذر
ونقل في الشرع الى عدم قبول ما علم مجيء الرسول صلعم به عقدا او قولا لما فيه من ستر
نور الفطرة الاصلية الذي يذر الكمال هذا هو الكفر المقابل للايمان المنجي واما الكفر
المقابل للايمان الشرعي الذي لا بد فيه من الاحتراز عن امارات عدم قبول ما ذكر فيكفي في
تحققه وجود احدى تلك الامارات واخبار بلفظ المضي نظرا الى حال المخاطب لانه
مقصود بالافادة والمتكلم ليس بزماني فلا يختلف الاخبار بحسب دلالتها على الازمنة
الثلثة نظرا اليه سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم اي مستو عدلا عنه مبالغة
وايثارا الاسم على الوصف لتجرده عن معنى الحدوث وتمحضه للدلالة على الثبوت
والسواء الاعتدال في الوسط والوسط الاعتدال في المقدار وكون ذلك الاستواء
ضارا لهم غير نافع قال سواء عليهم ولم يقل سواء لهم والفعل في تاويل المصدر وانما
عدل عنه لما في الفعل من ايهام التجدد وحسن دخول الهمزة وام عليه لتقرير معنى الاستواء
وتاكيده فانهما جردتا عن معنى الاستفهام لمجرد الاستواء والمعنى سواء عليهم الانذار
وعدمه فالانذار وما عطف عليه مبتدا في المعنى وسواء الخبر والجملة خبر ان وانما قلنا
ان سواء هو الخبر لان موضع المغايرة الخبر والشك انما وقع في استواء الانذار وعدمه
لا في نفس الانذار ومن ههنا خرج وجه العناية الداعية الى تقديمه ولفظ الاستفهام
لا يمنع عن ذلك اذ المعنى على اليقين والتحقيق لا على الاستفهام لما عرفت من ان الهمزة
ههنا مستعارة للتسوية والانذار الاعلام بالتخويف وقال ابن عطية ولا يكاد يكون
الا في تخويف يسع زمانه الاحتراز فان لم يسع زمانه الاحتراز كان اشعارا او
الاقتصار عليه لان الكفار ليسوا اهلا للبشارة المطلقة والبشارة المعلقة على
الايمان ينقلب في حقهم نذارا لانهم مصرون على الكفر مصممون عليه فينتظم الانذار
هذا القسم من البشارة في حقهم لا يؤمنون مفسرة لاجمال ما قبلها فلا محل لها من الاعراب
او خبر ان وما قبلها اعتراض ولا دلالة في الاية على وقوع التكليف بما لا يطاق
لان الاخبار بوقوع الشيء وعدمه لا ينفي القدرة عليه واستحالة الكذب على الله تعالى
اللازم على تقدير وقوع ما اخبر بعدم وقوعه انما تدل على عدم وقوع الملزوم لا على
عدم كونه مقدورا فان استحالة اللازم لا تستلزم استحالة الملزوم وفائدة الانذار
بعد العلم بانه لا ينجع الزام الحجة وحيازة الرسول عليه الصلوة والسلام فضل الابلاغ
ولذلك حكم بالتسوية نظرا اليهم دون اليه صلى الله عليه وسلم ولما كان مظنة ان يسال

عن سبب الحكم السابق لقرابته استونف الجواب عنه بقوله ختم الله الختم والطبع
الاثر الحاصل عن نقش ويتجوز به عن الاستيثاق من الشيء والمنع منه نظرا الى ما يحصل
بالختم على الكتب والابواب بالمنع وقد يقال ذلك ويعنى به بلوغ آخر الشيء نظرا الى انه
آخر فعل في احراز الشيء ومنه ختمت القران ولم يرد به معنا الختم في بدء الفطرة لكون
التكليف ضايعا ويخالف ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم شايعا من ان كل مولود
يولد على الفطرة اي على الخلقة القابلة للاسلام ويخرج النعي عليهم شناعة صفتهم
مخرج التشنيع على فاقد البصر بعدم الابصار بل اراد الختم بعد ما اعرضوا عن الحق و
اصروا على ذلك على ما دونه في قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم وافصح عنه ما روي
ابن عباس عمر رض قال الطابع معلق بقائمة العرش فاذا اشتكت الرحم وعمل بالمعاصي
واجترى على الله بعث الله الطابع فطبع على قلبه فلا يعقل بعد ذلك شيئا فالاسناد اليه
تعالى مجازي لكن المسند على حقيقته على قلوبهم اريد بالقلب محل القوة العاقلة
من الفواد وعلى سمعهم السمع محل القوة السامعة من الاذن وكان في الاصل مصدرا
ولذلك وحد في مواضع الامن عن اللبس جريا على مقتضى الاصل واعادة الجار للدلالة
على ان الختم على السمع بالاستقلال والاصالة لا تبعا لختم القلب لان الختم على السمع لا يتبع
الختم على القلب بل الامر على العكس فان الختم على السمع يتبعه الختم على القلب في الجملة ولذلك
ترك اعادة الجار حيث قدم ختم السمع على ختم القلب في قوله تعالى ختم الله على سمعه وقلبه
واما ذكره في قوله وعلى ابصارهم فليس باعادة لانه متعلق لما بعده فان الابصار داخلة
في حكم التغشية دون الختم بخلاف الاسماع لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره
غشاوة وللوفاق على الوقف على سمعهم دون قلوبهم ولان التغشية ليست بمانعة
للسامعة عن الادراك بخلاف الباصرة غشاوة رفع بالابتداء وتقديم الخبر للاهتمام
فان المقصود بالاخبار كونها على الابصار والعدول الى الاسمية لافادة الدوام والثبوت
تقوية لحكم التغشية وجبرا لنقصانه عن حكم الختم وقرئ بالنصب عطفا على المختوم من
باب الاستغناء باحد الفعلين عن الاخر فان العرب اذا اجتمع فعلان متقاربان في
المعنى ولكل واحد متعلق على حدة جوزت ذكر احدهما وعطف متعلق الاخر المتروك
على المذكور كقوله متقلدا سيفا ورمحا والمصير الى تقدير فعل او الحذف والايصال في مثل
هذا من ضيق العطن ولولا الوفاق على الوقف على سمعهم لجاز ان يكون غشاوة اسما
وضع موضع مصدر من معنى ختم لان معنى ختم غشى وستر كانه قيل تغشية على سبيل
التاكيد ويكون قلوبهم وسمعهم وابصارهم مختوما عليها مغشاة ولما كان الختم
والتغشية مسببا مما اقترفوه ناسب تعقيبه بوعيد وبيان لما يستحقونه لا على وجه

التقريع كيلا يتوهم ان ما سبق من الختم والتغشية سبب لذلك فقيل ولهم عذاب اليم
اللام الجارة اذا اتصلت بالضمير غير الياء بنيت على الفتح والعذاب كل ما يمنع من المطلوب
يقال عذبت الرجل وعذب لم ياكل غير القائم والعظيم شديد ومنه العظم او الزائد
القدر وذلك في الدنيا الاسار وفي العقبى النار والمعنى ان تلك الطائفة مخصوصة
من بين الطوائف بنوع من العذاب على ان التنوين للتنويع كما في غشاوة اي نوع من
العذاب لا يتعارفه الناس وفائدته التهويل وتوصيفه بالعظيم تاكيد له وتركه في الغشاوة
تنبيها على الفرق بين مقامي التهويل فان الاول في احوال الدنيا والثاني في احوال الآخرة
وكم بين الحالين وفيهما من الهولين ثم بعد ذكر المؤمنين واحوالهم والكافرين واحوالهم
ذكر المنافقين واقوالهم واعمالهم وخصالهم بقوله ومن الناس الناس اصله اناس
جمع انسان ولذلك لا يستعمل الا في معنى جماعة كقوله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم و
قوله قد علم كل اناس مشربهم وقوله انهم اناس يتطهرون فحذفت الهمزة وعوض عنها حرف
التعريف وهي هنا للعهد ومن في قوله من يقول موصولة والقول عبارة عن جملة ما يتكلم
به المتكلم على وجه الحكاية ووحد يقول نظرا الى لفظة من وجمع من نظرا الى معناها
اعتبرت جهة وحدته عند ذكر مقالهم وجهة تعدده عند بيان احوالهم اشارة الى
انهم وان كانوا متفرقين على عقائد شتى في الكفر الباطن لكنهم مجتمعون على كلمة واحدة
في ظاهر النفاق خص هذا الصنف من بين الاصناف بمبالغات وتشديدات وابرز نظم
قصتهم ابرازا غريبا حيث قدم الخبر على المبتدا وابهم غاية الابهام ونكر المبتدا ووصفه
بصفات عجيبة ليتشوق السامع الى ما ذكر بعده من قبائحهم ونكرهم نعيا عليهم وتعجيبا
من شانهم يعني انظروا الى هؤلاء الخبثة وقبيح ما ارتكبوه كيف اختصوا من بين سائر الناس
بما لم يرض العاقل ان ينتسب اليه ولما كانت فائدة الاخبار بكونهم من بعض الناس استغرابا
ان يكون من جنسهم من اختص بمثل هذه الصفات فانها تنافي الانسانية بحيث كان ينبغي ان
لا يعد المتصف بها من جنس الانس ناسب تقديم الكلام به وان كان حقه التاخير و
هذا النوع من الاعتبار اللطيف مدار علو الكلام رابعة خطابية لا يعتبرها البليغ الا بحسب
المقام واقتضاء الحال فلا يطالب الاطراد وهذا الصنف ابغض الكفرة عند الله تعالى و
امقتهم عنده لاستبعادهم للاهتداء وامكان قبولهم لذلك لعدم انطفاء نور الفطرة
فيهم مع بقائهم على الكفر وخلطهم بالكفر تمويها وتلبيسا واستهزاء وخداعا وقصتهم
عن آخرها معطوفة على قصة المصرين والاقتصار في وصف الكفار الصرف المطبوع
على قلوبهم على آيتين والاطناب في وصف المنافقين في ثلث عشرة آية للاضراب عن اولئك
صفحا اذ لا ينجع فيهم الكلام ولا يجدي عليهم الخطاب واما المنافقون فقد ينجع فيهم

التوبيخ والتعيير وعسى ان يرتدعوا بالتشنيع عليهم وتفظيع شانهم وسيرتهم
وتهجين عاداتهم وخبث نياتهم وسريرتهم ويتنبهوا بتقبيح صورة حالهم وتفضيحهم
بالتمثيل بهم وبطريقتهم فتلين قلوبهم وينقاد نفوسهم ويتزكى بواطنهم وتضمحل
رذائلهم فيرجعون عما هم عليه ويصيرون من المستثنين في قوله تعالى الا الذين تابوا و
اصلحوا واعتصموا بحبل الله واخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين آمنا بالله وباليوم
الآخر اي يوم البعث وتوصيفه بالآخر لتاخره عن الدنيا والمراد صدقنا بالمبدا والمعاد
وفيه احاطة الايمان بقطريه وفي تكرير الجار ادعاء التصديق بكل منهما على الاصالة وما قيل
فيه ايذان بانهم منافقون فيما يظنون انهم مخلصون فيه فكيف بما يقصدون به النفاق
فان القوم كانوا يهودا وكانوا يؤمنون بالله واليوم الآخر ايمانا كلا ايمان لاعتقادهم
التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة لا يدخلها غيرهم وان النار لم تمسهم الا اياما معدودة
وغيرها ويرون المؤمنين انهم آمنوا مثل ايمانهم مبناه على ان يكون التعرف
بتخصيصهما بالذكر في الحكاية دون المحكي وذلك خلاف الظاهر ثم ان تمشيته ما ذكر على
تقدير ان لا يكون مرادهم من الايمان بالله وباليوم الآخر التصديق بجميع ما لا بد منه
في دين الاسلام والظاهر خلافه على ما مر الاشارة اليه ثم ان بيانه بقوله فان القوم
كانوا انما يفيد انهم مخطئون فيما يعتقدون انهم مصيبون فيه لا انهم منافقون
فيما يظنون انهم مخلصون فيه لان الخطا لا يستلزم النفاق وذلك ظاهر بل
نقول شرط النفاق الكتم وهم لا يكتمون ذلك وما هم بمؤمنين ما نافية عن ليس ولهذا
اعقبت بالباء والضمير للمعهودين والمعنى نفي ما انتحلوا اثباته ولاجل التاكيد والمبالغة
في نفي ايمانهم جاءت الجملة المنفية اسمية مصدرة بهم وسلط النفي على اسم الفاعل الذي
ليس مقيدا بزمان ليشمل النفي جميع الازمان وتجرد الكلام للدلالة على ما سبق له ولم يوت
بشيء زائد عليه الا ما يشد من عضده كحرف الباء لتاكيد النفي واطلاق الايمان في
سياق النفي وكان مقيدا في الاثبات لانه غير متجزئ فمن اخل ببعض ما لا بد منه ليس بمؤمن
اصلا لا انه مؤمن ببعض دون آخر والآية الكريمة لا تنهض حجة على الكرامية لانهم
يشترطون في كون الشهادتين ايمانا عدم مخالفة القلب اللسان اعم من ان يكون موافقا
له او فارغا عنهما لان احتجاجهم بانه تواتر ان الرسول عليه الصلوة والسلام والصحابة
رض والتابعين رح كانوا يقنعون بالكلمتين ممن اتى بهما ولا يستفسرون عن علمه وتصديقه
القلبي وعمله ويحكمون بايمانه بمجرد الكلمتين فعلمنا ان الايمان بلا علم ولا عمل صريح في
عدم الاشتراط بالقيد المذكور بل لان كلامهم على ما دل عليه سياق احتجاجهم في الايمان
الشرعي المعتبر عندنا في اجراء احكام الاسلام في الدنيا لا الايمان الحقيقي المعتبر عند الله

تعالى المنجي عن الخلود في النار فلا يندفع قولهم بالاجماع على ان المنافق كافر ولا بالاجماع
على ان من حكم بالشهادة بغير منع مانع من خرس وخوف يخادعون الله يعني رسوله فالتجوز
في الاسناد تفخيما لشانه عليه الصلوة والسلام وتنبيها على ان المعاملة معه فيما يتعلق بالرسالة
معاملة مع المرسل في الحقيقة وكونهم من اهل الكتاب العارفين بانه تعالى لا يتخدع فلا
يناسبهم قصد خداعه وانما يناسبهم قصد خداع الرسول لانهم ينكرون نبوته كفى
قرينة للمجاز والمعنى يعملون له عمل المخادع والخداع اظهار ما يخالف الاضمار ويراد به التغرير
ومنه الاخدعان لاستتارهما تارة وظهورهما اخرى وانه مفاعلة من واحد نحو طارقت
النعل وعاقبت اللص وما في الصيغة من المبالغة للافصاح عن بلوغهم الغاية في وجهي
النفاق لانه بيان ليقول في موضع الاستيناف بذكر ما هو الغرض منه كانه سئل عن اصل
دعواهم عن كيفية مبالغتهم فيه المنفهمة من ذكر الايمان بقطريه وتكرير الباء فاجيب
عنهما معا عن الاصل بالاصل وعن الوصف بالوصف وعلى تقدير اعتبار الخداع من الجانبين
يزيد البيان على قدر الحاجة ويفصل الكلام عن مقتضى المقام والذين آمنوا يجوز ان
يكون ذكر الله تعالى توطئة والمراد مخادعة المؤمنين من قولهم اعجبني زيد وكرمه
وفائدة هذه الطريقة بيان قوة اختصاصهم وكونهم من الله تعالى بمكان ومنه قوله
تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه ان الذين يؤذون الله ورسوله وما يخدعون
الا انفسهم وما يشعرون نفس الشيء ذاته وهي من النفاسة يقال خادع اذا لم يبلغ مراده
وخدع اذا بلغ مراده فلما لم ينفذ خداعهم فيما قصدوا وكان مخادعة ولما وقع ضرره
فعلهم على انفسهم كان في حق انفسهم خدعا اي لم يرجع وبال خداعهم الا اليهم لانهم
لما سلكوا مسلك الخداع نزلوا بقدم النفاق الدرك الاسفل في النار فكانت مفسدة
خداعهم راجعة الى انفسهم والواو عاطفة الجملة على الجملة وفيما يشعرون واو الحال
او بالعكس والشعور هو الادراك الحسي ومشاعر الانسان حواسه الظاهرة والباطنة
اي ما يحسون ان ضرر الخداع لا يلحق الا بهم لتمادي غفلتهم فانه من شدة ظهوره
كالمحسوس المشاهد فكانه لا حس لهم اصلا وليس نفي الشعور هنا كنفيه في قوله
لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون لانه لبيان العذر من جهتهم وهذا
لتعظيم الامر على المنافقين وانهم مع جهلهم يجهلون جهلهم كما يقال جهلت ولم تعلم بانك
جاهل وذاك لعري عن تمام الجهالة في قلوبهم آثر حرف الظرف على اداة الملابسة ليدل
على الاستقرار والرسوخ مرض اي تردد واضطراب استعير المرض للغرض النفساني
وتنكيره للتنويع اي نوع مرض ليس مما يتعارفه الناس شبه بهم بمرضى لاضطرابهم في الدين
لانهم كانوا يظهرون الموافقة للمؤمنين بالقول ويضمرون لهم الخلاف بالقلب فكان

حالهم كحال المريض اذ هو مشرف على الموت وترجى له الاقبال منه ثانيا واما سائر الكفرة
فانهم لم يضطربوا في الدين بل اظهروا بالقول ما اضمروا بالقلب فسماهم الله تعالى
موتى وسمى المؤمنين احياء لانهم طابقوا الايمان قولا وعقيدة فزادهم الله مرضا
بتكرير الوحي وازدياد التكاليف ولا تجوز في الاسناد كما زعم من لا يرى صدور
القبيح عنه تعالى ولا يدري ان القبيح بالنسبة الى الكاسب لا بالنسبة الى الفاعل و
اصل الكلام فزاد الله مرضهم وانما عدل اليه في النظم لنكتة سرية فلا دلالة في
تنكير المرض الثاني على مغايرته للاول حقيقة كيف وفي تصدير الكلام بالفاء دلالة
على تفرع الثاني على الاول ولهم عذاب اليم اي مولم نحو سميع وخصيب بمعنى
مسمع ومخصب ذكره الراغب وصف به العذاب للمبالغة وانما وصف عذاب
المختوم على قلوبهم بالعظم لانهم حرموا على جدوى المشاعر وحجبوا عن عالم النور
وحبسوا في سجون الظلمات فما اعظم عذابهم وان لم يحسوا بآلامهم كعضو الميت
والمفلوج وعذاب المنافقين بشدة الايلام لان مشاعرهم غير مؤوفة لعدم انطفاء
نور فطرتهم والالم بقدر ادراك المولم فلمنافاة نور استعدادهم لما رسخ فيهم
من الرذائل والملكات الردية والصفات الظلمانية يتالمون وكان ادراكهم لذلك
اشد ايلاما وعذابهم اقوى وانكى وان كان عذاب الاولين لشدة حجابهم وغاية
بعدهم من النور اعظم لعدم منافاة ذواتهم لصفاتهم وضعف ادراكهم لذلك فلم
يحسوا بالالم بخلاف هؤلاء بما كانوا يكذبون بسبب ثباتهم واستمرارهم على الكذب
زيادة كان للثبات وصيغة الفعل للاستمرار التجددي وفيه دلالة على ان العذاب
الاليم لاحق بهم من اجل كذبهم الذي هو ادنى حالهم في الكفر والنفاق فكيف سائر
الاحوال ولا دلالة فيه على ان الكذب وهو الاخبار بالشيء على خلاف الواقع يستحق
به العذاب مطلقا كيف وقد صرح في كتب الفقه ان الكذب لاحياء الحق مباح و
قال الامام الغزالي اذا اختفى مسلم من ظالم وسال عنه وجب الكذب باخفائه واذا
قيل لهم لا تفسدوا في الارض عطف على يقول ولا محل لها من الاعراب ولا باس بالتخلل
بين اجزاء الصلة بالبيان والاستيناف لانه ليس باجنبي فالايات على سنن تعديد
قبائحهم وتوصيفهم بالاوصاف المذكورة قصدا واستقلالا ويحتمل ان يكون
مستانفة اذ هذه الجملة والجملتان بعدها هي من تفاصيل الكذب ونتائج النفاق
الا ترى قولهم نؤمن انما نحن مصلحون وقولهم انؤمن كما امن السفهاء وقولهم عند
لقاء المؤمنين امنا كذب محض فيناسب جعل تلك جملا مستقلة ذكرت لاظهار
كذبهم ونفاقهم والافساد جعل الشيء فاسدا خارجا عما ينبغي ان يكون عليه وعن كونه

منتفعا به وكان من افسادهم فى الارض هيجهم الحروب والفتن بمخادعة المسلمين
وممالاة الكفار عليهم بافشاء الاسرار اليهم والظاهرات القابل من شاهتهم
من الرسول والصحابة رض والثانى اقرب قالوا انما نحن مصلحون لما كان نهيهم عن
الافساد مشعرا بان فيهم افسادا نفوا ذلك عن انفسهم بادعاء انهم مقصورون
على الاصلاح من غير شائبة افساد وآثروا انما دلالة على ان ذلك الدعوى ظاهر بتى
لا ينبغى ان يشك فيه وفيه تنبيه على انهم يصورون افسادهم بصورة الاصلاح
لما فى قلوبهم من المرض كما قال الله تعالى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا وقوله وهم
يحسبون انهم يحسنون صنعا فرد الله تعالى ذلك بقوله الا انهم هم المفسدون
فحصر قلب اى هم مقصورون على الافساد لا ينتظمون فى جملة المصلحين اصلا مع المبالغة
على ابلغ الوجوه واكدها من الاستيناف المقصود به تمكن الحكم فى ذهن السامع فضل
تمكن لحصوله بعد التشويق الحاصل من ذكر ادعائهم الاصلاح على وجه ابلغ مع توغلهم
فى الافساد فانه يشوق السامع ان يعرف ما حكم الله عليهم والشئ اذا وجد بعد الطلب
يكون اعز مما فوجئ به من غير التعب وتصدير الجملة بالادوات للتنبيه والتحقيق وذلك
ان الا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفى لاعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها
والاستفهام اذا دخل النفى افاد التقرير والتحقيق كقوله تعالى اليس ذلك بقادر ولكون
همزة الاستفهام بهذه المثابة من التحقيق تتلقى بما يتلقى به القسم واختها التى هى اما
من مقدمات القسم وطلايعه وتوسيطهم وتعريف الخبر والاستدراك بقوله لا يشعرون
وهذا اولى من نفى العلم مطلقا المستلزم لنفى الخاص لان من لا يشعر بالفروع لا سيما
المحسوس منها اولى ان لا يعلم غيرها وهذا من هذا الوجه لانه نفى مع دليل ولانه ينادى
عليهم بانحطاط رتبتهم عن رتبة البهائم ويوذن بان معلومه من اجل المعلومات
ولا كذلك لا يعلمون وهذا الاخير هو الاصل والباقى مؤيد واذا قيل لهم آمنوا نهوا
عن الافساد ثم امروا بالسلوك الى سبيل الرشاد وبدئ بالمنهى عنه لانه الاهم وهو ترك
والترك اسهل من اتيان المامور به فكان فى ذلك تدريج لهم كما آمن الناس كما امن فى محل
النصب على المصدرية وهو فى الحقيقة صفة مصدر محذوف اى ايمانا مثل ايمان الناس
واللام فى الناس للجنس انما لانهم الكاملون فى الانسانية من باب ذلك الكتاب واما
لان غيرهم ليس بناس حقيقة لقصورهم وانحطاطهم عن رتبة الانسانية بل
عن رتبة البهيمة وفى الاول نظر الى كمال المؤمنين وفى الناس الى قصور غيرهم على
نحو اذا الناس ناس والزمان زمان وهذا ابلغ فى هذا المقام ولا دلالة فيه على قبول
توبة الزنديق لان النفاق غير الزندقة كيف وقد يقتل الزنديق دون المنافق و

لم يقل احد ان فى عدم قتله صلى الله عليه وسلم المنافق دلالة على عدم قتل الذنديق ثم ان دلالة
التقييد على ان فى افراد الايمان تفاوتا بالكمال والنقصان لا على ان الاقرار باللسان وحده
ايمان قالوا انؤمن الاستفهام للانكار كما آمن السفهاء لما كان المامور به مشبها بايمان
بانكارهم مشبها واللام للعهد والاشارة الى الناس والسفه خفة فى البدن او فى العقل
يقتضيها نقصان العقل والحلم رزانة فى البدن يقتضيها وفور العقل فنحوهم بامور تقبيح
ما هم فيه لادائه الى الفساد والفتنة وتبصيرهم طريق الهدى والصلاح فما كان جوابهم
الا ان سفهوهم وادعوا الصلاح فيما كانوا عليه بجهلهم المركب وتماديهم فى غيهم و
افراطهم فى السفه واعتقادهم ان ما هم عليه هو الحق وان ما عليه المؤمنون هو الباطل
فكانوا عندهم سفهاء الا انهم هم ولكن لا يعلمون رد على وجه المبالغة فى تجهيلهم فان الجاهل
الجازم على خلاف ما هو الواقع اتم جهالة واعظم ضلالة من المتوقف المعترف بجهله فانه
يعذر وينفعه الايات والنذر والتفصيل بلا يعلمون لان تسفيههم العلماء الاعلام لا
يكون الا لغاية السفه والجهل المركب ومعرفة الحق والايمان به وكون المؤمنين على الحق وكونهم
على الباطل امر نظرى لا يتعلق بالحس بخلاف الفساد فى الارض ولان ذكر العلم مع السفه وهو
جهل احسن طباقا واذا لقوا الذين آمنوا تقول لقيته ولاقيته اذا استقبلته قريبا منه بيان
لمعاملتهم مع المؤمنين والكفار وما سبق سيق لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فلا تكرير
على ان المعنى ومن الناس من يتفوه بالايمان نفاقا للخداع وذلك عند لقاء المؤمنين
ففيه زيادة بيان انهم ضموا الى الخداع الاستهزاء ولا يتفوهون بالكلمة الا عند الحاجة
قالوا آمنا واذا خلوا تقول خلوت به واليه اذا انفردت معه الى شياطينهم الشيطان
فيعال من شطن اذا بعد لبعده عن الحق او فعلان من شاط اذا بطل ومن اسمائه الباطل
وقال الراغب من شاط اذا احترق غضبا والمراد متمردوهم وشطارهم قالوا انا معكم
خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية ادعاء لاحداث الايمان اذ لا يروج عنهم دعوى التحقيق
ولا يساعدهم انفسهم على ذلك اذ ليس لهم صدق رغبة ولا قوة داع وشياطينهم بالاسمية
مع التاكيد لوجود الامرين ونفى الشك والتردد عنهم فى كذب قولهم آمنا واستمرارهم على دينهم
وموافقتهم ولك ان تقول ان مقتضى المقام فى الاول تجريد الكلام عن جنس المؤكد لان التاكيد
والتقوية فيلايح عن تذكر نفاقهم من حيث باعتبار ان فيه دلالة على انكار المخاطب
وسوء ظنه وهم فى صدد مقام التجنب عنه والاحتراز عن مظانه ومقتضى المقام فى
الثانى تحليته به لان اظهارهم الايمان وموافقتهم المسلمين فى ظاهر الاحكام كان مظنة
لانكار المخاطبين ثباتهم على اليهودية انما نحن مستهزءون الهزء السخرية من شئ يخف عند
صاحبه ولا يخفى عند الهازئ استيناف كانهم اعترضوا عليهم حين قالوا انا معكم فقالوا

فما بالكم توافقون فقالوا انما نحن مستهزؤن ويجوز ان يكون تاكيدا لقوله انا معكم لانه
لما كان معنى قوله انا معكم هو انا معكم قلوبا ونوهم اصحاب محمد الايمان وقع قوله انما نحن
مستهزؤن مقررا له لان الاستخفاف بالشئ انكار له ودفع للاعتداد به ودفع نقيض
الشئ تاكيد لثبوته او ان يكون بدلا لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر والاول اوجه
لاوجه لزيادة الفائدة وكون المحرك للسؤال اعنى قوله انا معكم في غاية الظهور الله
يستهزئ بهم يقال هزئت واستهزأت كاجبت واستجبت والصحيح ان الاستهزاء
ارتياد الهزء وان كان قد يعبر به عنه وكذا الاستجابة في الاصل معناها تحري الاجابة
وان كان قد يجري مجراها كذا قال الراغب لما ذكر استهزاءهم بالمؤمنين استانف كلاما
اظهارا للتسخط وانما قال يستهزئ ليدل على دوام تجدد الاستهزاء وقتا فوقتا وفي الجملة
الاسمية والخبر الفعل مع المعنى المذكور تقوى الاسناد لتكرره والتخصيص اي هو الذي
يتولى الاستهزاء بهم خاصة لاستهزاء الابلغ الاقوى الذي يكون استهزاؤهم بالنسبة
اليه كلا استهزاء ولا يحوج المؤمنين الى معارضتهم بهم ذكرهنا لعدم الداعي الى الحذف
بخلاف ما تقدم فان فيه باعثا لفظيا وهو المحافظة على الفاصلة وداعيا معنويا وهو
تخرجهم من ابلاغ المؤمنين وابقاء اللفظ محتملا ليكون لهم مجال التوجيه عند الحاجة
اليه والمعنى انه تعالى عاملهم في الدنيا على وفق معاملتهم فانهم اظهروا الايمان وفي
باطنهم النفاق والله تعالى اظهرهم في الحال الايمان وعاقبتهم الاحراق بالنيران وعلى
هذا يكون الكلام المذكور من قبيل الاستعارة التبعية وقيل ان معناه يجازيهم في الاخرة
جزاء استهزائهم والعرب تسمي الجزاء باسم الابتداء قال عمرو بن كلثوم الا لا يجهلن احد
علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا وفي القران وجزاء سيئة سيئة مثلها وهذا توسع مخصوص
عند المشاكلة وقيل انه تعالى يجعل المؤمنين يطلعون على المنافقين من الجنة فيقولون لهم
اتحبون ان تخرجوا من النار وتدخلون الجنة فيقولون نعم فيفتح لهم من النار فيقصدون
اليه فيغلق عليهم ثم يفتح باب اخر فيقصدونه فيغلق ولا يزال يفعل بهم كذلك والمؤمنون
يضحكون منهم قال الله تعالى ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون الى ان قال تعالى
فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون وعلى هذا يكون التجوز في اسناد الاستهزاء الى الله
ويمدهم من مد الجيش وامده اذا زاده والحق به ما يقويه ويكثره لا من المد في العمر فانه يعدى
باللام كاملي له والحذف في الايصال خلاف الاصل فلا يصار اليه بلا دليل هنا دليل على خلافه وهو
قراءة ويمدهم في طغيانهم الطغيان بالضم والكسر تجاوز الشئ عن مكانه والمراد غلوهم
في الكفر وتجاوزهم الحد في العتو وانما اضيف اليهم على انه فعلهم ادبا لطغيان الذي عرض
لهم واستهزءوا بصدورعنهم فلا دلالة في اضافته اليهم على انه فعلهم يعمهون في محل

النصب الحال من مفعول يمدهم او فاعل طغيانهم والعمه في البصيرة والعمى في البصر وهو التحير
والتردد قال تعالى ان الذين لا يؤمنون بالاخرة زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون اولئك الذين
اشتروا الضلالة بالهدى استئناف جار مجرى التعليل لاستحقاقهم الاستهزاء والمد
في الطغيان ويحتمل ان يجعل مقررة لقوله ويمدهم في طغيانهم يعمهون واستعير الفتل له
وهو الجور عن القصد للذهاب عن الحق والصواب في الدين والهدى وقد مر بان معنى
للنور الفطري والدين القيم الاصل والاستهزاء وهو اعطاء بدل واخذ الاستبدال اي
اختاروا الضلالة واستبدلوها بالهدى فما ربحت تجارتهم الربح الفضل على راس المال
والتجارة تعاطي الامتعة بالبيع والشرى للربح وعدم الربح كناية عن الخسران ونسبته الى التجارة
على التوسع الشايع قال الراغب والربح والخسران ينسبان مرة الى صاحب السلعة ومرة الى السلعة
ومرة الى الصفقة اذ لا اشتباه فيه وحسن تلك الكناية التي هي ترشيح للاستعارة المذكورة
يظهر في وجه قوله وما كانوا مهتدين اي لطريق التجارة فانه كناية عن اضاعة الطلبة
الاصلية وهي سلامة راس المال لان من لم يهتد لطريق التجارة يكثر الافات في امواله ويعم الحرمان
اكثر احواله وقد استبان من هذا التوضيح انه يسند من عضد الترشيح وزيادة كان لاستمرار
النفي على ان النفي اعتبر اولا ثم قيد والتعويل في مثل هذا على القرائن مثلهم كمثل الذي استوقد
نارا لما بين اوصافهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف والتبيين فانه اوقع في القلب و
اقمع للخصم الالد لانه يريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا ولشانه العجيب في ابراز الخفايا
المستورة ورفع الاستار عن وجه الخفيات كثره الله تعالى في القران وسائر كتبه الامثال
وفشت في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم السلام والمثل في الاصل بمعنى
النظير ثم نقل في العرف الى القول السائر الممثل مضربه بمورده ولم يسيروه ولم يجعلوه مثلا
الا اذا اختص بنوع من الغرابة ولهذا لم يغيروه عما ورد عليه ثم استعير للصفة والحال والقصة
اذا كانت عجيبة الشان وفيها غرابة فالمعنى حالهم العجيب الشان كحال المستوقد فلا حاجة الى
معنى الجمع كما في قوله تعالى مثل الذين حملوا التورية كمثل الحمار واستوقد من الوقود وهو سطوع
النار وارتفاع لهبها والسين للاستفعال ليس للطلب والسؤال بل للاهتمام والمبالغة في
الايقاد والنار جسم لطيف حار محترق اشتقاقها من نار ينور نورا اذا نفر لان فيها
حركة واضطرابا فلما اضاءت ما حوله الاضاءة فرط الانارة من الضوء الذي هو النور البالغ
القوي ومصداقه قوله تعالى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وتاليفه للدوران و
الاطافة وقيل للعام حول لانه يدور واضاءت اما متعد وحوله مفعوله وما زائدة
او موصولة مفعول به وحوله ظرف صلته اي جعلت النار ما حوله مضيئا واما لازم مسند الى ما
وما موصولة اي اضاءت الاماكن التي حول المستوقد او الى النار وما حوله ظرف لغو لاضاءت

وما زائدة او حوله ظرف في موضع النصب وما موصولة عبارة عن الامكنة والموصول
مع الصلة مفعول فيه وجواب لما قوله ذهب الله بنورهم والضمير للذي وجمعه
للحمل على المعنى وانما لم يقل بنارهم لانه في النار شيئين حرارة ونورا والله تعالى اذهب
النور وبقي عليهم الحر المحذور واما محذوف لدلالة ما بعده كما حذف في قوله فلما ذهبوا
به لاستطالة الكلام مع الامن من الالباس وفي الحذف ايجاز مع الافصاح عن الصفة
التي عليها المستوقد بما هو ابلغ في الدلالة على المعنى من اللفظ وهو العقل كانه قال
فلما اضاءت ما حوله خمدت فبقوا خابطين في ظلام متحيرين على فوات الضوء خائبين
بعد الكدح في احياء النار وما ذكر استيناف اى جواب للسؤال على وجه الشبه لعدم ظهوره
او بيان لجملة المثل واسناد الاذهاب الى الله تعالى لقصد المبالغة ولذلك عدى الفعل بالباء
دون الهمزة لما فيها من معنى الاستصحاب والاستمساك يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه
وما اخذه الله تعالى وامسكه فلا مرسل له وعدل عن الضوء الذي هو مقتضى الظاهر الى النور
فانه لو قيل ذهب الله بضوئهم احتمل ان يكون الذاهب ما في الضوء من الزيادة
والغرض ازالة النور عنهم راسا الا ترى كيف قرر ذلك واكد بقوله وتركهم في ظلمات
لا يبصرون فذكر الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه بالكلية وجمعها ونكرها ووصفها
بالخلوص وترك بمعنى طرح وخلى وفي ظلمات متعلق به ولا يبصرون في موضع الحال
فيتعلق بمحذوف ولا يبصرون حال ايضا اما من الضمير في تركهم واما من الضمير المستكن
في المجرور وان ضمن ترك معنى صير يكون ثاني المفعولين في ظلمات ولا يبصرون حال
ولا يجوز العكس لان الخبر لا يكون مؤكدا او قول الشاعر فتركته جزر السباع ينشنه يحتمل
الوجهين لان جزر السباع وان كان معرفة يحتمل الحال كما ان يسبني في قوله ولقد امر
على اللئيم يسبني يحتمل الصفة وان كان اللئيم معرفة والظلمة ماخوذة من ظلمه اذا منع
حقه لانها تمنع البصر من النفوذ وسده وظلماتهم ظلمة الجهل وظلمة الكفر وظلمة النفاق
وقيل يجوز ان يراد بالنار نار مجازية كنار فتنة او حرب وليس بقوي لان الغرض
من التمثيل ابراز المعقول في صورة المحسوس ليكون شاهدا وعلى هذا التقدير يفوت
الغرض منه وفي الاية دلالة على ان وجود النور شرط الرؤية الالوان لا لوجودها
اذ هي تمنع الابصار فلا يخرج قوله ولا يبصرون مخرجه صم جمع الاصم النعت من
الصمم وهو انسداد خروق المسامع ومنه القناة الصماء التي ليست بمجوفة وكذا كل
افعل كان نعتا مما هو خلقة فجمعه الفعل مثل البكم والعمي وان كان اسما فعلى الافاعل كالار
انب والاعجم والاعاجم وان كان نعتا مما هو آفة فعلى الفعلى كالاعجف والعجفى
والاحمق والحمقى بكم من البكم وهو الخرس وهو آفة في اللسان لا يتمكن معها ان يعتمد

مواضع الحروف عمي من العمى وهو عمى في العين وجمعه العمي ومن القلب العمه وجمعه
العمهون قال الله تعالى بل هم منها عمون لما سدوا مسامعهم عن الاصاخة الى الحق
وابوا ان ينطقوا به السنتهم ويتبصروا الايات بابصارهم جعلوا كانما فقدت
مشاعرهم ولم يوجد قواهم وايراد هذه الصفات مع سلامة حواسهم تشبيه بليغ
اذ شرط الاستعارة الاعراض عن المستعار له صفحا ونسيانه مطلقا وههنا وان
حذف المبتداء الذي هو ضمير المنافقين لكنه في حكم المقدر المنوي لاستناد الخبر اليه
ونظيره قوله صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا واما
قوله اسد علي وفي الحروب نعامة ففي كونه من هذا الباب نظر فهم لا يرجعون اى جوابا
لان من انسدت عليه تلك المشاعر لا يمكن ان يرجع جوابا لمن يخاطبه لا بالعبارة ولا
بالاشارة من الرجع بمعنى الصرف لا من الرجوع بمعنى الانصراف فان رجع لازم
ومتعد او كصيب مجرور بمضاف محذوف اى كمثل ذوي صيب من السماء صفته
في محل الجر اما تقدير المثل فلا بد منه للعطف على السابق واما تقدير ذوي فلقوله
يجعلون اصابعهم والا فنفس التشبيه لا يقتضي تقدير شيء اذ لا يلزم في التشبيه المركب
ان يكون ما يلي الكاف هو المشبه به كما في قوله وما الناس الا كالديار واهلها واو
في الاصل للتساوي في الشك ثم اتسع فيها فاطلق للتساوي من غير شك مثل جالس الحسن
او ابن سيرين ومعناه ان قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين وانهما سواء
في صحة التشبيه بهما وتثنية التمثيل كشف بعد كشف وايضاح غب ايضاح وكما
يجب على البليغ في مظان الاجمال والايجاز ان يجمل ويوجز فكذلك الواجب عليه
في موارد التفصيل والاشباع ان يفصل ويشبع انشد الجاحظ يرمون بالخطب
الطوال وتارة وحي الملاحظ خيفة الرقباء والصيب يقال للمطر والسحاب
وفي الاية يحتملهما وتنكيره للتعظيم كتنكير النار في المثل الاول والسماء هذه المظلة
قد يطلق على جهة الفوق وهو المراد هنا وتعريفها للدلالة على اطباق ذلك الصيب
الافاق كلها فان كل افق يسمى سماء امد به ما في صيب من المبالغة من جهة التركيب
فان الصاد من المستعلية والياء مشددة والباء من الشديدة ومن جهة المعنى فانه
الصوب فرط الانسكاب والوقوع ومن جهة البناء فانه فيعل صفة مشبهة دالة
على الثبوت ومن جهة التنكير للتعظيم والتهويل فيه ظلمات ورعد
وبرق صفة اخرى في محل الجر وظلمات مرفوع بها على الظرف بالاتفاق لاعتماده
على الموصوف والمعنى في اثنائه وتضاعيفه ان اريد بالصيب المطر وجعله مكانا للرعد
والبرق لانهما في اعلاه ومنحدره جملا كانهما فيه بطريق استعارة تبعية في التلبس

المخصوص الشبيه بتلبس الظرفية الحقيقية والظلمات تكاثف المطر بتتابع القطر والسحاب وسحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل وان اريد به السحاب ففيه الرعد والبرق واما الظلمات فاذكرت بعينها الا المطر فانه قد يكون وقد لا يكون والرعد الصوت الذي يسمع من السحاب عند تمزيق الريح اياه وهو من تحريق الدخان البخار عند احتقانه فيه بتكاثفه والبرق ما يلمع من السحاب اذا تحاكت اجزاؤه من برق الشيء بريقا اذا لمع ولم يجمع رعد وبرق وان كان الجمع اشد مناسبة لقوله ظلمات واكثرهما لغة كما في قول البحتري يا عارضا متلفعا ببروده يختال بين بروقه ورعوده لكونهما في الاصل مصدرين فان اريد العينان روعي الاصل فلم يجمعا وان اريد الحدثان اي الابراق والارعاد فحقهما الافراد وايضا قصد التهويل المناسب للمقام دعا به نوعها المستعارة من التنكير بتعدد افرادهما المستفاد من صيغة الجمع يجعلون اصابعهم في آذانهم جملة استينافية وذلك انه لما ذكر الظلمات والرعد والبرق على ما يؤذن بالهول والشدة فكان قائلا قال فكيف حالهم مع ذلك الرعد فقيل يجعلون ثم قال فكيف حالهم مع ذلك البرق فقيل يكاد البرق يخطف ابصارهم ثم قال فكيف حالهم مع تلك الظلمات فقيل كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا اوصفة للمضاف المحذوف في محل الجر اي ذوي صيب يجعلون وصح رجوع الضمير الى ذلك المضاف لكونه في حكم المذكور وفي ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل ومبناها على ان يكون الاصابع بمعناها لا بمعنى الانامل وفي العدول عن يدخلون وهو الظاهر الى المذكور نوع تقوية لتلك المبالغة ثم انه كناية عن كمال الحيرة وفرط الدهشة فيستقيم المعنى بلا حاجة الى تنزيل الكلام عن درجة البليغة حذرا عن عدم مطابقته للواقع من الصواعق متعلق بيجعلون اي من اجلها يجعلون كقولك سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقة من نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء الا اتت عليه لكنها مع حدتها سريعة الخمود للطافتها وهي تنقدح من السحاب اذا اصطكت اجرامه او جرم ثقيل مذاب مفرغ من الاجزاء اللطيفة الارضية الصاعدة المسماة دخانا والمائية المسماة بخارا حار حاد في غاية الحدة والحرارة لا يقع على شيء الا ثقب واحرق ونفذ في الارض حتى يبلغ الماء فانطفى ووقف ومنه الحاصبي من الصعق وهو شدة الصوت وقد يطلق على كل هائل مسموع او مشاهد ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق وشدة الصوت وقرئ من الصواعق وهو ليس بقلب الصواعق لاستواء البنائين في التصرف يقال صقع الديك وخطيب مصقع ونظيره جبذ في جذب وهي في الاصل اما صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية ومصدر كالعافية والكاذبة حذر الموت منصوب على المفعول له والموت زوال الحيوة والله

محيط بالكافرين جملة اعتراضية لا محل لها واحاطة الله بالكافرين مجاز معناه انهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط يكاد البرق يخطف ابصارهم كاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه لم يوجد اما لفقد شرط او لعروض مانع والخطف الاخذ بسرعة كلما اضاء لهم مشوا فيه المشي السير السهل واضاء ان جعل متعديا اي اضاء لهم ممشى ويرجع الضمير في فيه اليه لكونه منويا ويؤيده قراءة كلما اضاء لهم وان كان لازما وهو الظاهر كاظلم ومعناه مشوا في ضوئه اي في مطرحه او به او كلما نار البريق فانا الطريق مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا اظلم غير متعد على الظاهر ويحتمل ان يكون متعديا من ظلم الليل ويعضده قراءة اظلم على ما لم يسم فاعله ومعنى قاموا وقفوا وثبتوا في مكانهم ومنه قامت السوق اذا ركد وقام الماء اذا جمد واعلم ان مع اضاء كلما ومع اظلم اذا لقوة دواعيهم الى امكان المشي والخلاص عما هم فيه من الشدة والحيرة وحرصهم على ما همتهم به معقود من السعي والحركة فلا يسعهم الاهمال وترك الفرصة واما الوقوف فليس كذلك لانه يلزمهم للعجز ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم اي ولو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم وقرئ لاذهب الله باسماعهم بزيادة الباء كقوله ولا تلقوا بايديكم شاع حذف مفعول شاء واراد مع حرف الشرط لدلالة الجواب عليه حتى لا يكاد يذكر الا اذا كان مستغربا كقوله ولو شئت ان ابكي دما لبكيته اراد ولو شاء الله لزاد في قصيف الرعد فاصمهم وفي خفوق البرق فاعماهم وفائدة هذه الشرطية التنبيه على ان كل محنة معها منحة وان نعمة الرفع تفوق نعمة النفع ولا دلالة فيه على وجود ما يقتضي الجزاء المذكور ولا على ان تاثير الاسباب مشروط بمشية الله تعالى واما ان الكل واقع بقدرته فالتنبيه عليه بقوله تعالى ان الله على كل شيء قدير تقرير لما تقدم ولا اختصاص للشيء بالموجود كيف وهو اعم العام يقع على الواجب والممتنع والممكن نص على ذلك سيبويه حيث قال في كتابه ان الشيء يقع على كل ما اخبر عنه وخص ههنا بالممكن بدليل العقل وقرينة القدرة اذ القدرة هي مبدأ الافعال المتضادة على نسبة متساوية والواجب راجح الوجود والممتنع راجح العدم فلا يمكن تساوي الطرفين الذي هو شرط تعلق القدرة الا في الممكن فكانه قيل على كل شيء ممكن قدير نعم انه في الاصل مصدر شاء الا ان اطلاقه بمعنى مشيء لا يستلزم الوجود في الجملة لان متعلق المشية قد يكون زوال الوجود وعدم الايجاد واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل على مقدار قوته والقادر هو الذي يصح منه الفعل والترك واما الذي ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل فهو المختار ولا يلزمه ان يكون قادرا لجواز ان يكون مشية الفعل لازمة لذاته وصحة الشرطية لا تقتضي وجود المقدم واعلم ان ما ذكر تتميم لتمثيل شدة

الامر على المنافقين بشدته على اصحاب الصيب من الجبن والخوف والدهشة بحيث اذا ما وفوا
خفقة من البرق انتهزوها فرصة مع خوف ان يخطف ابصارهم فخطوا خطوات يسيرة و
اذا انطوت وانطفت حبسوا عن الحركة وبقوا متحيرين خائبين ثم ان التمثيلين المركبين
جاز ان يكونا مفرقين الا ان الاصح الافصح الذي عليه الفحول من علماء ان يكونا من
التمثيلات المركبة لا يتكلف لكل جزء من اجزاء الجملة الممثلة افراد شيء يشبه به من اجزاء
الجملة الممثل بها مفرقة كما في قول امرئ القيس كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها
العناب والحشف البالي بل تشبه هيئة حاصلة من اشياء تضامت وتلاقت وصارت
شيئا واحدا باخرى مثلها من غير مراعاة افرادها والنظر الى تشبيه شيء من هذه بشيء
من تلك فان الغرض تشبيه حال المنافقين في حيرتهم وما خبطوا فيه من الضلالة وشدة
الامر عليهم وخزيهم وافتضاحهم بحال من يكابد شدة امره عند انطفاء ناره بعد
ايقادها ورجاء الانتفاع بها والتهدي باضائتها او بحال من اخذته السماء في ظلمة
مع رعد وبرق وخوف من الصواعق والموت يا ايها الناس التفت من الغيبة
الى الخطاب لان الكلام السابق كان في تعداد فرق المكلفين وحكايات احوالهم وبيان
مآلهم ويناسبه سلوك الغيبة واما هذه الآية فمصدرة بامر تكليف وحق الاوامر
والنواهي ان يسلك فيها مسلك الخطاب خصوصا اذا كان ما كلف به مما فيه مشقة فان
فيه جبرا لتلك الكلفة بلذة المخاطبة والنداء احضار الغايب وتنبيه الحاضر وتوجيه
المعرض وتفريغ المشغول وتهييج الفارغ ويا حرف وضع في اصله لنداء البعيد واستعمل
ههنا في نداء القريب لبعده عما خوطب به معنى وقد يستعمل النداء القريب تفطن للدلالة
على ان الخطاب المذكور بعيد معنى به جدا وانما النداء الداعي المتضرع لربه بقوله يارب
مع علمه بانه اقرب اليه من حبل الوريد فلهضم نفسه استقصارا لها واستبعادا من مظان
القربة والزلفى واي وصلة الى نداء ما فيه الالف واللام لتعذر الجمع بين حرفي التعريف وهو
اسم مبهم يفتقر الى ما يزيل ابهامه من اسم جنس وما يجري مجراه صفة له حتى يحصل المقصود
بالنداء وكلمة التنبيه لمعاضدة حرف النداء بتاكيد معناه ووقوعها عوضا عما يستحقه
اي من الاضافة والناس صفة لاي واجب رفعها خاطبهم مقبلا عليهم بالنداء لان
فيه عونا لما يلقيه اليهم من امر العبادة له اعبدوا قدم تفسير العبادة والامر به يعم افراد المكلفين
لان اسم الجمع المحلى باللام للعموم حيث لا عهد وما روي عن علقمة ان كل ما نزل فيه يا ايها
الناس فمكي ان صح فلا يوجب تخصيصه بالكفار وليس المراد احداث العبادة خاصة بل
ما يعمه والمواظبة عليها فان هذا هو المناسب للمقام وان كان الاول هو المتبادر من
الكلام والعبرة في الكلام البليغ لمقتضى المقام لما يتبادر الى الافهام واعلم ان النبي عليه

الصلوة والسلام بعث لدعوة الكفار الى الايمان وورد في ذلك نصوص وانهم خوطبوا
في بعض النصوص بان العبادة لا صحة لها بدونه وبعد هذا امرهم بالعبادة في هذا
النص وغيره وان ورد مطلقا عن قيد الايمان لفظا لكنه مقيد به معنى بحكم النص المخبر
عن اشتراط صحة العبادات بالايمان وليس في ذلك امر بالايمان في ضمن الامر بالعبادة حتى
يلزم ايجاب الاصل تبعا لايجاب الفرع فيبقى في حكم الاصالة ربكم عبارة الرب صادف نحرها
اذ هو السيد والمصلح ومن كان مالكا او مصلحا احوال العبد فجدير ان يعبد ولا يشرك
به ولما امر بعبادته وهي موقوفة على معرفة وجوده ناسب ان يذكر من الاوصاف ما يتضمن
الدليل على وجوده واستحقاقه العبادة فقال الذي خلقكم فالوصف المذكور للتعليل
كما هو الاصل في ترتيب الامر بالشيء على الموصوف والموصول في التعليل المذكور باعتبار تضمنه
الاشارة الى ان ما لا قدرة له على الخلق والايجاد لا استحقاق له للعبادة تعريض للمشركين حيث عبدوا
ما لا قدرة له على شيء وما قيل على تقدير ان يكون الخطاب للمشركين يكون الوصف المذكور للتخصيص
وهم منشاؤه عدم فهم معنى ربكم فان المعنى المتبادر منه الرب المشترك فيما بينهم وليس
ذلك الا الله تعالى لانهم ما اتفقوا على واحد من معبوداتهم الباطلة فاذ لا شركة في معنى ربكم
فلا حاجة الى المخصص واصل الخلق التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس
والمراد ايجاد الشيء على تقدير واستواء والذين من قبلكم ذكر خلق من قبلهم لانهم اصولهم
وخلق الاصول انعام على الفروع وقدم خلق المخاطبين وان تقدم خلق من قبلهم زمانا
لان علم الانسان بحال نفسه اظهر من علمه باحوال غيره ولانهم المواجهون بالعبادة
فتنبيههم اولا على احوال انفسهم اهم واكد وبدا اولا بصفة الخلق اذ كانت العرب مقرة
بان الله تعالى خالقهم وهم المخاطبون وكان تقول اخرجه مخرج المقرر المعلوم اما لاعترافهم
به كما افصح عنه قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله او مبالغة
في ظهوره حيث نزل لتمكنهم من العلم به بادي نظر منزلة المعلوم ودخلت من على الزمان
اذ التقدير من زمان قبل زمان خلقكم وقرئ من بفتح الميم على انه خبر مبتدأ محذوف هو
صدر الصلة تقديره والذين هم اناس قبلكم وحذف صدر الصلة كثير الدور في الكلام
وفيه تاكيدا ابهام يتضمن التنبيه بما فيه من التفخيم على ان خلق من قبلهم ادخل في القدرة
وعلى هذا يكون من موصوفة وقبلكم صفتها ويحتمل ان يكون موصولا مفخما كما اقحم تيم
في يا تيم تيم عدي لعلكم تتقون اي تجعلون العبادة وقاية لكم ولعل فيها لغات ولم يجئ
في القرآن الا افصحها وهي للترجي والاطماع وذلك بالنسبة الى المخاطبين والمعنى اذا عبدتم
ربكم رجوتم حصول التقوى وهي التي يحصل بها الوقاية من النار والفوز بدار القرار
فتعلقت جملة الرجا باعبدوا ربكم وقيل تعلقها بخلقكم ولا يعجبني ذلك لان الذي سبق

الكلام لاجله هو الامر بالعبادة وذكر الموصول وصلته لما قصد بالتبع فلم يجئ الموصوف
ليتحدث عنه وكذا صلته كيف وهي لتتميم ما قبلها فلا يناسب ان يتعلق بها ترجي كلا في
اعبدوا فانها الجملة المفتتح بها اولا والمطلوبة من المخاطبين واذا تعلقت باعبدوا
ناسب خطاب لعلكم تتقون الذي نصب على انه صفة بعد صفة ولزوم توصيف
الاجنبي بين الوصفين لا يضعفه لانه ادنى من توسيط بين الموصوف والصفة
الواقع في قوله تعالى قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض وعلى المدح او رفع
عليه او على خبر مبتدأ محذوف وبالابتداء وخبره فلا تجعلوا وفيه ضعف لمضي القلة
فلا يناسب دخول الفاء في الخبر وللربط بالاسم الظاهر جعل الجعل هنا بمعنى التصيير
فيتعدى الى مفعولين تانيهما فراشا لكم فيه منة على عباده وفي تقديمه اشارة الى عزة
عنده وفضيلتهم على باقي المخلوقات حيث خلق السموات والارض لاجلهم خاصة
الارض فراشا الفراش والمهاد والبساط متقاربة المعاني والمراد ما يفترش وفيه اشارة
الى ان الارض لم تخلق مبسوطا بل خلقت على وضع آخر ثم بسطت على ما افصح عنه
قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها ومن ظن ان فراشا حال فقد اشتبه عليه
حقيقة الحال والسماء بناء مصدر سمي به المبني وانزل عطف على جعل من السماء متعلق
بانزل او في موضع الحال فيتعلق بمحذوف والمعنى من جهة السماء لان الاصل الذي لا يعدل
عنه الا بصارف ان المعرفة اذا اعيدت يكون الثانية عين الاولى ومن للابتداء ماء
موجوهر سيال يضاد النار برطوبته وبرودته وتنكيره للتنويع يعني انزل من السماء
نوعا من الماء ففيه اشارة الى ان في ذلك الجنس ما لم ينزل من السماء وهو ما يحدث في الارض
بطريق الانقلاب من الهواء وغيره فاخرج به الخروج في الاصل الانفصال عن المحيط
الى الخارج ويلزمه الظهور وانما عطف على انزل بحرف التعقيب وان كان متراخيا عنه
لسرعة خروج النبات بالمطر كانه لم يتخلل بينهما زمان تصويرا لشدة تاثير قدرته تعالى
وفي توسيط الاسباب حكم ليست في الانشاء بغتة ثم انه تعالى جعل بلطف منافع السماء
متصلة بمنافع الارض فان اكثر ما يخرج من الارض بما ينزل من السماء ليعلم ان
منشاءها واحد لانه لو كان منشئ هذا غير الآخر لم يتصل منافع هذا بمنافع الآخر
على بعد ما بينهما وتوهم خلاف احدهما الآخر فلما دل هذا على ان منشئها واحد
لا شريك له فلا تجعلوا له اندادا من الثمرات الثمرة اصلها الزيادة والنماء يقال ثمر الله
ماله اي زاده وكثره وحمل الشجر تسمى ثمرة لهذا وتجمع ثمرا بحذف الهاء التي هي للتوحيد
ثم ثمارا كالبلد يجمع بلادا ثم الثمار يجمع على الثمر كالحمار يجمع على الحمر وهذه جموع تكسير
وجمع السلامة هو الثمرات والمراد منها ههنا المأكولات كلها من الحبوب والفواكه وغيرها

مما يخرج من الارض الشجر وقد بسط الله تعالى ما اختصره في هذه الآية في آية اخرى تعالى
وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء فاخرجنا منه خضرا نخرج منه
حبا متراكبا وقوله تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده صريح في عموم
الثمرة لان الحصاد انما يكون للزرع واللام لتعريف الجنس وانما جمع لاختلاف انواعه
ثم ان جمع الصحيح انما يكون للقلة اذا لم يعرف باللام فلا حاجة الى ان يقال ان المجموع يتعاور
بعضها في موضع بعض ومن للتبعيض فان ما يصلح رزقا لنا بعض الثمرات المخرجة ولا
يصلح للتبيين اذ لم يتقدم ما يبين رزقا مصدر فيكون مفعولا له ويحتمل ان يكون بمعنى
مرزوقا فينتصب على الحال وعلى الاول يكون الكاف في لكم مفعولا به واللام مقوية لتعدي
المصدر اليه وعلى الثاني يكون في موضع الصفة فيتعلق اللام بمحذوف اي كائنا لكم ولا يمتنع
عكس ذلك ويجوز ان يتعلق باخرج فلا تجعلوا لله اندادا الند الشيء يشاركه في الجوهر وذلك
ضرب من المماثلة فان المثل يقال في اي مشاركة كانت فكل ند مثل ولا ينعكس ولما كانوا اتخذوا
اندادا جاء النهي عن جعل الانداد لله تعالى على حسب الواقع والا فحق النهي ان يتعلق بجعل ند له تعالى
وهذه الجملة متعلقة بالذي على ما جعلناه خبر مبتدأ محذوف اي هو الذي من عليكم بانواع
النعم العظام من خلق السماء سقفا مرفوعا وجعل الارض فرشا موضوعا واخراج النبات بالمطر
رزقا مجموعا فلا تجعلوا له اندادا وانما عدل الى الظاهر نعيا عليهم بان جعلهم الانداد
لذات موصوف بصفة لا شريك له فيه فاتى الشركاء ويجوز ان يكون متعلقا بقوله اعبدوا ربكم
والفاء للتسبيب اي تسبب عن ايجاد هذه الآيات الباهرة النهي عن اتخاذكم الانداد ولولا هذا
الاعتبار لكان الانسب عطفه بالواو كما في قوله تعالى اعبدوا الله ولا تشركوا ويجوز ان يكون
نفيا منصوبا باضمار ان على جواب الامر كما في زرني فاكرمك لا يقال شرط انتصاب المضارع
باضمار ان في جواب الامر وهو كون الاول سببا للثاني منتف ههنا لانه يجوز ان يكتفى بسببية
الاول للاخبار بمضمون الثاني كما اكتفي بسببية الشرط للاخبار بمضمون الجزاء في قوله تعالى وما بكم
من نعمة فمن الله وانتم تعلمون اي والحال انتم من اهل العلم على ان تعلمون من الافعال المنزلة
منزلة اللازم فلا يقدر له مفعول ويجوز ان يقدر له المفعول على ان المعنى وانتم تعلمون
امتناع الند وانها لا تفعل مثل هذه الافعال وعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ والتنبيه على
قبح فعلهم لان مرتكب القبيح مع علمه بقبحه اعظم جرما لا تقييد الحكم وتخصيصه به فان العالم
والجاهل المتمكن من العلم سواء في التكليف وانما خصصنا التوبيخ بالوجه الاخير لان الظاهر
ان المراد على الاول النهي لترك الانداد ووجه ذلك ان التكليف بعد التغليظ ادخل في الاسماع
واعون على الاصغاء من التغليظ الا يرى كيف وصى رسوله اذا ارسل على عدوه وقال
فولا له قولا لينا وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله لما قرر

وحدانيته وبين الطريق الموصل الى العلم بما عقبه بذكر ما هو الحجة على نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم وهو القرآن المعجز بفصاحته وعرف ما يتعرف به اعجازه ويتيقن انه من عند الله
ثم انه سلك مسلك الاطناب حيث لم يقل وان ارتبتم سوق الكلام على وفق حالهم وتنبيها على
توغلهم في الارتياب واستمرارهم على ذلك واستقرارهم فيه وتضمينا للنعي عليهم حيث بلغوا
النهاية فيما لا يكون لاولي الالباب الوقوع في بدايته وهل هذا الا غاية الغباوة والغواية
واتى بكلمة الشك مع تحقق الريب على خلاف الظاهر تكميلا للنعي عليهم بتنزيل حالهم المحقق منزلة
المقدر للتنبيه على ان مثل ذلك المحال حقيق بان يعد من قبيل ما يفرض كما يفرض المحال و
التنكير في ريب للتحقير وفيه تنبيه على ان وضوح دلائل الاعجاز في المنزل المذكور بلغ الى
حد لا ينبغي ان يعرض فيه ريب الا على وجه القلة ومن يحتمل ابتداء الغاية والتبيين وما موصولة
اي من الذي نزلناه والعائد محذوف اي نزلناه وتضعيف نزلنا بمنزلة همزة النقل ويؤيده
قراءة انزلنا ولا دلالة فيه على نزوله منجما في اوقات مختلفة لان مبناه على ان يكون التضعيف
للتكثير وذلك في المتعدي نحو جرحت وقطعت ولا يكون في اللازم الا نادرا نحو قولهم مات المال
وموتت اذا كثر ذلك فيه وجعله متعديا بكلا يلزم الجمع بين معنى التضعيف وذلك غير جائز
وفيما نحن فيه لا بد من معنى التعدية فلا مجال لارادة معنى التكثير والتعبير عما نزلنا دون
القرآن للتنبيه على ان الريب فيه باعتبار ذلك الوصف والعبادة لما كانت اشرف الخصال
والتسمي به انفس الحظوظ حتى قال الشاعر لا تدعني الا بيا عبدها فانه اشرف اسمائي سمى
نبيه عبدا واضافه الى نفسه تنويها بذكره وتنبيها على انه يختص به منقاد لامره لا يخالفه في
يقول على الرسول الذي كلما يبلغه من عندنا وقد شاركه عليه السلام في ذلك التشريف معظم
الانبياء عليهم السلام انما اختصاصه عليه الصلوة والسلام بتسميته بالعبد المطلق فانه لم يسم
غيره الا بالعبد المقيد باسمه كما قال واذكر عبدنا داود واذكر عبدنا ايوب وغيرهما وذلك
لان كمال العبودية ما تهيأ لاحد من العالمين الا لحبيبه عليه الصلوة والسلام وكمال العبودية
في الحرية عما سوى الله تعالى وهو مختص بهذه الكرامة كما اثنى الله تعالى عليه بذلك فقال اذ يغشى
السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى فلما اختص بهذه الحرية اكرم باسم العبد المطلق
كما قال فاوحى الى عبده ما اوحى وقرئ على عبادنا يعني النبيين الذين انزل عليهم الكتب و
فيه تنبيه على من شك في القرآن مع ظهور اعجازه فهو شاك في سائر الكتب الالهية ايضا حقيقة
او حكما ويجوز ان يراد من اخبر بنبوة محمد عليه الصلوة والسلام وبشر بمجيئه من الانبياء كموسى
وعيسى عليهما السلام والامر في فأتوا للتعجيز كما في قوله فأت بها من المغرب والفاء لانه جواب الشرط
وبدونها يقال ائتوا الالف مجتلبة والهمزة صارت ياء لكسرة ما قبلها وسقطت همزتها كراهة التقاء
الهمزتين وثبتت الياء كتابة في قوله فأتوا لانه يوقف على نحو ويبدأ ايتوا ولا يثبت في قوله

فأتوا في قوله وأتوا لتعذر الفصل بين الفاء والكلمة وكذا بين الواو وبينها والسورة مأخوذة
من قولهم سار بسور اذا ارتفع وعلا ويسمى الجدار المحيط بالمدينة سورا لارتفاعه فالسورة
من القرآن مجموع آيات مفصلة ارتفعت وعلت وظهرت وصارت كالعلم في مغايرتها
لسائر السور ومن اطلاقها يتناول اقصر السور وهي في القرآن سورة الكوثر وهي ثلث آيات
قصار وهذا ابلغ الالزام واتم قطع لامل الخصام فقد كان التحدي اولا بالاتيان بمثل كل
القرآن بقوله فليأتوا بحديث مثله ثم اخبر عن عجزهم عن ذلك بقوله قل لئن اجتمعت الانس و
الجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ثم بعشر سور مثله بقوله قل فأتوا بعشر سور مثله
ثم لما ظهر عجزهم عنها ايضا تحداهم بسورة بقوله فأتوا بسورة من مثله وقد عجزوا عن ذلك
كله من مثله في محل الجر صفة لسورة اي بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا والمعنى ان كنتم
في شك مما انزلنا على عبدنا الحسن استعداده في كمال العبودية بانعام الوحي ومنه نجم القرآن
فانه من عندنا ان زعمتم ان معارضته بايراد المثل مقدور للبشر على ما افصح عنه قوله تعالى واذا
تتلى عليه آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا فأتوا بسورة من مثله اي من مثل المقدور
للبشر في زعمكم وقد افصح عن هذا المعنى في التحدي بعشر سور ولولا القصد الى هذا
لكان الظاهر ان يقال فأتوا بمثل سورة منه ورجوع الضمير للمنزل عليه لا يساعده المقام و
لا الكلام اما الاول فكما عرفت فيما تقدم ان المقام مقام توسيع دائرة التحدي حيث
تنزل من التحدي بكل القرآن الى التحدي بعشر سور ثم الى التحدي بسورة فلا يناسبه التضييق
باشتراط ان يكون الآتي به اميا في هذه الصورة دون الصور السابقة واما الثاني فلانه قوله
وادعوا شهداءكم من دون الله في معرض وادعوا من استطعتم من دون الله من قوله ام
يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين
فهو امر بان يستعينوا بكل من يعينهم في ذلك فعلى هذا الوجه للاشتراط المذكور وايضا لا
من اعتبار قيد المماثلة بين المنزل والمامور باتيانه وعلى تقدير عود الضمير المذكور الى
المنزل عليه يلزم ان يكون الكلام خاليا عن ذلك القيد المهم والشهداء جمع شهيد معناها على ما
قال ابن عباس رض اعوانكم لان الشاهد كالعون للمدعي في استخراج حقه والمراد من الدعاء
دعاء استنصار وكلمة دون لها معان والمراد هنا معنى غير وهي في الاصل اسم ولهذا دخله
الخافض وخفضها ولكنها تستعمل استعمال الحروف مجردة عن اللام الذي هو للتعريف والتنوين
الذي هو للتنكير وهما من خصائص الاسماء لانها تفيد المعنى في غيرها كالحروف وجواب الشرط محذوف
لدلالة ان كنتم صادقين في زعمكم السابق ذكره والصدق الاخبار المطابق للواقع هذا اذا كان
وصفا للمتكلم واما اذا كان وصفا للكلام فهو الخبر المطابق للواقع ولما كان الامر المذكور امر
تهكم وتعجيز اخبر انهم ليسوا قادرين على اتيان المامور به بقوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا لما

ارشدهم الى الدليل الذى يتبين به امر النبى عليه الصلوة والسلام وصدقه وكون ما جاء به
خارقا للعادة بنتيجة استلزام نفى اللازم وهو امتناع معارضته نفى الملزوم الذى هو انتفاء
الريب فلزمهم تصديقه والايمان به والا استوجبوا اشد العذاب وانما ورد الفعل
فى موضع الاتيان لانه ما من شئ من الافعال الا ويصح ان يعبر به عنه وذلك لما ذكره الراغب
ان معناه اعم من معنى ساير اخواته نحو العمل والصنع والاحداث فالمعنى فان لم تأتوا
بسورة من مثله ولن تأتوا بسورة من مثله ولا يخفى ما فيه من حسن الايجاز واتى بكلمة ان دون
اذا مع تحقق الشرط اما تهكما بهم واما بناء على ظنهم قبل ظهور العجز عن المعارضة ولم كلمة
نفى تدخل على المستقبل وتجعله بمعنى الماضى ثم دخول ان وهو للشرط يجعله بمعنى المستقبل وكان
فيه اشارة الى انقلاب حال المتحدين ولا محل لقوله ولن تفعلوا لانه اعتراض قبل تمام الكلام
وهو من محاسن الكلام اثارة لهممهم ليكون عجزهم بعد ذلك ابلغ ومعناه لستم تفعلون
ذلك ابدا لان لن لتاكيد النفى فى المستقبل فتشارك لا فى نفيه وتباينه فى التاكيد والتشديد
واختلف فى اصله فقيل لا ان وقيل لا ابدلت الفه نونا والظاهر انه مقتضب براسه كما هو
قول سيبويه واحدى الروايتين عن الخليل قيل فيه دليل على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم
حيث اخبر عن الغيب على ما هو به وفيه انه من باب الكرامة ولا اختصاص لها عند اهل
الحق بالانبياء عليهم السلام وانما الاستدلال بعدم كونه عليه الصلوة والسلام شاكا
فى امره فمما لا وجه له لانه مبنى لا محالة على صحة دعواه على ثبوت عصمته عن الخطاء وهو
فرع ثبوت نبوته فانما يثبت به مصادرة فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة
جواب الشرط وكنى به عن ترك العناد تصريحا للتمكين عنه وتهويلا لشان العناد وتصريحا
بالوعيد مع الايجاز وذلك ان من عاند بعد وضوح الحق له استوجب العقاب
بالنار واتقاء النار من نتايج ترك العناد والنار هى نار جهنم وقيل النار مجاز عن
العناد وهذا اشد تهويلا لما فيه من ابراز العناد فى صورة النار بخلاف الاول فان
النار ح على حقيقتها والتهويل انما جاء من انابة اتقاء النار مناب ترك العناد ثم
ان الامر بالاتقاء ابلغ من الامر بالترك فى النهى عن ملابسة العناد وتعريفها بناء
على ان تلك النار كانت معلومة للمتحدين بسماعهم من النبى عليه الصلوة والسلام
بالذات او بواسطة المؤمنين وايضا هذه الاية مدنية فنزولها بعد نزول قوله تعالى
نارا وقودها الناس والحجارة لانها مكية فصح تعريفها لكونها معروفة قبل ذلك ضرورة
ان المكيات لنزولها قبل الهجرة مقدمة على المدنيات النازلة بعدها ولتقطيع شان
العناد هول وصف النار بقوله التى وقودها الناس والحجارة وكون الصلة معلومة
انما اشترط فى غير مقام التفخيم والتهويل الا يرى الى قوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى

والوقود بالفتح ما يوقد به النار وبالضم التهابها فهو مصدر والاول اسم وقد
جاء المصدر بالفتح والاسم بالضم وقرئ بهما والظاهر المناسب لبلاغة القران ان
يكون المراد به المصدر على ان المجاز عقلى فان الغرض وهو المبالغة فى التهويل يحصل
على وجه اتم واكمل وفى المصير الى حذف المضاف تنزيل لشان التنزيل والناس ههنا هم
الكفار والحجارة جمع حجر كالجمل والجمالة وهذا جمع على غير قياس والقياس فيه الاحجار
كالشجر والاشجار وقد صح عن ابن عباس رض على ما اخرجه ابن جرير فى تفسيره وعن
ابن مسعود رض على ما اخرجه البيهقى فى البعث والنشور انها حجارة الكبريت و
انما خصت من بين انواع الاحجار لانها اسرع وقودا وابطأ خمودا وانتن رائحة
واكثر دخانا واشد حرا والصق بالبدن والظاهر ان مرادهما بيان الواقع لا تفسير
المراد ههنا من لفظ الحجارة فلا يتجه انه تقييد للمطلق بغير دليل فهى على اطلاقها ولا يفوت
ما قصد به من تهويل شان تلك النار وتفاقم لهبها حيث تتقد بما لا يتقد به غيرها و
اما احتمال ان يراد بها الاصنام فيأباه العموم المستفاد من قوله تعالى انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم فان بعض ما عبدوه ليس من جنس الحجر ومعنى وقودها الناس
والحجارة ان تلك النار لا تتقد الا بها اعدت الاعداد وهو التهيئة والارصاد
اكثر استعماله فى الموجود وقد يستعمل فيما هو فى معنى الموجود كما فى قوله تعالى اعد الله
لهم مغفرة واجرا عظيما فدلالة الاية على ان النار مخلوقة الان كما هو مذهب اهل الحق ليست
بقوية للكافرين مختص بما وقع به التحدى اى بنوع الكفر الموجب للنار فانها اعدت للكفار
والجملة استيناف يؤيده عطف وبشر على لفظ المبنى للمفعول عليه وقيل صلة بعد صلة بلا
عاطف بينهما على قياس ما يقع فى الاخبار والصفات ويؤيده قوله تعالى فى سورة ال عمران و
اتقوا النار التى اعدت للكافرين واما العطف بترك العاطف فتجويزه يؤدى الى الالتباس
فى مواضع الفصل والوصل ودلالة لام الاختصاص على ان اعداد تلك النار للكفار ولا يلزم
من ذلك اختصاصها بهم كما لم يلزم من اختصاص اعداد الجنة للمتقين ان لا يدخلها غيرهم فلا
حاجة الى ان يقال ان النار التى وقودها الناس والحجارة هى للكفار خاصة ولغيرهم نار غيرها
وبشر الذين آمنوا البشارة فى اللغة اسم لخبر يغير بشرة الوجه مطلقا سارا كان او محزنا
الا انه غلب استعمالها فى الاول وصار اللفظ حقيقة له بحكم العرف حتى لا يفهم منه غيره واعتبر
فيه الصدق على ما نص عليه فى الكتب الفقهية فالمعنى العرفى للبشارة الخبر الصدق السار الذى ليس عند
المخبر به علمه والمامور بالتبشير على قراءة بشر على لفظ المبنى للفاعل الرسول عليه الصلوة والسلام
ولا وجه للتعميم لكل من يقدر على البشارة من غير تعيين لما عرفت ان مدار البشارة على الصدق وتحققها
ان يكون المبشر صادقا ومصدقا فكانه ما تكلف فى امر التبشير على كل قادر عليه بل نص على اعظمهم و

واصدقهم ليكون ذلك اوثق عند المبشرين واقطع في الاخبار بهذه البشارة الجليلة وفيه من
التعظيم لامر البشارة للمؤمنين ما لا يخفى والجملة معطوفة على ما قبلها عطف قصة على قصة بينهما
جهة جامعة بحيث تقتضي ان يعقب ذكر احديهما بذكر الاخرى توفية بحق الكلام ورعاية لما يقتضيه
المقام وذلك ان قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا خطاب عام يشتمل الفريقين الموافق والمخالف
ثم قوله وان كنتم في ريب مختص بالفريق الاول ومضمونه الانذار وان قوله وبشر الذين آمنوا
مختص بالفريق الثاني ومضمونه البشارة كانه اوحى الى نبيه ان يدعو الناس قاطبة الى عبادة
وتوحيده وتصديق رسوله ثم امر ان ينذر من ابى وعاند ويبشر من انى وعبد وهذا
هو المعتمد وقيل معطوفة على مقدر بعد اعدت اي فانذر الذين كفروا تبيك النار وبشر
الذين امنوا وعلى هذا يكون الواو فصيحة كما في قوله تعالى واهجرني مليا اي فاحذرني وقيل
معطوفة على قل مقدرا قبل يا ايها الناس اي قل كذا وكذا وبشر المؤمنين ولا ياباه عن ذلك قوله
ان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فانه قد جاء في كلام الله تعالى في غير موضع منها قوله تعالى
قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك فلو كان حقه على قلبي لكنه جاء على حكاية كلام الله تعالى
كانه قال قل لا تكلمت به وجوز ان يكون معطوفة على قوله فاتقوا على انه ليس جوابا للشرط بل
محذوف وهذا مترتب عليه فعلى هذا يكون تقدير الكلام اذا تبين عجزكم عن المعارضة فقد صح
عند المعاند والموافق صدقه واذا كان كذلك فاحذروا ايها المعاندون العقاب وبشر
يا محمد المعتقدين بالثواب وعطف لامر لمخاطب على الامر لمخاطب اخر انما خطأ في صنعة النحاة
لو نوعه قطعا في قوله تعالى يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك وتقف على تتمة هذا الكلام
في تفسير قوله تعالى فان خفتم ان لا يقيما حدود الله وعملوا الصالحات الصالحة كالحسنة في
جريها مجرى الاسم وهي ما ورد به الامر ايجابا او ندبا من الاعمال وتانيثها على تاويل الخصلة و
التعريف للجنس لكن لم يرد بالصالحات جنس الجمع بل جميع الجنس باعتبار التوزيع واللازم منه
ان يعمل كل مكلف ما يتحقق به من موجب التكليف كما في لبس القوم ثيابهم ودخلوا مساجدهم لا
ان يعمل كل واحد منهم عملا واحدا منها كيف كان وفي مغايرة الايمان والعمل الصالح في القرآن ايذان
بانهما كالمتلازمين في توقف مجموع النجاة والثواب عليهما وهذا لا ينافي لكون الايمان المجرد عن
العمل الصالح منجيا ثم ان بشر يتعدى الى مفعول بنفسه والى آخر بحرف الجر وهو قوله ان لهم جنات
وحذف منه الحرف وهو في موضع نصب على مذهب الخليل لا في موضع جر خلافا لمن قال مذهبه انه
في موضع جر وهو ابن مالك قاله في التسهيل وهو قليل الا مام بكتاب سيبويه واللام للاختصاص
الا ان التخصيص بفضل الله تعالى لا بالاستحقاق الذاتي والمخصص بهم منازل عالية من دار الثواب
لا الدار نفسها حتى يشكل بنصوص الدالة على عدم اشتراط العمل في الدخول بها ولذلك قال جنات
دون الجنة فانها علم لتلك الدار وحمل الجنات على الجنان الثمانية لا يلايمه مقابلة الجمع بالجمع لان

مقتضاها الانقسام والتوزيع وقد روعي ذلك في قرينتها السابقة ولا مجال لرعايتها
ههنا لعدم العهد في توزيعها ثم ان ذلك الاختصاص مشروط بسلامة العاقبة لان الاعمال
لا يثمر الا على ما افصح عنه قوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت
اعمالهم واما الاستمرار على الايمان المقارن بالايمان بالعمل الصالح فليس بشرط والجنة في الاصل
المرة من الجن وهو مصدر جنه اذا ستره ومدار التركيب على ذلك سمي به الشجر المظلل لالتفاف
اغصانه وستره ما تحته ثم البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة المظللة ثم دار الثواب لما فيها
من الجنان والمراد ههنا الغرف وهي المواضع العالية والمنازل الرفيعة من بساتين الجنة على ما
افصح عن ذلك في قوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها فان القرآن يفسر بعضه بعضا وتنكير الجنات للتعظيم اي جنات اي جنات
لا يكتنه وصفها ثم اكده بالاوصاف الغريبة ويجوز ان يكون المراد جنات شتى مرتبة في مراتب
طبقاتهم ودرجات اعمالهم وعلومهم واخلاقهم تجري من تحتها الانهار الضمير للجنات يعني
من تحت تلك الغرف وفيه تنبيه على انها منازل عالية وقد جاء في الاثار ان الجنة درجات والنار
دركات والنهر بالفتحتين ويسكون الثاني المجرى الواسع والمراد الانهار المعهودة المذكورة في
قوله تعالى فيها انهار من ماء غير آسن الاية فان الاصل في التعريف العهد ولا يعدل عنه الا عند
التعذر ولا تعذر ههنا اذ لا حاجة في ثبوت العهد الى سبق نزول تلك الاية فان المخاطب
بتبليغ البشارة هو النبي صلى الله عليه وسلم فيكفي علمه بها باعلام من الله تعالى وفي البيان بقوله
من ماء دلالة قاطعة على ان المراد ماء الانهار على التجوز فيها او الاضمار كلما رزقوا منها
من ثمرة رزقا صفة ثانية لجنات او خبر مبتدإ محذوف اي هي او جملة مستانفة على تقدير سوال
يختلج في ذهن السامع اثمارها من جنس ثمار جنات الدنيا او اجناس اخر فقيل من جنسها ومن
الاولى لابتداء الغاية وكذا الثانية واقعتان موقع الحال ورزقا مفعول ثان بمعنى المرزوق
واصل الكلام ومعناه كل حين او ثمرة رزقوا مرزوقا مبتدأ من الجنات مبتدأ من الثمرة قيد الرزق
المطلق بكونه من الجنات ثم المقيد بكونه من الجنات قيد بكونه مبتدأ من اي ثمرة من ثمارها
فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الحال الثانية ضمير المتمكن في الحال ويجوز ان يكون الثانية
للتبعيض كلما رزقوا من تلك الجنات بعض الثمرات على انه مفعول ثان ورزقا حال او
نصب على المصدر وليس المراد من الثمرة الثمرة الواحدة بالشخص وانما المراد النوع الواحد من
انواع الثمار يقال فلان ادركت ثمرة بستانه والمراد الجنس ويجوز ان يكون بيانا كما تقول
رأيت منك اسدا اي انت اسد وعلى هذا الوجه يصح ان يراد بالثمرة النوع والجناة الواحدة
قالوا هذا الذي رزقنا من قبل اي من قبل هذا في الدنيا والمقول جملة تشبيهية لقوله واتوا
به متشابها اي هذا مثل الذي او كالذي رزقنا من قبل حذف حرف التشبيه لاستحكام الشبه كان

ذاته وانما جعل ثمار الجنة من جنس ثمار الدنيا لتميل النفس اليها اول ما رأت فانه
لو لم يكن من جنسها لامكن ان تنفر منها طباعهم وتعافها نفوسهم في اول الوهلة وبادي
النظر وهذا لا ينافي التلذذ به فوق ما التذ بما لو فاته بعد الوقوف على طعمه ولا يخالف ما
اشتهر فيما بينهم من ان لكل جديد لذة ولانهم اذا صادفوا ما التذوا به والفوه من
جنس ما كان معهودا لهم ورأوا بينه وبين ما عهدوه تفاضلا بينا وتفاوتا عظيما عرفوا
قدر النعمة وحقها وبلغ استلذاذهم به واستحسانهم له الى ما لا يمكن وصفه لكونه نعمة
غير مترقبة ولو كان من جنس آخر وان فات وبلغ غاية الحسن وراق لحسبوا ان ذلك
الجنس لا يكون الا كذلك ولم يقع في انفسهم وقع تلك النعمة وتكرارهم هذا القول واستيناسهم
له عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الامر في الفضيلة والمزية وان ذلك الفرق البين
والتفاوت العظيم هو الذي يستدعي تلفظهم بذلك بتنطقهم وينبههم فرحا وحبورا
ولا يدعهم يتركوا ويسكتوا بل يستفزهم لذة وسرورا وعن مسروق نخل الجنة نضيد من
اصلها الى فرعها كلما نزعت منها ثمرة عادت مكانها اخرى وانهارها تجري في غير اخدود و
الضمير في به يرجع الى المرزوق في الدنيا والآخرة لاشتمال الكلام عليها كقوله ان يكن غنيا
او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير ولو رجع الى المذكور لقيل اولى به ويكون
ان يكون المعنى من قبل هذا في الجنة لان طعامها متشابه الصورة كما حكى الحسن يؤتى احدهم
بالصحيفة فيأكل منها ثم يؤتى بالاخرى فيقول هذا الذي اتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون
واحد والطعم مختلف وعلى هذا يرجع الضمير الى الرزق المطلق كما ان هذا اشارة اليه ولا يخفى
ان الوجه هو الاول لعدم المساعدة في نكتة كلما للاخير والجملة اعتراضية كقوله تعالى و
جعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون واو في ولهم فيها ازواج مطهرة عاطفة الجملة
من تتمة وصف ثواب المؤمنين ومطهرة بالتوحيد ومطهرات بالجمع لغتان فصيحتان
في وصف ازواج لكونه جمع التكسير وان كان جمع المؤنث الحقيقي بخلاف ما لو قال زوجات بالسلامة
الواحد فلم يجز الا مطهرات كانه قال جماعة ازواج مطهرة وبناؤه للمفعول الفخم اذ فهم ان
لها مطهرا وليس الا الله تعالى فيكون طهارتهن اعظم من كل طهارة فان قيل هذا معارض بان فيه
اشعارا بسابقة التلوث بما يستقذر والكمال في كون الطهارة خلقية بخلاف بنائه للفاعل
فان المتبادر منه بمعونة المقام ان يكون طهارتهن خلقية قلنا نعم كذلك الا ان الاول ارجح
لكونه ادخل في البلاغة لما فيه من تعظيم المؤمنين وهو المناسب للمقام ورعاية جانب من سيق
له الكلام وتطهيرهن من الاوصاف القبيحة في الخلق والخلق لما كانت مجامع اللذة في المسكن
البهي والمشرب الروي والمطعم الشهي والمنكح الوضي ذكرها تعالى فيما بشر به المؤمن وبدأ
بالمسكن البهي لان به الاستقرار ثم بالمشرب والمطعم لان بهما قوام الجسم وقدم المشرب

لما فيه من تشريف المسكن ثم بالازواج لان بها تمام اللذة والانس ولما ذكر مجامع اللذة
وذلك ينتقص بخوف الزوال فنفاه بقوله وهم فيها خالدون والخلد البقاء الدائم الذي
لا ينقطع قال الله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون وتقييده
بالتأبيد في قوله خالدين فيها ابدا لقطع التجوز فان استعماله في الثبات المديد وان لم يدم
متعارف شايع ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة لما بين التوحيد واثبت صحة
النبوة بالبرهان وهذا هما اساس الدين واصل الايمان وارشدهم الى معرفة حقيقة القرآن
وافحمهم بالتحدي ورتب الوعيد على الكفر به والوعد على الايمان شرع في ابطال الاعتراضات
والشبهات التي طعن بها الجاحدون الجهلة كقولهم ان الله اجل قدرة واعظم شانا من ان
يمثل بهذه المحقرات كالذباب والعنكبوت وقولهم اما يستحيي رب محمد فاجابهم بما دل
على ان التمثيل امر يستدعيه حال الممثل له فكلما كان اعظم كان الممثل به اعظم وكلما كان احقر
كان الممثل به احقر كقوله ولله المثل الاعلى فيلزم ان يكون لالهتهم المثل الادنى لانها جمادات
لا قوة لها ولا شعور اذ الغرض من التمثيل تصوير المعقول بصورة المحسوس وتقريب
المعنى المراد في النفوس لان يعارض العقل في المعاني المعقولة لان الوهم ميله الى الحس وامتناع
ادراكه للمعاني الكلية واذا تمثل المعنى العقلي بصورة محسوسة اذعن له وانقاد وقبل المعنى
المراد ولهذا كثر التمثيل في كلام البلغاء والحكماء والانبياء عليهم السلام وفشا في
الكتب الالهية ولا يتعلق حال المثل في الحسن والقبح بحال الممثل له فيما يصار اليه من وجه
الشبه بين الممثل به والممثل له فان لم يكن مطابقا بان لا يكون الوصف المشترك المقصود اظهاره
في الممثل به اجلى واقوى واشهر كان الممثل قاصرا في البلاغة منسوبا الى الدناءة وان كان
مطابقا بان المعنى المراد افهامه في الممثل به ابلغ واتم واكمل واعم كان الممثل اجل قدرا
واعلى شانا ولهذا تمثيل الله تعالى الهتهم بالبعوضة فما فوقها في المعنى الممثل له من الحقارة
اي ما هو احقر منها كجناحها ومخها وكما قيل اقل من لا شيء في غاية الحسن والجزالة ونهاية الفصاحة
والبلاغة كما تقول فلان اقل قدرا من الكلب فيقول صاحبك وفوق ذلك اي في قلة
القدر وقد جاء في الانجيل تمثيل غل الصدر بالنخالة ومعارضة السفهاء باثارة الزنابير
وفي كلام العرب امرد من جرادة واسمع من قراد ويحتمل ان يكون المراد بقوله فما فوقها
العنكبوت والذباب وما ورد في المثل مما هو اعظم من البعوضة ردا لما استنكروه كما
قيل فلان يحتمل بدرهم فتقول انه يحتمل بدانق فما فوقه اي فضلا عما فوقه في العظم من الدراهم
والحياء انقباض النفس مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التي هي الجرأة على القبائح
وعدم المبالاة بها والخجالة التي هي انحصار النفس عن الفعل مطلقا واستعمال الاستحياء
لله تعالى مجاز على سبيل التمثيل اي لا يترك ضرب المثل بالمحقرات ترك من يستحيي لحقارتها

وقد جاء في الحديث ان الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه وفي التمثيل من المبالغة
ما لا يخفى على الفطن للتخييل وتصوير المعقول بصورة المحسوس او الوجداني المدرك بالقوة
ويجوز ان يكون وقوعه على سبيل المقابلة وتطبيق الجواب للسؤال فانه لما جاء في كلام الكفرة
اما يستحيي رب محمد ان يضرب المثل بالذباب والعنكبوت قابله بقوله ان الله لا يستحيي وهو
في كلامهم نوع بديع وفن عجيب يستحبونه ويستحسنونه لمراعاة المشاكلة وضرب المثل
صنعه واعتماله من ضرب اللبن وضرب الخاتم واصله وقع شيء على آخر واستعمالها يتعدى
بنفسه وبمن فعلى الاول يكون ان يضرب منصوب المحل على المفعولية وعلى الثاني يكون مجرور
المحل بتقدير من او منصوب بنزع الخافض حذفا وتعدية الفعل اليه بنفسه ومثلا مفعول
ليضرب وما ابهامية منصوبة المحل صفة لمثلا تزيد شياعا وعموما وابهاما وسد الباب التقييد
ومزيد التأكيد كما في قوله فبما رحمة اي مثلا حقا وبعوضة بالنصب بدل ومفعول به وقيل
عطف بيان لمثلا وفيه انه لا يكون في النكرات عند الجمهور ومثلا حال مقدمة عليها لتنكيرها
او مفعول ثان ليضرب اجراء للضرب مجرى جعل وصير وان رفعت بعوضة فما موصولة حذف
صدر صلتها كما في قوله تعالى تماما على الذي احسن بالرفع او موصوفة كذلك اي صفتها جملة
محذوفة المبتدأ وهذه الوجوه الاربعة المذكورة في بعوضة بالنصب ووجه آخر اعرب
وافصح وهو ان يكون ما استفهامية مبتدأ خبره بعوضة اي بلغ البعوضة فما فوقها كما
يقال فلان لا يبالي ما دينار ودينار ان والبعوض من البعض كالقطوع والخموس
من القطع والخمس ومعنى البعض القطع كالبضع والعضب ومنه بعض الشيء لانه قطعة
منه وهو في الاصل صفة غلبت على هذا النوع فما فوقها عطف على بعوضة او على ما ان
جعل اسما فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم اما حرف للتفصيل وفيه معنى الشرط
ولذلك يجاب بالفاء يفيد الكلام توكيدا تقول زيد ذاهب فاذا اكدت قلت اما زيد فذاهب
وما بعد اما جملة جزائية حقها ان يتصدر بالفاء لولا دخول اما عليها فاخرت الى الخبر لوجودها
وجعل المبتدأ سادا مسد الشرط المحذوف لفظا ومعنى التفصيل في اما وتصدير الجملتين
بها ان بين الفريقين غاية البعد والتضاد في فضل الفريق الاول وتحقيقهم في علمهم واصابة
نظرهم وهدايتهم وسدادهم ونقص الفريق الثاني وتعمقهم في جهلهم وازاغة بصرهم
وغوايتهم وزيغهم وعنادهم ومكابرتهم لانهم بين ان لا يتفطنوا لوجه التمثيل وحسنه
وحقيته وبين ان يعاندوا ويكابروا كلا الامرين وفيه بعد عن مقتضى الفطرة وسقوط عن
درجة الانسانية وتجاف عن الصواب والسداد وانهماك في الغي والفساد والحق هو الامر
الثابت الصحيح في نفس الامر الذي لا يسوغ عند العقل انكاره يقال حق الامر اذا ثبت واما
الذين كفروا فيقولون انما قال في مقابلة قوله يعلمون يقولون للدلالة على عدم العلم

بالغ الوجوه وآكد البرهان فان صدور القول المذكور منهم يدل على فرط الغباوة من
عدم التفطن او مخالفة العلم بالمكابرة واهمال العمل بمقتضى العلم جهل ايضا ماذا اراد
الله بهذا مثلا يحتمل ان يكون ما استفهامية وذا بمعنى الذي وما بعده صلته والمجموع
خبر ما وان يكون ما مع ذا اسما واحدا بمعنى اي شيء منصوب المحل على المفعولية لقوله اراد
الله والاحسن في جوابه الرفع على الاول والنصب على الثاني ليطابق الجواب السؤال و
الارادة نزوع النفس وميلها الى الشيء وهي نقيض الكراهة التي هي النفرة وارادة الله
تعالى ليست بصفة زائدة على علمه كارادتنا بل هي عين حكمته التي تخصص وقوع الفعل
على وجه دون وجه وحكمته عين علمه المقتضي لنظام الاشياء على الوجه الاصلح والترتيب
الاكمل وانضمامها مع القدرة معها الاختيار وفي لفظة هذا استركاك واستحقار كما في
قول عائشة رض في عبد الله بن عمرو بن العاص رض يا عجبا لابن عمرو هذا ومثلا نصب على
الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية او على التمييز كما في قولك لمن اجاب بجواب ضعيف ما
اردت بهذا جوابا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا بيان للجملتين المصدرتين باما وتقرير
لان العلم بكونه حقا من باب الهدى الذي ازداد به المؤمنون نورا الى نورهم والجهل
واستنكاره من باب الضلال والفسق الذي ازداد به الجهلة ظلمة الى ظلمتهم وفيه
تسجيل على الفريقين بهداية المحقين ورشدهم وضلالة المنكرين وفسقهم وكون
كل منهما موصوفا بالكثرة في انفسهم لا بالقياس الى الآخر والضالين بالعدد والمهتدين
بالقدر والحقيقة كما قال ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا فان
المهتدين اقل من الضالين بالعدد ولهذا قدم يضل به كثيرا واما احتمال كونه جوابا
لما في ماذا اي المراد اضلال كثير وهداية كثير او اراد اضلال كثير وهداية كثير فيأباه قوله
مثلا فان التمثيل لا يناسب ان يراد به الاضلال قال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس
لعلهم يتفكرون وما يضل به الا الفاسقين الذين الفسق لغة هو الخروج عن القصد
قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا ويستعمل في مجرد الخروج يقال فسقت الرطبة
عن قشرها وشرعا هو الخروج عن امر الله تعالى بارتكاب الكبيرة والمراد بالفاسقين هنا
الخارجون عن الايمان لولا انه ما يعد عليهم قصر الخسران عليهم وترتيب الضلال على الفسق
يدل على كونه مسببا عن الفسوق الذين ينقضون عهد الله منصوب المحل صفة للفاسقين او
للذم او مبتدأ خبره اولئك هم الخاسرون ويكون بيانا للفاسقين وتسجيلا عليهم بالخسران
والنقض الفسخ وفك التركيب اصله في طاقات الحبل واستعماله في العهد من باب الاستعارة
بالكناية بايراد صفة المستعار منه دون ايراده بعينه بالرمز على ان العهد حبل في ثبات
الوصلة بين المتعاهدين وعلى هذا لا يلزم ان يكون النقض مستعملا في معنى الابطال

منقولا عن معناه الاصلي كما ان استعارة الاسد للشجاع واستعارة البحر للعالم
بطريق الكناية لا يلزمهما خروج الافتراس والاغتراف عن معناهما الاصليين بل
نقول مقتضى تلك الاستعارة ان يكون ما به الكناية ثابتا في معناه الاصلي حتى يكون من
خواص المستعار منه حقيقة والعهد الموثق ولهذا قال في الوصية عهد اليه في كذا اذا
وصاه به ووثقه عليه ووضعه لما يحفظ ويراعى ويتعهد كالوصية والشرط واليمين
ويقال للدار التي تراعى والتاريخ الذي يحفظ عهد وهذا العهد اما العهد الماخوذ
بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على جميع تصديقه في الايمان وعلى هذا اول قوله
تعالى واشهدهم على انفسهم او الماخوذ بالرسل على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول
الله المصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولا يكتموا امره ولم يخالفوا حكمه واليه اشار
بقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب من بعد ميثاقه الميثاق اسم لما وثق
به العهد من القبول والالتزام والحلف وامثاله مفعال من الوثاقة والاصل في
مفعال ان يكون صفة كمعطار والمحراب وقال ابن عطية اسم بمعنى المصدر ولا يعلم
مفعالا جاء مصدرا ولا عدوه في ابنيته والضمير عايد على العهد ان عني به ما وثق به
العهد وعلى الله او عليه ان عني به معنى المصدر ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يحتمل
كل قطيعة لكن الظاهر انه توصيف للفاسقين بانهم يضيعون حق خلق الله تعالى بعد
توصيفهم بانهم يضيعون حقه تعالى وتضييع حقه تعالى بنقض عهده وتضييع حق
خلقه بقطيعة ارحامهم والامر طلب الفعل ممن هو دونك وسمي الامر الذي هو واحد
الامور تسمية للمفعول به بالمصدر كان الداعي الذي يدعو اليه ويبعث عليه امر لهم
به فهو ما مور به كما سمي شانا والشان الطلب والقصد يقال شانت شانه اي قصدت
قصده وان يوصل مخفوض المحل بدل من الضمير في به للاشتمال وعلى تقدير اللام ويفسدون
في الارض بقطع الزرع والنسل وتهييج الحروب والفتن واحداث الهرج والمرج ولذلك
قصر في قوله اولئك هم الخاسرون الخسار عليهم بخروجهم عن مقتضى الفطرة واستبدالهم
ظلمة الجهل لنور الفطرة والغواية بالهداية الاصلية التي هي نور العقل والنقض بالوفا
والقطع بالوصل والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب كيف تكفرون كيف للاستفهام عن
الحال والمراد الانكار والاستبعاد والتعجيب وليس فيه معنى الاخبار والا يلزم الجمع
بين المعنى الحقيقي والمجازي ولما علم امتناع وقوع الشيء على غير حال من الاحوال كان انكار
حال ما هي احوال الكفر انكارا نفس الكفر على الطريق البرهاني فيكون من باب الكناية بنفي
اللازم فيفيد كون اللازم الكفر بالله تعالى مع العلم بالحالة الاتي في ذكرها كالمستحيل
في نفسه لقوة الدليل الموجب للايمان فانها ايات بينات ولهذا كان الاستفهام الانكاري

بكيف

بكيف ابلغ من الاستفهام الانكاري بالهمزة وحمل الكفر على معنى الكفران المقابل للشكر باباه
الباء في بالله لانه لا يقال كفر بالمنعم وبالنعمة بل يقال كفر المنعم كفر المنعم والنعمة ولان بعض
ما ذكر ليس من النعم كما لا يخفى والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء المقام
وخبث الفعال خاطبهم على طريق الالتفات ووبخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية
خلاف ذلك وكنتم امواتا اي اجساما لا حيوة لها عناصر واغذية ونطفا ومضغا و
الاموات جمع ميت كالاقيال جمع قيل واطلاقها على تلك الاجسام من قبيل اطلاق المقيد
على المطلق مجازا كاطلاق المرسن على الانف وقيل بطريق الاستعارة للاشتراك مع الاموات
الحقيقية وهي التي زال عنها الحيوة في عدم الروح والاحساس وفيه نظر والواو للحال والمنصوص
على الحال ليس فعلا واحدا بل جملة قوله كنتم الى قوله ترجعون وهي وان كانت بعض اجزائها ماضيا
وبعضها مستقبلا ولا يصح كونها حتى يكون فعلا مقارنا للوجود ما هو حال عنه لكن معناها
وحالكم المشهودة وقصتكم المعلومة هذه فيؤول معناها الى قوله كيف تكفرون في حال علمكم
بهذه القصة فاحياكم بنفخ الارواح فيكم واما خلق الارواح فلا دليل على تاخره عما ذكر
بل الظاهر من بعض الاحاديث تقدمه عليه والعطف باداة التعقيب لانه متصل بما عطف
عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقي ثم يميتكم عند انقضاء اجالكم ثم يحييكم بالنشور
يوم ينفخ في الصور او للسؤال في القبور اذ لا بناسبه التنزيل منزلة البديهي في الظهور ثم اليه
ترجعون بعد الحشر ليجازيكم باعمالكم او تنشرون اليه من قبوركم للحساب وهذه الامور بعضها
معلوم بالضرورة وبعضها لوضوح ادلته النقلية جعل كالمعلوم بالبديهة لقوة التمكن من العلم
به هو الذي خلق لكم ما في الارض لاجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم ودينكم اما الاول فظاهر
واما الثاني فبالنظر فيه من عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم بمعنى ان الحكمة والمصلحة
في خلقه انتفاعكم وهذا لا ينافي التوقف في الانتفاع به على الرخصة من جهة الشرع حتى يكون
فيه دلالة على ان الاصل في الاشياء الاباحة ولا اختصاص في البعض ببعض لطاري بسبب بعض
العوارض حتى يحتاج الى ان يقال ان الحمل للكل على التوزيع فان المعتبر صلاحيته الانتفاع بالفعل
وايراد الضمير مبتدأ وبناء الذي عليه دون ايقاعه صفة لله يفيد التخصيص والتعظيم اي هو الخالق
لما ذكر دون غيره والمراد من الارض الجهة السفلية فما في الارض يتناول الارض وما فيها جميعا
نصب على الحال من ما في الارض وهو للمبالغة في التكثير لا للاستغراق كلفظ كل في قوله واوتيت من كل
شيء وفي قوله ثم كلي من كل الثمرات لان في الارض ما لا صلاحية فيه للانتفاع ولا مرو في عرض
الاعتبار لكونه مستورا عن النظر ثم استوى الى السماء الاستواء الاعتدال والاستقامة من
استوى العود اذا قام واعتدل واستوى اليه قصده قصدا مستويا لا اعوجاج فيه كالسهم
المرسل من غير ميل الى غيره وسواه عدله وقومه والاستواء طلب السواء واطلاقه على الاعتدال

لما فيه من تسوية وضع الاجزاء ولا يمكن حمله عليه لانه من خواص الاجسام وقيل استوى اليه بمعنى استولى عليه وملك قال قد استوى بشر على العراق والاول اوفق للاصل والتسوية المرتبة عليه والمراد من السماء هذه الاجرام العلوية او جهات العلو فسويهن سبع سماوات من ضمير جهم فسره سبع سماوات بيانا له وقيل راجع الى السماء لانه في معنى الجنس وسبع سموات حال وقيل جمع سماوة والوجه الاول وقوله وهو بكل شيء عليم جملة اعتراضية وثم للتفاوت بين الخلقين وبيان فضل خلق السماء على الارض مستعير من معنى التراخي لبعد خلق السماء من خلق الارض في المرتبة ولهذا عضده ورشحه بالابهام والتفسير ليفيد عظمته ورفعته في النفس ثم قواه بالجملة الاعتراضية لافادة ان مثل ذلك الخلق لا يكون الا عن علم تام بالغ فوق كل ذي فهم يعني ثم انه مع خلق هذه الاشياء البديعة العجيبة اقدم على خلق ما هو ابدع منها واعجب وابعد من الوهم والقياس من غير ميل الى شيء غيره فلا يدل على تاخر خلق السماء عن الارض بالزمان بل على شدة تباينهما وتفاضلهما واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة اذ ظرف نصب باضمار اذكر فيكون عطفا على قوله وبشر على الوجه الذي جعل عطف قصة وما تخلل ليس باجنبي بل من تمام القصة واحسن منه لقرب ماخذه وصحته على الاوجه ان يقدر فتدبر اذكروا بعد قوله والله بكل شيء عليم ويكون واذكر عطفا عليه ولما كان هذا من اجل النعم على نوع البشر ومن ادل الدليل على عناية البارى تعالى بشان هذا النوع كان العطف عقيب تعداد النعم مناسبا كانه قيل فتدبر ذلك واذكر هذه النعمة خاصة فان فيها بلاغا لمن تذكر ويجوز ان ينتصب بقالوا و ح ينبغي ان يكون عطف قصة على قصة متقدمة من قوله كيف تكفرون او من قوله ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا وقد سبق انها قصة واحدة في المساق والغرض وانه لا يجب مراعاة الخبر والطلب في هذا الضرب والملائكة جمع ملاك على الاصل كالشمائل في جمع شمال والحاق التاء لتانيث الجمع كما في الصيادلة في جمع صيدل والخليفة فعيلة بمعنى الفاعل من خلف غيره اذا قام مقامه والتاء فيه للمبالغة وفي الارض خليفة كانا في الاصل مبتدا وخبرا انتصبا بمفعولي جاعل من جعل المتعدي الى مفعولين بمعنى صير والمعنى اني جاعل في الارض خليفة مني اي من يخلفني ويقوم بامري في الارض وقيل منكم اي من يخلفكم ويسكن مكانكم لانهم كانوا قبل ادم سكان الارض فخلفهم فيها ادم وذريته واستغنى بذكر ادم عن ذكر ذريته كما يستغني بذكر ابي القبيلة عنها في قولك مضر وهاشم واريد به الجنس اي من يخلفكم وانما اخبرهم بذلك ليعرفوا سؤالهم وجوابه حكمة الله تعالى في قوله اني اعلم ما لا تعلمون اذ الملائكة تطلع على تفاصيل وجوده وخواص قواه من الافساد في الارض وسفك الدماء المختصين بالقوى الشهوانية والغضبية ولا تطلع على خواص الهيئة الاجتماعية وعلى خواص ما فوق اطوارهم من المعارف والاسرار الالهية او قاسوا الانس على الجن حيث

اسكنوا الارض قبل الملائكة فافسدوا فيها ولذلك استبعدوه وتعجبوا منه وليس فيه تعليم المشورة لانه ليس بطريق المشورة قال الراغب ليس قوله اني جاعل في الارض خليفة على سبيل الاستشارة فان المستشار استمداد في العلم من المستشار والله منزه عن ذلك وانما هو اعلام كاعلامه بانا كثيرا من الكائنات لمصلحة تما ولا البشارة بوجود المجعول لانها انما تكون بالخبر السار والعبد المذكور معهود ههنا على ما يفصح عنه قولهم ونحن نسبح الخ قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء لما كان قول الملائكة مع عصمتهم ظاهره الاعتراض تاوله العلماء على وجوه منها عندي انهم كانوا حين الخطاب لهم مجملين وابليس مندرج في جملتهم فورد منهم الجواب مجملا فلما انفصل ابليس عن جملتهم باباته واستكباره انفصل الجواب الى نوعين فنوع الاعتراض كان عن ابليس ونوع التقديس والتسبيح كان من الملائكة فانقسم الجواب الى قسمين كانقسام الجنس اليهما وناسب كل جواب لمن ظهر عنه كان الظاهر المطابق للخطاب لتسابق ان يقولوا اتجعل فيها خليفة من يفسد وانما عدلوا عنه الى ما ذكر صرفا للتعجب الى جعل المفسد وخلفه في الارض مع قطع النظر عن معنى الخلافة يعني ان وجودهم فيها محل استبعاد فاني يكونهم خليفة ويحتمل ان يكون القصد تجريد التعجب عن شوب التعصب فان في ذكرهم بوصف الخلافة تعرضا لما هو مطمح نظرهم واما قصدا لاستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة التي بهرت تلك المفاسد والاستخبار عما يرشدهم ويزيح شبهتهم كسؤال المتعلم معلمه فيما فيه وما في توصيفهم انفسهم بالتسبيح والتقديس من التعريض وما في قوله تعالى اني اعلم ما لا تعلمون من عدم البيان لما اشتبه عليهم لا يناسبه من يفسد احد مفعولي يجعل والثاني فيها وانه قدم للاهتمام وفي تكريره فيها تنبيه على ان ما كان محلا للعبادة لا يناسب ان يكون محلا للفساد والسفك والسبك والسفح والسن والشن والصب متقاربة وبينها فروق فالصب اعم من هذه الالفاظ والسفك يقال في الدم والدمع والسبك في الجواهر المذابة والسفح في الصب من اعلا والشن والسن للصب عن القربة ونحوها ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك الواو في ونحن للحال كما تقول اتحسن الى فلان وانا احق منه بالاحسان وقوله بحمدك في محل الحال اي ملتبسين بحمدك بمعنى حامدين لك والتسبيح تنزيه الله تعالى من النقص والسوء قولا واعتقادا واصله من السبح وهو سرعة الذهاب في الماء واستعير لمر النجوم في الفلك ولجري الفرس وقال تعالى ان لك في النهار سبحا طويلا اي سعة ذهاب وسبحته عن كذا اي نزهته والتقديس التطهير من قدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد ثم استعمل في التطهير لان مطهر الشيء مبعده عن الاقذار ومعنى نقدس لك نقدسك واللام مزيدة وقيل نقدس نفوسنا لاجلك كانهم قابلوا الفساد بالتسبيح وسفك الدماء بتطهير النفس وليس ذلك اظهارا للمنة بل هو على حسب

مجتهد يجب ان يفوض صاحبه اليه خدمة ما فيقول تأمر الخدمة بغيري وانا مجتهد بها وعلى ذلك قولهم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وقال تعالى في جوابهم اني اعلم ما لا تعلمون فعرض ولم يصرح منها لهم بفضيلة الانسان وما خصوا به من العلم والعمل اللذين يقصر الملك عنهما عيانا ومشاهدة وانما ابهم بيان استحقاقه فيه ليترقوا بالفتوة ويعرفوا ان له وراء علمهم علما هم عنه محجوبون وكفى العباد علمهم بذلك ليزدادوا تخضعا له ويتبينوا نقصهم وكمالهم ثم بين لهم بعضه فيما بعد ليعظم عندهم وقعه فيخضعوا له ويسلموا ويعترفوا بنقصهم ويليق تشكيهم هنا جملة محذوفة يتم بها المعنى ويصح العطف وتقديرها فجعل في الارض خليفة وسماه ادم قالوا والمذكورة فصيحة وعلم ادم الاسماء كلها التعليم حقيقة فعل يترتب عليه العلم ولا يتخلف عنه وقد يطلق مجازا على الفعل متذمنا العلم وهو الذي يترتب عليه العلم غالبا وقد يتخلف عنه وهو المراد في قولهم علمته فلم يتعلم ومعنى تعليم الاسماء انه اراه اجناس المخلوقات وبين ان هذا اسمه فرس وان هذا اسمه بقر على ان المراد من الاسماء الالفاظ الموضوعة للمعاني مفردة كانت او مركبة مخبرا عنها او خبرا او رابطة بينهما او بين ان هذا للركوب وهذا للحرث على ان المراد منها سمات الاشياء وخصايصها ولا علم لنا بطريق تعليمه تعالى ادم الاسماء واعلم انهم بعدما اتفقوا على ان دلالة الالفاظ وضعية اختلفوا في تعيين الواضع فذهب قوم الى انه هو الناس وسمي هذا المذهب مذهب الاصطلاح وبعضهم الى التوزيع اي بعضه توقيفي وبعضه اصطلاحي وذهب بعضهم الى انه هو الله تعالى ويسمى هذا المذهب مذهب التوقيف وبعضهم توقف فان كان النزاع في الظهور لا في القطع فالظاهر من الآية المذكورة هو الاول وعلى المذهب الثاني لا يلزم من الحاجة الى سابقة اصطلاح التسلسل اذ يجوز ان يعرف لقدر المحتاج اليه في الاصطلاح بالترديد والقراين كما يعرف الاطفال والله اعلم بحقيقة الحال وادم وزنه فاعل كآزر وعازر وشالخ وفالغ ان كان عجميا وافعل على انه مشتق من اديم الارض ان كان عربيا قال الجواليقي في المعرب اسماء الانبياء كلها اعجمية الا اربعة اسماء وهي آدم وصالح وشعيب ومحمد عليهم الصلوة والسلام وقد صح عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال انما سمي ادم لانه خلق من اديم الارض اخرجه ابن جرير وابن ابي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في الاسماء والصفات وورد مثله عن علي رض وابن مسعود رض اخرجه ابن جرير واديم الارض ظاهر وجهها وقرئ علم على البناء للمفعول ورفع ادم ومنع الصرف للعلمية والعجمة او وزن الفعل ثم عرضهم على الملئكة الضمير للمسميات المدلول عليها كما في قوله تعالى ولا بوية ان كان الاول واللام في الاسماء للجنس او المقدرة ان كان التعريف باللام عوضا عن التعريف بالمضاف اليه على ان المراد اسماء المسميات كما في قوله تعالى واشتعل الراس وانما ذكر الضمير للتغليب

فان فيه المسميات العقلاء ولفظة ثم للدلالة على تاخير العرض عن التعليم وذلك ليتحقق ويظهر فضل ادم وجهة احقيته للخلافة وقت قوله تعالى ان كنتم صادقين فانه يدل على انهم غير صادقين في زعمهم انهم احقاء للخلافة وذلك بثبوت فضل آدم في ذلك الوقت فقال انبؤني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين الانباء اخبار فيه علم ولذلك اجري مجرى كل واحد منها فقيل انبانه بكذا كقولك خبرته بكذا وانبانه كذا كقولك اعلمته كذا ولما كان المراد هنا معنى الاخبار قال باسماء ثم انه لا يقال نبا الا لخبر فيه خطر ففي عبارة الانباء تعظيم لشان علم الاسماء وانما استنباهم للتبكيت الرد عليهم فيما اظهروا من عدم استحقاقه للخلافة وما ابطنوا عنا ولو نبههم بذلك لا للتكليف لانه من باب التكليف بالمحال لانه معلق بل لان التعليق المذكور لا يناسب التكليف وجواب الشرط في ان كنتم محذوف دل عليه انبؤني فان قيل الصدق انما يتعلق بالخبر وهم استخبروا ولم يخبروا فكيف يصدقون او يكذبون قلت الصدق والكذب وان كانا لا يتعلقان بالاستخبار بالقصد الاول ومن حيث المنطوق فقد يتعلقان بالقصد الثاني ومن حيث المفهوم وذلك اذا كان الاستخبار على وجه يفهم منه معنى الخبر وقد نبهت فيما تقدم ان الامر فيما نحن فيه كذلك فان سياق كلامهم لما كان كاشفا عن زعمهم انهم احقاء بالخلافة كان استخبارهم متضمنا لمعنى الخبر فان قلت اليس زعمهم المذكور فاسدا متضمنا لتجويزهم صدور ما يخالف الحكمة عن الله تعالى وشان الملئكة اعلى من ذلك لانهم عباد مكرمون لا يسبقونه وهم بامره يعملون قلت الآن قوي الاشكال وقد قدمنا الاشارة الى وجه الانحلال بارجاع زعمهم المذكور الى ابليس والله اعلم قالوا سبحانك تنزيه منهم له تعالى عن فعل لا مصلحة فيه ولا حكمة اي ننزهك عن فعل ما يمكن ان يكون اصلح منه تركا واشعار بان سؤالهم كان استفسارا محضا فلا يناسب المقام لما فيه من التلبيس ولانه مردود بقوله تعالى ان كنتم صادقين على ما نقف عليه باذن الله وسبحان من المصادر اللازم حذف فعلها سماعا وهو علم التسبيح يجري ذكره مجرى ذكر الفعل اي نسبحك تسبيحا لا علم لنا الا ما علمتنا اعتراف منهم بالنقص ولزوم الحد اي لا يمكننا الاكتساب والترقي ولما كان قولهم لا علم لنا الا ما علمتنا من باب الشكر افادت الآية ان العبد ما ينبغي له ان يغفل عن نقصانه وعن فضل الله تعالى واحسانه وفي وجه هذا الجواب من الحسن ما يبهر الالباب حيث قدموا بين يديه تنزيها لله تعالى ثم اعترفوا بالجهل ثم نسبوا العلم لله تعالى واردفوا صفة العلم بصفة الحكمة اذ بان لهم وصف الحكمة في قوله اني جاعل في الارض خليفة وقدموا وصف العلم لان الذي ظهرت به المزية لادم هو العلم ولان الحكمة من آثاره انك انت العليم الحكيم سلب للعلم والحكمة عن انفسهم بقصرهما عليه وانما قصروهما عليه بتوسط الضمير وايراد اللام وصدروا الجملة بان التوكيدية الرافع للشك والانكار لايهام كلامهم بانتفاء

آدم على خلاف مقتضى العلم والحكمة ودعواهم العلم لانفسهم وشكهم في استخلافه و
انكاره لمزيته عليهم فرجعوا عن ذلك واقروا بان مهية العلم والحكمة مخصوصة به
دون غيره وانه محقق عندهم والحكيم فعيل بمعنى مفعل اى محكم لمبدعاته وذلك
لانه لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة قال يا آدم انبئهم باسمائهم ناداه باسمه العلم وكذا
سائر الانبياء عليهم السلام وهو خطاب تعريف ونادى محمدا عليه الصلوة والسلام
بيا ايها النبي وبيا ايها الرسول وهو خطاب تشريف فانظر تفاوت ما بين الندائين
وقال تعالى انبئهم فجعل من اعترضوا به معلما لهم ومنبئهم بما تقاصرت علومهم عنه
ليظهر بذلك فضله عليهم فلما انبأهم باسمائهم بين هذه الجملة والتي قبلها جملة محذوفة
تقديرها فانبأهم فالفاء المذكورة فصيحة اى خبرهم بها وعلموا فضله فظهر صحة عجزهم
وقصورهم قال الم اقل لكم انكار داخل على النفي فيفيد التقرير لان نفي النفي اثبات انى اعلم
غيب السموات والارض استحضار لقولهم اعلم ما لا تعلمون لكنه جاء به على وجه البسط ليكون
كالحجة عليه واضافة غيب بمعنى في كضرب اليوم اى ما غاب في السموات والارض والغيب ههنا
ما خفي عنهم منهما وفي الاصل ما غاب عن الحس اى الغائب المقابل للشهادة بمعنى المشاهد واعلم
ما تبدون وما كنتم تكتمون عطف على الم اقل لا على اعلم لانه ما كان مقولا لهم في قوله انى
اعلم ما لا تعلمون فهو مقول لذلك ويجوز ان يكون واو الحال والمراد بما تبدون ما صدر عنهم
من التصريح والتلويح فينتظم ما تعرضوا له بطريق التعريض وبما تكتمون ما اسره ابليس من
الكبر والعصيان فهو من قبيل خطاب بفعل الواحد منهم كما في قوله تعالى فعقروه واعلم ان في
هذه الآيات دلالة على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وانه شرط في الخلافة
بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاشتهاره
فيمن يحترف بالتعليم وان لم يكن مختصا به على ما يفصح عنه تلقيب الفارابي بالمعلم الثاني واذ قلنا
للملائكة نظمه بما قبله من حيث ان في اول هذه الآية كشف ما اجمل في ختم تلك الآية مما نسب اليهم
من كتمان ابليس من الكبر والعصيان واذ هذه عطف على التي قبلها ان نصبتها باضمار اذكروا
ان نصبتها بقالوا فهذه منصوبة باذكر مقدرة والواو عاطفة الجملة على الجملة ولك ان
تقول ان العامل محذوف تقديره انقادوا فسجدوا لان السجود كان ناشئا عن الانقياد
وفي قلنا خروج عن الضمير المتكلم المفرد الى ضمير الجمع لان التعظيم من حيث انه ادعى للامتثال
الامر من غير بطء يناسب المقام اسجدوا لآدم فيه ايجاز ونقل الامر التعليقي الى صورة التنجيز
اعتبار للحاصل على ما دل عليه قوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين
فانه صريح في ان الامر بالسجود كان قبل تسوية خلق آدم عليه السلام فلم يكن امرهم
بالسجود مرتبا على انبائهم بالاسماء بل على ظهور شأن نفخ الروح في قالب آدم عليه السلام

لم يصح ان يكون ذلك اعترافا بفضله واداء لحقه واعتذارا عما قالوا فيه قال ابو عمرو يقال
سجد اذا طاطا رأسه وانحنى فالسجود التطامن مع خفض الرأس وبه يفارق الركوع
واما التذلل فاعتباره في مفهومه العرفي دون اللغوي وقد جاء في المثل اسجد لمن هو هد
وليس في سجوده تذلل وفي الشرع وضع الجبهة على الارض ولا يلزم ان يكون على قصد العبادة
فان صلوة المرائي حقيقة وليست على قصد العبادة والسجود المأمور كانت على سبيل التحية
كسجود اخوة يوسف عم له وكون السجود لله تعالى على ان يكون آدم عم قبلة يرده قوله
تعالى نقلا عن ابليس أأسجد لمن خلقت طينا لان الاعتراض بكونه طينا انما يتجه ان لو
كان مسجودا حقيقة لا قبلة للسجدة كالكعبة شرفها الله تعالى قال الامام ابو منصور فيه دليل
على ان الكتاب ينسخ بالسنة فان جواز السجود لغير الله تعالى ثبت بقصة آدم ثم نسخ ذلك
بالخبر وقيل هو بيان استغنائه عن عبادتهم اياه وانكاره عليهم قولهم ونحن نسبح بحمدك
ونقدس لك فقال لهم لا حاجة لي الى عبادتكم وخدمتكم فاخدموا عبدا من عبادي لم يخدمني
كثير خدمة فسجدوا وعن وهب قال اول من سجد جبرئيل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم
سائر الملائكة وكان ذلك لما نفخ فيه الروح من غير تأخير لقوله عز وجل فقعوا له ساجدين
فان الفاء للتعقيب بلا تراخ الا ابليس ابى واستكبر استثناء متصل لانه من جنس الملائكة
ولا ينافيه قوله وكان من الجن لان صنفا منهم يطلق عليه الجن على ما دل عليه قوله وجعلوا بينه
وبين الجنة نسبا ولانه كان جنيا واحدا بين اظهر الالوف من الملائكة مغمورا بهم فغلبوا عليه
في قوله الملائكة ثم استثنى منهم استثناء واحد منهم لما في قوله تعالى استكبرت ام كنت من العالين
دلالة على ان تناول الامر اياه بطريق الدلالة لان المعنى امرك دائر بين ان يكون ادنى من المأمورين
بالسجود فيتناولك الامر دلالة فيلزم الاستكبار او اعلى منهم فتكون من زمرة العالين الذين
لم يتناولهم الامر بل الى تقدير الكلام فسجدوا والمأمورون به تبعا الا ابليس فانه امتنع عن
السجود واستعظم نفسه رفعها عن جنس المأمورين تبعا وهذا ما قيل ان الجن ايضا كانوا
مأمورين مع الملائكة الا انه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم لانه اذا علم ان الاكابر مأمورون
بالتذلل لاحد علم ان الاصاغر ايضا مأمورون به ويبنى هذا على ان يرجع الضمير في فسجدوا
الى القبيلين لان قوله فسجدوا هنا في موضع فسجد الملائكة في آيات اخر وامتنع ابليس من الصرف
للعلمية والعجمة ومن جعله مشتقا من الابلاس بمعنى الياس قال وشبه العجمة لكونه لم يتسم به
احد من العرب فصار خاصا بمن اطلقه الله تعالى عليه فكانه دخيل في لسانهم وهو علم مرتجل
والاباء امتناع باختيار والتكبر ان يرى الرجل نفسه اكبر من شأنه والاستكبار طلب ذلك بالتشبع
فهو من افعال القلوب وانما قدم الاباء عليه وان كان ادل لان مفهوم الاستثناء وهو عدم
صدور السجود عنه ناش عن ابائه واباؤه ناش عن استكباره فروعي هذا الترتيب واستوقف

في ابى لانه موضع سوال لاحتمال ان يكون ترك السجود لعذر دون استكبار لظهور
الامتناع بالاختيار امر فيه تذلل لا يكون الا عن الاستكبار وكان استكباره متنبا عن
كفره الاصلي ولهذا ذيله بالجملة الاعتراضية للتعليل وهو قوله وكان من الكافرين اى كان
اصله من كفرة الجن فلذلك ارتكب المعصية على ما افصح عنه قوله تعالى كان من الجن ففسق
عن امر ربه قيل اى صار منهم باستقباحه امر الله تعالى ولو كان المعنى هذا لقيل فكان
من الكافرين وقلنا يا ادم عطف على اذ قلنا له على قلنا وفائدة النداء تنبيه المامور
لما يلقى اليه من الامر اسكن من السكنى اى اتخذها مسكنا ولهذا ذكر متعلقه بدون
في لا من السكون بمعنى ترك الحركة وان كان ذلك في الحقيقة راجعا الى السكون لانه نوع
من اللبث والاستقرار انت وزوجك معطوف على الضمير المستكن في اسكن المؤكد
بانت والفصل بالتاكيد لتصحيح الوصل على سبيل التغليب شعارا بدنو رتبتها و
تبعيتها وكان فيه توطئة للاكتفاء بذكره في قوله فتاب عليه الجنة اللام للعهد و
المعهود دار الثواب لا غير وكلاهما عدل هاهنا عن اسلوب التغليب تنبيها على ان تبعيتها
لزوجها في السكنى دون الاكل رغدا وصف للمصدر اى اكلا رغدا والرغد العيش
الدار الهنى الذى لا عناء فيه وقال الليث الرغد ان ياكل ما شاء اذا شاء حيث شاء حيث
شئتما حيث للمكان المبهم اى اى مكان من الجنة شئتما ومحل حيث مضافا الى الجملة النصب
على الظرفية علقه بالاكل مع ظهور تعلقه بالسكنى لان اباحة الاكل من اى مكان كان و
في اى وقت كان مستلزمة لاباحة السكنى فيه بحسب العادة بدون العكس انما اطلق لهما
الاكل من الجنة حيث شاء ومتى اراد مع سعتها وكثرة اشجارها ولم يتقيد بوقت ولا موضع
ولا اكل مخصوص بشئ دون شئ كيلا يبقى لها عذر في التناول من شجرة واحدة نهى عنها
تلك المبالغة ولا تقربا هذه الشجرة نهى عن الاكل منها بطريق الكناية مبالغة فلا نهى عن
القرب منها وقد افصح عن هذا قوله ما نهيكما عن هذه الشجرة حيث اشار بما يشار به الى
القريب ثم انه لم يقل عن القرب من هذه الشجرة والشجرة نعت وعطف بيان واختلفوا في
تعيينها وقال ابن جرير والاولى ان لا تعين لان العلم بها علم لا ينفع والجهل بها جهل لا يضر
ولك ان تقول في التعيين بانها الكرمة كما ذهب اليه بعضهم فائدة الاشارة الى ان الخمر
ام الخبائث لان اصلها هو الذى كان السبب في الخروج من الجنة اولا فيجب الاجتناب
عنها لئلا يكون مانعا من العود اليها فتكونا مجزوم عطف على تقربا او منصوب
بتقدير ان جوابا للنهى والفاء يفيد السببية سواء جعلته للعطف على النهى او الجواب
له وفي جعله سببا للكون المذكور مبالغة اخرى في تاكيد النهى من الظالمين انفسهم
بنقص لعصيانا وحطها عن درجة القرب والكرامات الى مهول الحرمان والهوان

والظالم ابلغ من الذى ظلم فهذه ايضا مبالغة فازلهما الشيطان اى حملهما على الزلة
والضمير في عنها للشجرة اى بسببها وتحقيقه اصدر الشيطان زلتهما عنها وعن هذه
مثلها في قوله وما فعلته عن امرى قيل يجوز ان يكون الضمير للجنة اى اذهبهما عنها و
ابعدهما من زل اذا ذهب يقال زلت عن الشهر كذا اذا ذهبت ويابا قراءة حمزة
فازالهما اذ على هذه القراءة لا يكون الا للجنة والفرق بينهما ان ازل من الزلل وهو عثور
القدم وازال من الزوال وهو التنحية ويقوى هذه القراءة انهما امرا بالثبات والاستقرار
في الجنة فناسب ان يقال بعد ذلك فازالهما الشيطان بالمعصية عن المكان الذى امرا بالثبات
فيه على وجه الطاعة وازاله بقوله هل ادلك على شجرة وملك لا يبلى وقوله ما نهيكما ربكما
عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وقاسمهما انهما بقوله انى لكما
لمن الناصحين وهذا صريح في ان القائه اليهما كان مشافهة لا على طريق الوسوسة و
هو قول ابن عباس وابن مسعود رض وجمهور العلماء واختلف في كيفية توصله الى ازلالهما
بعدما قيل اخرج منها فانك رجيم فقيل انه منع من الدخول على جهة التقريب والتكرمة
كدخول الملائكة ولم يمنع من الدخول على جهة الوسوسة ابتلاء لادم وحواء وقيل قام عند
الباب فناداهما ويرده قوله تعالى فوسوس لهما الشيطان لان الوسوسة لا تجامع النداء
وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما ورجح هذا الوجه بانهما يعرفانه ويعرفان ما عنده
من العداوة والحسد فيستحيل في العادة ان يقبلا قوله ويرده قوله تعالى الم انهكما الى
قوله ان الشيطان لكما عدو مبين لانه صريح في مباشرة الشيطان للازلال والله اعلم بكيفية
الحال فاخرجهما مما كانا فيه من النعيم والكرامة والابهام للتفخيم اى مما لا يدخل تحت
الوصف ومن الجنة ان خص الضمير في عنها بالشجرة والاسناد هنا وفيما تقدم مجازي
لان الفاعل في الحقيقة هو الله تعالى والشيطان سبب عادى وقلنا اهبطوا هبط
لازم ومتعد ومصدر المتعدى الهبط ومصدر اللازم الهبوط وهو النزول من
علو الى سفل والخطاب لادم وحواء لقوله تعالى في موضع اخر قال اهبطا منها جميعا والخطاب
بكونهما على ما تعق عليه فلا مجال للتعدد فلا وجه لما قيل المراد هما وابليس وكذا لما قيل
هما المراد وذريتهما لان ما وضع لخطاب المشافهة لا ينتظم المعدوم حال الخطاب لا حقيقة
ولا دلالة خلافا للحنابلة انما جمع الضمير هنا رعاية لشانهما كما في قوله وكنا لحكمهم شاهدين
بعضكم لبعض عدو جملة في محل النصب بالحال استغنى بالضمير عن الواو اى متعادين
والمعاداة فقدان الملاءمة والموافقة ومنه قيل لكان ذو عدوا وقوم عدى للاعداء
والغرباء لما بينهم من فقدان الملاءمة وذلك بين الرجل والمراة كثير في الخلق والخلق حتى ان
عامة ما يحمد من اخلاق الرجال يذم من المراة وليس الامر بخلافها حتى يلزم الاذن في المعاداة

بناء على ان الحال قيد والامر بالمقيد يتناول القيد ولكم في الارض مستقر اما حال
بواسطها بالواو واما عطف عليها والمستقر اما موضع استقرار او استقرار والقرار هو
السكون عن برودة ولما كان من شان البرودة السكون ومن شان الحرارة الحركة قيل
في الساكن برد وفي المتحرك اشتعل والتهب حتى يشبه الشريع بنار متقدة والساكن بماء
جامد ومتاع الى حين المتاع انتفاع ممتد الوقت ومنه قيل متعه الله بكذا والمراد من الحين
وقت الحين اذ لا انتفاع تمتع بعده وجعل ابتداء يوم القيمة من الموت تكلف مستغنى عنه
وكذا جعل السكنى في القبر تمتعا في الارض فتلقى آدم من ربه كلمات التلقي كالتلقف الا
ان التلقي يقتضي استقبال الكلام وتصوره والتلقي يقتضي الحذف في تناوله والتلقف
يقاربه لكن يقتضي احتيالا في التناول وصيغة التفعل للتكلف اي تكلف في لقائها بالجهد
في التنصل والتوجه وعلى قراءة النصب في آدم والرفع في كلمات تكلفت الكلمات في الوصول
اليه ليكون تزكيته وتصفية قلبه بالتوبة متدرجا وفي اسناد التلقي الى الكلمات مجاز شبه
تنزلهما على التدرج بالتكلف في النزول اليه وحاصل المعنى استقبلها بالقبول و
العمل او استقبلته بالبلوغ والوصول اليه واختلف في المراد بالكلمات واكثر المفسرين
على انها قوله قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين
وقيل غيره واصل الكلمة الكلم وهو التاثير المدرك باحدى الحاستين السمع والبصر
والكلام بحاسة البصر فكلمة جرحته جراحة بان اثرها ذكره الراغب والتضمن
البناء في قوله فتلقى معنى التوبة قال فتاب عليه ضمنا اباه معنى العطف اي فرجع
متعطفا عليه بالقبول والرحمة بعد اعراضه واخبر عنه وحده لانه هو المواجه بالامر
والنهي ومن تابعة له اوطوى ذكرها كما طوى في قوله وعصى آدم ربه فغوى وطي ذكر
النساء في القرآن والحديث كثير انه هو التواب الرحيم الرجاع على عباده بالمغفرة واصل التوبة
الرجوع وتوبة العبد رجوعه الى ربه من ذنبه وتمامها من العبد بالندم على ما كان
وترك الذنب الآن والعزم على ان لا يعود اليه في مستانف الزمان وفي المظالم
لا بد مع ذلك من ارضاء الخصم الرحيم المبالغ في الرحمة يرحم التائب فيغفر حوبته
ويقبل توبته قلنا اهبطوا منها جميعا كرر هذا لان الاول من الجنة الى سماء الدنيا
والثاني منها الى الارض لا ترد دو بقوله ولكم في الارض مستقر ولا لاختلاف المقصود
حيث دل الاول على ان هبوطهم الى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون والثاني اشعر
بانهم اهبطوا للتكليف لان ما ذكر لا يقتضي التكرار فان الدلالتين المذكورتين يمكن ان
يجتمعا بل للتعليق الزيادة به في قوله فاما ياتينكم مني هدى ليدل على ان هذا الهبوط
مسبوق برحمة اي رحمة ولهذا اورد ما التاكيد الملازمة والتزم التقوية بزيادة النون

في الشرط وانما اورد كلمة الشك مع ان اتيان الهدى محقق عنده نظرا الى انه محتمل في نفسه غير واجب
عقلا وفي هذا النظر اظهار لما فيه من جهة التفضل والاحسان فلذلك حسن جميعا حال في اللفظ تاكيد
في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي اجتماعهم على الهبوط في زمان واحد
كقولك جاؤا جميعا فمن تبع هداي من شرطية ويجوز ان يكون موصولة وبعض ابنائه الموصول
في قسمه ودخول الفاء على الجملة الخبرية جائز منها جعل الهدى بمنزلة الامام المتبع المقتدى به وفي
اضافته اليه من التعظيم ما لا يكون لو اتى معرفا باللام وان كان ذلك سبيل ما يكون نكرة ثم يعاد وجواب
فاما ياتينكم فمن تبع فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون اي فلا خوف عليهم من الضلالة في الدنيا ومن
الشقاوة في العقبى قال تعالى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى وقدم انتفاء الخوف على انتفاء الحزن
لان انتفاء الخوف فيما هو آت اكثر من انتفاء الحزن على ما فات ولذلك ابرزت جملة مصدرة بالنكرة التي
هي دخل في باب النفي وابرزت الثانية مصدرة بالمعرفة وفيها اشارة الى اختصاصهم بانتفاء الحزن
والى غيرهم يحزن والذين كفروا وكذبوا باياتنا عطف على من تبع هداي الى قسيم له وهو ابلغ من قوله
ومن لم يتبع هداي وان كان ظاهر التقسيم يقتضيه لان نفي الشيء قد يكون لعدم القابلية في المحل فابرز
القسيم في صورة ثبوتية مزيلة لهذا الاحتمال وانما ذكر الصفتين ومعناهما واحد تقرير القبائح
وتكرار الفضائح كما قال واضل فرعون وما هدى والآيات العلامات الدالة على وحدانية الله
تعالى وصفاته من الكتب المنزلة وغير ذلك وسميت آية القرآن بها لانها علامة لانقطاع كلام عن كلام
وانفصاله وقيل سميت آية لانها جماعة حروف من القرآن وطائفة من الكلام كما يقال خرج القوم
بآيتهم اي بجماعتهم اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون الاصطحاب الاجتماع مع طول اللبث اولئك
مبتدأ ويجوز ان يكون عطف بيان او بدلا فيكون اصحاب خبرا عن الذين وهم فيها خبر ثان او
تفسير لا متمسك للحشوية في هذه القصة على عدم عصمة الانبياء عليهم السلام لان مبناه على ان يكون
آدم عم نبيا وان يكون النهي تكليفيا وان لا يكون التوبة الا عن معصية وواحد منها
غير مسلم واما ما قيل انه اخطا في اجتهاده حيث ظن ان الاشارة المعين تلك الشجرة
فاكل غيرها من ذلك النوع وكان الاشارة الى النوع فمردود بقوله وما نهيكما ربكما عن
هذه الشجرة الآية لانه صريح في انه كان الازلال في المنهي عنه يا بني اسرائيل انتظامه بختم
قصة آدم عليه الصلوة والسلام انه وعد متبع الهدى بالجنة واوعد مخالفه بالنار و
حثهم في هذه الآية على الوفاء بعهده وهو الايمان به والطاعة له في عهدهم وهو
ادخال الجنة والخطاب لاولاد يعقوب عليه السلام فان اسرائيل لقبه معناه بالعبرانية
صفوة الله وقيل عبد الله ولم ينصرف للعجمة والعلمية واصل بني بنين جمع ابن سقطت
نونه للاضافة والبنون يطلق على الذكور والاناث من الاولاد اذا اجتمعوا والابن من البناء
وهو وضع الشيء شبه الاب بالاس والابن بما بني عليه اذكروا نعمتي اي من الذكر الذي

بسطه من اطلاق لفظ البنون على الاولاد الذكور والاناث

بمضموم الذال وهو بالقلب خاصة فالمراد الحفظ الذي يضاد النسيان امر بذكر النعم وكان
المطلوب القيام بشكرها ايماء الى انها من النعم الجسام التي لا مانع للعاقل عن القيام بشكرها
الا الغفلة عنها واختير تحريك الباء في نعمتي لانه لقيها الف ولام فلم يكن بد من اسقاطها او تحريكها
وكان التحريك اولى لانه ادل على الاصل واشكل بما يلزم اللام في الاستيناف من فتح الف الوصل و
اسكان الباء في قوله يا عبادي الذين اسرفوا اجود لان من حق ياء الاضافة ان لا يثبت في اللفظ
واذا لم يثبت فلا طريق الى تحريكها التي انعمت عليكم من السابقة واللاحقة والظاهرة والباطنة
والنعمة اسم للشيء المنعم به اضافها الى ذاته اولا ثم اسندها اليه تعظيما لها ثم قيدها بهم تحريكا
لهم وحثا لطباعهم المجبولة على حبها على القيام بشكرها واما ما قيل لان الانسان غيور حسود
بالطبع فاذا نظر الى ما انعم الله تعالى على غيره حمله الغيرة والحسد على الكفران والسخط فانما يصلح
وجها لعدم تقييدها بغيرهم وهو بمعزل عن هذا المقام لما عرفت ان المطلوب القيام بالشكر لا مجرد الذكر
واوفوا بعهدي الوفاء مراعاة العهد والغدر تضييعه كما ان الانجاز مراعاة الوعد والخلف
تضييعه فالوفاء والانجاز في الفعل كالصدق في القول والغدر والخلف كالكذب فيه واوفى
ابلغ من وفى كما ان اسقى ابلغ من سقى والعهد هو حفظ الشيء ومراعاته حالا فحالا فالحبل
اصله الاحتفاظ بالشيء واحداث العهد به وسمي الموثق عهدا للزوم مراعاته ويضاف الى المعاهد
والمعاهد وهنا اضيف الى المفعول اي اوفوا بعهدي في ان لا تؤثروا على غيري اوف بعهدكم
في ان لا امنع منكم خيري بخلافه تعالى بعهدهم هو ترتيب مجازاتهم وعدهم على ذلك وانما سماه
عهدا على سبيل المقابلة ابرزه في صورة المشروط الملتزم به وانجزام اوف على جواب الامر وقيل
ضمن الامر معنى الشرط فانجزم او نابت عن الشرط اذ حذفت جملته قولان ويجوز ان يكون مضافا
في الاول الى الفاعل اي اوفوا بعهدكم الذي قبلتم يوم الميثاق اوف بعهدكم الذي ضمنت لكم يوم
التلاق وقيل هو ما اخذ عليهم من العهد في كتابهم بالايمان برسولنا محمد عليه الصلوة و
السلام قال الله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه
واياي فارهبون من باب الاضمار على شريطة التفسير كقولك زيدا رهبته والفاء لتقدير الشرط
اي واياي ارهبوا ان كنتم رهبتم شيئا فارهبون وهو اوكد في افادة التخصيص من اياك
نعبد لتكرر الرهبة مضمرة ومظهرة وايقاعها على المفعول المرتب مع التقدم في الاولى واخراج
الكلام على الجملة الشرطية والرهبة خوف مع تحرز واضطراب والتقية الاحتراز اختيرت على
الخوف لان المقام مقام الحث على التحرز عن نقض العهد وحذف الياء من فارهبون لدلالة
الكسرة عليه وكونه الفواصل في وآمنوا بما انزلت اي بالقرآن الذي انزلته على محمد عليه الصلوة
والسلام مصدقا لما معكم من الكتب الالهية حيث نزل حسبما نعت فيها حال وذو الحال الضمير
في انزلت او الموصول ويحتمل ان يكون ما مصدرية والتقدير آمنوا بانزال مصدقا لما معكم

وفيه تنبيه على انه لا منافاة بين ما اتى به الانبياء عليهم السلام من اصول العبادات وانما الاختلاف
بينهم في جزئيات الاحكام وفروعها لخفاء ما يقتضيه مصلحة كل قوم وزمان فكل مصدق للآخر
فيما اتى به من حيث ان كليات شرائعهم متساوية وان فروعها حق بحسب الاضافة الى زمان كل واحد
منهم وامته حتى لو كان احدهم في زمن الآخر لا يرى المصلحة الا فيما اتى به الآخر واما قوله عليه الصلوة
والسلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي فليس وجهه هذا بل كونه عليه السلام مبعوثا الى كافة
الناس فلا يسع من في زمنه كائنا من كان الا اتباعه بخلاف سائر الانبياء عليهم السلام ولا تكونوا
اول كافر به لا مفهوم هنا لقوله اول فيكون قد ابيح لهم ثانيا او آخرا وانما ذكرت الاولية لانها
الفحش لما فيها من الابتداء بالكفر ولان المعنى لا تكونوا ائمة في الكفر فيقتدي بكم اتباعكم فتكونوا
حاملين لاوزارهم كما قال تعالى ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم
بغير علم فلا بد من القيد المذكور لافادته واضيف الى مفرد وان كان قبله جمع لان المفرد اذا كان
صفة جاز ان يطابق وان يفرد وقد جاء ذلك في قوله واذا هم طعموا فالام طاعم واذا هم جاعوا
فشر جياع افرد في طاعم وطابق في جياع وتاوله النحاة فقدره الفراء الام من طعم وقدره
غيره الام فريق طاعم والضمير في به للمنزل عليه ويجوز ان يكون لما معهم فان فيه نعته فالكفر
كفر بما يصدقه وعلى هذا ايضا لا يكون القيد المذكور على ظاهره لان مشركي العرب سبقوهم اليه
هذا بحسب جليل النظر واما الذي بحسب دقيقه فهو انه انما وحد الخبر عن ضمير الجمع لان حكمهم
لتساندهم واتفاقهم على دين واحد واتحادهم لذلك وللالفة فيما بينهم كان حكما واحدا كان
شخص واحد وعلى هذا ورد قوله تعالى فقولا انا رسول رب العالمين واول افعل لا فعل له
وزنته فعل واصلها وول او وءل او وال ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا استعير
الاشتراء للاستبدال والثمن القليل هو الرياسة التي كانت لهم في قومهم فاستبدلوا بآيات الله
تعالى لانهم خافوا فواتها لو آمنوا بمحمد عليه الصلوة والسلام وصدقوا كتابه وما اقلها
بالنسبة اليه قليل والهدى الذي كل كبير بالنسبة اليه صغير وكيف بالمتاع الدون اليسير فلا مفهوم
لقوله قليلا بل فيه التنبيه على خساسة انفسهم اذ يبدلون الشيء العظيم في تحصيل الشيء الحقير وانما ادخل
الثمن على الشيء مع انه ابلغ في التحقير للتنبيه على ان الحظوظ الدنيوية وسائل لا مقاصد والنعي
على تعاكس حالهم وافعالهم حيث جعلوا المثمن ثمنا والثمن مثمنا وفي كلمة الباء والاستعارة
التابع ذكرها وجه تقوية لهذا المعنى واياي فاتقون باتباع الحق والاعراض عن الباطل فصلت
الآية الاولى بالرهبة لان التحذير فيها عن الكفران ونقض العهد وهما من المعاصي وهذه الآية
بالاتقاء وهو فرط الصيانة لان التحذير فيها عن الكفر عقدا وعملا ولك ان تقول ان التقوى
فوق الرهبة فحيث ما خاطب العامة عالمهم ومقلدهم وحثهم على شكر النعمة التي يشتركون فيها
امرهم بالرهبة التي هي من مبادي التقوى وحيث ما خاطب العلماء منهم خاصة وحثهم على مراعاة

آيانه والتنبيه على ما يأتي به أولو العزم من الرسل أمرهم بالتقوى التي هي منتهى الطاعة ولا
تلبسوا الحق بالباطل عطف على ما قبله واللبس والستر أخوان وضد الستر الكشف وضد اللبس
الايضاح واللباس ما واريت به جسدك ومن جملة أسبابه الخلط وقد تقدم الكلام في الحق فأما
الباطل فالاثبات عند الفحص عنه والحق يناقضه وذلك عام في الاعتقاد والمقال والفعال
والباء صلة معناه الالصاق أي لا تخلطوا الحق بالباطل بأن تكتبوا في التوراة ما ليس منها أو للاستعانة
أي لا تجعلوه ملتبسا بسبب الباطل الذي تكتبونه فلا تنظر الى معنى الاختلاط كما لا نظر في الأول
الى معنى الاشتباه وتكتموا الحق بأن تغيروا نعت وصف محمد صلى الله عليه وسلم أو هذا الحكم في التوراة
فليس المراد من الحق في الموضعين شيئا واحدا وتكتموا جزم داخل تحت حكم النهي بمعنى ولا تكتموا أو
منصوب باضمار أن والواو بمعنى الجمع وحقيقته لا تكن منكم لبس الحق وكتمان الحق والقصد الى
أن ينعى عليهم سوء فعلهم الذي هو الجمع بين أمرين كل منهما مستقل بالقبح ووجوب الانتهاء عنه
ويجوز أن يكون المراد من الحق في الموضعين واحدا ويكون اعادة صريح الحق دون ضميره لانهم
يكررون أسماء الأجناس والأعلام كثيرا ولا سيما اذا قصدوا التفخيم صرح به الامام المرزوقي
والشيخ عبد القاهر وعلى ذلك ورد قوله تعالى وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وقوله قل هو الله
أحد الله الصمد ويجوز أن يكون النهي عن الجمع لأن الخلط بالباطل قد يكون لترويج الحق وسماعه
فان أسماع العوام يمجون عن الحق الصرف لأنه مر فخلط الباطل الحلو به لئلا ينبو عنه طبع
السامع ليس مما ينكر كل الانكار فان الضرر اليسير قد يتحمل للنفع الكثير ومثل هذه الرخصة ترغيبا
للمخاطب الى الاستماع من مقتضيات البلاغة وموجبات الخطابة ألا ترى قوله تعالى وإنا أو إياكم
لعلى هدى أو في ضلال مبين كيف سير فيه المقال على ابهام الحال واظهار التردد فيه توسعة لدائرة
الاحتمال وفي مصحف ابن مسعود رض وتكتمون وهو في موضع الرفع على حذف المبتدأ أي وأنتم
تكتمون وأنتم تعلمون في محل النصب بالحال أي في حال علمكم بذلك وبقبحه وانما قيد به لأن الجاهل
ربما يعتذر ويجعل عذرا فعلى هذا يكون الحذف اختصارا ورعاية للفاصلة ويجوز أن يكون نقضا
أي وأنتم من ذوي العلم ولا يناسب من كان عالما أن يكتم الحق ويلبسه بالباطل ففيه تعبير لهم بأنهم
يفعلون فعل الجهلاء وتذكير لما فيهم من صفة العلم وحث على العمل بمقتضاه وذلك داخل في قبول الحق
واسماعه من التقريبات الشديدة وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة التعريف فيهما للعهد والاشارة
الى الصلوة المعلومة والزكوة المعينة أو للجنس كقولهم هو الرجل كأن ما عدا صلوة المسلمين ليس بصلوة
وكذا الزكوة لكونهما غير مقبولين والزكوة من زكى الزرع اذا نمى فانها تثمر المال باستجلاب بركة
الله تعالى أمرهم بفروع الايمان بعدما أمرهم بأصوله فيحتمل أن يكون الأمر الثاني مشروطا بالامتثال
بالأول فلا يكون الآية حجة على المنكرين لكون الكفار مخاطبين بالفروع واركعوا مع الراكعين
أي في جماعتهم فان صلوة الجماعة تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من فضيلة

التقدمة وفضيلة الانتظار وقد تقرر في موضعه أن من أدرك الامام في الركوع فقد أدرك فضيلة
الجماعة والادراك فيما قبله ليس بشرط ولا عبرة للادراك فيما بعده وهذا هو السر في تخصيص الركوع
بالذكر وايثار عبارة مع على عبارة في وأما الاحتراز عن صلوة اليهود فلا حاجة اليه بعد ما ذكر
من الصلوة فيما تقدم صلوة المسلمين وأصل الركوع الانحناء قال صاحب العين كل شيء ينكب
لوجهه فتمس ركبته الأرض أو لا تمس بعد أن يطأطئ رأسه فهو راكع أتأمرون الناس بالبر
والبر التوسع في أفعال الخير واشتقاقه من البر الذي هو الفضاء الواسع ويتناول كل معروف
وتنسون أنفسكم وتتركونها من البر والنسيان بمعنى الترك ومنه النسي وما هو يسقط
في منازل المرتحلين من زوال المتعة بهم والهمزة للتقرير معناه أن الأمر الذي ورد عليه الاستفهام
مكشوف لا يمكن للمخاطب انكاره فلا بد يلجئ الى الاقرار والتعجيب من حالهم والتوبيخ على الجمع
بين الأمر بالبر وتركه في حق أنفسهم روي أنها نزلت في أحبار اليهود وكانوا يأمرون سرا من
نصحوه ولا يتبعوه وأنتم تتلون الكتاب يعني التوراة تبكيت بالحجة كقوله وأنتم تعلمون
وفي عبارة التلاوة اشارة الى وضوح ما في التوراة من النهي عن هذا الوصف الذميم بحيث
يقف عليه كل من يتلوه من أهل اللسان والتلاوة اتباع اللفظ اللفظ سواء تدبر المعنى أو لا
وفي الآية التحريض على تقديم العمل على القول والوعيد على مخالفة القول العمل والنعي على من يعظ
الغير ولا يتعظ بنفسه وكان المنكر تركهم أنفسهم لا أمرهم غيرهم بالمعروف الا أنه بدأ بالأمر
به ايماء الى أن ذلك الترك بلغ في الشناعة غاية خرج ما يقارنه من الفعل المندوب الى حيز
المستنكر وفيه من المبالغة في الانكار على سوء صنيعهم ما لا يخفى أفلا تعقلون توبيخ عظيم بالهمزة
وتوسيط الفاء أي تفعلون ذلك فلا تعقلون كأنكم مسلوبوا العقول فلا تفطنون لقبح ما
ترتكبون فتنتهون والعقل أصله المنع الشديد ومنه عقل البعير لمنعه اياه من الشرود ومنه
العقل للدية لأنها تمنع ولي المقتول عن قتل الجاني وفي ابتناء نفي العقل على نفي العلم نوع تأييد
لما قدمنا يعني أن المحتاج في ادراكه عند التلاوة انما هو العقل الجبلي لا الادراك المكتسب ولا
دلالة فيه على أن قبح هذه الأشياء عقلي بل دلالة على أنه شرعي حيث رتب التوبيخ على ما صدر
عنهم بعد تلاوة الكتاب والفاء للعطف كان الأصل تقديمها لكن الهمزة لها صدر الكلام فتقدمت
على الفاء وحكم الواو وثم في نحو أولم يسيروا أثم اذا ما وقع حكم الفاء واستعينوا أطلبوا
المعونة في دفع المكاره وجلب المنافع فالاختصار للتعميم بالصبر وهو حبس النفس على ما يكره
وقدمت الاستعانة بالصبر لتقدم تكاليف عظيمة يشق التزامها على من يألفها والصلوة
كان رسول الله عليه الصلوة والسلام اذا حزبه أمر فزع الى الصلوة وهي رافع منزلة من الصبر
لأنها تجمع ضروبا من الصبر اذ هي حبس الحواس على العبادة وحبس الخواطر والأفكار على الطاعة
بل نقول الأمر بالصبر تمهيد للأمر بالصلوة فان مرجع الجمع بينهما أن يصلوا صابرين على تكاليف

الصلوة محتملين لمشاقها وما يجب من اخلاص القلب بدفع الوساوس ومراعاة الآداب ولهذا
قال وانها وخصها برد الضمير اليها دون الصبر ولولا دفع الصبر تمهيدا لكان حق الصلوة
ان يعاد فيها حرف الباء الدالة اعادتها على الاصالة والجملة اعتراضية وقيل الصبر الصوم لانه
حبس عن المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر وعلى هذا رد الضمير الى الصلوة ليس بطريق
التخصيص بل بطريق الاكتفاء بالاعم او الاقدم كما في قوله تعالى والذين يكنزون الذهب
والفضة ولا ينفقونها وقوله تعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها فان الكناية في الاول
رد الى الفضة لانها الاغلب الاعم وفي الآخر الى التجارة لانها افضل واهم لكبيرة من كبر بمعنى
عظم تمثيل وتصوير لمعنى ثقلها وكونها شاقة على غير الخاشعين لا من كبر بمعنى ثقل وشق
حقيقة او مجازا الا على الخاشعين يعني لا يهون على احد الا على الخاشعين لانه استثناء مفرغ
من كلام موجب فلا بد من تاويل النفي والخشوع هيئة في النفس يظهر منها في الجوارح سكون
وتواضع وفيه اشارة الى ان الصلوة التي تخف على غير الخاشع مسماة باسمها وليست هي في
حكمها فان قيل هلا يلزم ان يكون ثواب غير الخاشع اكثر لما في الخبر ان اكثر الاعمال ثوابا
اشقها قلت لا يلزم ذلك لان مفهوم الخبر ان الاعمال المتساوية في استمال الاركان والشرائط
وساير ما يجب رعايته او يستحب اكثرها ثوابا اشقها الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم
لما كانت الملاقاة متعذرة الحمل على الحقيقة جعلت كناية عن رويته تعالى وهو الوجه
فيما يروى في الاخبار لقي الله تعالى وهو عليه غضبان والظن بمعنى العلم ويعضده ان في
مصحف ابن مسعود رضه يعلمون ولا يصار الى التضمين الا عند قيام القرينة اللفظية وهي
ذكرها يتعلق بالمضمن وهي مفقودة هنا وفي عبارة الظن اشارة الى انه يكفي في حصول
الخشوع الذي يزول به ثقل الصلوة ادنى مراتب الاعتقاد بملاقاته تعالى وقيل الملاقاة
ثوابه وح يكون الظن بمعنى التوقع لانه وان علم انه لا بد من ثواب وعقاب لكن من اين يعلم
ما يختم به عمله فلا بد من صرف الظن عن معنى العلم الى معنى التوقع اللازم له ويأباه قوله وانهم
اليه اي الى مشهد حكومته يوم العرض والسؤال راجعون اذ لا يناسبه معنى التوقع وتقدير
عامل اخر له خلاف الظاهر وانما ثقل على غيرهم لانهم لم يعتقدوا بالجزاء ولم يرجوا الثواب
فكانت في حقهم مشقة خالصة ولم تثقل عليهم لانهم اعتقدوا بلقاء الجزاء وتوقعوا ما ادخر
للصابرين على متاعبها فداوموا برغبة ونشاط وانشراح صدر واستلذوا بها ومن ثمة
قال رسول الله عليه الصلوة والسلام وجعلت قرة عيني في الصلوة يا بني اسرائيل اذكروا
نعمتي التي انعمت عليكم تكرير تمهيد التذكير نعمة التفضيل وقد جاء تفصيلها في قوله تعالى واذ
قال موسى يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا واتاكم ما لم يؤت
احدا من العالمين وذكر تلك النعمة على الاباء التزام الشكر على الابناء لانهم يتشرفون بشرفهم

ولذلك قال واني فضلتكم ولم يقل فضلت اباءكم والفضل الزيادة في الخير والجملة في محل
النصب معطوفة على معمولها تقدم اي اني انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين الظاهر
هو الاستغراق وقد خرج الى حيز النقض بقوله واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين ولا حاجة
الى الصرف الى الاستغراق العرفي بقرينة ان المتبادر من الموجود المعتبر في مفهوم العالم الموجود
بالفعل لعدم الدلالة فيه على التفضيل من كل جهة عموما ولا من جهة القرب والمكانة عند الله
تعالى خصوصا ولذلك لم يكن فيه متمسك لمن فضل البشر على الملك واتقوا يوما يريد يوم
القيمة وعظمه بالتنكير ثم بالتوصيف والمقصود بيان كون ذلك معيار المخاوف بحيث لا يكون
احد من آنائه خاليا عن الخوف وهذا يجعل نفس اليوم مخوفا الا ما فيه لا تجزي نفس عن نفس
شيئا اي لا تقضي نفس ما من النفوس عن نفس اي نفس كانت حقا من الحقوق وشيئا مفعول به
ويجوز ان يكون في موضع المصدر اي قليلا من الجزاء وعلى قراءة لا تجزئ من اجزاء عنه اذا اغنى
يكون الا بمعنى شيئا من الاجزاء والجملة في محل النصب صفة ليوما والعائد محذوف لا تجزي فيه
ومن الحذف بتدريج ام حذف برمته ابتداء قولان ولا تقبل منها شفاعة اية شفاعة كانت
والضمير في منها راجع الى النفس الثانية العاصية اي ان جاءت بشفاعة شفيع لم تقبل منها ويجوز
ان يرجع الى الاولى اي لا تجزي منها شيئا وان شفعت لها لا تقبل وقس على هذا ولا يؤخذ
منها عدل اي الفدية لانها تعادل المفدى والشفاعة من الشفع كان الجاني كان فردا فجعله
الشفيع شفعا بضم نفسه اليه وضمير الجمع في ولا هم ينصرون يرجع الى ما دلت عليه النفس
المنكرة في سياق النفي الدالة على العموم والتذكير بمعنى العباد والاناسي والنصر اخص
من المعونة لاختصاصه بدفع الضر وانما عدل عن الجملة الفعلية المعطوفة على اخواتها
الى الاسمية للدلالة على الدوام الوضعي اي ولا هم ينصرون دائما ما داموا هم وفيه ايماء
الى انه ينصر غيرهم وانما قطعهم الاقناط الكلي لان اليهود كانوا يزعمون ان اباءهم الانبياء
عليهم السلام يشفعون لهم ولما كان الخطاب لليهود كان تقديره لا تجزي نفس منكم
عن نفس منكم فلا دلالة فيه على ان الشفاعة لا تقبل للعصاة مطلقا وكانه اريد بالاية
نفي ان يرفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون باعطاء شيء
او مجانا فان كان الاول فاما ان يكون باداء ما كان عليه وهو الجزاء او غيره وهو الفدية
وان كان الثاني فاما ان يكون على سبيل اللطف وهو الشفاعة او على سبيل القهر وهو
النصر وانما عدل عن الترتيب الذي هو مقتضى هذا التقسيم جنبا للاسلوب الترقي
كانه قيل النفس الاولى غير قادرة على استخلاص صاحبتها بقضاء الواجبات وتدارك التبعات
لانها مشتغلة عنها بشانها كما افصح عنه قوله تعالى لكل امرئ يومئذ شان يغنيه ثم ان قدرت
على سعي ما مثل الشفاعة فلا تقبل منها وان زادت عليها بان يضم الفداء فلا يؤخذ منها وان

حاولت الخلاص بالقهر والغلبة وانى لها ذلك فلا متمكن منه فالترقى من النهى الى النهى و
واذ انجيناكم اذ نصب باذكروا والتنجية التخليص من مكروه وشدة ومثله الانجاء
قيل معنى نجيناكم القيناكم على نجوة من الارض وهى ما ارتفع منه هذا هو الاصل
ثم سمى كل فائز ناجيا فالناجى من خرج من ضيق الى سعة ومعناه خلصنا اباءكم وجعل
جعل ذلك نعمة عليهم لانهم نجوا بنجاتهم ومن عادة العرب هذا يقولون قتلناكم
يوم عكاظ اى قتل اباؤنا اباءكم وقرئ انجيتكم فوافق الضمير ضمير نعمتى وعطفها عليها
كعطف جبريل وميكائيل عليهما السلام على الملئكة او تفصيل لها اجمله فى قوله اذكروا نعمتى التى
انعمت عليكم والتفصيل لا يلزم ان يكون على وجه الاستيعاب بل قد يكتفى فيه بذكر العظمات
من آل فرعون اصل آل اهل لان تصغيره اهيل فابدلت هاؤه الفا وخص بالاضافة الى
اعلام الناطقين دون النكرات والامكنة والازمنة والصناعات وفرعون علم لشخص
يسمى به كل من يملك العمالقة وهم جبابرة مصر وضعا ابتدائيا ولهذا منع صرفه
وجمعه باعتبار الافراد كقيصر لملك الروم وكسرى لملك فارس ولشهرة الفراعنة بالعتو
اشتق منه تفرعن اذا عتا وتجبر واله قومه المناسبون له وحقيقة الال هم الذين يؤول امرهم
اليه فى نسبة او صحبة يسومونكم حال من آل فرعون واستيناف لحكاية حال والسوم اصله
الذهاب فى ابتغاء الشئ فهو لفظ مفرد لمعنى مركب من الذهاب والابتغاء فاجرى مجرى
الذهاب فى قولهم سامت الابل فهى سائمة ومجرى الابتغاء فى قولهم سمته كذا ومنه السوم
فى البيع سوء العذاب نصب على المفعول ليسومونكم والسوء مصدر ساء اى قبح ومعنى سوء
العذاب مع ان نفسه سيئ اقبحه وافظعه يذبحون ابناءكم استيناف او حال من ضمير
الفاعل فى يسومونكم او بدل منه او معطوفة عليه حذف منها حرف العطف ويؤيده ثبوته
فى سورة ابرهيم عم ويستحيون نساءكم الاستحياء استفعال من الحيوة يبقون بناتكم
للخدمة ستبين بما يؤل اليه امرهن ولما فى صيغة الاستفعال من الدلالة على ان ابقاءهن كان
لمصلحتهم كان المذكور من جملة الشدايد وفى ذلكم بلاء هو الاختبار ويكون بالشر ليصبر
فيكون محنة وبالخير ليشكر فيكون منحة وكلاهما محتمل ههنا بحسب المشار اليه ان يكون مصدر
انجيناكم او مصدر يسومونكم ويذبحون ويستحيون والاول اوفق بقوله من ربكم والبق
باصل المقام فانه لتعديد النعم والثانى الصق بمقام تفصيل المحن وانسب للتذييل بهذه
الجملة الاعتراضية عظيم صفة بلاء وفيما ذكر من المبالغة والتأكيد بالاجمال والتفصيل و
التسجيل بان الذبح اشد العذاب وافظعه ما لا يخفى ولهذا ذيله بالاعتراض تأكيدا وتقوية
له واذ فرقنا الفرق والفلق كالفصل لكن الفلق لا يكون الا بين جسمين والفرق يكون فيهما
وفى المعانى وقرئ فرقنا على بناء التكثير لان المسالك كانت اثنى عشر بعدد الاسباط والباء

فى بكم للسببية اى بسببكم وسبب نجاتكم ولا يجوز ان يكون للملابسة اى ملتبسا بكم ولا للاستعانة
اى تسلكونها وتنفرق بكم كما يفرق الشئ بالسكين عند قطعه لان قوله تعالى ان اضرب بعصاك
البحر فانفلق صريح فى ان انفصال البحر بعضه عن بعض وحصول المسالك كان بضرب العصا
قبل اخذهم فى السلوك فان فى الفاء الفصيحة فى قوله فانفلق دلالة على عدم تراخى الانفلاق
عن الضرب البحر هذا البحر كان قريبا من مصر فرعون موسى عليه السلام بحاله اسافا ويسمى
اليوم بحر القلزم فانجيناكم من خطر عبور البحر واخرجناكم من ضيق مسالكه الى سعة البر
وهذه الفاء ايضا فصيحة واغرقنا الغرق فى الماء من حد علم لا ريب فيه فهو غرق اذا كان
لم يمت بعد فاذا مات فهو غريق وجمعه الغرقى آل فرعون اتباعه فهو اوقع للنفى واولى به
فكان غرقه معلوما دلالة وفيما فى العدول من الضمير الى المظهر من التنبيه على ان السبب لذلك
الحال كونهم اتباعه نوع تأييد لتلك الدلالة وانتم تنظرون تعاينون بابصاركم فى الجهات نظر المبهوت
اذا فاجأه خطب وتنظرون ما يفعل باعدائكم فعلى الاول يكون النظر بمعنى طلب الابصار وعلى
الثانى بمعنى الانتظار روى انه تعالى امر موسى عم ان يسير ببنى اسرائيل فاتبعهم فرعون
وجنوده مشرقين ولما تراءى الجمعان وهم على شاطئ البحر اوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك
البحر فضربه فظهر فيه اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها حتى جاوزوا البحر ثم وصل اليه فرعون
وراه منفلقا اقتحم فيه هو وجنوده فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين واذ واعدنا موسى اربعين
ليلة الوعد هو الترجيه بالخير وعد الله تعالى موسى عم بعد هلاك فرعون ان ينزل عليه كتابا
يتمون اليه ويتمسكون به وعين له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذى الحجة وانما عبر عنها بالليالى
لانها غرر الشهور وانتصاب اربعين على المفعول به اذ هى الموعودة على الاتساع [illegible]
بجعل الزمان لكونه شرط الموعود موعودا ولا يجوز نصبه على الظرف لانه معدود
فيلزم ان يكون وقوع العامل فى كل فرد فرد منه وليس كذلك وقرئ وعدنا وقال
الزجاج هذا جيد لان الطاعة فى القبول بمنزلة المطاوعة فمن الله تعالى وعد ومن
موسى عليه السلام قبول وموسى اسم عجمى لا ينصرف للعجمة والتعريف روى ان القبط
يقولون للماء مو وللشجر سا فلما وجد موسى عليه السلام فى التابوت عند ماء وشجر سمى
موسى ثم اتخذتم العجل اى اتخذتموه الها وحذف المفعول الثانى للعلم به ولسماجة ذكره
وفيه تقطيع لشأنه حيث ترك تظهيرا اى جعلتموه لانفسكم معبودا ونسب الاتخاذ الى جميعهم
وان كان بعضهم لم يتخذ ولم يرض به لان القبيلة قد تذم وتمدح بما وقع من بعضها
وفيه تنبيه على زيادة القبح فى ذلك الاتخاذ حتى خرج البرئ مخرج الذم لمقارنته له
والتعريف فى العجل للعهد والمعهود ما ذكر فى قوله تعالى عجلا جسدا له خوار وثم للبعد
بين مشاهدة النعم المذكورة واتخاذ العجل معبودا لان معنى التراخى قد فهم من قوله

من بعده الضمير لموسى عم والمعنى بعد غيبته وهى بالمضى الى الطور وانتم ظالمون
اخبار بان سجيتهم الظلم يرشدك الى هذا قوله فى موضع آخر اتخذوه وكانوا ظالمين
والاتخاذ المذكور يدل على انهم مجسمة او حلولية ثم عفونا اى تجاوزنا عنكم حين تبتم
فان قلت انهم عوقبوا بالقتل على ما ياتى عن قريب فما معنى العفو قلت العفو قد يكون قبل
العقوبة وقد يكون بعدها بخلاف الغفران فانه لا يكون معه عقوبة البتة على ان العقوبة
كانت لبعضهم واصل العفو المحو من عفت الريح الاثر اذا ذهبت لا من عفا المنزل اذا درس
فانه يتعدى ولا يتعدى وثم للبعد فان العفو بعدا ربكابهم ما هو الموجب لاشد العذاب
فى غاية البعد وذلك فى قوله من بعد ذلك لتعظيم الشرك اى عفونا من بعد ذلك الامر العظيم
البعيد عن العفو لعلكم تشكرون نعمة العفو ومعنى الشكر فى اللغة عرفان الاحسان بالجنان
ونشره باللسان وتفسير لعل بكى مردود بان جمهور ائمة اللغة قد نصروا فى بيان معناها الحقيقى
على الترجى والاشفاق وعدم صلوحها لمجرد معنى العلية والغرضية مما وقع عليه الاتفاق الا ترى
تقول دخلت على المريض كى اعوده واخذت الماء كى اشربه ولا يصح لعل وحملها على الارادة انما
على اصل الاعتزال واما على اصل اهل الحق فلا صحة له لان ارادته تعالى تستلزم الوقوع عندهم
ولم يقع فلا بد من الحمل على كونهم فى صورة من يرجى منه الشكر وان لم يتعلق به الارادة واذ آتينا
موسى الكتاب والفرقان الواو بينهما هى التى تتوسط بين الصفات المفيدة كون الموصوف
جامعا لها اى الشىء الجامع بين كونه كتابا منزلا من عند الله وبين كونه فرقانا يفرق بين الحق
والباطل وهو التورية وفى توصيفه بالكتاب فى مقام المدح اشارة الى نزوله من السماء
مكتوبا وحمل الفرقان على النصر الذى فرق بينه وبين عدوه كما فى قوله تعالى ويوم الفرقان يعنى
يوم بدر لا يناسبه قوله لعلكم تهتدون باتباع ذلك الكتاب المنزل والعمل بما فيه قال تعالى
انا انزلنا التورية فيها هدى ونور واذ قال موسى لقومه القوم اسم جمع لا واحد له من لفظه
ويختص بالرجال يا قوم المنادى اذا اضيفته الى نفسك جاز فيه حذف الياء واثباتها كما فى قوله
تعالى يا عبادى الذين اسرفوا وفتحها كما فى قراءة من فتح الياء والاجود الاكتفاء بالكسرة
انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل اى ضررتم انفسكم بايجاب العقوبة عليها او نقصتموها ثواب
الاقامة على عهدى فان الظلم فى اللغة النقص وفى العرف الضرر الخالى عن نفع يزيد عليه و
دفع مضرة اعظم منه وظلم الانسان نفسه افحش من ظلم غيرها فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم
الفاء الاولى للسببية لان الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب فان كانت توبتهم نفس القتل
فقوله فاقتلوا تفسير وتفصيل لقوله فتوبوا ولا حاجة الى تقدير العزيمة وان كانت تتمة التوبة
وسبب قبولها فمعناه توبوا فاتبعوا توبتكم القتل تماما لها والتعدية بالى لما فى التوبة من معنى
الرجوع وخص بالذكر من سائر اسمائه لان البارى هو الذى خلقهم ابريا من التفاوت

فى النوع والتشابه فى التشخص وذلك من عجيب حكمته وبديع قدرته فعيرهم على تركهم عبادة
من هذا شانه الى عبادة ما هو مثل فى الغباوة حتى عرضوا انفسهم لسخطه فناسب
خلقهم وجمع بنيتهم باللطف قتلهم وفك تركيبهم بالقهر حيث تقابلا والنفس ههنا
هى نفس البنية الانسانية والقتل هو ازهاق الروح وحمل قوله فاقتلوا انفسكم على الظاهر
وهو البخع اى قتل احد نفسه ويجوز ان يكون على التجوز بجعل المقتول نفس القاتل
لما بينهما من التعلق والاتحاد فى الاعتقاد قيل امروا ان يقتل بعضهم بالسيف بعضا
وقيل من لم يعبد العجل ان يقتل العبدة ذلكم خير لكم اى ذلك القتل والرجوع انفع لكم
من الحيوة بالاصرار المؤدى الى العذاب المخلد فى النار ولما كان ظهور نفعه فى الآخرة
بالحيوة الابدية والبهجة السرمدية نبه عليه بقوله عند بارئكم واعادة بارئكم كاعادة
الحق فى قوله تعالى وبالحق انزلناه وبالحق نزل فتاب عليكم اخبار بالتوبة وعطف على
محذوف اى فامتثلتم ذلك فتاب عليكم وهاتان الجملتان مندرجتان تحت الاضافة
الى الظرف الذى تقدم والتفات من الغيبة الى الخطاب حيث عبر عنهم بطريق الغيبة
واما اندراجه تحت قول موسى عم على تقدير شرط محذوف اى فعلتم فيلزم دخول
الفاء الجزائية على الماضى المتصرف من غير قد غير جائز واضمارها ضعيف وحذف
فعل الشرط واداته معا وابقاء الجواب مما نوزع فى صحته انه هو التواب الرحيم المبالغة
فى الوصف الاول لكثرة توفيقه تعالى للتوبة وقبولها مرة بعد اخرى والمبالغة فى الوصف
الثانى لعدم الاستعجال فى امر العقوبة والامهال الى زمان التوبة بدءا وعودا واذ قلتم
يا موسى يجدد عليهم ما صدر عنهم من سوء الاقتراح وفى ندائهم موسى كليم
الله باسمه دليل على سوء ادبهم معه وقد تكرر ذلك منهم لن نؤمن لك تعديته الايمان
باللام باعتبار تضمنه معنى الوثوق وما قيل اى لاجل قولكم يا باه قوله حتى نرى الله لان
عدم ايمانهم لاجل قوله لا ينتهى عند رؤيته تعالى بل يستمر مع الرؤية بصرية واكدت
بقوله جهرة اى غير مستتر عنا بشىء مبالغة فى الابصار وانتصب على المصدر لانها نوع من
الرؤية او على الحال بمعنى ذوى جهرة وقرئ جهرة بفتح الهاء وهى اما مصدر كالغلبة واما
جمع جاهر واوجه لا وجه ان يكون بمعنى جهرة لان كل اسم كان ثانيه من حروف الحلق
يجوز تحريكه قياسا مطردا كبحر وبحر ونهر ونهر والاصل فى التركيب التوافق والجهر
حقيقة فى ظهور الشىء بافراط صوتا كان او غيره والقائلون هم النقباء السبعون الذى
خرج بهم موسى عليه السلام الى الطور وقيل قاله عشرة الاف منهم والمؤمن به ان هذا
كتاب الله تعالى وانك سمعت كلامه وانه امرنا بقبوله والعمل به فاخذتكم الصاعقة لا
الاستمالة المسئول بل لانه طلب بسؤال استرشاد بل سالوا سؤال تعنت واساؤا الادب

في السؤال حيث قالوا لن نؤمن لك الصاعقة كل امر هائل يميت ومن يزيل العقل والفهم غالبا و
المراد الصيحة الهائلة الحاصلة بالرجفة لقوله تعالى في سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة واصلها
الاضطراب فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وانتم تنظرون دل هذا على ترجاتهم معاينة
بالنهار وهم ايقاظ يبصرونها وذلك افظع واشد وقعا ثم بعثناكم البعث اثارة البارك
والنائم عن مكانه ونشر الميت كبعث النائم فالتقييد بقوله من بعد موتكم اي بسبب الصاعقة
لتعيين المراد ودفع الاشتباه لعلكم تشكرون نعمة البعث ونعمة الهداية بعد الضلالة و
ظللنا عليكم الغمام اي وجعلنا الغمام يظللكم وذلك في التيه سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم
يظلهم من الشمس والظل في اللغة الستر والغمام جمع غمامة وهي ما ابيض من السحاب سمي
بها لسترها فان كل ما يستر شيئا فهو غمة وانزلنا عليكم المن هو الترنجبين وكان ينزل كهيئة
الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس والسلوى هي السماني وكانت ريح الجنوب تحشرها عليهم
كلوا على ارادة القول من طيبات ما رزقناكم من المشتهيات الخاليات عن الادواء والمضرات
وعن الحرمة والكراهة لان امر الاباحة لا يتناولهما وما ظلمونا عطف على مقدر اي فظلموا بالكفران
نهم هذه النعم وما ظلمونا قالوا وفيه ولما اخبر عن وقوع الظلم ونفى ان يصل اليه تشوفت
النفس الى ذكر من وقع به الظلم واتصل به ضرره فاستدرك بيانه فقال ولكن كانوا انفسهم
يظلمون فتقديم المفعول للتخصيص والجمع بين كان وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار
التجددي واذ قلنا ادخلوا الدخول الانتقال من العورة الى الحصن هذه القرية هو كقولك هذا
المال وذلك الرجل تنبيها على كماله فان الشيء اذا عظم امره يوصف باسم جنسه والقرية الابنية التي
هي مجتمع الناس من قولك قريت الماء في الحوض اي جمعته والمراد بالقرية هنا بيت المقدس وقيل
ايليا وهي البلدة التي فيها بيت المقدس وقيل اريحا وهي بقرب بيت المقدس امروا به بعد التيه
وقد امروا بالدخول في الارض المقدسة مرة اخرى وذلك الامر قبل التيه دل على ذلك ما في سورة
المائدة من ترتيب التيه على عدم امتثالهم بهذا الامر فكلوا منها حيث شئتم اي اجنالكم ووسعنا
عليكم فتوسعوا فيها اين شئتم بلا تضييق ولا منع وذكر الاكل لانه معظم المقصود والفاء افاد تسبب
دخولهم للاكل فيها لانه كناية عن استيلائهم عليها وهو سبب للملك المعبر عنه بالاكل رغدا واسعا
نعت لمصدر محذوف ويجوز ان يكون في موضع الحال وادخلوا الباب يعني باب القرية قال
مجاهد والسدي هو الباب الثامن من بيت المقدس يعرف اليوم بباب حطة والامر على لسان يوشع
بن نون عم فلا ينافي في عدم دخولهم بيت المقدس في حيوة موسى عليه السلام سجدا امروا بالسجود
عند الانتهاء الى الباب شكرا لله تعالى وتواضعا وقيل امروا بالدخول بالخشوع واخبات
وقولوا حطة فعلة من الحط وهو انزال الشيء من علو وحط الذنب اسقاطه وهو كالقاء
الحمل على الظهر وحط حطا متعد وحط حطوطا لازم وهي خبر مبتدا محذوف اي مسئلتنا حطة

او امرك حطة والاصل النصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة وانما رفعت لتعطي معنى الثبات
وقرئ بالنصب على الاصل على انه مفعول قولوا وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه
القرية ونقيم بها نغفر لكم خطاياكم جواب للامر مترتب على الباب بقيد السجود وقول حطة الغفر
والغفران والمغفرة الستر ومنه المغفر الغفير الجمع الكثير الذي يستر بعضه بعضا والخطايا
جمع خطيئة بمعنى الاثم يقال خطئ اذا اثم متعمدا واخطا اذا لم يتعمده وسنزيد المحسنين
ثوابا يعني من كان خاطئا غفرنا له خطاياه ومن كان محسنا زدنا في عطاياه ففي الكلام جمع
وتفريق اما عدم انجزام سنزيد مع عطفه على المجزوم فلخروجه عن صورة الجواب بدخول
السين المانعة عن الانجزام ونكتة الاخراج الدلالة على انه يفعل البتة لان تلك الزيادة اذا
كانت عن وعد الله تعالى كانت قطعية مما اذا كانت مسببة عن فعلهم فبدل الذين ظلموا وضع
المظهر موضع المضمر ليدل على ان التبديل ظلم ومسبب عن ظلمهم وعادتهم في وضع الاشياء
غير مواضعها وان المبدلين بعضهم لا كلهم قولا غير الذي قيل لهم اي امروا بقول معناه
التوبة والاستغفار فبدلوا به قولا معناه غير وليس الغرض انهم امروا بلفظة معينة فجاؤا
بغيرها لانهم لو قالوا مكان حطة حنطة استهزاء واعراضا عن طلب ما عند الله تعالى الى طلب
ما اشتهت نفوسهم فانزلنا على الذين ظلموا الاظهار في موضع الاضمار للتنصيص على عدم
تعدي العذاب عن الذين ظلموا الى غيرهم فان منه ما يتعدى الى غير الظالم على ما دل عليه قوله تعالى
فاتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واما الاشعار بان الانزال عليهم بظلمهم المذكور
فقد حصل من الفاء الدالة على التسبب فيما تقدم رجزا من السماء عذابا في غاية الاشتداد خارجا
عن حد المعتاد فان النسبة الى السماء للاشارة الى هذا المعنى روي انه مات منهم بالطاعون
في ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا وقيل سبعون الفا وههنا وجه آخر وهو ان العذاب
ضربان ضرب يحصل له اسباب الظاهرة فيظن انه يمكن دفاعه كالهدم والغرق وضرب يحصل باسباب
غير ظاهرة فلا يظن انه يمكن دفاعه كالطاعون والصاعقة وقد شاع في متعارف الناس نسبة هذا
الضرب الى السماء والرجز انما يطلق على العذاب الموجب للاضطراب يقال ارتجز اذا ارتعش
بما كانوا يفسقون بسبب اعتيادهم بالخروج عن الطاعة واذ استسقى موسى لقومه الاستسقاء
طلب السقي او الاسقاء والسقي ان يجعل له ما يشربه والاسقاء التعريض للماء وجعله له ليشربه متى
اراد فهو اخص معنى من السقي وقد دل ذلك على انهم عطشوا واشتد حاجتهم الى الماء وكان العطش
والتضليل في التيه ودخول القرية بعدها ولم يراع الترتيب في ذكرها لان المقصود تعديد النعم
والتقريع على كفرانها نعمة نعمة على التفصيل والتفريق ادل على ذلك لانها لو وردت مرتبة كانت
قصة واحدة فيظن ان المراد ذكر نعمة واحدة فقلنا اضرب بعصاك الحجر كانت عصا من
من آس الجنة وله شعبتان تتقدان في الظلمة واللام في الحجر للعهد على ما روي انه كان حجرا اهبط

آدم عليه السلام من الجنة فوقع الى شعيب عليه السلام فاعطاه مع العصا او حجر الطور يا حمله
منه او الحجر الذي فر بثوبه لما وضعه عليه ليغتسل وبرأه الله تعالى به عما رموه من الادرة فأشار
اليه جبريل عليه السلام بحمله او للجنس على ما قيل لم يأمره ان يضرب حجرا معينا ولكن لما قالوا
كيف بنا لو افضينا الى الارض لا حجارة بها حمل حجرا في مخلاته وهذا اظهر في الحجة والاول انسب
لتعريف قريبه قال ابن عطية لا خلاف انه كان حجرا منفصلا مربعا يطرد من كل جهة ثلاثة عيون
اذا ضربه موسى عم واذا استغنوا عن الماء ورحلوا جفت العيون واياك ان تتوهم ان
هذا من قبيل ما يستند الى الطبايع من الخواص كجذب بعض الاحجار الحديد وحلق بعضها
الشعر لانه لا يتبع الارادة والحاجة والحق ان فتح باب امثال هذا التوجيه الباطل في
خوارق العادات الصادرة عن الانبياء صلوات الله عليهم سعي في سد طريق دلالة
المعجزة على صدق النبوة فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا متعلق بمحذوف يفصح عنه الفاء
الفصيحة تقديره فضرب فانفجرت ونكتة الحذف الدلالة على سرعة الامتثال وظهور
الاثر في الحال وعلى ان المقصود بالامر اثر الضرب لا الضرب نفسه والاشارة الى ان
ترتب الانفجار وان كان في الظاهر على ضرب موسى عليه السلام لكنه في الحقيقة على امر
الله تعالى به وبتعليقه عليه والفجر الشق ومنه الفاجر لانه فسق فشق عصا المسلمين
بخروجه الى الفسق والعين الينبوع وهي مؤنثة سماعا ونصب على التمييز وجاز اجتماع علامتي
التانيث في اثنتي عشرة لانها في شيئين قد علم كل اناس الاناس اسم جمع لا واحد له من لفظه
والمراد كل سبط من اسباط بني اسرائيل وكانوا على عدد العيون مشربهم المشرب موضع
الشرب والعلم بموضع الشرب كناية عن عدم التجاوز عنه كما يقال فلان يعرف هذا اي
لا يتجاوز عنه ففي الكلام ايجاز بليغ حيث دل على سبق التعيين والتخصيص قيل كانوا ستمائة
الف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا كلوا واشربوا على تقدير القول وقيل الماء ينبت منه الزروع
والثمار فهو رزق يؤكل منه ويشرب ولا وجه له في هذا المقام لانهم في التيه ما كانوا ياكلون
من زرع الماء وثمره من رزق الله من المن والسلوى وماء العيون من للابتداء او للتبعيض
والرزق المرزوق والاسناد الى الله تعالى لعدم التوقف على الكسب العادي والا فالرزق
كله مستند اليه تعالى خلقا وايجادا ولا تعثوا في الارض مفسدين لما كان قد تهيأ لهم الماكول و
المشروب من غير تعب نهوا عن الفساد اذ كان ذلك قد يدعوا اليه كما قال الشاعر ان الشباب والفراغ
والجدة مفسدة للمرء اي مفسدة والعثي على ما ذكر في العين اشد الفساد والفساد خروج عن
ان يكون منتفعا به وربما لا يكون منهيا بل يكون واجبا كهدم دور المشركين وحرق زروعهم
ولذلك قيد بقصد الافساد المستفاد من قوله مفسدين فان المفسد من باشر الفساد عمدا لا
من صدر عنه الفساد مطلقا ولو سهوا وفائدة ما في مفهوم العثي من الشدة الدالة على انه

اشد الفساد غير منهي فكيف الفساد في الجملة قال الراغب العيث والعثي يتقاربان نحو
جذب وجبذ الا ان العيث اكثر ما يقال فيما يدرك حسا والعثو فيما يدرك حكما واذ قلتم
يا موسى لن نصبر على طعام واحد يعني ما رزقوه في التيه قيل كان ينزل عليهم المن وحده
ثم ملوه فارسلت عليهم السلوى وكان هذا الكلام منهم قبل نزول السلوى وقيل ارادوا بالواحد
ما لا يختلف ولا يتبدل ولا يبالي في التعدد فادع لنا ربك سله لنا بدعائك اياه في معنى لترتيبه
النهي ما هذا الترتيب مناسبة للمقام يخرج لنا جزم على انه جواب فادع كانهم طلبوا
حصول ما طلبوه على سبيل خرق العادة كنزول المن والسلوى ولذلك قالوا يخرج اي يظهره
ولم يقولوا ينبت ولما كرر لنا مع ان في الثاني منهما غنى للاول اظهارا لقلة الاعتناء الناشئ
الاهتمام في شانه مما تنبت الارض من للتبعيض والانبات عمل طبيعة الارض في تربية البذر
ومادة النبات بتسخير الله تعالى اياها وتدبيره وذلك امر خفي وراء ايجاده وايجاد اسبابه
والفعل انما يسند حقيقة الى من باشره لا الى من خلقه واوجده فالمنبت والمولد والمصور
ونحو ذلك حقيقة المباشر لاسباب هذه الاعمال لا البارى تعالى وانما نسب اليه كنسبة القتل
والقطع والكسر اليه لكونه المتمكن منها من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها تفسير
وبيان وقع موقع الحال من الضمير تقديره مما تنبت كائنا من بقلها او بدل باعادة الجار
والبقل ما يؤكل مع الطعام من الخضر والفوم الحنطة عند الاكثر وقال مجاهد الفوم الخبز
يقال فوموا لنا اي اختبزوا قال الفراء هي لغة قديمة وقيل الثوم ولا دلالة في قراءة وثومها
عليه لان الثاء بدل من الفاء كما قالوا مغافير ومغاثير وجدف وجدث ولو كان المراد
الثوم لكان المناسب ان يذكر بعد العدس والقثاء جمع قثاءة وهو نوع آخر من جنس الخيار
واختير صيغة الجمع منها لغضاضتها واما معنى الجمع فقد بطل لتعريف لعدم مناسبة
المقام قيل كان القوم فلاحة فنزعوا الى عكرهم واشتهوا ما الفوه قال اي الله او موسى
عم اي دعا فاجابه الله تعالى لما دعا فقال الله تعالى او موسى عم باذنه اتستبدلون الذي
هو ادنى اي تطلبون تبديل ما هو ادنى والمنصوب هو الحاصل والذي يدخل عليه الباء هو
الزائل وادنى افعل التفضيل من الدنو المستعار من القرب المكاني للخسة كالقرب المستعار
للشرف والرفعة او من الدون وهو التردي فقلب واصله ادون فسهلت همزته بابدالها
الفا من الدناءة وقد قرئ بالهمزة بالذي هو خير المن والسلوى وانما كان خيرا لحصوله
وانما كان خير الحصول بلا تعب ووصوله من جهة الرب تشريفا وخلوصه عن شبهة الخطر
وكونه ذي خطر بخلاف البقول اهبطوا مصرا انحدروا فان القادم على قطر كانه منصب
عليه والمصر البلد العظيم اي انزلوا بعض الامصار ان كنتم تريدون هذه الاشياء
ويحتمل ان يريد العلم اعني مصر فرعون وصرفه لعدم سببين على ارادة البلد

او لسكون وسطه ويؤيده انه غير منون في مصحف ابي رضه وقراة ابن مسعود رضه
وقيل اصله افرايم فعرب ولعرفه ع وجه آخر وهو انه لا اعتداد بالعجمة لوجود التعريب
والتصرف فان لكم ما سالتم لما كان هذا في قوة قوله فوجدوا ما سالوه عطف
فضربت عليهم الذلة والمسكنة وفي الجمع بينهما اشارة الى ان الذلة والمسكنة من
روادف ما اتبعوه من الزراعة والحراثة وقد جاء في الخبر والذل في اذناب
البقر والكلام كناية عن كونهم اذلاء متصاغرين مبناها على الاستعارة اما في الذلة
تشبيها لها بالقبة فهي مكنية واثبات الضرب تخييلي واما في الفعل اعني ضربت تشبيها
لالصاق الذلة ولزومها بضرب الطين على الحائط فيكون تصريحية تبعية والذلة فعلة
من السكون وهي سنازي الفقر ومهانته ومخافة ان تضاعف جزيتهم وباؤ بغضب
من الله رجعوا به اي لزمهم ذلك ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في دعائه وبناء
ابوء بنعمتك اي اقربها والزمها نفسي هذا على ما ذكره الفراء ان باء بمعنى رجع وقال
الكسائي ولا يكون باء الا بشيء اما بخير واما بشر ولا يكون لمطلق الانصراف او
حلوا مبواهم ومعهم غضب الله تعالى اي عقوبته وقوله بغضب في محل الحال كوخرج بسيفه
واستعمال باء للتنبيه على ان مكانهم الموافق يلزمهم فيه غضب الله فكيف غيره من
الامكنة وهذا على ما ذكره الراغب من ان اصل البواء مساواة الاجزاء في المكان خلاف النبو
الذي هو منافاتها ذلك اشارة الى ما سبق من الضرب والبوء بانهم كانوا يكفرون بايات
الله بسبب انهم جمعوا بين الثبات على اصل الكفر والدوام عليه وبين تجدد انواعه والمراد
من الايات المعجزات او الكتب المنزلة ويقتلون النبيين انهم قتلوا شعيبا وزكريا ويحيى
وغيرهم بغير الحق ليس احترازا اذ لا يقع قتل نبي الا بغير الحق فهو قيد لازم كو دعوت الله
سميعا وجاء تعظيما للشنعة والذنب الذي اتوا به بموهبات وليست من الله تعالى ويقتلونهم
بهذا الاعتقاد الباطل ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اشارة الى التسبب المذكور والباء في
بما للسببية فيكون بيانا لسبب التسبب مبالغة في وجوب اجتناب المعصية والاعتداء بانهما
يفضيان الى الكفر بالايات وقتل الانبياء وهما من اشنع القبايح ويجوز ان يكون ذلك تكريرا
للدلالة على ان ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب مسبب عن امور كثيرة كل واحد
منها يوجب ذلك وهو العصيان والاعتداء منها من الافعال التي جعلت لازمة وتركت مفاعيلها
نسيا منسيا والاعتداء وان كان في اصل وضعه تجاوز الحد في كل شيء لكن عرفه في الظلم و
المعاصي والعدول عن قوله واعتدوا والمثل لما مر من النكتة في قوله بانهم كانوا يكفرون واما
التاكيد ثمة دون هنا فلان الكفر بالمعجزات الباهرة وقتل الانبياء المبعوثين بالبينات القاطعة
مظنة ان يستبعد بخلاف مطلق العصيان والاعتداء ان الذين آمنوا بالسنتهم من غير

مواطاة القلوب يريد من هذا القيد ليدخلوا في عداد الكفرة وينتظموا معهم فيصح الابدال
والاخبار بان من آمن منهم ايمانا خالصا فله كذا والذين هادوا يقال هاد يهود اذا دخل
في اليهودية ويهود من هاد بمعنى تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل والنصارى اختلف
في اصلها والاقرب ما قيل ان المسيح عم كان من قرية يقال لها نصران فلما ان سموا باسمها
ثم جمعته العرب على نصارى كو سكران وسكارى وجعلوا منسوبين اليها ثم جمعت كو مهري
ومهارى كذا قال الراغب فالياء في نصراني للنسبة الى تلك القرية او الى ذلك الجبل وللفرق بين
اسم الجمع والواحد كما في اليهود كو المجوسي والصابئين الصابي من صبا اذا خرج من الدين
وهم خرجوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملئكة او الكواكب من آمن منهم بالله واليوم
الآخر وعمل صالحا في محل النصب بدل من اسم ان وما عطف عليه وخبر ان فلهم اجرهم ودخول
الفاء لتضمن الموصول معنى الشرط او في محل الرفع بالابتداء وخبره فلهم اجرهم والجملة خبر ان
والمعنى من آمن من هؤلاء الكفرة ايمانا صادقا مصدقا بقلبه بجميع ما يجب تصديقه عاملا بمقتضى
شرع نبي ارسل اليه وما قيل من كان منهم في دينه قبل ان ينسخ لا يناسب المقام لما عرفت ان المراد من
الذين آمنوا المنافقون والصابئون من لم يثبت لهم دين سماوي ولذلك اختلف في حل نكاحهن
فلهم اجرهم اي ثواب ايمانهم وعملهم الصالح سماه اجرا لانه جزاء عمله بوعده الصادق فضلا منه و
ترتيب الحكم على الموصول دل على ان الاستحقاق له مسبب عما ذكر في الصلة من الايمان والعمل الصالح
مقدر بحسبه والجملة اعتراض بين خطابي بني اسرائيل عند ربهم كناية عن كون ذلك الاجر نامو
عن الضياع لكونه عند امين حافظ ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون اي لا يناله خوف ولا
يصيبهم حزن في الآخرة لانهم يصيرون الى النعيم المقيم والامن الدائم والتنكير في الخوف للتقليل
وفي قوله ولا هم دلالة على ثبوت الحزن لغيرهم واذ اخذنا ميثاقكم بالعمل على ما في التورية والدليل
على اختصاصه قوله ورفعنا فوقكم الطور اي حتى قبلتم واعطيتم الميثاق والميثاق مفعال من
وثق يثق مثل ميزان من وزن يزن وحدوا ان اضيف الى الجمع تنبيها على ان الماخوذ على الكل
ميثاق واحد قال الواحدي الطور الجبل بالسريانية وقد تكلمت به العرب وقيل علم للجبل الذي ناجى
عليه الله تعالى موسى عليه السلام وهو المراد ههنا خذوا ما آتيناكم على ارادة القول ما آتيناكم اي
التورية بقوة اي بجد واجتهاد وامتنعوا من اخذ التورية والتزام احكامها الشاقة فاكرهوا
على ذلك برفع الطور فوقهم واذكروا ما فيه امر بحفظه وعدم نسيانه قولا وعملا لعلكم تتقون
قد مر في تفسير لعلكم تشكرون ما يغني عن بسط الكلام في هذا المقام بتوضيح المرام وردا لاوهام
ثم توليتم من بعد ذلك اي اعرضتم عن الوفاء بالميثاق بعد اخذه على الكيفية المذكورة وفي
كلمة ثم اشارة الى ان الاعراض بعد تاكيد الميثاق بما ذكر امر بعيد ورشحه عبارة ذلك فلولا
فضل الله عليكم بقبول التوبة ورحمته بالعفو عن الزلة وارتفاع فضل على الابتداء وعليكم

متعلق بفضل والخبر محذوف واجب الحذف على المشار له لدلالة الجواب عليه لكنتم من الخاسرين

اي من المغبونين بالوقوع في العذاب وحرمان الثواب جواب لولا وكثر دخول اللام عليه اذا

كان موجبا ولو في الاصل لامتناع الشيء لامتناع غيره فاذا دخل على لا افاد اثباتا وهو امتناع

الشيء لثبوت غيره والتفريع المستفاد من الفاء باعتبار ان في مدلولها دلالة على انهم كانوا

على شرف الخسران لولا تدارك فضل الله تعالى وذلك مسبب عما تقدم ذكره من احوالهم القبيحة

ولقد علمتم اللام موطئة للقسم مستهلة لتقدم جوابه على السامع وعلم هنا تعدى الى واحد يعني

قد عرفتم اصحاب السبت وما احللنا بهم من النكال في الدنيا بالمسخ حين اعتدوا بالاصطياد

يوم السبت فلم يكن تاخيرنا العقوبة عن اسلافهم الذين كانوا قبلكم على عصيانهم ونقضهم

ميثاقهم للعجز عن تعجيل ذلك بل فضلا ورحمة ولو شئنا لعاجلناهم بما عاجلنا به اصحاب

السبت فيكون هذا التذكير لتوبيخ ما ذكر من ان نجاتهم عن الخسران بمحض فضل الله تعالى و

رحمته الذين اعتدوا منكم في السبت اي الذين جاوزوا الحد الذي حد لهم من ترك الصيد

يوم السبت من اسلافكم وهو يوم معروف سمي به لانه سبت فيه خلق كل شيء اي قطع وتم

واصل السبت القطع ومنه السبات لانه يقطع الافعال الاختيارية واليهود يسبتون فيه اي

يقطعون الاعمال وقيل هو ماخوذ من السبوت الذي هو الراحة والدعة والسبت هنا مصدر

سبتت اليهود اذا عظمت السبت فمعنى في السبت في تعظيم يوم السبت وتعظيمه عبارة عن ترك

العادات والاشتغال للعبادات والاعراض عما يؤدي الى ما يؤذي الحيوانات داخل في حده و

ذكر الموصول مع الصلة يفيد تعلق العلم بالوصف المذكور الموجب للمسخ المزبور لا بذواتهم

وتفصيل القصة ياتي في تفسير سورة الاعراف باذن الله تعالى فقلنا لهم كونوا قردة مجاز

لتعلق ارادة الله تعالى بمسخهم في آن واحد والقردة جمع قرد كالديكة جمع ديك والقياس في

فعل الاسم فعول على قرود وجمعه على فعلة لا ينقاس خاسئين خبر آخر لكونوا او صفة لقردة

باعتبار انهم كانوا من العقلاء اي جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد وفعله

خسا يجيء متعديا ولازما والضمير في فجعلناها للمسخة نكالا النكال العقوبة الغليظة المنكلة

للغير اي المانعة من الذنب فان اصله المنع ومنه النكل للقيد واللجام لما بين يديها من ياتي بعدها

وما خلفها من تقدمها وجودا والتقدم بحسب الوجود لا ينافي حضور المتقدم عند المتاخر او

ما يحضرها وما بعدها ظرفا المكان مستعاران للزمان وان ما اقيمت موقع من لا تعتبر الشاهد لهم

لانه لا يناسب المقام بل الاعتبار وصف المعتبرين وموعظة مفعلة من الاتعاظ والازدجار و

الوعظ التخويف العظة الاسم للمتقين لكل من اعتبر بها واتقى اي لم يفعل ذلك قصدا للتشفي كفعل

الآدميين بل لمصلحة العباد واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة اول هذه

القصة قوله تعالى واذ قتلتم نفسا وانما فكت عنه واخرج اول القصة مخرج الاستئناف

كانه قصة مستقلة بالتفريع على القتل والتدافع والتنبيه على القدرة في احياء الميت ولا يخفى

وقدم آخرها لاستقلاله بنوع آخر من مساويهم وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء في السؤال

وترك المسارعة الى الامتثال ولذلك لم يقل قال موسى لقومه يا قوم كما قال فيما تقدم فانه كان

جواب سؤال لا ابتداء خطابهم بناسب المصدر بالنداء ثم اضمر في الثانية ضمير البقرة ليدل بهذا الربط

انها قصة واحدة وفيما يرادفها من التفريع والتنصيص قصتان ولو اوردت مردودة على الترتيب

لا يمكن ان يغفل عن ذلك وقصته انه كان فيهم شيخ موسر فقتله بنو عمه طمعا في ميراثه وطرحوه على

باب المدينة ثم جاؤا يطالبون بدمه فامرهم الله تعالى ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبر

بقاتله والبقر اسم للانثى واسم الذكر الثور مثل ناقة وجمل وقيل البقرة واحد البقر الانثى والذكر

سواء واصله من بقر اي شق فالبقر يشق الارض بالحرث قالوا اتتخذنا هزوا اي اتجعلنا نفس

الهزء للمبالغة وفرط الاستهزاء او اهل هزء او مكان هزء او مهزوا بنا للاختصار والايجاز

واما كون المفعول الاول جماعة فلا دخل له في اقتضاء التاويل بالحذف والتجوز في المفرد او

الحكم لان ما اصله المصدر يجوز ان يكون خبرا عن الاثنين وعن الجماعة كما في قوله تعالى فقولا انا رسول

رب العالمين وقوله تعالى لا هن حل لهم فكيف بالمصدر ظنوا ان موسى عليه السلام يستهزئ بهم و

يداعبهم قالوا نخبرك ان رجلا منا قتل فتقول لنا اذبحوا بقرة فيحتمل ان موسى عليه السلام امرهم بذبحها

ولم يبين المراد والحكمة بها في اول الامر فلذلك وقع هذا القول منهم موقع الهزء في بادي نظرهم قيل

قرئ يتخذونا بالياء اي الله تعالى ولا يناسبه قوله قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين تبرأ عن الاستهزاء

على وجه ابلغ حيث عده من الجهل واستعاذ منه استفظاعا له وذلك لكونه في مقام التبليغ والارشاد

فلا يناسبه قصده في مقام الاحتقار والتهكم مثل فبشرهم بعذاب اليم فمرجع الجهل هنا الى عدم العلم بمقتضى

المقام فلا حاجة الى معنى السفه قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قدر نظيره عن قريب ما هي لما رأوا ما

امروا به على حال لم يوجد بها شيء من افراد جنس البقر اشتبه عليهم وجه الامتثال فلذلك قالوا يبين لنا ما هي فان

الحاجة الى البيان انما تكون في موضع الاشتباه والسؤال بما هي يكون غالبا عن الجنس قال انه يقول انها

زيد حدا كيلا يتوهم ان ما ذكر قول موسى عليه السلام وقدر وعي هذه النكتة في مواضع من هذه القصة

انها بقرة تكرير لتقرير المعنى المراد دفعا لاحتمال ان يراد جنس آخر لغرابة ما ذكر من الانوثة كما سبق

الى وهم ان ينبئ لا فارض ولا بكر صفة للنكرة واذا وصفت النكرة بما دخل عليه لا كررت وكذا الخبر و

الحال الا ما ندر والفارض المسنة التي انقطعت ولادتها من الكبر والبكر الصغيرة التي لم تلد من الصغر

عوان نصف النعل من الفارض فرضت تفرض فروضا ومن العوان عونت تعون تعوينا ولم يسمع

من البكر فعل الآن في تركيبها الاولية ومنه البكرة والباكورة وانما لم يدخل لها في هذه الصفات التاء

لانها من خصائص اوصاف الاناث فصارت كالحائض والطالق بين ذلك اي بين البكر والفارض

ولم يقل بين تينك ترجيحا لما في عبارة ذلك من الخفة على ما في تينك من الجناس مع بينه وقد مر وجه

التعبير عن الاثنين بذلك فافعلوا ما تؤمرون ما موصولة والعائد محذوف واصل ما تؤمرون
به لان الامر يتعدى الى المامور بنفسه والى الفعل المطلوب بالباء يقال امرته بكذا ثم حذف الجار واوصل
بنفسه ثم حذف المفعول به لا مصدرية اي امركم بمعنى مامورتكم لان المصدر بمعنى المفعول شايع
واما المصدر بمعنى المفعول به فقليل جدا تجديد للامر وتاكيد وتنبيه على ترك التعنت والمسارعة
الى الامتثال فلم يجد شيئا عادوا السؤال قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة
صفراء فاقع لونها الفقوع اشد ما يكون من الصفرة وانصعه واسناده له للتاكيد يقال اصفر فاقع
واحمر قانى واخضر ناضر واسود حالك وابيض يقق فهذه التوابع يدل على شدة الوصف وخلوصه
وفي ارتفاع اللون بفاقع مزيد تاكيد لذلك كانه صفرة شديدة الصفرة صفرتها وعلى هذا التفسير
على صفراء لئلا تفصل بين الصفة والموصوف وان جعلت صفراء بمعنى سوداء وقفت عليها ويكون الفقوع
بمعنى الخلوص صفة اللون كانه قال لونها خالص على ان فاقع واقع خبرا عن اللون فلم يفد تاكيد
الصفراء حتى ينافي تفسيرها بالسوداء تسر الناظرين اي تروق هذه البقرة من نظر اليها وتعجبه وتفرح
قلبه لتمام خلقها ولطافة شكلها وحسن لونها والسرور لذة في القلب عند نفع او توقعه او اندفاع
ضر قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي طلبوا تمام الكشف ببيان ما يرفع الاشتباه ويدفع الصدق
على متعدد ولما ارادوا التعيين الزائد على التعيين بالعوارض المشتركة سالوا بما هي فكانهم طلبوا
ما في منزلة الذاتي المميز من الاوصاف المخصوصة بشخص معين ان البقر وقرئ ان الباقر قال
القرطبي البقر والباقر والبيقور والبقير لغات بمعنى والعرب تذكره وتؤنثه والى ذلك ترجع
القراءات في تشابه تشابه علينا اعتذار عنه وانما لم نعلم ان البقرة تشابه علينا اذ لم يرد بنا
المعهود بل يريد ان الاوصاف المذكورة صدقت على جماعة من الجنس المذكور فاشكل علينا
الامر فيها للتشابه والتشارك في تلك الاوصاف وقرئ تشابهت مخففا ومشددا قال القرطبي
وفي مصحف ابي رض تشابهت بتشديد الشين قال ابو حاتم وهو غلط لان التاء في هذا الباب
لا يدغم الا في المضارع وانما ذكر الفعل لتذكير اللفظ كقوله نخل منقعر وكل جمع حروفه اقل من
حروف واحده جاز تذكيره مثل بقر ونخل وسحاب وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر وانا
ان شاء الله لمهتدون الى البقرة المراد ذبحها لما جاء في الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم
اخر الابد اي لو لم يقولوا ان شاء الله وانما سميت ثنيا لصرفها الكلام عن الجزم وعن الثبوت
في الحال من حيث التعليق بما لا يعلمه المستثني واخر الابد كناية عن المبالغة في التابيد والمعنى اي
الابد الذي هو اخر الاوقات وتقدير الكلام وانا لمهتدون ان شاء الله فقدم على ذكر الاستثناء
اهتماما به وحفظا لرؤس الاي ولا متمسك فيه لاصحابنا على ان الحوادث بارادة الله تعالى لان
دلالته على ان مراده تع واقع واما ان الواقع ليس الا ان مراده فلا تعرض له ولا على ان الامر قد
ينفك عن الارادة لان محل الخلاف الامر التكليفي وهذا الامر للارشاد على ما يرشد اليه قولهم اتتخذنا

هزوا ولا خلاف فيه قال انه يقول انها بقرة لا ذلول صفة لبقرة اي لا تذل للكذاب من الذل
بكسر الذال وهو خلاف الصعوبة يقال ذلت الدابة ذلا فهو ذلول وذل الرجل ذلة بضم الذال فهو
ذليل تثير الارض صفة لذلول داخلة تحت النفي والمقصود نفي اثارتها الارض ولا تسقي الحرث
نفي معاد لقوله لا ذلول والمعنى انها لم تذلل بالعمل في حرث ولا سقي وقيل لا في قوله ولا تسقي الحرث
زائدة للتوكيد وان المعنى لا ذلول تثير الارض وتسقي الحرث والفعلان صفتان لذلول كانه
قيل لا ذلول مثيرة وساقية فيلزم ح الوصف بلا غير مكررة ولا مع اسم منفي وذلك لا يكون
الا في الشعر وقرئ لا ذلول بالفتح على ان لا لنفي الجنس والخبر محذوف والجملة صفة ذلول كناية عن
نفي الذل عنه كما يقال الذليل حيث هو كناية عن اثبات الذل له والحرث الارض المهياة للزرع
ومعنى الاثارة هاهنا قلب الارض للزراعة يقال اثرت الشيء واستثرته اذا هيجته مسلمة من
العيوب اي سلمها الله تعالى او من العمل اي سلمها اهلها وقيل مخلصة اللون من سلم له كذا اذا خلص
له لا يشب صفرتها شيء من الالوان ويرد عليه ان حق هذا البيان ح ان يعقب السؤال السابق ويذكر
في جوابه لا شية فيها اي لا علامة فيها تشينها وقيل لا لون فيها يخالف لون جلدها ماخوذة
من وشي الثوب اذا نسج على لونين مختلفين يقال فرس ابلق وكبش اخرج وتيس ابرق وغراب
ابقع وثور اشيه كل ذلك بمعنى البلقة ويرد على هذا ما ورد على المعنى الاخير لمسلمة قالوا الان
هو حد الزمانين الماضي والمستقبل مبني لتضمنه معنى الاشارة تقديره هذا الوقت جئت بالحق اي
بما تحققنا به المراد من البقرة ففيه دلالة على انهم عرفوها بعينها وروي انه كان في بني اسرائيل
شيخ صالح له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر وكان برا لوالديه
فشبت وكانت وحيدة بالصفات المطلوبة فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء
مسكها ذهبا وكانت اذ ذاك بثلاثة دنانير فذبحوها اي فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف
كلها فذبحوها وانما حذف ما حذف اختصارا لدلالة المذكور عليها والفاء ليست فصيحة لان
شرطها ان يكون المحذوف سببا للمذكور والتحصيل ليس سببا للذبح وانما سببه الامر بل
للتعقيب والدلالة على انهم كما حصلوها ذبحوها وما كادوا يفعلون يعني شيئا من الذبح
ومقدماته من تحصيل المامور بذبحه وتهيئة اسبابه لافادة هذا التعميم كان المذكور ابلغ
من يذبحون وكاد من افعال المقاربة وضع لدنو الخبر حصولا فالفعل المقرون به مقيد
والنفي الداخل عليه قد يعتبر سابقا على القيد فيفيد معنى الاثبات بالتكلف كما في هذه الاية
وقد يعتبر مسبوقا به فيفيد البعد عن الاثبات والوقوع كما في قوله تعالى لا يكادون يفقهون
قولا ومن غفل عن هذا توهم التدافع بينه وبين قوله فذبحوها فتكلف في التوفيق واعلم
انه لا خلاف في ان ظاهر اللفظ في اول الامر بقرة مطلقة مبهمة ولا في ان الامتثال في اخر
الامر انما وقع بذبح بقرة موصوفة معينة حتى لو ذبحوا غيرها لم يكن مطابقا لكن اختلفوا

فان المراد به في اول الامر هو البقرة المعينة واخر البيان عن وقت الخطاب والمهنة ولحقها
التغيير الى المعينة بسبب تثاقلهم في الامتثال لهم كثرة سؤالهم واستكشافهم والحق هو الثاني
لقوله عليه الصلوة والسلام لو اعترضوا ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم
والاستقصاء شوم وروي مثله عن ابن عباس رض وهو رئيس المفسرين ولان اللازم على
الاول تاخير البيان عن وقت الحاجة لدلالة قوله فافعلوا ما تؤمرون على انهم امروا بايقاع
ذبح البقرة قبل بيان اللون وكونها مسلمة غير مذللة وهذا اللازم محذور عند المخالف ايضا
ومن ذهب الى الاول تمسك اولا بان الضماير في الاجوبة اعني انها بقرة كذا وكذا للمعينة قطعا
فكذا في السؤال للتطابق والسؤال انما هو عن البقرة المامور بذبحها فيكون هي المعينة وجوابه
انهم لما تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى ظنوها معينة خارجة عما هو عليه
صفة الجنس فسالوا عن حالها وصفتها فوقعت الضماير للمعينة بزعمهم واعتقادهم فعينها الله
تعالى تشديدا عليهم وان لم يكن المراد من الامر هي المعينة وثانيا بانه قد دل السياق ووقع الاتفاق
على انه لم يرد امر متجدد غير الاول فالامتثال ليس الا بالامر الاول فلزم ان لا يكون منسوخا
وان يكون امرا بذبح المعينة وجوابه ان انتقال الحكم الى المخصوصة لا يلزمه ارتفاع حكم الامر
الاول حتى يحتاج ايجاب المخصوصة الى امر متجدد بل على انه كان متناولا لها ولغيرها بمعنى
حصول الامتثال باي فرد كان فارتفع حكمه في حق ما عداها وبقي الامتثال بذبحها خاصة و
كان ذبحها امتثالا للامر الاول ولم يكن هذا منافيا لنسخ الامر الاول في الجملة ولا موجبا لكون
المراد به اولا ذبح المعينة واذ قتلتم نفسا خطاب الجمع لان القتل صدر عن جماعة وهم بنو
عم المقتول فادارءتم اي تخاصمتم لان المتخاصمين يدرء بعضهم بعضا او تدافعتم لان كلا منهم
يدفع التهمة عن نفسه الى الاخر والبراءة عن الاخر الى نفسه واصله فتدارءتم فادغمت التاء في الدال
لانها من مخرجها فسكنت وادخلت الف الوصل لتعذر الابتداء بالساكن وفي فيها للتعليل كما
في قوله تعالى لمتنني فيه والله مخرج مظهر لا محالة حكى ما كان مستقبلا وقت التدارء فاعمل فيه
ما كنتم تكتمون على المفعولية كما حكى ما كان حاضرا وقت التغليب في قوله وكلبهم باسط ذراعيه
فقلنا اضربوه عطف على فادارءتم وما بينهما اعتراض مشعر بان التدارء لا يجدي اذ الله
مخرج ومظهر ما كتموه والضمير البارز للقتيل وفي تذكيره تنبيه على زوال الحكم النفسي عن الجسد بعد
القتل ببعضها اي بعض كان دل على ذلك الابهام كذلك يحيي الله الموتى خطاب لمنكري البعث
من مشركي مكة او للذين حضروا القتيل على تقدير فقلنا لهم والكاف في محل النصب
اي مثل ذلك الاحياء العجيب الشان وذلك اشارة الى ما دل عليه المحذوف المدلول عليه بهذا الكلام
وما قبله وهو قوله فاحيي روي انه لما ضرب قام باذن الله تعالى واوداجه تشخب دما وقال
قتلني ابنا عمي فلان وفلان وسقط ميتا فاخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك ويريكم

اياته دلائله لان من قدر على احياء نفس واحدة قدر على احياء الكل لعدم الفرق عند العقل
لعلكم تعقلون تستدلون به او تعملون على قضية عقولكم وقد مر معنى لعل غير مرة وانما
جعل احياءه مسببا عن ذبح البقرة وضربه ببعضها وهو قادر على احيائه ابتداء ليعلم ان في
الاسباب والشرايط حكما وفوايد كالتقرب بالقربان والتنبيه على حسن تقديم القربة في الطلب
وتحري الاحسن والغالي في الثمن وعلى وجوب المسارعة في امتثال الامر لو كان للارشاد وان
التشدد به موجب لتشديد الله تعالى على من شدد وان الاستهزاء من فعل الجهال وان بر الوالدين
له بركة وكذا التوكل والشفقة على الابناء ثم قست قلوبكم من بعد ذلك اي بعد احياء القتيل وهو
امر عظيم خارق للعادة موجب للاعتبار قيل ثم للاستبعاد وفيه ان معناها الحقيقي غير متعذر
قال الواحدي يقال قسى قلبه يقسو قسوة وقساوة وهي الشدة والصلابة واليبس وقست
قلوبكم استعارة تبعية واقعة على سبيل التمثيل شبهت حالة قلوبهم وهي نبوها عن الاعتبار بحالة
قسوة الحجارة في انها لا تجدي فيها لطف العمل وحسن الحيل والاعتبار هذه الاستعارة حسن التفريع
والتعقيب بقوله فهي كالحجارة او اشد قسوة تشبيه في القساوة بالحجارة وبيانه وتقريره وان ترك
الحجارة للدلالة على انها في شدة القسوة مفضلة على الحجارة لمطاوعة الحجارة لامر الله تعالى
وعلى هذا قوله او اشد معطوف على قوله كالحجارة من قبيل عطف المفرد على المفرد كما تقول زيد
على سفر او مقيم وقرئ اشد بالفتح عطفا على الحجارة او مثل شيء اشد من الحجارة قال الواحدي
قال المفسرون انما شبه قلوبهم بالحجارة في الغلظة والشدة ولم يشبه بالحديد وان كان الحديد
اصلب من الحجارة لان الحديد يلين بالنار ولا تلين الحجارة بمعالجة ابدا وانتصب قسوة
على التمييز ويتفضيلا اشد وكاف التشبيه وهذا التمييز الذي بعد افعل التفضيل منقول عن المبتدا
وهو نقل غريب وانما لم يقل اقسى لما في اشد من المبالغة لدلالته عليها بجوهر اللفظ الموضوع
لها مع بنيته موضوعة للشدة فيها وفي ذلك من الايماء الى الاعتناء ببيان الزيادة ما لا يخفى
والدلالة على اشتداد القسوتين واشتمال المفضل على زيادة واو بمعنى بل كما في قول الشاعر
بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى وصورتها او انت في العين املح اي بل انت وللابهام
على المخاطب قال ابو الاسود الدولي احب محمدا حبا شديدا وعباسا وحمزة او عليا فان يك
حبهم رشدا اصبه ولست بمخطئ ان كان غيا ولم يشكك ابو الاسود ان حبهم رشد ظاهر
انما قصد الابهام وقد قيل له حين قال ذلك شككت قال لا ثم استشهد بقوله تعالى وانا
او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين قال او كان شاكا من اخبر بهذا لما يتفجر منه الانهار التفجر
التفتح بسعة وكثرة وقرئ وان مخففة من المثقلة لوجود اللام في لما وان منها لما يشقق فيخرج
منه الماء اصله يتشقق وقرئ به والتشقق التصدع بطولا وعرض فينبع منه الماء بقلة
حدا على التنجيم دون الترقي والاذنم الموخر وان منها لما يهبط من خشية الله الهبوط

التردي من علو الى سفل والخشية الخوف عن علم وهنا مجاز عن الانقياد اطلاقا لاسم الملزوم
على اللازم وقوله من خشية الله متعلق بالافعال الثابتة كلها ولما كانت قساوة القلوب
تنشاء عنها الاعمال القبيحة قال تعالى على سبيل التهديد وما الله بغافل عما تعملون وقرئ
بالياء للغيبة ضما الى ما بعده من الضمائر العائدة الى اليهود افتطمعون الطمع نزوع
النفس الى شيء شهوة والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ان يؤمنوا
في محل الجزاء في ايمانهم والضمير لليهود الذين في زمن محمد عليه الصلوة والسلام لانهم
الذين يصح منهم الطمع واللام في لكم للتعليل او لاعتبار معنى الاستجابة اي ان يحدثوا
الايمان لاجل دعوتكم او يستجيبوا لكم كما في قوله وامن له لوط لا للصلة كما في وما انت
بمؤمن لنا اي مصدق لان مثله لا يوجد في الفصل وانتظامه بما قبله ان النبي عليه الصلوة
والسلام والصحابة رضوان الله عليهم اجمعين لما سمعوا هذه الايات وهي في مخاطبة
اليهود وطمعوا ان يوثر ذلك في قلوبهم فيؤمنوا فقال الله تعالى فتطمعون مبالغة
في انكار الطمع مع كونه كالمستحيل عادة بايراد الفاء بعد الهمزة اي بعد ما شاهدتم
منهم ما يوجب الياس من ايمانهم من قسوة القلب تطمعون في ايمانهم وهم قوم باعيانهم
كما في قوله تعالى ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون وقد كان فريق الفريق اسم جمع
لا واحد من لفظه كالحزب والواو للحال اي في حال علمكم بطريقتهم وعادتهم منهم
الظاهر رجوع الضمير الى ما يرجع الضمير في يؤمنوا وعناد البعض ثم كان منافيا
لاقرار الباقين لانهم كانوا مقلدين لهم يسمعون كلام الله ما يتلونه من التورية والسمع
كناية عن القبول ففي ذكره زيادة تقبيح لحالهم لان التحريف بعد القبول اشد قباحة
ولو كان على حقيقته لما احتيج الى ذكره لان التحريف لا يكون الا بعد السماع ثم يحرفونه
تحريف الشيء امالته عن حال الى حال ومنه قلم محرف اي محد شقيه مائل فينتظم التغيير والتبديل
والتاويل وما حرفوه نعت الرسول عليه الصلوة والسلام وشريعتهم كاية الرجم ويجوز
ان يكون المراد من الفريق من كان في زمن موسى عليه السلام وهم اهل الميقات والكلام
المسموع كلامه تعالى بالظهور وقد تحريفهم ما سمعوه وعلى هذا ايضا الضمير في منهم على
ظاهره ولا حاجة الى ان يكون المعنى من اسلافهم فان اسلاف طائفة يعدون منهم وعلى هذا
يكون المعنى الاصرار على البطلان موروث لهم شنشنة اعرفها من اخزم من بعد ما عقلوه
اي فهموه بعقولهم ولم يبق لهم فيه ريبة وهم يعلمون انهم مفترون اي لم يفعلوا ذلك
عن خطاء ونسيان بل فعلوا عن قصد وتعمد حسدا وبغيا واذا لقوا يعني المنافقين منهم
المبشر في التورية الذين امنوا المخلصين من اصحاب رسول الله عليه الصلوة والسلام قالوا
امنا اي بانكم على الحق ورسولكم هو المبشر في التورية وانما لم ينطقوا بالمتعلق لعدم المساعدة

من باطنهم وهذا اية غاية خبثهم واذا خلا بعضهم الى بعض اي اذا انفردوا عن المخلصين
منضمين بعضهم الساكتون وفقا للمنافق الى الناطقين بكلمات النفاق قالوا اي الذين
سكتوا عاتبين على الذين نطقوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم اي بما بين لكم في التورية من
نعت محمد عليه الصلوة والسلام والاستفهام للتقريع والتشنيع واللام في ليحاجوكم به متعلق
باتحدثونهم وهي لام كي على تجوز لان الناشي عن شيء وان لم يقصد كالغاية والمعنى ليحتجوا
عليكم بما انزل ربكم في كتابه من الحجة واصله من حجه اذا قصد مغالبته خصمه عند ربكم جعلوا
محاجتهم بكتاب الله تعالى وحكمه محاجة عنده كما يقال عند الله كذا ويراد انه في كتابه وحكمه
كذا وعلى هذا يكون عند ربكم بدلا عن قوله به او ظرفا مستقرا بمعنى ليحاجوكم بما قلتم حال
كونه في كتاب ربكم وقيل المعنى عند ربكم يوم القيمة لا يقال ان اليهود يعلمون انهم يوم القيمة
محجوجون حدثوا او لم يحدثوا لان ذلك العلم لعلمائهم لا لكلهم فلا ينافي تحذيرهم الجهال منهم
بذلك القول ابقاء لهم على اليهودية ولان احترازهم عن كونهم محجوجين من جهة الخصم
فان ذلك لازم ان حدثوا ومندفع ان لم يحدثوا في زعمهم افلا تعقلون افليس لكم عقل
حتى تدركوا فساد ما فعلتم وهذا من تمام كلام اللائمين اولا يعلمون مقابلة لهم بذلك التجهيل
والتوبيخ والتعجيب مع التقرير اي اتنكرون عليهم ولا تعلمون ان الفساد في قولكم مضاعف
ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون اي يعلمها على السواء وللقصد الى معنى التسوية ذكر قوله
وما يعلنون مع ان قوله ما يسرون يغني عنه ونظير هذا في القصد الى المعنى المذكور قوله تعالى
يكلم الناس في المهد وكهلا وتقديم ما يسرون مع ان حقه في اسلوب الترقي التاخير التسوية
بينهما في الاهتمام فان في الجمع بين العبارة والدلالة اهتماما بالثاني وفي التقديم مع
حقه التاخير اهتماما بالاول ومنهم اميون عاميون الامي من لا يكتب ولا يقرأ سمي به لانه
على الخلقة التي ولدته الام عليها لا يعلمون الكتاب اي التورية الا اماني الاستثناء منقطع
والاماني جمع امنية افعولة من التمني وهو التقدير ولها معان ثلثة المتمنيات لان المتمني
يقدر في نفسه ما يشتهيه ويتخيله والاكاذيب لان الكاذب يقدر في نفسه ويتخيل شيئا لا وجود
له والمقروات لان القارئ يقدر عند قراءته في نفسه ان كلمة كذا بعد كذا ومنه قوله تمنى كتاب
الله اول ليلة فالمعنى ولكن يعتقدون اكاذيب من المحرفين او مواعيد فارغة سمعوها
منهم ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم وان النار لا تمسهم الا اياما معدودة او ما يقرؤن
قراءة عارية عن معرفة المعنى وتدبره والامي ربما يقدر على قراءة ما بالاخذ من افواه الرجال
وان هم الا يظنون ما هم الا قوم يظنون والظن هنا على بابه من ترجيح احد الطرفين ولا يلزم
من الترجيح عندهم ان يكون راجحا في نفس الامر ويجوز ان يجعل الضمير للفريقين فنفي العلم
عن العلماء في قوله اولا يعلمون على سبيل الانكار حيث لم يعملوا بموجبه وعن المقلدين بقوله لا يعلمون

الكتاب ثم حكم بينهم في النطق المؤدي الى الضلال سواء فعلى هذا يكون في الآيات جمع وتقسيم جمع الفريقين في قوله افتطمعون ان يؤمنوا لكم ثم قسمهم الى فريقين علماء معاندين وجهلاء مقلدين ثم جمعهم في يكتبون فويل اي تحسر او هلك روي مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم الويل جبل في النار وفي رواية ابي سعيد الخدري رض واد في جهنم وهو في الاصل مصدر لا فعل له لان فاءه وعينه معتلتان وتنكيره للتعظيم فلم يكن نكرة محضة على ان الغرض من الكلام الافادة فاذا حصلت جاز الحكم سواء تخصص بحكم عليه شيء او لا واما ان النكرة اذا كانت دعاء يقع مبتدأ وان لم تخصص فما قيل في بيانه لا يجري في ويل صرح به الرضي للذين يكتبون الكتاب يعني ما كتبوه من التأويلات الزائغة ولذلك احتاجوا في ترويجه الى بيان نسبته الى الله تعالى ولو كان المراد الكتاب المحرف لما احتاجوا اليه لان كون التورية من عند الله مسلم وما احدثوه من التحريف غير معلوم لغيرهم بايديهم تأكيد اي يقولونه بانفسهم فقد يقول الانسان كتبت الى فلان اذا امر غيره بان يكتب عنه واذا قال كتبت بيدي فقد اخبر بانه باشره بنفسه فهو من حيث انه كناية عن انه من تلقاء انفسهم دون ان ينزل عليهم ناظر الى ما في قولهم هذا من عند الله من دعوى النزول هكذا مكتوبا من السماء كما هو الشان في التورية ويجوز ان يكون لدفع احتمال الانشاء فان الكتابة تابعة فهو فائدة التنصيص بمعنى الاملاء التغليظ في الجناية حيث تضم الى القول العمل ثم يقولون هذا من عند الله كلمة ثم للاستبعاد وعدم الفائدة في الاخبار عن تراخي القول المذكور عن العمل المزبور كفى قرينة صارفة عن المعنى الحقيقي لها في الكلام البليغ ليشتروا به ثمنا قليلا متعلق بيقولون وقد مر بيان استعارة الاشتراء للاستبدال ونكتة التعبير عن البيع بالثمن فتذكره ما حصلوا به وان جل قليل بالنسبة الى ما فات عنهم من حظوظ الاخرة فويل لهم مما كتبت ايديهم جعل ما ههنا وفي قوله وويل لهم مما يكسبون مصدرية اولى من جعلها موصولة لعدم الحذف وكون الويل على الفعل اولى وانسب من كونه على المفعول واصل الكسب الفعل لجر نفع او دفع ضرر ولهذا لا يوصف به الله تعالى وقيل هو اجتلاب الحظ متناول من الاسباب وكرر الويل حتى يتحقق ان الخسار والهلكة يترتب على كل واحد من المكتوب والمكسوب على حدة وقالوا لن تمسنا النار المس اقل تمكنا من الاصابة وهو اقل درجاتها ولذلك دخل عليها في قوله تعالى وما مسني من لغوب وفي قوله تعالى لم يمسسني بشر وقوله تعالى ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها كما لا يخفى الا اياما معدودة اي قلائل وهذا لانهم يكنون بالعد عن القلة بناء على انهم كانوا يزنون ما بلغ الاوقية ويعدون ما دونها روي انهم قالوا سبعة ايام وعنهم اربعون يوما عدد عبادتهم العجل ولا وجه لانهم قد تابوا عنها توبة مقبولة قل اتخذتم عند الله عهدا الالف المجتلبة ذهبت بالادراج وهمزة

الالف المقطوع الف الاستفهام للتوبيخ يعني ان مثل هذا الجزم لا يكون الا ممن وعده الله به وانما عبر عن الوعد بالعهد ايماء الى ان في الجزم المذكور لا بد من وعد قوي وانما قال عند الله دون من الله تعالى لا يخفى عن سوء ادب فلن يخلف الله عهده جواب شرط مقدر اي ان كنتم اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده فالفاء فصيحة والجملة معترضة وانما قلنا ان المقدر ان كنتم اتخذتم لان المعنى ليس على الاستقبال ثم ان هذا من جملة المواعيد فلا وجه للاستدلال به على عدم الخلف في وعده وعلى تقدير صحته انما يدل على عدم وقوع الخلف في وعده لا على استحالته ام تقولون على الله ما لا تعلمون ام اما معادلة للهمزة بمعنى اي الامرين كائن على سبيل التقرير لو توقع العلم بكون احدهما او منقطعة بمعنى بل والهمزة التقريرية بلى اثبات لما بعد النفي في لن تمسنا اي بلى تمسكم ابدا وتخصيص جواب النفي من كسب سيئة السيئة تانيث السيء وهو فيعل من السوء وهو العمل الفاسد ولذلك ذكر في مقابلته العمل الصالح والمكسوب لا يلزم ان يكون نافعا في نفس الامر بل يكفي ان يكون نافعا في نفس الامر بل يكفي ان يكون ملائما للطبع الكاسب مؤثرا عنده نافعا في زعمه واحاطت به خطيئته قال القفال كل ذنب خطاء وخطيئة لانه ليس بصواب وفي الاساس اخطاء في المسئلة وفي الرأي وخطئ خطاء اذا تعمد الذنب وضع قوله من كسب سيئة الخ مكان تمسكم النار ابدا للاثبات على الطريق البرهاني انه اثبت السيئة العامة اي سيئة من السيئات ثم خصصها بالكبيرة بقوله احاطت به خطيئته اي استولت عليه ولم يتفص عنها بالتوبة وقرئ خطاياه وخطيئاته تعريضا بكثرة خطاياهم من الشرك والنفاق والتحريف والافتراء على الله تعالى وشبهها بالعدو المحيط به من جميع الجهات لذلك لغلبتها على طاعته واشار بقوله فاولئك الى ان سبب استحقاق الخلود في النار هو ذلك الكسب المعلوم اصحاب النار ملازموها في الاخرة لانهم ملازمو اسبابها في الدنيا وذلك لان الصاحب مشتق من الصحبة وهي وان كانت تعم القليل والكثير لكن العرف خصصها لما طالت هم فيها خالدون اوقع هم للتاكيد كانه قال اي كبيرة من الكبائر استولت وسحبت بالغلبة على الطاعة استحق صاحبها الخلود في النار وقد تقرر ان الشرك كبيرة لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به وكذا التحريف والافتراء على الله تعالى لقوله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته انه لا يفلح الظالمون فثبت بالبرهان انه تمسكم النار ابدا ومعنى الخلود في الاصل الثبات المديد دام او لم يدم لكن المراد به ههنا الدوام لما يشهد له من الايات والسنن وكان نقول الاحاطة في الاصل الاحداق بالشيء من كل جانبه وجوانب المكلف من حيث انه مكلف ثلثة اللسان كلف من جهته بالاقرار والاركان كلف من جهتها بالطاعات والجنان كلف من جهته بالتصديق وهم افتروا بالسنتهم وحرفوا كتاب الله تعالى بايديهم واصروا على النفاق معتقدين بالباطل خلاف ما اظهروه فقد تحقق احاطة الخطيئات بهم وثبت استيلاؤها عليهم فالاية كما ترى لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة في النار والذين امنوا وعملوا الصالحات جرت عادته تعالى على ان

بشفع وعده بوعيده تبشيرا للمطيع وانذارا للعاصي والايمان على معناه اللغوي فلا دلالة
في عطف العمل عليه على المخالفة المشهورة المذكورة في كتب الكلام نعم يفهم منه اشتراط العمل الصالح
في دخول الجنة فلمن شرط في الايمان المقبول الاقرار باللسان ان يحمل العمل الصالح عليه ولمن الف
يقول ان لفظه مع للتاكيد لا للحصر بدلالة النصوص القاطعة على عدم اشتراط العمل في النجاة
عن النار على انه لا دار ثالثة للفرار اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ذكر الفاء فيما
تقدم وتركه هنا للدلالة على ان الملازمة والخلود ثمة بالاستحقاق من قبلهم بسبب احاطتهم من
احاطة الخطيئات وههنا بمحض فضل الله تعالى على ما دل عليه قوله تعالى الذي احلنا دار المقامة
من فضله واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون اخبار في معنى النهي كما في لا تضار والدة
بولدها وفي لا تنكح المرأة على عمتها وهو باب من ابواب البلاغة في الامر والنهي نظره البليغ به لشدة
اعتنائه بالامتثال والانتهاء وتحريض المخاطب على المسارعة والمبادرة فيهما كانه سارع الى
الامتثال والانتهاء فيخبر عنه الامر والناهي ويؤيده قراءة لا تعبدوا ويدل عليه قوله وقولوا
فيكون على ارادة القول واما ايهام ان المنهي مسارع الى الانتهاء فهو يخبر عنه فلا يناسب هذا
المقام لان حال المنهي هنا على خلاف ذلك وقيل تقديره ان لا تعبدوا فلما سقطت ان رفع الفعل
لزوال الناصب كقوله تعالى قل افغير الله تأمروني اعبد ايها الجاهلون وقال طرفة الا ايهذا الزاجري
احضر الوغى يروى احضر بالرفع اي ان احضر الوغى ولذلك عطف عليه وان اشهد اللذات هل
انت مخلدي ويدل عليه قراءة ان لا تعبدوا ويحتمل ان يكون ان مفسرة بمعنى اي وان يكون
ان مع الفعل بدلا عن الميثاق اي اخذنا توحيدهم او معمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم
دل عليه المعنى كانه قال وحلفناهم لا تعبدون وقيل انه رفع في موضع الحال في صيغة الفعل
وموضعه نصب في الاسم تقول دخل عليه يتبسم اي متبسما والتقدير هنا اخذنا ميثاقهم غير
عابدين وقرئ بالتاء حكاية لما خوطبوا به وبالياء لانهم غيب الا الله استثناء مفرغ وفيه
التفات من التكلم الى الغيبة لما في الاسم الظاهر من الفخامة وبالوالدين احسانا مصدر في معنى
الامر اي واحسنوا بالوالدين وتقديم المعمول للاهتمام واحسن كما يتعدى بالى يتعدى
بالباء قال تعالى وقد احسن بي وذي القربى عطف على الوالدين اراد به الجنس ولذلك
افرد ذو واضافته الى المصدر تغني عن صيغة الجمع واليتامى جمع يتيم كنديم وندامى
واليتيم الذي مات ابوه فانفرد عنه واليتم الانفراد ومنه الدرة اليتيمة وحق هذا الكلام
ان لا يزول عن الكبار لبقاء معنى الانفراد عن الاباء الا انه قد غلب ان يسموا به قبل ان
يبلغوا مبلغ الرجال وعلى وفق هذا ورد قوله عليه الصلوة والسلام لا يتم بعد الحلم وان
كان المراد تعليم الشريعة والمساكين جمع مسكين وهو مفعيل من السكون كان الفقر اسكنه
عن التصرف وقولوا للناس حسنا قولا حسنا وسماه حسنا للمبالغة لما اتبع عبادة الله تعالى

بالاحسان لمن ذكر وهو فعل اتبع ذلك بالقول ليكون الاحسان بالفعل والقول ولما كان
الاحسان القولي لامرهنا على ما افصح عنه من قال البر شيء هين وجه طليق ولسان لين
كان متعلقه الناس عموما وقرئ حسنا بفتحتين على انه صفة مصدر محذوف وحسنى
بضمتين وهو لغة اهل الحجاز وحسنى على المصدر كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد
واقيموا الصلوة واتوا الزكوة يريد بهما ما فرض عليهم في شريعتهم فمن هنا ظهر انهما
منقولتان الى القدر المشترك بين صلوتنا وصلوتهم والقدر المشترك بين زكوتنا و
زكوتهم ثم توليتم على طريقة الالتفات للتعنيف في التوبيخ فانه عند الاستحضار اشد
ويجوز ان يكون الخطاب مع الموجودين منهم في عهد الرسول عليه الصلوة والسلام لسبق
منهم لانه دابهم ودأب اسلافهم الا قليلا منكم اي اشخاصا قليلين وهم الذين اقاموا
اليهودية على وجهها قبل النسخ واما الذين اسلموا من الذين ما اقاموها فقد وجد منهم
التولي والاعراض فلا وجه لاستثنائهم وانتم معرضون التولي قد يكون لحاجة تدعو
الى الانصراف مع ثبوت العقد والاعراض هو الانصراف عن الشيء بالقلب فالجملة حال و
ليست من قبيل وتوليتم مدبرين وفي تسمية هذه الجملة الدالة على انهم قوم عادتهم الاعراض
عن الطاعة والوفا ترشيح لما تقدم من نكتة التغليب واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون
دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم على نحو ما سبق في لا تعبدون المعنى لا تفعلوا ما
يؤدي الى هذين المحذورين او لا يفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه لاتصاله
به نسبا ودينا ثم نسب الى نفسه ما كان منسوبا الى الغير على التجوز لادنى ملابسة والديار
مباني الاقامة وقال الخليل محلة القوم دارهم ثم اقررتم اي خلفا بعد سلف ان هذا الميثاق
اخذ عليكم والتزمتموه ويحتمل هنا ان يكون من الاقرار الذي هو ضد الجحد ويتعدى
بالباء وان يكون من الاقرار الذي هو ابقاء الامر على حاله اي اقررتم هذا الميثاق ملتزما فقوله
وانتم تشهدون تأسيس على هذا وتأكيد على الاول القطع ان يكون اقرارا بمعنى تكلم بما يلزم
منه الاقرار ثم انتم هؤلاء استبعاد قوي لما نسب اليهم بعد اداء الميثاق على الانتهاء منه
واقرارهم وشهادتهم وفي هؤلاء توبيخ وتعبير بليغ وتحقير اي انتم المشاهدون المشار
اليهم بنقض العهد الذين لا يمكن ذمهم بما يزيد على ما يشاهد منهم ويشار به اليهم كقولهم
في التحقير يا هذا او انتم المشاهدون اي قوم اخرون غير اولئك المقربين تنزيلا لتغير الصفة
منزلة تغير الذات كقولك رجعت بغير الوجه الذي خرجت به وعدهم باعتبار ما اسند اليهم
حضورا وباعتبار ما يحكى عنهم غيبا ثم فصل ما ابهم في اسم الاشارة للتسجيل عليهم وتشهيرهم
بنقض العهد ومخالفة الاقرار والشهادة والافراط في ذلك بالتظاهر بالاثم والعدوان فقال
تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم يجوز ان يكون خبرا لانتم وهؤلاء منادى

او منصوب على الاختصاص للذم اعني هؤلاء الحاضرين او تاكيد والخبر هو الجملة او بمعنى الذين
والجملة صلة والمجموع هو الخبر ويجوز ان يكون حالا والعامل فيها معنى الاشارة تظاهرون عليهم
بالاثم والعدوان حال من فاعل تخرجون او مفعوله او كليهما والتظاهر التعاون واصله الظهر
وبه يقع الاستناد والاعتماد وان ياتوكم اسارى تفادوهم روي ان قريظة كانوا حلفاء الاوس
والنضير حلفاء الخزرج فاذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب الديار واجلاء
اهلها واذا اسر احد من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وقرئ اسرى وهو جمع اسير كجرحى
وجريح واسارى جمع كسكرى وسكارى وقيل هو ايضا جمع اسير كما قالوا اسارى تشبيها
شبيح قديم وشيوخ قدامى وهو قليل وقال الواحدي نقلا عن سيبويه قالوا كسلى تشبيها
باسرى كما قالوا اسارى تشبيها بكسالى والاسير هو المأخوذ قهرا واصل الاسر الشد ومن اخذ
قهرا شد غالبا فسمي المأخوذ قهرا اسيرا وان لم يشد وقال ابو عمرو الاسارى الذين هم في
الوثاق والاسرى الذين هم في اليد وان لم يكن في الوثاق وقرئ تفدوهم اي تطلقوهم بعد ان
تاخذوا منهم شيئا قال ابو علي وفاديت نفسي اي اطلقتها بعد ان دفعت شيئا وقد يجئ فاديت
بمعنى فديت اي دفعت فديته مال نفسي ومنه قول العباس رض للنبي صلى الله عليه وسلم فاديت
نفسي وفاديت عقيلا وهما فعلان يتعديان الى مفعولين الثاني منهما بحرف الجر تقول فديت
زيدا بمال وفاديته بمال قال ابو علي كل واحد من الفريقين فعل الاسر دفع الاسير والماسور
منه دفع ايضا اما اسيرا واما غيره والمفعول الثاني محذوف وهو محرم عليكم اخراجهم
متعلق بقوله وتخرجون فريقا منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض والضمير للشان ومحرم خبر
واخراجهم مرفوع بمحرم ويجوز ان يكون اخراجهم مبتدأ ومحرم خبر مقدم والجملة خبر
هو او مبهم وتفسيره اخراجهم او راجع الى مصدر دل عليه تخرجون ويكون محرم الخبر واخراجهم
بدل من الضمير في محرم او من هو او تاكيد وبيان كيلا يذهب الوهم الى ان يرجع ذلك الى الفداء
الهوى وانما اكد الاخراج بالنص على تحريمه وان كان ما سبق ايضا محرما لما فيه من الجلاء والنفي
الذي لا ينقطع شره بخلاف القتل فان شره ينقطع في الحال والمحرم الممنوع منه افتؤمنون ببعض
الكتاب يعني الفدية وتكفرون ببعض يعني حرمة المقاتلة والاجلاء والاستفهام بمعنى الانكار و
التوبيخ والتهديد وذلك على التفريق بين احكام الله تعالى وكان مرجع الانكار الى القيد المستفاد
من لفظ البعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا فاذا فعلتم ذلك فسبب ان
لا يكون جزاءكم في الدنيا الا الخزي وفي قوله منكم دلالة على ان التفريق المذكور فعل بعضهم و
التوبيخ للكل لعدم منع الباقين عنه والخزي الذل من الفضيحة وقد خزي خزيا فهو خزي والخزاية
الاستحياء وقد خزي خزاية فهو خزيان قال المرزوقي واخزى يجوز ان يكون من الخزي الهوان و
يجوز ان يكون من الخزاية الاستحياء والمراد قتل قريظة فان قيل قتالهم سبب لذراريهم

واجلاء النضير وضرب الجزية على غيرهم والدنيا مأخوذة من دنا يدنو واصل الياء فيه واو
ولكن ابدلت بين الاسماء والصفات وانما قدم ذكر الجزاء هنا للاشارة الى تعاقبهم حيا على
تلك الحال لمدة مديدة واخر الجزاء في الاخرة لانه عند انتهاء يوم القيمة ويوم القيمة يردون معنى
الرد الارجاع ففيه اشارة الى انهم كانوا قبل ذلك مرة اخرى في اشد العذاب وهو ما في القبر
ثم ان فيه بيان ان فيه ما كان في الحيوة الدنيا من الخزي غير مكفر لذنوبهم الى اشد العذاب اي
عذاب لا روح فيه لانه الجزاء به وذلك لان عصيانهم اشد وما الله بغافل عما تعملون
تاكيد للوعيد وقرئ يردون بالياء اعتبارا بقوله من يفعل وبالتاء اعتبارا بقوله منكم وقرئ
يعملون ايضا بالياء والتاء على الاعتبارين اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة اي
لا يحبونها اذ هي لا تفوت عنهم والاشتراء مستعار لايثار العاجل الفاني على الاجل الباقي فلا
يخفف عنهم العذاب اي يبقى على شدته معطوف على الصلة من قبيل عطف الجمل فلا يشترط
اتحاد الزمان ولا هم ينصرون بدفعه عنهم ولقد اتينا موسى الكتاب التورية وقفينا ه
من بعده بالرسل اي جئنا من بعده بالرسل مقتفين اثره متبعين شريعته يقال قفاه اذا
اتبعه من القفا كذنبه من الذنب وقفاه به اتبعه اياه ولولا اعتبار معنى جئنا على
التضمين لضاع قوله من بعده واتينا عيسى ابن مريم لما لم يكن عيسى عم من جملة المقتفين
اثر موسى عم المتبعين شريعته افرده بالذكر واضافه الى امه تخفيفا لعدم نسبته الى الاب
وفيه رد لقول اليهود حيث نسبوه الى الاب وعيسى بالعبرية يشوع ومريم بالسريانية
الخادم وقد جعلتها امها محررة لخدمة المسجد وبالعبرية كالزير من الرجال وقال ابو البقاء
مريم علم عجمي ولو كان مشتقا من رام يريم كان مريما بفتح الميم وسكون الياء وقد جاء في
الاعلام بفتح الياء كمزيد وهو خلاف القياس البينات الايات الظاهرات من قولك بان اي
ظهر وما ثبت به الدعوى من حيث افادته البيان يسمى بينة ومن حيث الغلبة به على الخصم
حجة والمراد المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات
او الانجيل وايدناه قويناه بروح القدس جبرئيل عم وذلك انه تولد بنفخه وانه عصمه من
اول حاله الى كبره فلم يدن منه الشيطان عند الولادة ورفعه الى السماء حين قصد اليهود
قتله والقدس الطهارة وكان الاصل الروح المقدسة لكن اضيف الروح الى القدس تنبيها
على زيادة اختصاص الروح به لان من شان الصفة ان يكون منسوبة الى الموصوف فاذا
عكس باضافته اليه يزيد معنى الاختصاص افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم بما لا تحبه يقال
هوي بالكسر هوى اذا احب وهوى بالفتح هويا بالضم سقط وانما اسند الهوى الى الانفس
لا الى ضمير الخطاب اشعارا بان حق المشتهيات ان تسند اليها وقوله كلما جاءكم مسبب عن قوله
ولقد اتينا موسى الكتاب ولهذا ادخلت الفاء عليه على تقدير لكن انعمنا عليكم ببعثة موسى

عليه السلام وايتائه الكتاب ثم اتبعناه الرسل بابتاء عيسى عليه السلام لتشكروا تلك النعم بالتلقي بالقبول
فعكستم بان كذبتم فريقا وقصدتم قتل اخرين ثم ادخل من التسبب المستبب همزة التوبيخ
والتعجيب لتعكيسهم فيما يجب عليهم ويجوز ان يكون استينافا والفاء للعطف على مقدر فعلى
هذا ما عقبوا الايتاء محذوف وهو قوله فعلتم ما فعلتم وهو كناية عن التكذيب والقتل
وغير ذلك من قبايحهم وعنادهم ثم استانف الكلام موبخا لهم مصدرا الجملة بهمزة الانكار
على تقدير اكفرتم وخالفتم فكلما جاءكم رسول وبرفع هذا انه ح يثنى التقريع والتوبيخ اجمالا
وتفصيلا استكبرتم اى عن قبول ما اتى به مما لا تحبه انفسكم على تضمين الاستكبار معنى الاباء
لا عن الايمان به لانهم كانوا مصدقين ببعض من جاء من بعد موسى عم من الرسل كيوشع و
داود وسليمان عليهم السلام ففريقا اى فريقا منهم كذبتم يريد به التكذيب من غير قتل بقرينة
تفريع هذا عن قرينه والا فمطلق التكذيب يتنظمها والفاء للسببية او التعقيب وفريقا اى فريقا
آخر تقتلون حال ماضية اريد استحضارها وتصويرها لشدة فظاعتها وتكرها فاخرجها مخرج
الحال المشاهدة او قصد الدلالة على انهم بعد فيه لانهم كانوا حول قتل محمد صلى الله عليه وسلم لولا العصمة
من الله تعالى ولهذا سحروه وسموا الشاة ثم ان فيه محافظة على الفاصلة وتمام تقديم ذكر تكذيبهم هذا
الفريق استغناء بذكر اقبح الفعلين عن الآخر وقالوا قلوبنا غلف جمع اغلف وهو الذي لم يختن
مستعار للقلوب المغشاة بالاغطية خلقة وجبلة اى مجبولة على صفة لا يتوصل اليها ما جاء به محمد
عليه الصلوة والسلام وقد افصح عن هذا في موضع آخر بقوله قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه والقرآن
يفسر بعضها بعضا وفي القراءة الشاذة غلف بضم اللام جمع غلاف وهو الغلاف والوعاء كالشهاب
والشهب معناه قلوبنا اوعية العلم نفهم ونعي ما نقال ونخاطب به لكنا ما نفهم ما تقول ولا نفقه ما
تحدث فلو كان فيه خير او صدق لفهمته وفهمت بدعون به ابطال ما يقول او نحن مستغنون بما فيها
عن غيره ويابى عن حمل القراءة المتواترة على هذا التصريح بالمعنى الاول في موضع آخر بل لعنهم الله
بكفرهم رد لما قالوا اى ليست قلوبهم كذلك خلقة لانها خلقت على الفطرة بل طردهم الله وابعدهم عن
قبول ذلك بسبب كفرهم واحتجابهم بالعقايد الفاسدة فهم الذين غلفوا قلوبهم بما اسقطها عن
الفطرة اثبت اللعن من نفسه والكفر منهم وهو مذهب اهل السنة والجماعة والمعنى على القراءة الثانية
بل انهم مبعدون عن خير العلم بشوم كفرهم لستم بعلماء ولو كنتم كذلك لقبلتم هذا وعملتم به
فقليلا ما يؤمنون اى فايمانا قليلا يؤمنون وهو ايمانهم ببعض الكتاب وما مزيدة للتاكيد لا نافية
لان ما في حيزها لا يتقدمها وجوز ان يكون مصدرية على ان قليلا منصوب بنزع الخافض ويجوز
ان يكون المبالغة في القلة كناية عن العدم بناء على ان التقليل اذا بولغ فيه يستتبعه العدم وح
يجوز ان يكون انتصاب قليلا على الظرفية ولما جاءهم كتاب اى القرآن من عند الله زيادة تعند
لتعيين معنى النزول فان كل شيء من الله تعالى مصدق لما معهم من كتابهم وفي مصحف ابي رض مصدقا

بالنصب على الحال من كتاب لتخصصه بالوصف وحذف جواب لما لدلالة جواب لما الثانية عليه
وقيل لما الثانية تكرار للاولى والفاء للاشعار بان مجيئه كان عقيب استفتاحهم به ولا احد
فيه لان ما عرفوا حاصل الكتاب وكانوا من قبل اى من قبل مجيء الكتاب يستفتحون اى يستنصرون
على الذين كفروا وهم المشركون الذين يقاتلونهم ويقولون اللهم انصرنا بنبي اخر الزمان المنعوت
في التورية او يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم وقد قرب زمانه والسين للمبالغة
كانهم يطلبون الفتح من انفسهم كما في استعصم ونحوه وذلك لان الفعل مع الداعي والطلب
يكون اقوى يجدد لها ولانه لما كان الفعل حاصلا يكون الطلب للزيادة فلما جاءهم ما عرفوا من
من الكتاب والنبي كفروا به حسدا وخوفا على الرياسة فلعنة الله على الكافرين اى عليهم على
ان التعريف للعهد كما هو الاصل فلا يبعد نعته الى الجنس الا عند التعذر على ان الفاء يابى عن
الحمل على الجنس والاظهار في موضع الاضمار للدلالة على انهم استحقوا فهم اللعنة لنا انهم على الكفر
وكلمة على وقع من اللام لما فيها من الدلالة على انه تعالى جعل اللعنة متعلقة عليهم جللهم بها بئس
ما اشتروا به انفسهم ما نكرة موصوفة مفسرة لفاعل بئس المستكن اى بئس شيئا اشتروا به
انفسهم اى باعوها او شروا بحسب زعمهم فانهم زعموا انهم خلصوا انفسهم من العقاب
بما فعلوا والمراد كفرهم في الماضي لانه عبر عنه بصيغة المضارع استحضارا لذلك الامر القبيح
ان يكفروا بما انزل الله هو المخصوص بالذم بغيا اى حسدا قال اللحياني بغيت على اخيك بغيا
اى حسدته فالبغي اصل الحسد والباغي هو الظالم الذي يفعل ذلك عن حسد واما
بغى بمعنى طلب فمصدره بغاء بضم الدال وبغت بمعنى فجرت مصدره بغاء بالكسر وهو علة اشتروا
لا ان يكفروا اذ المعنى على ذم الكفر الذي اوثر على الايمان بغيا لا على ذم الكفر المعلل بالبغي وما فصل
فليس بما هو اجنبي لان الموصوف والصفة في حكم الاتحاد وكذا التمييز والمميز فما لا يكون اجنبيا
بالنسبة الى فاعله فعل الذم لا يكون اجنبيا بالنسبة الى الفعل الذي وصف به تمييز ذلك الفاعل
ثم انه لا ريبة في ان ايثار الكفر على انفسهم بغيا وعنادا ادخل في الذم من ايثارهم الكفر الناشي
عن البغي على انفسهم اذ لا يتعين ح كون الايثار عنادا وبغيا فيحتمل ان يكون لوجه يخف به
استحقاق الذم فالفرق واضح ان ينزل الله لان ينزل او حسدوه على ان ينزل الله من فضله
اى بعض فضله الذي هو الوحي والنبي الذي هو فضل على من يشاء من عباده على من اختاره
للرسالة فباءوا بغضب على غضب اى صاروا احقاء بغضب مترادف متراكم بعضه على بعض لكفرهم
بنبي الحق وبغيهم عليه وكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد كفرهم بعيسى عليه السلام وغير ذلك
من انواع كفرهم والاستحقاق معتبر في مفهوم باء على ما تقدم بيانه ودلالة الفاء على سببية
الاشتراء المذكور لذلك الاستحقاق لا على الاستحقاق وقوله بغضب حال وعلى غضب صفة له
وللكافرين عذاب مهين يراد به اذلالهم وتقديم الجار والمجرور للتخصيص فان عذاب العاصي

من المؤمنين طرفة لذنوبه واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله اى بجميع الكتب الالهية قالوا نؤمن
بما انزل علينا خصصوا ايمانهم بالتورية ويكفرون حال عن الضمير فى قالوا على حذف المبتداء
وتقديره وهم يكفرون او بتجويز الواو فى المضارع المثبت بما وراءه قال الازهرى ان وراء
يصلح لما قبله ولما بعده لا لانه وضع لكل منهما على حدة بل لان معناه ما توارى عنك اى استتر
هو موجود فيهما وهو فى الاصل مصدر جعل ظرفا يضاف الى الفاعل والمفعول فيراد على الاول
الخلف وعلى الثانى القدام وفيه نظر وهو الحق الضمير لما وراءه الشامل للانجيل والقران وانما
وحد لتوحد اللفظ مصدقا لما معهم حال مؤكدة تتضمن الرد لايمانهم بالتورية لانهم
لما كفروا بما يصدقها حيث نزل على حسب ما نعت فيها فقد كفروا بها والجملة حال عما وراءه وتعريف
الخبر لزيادة التوبيخ والتجهيل بمعنى انه خاصة هو الحق الذى تعارف تصديق كتابهم ولولا
الحال لعنى مصدقا لم يستقم الحصر لانه فى مقابلتهم بل لا كتابهم وهو ايضا حق قل فلم تقتلون
انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين الفاء جواب شرط مقدر دل عليه المعنى اى قل لهم ان كنتم آمنتم
بما انزل عليكم فلم تقتلون انبياء الله فان ذلك المنزل ينهى عنه وانما قال تقتلون حكاية للحال
الماضية كانه قيل فلم كنتم تقتلون وانما اسند اليهم لانه فعل آبائهم وهم راضون به عازمون
عليه ويجوز ان يكون المعنى على التضمين فلم ترضون قتل الانبياء وتعزمون عليه وح يتضح وجه
الاعتراض ولم اصله لما وسقطت الالف وهذا السقوط خص بالاستفهام لانها تامة فالوها طرف
والاطراف محل الحذف وغيره من التغيير بخلاف الموصولة فانها ناقصة تحتاج الى ما توصل به وهى
وما توصل به كاسم واحد فالوها فى حكم المتوسط ولقد جاءكم موسى بالبينات بالمعجزات
الواضحات ويدخل فيها فلق البحر وهو خارج عن الايات التسع المذكورة فى قوله ولقد آتينا
موسى تسع آيات بينات لان المراد منها ما جاء به موسى عليه السلام الى فرعون على ما تعقب
عليه فى موضعه باذن الله تعالى فلا وجه لحمل البينات المذكورة على الايات التسع ثم اتخذتم العجل
اى الها ولفظ ثم ابلغ من الواو فى التقريع لانها تدل على انهم فعلوا ذلك بعد مهلة من النظر
فى الايات وذلك اعظم ذنبا من بعده اى من بعد مجئ موسى عليه السلام لكم بالبينات لا من بعد
مجيئه او ذهابه الى الطور لعدم انفهامه من سياق الكلام وانتم ظالمون حال اى واضعون
العبادة غير موضعها او ظالمون بالاخلال بآيات الله تعالى ويجوز ان يكون اتخذ من قبيل اتخذ
خاتما بمعنى صنعه وعمله ففائدة الحال ظاهرة لان الاتخاذ بهذا المعنى لا يكون ظلما الا حال كونه
مقرونا بالعبادة وعلى الاول فائدته زيادة التوبيخ والتقبيح واعتراض بمعنى انتم قوم عادتكم
الظلم وساق هذا ايضا لابطال قولهم نؤمن بما انزل علينا والتنبيه على ان طريقتهم مع الرسول
عليه الصلوة والسلام طريقة اسلافهم مع موسى عليه السلام لا لتأكيد القصة بالتكرير كذا ما بعده
واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة ويجوز ان يكون تكرير لهذا الحال

نبط به من زيادة ليست مع الاول واسمعوا اى اطيعوا فان الامر بالسماع فى العرف يفيد الاجابة
والقبول ومنه سمع الله لمن حمده اى قبل واجاب قال دعوت الله حتى خفت ان لا يكون الله سميع
ما اقول اى يقبل وهم حملوه على المفهوم اللغوى تجاهلا وتعاميا عنادا منهم وقالوا سمعنا اى القول
وعصينا اى الامر قال الامام القرطبى اختلف هل صدر منهم هذا القول او فعلوا فعلا قام مقامه
فيكون مجازا وقال الامام ابو منصور قولهم وعصينا لم يكن على اثر قولهم سمعنا لكن بعد اوقات
فانهم لما ابوا قبول التورية لما فيها من الشدائد رفع الله تعالى الجبل فوقهم فقبلوها خوفا وقالوا
سمعنا واطعنا فلما زال الجبل وامنوا قالوا عصينا وهو ما ذكر فى قوله نعم ثم توليتم وكان التولى
بعد ذلك باوقات واشربوا فى قلوبهم العجل اى تداخلهم حبه ورسخ فى قلوبهم صورته لفرط
شغفهم به وهذا كما تعالى اشرب الثوب الصبغ اذا تداخل الصبغ اجزاءه تداخل الماء اعضاء
الشارب كانه جعل شاربا اياه وفى العدول عن الظاهر وهو اشرب قلوبهم حب العجل اى
ما علمه المنزل ما لا يخفى من الفخامة والابهام والتفسير من وجه والمبالغة فى الاسناد الى
المحل والدلالة على التمكن المستفاد من الظرفية وان العجل نفسه هو المشرب مبالغة فى شرب
الحب الى غير ذلك بكفرهم بسبب كفرهم لما ترائهم كانوا مجسمة وحلولية قل بئسما يأمركم به ايمانكم
اى بالتورية اذ ليس فيها عبادة العجاجيل واضافة الامر الى ايمانهم تهكم وكذلك اضافة الايمان
اما الثانى فظاهر كما فى قوله ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون تحقيرا واستهزاء لا ولا
دلالة على ان مثل هذا لا يليق ان يسمى ايمانا الا بالاضافة اليكم وليس المراد انه استعارة
تهكمية واما الاول فلان المراد الايمان انما يأمر ويدعو الى عبادة من هو غاية فى العلم والحكمة
فالاخبار بان ايمانهم يأمر بعبادة من هو غاية التهكم والاستهزاء سواء جعل يأمر به بمعنى يدعو
اليه اولا وسواء قصد الاسناد الى السبب الباعث مجازا كما قد يتوهم اولا كما هو الحق والمخصوص
بالذم محذوف نحو هذا الامر او ما يعمه وغيره من قبائحهم المعدودة فى الايات الثلث الزاما
عليهم ان كنتم مؤمنين ليس للشك من المتكلم لاستحالته لان المأمور بهذا القول فما يصح منه
الشك بل لعدم مطابقته للواقع ولا للتشكيك اذ لم يعهد استعمال التشكيك للسامعين بل للتعريض
القدح فى دعواهم الايمان بالتورية وذلك ان القائل قد يأتى بالشرط وهو جازم بعدم وقوعه
اقامة للحجة بقياس بين كما فى قوله ان كنت قلته فقد علمته وتقديره ان كنتم مؤمنين بها فبئسما
يأمركم به ايمانكم بها لان المؤمن ينبغى ان لا يتعاطى الا ما يقتضيه ايمانه لكن الايمان بها لا يأمر بها فاذا
لستم بمؤمنين قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله المراد من الدار الاخرة الجنة وانما قال
عند الله تشريفا لها وتنبيها على انها فى عالم الغيب خالصة صافية عن شوب خطر التخلف
لعدم احتمال الزوال لما هو سبب الاستحقاق وهو كونهم ابناء الله واحباؤه فى زعمهم اصل
الخلوص الصفوة والاخلاص تصفية السر والقول والعمل لانه ضمن معنى الاختصاص على ما تعقب

عليه وهو نصب على الحال من الدار عند من جوز مجيء الحال من اسم كان واما عند من لم يجوزه
فهو حال عن الضمير المستتر في الخبر العائد الى الدار ومرجع الخلاف الى ان اسم كان هل هو
فاعل اولا من دون الناس متعلق بخالصة باعتبار تضمنه معنى الاختصاص ودون لفظ
مستعمل للاختصاص وقطع الشركة تقول هذا لي دون لك او من دونك اي لا حق لك فيه ولا نصيب
وفي غير هذا الاستعمال ياتي بمعنى الاختصاص لانتقاص في المنزلة او في المكان او المقدار فان
قلت اليس قد استفيد معنى الاختصاص من تقديم الظرف قلت نعم الا انه يحتمل ان يراد به الاختصاص
بجنس المخاطبين فلا قطع فيه بالمعنى المقصود فان قلت لا وجه لدعوى الاختصاص مطلقا
لانهم لا ينكرون ان من مات قبل حدوث اليهودية على شريعة ابرهيم عليه السلام يدخل الجنة
قلت ذلك اذا كان معنى الخلوص الاختصاص واما اذا كان بمعناه الصفاء عن شوب خطر التخلف
فلا بد في ان يدعوا اختصاص دخول الجنة مقيدا بتلك الحال لانفسهم مطلقا وايضا تفريع الامر
بالتمني الاتي ذكره انما يصح على اعتبار الخلوص بالمعنى المذكور والظاهر ان المراد من الناس سائر
الامم لا سائرهم مطلقا حتى ينتظم الانبياء عليهم السلام اذ هم لا ينكرون ان الانبياء المتقدمين
كنوح وابرهيم واسحق ويعقوب عليهم السلام ولا دلالة في قولهم لن يدخل الجنة الا من كان
هودا على ما ذكر لان المفهوم منه اختصاص الجنة وما يصلح منشأ للتمني المذكور انما هو الثاني
دون الاول على ما نبهت عليه آنفا فتمنوا الموت ان كنتم صادقين لان من ايقن انه من اهل
الجنة اشتاقها واحب التخلص اليها من الدار ذات الشوائب ولا يذهب عليك ان هذا الايقان على تقدير
ان يكون معنى الخلوص ما ذكرناه لا ما ذكره القوم ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم بما اسلفوا من
الكبائر الموجبة لدخول النار وانما اسند التقديم الى اليد لانها اعظم الاعضاء في التصرف وعن النبي
عليه الصلوة والسلام لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الارض يهودي
والمراد بالتمني قول القائل ليتني مت لا معناه في القلب دل عليه قوله عليه الصلوة والسلام غص بريقه
وان التحدي لا يكون بالاعمال القلبية لخفائها ولو كان المراد المعنى القلبي لكان يمكنهم ان يقولوا
تمنينا كاذبين ولو ادعوا مع ذلك لنقل الينا لتوفر دواعيهم على النقل مع كثرتهم ولو نقل لاشتهر
وكذا قول احدهم ليتني مت لم ينقل مع كثرة اليهود وغيرهم من الطاعنين في الاسلام كما نقل
سائر المطاعن فهذه الجملة اخبار بالغيب صادقا كقوله ولن تفعلوا والله عليم بالظالمين تهديد
لهم ولتجدنهم احرص الناس على حيوة من وجد بمعنى علم المتعدي الى مفعولين وهما هم واحرص
وتنكير حيوة للدلالة على نوع من الحيوة متطاولة ولذلك كانت القراءة بها اوقع من قراءة على الحيوة
ومن الذين اشركوا اما ان يكون معطوفا على الناس محمولا على المعنى لان المعنى احرص من باقي الناس
واما ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة احرص عليه وعلى الوجه الاول انما خص المشركين
بالذكر لاختصاصهم من بين الناس بزيادة الحرص على الحيوة الدنيا لعدم اقرارهم بالبعث

فكانهم نوع آخر غير الناس ففي افرادهم بالذكر زيادة توبيخ وتقريع لاهل الكتاب لانه لما
زاد حرصهم وهم مقرون بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك على علمهم بانهم صائرون الى النار
وقيل من الذين اشركوا كلام مبتدأ على حذف الموصوف اي ومن الذين اشركوا ناس يود احدهم
على ان المراد بالذين اشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون لملوكهم عش هزار سال بزي اي عش
الف سنة فالجملة على هذا صفة محذوف وعلى الاولين استئناف لبيان زيادة حرصهم لو
يعمر الف سنة حكاية لودادتهم على طريقة الالتفات لان لو للتمني وكان القياس لو اعمر لكن
الحكاية المحكي الا انه جرى على لفظ يود بالغيبة كقولهم حلف بالله ليفعلن ومفعول يود محذوف
كالمستغنى عنه اجراء للفعل مجرى اللازم اي يصدر من احدهم الودادة المطلقة فيكون لو يعمر توضيحا
بعد الابهام للايقاع في النفس ويجوز ان يكون لو هذه مصدرية بمنزلة ان لتأكيد معنى الودادة
فيكون مفعولا ليود والضمير في وما هو بمزحزحه من العذاب لاحدهم وان يعمر فاعل بمزحزحه
اي وما احدهم بمن يزحزحه من النار تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من مصدره وان يعمر
بدل منه ويجوز ان يكون مبهما وان يعمر موضحه والزحزحة التبعيد والانجاء والله بصير
بما يعملون قرئ بالياء جريا على الغيبة وبالتاء على سبيل الالتفات وكنى بالبصير عن العليم
مبالغة في ادراك الخفيات وفيه تهديد ووعيد قل من كان عدوا لجبريل نزل في عبد الله
ابن صوريا من احبار فدك حاج رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عمن ينزل عليه فقال
جبرئيل فقال ذاك عدونا عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه
بخت نصر فبعثنا من يقتله فرآه ببابل فدفع عنه جبرئيل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم
فلا يسلطكم عليه والا فبم تقتلونه وقيل دخل عمر رض مدارس اليهود يوما فسألهم عن
جبرئيل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب
وميكائيل صاحب الخصب والسلام فقال وما منزلتهما من الله تعالى قالوا جبرئيل عن يمينه و
ميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين ولانتم اكفر من
الحمير ومن كان عدو احدهما فهو عدو الله ثم رجع فوجد جبرئيل قد سبقه بالوحي فقال عليه
الصلوة والسلام لقد وافقك ربك يا عمر وفي جبرئيل ثمان لغات قرئ بهن اربع في المشهور
جبرئيل كسلسبيل وجبرئل بحذف الياء وجبريل بفتح الجيم وكسرها وحذف الهمزة واربع
في الشواذ جبرائيل وجبرائل بالمد فيهما وحذف الياء في الثانية وجبرال بحذف الياء
وتشديد اللام وجبرين قال ابن جني العرب اذا نطقت بالاعجمي خلطت فيه ومنع صرفه
للعجمة والتعريف ومعناه عبد الله ومن للشرط وقوله فانه نزله تعليل للجزاء قائم مقامه
والبارز الاول لجبرئيل عليه السلام اي فلا وجه لعداوته فانه نزله اي القرآن واضماره غير
مذكور يدل على فخامة شأنه كأنه لتعينه وفرط شهرته يدل على نفسه ويستغني بذكر شيء من صفاته

على التصريح باسمه على قلبك لانه القابل الاول للوحي ومحل الفهم والحفظ وحرف الاستعلاء
للدلالة على ان المنزل ياخذ بمجامع قلبه وكان الظاهر ان يقول على قلبي لكنه جاء على حكاية
كلام الله تعالى كانه قال قل ما تكلمت به باذن الله بتيسيره حال من فاعل نزل ومصدقا
لما بين يديه حال من ضمير القران وكذا وهدى وبشرى للمؤمنين اى فحقه ان يحبوه ويشكر
لصنيعه لانزاله ما يصدق كتابهم او جميع الكتب المنزلة قبله ويهديهم ويبشرهم اى ان
كانوا مؤمنين به ويجوز ان يكون المعنى من عادى جبريل فالسبب في عداوته انه نزل القران
على قلبك مصدقا لما بين يديه من موافقته اياه وهم يكرهون القران خوفا من فوات رياستهم
ولهذا يحرفون كتابهم وينكرون موافقته اياه كقولك ان عاداك فلان فقد آذيته او خوف
افتضاحهم لانه يكشف عن اسرارهم من تحريف التورية وكتمان نعت الرسول عليه الصلوة والسلام
وعداوة المؤمنين من كان عدوا لله اراد بعداوة الله مخالفة امره عنادا او معاداة
المقربين من عباده وصدر الكلام بذكره على طريقة التمهيد تفخيما لشانهم كما في قوله والله
ورسوله احق ان يرضوه وملئكته ورسله من بني ادم والملئكة ولو لم يكن المراد من الرسل
ما يعم الرسول من جنس الملئكة لما حسن الفصل بها بينهم وبين ما خص منهم بالذكر وجبريل و
ميكال خصهما بالذكر مع اندراجهما تحت عموم الملئكة والرسل لفضلهما وكرامتهما كان كل واحد
منهما جنس اخر براسه تنزيلا لتغاير الوصف منزلة تغاير الذات وتنبيها على ان معاداة الواحد
والكل سواء في الكفر واستجلاب العداوة من الله تعالى وفي ميكائيل خمس لغات ميكائيل بحذف الياء
وميكئل وميكئيل بحذف المد عنهما والياء عن الثانية وميكال بحذف الهمزة والياء وانما
ذكر ميكائيل مع انهم كانوا يقولون لو كان ميكائيل صاحب محمد لاتبعناه لانه ياتي بالخصب
والسلم تنبيها على ان من ابغض جبريل ابغض ميكائيل لانهما قرينان بغض احدهما يستلزم بغض
الاخر فان الله عدو للكافرين مجرد المعاداة ظاهر معلوم فلا بد من الحمل على الكناية تربية
للفائدة اى من عاداهم عاقبه الله تعالى اشد العذاب ولما كان فيه تنزيل المقدر منزلة المحقق
المحقق استحق التاكيد بالجملة الاسمية وان والشدة المذكورة معتبرة في الكناية وان نبا
فيها التاكيد الخبر وكان الظاهر ان يقول فانه عدو لهم والعدول عن الظاهر لان الله هو
ولان فيه احتمال ان يذهب الوهم الى رجوع الضمير الى مجموع ما تقدم وتنبيها للدلالة
على ان عداوة المذكورين كفر وان الكفر سبب لعداوة الله تعالى اياهم ولقد انزلنا اليك ايات
بينات اى واضحة الدلالة لا التباس فيها فعدم الايمان بها ليس لشبهة وما يكفر بها عطف على
مقدر اى فلا يشتبه على احد ولا يكفر بها الا الفاسقون اى المتمردون من الكفرة وعن الحسن
اذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على اعظم ذلك النوع من كفر وغيره وعن ابن عباس
رضي قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من اية فنتبعك

لها فنزلت واللام للجنس والمراد اهل الكتاب الخارجين عن دينهم لان الاية نزلت فيهم و
طرفها كلام في شانهم والوصف بالتمرد البين حال لهم ففيه دلالة على ان ذلك الخروج بسبب
لكفرهم فيكون فيه مبالغة وهي ان كفر غيرهم كالعدم ومن لم يتنبه لهذا زعم ان الاحسن ان
يكون للعهد اوكلما عاهدوا عهدا الواو للعطف على محذوف اذ لا مجال للعطف على الكلام
السابق معناه اكفروا بالايات البينات وكلما عاهدوا فالهمزة لانكار الجمع بين الكفر ونقض
العهد وقرئ بسكون الواو على ان الفاسقين بمعنى الذين فسقوا فكانه قيل الا الذين فسقوا
او نقضوا عهد الله مرارا كثيرة لا على ان الواو العاطفة اسكنت اسكان الهاء في وهو لانه لم يثبت
مثل ذلك في الواو العاطفة واو في مثل هذه المواضع تفيد تساوي الامرين في الوقوع مع ان الثاني
ابعد والبين بان لا يقع فيحمل على انها بمعنى بل وقد اثبتها النحاة وشهد بها الاستعمال ودلت عليها
ههنا القرينة وهي قوله بل اكثرهم لا يؤمنون ترقيا الى الاغلظ فالاغلظ نبذه فريق منهم النبذ
الرمي بالزمام ورفضه ولم يغلب فيما ينسى فلذلك احتيج الى زيادة قوله وراء ظهورهم عند
ارادة معنى النسيان وانما قال فريق منهم لان بعضهم لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون رد لما
يتوهم ان الفريق هم الاقلون وهذا على تقدير ان يكون من لم ينبذ جهارا مؤمنا خفاء ولما
جاءهم رسول تنكير الرسول للتعظيم وفي قوله من عند الله اشارة الى استحقاقه التعظيم من جهة
اخرى مصدق لما معهم من الكتاب وتصديقه كونه على الوصف الذي ذكر فيه فالمراد من الرسول
محمد عليه الصلوة والسلام نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله يعني التورية حيث لم
يعملوا بموجب ما فيها وهو الايمان بالرسول المصدق لها وراء ظهورهم النبذ وراء الظهر مثل
لترك الشيء والاعراض عنه بالكلية مثل ما يرمى به وراء الظهر استغناء عنه وقد يكون كناية
عن نسيانه فان نبذ الشيء وراء الظهر يستتبع نسيانه غالبا ويجوز ان يستعار النسيان
للاعراض راسا ثم يكون النبذ وراء الظهر كناية عنه على انه نسيان فيكون كناية متفرعة
على الاستعارة المنوية ولتسمه كناية بالاستعارة وهذا ابلغ من الكناية ابتداء والاستعارة
التمثيلية كانهم لا يعلمون انه كتاب الله تعالى جملة حالية وكان فيه بيان الى ما ذكر من الاستعارة
المنوية واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان عطف على نبذ اى نبذوا كتاب الله
واتبعوا كتب السحر والشعوذة التي كانت الشياطين وهم المتمردون من الجن تقرؤها على عهد
ملك سليمان عليه السلام وليست على صلة التلاوة بل من قولهم كان هذا على عهد فلان اى في وقته
وزمانه وتتلوا حكاية حال ماضية وما كفر سليمان تكذيب لمن زعم ان سليمان عليه السلام سخر
الانس والجن والريح بالسحر وان ملكه تم بهذا العلم والكناية عن السحر بالكفر للدلالة على انه كفر وانه ينتهي
الى ما يوجب تنزهه عليه السلام عنه كانه قال وما سحر سليمان لان السحر كفر والنبي معصوم عن الكفر
ولكن الشياطين كفروا لما نفى الكفر عن سليمان وكان الشياطين قد سخرت لسليمن عليه السلام يستعملهم

فيما يشاء فقد يتوهم أنهم لا يكفرون أيضا لأنهم في خدمة نبي فاستدرك بأنهم كفروا باستعمالهم
السحر وقرأ الحسن الشياطون وقال الشيخ وتدى خطاه الخارزنجي ولو سلم صحته فلا خفاء في
عدم فصاحته يعلمون الناس السحر إغواء وإضلالا والجملة حال عن الضمير والسحر مزاولة النفوس
الخبيثة لأفعال وأقوال يترتب عليها أمور خارقة للعادة ولا يدوي خلاف في كون العمل به كفرا
وعده نوعا من الكبائر مغايرا للإشراك لا ينافي ذلك لأن الكفر أعم والإشراك نوع منه وهو في
أصل اللغة الصرف حكاه الأزهري عن الفراء ويونس فإطلاقه على ما يفعله أصحاب الحيل بمعونة
الآلات والأدوية وما يريك صاحب خفة اليد باعتبار ما فيه من صرف الشيء عن جهته حقيقة لغوية
وما أنزل على الملكين عطف على السحر والمراد بهما واحد والعطف لأنه نوع أقوى منه كأنه من
جنس آخر وهما ملكان أنزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله تعالى للناس وقيل رجلان سميا ملكين باعتبار
صلاحهما ويؤيده قراءة ملكين بالكسر وقيل ما أنزل نفي معطوف على ما كفر تكذيب لليهود في هذه
القصة وهذا يكذبه قوله تعالى وما يعلمان من أحد فإنه إذا لم يكن هناك شيء منزل لهما فالتعليم
والتعلم في أي شيء يكون ببابل ظرف وحال من الملكين أو الضمير في أنزل قال ابن مسعود رض
هي في سواد الكوفة ومنع صرفها للعلمية والتأنيث هاروت وماروت عطف بيان أو بدل
للملكين ومنع صرفهما للعلمية والعجمة ولو كانا من الهرت والمرت وهو الكسر كما زعم بعضهم لانصرفا
وقرئ هاروت وماروت بالرفع على هما هاروت وماروت وأبدلهما من الشياطين بدل البعض
من الكل يضعفه ما قيل إن ما أنزل نفي يرده تعلق قوله وما كفر سليمان الآية بما قبله تعلقا خاصا
بحيث لا ينتظم بدونه فإن المبدل منه في حكم الساقط بحيث لو أقيم البدل مقامه لانتظم الكلام معه
وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة تصريح بما قدمناه من أن إنزال السحر عليهما للابتلاء أي
ما يعلمان أحدا حتى ينصحاه وينبهاه على أنه والعمل به كفر والفتنة ما يتبين به حال الإنسان من الخير والشر
يقال فتنت الذهب بالنار إذا جربته بها لتعلم أنه خالص أو مشوب ومنه الفتانة وهي الحجر الذي يجرب
به الذهب والفضة فلا تكفر بالعمل به أو باعتقاد جوازه إنما كان ابتلاء من الله واختبار قال علي رض
كانا يعلمان تعليم إنذار لا تعليم دعاء إليه كأنهما يقولان لا تفعل كذا وكذا والصحيح من مذهب
أصحابنا أن تعلمه حرام مطلقا لأنه توسل إلى محظور عنه غنى وتوقيه بالتجنب أصلح وأحوط فيتعلمون
منهما عطف على يعلمان المقدر أي يعلمان فيتعلمون الناس على أن الضمير لما دل عليه من أحد ما يفرقون
به بين المرء وزوجه أي ما يحدث الله عنده التفرقة بينهما وما هم بضارين به أي بما يفرقون
من أحد إلا بإذن الله استثناء مفرغ من الأحوال فهو حال من فاعل بضارين ومن أحد في محل
النصب المفعولية في الموضعين وفي زيادة من تأكيد بليغ فيهما وقرئ بضاري على حذف النون
من اسم الفاعل وإن لم يكن فيه أل قال أبو حيان ولا نظير له في نثر العرب ونظمها وأما حذفها على
الإضافة إلى أحد وجعل الجار جزءا منه فمردود بأن الجار مؤثر فيه وجزء الشيء لا يؤثر في الشيء

ويتعلمون ما يضرهم لما عرفت أنه أفعال وأقوال تزاولها النفوس الخبيثة فحصولها عن نوع خبث
تأثير في نفس المتعلم وإنما قيل لأنهم يقصدون به العمل ولأن العلم يجر إلى العمل غالبا فإنما يصلح وجه الضرر
المعلوم ولا ينفعهم نفي لاحتمال أن يكون ضرره مشوبا بنفع في الجملة وهذا كالرد على من توهم أن
في تعلمه ليتوقاه ولئلا يغتر به نفعا ما واستشهد بقول أبي نواس عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه و
من لم يعرف الخير من الشر وقع فيه ولقد علموا أي اليهود لمن اشتراه أي استبدله بكتاب الله تعالى
والضمير لما تتلوا الشياطين واللام الأولى لتأكيد القسمي والثانية لام الابتداء لتعليق فعل العلم
ما له في الآخرة من خلاق نصيب ولبئس ما شروا به أنفسهم عطف على جملة القسم والجملة الجواب
أو على الجواب وعطف الإنشاء على الإخبار كثير وقد تقدم الكلام فيه لو كانوا يعلمون جواب لو
محذوف أي لما تدعوا عن تعلم السحر وإيثار كتبه أو لكان خيرا لهم والمعنى لو اعتادوا العمل بموجب
العلم كني عن عدم العمل بموجب العلم بعدم العلم تنبيها على قوة الملازمة بين العلم والعمل بموجبه وأن عدم
العمل لعدم القصة فيما يوجبه من العلم ولو أنهم آمنوا برسول الله والقرآن أو التوراة لأن
إيمانهم بها كلا إيمان واتقوا اجتنبوا ما هم عليه من اتباع السحر واستبداله بكتاب الله تعالى
لمثوبة لشيء ما من الثواب من عند الله فيه تعظيم للثواب وتنبيه على بقائه بناء على أن ما عند
الله عبارة عما في عالم الغيب عن عالم الآخرة ودفع لما عسى أن يتوهم أن التنكير التقليلي
في مثوبة للتحقير خير جواب لو وأصله لأثيبوا مثوبة من عند الله خيرا مما شروا به أنفسهم فحذف
الفعل وركب الباقي جملة اسمية ليدل على ثبات المثوبة والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه
إجلالا للمفضل من أن ينسب إليه ويجوز أن يكون ولو أنهم آمنوا تمنيا على سبيل المجاز كأنه
قيل وليتهم آمنوا واتقوا وترك الجواب في لو هذه كاللازم لكونه في معنى ليت وتقديره لو آمنوا
واتقوا لكان حسنا وإيراد الجملة الابتدائية بعده كالتعليل للتمني لو كانوا يعلمون ثواب الله تعالى
خير لهم مما هم فيه جهلهم لتركهم العمل بعلمهم يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا
راعنا أمر من المراعاة يقتضي المشاركة غالبا أي ليكن منك رعي لنا ومنا رعي لك والرعي حفظ
الغير لمصلحته نهوا أن ينطقوا بلفظ يقتضي المشاركة مع من يعظم وتضمن هذا النهي عن كل
ما يكون فيه استواء مع النبي صلى الله عليه وسلم وروي أن المسلمين كانوا يقولون للرسول عليه
الصلوة والسلام راعنا أي راقبنا وتأن بنا فيما تلقننا حتى نفهم وسمع اليهود فافترصوه
وخاطبوه به مريدين نسبته إلى الرعن أو سبه بالكلمة العبرانية التي كانوا يتسابون بها وهي
راعينا فنهي المؤمنون عنها وأمروا بما يفيد تلك الفائدة ولا يحتمل التلبيس وهو انظرنا من
نظر إذا انتظر وقرئ وأنظرنا من النظرة أي أمهلنا حتى نحفظ وقرئ راعونا على لفظ الجمع
للتوقير وراعنا بالتنوين أي قولا ذا رعن نسبة إلى الرعن وهو الهوج لما شابه قولهم راعينا
وتسبب للسب واسمعوا ما يكلمكم به رسول الله سماع تيقظ حتى لا تحتاجوا إلى المراجعة وطلب

المراعاة او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى ترجعوا الى ما نهيتم عنه تاكيدا عليهم في تركها وللكافرين
اى الذين تهاونوا بالرسول عليه الصلوة والسلام وسبوه عذاب اليم بسبب كفرهم ما يود الذين
كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين المودة محبة الشئ مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما ومن
للبيان لان الذين كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب والمشركون ولا مزيدة للتاكيد نزلت
تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون مودة المؤمنين ويدعون انهم يودون لهم الخير ان ينزل
عليكم من خير من ربكم مفعول يود ومن الاولى مزيدة للاستغراق بعد النفي والثانية للابتداء
وفسر الخير بالوحي والمعنى انهم يحسدونكم به وما يحبون ان ينزل عليكم شئ منه وبالعلم و
بالنصرة والوجه تعميمه لكل لانه نكرة في سياق النفي بالواسطة والله يختص برحمته من يشاء
على مقتضى حكمته وتقديم اسم الله على الفعل للتاكيد والتخصيص ثم وضع المظهر موضع المضمر
للتعظيم وتربية معنى الاضافة بالانفراد والله ذو الفضل العظيم اشعار بان النبوة من
الفضل العظيم والله تعالى صاحبه دون غيره ما ننسخ من آية او ننسها وقرئ ما ننسخ من
انسخ وننسها بالتشديد من التنسية وننساها بالهمزة وتنسها من نسي وانسي على خطاب
الرسول عليه الصلوة والسلام وقرئ ما ننسك من آية او ننسخها وما ننسخ من آية او ننسكها
والنسخ في اللغة هو النقل والتحويل ومنه انتساخ الكتاب هو نقل من نسخة الى اخرى ونسخ
الاية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او حكمها او بهما جميعا وانساخها الامر بنسخها او نسوها
تاخيرها واذهابها لا الى بدل وانساؤها وتنسيتها ان يذهب بحفظها عن القلوب وما
شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية او ننسها مجزوم ايضا للعطف على المجزوم وجزمه
بحذف الياء والاية على المعنى اللغوي وهو جماعة من الكلام نات جزاء القوم بانهم اى بجماعتهم
اذ لا اختصاص للنسخ بتمام الاية المصطلحة نات بخير منها بما هو انفع لكم في الدنيا او في
الاخرة او مثلها في النفع في واحد منهما نزلت لما قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد
يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامر بخلافه ففي الاية دلالة على جواز النسخ بل على وقوعه
قيل وذلك لان الاحكام شرعت والايات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من
الله ورحمة وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب المعاش فان النافع
في عصر قد يضر في غيره وكان هذا القائل غافل عن قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا
عليهم طيبات احلت لهم وعن دلالته على ان النسخ قد يكون غضبا على قوم ثم ان قوله و
ذلك يختلف باختلاف الاعصار لا مبناه الغفول عن ان النسخ قد يكون قبل العمل بالمنسوخ
الم تعلم الخطاب لكل احد لان الامر عظيم شامل والتيقظ له ضروري للكل فيصلح ان يخاطب
به كل احد ان الله على كل شئ قدير فهو يقدر على الخير وما هو خير منه وعلى مثله في الخير و
يجوز ان يكون الخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم تعريضا للمشركين او اليهود كما ان قوله الم

قلت للناس اتخذوني خطاب لعيسى عليه السلام يوم القيمة تعريضا للنصارى الم تعلم تاكيد لما مر
وجعل استفهاما محضا ومعادلة لام تريدون قول من لم يذق فصاحة كلام العرب ان الله
له ملك السموات والارض فهو يملك اموركم ويليها ويدبرها فيتعبدكم بما يشاء مما يرى فيه مصلحتكم
وما لكم من دون الله من ولي من يلي اموركم ولا نصير من ينصركم عليه وفي اظهار اسم الله في من
دون الله ما مر آنفا ثم لما قرر عليهم انه مالك امورهم ومدبرها بحسب مصالحهم وانه لا ينزل
عليهم الا ما هو خير لهم اراد ان يوصيهم بالثقة به فيما ينزل عليهم ويدبره امورهم وينهيهم
به وان لا يكونوا كقوم موسى عليه السلام في السؤال عن امور عادت عليهم وبالا فيا لواسوتهم
لا يضرهم ولا ينفعهم فقال ام تريدون ان تسألوا رسولكم ام هي المنقطعة بمعنى بل والهمزة
فمعنى بل الاعراض عن اعتراضهم على القران بالنسخ وطعنهم وغفلتهم عن حكمة الله تعالى و
معنى الهمزة انكار لما يناسبه من اقتراحهم على النبي عليه السلام كاقتراحهم على موسى عليه السلام
وفيه مبالغة في النهي حتى كانهم كانوا بصدد الارادة فنهوا عن الارادة فضلا عن السؤال
يعني من شان العاقل ان لا يتصدى لارادة ذلك ويجوز ان يكون متصلة بهمزة محذوفة
اى اتعترضون عليه بالنسخ وتطعنون فيه ام تريدون ان تسألوا وقوله كما سئل موسى
من قبل بلفظ المبني للمفعول ترشيح لهذا المعنى بمعنى ان من يسال مثل هذا السؤال حقيق
بان يصان عن ذكره المقال والا فالمناسب ان يشبه سؤالهم بسؤال قومه او سؤال نبينا
بسؤال موسى عليهما السلام على المصدر المبني للفاعل ثم ذيل الكلام بقوله ومن يتبدل الكفر
بالايمان اى من ترك الثقة بالايات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل سواء السبيل
الطريق المستقيم اضاف الوصف الى الموصوف ليفيد بعد الانحراف ويكون اول ما يطرق
سمعهم بعد الضلال هو الاستواء فينبههم على انهم اخطاؤا الاستقامة في طريقهم فيرجعوا
وهو ابلغ من قولك فقد ضل الطريق المستوي ود كثير من اهل الكتاب يعني احبارهم لو يردونكم
تمنوا ان يردوكم فان لو ينوب عن ان في المعنى دون العمل بعد ايمانكم كفارا حال ومفعول
ثان على ان يتضمن يرد معنى يجعل حسدا مفعول له او حال اريد به نعت الجمع اى حاسدين لكم والحسد
الاسف على من له خير بخيره والتمني ان يزول عنه اليه من عند انفسهم متعلق بحسدا اى حسدا
ناشيا من عند انفسهم بمعنى حسدا متبالغا اذا بالغا لا يمكن ازالته لا عرضيا جايز الزوال او الا
بحسدهم لا يكون الا من عند انفسهم ويجوز ان يتعلق بود اى تمنوا ارتدادكم من قبل
انفسهم وشهوتها لا من جهة التدين والميل الى الحق لانهم تمنوا ذلك من بعد ما تحقق انكم على الحق
من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات والنعوت المذكورة في التورية ومعنى الفاء في فاعفوا و
اصفحوا السببية يعني اذا علمتم ان ودادتهم المؤكدة انما هي لحسدهم لا للدين فليس يمكنكم
ازالتها فلا سبيل لكم الا العفو وهو الترك والصفح وهو الاعراض حتى ياتي الله بامره من قتل

ببني قريظة واجلاء بني النضير واذلالهم بالجزية ولا يخفى ما في نسبة الاتيان اليه تعالى من التعظيم
والتهويل لذلك عدل عن الاصل وهو حتى يأتي امر الله ولما كان مظنة ان يسبق الى الوهم ان ذلك
التوقف لعدم القدرة على الانتقام على الفور تدارك دفعه بقوله ان الله على كل شيء قدير
فيقدر على الانتقام منهم اي وقت شاء وعن ابن عباس رضه انه منسوخ بآية السيف والغاية
التي يتعلق بها الامر اذا كانت لا يعلم الا شرعا لم يخرج ذلك الوارد من ان يكون ناسخا دل
على ذلك انتساخ حكم التورية والانجيل بظهور نبينا عليه الصلوة والسلام مع ما فيهما من بيان انتهاء
حكمها بظهور النبي الامي واقيموا الصلوة واتوا الزكوة عطف على فاعفوا كانه امرهم بالصبر
والالتجاء الى الله تعالى بالعبادة والبر وما تقدموا لانفسكم من خير اي شيئا قليلا من جنس الخير
تجدوه جاء في الاحاديث الصحاح ان الاعمال نفسها تتجسد يوم الجزاء وتوجد نفسها عند الله
تقدير تفسيره ان الله بما تعملون بصير وعد يتضمن الوعيد على عدم الاخلاص في العمل وقرئ بالياء
فيتمحض وعيدا وقالوا عطف على ود والضمير لاهل الكتاب من الفريقين لن يدخل الجنة الا من كان
هودا جمع هائد كعائد وعود وهو جمع لا يقاس في فاعل وتوحيد الاسم المضمر وجمع الخبر
باعتبار اللفظ والمعنى او نصارى لف بين قولي الفريقين كما في قوله كونوا هودا او نصارى
ايجازا اعتمادا على فهم السامع وامنا من الالتباس لشهرتها بين الناس بالتعادي تلك امانيهم
اشارة الى الاماني المذكورة وهي ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا وان
لا يدخل الجنة غيرهم او الى ما في الاية على حذف المضاف اي امثال تلك الامنية امانيهم والجملة اعتراض
وقد مر ان الامنية افعولة من التمني مثل الاضحوكة والاعجوبة والتمني تقدير الشيء في النفس وتصويره
فيها وما كان الغرض عن تخمينهم صار البطلان له امكن قل هاتوا برهانكم اي احضروا حجتكم على اختصاصكم
بدخول الجنة والبرهان مشتق من البره وهو القطع او من البرهنة وهي البيان ان كنتم صادقين
في دعواكم فان قلت هل يجوز ان يكون واحد منا صادقا في دعواه ومع ذلك يكون عاجزا عن
اثباته قلت يجوز ذلك في العقليات واما الذي مداره على السمع فلا يجوز بلى اثبات لما نفوه
من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه اخلص نفسه لله لا يشرك به غيره عبر بالوجه عن
الجملة اذ هو اشرف الاعضاء وفيه الحواس ولان اثر الانقياد والخضوع تظهر فيه وهو محسن
في عمله فله اجره الذي وعد على عمله عند ربه لا يضيع ولا ينقص ويجوز ان يكون بلى وحده
ردا لقولهم ثم يقع من اسلم كلاما مبتدأ والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت
موصولة والفاء فيها لتضمنها معنى الشرط وان يكون من موصولة فاعل فعل محذوف دل عليه
بلى اي يدخلها من اسلم وجهه لله ويكون قوله فله اجره معطوفا على يدخلها من اسلم ولا يخفى ما في
الشرطية العامة من التعريض بانهم لا يدخلون الجنة لانتفاء الاوصاف الموجبة للاجر
بحكم الوعد الصادق والتحبيب في سلوك طريق والترغيب لدخول ولم يجزم بان غيرهم موعود

بذلك لانه على اسلوب الكلام المنصف واوجه الوجوه ان يقدر بلى يدخلها غيرهم فقيل
من هو فقيل من اسلم ويكون فله اجره من التتميم على انه زيادة على دخول الجنة ولا خوف عليهم
ولا هم يحزنون قد مر تفسيره وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست
اليهود على شيء هو في غاية المبالغة لان الشيء يتناول المعدوم الممكن والمحال فاذا سلب الشيئية
لم يبق من المبالغة حد وراءه ومن قيده بقوله يعتد به فقد اخل بها نزلت لما قدم وفد نجران
على رسول الله صلى الله عليه وسلم واتاهم احبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت
اليهود ما انتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى عليه السلام والانجيل وقالت النصارى لهم نحوه
وكفروا بموسى عليه السلام والتورية وهم يتلون الكتاب الواو للحال واللام للجنس اي قالوا ذلك
وحالهم انهم من اهل العلم والتلاوة للكتب وحق من يتلو بعض كتب الله الايمان بالباقي لان بعضها
مصدق للبعض كذلك اي مثل ذلك القول البعيد عن الصواب قال الذين لا يعلمون اي الجهال من
المعطلة والدهرية والمشركين الذين لا كتاب لهم مثل قولهم لم يقل مثل قولهما لان المنظور منها
جهة اتحادهم وهي كونهم اهل الكتاب وهو بيان لقوله كذلك لما فيه من الابهام او بدل منه
ويجوز ان يكون كذلك مفعولا به اي كلاما مثل ذلك الكلام الشنيع الذي سمعت به قال الجهلة
قولا مثل قولهم صادرا عن عناد وجهل بالحجة فيكون مثل نصبا على المصدر وهذا توبيخ عظيم
لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم فالله يحكم بينهم اي بين اهل الكتاب
بين الفريقين وان لم يقل بينهما او بينهم وبين الجهلة ايضا يوم القيمة اي يريهم من يدخل الجنة
عيانا ومن يدخل النار عيانا فيظهر المحق من المبطل والفاء فصيحة كانه قيل اذا لم يرضوا بحكم الكتاب
في الدنيا فالله يحكم لا بد فيما كانوا فيه يختلفون من الدين والكتاب والنبي ومن اظلم ممن منع
مساجد الله اي لا اظلم منه دلت على ذلك صيغة التفضيل في سياق الاستفهام الانكاري وهذا لا
ينافي لكون المشركين اظلم لان فضله في الظلم لنفسه وفضل هذا في الظلم للغير سبب نزولها ان
النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الاذى ويمنعون الناس ان يصلوا فيه وقيل منع المشركون
رسول الله عليه الصلوة والسلام ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية وكيف كان فالاعتبار بعموم
اللفظ لا بخصوص السبب ولذلك اي لقصد تعميم الحكم قيل مساجد الله مع ان المنع والتخريب انما
وقع على مسجد واحد وهو مسجد بيت المقدس والمسجد الحرام ان يذكر فيها اسمه مفعول ثان
لمنع ويجوز ان يكون على تقدير من اي من ان يذكر وحذف حرف الجر مع ان قياس ويمكن ان ينصب
مفعولا له اي كراهة ان يذكر وسعى في خرابها بالهدم او التعطيل وسعى كلمة يختلف معانيها باختلاف
مصادرها فيقال سعى يسعى سعيا اذا عمل واذا كسب واذا عدا وسعى سعاية اذا نم وجمع السعاة
المساعي وسعى سعاية اذا اخذ الصدقات وهو عاملها وكذا سعى به الى السلطان سعاية اذا وشى
وكذا سعى المكاتب وهو معنى النعض في اداء ما عليه سعاية وساعى الرجل الامة اي فجر بها مساعاة ولا يقال

ذلك في الحرة وفائدة زيادة سعى ههنا قطع احتمال التسبب اولئك ما كان لهم ماكان
ينبغي لهم ان يدخلوها الا خائفين اي وجلين من عقابه تعالى فكيف لهم الجراءة على تخريبها فقيل
ما كان لهم في علم الله تعالى وقضائه فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص المساجد منهم وفيه
نظر لان تخريبهم ومنعهم دل على انه قد كان في علم الله تعالى وقضائه ان يدخلوها غير خائفين
وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول في المسجد وفيه ايضا نظر لان النهي عن تمكينهم من الدخول
مطلقا لا عن تمكينهم منه غير خائفين ولهم في الدنيا خزي اي قتل وسبي وذلة بضرب الجزية
ولهم في الآخرة عذاب عظيم بسبب ظلمهم العظيم وانما قيد لهم تنصيصا على ان المعذبين
في الآخرة هم المعذبون في الدنيا وليس عذابهم في الدنيا مكفرا لذنبهم حتى يكون احد العذابين
لبعضهم والآخر للباقي ولله المشرق والمغرب هما عبارتان عن ناحيتي المعمورة والمراد كلها
فاينما تولوا ففي اي مكان فعلتم التولية يعني تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله تعالى فول
وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره فثم وجه الله اي جهته التي امر بها
والجهة كالوزن والزنة مصدران نقلا الى الاسم والمعنى انكم اذا منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام
او في بيت المقدس فقد جعلت لكم الارض مسجدا فصلوا في اي بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية
فيها فان التولية ممكنة في كل مكان لا يختص امكانها بمسجد دون مسجد ولا بمكان دون مكان ان الله
واسع بالرحمة يريد التوسعة على عباده عليم بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها وعن ابن
عمر رض انها نزلت في صلوة المسافر على الراحلة وعن عطاء عميت القبلة على قوم فصلوا الى انحاء
مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاءهم فعذروا اي في الفعل واما وجوب القضاء وعدمه فامر
آخر والظاهر انه مستطرد عند ذكر المساجد وتمهيد لذكر نفي الولد لان من له الجهات كلها تعالى
عنها فيستحيل ان يماثله ذو جهة والولد جنس للوالد لا محالة وقالوا اتخذ الله ولدا اي الذين قالوا
عزير ابن الله والذين قالوا الملئكة بنات الله قالوا اتخذ الله ولدا فالضمير لمن سبق ذكرهم
من اليهود والنصارى والمشركين الذين لا يعلمون وقرئ بغير واو على الاستيناف كانه سئل
هل انقطع حبل اقوالهم على الله تعالى او امتد ولم ينقطع فقيل بل قالوا اعظم من ذلك وافظع
سبحانه تنزيه له عن ذلك اعتراض بل له ما في السموات والارض رد لما قالوه وتنبيه على فساده
والمعنى انه خالق ما في العالم كله ومن جملته عزير والمسيح والملئكة كل له قانتون منقادون
لا يمتنعون عن مشيته وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا
يكون له ولد لان من حق الولد ان يجانس والده وانما جاء بما للعموم وقانتون لتغليب العقلاء
وهذا التغليب يابى عن قصد التحقير بايراد ما وتنوين كل عوض عن المضاف اليه اي كل ما في
السموات والارض الآية تدل على فساد ما قالوه بوجهين ومبنى تضمنه الاحتجاج بالوجه على ثبوت
التنافي بين ولدية احد لآخر ومملوكيته له اذ لا شك ان هذا فيما ذكر فالاحتجاج به على ان من ملك

ولده عتق عليه بناء على ذلك المبنى لا عن مصادرة بديع السموات والارض يقال بدع الشيء
فهو بديع كقولهم ظرف فهو ظريف وبديع السموات من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها اي
بديع سمواته وارضه او بديع في السموات والارض كقولك فلان ثبت الغدر اي ثابت فيه
والمعنى انه تعالى عديم النظير والمثل فيهما وقيل البديع بمعنى المبدع فيكون مضافا الى المفعول
وقال ابن مقسم يجوز ان يكون المعنى بدلا عن الهمزة والبديع والمبدع كالبدي والمبدي
فانه جاء على فعل وافعل جميعا والابداع اختراع الشيء لا عن شيء دفعة وعلى هذا المعنى لا
يكون الاشياء كلها مبدعا وهذا رد على الذين قالوا اتخذ الله ولدا بوجه آخر تقريره ان
من قدر على خلق السموات والارض من غير شيء كيف لا يقدر على خلق مثل عيسى عم من غير اب
وقرئ بديع مجرورا على البدل من الضمير في له ومنصوبا على المدح واذا قضى امرا اي اراد
شيئا لقوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون واصل القضاء اتمام الشيء
قولا كقوله وقضى ربك وفعلا كقوله فقضيهن سبع سموات واطلق على تعلق الارادة الالهية
بوجود الشيء من حيث انه يوجبه فانما يقول له كن فيكون من كان التامة اي احدث فيحدث
اي لا يدخله تاخير عن وقته ولا يمتنع عليه شيء ولا يلحقه به تعب لاحتياج الى استعمال آلة
ومزاولة عمل استعارة تمثيلية شبهت الحالة التي تتصور من تعلق ارادته تعالى بشيء من المكونات
وسهولة ايجاده اياه من غير امتناع ولا توقف بحالة امر الآمر النافذ تصرفه في المامور
المطيع الذي لا يتوقف في الامتثال فاطلق على هذه الحالة ما كان يستعمل في تلك من غير ان
يكون هنا قول وامر وهذا اقرب ما يتراآى لنا به المعنى المقصود فلا يتجه المناقشة بان وجه
الشبه في المشبه اقوى وحق التشبيه عكس هذا وذهب بعضهم الى انه حقيقة وقد جرت السنة
الالهية بان تكون الاشياء بكلمة كن فيكون المامور هو الحاضر في العلم والمامور به الدخول في
الوجود وقرئ برفع فيكون اي فهو يكون وبالنصب على جواب الامر وفيه تقرير لمعنى الابداع
وتاكيد لاستبعاد الولادة المدلول عليه بقوله سبحانه واما ما قيل انه حجة اخرى وهو ان
اتخاذ الولد مما يكون باطوار ومهلة وفعله يستغني عن ذلك فيرد عليه ان ما يكون باطوار
ومهلة هو تكون الولد على مجرى العادة فللمتخذ له ان يقول اتخاذه الولد على سبيل خرق العادة
ثم ان فعله قد يقارن المهلة لحكمة وان كان مستغنيا عنه كيف وقد كان خلقه السموات
والارض في ستة ايام ومن هنا ظهر ان من اعتبر في التمثيل المذكور الحصول بلا مهلة لم يصب
وقال الذين لا يعلمون اي الجهلة من المشركين وقيل من اهل الكتاب ونفى عنهم العلم لانهم لم يعملوا
به سواء تجاهلوا او لا بان اظهروا علمهم لولا هلا يكلمنا الله كما يكلم الملئكة وموسى عليهم السلام
ويامرنا وينهانا بالذات وهذا استكبار منهم عن اتباع بشر مثلهم او تاتينا آية من الله تعلم
بها انك رسول الله وهذا استهانة منهم بالمعجزات الباهرة وانكار بالآيات الظاهرة كذلك

قال الذين من قبلهم يعني اليهود حيث قالوا أرنا الله جهرة وأتما قول الحواريين هل يستطيع
ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء فليس من هذا القبيل على ما نقف عليه في موضعه مثل
قولهم قد مرّ تفسيره والمماثلة بين القولين في كونهما تحكما وعنادا تشابهت قلوبهم أي
قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى والعناد والاعتراض وقرئ بتشديد الشين وخطأه الزجاج
قائلا ذلك إنما يكون في المضارع بمعنى متشابه فيدغم إحدى التائين في الشين قد بيّنا
الآيات لقوم ذوي بصائر يوقنون أنها آيات يجب الاكتفاء بها عن غيرها وأصل البيان
الذي يقع به الإلزام يعم الكل لكن يختص الموقنين في حق النفع واليقين أبلغ علم وأوكده لا
يكون معه مجال عناد واحتمال الزوال ولذلك قال في حق إبراهيم عليه السلام وليكون من الموقنين
ولو صحّ أن يتخلف عنه الإذعان لكان درجته فوق الإيمان فكان من المذعنين أبلغ من الموقنين
واللام في الآيات للاستغراق أي كل الآيات أو الماهية أي ما يعرفه العقلاء أنها آيات وتنكير قوم
للتعظيم أي قوم أي قوم صفتهم الإيقان وفيه تعريض بأنهم أرذال أهل الظن والتقليد
وإيذان بأن الإيمان له شأن إنا أرسلناك بالحق مصحوبا به لا يفارقك بشيرا ونذيرا للمطيع
والعاصي فلا عليك إلا البلاغ المبين ولا تسأل عن أصحاب الجحيم ما بالهم لم يؤمنوا إذا
بلّغت وبلغت في دعوتهم جهدك وقرئ ولا تسأل على النهي تعظيما لما فيه الكفرة من العذاب
كما تسأل عمن وقع في بلية فيقال لك لا تسأل عنه أي هو في حالة لا تحتمل سماعها لفظاعتها أو
المحاشرها السامع أو ادق أو اجزع أن المخلم بها فلا تكلفني وأعظم أن يكتبها أو يعرب عنها
عبارة قيل لما أمر بتبشير المؤمنين وإنذار الكفار كان يذكر عقوبات الكفار فقام رجل وقال
يا رسول الله أين والدي فقال في النار فحزن الرجل فقال عليه السلام إن والدك ووالدي
ووالد إبراهيم في النار فنزل القول المذكور فلم تسألوه شيئا من بعد ذلك والجحيم النار
الشديدة الالتهاب والي هم المكان الشديد الحر ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى
تتّبع ملّتهم لف بعد النشر على عكس ما في قوله وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى
حكى الله تعالى كلامهم ولا بد من الحمل على هذا ليطابق قوله قل إن هدى الله فإنه يقتضي سابقة قول
من يدعي عليه السلام إلى محاجتهم مبنئ عن تمادي لجاجهم والملة من أمللت الكتاب وهي اسم لما
شرعه الله تعالى لعباده على لسان نبيه ليتوصلوا به إلى آجل ثوابه والدين مثلها لكن الملة يقال
باعتبار الدعاء إليه والدين باعتبار الطاعة والانقياد له ثم يقال الملة والدين لما لم يكن من قبل
الله تعالى على التقليد كقولك ملة مزدك ودينه قيل كان عليه السلام يجتهد في طلب ما يرضيهم
ليقبلوا إلى الإسلام فقال له دع طلب ما يرضيهم إلى ما أمرك به من مجاهدتهم فليس فيهم أقناط عن
إسلامهم قل إن هدى الله هو الهدى بالغ في تعظيم دين الإسلام بتسميته الهدى كما أضافه إلى
وحصر الهدى فيه بأن والضمير واللام في أي إن دين الإسلام الذي هو نفس الهدى المخصوص

بالله هو الذي يستأهل أن يسمى هدى وهو الهدى كله لا غير فيلزم أن ما عداه ليس بهدى
بل هوى ذلك قوله لا حجة معه ولا عن علم فهو هوى فلهذا قال على سبيل الفرض ولئن اتبعت أهواءهم
آراءهم الزائغة فإن الهوى رأي عن الشهوة داع إلى الضلال وإنما سمي بذلك لأنه يهدي صاحبه
في الدنيا إلى كل داهية وفي الآخرة إلى الهاوية بعد الذي جاءك من العلم بهم ثم بيّنه للتعظيم
أي من الدين المعلوم صحته بالبرهان ما لك من الله جواب للقسم قد سدّ مسد جواب الشرط
من ولي ولا نصير يدفع عنك عقابه الذين آتيناهم الكتاب هم مؤمنو أهل الكتاب يتلونه
حال مقدرة من هم أو من الكتاب لأنهم لم يكونوا وقت إتيانه تالين له أو خبر حق تلاوته
نصب على المصدر أي تلاوة كما يجب أن يتلى لا يحرفونه ولا يكتمون شيئا منه كنعت الرسول
عليه الصلوة والسلام وغيرها أولئك أي التالون على ما يجب يؤمنون به بكتابهم دون غيرهم
من المحرفين ومن يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه فأولئك هم الخاسرون المنحصرون
في الخسران باشترائهم الضلالة بالهدى يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم
على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة
ولا هم ينصرون لما ذكرهم النعمة أولا وخصّهم بالخطاب من بين بني آدم وحضّهم على اتباع
من هو رحمة للعالمين فانقسموا إلى من قبل ومن أبى ختم الكلام آخرا بما خاطبهم على سبيل الالتفات
بمثل الأول لفظا باشتماله التخويف عودا على بدء ختم الحسن بما بخسن به كما وعلم من ذلك أن
التكرير ليس بمجرد التذكير وفيه حسن التخلص إلى حديث جدهم إبراهيم عليه السلام على وجه يؤكد
ما يدعو إليه وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات بأوامر ونواه واعلم أن الابتلاء والبلاء يتضمن
أمرين تعرّف ما يجهل من حاله وظهور جودته ورداءته بعده فربما قصد الأمران معا وربما قصد
أحدهما فإذا نسب إلى الله تعالى فهو للأمر الثاني وليس هذا من ابتلاء الله بكذا إذا أصابه بما يكره
ويشق عليه لأن تحمل الأوامر والنواهي على المكاره وعدّها من البلايا ليس بمناسب إبراهيم
تفسيره بالنبي بأنه أب رحيم وذلك لرحمته بالأطفال فيتكفل هو وزوجته سارة كافلين لأولاد
المؤمنين الذين يموتون صغارا إلى يوم القيمة فأتمهن أي قام بهن حق القيام وأطاعه فيهن
أحسن الطاعة لقوله وإبراهيم الذي وفى قال استيناف فالعامل في إذ محذوف أو هو العامل
في إذ والواو داخلة عليه عطفا على ما قبله عطف القصة على القصة المشار إليها إجمالا بقوله يا بني
إسرائيل إني جاعلك من الجعل بمعنى التصيير فيتعدى إلى مفعولين للناس إماما الإمام اسم لمن يؤتم به
كالإزار لما يؤتزر به وإمامته عليه السلام مؤبدة إذ لم يبعث بعده نبي إلا كان مأمورا باتباعه
وأما عمومها فبما في قوله عليه الصلوة والسلام أعطيت خمسا الحديث قال ومن ذريتي أي واجعل
بعض ذريتي واستعمال صيغة الأمر في موضع الالتماس سائغ شايع وهذا أولى من المصير إلى العطف
التلقيني لأنه ناشئ عن سوء أدب وذرية الشخص نسله قال لا ينال عهدي الظالمين أي من كان ظالما

من ذريتي لا ينال عهدي ليس بالامامة وانما ينال من كان عادلا والنيل اللحوق و
اختلف في المراد بالعهد والاظهر انه النبوة فلادلالة في الآية على ان الفاسق لا يصلح
الامامة واذ جعلنا البيت البيت اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا مثابة للناس المثابة
كالمباءة صيغة ومعنى اى مرجعا يثوبون اليه بعد التفرق عنه وامنا اى موضعا في
غاية الامن لا يتعرض لاهله لقوله حرما امنا ويتخطف من حولها قبل يأمن حاجه عن عذاب
الآخرة وفيه نظر لان الحج لا يجب ما قبله من المظالم وقيل لا يؤاخذ الجاني الملتجئ اليه حتى
يخرج لانه يلجئ الى الخروج فلا يبقى آمنا واتخذوا على ارادة القول او عطف على المقدر عاملا
لاذ او اعتراضا تقديره توبوا اليه واتخذوا وعلى هذا الواو فصيحة من مقام ابرهيم
مصلى موضع صلوة تصلون فيه وهو على وجه الاستحباب دون الايجاب وهو الحجر الذي
فيه اثر قدميه او الموضع الذي كان فيه حين قام عليه ودعا الناس الى الحج او رفع بناء
البيت وهو موضعه اليوم روى انه عليه السلام اخذ بيد عمر رضه فقال هذا مقام ابرهيم
فقال عمر رضه افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد
الامر بركعتي الطواف لما روى جابر رض انه صلى الله عليه وسلم لما فرغ من طوافه عمد
الى مقام ابرهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وقرئ و
اتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اى واتخذ الناس مقامه الموسوم به يعني الكعبة
قبلة يصلون اليها ويحتمل ان يكون امرا على صيغة الخبر للتاكيد فيتوافق القراءتان وعلى
هذا يتعين كون الامر للايجاب وعهدنا امرنا الى ابرهيم واسمعيل ان طهرا اى بان طهرا
بيتي من الاوثان والانجاس ويجوز ان يكون ان مفسرة لتضمن العهد معنى القول والمعنى
دوما على تطهيره فهو امر بيقائه على الطهارة لا ان يكون فيه نجاسة فيزيلاها وهو
كقوله تعالى لهم فيها ازواج مطهرة اى مبقاة على الطهارة الاصلية للطائفين اى للدائرين
حوله والعاكفين العاكف من لزم الشئ واقام عليه والركع السجود جمع الراكع والساجد
اى المصلين والصلوة تشتمل على افعال اقربها الى الخشوع هذان وترك العاطف بينهما لكمال
الاتصال واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا اى هذا البلد وهذا المكان بلدا امنا ذا امن
كقوله عيشة راضية او امنا من فيه عزيبا كان او من اهله كقولك ليل نائم والبلد الانس
في الجلد وغيره وانما سمى البلد بلدا لما فيه من الاثار وارزق اهله من الثمرات الثمرة
هي جميع ما يخرج من الارض والاشجار فهو سوال للطعام والفواكه في ذلك لانه اسكن اهله
بواد ذي زرع ولا ضرع وانما قال اهله دون اهلي تعميما للدعاء كما هو اللائق لشان
الانبياء من امن منهم بالله واليوم الآخر بدل من اهله اى وارزق المؤمنين من اهله
خاصة قالوا قاس ابرهيم عليه السلام الرزق على الامامة فخص الرزق المطلوب بالمؤمنين

وهذا القياس لا يليق بشأنه عليه السلام لظهور الفرق بينهما عند من له ادنى تمييز فالوجه
ان يقال انه عليه السلام ابى عن تعميم الدعاء للكفار لان الكافر لا يدعى له بل يدعى عليه قال عليه
الصلوة والسلام اللهم اشدد وطأتك على مضر وقال موسى عليه السلام ربنا اطمس على اموالهم
واشدد على قلوبهم وخشي ان يخرج ذلك مخرج المعونة لهم على العصيان او اراد الحمل
ذلك بترغيب الكفار في الاسلام قال ومن كفر مبتداء تضمن معنى الشرط وجوابه وخبره
مقدر تقديره فلا اهلكه والفاء في قوله فامتعه فصيحة وجعل جوابا وخبرا باء الفاء
فان الكفر لا يصلح سببا للتمتع لا كثيرا ولا قليلا نعم يصلح للتقليل لكن صرف النظم اليه لا يخلو عن
تعسف واما عطف من كفر على من آمن فعليه ان العطف يقتضي الشريك في العامل فيصير التقدير
قال ابرهيم عليه السلام وارزق من كفر ولا يناسبه السباق واللحاق ومن ظهره في قراءة
الخبرين على لفظ الامر على انه من دعاء ابرهيم عليه السلام من القصور كيف والمناسب له
طلب الهداية الى الاسلام لمن كفر لا طلب ضمهم على الضلالة قليلا نصب على المصدر اى
تمتيعا قليلا او على الظرف اى زمانا قليلا ثم اضطره الى عذاب النار اى الزه اليه لز المضطر
لكفره وقرئ فاطره بادغام الضاد في الطاء كما قالوا اطجع نقل سيبويه عن بعض العرب
مطجعا في مضطجع وقال ومضطجع اكثر فدل على ان مطجعا كثير فلا يكون لغة مرذولة
وبئس المصير مصيرهم فحذف المحذوف بالذم واذ يرفع ابرهيم يرفع حكاية حال ماضية
او روهامع اذ استحضارا لها لعظم وقعها في النفوس ولذا ابهم القواعد بالاطلاق
ثم بينها بالتقييد بقوله من البيت تفخيما لشأن المبين والقاعدة هي الاساس والاصل لما فوق
وهي من الصفات الغالبة من القعود بمعنى الثابتة ورفع القواعد هو البناء عليها لانها
بالبناء عليها تنقلت من هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع واسمعيل عطف على ابرهيم
فهما مشتركان في الرفع ربنا اى يقولان ربنا والجملة حال منهما تقبل منا اى هذا العمل الذي
قصدنا به رضاك انك انت السميع لدعائنا العليم بنياتنا ربنا واجعلنا عطف على الدعوة
السابقة وتكرار ربنا للاستلذاذ بذكره والخضوع بالربوبية مسلمين لك مخلصين لك
من اسلم وجهه او منقادين من اسلم بمعنى استسلم والمراد طلب الزيادة على ما كان او
الثبات عليه وقرئ مسلمين على ان التثنية من مراتب الجمع وقيل اراد انفسهما وهاجر
ومن ذريتنا خصا الذرية بالدعاء لانهم احق بالشفقة واتيا باداة التبعيض لانه تعالى
كان اعلمهما ان في ذريتهما من لا ينال العهد لكونه ظالما واما ما قيل ان الحكمة الالهية لا
تقتضي الاتفاق على الاخلاص والاقبال الكلي على الله تعالى فانه مما يشوش المعاش فلا يصلح
وجها لما ذكر كما لا يخفى امة مسلمة لك الاسلام هو الانقياد بالخضوع وارنا من الروية بمعنى
الابصار او المعرفة دل على ذلك الاقتصار على مفعولين والاختيار ان يقرأ بكسر الراء ومن قرأ

الجمهور لانه كسرت الهمزة جعلت الى الراء وسقطت الهمزة فلا ينبغي ان يسكن قياسا على فخذ
في فخذ كما فعله ابن كثير لئلا يجحف بالكلمة ويبطل الدلالة على الهمزة مناسكنا متعبداتنا
في الحج قال الزجاج كل متعبد منسك والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما
فيه من الكلفة والبعد عن العادة او مذابحنا فان النسك خص بالذبيحة وتعورف فيه
حتى قيل نسك فلان اذا ذبح وتب علينا التوبة منا رجوع الى الطاعة عن العصيان ومن
الله تعالى رجع بالاحسان ولهذا يتعدى بعلى وذلك ان تاب بمعنى رجع فكما ان رجع
لازم ومتعد كذلك تاب لازم ومتعد وانما قالا ذلك هضما لانفسهما او استتابة عما
فرط منهما سهوا او ارشادا لذريتهما انك انت التواب الرحيم لمن تاب ربنا تكرير للمام
وابعث فيهم اي في ذريتهما لا في الامة المسلمة لعدم الدلالة على انهم امة ذلك الرسول
رسولا منهم البعث فيهم لا يستلزم ان يكون منهم كالعكس ولهذا جمع بينهما يتلو تقرأ
عليهم اياتك المراد بالاية المعجزة الواضحة الدلالة وفي عبارة التلاوة اشارة الى انه لا بد ان
يكون للرسول المسؤل معجزات من جنس الكلام ويعلمهم اي يلطفهم في التفهيم الكتاب
كلام الله تعالى المنزل عليهم عليه السلام ومواعظ من القران لاشتماله على منسوخ التلاوة وتغاير
عن القران والحكمة السنة ذكره قتادة ووجه المناسبة بينهما ان الحكمة تنتظم القول والفعل
ويزكيهم يطهرهم اي يحليهم بالفضائل ويخليهم عن الرذائل وانما قدم الاول لان علم
القبائح يكون سببا لتركها والجامع لما ذكر انما هو محمد عليه السلام وقد روي انه عليه الصلوة
والسلام قال انا دعوة ابي ابرهيم وبشارة اخي عيسى ورؤيا امي امنة انك انت العزيز
الغالب الذي يقهر ولا يقهر الحكيم المحكم له ومن يرغب عن ملة ابرهيم الرغبة سعة الارادة
ومنه بطن رغيب اي واسع ومتى عدي بعن اقتضى صرف الارادة عن ذلك الشيء وذلك بالتزهد
فيه ومن للاستفهام على وجه الاستبعاد والمراد الجحد على وجه ابلغ اي لا يزهد في ملة ابرهيم
الا من الا الذي سفه نفسه اذلها واستخف بها قال المبرد وثعلب ان سفه بكسر الفاء يتعدى
كسفه المشدد ويشهد له ما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص والمستثنى في محل الرفع
بدلا من الضمير الذي في يرغب وهو المختار او منصوب على الاستثناء ولقد اصطفيناه في الدنيا
اي جعلناه صافيا من جميع ما لا يليق خلته الحق والاصطفا في الاصل يتناول صفوة الشيء كما
ان الاختيار يتناول خيره والاجتباء يتناول جبايته اي وسطه وهو وانه في الاخرة لمن الصالحين
اي من الباقين على الصلاح في الدنيا حتى يكون كذلك في العقبى فكم من صالح في اول حاله دنس
صلاحه في ماله فهو في مقام التعليل لاصطفائه في الدنيا كما انه في مقام التعليل لما سبق من انه
حقيق بالاتباع لا يرغب عنه الا سفيه او متسفه اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر اذ قال له
ربه اسلم ظرف لاسلمت العامل في اذ قال اسلمت اي حين امره الله تعالى بالاسلام قال اسلمت لرب

تعليلي لما تقدم من الصلاح في الدارين وانما زاد قوله لرب العالمين لبيان ان المراد من الاسلام
هو الانقياد عن عرفان بما يوجب الاذعان لا مجرد الاقرار باللسان ووصى بها اي بملة الاسلام
المذكورة ابرهيم بنيه والتوصية التقدم بفعل فيه صلاح ديني او دنيوي وقرئ و
اوصى والاول ابلغ واشتقاقها من وصاه اي وصله وبضاده فصاه اي فصله ويعقوب
عطف على ابرهيم اي ووصى هو ايضا بها بنيه وقرئ بالنصب على انه ممن وصاه ابرهيم وانما
منع عن الصرف للعجمة والعلمية يا بني على اضمار القول ومتعلق بوصى لانه نوع وباعتبار
الفعل والقول يجوز اثبات ان وحذفها كما في الرسالة والابلاغ والانذار والوعد ان الله
اصطفى لكم الدين دين الاسلام الذي هو صفوة الاديان لقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون
كناية عن الثبات على الاسلام وفي العبارة المذكورة اشارة الى ان العبرة للخاتمة ام كنتم شهداء
ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اي ما كنتم حاضرين اذ حضر يعقوب الموت وقال لبنيه
ما قال فلم تدعون اليهودية عليه روي ان اليهود قالوا لرسول الله عليه الصلوة والسلام الست
تعلم ان يعقوب وصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت والشهود حضور بالذات او بالعناية
او بالمقال والحضور اكثر ما يقال بالذات كذا قال الراغب وتقديم المفعول وهو يعقوب
لشدة الاهتمام به لانهم يدعون عليه اليهودية اذ قال لبنيه بدل من اذ حضر ما تعبدون
من بعدي لم يعن به العبادة المشروعة فقط بل عني جميع الاعمال فكانه دعاهم ان لا يتحروا
في اعمالهم غير وجه الله تعالى ولم يخف عليهم الاشتغال بعبادة الاصنام وانما خاف
ان يشغلهم دنياهم ولهذا زادوا في الجواب قولهم ونحن له مسلمون اي منقادون له في جميع الافعال
والاحوال قالوا نعبد الهك واله ابائك اي نقتدي بك كما اقتديت بابائك وللاشعار بهذا
الاعتبار المناسب للمقام زادوا في الكلام على قدر الحاجة في الجواب وقرئ واله ابيك على انه
جمع اب على السلامة او مفرد وابرهيم عطف بيان ابرهيم واسمعيل واسحق بدل عن قوله
ابائك وابرهيم عليه السلام كان جدا له والجد اب قال الله تعالى كما اخرج ابويكم من الجنة واسمعيل
كان عما له والعم عند العرب يسمى ابا قال النبي عليه الصلوة والسلام في حق العباس هو ردوا
علي ابي وانما قدمه على ابيه اسحق لانه كان اكبر سنا منه الها واحدا بدل من اله ابائك او يكون
ان يكون واحدا حالا والها توطئة والفائدة التنصيص على ان معبودهم واحد ونفي التوهم
الناشي من تكرير المضاف واما النصب على الاختصاص فيرده نص النحاة على ان المنصوب على
الاختصاص لا يكون نكرة ولا مبهما ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او مفعوله او منهما ويجوز
ان يكون جملة معطوفة على نعبد او اعتراضية تلك امة الاشارة الى ابرهيم ويعقوب
وبنيهما والامة اهل الملة الواحدة وهي في الاصل المقصود من امه كالعمدة من عمده وسمي
به الجماعة لان الفرق تؤمها قد خلت اي مضت وصارت الى الخلاء وهي الارض التي لا انيس بها

ويلزمه الانفراد ومنه خلا الرجل بنفسه وخلا المكان من اهله اي انفرد منهم لها ما كسبت ولكم
ما كسبتم الكسب اجتلاب النفع بعلاج وممارسة ولذلك لا يجوز في صفة الله تعالى واذا قيل في المضرة
فعلى طريق الاستعارة وتقديم لها ولكم للتخصيص والجملة استيناف لبيان الانتفاع بالاكتساب
بالانتساب ولا تسألون عما كانوا يعملون تتميم لما تقدم اي لا يثاب ولا يعاقب احدهما
كان من الآخر على ان المراد سؤال المؤاخذة وقالوا رؤساء اليهود ونصارى نجران كونوا
المأمورون من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم هودا او نصارى كان الظاهر ايراد
اداة الجمع لان الكلام المجموع عن مجموع الكلامين الا انه اراد ان يتضمن الكلام بيان انقسام المقال
على الانفصال الحقيقي فأتى باداة المنع تهتدوا جواب الامر قل ملة ابراهيم اي قل يا محمد جوابا
عن قبلهم بل نكون اهل ملة ابراهيم على حذف المضاف وقرئ ملة بالرفع على معنى بل المهتدون
ملة ابراهيم حنيفا من المضاف او مضاف اليه والحنيف المائل والمراد المائل عن الاديان كلها الى
دين الحق كان يقال في الجاهلية لمن كان على دين ابراهيم عليه السلام حنيف [illegible] عن طريقهم
طريقة غيرها وما كان من المشركين تعريض الى ان كلتى الطائفتين قد اشركت قولوا خطاب
للمؤمنين ويجوز ان يكون خطابا للكافرين على ان المراد بقوله بل ملة ابراهيم بل كونوا اهل
ملة لتكونوا مهتدين فيكون قولوا بيانا له آمنا بالله اي بالوهيته ووحدانيته وسائر
صفاته وجملة كلامه فكان الايمان به مشتملا للايمان بجميع ما انزل من عنده فلهذا لم يفصل
بينهما باداة التعدية الدالة على الاستقلال وما انزل الينا القرآن قدمه لان التصديق
به اتم واتم وما انزل الى ابراهيم من الصحف واسمعيل واسحق ويعقوب عطفوا
على ابراهيم لانهم لما كلفوا العمل بشريعته صارت الصحف المنزلة عليه كانها منزلة عليهم
والاسباط اولاد يعقوب عليه السلام جمع سبط وهو في الاصل كالطائفة والفرقة والاسباط
في اولاد اسحق عليه السلام كالقبائل في اولاد اسمعيل عليه السلام وهم جماعة من اب وام
مأخوذ من السبط وهو شجرة واحدة لها اغصان كثيرة وما اوتي موسى وعيسى التورية
والانجيل والآيات ولهذا اتى ههنا بعبارة اوتي ولم يكرر ما اوتي لان شريعة عيسى عليه السلام
هي شريعة موسى عليه السلام الا في النذر وافردهما بالذكر لوقوع النزاع فيهما وما اوتي
النبيون تعميم بعد التخصيص من ربهم اي منزلا من ربهم لا نفرق بين احد منهم اي لا نكون
كالذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض من اليهود والنصارى واحد عام فساغ ان يضاف اليه
بين وعمومه ليس من جهة كونه نكرة في سياق النفي كما هو السابق الى الوهم بل لانه موضوع لمن في النفي
مستوفية للمذكر والمؤنث والواحد وما وراءه ولو قال بينهم لكان اوجز الا انه لما كان المقصود
الى ان يبين ان لا تفريق بين واحد ذكر لفظ احد ونحن له مسلمون مذعنون مخلصون فان
الفاء لترتيب الكلام على ما تقدم آمنوا اي اليهود والنصارى بمثل ما آمنتم به اي بمثل ايمانكم

فما مصدرية وبه بدل من بمثل يفيد التوكيد وكذا الباء المزيدة ويجوز ان يكون للآلة
والمعنى ان تحروا طريقا يهدي الى الحق مثل طريقكم فان وحدة المقصد لا يأبى تعدد
الطرق او المثل مقحم كما في قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله اي عليه ويشهد
له قراءة بما آمنتم به وبالذي آمنتم به فقد اهتدوا اي اصابوا الصراط السوي وان تولوا
يقال تولاه اي اتخذه وليا قال تعالى لا تتولوا قوما غضب الله عليهم واذا وصل بالى يكون
بمعنى الاقبال عليه قال تعالى ثم تولى الى الظل واذا وصل بعن يكون بمعنى الاعراض وهو المراد
هنا اي ان اعرضوا عن الايمان بما آمنتم به او عما تقولون لهم فانما هم في شقاق اي فما هم
الا في شقاق عظيم وهو المناواة والمخالفة لاهل الحق فان كل احد من المخالفين في شق
غير شق الآخر فسيكفيكهم الله تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ والنصر
والسين اشارة الى كون الوعد محقق الوقوع قريبه وهو السميع العليم حذف المفعول
للتعميم وترك تنزيلا للمتعدي منزلة اللازم لايهام المبالغة وعد للمؤمنين ووعيد
للكفار صبغة الله انتصب انتصاب المصدر المؤكد لمضمون الجملة من قوله قولوا آمنا اي
صبغنا الله تعالى بالايمان الفطري صبغته وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها فانها حلية
الانسان كما ان الصبغة حلية المصبوغ او هدانا الله تعالى هدايته وارشدنا حجته او طهر
قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه صبغة لانه ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ
وتداخل في قلوبهم تداخل الثوب وقيل انه كلام وارد على طريق المشاكلة وذلك لانه كان
للنصارى صبغ يسمونه المعمودية وهو ماء اصفر كانوا يغمسون اولادهم فيه يزعمون انه
تطهير لهم ويقولون للمغموس الآن صار نصرانيا حقا ومن احسن من الله صبغة اي لا احد احسن
من الله صبغة ونحن له عابدون عطف على آمنا بالله او على قوله ونحن له مسلمون وهو حال
من آمنا بالله او على قوله ونحن له مسلمون وهو حال من آمنا بالله وفيه تعريض بهم اي لا نشرك
به كشرككم قل اتحاجوننا المحاجة المقاومة في اظهار الحجة المبينة للمحجة اي للمقصد في الله في شأنه
واصطفائه نبيا من قريش روي ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا
لكنت منا فنزلت وهو ربنا وربكم لا اختصاص لربوبيته بقوم دون قوم يصيب برحمته
من يشاء من عباده ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم فكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله تعالى فلذلك
لنا اعمال ونحن له مخلصون اي في الاعتقاد والعمل لا انتم فكيف يكونون افضل منا واولى كانهم
الزمهم على كل مذهب ينتحلونه افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله تعالى على من
شاء والكل فيه سواء واما افاضة حق على المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالاخلاص
ام تقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى
على القراءة بالتاء الفوقانية يحتمل ان يكون ام متصلة معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي

الامرين تأتون المحاجة في الله ام ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء عليهم السلام وان
يكون منقطعة وعلى القراءة بالياء التحتانية لا يكون الا منقطعة لان المتصلة تقتضي المساواة
بين ما يلي الهمزة وام ولا مساواة ح ومعنى الاستفهام الانكار وعلى تقدير اتصال
ام انكار للامرين جميعا وكذا على تقدير انقطاعها وفي القراءة الثانية اعراض عن خطاب
لهم بملة الاسلام استجهال لهم بما كان منهم وفي قل أانتم اعلم ام الله انكار للقسم
الاول وتقرير للثاني اي ان الله تعالى شهد لهم بملة الاسلام في قوله وما كان ابرهيم
يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وهؤلاء المعطوفون عليه اتباعه في الدين
اتفاقا ومن اظلم ممن كتم شهادة ثابتة عنده كائنة من الله اي شهادة الله تعالى
في حق ابرهيم التي ثبتت عنده في كتابه الذي يتلوه والمعنى لا احد اظلم من اهل الكتاب
لانهم كتموا الشهادة او منا لو كتمنا هذه الشهادة وفيه تعريض لهم بكتمانهم شهادة
الله تعالى لمحمد عليه الصلوة والسلام بالنبوة في كتبهم وغيرها وقد مر في تفسير قوله تعالى
ومن اظلم ممن منع مساجد الله ما يتعلق بهذا المقام من بيان وجه هذه الطريقة من الكلام
وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم
ولا تسئلون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة في التحذير والزجر عما استحكم في الطباع من
الافتخار بالآباء والاتكال عليهم سيقول السفهاء من الناس قد مر معنى السفه والمراد
المنكرون لتغيير القبلة من المنافقين والمشركين واليهود وفائدة تقديم الاخبار به مع
انه نوع من الاعجاز توطين النفس واعداد الجواب ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم التي
كانوا عليها يعني بيت المقدس والقبلة وان كانت في الاصل اسما للحال التي عليها الانسان
من الاستقبال كالجلسة والقعدة فقد صارت في التعارف للمكان المتوجه نحوه للصلوة
اليها قل لله المشرق والمغرب كنى بهما عن الجهات كلها اي نسبة جميع الجهات اليه تعالى على السواء
فلا يختص بامر مكان دون مكان لخاصية ذاتية تمنع اقامة غيره مقامه وانما العبرة بارتسام
امره لا بخصوص المكان يهدي من يشاء الى صراط مستقيم هو ما علم الله تعالى صلاحهم واستقامة
امرهم فيه من توجيههم الى بيت المقدس تارة والى الكعبة اخرى وكذلك اي ومثل ذلك الجعل
العجيب والاشارة الى الجعل المدلول عليه بجعلناكم لا الى الجعل المفهوم من الاية المتقدمة وانما
جيء بما يدل على البعد تفخيما والكاف مقحم للمبالغة جعلناكم امة وسطا خيارا لكونهم عدولا
مزكين بالعلم والعمل وهو في الاصل اسم للمكان الذي يستوي اليه المساحة من الجوانب في المدور
ومن الطرفين في المطول كالنقطة من الدائرة ولسان الميزان من العمود فجعل عبارة عن العدل
وشبه به كل ما وقع بين طرفي افراط وتفريط كالجود بين السرف والبخل والشجاعة بين التهور
والجبن ثم جعل عبارة عن المختار من كل شيء حتى قيل فلان اوسطهم نسبا فاستوى فيه

الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الاسماء التي يوصف بها لتكونوا شهداء يعني للانبياء
عليهم السلام يوم القيمة على الناس على الكفار ويكون الرسول هو محمد عليه الصلوة والسلام
عليكم خاصة شهيدا معدلا مزكيا لهم والشهيد كالرقيب والمهيمن فجيء بعلى لاستعلائه
للمشهود له روي ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء عليهم السلام فيطالب الله تعالى
الانبياء عليهم السلام بالبينة على انهم بلغوا وهو اعلم فيؤتى بامة محمد عليه الصلوة والسلام
يلتمس كل رسول منه طائفة من امته يشهد له فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون
علمنا ذلك باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله
عليه وسلم فيسأل عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله تعالى فكيف اذا جئنا
من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا واستدل بالآية المذكورة على ان الاجماع
حجة اذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لانثلمت به عدالتهم ولا يخفى ضعفه اذ غايته ما لزم ح
خطاؤهم في الاجتهاد ولا يثلم به العدالة كيف والخطاء في الاجتهاد مما يثاب عليه السلام
يصلي اليها بمكة ثم امر بعد الهجرة بالصلوة وما يثاب عليه لا يكون قادحا في العدالة وما جعلنا
القبلة التي كنت عليها اي الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة كان عليه السلام يصلي اليها بمكة ثم امر
بعد الهجرة بالصلوة الى صخرة بيت المقدس تألفا لليهود لانه مردود بالحصر المستفاد من
تمام الكلام الآتي ذكره فانه صريح في ان جعل الكعبة قبلة ليس تألفا لقريش على هذا الوجه وان
جعل الصخرة قبلة ليس تألفا لليهود على الوجه الآخر ثم حول الى الكعبة فالمعنى ما رددناك
الى الكعبة وذلك لا يقتضي ان يكون القبلة المفعول الاول والتي كنت عليها المفعول الثاني
كما توهم بل يجوز ان يكون على العكس اي صيرنا الجهة التي كنت عليها اولا ثم صرفت عنها الى
بيت المقدس قبلتك والصخرة فالمخبر به على الاول الجعل الناسخ وعلى الثاني المنسوخ والمعنى
ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وما جعلنا قبلتك بيت المقدس الا امتحانا وابتلاء للناس
وعن ابن عباس رض كانت قبلته عليه الصلوة والسلام بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة
بينه وبينه ولا دلالة في هذا على احد المعنيين المذكورين بخصوصه كما لا يخفى الا لنعلم من يتبع
الرسول ليظهر علمنا على مظاهر الرسول والمؤمنين ويتميز عندهم الثابت على الاسلام الصادق فيه
وانما عبر عن الظهور المذكور بالعلم المسند الى ذاته لانهم خواصه واهل الزلفى عنده تعظيما
لهم وبهذا اندفع ما قيل كيف يكون علمه تعالى غاية الجعل وهو لم يزل عالما واما التأويل بانه
باعتبار التعلق الحالي الذي هو مناط الجزاء والمعنى ليتعلق به علمنا موجودا فليس بشيء لان
علمه تعالى به موجودا في وقت وجوده لم يزل ايضا فانه تعالى كان عالما في الازل بهم وبكل حال
من احوالهم التي تقع في زمان من ازمنة وجودهم مقارنة للزمان الذي يقع فيه تلك الحالة
ممن ينقلب على عقبيه ممن يرتد الذي يرتد بادي سبب لقلقه تصويرا لسوء حالهم في الارتداد

اي كان علمه المتعلق بهم بذلك كان علمه بالغيب لم يزل فتأمل منه

وذكر الاهواء والتأكيدات الاربعة في جوابه مبالغة عظيمة في ان كل واحد من المحق والمبطل
في غاية التصلب والتشدد في دينه وامتناع رجوعه عنه اما المحق فلقوة يقينه ووضوح برهانه
وكونه على بينة من ربه واما المبطل فلشدة شكيمته في عناده ومكابرته وتعظيم للحق المعلوم
وتحريض على اقتفائه وتحذير عن متابعة الهوى واستفظاع لصدور الذنب عن الانبياء
عليهم الصلوة والسلام الذين آتيناهم الكتاب ابتداء خبرهم ودراسته وهم الاحبار يعرفونه
الضمير للرسول عليه الصلوة والسلام وقد سبق ذكره في قوله تعالى انك اذا لمن الظالمين وهذا
الكلام غير منقطع عنه الا انه التفت من الخطاب الى الغيبة ثم منها الى الخطاب في قوله وهم
يعلمون الحق من ربك كما يعرفون ابناءهم اي يعرفونه عليه الصلوة والسلام معرفة لا اشتباه
فيه بالوصف الذي يعينه كما يعرفون البنين على التعيين لا اشتباه في معرفتهم اياهم
بغيرهم وانما خص الابناء بالذكر لان اختلاطهم بالاباء اكثر فعدم الاشتباه فيهم اظهر
روي عن عمر رضي الله عنه انه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله عليه الصلوة والسلام فقال انا
اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت
فقبل عمر رضي الله عنه رأسه وان فريقا منهم التنوين للتحقير والاشارة الى قلة قدرهم بالنسبة الى
المطهرين منهم ليكتمون الحق اي كونه النبي الموعود كان الظاهر ان يقال ليكتمونه والعدول
عنه للتنبيه على ان المراد معرفته صلى الله عليه وسلم بذلك الوجه لا معرفة ذاته وهم يعلمون
تخصيص لمن عاندوا استثناء لمن آمن الحق من ربك كلام مستأنف والحق خبر مبتدأ محذوف
اي هو الحق ومن ربك خبر بعد خبر او حال او الحق مبتدأ خبره من ربك واللام اما للعهد
والاشارة الى ما يكتمونه اي الحق الذي يكتمونه هو حق من ربك والى الحق الذي عليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم واما للجنس اي الحق من ربك لا من غيره اي ماهية الحق ما ثبت انه
من ربك يعني الذي انت عليه وما لم يثبت انه من ربك كالذي عليه اهل الكتاب فهو الباطل
كما تقول الرجل زيد اي ما عداه ليس الرجل وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول
يعلمون فلا تكونن من الممترين النهي عن الكون على صفة ابلغ من النهي عن تلك الصفة ولذلك
كثر في القرآن النهي عن الكون على الصفة التي يطلب اجتنابها والامتراء من مرية الناقة
اذا مسحت ضرعها واستعير للتردد في الامر وهو لا يكون بقصد واختيار فالنهي المذكور
للحث على محافظة الاسباب المزيلة له والتحذير عن الغفلة عنها والرسول عليه الصلوة والسلام
احق بهما من امته ولقد احسن من قال ان الله تعالى يحذر نبيه من اتباع الهوى اكثر مما يحذر
غيره لان ذا المنزلة الرفيعة الى تجديد الانذار احوج حفظا لمنزلته وصيانة لمكانته وقد
قيل حق المرآة المجلوة ان يكون تعهدها اكثر اذ كان القليل من الصدأ عليها اظهر
ومن ذهب عليه هذا قال ليس المراد به نهي الرسول عليه الصلوة والسلام عن الشك فيه لانه غير

متوقع

متوقع منه وليس بقصد واختيار وكأنه غافل عن انه لا صحة للكلام على [illegible] وبعد الصرف
عنه لا مانع عن كون الخطاب له عليه السلام ثم انه لا اختصاص للنهي بالمتوقع الا يرى انه نهي عن الجهل وهو غير
متوقع من نوح عليه السلام وقد وقع التحذير عنه في حقه في قوله تعالى اني اعظك ان تكون
من الجاهلين وفائدة نهيه عليه الصلوة والسلام مع ان النهي غير متوقع منه المبالغة في حق
من يتوقع منه ذلك ولكل وجهة اي ولكل قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة وقيل المعنى
ولكل امة من اهل الاديان المختلفة جهة وقبلة ولا ينتظم وجه التفريع الآتي ذكره وفي قراءة
ابي قبلة والتنوين عوض عن الاضافة هو موليها هو اما راجع الى كل اي هو موليها وجهه
فحذف احد المفعولين او الى الله تعالى اي الله موليها وجهه وقرئ ولكل وجهة بالاضافة
اي ولكل وجهة الله تعالى فعلها واللام مزيدة للتأكيد جبر الضعف العامل وقرئ مولاها
اي مولى تلك الجهة ولما كان في التوسعة المستفادة من الكلام السابق ازاحة العذر في
التوقف والتأخر رتب عليه الامر بالمبادرة بقوله فاستبقوا الخيرات اي تسارعوا الى اداء
الصلوات في اوائل اوقاتها والسبق التقدم والاستباق من الاثنين ومن الجمع التسابق وكذا
التبادر والابتدار والتقابل والاقتتال وفي التعبير بالخير عن الصلوة دلالة على
تفوقها في الخيرية على سائر الاعمال الصالحة فان النوع الخاص اذا عبر عنه باسم الجنس يدل
على فضله على سائر الانواع اينما تكونوا يأت بكم الله اي في اي موضع كنتم احضركم الله للحشر
للثواب والعقاب استيناف تعليلي للامر المذكور وانما قال جميعا لان نكال العاصي على
رؤس الاشهاد يكون اشد فظاعة والاحسان للمطيع في تلك الحال يكون اقوى تأثيرا
في تكسير العاصي ففيه تأكيد التحذير وقيل المعنى اينما تكونوا من الجهات المتقابلة يأت بكم
الله جميعا ويجعل صلواتكم كأنها الى جهة واحدة ويأباه قوله ان الله على كل شيء قدير
اذ لا دخل لشمول القدرة وكمالها في المعنى المذكور فان مبناه على الرخصة والوسعة في
امر التكليف لا على القدرة في امر التكوين ومن حيث ومن اي مكان خرجت سواء كان للسفر
او لامر آخر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه وان هذا المأمور به للحق من ربك
تأكيد على ابلغ الوجوه وما الله بغافل عما تعملون وقرئ بالياء ومن حيث خرجت فول
وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره كرر هذا الحكم لتعدد حكمه
فانه تعالى ذكر لتحويل القبلة ثلث فوائد تعظيم الرسول عليه الصلوة والسلام بابتغاء
مرضاته وجري العادة الالهية على ان يولي اهل كل ملة وصاحب دعوة وجهة يستقبلها
ويتميز بها ودفع حجج المخالفين على ما سيأتي بيانه وقرن بكل حكم حكمته تقريبا وتقريرا
على ان القبلة لها شان والنسخ من مظان الشبه والفتن ومحال تسويل الشيطان فيحتاج
الى التأكيد والتشديد ليتحققوا انه ليس بالبدء لئلا يكون للناس عليكم حجة تعليل لقوله فولوا

يعني ان في التولية عن الصخرة الى الكعبة دفع احتجاج اليهود بان المنعوت في التورية
قبلته الكعبة وان محمدا عليه الصلوة والسلام يجحد ديننا ويتبعنا في قبلتنا واحتجاج
المشركين بانه يدعي ملة ابرهيم عليه السلام ويخالف قبلته الا الذين ظلموا منهم الظالمون
المستثنون من الناس هم المعاندون من اليهود القائلون ما ترك قبلتنا الى الكعبة الا
ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الانبياء عليهم السلام واهل مكة
من العرب الذين قالوا بدا له فرجع الى قبلة ابائه ويوشك ان يرجع الى دينهم فلا تخشوهم
ولا تبالوا بهم فان قولهم عناد وطعن ليس بحجة فلا يضركم وان ساقوه مساق الحجة ولذلك استثنا
من الحجة بناء على زعمهم وقراءة زيد بن علي رض الا الذين ظلموا فعلى حجة مستانفة للجملة
مصدرة بالا للتنبيه دلت على كونه ليس بحجة واخشوني ولا تخالفوا امري لكون الموصول متضمنا
معنى الشرط وكون الخبر جملة انشائية دخل الفاء في الخبر اي فلا يسوغ ان يخشوهم ويجب ان يخشوني
لان الجملة الانشائية لا تقع خبرا الا على تاويل الخبرية ولاتم نعمتي عليكم معطوف على علة
محذوفة اي واخشوني لاعصمكم منهم في الدنيا ولاتم نعمتي عليكم في الاخرة بان ادخلكم
الجنة ولعلكم تهتدون الى الله وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رض اتمام النعمة
الموت على الاسلام او على لئلا يكون او معلله محذوف اي ولاتم نعمتي عليكم واردتي اهتدا
امرتكم بذلك كما ارسلنا فيكم رسولا منكم متعلق بما قبله مصدر اي ولاتم نعمتي عليكم في الاخرة
بالثواب كما اتممتها عليكم في الدنيا بارسال الرسول او بما بعده اي كما ذكرتكم بارسال الرسول
فاذكروني بالطاعة وانما جمع بين فيكم ومنكم لان كلا منهما واقع نافع ولا يغني احدهما عن الاخر
يتلو عليكم اياتنا ويزكيكم يحملكم على ما تصيرون به ازكياء قدمه هنا باعتبار القصد و
اخره في قصة ابرهيم عليه السلام باعتبار الفعل ويعلمكم الكتاب والحكمة قد مر تفسيرهما ويعلمكم
ما لم تكونوا تعلمون بالفكر والنظر اذ لا طريق الى معرفته سوى الوحي وتكرير الفعل للدلالة على انه
جنس اخر فاذكروني اذكركم حضور الشيء بالقلب كني به عما يتلوه من الطاعة وفيه تنبيه على ان العصيان
للنسيان حقيقة او حكما اذكركم كني به عن الاحسان وذلك مشهور في كل لسان واشكروا لي يقال
شكرته وشكرت له والثاني افصح ولا تكفرون حذفت الياء من اخره ليستوي الفواصل والشكر
اظهار النعمة بالاعتراف بها او بما هو كالاعتراف من القيام بحقها والكفران ستر نعمة المنعم بالجحود
او بما هو في حكمه من العمل يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلوة قد تقدم الكلام فيهما
حث الله تعالى على الصبر لانه ذريعة الى كل خير واول كل فضل وعلى الصلوة التي هي ام العبادات
البدنية والنافية ان الله مع الصابرين يعني ان النصرة مع الصبر في لازمه فقد فاز بالنصر
ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اي في الجهاد ولا طريق الى ثواب الله ورحمته اموات اي هم اموات
بل احياء اي بل هم احياء ولكن لا تشعرون كيف حيوتهم وكيف حالهم في حيوتهم اي ليس ذلك
مما يدرك بالشعور اي الحواس عن الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعالى تعرض ارزاقهم على
ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح ال فرعون غدوا وعشيا
فيصل اليهم الوجع والاية نزلت في شهداء بدر وفيها وما روي عنه عليه الصلوة والسلام انه لما
قتل من صناديد قريش يوم بدر من قتل جمعهم في قليب ثم اقبل عليهم يقول هل وجدتم ما
وعد ربكم حقا فاني وجدت ما وعدني ربي حقا فقيل له عليه الصلوة والسلام تخاطب جيفا
فقال ما انتم باسمع منهم ولكنهم لا يقدرون على الجواب دلالة على ان الارواح مطلقا جواهر
قائمة بانفسها دراكة مغايرة لما يحس من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة
رض والتابعين وبه نطقت الايات والاثار وعلى هذا فتخصيص الشهداء بالذكر لاختصاصهم
بمزيد الزلفى ولنبلونكم مجاز اذ البلاء معيار كالمحك يظهر به جوهر النفس هل تصبر وتثبت
اي نصيبنكم بمكروه اصابة من يختبر فعل المختبر بشيء اي بادنى شيء وتنكيره تقليل لما ابتلاه به
ليؤذن ان كل بلاء اصاب الانسان وان جل ففوقه ما يقل هو بالنسبة اليه وليخفف عليهم
ويريهم ان رحمته معهم في كل حال لا تزايلهم حتى في حال البلاء فلو عرض ذلك للشكر في موضع
الصبر ولهذا شكر العرفاء وحمدوا الله تعالى على البلاء كما شكر غيرهم على النعماء وقد مر
في تفسير الفاتحة ان نعمة الدفع ينتظم بها نعيم الدارين في الدار الاخرة كما انتظم بها نعمة النفع في هذه
الدار وانما وعدهم ذلك ليعلموا ثواب الصبر ويوطنوا عليه نفوسهم من الخوف والجوع
اي خوف الاعداء والقحط ونقص تخفيف وتقليل من الاموال بالهلاك والخسران والانفس بالقتل
والموت والثمرات بالجوائح وقلة النبات وانقطاع البركات وبشر من الخطاب المتوجه الى كل
واحد ممن يتاتى منه البشارة عند البلغاء لتعظيم الصبر وتحقيقه لانه فضيلة عظيمة الثواب
يستحق صاحبه ان يبشره كل احد الصابرين المحتسبين لانفسهم على مكروه الذين اذا اصابتهم
مصيبة المصيبة ما يصيب الانسان من مكروه روي انه طفي سراج رسول الله عليه الصلوة والسلام
فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل امصيبة هي قال نعم كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة
قالوا انا لله اقرار على انفسنا بالملك وانا اليه راجعون اقرار على انفسنا بالهلك وليس الصبر
بالاسترجاع باللسان فقط بل لا بد معه من الاذعان بالجنان والمبشر به محذوف دل عليه قوله
تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة الصلوة في الاصل الدعاء ومن الله تعالى افاضة
الكمالات والسعادات فهي من باب التحلية كما ان السلام وهو التطهير والتجريد من باب
التزكية والتخلية وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف والاحسان
واولئك هم المهتدون للحق والصواب حيث استرجعوا واستسلموا لقضاء الله تعالى
عظم الله تعالى الصبر بوجوه بالبشارة العامة وبقوله اولئك بعد وصفهم بها وصفهم
اشعارا بان ذلك الوصف يوجب هذه الكرامة المذكورة بعده وبتكرير اولئك وبتعديهم

عليهم اي عليهم خاصة وبتنكير صلوات وجمعها اي مدرار افات متصلة متتالية وتنوير
لا يعرف كنهها ولا يقدر قدرها وبتقييدها بقوله من ربهم ورحمة اية رحمة وبنو سبطهم
وبتعرف المهتدون بلام الماهية ان الصفا والمروة الصفا الحجر الصلب الاملس الذي لا يخالط
طين ولا تراب ولا رمل ماخوذ من الصفوة وهي الخلوص والمروة هي الحجر اللين وقيل الحجر
الابيض الذي يبرق ثم جعلا علمين للجبلين بمكة من شعائر الله الشعائر جمع شعيرة وهي
العلامة اي من اعلام مناسكه ومتعبداته من موقف ومسعى ومنحر اراد ازالة الكراهة عن نفس
الساعي بين الصفا والمروة على ما سياتي بيانه فمهد لذلك كونهما من شعائر الله تعالى مؤكدا بان
لنفي التردد الذي فيهما اي من اعلام دينه تعالى ومعالم تعبده فتسبب عنه رفع الجناح عن الساعي
بينهما فلذلك ورد فاء التسبب في قوله فمن حج البيت او اعتمر الحج القصد والاعتمار الزيارة
فغلبا على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين وهما في المعاني كالنجم والبيت في الاعيان
فلا جناح عليه الجناح الميل الى الاثم اصله من الجناح ونفيه ابلغ من نفي الاثم ان يطوف بهما
الطوف الدور والتطوف تكلفه واصله يتطوف فادغم وقرئ ان يطوف من
طاف روي ان اساف كان على الصفا ونايلة على المروة وهما صنمان وكان اهل الجاهلية
اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما
لذلك فنزلت واحتمال الجناح لا يندفع بالوجوب فان النهي على المعصية يجب نقضه وفيه
جناح ولهذا يلزمه الكفارة ومن هنا اتضح وجه الحاجة الى الاخبار عن عدم الجناح في
الطواف المذكور بعد ما بين انه من معالم الدين واعلم انه لا خلاف في انه مشروع في الحج والعمرة
وانما الخلاف في وجه مشروعيته فعن احمد انه سنة وبه قال انس رض وابن عباس رض لقوله
تعالى فلا جناح فان الظاهر المتبادر منه التخيير المنافي للوجوب وقد مر وجه دفعه ولان نفي
في قراءة ابن مسعود رض فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما لما ذكر لان موجب نفي على ما تقدم ان
يكون لا زايدة لعدم تسبب انتفاء الجناح عن عدم الطواف بهما عما تقدم من كونهما من شعائر
الاسلام ابي حنيفة واصحابه انه واجب يجبر بالدم وبه قال سفيان الثوري وعامة اهل
العلم وعند مالك والشافعي هو ركن لقوله عليه الصلوة والسلام اسعوا فان الله قد كتب عليكم
السعي ويرد عليه ان دلالته على الوجوب دون الركنية ومن تطوع خيرا اي فعل طاعة فرضا كان
او واجبا او نفلا او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة او طواف خيرا نصب على انه صفة مصدر
محذوف او بتعدية الفعل لتضمنه معنى اتى او فعل او بحذف الجار وايصال الفعل اليه لانه ليس
قياسيا حتى يصار اليه بلا ضرورة وقرئ تطوع واصله يتطوع فادغم مثل يطوف فان الله
شاكر مثيب على الطاعة عليم لا يخفى عليه شيء ان الذين يكتمون من احبار اليهود ما انزلنا في التورية
من البينات البينات على امر محمد عليه الصلوة والسلام والهدى اي اتباعه والايمان به من بعد

ما بيناه وشرحناه للناس في الكتاب في التورية من نعته عليه الصلوة والسلام ووصفه
بما لا ابهام فيه ولا اشكال ولا اشتباه على احد فكتموه ولبسوا على الناس ففي قوله من البينات و
الهدى توبيخ لهم والزام ببيان اشنعيا فهم لتعمد اخفاء ما عندهم من السبب بالابهام والتلبيس
لانهم اعتقدوا انها ايات بينات وهدى ثم كتموها ولذلك يلعنهم الله تعالى ويلعنهم اللاعنون
احياء واذا ماتوا على الكفر والكتمان ولم يتوبوا خص بهم اللعنة بسبب كل ذلك اسهد اولئك يلعنهم
الله اللعن الابعاد على وجه الطرد وصار في التعارف دعاء ويلعنهم اللاعنون الذين يتاتى منهم
اللعن ويعتد بلعنهم من الملئكة والمؤمنين من الثقلين الا الذين تابوا عن الكتمان وسائر ما يجب
ان يتاب عنه واصلحوا ما افسدوه من احوالهم وبينوا ما كتموه من نعته صلى الله عليه وسلم كما
بين عبد الله بن سلام واحزابه فاولئك اتوب عليهم بالقبول والمغفرة وانا التواب الرحيم
المبالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اي الذين ماتوا على الكفر
من هؤلاء الكاتمين اولئك الموصوفون بالكفر الثابتون عليه حتى الموت عليهم لعنة الله والملئكة
هم الموصوفون بالكفر باللعنة الابدية احياء وامواتا اورد في الاولى الجملة الفعلية الدالة على
الحدوث المسبب عن الكتمان لامكان التوبة والفعل المضارع الدال على التجدد المترتب عليه وقتا
بعد وقت متتابعا في الازمنة المتتالية وفي الثانية الجملة الاسمية مع تقديم الخبر المفيد للاختصاص
على الدوام واللام في والناس للجنس والتاكيد بقوله اجمعين لله والملئكة والناس وانما
والتاكيد لهم وللكل ثم انه يحتمل العموم لان الكفار يوم القيمة يلعن بعضهم بعضا والخصوص
بمن يعتد بلعنه وهم المؤمنون كان من عداهم ليسوا بالناس اذ لا اعتداد بهم عند الله
تعالى وقرئ والملئكة والناس اجمعون بالرفع عطفا على محل اسم الله تعالى لانه فاعل
في المعنى كقولك عجبت من ضرب زيد وعمرو اي من ان ضرب زيد وعمرو او فاعل لفعل مقدر
نحو ويلعنهم الملئكة خالدين فيها اي في اللعنة او في النار وانما اضمرت بلا ذكر تفخيما لشانها
وتهويلا لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون من الانظار اي لا يمهلون ولا يؤجلون
او لا ينتظرون ليعتذروا ولا ينظر اليهم نظر رحمة والهكم اله واحد اي المستحق للعبادة منكم
واحد لا شريك له يصح ان يعبد او يسمى الها والخطاب عام لا اله الا هو تقرير للوحدانية ودفع
لتوهم ان يكون اله ولكن لا يستحق العبادة منهم الرحمن الرحيم اي المنعم على خلقه بادرار ارزاقه
واسباغ فضله فهو مفزع كل مضطر وغياث كل قانع ومعتر ولا دلالة فيه على ان ما سواه اما
نعمة او منعم عليه حتى يكون كالحجة على الوحدانية وهما خبران اخران لقوله الهكم او لمبتدا محذوف
او صفة لقوله الهكم وفصل بالخبر ولا اله خبر ثان او اعتراض ان في خلق السموات والارض
انما جمع السموات وافرد الارض لانها طبقات متفاصلة بالذات بخلاف الارض واختلاف الليل
والنهار باقبال احدهما وادبار الاخر وبالنور والظلمة والطول والقصر والتساوي قدم

الليل لسبقه في الخلق والفلك السفينة المدفوة يقال للواحد والجمع وقرئ بضمتين على الاصل
التي تجري في البحر وهو ثقيل كثيف الماء خفيف لطيف يقبل ويدبر بما ينفع الناس ما موصولة
اي بالذي ينفع الناس مما يحمل فيها او مصدرية اي بنفع الناس وما انزل الله من السماء من
ماء بيان للموصول والسماء يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو فاحيا به الارض بعد موتها الاحياء
والموت استعارتان لطيفتان لتزيين الارض بالنبات واخضرارها ونموها وكونها صعيدا
جرزا وانما قال بعد موتها دون اماتها تنبيها على انه مقتضى طبعها وبث فيها البث اظهار ما كان
خفيا عن الحاسة حدثا كان او قديما او غيرهما من كل دابة الدبيب اصله حكاية صوت حركة
المشي ثم قيل دب اذا مشى ويقال لكل ما يمشي دابة وانما عطف بثها على احياء الارض لانها لا يكون
الا باحيائها بالنبات وتصريف الرياح اي صرفها الله تعالى او صرفها السحاب من جهة الى اخرى
والسحاب السحب جر الثوب والسحاب ما يجره الريح المسخر يعني للرياح تقلبه في الجو بمشيئته
تعالى يمطر حيث يشاء يرسله الى حد ذكره عقيب تصريف الرياح ولولا ذلك لكان حقه ان
يذكر قبل قوله وما انزل واما ما قيل لا ينزل ولا ينقشع مع ان الطبع يقتضي احدهما منظور
فيه لان بعض المركبات لا يرسب في الماء ولا يخرج منه ولا يتغير حاله فلم لا يجوز ان يكون بعض
كائنات الجو شانه كذلك والتسخير القهر على الفعل وهو ابلغ من الاكراه فانه حمل الغير على الفعل
بلا ارادة منه كحمل الرحى على الطحن لايات لقوم يعقلون ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون
وفيه تعريض بجهل المشركين الذين اقترحوا على الرسول عليه الصلوة والسلام اية في صدق قوله
والهكم اله واحد اذ لو عقلوا لكفاهم بهذه التصاديق اية ومن الناس الخافي على الخبير ما في
هذا التعبير من التحقير من يتخذ من دون الله من لابتداء الغاية متعلق بيتخذ وحال من
انداد او ثاني مفعولي يتخذ اندادا امثالا من الرؤسا الذين يتبعونهم ويطيعونهم في
اوامرهم ونواهيهم وقيل من الاصنام ولا يلائمه قوله اذ تبرأ الذين اتبعوا الخ يحبونهم حال من
فاعل يتخذ او من مفعوله كحب الله في محل النصب على المصدر من الفعل المبني للمفعول كمحبة يحب
حب الله او المبني للفاعل اي كمحبتهم لله اي يسوون بينهم وبين الله في الحب لانهم كانوا يقرون
بالله ويتقربون اليه والذين آمنوا اشد حبا لله في موقع الحال وانما قيل حبهم اشد لانهم
لا يعدلون عنه تعالى الى غيره بخلاف المشركين فانهم يعدلون عن رؤسائهم الى الله
عند الشدائد وكذا يعدلون عنهم الى غيرهم والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب
ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها ومحبة العبد لله تعالى ارادة طاعته والاعتناء بتحصيل
مراضيه ومحبة الله للعبد ارادة اكرامه واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي ولو يرى الذين
ظلموا ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ الانداد اذ يرون العذاب اذا عاينوه عند الموت او
بعد الحشر لو واذ في المستقبل استعارتان لتحقق الوقوع كانه قد وقع واخبر عنه كقوله ونادى

احبابها

اصحاب الجنة وحذف جواب لو ايماء الى انه لا يمكن التعبير عنه اما لكونه ابى على العبارة او لكونه
ممتنع الاكتناه او لا يحتمل المعبر لغاية الضجر والجزع والتفجع عليه والمستمع وقرئ ولو ترى بالتاء
على خطاب الرسول عليه الصلوة والسلام او كل مخاطب على ما ذكر من التفخيم ومعناه لو رايت
امرا عظيما لا يمكن وصفه وقرئ اذ يرون على البناء للمفعول ان القوة لله جميعا ساد مساد
مفعولي يرى اي لو يعلمون حين معاينتهم العذاب يوم القيامة ان القدرة المطلقة على كل
شيء من الثواب والعقاب كلها لله تعالى دون من سواه من الانداد وغيرهم وان الله شديد
العذاب للظالمين لكان ما لا يدخل تحت الوصف من الحسرة والندامة على ظلمهم وضلالهم
فحذف الجواب كما في قوله ولو ترى اذ وقفوا على النار وقرئ ان في الموضعين بالكسر على الاستئناف
او على اضمار القول اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا بدل من اذ يرون العذاب اي اذ
تبرأ المتبوعون من الاتباع وقرئ بالعكس اي تبرأ الاتباع من الرؤسا والواو في وراوا العذاب للحال
وقد مضمرة اي تبرؤا في حال رؤيتهم العذاب وقيل عطف على تبرأ وتقطعت بهم عطف
على تبرأ الاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد والانساب والمحاب وسائر
انواع الاتباع والاستتباع واصل السبب الحبل الذي يرتقى به الشجر وقال الذين اتبعوا على
من قرا فيما سبق بالعكس ان يتبرا هنا على البناء للمفعول لو ان لنا كرة الكرة الرجوع عن الشيء فنتبرأ
منهم كما تبرؤا منا نصب بفاء الجواب لما في لو من معنى التمني اي ليت لنا كرة فنتبرأ منهم والفرق
لامتناع المتمنى والتبرؤ الانفصال ومنه برا من مرضه اذا انفصل منه بالعافية كذلك نصب على
المصدر من يريهم اي مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم يقال حسر
يحسر حسرة وحسرا اذا كمد على الشيء الفائت وتلهف عليه وهي غير الندم واشد منه حال
لان رؤية الاعمال تكون بالبصر على ما نطق به الخبر من حشر البشر وبه فسر ابن عباس رض حيث قال
اراد به الاعمال التي عملوها من الحسنات بزعمهم يرونها حسرات عليهم حيث احبطوها وهم
في وما هم بخارجين من النار لجعل الجملة اسمية لتفيد الدوام بحسب العرف كما مر في قوله وما هم
بمؤمنين اي وما هم بخارجين من النار ابدا ما داموا هم وتخصيص السلب بهم بالطريق
من بين المكلفين لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء اي
هم خاصة ليسوا بخارجين من النار كقوله هم العوم كل العوم يا ام خالد لا لسلب التخصيص
فان اداة السلب متاخرة عن اداة التخصيص معنى وان تقدمت عليها لفظا والباء في الخبر
لتاكيد النفي يا ايها الناس كلوا الاكل هو البلع عن مضغ ومن في قوله مما في الارض ان كانت
لابتداء الغاية فقوله حلالا مفعول وان كانت للتبعيض فالمفعول وهو حال او صفة
مصدر محذوف وفي هذا اوجه الاوجه لان حل الاكل يستلزم حل الماكول بدون العكس فان
الحلال قد يوكل على وجه محرم او يكره كاكله فوق الشبع او صائما او في مجلس الفسق طيبا طاهرا

عن كل شبهة والى هذا اشار من قال الحلال ما لبس بمحظور والطيب ما لبس بمحذور والآية نزلت
فى قوم حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس والامر فى الماكول امر فى الملبوس دلالة ولا
تتبعوا خطوات الشيطان اى لا تقتفوا آثاره اعتقادا وقولا وعملا وقد اجتمع هذه
الثلثة فى سبب النزول ومن فسره بالنهى عن مطلق الاتباع فقد ضيع ما فى عبارة الجمع
من الاشارة اللطيفة يقال اتبع خطواته ووطئ على عقبه اذا اقتدى به واستن بسنته
وفى خطوات بفتحتين وضمة وسكون الطاء وبضمتين وفتحة وسكونها والخطوة بالفتح
المرة من الخطو وهو نقل قدم الماشى والخطوة بالضم اسم ما بين قدمى الخاطى وهما كالقبضة
والقبضة انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة عداوته لهم لا تنافى ولايتهم اياه المفهومة
من قوله تعالى اولياؤهم الطاغوت حتى يحتاج الى التكلف فى التوفيق بان يقال سمى وليا لما يظهر من
الموالاة لمن يغويه انما يامركم استيناف لبيان وجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور
عداوته اى ما يامر الا بالشر استعير الامر لوسوسة الشيطان وتزيينه تشبيه فى تسلطه عليهم
بامر مطاع وشبهوا فى قبولهم لها وطاعتهم له بالطبع بمامور مطيع لئلا تغفل فيرتدعوا
بالسوء والفحشاء ما انكره العقل واستقبحه الشرع والعطف لاختلاف الوصفين فانه سوء
لاغتمام العاقل به وفحشاء باستقباح الشرع اياه وقيل الفحشاء ما يظهر قبحه من المعاصى انما
يتجاوز الحد فى القبح من العظايم ويرده قوله تعالى كبائر الاثم والفواحش الا اللمم وقيل
السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما يجب فيه الحد وان تقولوا على الله القول اذا تعدى بعلى يكون بمعنى
الافتراء اى وان تفتروا عليه تعالى فلا تعرض فى الآية لاتباع الظن ما لا تعلمون كاتخاذ الولد
وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات والافتراء عن جهل محض اقبح من الافتراء عن ظن فاسد
واذا قيل لهم الضمير للناس على طريقة الالتفات والنكتة فيه انهم وقعوا فى حد البعد والغيبة
فى طاعة الشيطان وانهم فى غاية الحمق والضلال الى حد لا يستاهلون للخطاب اذ لا ضالة
اضل من المقلد بالباطل كانه يقول للعقلاء انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يجيبون الداعى اتبعوا
ما انزل الله فى عبارة ما انزل اشارة الى وجه وجوب الاتباع قالوا بل نتبع ما الفينا ما وجدنا
عليه آباءنا لانهم كانوا خيرا منا نزلت فى المشركين امروا باتباع القرآن وسائر ما انزل الله تعالى
من الحجج والآيات فجنحوا الى التقليد والهمزة فى اولو كان آباؤهم للرد والتعجب والواو للحال اى
ايتبعونهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون جهلة لا يتفكرون فى امر الدين ولا يهتدون الى الحق
لو فى مثل هذا التركيب يجئ تنبيها على ان ما بعدها غير مناسب لما قبلها كما فى قوله اعطوا السائل
ولو جاء على فرس والمعنى على كل حال وذلك انها تجئ لاستقصاء الاحوال التى يقع عليها الفعل
ويدل على ان المراد بذلك وجود الفعل فى كل حال حتى فى هذه الحال التى لا يناسب الفعل واذا قصد
التوبيخ والتعجب كما فى هذه الآية لا يكون ايرادها لاستقصاء الاحوال ولما كانت الواو للحال

لم يحتج لو الى جواب لان الشرط انما يقع حالا اذا انسلخ عنه معنى الشرط ولا دلالة فى الآية على
المنع من التقليد لمن قدر على النظر بل الظاهر منها انه انما يمتنع اذا كان المقلد ضالا ومثل الذين
كفروا اقدم معنى المثل وفيه اضمار تقديره ومثل داعى الذين كفروا كمثل الذى او مثلهم كمثل
بهايم الذى والاضمار فى الكلام من الايجازات المعتبرة فى البلاغة لتنبيه الذكى عند الخلل المعنوى
فى الحمل على الظاهر على الضمير ثم على خصوصيته بالقرائن اللفظية او المعنوية فيتثبت فى التدبر
ويتفهم فى التفكر فيتحقق المعنى هذا ما يحسب قليل النظر والذى يحسب دقيق النظر ما مر فى تفسير
او كصيب من السماء من التشبيه التمثيلى لا يلزمه ان يكون ما يلى اداة التشبيه هو المشبه به فلا
حاجة الى تقدير شئ ينعق بما لا يسمع قال صاحب العين نعق الراعى بالغنم اذا صاح بها زجرا
الا دعاء ونداء الدعاء للقريب والنداء للبعيد ولذلك قال الاعرابى اقريب ربنا فنناجيه ام
بعيد فنناديه صم خبر مبتدا هم صم رفع على الذم بكم عمى اى ومثل داعيهم الى الايمان كمثل الناعق
بالبهايم فى انهم لا يسمعون الا دعاء الداعى وتصويته من غير فهم المعنى وتعقله او بالاصنام
الذى لا يسمع من دعاء الرافع صوته بكلامه الا التصويت والنداء من غير تمييز الحروف و
ادراكها وقيل مثلهم فى تقليدهم آباءهم واتباعهم كمثل البهايم التى لا تسمع الا ظاهر الصوت
ولا تفهم معناه فلذلك يتبعونهم على ظاهر حالهم ولا يفرقون ما هم عليه احق هو ام باطل
فهم لا يعقلون اى بالفعل للاخلال بالنظر يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم لما
وسع الامر على الناس كافة واباح لهم ما فى الارض سوى ما حرم عليهم امر المؤمنين ان يتحروا
طيبات ما رزقوا وقد مر ان الطيب اخص من الحلال وان يقوموا بحقوقها فقال واشكروا
الله على ما رزقكم واحل لكم ولما تضمن الامر الاول الامتنان ناسبه الخطاب وما فى الامر
الثانى من التنبيه على ان استحقاقه تعالى للشكر ليس لكونه رازقا لهم ومبيحا الطيبات الرزق
فقط بل لكونه خالقا للعالم ويندرج فيه جميع ما يستوجب الشكر اقتضى العدول من الخطاب الى
الغيبة وعن التفريع بالفاء الى العطف بالواو ان كنتم اياه تعبدون فان عبادته لا تتم الا بالشكر
وتقديم المفعول لمحافظة الفاصلة كما فى قوله تعالى ان كنتم للرؤيا تعبرون اذ لا دخل لمعنى
التخصيص فى التعليل وكان تقول كان الظاهر ان يقول ان كنتم تعرفون انه مولى النعم كلها
الا انه كنى عنه بلازمه وهو تخصيص العبادة اياه تعالى انما حرم عليكم الميتة قرئ حرم وحرم
بالتخفيف والميتة بالتخفيف وبالتشديد وكلمة انما قد لا يكون للحصر كما فى قوله تعالى قل انما
حرم ربى الفواحش الآية فلا حاجة الى ان يقال ان ما ابين من حى فى حكم الميتة بالحديث وان المراد
قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا وانما لم يستثن السمك والجراد من الميتة والكبد والطحال
من قوله والدم وان احلت على ما قال رسول الله عليه الصلوة والسلام احلت لنا ميتتان و
دمان اما الميتتان فالسمك والجراد واما الدمان فالكبد والطحال بناء على ما يتعارفه الناس

ويتفاهم في العادة ولما كان المتبادر من الحرمة المضافة الى العين حرمة التصرف فيه
مطلقا زاد عبارة اللحم في قوله ولحم الخنزير قرينة صارفة عنه دالة على ان المحرم اكل
العين المذكور لا الانتفاع به مطلقا حتى يلزم انتساخ النص بالحديث في جلد الميتة وانما خص
اللحم بالذكر لانه معظم ما يؤكل من الحيوان وساير اجزائه كالتابع له وهذا الوجه ايضا لا يساعد
تقدير الانتفاع العام للاكل وغيره وما اهل به لغير الله اي رفع به الصوت عند ذبحه لغير
الله تعالى صنما كان او نارا او غير ذلك ما ذكر معناه الاصلي على ما نص عليه الجوهري والهلال
غرة القمر انما سمي به لرفع الناس اصواتهم عند رؤيته بالتكبير فمن اضطر غير باغ على مضطر
آخر بالاستيثار عليه ولا عاد سد الجوعة فلا اثم عليه دل بمفهومه على ثبوت الاثم في تناوله
غير مضطر وبهذا الاعتبار صح تفريعه على ما تقدم ففيه دلالة على اعتبار المفهوم كما هو مذهب الامام
الشافعي فانه لولا اعتباره لما صح تصدير الكلام المذكور بالفاء التفريع ان الله غفور اي يغفر
المعاصي فاولى ان لا يؤاخذ بما رخص فيه او غفور لما عسى ان يفرط عند العمل بالرخصة رحيم
بالرخصة فيه فهو مقرر للاول ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قدم تفسيره
وبيان ما في عبارة الثمن من المزية على عبارة الشيء والعوض وغير ذلك قليلا ليس المراد به انهم
اذا اشتروا به ثمنا كثيرا كان جائزا بل المعنى انكل ما ياخذونه في مقابلته من حطام الدنيا فهو قليل
اولئك ما ياكلون في بطونهم اي ملاء بطونهم يقال اكل في بطنه واكل في بعض بطنه قال الشاعر كلوا
في بعض بطنكم تعفوا فمرادهم من الاكل في البطن الاكل في جميع البطن والظاهر ان التعدية بفي
لتضمين معنى الاستقرار المناسب للمقام فان الاكل قد يعقبه لدفع خصوصا اذا كان الماكول غير
ملايم للطبع وذكر الاكل لكونه المقصود الاول من تحصيل المال وذكر في بطونهم تنبيها على شرههم
وتقبيحا لتضييع اعظم النعم لاجل المطعم الذي هو اخس مطلب من الدنيا الا النار مجاز
باطلاق اسم المسبب على السبب والغاية على الشيء المنتسب بها فانهم اذا اكلوا السحت ورشوة
الرشي على الكتمان لزمهم عقوبته التي هي النار فكانهم اكلوا النار ومنه قولهم اكل فلان الدم
اذا اكل الدية التي هي بدله ولا يكلمهم الله يوم القيمة ولا يزكيهم عبارة عن غضبه تعالى
عليهم لان من غضب على صاحبه حرمه وقطع كلامه وقيل تعريض بحرمانهم حال اهل الجنة اولئك
الذين اشتروا الضلالة بالهدى في الدنيا والعذاب بالمغفرة في الاخرة والحاجة الى المغفرة
اشد من الثواب فالخسران في ضدها اقوى ولهذا اثرها عليه مع انه انسب لان يذكر مع العذاب
لفظا ومعنى فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم في ارتكاب موجبات النار والتباسهم بها
من غير مبالاة منهم به كما تقول لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان ما اصبرك على القيد والسجن
يريد انه لا يتعرض بذلك الا من هو شديد الصبر على العذاب وما تامة مرفوعة بالابتداء
وتخصيصها كتخصيص قولهم شر اهر ذا ناب او استفهامية وما بعدها الخبر او موصولة وما

بعدها صلة والخبر محذوف ذلك اي ذلك العذاب بان الله بسبب ان الله نزل الكتاب
بالحق اي نزل ما نزل من الكتب ملتبسا بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب الظاهر ان
المراد هو القران واللام اشارة الى انه الجنس المسمى كتابا اي الكامل في كونه كتابا كان
ما عداه من الكتب لا يتاهل معه ان يسمى كتابا او الاظهار في موضع الاضمار للتعظيم وتربية
فايدة اللام وبيان ان الاختلاف فيه عظيمة من العظايم ولهذا قيده في الاول بالحق و
واختلافهم فيه قول بعضهم سحر وقول بعضهم شعر وقول بعضهم اساطير الاولين
لفي شقاق بعيد عن الحق والشقاق اخيار كل من المتخالفين عن شق صاحبه للخلاف
وطلب كل منهما ما يشق على الآخر ليس البر البر اسم جامع للطاعات واعمال الخير ان تولوا
وجوهكم الخطاب لاهل الكتاب فانهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حولت قبل المشرق
اي مقابله كفعل النصارى والمغرب اي قبل المغرب كفعل اليهود وذلك منسوخ فهو
اتم لا بر وقرئ ليس البر بالنصب على انه خبر مقدم وقرئ بان تولوا بالباء لتاكيد النفي
ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر اي بالمبدأ والمعاد والملائكة والكتاب والنبيين
اي بالشرايع المتحدة في اصول الدين المنزلة على الانبياء عليهم الصلوة والسلام بواسطة
الملك وللتنبيه على جهة الاتحاد قال والكتاب دون الكتب ثم قال والملائكة دون والملك
لان سفير الوحي وان كان واحدا الا انه قد انزل بعض الكتب بل بعض السور القران بجمع
غفير من الملائكة تعظيما لشان المنزل والمعنى والله اعلم ولكن البر هذه العقايد الصحيحة
والاعمال الصالحة والوصف كما يذكر في مقام الموصوف بلا حذف ولا تجوز بحسب اللفظ
كما في قولك رجل عدل فان التجوز فيه في الاسناد دون المسند كذلك يذكر الموصوف
في مقام الوصف بلا حذف ولا تجوز بحسب اللفظ كالذي نحن فيه تنزيلا للموصوف منزلته
ولا يخفى ما فيه من المبالغة في شان ذلك الوصف وتعظيمه على عكس ما في المثال المذكور فان
المبالغة ثمة في شان الموصوف ولدقة الفرق بين الاعتبارين ذهب على كثير من الحذاق
وفي المصير الى التقدير في مثل هذا المقام تنزيل الكلام عن منزلته الرفيعة وتغيير لصورته
البديعة على انه اذا قيل ولكن البر بر من آمن الخ يفهم منه عدم الاعتبار لبر من قصر
في بعض تلك الاعمال واذا قيل ولكن ذا البر من آمن الخ يخرج الكلام عن سنن الانتظام و
ايضا لو قصد هذا لكان المناسب ان يقال ولكن البر بفتح الباء وآتى المال على حبه اي على حب
المال والشح به كما قال عليه لما سئل اي الصدقة افضل ان تؤتيه وانت صحيح شحيح
تامل العيش وتخشى الفقر وقال الله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون والجار والمجرور
في موضع الحال ذوي القربى واليتامى الاتيان اعم من الصدقة فلا يشترط فيهما الفقر وقد
قفاه بالزكوة فانصرف بالمندوبات من الصلات وقدم ذوي القربى لانهم احق بالاحسان

قال عليه الصلوة والسلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك ثنتان صدقة و
صدقة والمساكين جمع مسكين وهو الدائم السكون الى الناس لشدة فقره او الدائم السكون
في البيت لعدم اللباس ولعدم القوة كالمسكين الدائم السكر وابن السبيل المسافر المنقطع به و
جعل ابنا للسبيل لملازمته له والسائلين المستطعمين وفي الرقاب اي في معاونة المكاتبين حتى
يفكوا رقابهم وقيل في ابتياع الرقاب واعتاقها وقيل في فك الاسارى وفي العطف بعبارة
الجمع اشارة الى فضل التفريق الى هذه الانواع واقام الصلوة مفروضة كانت او واجبة و
اتى الزكوة المقدرة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا عطف على من امن والصابرين نصب على
المدح لبيان فضيلة الصبر في الشدائد ومواطن القتال واظهار الفضل الصبر على سائر
الاخلاق والاعمال في البأساء في الفقر والشدة والضراء المرض والزمانة وحين البأس وقت
مجاهدة العدو اولئك الذين صدقوا كانوا صادقين في الدين جادين واولئك هم المتقون
اي هم الموفون حق الصدق قولا وفعلا وعقدا وحق التقوى خطرا او كراهة وندبا والصدق
فيما يفعل والتقوى فيما يترك فالاية جامعة للكمالات الانسانية باسرها واليه اشار النبي
عليه الصلوة والسلام في قوله من عمل بهذه الاية فقد استكمل الايمان يا ايها الذين امنوا
كتب عليكم القصاص تخصيص الخطاب بالمؤمنين لا لاختصاص الحكم المذكور بهم بل للتنبيه
بخطابهم بوصف الايمان عند ايجاب القصاص عليهم بقتل العمد الذي هو من الكبائر التي ورد
فيها اشد وعيد وتهديد على ان الكبيرة لا تزيل الايمان واصل الكتابة الخط وكني بها عن
الالزام وهذا الوجوب على الناس كافة فمنهم من يلزمه استيفاؤه وهو السلطان اذا
طلبه الولي ومنهم من يلزمه تسليم النفس وهو القاتل ومنهم من يلزمه المعاونة او الرضاء به
ومنهم من يلزمه ان لا يتعدى بل يقتص او يأخذ الدية او يعفو والقص قطع الشيء على سبيل
الاحذاء ومنه قص شعره وقص اثره وقص الحديث فقطع كلاما حاذ باحذو غيره والقصاص
اسم منه وحقيقة القصاص ان يفعل بالقاتل او الجارح مثل ما فعل ففيه اشارة الى ان القصد
بالاية منع التعدي فان اهل الجاهلية كانوا يتعدون في القتل وكلمة في في القتلى للسببية كهي
في قوله تعالى لمتنني فيه والقتلى جمع قتيل والاتيان بصيغة الجمع للاهتمام في المنع عن التعدي
فانه اذا كان ممنوعا في قتل جماعة فالمنع عنه في قتل واحد بطريق الاولى الحر بالحر اي يقتص
الحر القاتل بالحر المقتول ولا يتعدى من الحر الى العبد لخساسة ولي المقتول ولا من واحد الى
اثنين لشرفه والعبد بالعبد ولا يتعدى من العبد الى الحر لشرف مقتوله كان النضير يقولون
لبني قريظة اذا قتلتم منا عبدا قتلنا منكم عبد حرا واذا قتلتم منا امرأة قتلنا منكم رجلا
واذا قتلتم منا حرا قتلنا منكم حرين وكانوا على ذلك قبل ظهور النبي صلى الله عليه وسلم
فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله عليه الصلوة والسلام فنزلت وامرهم ان يتباوءوا

فلا دلالة فيها على ان لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالانثى كما لا دلالة على عكسه فان المفهوم انما
يعتبر حيث لا يظهر للتخصيص وجه سوى اختصاص الحكم وقد ظهر هنا وجهه فلا متمسك
للقائلين بحجية المفهوم في هذه الاية لاثبات ما قالوا من عدم قتل الحر بالعبد فمن عفي
تفريع على ما في عبارة القصاص من الاشارة الى ان المكتوب حق العبد يسقط باسقاطه له
مفعول به لكن لكونه بواسطة حرف الجر كان مساويا للمصدر وغيره في جواز الاسناد اليه
من اخيه اي من جهة اخيه كونه يتعلق بالفعل وان يكون حالا من شيء يعني ولي الدم وانما
ذكره بهذه العبارة تذكيرا لما بينهما من الاخوة الدينية والجنسية ليرق له ويعطف فيسهل
شيء اي شيء من العفو بان كان للقتيل اولياء فعفا بعضهم فصار نصيب الباقين مالا وهو
حصتهم من الدية فهو في موقع المفعول المطلق المقيد للموصوف مثل ضرب ضربا شديدا كما في
تنكير شيء من الدلالة على ذلك وفائدته الاشعار بان بعض العفو كالعفو التام في اسقاط
القصاص ولا يصح ان يكون شيء مفعولا به لان عفا لا يتعدى بنفسه الى المفعول به لكن يعدى
الى الجاني والى الذنب واذا تعدى الى الذنب يعدى الى الجاني باللام وكان اصله في الاية فمن
عفي له عن جنايته من اخيه فاستغني عنه بذكر القصاص في القتلى عن ذكر الجناية واما عفي بمعنى
ترك المتعدي بنفسه الى المفعول به فلم يثبت وانما ثبت اعفى ولما انقلب حق باقي الورثة في الصورة
المذكورة من القصاص الى الدية قال فاتباع بالمعروف بان لا يتجاوز عن الحد المعهود في الدية
باخذ الزيادة عن حصته منها ومن هنا ظهر وجه التعريف في المعروف وعلى الجاني اداء اليه
باحسان بان لا يمطله ولا يبخسه على ان كلا منهما مبتدأ او فاعل الظرف وفليكن اتباع من الولي
واداء من الجاني على الفاعلية فيهما او فالامر للولي اتباع والامر للجاني اداء على الخبرية فيهما وفي هذا التوصية
لهما ترغيب لفائدة الاخوة ذلك اشارة الى المذكور صريحا وهو العفو المستلزم للدية وضمنا وهو
العفو العاري عنها وذلك ان عفو بعض القصاص لما كان مشروعا لكونه حق العبد علم منه بطريق
الدية ان عفو كله ايضا مشروع تخفيف تسهيل بدفع القصاص عن الجاني من ربكم ورحمة بنفع
الولي حيث لم يضع حقه والفصل بينهما بقوله من ربكم للايذان بتعلقه بهما كما في قوله تعالى
لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا قال ابن عباس رض والحسن البصري كان في شريعة موسى
عليه السلام القتل لا غير وفي شريعة عيسى ع م العفو لا غير وفي شريعتنا القصاص ثابت والعفو
حسن والصلح جائز على حسب ارادة العبد نفعه او اشفى لغليله او وفق لمراده ومن قال في
هذه الامة ببيان الثلث القصاص والدية والعفو لم يصب اذ ليس الثاني منهما باختيار الولي
لانه بدل صلح لا يكون الا برضا الجاني بقي هنا شيء وهو ان قولهم كان في شريعة موسى ع م
القتل لا غير محل بحث فان ما يأتي في تفسير قوله تعالى في سورة الاعراف يأخذوا باحسنها ان
الحسن هو القصاص والاحسن العفو صريح في ان ذلك في التورية اذ ضمير احسنها للالواح

فمن اعتدى بعد ذلك الحكم او التخفيف فتجاوز بقتل غير القاتل او القتل بعد العفو او
اخذ الدية فله عذاب نوع من العذاب اليم شديد الالم ولكم في القصاص حيوة كلام كامل
في الفصاحة وعالى الطبقة في البلاغة لم يوجد اقل حروفا واجل مفهوما منه مع اشتماله على
الغرابة التي هي من نكت البلاغة وذلك ان البناء القصاص قتل وتفويت للحيوة فجعل محل الحيوة
وعرف القصاص ونكر حيوة وقدم الخبر وخص الخطاب باولى الالباب بقوله يا اولى الالباب
اشعارا بانه لا يفهم معناه الا ذوو الالباب اى لكم خاصة يا ايها العقلاء في هذا الجنس من الحكم
نوع من الحيوة او حيوة عظيمة لا يقدر قدرها اذ لو لم يشرع وكان ما كان في الجاهلية من قتل
غير القاتل وقتل الجماعة بواحد لوقع الهرج والمرج بين الناس وهاجت الفتن والحروب ولتغير
الامن من الناس فانطفت تلك النائرة بشرع القصاص وارتدع كل من هم بالقتل لعلمه بذلك
فسلم المقتول من القتل والقاتل من القود ولم يجترئ احد من اولى الالباب على القتل فامن الناس
وتلك حيوة لخلق كثير في امن وسلامة وسعة فضلا عن التخيير المقتضين فلذا قال لعلكم تتقون
القتل بغير الحق اى دبرتكم ما فيه من الحيوة لكى تتقوا ويجوز ان يختص الخطاب بالائمة وهم اولوا الالباب
اى لعلكم تتقون في المحافظة على القصاص والحكم به كتب عليكم امر الوصية لا بد في اقامته من جماعة
فلهذا اتى بصيغة الجمع هنا اذا حضر احدكم الموت اى قرب منه بظهور اماراته ان ترك خيرا
اى مالا طيبا وكان هذا القيد لا بد منه لان المال الخبيث لا يجوز الوصية به لما فيه من الاثم والتنوين
للتكثير لما روى عن عائشة رض ان رجلا اراد ان يوصى فسألته كم مالك فقال ثلثة الاف درهم
فقالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشئ يسير فاتركه لعيالك
الوصية للوالدين والاقربين الوصية فاعل كتب وتانيثها ليس بحقيقية فيجوز تذكيرها ولا سيما
الى ما قيل وتذكير الفعل للفاصلة او لانها بمعنى ان يوصى ولهذا ذكر ضميرها في قوله فمن بدله والعامل
في اذا مدلول كتب لا الوصية لتقدمه عليها بالمعروف بالعدل المعهود وهو ان لا يوصى
للغنى ويدع الفقير ولا يتجاوز الثلث حقا مصدر مؤكد اى حق ذلك حقا على المتقين كان هذا
الحكم في بدء الاسلام فنسخ بعد اية المواريث بقوله عليه الصلوة والسلام ان الله اعطى كل ذى حق
حقه الا لا وصية لوارث فانه وان كان من الاحاد الا ان الامة تلقته بالقبول حتى لحق بالمتواتر
لعلمنا بانهم لا يتلقون بالقبول الا الثبت الذى صحت روايته فمن بدله اى قول الموصى بقرينة قوله
بعد ما سمعه اى غيره عن وجهه من الاوصياء والشهود والحكام ولا حاجة الى ان يقال ان كان
موافقا للشرع لان الذى لا يوافقه مردود ولا مبدل فانما اثمه اى اثم التبديل والابصاء المبدل
على الذين يبدلونه لا على الموصى والموصى له وانما اتى هنا بصيغة الجمع لان التبديل انما يتقرر بالاتفاق
فان الوصى مثلا انما يقدر على التبديل بمساعدة الشهود ولو بالسكوت وكذا الحال في غيره ان
الله سميع بقول الموصى عليم بفعل الوصى وغيره من الذين يبدلون الوصية ظاهره الاخبار

وباطنه الوعيد للمبدل ومن يساعده فيه فمن خاف يراد بالخوف في مثل هذا ما يلزمه من
التوقع والظن الغالب اذ لا خفاء في انه لا معنى للخوف من الميل والاثم بعد الوقوع من
موص جنفا ميلا عن الحق اوا ثما تعمدا للحيف قال الربيع الجنف في الخطاء والاثم في العمد
فاصلح بينهم اى بين الموصى لهم وهم الوالدان والاقربون او بين الموصى لهم والورثة
بردهم الى الحق وجاز اضمارهم لانفهامهم من سياق الكلام بمعونة المقام قال الراغب ولا
فرق بين ان يخاف منه ذلك قبل موت الموصى فيرشده او بعد موته فيصلح وليس الاصلاح
بمقصور على ايقاع الصلح دون استعمال الصلاح بل بينا ولهما فلا اثم عليه اى على
المبدل لانه تبديل باطل بحق وانما قال هذا لانه لما خوف في الاية الاولى من تغيير الوصية
بين ان النهى عن تغييرها فيما لا حيف ولا اثم فيه فاما اذا كان فيه شئ من ذلك فلا شئ
في تغييره ولما كان ما تضمنه الكلام السابق من الوعيد باعتبار باطنه تعالى بالظاهر و
السرائر علما ناسب ان يرتب عليه ما في هذا الكلام من الوعيد لمن قصد بتغيير الوصية الصلاح
فصدره باداة الترتيب وبين بقوله ان الله غفور انه يتجاوز عما عسى ان يسقط من
المصلح ما لا يجوز رحيم بالرخصة فيما ذكر يا ايها الذين امنوا كتب عليكم تخصيص الخطاب بالمؤمنين
لا لاختصاص كتابة المذكور بهم بل لاشتراط صحة المكتوب بالايمان فلا متمسك فيه لمن قال
ان الكفار غير مخاطبين بالعبادات الصيام الصوم قال الخليل الصوم قيام بلا عمل والصوم
الامساك عن الطعم وفي الشرع الامساك بالنية في النهار الشرعى عن المفطرات كما كتب نصب على
المصدر اى كتبا كما كتب على الذين من قبلكم من الانبياء عليهم السلام والامم من لدن ادم عليه
السلام يعنى انه عبادة قديمة ما اخلى الله تعالى امة من افتراضها عليهم ففيه توكيد للحكم
وترغيب على الفعل وتطييب على النفس والتشبيه في اصل الوجوب فقط وقيل في الاصل
والقدر والوقت جميعا لعلكم تتقون الله بالمحافظة عليها لقدمها واصالتها فانها ما فرضت عليكم
وحدكم او تتقون المعاصى لان الصائم اردع لنفسه فان الصوم يكسر الشهوة التي هي مبدأها
على ما اشار اليه النبى عليه الصلوة والسلام بقوله فان الصوم له وجاء او لعلكم تنتظمون في زمرة
المتقين فان الصوم شعارهم ايا ما معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل كقوله
تعالى دراهم معدودة واصله ان المال القليل يقدر بالعدد والكثير يحثى حثيا نصبها على
الظرفية للصيام وقد جوز عمل المصدر في الظرف مع تخلل الفاصل وان لم يجز في غيره والمراد
بها ما وجب صومه قبل فرضية رمضان ونسخ به وهو عاشوراء وثلثة ايام من كل شهر و
يجوز ان يراد بها رمضان والاقوال اولى اذ الانسب على الثانى ان يقال شهرا معلوما كما قيل الحج
اشهر معلومات وقيل معناه صومكم كصومهم في عدد الايام كما روى ان رمضان كتب على النصارى
فوقع في حر او برد شديد فحولوه الى الربيع وزادوا عليه عشرين كفارة لتحويله وقيل زادوا

ذلك لو ان اصابهم فمن كان منكم مريضا ذهب بعضهم الى ان كل مرض مبيح للافطار اخذا باطلاق
النص وبعضهم الى ان المراد المرض الذي يضره الصوم او يعسر معه لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر
او على سفر لم يقل مسافرا ليتناول من دخل بلدة ومكث فيها اياما لا بنية الاقامة فان ما ذكر يطلق
عليه دون ما ترك فعدة من ايام اخر اى فعليه صوم عدة ايام المرض والسفر من ايام اخر ان
افطر فحذف الشرط والمضاف والمضاف اليه للعلم بها كذا قالوا وفيه ان وجه التعليل المذكور ظاهر
في حذف المضافين لانه يحكم قانون العربية واما في حذف الشرط فلا لانه يحكم الشرع ولم يعلم بعد
انه حتم او معلق على شرط ولذلك قال بعضهم مكتوب عليهما ان يفطرا ويصوما عدة من
ايام اخر ولعل حذف ساغ للاجتهاد فيه وقرئ فعدة بالنصب اى فليصم عدة
وعلى الذين يطيقونه اى المطيقين للصيام ولا عذر لهم ان افطروا وقرئ يطوقونه
على البناء للمفعول تفعيل من الطوق بمعنى الطاقة اى يكلفونه او القلادة اى يقلدونه
ويقال لهم صوموا وقرئ يطوّقونه اى يتكلفونه او يتقلدونه ويطوّقونه بادغام التاء في الطاء
ويطيقونه ويطيّقونه بمعنى يتطيقونه واصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل و
تفيعل من الطوق فقلبت الواو ياء وادغمت فيها الياء كقولهم تديّر المكان وما بها ديّار وهو اما
يطيقونه او يتقلدونه ويتقلدونه واقا بمعنى يكلفونه او يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم
الشيوخ والعجائز وحكمهم الافطار والفدية وعلى هذا الوجه ثابت غير منسوخ ويجوز ان
يكون معنى يطيقونه ايضا هذا اى يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم فدية
طعام مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره عند فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز
قيل وخص لهم ذلك في اول الامر لما امروا بالصوم فاشتد عليهم لانهم لم يتعودوا ثم نسخ و
قد نبهت فيما تقدم على انه لا حاجة الى المصير الى النسخ وقرئ فدية منونا وطعام مرفوعا
بدلا من فدية ومسكين مفردا وجمعا وقرئ بالاضافة والجمع وتبيين بقراءة الافراد ان الحكم
لكل يوم يفطر فيه طعام مسكين فمن تطوع خيرا بان زاد في الطعام للمسكين او في عدد من
يلزمه اطعامه وانتصاب خيرا على انه صفة لمصدر محذوف اى تطوعا خيرا لا على اسقاط الحرف
اى بخير لانه غير قياسي ومن في قراءة من حمل تطوع ماضيا يحتمل الموصولة والشرطية وفي قراءة
من قرأها مجزوما شرطية فهو اى فالتطوع خير له من الاقتصار على القدر
المفروض وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون خير لكم من الفدية على اى وجه كان
ان كنتم تعلمون جوابه محذوف دل عليه ما قبله اى ان كنتم من اهل العلم والتمييز علمتم ان
الصوم خير لكم من ذلك شهر رمضان مبتدأ خبره الذي انزل فيه القرآن او فمن شهد
والفاء لوصف المبتدأ بما تضمن معنى الشرط وفيه اشعار بان الانزال فيه سبب اختصاصه
بوجوب الصوم فيه او من بدل من الصيام في قوله كتب عليكم الصيام والذي انزل صفته او

خبر لمبتدأ محذوف اى هو او هي لايام المعدودات وقرئ بالنصب بدلا منها او على صوموا شهر
رمضان ولا يجوز ان يكون مفعولا ان تصوموا اذ ح يلزم الفصل بين الموصول وعامله بالخبر
والرمضاء مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف
للتعريف والالف والنون وسموه بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع والظماء او لوقوعه ايام رمض
الحر حينما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة وقد يحذف المضاف لامن الالتباس على ما جاء في
الحديث من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه الذي انزل فيه القرآن
اى ابتداء فيه انزاله وكان ذلك في ليلة القدر وقيل انزل جملة الى سماء الدنيا ثم نزل الى الارض
نجوما وقيل انزل في شأنه القرآن وهو قوله تعالى كتب عليكم الصيام هدى للناس الى الحق
حال وبينات وايات واضحات عطف عليه من الهدى من جملة ما يهدى الله به الناس والفرقان
وما يفرق به بين الحق والباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بينهما فمن شهد منكم
الشهر اى فمن شهد منكم هلال الشهر فليصمه على انه مفعول به كقولك شهدت الجمعة اى
صلوتها وعلى هذا ينتظم المريض والمسافر ولا بد منه لان اصل الوجوب ثابت في حقهما والرفع
بالرخصة المستفادة من قوله ومن كان مريضا او على سفر انما هو وجوب الاداء فلا وجه لان
يكون شهد بمعنى حضر لاستلزامه اختصاص الامر بالمقيم ولا صحة له اذ ح يلزم ان يكون
الحكم المذكور في حق المسافر عزيمة وعلى تقدير حمل الوجوب المستفاد من الامر على وجوب الاداء
لا وجه لتخصيص المقيم بالذكر دون الصحيح ثم ان اختصاص وجوب الاداء بما عدا المريض و
المسافر قد علم من قوله فعدة من ايام اخر فالوجه ان يحمل ما قبله على اصل الوجوب لان الاداء
خير من الاعادة فعدة من ايام اخر اطلاقه يقتضي التخيير بين الجمع والتفريق ولا يجوز
تقييده بالتتابع بخبر الواحد لان التقييد نسخ ولا يجوز نسخ الكتاب باخبار الاحاد يريد
الله بكم اليسر برخصة الافطار بعذر المرض والسفر ولا يريد بكم العسر بايجاب القضاء فورا او لما
وبلا تاخير عند زوال العذر وفي عبارة يريد الله اشارة الى ان الاحب عنده تعالى الافطار
عند احد هذين العذرين لما في مقابلة عدم قبول الاحسان والامتنان به وقد نبه النبي صلى الله
عليه وسلم على هذا بقوله ليس من البر الصيام في السفر وما في الاداء في رمضان من الفضيلة
لا تعارض هذا الاستحباب والله اعلم بالصواب ولتكملوا العدة يجوز ان يعطف على علة محذوفة
اى لتعلموا ما شرع لكم ولتكملوا العدة او على اليسر اى يريد الله بكم اليسر ويريد لتكملوا العدة
كقوله يريد الله ليذهب عنكم الرجس ولتكبروا الله قيل هو تكبير يوم الفطر وقيل التكبير عند الاهلال
ضمن فعل التكبير معنى الحمد فعدى بعلى فكان المعنى حامدين على ما هداكم على ما هديكم ولعلكم
تشكرون اى ارادة ان تشكروا مجازا لاشتراك المرجو والمراد في الترجح والافصح ان يجعل ولتكملوا
العدة الخ علة لفعل معلل محذوف مدلول عليه بما ذكر من قوله فمن شهد منكم الشهر الخ اى ولهذه

الامور شرع ذلك فقوله ولتكملوا العدة علة للامر في قوله فعدة ولتكبروا الله على ما هديكم
علة للامر بصوم الشاهد في الشهر وافطار المسافر والمريض وما علم من كيفية القضاء والخروج
عن عهدة الفطر اي ولتعظموا الله وتثنوا عليه لعلكم تشكرون علة الترخيص وهذا نوع من
اللف لطيف المسلك لا يطلع عليه الا الحذاق من علماء البيان واذا سألك مرتبط بما تقدم من جهة
انه لما حث على تكبيره وشكره بين ان الذي يذكرونه ويشكرونه قريب منهم ولهذا فصله بين
حكمي رمضان عبادي شرفهم بالاضافة الى نفسه تعالى اي عن صفتي ومعاملتي معهم اذا دعوني
فاني قريب لم يقل فقل اني قريب كما في سائر سؤالاتهم لانه تعالى تولى جوابهم حين كان عنه
سؤالهم فتعذر الكلام فاقول اني قريب روي ان اعرابيا قال لرسول الله عليه الصلوة والسلام اقريب
ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت تمثيل لحاله في اجابة الداعي بحال من هو قريب مكانه
من مكانه فيلبيه اذا دعاه لانه تعالى يعز المكان فانه مكان ولا مكان وهو الان على ما كان اجيب
دعوة الداعي اذا دعاني تقرير للقرب ووعد للداعي بالاخلاص مقرونا بشرطه بالاجابة و
الاجابة من الجواب وهو القطع فاجابة السائل القطع بما سأل لان سؤاله على الوقف ايكون
ام لا يكون فليستجيبوا لي اي انا اجيبهم فيما دعوني فعليهم ان يجيبوا لي فيما دعوتهم اليه بالاتيان
فيما امروا به والانتهاء عنه قال ابو عبيدة الاستجابة والاجابة واحد كالاثابة والاستثابة
وانشد لكعب بن سعد الغنوي وداع دعا يا من يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب اي
لم يجبه هذا بحسب جليل النظر والذي بحسب دقيقه وهو انه تعالى لما قال فليستجيبوا اوهم بنقل
فليجيبوا للطبعة وهو ان حقيقة الاستجابة طلب الاجابة وان كان قد يستعمل في معنى الاجابة
فبين ان العباد متى تحروا اجابته بقدر وسعهم فانه يرضى به عنهم هذا فيما يتولاه الجوارح
من الاعمال واما الذي يتعلق بالاذعان القلبي من الايمان فلا بد فيه من حقيقة الاجابة ولهذا
افرده بالذكر بقوله وليؤمنوا بي مع انتظامه ما تقدم بحسب جليل النظر لعلهم يرشدون
راجين للرشد وهو اصابة الخير ونقيضه الغي وقرئ بفتح الشين وضمها اما الاول فمن
الرشد بالفتح يقال رشد يرشد رشدا فهو رشيد من حد علم واما الثاني فمن الرشد بالضم
يقال رشد يرشد فهو راشد من حد دخل وقرئ بالكسر ايضا احل لكم ليلة الصيام نصب على
الظرف انما لم يقل ليالي الصيام اعمالا لدلالة الكلام ولا يخفى لطفه على ذوي الافهام الرفث الى
نسائكم روي ان المسلمين كانوا اذا صلوا العشاء او ناموا حرموا عليهم المفطر الى القابلة و
انه لم يفطر ثم ان عمر رض باشر بعد العشاء فندم واتى النبي عليه الصلوة والسلام واعتذر
اليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت والرفث في الاصل هو قول
الفحش ثم جعل اسما للافصاح بما يجب ان يكنى عنه عند النساء من معاني الافضاء البهيج
يرشدك الى هذا قول ابن عباس رض حين انشد وهو محرم وهن يمشين بنا هميسا ان يصدق

الطير

الطير ننك لميسا فقيل له ارفثت فقال انما الرفث ما كان عند النساء وانما عدي بالى لتضمنه
معنى الافضاء ثم انه كنى بمجموع قوله الرفث الى نسائكم عن الجماع فكنى عن الجماع في جميع القرآن
بلفظ مستحسن لا يدل على معنى القبح مراعاة للادب ولا ادب كادب التنزيل كقوله وقد افضى
بعضكم الى بعض فلما تغشاها باشروهن ولامستم النساء دخلتم بهن فأتوا حرثكم من قبل ان
تمسوهن فما استمتعتم به منهن ولا تقربوهن الا هنا فانه كنى عنه بما دل على معنى القبح ليتنهى عنه
واستقباحا لما ارتكبوه ولذلك سماه خيانة هن لباس لكم وانتم لباس لهن استيناف
يبين سبب الاحلال وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة الملابسة
وفي تقديم هن لباس لكم نوع تأييد له حيث كان ذلك لزيادة الشغف من جانب الرجل
وللذة في تعانقهما واشتمال كل منهما على صاحبه في عناقه باللباس المشتمل عليه قال الجعدي اذا ما
الضجيع ثنى عطفه تثنت فكانت عليه لباسا وافرد اللباس لانه كالمصدر علم الله انكم كنتم
تختانون انفسكم تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب والاختيان ابلغ
من الخيانة كالاكتساب من الكسب لتضمنه القصد والزيادة والخيانة ضد الامانة وقد ائتمن
الله تعالى عباده على ما امرهم به ونهاهم عنه فاذا عصوه في السر فقد خانوه وفي زيادة كنتم
دلالة على انهم مجبولون على ذلك ففيه نوع اشارة الى وجه قبول توبتهم ولهذا ابى باداة
التفريع في قوله فتاب عليكم اي لما تبتم مما اقترفتموه من المحظور وقد قرر تفسير التوبة وعفا
عنكم ومحا اثر ذلك عنكم بالتجاوز فالان آن اصل فعل بمعنى حان ثم جعل اسما للزمان الحاضر
وعرف باللام اللام والتعريف مبني على الفتح والمراد ليلة الصيام باشروهن لما نسخ عنكم حكم ولا دلالة
فيه على انتساخ السنة بالقرآن لاحتمال ان يكون المنسوخ حكما من كلام الله تعالى المنسوخ تلاوته
واصل المباشرة الصاق البشرة وهي ظاهر الجلد كنى بها عن المجامعة والامر للاباحة وابتغوا
الابتغاء الطلب للمحبة ما كتب الله لكم ما قدر الله لكم ما قدر الله تعالى لكم من الولد اي لا تباشروا
لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ما وضع الله له النكاح من التناسل لبقاء النوع الى
غاية وهذا يتضمن النهي عن العزل واتيان المحل المحرم وكفى في الابتغاء المذكور كون الولد مقدرا
في الجملة ولا يلزم ان يكون مقدرا لكل واحد منهم وكلوا الظاهر انه كلام مبتدأ لا معطوف
على باشروهن وانما زيد قوله واشربوا احتمالا للدلالة فانه على تقدير عدم ذكرها لم يبق حاجة
الى تلك الزيادة وانما احتمل لانها تنتظم لوقاع وهو لا يجوز ان يتصل بطلوع الفجر اذ لا ينقطع
اثره المفسد للصوم في الحال بخلاف الاكل والشرب حتى يتبين لكم التبيين تميز الشيء الذي يظهر
للنفس على التحقيق الخيط الابيض من الخيط الاسود شبه اول ما يبدو من نور الفجر
المعترض في الافق بالخيط الابيض وما يمتد معه من غلس الليل بالخيط الاسود اختلف
مشايخ اصحابنا في ان العبرة لاول طلوعه ام لاستطارته وانتشاره وقال شمس الائمة الحلواني

الاول احوط والثاني اوسع ونحن نقول ان التشبيه بالخيط للتنبيه على ان العبرة للاول الطلوع
فلا مساغ للاختلاف المذكور من الفجر بيان لهما اما كونه للاول فظاهر واما كونه بيانا للثاني
فلانه باعتبار انتهائه اليه واتصاله به بعد منه ومثل هذا التوسع في البيان ليس بعزيز و
لهذا قدم الخيط الابيض على قرينه فانه على تقدير اختصاص البيان به حقه التاخير عنه
ومن هنا اتضح انه لا وجه لان يكون من المذكورة للتبعيض وبالبيان المذكور خرج الكلام
من احتمال الاستعارة وانما زيد مع ان الاستعارة ابلغ من التشبيه لفقد شرطها وهو تعذر
الحقيقة قال سهل بن سعد الساعدي نزلت هذه الآية حتى يتبين لكم الخيط الابيض من
الخيط الاسود ولم ينزل قوله من الفجر فكان رجال اذا ارادوا الصوم ربط احدهم في رجليه
الخيط الابيض والخيط الاسود فلا يزال ياكل ويشرب حتى يتبين له منهما فانزل الله تعالى بعد
ذلك قوله من الفجر فعلموا انه انما يعني بذلك الليل والنهار وهذا حديث صحيح عند ائمة الحديث
كالبخاري ومسلم لا انه غير مقبول عند ائمة البلاغة لان الكلام المذكور بدون البيان
المذكور ساقط عن درجة البلاغة على ما نبهت عليه آنفا وعند عامة الاصوليين لما فيه تاخير
البيان عن وقت الحاجة ولا خلاف في امتناعه عند من لا يجوز تكليف المحال وانما الخلاف في تاخيره
عن وقت الخطاب قيل فيه تجويز المباشرة الى الصبح لدلالته على جواز تاخير الغسل عنه ويلزمه
صحة صوم المصبح جنبا ومبناه الغفول عما قدمناه من اهمال الدلالة ثم ان تمام الاستدلال
المذكور على تحقق المنافاة بين اباحة المباشرة الى اخر الليل ووجوب الاغتسال فيه وذلك غير مسلم
فان وجوب الصلوة مع كونها مشروطة بالطهارة قد اجتمع مع اباحتها في اخر جزء من اجزاء
وقت صلوة المغرب ثم اتموا الصيام تمسك اصحابنا بهذا في جواز النية بالنهار في صوم رمضان
ولا وجه له بل هو ظاهر فيما ذكره الخصم حيث قال الله تعالى ثم اتموا الصيام ولم يقل ثم صوموا
ولولا ما فيه من محذور الدلالة على التراخي المشروع في الصوم عن طلوع الفجر لما عدل عن الاخصر الاظهر
الى الليل بيان لاخر وقت الفرض واخراج الليل عن حده لا يستلزم اخراجه عن محلية الصوم مطلقا
فلا دلالة فيه على نفي صوم الوصال ولا تباشروهن المراد بالمباشرة الوطي والنهي عنه لا لعينه بل
لانه سبب للجنابة المانعة لصحة الاعتكاف فانه في الشرع لبث المسلم العاقل الطاهر في المسجد
بنية القربة فينتظم النهي ما في معناه من الملامسة بالشهوة مع الانزال وانتم عاكفون في المساجد
معتكفون فيها والعكوف في اللغة الاقامة بين ان المباشرة تحرم في ليالي رمضان لكن لغير المعتكف
فانها تفسد الاعتكاف عن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج الى امرأته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن
ذلك وانما زاد قوله في المساجد للاشارة الى ان الاعتكاف انما يكون في المسجد وصيغة الجمع لدفع توهم
العهد فيفهم منه عدم اختصاصه بمسجد دون مسجد تلك اشارة الى التقديرات الواقعة في الاوامر
والنواهي المذكورة المانعة عن التجاوز عنها حدود الله اصل الحد المنع ومنه الحداد للبواب

وحدود الشرع موانع عن الجنابة وحدود الدار موانع عن الاختلاط فلا تقربوها
نهي اشفاق يتضمن نهي التحريم عن التجاوز عنها على وجه ابلغ كما في قوله تعالى ولا تقربا
هذه الشجرة قال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه فمن رتع حول
الحمى يوشك ان يقع فيه ومن هنا ظهر وجه والنهي المذكور كذلك مثل ذلك التبيين يبين
الله اياته الدالة على ساير مشروعاته للناس لعلهم يتقون مخالفة الاوامر والنواهي
ولا تاكلوا اموالكم بينكم نصب على الظرف والحال من الاموال تقبيح بليغ لما كانوا يتعاطونه
من المنكر في ذلك مع اطلاع بعضهم على حال بعض بالباطل بالجهة التي ليست مشروعة كما
في العقود الفاسدة والاكساب الخبيثة واموال الغنيمة قبل القسمة هذا هو الظاهر من قوله اموالكم
قيل اي ولا ياكل بعضكم مال بعض ولا يخفى ما فيه من الصرف عن الظاهر بلا داع اليه وتدلوا
بها الى الحكام عطف على المنهي اي ولا تدلوا لا منصوب باضمار ان اذ ح يكون المعنى لا تجمعوا
بين الاكل بالباطل والادلاء الى الحكام والنهي عن الجمع بينهما لا يستلزم النهي عن كل منهما و
كل منهما حرام فحقه ان ينهى عنه منفردا عن الاخر فيفهم منه النهي عن الجمع بينهما بطريق الدلالة
على اكد وجه وابلغه والادلاء ارسال الدلو في البئر واستعير للتوصل الى الشيء لتاكلوا
بالتحاكم فريقا من اموال الناس طريق القطعة المعزولة من الشيء بالاثم اي بما يوجب الاثم كشهادة
الزور واليمين الكاذبة او ملتبسين بالاثم وانتم تعلمون انكم مبطلون وانما قيد به لان
حصول الاثم مشروط بالعلم المذكور وقيل ارتكاب المعصية مع العلم بقبحها اعظم وصاحبها
بالتوبيخ احق والاول اولى كما لا يخفى روي ان الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي ارضا
غصبا في يده واختصما الى النبي عليه الصلوة والسلام فقال للعبدان الك بينة قال لا قال
لك يمينه فقال اذن يذهب بارضي فقال النبي عليه الصلوة والسلام فقال لعبدان ليس لك الا
ذلك فحلف كاذبا بالله ماله قبله حق فنزلت الاية فاقر عبدان ورد ارضه اليه واعطاه
ارضا اخرى ايضا فكان ما اخذ من غلتها يسالونك عن الاهلة الاهلة جمع هلال
وهو لليلة او ليلتين سمي به لان الناس يرفعون اصواتهم عند رؤيته روي ان
معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاري رض سالا فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا
كالخيط ثم يزيد حتى يمتلي ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا ومن هنا ظهر وجه
الاتيان بصيغة الجمع فانهما لما سالا عما في اول الشهر وعما في اخره كان المناسب ان يعبر
عن المسئول عنه بصيغة الجمع قل هي مواقيت جمع ميقات وهو مفعال من الوقت معناه ما وقت
به الشيء الى حد ومنه مواقيت الاحرام وهي الحدود التي لا يتجاوزها من يريد دخول مكة
محرما والوقت والمدة والزمان متقارب لكن المدة المطلقة اوسعها فانها امتداد
حركة الفلك الى منتهاها من مبدأها الى غايتها والزمان مدة مقسومة من مطلق المدة

والوقت الزمان المفروض للعمل للناس والحج اى لما يتعلق من امور المعاملات ومصالحهم
ونبّه بذكر الحج على ما يتعلق به من العبادات ولكن ذكر اعظمها اثرا فان الحج يراعى فى
ادائه وقضائه الوقت المعلوم بخلاف سائر العبادات التى لا يصعب فى قضائها وقت معين
كان السؤال عن السبب الداعى لاختلاف القمر فى زيادة النور ونقصانه واجيب على اسلوب الحكيم
ببيان الحكمة فى هذا الاختلاف للتنبيه على ان المناسب لحال السائل ان يسال عن ذلك لا عن السبب
لانه ليس مما يطلع عليه بسهولة لابتنائه على معرفة مسائل من فائق علم الهيئة وليس البر بان تاتوا
البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى اى بر من اتقى لما بين انهم عكسوا الحال فى السؤال عن
حال الهلال مثل حالهم فى السؤال عما لا ينبغى بحالهم فى الاحرام بالحج وجريهم على خلاف ما يجب ان
يكونوا عليه وهو ان ناسا من الانصار كانوا اذا احرموا لم يدخلوا بيتا من البيوت من بابه فان
كانوا من اهل المدر نقبوا نقبا فى ظهر بيتهم منه يدخلون ويخرجون او اتخذوا سلما يصعدون
فيه وينزلون وان كانوا من اهل الوبر دخلوا وخرجوا من خلف الخباء فقيل لهم ليس البر بتحرجكم
من دخول الباب ولكن البر الاتقاء من محارم الله تعالى وهذا مع كونه نهيا لهم عن عادتهم
الردية فى باب الحج على سبيل الاستطراد لذكر الحج وبيان مواقيته بيان لتعكيسهم فى السؤال وهو
ان يسكتوا عما يهمهم ويسالوا عما لا يعنيهم اى ما انتم فى السؤال سؤالكم عن سبب نقصان
الاهلة وكمالها وترككم ما يهمكم من فوائدها الا كمثل تحرجكم عن دخول البيوت من ابوابها
واتيانكم من ظهورها حاسبين ذلك برا وما هو من البر فى شئ وترككم التحرج عما يجب عليكم
اتقاؤه واجتنابه وهو البر ثم قال واتوا البيوت من ابوابها اى باشروا الامور من وجوهها
والمراد توطين النفس على ترك الفضول من السؤال والفعال واجتناب ما يجب اجتنابه والتزام
ما اوجبه الشرع من غير شك وشبهة فان فى السؤال امارة الشك واتقوا الله فى تغيير احكامه
والاعتراض على افعاله لعلكم تفلحون لكى تظفروا بالبر وقاتلوا فى سبيل الله اى جاهدوا لاعلاء
كلمة الله واعزاز دينه والقتال محاولة القتل ممن يحاوله والقتل نقض بنية الحيوان الذين
يقاتلونكم عن الربيع بن انس هى اول اية نزلت فى القتال بالمدينة وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقاتل من قاتل ويكف عن كف اى قاتلوا الذين يناجزونكم القتال دون المحاجزين
فعلى هذا يكون منسوخا بقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة او الذين يناصبونكم القتال دون
غيرهم كالشيوخ والنساء والصبيان والرهبان او الكفرة كلهم لانهم اعداء المؤمنين قاصدون
لقتالهم فهم فى حكم المقاتلة قاتلوا او لم يقاتلوا فيكون غير منسوخ وقيل لما صد المشركون
رسول الله عليه الصلوة والسلام واصحابه رض عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل
فيخلوا له مكة ثلثة ايام فرجع لعمرة القضاء خاف المسلمون ان لا يفى لهم قريش ويقاتلوهم فى
الحرم وفى الشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت اطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم فيهما ولا تعتدوا

بابتداء القتال على الاول والرابع او بقتال الغير المناصبين كالشيوخ والصبيان والنسوان
والرهبان والذين بينكم وبينهم عهد على الثانى وبالمثلة او المفاجاة من غير دعوة
على الثالث ان الله لا يحب المعتدين عدم الحب كناية عن الكراهة فهم فى معرض المؤاخذة بسبب
الاعتداء واقتلوهم حيث ثقفتموهم فى حل او حرم تقول ثقفته اثقفه ثقفا اذا ظفرت به و
منه قوله تعالى فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم وقول الشاعر فاما تثقفونى فاقتلونى فان
اثقف فسوف ترانى بالى واما الحذاقة فى الاخذ فغير معتبرة فى مفهومه واخرجوهم من حيث
اخرجوكم اى من مكة وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن لم يسلم منهم يوم الفتح و
الفتنة اشد من القتل من باب التعميم لاندراج الخاص فيه اى المحنة والبلاء الذى يتعذب
به الانسان اشد عليه من القتل قيل لبعض الحكماء ما اشد من الموت قال الذى يتمنى فيه
الموت جعل الاخراج من الوطن من الفتن والمحن الذى يتمنى عندها الموت ومنه قول القائل
لقتل بحد السيف اهون موقعا على النفس من قتل بحد الفراق ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام
اى لا تفاتحوهم بالقتل وهتك حرمة المسجد الحرام والمسجد الحرام كله قال تعالى وصدوكم عن المسجد
الحرام وانما صدوهم عن الحرم كله حتى يقاتلوكم فيه اتى هنا بعبارة فيه دون عند للدلالة على
انه لا رخصة للقتال بمقاتلتهم عند المسجد الحرام بل لابد فى قول الامر من الالتجاء اليه
بالدخول فيه فان انتهوا عن القتال والا فلهم ان يقاتلوهم بعد ذلك وهذا لرعاية حرمته مهما
امكن وفيما تقدم اتى بعند دون فيه لان النهى عن القتال عند المسجد الحرام يستلزم النهى عن القتال
فيه بدون العكس فكل من العبارتين اصاب محزها فان قاتلوكم فاقتلوهم فلا تبالوا بقتالهم
ثمه فانهم الذين هتكوا حرمته وهذا تصريح بمفهوم الغاية وبشارة بالغلبة حيث قال فاقتلوهم
دون فقاتلوهم وقرئ ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم جعل وقوع القتل فى بعضهم كوقوعه
فيهم يقال قتلنا بنو فلان كذلك جزاء الكافرين مثل ذلك جزاؤهم يفعل بهم مثل ما فعلوا فان
انتهوا عن الكفر والقتال فان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف ويرحمهم فى الموت وقاتلوهم
حتى لا تكون فتنة عدوان وتغييرها بالشرك يأباه العطف بالواو وقلا عدوان الا على الظالمين
فى قوله ويكون الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا اى عن العدوان والفاء
للتعقيب فلا عدوان الا على الظالمين اى فلا عدوان عليهم فان اداة بنية على قبح العدوان
وانه ظلم وان مقاتلة المنتهين عدوان فى اضدادهم ويستدل على ان العدوان ظلم فوضع الظالمين
موضع ضمير العادى فدل بالنحوى ان المنتهين هم العادلون الذين لا عدوان عليهم وسمى
القتل عدوانا مجازا من حيث كان عقوبة على العدوان كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها وحسن ذلك
لازدواج الكلام ومزاوجته هنا على اعتبار المقدر بما عرفت ان تقديره فان انتهوا عن العدوان
فلا عدوان الا على الظالمين الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون عام الحديبية فى الشهر الحرام

وهو ذو القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء فيه وكراهتهم القتال الشهر الحرام
بالشهر الحرام اى هذا الشهر بذاك الشهر فهتكه بهتكه فلا تبالوا به والحرمات قصاص احتجاج
عليه اى كل حرمة وهو ما يجب ان يحافظ عليه يجرى فيها القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد
فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة واقتلوهم ان قاتلوكم واكد معنى القصاص بقوله فمن
اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم الاعتداء مجاوزة حد ما وذلك قد لا
يكون مذموما بخلاف الظلم فانه وضع الشئ فى غير الموضع الذى يحق ان يوضع فيه وهو فى
كل حال مذموم فلا يقال من ظلمك فاظلمه الا بطريق المشاكلة بخلاف ما فى الاية المذكورة واتقوا
الله فى حال كونكم منتصرين منهم فلا تزيدوا على المثل فتعتدوا الى ما لا يحل لكم واعلموا ان الله مع المتقين
فيحرسهم ويصلح شانهم وانفقوا فى سبيل الله ولا تمسكوا كل الامساك ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
بالاسراف وتضييع اسباب المعاش فان المال وقاية النفس فتضييعه يفضى الى تضييعها او
بالكف عن الغزو والانفاق فيه فان ذلك يقوى العدو ويسلطه عليكم ويؤيده ما روى
عن ابى ايوب الانصارى رضه نحن اعلم بهذه الآية فانها نزلت فينا حين رجعنا الى اصلاح
الاموال وتركنا القتال بعد ما فشا الاسلام وكثر اهله والهلاك انتهاء الشئ فى الفساد وله
سمى الموت هلاكا عن ابى عبيدة التهلكة والهلاك والهلك واحد والالقاء اطلاق الشئ الى جهة
السفل ونقيضه الامساك وتعديته بالى لما فيه من معنى الانتهاء والمراد بالايدى الانفس فان اليد
يعبر بها عن النفس كما فى قوله تعالى تبت يدا ابى لهب والباء مزيدة واحسنوا اعمالكم واخلاقكم
او تفضلوا على المحاويج ان الله يحب المحسنين يريد بهم الخير واتموا الحج والعمرة انما قال فيهما اتموا
كما فى الصوم دون اقيموا كما فى الصلوة تنبيها على انهما يجبان بالنية كالصوم فيلزم اتمامهما بعد
النية كما يلزم اتمام الصوم بعدها بخلاف الصلوة فانها لا تجب بالنية فلا يلزم اتمامها بعدها بل
يجوز ان يترك ومن هنا اتضح وجه تخصيص هذه الثلثة من بين العبادات بالامر بالاتمام ومن لم
يتنبه لهذه الدقيقة الانيقة قال فى تفسير ائتوا بهما تامين مستجمعى المناسك فدلالته على ان من
شرع فيهما لزمه اتمامهما من جهة الاركان والشرائط وبه نقول ان العمرة تجب بالشروع وكذا الحج
مطلقا انما يجب به فلا متمسك فيها لمن قال بوجوب العمرة وقراءة واقيموا الحج والعمرة شاذة فلا
تصلح حجة وما روى جابر رضه انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج فقال لا لكن ان تعتمر
خير لكم نص فى هذا الباب ولا يعارضه ما روى ان رجلا قال لعمر رضه انى وجدت الحج والعمرة
مكتوبين على اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك لان الاثر لا يعارض الخبر على انه ليس فى
كلامه ترتب الاهلال على الوجدان بل الظاهر منه بيان سبب الوجدان على سبيل الاستيناف لله
لوجه الله تعالى عن على وابن عباس وابن مسعود رضه ان تحرم بهما من دويرة اهلك وقيل ان تفرد
لكل منهما سفرا وقيل ان تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشئ من التجارة والاغراض الدنيوية

وقرئ والعمرة لله على الابتداء فان احصرتم اى منعتم يقال احصر فلان اذا منعه امر
من خوف او مرض او عجز قال الله تعالى للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله وقال ابن ميادة
وما هجر ليلى ان تكون تباعدت عليك ولا ان احصرتك شغول ويقال حصر اذا حبسه عدو
عن المضى او سجن هذا هو الاكثر فى كلامهم وقد نص عليه الخليل حيث قال الحصر الحبس والاحصار
ان يحصر الحاج عن بلوغ المناسك بمرض او غيره ويوافقه قول الكسائى وابى عبيدة و
قال الفراء وابو عمرو الشيبانى هما بمعنى المنع فى كل شئ مثل صده واصده وعن جماعة
من الصحابة رضه من كسر او عرج فقد احصر وهو مذهب اصحابنا وقال الشافعى لا يكون
الاحصار الا عن عدو فان احصار النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه رضه كان بالعدو
ولانه تعالى قال فاذا امنتم وذلك زوال خوف العدو قلنا العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص
السبب واللفظ لما قلنا لغة والامن يكون عن العلل ايضا قال النبى صلى الله عليه وسلم
الزكام امان من الجذام فما استيسر من الهدى فى محل الرفع بالابتداء اى فعليه ما
استيسر او النصب على فاهدوا ما استيسر واستيسر بمعنى تيسر كاستيقن وتيقن و
استعجل وتعجل كذا قالوا والظاهر ان زيادة السين لزيادة اليسر فالمراد الشاة لان
الهدى من الثلث من الابل والبقر والغنم وايسرها الشاة والهدى جمع هدية كجدى و
جدية وقرئ من الهدى بالتشديد جمع هدية كمطية ومطى والمعنى ان احصر المحرم و
اراد ان يتحلل تحلل بذبح هدى تيسر عليه حيث احصر عند الشافعى فان النبى صلى الله عليه
وسلم احصر بالحديبية وذبح هناك وتحلل وعند ابى حنيفة لا يذبح الا بالحرم يبعثه ولا
يتحلل حتى يبلغ محله ويعين المبعوث على يده يوم امارة ويدل عليه قوله ولا تحلقوا رؤسكم
حتى يبلغ الهدى محله فان بلوغ المحل يدل على مسافة بين موضع الحصر وبين المحل وكذا قوله
تعالى والهدى معكوفا ان يبلغ محله والخطاب فى ولا تحلقوا للمحصرين اى ولا تحللوا حتى تعلموا
بلوغ الهدى محله ومحله مكانه الذى يجب فيه نحره او ذبحه كمحل الدين وهو الوقت الذى
يجب فيه قضاؤه وانما نحر الرسول عليه الصلوة والسلام فى موضع الاحصار لان محصره كان
طرف الحديبية الذى الى اسفل مكة وهو من الحرم وقال الواقدى الحديبية هى طرف الحرم على
تسعة اميال من مكة وعن الزهرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر هديه فى الحرم فمن
كان منكم مريضا الفاء للتعقيب وفائدتها دفع ذهاب الوهم الى العطف على ان احصرتم على
تقدير التصدير بالواو فانه ح يلزم اخراج المريض عن حد المحصر ولا وجه له والخطاب فى
منكم للذين بعثوا الهدى من المحصرين فالمعنى من كان بعد البعث مريضا يحوجه الى الحلق و
التنكير للتقليل فينتظم المرض المرخص ما فى الراس من الجراحة والقرحة او به اذى وهو ما يؤذيه
اى يتعبه ويشق عليه من بخار فى الراس وقمل والتعميم للثانى قال من راسه ومن جهتها

دون في رأسه ففدية اي فعليه فدية ان حلق من صيام او صدقة او نسك بيان لجنس الفدية
واما قدرها فقد روى انه عليه الصلوة والسلام قال لكعب بن عجرة اذ مر عليه والقمل يتهافت
في وجهه لعلك اذاك هوامك فقال نعم يا رسول الله فقال احلق وصم ثلثة ايام او تصدق
بفرق على ستة مساكين او انسك بشاة والفرق ثلثة اصوع واو للعطف على وجه التنويع
وبيان عدم تعلق الواجب على احد الانواع الثلث المذكورة للفدية والتخيير يلزم هذا البيان
ضرورة لانه معناها الوضعي والنسك جمع نسيكة وهي الذبيحة واختير الجمع هنا لتعدد
انواعها وقرئ او نسك بالتخفيف كان مقتضى الظاهر البداية بالاشق وهو النسك وانما عدل
عنه بالبداية بالصيام تطييبا لقلوب الفقراء العاجزين عن النسك باظهار العناية والاهتمام
في شان الصيام بتقديمه على الباقين والتقديم لا يخلو عن التعظيم فاذا امنتم الاحصار
او كنتم في حال امن وسعة فمن تمتع بالعمرة الى الحج اي استمتع بها الى وقت الحج واستمتاعه بالعمرة
الى وقت الحج انتفاعه اذا حل من عمرته باستباحة ما كان محرما عليه الى ان يحرم بالحج وقيل بالتقرب
بها الى الله تعالى قبل الانتفاع بتقربه اليه بالحج فما استيسر من الهدي فعليه دم بسبب التمتع هو
هدي المتعة وهو نسك عند ابي حنيفة لا يذبح الا يوم النحر ويأكل منه وجبران عند الشافعي
يكون ذبحه اذا احرم بحجته لان السبب هو التمتع ولا يتحقق الا به ولا يأكل منه لانه دم جناية
فمن لم يجد اي الهدي فصيام ثلثة ايام اي فعليه صيام ثلثة ايام في الحج في ايام الاشتغال
به بعد الاحرام عند الشافعي وعند ابي حنيفة في وقت الحج اي في اشهره ما بين الاحرامين والافضل
اليوم السابع ويوم التروية وعرفة ولا يجوز في ايام النحر وايام التشريق عند الاكثر وسبعة
اذا رجعتم الى اهليكم وهو احد قولي الشافعي او نفرتم وفرغتم من افعال الحج وهو قوله الثاني
ومذهب ابي حنيفة وقرئ سبعة بالنصب عطفا على محل ثلثة ايام اذ تقديره فصيام ثلثة
ايام تلك عشرة فذلكة الحساب وفائدتها ان احدهما ان يعلم جملة كما علم تفصيلا فان
اكثر العرب لم يحسنوا الحساب قال الفرزدق ثلث واثنان فهي خمس والثاني ان ينفي توهم الاباحة
فان الواو قد يجيء لها كما في قولك جالس الحسن وابن سيرين ويرد على الاول انه لا يناسب بلاغة
القرآن لان المراعى فيها مقتضى المقام نظرا الى الخواص دون العوام وعلى الثاني ان الاباحة
موجب صيغة الامر والواو للتشريك في الحكم فقط واما ارادة الكثرة من السبعة دون العدد
لما يذهب اليه وهم عند ذكرها مع الثلثة فلا حاجة الى دفعها وعندي ان صيام ثلثة ايام
لما كان قبل تعذر الاصل ودخل وقته احتمل ان يذهب الوهم الى عدم اعتباره في اصل البدل
فاتى بالفذلكة المذكورة دفعا لذلك الوهم كاملة صفة مؤكدة تفيد المبالغة في محافظة
العدة او مبينة كمال العشرة فانه اول عدد كامل اذ به ينتهي الاحاد وتتم مراتبها او مقيدة
تفيد كمال بدليتها من الهدي كذا قيل والاوجه انها مقيدة تفيد كمالها في الثواب

والاجر ودفع ذهاب الوهم الى ان صوم السبعة ليس كصوم الثلثة في الاجر للتفاوت في
زمانهما ذلك اشارة الى التمتع عند ابي حنيفة واكثر الائمة لانه يتحقق بالافاقي عندهم
فلا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام فمن فعل ذلك منهم فعليه دم جناية والى الحكم المذكور
عند الشافعي لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام اي للذي لا يسكن ثمة وانما ذكر الاهل
لان الظاهر ان الانسان يسكن حيث سكن اهله فعبر بسكون الاهل عن سكون نفسه
وقد مر ان المسجد الحرام هو الحرم كله وحاضروا المسجد عند ابي حنيفة هم اهل مكة ومن كان
منزله داخل الميقات وعند الشافعي اهل مكة ومن كان من الحرم على مسافة القصر وعند
عند مالك اهل مكة واهل ذي طوى واتقوا الله لما تقدم امر ونهي وواجب ناسب ان يختم ذلك
بالامر بالتقوى في ان لا يتعدى ما حده ثم اعلم بقوله واعلموا ان الله شديد العقاب
شدة عقابه على المخالفة الحج اشهر اي وقته كقولك البرد شهران لما امر بتمام الحج والعمرة
ثم اقتصر على بيان وقت الحج علم منه بطريق البيان السكوتي وقت الحاجة ان العمرة غير موقتة
وهذا من جملة وجوه الايجاز الذي ارتقى به القرآن الى ذروة الاعجاز ولم يتنبه له
الناظرون فيه معلومات هي شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة خلافا للشافعي في
يوم النحر وذو الحجة كله عند مالك وبناء الخلاف ان المراد من وقته وقت افعاله او وقت
احرامه او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا وانما لم يسمها باعيانها لانها كانت معروفة
عندهم على ما توارثوه الا انهم كانوا يدخلون فيها النسيء فنبهوا على انها هي وقاته دون
غيرها والاشهر على الحقيقة وانما التجوز في جعل بعض الشهر شهرا واما اطلاق الجمع على ما
فوق الواحد فلا يناسب المقام لما فيه من اخراج بعض الشهر الثالث من هذا المرام ثم ان المعتد
على الاطلاق المذكور بقوله تعالى فقد صغت قلوبكما فليس بشيء لانهم صرحوا بان مثل هذا ليس
من المتنازع فيه فمن فرض فيهن الحج الزمه نفسه بالاحرام ولا خلاف فيه انما الخلاف بيننا
وبين الشافعي في ان الاحرام يتم بالنية او لا يتم بل لا بد من التلبية معها او من سوق الهدي
ولا دلالة فيه على خروج يوم النحر من وقت الحج لان معنى من فرضه فيهن من فرضه في كل من الاشهر
المذكورة لا من فرضه في كل يوم من ايامها نعم فيه دلالة على كراهة تقديم الاحرام عليها فانه
لو جاز ذلك لضاع قوله فيهن واما ان من احرم بالحج لزمه الاتمام فقد دل عليه قوله تعالى
اتموا الحج والعمرة بظاهره فلا رفث فلا جماع فانه مفسد للحج وقيل الفحش في الكلام ولا فسوق
ولا خروج من حدود الشريعة بالسباب والتنابز بالالقاب لقوله تعالى ولا تنابزوا بالالقاب بئس
الاسم الفسوق ولا جدال ولا مراء ولا شقاق مع الرفقاء والخدم وغيرهم وانما نهي عنه في
الحج مع كونه منهيا عنه لكونه في الحج اقبح كلبس الحرير في الصلوة في الحج في اثناء اقامة مناسكه
بعد الاحرام وانما نفي الحقيقة في الثلثة المذكورة للمبالغة في النهي اي فلا يكونن هذه الاجناس

واذا وجب اتقاؤها وكانت قبيحة بان لا يكون لزم الانتهاء عنها ضرورة وقرئ الاولين
بالرفع على معنى النهي اي فلا يكونن رفث ولا فسوق والاخر بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء
الجدال اي الخلاف وذلك ان قريشا كانت تخالف ساير العرب في الحج فتقف بالمشعر الحرام
وساير العرب بعرفة وكانوا يؤخرون الحج سنة ويقدمونه سنة وهو النسيء فرد الوقوف
الى عرفة والحج الى وقت واحد فاخبر الله تعالى انه قد ارتفع الخلاف في الحج واستدل على ان
المنهي عنه هو الرفث والفسوق دون الجدال بقوله عليه الصلوة والسلام من حج ولم يرفث ولم
يفسق خرج كهيئة يوم ولدته امه فانه لم يذكر الجدال وما تفعلوا من خير التنكير للتقليل يعلمه الله
حث على الخير بعد النهي عن الشر ومبناه على الكناية بعلمه تعالى بفعل من افعال العباد عن ترتب
الجزاء عليه ولا يخفى ما في ضمن هذا الوعد من الوعيد وبه يتم حق المقام والمراد من الخير بقرينة
سياق الكلام ان يأتوا بالكلام الحسن مكان القبيح وبالبر والتقوى مكان الفسوق وبالثناء و
المدح مكان السباب والتنابز وبالوفاق ومحاسن الاخلاق مكان الجدال ويجوز بقرينة لحاق
ان يراد بفعل الخير ضبط انفسهم عن ما نهوا عنه وتزودوا فان خير الزاد التقوى اي اجعلوا
زادكم في الآخرة اتقاء القبايح فان خير الزاد اتقاؤها والزاد الطعام الذي يتخذ للسفر و
قيل كان اهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون ونحن نحج بيت الله تعالى افلا
يطعمنا ويكونون كلا على الناس فنزلت فيهم ومعناه وتزودوا واتقوا الاستطعام و
ابرام الناس والتثقيل عليهم فان خير الزاد الاجتناب من ذلك واتقون وخافوا عقابي
يا اولي الالباب ايها الذين منت عليهم بالعقول التي هي افضل ما جعل في الخلق فان لب الشيء
هو خالصه فيه اي جعلت فيكم العقول التي هي آلات التمييز والتدبير فيسهل معها التقوى
والتفكر ليس عليكم جناح حرج ان تبتغوا في ان تبتغوا اي تطلبوا فضلا من ربكم زيادة
عطاء وهو الربح بالتجارة قيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمونها
مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا منها فنزلت فرفع عنهم الجناح في
ذلك وانما يباح ما لم يشغل عن العبادة الواجبة فاذا افضتم دفعتم بكثرة واصله افضتم
انفسكم وترك ذكر المفعول كما ترك في دفعوا من موضع كذا وصبوا والفاء للتعقيب لما بين
وقت الحج وذكر ما نهي عنه في الاحرام وما ندب اليه وما ابيح فيه عقبه ببيان ما يجب ان يفعل
بعد الفراغ عن اقامة ركنه وهو الوقوف من عرفات علم للموقف منقول عن الجمع كاذرعات
والظاهر انه جمع عرفة جمع عارف والا فهو من اسماء المرتجلة اذ لا يعرف النقل في اسماء الاجناس
منصرف لان تاءه مع الالف علامة جمع المؤنث لا التاء التي هي علامة التانيث واما التانيث المعنوي
فمقدر باعتبار المعنى والموقف ليس بمؤنث فليس فيه الا العلمية فلا تمنعه الصرف وحدها وانما
سمي الموقف بها لان آدم عليه الصلوة والسلام وحوا التقيا فيه فتعارفا والناس يتعارفون فيه

وكان جبرئيل عم يدور بابرهيم عم في المشاعر اراه اياه فقال عرفت وقيل وصف له عم
فلما راه عرفه وليس مبناه دليل على وجوب الوقوف فيه فاذكروا الله عند المشعر الحرام بالتلبية
والتهليل والتكبير والثناء والدعاء وقيل بصلوة المغرب والعشاء فانهما يجمعان بالمشعر الحرام
وهو الجبل الذي يقف عليه الامام وعليه الميقدة وقيل ما بين جبلي المزدلفة من مازمي عرفة الى
وادي محسر وليس المازمان ولا وادي محسر من المشعر والصحيح انه الجبل لما روى جابر رض ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر
وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم للعبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى
عند المشعر الحرام مما يليه ويقرب منه وذلك للفضل كالقرب من جبل الرحمة والا فالمزدلفة كلها موقف
الا وادي محسر وجعلت اعقاب المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة به عند المشعر واذكروه ذكرا
حسنا كما هديكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها او اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه وما مصدرية
او كافة وان كنتم من قبله اي من قبل الهدى لمن الضالين الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وان
هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة ثم افيضوا من حيث افاض الناس اي من عرفة لا من
المزدلفة والخطاب مع قريش كانوا يقفون بجمع وساير الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا
عليهم فامروا بان يساووهم فليس فيه ايجاب الافاضة حتى يدل على وجوب الوقوف بعرفة بناء
على ان الافاضة لا يكون الا بعده بل بيان اختصاص مشروعيتها بالوجه المذكور وثم لتفاوت
ما بين الافاضتين كما في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم وقيل من مزدلفة الى
منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ الناسي بالكسر اي الناسي يريد آدم عليه السلام
من قوله تعالى فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه واستغفروا الله من
مخالفتكم في الموقف ونحوها من افعال الجاهلية وعاداتهم ان الله غفور يغفر الذنوب
رحيم بالمذنبين يدعوهم بجميل احسانه الى بابه ويرغبهم في جزيل ثوابه ولهذا اي ولتضمنه
التعقيب المذكور اتى باداة التسبيب في قوله فاذا قضيتم مناسككم اي فاذا اتممتم امور
حجكم فاذكروا الله كذكركم اباءكم اي فاذكروا الله ذكرا كثيرا وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكركم
اباءكم وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى والجبل ويذكرون مفاخر ابائهم
ومحاسن ايامهم فنزلت اي اكثروا ذكر الله تعالى دعاء ولا تطلبوا بالذكر اغراض الدنيا كالذاكرين
اباءهم او اشد ذكرا في موضع الجر عطف على الضمير المضاف اليه الذكر في قوله كذكركم اباءكم او في
موضع النصب عطف على اباءكم اي او اشد ذكرا من ابائكم على انه من الفعل المبني للمفعول اي مذكورا
به ويجوز ان يكون معطوفا على الكاف في كذكركم اي ذكرا مثل ذكركم او ذكرا اشد من ذكركم
على ان الذكر ذاكر اشد من ذكرهم كقولهم جد جده وشعر شاعر او هنا ليست للتخيير
بل للنقل عن الاول قال القفال ومجاز اللغة في مثل هذا معروف يقول الرجل لاخر افعل كذا الى

ذكرا

شهر ثم يقولوا واسرع منه وانما يريد به النقل عن الاول الى ما هو اقرب وقنا منه فمن الناس
من يقول الفاء سببية من تقسيم يتضمنه الكلام السابق فانه يشتمل على ذكر المفيضين من عرفات
الذاكرين لله والمفيضين من المزدلفة الذاكرين لآبائهم فتعقب القسم الثاني بانهم الطالبون
لحظوظ الدنيا واما القسم الاول الجامعون بين الامرين فاولئك هم اهل الفلاح والفوز ربنا
آتنا في الدنيا اي اجعل ايتاءنا في الدنيا خاصة وما له في الآخرة من خلاق اي نصيب لان همه
من افعاله المحمودة التي تكون خلقا له وقد يراد به النصيب من الخير على وجه الاستحقاق وهو المراد هنا
ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة من الصحة والكفاف والتوفيق للخير وفي الآخرة حسنة
من الثواب والكرامة والقربة وقنا عذاب النار بالعفو والمغفرة اولئك اشارة الى الفريق
الثاني او اليهما لهم نصيب النصيب في الاصل المنصوب وجعل السهم المفرز نصيبا مما كسبوا
اي من جنس من الاعمال الحسنة وهو الثواب الحسن في الآخرة والمنافع الحسنة في الدنيا او من اجل ما
كسبوا او مما دعوا به نعطيهم منه ما يستوجبونه في الدنيا والآخرة لان الدعاء من الاعمال الحسنة
والاعمال توصف بالكسب فسمي كسبا او من جنس ما كسبوا على ما يقتضيه مشيئة الله تعالى وحكمته والله
سريع الحساب وعيد اي سريع حسابه للخلائق مع كثرة اعدادهم واعمالهم لكمال علمه وقدرته
فيجب الحذر منه او وعد على العبادة اي سريع وقوع حسابه يوشك ان يقيم القيمة ويحاسب
العباد فبادروا اكثار الذكر وطلب الآخرة واذكروا الله في ايام معدودات الايام المعدودات
ايام التشريق وذكر الله فيها التكبير في ادبار الصلوات وعند الجمار وعند ذبح القرابين
وغيرها فمن تعجل فمن استعجل النفر في يومين يوم القر والذي بعده اي فمن نفر في ثاني ايام
التشريق قبل طلوع الفجر عندنا وبعد رمي الجمار عند الشافعي فلا اثم عليه باستعجاله ومن تأخر
اي في النفر حتى رمى اليوم الثالث بعد الزوال فلا اثم عليه قال ابو حنيفة يجوز تقديم رميه
قبل الزوال وهو مخير بين النفرين فلذلك سوى بينهما بنفي الاثم عن صاحبهما وفيه رد على
اهل الجاهلية فان منهم من اثم المتعجل ومنهم من اثم المتأخر لمن اتقى اي الذي ذكر من التخيير او
من الاحكام لمن اتقى لانه الحذر محترز عن كل ما يريبه او لانه هو الحاج عند الله بالحقيقة واتقوا الله
في المحافظة على هذه الاحكام ليعبأ بكم واعلموا انكم اليه تحشرون وعيد شديد اي اليه لا الى غيره
حشركم ويجازيكم على حسب تقواكم واصل الحشر ضم المتفرق وسوقه من جهات مختلفة ومن الناس
من يعجبك يروقك ويعظم في نفسك قوله والتعجب حيرة تعرض للانسان عند الجهل بسبب الشيء ومعنى
اعجبني كذا ظهر ظهورا لم اعرف سببه في الحيوة الدنيا يتعلق بقوله اي ما يقوله في باب الدنيا وشانه
اذ مراده به احراز حظوظ الدنيا لا الثواب الآخرة كي يراد بالايمان الحقيقي والمحبة الصادقة وقيل يعجبك
اي يعجبك في الحيوة الدنيا فصاحته وحلاوته لا في الآخرة لما يرهقه هناك من الحبسة واللكنة او لانه
لا يؤذن له في الكلام ويشهد الله على ما في قلبه يحلف ويقول الله شاهد على ما في قلبي من المحبة والاسلام

وهو الد الخصام شديد الجدال والعداوة للمسلمين واضافة الالد بمعنى في على ان الخصام
بمعنى المخاصمة كقولهم ثبت الغدر وانما وصف بكونه الد للمبالغة وجعل خصامه لشدته
كانه في نفسه خصيم الد وقيل جمع خصم كصعب وصعاب اي هو اشد الخصوم خصومة
روي انه نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول
الله عليه الصلوة والسلام ويدعي الاسلام وقيل في المنافقين كلهم واذا تولى سعى
التولي الانحراف عن الشيء الى خلاف جهته والسعي الاسراع في المشي اي اذا انصرف عنك و
ذهب مسرعا في الارض ليفسد فيها كما فعله الاخنس بثقيف وقيل اذا صار واليا فعل ما
يفعله ولاة السوء من الافساد والظلم ويهلك الحرث والنسل حقيقة او حكما بان يمنع
الله تعالى القطر بشؤم ظلمه وفساده فيهلك الحرث والنسل والحرث هو الزرع واصله
الشق والنسل ما خرج من كل انثى من اجناس الحيوان والله لا يحب الفساد عدم الحب
كناية عن البغض ففيه وعيد بليغ ويتضمن التعليل لما سبق على المعنى الثاني والافساد
في الحقيقة اخراج الشيء عن حالة محمودة لا لغرض صحيح وذلك غير موجود في فعل الله تعالى
ولا هو آمر به ولا محب له وما نراه في فعله فسادا فهو بالاضافة الينا والاعتبار بنا
فاما بالنظر اليه فعله صلاح واذا قيل له اتق الله اي واذا خوف هذا المنافق بالله تعالى
اخذته العزة بالاثم اي حملته الانفة على ذلك من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته
اياه وفيه مبالغة شديدة كان العزة التي فيه اي حمية الجاهلية والترفع حاكم مسلط عليه
يلزمه ارتكاب الاثم الذي ينهى عنه لجاجا وعنادا او على رغم الواعظ ورده فحسبه
جهنم اي كافيه جزاء جهنم وهو استعظام لما حل به وجهنم اسم علم للنار وهي
ماخوذة من قولهم ركية جهنام اذا كانت بعيدة القعر وامتنعت من الصرف للتانيث
والعلمية يعني ان جهنم نصيبه الكافي وجزاؤه الوافي ثم دل على حال جهنم بقوله ولبئس
المهاد جواب قسم محذوف وحذف المخصوص بالذم للعلم به والمهاد ما يوطأ للجنب ويهيأ
للنوم ومن الناس من يشري نفسه يبيعها يبذلها بالجهاد او يامر بالمعروف وينهى
عن المنكر حتى يقتل ابتغاء مرضات الله طلبا لرضاه والله رؤف بالعباد اي هو
في غاية الرحمة لهم ولهذا عوضهم النعيم المقيم على عمل منقطع عقب ذكر المذموم منهم
اعدائه بذكر الممدوح من اوليائه ترهيبا وترغيبا يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم
كافة السلم بالكسر والفتح الاستسلام والطاعة وكافة اسم للجملة من الكف كأنهم
كفوا باجتماعهم عن ان يخرج منهم احد حال من فاعل ادخلوا او من السلم وتاؤها
بعد النقل لم يبق للتانيث والمعنى استسلموا لله تعالى واطيعوه جميعا ظاهرا وباطنا
على ان الخطاب للمنافقين او ادخلوا في الاسلام بكليتكم ولا تخلطوا به غيره على ان

الخطاب لمؤمني اهل الكتاب فانهم بعد اسلامهم عظموا السبت وحرموا الابل والبانها
او في شرائع الله تعالى كلها بالايمان بالانبياء عليهم السلام والكتب جميعا على ان الخطاب لاهل
الكتاب او في شعب الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا بشيء منها على ان الخطاب للمسلمين
ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالتفريق والتفرق وقد مر ما يتعلق به وبقوله انه لكم عدو
مبين فان زللتم عن الدخول في السلم اصل الزلل في القدم يقال زل زلا يزل زلا
وزلولا اذا دحضت قدمه ثم استعمل في الاعتقاد والرأي بطريق الاستعارة من بعد ما
جاءتكم البينات الحجج والشواهد على ان ما امرتم بالدخول فيه هو الحق فاعلموا ان الله عزيز
غالب لا يعجزه الانتقام منكم حكيم لا يهمل وان كان يمهل على ما يقتضيه الحكمة هل ينظرون
ما ينتظرون الا ان يأتيهم الله اي يأتيهم امره لقوله تعالى هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة
او يأتي امر ربك وانما اسند الاتيان اليه تعالى تفظيعا وتهويلا تنبيها على انه يأتي الامر الذي
لا يدافع كان امره هو الموجه به واكد التهويل في شدة العذاب ببيان اتيانه من الغمام
الذي هو مظنة الرحمة لكونه افظع فان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اغم كما ان
الخير اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اسر فكيف اذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير ولهذا كانت
الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يتوقع الغيث في ظلل جمع ظلة كقلة و
قلل وهي ما يستظل به وقرئ ظلال جمعها كقلة وقلال او جمع ظل من الغمام قال الثعالبي
في سر الادب اول ما ينشأ هو النشء فاذا انسحب في الهواء فهو السحاب فاذا تغيرت
له السماء فهو الغمام انتهى فالغمام اقوى من السحاب ظلمة فكان انسب لعبارة الظلل
من السحاب والملائكة وقرئ بالجر عطفا على ظلل او الغمام وقضي الامر اي قضي امر اهلاكهم
وتدميرهم وفرغ منه عبر بالماضي عن المستقبل لدنوه او تيقن وقوعه وقرئ وقضاء
الامر عطفا على الملائكة والى الله ترجع الامور قرئ على البناء للمفعول على انه من الرجع و
على البناء للفاعل على انه من الرجوع سل بني اسرائيل بحذف الهمزة في الكلام المبتدأ وتثبت في
العطف مثل قوله واسأل القرية والسؤال للتقريع والخطاب لكل احد او للرسول عليه الصلوة
والسلام كم آتيناهم من آية بينة على ايدي انبيائهم وهي معجزاتهم او من آية في الكتب شاهدة
على صحة دين الاسلام وحقيته وكم خبرية او استفهامية للتقرير ومحلها النصب على
المفعولية او الرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر وآية مميزها ومن للفصل ومن يبدل
نعمة الله اي آياته اذ هي اجل نعمة من الله تعالى بان يجعلها اسباب الضلالة وهي اسباب الهدى
والنجاة عنها لقوله تعالى فزادتهم رجسا الى رجسهم او يحرفها كما حرفوا الآيات الدالة
على دين محمد صلى الله عليه وسلم من بعد ما جاءته من بعد ما وصلت اليه وتمكن من معرفتها
وفيه تعريض بانهم بدلوها بعد ما عقلوها ولذلك قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل

فان الله شديد العقاب فيعاقبه اشد عقوبة لانه ارتكب اعظم جريمة والعقاب
مأخوذ من العقب كأن المعاقب يمشي بالمجازاة له في آثار عقبه زين للذين كفروا الحيوة
الدنيا المزين هو المحسن المدرك بالحس دون المدرك بالعقل ولهذا جاء في اوصاف
الدنيا دون اوصاف الآخرة والمزين في الآخرة الحقيقة هو الشيطان فانه حسن الدنيا
في اعينهم وحببها اليهم وقرأ زين على البناء للفاعل والحيوة بالنصب على الاسناد المجازي
فانه تعالى امهل المزين فجعل امهاله تزيينا او زينها حتى احسنوها واحبوها ومن قال المزين
على الحقيقة هو الله اذ ما من شيء الا وهو فاعله اخطأ في المدعى وما اصاب في الدليل اما
الاول فلان التزيين صفة تقوم بالشيطان والفاعل الحقيقي لصفة ما يقوم به تلك الصفة
وليت شعري ما يقول هذا القائل في الكفر والضلالة فان فاعل القيام حقيقة هو القائم
الذي يتصف به لا خالقه واما الثاني فلان مبناه عدم الفرق بين الفاعل النحوي الذي
كلامنا فيه والفاعل الكلامي الذي بمعزل عن هذا المقام ويسخرون من الذين آمنوا
اي يهزؤن من فقراء المؤمنين الذين لا حظ لهم في الدنيا كابن مسعود وعمار وصهيب
وغيرهم رض على رفضهم الدنيا واقبالهم على الآخرة قال القرطبي يقال سخرت منه و
سخرت به وضحكت منه وضحكت به وهزئت منه وهزئت به كل ذلك يقال حكاه الاخفش
والاسم السخرية والذين اتقوا اي الذين اتقوا الدنيا واختاروا الفقر من المؤمنين
هم اهل الزلفى والكرامة عند الله تعالى وضعوا موضع الذين آمنوا لانهم يسخرون
منهم دون الاغنياء تنبيها على انهم اهل السعادة الكبرى عند الله تعالى وتحريضا
للمؤمنين على التقوى فوقهم يوم القيامة لانهم كانوا في درجات وهم في دركات
النار فيتنادون ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله والله يرزق من
يشاء يعني في الدنيا لان مساق الكلام فيه بغير حساب بغير تقدير او بوسع بحسب
الحكمة والمشية التابعة له على عباده فمنهم من يكون التوسعة عليه استدراجا كهولاء
الكفرة وقارون واضرابهم ومنهم من يكون التوسعة عليه كرامة له كاغنياء المؤمنين
وسليمان وداود عليهم السلام وامثالهم كان الناس امة واحدة على الفطرة متفقة على
دين الاسلام فيما بين آدم ونوح عليهما السلام قيل فيما بين آدم وادريس عليهما السلام
قال القرطبي وفيه نظر لان ادريس ع م بعد نوح ع م على الصحيح وقيل هم نوح عليه
السلام ومن معه في السفينة فبعث الله النبيين اي فاختلفوا فبعث الله فحذف لدلالة
قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه عليه وفي قراءة عبد الله فاختلفوا فبعث الله ولقوله
تعالى وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا ولما كان سبب البعثة الاختلاف لم يبق احتمال
لان يكون المراد من الامة المذكورة المتفقين على الجهالة والكفر مبشرين من اطاع ومنذرين

من عصى وانزل معهم الكتاب اى الكتب واسم الجنس يصلح للجمع ومعهم حال مقدرة

من الكتاب فيتعلق بمحذوف وليس منصوبا بانزل ولا يريد به انه انزل مع كل واحد

منهم كتاب يخصه لا لان اكثرهم لم يكن لهم كتاب يخصهم بل كانوا ياخذون بكتب من

قبلهم لان المعنى ح مع كل واحد من الذين لهم كتاب وعموم النبيين لا ينافي خصوص

الضمير العايد اليه بمعونة القرينة بل لان بعض الكتاب المخصوص لنبى معه لا يشتمل الاحكام كالزبور

فلا يصلح ما ذكر بقوله ليحكم بين الناس غاية له بالحق حال من الكتاب اى ملتبسا بالحق

ليحكم بين الناس النبى الذى معه الكتاب فيما اختلفوا فيه من امر الدين وما اختلف فيه الا

الذين اوتوه اى الكتاب المنزل لازالة الاختلاف ومعناه زاد اختلافهم بسبب الكتاب حتى

كان الاختلاف الاول بالنسبة اليه لا اختلافا وما كان الاختلاف ومعناه زاد اختلافهم الا

الذى حدث بعده كان الاختلاف الموجب لنزول الكتاب اتفاق فى جنبه لشدة عنادهم

من ما جاءتهم البينات الدلايل الشاهدة على حقيقة الدين المتفق عليه بغيا بينهم وحسدا

وقلة انصاف منهم بحرصهم على الدنيا وتهالكهم فهدى الله بسبب تلك البينات الذين امنوا

منهم لما اختلفوا فيه من الحق بيان لما اختلفوا فيه باذنه بتيسيره وتوفيقه اياهم والله

يهدى دون غيره من يشاء من اهل العناية بمقتضى الحكمة الى صراط مستقيم صراط الاعرف

كنهه وهو طريق التوحيد ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار

والحسبان الظن يستعمل فى المترجح لما ذكر حال الامم الخالية واختلافهم على النبيين بعد مجئ

البينات وانكارهم تشجيعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم واغراء لهم على الثبات والصبر

مع الذين اختلفوا عليه من المشركين واهل وانكارهم لاياته وعداوتهم له خاطبهم على

طريقة الالتفات التى هى ابلغ ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم حالهم التى هى مثل فى

الشدة ولما للتوقع فى النفى كقد فى الاثبات ومعناها ان اتيان ذلك متوقع منتظر ولم

يقع بعد مستهم بيان للمثل على الاستيناف الباساء الشدة من الخوف والجوع والفاقة

والضراء الالام والامراض وزلزلوا اى ازعجوا ازعاجا شديدا شبيها بالزلزلة مما

اصابهم من الاهوال والافزاع حتى يقول لتناهى الشدة وتماديها فى العظم بحيث تقطعت

حبال الصبر الرسول مع كونه فى كمال الثبات والصبر وضبط النفس والوقار الى غاية لا

يقدر قدرها والذين امنوا معه الصابرين بالباساء والضراء وقرئ يقول بالرفع على حكاية

الحال وهى حكاية حال ماضية وبالنصب على اضمار ان ومعنى الاستقبال متى نصر الله معناه

استبطاء النصر وطلبه وتمنيه واستطالة زمان الشدة الا ان نصر الله قريب استيناف

على ارادة القول اى فقيل لهم اجابة لهم الى طلبتهم من عاجل النصر واعطاء لسؤلهم يسالونك

ماذا ينفقون لما نزل قوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا جاء عمرو بن جموح

الانصارى وسال رسول الله عليه الصلوة والسلام وقال كم تنفق وعلى من تنفق فنزل

جواب السوالين فى ايتين من هذه السورة جواب قوله كم تنفق فى قوله قل العفو وجواب قوله

على من تنفق فى قوله قل ما انفقتم من خير اى شئ انفقتم من مال والمال يسمى خيرا قال تعالى لا

يسام الانسان من دعاء الخير وقال وانه لحب الخير لشديد وانما سماه خيرا هنا لانه مذكور

فى موضع الحرف الخير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل بدا فى المصرف

بالاقرب ثم بالاحوج فالاحوج وما تفعلوا من خير فى معنى الشرط فان الله به عليم جواب اى

ان تفعلوا خيرا فان تعالى يعلم كنهه ويوفى ثوابه والفعل اعم من الانفاق وغيره سالوا

عن خاص واجيب بخاص ثم اتى بالعموم فى افعال الخير قيل كان هذا للايجاب ونسخها الامر بالزكوة

وقيل كان للاستحباب وهو باق كتب عليكم القتال اى فرض عليكم الجهاد وهو كره لكم من الكراهة

لقوله وعسى ان تكرهوا شيئا وهو اما ان يكون بمعنى الكراهة على وضع المصدر موضع الوصف

للمبالغة لفرط كراهتهم له واما ان يكون فعلا بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز اى وهو

مكروه وقرئ بالفتح على ان يكون بمعنى المضموم كالضعف فى الضعف وبمعنى الاكراه على سبيل

المجاز كانهم اكرهوا عليه لفرط كراهتهم له وكراهة الطبع لا يوجب الذم بل تحقق العبودية اذا

فعل ذلك اتباعا للشرع مع نفرة الطبع واما كراهة الاعتقاد فهو من صفات المنافقين ونبه

بقوله وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم بالطف

وجه على ان ما كتب عليهم من القتال خير لهم واوضح دلالة وبيانه اذا جاز ان يكون منكم

كراهية لامر وفيه الخيرية فيجوز ان يكون كراهيتكم لما كتب عليكم من القتال كذلك واذا جاز

ان تحبوا شيئا وهو شر لكم فيجوز ان يكون محبتكم لما حببتموه شرا ثم نبه على ان هذا الجايز

كونه عندكم واجب كونه فى نفسه بقوله والله يعلم وانتم لا تعلمون وقد قضى بان ذلك خير واذا

كان خيرا فيجب ان تحبوه ولا تكرهوه فالى تركيب زيادة والتركيب كراهة والمحبة ميل النفس

الى ما تراه وتظنه خيرا والارادة لا يلزمها طلب الخير ولهذا قيل ان تحبوا دون ان تريدوا و

لم يراع حق المقابلة مع قوله ان تكرهوا وعسى كلمة تجرى مجرى لعل وهى من العباد للترجى ومن الله

تعالى للترجية قيل جميع ما كلفوا به من قبيل الاول وجميع ما نهوا عنه من قبيل الثانى وفيه نظر

يسالونك عن الشهر الحرام نزلت فى اول سرية فى الاسلام اغاروا على عير لقريش قافلة

من الطائف وقتلوا عمرو بن عبد الله الحضرمى اول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى

الاخرة فعيرهم اهل مكة باستحلاله قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وفائدة الابدال فى ذكر الشهر

اولا تنبيه على ان السؤال عن القتال لاجل الشهر لا لغيره قل قتال فيه كبير ذنب كبير والاكثر

على انه منسوخ بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم خلافا لعطاء ولا دليل على منع

دلالة الاية على حرمة القتال فى الشهر الحرام مطلقا بناء على ان النكرة فى حيز الاثبات لا تعم لانها

اذا لم يكن موصوفة وقد مر ما يؤيد هذا وصد الصد ناحية الشعب والوادي المانع للسالك وصده عن كذا كانما جعل بينه وبين ما يريده صدا يمنعه والصديد ما حال بين الجلد واللحم من الدم والقيح كذا قال الراغب عن سبيل الله اي ما يوصل العبد الى من الطاعات وكفر به اي بالله عطف على صد وقد عطف عليه قبل تمام المعطوف عليه لشدة الاعتنا عند ذكر الله تعالى بان الكفر به اكبر الكبائر واقبحها والذي اندرج فيه جميع الكبائر والا كان حقا ان يؤخر عن قوله والمسجد الحرام لما اشرنا اليه من انه من تمام قوله وصد عن سبيل الله واخراج اهله منه اكبر عند الله خبر عن الاشياء المعدودة يعني وكبائر قريش من صدهم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وكفرهم واخراج اهل المسجد الحرام وهم رسول الله عليه الصلوة والسلام والمؤمنون منه اكبر عند الله مما فعلته السرية على سبيل الخطاء والبناء على الظن والفتنة اكبر من القتل وما ارتكبوه من الصد والاخراج والكفر اكبر من قتل الحضرمي ولا يزالون يقاتلونكم اي يداومون على عداوتكم ولا ينفكون عن مقاتلتكم حتى يردوكم عن دينكم حتى للتعليل كما في قولك اعبد الله حتى ادخل الجنة لقوله ان استطاعوا استبعاد لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بي فلا تبق علي وهو واثق بانه لا يظفر به وايراد ان في موضع اليقين للتهكم والبناء على ظنهم الفاسد ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر ومن يرجع منكم عن دينه الى دينهم ويطاوعهم على ردهم اياه اليه ولم يتب فيمت على الردة فاولئك حبطت اعمالهم اي هنا تهم لانها هي الاعمال في الحقيقة اذ السيئات مما ينبغي ان لا تعمل ويقال لمن عمل ما لا ينتفع به لم يعمل شيئا في الدنيا لفوات ما لهم من المسلمين من ثمرات الاسلام باحداث الردة وفي الآخرة لفوات ما لهم من الثواب لو لم يرتدوا بالموت عليها والحبط فساد يلحق الماشية في بطونها من اكل الكلاء واستعير لفساد العمل واولئك اصحاب النار ملازموها يقال فلان صاحب فلان اذا كان ملازما له هم فيها خالدون اي دائمون ولا يخرجون عنها ثم الطاعة تحبط بنفس الردة عندنا لقوله تعالى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله والموت عليها ليس بشرط وقال الشافعي شرط وتمسك بهذه الآية وقلنا انما جعل الموت على الكفر شرط جميع ما ذكر من هذه الآية من جميع حبوط العمل والخلود في النار وبه نقول كذا قيل وبيانه تكريرا ولتلك الاية فيه من الدلالة على اعتبار الشرط المذكور في كل واحد من الحكمين المذكورين فالصواب في الجواب ان يقال انما يعتبر الشرط المذكور في حبوط عمل الدنيا وعمل الآخرة معا لا في حبوط عمل وحده فلا متمسك فيه للخصم لانا نقول نافي الشرط المذكور في حبوط عمل الدنيا فانه ما لم يستمر على الردة الى آخر الحيوة لا يحرم عن ثمرات الاسلام ان الذين امنوا نزلت ايضا في السرية المذكورة لما كان بعض الناس فيهم انه لم يكن عليهم وزر فليس لهم اجر والذين هاجروا اي من مكة الى المدينة وقيل اي

فارقوا اهمال السوء واصحابها والاول كان فرضا فنسخت فرضيتها والثاني فرضيته باقية وجاهدوا في سبيل الله اي قاتلوا الكفار وقيل اي استفرغوا المجهود في طاعة الله تعالى وتكريره للوصول لتعظيم الهجرة والجهاد وكانهما مستقلان في تحقيق الرجاء امالهم خائبين اولئك يرجون رحمة الله في الآخرة نفعا ورفعا ودفعا وفي عبارة الرجاء مدح لهم بانتقاصهم اعمالهم واستشعارهم امالهم خائبين رده راجين قبوله قال الله تعالى والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة والله غفور لما فعلوا خطأ وقلة احتياط رحيم باجزال الثواب والايصال الى حسن المآل يسالونك عن الخمر والميسر روي انه نزل بمكة تشريفها الله تعالى قوله تعالى ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا وكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة رض قالوا يا رسول الله افتنا في الخمر والميسر فانهما مذهبة للعقل ومسلبة للمال فنزلت فيهما اثم كبير ومنافع للناس فشربها قوم وتركها اخرون والخمر ما خمر العقل اي ستره كانها سميت بالمصدر للمبالغة ومنه الخمار لما يستر الراس وقال ابن الانباري سميت خمرا لانها تخامر العقل اي تخالطه قال عمر رض في خطبته ايها الناس فانه نزل تحريم الخمر وهي من خمسة من العنب والعسل والتمر والحنطة والشعير والميسر القمار وقال الازهري الميسر الجزور الذي كانوا يتقامرون عليه سمي ميسرا لانه يجزئ اجزاء فكانه موضع التجزية وكل شيء جزأته فقد يسرته والياسر الجازر لانه يجزئ لحم الجزور قل فيهما لما كان منشأ للاثم وسببا له جعلهما منبعا له ومعدنا لها تنبيها على قوتهما في المنشائية والسببية فلا حاجة الى تقدير المضاف بل لا وجه له عند البلغاء فلا دلالة في هذا على ان السؤال عن تعاطيهما اثم الاثم ما يستحق فاعله بالعقاب فيختص بما يكون عمدا يرشدك اليه ذكره في قوله تعالى ومن يكسب خطيئة او اثما في مقابلة الخطيئة كبير من حيث انه يؤدي الى انتكاب عن المامور وارتكاب المحظور ومنافع من الطرب والالتذاذ وكسب المال ومصادقة الفتيان وفي الخمر خصوصا تشجيع الجبان وتوفير المروة وتقوية الطبيعة للناس في عبارة اسم الجنس اشارة الى عموم المنافع لما تحته من الاصناف والافراد وفيه وفي جمع المنفعة تمهيد لتعظيم الاثم فيهما ضرورة ان تعظيم المفضل عليه يستلزم تعظيم المفضل واثمهما اكبر من نفعهما يعني ان الاثم المترتب على المفاسد التي تنشأ من كل منهما اعظم من المنافع المتوقعة منه قال الحسن هذه الآية تدل على تحريم الخمر لانه ذكر ان فيها اثما وقد حرم الله تعالى الاثم بقوله قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم على انه قد وصف ما فيها من الاثم بالكبر والكبير منه حرام بلا خلاف وقول الحسن وان كان مخالفا لما روي فيما سبق ويسالونك ماذا ينفقون قد مر ان سائله ايضا عمرو بن الجموح قل العفو العفو نقيض الجهد وهو القصد في الانفاق بحيث لا يبلغ الجهد واستفراغ الوسع كذلك يبين الله لكم الآيات اي مثل ما بين من الاحكام والكاف في موضع النصب

صفة المصدر محذوف وتوحيد العلامة على تأويل القبيل لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة
يتعلق بتتفكرون اى لعلكم تتفكرون في امر الدارين وما اصلح لكم فيهما فتختارونه
وتجتنبون عما يضركم ولا ينفعكم او يضركم اكثر ويسألونك عن اليتامى الحال تشهد بان
السوال ليس عن اعيانهم بل عن كفالتهم ومخالطتهم والافصاح بامثال هذه تخالف طريق
البلاغة لانه لا يخلو عن غباوة للمتكلم او تغبية للمخاطب وسوء ادب وكلام الله تعالى مبرأ
عن كل هجنة روى انه لما نزلت ان الذين يأكلون اموال اليتامى وتركوا مخالطتهم والقيام
بمصالحهم واموالهم والاهتمام باحوالهم فشق ذلك عليهم وكاد يوقعهم في الحرج فذكر
لرسول الله عليه الصلوة والسلام فنزلت وعلى هذا الاسلوب في سبب النزول فالوجه ما قال
مقاتل ان المسلمين لما استنكفوا من مخالطة اليتامى فعزلوا بيت اليتيم وطعامه شق عليهم
فقال ثابت بن رفاعة للنبي صلى الله عليه وسلم قد انزل الله في اليتيم ما انزل فعزلنا منهم والذي
لهم واعتزلنا والذي لنا فشق علينا وعليهم وليس كلنا يجد سعة فهل يصلح لنا مخالطتهم
فيكون البيت والطعام واحدا لا نرزأهم شيئا الآن يعود عليهم ما فضل منه فنزل قوله تعالى
قل اصلاح لهم خير اى مداخلتهم على وجه الاصلاح ولاموالهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم
فاخوانكم حث على المخالطة اى انهم اخوانكم في الدين او حق الاخ ان يخالط اخاه والخلط الجمع
بين اجزاء شيئين سواء كان مائعين او غير مائعين فهو اخص من المزج والله يعلم المفسد
من المصلح والله يميز المخالط بالافساد من المخالط بالاصلاح ولا يخفى عليه فيجازي بحسبه
فلا تقصدوا في مخالطتهم الا الاصلاح ولو شاء الله لاعنتكم لاعنتكم لحملكم على العنت
وهو المشقة ومنعكم عن المخالطة فوقعتم في الحرج ان الله عزيز غالب يقدر على الاعنات
حكيم لا يكلف الا ما يسع طاقتهم ويصلح حالهم ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن اى ولا
تزوجوهن وقرئ بالضم اى ولا تزوجوهن من المسلمين المشركات والمشركة تعم الكتابية
لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه
عما يشركون ولكن خصت عنها الكتابيات الذميات بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب
وبقيت الحربيات في عموم هذه الآية روى انه عليه الصلوة والسلام بعث مرثد الغنوي الى
مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين فاتته عناق وكان يهواها في الجاهلية فقالت الا تخلو
فقال ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بي فقال نعم ولكن استأمر رسول الله
فاستأمره عليه الصلوة والسلام فنزلت ولامة مؤمنة خير من مشركة يعني ان المؤمن ولو كان
مع خساسة الرق خير من الكافر ولو كان مع شرف الحرية فان شرفها لا يجدي نفعا مع الكفر
ودناءة الرق لا يضر مع شرف الايمان ولو اعجبتكم جملة اعتراضية وجواب لو محذوف لدلالة
ما قبلها عليه وكذا ولو اعجبكم اى ولو اعجبتكم حسنها كانت المؤمنة مع ذلك خير لكم

ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولا تزوجوهم المؤمنات وهو على عمومه ولعبد مؤمن
خير من مشرك ولو اعجبكم وضع اللازم مقام الملزوم في الموضعين للتنفير والترغيب فقال
اولئك اى المشركون والمشركات يدعون الى النار اى الشرك المستلزم لدخول النار فحقهم
ان لا يوالوا ولا يصاهروا والله يدعو الى الجنة والمغفرة اى الايمان الملزوم لدخول الجنة
واورد الله مكان المؤمنين لاختصاصهم به وتعظيمهم حثا على مصاهرتهم وموالاتهم
وايثارهم على غيرهم باذنه بتيسيره وتوفيقه لما يستحق به الجنة والمغفرة من الايمان والعمل
الصالح ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون لكي يتذكروا ويكونوا بحيث يرجى منهم التذكر
لما ركز في العقول السليمة من الميل الى نيل الخير والاجتناب عن مظان الضرر ويسألونك
عن المحيض مصدر يقال حاضت محيضا كما يقال جاء مجيئا روى ان اهل الجاهلية كانوا لم
يساكنوا الحيض ولم يؤاكلوها كفعل اليهود والمجوس واستمر ذلك الى ان سأل ابو الدحداح
في نفر من الصحابة رض عن ذلك فنزلت ولعله سبحانه انما ذكر يسألونك في المواضع الثلاثة بغير
واو وفي المواضع الثلاثة بعدها مع الواو لان الاول ليس عطفه للواو وكانت الاسولة
عن الحوادث الاول في احوال متفرقة بكل واحد منها سوال مبتدأ والاسولة عن الحوادث الاخر
مع ثالثة الاول كانت في وقت واحد وليس مبنى هذا على ان الواو حرف الجمع لان
الجمع الذي هو مدلول الواو اعم من المعية بل على ان في ترك الواو دلالة على الانفصال
وفي ذكرها دلالة على خلافه قل هو اذى لما كان الموضع موضع الكناية والمجاز
لكون التصريح والحقيقة لا يخلو عن سوء ادب سلك طريقة التعريض والتشبيه باحسن
الوجوه فكنى عن المحيض المستقذر الذي ينفر منه الطبع بالاذى وهو اسم لما ينال منه
النفس مكروه وعن اجتناب المجامعة بقوله فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن
واصل الاعتزال العدول عن الشيء ولما كان الانسان قد يتحمل الاذى ولا يراه محرما
صرح بالحكم ولم يكتف بذكر العلة وانما اكد بصيغتي نهي وامر مبالغة في المنع لما ان
الزوجين يكونان غالبا ومعهما داعيان اليه ظاهرا والدليل على ان المراد الاجتناب
عن مجامعتهن قوله عليه الصلوة والسلام انما امركم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن
ولم يأمركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد بين افراط اليهود
وتفريط النصارى فانهم كانوا يجامعوهن ولا يبالون بالحيض حتى يطهرن بيان
لغاية اى يخرجن من الحيض بانقطاع الدم واذا كان ايامها عشرة فكما انقطع حل قربانها
واذا كانت دون ذلك وانقطع واغتسلت فكذلك واذا لم تغتسل ومضى عليها وقت صلوة
فكذلك خلافا لزفر والشافعي فانهما قالا لا يحل قبل الاغتسال واحتجا بقراءة التشديد
فان التطهر الاغتسال ونحن نعمل بالقراءتين في حالتين وفيه نظر لان شرط العمل بالمتعدد

ان يكون مخالفا للمنطوق ومفهوم قراءة التخفيف مخالف لمنطوق قراءة التشديد
ونحن نقول ليس العمل بقراءة التخفيف بطريق المفهوم بل بطريق المنطوق فان الدلالة
على انتهاء الحكم عند الغاية بحسب الوضع ثم ان قوله فاذا تطهرن فأتوهن ظاهر في
تأخير جواز الاتيان عن الغسل من حيث امركم الله اى المأتى الذى امركم به وحلله لكم وهو
القبل انما يرد هذا وكان الكلام تاما بدونه للنهي بطريق المفهوم عن اتيانهن في الدبر فان
الله تعالى حرم الاتيان في ايام الحيض للاذى فيحرم اتيان الدبر في الاحوال كلها لما فيه من الاذى
ومن هنا ظهر وجه تصدير الكلام المذكور بالفاء التفريعية ان الله يحب التوابين مما عسى
يبدر منهم من ارتكاب ما نهوا عنه ومن سائر الذنوب ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش
والاقذار كمجامعة الحائض والاتيان في غير المأتى نساؤكم حرث لكم اشارة الى ان الغرض
الاصلي من الاتيان المامور به طلب النسل لا مجرد قضاء الشهوة والى وجه النهي الذى
قصد بطريق المفهوم شبههن بالمحارث تشبيها لالقاء النطف في الارحام للنسل بالقاء
البذور في الارض للزرع ولما كان التشبيه المذكور مترتبا على هذا التمثيل المتروك ذكر
اللازم على الملزوم لم يبعد ان يسمى تمثيلا على سبيل الكناية والقوم قد غفلوا عن هذا النوع
من التمثيل فأتوا حرثكم انى شئتم كما يأتى الحراثون محارثهم من اى جهة شاؤا بعد بعد ما راعيتم
موضع الحرث عبر به عن وجوه الاتيان المختلفة مع اتحاد المأتى تمثيلا لحالهم بحالهم روى ان
اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته وهى مجبية من دبرها في قبلها كان ولدها احول فذكر
ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كذبت اليهود ونزلت وقدموا لانفسكم الخير والزجر
بطاعة الله تعالى فيما امر به ونهى عنه في هذه الآية وقيل النية الخالصة اى لا تقصروا على قضاء الشهوة
ولكن اقصدوا التعفف والولد واتقوا الله بالاجتناب عن المعاصي واعلموا انكم ملاقوه فلا
تجترؤا عليه بمخالفته وتزودوا بما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين المستوجبين للمدح والكرامة
بترك القبائح والفواحش ولا تجعلوا الله عرضة العرضة فعلة بمعنى المفعول كالغرفة يطلق لما
يعرض دون الشيء لايمانكم يتعلق بعرضة اى حاجزا لايمانكم اذ في العرضة معنى الاعتراض و
المنع او بالفعل اى لا تجعلوا لايمانكم حاجزا ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس عطف بيان
لايمانكم اى للامور المقسم عليها التى هى البر والتقوى والاصلاح بين الناس ويجوز ان يكون
اللام للتعليل وان تبروا وما عطف عليه متعلقا بالفعل اى ولا تجعلوا الله عرضة لان تبروا
لاجل ايمانكم به او بعرضة اى ولا تجعلوه معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف ولذلك ذم
الحلاف بقوله ولا تطع كل حلاف مهين وان تبروا علة النهي اى نهيكم عنه ارادة بركم وتقويكم
واصلاحكم بين الناس فان الحلاف مجترئ على الله تعالى والمجترئ عليه لا يكون برا متقيا ولا
موثوقا به في اصلاح البين نزلت في الصديق رض لما حلف ان لا ينفق على مسطح لافترائه على

عائشة رضي الله عنها وقيل في عبد الله بن رواحة رض حين حلف ان لا يكلم ختنه بشير بن
النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته والله سميع لايمانكم عليم بنياتكم فيجازيكم بحسبها و
هو وعيد على كثرة الحلف وعلى جعله مانعا لشيء من انواع البر والتقوى لا يؤاخذكم الله باللغو
في ايمانكم اللغو الشيء الساقط الذى لا يعتد به من كلام وغيره فاللغو من اليمين هو الذى
لا عقد له كما سبق به اللسان او تكلم به جاهلا بمعناه كقول العرب وغيرهم في اثناء الكلام
للتأكيد لا والله وبلى والله ولا يخطر ببالهم الحلف بدليل قوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم
الايمان ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وهو قصد القلب لعقد اليمين والمعنى لا يؤاخذكم
الله بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه ولكن يؤاخذكم بهما او بأحدهما بما قصدتم من الايمان
وقال ابو حنيفة رح اللغو ان يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب والمعنى لا يعاقبكم بما اخطأتم
فيه من الايمان ولكن يعاقبكم بما تعمدتم الكذب فيها ولا يساعده ظاهر قوله ولكن يؤاخذكم
بما عقدتم الايمان والله غفور حيث لم يؤاخذ باللغو حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة على
يمين الجد تربصا للتوبة للذين يؤلون من نسائهم اى يحلفون على ان لا يجامعوهن والايلاء
الحلف وتعديته بعلى لانه ضمن في هذا القسم معنى الامتناع فعدى بمن اى يمتنعون
من نسائهم مقسمين ويجوز ان يكون المقسم عليه محذوفا والمراد لهم من نسائهم تربص
اربعة اشهر كقولك لى منك كذا والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف على الاتساع
اى للمولى التلبث في هذه المدة فلا يلزمه شيء فيها وهذا لا ينافى وقوع الطلاق البائن
عند مضيها كما قال ابو حنيفة رح ولا يقتضى ان يكون مدة الايلاء اكثر مما ذكر الشافعي رح
ولا دلالة في الفاء في قوله فان فاؤا على ذلك لانها للتعقيب فان التفصيل بالفيئة وان كانت
قبل مضي المدة او وقوع الطلاق يعقب المفصل والفئ الرجوع اى ان رجعوا عن هذا الاضرار
بترك القربان بان تقربوا في المدة فان الله غفور يغفر للمولين ما ارادوا به اضرار النساء بالـ
الفيئة التى بمثابة التوبة رحيم حيث اجاز لهم الحنث وقبل منهم الكفارة ورفع منهم
الذنب وان عزموا الطلاق العزم هو العقد على الامضاء فان الله سميع بما جرى بينهم
عليم بما قصدوه والمطلقات يعنى اللاتى من ذوات الاقراء بقرينة الحكم عام مخصص
بالمدخول بهن من الحرائر بالنصوص الدالة على اختصاص الحكم اللاتى ذكره بهن يتربصن خبر
في معنى الامر وانما عدل عن الظاهر للتأكيد واظهار الاعتناء بالمبادرة الى الامتثال والمسارعة
كانهن امتثلنه واخبر عنه موجودا كما يقال في الدعاء رحمك الله ثقة بالاجابة ونعمة
بها كان الرحمة وقعت فاخبر عنها وبناؤها على المبتدأ زاده فضل تأكيد لم يكن لو قيل ويتربص
المطلقات وفي قوله بانفسهن زيادة تحريض وبعث وتهييج لهن على التربص وقمع الانفس
وذلك ان انفس النساء طوامح الى الرجال فاذا امرن ان يقمعنها ويغلبنها على الطموح يستنكفن

فيجملن حيضهن على التربص بها ثلثة قروء انتصب على انه مفعول به كقولك المحتكر يتربص
الغلاء اى يتربص مضى ثلثة قروء او على انه ظرف اى يتربص مدة ثلثة قروء والقروء جمع
قرء بالضم والفتح وهو لفظ مشترك بين الحيض والطهر باجماع اهل اللغة وقد ورد الشرع
فى كل واحد منهما قال عليه الصلوة والسلام لامرأة دعى الصلوة يوم قرئك اى حيضك وقال
لعبد الله بن عمر رضه ان من السنة ان يطلقها فى كل قرء تطليقة اى فى كل طهر وقال ابو حنيفة
ان المراد من القرء هنا الحيض وقال الشافعى المراد الطهر وقوله عليه الصلوة والسلام طلاق
الامة تطليقتان وعدتها حيضتان صريح فى الاول وانما جاء المميز على جمع الكثرة دون
القلة التى هى الاقراء اعتبارا لما فى المطلقات من معنى العموم فان المعنى ليتربص كل واحدة
من المطلقات ثلثة قروء فلما اسند الى جماعتهن والواجب على كل واحدة منهن ثلثة اتى
بلفظ القروء ليدل على الكثرة المرادة واما الانفس فكان النكتة فى تقليلها الايماء الى ان
التطليق ينبغى ان يكون قليل الوقوع من الرجال ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله فى
ارحامهن من الولد ان يكتمن حملهن استعجالا للطلاق مخافة ان ينتظر الزوج لطلاقها
ان تضع او يشفق على الولد فلا يطلق وقيل من الحيض بان تقول طهرت وهى حائض استعجالا
للفراق وكونه ان يكون الكتمان كناية عن ارادتهن اسقاط ما فى ارحامهن من الاجنة فلا
يعترفن به وفيه دليل على ان قولها مقبول فى ذلك ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر تعظيم
لفعلهن وانهن اى لا يفعلن ذلك من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ولا يجترى على مثل هذه العظائم
وبعولتهن اى ازواج المطلقات والبعول جمع بعل والتاء لاحقة لتانيث الجمع وانما سمى
زوج المرأة بعلا لانه مستبدها ومالكها ذكره الازهرى ومن هنا تبين وجه التعبير عنه
بالبعل فان الحكم الآتى ذكره مخصوص بصورة الطلاق الرجعى الذى لا يزول به ملك النكاح
وفى عبارة البعل اشارة اليه احق بردهن اى برجعتهن ومعنى احق ان الرجل اذا اراد الرجعة
وابتها المرأة فهو احق بقبول قوله لا ان لها حقا فى الرجعة فى ذلك اى فى زمان التربص ان ارادوا
اى بالرجعة اصلاحا بينهم وبينهن لا اضرارا والمراد التحريض عليه والمنع من قصد الاضرار لا
بيان اشتراط صحة الرجعة بقصد الاصلاح ولهن من الحقوق على الرجال مثل الذى للرجال عليهن
بالمعروف بالوجه الذى لا ينكر فى الشرع والعادة الجميلة اى لا يكلف احد الزوجين صاحبه
ما لا يستحسن فى الشرع ولا يعنف به ولكن يسامحه ويسهل والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب
بالواجب والمستحب بالمستحب لا الاتحاد فى الجنس وللرجال عليهن درجة الدرجة كالمنزل
لكن يقال اذا اعتبرت بالصعود دون الامتداد على البسيط كدرجة السلم ويعبر بها
عن المنزلة الرفيعة اى زيادة فضيلة بقيامهم عليهن وانفاقهم فى مصالحهن بعد ما تساويا
فى نيل اللذة والله عزيز على الانتقام ممن خالف الاحكام حكيم شرعها لحكم ومصالح الطلاق

مرتان الطلاق بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم يعنى التطليق الشرعى كرتان
على التفريق تطليقة بعد تطليقة يعقبها رجعة لا تطليقتان على التثنية والارسال
دفعة واحدة ولا التطليق البائن واحدا كان او اثنين لقوله فامساك اى فامر
الزوج بعدهما امساك او فعليه امساك ولا يخفى ما فى عبارة الامساك من الدلالة على
استدامة الملك وهى لا تبقى بعد البائن بمعروف بحسن عشرة وما يعرف شرعا من
القيام بمواجبها او تسريح بان لا يراجعها حتى تبين بالعدة باحسان بان لا يراجعها
مراجعة يريد بها الضرار وتطويل العدة عليها وقيل التسريح ان يطلقها الثالثة
فى الطهر الثالث وروى ان سائلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم اين الثالثة فقال
عليه الصلوة والسلام او تسريح باحسان وظاهر الاية حجة على الشافعى فى قوله لا باس
بارسال الثلث ولا متمسك فى حديث العجلانى الذى لاعن امرأته فطلقها ثلثا بين يدى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه لعدم الدليل بتاخره عن نزول الاية ولا يحل
لكم ايها الازواج ان تأخذوا مما آتيتموهن من الصداق شيئا قليلا الا ان يخافا الا ان يخاف
الزوجان استثناء مفرغ وان يخافا نصب على الظرف ومفعول له التفات كانهم اذا رضوا
بالخلع وهموا بالاخذ وقعوا فى حد البعد ولم يبق اهلا للخطاب لعدم انصافهم وعدم
احتياجهم اى الائمة والحكام فخوطبوا بما ياتى ويجوز ان يكون الخطاب للاول ايضا
للحكام وان لم يكن الاخذ والايتاء منهم لانهم الامرون بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم
فكانهم الاخذون والمؤتون وقرئ الا ان يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته عن
الضمير بدل الاشتمال وقرئ يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن ان لا يقيما حدود الله
بتركا اقامة حدود الله تعالى فيما يلزمهما من مواجب الزوجية لما يحدث من نشوز المرأة وسوء
خلقها فان خفتم ايها الحكام ان لا يقيما حدود الله بتركهما اقامة الحدود المذكورة فلا جناح عليهما
فيما افتدت به اى لا جناح على الزوج فيما اخذ وعلى المرأة فيما بذلت وافتدت به نفسها واختلعت
به من الصداق والزيادة عليه على كره روى ان جميلة اخت عبد الله بن ابى كانت تحت ثابت
ابن قيس وكانت تبغضه وهو يحبها فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله
لا انا ولا ثابت لا يجمع راسى وراسه شئ والله ما اعيب عليه فى دين ولا خلق ولكنى اكره الكفر
فى الاسلام وما اطيقه بغضا انى رفعت جانب الخباء فرايته اقبل فى عدة فاذا هو اشدهم سوادا
واقصرهم واقبحهم وجها فنزلت وكان قد اصدقها حديقة فاختلعت منه بها وهو اول خلع كان
فى الاسلام تلك حدود الله اشارة الى ما حد من الاحكام ومن يتعد حدود الله عدل عن الضمير
الى الظاهر للتفخيم فاولئك هم الظالمون تعقيب للنهى بالوعيد مبالغة فى التهديد فان طلقها متعلق
بقوله الطلاق مرتان تفسير لقوله او تسريح باحسان اعترض بينهما ذكر الخلع دلالة على ان الطلاق

يقع مجانا تارة وبعوض اخرى والمعنى فان طلقها بعد التثنية فلا تحل له من بعد ذلك
التطليق حتى تنكح اى تتزوج زوجا غيره والنكاح يستند الى كل منهما كالتزوج يقال
فلانة ناكح فى بنى فلان وتمسك ابن المسيب بدلالة حتى على انتهاء الحرمة بتزوجها زوجا آخر في
الاقتصار على العقد فى التحليل فان قلت ليست الحرمة باقية الى ان يطلقها وينقضى عدتها
قلت بل ينتهى تلك الحرمة بالعقد ويحدث حرمة اخرى من اثره والجمهور على انه لا بد من الاصابة
لحديث العسيلة ويجوز به انتساخ حكم الغاية وان كان ثبوته منطوقا لا مفهوما لانه حديث
مشهور تلقته الامة بالقبول ومنهم من دقق وقال ان شرط الدخول ثابت بنص الكتاب لان المراد
من التزوج الاصابة على انها كناية عن حظها من الشرط المذكور والكلام على التغليب كقوله او
ادخلت الخاتم فى الاصبع والمعنى حتى تنكحها زوج اخر ولا بد من المصير الى احد هذين الوجهين
كيلا يضيع قوله زوجا والحكمة فى هذا الحكم الردع عن التسرع الى الطلاق فان طلقها اى الزوج
الثانى وانقضت العدة وهذا القيد معلوم من موضع آخر ولهذا لم يذكر والفاء لتفريع
صحة المراجعة بعد تطليقه اياها على ما تقدم من ثبوت التحليل بالتزويج به فلا جناح عليهما
ان يتراجعا اى يرجع كل من الزوج الاول والمرأة الى صاحبه بالمزاوجة ان ظنا ان يقيما
حدود الله حقوق المعاشرة وما يجب عليهما من حسن المصاحبة ومن فسر الظن بالعلم فقد
وهم من جهة اللفظ والمعنى لانه لا يقال علمت ان يقوم زيد لان ان الناصبة للتوقع وهو ينافى
العلم ولان المستقبل غيب فلا يعلمه الا الله تعالى وهذا الظن ليس بشرط فى صحة النكاح بل فى اباحته
ورفع الاثم لان العقد صحيح وان ظنا ان لا يقيما حدود الله وتلك حدود الله اى الاحكام
المذكورة يبينها لقوم يعلمون يفهمون ويعملون بموجب العلم واذا طلقتم النساء فبلغن
اجلهن اريد بالاجل اخر المدة وبالبلوغ مشارفته والقرب منه على الاتساع لقوله فامسكوهن
بمعروف اذ الامساك بعد البلوغ حقيقة او سرحوهن بمعروف لما اعيد ذكر الرجعة علق
التسريح بالمعروف تنبيها على انه ان لم تراعوا فى تسريحها الاحسان فراعوا فيه المعروف كما قال
بعض الناس لسلطان ان لم تحسن فعدل او هذه الاية ظاهرها اعادة حكم ما تقدم الا
ان الاولى لبيان جواز الرجعة بعد التطليقة والتطليقتين وهذه لبيان جوازها ما دامت
فى العدة وانما خص المشارفة بالذكر لانهم كانوا يطلقون المرأة فيتركونها حتى تشارف
انقضاء العدة ثم تراجعونها اضرارا بها فنهوا عنه بقوله ولا تمسكوهن ضرارا بعد الامر تنصيصا
مبالغة ونصب ضرارا على انه مفعول له اى للمضارة او حال اى مضارين لتعتدوا والتظلم
بتطويل العدة او الجائهن الى الافتداء واللام متعلقة بالضرار اذ المراد تقييده ومن يفعل ذلك
فقد ظلم نفسه بتعريضها لعقاب الله تعالى ولا تتخذوا آيات الله هزوا بالاعراض عنها او
التهاون فى العمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد فى الامر انما انت هازئ كنى بالنهى عن الهزء عن الامر

بالجد قيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا فنزلت وعن النبى صلى
الله عليه وسلم ثلث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة واذكروا
نعمة الله عليكم التى من جملتها الهداية الى الاسلام وبعثة محمد صلى الله عليه وسلم والمراد
من ذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها وفى الكناية بالذكر عن الشكر تنبيه على انها نعمة
جليلة بحيث تذكيرها كاف فى ايجاب شكرها والقيام بحقها والمانع عنه ليس الا الغفلة
عنها وما انزل عليكم الترول على النبى الا انه لما كان لمصلحتهم نزل منزلة النازل عليهم
من الكتاب والحكمة الكتاب والسنة وقد مر وجه مناسبة الحكمة بالسنة وانما افردهما
بالذكر لشرفهما يعظكم به بما انزل عليكم واتقوا الله اى لا تخالفوا امره ونهيه واعلموا
ان الله بكل شئ عليم وعد ووعيد تاكيد وتهديد والعدول عن الضمير الى الاسم
الظاهر للتفخيم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اى انقضت عدتهن لقوله فلا
تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن العضل المنع مع تضييق يقال عضلت الدجاجة ببيضها
والمرأة بولدها والخطاب لا يجوز ان يكون للازواج بدلالة ما روى البخارى و
الترمذى وابو داود ان الاية نزلت فى معقل بن يسار وكانت اخته تحت ابن عم له فطلقها
طلقة فلما انقضى عدتها خطبها وهى تريد ان ترجع اليها فقال معقل لا ازوجكها ابدا فانزل
الله تعالى هذه الاية فدعاه النبى صلى الله عليه وسلم فتلاها عليه فقال سمعا لربى وطاعة
والحكم الوارد فى سبب لا يصح ان يكون السبب خارجا عنه وان اريد معه غيره ولان
يكون للاولياء لما فيه من تنافر الخطاب من الازواج قبل تمام الكلام الى الاولياء فان خطاب
اذا طلقتم لا يصلح للاولياء قطعا فالوجه ان يكون للناس ليتناول عضل الازواج و
الاولياء جميعا مع السلامة عن المحذور المذكور والمعنى لا يوجد بينكم عضل ايها الناس
ولا يخفى ما فيه من تهويل امر العضل بان من حق الاولياء ان لا يحوموا حوله وحق الناس كافة
ان ينصروا المظلوم اذ ذاك ولا متمسك للشافعى فى الاية على ان النكاح لا ينعقد بعبارة
النساء اذ لا يلزم من قدرة الاولياء على منعهن ان يكون النكاح بعبارتهم وقوله ان ينكحن
صريح فى انه ينعقد بعبارتهن اذا تراضوا بينهم اذا تراضى الخطاب والنساء وهو ظرف
لان ينكحوا ولا تعضلوهن بالمعروف بالوجه الجميل فى الدين والمروة حال عن الضمير المرفوع
او صفة مصدر محذوف اى تراضيا كائنا بالمعروف ذلك الاشارة الى ما مضى ذكره والخطاب
لكل احد او للرسول للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يتصوره كل احد ويجوز
ان يكون الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضى دون تعيين المخاطبين
يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الاخر لانه المتعظ والمنتفع ذلكم اى العمل بمقتضى
ما ذكر ازكى انفع لكم واطهر من دنس الاثام والله يعلم ما فيه من النفع والفلاح وانتم لا تعلمون

لقصور علمكم والوالدات يرضعن اولادهن اخبار في معنى الامر للمبالغة في
الحث على الارضاع فان الامر لما كان للاستحباب دون الايجاب على ما دل عليه
التعليق بالارادة احتيج الى المبالغة فيه والحمل على الوجوب والتخصيص بما اذا لم يرتضع
الصبي الا من امه او لم يوجد له ظئر او عجز الوالد عن الاستيجار يأباه تعيين تعيين
المدة والتعليق المذكور حولين كاملين صفة مؤكدة لحولين كما في قوله تلك عشرة
كاملة لانه مما يتسامح فيه كما في قوله الحج اشهر لمن اراد ان يتم الرضاعة اي ذلك لمن
اراد اتمام الرضاعة قيل متعلق بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة و
الام ترضع له وفيه ما مر من ان التعليق بالارادة لا يناسب الوجوب وقد نبه على هذا
من قال ودل هذا على ان النقصان عن ذلك والزيادة عليه عند وقوع الكفاية
بما دونها والحاجة الى الزيادة جائزان حيث علق ذلك بالارادة وعلى المولود له اي
الذي حكم له بالولد شرعا بموجب قوله عليه الصلوة والسلام الولد للفراش وان لم يكن
والده حقيقة وله في محل الرفع على الفاعلية نحو عليهم في غير المغضوب عليهم ومن الفرق
بين المولود والولد باختصاص الاول بالصغير على ما ذكره المطرزي تنبيه لطف موقعه
في ان في العبارة المذكورة اشارة الى علة بناء الحكم كما في قوله وراودته التي هو في بيتها لان
الذي ولد له وجب عليه الرزق والكسوة اذا ارضعت ولده كالظئر بناء على ما تقرر من ان
الغنم بالغرم وعلى هذا يكون مؤنتها على المولى اذا ولد الولد من جاريته التي تحت نكاح الغير
لان المولود له حقيقة في هذه الصورة ومن هنا اتضح ان المولود له اعم من الوالد لانتظامه
ما لا يكون والدا من صاحب الفراش والمولى رزقهن وكسوتهن اراد بالرزق المأكول والمشروب
ولهذا ذكر الكسوة بعده بالمعروف اي من غير اسراف ولا تقتير نظرا الى الجانبين لا تكلف نفس
الا وسعها الوسع ما تتسع له الطاقة اي لا تحمل احد الا ما يطيقه فلا يكلف المولود له ما لا يطيق
من الاجر ولا الوالدة ما لا تستطيع من العمل لا الرضا بما لا يكفيها من الاجر وهذه الاية كالتي في
سورة الطلاق فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن الى قوله لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها
لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل لما تقدم وتقرير له اي لا يضار واحد منهما
الاخر بسبب الولد واضافة الولد اليهما تارة والى الاخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه على انه
حقيق بان يتفقا على استصلاحه والاشفاق عليه فلا ينبغي ان يضرا به او يتضارا بسببه
وقرئ لا تضار بالرفع على الاخبار ويحتمل البناء للفاعل والمفعول على ان الاصل تضارر بكسر الراء
وتضارر بفتحها وقرئ لا تضار بالفتح على النهي وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والباء
من صلته اي لا يضر الوالدان بالولد فيفرطا في تعهده ويقصرا فيما ينبغي له وقرئ لا تضار بالسكون
مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على انه من ضاره يضيره وعلى الوارث مثل ذلك

عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما معترض والمراد بالوارث وارث
المولود له على العموم او الصبي نفسه او وارث الصبي على العموم او بقيد ان يكون ذا رحم محرم
من الصبي بحيث لا يجوز بينهما النكاح على تقدير ان يكون احدهما ذكرا والاخر انثى او بقيد ان يكون
احد اصوله من الاباء والامهات والاجداد والجدات او بقيد ان يكون من عصبته وما جعل
الوارث بمعنى الباقي وان كان صحيحا لغة فقلق في هذا المقام اذ ليس لقولنا فالنفقة على الاب
وعلى من بقي من الاب والام معنى يعتد به وذلك اشارة الى ما وجب على المولود له من
الرزق والكسوة فان ارادا فصالا تفريع على ما تقدم من تعليق تمام الحولين على الارادة
وتصريح بالتوسعة بعد التحديد والفصال الفطام سمي به لانه فصل بين الغذا والصبي
عن تراض منهما وتشاور اي صادرا عنهما والتراضي اجتماعهما على الرضى والتشاور
اجتماعهما في المشورة وهي استخراج صواب الراي باشارة المستشار من شور العسل
وهو اجتناؤه وانما اطلقه لينتظم تشاورا احدهما الاخر وتشاورهما الثالث ممن له
خبرة في تربية الاطفال وتدبيرهم وانما اعتبرهما لان الفطام قبل تمام الحولين مظنة
لحوق الضرر فلا بد من اتفاقهما اما المولود له فلانه حقه واما الام فلانها اعلم بحاله
وتربيته والدليل على ان المراد الفطام قبل التمام قوله فلا جناح عليهما اذ لا يتصور الجناح
بعد تمام مدة الرضاع وان اردتم ان تسترضعوا اي المراضع اولادكم يقال ارضعت
المراة الطفل واسترضعتها اياه كقولك انجح الله حاجتي واستنجحته اياها فحذف المفعول
الاول استغناء عنه لعدم القصد الى خصوص المرضعة فلا جناح عليكم فيه وفيه دلالة
على ان للاب ان يسترضع الولد ويمنع الام عن الارضاع اذا سلمتم الى المراضع ما اتيتم
ما التزمتم ايتاءه وقرئ ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ ما اوتيتم اي ما
اتاكم الله واقدركم عليه بالمعروف متعلق بسلمتم اي سلمتم على الوجه الجميل بالطلاقة والبشاشة
من طيب ما يكون من اموالكم على احسن ما يكون من وجوه الاعطاء لتكون طيبة النفس شفقة
على الرضيع وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله وليس التسليم شرطا لجواز الاستيجار بل هو
مندوب اليه لتطييب نفس المرضعة ولهذا قيد بالمعروف واتقوا الله مبالغة في المحافظة
على ما شرع في الاسترضاع واعلموا ان الله بما تعملون بصير حث وتهديد والذين يتوفون
منكم اي يقبض ارواحهم بالموت واصل التوفي اتمام القبض وقرئ يتوفون بفتح الياء اي
يستوفون اعمارهم وهو كناية عن الموت ويذرون ازواجا اي يتركون زوجات
ويذر مستقبل اميت ماضيه ومصدره وكذلك يدع يتربصن بانفسهن يتربصن بعد
وفاتهم دل عليه يتوفون وبه يحصل الربط بين المبتدا والخبر اربعة اشهر وعشرا اي بعد
هذه المدة ولا حاجة الى التاويل في عشرا لما نقل عن ائمة النحو انه اذا كان المعدود مذكرا

وحذفه فلك فيه وجهان احدهما وهو الاصل ان تبقى العدد على ما كان عليه لو لم تحذف المعدود
فتقول صمت خمسة تريد خمسة ايام والثاني ان تحذف منه كلمة التانيث فتقول عشرا على احد الجائزين
وحسنه هنا انه مقطع كلام شبه بالفواصل واطلاق اللفظ يقتضي عدم الفرق بين المسلمة
والكتابية والحرة والامة والحامل وغيرها الا ان القياس يقتضي تنصيفه للامة والاجماع
خص الحامل عنه لقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن فاذا بلغن اجلهن
اي انقضت عدتهن تفريع على التحديد المذكور فلا جناح عليكم ايها الائمة وجماعة المسلمين
فيما فعلن في انفسهن من التعرض للخطاب بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره شرعا ودل
بالفحوى على انهن لو فعلن ما ينكره الشرع كان عليهم ان يكفوهن وان فرطوا كان عليهم
الجناح والله بما تعملون خبير وعيد لهن في ارتكاب المنكر وللائمة في التقصير عن
المنع ولا جناح عليكم فيما عرضتم به التعريض ايهام المقصود بما لم يوضع لحقيقة ولا
مجازا وكانه امالة الكلام الى عرض يدل على الغرض من خطبة النساء الخطبة بالضم والكسر
اسم الحالة غير ان المضمومة خصت بالموعظة والمكسورة بطلب المراة والمراد بالنساء
المعتدات وتعريض خطبتها ان يقال لها انك جميلة او نافقة ومن غرضي ان اتزوج ونحو
ذلك او اكننتم في انفسكم واضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه صريحا ولا تعريضا علم
الله انكم ستذكرونهن اي ستظهرون رغبتكم فيهن لقلة صبركم عن النطق به وفيه
طرف من التوبيخ على التحرز ابتداء عما ابيح لحكمة ولكن لا تواعدوهن سرا مستدرك عن محذوف
دل ستذكرونهن عليه اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا والسر كناية عن النكاح
بمعنى الوطء لانه مما يسر ثم عبر به عن النكاح بمعنى العقد لانه سبب فيه الا ان تقولوا قولا
معروفا استثناء مفرغ وان تقولوا منصب على المصدر اي لا تواعدوهن مواعدة ما الا
مواعدة معروفة وهي التعريض ولا تواعدوهن بوجه الا بان تقولوا قولا معروفا غير منكر في
الشرع ولا يجوز ان يكون استثناء منقطعا لفساد المعنى وهو واعدوهن التعريض وليس
المراد مواعدة التعريض بل مواعدة النكاح بالتعريض وقيل لا تواعدوهن في السر لان مسارتهن
في الغالب تمامى بما يستحيى من المجاهرة به لاستهجانه الا وقت ان تقولوا قولا جميلا غير منكر
في الشرع فعلى هذا ان تقولوا في محل النصب بالظرف ويكون المفعول محذوفا اي لا تواعدوهن
النكاح في السر ولا تعزموا عقدة النكاح اي لا تقصدوا عقد عقدة النكاح قصدا جازما
لا تردد معه نهى عن العزم ليكون ابلغ في منع الفعل وتقدير المضاف لان العزم انما يكون
على الفعل كالعقد لا على نفس العقدة وقيل العزم والمعنى لا تقطعوا عقدها اي لا تبرموها
اي لا تبرموه ولا تلزموه ولا تقدموا عليه فيكون النهي عن نفس الفعل لا عن قصده حتى يبلغ
الكتاب اجله حتى ينتهي ما كتب من العدة واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من العزم على

ما لا يحل شرعا فاحذروه اي فاحذروا مؤاخذته بالمناهي الصادرة عن عزيمة ولما كان
السابق الى الفهم هنا تقدم المؤاخذة بالعزائم على المناهي دفعه بقوله واعلموا ان الله غفور
لمن عزم ولم يفعل خشية من الله تعالى حليم لا يعاجل بالعقوبة فلا تغتروا بعدم المؤاخذة
بالعذاب عاجلا لا جناح عليكم لا تبعة عليكم من ايجاب مهر ولزومه ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن
المس كناية عن الوطء لان حقيقة المس لا يوجب المهر اذا لم توجد خلوة صحيحة او تفرضوا لهن
فريضة اما جزم عطف على تمسوهن اي ولم تفرضوا لهن فريضة او نصب بمعنى الا ان او الى ان
تفرضوا وفرض الفريضة تعيين المهر وهي بمعنى المفروضة وفريضة نصب على المفعول به فعيلة
بمعنى مفعول والتاء للنقل من الوصفية الى الاسمية ويحتمل المصدر وانما اعتبر القيدان المذكوران
لانه يجب مهر المثل في المس وان لم يفرض لها شيئا ويجب نصف المسمى اذا طلقها وان لم يمسها ومتعوهن
عطف على مقدر اي فطلقوهن ومتعوهن اي ملكوهن ما يتمتعن به وسمي ذلك متعة و
المتاع ما ينتفع به انتفاعا قليلا غير باق بل ينقضي عن قريب وضمير النصب عائدا الى المطلقات
قبل المس وقبل الفرض والحكمة في امر المتعة جبر ايحاش الطلاق وتقديرها مفوض الى راي
الحاكم ويؤيده قوله على الموسع قدره وعلى المقتر قدره يقال اوسع الرجل اتسع حاله فصار
ذا سعة وغنى والمقتر المقل من اقتر اذا افتقر وقرئ قدره بفتح الدال وبتسكينها وهما
المقدار اي على كل من الذي له سعة ومن الفقير الضيق الحال قدر يساره واعساره اي ما يطيقه
ويليق به لان الحد الذي يطيقه هو الذي يختص به ويدل عليه قوله عليه الصلوة والسلام لانصاري
طلق امراة المفوضة قبل ان يمسها متعها ولو بقلنسوتك ما اتيتها لا تساوي شيئا ولكن احببت
ان احيي السنة متاعا تمتيعا بالمعروف بالوجه الذي يستحسنه الشرع والمروءة حقا صفة
لمتاعا اي تمتيعا واجبا او مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا على المحسنين اي على الموصوفين
من اصحاب المروات او الذين يحسنون الى المطلقات بالتمتيع وسماهم محسنين للمشارفة
ترغيبا وتحريضا ولما اتى بعبارة ظاهرة في الوجوب تاكيدا في الحث واهتماما في الترغيب
دفع ذهاب الوهم الى معنى الايجاب حقيقة بعبارة المحسنين بما فيها من الاشارة الى انه بطريق
الاحسان لا بطريق الالزام ومبنى هذه الاشارة على ما في قوله تعالى وما على المحسنين من سبيل
من التنصيص على عدم الايجاب فيما يكون احسانا وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن
وقد فرضتم لهن فريضة لما ذكر حكم المفوضة اتبعه حكم قسيمها فنصف ما فرضتم فيه دلالة
على ان الجناح المنفي ثمة تبعة المهر وان لا متعة مع التشطير لانه قسيمها الا ان يعفون استثناء
مفرغ وان يعفون نصب على الظرف اي فعليكم او فالواجب نصف ما فرضتم لا يحل لكم
منعه ابدا الا وقت ان يعفون والنون ضمير المطلقات في طلقتموهن محلها الرفع بالفاعلية
والواو لام الفعل وقد يشتبه في اللفظ بفعل جماعة الذكور يقال الرجال يعفون والفرق

ان الواو في الاول ضمير الرجال والنون علامة الرفع والفعل على الاول مبني ولذلك لم يؤثر فيه ان و
نصب المعطوف عليه او يعفوا الذي بيده عقدة النكاح وهو الزوج لان الطلاق بيده
فكان ابقاء العقد بيده والمراد ان يعطيها المهر كله واطلاق العفو عليه بطريق المشاكلة
وقيل هو ولي الصغيرة والبكر والعفو على حقيقته وهذا لا يصح لانه لا يملك التبرع بحق
الصغيرة ولا بحق الكبيرة بغير رضاها وان تعفوا اقرب للتقوى خطاب للازواج وكذا
قوله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم اي فضل الرجال على النساء ندب الزوج الى اكمال المهر نظرا
للمروة واعتبارا للفتوة ان الله بما تعملون بصير اي لا يضيع تفضلكم واحسانكم حافظوا
على الصلوات بالاداء لوقتها والمداومة عليها والامر بها في نفثنا عقيب احكام الاولاد والازواج
لئلا يلهيهم الاشتغال بشانهم عنها والصلوة الوسطى اي المتوسطة بين الصلوات الخمس
ثنتان يوميتان وثنتان ليليتان وهي صلوة العصر لما روي انه عليه الصلوة والسلام قال
يوم الاحزاب شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وانما افردت و
عطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل لكونها اشق لاشتغال الناس في وقتها بتجاراتهم
قيل معنى الوسطى الفضلى من قولهم للافضل الاوسط وقرئ والصلوة الوسطى بالنصب
على المدح والاختصاص وقوموا لله في الصلوة قانتين ذاكرين له تعالى في قيامكم وحتى نزل
قوله تعالى وقوموا لله قانتين اي ساكتين فان خفتم من عدو وغيره فرجالا اي وحافظوا
عليها في حال الخوف ايضا ولا تؤخروها وصلوا رجالا وهي جمع راجل وهو القائم على الرجل
او رجل بمعناه ويجوز لهم اداؤها بالجماعة او ركبانا وهي جمع راكب ولهم ان يصلوا
وحدانا بالايماء ويسقط عنهم التوجه الى القبلة ولا يجوز ان يصلوا بجماعة عندنا ولا في
حال المشي والمسابقة ما لم يمكن الوقوف وعند الشافعي يصلون في كل حال اخذا بما في هذه
الآية من الاطلاق فاذا امنتم اي زال خوفكم فاذكروا الله فصلوا صلوة الامن والذكر اسم
للصلوة كما علمكم اي صلوا طائفة واحدة من انحراف وفي حالة الخوف يصلون طائفتين
وينحرف كل طائفة الى العدو عند تمام ركعة على ما ياتي بيانه في سورة النساء باذن الله
تعالى ما لم تكونوا تعلمون مفعول علمكم والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا قدم تفسيره
وصية لازواجهم قرئ وصية بالنصب على تقدير حق الذين يتوفون عن ازواجهم ان يوصوا
او كتب الله عليهم وصية ويؤيده قراءة كتب عليكم الوصية لازواجكم الخ وقرئ بالرفع على
تقدير وصية الذين يتوفون او وحكم الذين يتوفون منكم اهل وصية او كتب عليهم وصية
متاعا الى الحول نصب بيوصون ان اضمرت والا فبالوصية وبمتاع على قراءة من قرا متاع لازواجهم
لانه بمعنى التمتيع غير اخراج مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او بدل من متاعا او
حال من الازواج اي غير مخرجات والمعنى يجب على الذين يتوفون عن ازواجهم ان يوصوا قبل

ان يحتضروا لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا كاملا اي ينفق عليهن من تركتهم ولا يخرجن من
مساكنهم وكان ذلك في اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله تعالى اربعة اشهر وعشرا ونسخت
النفقة بالارث الذي هو الربع او الثمن والناسخة وان كانت متقدمة في التلاوة لكنها متاخرة
في النزول والسكنى لها بعد ثابتة عند الشافعي خلافا للحنفية فان خرجن من البيت من غير اخراج
الورثة او من العدة بانقضاء الحول فلا جناح عليكم ايها الائمة فيما فعلن في انفسهن من
معروف مما لم ينكره الشرع كالتزين والتعرض للخطاب للزوج على وفق الشرع وهذه الآية متقدمة في النزول وان تاخرت
في الترتيب ولهذا جاء المعروف منكرا هنا ومعرفا فيما سبق وفيها دلالة على انها لا يجب عليها
ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه بل هي مخيرة بينها واخذ النفقة وبين الخروج وتركها
وهذا من تمام ما كان في بدء الاسلام والله عزيز اي منتقم ممن عصاه حكيم مصيب فيما حكم
وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين عمم المطلقات باستحباب المتعة لهن بعدما خص
واحدة منهن به وهي غير المدخول بها كذلك اشارة الى ما سبق من احكام الطلاق والعدة
يبين الله لكم اياته وعد بانه تعالى يبين لعباده ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا من
الاحكام ودلائلها لعلكم تعقلون لكي تعقلوا اي تستعملوا عقولكم في فهمها والتفكر فيها لاستنباط
غير المنصوص من المنصوص الم تر كلمة تجري مجرى المثل في التعجب يخاطب بها من لم ير ولم يسمع
ما بعدها ومن تقرير لمن سمع بالقصة من اهل الكتاب واخبار الاولين وتعجيب من شانهم
والخطاب لكل احد الى الذين خرجوا من ديارهم روي ان اهل داوردان قرية قبل واسط
وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا ان لا فرار
من حكم الله تعالى وقضائه وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذرا
من الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف كثيرة واختلف في عددها بما لا
يجدي وهذا تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة بان الموت اذا لم يندفع بشيء
ولم يكن منه بد فاولى ان يكون في سبيل الله والدليل عليه الامر بالقتال بعده وهم الوف والواو
للحال حذر الموت مفعول له فقال لهم الله موتوا اي اماتهم الله تعالى بالامر التكويني دفعة
واحدة على خلاف العادة ثم احياهم اي اماتهم موت عقوبة او تنبيه لا موت انقضاء
اجال ثم اعادهم احياء ليستوفوا بقية اعمارهم ان الله لذو فضل على الناس حيث يبصرهم
ما يعتبرون به ويستبصرون من اقتصاص خبرهم كما بصر اولئك بالاماتة والاحياء او حيث
احياهم ليعتبروا بحالهم ويتيقنوا بالبعث ولكن اكثر الناس لا يشكرون اي لا يشكرونه
كما ينبغي ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار وكان مقتضى الظاهر الاضمار
وانما اعيد اسم الظاهر لما فيه من الايماء الى سبب الغفلة عن النعمة وقاتلوا في سبيل الله
عطف في المعنى على الم تر لانه في معنى انظروا وتفكروا وقيل لما بين ان الفرار عن الموت غير نافع

وان المقدر لا محالة واقع امرهم بالقتال اذ لو جاء اجلهم ففي سبيل الله والا فالنصر
والثواب ويرد عليه انه تعالى نهى عن القاء النفس الى التهلكة ولو لم يكن في الاحتراز
نفعا لما نهى عنه واعلموا ان الله سميع يسمع ما يقوله المتخلفون والسابقون عليم بما
يضمرونه فيجازيهم بحسبه من ذا الذي يقرض الله من استفهامية مرفوعة المحل بالابتداء
وذا خبره والذي صفة ذا او بدله واقراض الله تعالى مثل لتقديم العمل الذي يطلب
ثوابه قرضا حسنا اقراضا حسنا بخلوص النية وطيب النفس بلا من ولا اذى ومقروضا
حسنا بكونه حلالا طيبا وقيل المراد من القرض الانفاق في سبيل الله تعالى ويؤيده انها
نزلت في ابي الدحداح حين تصدق بحديقة له فيضاعفه فيضاعف جزاءه له اخرج
عن صورة المغالبة للمبالغة وقرئ بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فان من
ذا الذي يقرض الله في معنى ايقرض الله احد وقرئ فيضعفه بالرفع وبالنصب اضعافا
جمع ضعف ونصبه على الحال من الضمير المنصوب والمفعول الثاني على تضمين يضاعف
معنى تصييرا والمصدر على ان الضعف اسم المصدر وجمعه للتنويع كثيرة لا
يقدرها الا الله والله يقبض لشخص ويبسط لآخر ويقبض في حال ويبسط في اخرى حسبما
اقتضت حكمته يقبض اذا قبض حتى لا طاقة ويبسط اذا بسط حتى لا فاقة اي لا تخافوا
الاقلال بالانفاق ولا تظنوا بقاء السعة بالامساك فان الله تعالى هو الموسع والمضيق
لا الامساك والانفاق تسهيل بهذا عليهم الاقراض واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم
وفيه تنبيه على ان الغني يفارق ماله بالموت فليبادر الفوت الم تر الى الملأ من بني اسرائيل
الملأ الجماعة الاشراف يجتمعون للتشاور وقيل هو من الملاءة التي هي القدرة فهم قوم لا فاقة
الى الزيادة عليهم فيما اجتمعوا له لقدرتهم عليه لا واحد له كالقوم ومن للتبعيض من بعد
موسى اي بعد وفاته ومن للابتداء اذ قالوا لنبي لهم اختلفوا فيه والاشهر الاظهر انه
اشمويل من نسل هارون صلعم ابعث لنا ملكا انهض لنا اميرا نقاتل في سبيل الله نقاتل
بالنون والجزم جواب الامر وقرئ بالياء بالرفع حالا اي ابعث لنا مقدرين القتال او
استينافا كانه قيل كيف تصنعون بالملك فقالوا نقاتل في سبيل الله وقرئ بالياء والجزم
جوابا وبالرفع صفة لملكا قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا معنى الاستفهام
في هل التقرير وتثبيت ان المتوقع كائن وانه مصيب في ظنه وتوقعه كما في قوله تعالى هل اتى
على الانسان وخبر عسيتم الا تقاتلوا والشرط اعتراض بينهما وجوابه محذوف مدلول عليه بقوله عسيتم
اي ان كتب عليكم القتال خفت ان تجبنوا ولا تقاتلوا اراد ان يقول عسيتم ان لا تقاتلوا اي اتوقع
منكم الجبن عن القتال فادخل هل للتقرير اثبات ذكره قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد
اخرجنا من ديارنا اي داع لنا الى ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه من الاخراج عن الديار

وابنائنا اي منفردين عنهم على تضمين الاخراج معنى الانفراد والديار ابلغ من الاوطان
لما في الاخراج منها من الدلالة على استيلاء العدو وعلى املاكهم وانما ذكر الابناء دون الاولاد
المتضمنة للبنات فلعدم استيناس الحرب بهن فلا يشق الانفراد عنهن بل هم يانفون عن انتسابهن
اليهم فلا يرضون لاظهار التعلق بهن ومن لم يتنبه لما ذكرناه اورد في تفسيره الاوطان بدل الديار
والاولاد بدل الابناء ولم يدر ما فيه من سوء الادب حيث اوهم فضل البدل على المبدل ومن
احسن من الله قيلا وليس لكلام البشر بديلا بقي ههنا شيء آخر لا بد من التنبيه له ايضا وهو انهم علقوا
القتال بما يرجع الى حظوظهم فخذلوا ولو قالوا كيف لا نقاتل وقد عصوا الله وخربوا بلاده
وقهروا عباده لوفقوا وذلك ان جالوت ومن معه من العمالقة كانوا يسكنون ساحل بحر الروم
بين مصر وفلسطين وظهروا على بني اسرائيل فاخذوا ديارهم وسبوا اولادهم فلما كتب عليهم
القتال تولوا لما قالوا ذلك دعا نبيهم الله تعالى وسال لهم ملكا فاجابه الله تعالى الى
ذلك ونصب لهم طالوت ملكا وفرض عليهم القتال وكان فيهم طاغية هو الذي دعاهم
الى ذلك فتابعوه وكانوا يرجون ان يملك عليهم فلما ملك الله تعالى غيره نكصوا على
اعقابهم وكرهوا فالفاء في قوله فلما كتب عليهم القتال فصيحة والقول الآتي ذكره
مقدم وقوعا وان كان مؤخرا ذكرا الا قليلا منهم ثلثمائة وثلثة عشر بعدد اهل
بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم وتسجيل عليهم بالظلم في القعود عن القتال
ولذلك وضع الظاهر موضع الضمير وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث صرح بنسبة
البعث الى الله تعالى تعظيما لشان المبعوث ودفعا لذهاب وهمهم الى ان تكون تعيينه
عن ميل ونسبة اليه طالوت علم اعجمي كجالوت فامتنع عن الصرف للعلمية والعجمة وقيل
انه من الطول لما وصف به من البسطة في الجسم وامتناعه عن الصرف يابى عن ذلك الا
ان يقال اسم عبراني وافق عربيا كما وافق حنطا حنطة وبشما لاهارحما نارحيما بسم الله
الرحمن الرحيم فهو على هذا فعلوت من الطول اصله طولوت كما لو كان عربيا ملكا روي
ان نبيهم دعا الله تعالى حين طلبوا منه ملكا فاتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم
يساوها الا طالوت قالوا انى يكون له الملك علينا انى بمعنى كيف كما في قوله انى يؤفكون
استبعدوا تملكه عليهم والواو في ونحن احق بالملك منه واو الحال وفي ولم يؤت سعة
من المال عاطفة فانتظمت الجملتان في حكم الحال اي الحال انا احق بالملك منه وانه ومكنة
وانه فقير لا مال له حتى يتشرف به اذ فانه نسب الملك وانما قالوا ذلك لان الملك كان في اولاد
يهودا وكان فيهم من سبطه خلق كثير اغنياء وطالوت كان فقيرا من سبط ابن يامين
ولم يكن فيهم الملك ولا النبوة فانهما كانت في اولاد لاوي ذكروا البعد عن استحقاق الملك
عليهم وجهين احدهما في الخارج والآخر في نفسه وقدموا ما في الخارج اخذا لطريقة الترقي

قال ان الله اصطفاه اختاره عليكم اصل الاصطفا اخذ صفوة الشيء والقا
ما سواه اي انه لم يكن له نسب ولا نشب فله فضيلة ذاتية على ما نبه عليه بقوله
وزاده بسطة في العلم قدمه لكونه اقدم في الاعتبار والجسم طولا وعرضا لما انكروا
تملكه عليهم اجابهم بالجملة التاكيدية المصدرة بان وقدم المسند اليه وهو الله
على الفعل للتخصيص وتاكيد النسبة اي ان الله تعالى هو الذي اصطفاه عليكم دون
غيره وهو اعلم بمصالحكم منكم ولا اعتراض على حكمه ثم ذكر خصلتين كالبرهان
وبيان الحكمة في اختياره هما اقوى في باب الملك واولى بايجابه من النسب والمال وهما
العلم والجسامة ليتمكن من معرفة امور السياسة ويكون اعظم خطرا في القلوب واقوى
على مقاومة العدو لاجله وهو المعرفة بامر الحرب والله يؤتي ملكه من يشاء قدم المسند
اليه لافادة الاختصاص اي الملك له خاصة غير منازع فيه فهو يؤتي ملكه من يشاء دون
غيره بسبب استصلاحه لذلك والله واسع اي واسع الفضل والعطا يوسع على من ليس
له سعة من المال ويغنيه من الفقر عليم بمن هو يصطفيه للملك وان لم يكن من نسل الملوك
فقوله واسع رد لقولهم ولم يؤت سعة من المال كما ان قوله ان الله اصطفاه رد لقولهم
ونحن احق بالملك منه يعني انه مصطفى مثل من تنسبون اليه وليس المالك كالمستعير وقوله عليم
تكميل حسن يدل على ان اصطفاه وايتاءه عن علم وحكمة لا عن جهل وسعة وقال لهم نبيهم
لما طلبوا منه حجة على انه تعالى اصطفى طالوت وملكه عليهم ان آية ملكه ان ياتيكم التابوت
التابوت صندوق التورية فعلوت من التوب بمعنى الرجوع لانه ظرف يوضع فيه الاشياء
فلا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وليس بفاعول لقلته نحو سلس وقلق ولانه تركيب غير معروف
فلا يترك المعروف اليه ومن قراه بالهاء فلعله ابدل منه كما ابدل من تاء التانيث لاشتراكهما
في الهمس والزيادة فيه سكينة ما به تسكنون اليه من ربكم اي من فضله والضمير للتابوت لا للاتيان
لقوله وبقية فانها باقية عنه والبقية مثل الجودة والفضل يقال فلان من بقية القوم اي
من خيارهم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا وذلك لان الرجل يستبقي مما يخرجه
اجوده وافضله رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وعمامة هارون والال مقحم لتفخيم
شانهما كما في قوله عليه الصلوة والسلام يا ابا موسى لقد اوتيت مزمارا من مزامير ال داود
تحمله الملئكة حال من التابوت قيل رفعه الله تعالى بعد موسى عليه السلام فنزلت به الملئكة
وهم ينظرون اليه ان في ذلك اي في اتيان التابوت والملئكة تحمله لآية عظيمة لكم ان كنتم
مؤمنين من تمام كلام النبي عليه السلام لان المقام لا يحتمل الخطاب من الله تعالى فلما فصل
طالوت بالجنود قبل هذا جمل محذوفة اي فجاءهم التابوت واقروا لطالوت بالملك وتاهبوا
للخروج فالفاء فصيحة والباء في بالجنود للملابسة اي ملتبسا بالجنود سواء كان فصل

لازما بمعنى انفصل عن بلده او متعديا بمعنى فصل نفسه عنه فان الفصل في المتعدي
والفصول في اللازم لغتان مثل وقف وقفا ووقف وقوفا والجنود جمع الكثرة للجند و
الاجناد جمع القلة والجند الجيش لاشتداده ماخوذ من الجند وهو الارض الغليظة الشديدة
روي انهم لما فارقوا بلدهم سلكوا مفازة وكان الوقت قيظا فسالوا ان يجري الله لهم نهرا
قال طالوت ان الله مبتليكم بنهر معاملكم معاملة مختبر بما اقترحتموه كان في جند طالوت
المخلص والمنافق فميز بينهما بالماء كالذهب والفضة فيهما الخبث فيميز الخالص من غيره بالنار
والنهر بفتح الهاء وتسكينها المجرى الواسع للماء وكل ثلاثي حشوه حرف حلق فتسكينه
وفتحه لغة كالشعر والنهر والداب فمن شرب منه فليس مني فليس بمتصل بي ولا متحد معي
من قولهم فلان مني كانه بعضه لاختلاطهما واتحادهما ويجوز ان يراد فليس من جملتي و
اشياعي ومن لم يطعمه فانه مني الطعم الذوق ويقع على الاكل والشرب الا من اغترف غرفة
بيده الغرف اخذ الماء بآلة كالكف والغرفة بالفتح المرة من هذا الفعل والغرفة بالضم
قدر ما يغرف بالكف من الماء واصل الغرف القطع ومنه الغرفة التي هي العلية قطعة من البناء
استثنى من الشرب الممنوع هذا النوع وانما قدمت عليه الجملة الثانية لان مدلولها مفهوم
منه بطريق الدلالة وانما ذكرت تتميما للجملة الاولى بما فيها من الترغيب الى الانتهاء بالنهي المذكور
فحقها ان يذكر عقيبها قبل الاستثناء المزبور وطالوت ان كان نبيا فلان يعرف ذلك بالوحي
والا فبالالهام او باخبار من النبي فشربوا منه اي فكرعوا فيه اذ الاصل في الشرب منه ان لا
يكون بواسطة وتعميم الاول ليتصل الاستثناء وقرئ الا قليلا بالنصب على الاستثناء والرفع
على انه تابع للمرفوع قبله لان الكلام اذا كان موجبا جاز فيما بعد الا النصب وهو الافصح
والاتباع لما قبله ان رفعا فرفعا وان نصبا فنصبا وجرا فجرا وليس هذا من مواضع الميل الى
المعنى والاعراض عن اللفظ جانبا والقليل على ما قيل كانوا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا فلما
جاوزه هو اي قطع طالوت النهر والذين آمنوا معه اي القليل الذي لم يخالفوه وفي التعبير
عنهم بما ذكر دلالة على ان المخالفين لم يكونوا مخلصين في دعوى الايمان وانما زاد قوله معه لافادة
معنى المتابعة اياه والموافقة له ولما افترقوا فرقتين قال كل فرقة ما يليق بشانه وعدم العطف
بين القولين لعدم جمعهما مقام واحد ومساق كلام واحد قالوا اي الذين انخزلوا على ما نص
عليه ابن عباس رض كانهم قالوا ما قالوا اعتذارا في التخلف وتخذيلا للمتعمدين على القتال
لا طاقة لنا اليوم بجالوت اي بقتال جالوت وجنوده لكثرتهم وقوتهم وفي عبارة الجنود
دلالة على هذا على ما بيناه فيما سبق قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله الظن على حقيقته
ومعنى ملاقوا الله انهم يستشهدون في ذلك اليوم لعزمهم على صدق القتال وصدقهم في عزمه
او بمعنى الايقان اي يوقنون بالبعث على ان معنى ملاقوا الله انهم راجعون اليه في العقبى

ويجزون باعمالهم يومئذ وعلى هذا المعنى من الملاقاة يجوز ان يكون الظن على اصله ويكون
القصد الى انه يكفي في هذا العمل فكيف باليقين كم من فئة قليلة كم كلمة تكثير ومن مبينة
او مزيدة للتاكيد والفئة الفرقة من الناس من فاوت راسه اى شققته او من فاء اذا رجع
غلبت فئة كثيرة كم مبتدأ خبره غلبت باذن الله بتيسيره وهذا تحريض على القتال واستشعار
بالنصر والله مع الصابرين بالنصر والاثابة تحريض على الصبر في القتال ولما برزوا لجالوت و
جنوده المبارزة في الحرب ان يظهر المحارب لقرنه بحيث يراه قالوا ربنا افرغ علينا صبرا الافراغ
صب الشيء استعير للاكمال والاكثار وثبت اقدامنا اى في المعركة كيلا تزل ولا تزول وانصرنا
على القوم الكافرين اى اعنا عليهم وامنعهم منا التجأوا الى الله تعالى بالدعاء وفيه ترتيب
بليغ اذ سألوا اولا افراغ الصبر في قلوبهم الذي هو ملاك الامر ثم ثبات القدم في مداحض
الحرب المسبب منه ثم النصر على العدو والمرتب عليهما غالبا ثم اشاروا بتوصيف القوم بالكافرين
الى انهم يطلبون النصر لا للانتقام منهم بفعلهم بهم بل لانهم كفار واعداء لربهم فهزموهم
الفاء فصيحة وقبله مضمر اى فاستجاب الله دعاءهم ونصرهم فالهزيمة دفع الشيء بقوة
حتى يدخل بعضه في بعض والمهزام خشبة يحرك بها الجمر ويدفع بعضه على بعض باذن الله بعونه
وتيسيره وقتل داود جالوت لم يبين الله تعالى كيفية القتل الا انه اشار في سياقه الى انه كان
بسهولة واتاه الله الملك اى ملك بني اسرائيل ولم يجتمعوا قبل داود عليه السلام على ملك والحكمة
النبوة ادبها وضع الامور مواضعها فاتاه ملك طالوت ونبوة نبيهم وجمع له كليهما وكان
قبله الملك في سبط والنبوة في سبط وعلمه مما يشاء من صنعة الدروع وكلام الطير والدواب
وغير ذلك ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ولولا ان الله تعالى يدفع بعض الناس ببعض
ويمنع فسادهم بذلك لفسدت الارض لعمهم فسادهم الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين
ولكن الله يبسط الفضل على العالمين بنصر المصلحين على المفسدين تلك آيات الله اشارة الى ما قص
من حديث الالوف وتمليك طالوت واتيان التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت
نتلوها عليك بالحق بالصدق واليقين الذي لا ريب فيه لاهل الكتاب لانه في كتبهم كذلك
وانك لمن المرسلين حيث تخبر بها من غير قراءة كتاب ولا سماع اخبار تلك الرسل اى المذكورة
في السورة كلها او المعلومة لك بالوحي فضلنا بعضهم على بعض بحسب درجاتهم في الزلفى
وتفاوت مراتبهم في الاصطفاء منهم من كلم الله تفصيل التفضيل اى خاطبه الله تعالى بكلامه الازلي
بلا واسطة وهو موسى عليه السلام لقوله تعالى وكلم الله موسى تكليما ورفع بعضهم درجات
بان فضله على غيره من وجوه متعددة وبمراتب متباعدة وهو محمد عليه الصلوة والسلام
المفضل عليهم حيث اوتي ما لم يؤت احد منهم والابهام لتفخيم شانه كانه العلم المتعين لهذا
الوصف المستغني عن التعيين وتنكير درجات لتعدده في تعظيم شانه وآتينا عيسى ابن مريم

البينات خصه بالتعيين لافراط اليهود والنصارى في تحقيره وتعظيمه وجعل معجزاته سبب تفضيله
لانها آيات ظاهرة وبينات باهرة لم يستجمعها غيره وايدناه بروح القدس قد مر تفسيرها
ولو شاء الله اى لو اراد الله ان لا يقتتلوا ما اقتتل الذين من بعدهم اى من بعد هؤلاء الرسل من بعد ما جاءتهم
البينات اى المعجزات الواضحات لاختلافهم في الدين وتشعب مذاهبهم وتضليل بعضهم بعضا
ولكن اختلفوا اى ما شاء بما اقتضاه حكمته فمنهم من آمن لالتزامه دين الانبياء عليهم السلام
بتوفيقه ومنهم من كفر لاعراضه عنه بخذلانه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرر للتاكيد لكون
الامور بمشية الله تعالى ولكن الله يفعل ما يريد من تخصيص بعضهم بالسعادة والايمان
وبعضهم بالشقاوة والكفران فان قلت الاستدراك بعد استعمال كلمة لو على قاعدة العربية
ان يذكر انتفاء الشرط ليثبت انتفاء الجزاء اى لكن لم يشأ عدم الاقتتال فاقتتلوا وعلى قاعدة
الاستدلال ان يذكر انتفاء الجزاء ليعلم انتفاء الشرط اى لكنهم اقتتلوا فعلم انه لم يشأ عدم
الاقتتال فما وجه قوله ولكن يفعل ما يريد قلت معناه لكنه لم يشأ عدم الاقتتال بل
شاءه فثبت لانه يثبت ما يريده اى ما كان فيه يوفق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا
ويرد عليه انه صرح بكون الخذلان عن باعث فيستبعد ارادته المتعلقة به ويأباه التعميم المستفاد
مما ذكر والاية دليل على ان الانبياء عليهم السلام ولو كانوا اولي العزم من المرسلين متفاوتة الاقدار
واما انه يجوز تفضيل بعضهم على بعض على التعيين فلا دلالة عليه في الاية نعم يجوز ذلك اذا وجد
دليل قاطع لانه مما يتعلق بالاعتقاد دون العمل حتى يكتفى فيه بالظن وان ما تعلق به ارادة الله تع
فعلا كان او تركا خيرا كان او شرا يقع واما ان كل ما يقع انما يقع بارادته تعالى فلا دلالة عليه فيها
انما علم ذلك من موضع آخر يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم اراد به الواجب من الزكوة
لظاهر الامر واتصال الوعيد به من قبل ان ياتي يوم لا بيع لا كسب فيه لانه يوم جزاء لا يوم عمل
وعبر عن كل مكاسب بجنسها ولا خلة لان الاخلاء بعضهم عدو لبعض يومئذ فان قلت اليس
زمرة المتقين مستثناة منهم قلت بلى ولكن الوعيد في حق من ترك الانفاق اما بالاداء بعد
الحصول بطريق المعاملة او المجاملة واما بالابراء ولا سبيل الى شيء من ذلك اذ لا كسب ولا خلة ولا
شفاعة خصوصا في اسقاط حقوق العباد واما ان الشفاعة لا تكون الا في زيادة الفضل
فطريقة الاعتزال موضع بيانه وماخذ عنانه علم الكلام وانما رفعت ثلثتها مع قصد التعميم
لانها في التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقد فتحها من فتحها على الاصل والكافرون
اى التاركون للزكوة وانما عبر عنهم بالكافرين تغليظا عليهم وزجرا لهم كما في آية الحج حيث
شبه فعلهم الذي هو ترك الزكوة بالكفر او جعل مشارفة على الكفر او تعبيرا باللازم عن الملزوم
حيث جعل ترك الزكوة في موضع آخر من صفات الكفار ولانهم فهو على الاول استعارة
تبعية او مجاز مشارفة وعلى الثاني كناية او مجاز لزومهم الظالمون هم الذين ظلموا انفسهم

بترك الانفاق الواجب وصرف المال على غير وجهه ووضعه فى غير موضعه الله لا اله الا هو مبتدا
وخبر والمعنى انه المستحق للعبادة لا غير وقيل خبره الحى القيوم ولا اله الا هو معترض بينهما
والمراد من الحيوة فى حقه تعالى البقاء الذى لا سبيل اليه للفناء مجازا وذلك ان الحيوة بحسب اللغة
عبارة عن قوة مزاجية تقتضى الحس والحركة ولا صحة لها فى حقه تعالى فلا بد من المصير الى المعنى
المجازى المناسب له وهو البقاء وانما وصفناه بما ذكر لانه مستند الى ذاته تعالى فلا يمكن
زواله واما الذى ذكره المتكلمون بقولهم الحى الذى يصح ان يعلم ويقدر فمعناه الاصطلاحى
الحادث فلا مساغ لحمل ما فى الكلام القديم عليه حيث لا يعرفه اهل اللغة وقت نزول القران
وقد رد صاحب الكشاف مثل هذا فى تفسير قوله تعالى يجعلون اصابعهم فى اذانهم وجوزه
هنا والقيوم القائم بذاته المقوم لغيره وقيل الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه فيقول
من قام بالامر اذا حفظه لا تاخذه الاخذ التناول ومنه اخذ الشارب قصه وقطع شيء من
شعره سنة السنة ثقل من النعاس وفتور يعترى المزاج قبل النوم وليست بداخلة فى حد
النوم على ما دل عليه قول عدى بن الرقاع وسنان اقصده النعاس فرنقت فى عينه سنة
وليس بنائم ولا دلالة فيه على ان السنة من النعاس كما توهم ولا نوم النوم حالة تعرض
للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس
الظاهرة عن الاحساس راسا اى لا يعتريه ما يعترى المخلوقين من الغفلة والملال والفتور
فى حفظ ما هو قائم بحفظه ولا يعرض له عوارض التعب المحوجة الى الاستراحة فيستريح بالنوم
والسنة فالجملة بيان للقيوم بانه مهيمن على تقومه غير غافل عنه وتاكيد لكونه حيا فان من
اخذه سنة او نوم كان موقوف الحيوة ولذلك ترك العاطف فيه وتقديم السنة على النوم
على قياس المبالغة والترقى فان سلب السنة وان كان ابلغ من سلب النوم لكن سلب اخذها
ليس بابلغ من سلب اخذه لما فيه من القوة فمن يقدر على دفعها قد لا يقدر على دفعه فمن وهم
ان قياس المبالغة عكسه فقد وهم حيث لم يفرق بين سلبهما او سلب احدهما وايضا السنة
من طلايع النوم ومقتضيات سببه السابقة عليه فنفى النوم بعد نفيها باعتبار انه يستلزم
نفى سببه يكون ابلغ واما نفى التشبيه فقد حصل بالحى القيوم على المعنى المراد منهما له ما فى السموات
وما فى الارض بيان وتقرير بنفى السنة والنوم لان الذى يملكهما وما فيهما يحفظهما وما فيهما
بتدبيره فلا يمكن ان ينام والا لزالتا عن النظام ولهذا ترتب على ما قبله من غير حرف عطف
ولو كان تقرير القيومية كما قيل لاتحد مع ما قبله فى هذه الجهة فكان حقه ان يترتب عليه بحرف العطف
والمراد بما فيهما ما وجد فيهما داخلا فى حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما فهو ابلغ من قوله
له السموات والارض وما فيهن ولما ذكر مالكيته للكل بين ذلك بقوله من ذا الذى يشفع عنده
الا باذنه اى بلغ من مالكيته وكبريائه ان لا يتمالك احد ان يتكلم يوم القيمة الا اذا من اذن

له لقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن ثم بين ذلك بقوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اى
ما كان قبلهم وما يكون بعدهم فكيف كالهم ومن احاط علمه باحوال الخلق كلها يعلم المستوجب
للشفاعة وغيره والضمير لما فى السموات والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا من الانبيا
والملئكة عليهم الصلوة والسلام ولا يحيطون بشيء من علمه اى معلومه فان اسم المصدر يقع
على المفعول يقال فى الدعاء اللهم اغفر علمك فينا اى معلومك وعطفه على ما قبله لان مجموعهما
يدل على تفرده بعلم من يستحق الشفاعة وغيره وانما فصل المعطوف عليه عما قبله لما اشرنا
اليه من انه مبين لما قبله واما على ما قيل ان مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتى التام الدال
على وحدانيته فلا يظهر وجه الفصل المذكور كما لا يخفى الا بما شاء ان يعلمهم به من المعلومات
وسع كرسيه السموات والارض بيان لشمول علمه واحاطته وسعته وبسطته وانه لم يضق
عن السموات والارض على سبيل التمثيل والتخييل وتصوير امر المعنوى بالصورة الحسية و
لا كرسى ثمة ولا قعود ولا قاعد لقوله تعالى والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات
مطويات بيمينه من غير تصور قبضة وطى ويمين قيل تصوير لعظمته وتمثيل وعلى هذا لا
يظهر وجه الفصل عما قبله وعلى ما ذكرنا قد ترتبت الجمل الخمس متناسبة متعانقة كل منها
تبين ما ترتبت عليها مقررة لمعناها فلا سبيل للعاطف بينها لكمال الاتصال بين معانيها
وعن الحسن الكرسى هو العرش وقيل انه تعالى خلق كرسيا بين يدى عرشه دونه السموات
والارض وهو الى العرش كاصغر شيء وعرش الخلق للجلوس عليه والكرسى لوضع القدمين
عليه وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا كما ان بيت الخلق للسكنى فيه والله تعالى جعل الكعبة بيته
وتعالى ان يسكنها انما المراد بيان ان ما فى السموات والارض لا يغيب كما لا يغيب عمن جلس على
السرير ما تحت قدميه واصل الكرسى فى اللغة هو المتراكب والكراسة سميت بها لتراكب بعض
اوراقها على بعض والكرسى البعر والبول اذا تلبد بعضه على بعض ولا يؤده ولا يثقل ولا يشق
عليه حفظهما حفظ السموات والارض وانما ثنى مع ان السموات جمع ردا الى الجنس ولا اود
الا عوجاج الذى يعرض من الاعتماد عليه بالثقل وهو العلى العظيم اسمان جامعان لكمال
التوحيد فالعلى هو المتعالى عن الصفات التى لا تليق به والعظيم هو الموصوف بكل الصفات التى
تليق به قيل تذاكر الصحابة رض افضل ما فى القران فقال لهم على رض اين انتم عن اية الكرسى ثم
قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا على سيد البشر ادم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد
الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم
الجمعة وسيد الكلام القران وسيد القران البقرة وسيد البقرة اية الكرسى وفيه نظر لان قوله
سيد البشر ادم وسيد العرب محمد يفصح عن تفضيل ادم على عليهما السلام وهو خلاف ما انعقد
عليه الاجماع وما ورد فى الحديث الصحيح من قوله عليه الصلوة والسلام انا اكرم الاولين والاخرين

على الله ولا فخر ويمكن ان يقال ان ادم عليه السلام سيد البشر في الدنيا ومحمد صلى الله عليه وسلم
سيد البشر في الاخرة على ما افصح عنه بقوله انا سيد ولد ادم يوم القيمة ولا فخر وبيدي
لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ ادم فمن سواه الا تحت لوائي اخرجه صاحب المصابيح
عن ابي سعيد الخدري رض ولا خفاء في ان السيادة في الاخرة راجحة على السيادة في الدنيا
فالفضل لنبينا عليه وعلى سائر الانبياء الصلوة والسلام وانما فضلت اية الكرسي لاشتمالها
على توحيد الله تعالى وصفاته كما فضلت سورة الاخلاص لافصاحها عن التوحيد الذاتي
وان شرف العلم بشرف المعلوم والموضوع ولا معلوم اجل واعلى من الله تعالى ولا مذكور
اعظم ولا اكمل منه فلا ذكر اشرف ولا افضل منه لا اكراه في الدين اي لا الزام على الدين
الحق وهو الاسلام بما يضطره الى قبوله اذ الاكراه في الحقيقة انما يكون بحمل الغير على ما لا يرى
فيه خيرا فعلا كان او تركا قد تبين الرشد من الغي استينافي تعليلي فلا وجه لتقدير
لكن اي تميز الايمان من الكفر بالايات الواضحة ودلت الدلائل على ان الايمان رشد
يوصل الى السعادة الابدية والكفر غي يؤدي الى الشقاوة السرمدية والعاقل متى تبين له
ذلك بادرت نفسه الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة والنجاة ولم يحتج الى الاكراه والالجاء
وقيل هو اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين وهو اما عام منسوخ بقوله تعالى جاهد
الكفار والمنافقين واغلظ عليهم او خاص باهل الكتاب لانهم حصنوا انفسهم واموالهم
باداء الجزية وروي انه كان لانصاري ابنان فتنصرا قبل ان يبعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الانصاري ايدخل بعضي النار وانا انظر اليه فنزلت
فخلاهما والغي ضد الرشد تقول غوى يغوى غيا وغواية اذا سلك خلاف طريق الرشد
فمن يكفر بالطاغوت بكل معبود سوى الله ولا يلزم اطلاق الطاغوت على عزير وعيسى
والملئكة عليهم السلام لان عبادهم ما عبدوهم في الحقيقة بل عبدوا الشيطان على ما يأتي
تفصيله في تفسير قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وبهذا التفصيل
اتضح فساد ما قيل الطاغوت كل ما عبد من دون الله مما هو مذموم في نفسه ولا يرد عليه
عيسى عليه السلام لانا قيدناه بالذم لعدم الحاجة الى زيادة القيد المذكور بل لا وجه له
كما لا يخفى ويتبين الخلل فيما قيل بالشيطان او الاصنام او كل ما عبد من دون الله او صد عن عبادة
والطاغوت من الطغيان وهو مجاوزة الحد في الشر واصله طغووت وهو مقلوب من الطغووت
على وزن فعلوت قلبت ثم جعلت الواو الفا لفتحة ما قبلها ويؤمن بالله عدي فعل الايمان بالباء
والمقصود التصديق وهو متعد بنفسه لانه نقيض الكفر المتعدي بالباء ومن دأبهم حمل النقيض
على النقيض فقد استمسك اي تمسك بغير قصد وطلب في الفعل الاختياري اذا كان مسبوقا بذلك يكون

حصوله على اوكد وجه ولهذا يؤثر هذه الصيغة في مقام المبالغة ومن لم يتنبه لهذا
قال في تفسيره طلب الامساك من نفسه بالعروة الوثقى بما هو اوثق المتمسكات المحكمة المأمون
انقطاعها والظاهر ان الاستمساك بالعروة الوثقى كالاعتصام بالحبل المتين مثل في كل اعتقاد
مطابق لا يحتمل النقيض فهو تشبيه للمعقول المعلوم بالبرهان بالمحسوس المشاهد ولا مجاز
ولا استعارة في مفرداتها والقول بالاستعارة في العروة تنزيل للكلام عن الدرجة العليا
الى الدرجة العالية كما لا يخفى على من له كعب عال في صنعة البلاغة لا انفصام لها الفصم
بالفاء القطع بلا ابانة والقصم بالقاف القطع مع الابانة ونفي الاول ابلغ من نفي الثاني
كما ان اثبات الثاني ابلغ من اثبات الاول فتامل والله سميع بالاقوال عليم بالعزائم والعقائد
وهو ابلغ وعد ووعيد في عامة الناس ويندرج تحته التهديد في حق المنافق الله ولي
الذين امنوا ناصرهم ومتولي امورهم يخرجهم بالتوفيق والتاييد من الظلمات من ظلمات
الشبه والشك والضلالة الى النور الى نور اليقين والمعرفة والهداية والذين كفروا اولياؤهم
الطاغوت الشياطين يخرجونهم بالاغواء والوسوسة من النور الى الظلمات من نور البينات
الى ظلمات الشك والشبه او ولي الذين ارادوا الايمان يخرجهم بالهداية والتوفيق من ظلمات
الكفر الى نور الايمان والذين ارادوا الكفر يخليهم مع شياطينهم الذين يوالونهم يخرجونهم
من نور البينات والدلائل الواضحة الى ظلمات الكفر والشبه جمع الظلمات ووحد النور
لان الباطل متعدد والحق واحد اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وعيد وتحذير وفيه
دلالة على ما يقابله من الوعد والتبشير ولهذا اكتفى به عنه وانما لم يعكس محافظة على
الفاصلة الم تر الى الذي حاج ابرهيم تعجيب من محاجة نمرود في ربه يجوز ان يعود الضمير
على ابرهيم عليه السلام الا ان الراجح ان يعود على الذي حاج لان مساق الكلام فيه على وجه
التعجيب عن حاله يقتضي ذلك ان اتاه الله الملك مفعول له اي لان اتاه الملك ابطرته النعمة و
حمله الملك على العتو والكفر فحاج لذلك او وضع المحاجة مكان ما وجب عليه من الشكر فعكس
الامر والتعجيب على هذا الوجه اقوى او ظرف اي وقت ان اتاه الملك وهو حجة على من منع ايتاء
الله الملك الكافر من المعتزلة والجواب بان المراد ايتاء الاسباب لا يشفي كما لا يخفى على ذوي
الالباب وكذا ما قيل ملكه امتحانا اذ ما من قبيح الا ويمكن ان يكون فيه غرض صحيح مثل الامتحان
اذ قال ابرهيم نصب على الظرف يحاج على الاول وبدل من اتاه الله على الثاني ربي الذي
يحيي ويميت اي يحيي الاموات ويميت الاحياء قال انا احيي واميت اي اعفو عن القتل واقتل
فاعرض ابرهيم عليه السلام عنه وان تيسر عليه ان يقول له ليس هذا باحياء ولا اماتة لكن كان
هذا عند ملأ من الناس وفيهم الضعفة فاراد ابرهيم عليه السلام ان يفحمه فضيحة
ظاهرة لا يخفى على احد فجاء بما لا يمكنه المعارضة بالتلبيس وبهذا التفصيل اندفع ما قيل مكان

ينبغي للنبي ان ينتقل بل كان عليه ازاحة الشبهة دفعا لوهم الافحام واجيب بان ذلك انما
يكون اذا كانت للشبهة قوة والتباس على السامعين واما في الشبهة الواهية فيحسن الاعراض
عنها وعدم الالتفات سيما مع المجادل الاحمق على انه عليه السلام ما اعرض عن الاعتراض
اعراضا كليا بل تعرض له اجمالا اذ قال ابرهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها
من المغرب حيث اتى بالفاء الفصيحة عن كلام مقدر يناسب المقام كانه قال لا يجديك
هذا التلبيس في المادة المذكورة فان الله تعالى متفرد بفعل لا مجال للتلبيس في معارضته
فيه ولا مجال له لان يقول ان ليس من فعل ربك يحصل كما انه ليس من فعلي لانه ليس ممن ادعى
بل معترف بالحاجة في العالم الى الرب ولهذا يدعي الربوبية فبهت الذي كفر يقال بهته اي
حيره والبرهان على انشاء هو الافتراء الذي يحيره اي انقطع في هذا الالزام الظاهر متحيرا
قيل كان انقطاعه في الدليلين جميعا في الاول عند العقلاء وفي الثاني عند الكل فان قيل
هلا قال نمرود لابرهيم عليه السلام فليأت بها ربك من المغرب قلنا لانه خاف لو سأل ذلك
فعل الله لما رأى منه بعض الخوارق فان هذه المحاجة كانت بعد خلاصه عليه الصلوة والسلام
من النار فعلم الملعون ان من قدر على ذلك قدر عليه قال الحق قال الله تعالى وعزتي وجلالي
لاتي بها من المغرب تصديقا لقول خليلي والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا
انفسهم بالامتناع عن قبول الهداية وقيل لا يهديهم محجة الاحتجاج وفيه انه يوهم
ان يكون لنمرود طريق الى المعارضة في الثاني لا انه تعالى لم يهده اليه كما زعمه من قال
ان الله تعالى انساه ذلك نصرة لنبيه او كالذي مر على قرية اصله او رأيت مثل الذي
مر فحذف لدلالة الم تر عليه لان كلتيهما كلمة تعجب ويجوز ان يكون من الكلام المحمول
على المعنى دون اللفظ كانه قيل ارأيت الذي حاج ابرهيم او كالذي مر على قرية وانما
زيد هنا حرف التشبيه لانه سلك طريقة الترقي في التعجب لا يخفى ان قولك هل رأيت مثل
هذا ابلغ من قولك هل رأيت هذا ومن لم يتنبه لهذا الترقي زيادة الكاف واما قصد
التكثير بها فلا يناسب المقام انما المناسب له ما ذكرناه والقرية مجمع الناس من قولك
قريت الماء في الحوض اي جمعته والمراد بها بلدة بيت المقدس وكان بخت نصر البابلي خربها
وهي خاوية ساقطة يقال خوى البيت بكسر الواو يخوي خوى مقصورا اذا سقط وخوى البيت
بالفتح خواء ممدودا اذا خلا فلا يجوز الجمع بينهما والاول متعين للارادة لقوله على عروشها
سقوفها واحدها عرش اي سقطت السقوف ثم وقعت الحيطان عليها كما هو الغالب في
خراب البيوت قال قيل ظاهر الكلام ان المار القائل كان كافرا بالبعث لانتظامه مع نمرود
في سلك واحد ولكلمة الاستبعاد وانتظامه مع ابرهيم عليه السلام في مثل حاله ومن طلب
احياء الموتى يرجح انه كان مؤمنا وقوله انى يحيي هذه استعظام لقدرة المحيي واعتراف

بالعجز عن معرفة طريق الاحياء ولهذا اشتهر انه كان عزيرا وقيل الخضر اراد ان
يعاين احياء الموتى ليزداد بصيرة كما اراد ابرهيم عليه السلام ويؤيد هذا ذكر الله
واضافة الاحياء اليه في قوله هذه الله بعد موتها فانه لو كان الغرض انكار البعث
لكان حقه ان يقول انى يحيى هذه بعد موتها وانى في محل النصب على الظرف بمعنى متى
او على الحال بمعنى كيف والاشارة الى اهل القرية قال القائل هذا القول ثم ربط حماره
ونام فنزع الله تعالى الروح منه مائة سنة فالفاء في قوله تعالى فاماته الله سببية
لا تعقيبية وحماره وعصيره وتينه عنده واعمى الله تعالى العيون عن رؤيته مائة عام
اي فالبثه ميتا مائة عام او فلبث ميتا مائة عام ثم بعثه بالاحياء قال كم لبثت روي انه نادى
مناد من السماء وقيل القائل هو الله تعالى ويأباه الفصل فان حق النظم حينئذ الوصل بالفاء
او ثم قال لبثت يوما او بعض يوم انما تردد لان نومه كان اول النهار وبعث قبيل
الغروب ولم يدر ان ذلك وما بعده وحمل او على الاضراب تكلف مستغنى عنه قال المنادي
بل لبثت مكثت مائة عام فانظر لما كان الامر بالنظر للتنبيه على خارق العادة وكان ذلك
مبنيا على ما تقدم صدر باداة الترتيب والتفريع الى طعامك كان طعامه عنبا او تينا
وشرابك يعني العصير لم يتسنه لم يتغير مع انه في صدد الاخبار عن الشيئين
وذا للضمير الى اقربهما ذكرا لانه اسرع تغيرا فاكتفى بذكر حاله عن ذكر حال قرينه
والمعنى لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه من السنة والهاء اصلية ان قدر لام السنة
هاء وهاء السكت ان قدرت واوا وانظر الى حمارك الامر بالنظر الى الحمار ظاهر في انه
بمرعى منه على هيئته الحمار غير متغير كالطعام والشراب ولما كان بقاؤه حيا بلا ماء و
لا علف ابعد واغرب اعاد فيه الامر بالنظر واخره على طريقة الترقي وقيل والاول
على الحال والاوفق لما بعده ان يكون المعنى كيف تفرقت عظامه ويرد عليه انه لا دلالة
فيه على اللبث مائة سنة فاتى الزيادة في الدلالة وما بعده دون الوجهين فلا ترجيح
من تلك الجهة وفي نظم الامر بالنظر الى الحمار مع الامر بالنظر الى الطعام والشراب دون
الامر بالنظر الى العظام حيث فرق بينهما بقوله تعالى ولنجعلك آية للناس اي فعلنا
ذلك لنبين لك الحال ولنجعلك عبرة للناس ودلالة لهم على البعث اشارة ظاهرة
الى ان الحمار من جملة الباقين كما كان لم يمت مع صاحبه على ما نقل عن السدي وبه اخذ
كثير من المفسرين وانما قلنا ان الواو للعطف على المقدر لان المقام مقام الفصل
للتباين بين الجملتين انشاء واخبارا ومن لم يتنبه له قال اي وفعلنا ذلك لنجعلك آية
فان قلت لا بد للحذف من قرينة قلت نعم وكفى قوله فلما تبين له قرينة له روي انه اتى قومه
على حماره وقال انا عزير فكذبوه فقرأ التوراة من الحفظ ولم يحفظها احد قبله فعرفوه

بذلك وقالوا هو ابن الله وقيل لما رجع الى منزله كان شابا واولاده شيوخ فاذا حدثهم
بحديث قالوا حديث مائة سنة وانظر الى العظام يعني عظام الموتى الذين تعجبت من احيائهم
كيف ننشزها بالزاء المعجمة اي نرفعها من الارض ونردها الى اماكنها من الجسد ونركب
بعضها على بعض وقرئ بغير المعجمة من الانشار وهو الاحياء واحياء العظم جعلها عمادا
للاحياء ولما كان اللحم فضلة لا يتوقف عليه بنية الحيوة نبه عليه بكلمة التراخي في قوله
ثم نكسوها نلبسها لحما وهو مجاز عن سترها به وانما وحد اللحم مع جمع العظام لان
العظام متفرقة متعددة صورة واللحم متصل متحد مشاهدة وكيف منصوب بننشزها
والجملة حال من العظام اي انظر اليها محياة كذا قيل والاوجه ان يكون في موقع البدل من
العظام والتقدير وانظر الى العظام كيفية انشازها على نمط قول الشاعر الى الله اشكو
بالمدينة حاجة وبالشام اخرى كيف يلتقيان اي اشكوها تين الحاجتين كيفية التقائهما
فلما تبين اي الحال على ما دل عليه سياق المقال له قال اعلم ان الله على كل شيء قدير من احياء
الموتى وغيره وعلم من قوله اعلم دون علمت انه متعجب دون شاك وقرئ اعلم على الامر
والآمر مخاطبه واذ قال ابرهيم رب استعطاف بين يدي السؤال ارني كيف تحيي الموتى
كان موقنا به ايقان غيب فاحب ان يوقن به ايقان عيان قال اولم تؤمن الواو للعطف
على مقدر اي تقول ذلك ولم تؤمن باني قادر على احياء الموتى باعادة التركيب والحيوة
قال بلى آمنت ولكن سألت ليطمئن قلبي ليزيد سكونا بتظاهر الادلة ومضامة علم
الضرورة علم الاستدلال فانه لا مجال للتشكيك في الضروريات بخلاف الاستدلاليات والطمأنينة
السكون والمطمئن من الارض ما انخفض منها وحكم خطاب الله تعالى اياه قطع اوهام
الجهال بجوابه كيلا يظنوا به عليه السلام شكا فيه ولقد اجاد فيما افاد من قال الظاهر
انه عليه السلام سال عن كيفية الاحياء لا عن انيته وهي غير معلومة لا بالاستدلال ولا بالضرورة
نعم العلم الاجمالي بان لا بد له من كيفية حاصل وقوله تعالى اولم تؤمن اشارة الى ان العلم
الاجمالي كاف فيما يجب ان يعتقد ويؤمن به في هذا الباب وقوله عليه الصلوة والسلام
في الجواب ولكن ليطمئن قلبي اشارة الى ان العلم الاجمالي التفصيلي اقوى وفيه حظوة
خاصة للعارف وان العيان وراء ما يدل عليه البرهان ومن هذا التقرير يلوح تفاوت
ما بين كلمتي الخليل وعزير عليهما السلام قال فخذ اربعة من الطير قال في المغرب الطير اسم
جمع مؤنث وقد يقال للواحد عن قطرب وكذا حكاه ثعلب عن ابي عبيدة وجمعه طيور
وعليه قول محمد في المحرم يذبح الطير لمسرول وانما خص الطير من بين ساير الحيوانات لان
للطاير ما للساير وله زيادة الطيران ولانه هوائي ومائي وارضي فكانت الاعجوبة في
احيائه ولهذا قال عيسى عم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فصرهن اليك املهن

واضممهن اليك لتتأملها وتعرف شأنها لئلا يلتبس عليك بعد الاحياء وقرأ ابن عباس
رض فصرهن بضم الضاد وكسرها وتشديد الراء من صره اذا جمعه ثم اجعل على كل جبل
منهن جزءا اي ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال وعبارة كل في مثل هذا للمبالغة كما
في قوله ع واوتيت من كل شيء فلا حاجة الى تقييد الجبال بالتي بحضرتك ثم ادعهن قل لهن
تعالين باذن الله تعالى ياتينك سعيا اسراعا في مشيهن على ارجلهن او في طيرانهن والتجوز
في سعيا على المبالغة كما في عدل في رجل عدل روي انه عم امر بان يذبحها وينتف ريشها
ويقطعها فيمسك رؤسها ويخلط ساير اجزائها ويوزعها على الجبال ثم يناديهن ففعل
كذلك فجعل كل جزء الى الآخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤسهن وفيه
دلالة على يمن الضراعة في الدعاء وحسن الادب في السؤال وعلى فضل ابرهيم عم على عزير عم
حيث اراه في الحال ما اراد ان يراه على ايسر الوجوه واراه عزيرا عم بعد ان اماته مائة
عام واعلم ان الله عزيز لا يعجز عن شيء بل يتصرف في كل شيء بالقدرة الغالبة حكيم ذو حكمة
بالغة في افعاله فلا يصدر عنه خوارق العادات الا قدر ما يقتضيه الحكمة البالغة مثل الذين
ينفقون اموالهم في سبيل الله اي على وجه يتوسل به الى رضائه تعالى كمثل حبة اي مثل نفقة
الذين كمثل حبة او مثل الذين كمثل باذر حبة واعتبار حذف المضاف وتقديره في جانب المشبه
او المشبه به ليحصل ملايمة المثل للممثل وان كان التشبيه من المركب الذي لا عبرة فيه بتشبيه
المفردات انبتت الانبات فعل الله تعالى وانما اسند الى الحبة مجازا لكونها من الاسباب سبع
سنابل ابرد جمع الكثرة في موضع تمييز السبع مكان جمع القلة وهو سنبلات وقد جرى
لوجيه في ثلث قروء في كل سنبلة مائة حبة يعني يخرج منها ساق يتشعب منه سبع
شعب لكل منها سنبلة فيها مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضي وقوعه على انه قد يكون في الذرة
والدخن وغيرها في الارض المغلة والله يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء من المنفقين
لا لكل منفق لتفاوت احوالهم ونياتهم في اعمالهم ومن اجل ذلك تفاوتت الاعمال
في مقادير الثواب والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة عليم بنية المنفق
وقدر المنفق الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله نزلت في عثمان رض فانه جهز جيش
العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف رض فانه اتى النبي صلعم
باربعة الاف درهم صدقة ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى المن ان يعتد باحسانه
على من احسن اليه والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما انعم عليه والتنكير في الموضعين
للتقليل وثم للتراخي في المعطوف باعتبار الانتهاء وفائدته الدلالة على لزوم الاستمرار على
عدم اتباعهم ما انفقوا بالمن والاذى في استحقاق الاجر المذكور ومن لم ينتبه لهذه الدقيقة
الانيقة قال انها للتفاوت بين المعطوفين لهم اجرهم قيل لعله لم يدخل الفاء فيه وقد

تضمن ما اسند اليه معنى الشرط ايهاما بانهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا
وبيان الفضل عن الفرق بين مطلق الثواب والذى يعطى اجرا فان الثانى لا يتصور بدون
العمل عند ربهم اى مهيئا محفوظا لا يحتمل الضياع ولا الم لانتظار لتحصيله وقت الحاجة ولا
خوف عليهم من العذاب والتنكير للتقليل ولا هم يحزنون لنقصان فى الثواب قول معروف
اى كلام جميل فى رد من التمس منك صدقة ومغفرة اى تجاوز عنه اذا سال السوال او ستر
عليه حاله فلا تعيّن بفقره ولا تهتك ستره عند الناس له اعرابى قوما بكلام فصيح فقال له قائل
ممن الرجل فقال اللهم غفرا سوء الاكتساب يمنع من الانتساب خير من صدقة يتبعها اذى
خبر عن مجموع القول الموصوف والمغفرة والتوصيف مما يصحح الابتداء بالنكرة والعطف
على المختص مختص والله غنى عن كل شئ من صدقة وغيرها وانما دعاكم اليها لينفعكم
حليم لا يعاجلكم بالعقوبة على سوء صنيعكم فى معاملتكم مع الفقير خصوصا مع الفقراء
السائلين وعيد شديد وسخط بليغ كما ورد فى الحديث القديم نعوذ بالله من غضب الحليم
يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم لا تحبطوا اجرها وتخصيص الخطاب بالمؤمنين لعدم
الاحتمال للابطال فى صدقات غيرهم لانه فرع الاستحقاق للاجر وهو مفقود فيها بالمن والاذى
اى لا بذاكره لا بمن ذى كالذى اى مماثلين الذى ينفق ماله رياء الناس تشبيه من جهة المعنى
فان ما تقدم فى معنى لا تضيعوا اموالكم بصدقات بالمن منوية وبالاذى مصحوبة
وهذا فى معنى كالذى ضيع ماله بالانفاق ريا، والمشبه به اقوى لانه ضيع ماله ابتداء
فى وهم انه فيه ابطالا فقد وهم والريا، مصدر را اى من الرؤية وهو ان يرى الناس
ما يفعل من حسن الترحم يثنوا عليه ويعظموه ويظنوا انه من اهل الخير وممن ينفق لوجه
الله تعالى وانتصب رياء على انه مفعول له او الحال بمعنى مرائيا او مصدر اى انفاقا رياء
ولا يؤمن بالله ولا باليوم الاخر اى لا يعتقد لا بالمبدا، ولا بالمعاد فلا حاجة فى زعمه الى الزاد
وانما قيده به مع تمام الغرض من التشبيه بما تقدم فانه لا ثواب للانفاق ريا، وان كان
المنفق مؤمنا تغليظا فى الزجر للمنفق المؤذى المنان وايماء الى ان تلك الحال لا تليق بمن
يعتقد بالمعاد والاحتياج الى الزاد واما تخصيص المراد من المشبه به بالمنافق فلا يقتضيه
المقام ولا قرينة له فى الكلام فمثله اى فما كان حال المنفق ريا، كذلك فمثله كمثل صفوان حجر
املس عليه تراب تقديم الجار والمجرور لان بيان مدلوله اهم فاصابه وابل اى مطر شديد
الوقع كبير القطر فتركه صلدا املس نقيا من التراب لا يقدرون على شئ مما كسبوا استيناف
كانه قيل ما بال المنفقين ريا، مثلوا بالصفوان المذكور فقيل لا يقدرون الا لا ينتفعون
بشئ منه وكما على هذا لا حاجة الى التاويل بان الذى ينفق فى معنى الجمع او بان من والذى
يتعاقبان انما الحاجة اليه على تقدير ان يكون لا يقدرون حالا من الذى ينفق والله لا يهدى

القوم الكافرين اى لا يوفقهم بعد الهداية حتى يهتدون فالهداية فى حقهم فى حكم
المعدوم وعلى هذا قوله تعالى هدى للمتقين والا فالهداية الى الخير والرشاد يعم الفريقين
لقوله تعالى وهديناه النجدين وقوله تعالى انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا وفيه
تعريض بان الريا، والمن والاذى على الانفاق من اخلاق اهل الكفر والنفاق فلا بد للمؤمن
ان يتجنب عنها ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله اى لطلب رضاه وتثبيتا
من انفسهم كلمة من اما للتبعيض كما فى قولهم هز من عطفه اى ليثبتوا بعض انفسهم فان
من بذل ماله لوجه الله تعالى فقد ثبت بعض نفسه لان المال شقيق الروح ومن بذل ماله
وروحه معا فقد ثبت كلها واما للابتداء الغاية كما فى قوله تعالى حسدا من عند انفسهم اى
تثبيتا للايمان صادرا من انفسهم لان الانفاق امارة ان الايمان من اصل النفس ويحتمل
ان يكون المعنى وتثبيتا من انفسهم عند المؤمنين انها صادق الايمان مخلصة فيه ويعضده
قراءة مجاهد وتبيينا من انفسهم وهذا يمشى على التبعيض والابتداء، وفيه تنبيه على ان
حكمة الانفاق تزكية المنفق نفسه عن البخل وحب المال فانه راس كل خطيئة كمثل جنة بربوة
بموضع مرتفع من الارض والربو الزيادة ومنه الربوا واصابه ربو اذا ازداد نفسه فى جوفه
على عادته اى ومثل نفقة هؤلاء فى الزكا كمثل بستان بموضع مرتفع فان شجره يكون احسن
منظرا وازكى ثمرا وقرئ كمثل حبة بوه بربوة بالحركات الثلث اصابها وابل قد مر تفسيره
فاتت اكلها اى اعطت وحذف المفعول لان المقصود ذكر ما تثمر اكلها الاكل بالضم الطعام
اى الذى يؤكل والمراد الثمرة ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل وانتصابه على الحال اى
مضاعفا والضعف يراد به الواحد كما يراد بالزوج قال الله تعالى من كل زوجين اثنين
وقيل اربعة امثال ونسبة الايتاء اليها مجازية والفاء سببية فان لم يصبها وابل فطل اى
فمطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها ولطافة هوائها والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند
الله تعالى لا يضيع بحال وان كانت تتفاوت باعتبار ما ينضم اليها من احوال او مثل حالهم عند
الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل وكما ان كل واحد من المطرين
يضعف اكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت او قليلة بعد ان يطلب بها وجه الله تعالى وبذل له
فيه الوسع زاكية عند الله تعالى زايدة فى زلفاتهم وحسن حالهم والله بما تعملون بصير
ترهيب عن الريا وترغيب فى الاخلاص وانما قال بصير دون خبير تنزيلا لسرائرهم منزلة
الظواهر لعدم التفاوت بالنظر الى الله تعالى ايود احدكم الهمزة فيه للانكار ان يكون له
جنة من نخيل واعناب النخيل جمع نخل كالعبيد جمع عبد يكون واحدا فيذكر قال تعالى
اعجاز نخل منقعر ويكون جمعا للنخلة كالنمل جمع نملة فيؤنث قال تعالى اعجاز نخل خاوية
والاعناب جمع عنب تجرى من تحتها اى من تحت تلك الاشجار الانهار الجارى فى الحقيقة

مبا ؤها فلا بد من التجوز في المسند او في الاسناد وبالماء نماؤها وبها ؤها له فيها
اى في تلك الاشجار من كل الثمرات كلمة كل للمبالغة في التكثير لا للتحديد والمراد من
الثمرات المنافع وقيل ضمير فيها للجنة جعلها من النخيل والاعناب مع ما فيها من ساير
الاشجار على تغليبا لهما لشرفهما وكثرة منافعهما ثم ذكر ان فيها كل الثمرات ليدل
على احتوائها على ساير انواع الانواع الاشجار وعلى هذا يكون له فيها اى صفة اخرى
للجنة من قبيل الصفة الاولى ولا يلتبسه الفصل بينهما بقوله تجرى من تحتها الانهار
اما اذا كان الضمير للاشجار فظاهر واما اذا كان للجنة فلانه صفة من جنس اخر واصابه
الكبر اى كبر السن واصابة كناية عن العجز عن الكسب فان الفاقة والعالة في زمان العجز
عن الكسب اشد والواو للحال او للعطف حملا على المعنى فكانه قيل ايود احدكم لو كانت
له جنة واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء صغار لا قدرة لهم على الكسب فاصابها اعصار
عطف على اصابه او على يكون على اعتبار المعنى والاعصار ريح عاصفة تنعكس من
الارض الى السماء ملتفة في الهواء حاملة للتراب مستديرة كالعمود فيه نار فاحترقت
اى الجنة بالنار فصارت ثمرها الى الذهاب واصلها الى الخراب فكما بقى هو وذريته في
الحسرة لتقطع الاسباب فكذا الكافر والمنافق والمرائى والمنان والمؤذى يتحسرون
على صدقاتهم يوم يقوم الحساب حين فاتهم الثواب وحق عليهم العذاب كذلك
يبين الله لكم الايات بضرب الامثال لانه اوضح بيانا لما فيه من تصوير المعقول بصورة
المحسوس المشاهد عيانا لعلكم تتفكرون اى تتفكرون فيها والتفكر فيها كناية عن الاعتبار
بها يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم الطيب وراء الحلال لان الحل جامع الكرام
والطيب ما لا حظر فيه لا بسبب الحرمة ولا بسبب الكراهة وما كسبتم ينتظم انواع ما يملك
باسباب الكسب من التجارة والزراعة وغيرهما ومما اخرجنا لكم من الارض يعني بلا مؤنة
كسب منكم دل على ذلك اضافة الاخراج الى نفسه تعالى دون المنفقين وقد اضاف قرينه اليهم
والمراد منه المباحات التي ملكوها بالاحراز ولا حاجة فيه الى قيد الطيب لعدم الحظر
فيه بوجه من الوجوه ولهذا قال تعالى ومما عطفا له على الطيبات دون ما عطفا له على مدخولها
ومن لم يتنبه لهذا قال اى ومن طيبات ما اخرجنا لكم من الحبوب والثمر والمعادن فحذف
المضاف له لتقدم ذكره ولم يدر انه ح حقه عدم زيادة من كيلا يحتاج الى التقدير ولا
يخفى انه من قبيل التطويل المخل بالبلاغة لا من قبيل الاطناب المفيد ولا تيمموا الخبيث اى
ولا تقصدوه وهو ابلغ من ولا تنفقوا الخبيث ومعناه الردى وخبث الفضة الحديد
ما نفاه الكير لانه يتبغى لردى وهو ينتظم الحرام والمكروه منه تنفقون في محل النصب على
الحال والضمير البارز للخبيث وتقديم الجار والمجرور للتخصيص اى تخصون بعضا منه

بالانفاق لان شح النفس وحب المال يقتضى تخصيص شيء خبيث الردى وما يشبهه حاله بالانفاق
وهو مناف لفضيلة البر قال الله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وفيه توبيخ وتعيير
وتعريض بما كانوا يفعلون ويجوز ان يكون الضمير المذكور لمجموع المكسوب والمخرج كما في قوله
كانه في الجلد توليع البهق وتنفقون حال مقدرة من فاعل تيمموا ولستم باخذيه للاخذ
كناية عن الاختيار ضرورة انه ماخوذ حقيقة لما عرفت انه مكسوب ومخرج اى وحالكم انكم
لا تختارونه لا نفسكم لرداءته الا ان تغمضوا فيه اى لا تتسامحوا في اخذه مجاز من اغمض بصره
اذا غضه وقرئ تغمضوا اى تحملوا على الاغماض وتوجدوا مغمضين روى انهم كانوا يتصدقون
بحشف التمر وشراره فنهوا عنه واعلموا ان الله غنى عن انفاقكم وانما يامركم به لانتفاعكم
حميد مستحق للحمد على الامر بذلك مع استغنائه عنه لينفعكم ذلك في الدارين الشيطان
يعدكم الفقر في الانفاق والوعد على الاطلاق يستعمل في الخير كالوعيد في الشر ويستعمل في
الشر ايضا اذا قيد بما به ويامركم بالفحشاء يغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الامر
للمامور والفاحش عند العرب البخيل والله يعدكم في الانفاق مغفرة لذنوبكم والضمير
في منه لله تعالى وفضلا وان لم يخلف عليكم افضل مما انفقتم في الدنيا اوثوابا في الآخرة
والله واسع اى واسع الفضل لمن انفق عليم بانفاقه يؤتى الحكمة يوفق للعلم والعمل به
من يشاء مفعول اول اخر للاهتمام بالثاني ومن يؤت الحكمة بناء للمفعول لانه المقصود
وقرئ بالكسر اى ومن يؤته الله تعالى فقد اوتى خيرا كثيرا التنكير للتعظيم كانه قال فقد اوتى
اى خير كثير وما يذكر اى وما يتعظ بما ذكر من الايات الا اولوا الالباب ذووا العقول الخالصة
عن شوائب الوهم والركون الى الهوى والمراد به الحث على العمل بما تضمنت به الاى في معنى الانفاق
وما انفقتم من نفقة قليلة او كثيرة سرا او علانية في حق رياء او لوجه الله تعالى او باطل او
نذرتم من نذر بشرط او بغير شرط في طاعة او معصية فان الله يعلمه وعد ووعيد على
ابلغ وجه لان العلم في مثل هذا المقام كناية عن العمل بموجبه فلذا يقال فلان لا يعلم الاحسان
اى لا يعمل بمقتضاه وما للظالمين الذين يمنعون الصدقات او ينفقون اموالهم رياء او
مع المن والاذى او لا لوجه الله تعالى وابتغاء مرضاته او يخصون الانفاق بالخبيث الردى او
ينفقون في المعاصي او لا يوفون بالنذور او ينذرون في المعاصي فان الظلم وهو الاصل
وضع الشيء في غير موضعه المستحق له عبارة جامعة لهذه الاحوال كلها من انصار ينصرهم من الله
تعالى ويمنعهم من عقابه والعدول عن نفي المفرد وهو ابلغ من نفي الجمع بحسب جليل النظر رعاية
لمقابلة الجمع بالجمع والتوزيع اى لا ناصر لظالم قط وهذا ابلغ بحسب دقيق النظر ان تبدوا الصدقات
فنعما هي ما نكرة غير موصولة ولا موصوفة اى فنعم شيئا ابداؤها فوضع هي موضع ابداؤها اى
الصدقات المبداة وان تخفوها وتؤتوها الفقراء اعتبر هذا القيد هنا ولم يعتبره فيما سبق

ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا من كلمة شرط وسقطت الياء من اوتى يؤت للجزم بها وجزاء الشرط فقد اوتى خيرا كثيرا اى اعطى ذلك
وكثرت الاقاويل في تفسير هذه الحكمة فقال ابن عباس هي علم القرآن وقال زيد هي علم الدين وقال السدى هي النبوة وقال مجاهد هي الاصابة
وقال ابو العالية هي الفهم وقال الربيع هي الخشية وقيل هي العلم بوسوسة الشيطان والتمييز بينها وبين الملك وقيل هي المعرفة بالله
تعالى وقال ابن عباس هي تفسير علم القرآن والعمل به وقيل السنة وقيل فهم اسرار القرآن وقيل الفقه ومرت الاقاويل في تفسير قوله تعالى
ويعلمهم الكتاب والحكمة وقال القشيري الحكمة ان يحكم عليك داعي الحق لا خاطر النفس وان يحكم عليك قواهر الزمان لا زواجر الشيطان
وقيل هي ان لا يحكم عليك رعونات النفس ومن لا حكم له على نفسه لا حكم له على غيره وقال ابو بكر الحكمة موافقة امر الله تعالى والسفه مخالفة
امره والحكمة شهود الحق والسفه شهود الخلق وقوله تعالى وما يذكر الا اولوا الالباب اى وما يتعظ بما وعظ الله تعالى الا اولو العقول
السليمة ولا يتناول هذا الخطاب كل مكلف
وان لم يتعقل عقله بهواه لم ينتفع

اذ لا تأثير له ثم فان الصدقة تعم ای سواء كانت للفقير او للغني انما تبرك في كونه اخفاؤها خيرا من ابدائها وذلك عند كونها للفقير لما فيه من ستر حاله وصونها عن شوب الريا فانه لا بد منه اذا كانت لوجه الله تعالى وذلك اذا كانت للفقير واما اذا كانت للغني فلا يكون لوجه الله تعالى فلا حاجة الى الصون المذكور ولا الى الستر المزبور فهو اى فالاخفاء مع اصابة موضع الاستحقاق خير لكم هذا في المندوبات واما في الواجبات فالاظهار افضل من سرها عن ابن عباس رضه صدقات السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا وانما كان اظهار الفرائض افضل لنفي التهمة حتى اذا كان المزكي ممن لا يعرف باليسار كان اخفاؤه افضل والمتطوع ان اراد ان يقتدى به كان اظهاره افضل والاعمال بالنيات ونكفر عنكم قرئ بالنون مرفوعا عطفا على ما بعد الفاء فيكون جملة فعلية في حكم الجزاء او على انه خبر مبتدأ محذوف اى ونحن نكفر او على انه جملة فعلية مبتدأة ومجزوما عطفا على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط وقرئ ويكفر بالياء مرفوعا والفعل لله تعالى او للاخفاء وتكفر بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات وقرئ بالياء والنصب باضمار ان ومعناه وان تخفوها يكن خيرا لكم وان يكفر عنكم من سيئاتكم من للتبعيض اى يكفر بعض سيئاتكم وذلك لان ما هو من حقوق العباد لا يتعلق به المغفرة بدون ارضاء الخصم قال الامام المطرزي في المغرب الكفر في الاصل الستر يقال كفره وكفّره اذا ستره ومنه الحديث في ذكر الجهاد هل ذلك مكفر عنه خطاياه يعنى هل يكفر القتل في سبيل الله تعالى ذنوبه فقال نعم الا الدين اى الا ذنب الدين فانه لا بد من قضائه والله بما تعملون خبير فلا يتفاوت لاظهاره والاسرار وفيه ترغيب في الاسرار ليس عليك هديهم اى لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى امتثال ما امروا به والانتهاء عما نهوا عنه من المن والاذى والرياء والانفاق من الخبيث وغير ذلك مما هو وما عليك الا ان تبلغهم فحسب ولكن الله يهدى من يشاء استدراك عما يقتضيه الكلام السابق وينتظم به من تعليله كانه قيل لانك لا تقدر عليه ولكن الله قادر على الهداية المنجية عن الضلال فيخص بها من يشاء وفيه دلالة على ان الهداية الموصلة الى البغية من الله تعالى وبمشيئته وانما انها مخصوصة بقوم دون قوم فهو اظهر مما لا يخفى من الله والحاجة الى الدلالة فيما يشتبه فيه الحال وما تنفقوا من خير فلانفسكم اى فانتم تنتفعون به وانما قال من خير دون من مال لانه اذا لم يكن طيبا لا ينتفع به المنفق بل يتضرر فالعبارة المذكورة ضمنها الاشارة الى النهى عن انفاق المال الخبيث وعلى المن على الغير والاذى له على ابلغ وجه واما انه لا ينتفع به غيركم فلا يقتضيه المقام ولا هو المناسب لان يقصد بالكلام المذكور وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله حال

كانه قال وما تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فلانفسكم غير منفقين الا لابتغاء وجه الله تعالى وطلب ثوابه وما تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فلا تتركوه وانفقوا من احسن الاموال على احسن الوجوه فهو تأكيد للشرطية السابقة او ما يخلف للمنفق استجابة لدعوة الملك القائل اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا روى ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار وارضاع في اليهود وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لما اسلموا ان ينفقوهم فنزلت واختلف في الواجب فجوز ابو حنيفة صرف صدقة الفطر الى اهل الذمة وأباه غيره وانتم لا تظلمون جملة حالية اى لا تنقصون شيئا مما وعدتم من الثواب جزاء لاعمالكم فان نقص الاجر الموعود ظلم وان لم يكن نقص الثواب مطلقا ظلما للفقراء الجار متعلق بمحذوف تقديره اعمدوا للفقراء او اجعلوا نفقتكم للفقراء كقوله في تسع آيات اى اذهب في آيات او خبر مبتدأ اى صدقاتكم للفقراء الذين احصروا في سبيل الله احصرهم الجهاد والاحصار منع النفس عن التصرف لا يستطيعون ضربا في الارض ذهابا فيها للكسب يقول ضربت في الارض ضربا اذا سرت فيها اى يكرهون المسير لاجل لئلا يفوتهم صحبة رسول الله صلعم والخروج في سرية وهذا كقوله تعالى لا يستطيعون سمعا اى يكرهون سماعه ولهم الآيات السماع ولا يخفى ان هذا المعنى ابلغ في وصفهم مما قيل لا يستطيعون لاشتغالهم بالجهاد وقيل هم اهل الصفة وكانوا نحوا من اربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والعبادة وافوا بهم من فضل الاغنياء وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله صلعم يحسبهم الجاهل بحالهم اغنياء وانما قال من التعفف اى من اجل تعففهم عن السؤال دفعا لاحتمال ان يكون حسبانه من الاغنياء لكونه من الاغبياء وفي اطلاق اسم الجاهل عليه على الاطلاق ما لا يخفى من الذم وذلك الاستخفاف لان الغافل عن حالهم لا يكون من اهل الصحبة والوفاق والتعفف تفعل من العفة يقال عف عن الشيء اذا امسك عنه وتنزه عن طلبه تعرفهم الخطاب لمن يسمع التوصيف بعرفانهم من الاصحاب رضه ومن حذى حذوهم في سلوك الصواب بسيماهم بعلاماتهم من صفرة الوجه ورثاثة الحال لا خفاء في ان لسان الحال انطق من لسان المقال وبيان الدلالة اصدق من بيان العبارة فالعارف يعرفهم برثاثة الحال والجاهل يستدل بعدم السؤال ومعنى لا يسألون الناس الحافا نفي السؤال والالحاف جميعا كقولهم لا ترى الضب بها ينجحر اى لا ضب فيها ولا انجحار ولا يخفى ان هذا المعنى ادخل في التعفف وفي ان يحسبوا اغنياء فيكون انسب للمقام واجلب لمزيد حسن في الكلام وفي هذا النوع من التركيب دقيقة انيقة وهي انه لما جعل نفي الاول تمهيدا لنفي الثاني جعل الاول ايضا لا نزاع اذ من حق الدليل ان يكون اوضح من المدلول ولهذا قال ابن عباس رضه في تفسيره لا يسألون

الناس الحافا ولا غير الحاف وقيل نزك غير الالحاف ذكرا الايماء الى اطلاق السوال عند

الحاجة ورفع الاثم عمن فعله مضطرا والالحاف لزوم السوال من اللحاف الذي يلازم

الملتحف به والجمل الاربع بعد القبلة مترتبة عليها بمنزلة البيان لها فلا سبيل للعاطف

بينهما لشدة اتصال كل منهما بالاخرى وما تنفقوا من خير فان الله به عليم ترغيب في

الانفاق لان علم الله تع به كناية عن الحلم انه لا يضيع ولهذا زاد قوله من خير فانه اذا ربى

علم الله تع حقيقة يكون بذلك الزيادة خلوعن الافادة الذين ينفقون اموالهم بالليل و

النهار سرا وعلانية اي يعمون الاوقات والاحوال بالصدقة لحرصهم عليها فكلما نزلت بهم

حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروها ولم يتعللوا بوقت ولا حال نزلت في ابي بكر

الصديق رض وقيل في علي كرم الله وجهه وقيل نزلت في علف الخيل ورباطها في سبيل الله

تعالى فلهم اجرهم عند ربهم اي موفرا عن الضياع خبر الذين واذا اريد كون الصلة سببا

لحصول الخبر للموصول ضمنت معنى الشرط وادخل الفاء في الجزاء وان لم يقصد ذلك فلا كقوله تع

الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لهم اجرهم عند

ربهم وقيل للعطف والخبر محذوف اي ومنهم الذين ولهذا جوز الوقف على قوله وعلانية

ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قد مر تفسيره الذين ياكلون الربوا اي يتمتعون به فان

التعبير بالاكل عن مطلق التمتع على طريقة العبادة من كل وجوه الشي يجعلها شايع في الالسنة

كلها كتب الربوا بالواو على لغة من يفخم كما كتب الصلوة والزكوة وزيدت الالف بعدها

تشبيها لها بواو الجمع لزيادة التفخيم ومعناه لغة الزيادة المطلقة وشرعا الزيادة في

القدر او في الاجل على الوجه المذكور في كتب الفقه لا يقومون يوم القيام الا كما يقوم الذي

يتخبطه الشيطان الا قياما كقيام الذي يتخبطه المفسد من الجن والخبط الضرب باليد كيف

يقع والوضح بالرجل والدس بالركبة والتخبط تكلف الخبط والمراد الزيادة فيه من المس

يتعلق بيقوم او يتخبط والمس الجنون يقال مس على ما لم يسم فاعله فهو ممسوس كما يقال

جن فهو مجنون والجنون قد يكون بضرب الشياطين من الجن ولذلك سمي مجنونا وهو تسليط

الله تعالى اياهم على الناس كما يسلط عليهم بعض الدواب والسباع وله ان يفعل في ملكه

ما يشاء اي لا يقوم اكل الربوا عن قبره في يوم القيمة الا كالذي ضربه الجن فخبله فصار

كالمصروع فهو يقوم ويسقط ليس كساير الناس لانهم يخرجون من الاجداث سراعا وهذه

عقوبة لهم بها يعرفون يومئذ وقد ثقل بطونهم ما اكلوه من الربوا ذلك بانهم قالوا انما

البيع مثل الربوا اي ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربوا والبيع في سلك واحد وقاسوا

احدهما على الاخر يعني ان البيع يكون مثل الربوا في اشتماله الفضل ولو كان ذلك سببا للحرمة

لحرم البيع لكنه حلال فثبت انه ليس سببا للحرمة فالربوا ليس بحرام وشبهتهم ان بيع السلم وغيره

قد يكون المشتري فيه بدرهم يساوي درهمين فيكون اذكى من الربوا ومن لم يثبته

لما قررناه زعم انهم بالغوا في وصف اعتقادهم حل الربوا حتى جعلوه اصلا في الباب

وشبهوا البيع به مع ان الكلام في الربوا والبيع اصل في الحل على طريقة قولك عرو بلده

مغبرا رجاؤها كان لون ارضها سماؤها بالغ في وصف السماء بالاغبرار حتى شبه

الارض بها وفي التعبير عن اعتقادهم هذا بالقول ما لا يخفى من المبالغة في انه لا حقيقة

له اصلا ثم انكر تسويتهم بقوله واحل الله البيع وحرم الربوا وفيه دلالة على ان القياس

يهدمه النص حيث نقل قياسهم وابطله بمجرد القول المذكور من غير تعرض لفساد القياس

من حيث ان الفضل في الربوا محقق وفي البيع متوهم واما ما قيل هو ابطال للقياس لمعارضته

النص فيرد عليه انهم قاسوا قبل ورود النص الفارق بينهما فلا معارضة وقتئذ فمن

جاءه موعظة من ربه فمن بلغه وعظ من الله تعالى وزجر بالنهي عن الربوا وفي عبارة الرب

ايماء الى انه تعالى يربي عبده بفضله بلا توقف على كسبه كيف قدرناه وهو جنين فحقه ان

لا يتجاوز في طلب الكسب عن حد الرخصة فانتهى وانقطع به وتبع النهي فله ما سلف اي

فلا يواخذ بما مضى منه وله ما اخذ لانه قبل نزول التحريم وما في موضع الرفع بالظرف

ان جعل من موصولة وبالابتداء ان جعلت شرطية على راي سيبويه اذ الظرف غير

معتمد على ما قبله وانما ذكر فعل الموعظة لان تانيثها غير حقيقي مع ان فيه فاصلا فلا

حاجة الى التاويل بانها في معنى الوعظ وامره في ذلك الى الله يحكم في شانه بما يشاء يوم

القيمة لا اليكم فلا تطالبوه بشي ومن عاد الى الربوا بعد النهي عنه فاولئك اصحاب النار

لاصرارهم عليه هم فيها خالدون لانه اذا اعتقدوا حله لانه كفر والكفر يوجب الخلود في النار

يمحق الله الربوا المحق نقصان الشي حالا بعد حال حتى يذهب كله كما في محاق الشهر وهو

حال آكل الربوا فان الله تعالى يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه ويربي الصدقات

اي ينمي ويزيدها بان يضاعف عليها الثواب ويزيد المال الذي اخرجت منه ويبارك فيه

وفي الحديث ما نقصت زكوة من مال قط لا يقال الكلام في ارباء ما يتصدق به وهذا

ليس منه لانا نقول وقوع زيادة المال والبركة فيه بسببه فضلة تزيد وارباء كتضاعف

الثواب بسببه والله لا يحب عدم المحبة كناية شايعة عن البغض كل كفار باستحلال الربوا

اثيم باكله بدون المبالاة يحمل على التعميم بعد السلب حتى يكون سالبة كلية دون العكس اذ

حينئذ يكون رفع الايجاب الكلي وهو لا يناسب المقام ولا يبعد فيما ذكرنا لان القيد المقدم

ذكرا قد يعتبر مؤخرا معنى وفي صيغة المبالغة تغليظ بليغ في شان المستحل للربوا والمقيم

من الايمان يتجدد كفر في كل آن ان الذين آمنوا بالله ورسله والايمان بالرسول لا يتم

الا بالايمان بجميع ما جاء به منه تعالى وعملوا الصالحات من الفرائض والواجبات والمندوبات

واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة عطفهما على ما يعمهما لفضلهما على سائر الاعمال الصالحة
لكونهما امّي العبادات البدنية والمالية لهم اجرهم عند ربهم قد مر تفسيره لا خوف عليهم
من آت ولا هم يحزنون على ما فات يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا واتركوا ما بقي
من الربوا بقايا ما شرطتم على الناس منه وقرئ الحسن ما بقى بقلب الياء الفا على لغة طي وعنه
ما بقي بياء ساكنة ان كنتم مؤمنين بقلوبكم فان دليله امتثال ما امرتم به وفي اطلاق مؤمنين
الذكر عن القيد المذكور دلالة على ان المؤمن حقيقة من آمن بقلبه روى انه كان لثقيف
وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا فنزلت فان
لم تفعلوا لم يرد مطلق الترك بل يريد الترك في ضمن الابراء فلهذا قيل لم تفعلوا دون
لم تتركوا فأذنوا بحرب فاعلموا بها من اذن بالشيء اذا علم به وقرئ فآذنوا اي فاعلموا
غيركم من الاذن وهو الاستماع لانه من طرق العلم وقرئ فايقنوا وهو لقراءة العامة
والتنكير في حرب للتعظيم من الله ورسوله الحرب يكون من الرسول صلعم بامر من
الله تعالى فذكره تعالى للتمهيد وحرب منه ابلغ من حربه لما في التنكير من التهويل اي بنوع
من الحرب لا يقبل التعريف لعظم شانه وذلك يقتضي ان يقاتل المربي بعد الاستتابة
حتى يفيء الى امر الله تعالى كالباغي ولا يقتضي كفره روى انها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي
لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتباء ومن زاد على هذا قوله واعتقاد حله فكانه
غفل عن قوله بان سياق الكلام لا يقتضي كفره فان قلت اليس يفهم من قوله فلكم رءوس
اموالكم اصولها واما الارباح فطوارئ عليها لا تظلمون باخذ الزيادة ولا تظلمون
بالنقصان والمطل انهم ان لم يتوبوا فليس لهم رءوس اموالهم قلت ذلك وهم سبق
الى فهم من قال انه ح يكون مالهم فيئا للمسلمين وتبعه القائل وهو سديد على ما قلنا
اذ المقتصر على التعليل مرتد والحق ان الظاهر منه بطريق المفهوم هو انه ان لم يتوبوا لا يصل
ايديهم الى رءوس اموالهم وذلك لانهم يقتلون ح كما يقتل الباغي وان كان اي وجد
غريم ذو عسرة وقرئ ذا عسرة اي وان كان الغريم ذا عسرة فنظرة الى اي فالحكم نظرة
او فليكن نظرة او فعليكم نظرة وهي الانظار وقرئ فناظرة على الخبر اي فصاحب الحق ناظرة
بمعنى منتظرة او صاحب نظرة على طريق النسب وعلى الامر فامهله بالنظرة الى ميسرة
قرئ بضم السين وفتحها وهما لغتان بمعنى يسار وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند
الاضافة وان تصدقوا بالابراء خير لكم اكثر ثوابا من الانظار لقوله عم او خير مما
تاخذون لمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل المراد بالتصدق الانظار لقوله عم لا يحل دين
رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة بعث لهم على التصدق بالدين كله او بعضه
على من اعسر من غرمائهم او على الامهال الى وقت اليسار ان كنتم تعلمون كنى بالعلم عن العمل

لانه اذا كان نافعا فلما يتخلف عن علمه فهذه الكناية باعتبار مبناها تاكيد لما تقدم
من الخبر به على ابلغ وجه ومن لم يتنبه لهذا قال في تفسيره ما فيه من الذكر الجميل والاجر الجزيل
ثم انه لم يدر ان الذكر الجميل لا يصلح وجها للحث على الصدقة اذا كان الحث من الله تع لان
الصدقة المرضية عنده تعالى ما لا يشوبها غرض دنيوي واتقوا يوما يوم القيمة والتعظيم
والاشارة الى انه لا يقبل التعريف ترجعون من الرجوع وقرئ بفتح التاء وكسر الجيم من الرجع
وقرئ بالياء على الالتفات فيه الى الله للحساب والجزاء ثم توفى كل نفس ما كسبت
اي احرزت من جزاء الاعمال الموعود فان الكناية بالكسب عن الاحراز شائع في الالسنة كلها
وانما وصفنا الجزاء بالموعود لان الظلم بنقص الثواب انما يكون بذلك الاعتبار وهم لا يظلمون
لا بنقص ثواب ولا بزيادة عقاب عن ابن عباس رض انها آخر آية نزل بها جبريل عم و
قال ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها
احدا وعشرين يوما وقيل اقل وقيل اكثر يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم اذا داين بعضكم
بعضا يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا او آخذا كما تقول بايعته اذا بعته
او باعك واما كونها نسيئة فغير معتبر في المداينة وايرادها في المقام لذكر الاجل وانما قال
بدين مع انه مستفاد من التداين للتعميم اي اي دين كان قليلا او كثيرا ولقطع احتمال
معنى آخر فان المداينة قد يراد بها المجازاة واما تنوعه الى المؤجل والحال فيعلم من قوله الى اجل
ومرجع الضمير في فاكتبوه لا يلزم ان يكون مفهوما في ضمن الكلام السابق هذا كله كسب جليل
النظر والذي يكسب دقيقه هو انه لا بد من ذكر الدين ليتعلق الجار به فانه لو لم يذكر لتوهم تعلقه
بالتداين ولا وجه له فان المبايعة الى اجل غير مشروعة مسمى معلوم موقت بالسنة والشهور
والايام المعينة لا بالحصاد والدياس وقدوم الحاج ونحو ذلك مما لا يتعين فاكتبوه تنبيه على
انقسام الدين الى حال ومؤجل وامر بكتابة المؤجل على سبيل الندب والارشاد لانه اوثق
وآمن من النسيان وابعد من الجحود وعن ابن عباس رض ان المراد به السلم وقال لما حرم الله
تعالى الربوا اباح السلم وسياتي ما يتعلق بهذا المقام من الكلام وليكتب قيده بقوله
بينكم ليكون ابعد عن الاشتباه والتهمة والتنكير في كاتب للتنبيه على ان المعتبر كونه
الكتابة على الوجه المعهود لا كون الكاتب معهودا ولهذا قيدها بقوله بالعدل والمتلق
الكاتب اي وليكتب بالسوية والاحتياط لا يزيد على ما يجب ولا ينقص عنه وهذا يدل اقتضاء
على ان الكاتب يجب ان يكون فقيها عالما بالشروط حتى يكون مكتوبه معدلا بالشرع فيحصل
ما هو المقصود من الكلام على تقدير تعلق القيد المذكور بالكاتب واما الذي ذكرناه
فمفوت ح فالراجح تعلقه بالفعل والامر في الحقيقة للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين
حتى يجيء مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع ولا يأب ولا يمتنع كاتب احد من الكتاب ان يكتب

فان تنكير كاتب بعد النهي يفيد العموم كما علمه الله مثل ما علمه من كتبة الوثائق او لا يأب ان
ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها كما قال واحسن كما احسن الله اليك فليكتب تلك
الكتابة المعلمة امر بها بعد النهي عن الاباء عنها تأكيدا وهذا لان الفاء تدل على الترتيب على
السابق ولان ورود الامر عقيب ذلك النهي تأييد له يشعر بذلك كل الاشعار ويجوز ان
يتعلق الكاف بالامر فيكون النهي عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وهذا الوجه
احسن من جعل الاول تمهيدا له لما فيه من تدرج وتفخيم لشان الكتابة على النهج المذكور وفي
تقديم كما علمه الله مبالغة حسنة والاول اظهر واقرب تناولا وليملل الذي عليه الحق الاملال و
الاملاء القاء على الكاتب للكتابة والذي عليه الحق هو الذي عليه الدين وانما كان الاملاء
اليه لانه المقر المشهود عليه وليتق الله ربه اي الكاتب او المملي على ما يتفق عليه جمع بين اسم الذات
والوصف تذكيرا لكونه مربيا له مصلحا للحال ولا يبخس منه شيئا اي ولا ينقص مما املى عليه
قليلا ولما كان الامر بالاتقاء تمهيدا للنهي عن النقص المذكور لم يؤت بينهما باداة الترتيب
فان كان الذي عليه الحق دل هذا على توجه الامر والنهي الى الكاتب فانهما لو توجها الى المملي
لكان حق الكلام في هذا المقام الاكتفاء بالضمير وتصديره بالفاء لترتبه على ما تقدم
سفيها محجورا عليه لجهله بالتصرف والتبذير او ضعيفا لصغر او كبره والمراد ضعف
القوى لا ضعف النهي لانه من اسباب الحجر فيندرج تحت السفه او لا يستطيع ان يمل هو
او غير مستطيع بنفسه لعي او خرس فليملل وليه اي الذي يلي امره وصيا كان او وليا او وكيلا
او ترجمانا بالعدل فيه دلالة على جواز النيابة في الاقرار بالدين واستشهدوا شهيدين
اي واطلبوا ان يشهد لكم شهيدان من رجالكم اي من المؤمنين البالغين اما البلوغ فلا بد
منه قطعا واما الاسلام فلا بد منه ايضا ان كان المديون مسلما وان كان كافرا فاعتباره
احتياطا لانه يحتمل ان يسلم فلا دلالة في الاية على انه لا يسمع شهادة الكفار بعضهم على بعض
ثم ان المقصود بيان النصاب لا بيان الشرائط فلهذا لم يتعرض لقيد الحرية والعقل فان لم
يكونا رجلين فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل وامرأتان فليشهد رجل وامرأتان من قال
هذا مخصوص بالاموال عندنا وبما عدا الحد والقصاص عند ابي ح فكانه غفل عن ان الكلام
في الاستشهاد على الدين فان قلت اليس كل منهما نصاب الشهادة بلا تفاوت بينهما ولا توقف
لصحة الثاني على عدم الاول ولهذا لم يقل فان لم يوجدا فرجل وامرأتان واما عدم التفاوت
بينهما فممنوع فان الاصل هو الاول وهو الراجح ولهذا صدر الشرطية المذكورة باداة الترتيب
ممن ترضون من الشهداء اي من العدول المرضيين من الشهود ان تضل احديهما فتذكر احديهما
الاخرى علة لاقامة شهادة امرأتين مقام شهادة رجل واحد والضلال بمعنى النسيان
مجازا لانه سببه كما في قوله تعالى فعلتها اذا وانا من الضالين فان قيل كيف قال ان

تضل وانما الاقامة المذكورة للاذكار لا للضلال قلنا اجاب عنه سيبويه بان الضلال
سبب للاذكار فقدم عليه انه سبب لعلة لا لانه العلة كما يقال اعددت هذا الحايط
ان يميل فادعمه وانما اعددته للدعم لا للميل لكن قدم عليه الميل لانه سببه والعدول
عن الظاهر للاعتناء بشان التذكير فان افضاء الضلال اليه وكونه مقصودا من العمل بلغ
مبلغا صار المهروب عنه مطلوبا لاجله ومن حيث كونه مفضيا اليه واجاب عنه الفراء بانه
بمعنى الجزاء وتقديره ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت لا انه لما قدم ان اتصل بما قبله
من العامل فانفتح ويؤيده قراءة ان تضل بكسر الالف على الشرط فتذكر بالرفع وقرئ ان
تضل على البناء للمفعول اي ان توجد ضالة من الاضلال الذي همزته للوجدان كاحمدته
بمعنى وجدته محمودا ولا يخفى ما في التعليل المذكور من الدلالة على ضعف حفظهن وقلة
ضبطهن وليس ذلك الا لنقصان عقلهن ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا اي لا يمتنع
المدعوون لتحمل الشهادة عن الحضور ليتحملوا الشهادة وكان تسميتهم شهداء قبل
التحمل تنزيلا لما شارف منزلة الكائن او لا يمتنع المتحملون اذا دعوا الى اداء الشهادة
ليؤدوها والنهي على الاول تنزيه وعلى الثاني تحريم ولا تسأموا نهي عن الضجر والملل
من كثرة المداينة ان تكتبوه اي لا تملوا ان تكتبوا الدين او الحق او الكتاب كذا قالوا ويرد
عليه ان الضجر والملل انما يكون بعد الشروع فيه والاكثار منه والمراد ههنا النهي عن السامة من
ان يكتب ابتداء فالوجه ان يكون السامة كناية عن الكسل والمصير الى الكناية لانه من صفة المنافق
اذ ح لا يجدي تغيير التعبير بل لان تلك العبارة كانت دائرة على السنة المنافقين فصارت من
شعارهم ولذلك قال عم لا يقول المؤمن كسلت صغيرا قدم اهتماما به وانتقالا من الادنى
الى الاعلى او كبيرا حالان منه اي لا تسأموا كتابة الحق والدين على اي حال كان من صغر او كبر
ولا تسأموا ان تكتبوه مختصرا او مشبعا على ان الضمير للكتاب الى اجله الى وقته الذي
عينه المتداينان ذلك اشارة الى ان تكتبوه لانه في معنى المصدر اقسط اكثر قسطا عند
الله اي في حكمه واقوم للشهادة واثبت لها واعون على اقامتها واقسط مبني من قاسط
بمعنى النسب اي ذي قسط واقوم من قويم وجوز عنه سيبويه ان يبنى افعل التفضيل
من غير الثلاثي فيكونان مبنيين من اقسط واقام وادنى ان لا ترتابوا واقرب لانتفاء
الريبة في جنس الدين وقدره واجله ونحو ذلك والمفضل عليه محذوف وحسن حذفه
وقوع افعل خبر المبتدأ الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح
الا تكتبوها استثناء مفرغ اي لا تتركوا كتابته وقتا ما الا وقت كونها تجارة
ناجزة تتعاطونها بينكم بداية او لا ح تكون تجارة ناجزة على ان ما بعدها لا نصب على
الظرف وعلى المفعول له وقرئ تجارة حاضرة بالرفع على انه كان التامة

او الناقصة واسمها تجارة وخبرها تديرونها او بالنصب على الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة والتجارة الحاضرة تعم المبايعة بدين او عين والمفهوم نفي الجناح وهو الاثم على الشرط المذكور في المستثنى ثبوت الاثم في عدم الكتابة على تقدير تحقق ذلك الشرط وموجبه ان يكون الامر بالكتابة فيما تقدم للوجوب فالقائلون بحجية المفهوم لا بد لهم من القول بوجوب الكتابة ثمة واشهدوا اذا تبايعتم في العاجل والاجل جميعا والامر للندب ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل البناء للفاعل والمفعول جميعا والدليل عليه قراءة عمر ولا يضارر بالاظهار والكسر وقراءة ابن عباس رض ولا يضارر بالاظهار والفتح والمراد نهي الكاتب والشهيد عن ترك الاجابة الى ان يطلب منهما وعن التغيير بالزيادة والنقصان او نهي المستكتب والمستشهد عن الضرر بهما بان يعجلا عن مهم او لا يعطى الكاتب حقه من الجعل او يكلف الشهيد مونة النقل من مسافة بعيدة ومثال ذلك وقراءة الحسن ولا يضار بالكسر وان تفعلوا اي وان تضاروا وان تفعلوا شيئا مما نهيتم عنه فانه فسوق بكم خروج عن الطاعة لاحق بكم واتقوا الله في مخالفة امره ونهيه ويعلمكم الله احكامه المتضمنة لمصالحكم والله بكل شيء عليم كرر لفظة الله ثلث مرات متواليات وكان الثاني والثالث موضع كناية ولهذا الباب قانون ويعرف به المستحسن من المستقبح وهو ان كل تكرير على طريق تعظيم الامر وتحقيره في جمل متواليات كل جملة منها مستقلة بنفسها فذلك غير مستقبح واذا كان ذلك في جملة واحدة او في جمل في معنى واحد ولم يكن فيه التعظيم او التحقير فذلك مستقبح وهذا ظاهر في الاية فان الجملة الاولى منها حث على التقوى والثانية تذكير بنعمته والثالثة تعظيم له متضمن لوعد ووعيد شديد وقصد تعظيم كل واحد من هذه الاحكام فاعيد لفظ الله فيها وان كنتم على سفر لم يقل مسافرين لما بينهما من الفرق الظاهر فان من دخل مدينة ولم ينو الاقامة مسافر ولكنه ليس على سفر والمناسب لان يذكر تمهيدا لقوله ولم تجدوا كاتبا هو الثاني دون الاول فرهان خبر مبتداء محذوف اي فالذي يستوثق به رهان وهي جمع رهن وهو العين المقبوض بالدين توثيقا له وقرئ فرهن وهو جمع قال الجوهري كانه يجمع رهن على رهان ثم يجمع على رهن مثل فراش وفرش ولا يجمع فعل على فعل الا قليلا شاذا ومقبوضة نعت للرهان ودل ذلك على ان حكمه دوام الحبس فانه لا يصير رهنا الا بابتداء القبض فذكر الرهن ذكر لذلك القبض ثم وصفها بالمقبوضة بعد ذلك اشتراط لدوام القبض فيها وليس الغرض تخصيص الرهن بالسفر شرطا في جوازه لكن لما كان السفر مظنة اعواز الكاتب والشهيد ارشد المسافر الى حفظ المال بان يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب والاشهاد وعن مجاهد والضحاك انهما لم يجوزاه الا في حال السفر اخذا بظاهر الاية وليس

بشيء لان رسول الله صلى الله عليه وسلم رهن درعه في حضر واما القبض فلا بد من اعتباره على ما ثبتت عليه ائمتنا وعليه الجمهور وقال مالك يصح الرهن بمجرد الايجاب والقبول بدون القبض فان امن بعضكم بعضا فان امن بعض الدائنين بحسن ظنه به فليؤد الذي اؤتمن امانته اي فليجب على المديون اداء امانة الذي ائتمنه عليها بان لم يرتهن منه شيئا حثا له على ان يكون عند ظنه به وفي تسمية الدين امانة ايضا حث للمديون على ادائه وان كان مضمونا بخلاف الامانة وقرئ فان اومن اي امنه الناس بان وصفوه بالامانة والديانة والاستغناء عن الارتهان من مثله وليتق الله ربه نهي عن الخيانة وانكار الحق على ابلغ وجه فقدم وجه الجمع بين اسم الذات والوصف ولا تكتموا الشهادة خطاب للشهود ومن يكتمها فانه اثم قلبه اثم خبران وقلبه فاعل اثم اي خائنة يأثم قلبه او قلبه مبتداء واثم خبره والجملة خبر ان وقرئ قلبه بالنصب كقوله سفه نفسه وقرئ اثم قلبه اي جعله اثما اسند الاثم الى القلب لكونه ابلغ من وجوه احدها ان يعلم انه الذي اضمرها ولم يؤدها الى اللسان ليظهرها فالقلب هو المقترف فيكون صاحبه قاصدا للذنب لا اللسان فيكون كالبادر والثاني ان الفعل اذا اسند الى الجارحة التي عمل بها كان ابلغ واكد كما اذا اردت التاكيد قلت هذا مما ابصرته عيني وسمعته اذني وعرفه قلبي الثالث ان القلب هو الرئيس والاصل في البنية فاسناده اليه افاد انه تمكن في اصل نفسه وملك اشرف محل فيه ورسخ في ذاته الرابع ان الاثام المتعلقة بالاعضاء الظاهرة اسهل واخف واسرع زوالا ما دام القلب سليما واما القلبيات فتكون اشد واغلظ وابعد عن العفو الخامس لا يذان بان الكتمان من الكبائر المتعلقة بالعقايد كالكفر والنفاق والشرك وامثالها ولهذا قال ابن عباس رض اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة السادس القلب هو الاصل الذي يتقوم به ساير الاعضاء فافعاله هي الاصول التي يتشعب منها افعال الجوارح الا ترى ان اصل الحسنات والسيئات الايمان والكفر فهو الذي اذا صلح صلح الكل واذا فسد فسد الكل فاذا اثم القلب اثم الكل والله بما تعملون عليم وعيد وتهديد لله ما في السموات وما في الارض ناسب ختم ما في هذه السورة من الكلام المشتمل للاحكام العديدة والتكاليف الشديدة بذكر انه له ما في السموات عالمي الملك والملكوت فهو يكلف من يشاء بما يشاء ولما كانت التكاليف محل اعتقادها الانفس قال وان تبدوا ما في انفسكم من السوء او تخفوه ولا يدخل فيه الوساوس وحديث النفس اذ ليس في وسع المؤمن ولا يكلف الله نفسا الا وسعها ولكن ما اعتقده او عزم عليه يحاسبكم به الله قال الحسن ليس بها قبل الله تعالى عبدا يوم

القيمة استر عملا او اعلنه حركة جوارحه او همه في قلبه دون ان يعرفه اياه يوم القيمة جميع
بغيره ثم يغفرها بشاء لمن يشاء ويعذب من يشاء بما يشاء فيغفر لمن يشاء من اهل
المغفرة ويعذب من يشاء من اهل العقوبة وهذا صريح في نفي وجوب التعذيب
وفي الاية دلالة على وقوع الحساب فيكون حجة على من انكره من المعتزلة والروافض
وقرئ فيغفر ويعذب مجزومين على جواب الشرط ومرفوعين على الاستيناف وتقديره
فهو يغفر ويعذب وقرئ يغفر بغير فاء مجزوما على البدل من يحاسبكم بدل البعض من
الكل وبدل الاشتمال ومعنى الابدال تفصيل الاجمال الذي في الحساب لان التفصيل
ابين واوضح فكل ما يحتاج الى البيان يجري فيه هذا البدل سيما كان او فعلا اذ الفعل
قد يحتاج اليه احتياج الاسم والقراءة اظهار الراء في الجزم وادغام الباء ومن روى
ادغام الراء في اللام عن ابي عمرو فهو مخطئ مرتين حيث الحن لحنا فاحشا اذ الراء لا تدغم
الا في مثلها ثم نسبه الى اعلم الناس في العربية والسبب عدم ضبط الرواية لعدم الدراية
كذا قيل وفيه بحث بطلب من تفسير ابي حيان والله على كل شيء قدير فلا يعجز عن الاحياء
والمحاسبة وما يعقبها من المغفرة والتعذيب آمن الرسول تخصيص من الله تع على
صحة ايمانه والاعتداد به بما انزل اليه روي عن ابن عباس رضه ان جبرائيل عليه السلام
انزل على محمد عليه السلام جميع القران الا هذه الاية الثلث فان الله تع اوحاها اليه
عليه السلام ليلة المعراج وبه قال الحسن ومجاهد وابن سيرين من ربه في عبارة الرب
اشارة الى ان في الانزال المذكور تربية له عليه السلام ولهذا كان تدريجا والمؤمنون
كل آمن بالله وملئكته ان عطف والمؤمنون على الرسول كان التنوين في كل عوضا عن
الضمير الراجع الى الرسول والمؤمنين اي كلهم آمن ووحد ضمير كل في آمن ليتناول
كل واحد فيكون ابلغ من الجمع وان جعل مبتدأ كان الضمير للمؤمنين دون الرسول
وباعتباره يصح وقوع كل بخبره خبر المبتدأ ويكون افراد الرسول عليه السلام بالحكم
اما لتعظيمه او لان ايمانه عن مشاهدة وعيان وايمانهم عن نظر وبرهان فكانهما
جنسان وكتبه ورسله ذكر الكتب بين الملئكة والرسل باعتبار انها تصل منهم اليهم و
قرئ ابن عباس رضه وكتابه يريد القران او الجنس وعنه الكتاب اكثر من الكتب لما ذكر من
تناوله واحدان الجنس بخلاف الكتب فانه تناوله وحدان الجمع لا نفرق بين احد من رسله
اي يقولون لا نفرق وقرئ يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرئ لا يفرقون حملا على معناه
كقوله تعالى وكل اتوه داخرين واحد في الاصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع في النفي
العام مستويا فيه المذكر والمؤنث وما وراءه وهذا العموم غير العموم المستفاد من
وقوع النكرة في سياق النفي يدل عليه انه لا يستقيم لا نفرق بين رسول من الرسل

الا بتقدير عطف اي رسول ورسول والمراد الفرق بالتصديق لا الفرق مطلقا فان
الفرق بالتفضيل ثابت بالشريعة غير منهي عنه وقالوا سمعنا اي فهمنا كما في قوله تعالى
ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون اي كان اطاعتنا عن اذعان وقبول
لا عن تقليد على العمى او طمعا في متاع الدنيا وقيل اي اجبنا وفيه ان قوله واطعنا
يغني عنه والافادة خير من الاعادة ويجوز ان يكون المراد سمعنا قولك فيما كلفتنا
واطعنا امرك في ذلك غفرانك ربنا منصوب باضمار فعله يقال غفرانك لا كفرانك اي
نستغفرك ولا نكفرك اي من التقصير في حقك وفي عبادتك التي لا تليق في حقها لا يكلف
الله نفسا الا وسعها الا ما يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها دون مدى الطاقة والمجهود
وهذا اخبار عن عدله ورافته كقوله يريد الله بكم اليسر لانه كان في طاقته ان يصلي اكثر
من الخمس ويصوم اكثر من الشهر ويحج اكثر من حجة وفيه دلالة على عدم وقوع التكليف
بالمحال واما انه ممتنع فلا دلالة عليه بل الظاهر من الاخبار عن عدم وقوعه امكانه لها
ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت من شر وتقديم لها وعليها على الكسب والاكتساب
للتخصيص لا يثاب بخيرها ولا يؤاخذ بشرها غيرها بل يختصان بها وتخصيص الكسب بالخير
والاكتساب بالشر لان الاكتساب فيه اعتمال والشر تشتهيه وتنجذب اليه فكان اجد في تحصيله
واعمل بخلاف الخير وفيه التنبيه على زيادة اللطف وكمال الفضل حيث يثيب على الخير
كيفما وقع ولا يعاقب على الشر الا بعد الاعتمال فيه وقوة التصرف ربنا اي يقولون ربنا
كما تقدم وما بينهما اخبار من الله تع والاعتراض قبل تمام الكلام كثير في القران لا تؤاخذنا
ان نسينا او اخطانا النسيان والخطاء مجاز من باب اطلاق اسم السبب على المسبب اي
لا تؤاخذنا ان فرط منا ذنب بسبب النسيان او الخطاء او من باب اطلاق اسم
المسبب على السبب اي لا تؤاخذنا بما ادى بنا الى النسيان والخطاء من تفريط وقلة مبالاة
ويجوز ان يكون حقيقتهما اذ لا يمتنع المؤاخذة بهما عقلا لكنه تعالى وعد التجاوز
عنهما رحمة وفضلا فيجوز ان يدعو الانسان فيه استدامة واعتدادا بالنعمة
وقوله عليه السلام رفع عن امتي الخطاء والنسيان يحتمل المعنيين ايضا لان المرفوع
اثرهما لا نفسهما وعلى هذا يصح ان يراد المعنى الاول ربنا تكرير للمنادي فلا
يخل بعطف قوله ولا تحمل علينا على قوله لا تؤاخذنا اصرا الاصر العبء الذي يأصر
حامله اي يحبسه في مكانه لا يستقل به لثقله والمراد به التكاليف الشاقة وقرئ
ولا تحمل بالتشديد للمبالغة في الطلب لا في المطلوب انتفاؤه كما حملته حملا مثل حملك
اياه على الذين من قبلنا من الامم او مثل الذي حملته عليهم فيكون صفة لاصرا
والمراد به ما كلف به بنو اسرائيل من قتل الانفس وقطع موضع النجاسة وخمسين صلوة

في اليوم والليلة وصرف ربع المال للزكوة ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من العقوبات
النازلة بالامم السالفة طلبوا الاعفاء عن التكاليف الشاقة التي كلفها من قبلهم
ثم عما نزل بهم من العقوبات لتفريطهم في المحافظة عليها وقيل هو تاكيد للاول بالتكرير
او المراد به الشاق الذي لا يكاد يستطاع من التكاليف وهذا على جواز التكليف
بما لا يطاق ولم يتعين هذا المعنى مرادا من الاية حتى يتم الدلالة فيها على جوازه
والتشديد هنا لتعدية الفعل الى المفعول الثاني واعف عنا قال الازهري كل من
استحق عقوبة فتركها فقد عفوت عنه لفظ اللازم والمتعدي سواء يقال عفا
الله عن العبد عفوا وعفت الرياح الاثر عفاء فعفا الاثر عفوا واغفر لنا واستر
ذنوبنا ولا تفضحنا بكشف عيوبنا والعفو لا يستلزم الستر فلا تكرار وارحمنا
وتعطف بنا وتفضل علينا انت مولانا سيدنا ونحن عبيدك وناصرنا ومتولي
امورنا فانصرنا على القوم الكافرين فان من حق المولى ان ينصر مواليه على الاعداء
او فان ذلك من امورنا التي توليها ختمت السورة الكريمة بمثل ما بديت به من اثبات
توحيده وصفات جلاله والنبوات والمعاد والقضاء والقدر في ضمن ذكر المؤمنين
السامعين المطيعين وهم المتقون الذي جعل الكتاب هدى لهم وبين شمول
لطفه في شان هذا النوع وخصوصا هذه الامة وجعل ختام ذلك كله ما يدل على
ان كمال حال المؤمن المطيع ان لا يزال مستمدا من كرمه بالسنة الاستعداد والحال والمقال
فبذلك ارتقاؤه في مدارج الكمال ومعارج الجلال والجمال

سورة آل عمران مدنية وآيها مائتان

الم الله لا اله الا هو الافصح ان يوقف على ميم كما وقف على الف ولام كما هو قراءة
ابي بكر في رواية عن عاصم واطبق سائر القراء على فتح الميم بطرح الهمزة للتخفيف والقاء
حركتها عليها ومن في حكم الوقف والهمزة في حكم الثابت ومن قال ان الحركة لالتقاء الساكنين
لم يرد بالساكنين الياء والميم من الف لام ميم في الوقف بل اراد بهما الميم ولام التعريف
فنظيرهما النون واللام في من الرجل فلا يرد عليه انه غير محذور في باب الوقف ولذلك
لم يحرك في لام لما عرفت انه اعتبر التقاء الساكنين من كلمتين فما ذكر ليس بنظير له لانه
في كلمة واحدة والفرق واضح واما قراءة الكسر فمما جوزها الاخفش ولم ينقل عن احد
من السبعة الحي القيوم اسم الله الاعظم بدلالة ما روي انه عم قال ان اسم الله الاعظم
في ثلث سور في البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي آل عمران الله لا اله الا هو الحي
القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم نزل عليك الكتاب القرآن منجما بالحق

بالعدل او بالصدق في اخباره ومواعيده وبالبينات المحققة انه من عند الله
تعالى وهو في موضع الحال مصدقا لما بين يديه من الكتب الالهية المنزلة على الانبياء
السالفة عليهم السلام الحاضرة عند نزوله وانزل جملة التورية والانجيل اسمان عبرانيان
فلا يدخلهما اشتقاق عربي تبعيض النحاة ثم تكلموا فيهما على تقدير كونهما عربيان فالتورية
فوعلة او تفعلة بكسر العين او تفعلة بفتحها من الوري والانجيل افعيل من النجل من قبل
تنزيل القرآن هدى للناس على العموم واختصاص الكتابين المذكورين ببني اسرائيل
من جهة التكليف لا ينافي عمومهما لجنس الانس من جنس الهداية فان من تعبد بهما
قبل النسخ فقد اهتدى وان لم يكن من بني اسرائيل على ان كونهما هداية الى
اصول الدين لا يختص ولا يقبل النسخ ولهذا قال الله تع فبهديهم اقتده وانزل
الفرقان رابع الكتب الاربعة وهو الزبور لان الظاهر من العطف خصوصا مع
اعادة لفظ انزل التغاير بالذات وانما خص بعبارة الفرقان جبرا للنقصان الموهوم
من جهة تاخير ذكره عن قوله هدى للناس فكانه قيل في الكتب الثلثة شرايع هي
هداية للناس في هذا الكتاب حكم يفرق بها بين الحق والباطل ان الذين كفروا
بايات الله من كتبه المنزلة وغيرها من المعجزات لهم عذاب شديد مخصوص بنوع العرف
كنهه من العذاب الشديد والله عزيز غالب لا يمنع من التعذيب ذو انتقام تنكيره
دل على قوته كما وقد اقترن بصفة العزة فدل على قوته كيفا حينئذ ثم يتصور اندفاعه
فهم من الجملة معنى قوله لا يقدر قدره من الشدة ولا يقدر على مثله منتقم والنقمة مطلق
العقوبة لا عقوبة المجرم خاصة وعيد جي به بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ما
هو العمدة في اثبات النبوة تعظيما للامر وزجرا عن الاعراض عنه ان الله لا يخفى عليه
شيء في الارض ولا في السماء عبر عن العالم بقطريه وتقديم الارض لان المقصود
بالذكر ما اقترف فيها كانه قيل يعذبهم الله الذي له كمال القدرة والغلبة والعلم
باحوال العباد هو على الانفراد والتعيين هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء
من الصور المختلفة فهو في موضع الظرف اي في اي صورة وعلى اي هيئة يشاء يصوركم
وقرئ تصوركم اي صوركم لنفسه وعبادته لا اله الا هو اذ لا يعلم غيره جملة ما يعلمه
ولا يقدر على مثل ما يفعله العزيز المنيع في ملكه وحكمه الحكيم في قوله وفعله قيل هذا
احتجاج من زعم ان عيسى عم كان ربا فان وفد نجران لما حاجوا فيه رسول الله
عليه السلام نزلت السورة من اولها الى آخرها بضع وثمانين اية تقريرا لما احتج
عليهم واجاب عن شبههم هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات في موضع النصب
بالحال من الكتاب او كلام مستانف موضح لحاله محكمات احكمت بظهور دلالتها على

المعنى المراد هن ام الكتاب اى اصله الذى يحمل المتشابهات عليه ويرد اليه وانما افرد
الام بجريدا للكلام للدلالة على ما يساق له واخر جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف
معدول عن الآخر والا يلزم منه معرفته لان القياس ان يعرف ولم يعرف لانه فى
معنى المعرف او عن آخر من متشابهات محتملات لا كثر من معنى واحدا وغيرظاهر الدلالة
وفائدته بعث النفوس على النظر والتفكر وتحريض القلوب على التامل والتدبر لتتمرن
فى الاستدلال واستخراج الدقايق وابراز مكنونات الحقايق ويزداد حرصهم على
تحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد من المتشابهات والتوفيق بينها وبين
المحكمات فان الانسان بذلك ينال بالتقلب فى العبادات والمواظبة على ساير
القربات ومن وجوهه انه لو كان كله محكما لتعطل الطريق الذى لا يتوصل الى معرفة
الله تعالى الا به فقد وجهها ذا لا يلزم من ترك التامل فى معرفة معانى الالفاظ تركه فى
ترتب البعض على البعض واستنباط ما فيها من العلل والنكات والفروع وغير ذلك
واما المراد من المحكم فى قوله احكمت اياته المحفوظ من فساد المعنى وركاكة اللفظ
ومن المتشابه فى قوله كتابا متشابها المشبه بعضه بعضا فى صحة المعنى وجزالة اللفظ
فاما الذين فى قلوبهم زيغ ميل عن الصواب وتعرف الحق تفريع على ما فهم مما تقدم
من ان فى المتشابهات مجال الصرف عن الحق كما ان فيه مجال الرد عليه اليه واما التفصيل
حال الفريقين السالكين مسلكى الصرف عنه والصرف اليه وانما اقتصر على ذكر الاول منهما
لظهور حال الثانى فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون المتشابه المحتمل لما يطابق هواهم
ولا يلتفتون الى المحكمات وكان حقهم ان يتبعوها ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس
ويضلوهم عن الحق وابتغاء تاويله بما يطابق عقيدتهم قدم الاول لانه الغرض وهذا
وسيلة اليه وما يعلم تاويله اى الذى يجب ان يحمل عليه الا الله والراسخون والذين
رسخوا اى ثبتوا وتحققوا فى العلم وتمكنوا منه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما
استاثره الله تعالى بعلمه وبمعرفة الحكمة فى اياته ولم يطلع عليه احد لا يقال لو لم يكن للراسخين
حظ من علم المتشابه الا ان يقولوا امنا بالله كل من عند ربنا لم يكن لهم فضل على الجهال
لانهم ايضا يقولون ذلك لانا نقول ليس الكلام فى اثبات الفضيلة لهم بل فى بيان اختصاص
علم المتشابهات بالله تعالى فالمعنى ان الراسخين مع ما فيهم من المزية والفضل يقفون
عند التصديق الاجمالى ولا يتجاوزون عنه الى حد التفصيل بالتفسير والتاويل وكيف
من دونهم يقولون امنا كلام مستانف موضح لحال الراسخين او حال منهم وخبران جعل
والراسخون مبتدا به بالمتشابه او بالكتاب كل من عند ربنا اى كل من المحكم والمتشابه
منزل من اللوح المحفوظ عنده تعالى وما يذكر الا اولوا الالباب سرود على سبيل

المدح للراسخين المتقنين فى العلم وايماء الى انهم جردوا عقولهم من قشر الاوهام و
الخيالات وشوب الاهواء والعادات فهم اهل اللب الى العقل لا يحوم غيرهم حول
التذكر والتفكر ربنا لا تزغ قلوبنا من مقال الراسخين وما بينهما اعتراض ويحتمل الكلام
على اضمار قولوا والمعنى لا تمل قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتاويل باطل قال
عليه السلام قلب ابن ادم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق و
ان شاء ازاغه عنه وقيل لا تبتل ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا الى الحق وبينته
فيه الايمان بالقسمين اندراجا او ليا وبعد نصب على الظرف واذ فى موضع الجر باضافة
اليه وقيل انه بمعنى ان وهب لنا من لدنك رحمة ترشدنا بها الى كل خير وصلاح وتعصمنا
بها عن كل شر وفساد انك انت الوهاب كثير الهبة وهى ما لبس على الفاعل فعله و
لا دلالة فيه على ما هو الحق فى الخلافية المشهورة لان المعتزلة لا ينكرون الافضال بعد اداء
الواجب ربنا انك جامع الناس ليوم المراد من اليوم واقعة الغيبة والتنكير للتهويل
لا ريب فيه فى وقوعه ان الله لا يخلف الميعاد اى للداعين بالاجابة وللمطيعين بالاثابة
اواقامة القيامة كما وضع اولوا الالباب موضع اولئك للمدح والتسجيل باللب على
طريقة الالتفات من الخطاب الى الغيبة وضع ان الله موضع انك للتعظيم واما فائدة
معنى التنافى بين الالوهية وخلف الميعاد فمداره على التعبير بالاسم المذكور لا على
الالتفات غايته وجد التعبير المذكور هنا فى ضمنه ان الذين كفروا يعنى برسول الله
عليه السلام لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا من جهة رحمته وطاعته
فيغنى عنهم اغناء ما واولئك هم وقود النار حطبها وقرئ بالضم بمعنى اهل وقودها
كداب آل فرعون متصل بما قبله اى لن تغنى عنهم كما لم تغن عن اولئك او توقد بهم
كما توقد باولئك او استيناف مرفوع المحل تقديره داب هؤلاء كدابهم فى الكفر و
العذاب وهو مصدر داب فى العمل اذا كدح فيه ثم غلب استعماله فى معنى الشان
والذين من قبلهم عطف على آل فرعون او استيناف بتفسير حالهم وخبر على تقدير
الابتداء كذبوا باياتنا فاخذهم الله بذنوبهم حال باضمار قد او استيناف بتفسير حالهم
وخبر على تقدير الابتداء بالذين والله شديد العقاب تهويل للمواخذة وزيادة تخويف
للكفرة قل للذين كفروا اى لمشركى مكة وقيل لليهود ستغلبون يوم بدر او تقبل قريظة
واجلاء بنى النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وتحشرون الى جهنم وقرئ
بالياء على الغيبة الاخبار بمعنى كلام الله تعالى وعلى الخطاب بلفظ وبئس المهاد تمام
ما يقال لهم او استيناف اى بئس المهاد جهنم او ما مهدوا لانفسهم وفى عبارة
المهاد تهكم قد كان لكم آية الخطاب لقريش او لليهود وما قيل للمؤمنين فى فئتين التقتا

دل على ذلك انه لو قيل انه لا يخلف الميعاد وحصل الالتفات
ولا يوجد حكم الفائدة ولو كان رب فى الكلام
انه جامع الناس ليوم لا ريب فيه لكانت
الفائدة المذكورة موجودة
ولا التفات

تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة صح الابتداء بالنكرة لانه في موضع تفصيل وثمة صفة
محذوفة تقديرها فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله واخرى معطوفة على فئة تقديره و
اخرى كافرة تقاتل في سبيل الطاغوت حذف عن الجملة الاولى ما اثبت تقابله في الجملة
الثانية ما اثبت مقابله في الاولى وهذا من الاختصارات البليغة يرونهم مثليهم
اي يرى المشركون المؤمنين مثل عددهم وكانوا ثلثماية وبضعة عشر او مثل المشركين
وكانوا قريبا الف وهذا لا ينافي قوله تعالى واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا
ويقللكم في اعينهم لانه يجوز ان يكون التقليل من جهة العدد فلا ينافي التكثير من جهة
العدد ويكونان في حالة واحدة كيلا يجتنبوا كل الجبن فيحجموا عن القتال ويجترؤا كل
الجراءة فيشتدا لامر وهذا اولى من التوفيق بينهما بان التقليل كان في اول الملاقاة
والتكثير بعد ذلك ويرى المؤمنون المشركين مثلي المؤمنين وكانوا ثلثة امثالهم
ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الموعود في قوله وان يكن مائة صابرة يغلبوا مائتين و
القراءة بالتاء الفوقانية يؤيد هذا ان كان الخطاب للمؤمنين ويؤيد المعنى الاول ان كان
الخطاب لقريش وقرئ بهما على البناء للمفعول اي يريهم الله او يريكم ذلك بقدرته و
قرئ فئة بالجر على البدل من فئتين والنصب على المدح واخرى كافرة على الذم والحال
من فاعل التقتا رأي العين لا بد من صرفه عن ظاهره لان الرؤية بمعنى الابصار لا يتعدى
الى المفعولين ومثليهم مفعول ثان لا حال لعدم ثبوت تلك الحال في الواقع لواحدة
من الفئتين فالمراد معناه المجازي وهو العلم الحاصل بسبب رؤية العين والله يؤيد
بنصره من يشاء نصركما ايد اهل بدر ان في ذلك اي فيما ذكر من غلبة المسلمين على قلتهم
وضعفهم الكافرين على كثرتهم وشوكتهم بالكيفية المذكورة لعبرة لعظة لاولي الابصار
لذوي البصائر او لمن ابصرهم زين للناس حب الشهوات اي المشتهيات سماها
شهوات مبالغة وايماء الى انه انهمكوا في محبتها حتى احبوا شهوتها وهي توقان النفس
الى الشيء والمزين في الحقيقة هو الشيطان لان التزيين صفة تقوم به فمن قال هو
الله تعالى لانه الخالق للافعال والدواعي فقد اخطأ في المدعى وما اصاب في
الدليل على ما سبق تفصيله في تفسير سورة البقرة وانما سلط الله تعالى على تزيين ما ذكر
لانه من اسباب التعيش وبقاء النوع من النساء والبنين والقناطير المقنطرة القناطير
جمع القنطار وهو المال الكثير والمقنطرة ماخوذة منه للمبالغة اي من شان العرب
ان يشتقوا من لفظ الشيء الذي يريدون المبالغة في وصفه ما يتبعونه به تاكيدا
وتنبيها على تناهيه من ذلك ظل ظليل وداهية دهياء وبدرة مبدرة ويحتمل ان يكون
من قنطرت الشيء اذا دفنته ومنه القنطرة لانه بناء مشيد من الذهب والفضة

نصره

والخيل المسومة والخيل الافراس سميت خيلا لاختيالها في مشيها والمسومة المعلمة
من السومة وهي العلامة او المرعية من اسام الدابة وسومها او المطهمة اي تامة الخلق
من السومة لانها كانتها علم في الحسن او من التسوم في البيع لانها تسام كثيرا والانعام
الابل والبقر والغنم والحرث هو القاء البذر وتهيئة الارض والزرع مراعاة
وانباته ولهذا قال تعالى افرايتم ما تحرثون ءانتم تزرعونه ام نحن الزارعون
فاثبت لهم الحرث ونفى عنهم الزرع ذلك اشارة الى ما ذكر متاع الحيوة الدنيا
المتاع ما يستمتع به مدة ثم يفنى والله عنده حسن المآب المرجع وفي الاشارة
بذلك اشارة الى بعد تلك المشتهيات من انه تعالى وتقديم اسم الله على ما عنده
تقديره لذلك البعد بتخصيص غيره به وذكر الحسن وتقديم الظرف عليه اشارة الى
ان الحسن مختص بالعندية وايماء الى قبح الشهوات البعيدة والمقصود التحريض
على اثبات ما عنده من اللذات الحقيقية الابدية على الشهوات الناقصة الفانية قل اؤنبئكم
بخير من ذلكم تقرير لخيرية ما عند الله تعالى من مستلذات الدنيا للذين اتقوا عند ربهم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها استيناف لبيان ما هو خير ويجوز ان
يتعلق اللام بخير ويرتفع جنات ويؤيده قراءة من جرها بدلا من خير وازواج
مطهرة قد سبق تفسيره في سورة البقرة ورضوان من الله جمع بين التكثير المستفاد
من التنكير والتشريف المستفاد من قوله من الله فهو ابلغ من رضوان الله والله بصير
بالعباد اي يثيب ويعاقب على استحقاقهم او بصير بالذين اتقوا وباحوالهم فلذلك
اعد لهم الجنات على حسب درجاتهم الذين يقولون ربنا اننا آمنا نصب على المدح او
رفع عليه او جر صفة للمتقين او العباد فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار في ترتيب
السؤال على مجرد الايمان دلالة على انه وسيلة كافية في طلب المغفرة الصابرين و
الصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار حصر لمقامات السالك
على احسن ترتيب فان معاملته مع الله تعالى اما توسل او طلب والتوسل اما بالنفس وهو
منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر يشملها واما بالبدن وهو اما
قولي وهو الصدق واما فعلي وهو القنوت الذي هو ملازمة الطاعة واما بالمال وهو
الانفاق في سبيل الله واما الطلب فهو الاستغفار لان المغفرة اعظم المطالب بل الجامع لها
وتوسيط الواو بينها للدلالة على انهم جامعون لها واما دلالته على استقلال كل من الموصوفين
فغير مسلمة فانها تدل على الانضمام على ما ياتي في تفسير سورة التوبة وتخصيص الاستغفار
بالاسحار لانها اصفى اوقات العباد وكانوا يتهجدون قائمين بالليل يتقربون الى الله تعالى
فيكون طلب الحاجة بعده احسن واقرب الى الاجابة لمعاضدة الامرين صفاء الوقت والنفس

بالطاعة اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه شهد الله انه لا اله الا هو بين
وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها وانزال الايات الناطقة بها والملئكة بالاقرار
واولوا العلم من الثقلين بالاحتجاج من اقر ومعنى مجازى هو الامر المشبه بالشهادة
لامعان مجازيه ليمتنع الجمع بينهما فى الارادة وانما لم يعتبر تقدير فعل آخر ليكون الاول
مجازا والثانى حقيقة لانه خلاف الظاهر مع الغنية عنه بالمجاز المستفيض قائما بالقسط
للعدل فى قسمة الارزاق والاجال والعقاب وتعيين الشرائع والاحكام بين العباد
وانتصابه على الحال عن هو والعامل معنى الجملة اى تفرد قائما وهذا اوجه الاوجه لانه
اقرب وادل على المقصود اعنى دخول الحال المؤكدة عقيب الجملة الاسمية واما انتصابه
على المدح فكره والمنتصب عنه معرفة فيمنعه القياس ولم يرد به الاستعمال وقرئ القائم
بالقسط على البدل من هو او الخبر لمحذوف لا اله الا هو كرره ليؤكد المشهود به على
ما هو عليه فى نفس الامر ويقرر ان الاصل فى الدين هو التوحيد والعدل اللازم له لزوم
الظل للعذاب وهذا اكد مما بقوله العزيز اى الغالب فى وحدته على كل شئ لا يغالبه شئ
فيكون الها الحكيم الذى يوتى كل ذى حق صفته ولا يعدل عن العدل فى افضاله فهما
صفتان مقرران لهما ورفعهما على البدل من الضمير والصفة لفاعل شهد ان الدين
عند الله الاسلام كلام مستانف لانه لما قرر اصل الدين واساسه باطنا وظاهرا
وهو التوحيد والعدل اتجه ان يقال فما الدين الذى يجب ان يتدين به بعد هذا الاعتقاد
فاجيب بان الذى يستاهل ان يسمى دينا ويعتد به عند الله ويقبل هو الشرع الذى جاء
به محمد عم وقرئ بالفتح على انه بدل من انه بدل الاشتمال وقرئ بالكسر وان بالفتح على وقوع
الفعل على الثانى واعتراض بينهما او اجرا شهد مجرى قال تارة وعلم اخرى لتضمنه
معناهما وما اختلف الذين اوتوا الكتب يعنى اليهود والنصارى الا من بعد ما جاءهم
العلم من ما تمكنوا من العلم بحقيقة الامر بالايات البينات لا خفاء فى ان المراد اختلافهم
بينهم على ما دل عليه قوله بغيا بينهم حسدا وطلبا للرياسة تقسمت اليهود الى فرق احدى وسبعين
وسمده والقسمت النصارى الى ملكى ويعقوبى ونسطورى وكل طائفة يكفر من خالفها بعد
ان كانت اليهود امة واحدة والنصارى كذلك وقد تمكنوا من العلم بحقيقة الامر بالكتب المنزلة
عليهم من التورية والزبور والانجيل ومن يكفر بايات الله يرشدك هذا الى ان المراد من مجئ
العلم مجئ ما يفيده من الايات فان الله سريع الحساب اى يهمل فى جزائه ولا يمهل فان الحساب
كناية عن عدم الاهمال فى الجزاء وسرعته كناية عن عدم الامهال فى الايصال وهذا ابلغ وعيد
شديد فى الغاية فان حاجوك فان جادلوك ولم يقل فيما ذا لتبينه من الجواب انه فى الدين
فقل اسلمت وجهى لله اخلصت وجهى نفسى وجملتى له لا اشرك فيها غيره فالوجه مجاز

عن نفس الشئ وذاته كما فى ويبقى وجه ربك او عن جملة الشخص تعبيرا عن الكل باشرف
الاجزاء والمقصود المبالغة بجعل كل البدن محلا للاخلاص والفاء للترتيب على ما فهم
مما تقدم من ان اختلافهم فى الدين لغرض دنيوى لا لاظهار الحق وازالة الشبهة فلا يجرى
المجادلة معهم والاحتجاج عليهم ولهذا امر عم بالجواب المفصح عن الاعراض عن
محاجتهم ومن اتبعنى فى موضع رفع للابتداء والخبر محذوف لدلالة ما قبله عليه
تقديره اسلم وجهه لله ولا يجوز عطفه على الضمير فى اسلمت لاستلزامه المشاركة فى
المفعول ولا صحة لها وحمل الواو على معنى مع لا يفضى الى ذلك الان حق مع ان يدخل
المتبوع وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين الذين لا كتاب فيهم كمشركى العرب أاسلمتم
استفهام فيه استقصار وتعيير بالمعاندة اى قد جاءكم من البينات ما يوجب الاسلام
ولم يبق معه شبهة فهل اسلمتم ام انتم بعد على كفركم وعنادكم فان اسلموا فقد اهتدوا
فقد نفعوا انفسهم باخراجها من ظلمة الضلال الى نور الهدى وان تولوا فلم يضروك
فانما عليك البلاغ فان الرسول ما عليه الا البلاغ وقد بلغت وبالغت فى الحجة و
الله بصير بالعباد وعد للرسول ووعيد لهم ان الذين يكفرون بايات الله ويقتلون
النبيين بغير حق فى سورة البقرة بغير الحق اى بغير الحق الذى حده الله تعالى و
اذن فيه والنكرة ههنا على معنى ان الحق القتل يكون بوجوه من الحق فمعناه يقتلون
بغير حق من تلك الحقوق ويقتلون الذين يامرون بالقسط قرا رسول الله صلعم هذه
الاية ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنوا اسرائيل ثلثة واربعين نبيا من اول النهار
فى ساعة واحدة فقام مائة رجل واثنا عشر رجلا من عباد بنى اسرائيل فامروا من
قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من اخر النهار فى ذلك اليوم وهو
الذى ذكره الله تعالى وفايدة البيان بقوله من الناس للتنبيه على انهم قتلوا الامرهم
بالقسط لا لخصوصية فيهم ووجه المضارع الدال على الاستقبال والحال مع ان قتل
الانبياء انما كان فيما مضى ان اوائل اهل الكتاب قتلوا الانبياء واتباعهم الامرين
بالقسط والمعاصرين راضون بذلك وقاصدون قتل رسول الله عم والمؤمنين
وذلك فى حكم القتل وكانوا مستمرين على قتل الانبياء واتباعهم فصح المضارع الدال
على الاستمرار ويكون القتل على المعاصرين بقرينة فبشرهم بعذاب اليم لا على المجموع ليلزم
الجمع بين الحقيقة والمجاز على ان الماضين قد انقرضوا والمعاصرين لم يباشروا فالاستمرار
على القتل فى الكل ايضا مجاز فلا جمع وقد منع سيبويه ادخال الفاء فى خبر ان كليت
ولعل ولهذا قيل الخبر اولئك الذين حبطت اعمالهم كقولكم زيد فافهم رجل صالح والفرق
ان ان لا يغير معنى الابتداء بخلاف ليت ولعل فى الدنيا والاخرة اى لا ينالون بها نفعا

لا فى الدنيا ولا فى الآخرة وما لهم من ناصرين يدفع عنهم العذاب واعتبر مقابلة الجمع بالجمع والا فنفى المفرد اولى ابلغ الم تر تعجيب من حالهم وتنبيه على سوء صنيعهم الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يريد احبار اليهود فانهم حصلوا نصيبا وافرا من التورية لافادة التنكير التكثير واللام للعهد والمعهود التورية ومن اما للتبعيض لان ما فهموه مع وفوره ليس الا البعض منها لتعذر احاطة البشر بكنه كلام الله تعالى واما للبيان بمعنى ان النصيب الوافر الذى اوتوه هو التورية وعلى هذا فالانسب ان يفسر الايتاء بالانزال عليهم واطلاعهم عليها لا بالتحصيل ويجوز ان يكون اللام للجنس ومن للابتداء او للتبعيض وان يكون للعهد والمعهود اللوح ومن للابتداء والنصيب التورية ووصفها بالعظم انسب من وصفها بالكثرة يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم حال او استيناف وكتاب الله هو التورية وذلك ان رسول الله صلعم دخل مدارسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اى دين انت فقال على دين ابرهيم فقالا له ان ابرهيم كان يهوديا فقال هلموا التورية فانها بيننا وبينكم فابيا فنزلت وقيل نزلت فى الرجم وقد اختلفوا فيه وعن الحسن وقتادة كتاب الله القران لانهم قد علموا انه كتاب الله لم يشكوا فيه ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم بعد علمهم ان الرجوع الى كتاب الله واجب وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض اعتراض لا حال لقلة فائدة تقييد التولى به وان استقام ان يكون حالا موكدة وقرئ ليحكم على البناء للمفعول والوجه ان ايراد ما وقع من الاختلاف والتعادى بين من اسلم من احبارهم وبين من لم يسلم وانهم دعوا الى كتاب الله الذى لا اختلاف بينهم فى صحته وهو التورية ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى فريق منهم وهم الذين لم يسلموا وذلك ان قوله ليحكم بينهم يقتضى ان يكون اختلافا واقعا بينهم لا فيما بينهم وبين رسول الله صلعم ذلك اشارة الى التولى والاعراض بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات بسبب تسهيلهم امر العقاب على انفسهم لهذا الاعتقاد الزايغ والطمع الفارغ والسبب فى الحقيقة زعمهم اياه الا انه عبر عنه بالقول تنزيلا لمعتقدهم الفاسد عن منزلة العقايد الفاسدة الى منزلة الاقوال الباطلة التى لا طائل تحتها وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون من ان اباءهم الاولياء يشفعون لهم والغرور الاطماع فيما لا يصح اى غر الصغار قول الكبراء وانما سماه افتراء وهو اختلاق الكذب على الغير لانهم اضافوا القول الى التورية فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه استعظام لما اعد لهم من العقاب وتهويل لهم اى فكيف يصنعون او كيف يكون حالهم اذا وقعوا فيما لا حيلة لهم فى دفعه ووفيت كل نفس ما كسبت جزاء ما كسبت قيل فيه دلالة على ان العبادة لا تحبط

اى غرّ الصغار قول الكبار

وان المومن لا يخلد فى النار لان توفية ايمانه وعمله لا يكون فى النار ولا قبل دخولها فاذن هى بعد الخلاص ويرد عليه انا لا نم ذلك فانه يجوز ان يكون فيها بتخفيف العذاب وقبلها بدفع بعض الاهوال عند موقف الحساب والمرور على الصراط وهم لا يظلمون بنقص وعدمن اجورهم والضمير لكل نفس على المعنى لانه فى معنى كل انسان قل اللهم الميم عوض من يا ولهذا لا يجتمعان وذلك بعض خواص هذا الاسم كدخول تاء القسم ويا مع حرف التعريف وقطع همزته مالك الملك اللام للاستغراق تفيد العموم وهو نداء ثان عند سيبويه لان الميم عنده يمنع الوصفية تؤتى الملك من تشاء اللام هنا وفى قوله وتنزع الملك ممن تشاء للمهية التى تحصل بوجود فرد منه فيها خاصا اى تؤتى من تشاء النصيب الذى قسمت له منه وتنزع ممن تشاء النصيب الذى اعطيته منه وتعز من تشاء وتذل من تشاء فى الدنيا بالنصر والادبار وفى الآخرة بالتوفيق والخذلان بيدك الخير انما خص الخير بالذكر لعدم نسبة الشر اليه تعالى على ما وقع التصريح به فى الحديث النبوى حيث قال والخير فى يديك والشر ليس اليك ولما احتمل ان يظن ان الشر خارج عن خبر قدرته دفع بقوله انك على كل شئ قدير تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب لما ذكر قدرته فى ايتاء الملك والاعزاز والاذلال بحسب المشية عدد ايات القدرة الباهرة بذكر الليل والنهار وزيادة كل منهما بنقص الآخر وذكر الحى والميت واخراج كل منهما من الآخر وذكر سعة فضله دلالة على ان من قدر على هذه الامور العظام المحيرة للعقول والافهام ثم قدر على ان يرزق من يشاء من عباده بغير حساب فهو قادر على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويوتيه العرب ويعزهم ويرزقهم بغير حساب والولوج الدخول فى شئ بكلفة واستعير هنا للحوق قدر من الليل بالنهار على وجه يكون اللاحق من جنس الملحوق والمراد من اخراج الحى من الميت وعكسه انشاء النسمة الحية من النطفة الميتة والنطفة الميت من النسمة الحية وقيل هو اخراج المومن من الكافر وعكسه وفيه انه ليس من الايات الباهرة التى تستحق ان تستدل بها على ما ذكر وذكرها مع ان الرزق غير مخصوص بذوى العقول للتنبيه على ان رزق هذا الجنس وهو اقل افرادا من الجنس الآخر اذا كان خارجا عن حد الحد فالرزق فى الجنس الآخر فى الكل بطريق الاولى لا يتخذ المومنون الكافرين اولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة ونحوهما حتى لا يكون حبهم وبغضهم الا فى الله او عن الاتفاق فى العز وساير الامور الدينية من دون المومنين اى لا تتخذوهم اولياء متجاوزين ولاية المومنين فان لهم فى موالاتهم مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم

بالولاية ومن يفعل ذلك اي اتخاذهم اولياء فليس من الله في شيء فليس من ولاية الله في شيء
يطلق عليه اسم الولاية فان ولاية العدو عداوة وهم اعداء الله تعالى الا ان تتقوا منهم تقاة
الا ان تخافوا من جهتهم امرا يجب اتقاؤه في محل النصب على الظرف اي الا ان تتقوا قيل بمعنى
تخافوا وتحذروا فعدي بمن كان هذا القائل ظن ان خاف حذر لا يتعدى بنفسه ولم يجب
ويكون تقاة نصبا على المصدر بمعنى تتقي وقرئ تقية فعيلة بمعنى مفعول او شبيه بالمصدر
ايضا ويجوز ان يكونا مصدرين ان جعل مفعولا به ففيه مبالغة شديدة حيث كان
الوقعة معلقة بشدة الخوف حتى ان المحذور من غاية كونه مخوفا كانه نفس الحذر وفيه
التفات ولا يخفى ما فيه من اللطف فانهم لما نهوا عن فعل لا يكون جعل ذلك في اسم غائب
فلم يواجهوا بالنهي ولما رخص المحرم والاذن في بعض ذلك وجهوا به ايذانا بلطف
الله تعالى بهم وتشريفا بخطابه اياهم ويحذركم الله نفسه فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة
اعدائه وعيد شديد مشعر بتناهي المنهي عنه في القبح وذكر النفس ليعلم ان المحذر منه
عقاب يصدر منه فلا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة والى الله المصير دون غيره فلا
تفوتونه ولا يمكنكم الحذر انما بليغ عند مخالفته ثم بين قوله ويحذركم الله نفسه بقوله
قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله وهو بيان من باب التتميم كما قاله البرهان
اي ان تخفوا ما في صدوركم من ولاية الكفار وغيره مما لا يرضى الله به او تبدوه يعلمه
الله تعالى ويستوي عنده الاخفاء والابداء فذكر قوله او تبدوه بعد قوله ان تخفوا مع
انه مغني عنه لتقرير معنى التسوية المذكورة فهو كقوله وكهلا في قوله ويكلم الناس في
المهد وكهلا ويعلم اي وكيف لا وهو يعلم ما في السموات وما في الارض فانه مطلع
بالذات على الاشياء كلها سرها وعلنها والله على كل شيء قدير فهو القادر على عقوبتكم
وفي اظهار ذكر الله في المواضع الثلثة وتقديمه على المصير مع ان الموقع موقع
الاضمار ايماء بتشديد وتربية للعلم والقدرة والمهابة بانه هو العالم القادر دون
غيره ولا يختص علمه وقدرته ببعض المعلومات والمقدورات دون بعض فيجب ان
يحذر ويتقي يوم تجد نصب بمضمر نحو اذكر لا بيود اذ ح يضيع توصيف اليوم بوجدان
كل نفس ما عملت من خير محضرا بل كان لا يصلح منشأ لتلك الودادة والاصل في مثل
ذلك هو المثابة كل نفس اي كل نفس عاملة للخير وهي النفس المؤمنة لعدم الخير للكافر
وحذف الوصف لدلالة ما عملت من خير محضرا عليه وفيه اشارة بشارة للمؤمن لانه
ذكر انه يجد الخير محضرا ولم يذكر في حقه احضار الشر لان منه ما يعفى فلا يحضر قال تعالى
اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم والظاهر حضور العمل
بنفسه من الخير والشر على ما نطق به الخبر عن خير البشر فلا يجوز الصرف عنه بلا صارف

وما عملت من سوء مبتدأ خبره تود لو ان بينها وبينه اي يحب تمنيا ان بينها وبين ذلك اليوم
ولا يجوز ان يكون تود حالا من الضمير في عملت لان عملها ليس في حال الودادة المذكورة
وعلى قراءة ودت يجوز ان يكون ما شرطية وكذا على قراءة العامة عند التحقيق ولا يأباه
رفع تود لان الشرط اذا كان ماضيا والجزاء مضارعا جاز فيه الرفع والجزم لكن الحمل على
الجملة الاسمية اوقع في المعنى لانه حكاية الكائن في ذلك اليوم امدا بعيدا والامد المسافة
او الزمان ويحذركم الله نفسه ذكره فيما سبق للمنع عن موالاة الكافرين وذكره هنا
للحث على عمل الخير والمنع عن عمل السوء فلا تكرار والله رؤف بالعباد يعني ان المبالغة
في تحذيرهم واستيقاظهم عن الغفلة وتذكيرهم كمال علمه وقدرته واحاطته بهم من
الرأفة العظيمة بالعباد لانهم اذا تنبهوا وعرفوه حق معرفته حذروا سخطه وطلبوا
رضاه فنجوا ويجوز ان يريد انه مع كونه محذورا لاحاطة علمه وكمال قدرته وقوة قهره
مرجو لسعة رحمته ورأفته ولطفه كقوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني المحبة امر وجداني لا يمكن تعريفه بحسب الحقيقة كما قيل حقيقة الحب
لا تحكى لفاقدها والواجد يستبشع التعريف بالقيل ولا يعرف الشمس الا من يشاهدها
لكنه في تعريفها عين تضليل وانها الحادث في القلب ميل الى المحبوب لكمال ادرك فيه
بحيث يحملها على ما يقرب اليه فمحبة الله تعالى تقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه اليه
فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته والحرص
على طاعته يحببكم الله جواب للامر اي يرضى عنكم ويقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار
قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة او المشاكلة ويغفر لكم ذنوبكم ما سلف
من ذنوبكم والله غفور رحيم لمن تحبب اليه بطاعته ومتابعة نبيه قل اطيعوا الله والرسول
ذكر الله توطئة لذكر الرسول تخصيصا له بالله تعالى وتعظيما لكون الطاعة مكان المتابعة
كانه قال فان لم تتبعوني فاطيعوني ونوه به بذكر الرسول والالتفات واكد تعظيمه فان تولوا
يحتمل ان يكون ماضيا وان يكون مضارعا بمعنى فان تتولوا فان الله لا يحب الكافرين قد
سبق انفا بيان معنى حب الله اثبت الكفر لتارك طاعة الله والرسول بوضع الظاهر موضع
المضمر تسجيلا عليهم بالكفر وحصر الكفر فيهم بافادة انهم جنس الكفار ليلزم ان تارك
المتابعة ليس بكافر ما دام مطيعا لانه لا يتيسر لكل احد من احاد المسلمين موصيا الى ان الذي
لم يتيسر له المتابعة في سلوك طريقته فعليه بالطاعة كما امر والا كان كافرا ان الله اصطفى
ادم ونوحا بالرسالة والخصائص الروحانية والجسمانية ولذلك قووا على ما لم يقو عليه غيرهم
لما اوجب طاعة الرسل وبين انها الجالبة لمحبة الله عقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضا عليها
وال ابرهيم اسمعيل واسحق عليهما السلام واولادهما وقد دخل فيهم الرسول صلعم

وآل عمران موسى وهرون عليهما السلام والمراد عمران بن يصهر وقيل عمران بن
ماثان والد عيسى ومريم بنت عمران المذكور ذرية بعضها من بعض حال او بدل من
الآلين او منهما ومن نوح وآدم اي انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض
والذرية لما كانت مشتقة من الذرء وهو الخلق شملت الكل لان الاب خلق منه الولد
والولد خلق من الاب وقيل بعضها من بعض في الدين والله سميع عليم باقوال الناس
واعمالهم فيصطفي من كان مستقيم القول والعمل او سميع بقول امرأة عمران
عليم بنيتها اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني فتنتصب اذ بسميع و
منع توصيفه عن العمل غير مسلم وقيل نصبه باضمار اذكر محررا نصب على الحال اي معتقا
يخدمه مخلصا للعبادة لا اشغله بشيء قيل كان بنوا اسرائيل لم يكن لهم غنايم اعتاقهم
فلم يكن لهم مماليك يعتقونه وكانوا يحررون اولادهم تقربا الى الله تعالى ويقطعون
منافعهم عن انفسهم ويفرغونهم لخدمة بيت الله فتقبل مني ما نذرته والتقبل
اخذ الشيء على الرضا به انك انت السميع لقولي العليم بنيتي فلما وضعتها قالت رب
اني وضعتها انثى الضمير لما في بطنها وتانيثه لانه كان انثى حتى يكون كقولك وضعت
انثى انثى بل نظرا الى الحال وعلى تاويل النفس او النسمة وانثى حال من وضعتها وهو
ضمير ما في بطني للحال وذا الحال كشيء واحد وانما قالته تحسرا وتحزنا الى ربها لانها كانت
ترجوان تلد ذكرا ولذلك نذرته محررا للسدانة والله اعلم بما وضعت اي بالشيء
الذي وضعته وهو استيناف من الله تعالى تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بشانها وقرئ
وضعت على انه من كلامها تسلية لنفسها اي ولعل الله تعالى فيها سرا او الانثى خيرا وقرئ
وضعت على خطاب الله تعالى لها وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت لها
بيان لقوله والله اعلم بما وضعت والتعريف فيهما للعهد قيل ويجوز ان يكون من قولها
بمعنى وليس الذكر والانثى سيان فيما نذرت فيكون التعريف للجنس وفيه ان مقصودها
تنقيص الانثى بالنسبة الى الذكر والمشهور في مثله ان ينفى عن الناقص شبهه بالكامل لا العكس
واني سميتها مريم عطف على ما قبلها من مقالها وما بينهما اعتراض ارادت بذلك التقرب
الى الله والعصمة لها لان مريم في لغتهم بمعنى العابدة فلعل الله يصدق فيها ظنها وجعلها
طبقا لاسمها فتقوم مقام ما نذرته الا تراها كيف اتبعته بقولها واني اعيذها بك اجيرها
بحفظك وذريتها من الشيطان الرجيم المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة وعن النبي
صلعم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل من مسه الا مريم وابنها
والحديث مذكور في الصحيحين ولا صارف عن ظاهره فمن تردد في صحته ثم اوله فقد ضل و
اضل فتقبلها ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر بقبول حسن بوجه حسن تقبل به النذائر

وهو اقامتها مقام الذكر او تسلمها عقيب ولادتها قبل ان تكبر وتصلح للسدانة و
يجوز ان يكون مصدرا على تقدير مضاف اي بذي قبول حسن وان يكون تقبل بمعنى
استقبل كتقضى وتعجل اي فاخذها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها
نباتا حسنا اي نشاها ورباها على احسن وجه خلقا وخلقا وكفلها زكريا وقرئ
بتشديد الفاء اي جعل الله زكريا كافلا لها وضامنا لمصالحها كلما دخل عليها
زكريا المحراب قال الاصمعي المحراب الغرفة اي الغرفة التي بنيت لها وقال الزجاج المحراب
اشرف المجالس ومقدمها وقيل المساجد عندهم تسمى المحاريب وهو مفعال من الحرب
لانه يحارب فيه الشيطان كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وجد عندها
رزقا جواب كلما وناصبه وتنكير رزقا للتنويع اي نوعا غريبا من الرزق روي انه
كان لا يدخل عليها غيره واذا خرج اغلق عليها سبعة ابواب فكان يجد عندها فاكهة
الشتاء في الصيف وبالعكس قال يا مريم انى لك هذا من اين لك هذا الرزق الذي
لا يشبه ارزاق الدنيا وهو آت في غير حينه والابواب مغلقة عليك ستفيد الاوصاف
من اسم الاشارة المستعمل لكمال العناية بالتميز لما له من الاوصاف العجيبة الشان قالت هو
من عند الله فلا يستبعد قيل كان رزقها ينزل عليها من الجنة ولم ترضع ثديا قط
ان الله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير لكثرته او تفضلا بغير محاسبة ومجازاة
على عمل من جملة كلامها او من كلام الله تعالى هنالك في ذلك المكان دعا زكريا ربه لما راى
المحراب مكان عبادة وكرامة لمريم دعا فيه ان يهب الله تعالى ذرية طيبة قال تفسير للدعاء رب
هب لي من لدنك ذرية طيبة اي تفضل علي باعطاء ولد وابقائه كما وهبت لامرأة عمران
ومن عجوز عاقر يعني هذا من قوله من لدنك فان فيه اشارة الى ان تلك الهبة على خلاف العادة
وقيل لما راى الفواكه في غير اوانها انتبه على جواز ولادة العاقر من الشيخ فسال واولى
منه ان يقال لما شاهد وقوع هذا الخارق كرامة لمريم امتد امله الى خارق يناسبه كرامة
له والذرية الولد يقع على الذكر والانثى والواحد والجمع وتانيث الطيبة للفظ الذرية
والطيب هو الذي يستطاب فلا يكون فيه امر يستخبث ويعاب انك سميع الدعاء مجيبه فنادته
الملئكة كان النداء من جبريل عم وحده وانما ذكره جمعا لانه اذا نزل لامر خارق كان معه
جماعة من الملئكة تعظيما لذلك الامر وهذا كما يقال حضر زيدا خواص السلطان يدعونه اليه وان
كان الذي يخاطبه بالدعوة واحدا منهم وهو قائم يصلي في المحراب اي قائما في الصلوة ويصلي
صفة قائم وخبر او حال عن الضمير قائم دل على ان المرادات تطلب بالصلوات وفيها اجابة
الدعوات وقضاء الحاجات ان الله يبشرك وقرئ بالفتح لوقوع فعل النداء عليه وحمل
النداء في معنى الاعلام وبالكسر على ان في النداء معنى وقرئ يبشرك بالتشديد من التبشير

وبالتخفيف من البشارة وقد سبق تفسيرها في سورة البقرة بيحيى اسم اعجمي وان جعل عربيا
فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل مصدقا بكلمة من الله اي بعيسى عم مؤمنا به سمي بذلك
لانه وجد بامر الله تعالى بلا اب فشابه البدعيات التي هي عالم الامر او بكتاب الله سمي كلمة كما قيل
كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا يسود قومه ويفوقهم وكان فائقا على الناس كلهم في انه
ما هم بمعصية وحصورا ممتنعا من النساء مع القدرة عليهن والحصر الحبس والمنع وهو فعول
بمعنى فاعل وقيل هو المتبتل الذي حصر نفسه عن كل لذة في الدنيا روي انه مر في صباه بصبيان
فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا من الصالحين ناشئا منهم لانه كان من اصلاب
الانبياء عليهم السلام او كائنا من الصالحين وفي توصيفه بالصلاح بعد توصيفه بالنبوة
ما لا يخفى من التعظيم للصلاح قال رب انى يكون لي غلام استعظاما وتعجبا وفي عبارة الغلام
دون الولد تقوية له وذكر الغلام كان في البشارة على ما ذكر في سورة مريم وترك ههنا
اختصارا والاستبعاد بحسب العادة لا يناسب الحال وسيأتي في المقال الاعلى قول من قال كان دعا
عم قبل بشارته باربعين سنة فلذلك نسي ما سال ربه حين قال ما قال على ان الاستعظام
ينتظم اذا اقتضاه المقام واما الاستفهام عن كيفية حدوثه فلا يناسبه تمام الكلام ولا ينتظم
الجواب حق الانتظام وقد بلغني الكبر ادركني كبر السن واثر فيّ وكان له تسع وتسعون
سنة ولامرأته ثمان وتسعون ولهذا قال وامرأتي عاقر لا تلد من العقر وهو القطع لانها
ذات عقر من الاولاد قال كذلك تعظيم اي مثل ذلك الفعل العظيم العجيب الشأن البعيد عن العقل
والعادة يفعل الله ما يشاء من الافاعيل العجيبة وهو خلق الولد من الفاني والعجوز العاقر كذلك
نصب على المصدر او خبر مبتدأ الله اي على مثل هذه الصفة الله وقوله يفعل ما يشاء بيان له اي
يفعل ما يريد من الافاعيل الخارقة للعادات قال رب اجعل لي آية علامة اعرف بها الحبل لاستقبله
بالبشاشة والشكر وتزيح مشقة الانتظار قال آيتك الا تكلم الناس ان لا تقدر على تكليم الناس
من غير خرس ولا آفة اخرى لقوله في موضع آخر سويا اي سليم الاعضاء وانما حبس لسانه عن
مكالمتهم خاصة ليخلص المدة لذكر الله تعالى وشكره قضاء لحق النعمة لما اطلع الله تعالى على انه
طلب الآية لاداء الشكر جعل الآية نفس الشكر فان اخلاص المدة لذكره دون شغل لسانه بغيره
من احسن انواع الشكر واحسن الجواب ما كان منتزعا من السؤال كانه قال آيتك لا تقدر الا على شكري
ثلاثة ايام ذكر الايام ههنا والليالي هناك ولا تنافي بينهما لان ذكر احدهما يقتضي دخول الاخرى
فيها لغة وعرفا الا رمزا الرمز الايماء بالشفتين وقد يستعمل في الايماء بالحاجب والعين واليد
والراس والاول اغلب واصله التحرك ومنه الراموز للبحر والكلام ينتظم الرمز لان المراد منه ما دل
على الضمير قال حريه بن عايذ كان تكلم الابطال رمزا وغمغمة لهم مثل الهدير فالاستثناء متصل و
قرئ رمزا كخدم جمع رامز ورمزا كرسل جمع رموز على انه حال منه ومن الناس بمعنى مترامزين

واذكر ربك كثيرا في ايام الحبسة وهو مؤكد لما قبله مبين للغرض منه والكثرة قيد للمامور به
لا قيد الامر فلا يعتد بدلالة الامر على التكرار فائدته تكرار الذكر الكثير وسبح بالعشي والابكار
في طرفي النهار خصهما بالذكر لانهما مجمع ملائكة الليل وفريق والابكار بفتح الهمزة جمع بكر كسحر
واسحار يقال ابت بكرا بفتح الى بكرة واذ قالت الملائكة يا مريم لما فرغ من قصة زكريا عم
وكان قد استطرد من قصة مريم اليها رجع الى قصتها والمقصود تنزيهها عما رمتها به اليهود و
في نداء الملائكة لها باسمها تانيس لها وتوطئة لما يلقيهم اليها ودفع لاحتمال ان يكون ذلك بطريق
الالهام لا على وجه المشافهة بالكلام ان الله اصطفاك اولا بانواع الكرامة واخصك بتقبلك من
امك وتربيتك برزق الجنة وقبض العذرة وطهرك مما يستقذر ويجتنب من الافعال ويدخل
فيه ما قذفها به اليهود دخولا اوليا واصطفاك اخرا على نساء العالمين بان وهب لك عيسى عم
من غير اب كان تلك المخاطبة كرامة لها للاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امرأة واما قوله تعالى
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا فلا دلالة فيه على ما ذكر لان الرسول اخص من النبي ولا يلزم من
انتفاء الخاص انتفاء العام يا مريم اقنتي اخلصي وادعي الطاعة لربك واسجدي اي صلي النافلة
وحدك واركعي مع الراكعين اي صلي الفرض مع المصلين في بيت المقدس جماعة وانما خص
السجود من بين اركان الصلوة بالذكر في مقام التعبير عن الكل بالجزء لان تمام الصلوة به و
لهذا يحنث من حلف لا يصلي اذا اتم سجوده ولا يحنث قبله وخص الركوع بالذكر في مقام التعبير
عن الصلوة بالجماعة لان شرط صحة الاقتداء ادراك الامام في الركوع ذلك اشارة الى ما ذكر من
انباء زكريا ويحيى ومريم وعيسى عليهم السلام من انباء الغيب نوحيه اليك مما يوحى اليك
من الغيوب وما كنت لديهم الضمير عائد الى ما دل عليه المعنى اي وما كنت لدى المتنازعين
اذ يلقون اقلامهم قداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا باقلامهم التي كانوا يكتبون بها التورية
تبركا بها والمراد تقرير كونه وحيا على سبيل التهكم بمنكريه كانه قيل انه عم يخبركم بما لا سبيل
اليه لنظر العقل وانتم تنكرون الوحي وتعترفون بعدم السماع فلم يبق لنا بمقتضى عقولكم
ما يحتاج الى النفي سوى المشاهدة التي هي اظهر الامور انتفاء ايهم يكفل مريم متعلق بمحذوف
دل عليه يلقون تنافسا في كفالتها اذ قالت الملائكة بدل من اذ قالت الاولى وما بينهما اعتراض
او من اذ يختصمون على ان وقوع الاختصام والبشارة في زمان متسع لقوله لقيته سنة
يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه قد سبق تفسيرها اسمه الضمير للكلمة وانما ذكر باعتبار المعنى
المسيح عيسى بن مريم المسيح لقبه اصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك فهو من الالقاب المشرفة
كالصديق وعيسى معرب ايشوع وانما قالوا عيسى بن مريم والخطاب لها تنبيها بنسبته
الى الام انه يولد من غير اب لان النسبة اليها انما تكون عند فقد الاب وقد كان في قوله تعالى
بكلمة منه تمهيد لهذا التنبيه ولما كان الاسم علامة يعرف به المسمى ويتميز من غيره قيل اسمه

اى ما يعرف به ويتميز مجموع هذه الثلثة تعظيما له وتنويها بذكر اللقب والصفة مع الاسم
وجيها في الدنيا والاخرة حال مقدرة من كلمة وهي وان كانت نكرة لكنها موصوفة و
الوجاهة في الدنيا النبوة والتقدم على الناس بالمعجزات وفي الاخرة علو الدرجة و
الشفاعة ومن المقربين من الله تعالى حال آخر وقيل اشارة الى رفعه الى السماء وصحبته
الملئكة ويكلم الناس حال آخر والعدول الى الفعل لانه صفة متجددة بخلاف السابق و
اللاحق وذكر الناس لبيان ان المراد التكلم المعتاد فان الصبي قد يقدر على التكلم مع
ابويه وهو طفل فتكلم مطلقا في تلك الحال ليس بخارق للعادة في المهد حال من يكلم
وكهلا عطف عليه اى طفلا وكهلا وانما عدل عنه الى المنزل تصويرا لحال صغره المنافي
للقدرة على التكلم كما ينبغي والمعنى يكلمهم في الطفولة والكهولة على سواء وفيه
بشارة لامه ببعثه وبقائه الى الكهولة وهي ما بين الشباب والشيب واستدل به على
نزوله من السماء لان رفعه اليها كان قبل ان يصير كهلا والمهد ما يمهد للصبي من مضجعه
سمية بالمصدر ومن الصالحين حال رابع من كلمة او ضميرها الذي في يكلم قالت كانها فهمت
من نسبة لها انه لا والد له رب انى يكون لي ولد تعجب او استبعاد عادي او استفهام
عن ان يكون بتزوج او غيره لان قوله ولم يمسسني بشر ظاهر في ان الطريق عنده منحصر
في التزوج قال جبريل ع م بامر الله تعالى كذلك الله يخلق ما يشاء قد سبق تفسيره اذا قضى
امرا فانما يقول له كن فيكون بيان لقوله يخلق ما يشاء واشارة الى انه تعالى كما يقدر ان
يخلق الاشياء مدرجا باسباب ومواد يقدر ان يخلقها دفعة من غير ذلك ويعلمه الكتاب
كلام مبتدأ ذكر تطييبا لقلبها وازاحة لما همها من خوف اللوم لما علمت بغتة انها تلد من غير
زواج والكتاب الكتبة وقرئ ونعلمه بالنون على الالتفات من الغيبة الى الخطاب لشدة
الاعتناء بامره عليه السلام ويجوز ان يراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان في
قوله والحكمة والتورية والانجيل لفضلهما ورسولا الى بني اسرائيل اني قد جئتكم باية من ربكم
منصوب بمضمر اى ويجعله رسولا او بتضمين معنى كانه قال وناطقا باني قد جئتكم
باية ويجوز ان يكون التقدير ويقول ارسلت رسولا ولا يخفى ضعفه اذ فيه اضمار شيئين
القول ومعموله والعطف على الاحوال المتقدمة باباء الفصل بقوله قالت رب يكون لي ولد
لا فانه ح ينبغي ان يؤخر هذا القول عن ذكر الاوصاف والاحوال والاهتمام بها علة لا يصلح
باعثا لتقديم ما حقه التاخير فانه لا يكون سلامة الامر وتخصيص بني اسرائيل لخصوص بعثته
ع م او للرد على من زعم انه مبعوث الى غيرهم اني اخلق لكم من الطين في محل النصب
بدل من اني قد جئتكم او الجر بدلا من اية او الرفع على هي اني وقرئ اني بالكسر على الاستيناف
كهيئة الطير اى اقدر لكم واصور شيئا مثل صورة الطير اصل الكلام كالطير في الهيئة وانما

عدل عنه الى المنزل اشارة الى انه لم يكن منه ع م تصرف الا في الهيئة فالمماثلة بينهما في المادة
انما المماثلة في الصورة فقط فانفخ فيه الضمير للكاف اى في ذلك المماثل فيكون طيرا اى يصير
حيا طائرا باذن الله نبه به ان احيائه كان من الله تعالى لا منه وفي عبارة الاذن دون الامر
اشارة الى تهوين امره وتحقيره قبل تواطؤ النقل عن المفسرين ان الطائر الذي خلقه ع م
كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عن اعينهم سقط ميتا ليتميز فعل المخلوق
من فعل الخالق ومن ههنا ظهر وجه زيادة لكم في قوله اني اخلق لكم ووجه التهوين الذي
اشير اليه بعبارة الاذن وابرئ الاكمه والابرص الاكمه الذي ولد اعمى وقيل الممسوح
العين واحيي الموتى باذن الله ذكره فيما لا يدخل تحت قدرة العباد وقيل وجهه انه
عالم انه يفيد وينخدا لها فنفى عن نفسه الالوهية قطعا لحججهم عند الله تعالى وانبئكم بما
تاكلون وما تدخرون في بيوتكم بالمغيبات من احوالكم التي لا تشكون فيها ان في ذلك لاية
المجموع ما ذكر لاية لكم ان كنتم مؤمنين موفقين للايمان فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات
او مصدقين للحق غير معاندين ومصدقا لما بين يدي من التورية عطف على رسولا او على
باية تقديره قد جئتكم باية وجئتكم باية مصدقا ولاحل لكم ولا يتبع الحال واعلم معطوف
على محذوف تقديره لاخفف عنكم ولاحل لكم او معطوف على معنى مصدقا كقولهم جئتك
معتذرا ولاطيب قلبك او مردود على قوله جئتكم باية اى منتظم معه معطوف عليه ظاهرا لكنه
في التحقيق من عطف الجمل اى وجئتكم باية لاحل اذ لا وجه لعطف المفعول له على المفعول به وكان
تجعل الكل في معنى فيستقيم العطف اى جئتكم ملتبسا باية ومصدقا لما بين يدي وكائنا لاحل
بعض الذي حرم عليكم اى في شريعة موسى ع م كالشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل
في السبت وذلك لا ينافي كونه مصدقا للتورية لان النسخ في الحقيقة بيان لانتهاء حكم المنسوخ
وجئتكم باية من ربكم اى جئتكم باية بعد اخرى مما ذكرت ومما لم اذكر من ولادتي بغير اب ومن
كلامي في المهد وغير ذلك وقرئ بايات من ربكم فاتقوا الله فيما جئتكم به من الايات واطيعون
فيما ادعوكم به ثم ابتدأ فقال ان الله ربي وربكم اى تلك الايات واسمعوا هذه فانها اعظمها
وهو التوحيد الذي تطابق عليه الرسل كلهم وهو مبنى الدين الكل فاعبدوه فخصوه بالعبادة
وقرئ ان الله بالفتح ومعناه لان الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله تعالى لايلاف قريش فليعبدوا
ويجوز ان يكون المعنى وجئتكم باية عظيمة ما اعظمها دلالة على ان الله ربي وربكم وما بينهما
اعتراض للتاكيد هذا صراط مستقيم اشار بقوله ان الله ربي وربكم الى استكمال القوة
النظرية بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد وبقوله فاعبدوه الى استكمال القوة العملية
فانه بملازمة الطاعة التي هي الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع
بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة فلما احس عيسى منهم الكفر نزل الكفر منزلة

ثماره المحسوسة من سببه وطلبه للقتل مبالغة في قوة تاثيره وشدة ظهوره ثم كني باحساسه
عن التاثير به والخوف منهم ولذلك طلب الانصار ومن وهم ان الاحساس مستعار للعلم اليقيني
الذي لا شبهة فيه فقد وهم لان فيه تشبيه القوي بالضعيف فان الاحساس كثيرا ما يقع
فيه الغلط نعم لو قيل شبه الكفر المعقول بالمحسوس في قوة الظهور فاضاف اليه الاحساس على
طريقة الاستعارة بالكناية لكان له وجه والفاء فصيحة ترتيبها على محذوف يفهم من سياق
الكلام وسياقه قال من انصاري جمع النصير كالاشراف جمع الشريف او جمع ناصر كالاصحاب
جمع صاحب الى الله في محل النصب متعلق بحال محذوف اى سائرا الى الله او ملتجئا او صلة
الانصاري مضمنا معنى فعل متعد بالى اى من الذين يضيفون انفسهم الى الله ينصرونني
كما ينصرني الله قال الحواريون حواري الرجل صفوته وخالصته من الحور وهو البياض الخالص
سمي به اصحاب عم لخلوص نيتهم ونقاء سرائرهم نحن انصار الله اى انصار دينه امنا
بالله واشهد بانا مسلمون تاكيد لاسلامهم لان الرسل تشهدون يوم القيمة لقومهم
وعليهم ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين مع الانبياء الذين
يشهدون لاممهم او مع امة محمد عم لانهم شهداء على الناس ومع الشاهدين بالوحدانية
ومكروا اى الذين احس عيسى عم منهم الكفر ومكرهم انهم وكلوا به من يقتله غيلة ومكر الله
بان رفعه عم والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل وحقيقة المكر اظهار امر يعتقد فيه
الناظر اليه الجاهل حقيقة بضد ما هو ولذلك الاحتيال والخديعة والسخرية ومن قصد شيئا
من فعل ذلك امرا قبيحا يكون ذميما وان قصد به فعلا جميلا يكون بذلك حميدا كذا قال الراغب
فلا شئ في اسناده الى الله تعالى كما لا شئ في اسناد الكيد اليه ومن وهم انه لا يسند الى الله تعالى
الا على سبيل المقابلة والازدواج فقد وهم وكانه غافل عن قوله تعالى افامنوا مكر الله فلا يامن
مكر الله الا القوم الخاسرون والله خير الماكرين اقواهم مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم على ايصال
الضرر من حيث لا يحتسب اذ قال الله ظرف لمكر الله او لخير الماكرين لان نفس كونه تعالى خير الماكرين
بالظرف ليس بسديد يا عيسى اني متوفيك اى مستوفي اجلك ومؤخرك الى اجل المسمى عاصما اياك
من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالي او متوفيك نايما اذ روى انه رفع نايما وقيل
اماته الله ورفعه الى السماء ثم احياه واليه ذهب النصارى ورافعك الى محل كرامتي ومقر ملائكتي
ومطهرك من الذين كفروا من سوء صحبتهم وسوء جوارهم او قصد جورهم وجاعل الذين
اتبعوك فوق الذين كفروا يعلونهم بالحجة وفي اكثر الاحوال بها وبالسيف ومتبعوه هم المسلمون
لانهم متبعوه في اصل الاسلام وان اختلفت الشرايع دون الذين كذبوه وكذبوا
عليه من اليهود والنصارى الى يوم القيمة الى الان لم يسمع غلبة اليهود عليهم ولم يتفق لهم
دولة وملك ثم الي مرجعكم الضمير لعيسى عم ومن تبعه ومن كفر به وغلب المخاطبين على

الغائبين بعدما التفت من الغيبة الى الخطاب ليكون الاخبار ابلغ في التهديد واشد زجرا
فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين والتفت من الغيبة الى التكلم مسندا
الحكم الى نفسه ليعلم ان الحاكم هنا من لا يخفى عليه خافية فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا
شديدا في الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين واما الذين امنوا وعملوا الصالحات
فيوفيهم اجورهم تفسير للحكم وتفصيل له وبداء بذكر الكفار لان ما تقدم من المجمل
انما ذكر على سبيل التهديد والوعيد لهم والاخبار بجزائهم وقوله وعملوا الصالحات
لم يذكر على انه قيد احترازي بل ذكر للتنبيه على ان الايمان الصحيح يتبعه العمل ان لم يمنعه
مانع والله لا يحب الظالمين اى يبغضهم فانه من الكنايات الملحقة بالحقيقة في جميع الالسنة
ذلك اشارة الى ما سبق من نباء عيسى عم وغيره وهو مبتداء خبره نتلوه عليك وقوله
من الايات حال من الهاء او خبر بعد خبر او خبر مبتداء محذوف ويجوز ان يكون من
الايات خبرا ونتلوه حالا على ان العامل معنى الاشارة او ينتصب ذلك بمضمر يفسره
نتلوه وان يكون بمعنى الذي ونتلوه صلته والخبر من الايات والذكر الحكيم هو القران
وصف بصفة من هو له على طريقة قولهم شعر شاعر او لكثرة حكمه كانه حكيم ناطق بالحكم
او المحكم الممنوع عن تطرق الخلل اليه ان مثل عيسى عند الله اى شانه الغريب في ولادته
من غير نطفة كمثل ادم كشانه الغريب في خلقه كذلك ولخفاء هذا الحال على الخلق قال
عند الله وهما في ذلك في ان وجدا وجودا خارجا عن العادة بان خلقا من غير نطفة
نظيران لا مزية لاحدهما في نفس ذلك المعنى فصح التشبيه بلا اشتباه واما كون عيسى
عم مخلوقا من غير اب وادم عم مخلوقا من غير اب وام فخارج عن مدلول الكلام وان
كان مقصودا في تثنية ما سيق له ذلك ملحوظا من عرضه بمعونة المقام فان الغرض
على وجه اقوى ولهذا تعرض لبيان حاله بقوله خلقه من تراب جملة مفسرة للتمثيل مبينة
لما له الشبه اى خلق جسده فانه من عالم الخلق وهو عالم الملك وعالم الشهادة ثم وجد
روحه بامر كن وهو عالم الامر وهو عالم الملكوت وعالم الغيب على ما افصح عنه بقوله
ثم قال له كن وفيه دلالة على ان الانسان كاين مرة بعد اخرى على ما صرح به في قوله ثم انشاناه
خلقا آخر فكلمة ثم للتراخي حقيقة فيكون حال ماضية استحضارا لتلك الحالة العجيبة وبيانا
لسرعة حصول المراد فان الفاء للدلالة على عدم التراخي الحق خبر مبتداء محذوف اى هو
الحق من ربك اى ثابتا منه على انه حال مؤكدة وقيل الحق مبتداء ومن ربك خبره اى الحق
المذكور من الله تعالى وتعريف الحق للعهد الذهني اى ايجاد عيسى عم من غير اب هو الحق
الذي تعرفه فلا تكن من الممترين الخطاب للنبي عم وفايدة النهي عن الامتراء هو التثبيت
على اليقين والطمانينة والايماء الى ان الممتري هو الذي لا يعرف الحق اى قدرة الله على الايجاد

من غير اب والام فوجود الله صلى الله عليه وسلم اجل من ان يمترى حتى ينهى عنه فمن
حاجك من النصارى فيه في عيسى عم من بعد ما جاءك من العلم اى البينات الموجبة للعلم
فقل تعالوا هلموا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اى يدع
كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحمل عليها وانما قدمهم على
النفس تنبيها على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وانهم مقدمون على الانفس كيف والرجل
يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم ثم نبتهل من البهلة بفتح الباء وضمها وهي اللعنة
واصل الابتهال الالتعان ثم استعمل في كل دعاء يجهد الانسان عليه وان لم يكن التعانا
والمباهلة الملاعنة اى يتباهل بان نقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم فنجعل لعنة
الله على الكاذبين عطف فيه بيان قد طول المفسرون في قصة المباهلة وحاصلها انه عم
لما دعاهم اليها وخرج بالحسن والحسين وفاطمة وعلي رض الى الميعاد كفوا عن ذلك ان هذا
ما قص من نبأ عيسى عم ومريم لهو القصص الحق بجملتها خبر ان وهو فصل يفيد ان
ما ذكره في شانهما حق دون ما ذكروه وما بعده خبر وحق اللام ان يدخل المبتدأ فلما
دخل ان ازيلت عنه الى الخبر والواسطة لمزيد التاكيد واذا جاز تاخيرها الى الخبر فلان
يجوز الى الواسطة التي هي اقرب الى المبتدأ اولى وما من اله الا الله زيادة من هنا في افادة
معنى الاستغراق والتاكيد في النفي كالبناء على الفتح في لا اله الا الله والمراد الرد على النصارى
في تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم دخول ان واظهار اسم الله وتوسيط هو للفصل
وادخال اللام عليه وتعريف العزيز الحكيم مبالغات وتاكيدات في التوحيد ونفي الشرك وان
العزة اى الغلبة والقهر مخصوصة بالله تعالى ليس لغيره فيها نصيب وان قهره انما يكون
بالحكمة فلا يقهر الا الكافر ثم بالغ في الابعاد بقوله فان تولوا اى عن التوحيد فان الله
عليم بالمفسدين وادخال الفاء في ان الله اشارة الى ان الوعيد مسبب عن الاعراض ووضع
المفسدين موضع ضميرهم تسجيل عليهم وتنبيه على ان حقيقة الفساد هو التولي عن التوحيد
وان الوعيد المذكور في قوله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون مخصوص
بهم قل يا اهل الكتاب تعم اهل الكتابين وقيل يريد وفد نجران وقيل يهود المدينة
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم اذ لا تختلف فيها الرسل والكتب ويفسرها ما بعدها الا نعبد
الا الله نوحده بالعبادة ولا نشرك به شيئا لم يرد بالشرك في العبادة لان الوصل يأباه بل
اراد به ما ذكر بقوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم
وهذا لشركائنا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله اى لا نتخذ لاتباع الرؤس
اربابا من دون الله فيطيعونهم كطاعة الله تعالى نهى عن طاعتهم الاحبار فيما احدثوا
من التحليل والتحريم من غير الرجوع الى ما شرع الله لا عن قولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله

لان مرجعها الى ما تقدم من توحيده تعالى بالعبادة فان تولوا عن التوحيد الذي هو
اصل دين الكل فقد لزمتهم الحجة بانهم لبسوا على دينهم فقولوا اشهدوا بانا مسلمون
دونكم لانكم خالفتم كتابكم ونبيكم ويجوز ان يكون من باب التعريض اى اشهدوا واعترفوا
بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل ولا يخفى ما في نظم هذه القصة
من المبالغة في الارشاد ولطف التدرج في الحجاج وحسن المقطع عند ظهور اللجاج يا اهل
الكتاب لم تحاجون في ابرهيم وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده تنازعت اليهود
والنصارى في ابرهيم عم وزعم كل فريق انه منهم فترافعوا الى الرسول صلعم فنزلت
يعني انكم معترفون بحدوث اليهودية والنصرانية بنزول التورية والانجيل ونزولهما
بعده عم فكيف يكون يهوديا او نصرانيا ولا يرد الالزام علينا في قولنا انه عم كان على
دين الاسلام لانا ما نقول بحدوث دين الاسلام بنزول القرآن افلا تعقلون حتى لا تجادلوا
مثل هذا الجدال المحال ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم
ها حرف التنبيه وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة مستأنفة مبينة للاولى اى
تنبهوا ايها الغافلون انتم هؤلاء الحمقى على هذه الصفة التي انتم عليها مما لا يمكن وسمكم بما هو
ابلغ منه فانتم الاشخاص المتعينة المشار اليهم في الحماقة وفي حرف التنبيه مبالغة في غفلتهم
وفي هؤلاء الذم بالجهل وحاججتم لكشف جهلهم وسخافة عقولهم اى ان حماقتكم انكم
جادلتم فيما لكم به علم من التورية والانجيل من حال محمد عم فلم تحاجون فيما لا ذكر له في
كتابكم ولا علم لكم به من حال ابرهيم عم والله يعلم ما حاججتم فيه فيعلمنا وانتم لا تعلمون
وانتم جاهلون به ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا تصريح بمقتضى ما قدره من
البرهان ولكن كان حنيفا مائلا عن العقائد الزائغة مسلما ثابتا على ملة الاسلام وما سبق
الى بعض الاوهام من الاشتراك في الالزام فقد اندفع بما قدمناه من الكلام وما كان من المشركين
تعريض بانهم مشركون لاشراكهم به تعالى عزيرا والمسيح ورد لادعاء المشركين انهم على ملة
ابرهيم عم ان اولى الناس بابرهيم اقرب الناس منه واخصهم به من الولي وهو
القرب للذين اتبعوه في زمانه وبعده وهذا النبي خصوصا والذين آمنوا من امته
لموافقتهم له في اكثر ما شرع له اصالة وقرئ والنبي بالنصب عطفا على الهاء في واتبعوه
وبالجر عطفا على ابرهيم والذين آمنوا على قراءة النصب عطف على الذين اتبعوه وعلى
قراءة الجر يحتمل العطف على النبي وعلى الذين اتبعوه وهذا اوجه والله ولي المؤمنين
ينصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت
في اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى ان وما يضلون الا
انفسهم اى وما يقدرون على اضلال المسلمين وانما يضلون امثالهم من اشياعهم

او ما يعود وبال اضلالهم الا عليهم فان الوبال يضاعف عليهم بضلالهم واضلالهم
وما يشعرون ذلك يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله بما في التورية والانجيل من الآيات
الناطقة بنبوة محمد عم وانتم تشهدون انها آيات الله تعالى او بالقرآن وانتم تشهدون
نعته في الكتابين او تعلمون بالمعجزات انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل
بالتحريف وابراز الباطل في صورة الحق وقرئ تلبسون بفتح الباء اى تلبسون الحق مع الباطل
كقوله عم كلابس ثوبي زور وتكتمون الحق نبوة محمد عم ونعته وانتم تعلمون عالمين
بما تكتمونه وقالت طائفة من اهل الكتاب المراد بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك بن الضيف
وكعب بن اسيد قالوا لاصحابهم لما حولت القبلة آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا كان
حقه ان يقول بالذي انزل على محمد وانما عدل عنه الى المنزل لعدم المساعدة من باطنه
على التكلم به وجه النهار اوله قال من كان من ورائكم تلك فلما ت ثبوتنا بوجه النهار
اى اظهروا الايمان بما نزل عليهم من الصلوة الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار واكفروا آخره
وصلوا الى الصخرة لعلهم يرجعون ظانين بانكم رجعتم لخلل ظهر لكم وقيل اثنا عشر من
احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام اول النهار ويقولوا آخره نظرنا في كتابنا و
شاورنا علماءنا فلم نجد محمدا بالنعت الذي ورد في كتابنا لعل اصحابه يشكون فيه فيرجعون
ولا تؤمنوا ولا تقروا عن تصديق قلب الا لمن تبع دينكم الا لاهل دينكم او لا تظهروا ايمانكم
وجه النهار الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم ارجى واهم قل ان الهدى هدى الله يهدي
من يشاء من الايمان او يثبته عليه الهدى اسم ان وهدى الله بدل منه وان يؤتى احد مثل
ما اوتيتم خبره واللام في الهدى للمهية وفائدة الابدال تعظيم الهدى بنسبته الى الله تعالى
اى ان حقيقة الهدى ومهية الهدى الالهي الذي يسره الله هدى بل الاهدى لا هو
لان ما عداه من هدى الخلق ليس بهدى وعلى هذا او في قوله او يحاجوكم بمعنى حتى لان
المحاجة نفسها لا تصلح لذلك الامر سطة بالانتفاء مرتبة عليه وهدى الله خبر ان وان
يؤتى احد كتابا موافقا لكتابكم مصدقا له منزلا من عند الله او يحاجوكم عند ربكم يدبرهم
ما دبرتم وقلتم ذلك لاصحابكم وانما اتى باو تنبيها على ان كل واحد منهما مستقل في غاظتهم و
حملهم على الجد حتى دبروا ما دبروا ولو اتى بالواو لما وقع هذا الموقع للعلم بان الثاني يلزم
الاول فلم يكن فيه فائدة واما اذا اتى باو فهذا يشعر بان كلا مستقل في الباعثية على الجد
والاحتشاد في التدبير والحمل على معنى حتى ليس له موقع يروع السامع وان كان وجها ظاهرا
ويؤيد هذا الوجه قراءة أان يؤتى بهمزة الاستفهام اى الان يؤتى احد ولان يحاجوكم فعلتم
ذلك ويجوز ان يتعلق ان يؤتى بلا تؤمنوا اى ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم
الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا تدعوهم

الى الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض يدل على ان كيدهم لا يجدي بطائل وقرئ
ان يؤتى بكسرها على انها نافية فيكون من كلام الطائفة اى ولا تؤمنوا الا لمن تبع
دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى
والضمير فيه لاحد على ان المراد به المنزل عليه وامته قل ان الفضل بيد الله يؤتيه
من يشاء اى لا بايديكم ويدعيكم فمن يؤتيه ويوفقه لم يكن لاحد دفعه وهو الكلام
فيكون تاكيدا لقوله قل ان الهدى هدى الله ويجوز ان يكون اعتراضا آخر لنفي ما رام الاتباع
في قوله ان يؤتى احد اى النبوة والوحي الذي هو الفضل كل الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء
لا بمكنكم دفعه ولا ينفعكم الحسد ولا الحيلة والله واسع عليم واسع الرحمة عليم بالمصالح
فمن صلح لذلك من غيركم فهو يؤتيه مفضلا عليه يختص برحمته من يشاء تاكيد وتأييد
لقوله ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم فيه دفع وهم القصور
في افضاله المتبادر الى الفهم من اختصاص من يشاء برحمته ومن اهل الكتاب من ان تامنه
بقنطار يؤده اليك كعبد الله بن سلام استودعه قرشي الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه
اليه ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك كفنحاص بن عازوراء استودعه قرشي آخر
دينارا فجحده الا ما دمت عليه قائما في محل النصب على الظرف اى الا وقت دوامك عليه قائما
على راسه بالمطالبة والتقاضي والتعنيف وبالبينة عليه عند المرافعة الى الحاكم ذلك اشارة
الى عدم الاداء الذي دل عليه لا يؤده اى تركهم اداء الحقوق بانهم قالوا بسبب قولهم
ليس علينا في الاميين سبيل اى لا يتطرق علينا ذم ولا عتاب في شان الاميين اى الذين
ليسوا من ويقولون على الله الكذب بادعائهم ان ذلك في كتابهم وهم يعلمون انهم كاذبون
وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم في التورية حرمة بلى اثبات لما نفوه
اى بلى عليهم فيهم سبيل من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين جملة مستأنفة مقررة
للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير في بعهده راجع الى من او الى الله او في بما عاهد عليه
واتقى الخيانة والغدر فان الله يحبه ويستلزم ان يبغض الغادر الخائن فللذم والعقاب
عليهم سبيل في الاميين وفي غيرهم ووضع المتقين موضع الضمير للدلالة على ان
التقوى يوجب عليه محبة الله تعالى لصاحبها وان الموفي بالعهد هو المتقي فالغادر
هو الفاجر بدلالة الفحوى وتعميم الحكم لعموم من والمتقين يفيد انهم لو وفوا بعهودهم
واتقوا الخيانة لو فوا بالعهد الاعظم وهو ما اخذ الله عليهم في كتابهم من الايمان برسول
مصدق فالما معهم واتقوا الكذب على الله وتحريف كلمه فكانوا مسلمين محبوبين متابعة
حبيب الله لقوله فاتبعوني يحببكم الله ثم صرح بما عرض به من تطرق الذم والعقاب الى
الخائن بقوله ان الذين يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا عليه من الايمان

بالرسول او الوفاء بالامانات وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه
ثمنا قليلا متاع الدنيا اولئك لا خلاق لهم في الآخرة قد سبق في تفسير سورة البقرة ما
يتعلق به ولا يكلمهم الله اصلا او ان الملئكة يسألونهم يوم القيمة او لا ينتفعون بكلمات الله
تعالى والظاهر انه كناية عن سخطه وشدة غضبه تعالى عليهم ومجاز
لان الغاضب لا يكلم المغضوب عليه ولا ينظر اليهم يوم القيمة كناية عن الاستهانة بهم و
اذلالهم او مجاز عن ترك الاحسان اليهم ولا يزكيهم ولا يثني عليهم هذا غير مقيد بيوم القيمة
فيفيد فائدة زائدة ولهم عذاب اليم على ما فعلوه قيل انها نزلت في احبار حرفوا التورية
وبدلوا نعت الرسول صلعم وحكم الامانات وغيرهما واخذوا على ذلك رشوة وان منهم
من المحرفين لفريقا هم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيي بن اخطب وغيرهم
يلوون السنتهم بالكتاب يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف او يعطفونها بشبه
الكتاب فعلى هذا الباء صلة كما تقول لوى لسانه بالشعر اذا قال مع تمحل وفيه اضمار اي يلوي
كتابا منكما او على زعمهم لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب الضمير راجع الى شبه الكتاب
والعدول في قوله من الكتاب عن الضمير الى المظهر لتفخيمه فان المقام مقام تعظيم جريمة
التحريف وذلك بتفخيمه وقرئ ليحسبوه بالياء والضمير ايضا للمسلمين ويقولون هو من عند الله
وما هو من عند الله اي ليس هو نازلا من عنده وفيه دفع لاحتمال ان لا يكون من الكتاب
ومع ذلك يكون من عند الله كالاحاديث القدسية فهو تأسيس لا تأكيد لقوله وما هو من الكتاب
وتسجيل عليهم بالكذب وتشنيع عليهم باجترائهم على الله تعالى والعدول عن الضمير الى المظهر
في قوله من عند الله لتعظيم شأن الامر وبيان انهم لفرط دعارتهم يصرحون بذلك
ولا يورون ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون تأكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد
فيه ما كان لبشر ما صح له وما استقام ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ذكر اولا الكتاب
وهو جنس وترقى منه الى الحكم وهو الفصل بين الناس بالكتاب ثم الى النبوة وهو الرتبة
العليا فالترتيب في غاية الفصاحة ثم يقول للناس اتى بثم وهي للمهلة تفظيعا لهذا
القول واذا انتفى هذا القول بعد المهلة كان انتفاؤه عندها اولى واحرى الى ان هذا
الايتاء لا يجامع هذا القول وان كان بعد مهلة كونوا عبادا لي من دون الله تكذيب ورد
على عبدة عيسى عم وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد النجراني قالا يا محمد اتريد ان
نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نأمر بعبادة غير الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني
فنزلت ويأباه قوله بعد اذ انتم مسلمون وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم
بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم
واعرفوا الحق لاهله ويناسب هذا قوله ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا ربانيين

والرباني

والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون للمبالغة كما في اللحياني والرقباني
وهو الكامل في العلم والعمل بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون بسبب
كونكم معلمين الكتاب وبسبب كونكم دارسين له فالباء متعلق بكونوا فالمطلوب
هو الربانية المسببة عن العلم وهذا انما يدل على ان الربانية والتمسك بطاعة الله اذا لم
يكن مسببة عن العلم لا يكون معتدا بها واقعة على وفق المأمور به لا على العكس وان
كان الامر كذلك في نفس الامر وقرئ تعلمون بمعنى عالمين وقرئ تدرسون من التدريس
وتدرسون من ادرس بمعنى درس كاكرم وكرم ويجوز ان يكون القراءة المشهورة
ايضا بهذا المعنى على تقدير وبما تدرسونه على الناس ولا يأمركم ان تتخذوا الملئكة
والنبيين اربابا قرئ بالنصب عطفا على يقول ويكون لا مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله
ما كان لبشر لبعد العهد وتخلل الاستدراك وغير مزيدة على انه ليس لنبي ان يدعو العباد
الى عبادته وينهاهم عن عبادة الملئكة والنبيين وبالرفع على الاستئناف هو اظهر ويؤيده
قراءة ولن يأمركم أيأمركم بالكفر انكار والضمير فيه للبشر وقيل لله بعد اذ انتم مسلمون دليل على ان
الخطاب للمسلمين وهم المستأذنون لان يسجدوا له عم واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم
من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قيل هذا على ظاهره
واذا كان هذا حكم الانبياء عليهم السلام كان الامم به اولى وقيل معناه انه تعالى اخذ الميثاق من النبيين
واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافة الى الفاعل و
المعنى واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف
المضاف وهم بنو اسرائيل او سماهم نبيين تهكما لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة
من محمد لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام في لما موطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى
الاستحلاف وما شرطية مفعوله آتيتكم ومن كتاب بيان لما وحمله على التبعيض يفضي الى اعتبار
قيد لا يقتضيه المقام ومثله عند البلغاء يعد قبحا في الكلام وجواب القسم لتؤمنن وما بعده
وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه وقدم الايمان لانه الاصل ثم النصر لانه من ثمرته و
يجوز ان يكون ما خبرية وقرئ لما بكسر اللام للتعليل على ان ما مصدرية اي لاجل ايتائي اياكم الكتاب
والحكمة ثم مجيء رسول مصدق لما معكم او موصولة لان ما معكم بمعنى ما آتيتكم فيجوز عطف
جاءكم على الصلة لوجود الراجع اليها لاجل الذي آتيتكموه من الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول مصدق
وجب عليكم الايمان ونصرته وقيل اصله لمن ما فاستثقل ثلاث ميمات لان النون ما لم تقلب
ميما لم تدغم في الميم فحذفت احدها فصارت لما اي لمن اجل ما آتيتكم لتؤمنن به قال
أأقررتم واخذتم على ذلكم اصري اي عهدي سمي به لانه يؤصر اي يشد ويعقد و
قرئ اصري بالضم بعضكم على بعض بالاقرار وانا معكم من الشاهدين وانا ايضا على اقراركم

وتشاهدون استئناف معناه التوكيد والتحذير وقيل الخطاب للملائكة فمن
تولى بعد ذلك بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة فاولئك هم الفاسقون
اى المتمردون من الكفار أفغير دين الله يبغون الفاء عاطفة الجملة على اى فاولئك هم
الفاسقون فغير دين الله يبغون ثم توسطت الهمزة بينهما للانكار ويجوز ان يعطف على
محذوف تقديره ايتولون فغير دين الله يبغون وتقديم المفعول لتوجيه الانكار
الى كون دين غير الله مطلوبا فالمقصود الاهم بالانكار هو المفعول ويجوز ان يكون
التقديم للتخصيص لا بمعنى ان التخصيص منكر فيلزم جواز طلب دين باطل مع طلب دين الله
تعالى بل للمبالغة فى الانكار مع التشنيع والتوبيخ حيث لا يرضون بطلب دين باطل الى
دين الله بل يخصون الدين الباطل بالطلب وقرئ تبغون بالتاء على تقدير وقل لهم وقرئ
هو بالياء وترجعون بالتاء لان الباغين هم المتولون والراجعون جميع الناس وله
اسلم من فى السموات والارض طوعا بالادلة وكرها بالسيف وبمعاينة ما يلجئ الى الاسلام
كنتق الجبل فوق بنى اسرائيل وانتصابهما على المصدرية او على الحال ومن قال او منقادين كالملئكة
والمؤمنين كالكفرة فانهم لا تقدرون على ان يمتنعوا عما قضى عليهم فكانه ذهب الى مذهب
الجبرية واليه ترجعون وقرئ بالياء على ان الضمير لمن قل امنا بالله وما انزل علينا الخطاب
له عم لفظا وله ولامته معنى ولهذا قال فى موضع آخر قولوا امنا وجاء الكلام فى امنا وعلينا
بلفظ الجمع امر الرسول عم بان يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايمان والقران وان كان منزلا
عليه خاصة لكن نزوله عليه لما كان لتبليغه اليهم صح نسبته اليهم وايضا المنسوب الى واحد
من الجمع قد ينسب اليهم ويجوز ان يكون مامورا بان يتكلم على طريقة التواضع ارشادا له عم
الى ادب المحاورة وما انزل على ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط قدم المنزل
عليه عم على المنزل على ساير الرسل عليهم السلام لانه المعرف له والعيار عليه والنزول باعتبار
انه من فوق يعدى بعلى وباعتبار انه ينتهى الى المرسل اليه يعدى بالى ولهذا قال فى
موضع آخر وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم ووجه التخصيص ان الخطاب هنا
للرسول عم حقيقة بل انتهى التبليغ اليهم ولا يتجه المناقشة بقوله بما انزل اليك وانزلنا
اليك الكتاب وقولوا امنا بالذى انزل على الذين آمنوا لان النكتة الزائدة على اصل البلاغة
الحاصلة بمطابقة الكلام لمقتضى المقام لا يلزمها الاطراد ولهذا يتفاوت المكررات فى القران
بحيث يكون بعضها افصح من بعض وما اوتى موسى وعيسى التورية والانجيل افردهما
بالذكر بحكم ابلغ لان امرهما بالاضافة اليهما مغاير لما سبق والنزاع وقع فيهما والنبيون
من ربهم وفى موضع وما اوتى النبيون لما تقدم هنا قوله اذ اخذ الله ميثاق النبيين لما
اتيتكم من كتاب الخ اكتفى به عن اعادة وما اوتى ولم يتقدم هنا قوله اذ اخذ الله ميثاق

ثم مثل هذا فلم يكن فيه ما يغنى عن التوكيد باعادته لا نفرق بين احد منهم بالتصديق
والتكذيب ونحن له مسلمون منقادون او مخلصون فى عبادته ومن يبتغ غير الاسلام
غير اسلام الوجه لله اى التوحيد دينا تكرمة تحقيرا فلن تقبل منه فى الدنيا وهو فى
الاخرة من الخاسرين الواقعين فى الخسران مطلقا من غير تقييد للشايع ولا دلالة
فيه على ان الايمان ليس غير الاسلام انما دلالته على انه ليس دينا غير الاسلام كيف
يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات
هم اليهود امنوا بالنبى صلعم حين عاينوا ما يوجب قوة ايمانهم من البينات وتحققوا انه
ومن كتابهم انه حق ثم كفروا به وقيل نزلت فى رهط كانوا اسلموا ثم رجعوا عن الاسلام
ولحقوا بمكة كيف استبعاد لان يهديهم الله تعالى فان الحائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك
فى الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفى وانكار له لما علم من عنادهم ومكابرتهم وامتناع
قبولهم اياه نعيا عليهم وتوبيخا لهم فلا دلالة فيه على عدم قبول توبة المرتد وشهدوا
عطف على ما فى ايمانهم من معنى الفعل ونظيره فاصدق واكن او حال باضمار قد من كفروا
والمراد من ايمانهم تصديقهم بالله تعالى وعلى تقدير ان يراد منه التصديق به وبالرسول
عم وان كان اياه عطف وشهدوا عليه لا دلالة فى الآية ايضا على ان الاقرار باللسان
خارج عن حقيقة الايمان المصطلح عند اهل الشرع انما دلالتها على انه خارج عن الايمان بمعنى
التصديق بالله وحده ورسوله وليس هذا مما يقبل النزاع والله لا يهدى القوم الظالمين
الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق
وعرفه ثم اعرض عنه اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملئكة والناس اجمعين استحق
عليهم لعنة الله ومن يعتد بلعنته من خلقه ودلالة مفهومه على عدم استقرار اللعن على غيرهم
لا على عدم جوازه فى حق غيرهم فالمراد من الناس المؤمنون ويجوز ان يراد العموم لان الكافر
ايضا يلعن منكر الحق ولكن لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها فى اللعنة او فى النار واضمارها
قبل الذكر تفخيما لشانها وتهويلا لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون اى لا يمهلون
ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة الا الذين تابوا اى رجعوا عن الارتداد من بعد
ذلك الاشارة الى الكفر لتعظيمه وشدته وغاية بعده عن الصواب والعقل واصلحوا
ما افسدوا او دخلوا فى الصلاح فان الله غفور يقبل توبته رحيم يتفضل عليه ان الذين
كفروا بعد ايمانهم كاليهود كفروا بعيسى عم والانجيل بعد الايمان بموسى عم والتورية
ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد عم والقران او كفروا به عم بعد ايمانهم قبل مبعثه ثم
ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق و
السخرية بكل ما نزلت من الايات او لقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص

المصطلح

بمحمد بعد ما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالطعن فيه في كل وقت او لانهم كفروا بمحمد بعد ريب المنون او نرجع اليه وننافقه باظهاره لن تقبل توبتهم قد عرفت ان المعرف
في الذين كفروا للعهد والاشارة الى قوم مخصوصين والا فكل كافر اذا تاب قبلت توبته
وان اريد كفر اي كفر فان اريد بهم المرتدون قالوا او في وأولئك هم الضالون للحال اي
تقبل توبتهم في حال كونهم الباقين على ضلالهم الذي هم تائبون عليه لكون توبتهم نفاقا
وان اريد بهم اليهود فكذلك وفيه وجهان آخران احدهما ان يكون اخبارا بالغيب على طريقة
قولهم لا ترى الضب بها ينجحر اي لن يتوبوا فلا توبة ولا قبول وأولئك هم الضالون اعتراض اي
والموصوفون بما ذكر أولئك هم الثابتون على الضلال المطلق والثاني ان يكون كناية عن موتهم
على الكفر اي يموتون وهم كافرون على ما صرح بعده والفائدة فيها التغليظ في شانهم و
ابراز حالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة التي اغلظ الاحوال واشدها ان الذين
كفروا وماتوا وهم كفار لفظ الذين هنا عام فيمن كفر ومات على الكفر فلذلك دخلت
الفاء في قوله فلن تقبل من احدهم تضمينا للموصول معنى الشرط على ان الموت على الكفر
سبب لامتناع قبول الفدية واما ترك الفاء في الكلام السابق لفقد التسبب ايراد المسند اليه
موصولا لتحقيق الخبر ملء الارض ذهبا ملء الشيء ما يملأه وذهبا نصب على التمييز وقرئ
بالرفع على البدل من ملء او الخبر لمحذوف وفيه انه لا بد من تقدير وصف ليحسن البدل والاول
عليه والثاني اغلق اذا جعلت الجملة صلة او حالا ولا يخلو عن ضعف ولو افتدى به اي ولو فرض
انه افتدى به على ان الافتداء منه محال وتقدير الكلام ان الذين ماتوا على الكفر فلو افتدى احدهم
بملء الارض ذهبا لم يقبل منه فلما كان الجزاء اهم للاقناط والبعث على الرجوع عن الكفر
الى الايمان قبل الموت قدم وجعل جزاء الشرط الاول واورد لن للتاكيد واخر الشرط فلزم
الواو للربط وقيل محمول على المعنى كأنه قيل لن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض
ذهبا أولئك لهم عذاب اليم تهديم بمعنى الاقناط لان من لا يقبل منه الفداء ربما يعفى عنه
تكرما وما لهم من ناصرين في دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق لن تنالوا البر لن تبلغوا
حقيقة البر وهو ما يتقرب به الى الله تعالى من اعمال الخير وقيل لن تنالوا بر الله اي ثوابه
حتى تنفقوا مما تحبون من اموالكم التي تحبونها او ما يعمه وغيره كبذل الجاه في معاونة
الناس والبدن في طاعة الله تعالى والمهجة في سبيله ومن هنا للتبعيض يدل على قراءة
حتى تنفقوا بعض ما تحبون وفي قوله وما تنفقوا من شيء للتبيين ما تنفقوا اي من اي شيء
تحبونه او خبيث تكرهونه فان الله به عليم فيجازيكم بحسبه كل الطعام هو ما يطعم اكلا
كان او شربا والمراد تناوله كان حلا على شريعة ابرهيم عم لبني اسرائيل حلالا لهم وهو
مصدر نعت به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال تعالى لا هن حل لهم
الا ما حرم اسرائيل يعقوب عليه السلام كلحوم الابل والبانها وكان تحريمه ذلك بالنذر ولذلك

قيل على نفسه ثم انه يحرمه على اولاده على ما دل عليه الاستثناء المذكور فلا متمسك فيه لمن
جوز للنبي ان يجتهد من قبل ان تنزل التورية متعلق بالمستثنى منه وفائدته بيان حل ما
عدا لحوم الابل والبانها في شريعته عم حتى يثبت تحريم بعض ما كان حلالا لبني اسرائيل
بنزول التورية وبه يحصل الالزام لليهود ويتم الرد عليهم في دعوى البراءة عما نعى عليهم
في قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات الآية وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا
كل ذي ظفر الآية بان قالوا لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابرهيم
عليهم السلام ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وفي
منع النسخ والطعن في دعوى الرسول عم موافقة ابرهيم عم بتحليله لحوم المذكور قبله
اذ لا فائدة فيه اصلا قل فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين في زعمكم ان تحريمها
قديم امرهم بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من ان تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث
بسبب ظلمهم وبغيهم لا تحريم قديم كما زعموا روي انهم لم يجسروا على اخراج التورية
وبهتوا وفي ذلك برهان قاطع على صدق النبي عم وحجة بينة على جواز النسخ فمن افترى
على الله الكذب ابتدعه على الله تعالى بادعاء ان ذلك كان محرما على بني اسرائيل قبل نزول
التورية من بعد ذلك من بعد ما الزمهم بالبرهان القاطع فأولئك هم الظالمون المكابرون
الذين لا ينصفون من انفسهم ولا يلتفتون الى البينات قل صدق الله تعريض بكذبهم
اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون والغرض بكذبهم لزومهم اتباع محمد عم
والايمان بالقران فعبر عن ذلك بقوله فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا اي ملة الاسلام التي هي
في الاصل ملة ابرهيم ولما انتسب دينه الى ابرهيم عم كان اكثر تحقيقهم واقرب الى قبولهم
كأنه قال فاذا ظهرت الحجة البينة كذبكم فيما زعمتم وثبت صدق كتاب الله وظهر بطلان دينكم
الذي اضطركم الى تحريف كتاب الله والافتراء على الله لتسوية اغراضهم فاتبعوا الحق
الذي هو ملة ابرهيم وهي ما عليه محمد ومن معه وانتصب حنيفا على الحال وقد سبق تفسيره
في سورة البقرة وما كان من المشركين اراد استمرار النفي لا نفي الاستمرار فقد اول كان مقدم
في الاعتبار وفيه تعريض بشرك اليهود واشارة الى ان اتباعه واجب في التوحيد الصرف
والاستقامة في الدين ان اول بيت وضع للناس اي جعل الله متعبدا لهم للذي
ببكة للبيت الذي ببكة وهي لغة في مكة كالنبيط والنميط وقيل هي موضع المسجد ومكة
البلد من بكه اذا زحمه او دقه فانها تدق اعناق الجبابرة مباركا كثير الخير والنفع لمن
حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله حال من المستكن في الظرف وهدى للعالمين
سبب هدايتهم لانه قبلتهم فيه آيات بينات حال اخرى مقام ابرهيم عطف بيان
لقوله آيات بينات وحده لقيامه مقام آيات كثيرة يدل على قراءة آية بينة ولا يخفى

ما فيه من التفخيم لشأنه كأنه لظهور اعجازه وقوة دلالته على قدرة الله تع ونبوة
ابرهيم ع م بمنزلة ايات عظام كثيرة ويؤيد ذلك التعظيم تنكير ايات ووصفها
بالبينات ونحوه في التعظيم قوله تعالى ان ابرهيم كان امة ومن دخله كان امنا
جملة ابتدائية بكان الحرم امنا في الجاهلية ومفزع كل خائف وملجاء كل جاني وقال
ابن عمر لو وجدنا قاتل ابينا في الحرم لم نتعطه وقيل المراد حرم والامن من العذاب
يوم القيمة وفيه ان مدار هذا الامن على الدفن فيه على ما افصح عنه قوله ع م من مات
في احد الحرمين بعث يوم القيمة امنا على دخوله ولله على الناس حج البيت الد
ما يكون من الالفاظ الدالة على الالزام كلمة على فانها علم فيه والحج كاخواته من المنقولات
الشرعية وله فرايض وواجبات وسنن وشرايط بعضها للوجوب وبعضها للاداء
ومعناه اللغوي القصد على جهة التعظيم والمراد معناه الشرعي فاضافته الى
البيت للملابسة فالطواف احد ركنيه او احد اركانه على الاختلاف في الاحرام
فانه ركن عند الشافعي وشرط عند ابي ح ومن قال في تفسيره قصده للزيادة
على الوجه المخصوص فقد زاد على معناه اللغوي وقصر عن معناه الشرعي وقرئ حج
بالكسر وهو لغة نجد من استطاع اليه سبيلا بدل من الناس مخصص له وفيه ايراد
المراد في صورتين مختلفتين على وجه فيه تشويق ووجدان بعد شغف و
طلب وتنكير سبيلا وتقديم اليه عليه اي سبيلا ما اي سبيل يتيسر على اي وجه
يكون قريب وبعيد بشرط اختصاص انتهائه اليه لا الى غيره وكل ما اتى الى الشيء
فهو سبيله وقد فسر رسول الله صلعم الاستطاعة بالزاد والراحلة وما فسر عليه
السلام استطاعة السبيل الى البيت المذكور في القران لا استطاعة الحج فانها لا بد
فيها من صحة البدن ايضا فلا دلالة فيه على احد القولين المذكورين في المسئلة الخلافية
المشهورة ومن كفر فان الله غني عن العالمين وضع كفر موضع لم يحج تاكيدا لوجوبه
وتغليظا على تارك الحج وتشديدا عليه ولذلك قال ع م من مات ولم يحج فليمت ان
شاء يهوديا او نصرانيا وقد اكد امر الحج في هذه الاية من وجوه الدلالة على وجوبه
بصيغة الخبر وابرازه في صورة الاسمية وايراده على وجه يفيد انه حق واجب لله تعالى
في رقاب الناس وتعميم الحكم اولا وتخصيصه ثانيا فانه كالايضاح بعد ابهام وتثنية و
تكرير للمراد وتسمية ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة وذكر الاستغناء فانه في مثل هذا
الموضع مما يدل على المقت والخذلان وقوله عن العالمين بدل عنه لما فيه من مبالغة التعميم و
الدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان والاشعار بعظم السخط لانه تكليف شاق جامع
بين كسر النفس واتعاب البدن وصرف المال والتجرد عن الشهوات والاقبال على الله تعالى

بنفي هنا دفعه ابتداء ومن ان اللام في قوله ولله مظنة ان يكون في الحج نفع له تع
دفعه ببيان غنائه عن العالمين روي انه لما نزل صدر الاية جمع رسول الله
صلعم ارباب الملل فخطبهم وقال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فحجوا فامنت به ملة واحدة
وكفرت به خمس ملل فنزل ومن كفر الاية قل يا اهل الكتاب تخصيص اهل الكتاب
بالخطاب لان كفرهم اقبح وانما الدالة على انهم وان زعموا انهم مؤمنون بالتورية
والانجيل فهم كافرون بهما فلا تاثير فيها للتخصيص المذكور لم تكفرون بايات الله اي
باياته السمعية والعقلية الدالة على صدق محمد ع م فيما اتى به من الاوامر والنواهي ومعنى
الاستفهام في لم انكار لكفرهم وتعجب منه مع وجود المانع وهو كونه الحق شهيدا على
اعمالهم والله شهيد على ما تعملون اي والحال ان الله شهيد اي مطلع على اعمالكم
فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والاسرار وهذه الحال توجب الايمان فما حملكم على الكفر
باياته واظهار اسم الله تع والمقام مقام الاضمار للتهويل والتربية للمهابة قل يا اهل
الكتاب اعيد الخطاب لان الاول في الضالين وهذا للمضلين فلا تكرار وكون كل واحد
من الامرين مستقبحا في نفسه مستقلا في استجلاب العذاب مما لا حاجة الى الاشعار به
لعدم الخفاء فيه لم تصدون معنى الاستفهام انكار لقصد الصد وطلب العوج في الطريق
المستقيم مع كونهم علماء شهداء بان ليس فيه عوج وان الصاد عنها ضال مضل
والتوبيخ هنا اشد لمعنى المكابرة فيه عن سبيل الله دينه الحق المامور بسلوكه وهو
الاسلام قدم للاهتمام على المفعول [illegible] وهو قوله من امن كانوا يفتنون المؤمنين
ويحدثون بينهم حتى الاوس والخزرج فذكروهم ما بينهم في الجاهلية من التعادي
والتحارب ليعودوا لمثله ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من اراد الدخول فيه بجهدهم
فعلى الاول يكون التجوز في الصد وعلى الثاني في امن تبغونها في محل النصب بالحال
عوجا مفعول تبغون والضمير منصوب بنزع الخافض وتعدية الفعل اي فيها و
العوج بكسر العين الميل والانحراف في المعاني وبفتحها في الجثث اي تطلبون لها عوجا
وميلا عن الاستقامة بان تلبسوا على الناس حتى توهموهم ان فيها عوجا بقولكم ان شريعة
موسى ع م لا تنسخ وبتغيير صفة رسول الله صلعم ونحوهما وانتم شهداء عالمون
انها سبيل الله لا يصد عنها الا ظالم كافر وعدول بين اهل دينكم يثقون باقوالكم
ويستشهدونكم في عظايم امورهم لكونكم احبارا وما الله بغافل عما تعملون وعيد
بالغ والختم بهذا يناسب المقام لان الكلام في صدهم المؤمنين عن الاسلام وكانوا يخفونه
ويحتالون فيه وفيما تقدم في كفرهم وهم يجهرون به فكان المناسب للختم بقوله والله
شهيد على ما تعملون يا ايها الذين امنوا خاطبهم الله بنفسه بعد توسيط الرسول ع م

حملكم وما جراكم

ضال

والخزرج

في مخاطبة اهل الكتاب اظهار الجلالة قدرهم واشعار بان لهم منزلة عند الله تعالى دون
اهل الكتاب ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب نزلت في نفر من الاوس والخزرج
كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي فغاظه تالفهم واجتماعهم
فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح
السلاح واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه اليهم رسول الله صلعم واصحابه وقال
اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم الجاهلية والف
بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا وعانق
بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله صلعم والتعبير عن شاس ومن اعانه فيه بالفريق
يناسب قصدهم ايقاع التفرقة بين جمع المؤمنين يردوكم اي عن الهدى الى الضلالة على
ما دل عليه قوله بعد ايمانكم كافرين ورد يتعدى الى مفعولين قال الشاعر فرد شعورهن
السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله
وفيكم رسوله معنى الاستفهام الانكار والتعجيب من تطرق الكفر اليهم في حال اجتمع اليهم
الاسباب الداعية الى الايمان الصارفة عن الكفر والظاهر ان قوله وفيكم رسوله مع ان حقه
التقديم لان التلاوة المذكورة بواسطته اخراجا له عن حكم الوساطة الى منزلة الاستقلال
في السببية كانه قيل والحال ان آيات الله تعالى تتلى عليكم معجزة وازعة عن الكفر وفيكم الرسول
واعظا زاجرا لكم ناهيا عنه ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه او يلتجئ اليه في مجامع
اموره فقد هدي الى صراط مستقيم انما يورد قد في جواب الشرط عند مضيه معنى
والقصد هنا الى تحقق الوقوع بمعنى فقد حصل له الهدى كانه قد حصل فهو يخبر عنه حاصلا
ومعنى التوقع في قد ان المعتصم بالله متوقع للهدى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته
واجب تقواه وما يحق منها وهو القيام بالمواجب واجتناب المحارم ويدخل فيه الاحتراز عن
طاعة اهل الكتاب دخولا اوليا ولا تموتن الا وانتم مسلمون اي ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام
حين الموت فالمنهي كونهم على حال غير الاسلام عند موتهم هذا ما عندهم والذي عندي
هو ان النهي المذكور للتحذير عن الموت على حال سوى الاسلام والحذر عنه انما يكون بالاحتراز
عما يقتضيه فهو حث على الثبات على الاسلام في جميع الازمان على ابلغ وجه وعلى هذا لا
عدول عن الظاهر بخلاف ما قالوه واعتصموا بحبل الله يحتمل التمثيل بان يمثل صورة حالهم
في اعتضادهم واستظهارهم ووثوقهم بالله تعالى وحمايته واتكالهم عليه بصورة حال
المتدلي من مكان مرتفع متمسكا بحبل يامن انقطاعه والاستعارة بان يستعير الحبل للعهد
او كتابه ويجعل الاعتصام ترشيحا لها بما يناسب الحبل جميعا اي اجتمعوا على استعانتكم بالله
ووثوقكم به او اجتمعوا على التمسك بعهده اليكم ان تؤمنوا به ولا تعبدوا الا اياه

او بكتابه لقوله عم القرآن حبل الله المتين ولا تفرقوا ولا تتفرقوا كما كنتم متفرقين في
الجاهلية يعادي بعضكم بعضا ويحاربه ولا تفعلوا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة من القول
والعمل واما التفرق بالاختلاف في الدين كاليهود والنصارى فهو مضمون قوله ولا تكونوا
كالذين تفرقوا واختلفوا واذكروا نعمت الله عليكم اي نعمة الهداية والتوفيق للاسلام المؤدي
الى التالف وزوال الغل اذ كنتم اعداء في الجاهلية متقاتلين فالف واوقع الالفة بين قلوبكم بالاسلام
فاصبحتم بنعمته بسبب تلك النعمة اخوانا متحابين مجتمعين على الاخوة في الله واصبح اصله دخل
في الصباح ثم اطلق على الصيرورة اي وقت كان ففيه باعتبار اصله دلالة على خروجهم من
ظلمات الضلالة الى نور الهداية قيل كان الاوس والخزرج اخوين لابوين فوقع بين
اولادهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى اطفاها الله بالاسلام والف
بينهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وكنتم على شفا حفرة من النار مشرفين عليها بكفركم
اذ لو ادرككم الموت على تلك الحالة لصادفتم الوقوع في حفرة من النار فانقذكم منها
وان لم تكونوا فيها لانهم كانوا بمنزلة من هو فيها من حيث كانوا مستحقين لدخولها ويجوز
ان يكون الضمير للشفا وتانيثه لانه بمعنى الشفة فان شفا البئر وشفته طرفها واصله
شفو فقلبت الواو في المذكر وحذفت في المؤنث كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله لكم
آياته دلائله لعلكم تهتدون ارادة ان تثبتوا على الهدى او تزدادوا هدى ولتكن
منكم امة من للتبيين بمعنى وكونوا امة كقوله كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف
لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات فهو واجب على الكل لانه بدليل انه
لو ترك اثم الجميع وانه يسقط بفعل البعض لحصول المقصود فلا بد من توجيه الخطاب الى
الكل فمن قال من للتبعيض ثم علل بما ذكرناه انفا فقد اختار المذهب المردود وهو
ان يكون الوجوب على البعض من غير تعيين واما الاستدلال على انه لا يجب على الكل بعدم الوجوب
على الجاهل فمردود لانه اذا ترك بالكلية فذلك الجاهل ايضا آثم ولولا الوجوب عليه لما اثم كمن
وجب عليه الصلوة وهو محدث فان عليه تحصيل الشرط ثم الفعل ومن اختار ان يكون
من للتبعيض معللا بما تقدم ثم قال خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل على انه واجب
على الكل فقد خبط حيث خلط بين المذهبين ثم انه لم يدر ان الوجوب على الكل مبناه الطلب
من الكل لا الخطاب للكل فان الخطاب بدون الطلب بمعزل عن الدلالة على الوجوب يدعون
الى الخير يعم الدعاء الى ما فيه صلاح ديني او دنيوي فينتظم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
فقوله ويامرون بالمعروف والنهي عن المنكر فقوله ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر من
قبيل عطف الخاص على العام للايذان بفضله واولئك هم المفلحون المخصوصون بكمال الفلاح
والامر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا على حسب ما يؤمر به وكذا النهي عن المنكر فانه يكون

واجبا ان كان المنهي عنه محرما او مكروها كراهة تحريم ويكون مندوبا ان كان المنهي عنه
مكروها كراهة تنزيه فمن وهم ان جميع ما انكره الشرع حرام فقد وهم والعاصي يجب
ان ينهى عما يرتكبه لانه كما يجب عليه تركه يجب عليه انكاره ونهي الغير عنه الا ان الثاني على
طريق الكفاية والانكار في قوله تع اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم مرجعه الى القيد
ولا تكونوا كالذين تفرقوا اي بالعداوة واختلفوا اي في الديانة وهم اليهود والنصارى
وانما قال من بعد ما جاءهم البينات اي الايات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه
لان الاختلاف في موضع الاجتهاد ليس بمنكر كيف وقد قال ع م اختلاف امتي رحمة ولا
اختصاص لواحد من الاختلافين بالاصول والفروع فان في الاصول ايضا موضع الاجتهاد
كما ان في الفروع ما لا مساغ فيه له واولئك لهم عذاب عظيم وعيد للذين تفرقوا وتهديد
على التشبه بهم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه نصب بما في لهم من معنى الفعل وبياض
الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه ويجوز ان يراد بالبياض
والسواد حقيقتهما فاما الذين اسودت وجوههم ابتدأ بهم في مقام التفصيل للاهتمام
بالتحذير من حالهم ولمجاورة وتسود وجوه وليكون الابتداء بالمؤمنين والاختتام
بحكمهم أكفرتم بعد ايمانكم على ارادة القول اي فيقال لهم أكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجب
من حالهم والظاهر انهم اهل الكتاب كفروا وكذبوا برسول الله صلعم بعد ايمانهم به
قبل مجيئه وهم المرتدون وقيل هم جميع اهل الكفار لاعراضهم عما اوجبه الاقرار و
كفرهم بعد ما اقروا به حين اشهدهم على انفسهم على ما افصح عنه قوله الست بربكم
قالوا بلى فذوقوا العذاب امر اهانة والفاء للسببية عن الكفر المقدر والباء تاكيد له بما
كنتم تكفرون بسبب كفركم والجمع بين الصيغة الدالة على التجدد وزيادة ما لكون الدالة
على الاستمرار للمطابقة بين العمل والجزاء المذكور مفصل في قوله كلما نضجت جلودهم بدلناهم
جلودا ليذوقوا العذاب والله اعلم بالصواب واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة
الله ففي نعمة من الثواب المخلد جمع للفريق الاول بين التصنيف بالقول والعذاب وهنا
جعلهم مستغرقين في الرحمة فهي ظرف لهم واشار بها الى سابق عنايته بهم وان العبد وان
كثرت طاعته لا يدخل دار الثواب الا برحمة الله تعالى واضافها الى نفسه دون العذاب تفخيما
لجانب الثواب هم فيها خالدون اخرجه مخرج الاستيناف لبيان ذلك الاستقرار هو على
سبيل الخلود لا زوال عنه ولا انتقال وهم تاكيد لقوله الذي يخرج فيها تاكيد كقوله ففي رحمة
الله ولم يذكر الخلود للكافر اكتفاء بذكره في قرينه ولم يعكس اذ لا يفهم من دوام العقوبة
دوام الفضل بخلاف العكس ثم انه لما ذكر العذاب علله بفعلهم ولم يذكر هنا سبب كونهم
في الرحمة اشعارا بان رحمته تعالى لا يحتاج الى السبب تلك آيات الله الواردة في الوعد

والوعيد نتلوها عليك بالحق ملتبسا بالحق لا شبهة فيها وما الله يريد ظلما للعالمين
فياخذ احدا بغير جرم او يزيد في عقاب مسيء على مستحقه او ينقص من الثواب الموعود للمحسن
وتقديم والله على فعل الارادة بعد النفي يفيد ان الذي يظلم ويريد الظلم غيره لا هو اي
هم الظالمون على انفسهم لا غيرهم ونفي ارادة الظلم تاكيد بليغ في نفي الظلم اي انتفى
ارادة الظلم عنه تعالى فضلا عن الظلم وتنكير ظلما وتعميم للعالمين معناه لا يريد شيئا
من الظلم احقر ما يكون لاحد من العالمين كائنا من كان ومن قال في تعليل ما ذكر اذ يستحيل الظلم
منه لانه لا يحق عليه شيء فيظلم بنقصه ولا يمنع عن شيء فيظلم بفعله لانه المالك على الاطلاق
لم يهتد الى نهجه اي على تقدير ان يكون الظلم منه مستحيلا لا يناسب نفي ارادته فضلا عن
المبالغة فيه اذ ليس من شانها التعلق بالمستحيل عند من له بل الظاهر منه انه مقدور له
الا انه لا يريده لانه لا يليق بشانه والتعليل المذكور قاصر لانا نعلم قطعا ان النقص
عن الثواب الموعود لبعض الاعمال من قبيل الظلم كنقص حق الاجير وهو من جملة المحتملات
والله تعالى قادر له الا انه لا يفعله ولله ما في السموات وما في الارض استيناف في
معرض التعليل لما تقدم كانه يقول ارادة الظلم امارة الحاجة والرغبة الى ما ينقصه
بالظلم والله تعالى منزه عنها لانه مالك ملك السموات والارض والى الله خاصة ترجع
الامور فالملك في دار الآخرة ايضا له تعالى والعدول عن الضمير الى الاسم الظاهر للاشعار
بان ما ذكر من شان الالوهية ولوازمها وانما قال ترجع لانها قد زالت بهلاك ما سواه
كنتم خير امة دل على خيريتهم ولم يدل على انهم لم يكونوا خيرا فصاروا خيرا وانقطع
ذلك عليهم لان كان الناقصة لا دلالة فيها على عدم سابق ولا على عدم الدوام فلذلك
تستعمل فيما هو حادث مثل كان زيد راكبا وفيما هو دائم مثل كان الله غفورا رحيما
ومن قال كانه قيل وجدتم خير امة فكانه زعم انها تامة وان خير امة حال ويرده
عده من قبيل وكان الله غفورا رحيما اخرجت للناس اظهرت تامرون بالمعروف و
تنهون عن المنكر استيناف يبين به كونهم خير امة وتؤمنون بالله يتضمن الايمان
بكل ما يجب ان يؤمن به لان الايمان به تعالى انما يحق ويعتد به اذا حصل الايمان بكل
ما امر ان يؤمن به وانما اخره وحقه ان يقدم لانه قصد بذكره الدلالة على انهم امروا بالمعروف
ونهوا عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا به واظهارا لدينه والتعريف في الموضعين للعهد و
المعهود المعروف الشرعي والمنكر الشرعي ومن وهم انه للاستغراق فقد وهم واستدلالهم
به على حجية الاجماع ليس بتام كما لا يخفى على ذوي الافهام ولو آمن اهل الكتاب ايمانا كما
ينبغي لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام واصحابه
واكثرهم الفاسقون اراد الكافرين والتعبير عنهم بالفاسقين للتنبيه على ان المؤمنين

المذكورين عادلون لاحوالهم من الفسق وهذه الجملة والتي بعدها واردتان على سبيل
الاستطراد ولذلك جاء من غير عاطفة لن يضروكم الا اذى ضررا يسيرا الطعن وتهديد
وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ينهزموا ولا يضروكم بقتل واسر ثم لا ينصرون لا يكون لهم نصر
من احد نفى اضرارهم سوى ما يكون بقول وقرر ذلك بانهم لو قاموا الى القتال كانت
الدبرة عليهم ثم اخبر بانه يكون عاقبتهم العجز والخذلان وانما عدل به عن حكم الجزاء و
العطف عليه الى الاخبار لئلا يكون انتفاء النصر مشروطا بالشرط مقيدا بالمقاتلة كتولية
الادبار بل مطلقا اى ثم اخبركم انهم لا ينصرون بوجه ما قاتلوا او لم يقاتلوا ويبقون فى
الخذلان والذل والعجز لا ينهضون بجناح ولا يرجع اليهم قوة ونجاح كما كان من
حال بنى قريظة والنضير وبنى قينقاع ويهود خيبر وثم استعارة للتراخى فى الرتبة
فان الاخبار بالخذلان المطلق وانتفاء النصر بالكلية اعظم من الاخبار بالانهزام عند
المقاتلة ضربت عليهم الذلة قد سبق تفسيره فى سورة البقرة اينما ثقفوا وجدوا
الا بحبل من الله وحبل من الناس فى محل النصب على الحال اى الا متمسكين او معتصمين
بذمة الله وذمة المسلمين والظاهر من تكرار الحبل تعدد الذمتين معنى فالمناسب
ان يحمل الاول على الذمى نص الله تع عليه فى قوله حتى يعطوا الجزية والثانية على الذى
يرام الامام من اعطاء الامان فى مقابلة اخذ مال او لمصلحة اخرى والاستثناء من اعم
الاحوال اى لا عز لهم الا هذا العز وهو على طريقة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
لان المتمسك باحدى الذمتين غاية الذل ومن فسر احدى الذمتين بدين الاسلام
والاخرى بسبيل المؤمنين اجراء للاستثناء على ظاهره فيرد عليه ان سبيل المؤمنين هو
دين الاسلام بعينه فلا يناسبه تكرير ذكر الحبل وباؤا بغضب من الله ورجعوا مستوجبين
له وضربت عليهم المسكنة لم يقل ضربت عليهم الذلة والمسكنة كما قال فى سورة البقرة
لانه اراد تفصيل حال ذلتهم بالمبالغة فيها بخلاف حال مسكنتهم فانها باختيارهم
فى الغالب فان الاغنياء كثير فى اليهود الا انهم لا يظهرون غناء هم ذلك اشارة الى
ما ذكر من ضرب الذلة والبوء بالغضب وضرب المسكنة بانهم كانوا يكفرون بايات الله
ويقتلون الانبياء بغير حق قد تقدم تفسيره فى سورة البقرة ذلك اى الكفر والقتل
بما عصوا وكانوا يعتدون بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله على الاستمرار فان
الاصرار على الصغاير يفضى الى الكبائر والاستمرار عليها يؤدى الى الكفر وقيل كرر الاشارة
والمشار اليه واحد اشارة الى ان كل واحد من الامرين مستقل بايجاب الامور المذكورة
من الذل والمسكنة والبواء بغضب عظيم من الله لو لم يكن الاخر فكيف والامران متعاضدان
واريد بالامرين الكفر ويندرج فيه قتل الانبياء والاستمرار على عدم الامتثال بالتكاليف

ومبنى هذا على انهم مخاطبون بالفروع ايضا ليسوا سواء فى المساوى والضمير لاهل
الكتاب من اهل الكتاب امة كلام مستانف لبيان قوله ليسوا سواء كقوله تامرون بالمعروف
لبيان كنتم خير امة قائمة مستقيمة عادلة من قولهم اقمت العود فقام اى استقام وهم
الذين اسلموا منهم يتلون ايات الله صفة لامة وكذا يؤمنون اناء الليل وهم يسجدون
يتلون القران فى تهجدهم عبر عنه بالتلاوة فى ساعات الليل مع السجود ليكون ابين
وابلغ فى المدح وجوز ان يكون قائمة احد تفاصيله اى قائمة فى حال تلاوة الايات بالليل
وقيل المراد صلوة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها على ما ورد فى حديث ابن مسعود
وقوله يؤمنون بالله واليوم الاخر فى عداد خصايص المؤمنين تعريض بان ايمان اليهود
بالامرين ليس بشئ لاشراكهم بالله عزيرا وصفهم اليوم الاخر بخلاف صفته وكذا
ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر تعريض بانهم مداهنون ويسارعون فى
الخيرات تعريض بانهم متباطئون عنها لفقد رغبتهم فيها اذ كل من رغب فى شئ سارع
فى توليه والقيام به والمسارعة المبادرة والخيرات عامة تشمل هذه الاوصاف السابقة
وانبائها على صيغة المضارع للدلالة على التجدد والتكرر واولئك اشارة الى من اتصف
بهذه الاوصاف من الصالحين حقيقة الصلاح من انتفاء الفساد عنه بالكلية ومن اتصف
بكمال الوصف بالمحاسن وهو مما مدح الله تع به انبيائه عليهم السلام لما عدد الخصايص
الذى يستحق بها الثواب بالغ فى تعظيم جزائها للترغيب فيه فتممها بقوله وما تفعلوا من
خير جئ به بالتنكير للتعليل وان كان قليلا وجعلها نعما فاستعمل فى مقابلتها انتفاء
الكفران ليكون من الاستعارة بالكناية ويستلزم كون الله تع شاكرا فلن يكفروه فلن
يضيع ولا ينقص ثوابه البتة ضمن الكفران معنى الحرمان فتعدى الى مفعولين وفى هذا
التضمين زيادة تنزيه ان ينسب اليه تعالى معنى الكفران لان تقديره لن يحرموه مكفورا
والله عليم بالمتقين وعد وبشارة لهم بالفوز والثواب الجزيل واشعار بان التقوى
مبداء الخير وحسن العمل ان الذين كفروا لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من
الله شيئا من العذاب او من الغناء فيكون مصدرا واولئك اصحاب النار ملازموها
هم فيها خالدون دون فساق المؤمنين مثل ما ينفقون ما ينفق الكفرة قربة او مفاخرة
وسمعة او المنافقون رياء وخوفا فى هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر برد شديد والشايع
اطلاقه للريح الباردة كالصرصر فى الاصل مصدر نعت به او نعت وصف به البرد للمبالغة
كما فى قولك برد بارد اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصى فاهلكته عقوبة
لهم لان الاهلاك عن سخط اشد اراد تشبيه ما انفقوا فى ضياعه بحرث من يستحق العقوبة
جزيته صر فاستاصله ولم يبق لهم فيه منفعة ما وهو من التشبيه المركب ولا يلزم منه

اخر رسول الله صلعم صلوة العشاء ثم خرج الى المسجد فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرأ هذه الاية. مس

حرثهم

فاستاصله

ان يكون ما يلي الاداة هو المشبه به الا ان تشبيه المثل بالمثل يستدعي ان يراعى فيما اضيف
اليه المثل في الجانبين المناسبة على ما قرر في مثل الذين كفروا والمثل الذي ينعق ولهذا
قيل تقدير الكلام كمثل مهلك ريح وهو الحرث وما ظلمهم الله بعدم قبول نفقاتهم و
لكن انفسهم يظلمون بخبث نياتهم او ما ظلمهم الله باهلاك حرثهم ولكن ظلموا انفسهم
بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن بالتشديد اي ولكن انفسهم يظلمونها
ولا يجوز اعمالها في ضمير الشان المحذوف على تقدير ولكنه انفسهم يظلمون لان ذلك
لا يجوز الا في الشعر يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة وليجة وهو الذي يطلعه
على باطنه وسره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار في قوله عم الانصار
شعاري والناس دثاري من دونكم من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف
هو صفة بطانة اي بطانة كائنة من دونكم لا يألونكم خبالا الخبال الفساد والالو التقصير
واصله ان يعدى باللام ثم عدي الى مفعولين كقولهم لا آلوك نصحا على تضمين معنى
المنع او النقص ودوا ما عنتم عنتكم وهو شدة الضرر والمشقة وما مصدرية
قد بدت البغضاء من افواههم لانهم امتلائهم بالبغض لا يتمالكون ان يخفوا و
لا ينفلت من افواههم ما يظهر به بغضهم وعداوتهم مع ضبطهم انفسهم وتحاملهم
عليهم وسعيهم في الاخفاء وذكر الافواه دون الالسنة اشعار بان ما يلفظون به
بملاء افواههم كما يقال قال كلمة بملاء الفم اذا تشدق بها وما تخفي صدورهم اكبر
مما بدا او في نسبة البدو الى البغضاء والاخفاء الى صدورهم اشعار بانهم مطبوعون
على النفاق فما بدا انما بدا بلا ارادة لا بالطبع ولا بالاختيار قد بينا لكم الايات الدالة
على وجوب الاخلاص وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين ان كنتم تعقلون ما بين
لكم والجمل الاربع مستانفات على التعليل ويجوز ان يكون الثلث الاول صفات
لبطانة ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم ها للتنبيه على خطائهم واولاء خبر
لهم وتعبير اي انتم اولاء الخاطئون في موالاة منافقي اهل الكتاب وقوله تحبونهم
ولا يحبونكم بيان لخطائهم في موالاة من يبغضهم وهو خبر ثان او خبر اولاء والجملة
خبر انتم او صلته او حال والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان ينتصب اولاء بفعل يفسره
ما بعده وتكون الجملة خبرا وتؤمنون والواو في وتؤمنون بالكتاب واو الحال تقديره وانتم
تؤمنون والعامل لا يحبونكم اي لا يحبونكم مع كونكم تؤمنون بكتابهم وهم لا يؤمنون بشيء
من كتابكم فهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم واذا لقوكم قالوا امنا نفاقا وتغريرا واذا
خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ من اجله تاسفا وتحسرا حيث لم يجدوا الى التشفي سبيلا
قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته والمراد به زيادة ما يغيظهم

من قوة الاسلام وعز اهله المستلزم لذلهم وتبارهم فهو من كناية بالواسطة عن بعد
الذين بدعاء موتهم بالغيظ عن ملزومه الذي هو دعاء ازدياد غيظهم الى حد الهلاك
وبه عن ملزومه الذي هو قوة الاسلام وعز اهله وذلك لان مجرد الموت بالغيظ وازدياده
ليس مما يمكن ان يطلب ويدعى ويجوز ان لا يكون ثمة قول وان يكون معنى الامر بالقول طيب
نفسك وكن مستبشرا بان الله تعالى يعز الاسلام ويذل الكفر بحيث يزداد غيظ الكفار
الى حد الهلاك على ما سبق من طريق الكناية واصل الكلام استعارة تمثيلية مشبه طيب النفس
واستبشاره بذلك بتحديثه نفسه واعلامها بذلك ان الله عليم بذات الصدور الاسرار الخ
لا تنكشف صاحبها كني باللزوم للصدور عن عدم الظهور والبينة والظاهر انه تذييل لمجموع ما سبق
من قوله ها انتم الى قوله بغيظكم فهو وعيد على اضمار عداوتهم بعد النهي وتقدير لا اطلاع
الله تع على بواطنهم واطلاعه وتحذير لهم ايضا كي يرجعوا عن نفاقهم ان تمسسكم حسنة
تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها التنكير في الحسنة للتحقير وفي السيئة للتعظيم
والمس مبني عن ادنى مراتب الاصابة فالمعنى ان الحسنة اي قدر كان ولو مسا يسوؤهم
واما الفرح بالسوء فلا يكون الا بالوصول التام بحيث يعتد به لان مقام مبالغة الحسد
والغيظ يقتضي ذلك فمن وهم ان المس مستعار للاصابة فكان المعنى واحدا فقد وهم
وان تصبروا على عداوتهم وتتقوا موالاتهم لا يضركم كيدهم شيئا بفضل الله وحفظه
ان الله بما تعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط اي محيط علمه فيجازيكم بما انتم اهله
وقرئ بالياء اي بما يعملون في عداوتكم فيعاقبهم عليه واذ غدوت اي اذكر اذ غدوت
من اهلك اذ خرجت غدوة من وطنك منزل عائشة الى احد تبوئ المؤمنين تسوي
لهم وتهيئ ويرشد اليه القراءة باللام مقاعد للقتال مواقف واماكن له والله سميع لاقوالكم
عليم بنياتكم وفيه وعيد للمنافقين اذ همت بدل من اذ غدوت طائفتان منكم بنو سلمة
من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحي العسكر ان تفشلا اي قصدتا ان
تفعلا فعل من فشل وهو الانصراف وترك القتال وهو للخطرة منهما لا للعزم لقوله والله
وليهما اي عاصمهما من اتباع تلك الخطرة وكان ذلك عند تخذل ابن ابي في ثلثماية من قومه
وعلى الله فليتوكل المؤمنون تقديم على الله للتخصيص اي فلا يتوكل المؤمنون الا على الله
لينصرهم كما نصرهم يوم بدر وانما جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة لتقدم
العلة للاختصاص فالواو للعطف والفاء لافادة التسبب فان كونه تعالى وليهم يوجب
التوكل عليه فالمقدمة والعدول عن الضمير الى الاسم الظاهر للتعظيم المناسب لمقام الامر
بتخصيص التوكل عليه ولقد نصركم الله ببدر تذكير ببعض ما افادهم التوكل على الله تعالى
وبدر ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به وانتم اذلة حال من الضمير

وانما اورد اذلة على صيغة جمع القلة ليدل على انهم مع ذلتهم كانوا قليلا وذلتهم
ما كان بهم من ضعف الحال لقلة المركوب والسلاح والمال فاتقوا الله بالثبات مع رسوله
لعلكم تشكرون بتقواكم ما انعم به عليكم من نصرته او لعلكم ينعم الله عليكم نعمة اخرى
تشكرونها فوضع الشكر موضع الانعام لكونه سببا له اذ تقول للمؤمنين ظرف لنصركم او
بدل ثان من اذ غدوت على ان قوله لهم بأحد وكان مع اشتراط الصبر والتقوى عن
المخالفة فلما لم يصبروا على الغنائم وخالفوا امر الرسول عم لم ينزل الملائكة الن يكفيكم
ان يمدكم ربكم بثلثة الاف من الملائكة منزلين انكار ان لا يكفيهم الامداد بثلثة الاف
من الملائكة وتاكيد النفي بلن اشعار بانهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم و
شوكته كالآيسين من النصر قيل امدهم الله تعالى يوم بدر اولا بالف ثم صاروا ثلثة
ثم صاروا خمسة وقرئ منزلين بالتشديد للتكثير او للتدريج وقرئ منزلين بكسر
الزاي اي منزلين النصر بلى ايجاب لما بعد لن اي بلى يكفيكم ثم وعد لهم الزيادة على
الصبر والتقوى حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم
اي المشركون من فورهم هذا من ساعتهم هذه وهو في الاصل مصدر فارت القدر
اذا غلت فاستعير للسرعة في العرف فغلبت ثم سميت به الحال التي لا لبث فيها ولا
تعريج لصاحبها على شيء والمعنى ان يأتوكم في الحال يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة
في حال اتيانهم بلا تراخ وتأخير مسومين معلمين من التسويم الذي هو اظهار
سيماء الشيء لقوله عم لاصحابه رض تسوموا فان الملائكة قد تسومت ومرسلين
من التسويم بمعنى الاسامة وقرئ مسومين بكسر الواو وما جعله الله وما جعل الوعد
بالامداد ومن قال وما جعل الامداد فكانه غفل عن ان البشارة قد حصل بالوعد
بالامداد الا بشرى لكم الا بشارة لكم بالنصر هنا غاية للوعد وقوله ولتطمئن قلوبكم به
اي ولتسكن اليه من الخوف غاية للامداد وللتنبيه على انهما غايتان لامرين مختلفين غير
الاسلوب وفصل بينهما بحرف التعليل مراعيا بحسب البلاغة والذي بحسب النحو هو انه
لما وجدت شروط المفعول من اجله من اتحاد الزمان والفاعل في الاول دون الثاني دخل
عليه اللام ولم يدخل على الاول وما النصر الا من عند الله لا من العدد وفيه تنبيه على انه
لا حاجة في نصرهم الى مددهم الا ان عادته تعالى جرت بان ينصر باعداد الاسباب
وامداد الاصحاب ولو بتكثير السواد على ما اشار اليه بقوله العزيز الذي لا يغالب
في اقضيته الحكيم الذي يفعل على مقتضى الحكمة بامداده واعداده وفي التنبيه المذكور
اوج الاشارة الى ان الملائكة ما نزلوا للقتال بل لمجرد تكثير السواد ولذلك احتيج الى
الكثرة والا فملك واحد كاف في اهلاك الكل ليقطع طرفا من الذين كفروا متعلق بقوله

يوم بدر

وكونه مصدرا واختلف الفاعل

وما النصر الا من عند الله اي ليهلك طائفة منهم ويذل بالقتل والاسر وهو ما كان
يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من صناديد قريش ورؤسائهم او يكبتهم
يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فينقلبوا خائبين غير ظافرين بمطلوبهم ليس لك من
الامر شيء اعتراض او يتوب عليهم او يعذبهم عطف على قوله او يكبتهم والمعنى ان
الله تعالى مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم
ان اصروا وليس لك من امرهم شيء وانما انت عبد مامور بانذارهم وجهادهم و
يحتمل ان يكون معطوفا على الامر باضمار ان اي ليس لك من امرهم شيء او التوبة عليهم
او تعذيبهم روي ان عتبة بن ابي وقاص شجه عم يوم احد وكسر رباعيته فجعل
يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت
فانهم ظالمون قد استحقوا التعذيب بظلمهم تعليل ولله ما في السموات وما في الارض
خلقا وملكا فله الامر كله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء صريح في نفي وجوب شيء من
المغفرة والتعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي وتقديم المغفرة للاشارة الى
سبق الرحمة على الغضب والله غفور رحيم لعباده فلا تبادر الى الدعاء عليهم قيل
همّ عم ان يدعو عليهم يوم احد فنهاه الله تعالى لعلمه بان فيهم من يؤمن فنزلت
يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة لا تزيدوا زيادات مكررة
والتخصيص بحسب الواقع ولا بد له من نكتة ولعلها تمشية ما قصد بتخصيص الخطاب
بالمؤمنين مع عدم اختصاص النهي بهم من التنبيه على ان المؤمن بارتكاب الكبيرة
لا يخرج عن الايمان واتقوا الله فيما نهيتم عنه لعلكم تفلحون راجين الفلاح واتقوا
النار التي اعدت للكافرين تخصيص بعد التعميم فان اتقاء الله يتنظم اتقاء سخطه
في الدارين ولا يخفى على الفطن ما فيه من المبالغة في التهديد على الربوا حيث اتى بلعل
في فلاح من اتقاه واجتنبه لان تعليق امكان الفلاح ورجائه بالاجتناب منه يستلزم
امتناع الفلاح لهم اذا لم يجتنبوه ويتقوه مع ايمانهم ثم اوعد عليهم بالنار التي اعدت
للكافرين مع كونهم مؤمنين فما اعظمها من معصية توجب عقاب الكفار للمؤمنين
وما اشده من تغليظ عليه ثم امد التغليظ بالامر بطاعة الله تعالى ورسوله عم تعريضا
بان آكل الربوا منهمك في المعصية لا طاعة له ثم علق رجاء المؤمنين لرحمته بطاعة الله
ورسوله اشعارا بانه لا رجاء للرحمة مع هذا النوع من العصيان فانظر كيف درج التغليظ
في التهديد حتى الحقه بالكفار في الجزاء والعقاب واما ما قيل فيه تنبيه على ان النار
بالذات معدة بالكفار وبالعرض للعصاة فمبناه على ان يكون المراد نار جهنم مطلقا وذلك
غير مسلم وقد نبهت فيما تقدم على ان المناسب للمقام حملها على نار مخصوصة بالكفار

ع ما ذكر دلالة [illegible]
وذلك ان الخطاب اذا كان للذين امنوا [illegible] بالربوا [illegible]
[illegible] مؤمنين مطلقا [illegible]
[illegible] العصاة [illegible] الا الكفار [illegible]

واطيعوا الله في نهيه عن الربوا مجملا والرسول في بيانه ذلك المجمل لعلكم ترحمون اتبع
الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة ولعل وعسى في امثال ذلك دليل
عزة التوصل الى ما جعل خبرا له وسارعوا بادروا واقبلوا الى مغفرة من ربكم الى ما يستحق به
المغفرة من الاسلام والتوبة والاخلاص ترك الملزوم واقيم اللازم مقامه للتشويق والتحريض
على ما يوجبه وليكون سرعة الاقبال عليه بالنشاط مع خفته على النفس وجنة عرضها
السموات والارض اي عرضها كعرض السموات والارض كما قال في موضع آخر عرضها كعرض
السماء والارض قال ابن عباس والحسن ان السموات والارض اذا ضم بعضها الى بعض
فعرض الجنة مثلها فاما الطول فاكثر من ذلك لان طول كل شيء يزيد على عرضه وقيل العرض
هو السعة قال الشاعر كان بلاد الله وهي عريضة على الخائف كفة حابل اي واسعة اعدت
للمتقين هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة عن هذا العالم فلا
دلالة عليه فيه اذ يجوز ان يكون فوق السموات دون العرش وقد جاء في الحديث سقف
الجنة عرش الرحمن الذين ينفقون صفة مادحة للمتقين او مدح منصوب او مرفوع
في السراء والضراء اي في حال الرخاء واليسر وحال الضيق والعسر لا يخلون بانفاق ما
تيسر لهم او في الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو عن مسرة ومضرة اي لا يخلون في حال ما من
انفاق ما قدروا عليه من القليل والكثير وقدم الانفاق على سائر خصال المتقين لكونه
اشق على النفس وادل على الاخلاص والتوكل ولانه كان اعظم اعمال البر في ذلك الوقت
للحاجة اليه في مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين والكاظمين المتجرعين يقال كظم البعير
جرته اذا ردها الى جوفه الغيظ وهو توقد حرارة القلب من الغضب يقال تغيظت الهاجرة
اذا اشتد حميها ويجوز ان يكون من كظمت القربة اذا شددت على ملئها والاول ابلغ ومن
ثم قال في تفسيره الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة عليه فلم يصب في اعتباره القيد
الاخير لانه غير لازم في كظم الغيظ على ما يفهم من قوله عم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه
ملأ الله قلبه امنا وايمانا والعافين المتجاوزين عن الناس كائنا من كان والله يحب المحسنين
يحتمل الجنس فيدخل المذكورون تحته والعهد فيكون الاشارة اليهم فيكون تسجيلا عليهم
بالاحسان وبشارة لهم بكرامة محبة الله تعالى اياهم والذين اذا فعلوا فاحشة فعلة بالغة في القبح
كالزنا او ظلموا انفسهم بان اذنبوا اي ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس
الصغيرة وقيل الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس ما لا يتعدى ذكروا الله تذكروا حقه
الموجب للخشية والحياء منه او تذكروا عقابه او وعيده او نهيه فاستغفروا لذنوبهم
فتابوا عنها نادمين ومن يغفر الذنوب الا الله اعتراض بين المعطوفين تصويبا للتائبين
المستغفرين وتطييبا لقلوبهم وبشارة لهم بوصف ذاته تعالى بسعة الرحمة والمغفرة

وتحريضا لهم على التوبة وبعثا على الرجاء وردعا عن اليأس ومعنى الاستفهام
تقرير انه تعالى وحده مخصوص بموجبات المغفرة ومقتضياتها من الفضل والكرم و
العفو والرحمة الذاتية ولم يصروا على ما فعلوا ولم يقيموا على افعالهم السيئة غير
مستغفرين اي تداركوا بالاستغفار كلما عادوا الى الذنب عنه النبي صلعم ما اصر من
استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وهم يعلمون حال من فعل الاصرار وحرف النفي
منجر اليهما معا اي ليسوا مصرين على الذنوب وهم يعلمون كونها منهيا عنها لانه قد يعذر
من لا يعلم قبحها او كونها معاصي او لنكتة اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها خبر للذين ان ابتدأت به وجملة مستانفة مبينة لما قبلها ان عطفته
على المتقين او على الذين ينفقون ومن اذعن للحق وانصف وبالتجلد عن التعسف
والتعصب الصف علم انه ليس في هذه الايات سوى ان الجنة اعدت للمتقين والتائبين
او للمتقين خاصة والتائبون اجرهم مغفرة وجنة اما مع سكوت عن حكم المصرين او
دلالة ظنية على انهم ليسوا كذلك ولا نزاع في ان الجنة ليست معدة لهم ولا هي اجرهم
لكن من اين البيان القاطع انهم لا يدخلون البتة وانه لا يجوز في حقهم التفضل والاحسان
على ان الكلام وارد لترهيب اكلة الربوا اولا وترغيبهم في الاقلاع عنه ثانيا فالتقييد
بعدم الاصرار ليلايم الغرض فينتفي شرط مفهوم المخالفة وهو ان لا يظهر فايدة
اخرى وتنكير جنات على الاول يدل على ان ما لهم ادون مما للمتقين الموصوفين بتلك
الصفات المذكورة في الاية المتقدمة وكفاك فرقا بين القبيلتين انه فصل ايتهم بان
بين انهم محسنون مستوجبون لمحبة الله تعالى وذلك لانهم حافظوا على حدود
الشرع وتخطوا الى التخصيص بمكارمه وفصل اية هؤلاء بقوله ونعم اجر العاملين لان
المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض ما فوته على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب
والاجير ولعل تبديل لفظ الجزاء بالاجر لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره
ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات رجع الى وقعة احد وما نابهم فيها فقال
قد خلت من قبلكم سنن في الامم المكذبين من الوقايع كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في
الذين خلوا من قبل ويجوز ان يكون اعتراضا للتحريض على الايمان والتصديق بما
نصحهم به اي مضت في هذا المنهاج سنن من الانبياء السابقين فسيروا في الارض فانظروا
كيف كان عاقبة المكذبين عاقبة تكذيبهم حتى تعتبروا بما ترون من اثار عذابهم فتنزجروا
عن التكذيب وتصدقوا والفاء لتضمن الكلام معنى الشرط اي ان شككتم فسيروا هذا بيان
للناس اشارة الى قوله قد خلت او مفهوم قوله فانظروا اي ايضاح لسوء عاقبة ما هم
عليه من التكذيب وهدى وزيادة تثبيت وموعظة للمتقين للذين اتقوا من المؤمنين

اوالى اخص من المتقين والتائبين والمصرين ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية للرسول
صلعم والمؤمنين عما اصابهم يوم احد وتقوية لقلوبهم اى لا يورثنكم ذلك وهنا
وجبنا عن الجهاد وحزنا على من قتل منكم وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم واغلب
لانكم اصبتم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم يوم احد او وانتم الاعلون شانا لان قتالكم
لله تعالى ولاعلاء كلمته وقتالهم للشيطان ولاعلاء كلمة الكفر وقتيلكم فى الجنة وقتيلهم
فى النار او وانتم الاعلون فى العاقبة فيكون بشارة لهم بالعلو والغلبة فى العاقبة
ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهى اى ولا تهنوا ان صح ايمانكم فان صحة الايمان توجب
الثقة بالله تع وقوة القلب وصحة العزيمة والتوكل عليه حذف جوابه لدلالة النهى عليه
تقديره ان كنتم مؤمنين فلا تهنوا او بالاعلون اى انتم الغالبون ان كنتم مصدقين
بما يعدكم الله به ويبشركم به ان يمسسكم قرح قرئ بالضم والفتح وهما لغتان كالضعف
والضعف وقيل هو بالضم الجراح وبالفتح المها وقيل بالفتح المصدر وبالضم الاسم
فقد مس القوم قرح مثله اى ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم يوم بدر ثم لم
يضعفوا ولم يجبنوا فانتم اولى بذلك فانكم ترجون من الله تع ما لا يرجون وقيل كلا
المسين يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول عم وقوله مثله لا
ينافى المعنى الاول لقوله وانتم الاعلون لان الاصابة بينتظم الاسر والمماثلة فى مس الجرح
وما يترتب عليه من القتل فقط وتلك الايام تلك اشارة الى مبهم فسر بالايام ومعنى الوقائع
العظام نداولها بين الناس نصرفها بينهم نديلها لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقوله
فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر اى فواقعة علينا وواقعة لنا ووقت نساء
ونسر والمداولة كالمعاودة يقال داولت الشئ بينهم فتداولوه والايام يحتمل الوصف
والخبر ونداولها يحتمل الخبر والحال وليعلم الذين آمنوا عطف على علة محذوفة اى نداولها
ليكون كيت وكيت وليعلم الله فالواو العاطفة للايذان بان العلة فيه غير واحدة وان
ما يصيب المؤمن فيه من المصالح ما لا يعلم وفيه تسلية لهم عما جرى عليهم وتبصر بان العبد
ربما يسوءه شئ ويجرى عليه من المكان ولا يدرى انه خير له او الفعل المعلل به محذوف
تقديره وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك والقصد فى امثاله
ونقائضه ليس الى اثبات علمه تعالى ونفيه بل الى اثبات المعلوم ونفيه بطريق البرهان
ويتخذ منكم شهداء وليكرم قوما منكم بالشهادة يريد شهداء احد ويتخذ منكم شهودا
معدلين بما صودف منهم من الثبات والصبر على الشدائد والله لا يحب الظالمين الذين يضمرون
خلاف ما يظهرون اعتراض بين التعليلات للتنبيه على من ليس من هؤلاء الثابتين على
الايمان المجاهدين فى سبيل الله الممحصين من الذنوب بالظلم والتنبيه على ان ظلمهم اوجب

ان يبغضهم الله تع والتعريض بانه يحبهم لاجل تلك الصفات وليمحص الله الذين آمنوا
المحص التطهير والتصفية والتخليص وصيغة التفعيل للمبالغة اى وليطهرهم من الذنوب
ان كانت الدولة عليهم ويمحق الكافرين ويهلكهم ان كانت عليهم والمحق افناء الشئ
حالا بعد حال كمحق الهلال ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بل احسبتم ومعناه الانكار ولما
يعلم الله الذين جاهدوا منكم لم والحال يتقدير المبتدا وولما كلمة فى نفى الماضى
الى الآن فيه معنى التوقع فى المستقبل فدل على نفى الجهاد فى الماضى مع توقعه فى المستقبل
لان معنى ولما يعلم الله ولما تجاهدوا لان وقوع الشئ يستلزم كونه معلوما لله تع
ونفى اللازم يستلزم نفى الملزوم فنزل نفى العلم منزلة نفى الجهاد للتاكيد والمبالغة
لان انتفاء اللازم [illegible] برهان على انتفاء الملزوم وفيه اشعار بان علمه تعالى
بالاشياء على ما هى عليه ضرورى وقرئ ولما يعلم الله بفتح الميم على ارادة التاكيد
بالنون الخفيفة اى ولما يعلمن فحذفت ويعلم الصابرين نصب باضمار ان على ان
الواو بمعنى الجمع كقولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن اى لا تجمعوا بين الجهاد والصبر
يريد وجوب الجمع بينهما وقرئ بالجزم على العطف وقرئ يعلم بالرفع على ان الواو للحال
كانه قيل ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت اى لقاء العدو فانه
من اسباب الموت او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا
ان يشهدوا مع رسول الله صلعم مشهدا ليكون لهم يوم كيوم بدر وتمنوا
الشهادة فيه لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فالحوا يوم احد على الخروج من قبل
ان تلقوه اى العدو فانه ملحوظ وان لم يكن ملفوظا فقد رايتموه حين قتل دونكم من قتل
من اخوانكم وانتم تنظرون معاينين له مشاهدين اى لا على غفلة واشتغال من سواه
ففيه تاكيد وهو توبيخ لهم على تمنيهم الحرب والحاحهم على رسول الله صلعم فى الخروج
ثم قلة مصابرتهم عليه وعدم ثباتهم له وانهزامهم عنه عند مشاهدته وعلى تمنيهم
الشهادة ثم توليهم مدبرين ومن وهم ان فى تمنى الشهادة تمنى غلبة الكفار فقد وهم
فانه يقصد الى نيل كرامة الشهادة ولا يخطر بباله غلبة الكفار وما محمد الا رسول قصر الصفة
على الموصوف فيستلزم نفى سائر الصفات الى فوق الرسالة عنه اى ليس بمخلد ولا اله
لا يمكن موته وقتله ومعنى قد خلت من قبله الرسل انه لا ينافى الرسالة المضى لسبيله
فيمضى كما مضت الرسل من قبله وما كان مضيهم سببا لانقلاب اتباعهم عما كانوا عليه
فسبيلكم ان تتمسكوا بدينه وطريقته فى الجهاد وغيره كما تمسك اتباع الرسل بعد مضيهم بما
كانوا عليه فان المقصود من الرسالة التبليغ لا البقاء بين الامة وقد بلغ ثم عنفهم ووبخهم
على ما كان منهم بقوله افان مات اى بكلمة ان وقد علم انه يكون تنزيلا للشاك مع منزلة المتردد

لاستعظامه وذكر القتل بقوله او قتل لكونه مجوزا عند المخاطبين وقوله والله يعصمك
من الناس على تقدير نزوله قبل يوم احد لا ياباه اذ ليس كل اية يسمعها كل احد ولا كل
سامع يستحضرها في كل مقام سيما مثل ذلك المقام الهايل انقلبتم على اعقابكم مجرى
الكلام تفريع الانكار على ما تقدم اى قد علمتم معنى الرسل وتمسك اممهم باديانهم
فكيف صح انقلابكم على اعقابكم بعقبته بالموت او القتل الا انه قدم ما حقه التاخير
لاقتضاء اداة الاستفهام الصدارة في الكلام لا انكار التفريع على ما تقدم لان
ذلك التفريع بمعزل عن مذهب الاوهام فوروده لا يناسب المقام كما لا يخفى على ذوى
الافهام ومن ينقلب على عقبيه قد سبق بيانه في سورة البقرة فلن يضر الله شيئا
بارتداده بل يضر نفسه وسيجزى الله الشاكرين على نعمة الاسلام بالثبات عليه كانس
واضرابه وما كان لنفس اى وما صح لها ان تموت الا باذن الله لملك الموت في
قبض روحه لما كان السابق الى الوهم والمتبادر الى الفهم من اسناد الموت الى
الميت في قوله افان مات هو ان يكون الموت الواقع بلا سبب ظاهر من المرض
والقتل بمقتضى طبيعة الميت دفعه ببيان ان الموت مطلقا لا يكون الا بقبض
الروح وهو باذن الله تع وليس فيه تحريض وتشجيع على القتال بناء على ان
الاجل المقدر لا يتاخر بالحذر كيف وهو المامور به في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم
الى التهلكة واما الوعد للرسول عم بالحفظ وتاخير الاجل فلا يفهم منه اصلا كتابا
مصدر موكد اذ المعنى كتب الموت كتابا موجلا صفة له اى موقتا له اجل معين
ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها تعريض بالذين شغلتهم الغنايم يوم احد ومن يرد
ثواب الاخرة نؤته منها اى من ثوابها وسنجزى الشاكرين الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم
شيء عن الجهاد وحذف المفعول الثاني في الموضعين لابهام الجزاء تعظيما اى جزاء لا يوصف
كنهه وكاين اصله اى دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى كم والنون تنوين
اثبت في الخط على غير قياس وقرئ كاين ككاعن ووجهه انه قلب قلب الكلمة الواحدة
فصار كيا، ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم ابدلت الياء الاخرى الفا كما ابدلت
طائى من نبى بيان له قاتل معه ربيون كثير الربيون الربانيون وقرئ بالحركات
الثلث فالفتح على القياس والكسر والضم من تغييرات النسب وقرئ قتل والفاعل
ربيون او ضمير النبي ومعه ربيون حال عنه اى قاتل كاينا معه ربيون ويويد
الاول انه قرئ بالتشديد فما وهنوا فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما اصابهم
في سبيل الله من الشدة وغلبة العدو وقتل الاخوان او قتل النبي وما ضعفوا عن
الجهاد بعده لقوة اليقين والثبات في الدين وما استكانوا وما خضعوا للعدو

قيل استكان افتعل من سكن والالف للاشباع لان معناه خضع وتذلل والخاضع
يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده وقيل استفعل من كان الناقصة كان الخاضع
يطلب من نفسه ان يكون ويثبت على ما يريده به صاحبه والاولى اقوى من حيث المعنى
ولكن لا يساعده وجوه الاشتقاق والتصريف والثاني اصح لفظا واضعف من حيث
المعنى وهذا تعريض بما اصابهم عند الارجاف بقتله عم من الوهن والضعف
عن الجهاد والاستكانة للمشركين حتى هموا ان يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن ابي في
طلب الامان من ابي سفيان والله يحب الصابرين فينصرهم ويعظم قدرهم وما كان
قولهم الا ان قالوا قرأه العامة قولهم بالنصب وانما جعلوه خبرا لان ان قالوا
اعرف له لانه على جهة النسبة وزمان الحدوث ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا
في امرنا الاسراف مجاوزة الحد وذكره بعد ذكر الذنوب للمبالغة في الاعتراف
بالذنب وسوء الظن بانفسهم وثبت اقدامنا على حاجة الجهاد وانصرنا على القوم
الكافرين اى وما كان قولهم الا هذا القول اى الاستغفار عن الذنوب والاسراف
واضافتهما الى انفسهم وطلب تثبيت الاقدام في مواطن الحرب والنصرة على العدو
معتقدين ان الخذلان وتزلزل القدم انما يكون لذنوبهم مقدمين عليه الاستغفار
منها هضما لانفسهم واستقصارا مع كونهم ربانيين ليكون الدعاء مع الخضوع
وزكاء النفس فيقرب بالاجابة كما جاء نصره فاتاهم الله بسبب الاستغفار والالتجاء
الى الله تعالى ثواب الدنيا من النصرة والغنيمة والعز وطيب الذكر وحسن ثواب الاخرة
من الجنة وما فيها من النعيم وخص ثوابها بالحسن اشعارا بفضله وانه المعتد به
عنده تعالى والله يحب المحسنين اى هم محسنون والله يحبهم ويحسن ثوابهم يا ايها

تطيعوا

الذين امنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين
نزلت في قول المنافقين عند الارجاف ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان محمد نبيا
لما قتل وقيل ان تستكينوا الى ابي سفيان واشياعه وتستامنوهم يردوكم الى دينهم
وقيل عام في مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم فانه يستجر الى موافقتهم بل الله موليكم
ناصركم دون غيره فلا تميلون الى ولاية غيره ونصرته وقرئ بالنصب على تقدير بل
اطيعوا الله موليكم وهو خير الناصرين فهو احق ان يستعان به سنلقي في قلوب الذين
كفروا الرعب هو بيان قوله وهو خير الناصرين والرعب الخوف الذي يملأ القلب يقول
ان ناصركم بالحال بعض الشدة بمصيبتكم سنلقي في قلوبهم الرعب فيكون العاقبة لكم
بايمانكم وقد حقق هذا الوعد فالقى في قلوب ابي سفيان واصحابه الرعب فلم يجيبوا في
بدر الصغرى بعد ان وعدوا ذلك وقيل يريد به ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى

تركوا القتال انهزموا الى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة ولا ساعد الخوف عبارة
سنلقي بما اشركوا بالله بسبب اشراكهم به ما لم ينزل به باشراكهم سلطانا حجة بينة
على معنى نفي الحجة والانزال جميعا كقوله ولا نهكم بالهنهم واصل السلطنة القوة ومنه
السليط لقوة اشتعاله والسلاط لحدة اللسان ومأواهم النار اي مرجعهم جهنم في
الاخرة وبئس مثوى الظالمين اي مثواهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتغليظ والتعليل
ولقد صدقكم الله وعده اي وعده اياهم بالنصر بشرط الصبر والتقوى كما مر في قوله
ان تصبروا وتتقوا الآية وكان كذلك حتى خالف الرماة اذ تحسونهم تقتلونهم من احسه
اذا ابطل حسه باذنه بتيسيره حتى اذا فشلتم الخطاب للكل والمراد بعضهم على طريقة
العرب في نسبة ما يقع من البعض الى الجميع على سبيل التجوز والفشل الجبن والضعف
وحتى حرف جر بمعنى الى داخل على اسم هو اذا وقد عرفت ان معنى صدق الوعد النصر
والاظفار فلا يرد انه لا يصلح غاية لان وعده تعالى لا ينقلب كذبا وانما قدم ذكرا وهو مؤخر
وجودا عن التنازع والعصيان للدلالة على ان الموعود لم يتبدل بتنازعهم وعصيانهم
ما لم يجبنوا فالغاية في الحقيقة جبنهم وهذا يرجح الوجه المذكور على ما قيل ان اذا لم يجرد
عن معنى الشرط وجوابه محذوف دل عليه ثم صرفكم اي منعكم نصره وتنازعتم في الامر يعني
اختلاف الرماة حين انهزم المشركون في اول الوهلة فقال بعضهم فما موقفنا ههنا
الغنيمة الغنيمة وقال اخرون لا نخالف امر الرسول فثبت مكانه اميرهم في نفر دون العشرة
ونفر الباقون للنهب وهو المعني بقوله وعصيتم من بعد ما اريكم ما تحبون من
الغنيمة وفيه تنبيه على باعث عصيانهم وتشنيع لهم حيث اثروا الغنيمة على الجهاد
ومن زاد على ذكر الظفر وانهزام العدو فقد فوت النكتة منكم من يريد الدنيا
وهم التاركون المركز للغنيمة ومنكم من يريد الاخرة وهم الثابتون محافظة على
امر الرسول عم ثم صرفكم عنهم ثم كفكم عنهم حتى حالت الحال ليبتليكم على المصائب
ويمتحن ثباتكم على الايمان عندها ولقد عفا عنكم تفضلا لما فرط منكم من عصيان امر
رسول صلعم لما علم من ندمكم عليه والله ذو فضل على المؤمنين في جميع الاحوال فتارة
يتفضل عليهم بالنصر والادالة على عدوهم لتقوية الدين وتارة يتفضل بالابتلاء وادالة
العدو عليهم لظهور الصفات الكمالية الكامنة فيهم ونيل درجات الشهادة وتارة يتفضل
بالعفو وتمحيصهم من الذنوب وكلها رحمة منه عليهم وفضل بحسب اقتضاء احوالهم
اذكر اذ تصعدون متعلق بصرفكم او ليبتليكم او بمقدر كاذكر والاصعاد في الذهاب
في الارض وقال صاحب الديوان الاصعاد في الارض والتصعيد في الجبل والصعود في
السلم وقرئ تصعدون بفتح التاء من الصعود وقرئ اذ تصعدون في الوادي ويحتمل انهم

ذهبوا في الوادي ثم ذهب صعد بعضهم الى الجبل ملتجيا به ولا تلوون على احد ولا
تلتفتون على احد من الاحاد من قولك لوى جيده اليه اذا التفت اليه وهو كناية
عن غاية خوفهم من العدو والرسول يدعوكم وكان يقول الي عباد الله الي عباد الله
انا رسول الله من يكر فله الجنة في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى فاثابكم غما بغم
عطف على صرفكم اي فجازاكم الله على فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من الاغتمام
بالقتل والجرح وغلبة المشركين والارجاف بقتل الرسول صلعم والثواب الجزاء كيف
ما كان والاثابة اعطاؤه فالاعم الواهب حق بعطايه ما لم يثب منها الا ان الثواب اذا
اطلق يراد به الجزاء وعلى هذا يكون فاثابكم كقوله فبشرهم بعذاب اليم او فجازاكم غما
بسبب غم اذقتموه رسول الله عم بعصيانكم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم
لتتمرنوا على تجرع الغموم وتتعودوا بالصبر واحتمال الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد
على ما فاتكم من الفوائد ولا ما اصابكم من المكاره وقيل الضمير في فاثابكم للرسول
فآساكم في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم
تسلية لكم كيلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر ولا ما اصابكم من الهزيمة والله خبير بما تعملون
عليم باعمالكم وبما قصدتم بها وهذا ترغيب في الطاعة وترهيب عن المعصية ثم
انزل عليكم من بعد الغم امنة على المفعول ونعاسا بدل منها او هو المفعول وامنة
حال منه او مفعول له او حال من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه جمع آمن كبار
وبررة وقرئ امنة بسكون الميم كانها المرة من الامن اي انزل الله عليكم الامن وازال
الهم والخوف حين نعستم يغشى طائفة منكم اي النعاس عن ابي طلحة غشينا النعاس
ونحن في مصافنا فكان السيف يسقط من يد احدنا فياخذه ثم يسقط فياخذه
وقرئ تغشى بالتاء ردا على الامنة والطائفة المؤمنون حقا وطائفة منهم وهم
المنافقون قد اهمتهم انفسهم اوقعتهم انفسهم في الهم والحزن لعدم اليقين
او ما يهمهم الا هم انفسهم وطلب خلاصها لا هم الدين ولا هم رسول الله عم و
الحصر مستفاد من المقام يظنون بالله صفة اخرى لطائفة او حال او استئناف على وجه
البيان لما قبله غير الحق نصب على المصدر اي يظنون بالله غير الحق الذي يجب
ان يظن به ظن الجاهلية بدل منه وهو الظن المختص بالملة الجاهلية على البطلان يقولون
اي لرسول الله عم وهو بدل من يظنون هل لنا من الامر من شيء هل لنا مما امر الله
تعالى ووعد من النصر والظفر نصيب قط قل ان الامر كله لله اعتراض وكون الامر لله
كناية عن كونه لخواصه لكونهم من الله تعالى اي الغلبة الحقيقية لاولياء الله تعالى فان حزب
الله هم الغالبون فلا معنى لنفي الامر بمعنى النصر والاظفار عنهم وقرئ كله بالرفع على الابتداء

يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك حال من ضمير يقولون او هو بدل من يخفون او
استيناف على وجه البيان وهو اجود اي يظهرون هل لنا من الامر من شيء سوال المؤمنين
المسترشدين ويقولون في انفسهم او بعضهم لبعض مبطنين لو كان لنا من الامر شيء ما
قتلنا ههنا منكرين لقولك ان الامر كله لله تعالى اي لو كان الامر كما قال محمد ان الامر كله
لله ولاوليائه وانهم هم الغالبون ما غلبنا قط وما قتل من قتل من المسلمين في هذه
المعركة قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم اي لخرج الذين
قدر الله عليهم القتل وكتب في اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم ينفع الاقامة بالمدينة
ولم ينج منه احد منهم لا لان العلم الازلي يلجئهم اليه ويلزمهم ذلك لان العلم تابع للمعلوم
فلا اثر له فيه بل لان الله تعالى قدر الامور ودبرها في سابق قضائه لا معقب لحكمه وليبتلي
الله ما في صدوركم وليمتحن ما في صدوركم ويظهر سرائرها من الاخلاص والنفاق
وهو علة محذوف اي وفعل ذلك ليبتلي او عطف على محذوف اي لبرز لمصالح جمة وللابتلاء
وليمحص ما في قلوبكم من وساوس الشيطان والله عليم بذات الصدور بخفي الظنون والعزائم
وفيه وعد ووعيد وتنبيه على انه تعالى غني عن الامتحان وانما فعل ذلك ليميز المؤمنين
ويظهر حال المنافقين ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض
ما كسبوا يعني ان الذين انهزموا يوم احد كان السبب في توليهم ان الشيطان طلب
منهم الزلل فاطاعوه الشيطان فاقترفوا ذنوبا فلذلك منعهم الله التاييد بالنصر
وتقوية القلوب حتى تولوا وقيل استزلال الشيطان اياهم هو التولي وانما دعاهم اليه
بذنوب قد تقدمت لهم لان الذنب يجر الى الذنب كما ان الطاعة تجر الى الطاعة وقيل بعض
ما كسبوا هو تركهم المركز الذي امرهم رسول الله صلعم بالثبات فيه فجرهم ذلك الى الهزيمة
وقيل ذكرهم تلك الخطايا فكرهوا لقاء الله تعالى معها فاخروا الجهاد حتى يصلحوا امرهم ويجاهدوا
على حال مرضية ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم
لا يعاجل بعقوبة المذنب كي يتوب يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعني المنافقين
وقالوا لاخوانهم لاجلهم والمراد بالاخوة الصداقة او الاتفاق في النسب والمذهب اذا
ضربوا في الارض اي سافروا فيها وابعدوا للتجارة وساير المهام واذا بعد قالوا المجرد فيه
على حكاية الحال الماضية او كانوا غزى او نهضوا للغزاة غزى جمع غاز كعفى جمع عاف لو كانوا
عندنا ما ماتوا وما قتلوا مفعول قالوا اي لو لم يخاطروا لعاشوا وهو يدل على ان اخوانهم
قد فاتوا بعد ان غابوا عنهم ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم اي قالوا ذلك معتقدين
ليكون حسرة في قلوبهم على ان اللام للعاقبة ويجوز ان يتعلق بالنهي اي لا تكونوا مثل الكفار
في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعل الله تعالى حسرة في قلوبهم خاصة ويصون قلوبكم منها

ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم
مثلهم حسرة في قلوبهم لان مخالفتكم اياهم في قولهم واعتقادهم مما يغيظهم ويغمهم
والله يحيي ويميت رد لقولهم وتخطئة لمعتقدهم الى الامر بيده قد يحيي المسافر والغازي
ويميت المقيم والقاعد وبالعكس كما يشاء والله بما تعملون بصير تهديد لهم على ان لا
يماثلوهم وعلى القراءة بالياء وعيد للكفار صدر الجملتين بالقسم للتاكيد والتحقيق
ولئن قتلتم في سبيل الله او متم في سبيل متعلق بالمعطوفين كمن قبل في قوله لم تكن
امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا فلا حاجة الى تقديره بعد قوله او متم وقرئ بكسر الميم
من مات يمات وتقديم القتل لانه الغالب في الجهاد بخلاف غيره ولهذا اخر فيما ياتي ثم ان
المقتول احق بالمغفرة واجدر والميت في الحضر اكثر فقدر لمغفرة من الله ورحمة خير
مما يجمعون جواب القسم وساد مسد جواب الشرط وعدل في الجواب الى الجملة الاسمية للدوام
والتخليد وتنكير مغفرة للتعظيم وكذا تنكير رحمة كذب الكفار اولا في زعمهم وخطاءهم
في اعتقادهم ونهى المسلمين عن ذلك لكونه اعتقادا باطلا موجبا للتقاعد عن الجهاد ثم
قال ولئن وقع ما تحذرونه فان ما تنالونه من المغفرة والرحمة والثواب العظيم خير مما
يجمعون من منافع الدنيا لو لم تموتوا ولئن متم او قتلتم على اي وجه اتفق هلاككم
لالى الله تحشرون لا الى معبودكم الذي توجهتم اليه وبذلتم مهجكم لاجله لا الى غيره
لا محالة تحشرون فيوفي جزاءكم ويعظم ثوابكم ولوقوع اسم الله هذا الموقع مع تقديمه
شان لا يخفى ولذلك عدل عن الضمير اليه فبما رحمة من الله لنت لهم ما مزيدة للتوكيد
وتقديم الظرف للدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله تعالى وتنكير رحمة للتعظيم
اي بحظ وافر لكمال رحمة الله تعالى لنت لهم وتلطفت تلطفت وما عتبتهم على مخالفة
امرك وتركهم اياك بين الكفار بل واسيتهم بالغم واغتممت لاجلهم والفاء للترتيب
على ما دل عليه سياق الكلام من انهم كانوا مستحقين للعتاب البليغ وان المرجو منه
على ما هو مقتضى الطبع البشري ان يعنف عليهم ويغلظ في مخاطبتهم ولو كنت فظا
الغظ الجافي في الخشن الخلق غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك ولم
يسكنوا اليك ولما بين فائدة حسن الخلق وفتر القلب ترتب عليه الامر بقوله فاعف
عنهم فيما يختص بحقك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله اتماما للرافة بهم وشاورهم
في الامر اي في امر الحرب وغيره مما لم ينزل عليك فيه وحي لما فيه ورتبتهم من الرفع
في اقدارهم وتطييب قلوبهم والاستظهار بارائهم وعن الحسن قد علم الله تعالى انه
ما به اليهم حاجة ولكن اراد ان يستن به من بعده فاذا عزمت فاذا قطعت الراي على
شيء بعد الشورى والفاء للتعقيب وللدلالة على ان حق المشاورة ان تنتهي الى

العزم على احد الامرين ولا يبقى في التردد بينهما فتوكل على الله في امضاء امرك على ما هو
الارشد الاصلح فانه لا يعلمه سواه وقرئ فاذا عزمت لك على شيء وعينته لك
فتوكل على الله ولا تشاور فيه احدا ان الله يحب المتوكلين اي يرضى عملهم ويهديهم الى
الاصلح وينصرهم ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم فلا يغلبكم احد وان
يخذلكم اي ان ترك نصركم كما تركها يوم احد فمن ذا الذي ينصركم من بعده اي
من بعد خذلانه او من بعد الله بمعنى اذا جاوزته تعالى من قولهم ليس لك من يحسن اليك
من بعد فلان وهو تنبيه على المقتضي للتوكل عليه تعالى وتحريض على ما يستحق به النصر
وتحذير عما يستجلب خذلانه وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي لما علموا ان لا ناصر سواه
فليخصوه بالتوكل عليه والتفويض اليه وفي عبارة المؤمنون اشارة الى وجه يؤيد
التخصيص المذكور وهو ان الايمان الحقيقي يقتضي رؤية فناء القوى والقدر كلها في
قوته تعالى وقدرته فلا ناصر سواه وما كان وما صح لنبي من الانبياء عليهم السلام
فكيف لمن هو افضل الرسل ان يغل الغلول اخذ المال من الغنيمة في خفاء فقدت قطيفة
حمراء من الغنائم يوم بدر فقال بعض من كان مع النبي صلعم لعل رسول الله اخذها
فنزلت وقائل ذلك مؤمن لم يظن في ذلك حرجا برأه الله تعالى من ذلك ونزهه ونبه
على عصمته عم بان النبوة والغلول متنافيان لئلا يظن ظان في حقه شيئا منه ولئلا يرتاب
احد وقرئ ان يغل على البناء للمفعول والمعنى وما صح له ان يوجد غالا وان ينسب الى
الغلول ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة يأت بالشيء الذي غله بعينه كما ورد في بعض
الاحاديث فغير منظور اليه في هذا المقام انه مخصوص بما له ثقل على ما يفهم من قوله عم لابي
هريرة رض لا الفين احدكم [illegible] شيئا من الغنائم اذا خرج يوم القيمة وهو متعلق بشيء
ولو كانت ابرة فلا اتجاه لما نقل عن بعض جفاة [illegible] الاعراب انه سرق نافجة مسك فتليت
عليه الاية فقال اذن احملها طيبة الريح خفيفة المحمل ثم توفى كل نفس ما كسبت يعطى جزاء
ما كسبت وافيا كان الظاهر ان يقال ثم يوفى ما كسب ليتصل بقوله يأت بما غل لفظا وانما
عدل عنه وعمم ليدخل تحته دخولا اوليا فيكون ابلغ واثبت بالبرهان لانه لما علم الغال
ان كل نفس توفى جزاء ما كسبته خيرا كان او شرا علم انه غير متخلص من بينهم مع عظم ما
كسب فاتصل به معنى وهم لا يظلمون فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد في عقاب عاصيهم
ولما عمم كل كاسب خير وشر وكان المتنافيين من النبي والغال فقال منكرا افمن اتبع رضوان
الله بهمزة الاستفهام مبالغا بايرادها على الفاء العاطفة ما بعدها على مقدر دل عليه ما قبلها
مؤكدا بها المنافاة بين النبي والغال كانه قال ايغل النبي فمن اتبع رضوان الله بالطاعة
يعني النبي ومن تابعه كمن باء رجع بسخط عظيم من الله بالعصيان كالغال ومن دانا

بديه

بديه ومأويه جهنم وبئس المصير الفرق بينه وبين المرجع هو انقلاب الشيء
الى حال كان عليها والمصير انتقاله الى خلاف الحال التي كان عليها هم درجات تشبيه
بليغ اي هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات وقيل على حذف المضاف اي هم
ذو درجات وانما قال عند الله تعظيما للتفاوت والله بصير بما يعملون عالم
باعمالهم فيجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين خصهم بالذكر لانهم هم المنتفعون
بمبعثه عم والمنة هنا الانعام وقرئ لمن من الله على انه خبر لمحذوف مثل منه او بعثه
ويجوز ان يكون اذ في قوله اذ بعث في محل الرفع بانه مبتدأ اي وقت بعثته لمن من الله
لان العرب لم تستعمل اذ منصرفة قال ابو علي الفارسي لم ترد اذ واذا في كلام العرب الا
ظرفين ولا يكونان فاعلين ولا مفعولين ولا مبتدأين وانما قال فيهم لانهم كانوا عرفوا
ومنشأه وصدقه وامانته وطهارة اخلاقه فاندفع بذلك كثير من الخواطر رسولا
التنكير للتعظيم من انفسهم من جنسهم عربيا مثلهم ليسهل عليهم اخذ ما يجب اخذه
عنه لانه فهم في اللسان وقيل من نسبهم يعني من ولد اسمعيل عم كما انهم من ولده
وكلما كانت الجنسية اكثر كان المن اوفر لمناسبتهم اياه وسهولة قبولهم منه وعلى
هذا يكون المراد من امن من قومه عم وتخصيصهم بالمن لزيادة انتفاعهم ببعثته عم
وعلى كلا الوجهين لا اختصاص لمن امن معه عم والوجه عندي هو الاول لقوله تعالى
في موضع آخر هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم اياته الاية والقران
يفسر بعضه بعضا وقرئ من انفسهم اي من اشرفهم لانه عم من اشرف شعوب العرب
وافخاذهم يتلو عليهم اياته من الوحي المتلو بعد ما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم
شيء من الوحي ويزكيهم من دنس الكفر والخبائث وغواشي الطبيعة والرذائل ويعلمهم
الكتاب والحكمة اي القران والسنة الشاملة لاقسام الحكمة وان في قوله وان كانوا من قبل لفي
ضلال مبين هي المخففة من الثقيلة ومن قبل مبني على الغاية واللام هي الفارقة اي وان
الشأن كانوا من قبل بعثته في ضلال ظاهر لا شبهة فيه وهو بيان لشدة احتياجهم الى نبي
يرشدهم وازاحة لما يتوهم انه عم تعلم ذلك من معلم او لما اصابتكم مصيبة ما اصابكم
يوم احد من قتل سبعين منهم قد اصبتم مثليها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين
والهمزة للتقرير [illegible] القول والتقريع به ولما نصب بقلتم في قوله قلتم انى هذا واصابتكم
في محل الجر باضافة لما اليه وتقديره وقلتم حين اصابتكم وانى هذا على انه مفعول قلتم والواو
عاطفة للجملة على قصة احد من قوله ولقد صدقكم الله وعده او على محذوف اي افعلتم
وقلتم حينئذ انى هذا اي من اين هذا قل هو من عند انفسكم اي استوجبتم لما
اصابكم بسبب ناش من عند انفسهم فانزل الله بكم ذلك فلا ينافي كونه من عند الله

اى السبب العادى انتم لتخليتكم المركز وميلكم الى الغنيمة فان وعد النصر [illegible] كان
مشروطا بالثبات والمطاوعة واما اختيار الخروج من المدينة فبعيد لان الله تعالى
وعدهم النصر بعد ذلك بشرط الثبات واختيار الفداء يوم بدر ابعد منه ان الله على
كل شيء قدير فهو قادر على النصر وعلى منعه وعلى ان يصيب بكم تارة ومنكم اخرى ولا
تاثير للاسباب العادية ففيه دفع وهم العجز عن نصرهم عدم شرط الثبات وما اصابكم يوم
التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين يوم احد فباذن الله فهو كاين بتخلية الكفار
سماها اذنا لانها من لوازمه وليعلم المؤمنين عطف على باذن الله والباء واللام كلاهما
للسبب وليعلم الذين نافقوا اى وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر ايمان هؤلاء
وكفر هؤلاء وقيل لهم عطف على نافقوا داخل فى الصلة تعالوا قاتلوا فى سبيل الله او ادفعوا
قسم الامر عليهم بين ان يقاتلوا كما يقاتل المؤمنون وبين ان يقاتلوا دفعا عن انفسهم و
اهلهم واموالهم ان لم يكن لهم همة فى الله وفى الاخرة قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم ابو الفتل
وجحدوا العذر عليه راسا لنفاقهم على ما روى ان عبد الله بن ابى اعتزل مع خلفائه
فقيل له فقال ذلك ويجوز ان يكون المعنى لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم فيه لكن
ما انتم عليه ليس بقتال بل القاء بالنفس الى التهلكة يريد تخطئة رايهم لان رايه كان
فى الاقامة بالمدينة او ادفعوا العدو بتكثيركم سواد المجاهدين وان لم تقاتلوا لان كثرة
السواد مما يروع العدو ويكسر قلبه بقى ههنا شيء وهو ان مقتضى ترتيب الكلام على الوجه
الاول ان يعطف قالوا لو نعلم قتالا على نافقوا بالفاء وانما اخرج مخرج الاستئناف على
انه جواب سوال اقتضاه دعاء المسلمين اياهم الى القتال فاخر عن [illegible] الدعاء
كانه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا لو نعلم تنبيها على ظهور امارة النفاق منهم لتثبطهم
وتعللهم بعد الدعاء الذى كان يجب عليهم اجابته ويجوز ان يقتصر الصلة على نافقوا
ويكون وقيل لهم كلاما مبتداء عطفا على جملة وما اصابكم فباذن الله هم للكفر يومئذ
اقرب منهم للايمان لانخزالهم وقولهم هذا فانهما اول امارات ظهرت منهم مؤذنة
بكفرهم والظروف كلها متعلقة باقرب لما فيها من الاتساع لكن تعلق للكفر باعتبار الزيادة
وتعلق للايمان من حيث المفعولية كانه قيل قربهم من الكفر يزيد على قربهم من الايمان
وصلة القرب يكون من او الى ويقول العرب يقرب منه واليه ولا تقول له فاللام بمعنى الى وقيل
هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان اذ كان انخذالهم تقوية للمشركين وتخذيلا
للمؤمنين يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم اى يظهرون خلاف ما يضمرون لا يواطئ
قلوبهم السنتهم بالايمان والعرب تستعمل القول فى غير الكلام فيقول قال بيده اى
اهوى بها وقال برأسه اى اشار فقوله بافواههم تخصيص القول بالكلام واثبات الافواه

على الالسنة لانها اوسع دائرة فان من الحروف ما لا دخل فى تلفظه اللسان والله اعلم بما يكتمون
من النفاق وتجهيل المؤمنين وتخطئة رايهم وذمهم فيما بينهم والشماتة بهم وغير ذلك و
انما قال اعلم لانهم يعلمون بعض ذلك علما مجملا بامارات والله تعالى يعلم كله علم احاطة
بتفاصيله وكيفياته الذين قالوا من ضمير يكتمون رفع المحل او نصب على الذم او رفع عليه
اى هم الذين قالوا او نصب بدل من الذين نافقوا او جر بدل من الضمير فى افواههم او
قلوبهم لاخوانهم اى لاجلهم يريد من قتل يوم احد من اقاربهم او من جنسهم وقعدوا
حال اى قالوا وقد قعدوا عن القتال لو اطاعونا فى القعود ما قتلوا كما لم نقتل قل فادرؤا
عن انفسكم الموت جواب شرط مقدر يدل عليه ان كنتم صادقين انكم تقدرون دفع القتل
عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت فانه احرى بكم يعنى ان القعود غير مغن فان اسباب
شتى والقتال قد يكون سببا للنجاة والقعود سببا للهلاك ولا تحسبن الذين قتلوا فى
سبيل الله امواتا نزلت فى شهداء احد والابلغ ان يجعل الخطاب لكل احد لانه امر خطير
يجب ان يبشر به كل احد ليتوفر دواعيهم الى الجهاد وليتيقنوا حسن الجزاء وقرئ بالياء اى
حاسب وقرئ بالتشديد لكثرة المقتولين بل احياء اى بل هم احياء وقرئ بالنصب على بل
احسبهم احياء عند ربهم عندههنا بمعنى القرب شرفا ورتبة يرزقون يعنى فى الجنة
هو تاكيد لكونهم احياء فرحين حال من يرزقون بما اتاهم الله من فضله وهو شرف الشهادة
والفوز بالحيوة الابدية والقرب من الله تعالى والتمتع بنعيم الجنة معجلا ويستبشرون
يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم اى باخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا
بهم من خلفهم اى الذين من خلفهم زمانا او رتبة الا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل
من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا من خلفهم وهو انهم
سيلحقون بهم فى امن وفرح ورغد عيش وفيه تحريض لمن بعدهم على الطاعة والجهاد
والرغبة فى نيل درجة الشهادة وبشارة للمؤمنين بالفوز وحسن المآب واحماد لمن
يرى نفسه بخير فيتمنى مثله لاخوانه ويستبشر لهم والاية تدل على ان روح الانسان جسم
لطيف لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتالمه والتذاذه ويؤيد ذلك قوله
تعالى النار يعرضون عليها وما روى ابن عباس رضى الله عنهما انه عم قال ارواح الشهداء فى اجواف
طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوى الى قناديل معلقة فى ظل العرش يستبشرون
كرر للتاكيد وليعلق به ما هو بيان لقوله ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون من ذكر
النعم والفضل هو بنفى الحزن وعدم ضياع اجرهم بنفى الخوف لان الاول على الواقع
والثانى على المتوقع ويجوز ان يكون الاول بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم وفى تقديم
الاستبشار بحال اخوانهم ارشاد الى موجب الصدق فى الاخوة الدينية وهو ان يكون

صلاح حال اخيه اهمّ عنده من صلاح نفسه بنعمة من الله ثوابا لاعمالهم وفضل زيادة
كقوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة وتنكيرهما للتعظيم وان الله لا يضيع اجر المؤمنين
قرئ ان الله بالفتح عطفا على فضل فيكون من جملة المستبشر به وقرئ بالكسر على انه
الجملة ابتدائية على سبيل الاعتراض للاشعار بان ذلك اجر لهم على ايمانهم وان من الايمان
لا اعماله محيطة لاجرها ويعضده قراءة والله لا يضيع اجر المؤمنين الذين استجابوا
لله والرسول اجابوا رسول الله صلعم وذكر الله تمهيد لبيان ان دعوته دعوة
الله تعالى فكان اجابته اجابة الله من بعد ما اصابهم القرح اي الجرح في غزوة احد
وبهم اثر ذلك ويجوز ان يكون الذين محفوظا نعتا للمؤمنين وان يكون منصوبا على
المدح وان يكون مرفوعا بالابتداء وخبره للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم بجملته
ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لان المستجيبين
كلهم محسنون متقون قيل لما كان يوم الثاني من غزوة احد قال رسول الله صلعم نحن
من انتدب لطلب العدو حتى يعلموا انا لم نستأصل وان فينا بقية وقال لا يخرج معنا
الا من شاهدنا بالامس فانتدبوا وبهم الجراح حتى بلغوا حمراء الاسد وهي على ثمانية
اميال من المدينة وقاموا بها ثلثة ايام ثم انصرفوا وقد فاتهم العدو فنزلت الذين قال
لهم الناس يعني الركب الذين استقبلهم من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعي
واطلق عليه الناس لانه من جنسه كما يقال فلان يركب الخيل وما له الا فرس واحد ولانه
انضم اليه ناس من اهل المدينة واذاعوا كلامه ان الناس يعني ابا سفيان واصحابه
فالمفرد وان اعيدت معرفة فليس الثاني عين الاول وللام العهدية اشارة الى
ما ذكره يحال الى ما يعرفه المخاطبون قد جمعوا لكم فاخشوهم روي ان ابا سفيان نادى
عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر القابل ان شئت فقال عم ان شاء الله
فلما كان القابل خرج في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فانزل الله الرعب في قلبه وبدا
له ان يرجع فمر به ركب من عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب
ان يثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيما وقد قدم معتمرا فسأله ذلك والتزم له عشرا من الابل
فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم اتوكم في دياركم فلم يفلت احد منكم الا
شديدا فتريدون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم فتفتروا فقال عم والذي نفسي بيده
لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم
الوكيل فزادهم ايمانا الضمير المستكن للمقول او فزادهم ذلك الكلام او للمصدر اي
فزادهم قولهم والبارز للمتبعين مع الرسول صلعم للمقول لهم لما عرفت ان اكثرهم
كرهوا الخروج معه عم والمعنى انهم لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم

بالله وازداد ايمانهم واظهروا حمية الاسلام واخلصوا النية عنده وهو دليل على
الايمان بمعنى التصديق يزيد وينقص ومن انكره قال ذلك بحسب التعلق اعني ما يؤمن
به واما الايمان الشرعي فزيادة الخلاف فيه واسعة لان من الخلفيين من قال بدخول
الطاعات فيه ومنهم من انكره وقالوا حسبنا الله حسبنا الله هو كافينا من احسبه اذا
كفاه والدليل على انه بمعنى المحسب قولهم هذا رجل حسبك على انه صفة للنكرة بكون
الاضافة غير حقيقية وهي اضافة اسم الفاعل الى معموله ونعم الوكيل ونعم الموكول اليه
فانقلبوا فرجعوا من بدر الصغرى سالمين غانمين وهو ما ذكره بقوله بنعمة من الله
بنعمة عظيمة وهي السلامة وحذر العدو منهم وفضل وهو الربح في التجارة فانهم لما
اتوا بدرا وافوا بها سوقا فاتجروا وربحوا لم يمسسهم سوء ما يسوؤهم من القتل بدنيا
كان او ماليا للتحقير والتنكير للتعليل واتبعوا رضوان الله الذي هو مناط الفوز بخير
الدارين لجراءتهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم بتوفيقهم لما فعلوا والتفضل عليهم
بسعادة الدنيا والاخرة من الربح والرضوان وفيه تحسير للمتخلف وتخطئة رأيه حيث حرم
نفسه ما فازوا به انما ذلكم الشيطان ذلكم مبتدأ خبره الشيطان اي انما ذلكم المثبط هو
الشيطان وما بعده لشيطنته وصفته وما بعده خبره ويجوز ان يكون الاشارة
الى قوله على تقدير مضاف اي انما ذلكم قول الشيطان يعني ابليس يخوف اولياءه القاعدين
عن الخروج مع الرسول صلعم ويخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان واصحابه
فلا تخافوهم الضمير للناس والثاني على الاول والاولياء على الثاني وخافوني في مخالفة
فجاهدوا مع رسوله ان كنتم مؤمنين فان الايمان يرجح خوف الله تعالى على كل خوف
ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر يقعون فيه سريعا ويرغبون فيه اشد رغبة وهم
المنافقون وقوم من اليهود لقوله تعالى يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في
الكفر من الذين قالوا امنا ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب
والمعنى لا يحزنك خوفا ويضروك ويعينوا عليك لقوله انهم لن يضروا الله شيئا اي
لن يضروا اولياء الله بتلك المسارعة وانما يضرون بها انفسهم وانما اضاف الضرر تشريفا
لاولياءه وشيئا يحتمل المفعول والمصدر وتنكيره للتحقير يريد الله الا يجعل لهم
حظا نصيبا من الثواب في الاخرة وهو يدل على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر وفي
ذكر الارادة اشعار بان كفرهم بلغ الغاية حتى اراد ارحم الراحمين ان لا يكون لهم حظ
من رحمته وبان مسارعتهم الى الكفر لانه تعالى لم يرد لهم ان يكون لهم حظ في الاخرة ولهم
عذاب عظيم مكان الثواب ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم
عذاب اليم تعميم للكفرة بعد تخصيص المنافقين وقوم من اليهود فيتناولهم

ويكون كالبرهان على ان وبال كفرهم وضرره لا اليهم وان لهم عذابا مولما مع عظمه
ولا تحسبن الذين كفروا الذين كفروا نصب على المفعولية على قراءة لا تحسبن بالتاء والخطاب
لكل من تحسب وقد نبهت فيما فيما سبق على ان هذا ابلغ من تخصيص الخطاب بالرسول
صلعم وقوله انما نملي لهم خير لانفسهم بدل منه على الاشتمال وما مصدرية وحقها ان
تكتب منفصلة ولكنها وقعت في خط الامام متصلة فاتبع سنته وانما اقتصر على حذف
المفعولين مع امتناع ذلك في افعال القلوب لان الاعتماد على البدل والمبدل منه في
حكم المنحى ليس بمقصود بتاعك فالبدل وهو ان مع اسمه وخبره ينوب على المفعولين و
يكون ان يقدر مضاف اى ولا تحسبن حال الذين كفروا على قراءته بالياء فالذين كفروا رفع
على الفاعلية والاملاء والامهال واطالة العمر وقيل تخليتهم وشانهم من املى لفرسه
اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء انما نملي لهم ليزدادوا اثما جملة مستانفة لتعليل
الحكم السابق وما كافة واللام للتعليل فان القائلين بان الخير والشر بارادة الله يجوزون
التعليل بمثل هذا اما لانه غرض والغرض لا يلزم بان يكون مطلوبا بل يكفي جعله
غاية للفعل واما لانه مراد مع الفعل تشبيها بالعلة وهم الذين لا يجعلون فعل الله تعالى
معللا بالغرض وقرئ انما بالفتح وبكسر الاولى لا تحسبن بالتاء على معنى ولا تحسبن الذين
كفروا ان املاءنا لهم لازدياد الاثم بل للتوبة والدخول في الايمان وانما نملي لهم خيرا
اعتراض معناه ان املاءنا لهم خير ان انتهوا وتداركوا فيه ما فرط منهم ولهم عذاب
مهين على هذا يجوز ان يكون حالا من الواو اى ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين
ما كان الله اراد استمرار النفي لا نفي الاستمرار فمعنى كان مقدم في الاعتبار واللام في
ليذر الذين لتاكيد النفي على ما انتم عليه من اختلاط المؤمنين المخلصين بالمنافقين حتى
يميز بينهم والخطاب للمؤمنين المخلصين لانهم الممنون عليهم والموصوف بالطيب وقوله
ليطلعكم حتى يميز الخبيث من الطيب تسجيل على المنافقين بالخبث وعلى المؤمنين بالطيب
اى حتى يعزل المنافق عن المخلص لئلا يتعدى خبثه اليه والالتفات الى الخطاب تقريب
للمؤمنين وتخصيص والمعنى ابدا لكم مختلطين لا يعرف مخلصكم من منافقكم حتى يميز
المنافق من المخلص بالوحي الى نبيه باحوالكم او بالتكاليف الشاقة التي لا يصبر عليها ولا
يذعن لها الا الخلص المخلصون منكم كبذل الاموال والانفس في سبيل الله ليختبر بواطنكم
ويستدل به على عقائدكم وما كان الله ليطلعكم على الغيب من مضمرات القلوب وغيرها
فان ذلك مما استاثر الله تعالى به ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فيعلم بعض المغيبات
بالوحي او بطريق اخر وليس من قبيل الاطلاع ولذلك قطع الاستثناء فامنوا بالله بان تعرفوه
حق معرفته وتعلموه وحده مطلعا على الغيب ورسله بان تعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون

الا ما علمهم الله تعالى ولا يخبرون الا بما اخبرهم الله من الغيوب بالوحي وليسوا من علم الغيب
في شيء قيل قال الكافرون ان كان محمد صلعم صادقا فليخبرنا بمن يؤمن منا ومن يكفر
فنزلت وقيل انه عم قال عرضت على امتي واعلمت من يؤمن بي ومن يكفر فقال المنافقون
انه يزعم يعرف من يؤمن به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت وان تؤمنوا حق الايمان
وتتقوا النفاق فلكم اجر عظيم لا يقادر قدره ولا تحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله
من فضله هو خيرا لهم القرائن فيه ما سبق ومن قرا بالتاء قدر مضافا ليتطابق مفعولاه
اى ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرا بالياء وجعل فاعله ضمير
الرسول او حاسب ومن جعله فاعله الذين يبخلون جعل مفعوله الاول ما دل عليه يبخلون اى
بخلهم وسوغ حذفه لذلك وهو فصل بغير هو بل هو اى البخل شر لهم لاستجلاب العقاب عليهم
سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة تفسير لقوله هو شر لهم والتطويق مستعار للالزام تشبيها
لما لا ينفك عن الرجل بالطوق اى يستلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وقيل يجعل ما بخلوا
من الزكوة حية يطوقها في عنقه يوم القيامة تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر راسه وتقول انا
مالك ولله ميراث السموات والارض ما يتوارثه اهلها من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بما لهم من
ملكه ولا ينفقونه في سبيله والله بما تعملون من المنع والاعطاء خبير فيجازيكم وقرئ تعملون
بالتاء على الالتفات وهو ابلغ في الوعيد لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن
اغنياء قالت اليهود لما سمعوا من ذا الذي يقرض الله قرضا وعيد بليغ وقد اكده بالقسم
في لقد اى ولم يخف عليه وانه اعد لهم العقاب عليه وكذلك سنكتب ما قالوا كما يقول المهدد
لمرتكب الجرائم اذا وقف منه على جريمة جديدة لقد سمعتها وساكتبها مع صواحبها يريد ما
بنسب جرايمك اجمعها والحق احديهما بالاخرى محفوظة مكتوبة عندي حتى اواخذك بالكل
فالكلام على طريقة الاستعارة التمثيلية ومفرداته على حقايقها والسين لتاكيد الاثبات كما ان
لن لتاكيد النفي اتى بها لتكون الوعيد على طريق التاكيد كما في الاخبار بوجود التبايع لان
الجريمة عظيمة اذ هو كفر بالله تع واستهزاء بالقران وقتلهم الانبياء هذا العطف تذكير لهم
لما يستحقون به اشد العذاب اظهارا لشدة الغضب وتوبيخ شديد اى هذه عظيمة مثلها
ولهم سوابق في ذلك ومن ارتكب قتل الانبياء لم يستبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول
ولا احتمال لان يكون قتل الانبياء بحق فقوله بغير حق بيان للموقع زيادة في التفضيح و
نقول ذوقوا عذاب الحريق تتمة للوعيد مع تهكم بالغ ننتقم منهم بهذا القول وذوقوا
كلمة يقولها المنتقم للمنتقم منه اى ذوقوا كما اذقتم المسلمين الغصص ذلك اشارة
الى ما تقدم من عذاب الحريق تهويلا وتعظيما والذوق ادراك الطعم وعلى الاتساع يستعمل
لادراك ساير المحسوسات والحالات والتهكم لان سبب العذاب قولهم الناشئ عن البخل والتهالك

على المال وغالب الحاجة اليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخل الخوف من فقدانه ولذلك
كثر ذكر الاكل مع المال ذلك اشارة الى العذاب بما قدمت ايديكم من قتلكم الانبياء وقولكم
هذا وساير معاصيهم ولما كان اكثر الاعمال تزاول بالايدي جعل كل عمل وان كان بالقلب
او اللسان وساير الجوارح عملا بالايدي على سنة التغليب ولان اليد مظهر القدرة والة
المباشرة نسبوا الكسب اليها كانهم ارادوا كسب النفس وحدها بلا مشاركة احد فيه وان
الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما قدمت اي ذلك بسبب كسبكم بانفسكم وبان الله عادل
لا يجازيكم الا بما كسبتم وقضية العدل عقاب المسيء وثواب المحسن وصيغة المبالغة التنبيه
على ان شانه تع البلوغ الى الغاية في كل وصف يتصف به فعلى تقدير اتصافه بالظلم يلزم
ان يكون ظلاما الذين قالوا هم كعب بن الاشرف واحزابه ان الله عهد الينا يعني امرنا في التورية
واوصانا ان لا نؤمن بان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار وبهذه المعجزة
الخاصة التي كانت لبني اسرائيل وهو ان يقرب بقربان فيقوم النبي عم فيدعو فينزل نار
سماوية فتاكله اي تحيله الى طبعها بالاحراق قل قد جاءكم اي كجاء اسلافكم الذين انتم على
ملتهم ورضوا بفعلهم من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين
الزام لهم بان رسلا جاؤهم قبله كزكريا ويحيى عليهما السلام بمعجزات موجبة للتصديق
وبهذه الآية التي اقترحوها فلم قتلتموهم ان كانوا صادقين ان الايمان يلزمهم باتيانها
واما ما قيل ان هذه الآية ما اوجب التصديق والايمان لما قالوا لانهم ادعوا العهد من الله تع
فيه ذلك قال السدي ان الله بني اسرائيل في التورية من جاءكم يزعم انه رسول مني فلا تصدقوه
حتى ياتيكم بالقربان تاكله النار من السماء حتى ياتيكم المسيح ومحمد فاذا اتياكم فامنوا بهما فانهما
ياتيان بغير قربان فما ذكروه ليس من مفترياتهم بل من محرفاتهم فان كذبوك فقد كذب
رسل من قبلك جاؤا بالبينات تسلية للرسول صلعم من تكذيب قومه وتكذيب والزبر والكتاب
المنير الزبر جمع زبور وهو المكتوب يقال زبره اي كتبه والجمع يدل على الكثرة فالمراد منه
الصحف ومن الكتاب المنير التورية والزبور والانجيل وقرئ بالزبور وبالكتاب باعادة
الجار فيهما للدلالة على انها مغايرة والبينات مغايرة لها كل نفس ذائقة الموت وعد ووعيد
للمصدق والمكذب وهو من تمام التسلية ان يذكر الموت والفكرة فيه يهون ما يصدر من
الكفار من التكذيب وغيره وفيه دلالة على ان النفس غير البدن وانها لا يموت بموته وقرئ
ذائقة الموت بالنصب مع التنوين على الاصل وعدمه لالتقاء الساكنين وانما توفون اجوركم
يعطون ثواب اعمالكم تاما وافيا ومن قال اعمالكم خيرا كان وشرا فكانه لم يفرق بين الاجر و
الجزاء يوم القيمة يعني في دار الاخرة ولفظ التوفية ان لم يشعر بانه قد يكون في هذه الدار
بعض الاجور فلا يدل على عدمه فلا ينافي ما يدل على وقوعه من الاخبار كقوله عم الصدقة

ثم

ان كنتم صادقين

والصلوة تعمران الديار وتزيدان في الاعمار واما ما يعطى في القبر فما هو في الدار الاخرة لان
الموت بابها والقبر اول المنزل فمن زحزح عن النار اي بعد عنها وقد سبق في سورة البقرة
وادخل الجنة فقد فاز بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وما الحيوة الدنيا اي لذاتها
وزخارفها الا متاع الغرور شبهها بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم
يتبين له فساده ورداءته والمدلس هو الشيطان وانما هذا التشبيه بتغييره يحذر من يشتريها
بالاخرة ويؤثرها عليها واما بالنسبة الى من باعها بالاخرة وعلم سرعة نفادها واتخذها زاد(؟)
وتركها واختار الباقية فهي متاع العبور الغرور مصدر والاضافة للملابسة لتبلون اي
والله لتختبرن في اموالكم بتكليف الانفاق وما يصيبه من الآفات وانفسكم بالجهاد والقتل
والاسر والجرح وما يرد عليها من المخاوف والامراض والمتاعب ولتسمعن من الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا من هجاء الرسول صلعم والطعن في الدين
واغراء الكفرة على المسلمين اخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا انفسهم على الصبر والاحتمال
ويستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم نزولها فيقول لهم ان تصبروا الاجرة والكرامة وان تصبروا على
ذلك وتتقوا مخالفة امر الله فان ذلك يعني الصبر والتقوى من عزم الامور من معزومات الامور
كما يجب العزم عليه من الامور او مما عزم الله ان يكون منكم وقطعه عليكم وبالغ فيه والعزم
القطع قال عم لا صيام لمن لا يعزم الصيام من الليل اي لم يثبت ولا اختصاصه(؟) بالراي
واذا اخذ الله اي اذكر وقت اخذه ميثاق الذين اوتوا الكتاب يريد به العلماء لتبيننه
للناس ولا تكتمونه حكاية لمخاطبتهم وقرئ بالياء لانهم غيب واللام جواب القسم الذي ناب
مناب قوله اخذ الله ميثاق الذين والضمير للكتاب فنبذوه اي الميثاق وما عهد اليهم
وراء ظهورهم تشنيع على اهل الكتاب وبالغ في توبيخهم بانهم اذ اخذ الله ميثاقهم
وعهد اليهم واكد بالقسم ان يظهروا الكتاب واوجب عليهم بالتاكيد بيان ما فيه و
اجتناب كتمانه فقابلوا مبالغة في ذلك بالمبالغة في اطرافه وتركه فان النبذ وراء الظهر
مثل في الطرح بالكلية وترك الاعتداد بالشيء النبذ الذي ولا يعاد وفي الحديث انه بغير(؟)
متنبذ عن القبور اي متنح بعيد عنها والوراء كما يطلق على الخلف يطلق على الامام فاضافته
الى الظهر يعني الخلف واشتروا به واخذوا بدله ثمنا قليلا من حطام الدنيا واعراضها
فبئس ما يشترون يختارون لانفسهم وقد سبق ما يتعلق به في تفسير سورة البقرة وكفى
به دليلا على انه ماخوذ على العلماء ان يبينوا الحق للناس وان لا يكتموا مما علموه شيئا لغرض
فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب لمسارهم او لجر منفعة او لتقية
مما لا دليل عليه ولا امارة او لبخل بالعلم وغيره ان ينسب اليه غيرهم وعن النبي صلعم من كتم
علما عن اهله الجم بلجام من نار لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا

المستام

لتختبرن

بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب الخطاب لرسول الله صلعم ومن ضم
الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين واحد المفعولين الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله
ولا تحسبنهم تاكيد والفاء للاشعار بان افعالهم المذكورة علة لنفي الحسبان والنهي عنه
والمعنى لا تحسبن الذين يفرحون بما فعلوا من التدليس وكتمان الحق ويحبون ان يحمدوا
بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق واظهار الحق والاخبار بالصدق بمفازة منجاة من
العذاب فائزين بالنجوة منه وقرئ بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان
الذين فاعل ومفعولا لا يحسبن محذوفان يدل عليهما مفعولاه وكره وكانه قيل ولا
يحسبن الذين يفرحون بما اتوا فلا يحسبن انفسهم بمفازة وقيل المفعول الاول محذوف
وقوله ولا يحسبنهم تاكيد للفعل وفاعله ومفعوله الاول وفيه اي في التاكيد للفعل والفاعل
فالضمير المنصوب المتصل بالتاكيد هو المفعول الاول ولا حذف ولهم عذاب اليم بكفرهم
وتدليسهم روي انه عليه السلام سال اليهود عن شيء في التورية فاخبروه بخلاف ما كان
فيه واروه انهم قد صدقوه وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل غير ذلك والحق انه شامل لكل
من اتى بحسنة ففرح بها فرح اعجاب واحب ان يحمده الناس بما ليس فيه من الفضيلة وبما
لم يفعل من انواع البر واوهم ولبس وان كان السبب خاصا ولله ملك السموات والارض
فهو يملك امرهم والله على كل شيء قدير فيقدر على عقابهم ان في خلق السموات والارض و
اختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب لدلالات واضحة على وجود الصانع ووحدته
وكمال علمه وقدرته لذوي العقول الخالصة عن قشور الاوهام والعادات الصافية عن
شوب الهوى والحالات المدركة للحقائق بنظر الاعتبار المتدبرة للمعاني بصوان الافكار
وعن النبي صلعم ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها والاقتصار على الثلثة المذكورة لان مناط الاستدلال
هو التغير وانواعه الثلثة يوجد فيها لانه اما ان يكون في الاحوال الخارجة عن الشيء كتغير
الافلاك او في جزئه كتغير العناصر بتبدل صورها او في ذاته كتغير الليل والنهار ووجه
الترتيب ظاهر الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم محله النصب على الحال
عطفا على خبره اي قائمين وقاعدين ومضطجعين يعني يذكرون الله تعالى ذكرا دايما
على اي حال كانوا من قيام وقعود واضطجاع ويتفكرون في خلق السموات والارض اي
في خلق العالم استدلالا واعتبارا وهو افضل العبادات كما قال عم لا عبادة كالتفكر لانه
عمل القلب والمقصود من الخلق وفيه اشعار بان ذوي الالباب بيانهم وتفسيرهم الذين
يذكرون الله دايما على اي حال كانوا المتفكرون في خلقه ربنا ما خلقت هذا باطلا مقول قول محذوف
اي يقولون وهو في موضع الحال بمعنى يتفكرون قائلين ومعنى وباطلا صفة مصدر محذوف
اي ما خلقت خلقا باطلا بغير حكمة او حال من هذا وهو اشارة الى ما عبر عنه بقطرته و

عالم الملك وفيه ضرب من التعجب وظهور امره في العظمة وكما ان ذلك يستعمل في التعظيم
لبعد المرتبة وعلو القدر فكذلك هذا يستعمل لظهور امره في ذلك المعنى وتعينه و
انفراده بذلك اي ما خلقت هذا العالم العجيب الشان النير البرهان المنفرد
بالعظمة وغرابة الابداع باطلا وفي التكيف على هذا القدر من البيان دلالة على قصور
العبارة عن بيان فوايده ومنافعه ولو اجمالا سبحانك تنزيها لك من فعل العبث وخلق
الباطل وهو اعتراض فقنا عذاب النار للاخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه و
لكون الدلالة على وجوب الاعتبار به واجتناب الغفلة ماخوذة في ربنا ما خلقت هذا
باطلا احسن تعقيبه بهذا الكلام والفاء للسببية اذا ذكرناك واقررناك فقنا ربنا انك
من تدخل النار فقد اخزيته غاية الاخزاء وهذا مستفاد من جعل الجزاء امرا ظاهر اللزوم
للشرط بحيث لا فايدة في ذكره ما دام محمولا على اطلاقه فيحمل على اخص الخصوص ليفيد والمراد
به تهويل المستعاذ منه قال ابن السكيت خزي يخزي خزيا اذا وقع في بلية فلا اشعار فيه بان
العذاب الروحاني اقطع وقد تمسك بهذه الاية اصحاب الوعيد وقالوا من دخل النار ينبغي
ان لا يكون مؤمنا لقوله فقد اخزيته فان الله يقول يوم لا يخزي الله النبي والذين
امنوا معه والجواب ان المراد من الذين امنوا معه الاصحاب رضي الله عنهم لا الذين امنوا
مطلقا وما للظالمين من انصار اللام للعهد والاشارة الى من يدخل النار والاعلام بان
من يدخل النار فلا ناصر له ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان ظلمهم سبب لادخالهم
النار وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص منها ولا يلزم من نفي النصرة نفي الشفاعة لان النصر
دفع بقهر ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان اذا اريد به تخصيص سماع القول عمن
سمع منه او وقع الفعل على من سمع منه وحذف المسموع ووصف المتكلم الموقع عليه الفعل
بما سمع منه او جعل حالا منه فيسد الوصف والحال مسده تقول سمعت رجلا يقول وسمعت
زيدا يتكلم وذكر النداء مطلقا ثم قيده بالايمان تعظيما للمنادي وهو الرسول وتفخيما
لشانه والنداء والدعاء ونحوهما تعدى بالى واللام لتضمنها معنى الانتهاء والاختصاص ان
امنوا اي امنوا او بان امنوا بربكم فامنا فامتثلنا والفاء للعطف على سمعنا وسببية عن
امنوا اي تسبب عنه ايماننا ربنا فاغفر لنا للسببية اي اذا امنا فاغفر لنا ذنوبنا كبائرنا
فانها ذات تبعة وكفر تجاوز عنا سيئاتنا صغائرنا فانها مستقبحة في تخصيص كل من التعدي
بتمامه نوع اشارة الى ان المراد من الذنوب الكبائر كما يناسبها معناها وما يتعلق به من
الفعل بحسب معناه وجواز استعماله اختصاصه بالله ومن السيئات الصغائر كما يناسبها
معنا وما يتعلق بها من الفعل بحسب معناه وجواز استعماله في غيره وتوفنا مع الابرار مخصوصين
بصحبتهم معدودين في زمرتهم ولا دلالة فيه على طلب التوفي حتى يكون فيه تنبيه على انهم

يحبون لقاء الله تع والابرار جمع بر او بار كارباب واصحاب ربنا وآتنا عطف على
الدعوات السابقة وتكرار ربنا للاستلذاذ بذكره والخضوع في المربوبية وكذا
جميع التكرارات في الآية ما وعدتنا على رسلك اي على تصديق رسلك من الثواب قيل
اي ظهر امتثاله لما امر به سال ما وعد عليه لا خوفا من اخلاف الوعد بل مخافة ان لا
يكون من الموعودين اي لا يكون من الموعودين بسوء عاقبته او قصور في الامتثال
ويرد عليه انه على تقدير وقوع ما خافه لا يكون السؤال المذكور مناسبا لحاله وعلى
تقدير عدمه لا حاجة الى السؤال فالوجه ان يقال انه تعبد واستكانة ويجوز ان يكون
التقدير منزلا على رسلك او على السنة رسلك ولا تخزنا يوم القيمة بان تعصمنا مما يقتضيه
انك لا تخلف الميعاد باثابة المؤمنين واجابة الداعي فاستجاب لهم ربهم اي طلبتهم
وهو اخص من اجاب ويتعدى بنفسه وباللام وفي الآثار من حزبه امر فقال خمس مرات
ربنا انجاه الله مما يخاف اني لا اضيع عمل عامل منكم اي باني لا اضيع وقرئ بالكسر على ارادة
القول من ذكر او انثى بيان عامل بعضكم من بعض لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر
او لفرط الاتصال والاتحاد لانهما من اصل واحد والاجتماع والاتفاق في الدين وهي
جملة معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال روي ان ام سلمة رض
قالت يا رسول الله اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا
الى آخره تفصيل لاعمال العمال وما اعد لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى
فالذين هاجروا الاوطان والعشاير واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي بسبب ايمانهم
بالله ومن اجله يعني او لا بالحق وهي الهجرة وهي اشق شيء على النفس وثنى بما هو
اعم منها فان الخروج من الديار لا يستلزم الهجرة الى المدينة كخروج من خرج الى الحبشة والى
جندل و ثلث ثالثا بذكر الاذية وهو اعم من ان يكون باخراج من الديار وبغيره وترقيا
بعد هذه الاوصاف السنية الى رتبة الجهاد فقال قاتلوا الكفار وقتلوا في سبيل الله و
قرئ بالعكس ولا منافاة لان الواو لا يوجب الترتيب والثاني افضل لاشعاره بانه قتل
بعضهم وقاتل الباقون ولم يضعفوا وقرئ قتلوا بالتشديد للتكثير لاكفرن عنهم سيئاتهم
كفر اذا عدي بعن يفيد معنى تجاوز ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من
عند الله اي اثيبنهم بذلك ثابتة من عند الله تفضلا منه فهو مصدر مؤكد والله عنده حسن
الثواب على الطاعات قادر عليه بالغ في جزائهم بالتاكيد القسمي وايراد المصدر المؤكد
وتقييده بالعندية بعد الاطلاق والالتفات في عند الله تع واظهار اسمه في الجملة بعده
وجعل الجملة الظرفية خبرا غاية البلاغة ولا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد خطاب النبي
للمتقلب وحقيقته للمخاطب وهو رسول الله صلعم تثبيتا له على ما كان عليه كما في قوله تع

لما

منافاة

ولا تطع المكذبين او لكل احد لتفيد نفي السبب وهو من باب تنزيل السبب منزلة المسبب
لان التقلب لو غره لاغتر به فمنع السبب لتقرير يستلزم منع المسبب الذي هو الاغترار
مبالغة والمعنى لا تنظر الى ما الكفرة عليه من السعة والحظ ولا تغتر بظاهرها ترى من تبسطهم في
مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم روي ان بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء
ولين عيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت
متاع قليل خبر مبتدأ محذوف اي ذلك التقلب متاع قليل وصف بالقلة بالنسبة الى ما فاتهم
من نعيم الآخرة او بالنسبة الى ثواب المؤمنين واراد قلته في نفسه ودنو قدره لسرعة انقضائه
وزواله ثم مأواهم جهنم وثم للتراخي في الرتبة وبئس المهاد اي ما مهدوا لانفسهم فالمخصوص
بالذم محذوف لكن الذين اتقوا ربهم اي خافوه ولم يخالفوا امره ولا نهيه لهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها قابل طيبتهم بالجنات وقلة متاعهم بالخلود في
النعيم فوقعت لكن احسن موقعها لانه الى معنى الجملتين الى تعذيب الكفار والى تنعيم المتقين
فهو واقع بين الضدين نزلا من عند الله النزل بسكون الزاء وضمها ما يقام للنازل عند
نزوله من القرى وفيه تنبيه على ان وراء ذلك ما هو اعظم منه كرامة وانتصابه اما على الحال
من جنات لتخصيصها بالوصف والعامل الظرف اي حاصلة لهم الجنات نزلا او على انه في
معنى مصدر مؤكد كقوله ثوابا كانه قيل رزقا او عطاء من عند الله وما عند الله لكثرته
ودوامه خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله او خبر في بيان ماله الذين
كفروا بحذف المبتدأ والمخصوص بالذم واقتصار الكلام للتحقير والازدراء وعدم الاعتداد
بهم وبمتاعهم واطنب في وصف المتقين اظهارا للعناية بهم وشانهم وما لهم اولا
بقوله لكن ليستدرك ما لهم المخالف بما لهم المباين بما لا يوصف بوته ثم بقوله ربهم وتنكير
جنات للتعظيم ووصفها الابهام والتوضيح وتقوية الاسناد اليهم بتكرير النسبة في لهم
والجملة الظرفية والتقييد بالحال والتاكيد بقوله نزلا من عند الله والجملة الاعتراضية اي
وما عند الله وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله نزلت في ابن سلام واصحابه وقيل غير
ذلك وانما دخلت اللام على الاسم للفصل بينه وبين ان بالظرف وما انزل اليكم من الكتاب
خاشعين خاشعين لله حال من فاعل يؤمن وجمعه هنا وفي اليهم باعتبار المعنى
بعد ما افرده باعتبار اللفظ لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعله من لم يسلم من
احبارهم اولئك الموصوف بذلك لهم اجرهم اجر الذي يختص بهم وهو ما وعده في قوله
اولئك يؤتون اجرهم مرتين ان الله سريع الحساب لان علمه محيط بكل شيء ولا يشغله شان
عن شان والمراد ان الاجر سريع الوصول فان سرعة الحساب يستدعي العجلة يا ايها الذين امنوا
اصبروا على مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدائد وصابروا اعداء الله في الجهاد اي غالبوهم

في الصبر على شدائد الحرب ولا تكونوا أقل صبرا منهم وتخصيصه بعد الأمر بالصبر مطلقا
لشدته وصعوبته ورابطوا أقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين
للغزو واتقوا الله في مخالفة أمره ونهيه لعلكم تفلحون لكي تفلحوا والفلاح الأمن مما يخاف والوصول

سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون آية

يا أيها الناس عام يتناول الموجودين في زمان الخطاب ومن بعدهم دون المنقرضين
اتقوا ربكم في مخالفة أمره ونهيه الذي خلقكم من نفس واحدة يعني آدم ترتيب الأمر بالتقوى
على هذه القصة لما فيها من الدلالة على أنه قادر على إهلاكهم وإنشاء خلق آخرين على أكمل
وجه لما فيها من الدلالة للقدرة العظيمة وإلا لكان خلق السموات والأرض أحق بالذكر
وفيما ذكر الرب منه إشارة إلى نعمة التربية الموجبة للطاعة لتضمين الترهيب معنى الترغيب
وخلق منها زوجها يعني حواء خلقها من ضلع من أضلاع آدم عم بيان لخلقهم من نفس
واحدة على وجه الاستئناف كأنه قيل إنهم خلقوا من ذكر وأنثى لا من ذكر وحده فأجيب
بأن تلك الأنثى قد خلق منه فالواو استئنافية لا عاطفة لما عرفته أن مدخولها مقدر و
مبين لما تقدم والعاطف لا يتخلل بين الشيء ومقدره وعلى تقدير العطف على محذوف أي
خلقها وخلق منها زوجها يندفع المحذور المذكور إلا أنه لا دخل للمقدر في تقدير ما ذكر من
شرائط البلاغة بتجديد الكلام عما لا يقتضيه المقام وبث منهما أي نشر من النفسين المذكورين
من جهة التناسل والتوالد رجالا كثيرا ونساء دون ذكورا كثيرا وإناثا ومن لم يتفطن لهذه
الدقيقة الأنيقة قال في تفسيره بنات وبنين كثيرة وذكر كثيرا حملا على معنى الجمع وحذف
وصف النساء لدلالة وصف قرينها عليه وقرئ وخالق وباث على حذف مبتدأ تقديره
هو خالق وباث واتقوا الله الذي تساءلون به أي يسأل بعضكم بعضا فيقول أسألك
بالله وتساءلون غيركم تجيء بتفاعلون موضع يفعلون للكثرة ويعضده قراءة تساءلون
فإذ غمت التاء الثانية في السين وقرئ بطرحها والأرحام بالنصب عطف على محل الجار والمجرور
ويعضده قراءة تساءلون به وبالأرحام أو على الله أي اتقوا الله واتقوا الأرحام فصلوها ولا
تقطعوها وقرئ بالجر عطفا على الضمير المجرور وما ذهب إليه البصريون من امتناع العطف على
الضمير المجرور إلا بإعادة الجار والضعف في إضماره يرده هذه القراءة الثابتة بالتواتر
فإنها مما يجب عليه الأخذ من لا اعتماد له على القرآن الثابتة ولا اعتداد لرغبة الفاسد وقرئ بالرفع
على أنه مبتدأ محذوف تقديره والأرحام كذلك أي مما يتقى أو مما يتساءل به وقد نبه تع إذ قرن
الأرحام باسمه على أن صلتها بمكان وعنه عم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله
الله ومن قطعني قطعه الله إن الله كان عليكم رقيبا حافظا مطلقا وآتوا اليتامى أموالهم

لما بلغوا إن أونس منهم الرشد ولذلك أمر بابتلائهم صغارا واليتامى جمع يتيم وهو الذي
مات أبوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة إذا انفردت في صدفها إما على أنه جرى مجرى
الأسماء كفارس وصاحب جمع على يتائم ثم قلبت فقيل يتامى أو على أنه جمع على يتمى كأسرى
لأنه من باب الآفات ثم يتمى على يتامى كأسرى وأسارى ومقتضى هذا الاسم أن يقع على الصغار
والكبار لبقاء معنى الانفراد إلا أنه قد غلب أن يسموا به قبل أن يبلغوا مبلغ الرجال فإذا بلغوا
زال عنهم هذا الاسم وعلى وفق هذا ورد عرف بالشرع قال عم لا يتم بعد الحلم أي لا يجري عليه أحكام
اليتيم ولا احتياج إلى الولي والمراد في الآية البلغ على الاتساع لقرب عهدهم بالصغر حثا على أن يدفع
إليهم أموالهم أول بلوغهم قبل أن يزول عنهم هذا الاسم روي أن رجلا من غطفان كان معه مال
كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ طلب المال منه فمنعه فنزلت فلما سمعها العم قال أطعنا الله ورسوله
نعوذ بالله من الحوب الكبير ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب أي لا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى
بالحلال وهو مالكم وما أبيح لكم من المكاسب والتفعل بمعنى الاستفعال كثير ولا تأخذوا الرفيع
من أموالهم وتعطوا الخسيس مكانه وهذا تبديل فإن في التبدل وكذا في الاستبدال ما دخلته
الباء متروك وما تعدى إليه الفعل بنفسه مأخوذ وفي التبديل بالعكس ولا تأكلوا أموالهم
إلى أموالكم أي لا تضموها إلى أموالكم في الأكل ودل قوله إلى أموالكم على أن المخاطبين أغنياء وذلك
لأنه إذا كان فقيرا يجوز أن يأكل بالمعروف وفيه تعريض بأنهم كانوا يفعلون كذلك وفائدة التقييد
بالمعية الدالة على غاية قبح فعلهم أفعالهم حيث أكلوا أموالهم مع الغنى عنها ولم يميزوا بينها وبينها
كما هو حال البهائم وقصد بذلك تشهير ما كانوا عليها من ارتكاب هذه الأمور القبيح ليكون
أزجر لهم ولهذا عدل عن مقتضى الظاهر وهو نهي الغني عن أكل مال اليتيم مطلقا إنه الضمير للأكل
كان حوبا كبيرا ذنبا عظيما والحوب مطلق الإثم قوله عم رب تقبل توبتي واغسل حوبتي أي إثمي
ولو اعتبر فيه العظم لما وصف بالكبير فتدبر وقرئ حوبا وهو مصدر حاب وكذا حابا وقد قرئ
به أيضا كقال قولا وقالا وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى أي إن خفتم أن لا تعدلوا في يتامى النساء إذا
تزوجتم بهن فانكحوا ما طاب لكم من النساء فتزوجوا ما حل لكم من غيرهن كان الرجل يجد اليتيمة
لها مال وجمال ويكون وليها فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف
لضعفهن وفقد من يغضب لهن أن يظلم حقهن فهو يفرط فيما يجب لهن فقيل لهم وإنما عبر
عنهن بما ذهابا إلى الصفة وقرئ تقسطوا بفتح التاء على أن لا مزيدة مثلها في لئلا يعلم أي إن خفتم
أن تجوروا مثنى وثلاث ورباع منصوبة على الحال غير منصرفة لوجود العدل والوصف فإنها بنيت
صفات وإن كانت أصولها لم تبن لها ومعناها الإذن في الجمع بأن ينكح ما شاء من العدد المذكور
متفقين فيه ومختلفين كقولك اقسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة ولو أفرد كان
المعنى تجويز الجمع بين هذه الأعداد دون التوزيع ولو عطف بأو لذهب تجويز الاختلاف

في العدد وان خفتم ألا تعدلوا فيما فوقه فواحدة فالزموا او فاختاروا واحدة وذروا الجمع
وقرئ بالرفع على انه فاعل فعل محذوف او خبره تقديره فيكفيكم واحدة او فالمقنع واحدة
او ما ملكت ايمانكم سوى بين المنكوحة الواحدة وبين الاماء مطلقا واحدة كانت او متعددة بلا حصر
ولا تعيين عدد في التسري والترخص لخفة مؤنتهن وعدم شرط العدل بينهن لا في القسم ولا في العزل
ونسبة هذا الملك الى اليمين للعرف والتفاوت بينه وبين ملك اليد ذلك اشارة الى اختيار الواحدة
او التسري ادنى ان لا تعولوا اقرب من ان لا تميلوا فتجوروا يقال عال الميزان عيله اذا مال وعال الحاكم
اذا جار وفسر بان لا يكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله يعولهم اذا مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة
المؤن على الكناية ويؤيده قراءة ان لا يعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله ووجهه على تقدير ان
يكون الاشارة الى التسري ان العزل يجوز فيه فهو مظنة قلة الولد وآتوا النساء صدقاتهن
مهورهن والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا يأخذون مهور موالياتهم نحلة عطية
يقال نحله كذا نحلة من الله اى عطاء من عنده وتفضلا منه عليه وقيل ديانة على انه مفعول له
او حال من الصدقات اى دينا من الله مشروعا مفروضا فان طبن لكم عن شىء منه نفسا الضمير
منه جار مجرى اسم الاشارة في التذكير على ما ذكره رؤبة وقد سبق في تفسير سورة البقرة كانه قيل
عن شىء من ذلك اى ما ذكر من الصدقات او يرجع الى ما دل عليه الصدقات الصداق ونفسا تمييز
لبيان الجنس ولذلك وحد والمعنى فان اعطين لكم من الصداق عن طيب نفس لكن جعل العمدة طيب
النفس للمبالغة وعداه بعن لتضمين معنى التجافي والتجاوز وفيه دليل على وجوب الاحتياط
في ذلك وضيق المسلك في قبول شىء من الصداق منهن لانه بنى الشرط على طيب النفس الذي هو امر
خفي يعرف بان تدعي انها ما طابت نفسها ان ندمت ولهذا لم يقل فان وهبن او سمحن اشعارا
بان الشرط تجافي نفسها عن الموهوب حتى طيبة ولا من ضرورة ثم قال عن شىء منه بعثا لها على تقليل
الموهوب فكلوه هنيئا مريئا اما صفة للمصدر اى اكلا هنيئا مريئا او حالان من ضمير كلوه في حال كونه
هنيئا مريئا والهنيء ما يلذه الآكل والمريء ما يحمد عاقبته وقد سبق ما في الاكل من الدلالة على سائر
وجوه الانفاق روي ان ناسا يتأثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساق اليها فنزلت
ولا تؤتوا السفهاء اموالكم الخطاب للاولياء بدليل السباق واللحاق السفهاء هم الذين ينفقون
اموالهم فيما لا ينبغي من وجوه التبذير ولا يمكنهم اصلاحها بالتمييز والتصرف فيها بالتدبير واضافة
الاموال اليهم لانها في تصرفهم وتحت ولايتهم ولانه لا يقصد الخصوصية الشخصية بل الجنسية التي
هي معنى ما يقام به المعاش ويميل اليه القلوب وسمي بهذا المعنى للختص باليتامى كما قال تعالى
ولا تقتلوا انفسكم قصدا الى جنس النفوس وهذا ادق لقوله التي جعل الله لكم قياما اى تقومون
بها وتنتعشون وعلى الاول باولها بانها التي من جنس ما جعل الله لكم قياما سمي ما به القيام قياما للمبالغة وقرئ
قيما بمعناه كعوذ بمعنى عياذ وقرئ قواما وهو ما يقام به وارزقوهم فيها واكسوهم الظرف متعلق

بالمعطوف كما في قوله تعالى لم تكن آمنت من قبل او كسبت وانما قال فيها ولم يقل منها تنبيها
على ما قاله عم ابتغوا في اموال اليتامى التجارة لا يأكلها الزكوة فعلى هذا يكون الرزق
والكسوة من الارباح لا من اصل المال فيأكلها الانفاق وقولوا لهم قولا معروفا كلاما
يونسهم ويولف قلوبهم ومنه عدة جميلة وكل ما سكنت اليه النفس واستحسنته
عقلا او شرعا او عرفا فهو معروف وكل ما نفرت منه وكرهته فهو منكر وابتلوا اليتامى و
اختبروا عقولهم بتعرفاتهم قبل البلوغ حتى اذا بلغوا النكاح بلوغ النكاح كناية
عن البلوغ لانه يصلح للنكاح عنده فان آنستم منهم رشدا فان تبينتم منهم رشدا
اى اهتداء الى مصالحهم وقرئ احستم بمعنى احسستم فادفعوا اليهم اموالهم من غير تأخير
عن وقت البلوغ وتنكير الرشد نوعا من الرشد وهو الرشد في التصرف والتجارة
او طرفا من الرشد حتى لا ينتظر الى تمامه ونظم الآية الشرطية جواب اذا المتضمنة معنى الشرط
والجملة غاية الابتلاء فكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم
اليهم بشرط ايناس الرشد منهم ويجوز ان يكون اذا لمجرد الظرفية ليست متضمنة معنى
الشرط اى ابتلوهم الى وقت البلوغ وفي الآية دلالة على ان لا يدفع اليهم مالهم قبل البلوغ
واما عدم دفعه اليهم بعد البلوغ قبل الايناس فلا دلالة عليه فاما منطوقا فظاهر و
اما مفهوما فلان مفهوم قوله فان آنستم منهم رشدا عدم الدفع على الفور لا عدم الدفع
مطلقا ولا تأكلوها اسرافا اى مجاوزة عن الحد وبدارا اى مبادرة وهي المسارعة
ان يكبروا ان يبلغوا اى لا تأكلوا مسرفين ومبادرين كبرهم وهو كقولك بادرت مجيء
زيد اى فعلت قبل مجيئه والمعنى لا تأكلون قبل بلوغهم واسترداد مالهم منكم وليس
هذا قصر التحريم على الاسراف وعلى مبادرة البلوغ دون غيرهما بل هو ذكر غالب الحال
كما في قوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا ومن كان غنيا فليستعفف
ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف في تفسير النهي بالاسراف والبدار ايماء الى ان لا وصيا
حقا فقسم الامر بين ان يكون الوصي غنيا وبين ان يكون فقيرا فامر الغني بالاستعفاف
من اكل مال اليتيم الى ماله وترك الطمع في مال اليتيم والاقتناع بما رزقه الله تعالى من ماله
اشفاقا على اليتيم وابقاء على ماله والفقير بالاكل بالمعروف اى يأكل قوتا مقدرا محتاطا
في تقديره على وجه الاجرة لقيامه عليه بحفظه وتثميره وعلى اليتيم وتدبيره وتربيته
وفي الاستعفاف مبالغة كانه مأمور بطلب زيادة العفة ولو قال فليعف لم يكن
فيه ذلك فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم بانهم تسلموها وقبضوها
وبرئت عنها ذممكم لئلا يتوجه اليمين عليكم عند التناكر وليظهر امانتكم وبراءتكم
عن التهمة فالامر بالاشهاد ههنا كالامر به في قوله واشهدوا اذا تبايعتم فلا دلالة فيه

لافادة انه يكفي وجوده

تامل

على ان القيم لا يصدق في دعواه الا بالبينة وكفى بالله حسيبا كافيا في الشهادة
عليكم بالدفع والقبض او محاسبا يحاسبكم بالبراءة وعدمها والقبض وعدمه
فعليكم بالتصادق واياكم والتكاذب للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون
وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون يريد بهم المتوارثين بالقرابة
قيل كان اهل اليونان يعطون جميع المال للبنات لان الرجل لا يعجز عن الكسب والمرأة
تعجز وكانت العرب لا يعطون البنات فرد الله تعالى على الفريقين فكان المقام مقام التفصيل
والاطناب وفي عبارة الرجال اشارة الى ان قدرتهم على الكسب غير مانع كاستحقاقهم
فاذا كان الرجل مع قدرته على الكسب مستحقا للنصيب فالصبي مع عجزه عنه يكون مستحقا
بطريق الاولى مما قل منه او كثر بدل مما ترك باعادة العامل وتقديم الظرف على المبتدأ
في الرجال والنساء تخصيص لكل واحد من القبيلتين بنصيب مفروض على ما فرض الله
مؤذن بان لا يدرك بان لكل منهم ما فرضه الله به للناشر به غيرهم ولا يغلب عليه ثم
اكده بقوله نصيبا مفروضا نصب على الاختصاص اي اعني نصيبا مقطوعا واجبا او على
انه مصدر مؤكد كقوله فريضة من الله كانه قيل قسمة مفروضة او حال والمعنى ثبت لهم
مفروضا نصيب وانما ذكر النصيب على الابهام لان التعيين خارج عما سيق له الكلام
في هذا المقام وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه واذا حضر
القسمة اي قسمة التركة اولوا القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين من الاجانب فرق بين
من لا يرث من الاقارب وبين من يرث بقوله فارزقوهم منه حيث لم يعين نصيبا
اهو ندب الى ان يرضوا بقليل منه ايماء الى انه لا حق لهم فيه الا ترى كيف جعل اموال اليتامى
للسفهاء مكان رزقهم حيث قال وارزقوهم فيها لانها حقهم وقولوا لهم قولا معروفا
وهو ان يدعو لهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يمنوا عليهم والامر للندب والمأمور البالغ
من الورثة قالوا ولو كان فريضة لضرب له حد ولو اجمالا كالمتعة حيث قال تعالى على الموسع
قدره وعلى المقتر قدره وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم
امر للاوصياء بالخشية متمثلين في انفسهم حال اليتامى بحال اولادهم على الصفة المذكورة
فليتقوا الله في رعايتهم او كلا لهم ومتمثلين المتوفى في ايتامه بحالهم وذرياتهم
خلفهم على تلك الصفة في قوالهم وهذا الوجه هو الانسب اللايق بنظم الكلام من بين
الوجوه المذكورة في التفاسير فيكون قوله ان الذين يأكلون تتمة له وتفريعا بحال
الاوصياء لو خالفوا مقتضى الشفقة واكلوا مال اليتيم وتهديدا لهم على ذلك ولو بما
في حيزه صلة للذين اي وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا لان يتركوا
خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع لفقد كافلهم وكاسبهم وفي ترتيب الامر عليه

ولا يمنوا

ممثلين

اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاده
فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا امرهم بالتقوى الذي هو غاية الخشية بعد ما امرهم
بها مراعاة للمبداء والمنتهى اذ لا ينفع الاول بدون الثاني ثم امرهم ان يقولوا لليتامى
ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن الادب ان الذين يأكلون في بطونهم نارا اي
ملاء بطونهم تهويل في الردع ومبالغة في التهديد بجعل بطونهم ظروفا مملوة نارا
ولما اراد ان يصور سرعة جر ما يأكلون انفسهم الى النار جعلهم يأكلون النار كانه
نار بالحقيقة ونكرها اي نارا تتعاظم عن الوصف وقواه بتنكير سعيرا في قوله وسيصلون
سعيرا اي سعيرا لا يحتمل سماع وصفه فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار بمعنى التهبها
وقرئ سيصلون بضم الياء وتخفيف اللام وتشديدها تقول صلى النار قاسى
حرها وصليته شويته واصليته القيته فيها يوصيكم الله يأمركم ويعهد اليكم في
اولادهم في شان ميراثهم وهو اجمال تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين التعريف
في الموضعين للعهد والمعهود الذكر والانثى من الاولاد ولا حاجة الى تقدير منهم و
تخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لفضله على الانثى وانما لم يقل مثلي حظ الانثى او مثل حظي
الانثى لانه صريح لا يعلم عدم نقصان حصة الابن عند تعدد البنت فانها تعددت ينقص
حصة سائر العصبات فيجوز العقل ان ينقص حصته ايضا اذا تعددت واما العكس فغير
محتمل فعبارة المنزل علم حد حصة الابن مع البنتين وبدلالته علم حصته مع الواحدة وان
الاختلاط ان يجتمع ابن وبنت والابن حصته الثلثان فعرف بهذه الاشارة ان للبنتين الثلثان
في الجملة وليس ذلك الا في حالة انفرادهما عن الابن ولما كان حكم الانثيين حالة الانفراد معلوما
بهذه الاشارة رتب عليه بيان حكمها اذا كانت فوق اثنتين بقوله فان كن نساء كن
ضمير الاولاد طابق به الخبر كما في قوله هذا ربي او على تاويل المولودات اي ان كانت الاولاد
نساء خلصا ليس معهن رجل فوق اثنتين خبر ثان لكان صفة للنساء اي زايدات على
اثنتين فلهن ثلثا ما ترك المتوفى يدل عليه المعنى وان كانت اي المولودة واحدة فلها
النصف وقرئ واحدة بالرفع على ان كان التامة والنصب وفق لقوله فان كن نساء ولا
يجوز ان يكون الضمير ان في كن وكانت مبهمين مفسرين بنساء وواحدة منصوبين على
التفسير على ان كان تامة لان كانت ليست من الافعال التي يكون فاعلها مضمرا يفسره ما بعده
هذا مختص من الافعال بنعم وبئس وما حمل عليهما اختلف في الثنتين لما فوقهما وقال الباقون
حكمها حكم ما فوقهما لما قررناه فيما سبق وقوله تعالى في الثنتين فقال ابن عباس حكمهما حكم الواحدة
لانه تعالى جعل فان كن نساء فوق اثنتين لبيان ان كثرة عددهن لا يزيد على ما لهن عند
التعدد والانفراد عن الذكور فشرط المفهوم مفقود على انه لا يعارض المعنى المنطوق والوجه

بنساء

قال ابن عباس انما الثلثين لما فوق الثنتين

الذي قدمناه من قبيل المنطوق وانما قيل ان البنتين اسوأ حالا من الاختين اللتين
يحرزان الثلثين فهما اولى بذلك لا اخوات فيرد عليه ان الابن مع كونه اشد رحما
من ابن الاخ قد لا يحرز ما يحرزه كما اذا كانت البنت فوق الاربع واذا جاز ذلك في
العصبة والمعتبر فيه قوة القرابة فلان يجوز فيمن لا يعتبر فيه تلك القوة من اصحاب
الفرايض بطريق الاولى وكذا ما قيل ان الاخت اذا كانت مع اخيها وجب لها الثلث
فبالاولى ان يجب لها ذلك اذا كانت مع اخت اخرى مثلها غير تام لان مبناه ايضا على
ان من اخذ سهما مع وارث يأخذ ذلك السهم مع وارث اخر دونه بطريق الاولى وقد
عرفت صحة ذلك المبنى ولابويه ولابوي الميت لكل واحد منهما السدس بدل منه
بتكرير العامل وفايدته التنصيص على استحقاق كل واحد منهما السدس والتفصيل بعد
الاجمال للتاكيد السدس مبتداء ولابويه خبره والبدل متوسط بينهما للبيان مما
ترك اى من جملته ان كان له اى للميت ولد ذكر او انثى وولد الابن وان سفل يقوم مقام
الصلبي عند عدمه بالاجماع غير ان الاب يأخذ مع الانثى ما بقي من الفروض بالعصوبة
بعد اخذ فرضه فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك ومعنى
القيد انه اذا ورث مع ابويه احد الزوجين لم يكن لها الثلث مما ترك بل ثلث ما
بقي بعد فرضه كما هو مذهب الجمهور خلافا لابن عباس رضه والمعنى ان الابوين اذا انفردا
بالارث تقاسما الميراث للذكر مثل حظ الانثيين ولذلك لزم انهما اذا كانا مع احد
الزوجين كان لها ثلث ما بقي والا انقلب الفاضل مفضولا فيما اذا كانا مع الزوج لان
فرضه النصف فلو فرض لها الثلث بقي للاب السدس مع كونه اقوى وكونه ذا فرض وتعصيب
لم يذكر حصة الاب لانه لما فرض لها ان الوارث ابواه فقط وعين نصيب الام علم ان
الباقي للاب ولم يعكس مع كونه احق ببيان نصيبه اصالة لفضله لانه يلزم ح ان يكون
هو صاحب فرض وصاحبه عصبة وهو خلاف وضع الشرع فان كان له اى للميت والفاء
هنا ايضا للترتيب حد القسمين على الآخر اخوة المراد منها ما يعم الاخوات [illegible]
[illegible] على طريقة عموم المجاز لا على طريقة التغليب اذ ح لا يتناول الاخوات المنفردة وهذا
التعميم لا بد منه عند الجمهور خلافا لابن عباس رضه ومن صيغة الجمع يتناول المثنى وفيه
خلاف لابن عباس رضه واطلاق الاخوة يدل على انهم يردونها من الثلث الى السدس وان كانوا
لا يرثون كما اذا كانوا مع الاب وعن ابن عباس رضه انهم يأخذون السدس الذي
حجبوا عنه الام فالجمهور على ان الاثنين من الاخوة او من الاخوات ومنهما سواء
كانا من الاعيان او من العلات او من الاخياف منفقين او مختلفين محجوبين او غير محجوبين
يردونها من الثلث الى السدس من بعد وصية يوصي بها او دين متعلق بجميع ما تقدم من

الصلب

قسمة المواريث كلها اى هذه الانصباء للورثة من بعد ما كان من وصية يوصي بها او دين
وانما قال باو التي للاباحة هنا للتسوية في الوجوب دون الواو للدلالة على انهما متساويان
في التقدم على القسمة مجموعين او منفردين ولم يكونا متساويين في التعلق بالتركة فان
الدين لا يسقط منه شيء بذهاب بعض المال بخلاف الوصية وانما قدمت على الدين وهي
متاخرة عنه في الحكم لان مظنة الاشتباه تقديمها فكان هو احوج الى البيان واما كونها
مشبهة بالميراث فيشق اخراجها على الورثة فلا ينتظم بعض الوصايا بالوصية للنجح ثم اكرم
الوصية ورغب فيها بقوله اباؤكم وابناؤكم معوضا اى هم نفسهاؤكم واهل شفقتكم وتحنكم
لا تدرون بكم الآخير ابا عنا لهم على امضائها مبينا ذلك المعنى بقوله لا تدرون ايهم اقرب
لكم نفعا اى الفريقين منهم انفع لكم احي اوصى منهم ام من لم يوص لان من اوصى عرضكم
لثواب الآخرة بامضائها وهو وان كان آجلا فهو بالحقيقة اقرب لكم نفعا وافر جدوى
لانه خير وابقى ومن لم يوص ابقاكم على حيز الدنيا وهو وان كان عاجلا لكنه في الحقيقة
ابعد نفعا واقرب ضررا واقل جدوى سيزول ويفنى اباؤكم وابناؤكم خبر مبتداء محذوف
اى هم اباؤكم وابناؤكم لا تدرون بيان بحالهم او مبتداء خبره لا تدرون ايهم فريضة
من الله في موضع المصدر المؤكد اى فرض ذلك فرضا او حال مؤكدة بمعنى مفروضة اى
لكم الانصباء المذكورة بينا ها مفروضة وانما فرض انصباءهم واثبت الفريضة وسلب عليهم
به فلان ان الله كان عليما اى بمصالح دنياكم واخراكم حكيما في كل فرض وقسم من المواريث وحكم
به من الوصية وغيرها ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد
فلكم الربع مما تركن اى ولد وارث ذكرا كان او انثى منكم او من غيركم وولد الابن
وان سفل يقوم مقام الصلبي في الحجب المذكور عند عدمه بالاجماع من بعد وصية يوصين
بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم
من بعد وصية توصون بها او دين يستوى الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن فرض
للرجل بحق الزواج ضعف ما للمراة كما في النسب قيل وهكذا قياس كل رجل وامراة اشتركا
في الجهة والقرب لا يستثنى عنه الا اولاد الام والمعتق والمعتقة وفي الحصر نظر فان الابوين
ايضا من هذه الجملة وان كان رجل اى الميت يورث من ورث صفة لرجل كلالة خبر كان
او يورث خبره وكلالة حال من الضمير فيه وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا او مفعول له
المراد بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد ويجوز ان يكون الرجل الوارث ويورث منه
من اورث وكلالة من ليس بوالد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل فالرجل الميت
وكلالة يحتمل المعاني الثلث وعلى الاول خبر وحال على الثاني المفعول له وعلى الثالث مفعول به
وهو في الاصل مصدر بمعنى الكلال فاستعيرت للقرابة لا بعادتها النسبية لانها كلالة ضعيفة

في الوجوب و

معوضا

منن

بالنسبة الى التي تقاربها النسبة ثم وصف بها الموروث والوارث بمعنى ذى كلالة كقوله
فلان من قرابتي اى من ذوى قرابتي ويجوز ان يكون صفة كانه من غاية الضعف نفس الكلالة
وامرأة عطف على رجل وله اى ولواحد منهما فلا ضرورة للحمل على الاختصار كما ذهب اليه من قال
اى وللرجل واكتفى بحكمه عن حكم المرأة الدلالة العطف على تشاركهما فيه اخ او اخت اى من الام
على ما نقل عليه في قراءة وله اخ او اخت من الام وقد ذكر في آخر السورة ان للاختين الثلثين
وللاخوة الكل وهو لا يليق باولاد الام وما قدر ههنا فرض الام فينا سب ان يكون لاولادها
فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث يستوى بين الذكر والانثى
لان الادلاء بمحض الانوثة وقد عرفت ان الكلالة استعيرت لقرابة لا تقارب النسبة فينتظم قرابة
الام والجدة دون البنت وبنت الابن لان النسب الى الاباء دون الامهات فلا تخصص في
مفهوم الاية من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار اى لورثته وذلك ان يوصى بزيادة على
الثلث او يوصى بالثلث فما دونه ونيته مضارة ورثته لا وجه الله وعن الحسن المضارة في الدين
ان يوصى بدين ليس عليه ومعناه الاقرار اعتبر المضارة في الدين ايضا بناء على تاخيره الحال
عنهما واعتبر الايصاء فيه ايضا بناء على عطفه على وصية كانه قيل او دين يوصى بها على قاعدة
تقييد المعطوف بما قيد به المعطوف عليه وصية من الله مصدر مؤكد او منصوب بغير مضار
على المفعول به ويؤيده القراءة باضافة مضار الى وصية اى غير مضار وصية من الله وهو الثلث
فما دونه بالزيادة او بوصية منه بالاولاد بالاسراف في الوصية والاقرار الكاذب والله عليم
بمن جار وعدل في وصيته حليم عن الجابر اذ لا يعاجله بعقوبته وهذا وعيد بليغ تلك اشارة
الى الاحكام التي تقدمت في امر اليتامى والوصايا والمواريث حدود الله شرايعه التي كالحد
والمحدودة التي لا يجوز مجاوزتها ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها
الانهار حملا اولا على لفظ من في قوله يطع ويدخله فافرد ثم حمل على المعنى في قوله خالدين
فجمع وانتصابه على الحال المقدرة ويجوز ان يكون صفة لجنات على مذهب الكوفيين
وبه اخذ الزجاج ههنا ولا يحتاج الى ابراز الضمير عندهم اذ لم يلتبس وذلك الفوز
العظيم بنعمة الدنيا وما فيها ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا
خالدا فيها وله عذاب مهين فزاد ههنا على العصيان بتعدى الحدود وهو من الاعمال صد
للعصيان الى ما يكون في العقايد وفايدته التنبيه على ان المراد بالاطاعة في قسميه ما يكون في
العقايد وان الموعود من دخول الجنة ليس بمشروط بالعمل الصالح وذلك في مقابلة الاهانة لانه
لا يفيدها الا من اعترفنا بسنة الاهانة والمراد غايتها وهذا استفاد من توصيف العذاب
به فانه ظاهر بحسب لا فايدة في ذكره ما دام محمولا على الاطلاق فيحمل على الكمال ويستفيد واخر
ههنا خالدا وجمع فيما قبله اشارة الى ما في حق المطيعين من لذة زوجاتهم ومن خط الكمال

لا يقاربها النسبة

وما في حق العاصين من الم روحاني وهو عذاب الوحشة واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم
يفعلن الفعلة القبيحة والمراد الزنا لزيادتها في القبح على كثير من القبايح فاستشهدوا
عليهن اى فاطلبوا ايها الائمة الذين اليكم اقامة الحدود اربعة منكم من الرجال المؤمنين
ليشهدوا عليهن بالزنا فان شهدوا عليهن فامسكوهن في البيوت فخلدوهن محبوسات
حتى يتوفاهن يستوفى ارواحهن الموت او يتوفاهن ملائكة الموت قيل كان عقوبتهن
في اوايل الاسلام فنسخ بالحد او يجعل الله لهن سبيلا كتعيين الحد المخلص عن الحبس او النكاح
المغني عن السفاح واللذان يأتيانها يعني الزاني والزانية وصفا بما يوصف به الذكران
تغليبا للذكر على الانثى والظاهر زيادة منكم ههنا ومن زيادة من نسائكم فيما سبق تخصيص
الحكم بالمسلمين والمسلمات فاذوهما بالتوبيخ والتقريع قال الحسن اول ما نزل من حد الزنا
الاذى ثم الحبس ثم الجلد فكان ترتيب النزول على خلاف ترتيب التلاوة وقال الضحاك كان
الرجل اذا زنى بامرأة وكانا بكرين حبس كل واحد منهما في بيت ثم لا يمتريهما مانع الا الاذى
بالتعيير وعلى هذا يكون الاذى مع الحبس مشروعين في وقت واحد في حق الرجل والمرأة جميعا
وقال مجاهد آية الاذى في الرجلين اى الذكر يفعل بالذكر وهو اللواطة قال ابو منصور انه
الاذى هذا يكون حجة لابي حنيفة في انه يعزر ولا يحد بالجلد والرجم فان تابا عن المعصية
واصلحا وغيرا الحال الى العفاف فاعرضوا عنهما بالاغماض والستر واقطعوا عنهما الاذى
ان الله كان توابا يقبل توبة التايب رحيما فلا يعذبه وهو علة الامر بالاعراض وترك
المذمة انما التوبة على الله من تاب الله عليه اذا قبل توبته لا من تاب العبد اذا رجع اليه
للذين يعملون السوء بجهالة متلبسين بها وليست مع عدم العلم بانه ذنب لانه عذر لكنها
ترك التفكر في العاقبة كفعل من يجهله ثم يتوبون من قريب من زمان قريب اى قبل حضور الموت
لقوله عم ان الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر وسماه قريبا لان امد الحيوة قريب وفي عبارة
ثم اشارة الى انه لم يرد من القرب القرب من عمل السوء حقيقة فاولئك يتوب الله عليهم
وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله انما التوبة على الله وفايدة اولئك والفاء
انهم اذ تابوا في هذا الزمان بسبب توبتهم المقبول ومعنى الحصر في انما التوبة التي كتب
الله على نفسه قبولها ليست هذه فيلزم ان لا يقبل غيرها ولهذا فصل الآية بقوله وكان الله
عليما اى بالتوبة الموصوفة بما يقتضي القبول والتي لم تتصف به حكيما لا يقبل الا الاولى فانه
تهديد ووعيد وما يناسب القبول ترغيب ووعد فلو لم يكن الحصر والسببية لكان ينبغي ان
يقول وكان الله غفورا رحيما ولذلك وللفرق بين التوبتين حصر المعصية ههنا بتوحيد
السوء والتقييد بالجهالة اى الغفلة وقيد مجال التوبة بالقرب وعظمها في قوله وليست التوبة
للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون

وهم كفار حيث لسيئات وبعد مجال التوبة بحرف الغاية واضاف المحتضر قول التوبة للنفعها
وزاد قوله الآن وسوى بين الذين سوفوا توبتهم الى ذلك الامر البعيد الذي هو حضور
الموت وبين الذين ماتوا على الكفر مبالغة في عدم الاعتداد بها في تلك الحالة واكد الوعيد بقوله
اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما اي الموصوفين باحد الوصفين التوبة وقت احتضار الموت والموت
على الكفر استحقوا عذابا اليما بسبب اتصافهم بما ذكر وفخم وعيد بتقديم الظرف وتنكير العذاب
ووصفه بالاليم فافهم والاعتاد التهيئة من العتاد وهو العدة وقيل اصله اعددنا فابدلت
الدال الاولى تاء وانما لم يقل اذا حضرهم الموت لان المبادر منه الموت النادر وهو ان يموت
جماعة معا وذلك لا يناسب مقام التغليظ للتقصير يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا
النساء كرها كان الرجل اذا مات وله عصبة القى ثوبه على امرأته وقال انا احق بها ثم ان شاء
تزوجها بصداقها الاول وان زوجها غيره واخذ صداقها وان شاء عضلها لتفتدي بما
ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك وقيل لهم لا يحل لكم ان تأخذوها على سبيل الارث واظهار
ما فيه من القبح فلا دلالة فيه على جوازه اذا كان طوعا وقرئ كرها وهما لغتان فيه وقيل بالضم
المشقة وبالفتح ما يكره عليه ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن تم الكلام بقوله
كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل وهو الحبس والتضييق ومنه عضلت المرأة بولدها
اذا احتبست رحمها به فخرج بعضه وبقي بعضه كان احدهم اذا تزوج امرأة ولم تكن من
حاجته حبسها مع سوء العشرة وشكاية الخلق حتى تفتدي منه بمالها وتختلع فمنعوا عنه
وقيل لهم ولا تكرهوهن لتاخذوا منها بعض ما آتيتموهن من الصداق والواو لعطف الجملة و
اما عطف على ان ترثوا على ان يكون المخاطب لمن خوطب فيما سبق فيأباه قوله ببعض ما آتيتموهن
ولا ينتظم مع قوله الا ان يأتين بفاحشة مبينة الاستثناء من اعم عام الظرف او المفعول له
تقديره ولا تعضلوهن للافتداء الا وقت ان يأتين الفاحشة والمراد بها سكاسة الخلق وايذاء
الزوج واهله بالبذاء والسلاطة ويدل عليه قراءة الا ان يفحشن عليكم وعاشروهن بالمعروف بالانصاف
في الفعل والاجمال في القول فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا قوله
فعسى علة للجزاء اقيم مقامه لاستلزامه اياه اي فلا تفارقوهن لكراهة النفس وحدها واصبروا
عليهن مع الكراهة فعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ونون خيرا تعظيما ووصفه بالكثرة مبالغة
وان اردتم استبدال زوج مكان زوج اي ان عزمتم على ان تتزوجوا مستبدلين بها ايا ما
وتصوير الكلام في هذه الصورة لتعيين ان يكون التطليق لرغبة في تجديد الفراش لا بسبب من
جهتها فانه لا يجوز اخذ المال في مقابلة الطلاق وآتيتم احداهن اي احدى الزوجات جمع الضمير
لانه اراد بالزوج الجنس قنطارا مالا كثيرا ضمن الكلام الاشارة الى جواز المغالات في الصدقات
ولهذا تعرض لكثرة ما اعطى والاشارة الى جواز الاستدلال مع تعددها ولهذا اتى بعبارة تفخيم

عنه وكان يكفي ان يقول وآتيتم اباها فلا تاخذوا منه من القنطار شيئا قليلا اتاخذونه
بهتانا واثما مبينا باهتين وآثمين والاستفهام للانكار والتوبيخ اي تفعلون هذا
مع ظهور قبحه قيل يحتمل انتصابهما على العلة وان لم يكن غرضا كقولهم قعد عن الحرب جبنا
وفيه ان الاثم ليس بعلة الاخذ بل الامر بالعكس وتخصيص البهتان بالذكر لانهم كانوا اذا ارادوا
امرأة جديدة بهتوا التي تحتهم بفاحشة حتى يلجئوها الى الافتداء منهم بما اعطوها ليصرفوه
الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان افحش الكذب لانه اذا كان عن قصد يكون افكا
والا فكذبا اذا كان على الغير يكون افتراء والافتراء اذا كان بحضرة المقول فيه يكون بهتانا
لانه يدهشه ويتركه متحيرا من بهت اذا دهش وتحير وكيف تاخذونه انكار لاسترداد المهر
وقد افضى بعضكم الى بعض والحال ان معكم ما يعرف عنه والافضاء هو الخلوة من الفضاء
وهو المفازة الخالية كذا فسره الكلبي وهو حجة اصحابنا في ان المهر يتأكد بالخلوة الصحيحة
من غير وطئ واخذن منكم ميثاقا غليظا الميثاق العهد الوثيق والغليظ المبالغة فيه
وهو قوله تعالى فامساك بمعروف او تسريح باحسان والله تعالى اخذ الميثاق على عباده
لاجلهن فهو كاخذهن وقيل هو قول الولي عند العقد انكحك على ما في كتاب الله من امساك بمعروف
او تسريح باحسان وكان ذلك معتادا في السلف ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم وانما ذكر ما
دون من لانه اريد به الصفة قيل مصدرية على ارادة المفعول من المصدر فلا يأباه التبيين
بقوله من النساء وزانه وزان في الارض في قوله وما من دابة في الارض ففايدته تاكيد
ما نكح من العموم الا ما قد سلف قيل استثناء من المعنى اللازم للنهي كانه قيل تستحقون
العقاب بنكاح ما نكح آباؤكم الا ما قد مضى قبل التحريم او من اللفظ للمبالغة في التحريم و
التعميم كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب والمعنى ولا
تنكحوا حلائل ابائكم الا ما قد سلف ان امكنكم ان تنكحوه وقيل الاستثناء منقطع ومعناه
ولكن ما قد سلف لا مؤاخذة عليه لانه مغفور وتعقب على ان هذا هو الوجه انه كان
فاحشة علة للنهي وزيادة كان للدلالة على انه لم يرخص فيه في شريعة من الشرائع ومقتا
ممقوتا والمقت البغض استحقارا وساء سبيلا سبيل من يراه ويفعله كانوا ينكحون
ذوات ابائهم وناس منهم ذوي مروآتهم يمقتونه ويسمونه نكاح المقت وكان المولود عليه يسمى
المقتي وكذلك قيل فاحشة في دين الله لفرط القبح مقتا في المروة والعرف ولا مزيد على
على ما يجمع القبحين شرعا وعرفا وبه زاد على الزنا فانه تع قال فيه ولا تقربوا الزنا انه كان
فاحشة وساء سبيلا حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ
وبنات الاخت اراد تحريم التمتع بهن لان المفهوم في العرف منه جهة حرمة ما هو المقصود منه و
يلزم حرمة النكاح لانه موضع الملك المتعة فلا يصح بدونه والام حقيقة هي الوالدة وفي معناها

كل امراة رجع نسبك اليها بالولادة من جهة ابيك ومن جهة امك والبنت هي كل ابنة
ولدتها او في معناها كل انثى رجع نسبها اليك بالولادة بدرجة او درجات باناث او ذكور
والاخت كل من جمعك واياها صلب او بطن والعمة كل من جمع اباك واياها صلب او بطن
او في معناها من جمع جدك قريبا كان او بعيدا واياها صلب وبطن والخالة كل من جمع
امك واياها صلب وبطن وبنات الاخ والاخت وان بعدت اخلاف في الحكم بالذكور
بدليل او بالاناث والاخوة من اي جهة كانت وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من
الرضاعة نزل الله تع الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما والمرضعة اختا فلزم
منه ان زوج المرضعة ابوه وابويه جداه واخته عمته وكل ولد له من غير المرضعة قبل
الرضاع وبعده فهم اخوانه لابيه وام المرضعة جدته واختها خالته وكل من ولدها من
هذا الزوج فهم اخوته واخواته لابيه وامه ومن ولدها من غيره فهم اخوته واخواته لامه
ومنه قوله عم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وقالوا تحريم الرضاع كتحريم النسب الا في
المسئلتين احديهما انه لا يجوز للرجل ان يتزوج اخت ابنه من النسب ويجوز ان يتزوج
اخت ابنه من الرضاع لان المانع في النسب وطئه امها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع والثانية
لا يجوز ان يتزوج ام اخيه من النسب ويجوز في الرضاع لان المانع في النسب وطئ الاب اياها
وهذا المعنى موجود في الرضاع وفي الحصر نظر لان ام النافلة وجدة الولد ايضا كذلك في النسب
لان ام النافلة زوجة الابن وجدة الولد ام الزوج ولا كذلك في الرضاع كمن ارضعت ولد
ولدك وكام اجنبية ارضعت ولدك هذا بحسب جليل النظر والذي هو بحسب دقيقه ان الحرمة
في الصور المذكورة بالمصاهرة دون النسب فلا حاجة الى الاستثناء اصلا وامهات نسائكم
وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ذكر اولا محرمات النساء ثم الرضاعة لانها
لحمة كلحمة النسب ثم محرمات المصاهرة فان تحريمهن عارض لمصلحة الزواج والربائب جمع ربيبة
والربيب ولد المراة من اخر سمي به لانه يربيه كما يربي ولده في غالب الامر فعيل بمعنى مفعول وانما
لحقه التاء لانه صار اسما لولد المراة وان لم يربه وقوله في حجوركم كناية عن كونهن في ولايتهم و
حمايتهم وقالوا ان ذكره خرج مخرج العادة لا مخرج الشرط ولهذا اكتفى في موضع الاحلال بنفي
الدخول وهذا ما بحسب جليل النظر والذي هو بحسب دقيقه هو انه تقوية للعلة وتكميلها والمعنى ان دخلتم
بامهاتهن وهن في احتضانكم او من شانهن ذلك تحقق الكون فيه قوي الشبه بينها وبين اولادكم
فصارت حقيقا بان تجروها مجراهم وعلى هذا اي على تقدير ان يكون المعنى ما قررناه من تعميم المراد
للتي من شانها ان يكون في احتضانهم كما هو مقتضى كون الوصف المذكور لتقوية العلة يكون ذلك
الوصف تقييدا للحرمة والاكتفاء في موضع الاحلال بنفي الدخول لاستلزام انتفائه انتفائه ومن نسائكم
حال عن ربائبكم او صفة او من جملة الصلة اي اللاتي من نسائكم وهو اولى بنظم الكلام والباء في بهن للتعدية

والمعنى ادخلتموهن الستر وهي كناية عن الجماع وعندنا يقوم الخلوة مقامه ولا يجوز
ان يكون اللاتي وصفا للنسائكم من قوله وامهات نسائكم لعدم الحاجة في افادة المعنى
المراد الى قوله من نسائكم والكلام البليغ يجب صونه عن الحشو والرسول فرق بين ام المراة
وبنتها فقال في رجل تزوج امراة وطلقها قبل ان يدخل بها لا باس ان يتزوج ابنتها ولا يحل
له ان يتزوج امها وهذا شرط بالاجماع بخلاف كون الربائب في حجورهم فانه خرج على الاغلب
وليس بشرط عند عامة العلماء فان لم تكونوا دخلتم بهن اريد استمرار النفي لا نفي الاستمرار
فمعنى الكون مقدم في الاعتبار فلا جناح عليكم اي في نكاح الربائب وهذا التصريح مهم عند
من لا يقول بحجية المفهوم وعند من قال بها فائدته دفع القياس وحلائل ابنائكم زوجاتهم
سميت حليلة لحلها للزوج وحلولها معه في محل الذين من اصلابكم بالذات او بالواسطة
احترز به عن المتبنى لانهم كانوا يجعلونه كولد الصلب لا عن الابن من الرضاع وان تجمعوا
بين الاختين في محل الرفع عطف على ما قبله من المحرمات اي وحرم عليكم الجمع بين الاختين في
التمتع ويلزمه حرمة الجمع بينهما بالنكاح لما قدمناه دون ملك اليمين لانه يجامع حرمة التمتع
كما في الامة المجوسية والاخت رضاعا ولا دلالة في قوله تع او ما ملكت ايمانكم على حل المملوكة
على كل حال فلا يعارض هذا القول الدال على حرمتها في بعض الاحوال حتى يحتاج الى الترجيح الا
ما قد سلف استثناء منقطع معناه لكن ما قد سلف منكم مغفور لقوله ان الله كان غفورا
رحيما وروى هشام عن محمد بن الحسن انه قال كان اهل الجاهلية يعرفون هذه المحرمات
الا اثنتين نكاح امراة الاب ونكاح الاختين معا فلذلك قال هناك ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم
من النساء الا ما قد سلف وقد قال ههنا وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف والمحصنات
من النساء بفتح الصاد اي اللاتي احصنهن التزويج وقرئ بكسرها اي اللاتي احصن فروجهن
بالتزويج والاحصان العفة وتحصين النفس من الوقوع في الحرام الا ما ملكت ايمانكم يعني
من اللاتي سبين ولهن ازواج بدون ازواجهن فان الفرقة انما تقع بتباين الدارين لا بالسبي
ولا تجب العدة وتحل للغانم بملك اليمين بعد الاستبراء ولا مانع لاخذه على عمومه فانها اذا
كانت مجوسية او محرمة بسبب الرضاع او المصاهرة او بسبب حر او مشتراة وهي ذات
زوج لا تحل لمالكها فلا يكون حجة على ابي ح رح في قوله لو سبي الزوجان معا لا ترتفع النكاح
ولا يحل لسابي كتاب الله عليكم مصدر مؤكد اي كتب الله ذلك عليكم كتابا وهو تحريم ما حرم
واحل لكم عطف على كتب المقدر الناصب يدل عليه قراءة كتب الله عليكم واحل لكم وقرئ كتب
الله بالجمع والرفع اي هذه فرائض الله عليكم ومن قراءة واحل لكم على البناء للمفعول عطف
على حرمت ما وراء ذلكم ما سوى المذكور من الاصناف المحرمة بالنسب والرضاع او المصاهرة
او الجمع وما ثبت حرمتها بالسنة خارجة منها الكاف والميم في ذلك خطاب للرجال والدلالة

الاصناف

ليست

اشارة الى المذكور قبله من المحرمات ولو اشارة اليها لقال وراء تلكم ان تبتغوا باموالكم
مفعول له اى لان تبتغوا باموالكم ما احل لكم من النساء ويجوز ان يكون بدلا من ما وراء
ذلكم على الاشتمال والافصح ان لا يقدر المفعول اى ليصدر منكم الابتغاء باموالكم وهو
اخراجها في مهور النساء واشتراء الاماء محصنين حال غير مسافحين صفة او حال اخرى والمعنى
يبين لكم ما يحل مما يحرم كيلا تضيعوا اموالكم فيما لا يحل لكم فتخسروا في دنياكم ودينكم فتجمعوا بين
الخسرانين والسفاح الزنا من السفح وهو صب الماء باطلا ومنه السفاح وهو المسرف في الفعل
وفي الزنا تضييع الماء لعدم ثبوت النسب به وفي الاية دلالة على انه لا نكاح الا بمهر من جنس المال
فما استمتعتم به منهن من جماع ودواعيه والخلوة الصحيحة اقيمت مقامه ولفظ ما يدل على (الاستمتاع)
ان يسير التمتع يوجب تمام الاجر فاتوهن اجورهن يعني مهورهن والاجر بدل منافع العين
في الاجارة وبدل منافع البضع في النكاح فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او مصدر
وضع موضع ايتاء لان الايتاء مفروض او مصدر مؤكد اى فرض ذلك فريضة ولا جناح
عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة من حط شئ منها او هبتها كلها منه او من زيادة
عليها او فيما تراضيا به من نفقة او مقام او فراق وقيل نزلت في المتعة التي كانت ثلثة ايام (م)
حين فتحت مكة ثم نسخت وهي غير النكاح الموقت على ما يجيء في محله ان الله كان عليما
بالمصالح حكيما فيما شرع من الاحكام ومن لم يستطع منكم طولا غناء واصله الفضل والزيادة
ان ينكح المحصنات المؤمنات لان ينكح الحرائر لقوله فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم يعني
الاماء المؤمنات قال الشافعي رح لا يجوز نكاح الامة الكتابية بناء على مفهوم الوصف ولا نكاح
الامة المسلمة عند القدرة على مهر الحرة ونفقتها بناء على مفهوم [illegible] الشرط وكلا المفهومين
ليس بحجة عندنا على ان اللازم على تقدير حجية المفهوم عدم اباحة نكاحهما ويجوز ان يكون
ذلك للكراهية لا لعدم صحته ونحن لا ننازع فيه والله اعلم بايمانكم تانيس بنكاح الاماء و
ازالة الاستنكاف منه اى اعلم بتفاضل ما بينكم وبين ارقائكم في الايمان فربما كان ايمان الامة
ارجح من ايمان الحرة وايمان المرأة ارجح من ايمان الرجل ولا ينبغي للمؤمن ان يطلب الفضل
والرجحان الا باعتبار الايمان والاسلام لا بالاحساب والانساب بعضكم من بعض تاكيد
لذلك المعنى اى انتم وارقاؤكم متواصلون ومتناسبون نسبكم من آدم عم ودينكم الاسلام
فانكحوهن باذن اهلهن اى مواليهن اعتبار اذنهم دون مباشرتهم ظاهر في انعقاد النكاح
بعبارتهن اذ لو كانت مباشرتهم ومباشرة وكيلهم شرطا لكان المهم ذكرها لا ذكر الاذن لان
ذكره لا يغني عن ذكرها وهذا ظاهر والمنكر مكابر وذكرها يغني عن ذكره وآتوهن اجورهن يعني
اى وادوا اليهن مهورهن و[illegible] لانهن وما في ايديهن ملك لمواليهن فكان الاداء اليهن
اداء الى الموالي وقال مالك ليس للسيد ان ياخذ مهر امته ويدعها بلا جهاز بالمعروف بغير مطل

وضرار ونقصان محصنات عفائف غير مسافحات غير مجاهرات بالسفاح ولا متخذات اخدان
اخلاء في السر زنا فاذا احصن بالتزويج فان اتين بفاحشة بزنا فعليهن نصف ما على المحصنات
يعني الحرائر من العذاب اى ما على الحرائر من الحد وهو الجلد لان الرجم لا يتنصف والعذاب المذكور
هنا هو الحد قال تع وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين كان زناهن في الجاهلية من وجهين
بالسفاح وهو بالاجر لكل من رغب فيها والمخادنة وهي في صديق لها على الخصوص وكان الاول
يقع اعلانا والثاني سرا وقوله فاذا احصن ليس لنفي الحد عنها اذا لم تنكح بل لبيان انها بالنكاح
لا يزداد حدها ذلك اشارة الى نكاح الاماء لمن خشي العنت منكم خاف الاثم الذي قد يقع
فيه من غلبة الشهوة والعنت في الاصل انكسار العظم بعد الجبر مستعار لكل مشقة فادحة ولا ضرر اكبر (مواخذة الماثم)
في النفس والالم ولا ضرر اعظم من عقبة الاثم باخس القبائح وقيل المراد اخذ [illegible] في عطا الحرة (بالحد)
وقال لا يجوز نكاح الامة الا بثلث شرايط اثنان في الناكح عدم طول الحرة وخشية العنت والثالث
في المنكوحة وهي ان تكون مؤمنة وهذه الاشياء عندنا للاختيار لا للاشتراط وان تصبروا
اى صبركم عن نكاح الامة خير لكم لان فيه ارقاق الولد وفاته ام الحراير صلاح البيوت والاماء
هلاك البيوت والله غفور للزنا بان اقامه الحد اذا احتسب ذلك رحيم اذ جعل العذاب
عليه الحد في الدنيا لا العقوبة في الآخرة يريد الله ليبين لكم ويهديكم ما هو خفي عنكم من مصالح
دينكم اصله يريد الله ان يبين لكم فزيدت اللام لتاكيد ارادة التبيين كما زيدت في لا اباك
لتاكيد اضافة الاب لا لتاكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة فانه لا ينبغي ان يخطر بالبال في مثل
هذا المقال ويهديكم سنن الذين من قبلكم مناهج من تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا طريقهم
ويتوب عليكم ويقبل توبتكم اذا رجعتم اليه بسلوك مناهجهم والله عليم بمصالح عباده حكيم
فيما شرع لهم والله يريد تقديم اسم الله على الفعل للاختصاص مع تقوية الاسناد اى والله
خاصة يريد ارادة تامة ان يتوب عليكم بسلوك طريق الحق الذي هداكم اليها ويريد الذين
يتبعون الشهوات يعني الفجرة اتباع الشهوة في كل حال مذموم لان ذلك ايتمار لها من حيث
ما دعت الشهوة اليه اما اذا كان الاتباع من حيث العقل والشرع فذلك هو الاتباع لهما لا للشهوة
وقيل المجوس وقيل اليهود فانهم [؟] يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ والاخت ان تميلوا
الى الباطل عن [illegible] الحق بموافقتهم على اتباع الشهوات ميلا التنكير للتكثير عظيما توصيفه بالعظم
للمبالغة فانه فوق الكبير وهو المناسب بمقام التنفير والتحذير ولقوة ارادتهم وضعف ارادتكم
واستلزامها للمراد وتخلف به مرادهم عن ارادتهم قدم على الفعل واخرهم عنه يريد الله ان
يخفف عنكم باحلال نكاح الاماء وساير الرخص وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات ومشاق
التكاليف يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل بالوجه الغير المشروع كالشركة و
المضاربة الفاسدة ونحو الربا والقمار واما السرقة والغصب ونحوهما فلا يناسبها قوله بينكم

الا ان تكون تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع اي ولكن كون تجارة عن تراض غير
منهي عنه اي قصد وكون تجارة وعن تراض صفة تجارة صادرة عن تراضي
المتعاقدين وخص التجارة بالذكر لان اكثر اسباب الرزق متعلق بها وقرئ تجارة
بالنصب على كان الناقصة واضمار الاسم اي الا ان تكون التجارة او الجهة
تجارة ولا تقتلوا انفسكم من كان من جنسكم من المؤمنين فانهم كنفس واحدة او بالبخع كما
يفعله بعض الجهلة او بالقاء النفس الى التهلكة ويؤيده ما روي ان عمرو بن العاص
تاوله في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبي عم او بارتكاب ما يؤدي الى قتلها او جمع
في التوصية بين حفظ النفس والمال الذي هو شقيقها من حيث انه سبب قوامها استبقاء
لهم ريثما تستكمل النفوس وتستوفي فضائلها رافة بهم ورحمة كما اشار اليه بقوله
ان الله كان بكم رحيما ما نهاكم عما يضركم الا الرحمة عليكم وقيل معناه ان الله بكم يا امة
محمد رحيما لما امر بني اسرائيل بقتل الانفس ونهاكم عنه ومن يفعل ذلك اشارة الى قتل النفس
اي ومن يقدم على قتل النفس عدوانا وظلما افراطا او عدلا والمراد من العدوان التعدي
على الغير ومن الظلم الاتيان بما لا يستحق فسوف نصليه نارا ندخله اياها وقرئ بالتشديد
من صلى وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء على ان الضمير
لله تع او لذلك من حيث انه سبب الصلي وكان ذلك على الله يسيرا لا عسر فيه ولا صارف عنه
ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه الاجتناب التباعد والكبائر جمع كبيرة وهي الفعلة العظيمة الاثم
وقد اضافها الى جميع المنهيات وقرئ كبير على ارادة الجنس نكفر عنكم سيئاتكم من
الصغائر والكبيرة وضعت كل واحدة منهما الى صاحبتها فكل ما كانت المخالفة فيها اكثر والنهي
عنها اغلظ كان اكبر وبالعكس والتكفير مبالغة في سترها بجعلها كان لم يكن حيث لا عقاب عليها
وعن امير المؤمنين علي رض الكبائر سبع الشرك بالله والقتل والقذف والربوا واكل مال
اليتيم والفرار عن الزحف والتعرب بعد الهجرة وزاد ابن عمر السحر واستحلال البيت
الحرام وعن ابن عباس رض ان رجلا قال له الكبائر سبع فقال هي الى سبعمائة اقرب لانه لا صغيرة
مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وفيه ما فيه وقيل اراد ههنا انواع الشرك لقوله ان
الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وفيه نظر وكان هذا القائل غافل
عن الفرق بين ما دون ذلك وبين ذلك ولم يتنبه لوجه العدول عن الثاني مع كونه اخصر و
اظهر الى المنزل واضاف السيئات الى المخاطبين لان المراد الذنوب التي فعلوها ولم يضف الكبائر
لان المراد منها ما اجتنبوا عنها وفي عبارة الاجتناب اشارة الى تلك الكبائر مما يعرض للناس
في طرف معاشه ومكاسبه ومعاملته فالاحتراز عنها لا يخلو عن مشقة وكلفة فتلك الكفارة
جزاؤه ولو قيل ان لم تفعلوا لفاتت تلك الفائدة وندخلكم مدخلا كريما بضم الميم وهو

مصدرا او مكان الادخال وهو الجنة وبفتحها وهو مكان الدخول او مصدر منصوب بفعل
محذوف تقديره فتدخلون مدخلا لدلالة الفعل المطاوع عليه ولا تتمنوا ما فضل الله
به بعضكم على بعض نهوا عن تمني ما فضل الله به بعض الناس على بعض من الجاه والمال والعلم
مع قطع النظر عن كونه ذريعة الى التحاسد والتعادي لان ذلك التفضيل قسمة من
الله تع على ما اقتضته حكمته فليرض كل واحد بما قسم له علما بانه هو الذي فيه صلاحه ولا
يذهب عليك انه موجب هذا ان يكون التمني المذكور منهيا سواء كان مقارنا للطلب او لم يكن
فمن وقف بالتعليل المذكور ثم قال وانه تشهي لحصول الشيء له من غير طلب وهو مذموم
لان تمني ما لم يقدر له معارضة لحكم القدر وتمني ما قدر له بكسب بطالة وتضييع حظ
وتمني ما قدر له بغير كسب ضايع وباطل لم يكن على بصيرة ثم ان قوله معارضة لحكم القدر مناف
المنقول عما يتلى في موضعه من انه لا حكم للقدر والا يلزم الجبر ويبطل التكليف للرجال نصيب
مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن بيان لذلك اي لكل من الرجال والنساء نصيب مقدر
على ما يقتضيه الحكمة فلا ينبغي للمفضول ان يتمنى نصيب الفاضل ونسب الكسب اليهم وجعل النصيب
منه لانه جعل سعيه سببا لوصول ما قدر له اليه ثم ان النهي لا حجر في معرض المنع اذ يحتمل ان يكون
ما قدر له بغير كسب مشروطا بالتمني فلا يلزم المحذور المذكور واسئلوا الله من فضله اي لا تتمنوا
انصباء غيركم من الفضل فانه طلب للمحال ولكن اسئلوا الله من خزائن جوده التي لا تنفد ان
الله كان بكل شيء عليما وهو يعلم ما يستحقه كل انسان فيفضل عن علم وتبيان روي ان ام سلمة
قالت ونسوة معها كتب الله علينا الجهاد كما كتب على الرجال فيكون لنا من الاجر مثل ما لهم فنزلت ولكل
جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون مما ترك صفة لكل مبينة له اي لكل شيء مما ترك الوالدان
والاقربون جعلنا وراثا يلونه ويحوزونه ولكل احد مفعول جعل وصفة لمحذوف على ان جعلنا
موالي صفة لكل اي ولكل قوم جعلناهم موالي نصيب مما ترك الوالدان والراجع محذوف وهو احد
مفعولي جعل ولكن خبر مبتدا محذوف وهو نصيب ~~مما ترك الوالدان والراجع محذوف~~
ولا يجوز ان يكون المعنى ولكل ميت جعلنا وراثا مما تركه اذ لا يلزم ان يكون لكل ميت وارث
فضلا ان يكون وراثا من الوالدين والاقربين والذين عقدت ايمانكم موالي الموالاة كان
الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض
وعند ابي حنيفة اذا تعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح وورث بحق الموالاة خلافا للشافعي وقيل
على الازواج على ان العقد عقد نكاح واباه قوله ايمانكم وهو مبتدا ضمن معنى الشرط
وخبره فاتوهم نصيبهم او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه او معطوف
على الوالدان وقوله فاتوهم جملة مبينة لما تقدم والضمير للموالي وقرئ عقدت بمعنى عاقدت
عهودهم ايمانكم فحذف العهود واقيم الضمير المضاف اليه مقامه ثم حذف في القراءة الاخرى ان

التحاسد
بتمنى

الله كان على كل شيء شهيدا تهديد لمن خالف الامر الرجال قوامون على النساء يقومون عليهن
امرين ناهين كالولاة وعلل ذلك بامرين موهبي وكسبي فقال بما فضل الله بعضهم على
بعض بسبب تفضيل الرجال على النساء والتعبير عنه على وجه الابهام بان هذا التفضيل
من جملة التفضيلات الواقعة في القسمة الازلية على مقتضى الحكمة المذكورة فيما تقدم من قوله
ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض وفيه دليل على ان الرجال انما يستحقون الولاية
عليهن بالفضل لا بالتغلب والقهر وهو كمال العقل وحسن التدبير وقوة العزم والحزم
ومزيد القدرة على الطاعات وساير الاعمال ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية
واقامة الشعائر ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها وبما انفقوا وبسبب ما اخرجوا في نكاحهن
من اموالهم في مهورهن ونفقاتهن روي ان سعد بن ربيع نشزت عليه امراته فلطمها
فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلعم فشكى فقال عم لتقتص منه فنزلت فقال عم اردنا
امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير ثم بين ان النساء نوعان فالفاء في قوله فالصالحات
كتفصيل المجمل المفهوم مما تقدم قانتات اي النساء الموصوفات بالصلاح هن المطيعات
لله مع القايمات بحقوق الازواج حافظات للغيب اي لغيبة الازواج والمعنى مواجب الغيبة
اي يحفظن في غيبة الازواج ما يجب عليهن حفظه من الفروج والاولاد والبيوت والاموال و
قيل للغيب [illegible] من اسرارهم والوجه هو الاول لما روي عنه عم خير النساء امراة ان نظرت
اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الاية بما حفظ
الله بحفظ الله اياهن يعني ان حفظهن للغيب ليس من قبل انفسهن بل ذلك بحفظ الله اياهن لذلك
وقيل بامر بحفظ الغيب والحث عليه بالوعيد ويرد عليه ان الاختصاص بحفظ الله مع بهذا المعنى
بالنوع الاول ضعيف ومن لام الاصلاح بزيادة قوله والتوفيق له لم يدر ان الذي زاده وجه متقن
ومعنى تام وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة اي بالامر الذي يحفظ حق وامانة الله
وهو التعفف والتحصن والشفقة على الرجال واللاتي تخافون نشوزهن عصيانهن وترفعهن
عن مطاوعة الازواج من النشز فعظوهن قال الامام ابو منصور العظة كلام يلين القلوب القاسية
ويرغب الطبايع النافرة وهو بذكر العواقب واهجروهن في المضاجع اي اذا لم ينفع الوعظ
وظهر النشوز فاذبوهن بالهجر وهو القطع والمضاجع جمع مضجع وهو موضع الجنب للنوم ولم
يرد بتبعيدها عن مضجعه ولذلك لم تقل عن المضاجع بل اراد ان يوليها ظهره وهما في مضجع واحد
اعلاما في الغضب لموجدته واضربوهن اي اذا لم يقع الكفاية بالهجران فاذبوهن بالضرب
على النشوز وهو ضرب غير مبرح ولا جارح ولا شاين وما ذكر من الترتيب مع النظم بالواو مستفاد
من قرينة المقام وسوق الكلام للترفق في اصلاحهن وادخالهن تحت الطاعة فان اطعنكم فلا تبغوا
عليهن سبيلا فلا تتعرضوا لهن بالاذى والتوبيخ واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن بعد الرجوع

الى الطاعات وترك النشوز ان الله كان عليا كبيرا يعني انكم تعصونه مع علو شانه وكبرياء
سلطانه ولا يواخذكم باول الحال ويدعوا الى التوبة ويقبل اذا تاب ولا يواخذ بما قد كان و
الصداق بذلك وفي ذكر علوه وكبريائه تحذير للعبد ومنع عن مجاوزة الحد فيما يقيمه عليها
على وجه التاديب وان خفتم الخطاب لولاة الامر شقاق بينهما خلاف بين المراة وزوجها اضمرهما
قبل الذكر لذكر ما يدل عليهما واصل الشقاق ان يصير احدهما في شق والاخر في شق بالمخالفة
والمباعدة واضافته الى الظرف اما لاجرائه مجرى المفعول كقوله يا سارق الليلة او الفاعل كقولهم
نهاره صايم فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها متى اشتبه عليكم حالهما لتتبين الامر واصلاح
ذات البين رجلا عدلا مرضيا يصلح للحكومة والاصلاح من اهله واخر من اهلها لان الاقارب
من الطرفين اعرف بباطن الاحوال واطلب للصلاح وتسكن اليهم نفوس الزوجين ولا يحتشمان
من ابراز ما في ضمايرهما من الحب والبغض وارادة الصحبة والفرقة وهذا على وجه الاستحباب
فلو نصبا من الاجانب جاز وقيل الخطاب للازواج والزوجات ولا يساعده نظم الكلام
كما لا يخفى على ذوي الافهام واختلف في انهما يليان الجمع والتفريق بينهما بحسب رايهما اولا
الا باذن الزوجين والاصح ان ذلك اليهما وما جعلا حكمين الا وليهما بناء الامر على
مقتضى اجتهادهما وبه استدل على جواز التحكيم ان يريدا [illegible] اي الحكمان اصلاحا
لذات البين يوفق الله بينهما اي اوقع الله بحسن سعيهما الموافقة بين الزوجين وقيل الضميران
كلاهما للحكمين اي [illegible] الاصلاح يوفق الله بينهما لتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما و
قيل للزوجين اي ان اريدا الاصلاح وزوال الشقاق اوقع الله بينهما الالفة والوفاق
وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته لجزاء اصلح الله مبتغاه ان الله كان عليما خبيرا بالظواهر
والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق به انما ذكر ارادة الاصلاح والتوفيق
بينهما واهمل ذكر التفريق مع كون الحكمين منصوبين لما يايي الامرين جميعا حثا لهما وبعثا
للزوجين على الوفاق والجمعية والالفة وردعا لهما على الخلاف والتقاطع والفرقة وترجيحا
للاول على الثاني واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا من الاشياء في العبادة او شيئا من الاشراك
جليا او خفيا وبالوالدين احسانا اي واحسنوا بهما احسانا وبذي القربى بكل من بينكم وبينه
قرابة عطف بتكرير الجار ليفيد ان احسان ذي القربى بالاصالة لا بالتبعية واليتامى والمساكين
والجار ذي القربى قرب جواره ولبس او انتساب واتصال بنسب الا لما فصل بينه وبين ذوي
القربى بالاجنبي وقرئ الجار ذا القربى نصبا على الاختصاص تعظيما لحق الجوار والجار الجنب
الذي بعد جواره ولا قرابة له قال النبي عم الجيران ثلثة جار له حق واحد وهو حق الجوار
وهو جار المشرك وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وهو الجار المسلم وجار له ثلثة
حقوق حق الجوار وحق الاسلام وحق القرابة وهو الجار المسلم القريب والصاحب بالجنب

هو الذي صحبك بان حصل بجنبك اما رفيقا في سفر او شريكا في تعلم العلم او حرفة وابن السبيل المسافر والضيف في حكمه وما ملكت ايمانكم من الرفيق ان الله لا يحب من كان مختالا تياها فخورا يتكبر عن اكرام اقاربه وجيرانه واصحابه ومماليكه فلا يلتفت اليهم وقد سبق ان عدم المحبة عبارة عن البغض فخور يتفاخر عليهم الذين يبخلون بما منحوا به ويامرون الناس بالبخل ارشادا بالبخل ويكتمون ما اتاهم الله من فضله الغنى والعلم بدل من قوله من كان او صفة لمن كان مختالا حملا على لفظ من ثم قال الذين حملا على المعنى او نصب على الذم او رفع عليه اى هم الذين او مبتدا خبره محذوف كانه قيل الذين يبخلون ويامرون ويكتمون احقاء بالمقت والتعذيب واعتدنا للكافرين عذابا مهينا يهانون به في الآخرة غاية الاهانة وهذا يستفاد من حمل الوصف على ظاهر اللزوم للموصوف بحيث لا فائدة في ذكره ان لم يحمل على البالغ والمعنى اعتدنا لهم وهم الذين قال الله تع فيهم واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين امنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه والعدول عن المضمر الى الظاهر للاشعار بان امرهم الناس بالبخل واخفائهم ما انعم الله تعالى عليهم من المال وسعة الحال من الكفر وفيه تنبيه على ان الكفر لنعمة الله تع من واد الكفر قال طاوس البخل هو ان يبخل الانسان بما في يده والشح هو ان يشح بما في ايدى الناس فهم جامعون بين البخل والشح والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ليقال ما اسخاهم لا ابتغاء وجه الله عطف على الذين يبخلون وانما شاركهم في الذم والوعيد لان البخل والسرف الذى هو الانفاق لا على ما ينبغي من حيث انهما طرفا افراط وتفريط سواء في القبح واستجلاب الذم او مبتدا خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان له ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ليتحروا بالانفاق مراضيه وثوابه ونفقة من لا يؤمن لا يكون لرضاء الله بل يكون لتزيين الشيطان ولذلك ختم الآية بقوله ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا حيث حملهم على البخل والرياء وكل رذيلة او حين يقرن بهم في النار فيكون وعيدا لهم في فساء ضمير مبهم قرينا تفسيره وبيانه والمخصوص بالذم محذوف اى الشيطان وماذا عليهم لو امنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله اى تبعة ووبال عليهم في الايمان والانفاق في سبيل الله والمراد الذم والتوبيخ على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد في الشئ على خلاف ما هو عليه وايهام انهم في الاعتياد بالرذائل والشغف بالكفر والقبائح كانهم يعتقدون انهم مثابون على ذلك معاقبون على اضداده من الفضائل كالايمان والمحاسن و تحضيض على التفكر في طلب الجواب لعله يودى بهم الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه على ان المدعو الى الله لا ضرر فيه ينبغي ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا تضمن المنافع وانما قصد في الآية الاولى الى ذمهم بالانفاق رياء لكونهم غير مؤمنين قدم ذكره وجعل قوله ولا يؤمنون في موضع الحال تنبيها على ان ذلك منهم لكونهم غير مؤمنين ولما حثهم في هذه الآية على ما يجب ان يتحروه ابتداء بذكر الايمان تنبيها على ان انفاقهم غير معتد به الا بعد الايمان وكان الله بهم عليما

الفكر

اى انشاء بهم على علمه بانهم لا يؤمنون ليعلم الخلايق ان منع لطفهم اياه لا يفتر ان الله لا يظلم مثقال ذرة اى لا ينقص من الثواب الموعود ولا يزيد في العقاب المعهود اصغر شئ كالذرة وهى النملة الصغيرة ويدل عليه قراءة ومثقال نملة والمثقال مفعال من الثقل وفيه تنبيه الى ان الاعمال صور مثالية لها ثقل وخفة وايماء الى حكمة الميزان وان تك مثقال ذرة حسنة وتانيث الضمير لتانيث الخبر او للاضافة المثقال الى الذرة وحذف النون من غير قياس تشبيها بحرف العلة وقرئ حسنة بالرفع على كان التامة يضاعفها يضاعف ثوابها وقرئ يضعفها والمعنى واحد ويؤت اى صاحبها من لدنه من عنده تفضلا وفيه تنبيه على ان اطلاق الاجر عليه بحسب الوعد لا ينافي كونه تفضلا في الحقيقة اجرا عظيما ما وصفه الله تع بالعظم فمن يعرف مقداره مع انه سمى الدنيا وما فيها قليلا او يسمى هذا الفضل عظيما فكيف حال هؤلاء الكفرة من اهل الكتاب وغيرهم اذا جئنا من كل امة من الامم السالفة بشهيد يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم واذا اشارة وقت المجئ بالرسل للشهادة والعامل في الظرف مضمون المبتداء والخبر من هول الامر وتعظيم الشان وجئنا بك يا محمد على هؤلاء اى هذه الامة شهيدا لقوله تع لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا يومئذ يود الذين كفروا بالله تع وعصوا الرسول اى خالفوا امره ونهيه لو تسوى بهم الارض بيان لحالهم ح اى يود الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الرسول في ذلك الوقت ويتمنون اى يسوى بهم الارض بان يكونوا من جملة الارض ترابا قال الله تع ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وهذا لان الارض انما تسوى بشئ منها ولا يكتمون الله حديثا عطف على يود اى يودون ذلك لا يقدرون كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم بذلك وقيل الواو للحال اى يودون ان تسوى بهم الارض وحالهم انهم لا يكتمون من الله حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روى انهم اذا قالوا ذلك ختم على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتبه الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى اى لا تدنوا الى مواضع الصلوة وهى المساجد حالة السكر لعطف قوله ولا جنبا عليه ومن نهى الجنب عن قربان المساجد ولان الاستثناء بقوله الا عابرى سبيل في حق المساجد دون الصلوة ولا يجوز ان يكون معناه الا في السفر لان السفر ليس بمرخص فيه والمصير الى ان المعنى اذا لم يجد الماء ويتيمم ارتكاب لتعسف ظاهر ثم انه على تقدير انه على تقدير اعتبار الشرط المذكور اى لا يبقى فرق بين المسافر والمقيم والنهى عن قربان المساجد حالة السكر نهى عن الصلوة لانها عبادة لا نهى عنها بل نهى عن تركها على ابلغ وجه بطريق الدلالة لان حرمة موضعها لحرمتها ثم ان النهى ليس عن الصلوة لانها عبادة لا نهى عنها بل هو نهى عن الافراط في الشرب في وقت يلزمه اداء الصلوة حالة السكر فما دكر يتطرق

ويتيمم

على سبب النزول دلالة وان لم ينطبق عليه عبارة وهو ما روي ان عبد الرحمن بن عوف
صنع مادبة ودعا نفرا من الصحابة رضي الله عنهم حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا حتى ثملوا
وجاء صلوة المغرب فتقدم احدهم ليصلي بهم فقرا اعبد ما تعبدون فنزلت وقرئ
سكارى بالفتح وسكرى على انه جمع كهلكى ومفرد بمعنى وانتم قوم سكارى وسكرى
كحبلى على انه صفة للجماعة والسكرى السكر وهو الشد حتى تعلموا ما تقولون تبيين ان السكر
المانع هو ان يصير بحال لا يعلم ما يقول ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى اذ الجملة
مع الواو في موضع النصب على الحال والجنب الذي اصابته الجنابة يستوي فيه المذكر والمؤنث
والواحد والجمع لانه يجري مجرى المصدر الا عابري سبيل متعلق بقوله ولا جنبا استثناء
من اعم الاحوال اي لا تقربوا المسجد في عامة الاحوال الا حال العبور او صفة لقوله جنبا
اي جنبا غير عابري سبيل قيل في نزوله ان رجالا من الانصار كانت ابوابهم في المسجد وكانت
تصيبهم جنابة ولا ماء عندهم فيريدون الماء ولا يجدون ممرا الا في المسجد فانزل الله ولا جنبا
الا عابري سبيل واضافة العابر الى السبيل لتخصيص الرخصة بحال الضرورة بان لا يكون له سبيل
الا في المسجد ولهذا قال ابو حنيفة رح لا يجوز له المرور في المسجد الا اذا كان فيه الماء او الطريق حتى
تغتسلوا غاية النهي عن القربان حالة الجنابة والتيمم بدل عنه فذكر الاغتسال يغني عن ذكره
وان كنتم مرضى مرضا يمنعه عن استعمال الماء حقيقة كما اذا لم يكن عنده ماء ولا يقدر على الحركة و
ليس عنده من ياتي به او حكما كما اذا كان مرضه يشتد باستعمال الماء او يمتد او على سفر اي
مسافرين اراد به البعد عن العمران ومواضع الماء ولم يرد به كمال مدة السفر ولا مسافر
يجد الماء ولما ثبت ان الحكم لم يتعلق بعين المرض والسفر بل بمعنى فيهما وهو العجز عن استعمال
الماء وانما علق بهما ظاهرا لان العجز عنده يقع فيهما غالبا ان الحكم كذلك في كل موضع تحقق العجز و
ظهر به صحة قول ابي حنيفة رح في اجازة التيمم للجنابة في المصر اذا عدم الماء الحار وخاف ان يضره
الاغتسال بالماء البارد او جاء احد منكم من الغائط الغائط المكان المطمئن من الارض وكانوا
ياتونه لقضاء الحاجة قبل اتخاذ الكنف في البيوت والمجيء منه كناية عن الحدث ولما كان الاجتماع
في التغوط مندوبا بخلاف التغيط فان المندوب فيه الانفراد غير الاسلوب ولم يقل او جئتم
من الغائط واما قوله او لامستم النساء فعلى طريقة مقابلة الجمع بالجمع ففيه ايضا دعوى ما هو
المندوب وقرئ لمستم اي جامعتم فاجنبتم قال ابن عباس رضي الله عنه الملامسة واللمس والمباشرة
والافضاء كنايات عن الجماع فلم تجدوا ماء حقيقة او حكما كما اذا لم يكن معه دلو او كان للاستعمال
لمانع او يكون في استعماله نوع حرج لضرورة بدن او مال بقي ههنا اشكال وهو ان الجمع بين
الامور المذكورة في الشرط المرتب عليه جزاء واحد وهو الامر بالتيمم عند فقد الماء مع ان سببية
الاولين انما هي للترخص والثالث لوجوب الوضوء والرابع لوجوب الغسل وليس الامر بالتيمم

معنى واحد يعم الكل ووجه صحته هو ان القصد الى الترخص في التيمم بالتراب من وجب عليه
التطهر ولم يجد الماء فقيد عدم الوجدان راجع الى الكل وقيد وجوب التطهر المكنى عنه بالمجيء
من الغائط والملامسة الذين هما من اغلب اسباب وجوب التطهر معتبر في الكل حتى المرضى والمسافرين
وذكرهما تخصيص قبل التعميم بناء على زيادة استحقاقهما للترخيص لغلبة المرض والسفر على سائر
اسباب الرخصة فكانه قيل ان جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء ولم تجدوا ماء خصوصا
المرضى والمسافرين فتيمموا او وجه سببية مضمون الشرط لمضمون الجزاء فتيمموا صعيدا طيبا
التيمم القصد والصعيد وجه الارض والطيب الطاهر ويجوز التيمم بكل ما كان من اجزاء الارض
عند ابي حنيفة رح لو تحجر بالكف ولم يلزق عملا باطلاق النص وعند محمد كذلك لكن اذا لزق بالكف
لقوله في المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي من بعضه وعند ابي يوسف الصعيد هو
التراب والرمل وعند الشافعي هو التراب لا غير والطيب المنبت من الارض عنده والانبت
الطهارة انما هو المعنى الاول وشرط من التبعيضية وهي صحة وضع بعض موضعها منتف ههنا
اذ لو قيل فامسحوا وجوهكم وايديكم بعضه افاد ان المطلوب جعل الصعيد ممسوحا والعضو
وهو فاسد بالاتفاق فامسحوا بوجوهكم وايديكم الى المرافق لانه خلف عن الوضوء فيتقيد بتقدير
الاصل ولانه عم تيمم ومسح يديه الى مرفقيه ومسح الشيء امرار اليد على الشيء تقول مسحت
براسه ومسحت راسه بمعنى ان الله كان عفوا غفورا اشارة الى وجه الترخص والتيسير لان
لان من كانت عادته العفو عن الخاطئين والغفران عن المذنبين فلا يكون متعسرا عن معسر
الم تر الى الذين اوتوا كلمة تعجب عن امر قد بلغ المخاطب فيخرج مخرج التذكير ولم يبلغه
فيخرج مخرج التعليم من رؤية البصر اي الم تنظر اليهم او القلب وتعديته بالى لتضمن معنى الانتهاء
نصيبا حظا وتنكيره يحتمل التعظيم والتحقير من الكتاب اي التورية او جنس الكتب السماوية ومن
للتبعيض والبيان يشترون الضلالة يستبدلون اليهودية التي هم عليها بالهدى الذي هو دين
الاسلام لتمكنهم منه بعد ما تبين لهم من علم الكتاب انه الحق ويريدون ان تضلوا ايها
المؤمنون السبيل سبيل الحق وتنخرطوا في سلكهم والله اعلم منكم باعدائكم اخبر بعداوتهم
وما يريدون بكم لتحذروا اياهم وكفى بالله وليا يلي امركم وكفى بالله نصيرا ينصركم عليهم فثقوا
عليه واكتفوا به عن غيره والباء تزاد في فاعل كفى لتوكيد الاتصال الاسنادي بالاتصال الاضافي
من الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا من الكتاب لانه متناول لليهود والنصارى والجمل
الثلث توسطت بينه وبين المبين على سبيل الاعتراض الاولى للتصريح بما اومي الى سببيه
لان المبالغة في الذين سبب لعداوة والباقيتان تشجيعهم وتقوية قلوبهم في عدم المبالاة
باعدائهم ولذلك كرر وكفى بالله لتقرير معنى كفاية الله عنهم في نفوسهم وان ولاية الله
تعالى بالانفراد كافية لهم كما ان نصرة الله وحده كافية او بيان لاعدائكم وما بينهما اعتراض

حلّه
للزق
خلف فيقدر
فلان يكون

ويجوز ان يكون صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا لقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا
او كلاما مبتداء على ان يحرفون صفة مبتداء محذوف تقديره من الذين قوم يحرفون الكلم اي
يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله تعالى فيها بازالته عنها واثبات غيره فيها او بتأويله
على ما يشتهون فيميلونه عما انزل الله تعالى فيها والكلم والكلمة كالتمر والتمرة على انه اسم جنس
فرق بينه وبين واحده بالتاء لا على انه جمع ولهذا ذكر ضميره واما جمع المواضع فلتكرر
في التورية في مواضع بحسب الجنس وقرئ الكلم بكسر الكاف وسكون اللام على انه جمع كلمة
تخفيف كلمة وتذكير الضمير على هذه القراءة لارادة جنس الكلم ويقولون سمعنا قولك و
عصينا امرك واسمع غير مسمع اي مدعوا عليك بلا سمعت بصمم او موت او اسمع غير مجاب
الى ما تدعوا اليه او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه او اسمع كلاما غير مسمع اياك
لان اذنك ينبو عنه فيكون مفعولا به واما ما قيل واسمع غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه فلانا
اذا سبه فيأباه السياق وقصد كونه على قصد النفاق لا يحتمل السياق لانهم يقولون وعصينا
اظهر للخلاف لا للنفاق وراعنا انظرنا نكلمك وتفهم كلامك ليا بالسنتهم فتلا بها وصرفا
للكلام الى ما يشبه السب حيث وضعوا راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها
وطعنا في الدين كانوا يقولون السام عليك فيحرجونه ويقولون لو لا يعذبنا الله بما نقول
اي لو كان هو على الدين الحق فلما ذا يعذبنا الله بهذا ولو انهم كانوا قالوا سمعنا واطعنا وانظرنا
انهم قالوا فاعل فعل محذوف دل عليه معنى الثبوت والتحقق في ان اي ولو ثبت انهم قالوا بمعنى
ولو ثبت قولهم هذا مكان ما قالوا والضمير المستكن في لكان يرجع الى هذا القول لكان خيرا لهم واقوم
واعدل ولكن لعنهم الله خذلهم وابعدهم عن الهدى بكفرهم بسبب كفرهم فلا يؤمنون الا قليلا
الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وهو الايمان ببعض الكتب والرسل ويجوز ان يراد بالقلة العدم لانه
ذريعة الغالب اي لا يؤمنون الا ايمانا معدوما على طريقة لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى
اي ان كان الايمان المعدوم ايمانا فهم يؤمنون يجدون شيئا من الايمان فهو في المعنى تعليق بالمحال
يكون ما بعد الا موافقا لما قبلها في المعنى ولا يجوز ذلك في الاستثناء وكذا لا يجوز ان يكون المعنى
الا قليلا منهم آمنوا او سيؤمنون لان صحته نسبته عما تقدم فافهم يا ايها الذين اوتوا الكتاب خطاب
لليهود والنصارى آمنوا بما نزلنا وهو القرآن مصدقا لما معكم من الكتاب الذي نزل عليكم
يعني التورية والانجيل متضمنا صفة النبي عم وصحة ما جاء به من قبل ان نطمس وجوها فنردها
على ادبارها من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونجعلها هيئة ادبارها يعني الاقفاء او ننكسها
الى ورائها في الدنيا او في الآخرة واصل الطمس محو الاثر وازالة الاعلام وقد يطلق بمعنى الطمس
في ازالة الصورة ويطلق القلب والتغيير ولذلك معناه من ان نغير وجوها فنسلب
وجاهتها واقبالها ونكسوها الصغار والادبار او نردها حيث جاءت منه وهي اذرعات

الشام يعني اجلاء بني النضير او من قبل ان نطمس وجوها بان نعمي الابصار عن الاعتبار ونصم
الاسماع عن سماع الحق بالطبع ونردها عن الهداية الى الضلالة او نلعنهم كما لعنا اصحاب
السبت نخزيهم بالمسخ كما اخذنا اصحاب السبت او باللعن المتعارف والضمير لاصحاب
الوجوه لان المعنى من قبل ان نطمس وجوه قوم او للذين على طريقة الالتفات او للوجوه ان
اريد الوجهاء وعطفه على الطمس بالمعنى الاول يدل على ان المراد ليس مسخ الصورة في الدنيا
ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة في الدنيا قال انه مترقب او كان وقوعه مشروطا بعدم
ايمانهم وقد آمن بعضهم وكان امر الله بايقاع شيء مفعولا كائنا لا محالة منتظر ابدا وهو النظر
الى المقيد بن بقيد متى لا ابداعه المجرد عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به لانه بت الحكم على
خلود عذابه ويشاركه في الحكم المذكور ما في منزلته وهو ساير وجوه الكفر فان الحكم على خلود
عذابها ايضا قد ثبت ولوجود هذا القسم قال ويغفر ما دون ذلك ولم يقل يغفر غيره مع انه
اخصر واظهر دلالة على ان المراد على تقدير عدم قسم آخر فتدبر والله الهادي الى الرشاد و
انما قال لمن يشاء مع انه معلوم ان المغفرة لا تكون الا بمشيئته للدلالة على انها لا تعم والا شيئا
الى ما دون الشرك بالحقيقة حيث ان المشيئة لا يتعلق بمغفرته اصلا ومن يشرك بالله فقد افترى فقد
ارتكب عظيما اي مفتعلا ما لا يصح كونه اثما عظيما يستحقر دونه الآثام ويجوز ان يكون المعنى
فقد افترى امرا عظيما وذلك الامر لكونه سببا للاثم مبالغة كما عبر بالنار عن موجبها في قوله انما يأكلون
النار وهذا ابلغ وفيه اشارة الى المعنى الفارق بينه وبين ساير الذنوب الم تر الى الذين يزكون
انفسهم بقولهم نحن ابناء الله واحباؤه ولن تمسنا النار الا اياما معدودة وانا نعلم انا
الصغار للتورية فتكفر بذلك ذنوبنا فنصير كاننا لا ذنب لنا وفي عرض على من يزكي نفسه بزينة
الطاعة والتقوى بل الله يزكي بل اضراب من تزكيتهم انفسهم وانما قدم الله على الفعل
للتخصيص اي لا يزكي احد نفسه ولا غيره فانه غير معتبر ولا معتد به اذ لا علم لاحد بما ينطوي
عليه الانسان من حسن وقبيح بل الله خاصة يزكي من يشاء من المرتضين من عباده الذين عرف
منهم الزكاء واصل التزكية نفي ما يستقبح فعلا وقولا ولا يظلمون فتيلا اي ادنى قليل من الظلم
والفتيل وهو ما يفتل من الوسخ عند دلك الاصبع بالاصبع مثل في القلة اي يثابون على زكائهم
ولا ينقص من ثوابهم الموعود شيء انظر كيف يفترون على الله الكذب بقولهم نحن عند الله ازكياء
وكفى به بافترائهم هذا اثما مبينا من جملة آثامهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
قد سبق تفسيره في هذه السورة يؤمنون بالجبت والطاغوت الجبت في الاصل اسم صنم
ثم اطلق على كل ما عبد من دون الله والطاغوت الشيطان وكل رأس في الضلال نزلت في يهود
كانوا يقولون ان عبادة الاصنام ارضى عند الله مما يدعوا اليه محمد ويقولون للذين كفروا
لاجلهم وفيهم هؤلاء اشارة اليهم اهدى من الذين آمنوا حذف المفعول اختصارا بل

احتفادا سبيلا ارشد دينا واقوم طريقا اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له
نصيرا يمنع العذاب عنه بالنصرة والخطاب لكل احد ام لهم نصيب من الملك ام منقطعة و
معنى الهمزة انكار ان يكون لهم نصيب من الملك والتنكير في نصيب للتحقير نفيه حجة على ابلغ وجه
لما زعمت اليهود من ان الملك سيصير اليهم فاذا لا يؤتون الناس نقيرا النقير النقرة في ظهر النواة
ومعنى اذا انه لو كان لهم نصيب من الملك فاذن لا يؤتون احدا مقدار نقير لفرط بخلهم وهذا
هو الاغراق في بيان شحهم فانهم اذا بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنكم بهم اذا كانوا اذلاء
متفاقرين واذن اذا وقع بعد الواو والفاء لا لتشريك مفرد جاز فيه الالغاء والاعمال ولذلك
قرئ لا يؤتوا على النصب ثم انتقل من هذه الخصلة الذميمة الى خصلة اشد منها وهي الحسد فان
البخل منع البخيل وصول خير من نفسه الى الغير والحسد تمني زوال ما اعطى الله تعالى الغير من الخير
فقال ام يحسدون الناس انكار لحسدهم رسول الله صلعم والمؤمنين على ما آتاهم الله تعالى
من النصرة والغلبة وازدياد العز والقوة والتقدم كل يوم واللام في الناس للماهية كأنهم
الناس بالحقيقة وما عداهم من اليهود ليس بالناس على ما آتاهم الله من فضله يعني النبوة
والكتاب والنصرة والاعزاز فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما
الزام لهم بما عرفوه من ايتاء الله تعالى الكتاب والنبوة والملك العظيم آل ابراهيم الذين هم
اسلاف محمد عم وانه ليس ببدع ان يؤتيه الله تعالى مثل ما اوتي اسلافهم فمنهم فمن اليهود
من آمن به بما ذكر من حديث آل ابراهيم ومنهم من صد عنه وانكر مع علمه بصحته او فمنهم من آمن
برسول الله صلعم ومنهم من انكر نبوته او من آل ابراهيم عم من آمن بنبوته ومنهم من كفر فلا تعجب
من كفرهم فان احوال جميع الامم هكذا وذلك تسلية له عم وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعورة
يعذبون بها ان لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما اعد لهم من سعير جهنم ان الذين كفروا
بآياتنا سوف نصليهم نارا كالبيان والتقرير لذلك وتنكير نارا للتعظيم قال سيبويه سوف
كلمة تذكر للتهديد والوعيد وقد تراد ان في الوعيد ايضا كلما نضجت جلودهم اي بلغت الى
حد لا يبقى نوم الاحتراق بدلناهم جلودا غيرها اي اعدنا تلك الجلود غير محترقة قال ابن عباس
يوم تبدل الارض غير الارض تلك الارض لكن بدلت آكامها وجبالها وانهارها واشجارها و
الجملة في محل النصب على الحال من الضمير المنصوب في نصليهم ليذوقوا العذاب ليتجدد لهم ذوق العذاب
ولما كان نار لذائقه اسرع واقوى من تأثر المتألم الاصلي سببا الذوق لادراك الالم مبالغة
في التأثر عن العذاب وقيل يخلق مكانه جلد آخر والعذاب في الحقيقة للنفس العاصية المدركة
لا لآلة ادراكها فلا محذور ان الله كان عزيزا حكيما العزيز القادر الغالب الحكيم الذي لا يفعل
الا الصواب انما قال لانه قد يقع في القلب تعجب من كون الكريم الرحيم يعذب الشخص الضعيف
الى هذا الحد العظيم ابد الاباد فقيل ليس هذا بعجيب لانه القادر على ذلك وكما انه رحيم فهو ايضا

حكيم والحكمة تقتضي ذلك والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات الوعد والوعيد
متعاقبان في الذكر غالبا وقدم الوعيد ههنا لان الكلام في الكفار تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ابدا قد سبق تفسيره لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا صفة مشتقة
من لفظ الظل لتأكيد معناه كما يقال ليل اليل ويوم اليوم وهو ما كان مطلقا لا فرجة فيه ودائما
لا تنسخه الشمس لا حر فيه ولا برد ولما كانت بلاد العرب في غاية الحرارة كان الظل عندهم من
اعظم اسباب الراحة ولهذا جعلوه كناية عن الراحة قال عم السلطان ظل الله في الارض فلا يتجه
السؤال بان يقال اذا لم تكن في الجنة شمس تؤذي بحرها فما فائدة وصفها بالظل الظليل ان
الله يأمركم ان تؤدوا بان تؤدوا الامانات الى اهلها خطاب يعم المكلفين والامانات وان
كان سبب النزول خاصا وهو اخذ رسول الله صلعم مفتاح الكعبة من سادنها ورده اليهم
بعد نزول هذه الآية واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بان تحكموا بالعدل مقابلة الجور و
الانصاف مقابلة الظلم ان الله نعما يعظكم به ما في نعما نكرة موصوفة منصوبة اي نعم شيئا
يعظكم او معرفة موصولة مرفوعة اي نعم الذي يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف اي ذلك
يعني المأمور به من اداء الامانات الى اهلها والحكم بالعدل ان الله كان سميعا باقوالكم واحكامكم
بصيرا بما تعملون في الامانات يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول كرر لفظ
اطيعوا تعظيما لامر الرسول عم ولهذا اي لما ذكر من ان تكريره للتعظيم ترك اعادته في قوله و
اولي الامر منكم فرقا بين المطاعين في التعظيم لما امر الولاة باداء الامانات الى اهلها
والحكم بالعدل امر الناس بان يطيعوهم ويمتثلوا امرهم والمراد بهم امراء المؤمنين القائمون
بالعدل الثابتون على الحق لا امراء الجور على ما سنقف على وجهه فيه وفي قوله منكم تمهيد للرخصة
في المنازعة المفروضة في قوله فان تنازعتم لما كان في الامر بالطاعة لاولي الامر اشعار باشتراط
العدالة وكونهم على الحق وفيما تقدم من قوله واذا حكمتم الآية نوع تمهيد لذلك رتب الشرطية
المذكورة على ما قبله في شيء من امور الدين وامور الدنيا فردوه فراجعوا فيه الى الله الى كتابه
والرسول الى سنته قولية كانت او فعلية او تقريرية هذا بتنظيم حالتي حيوته ومماته ان
كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فان الايمان بالمبدأ والمعاد يوجب ذلك صدر الامر
بطاعة اولي الامر بامرهم بالحكم بالعدل وقد جمعهم مع الله ورسوله في العطف وخصصهم بقوله
منكم وذيله بالامر بالرجوع الى الكتاب والسنة فيما اشكل واختلف فيه اعلاما بان طاعة
المتغلبة من امراء الجور الذين هم على خلاف ذلك ليست بواجبة بل الواجب مخالفتهم وعصيانهم
فيما لا يطابق الكتاب والسنة من احكامهم واحتج بالآية المذكورة منكروا القياس حيث حصر
المرجع اليه في الكتاب والسنة ولم يذكر القياس لكنها حجة عليهم لا لهم لانه تعالى اوجب في كل
متنازع فيه الرد اليهما ولا يوجد في كل حادثة نص ظاهر فعلم انه امر بالنظر في مودعاته والعمل

بعد لو لانه ومقتضياته ذلك خير لكم واحسن تاويلا عاقبة الم تر الى الذين يزعمون انهم
امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت عن ابن عباس رض
ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي عم ودعا المنافق الى كعب بن الاشرف
ثم انهما احتكما الى رسول الله صلعم فلم يرض بقضائه وخاصم اليك فقال عمر رض للمنافق اكذلك
قال نعم فقال لهما مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاخذ سيفه ثم خرج فضرب عنق المنافق
وقال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء رسول الله صلعم فنزلت وقال جبريل عم ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمي
بذلك لفرط طغيانه وتشبيهه بالشيطان من حيث انه الحامل عليه كما قال وقد امروا ان يكفروا
به وقرئ بها على ان الطاغوت جمع كقوله اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم ويريد الشيطان
ان يضلهم ضلالا بعيدا قيل ظاهر الآية يدل على ان كان المخاصم منافقا من اهل الكتاب كان
يظهر الاسلام على سبيل النفاق لان قوله يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك
انما يليق بمثل هذا المنافق واما صيغة الجمع فلعلها اندرج امثاله فيما ذكرنا انهم في
صدد ذلك وان لم يظهر منهم واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول لما بين
رغبتهم في التحاكم الى الطاغوت بين هنا رغبتهم عن التحاكم الى الرسول عم وقد سبق الكلام
في تعالوا في سورة آل عمران رايت المنافقين يصدون عنك في موضع الحال صدودا اي يعرضون
عنك اعراضا فكيف يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة كقتل عمر رض المنافق او النقمة من الله بما
قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك وعدم الرضاء بحكمك ثم جاؤك عطف على اصابتهم بعد [illegible]
جاؤك للاعتذار او على يصدون وما بينهما اعتراض يحلفون بالله حال ان اردنا الا احسانا و
توفيقا ما اردنا بذلك الا الفصل بالوجه الاحسن والتوفيق بين الخصمين وقيل جاء اصحاب
القتيل طالبين بدمه وقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر رض الا ان يحسن الى صاحبنا ويوفق بينه
وبين خصمه اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق فلا يغني عنهم الكتمان والحلف الكاذب
من العقاب فاعرض عنهم اي عن عقابهم في الدنيا لمصلحة في استبقائهم وعن قبول معذرتهم
وعظهم بلسانك وكفهم عما هم عليه وهذه المخاطبة لا تنافي الاعراض عن المعاتبة وقل لهم
في انفسهم فيما يحل بهم من العذاب ان لم يرجعوا او ما يصل اليهم من الثواب ان رجعوا قولا
بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم امره بالتجافي عن معاتبتهم والنصح لهم والمبالغة فيه بالترهيب
والترغيب كما هو مقتضى شفقة الانبياء عليهم السلام وتعلق الظرف ببليغا على معنى بليغا
في انفسهم مؤثرا لتجويز على اصل الكوفيين خلافا للبصريين وما ارسلنا من رسول الا
ليطاع باذن الله بتيسيره وتوفيقه لطاعته اذ بسبب اذن الله في طاعته اي بامره المبعوث
اليهم ان يطيعوه لانه مبلغ عن الله وخليفته فطاعته طاعة الله تعالى لما امر النبي عم
بوعظهم وابلاغ القول فيهم امرهم بطاعته فيما امروا تعاظهم بالوعظ ولا دلالة فيه

على ان من لم يطعه ولم يرض بحكمه كان كافرا مستوجبا للقتل فان الكفر لا يستوجب القتل
البتة كيف والذمي والمستامن كافران ولا يجب قتلهما ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالتحاكم الى
الطاغوت جاؤك تائبين منه وهو خبر ان واذ متعلق به فاستغفروا الله مخلصين له
معتذرين اليك مما ارتكبوه من رد قضائك حتى يستغفر لهم ولما كان تحاكمهم الى الطاغوت
اساءة على الرسول عم وادخالا للغم في قلبه لزمهم الاعتذار له عم وطلب الاستغفار منه
وانما قال واستغفر لهم الرسول على طريقة الالتفات تعظيما لشانه تنبيها لاستغفاره وتنبيها
على انه من كان رسول الله فاستغفاره وشفاعته من الله بمكان واما قبول عذر التائب
فلا دخل فيه لوصف الرسالة فلا وجه للتنبيه عليه بالالتفات لوجدوا الله توابا رحيما فانه تاب عليهم
متفضلا عليهم بالرحمة توابا حال ورحيما بدل منه او حال من الضمير فيه فلا وربك اي فوربك ولا
مزيدة لتاكيد القسم لا لتظاهر لا في قوله لا يؤمنون لانها تزاد ايضا في الاثبات كقوله لا اقسم
بهذا البلد وفي اضافته نفسه اليه عم في القسم رفع قدره حتى يحكموك غاية متعلقة بقوله لا
يؤمنون فيما شجر فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه واختلافها في الجهات
ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا ضيقا مما قضيت مما حكمت به او من حكمك وانما قال ثم لان المحتمل
الغالب وجدان ذلك بعد زمان ويسلموا تسليما وينقادوا انقيادا بظاهرهم وباطنهم
ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم ان مصدرية او مفسرة لان كتبنا في معنى امرنا او اخرجوا
من دياركم اي لو اوجبنا عليهم مثل ما اوجبنا على بني اسرائيل حين استتبناهم من عبادة العجل
من قتلهم انفسهم واخراجهم من ديارهم ما فعلوه الضمير للمكتوب الذي دل عليه كتبنا الا قليل
قوم قليل منهم وهم المخلصون وهذا توبيخ بليغ لهم لما يتبين ان ايمانهم لا يتم الا بان يسلموا حق
التسليم بنية على قصور اكثرهم ووهن اسلامهم وقرئ بالنصب على الاستثناء او على الا فعلا
قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من متابعة الرسول ومطاوعته في اوامره ونواهيه
بلا اعتراض وشبهة في انفسهم لكان خيرا لهم في عاجلهم وآجلهم واشد تثبيتا لايمانهم
وانفسهم وابعد اضطرابا ونصبه على التمييز وهذه الآية نزلت في شان المنافق واليهود
وقيل غير ذلك واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما جواب لسوال مقدر وجزاء محذوف
معطوف على الجملة الشرطية قبلها اي ولو تثبتوا لاتيناهم وفي قوله من لدنا الدال على انه
على سبيل التفضل دفع لذهاب الوهم من الاجر الى معناه الحقيقي فان الثواب لكونه
موعودا للعمل نزل منزلة الاجرة ولهديناهم صراطا مستقيما اي وفقنا لطريق
التوحيد وزيادة الخيرات والاستقامة في الاحوال ومن يطع الله والرسول فاولئك
مع الذين انعم الله عليهم مزيد ترغيب في الطاعة بالوعد عليها مرافقة اكرم الخلائق
واعظمهم قدرا من النبيين بيان للذين حال منه او من ضميره والصديقين هم الصادقون

في اقوالهم واعمالهم ونياتهم واحوالهم المتقدمون لغاية الصدق في تصديق
الانبياء من افاضل اصحابهم والشهداء الباذلون للارواح لله تع لغاية حضورهم
وشهودهم له والصالحين هم اهل الاستقامة الى الله تع بالاعمال المقربة او في الله بالتخلق
بالخلاق والاتصاف بصفاته وليس المراد بالمعية المعية في الدرجة فان ذلك غير ممكن بل
المعنى ان الارواح الناقصة اذا استكملت علاقتها مع الارواح الكاملة في الدنيا بقيت
بعد المفارقة تلك العلائق فينعكس الشعاع من بعضها على بعض فتصير انوارها في غاية القوة
وحسن اولئك رفيقا بمعنى التعجب كانه قيل وما احسن اولئك رفيقا منصوب على التمييز
ولذلك لم يجمع اذ لم تقصد الانواع ويجوز ان ينتصب على الحال ذلك اشارة قصد بها التعظيم
الفضل صفته من الله خبره او الفضل خبر ومن الله حال والعامل فيه معنى الاشارة وفيه تنبيه
على ان ما اعطى المطيعون من الاجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم فضل خاص منه تع لا عدل بعد
باذاء طاعاتهم بل مزيد عليه من عنده وتفضل به عليهم تكملة لثوابهم واكراما لهم وكفى بالله
عليما بجزاء من اطاعه لعلمه باحواله وما يقتضي هذا الفضل من استعدادهم بحسب العناية
الاولى في حقهم فهو يوفقهم على حسب تلك العناية يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم اي تحذروا
واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من انفسكم كانهم امروا بان يجعلوا الحذر آلتهم التي تقون
بها انفسهم ويعصمون بها ارواحهم والحذر والحذر بمعنى كالاثر والاثر يقال اخذ حذره
اذا تيقظ واحترز من المخوف فانفروا يقال نفر القوم اذا نهضوا لقتال عدوهم وخرجوا
للحرب ثبات نصب على الحال اي جماعات متفرقة سرية بعد سرية جمع ثبة من ثبت على الرجل
اذا اثنيت عليه كانك جمعت محاسنه او انفروا جميعا مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتفرقوا
وتتخاذلوا فتلقوا بايديكم الى التهلكة والآية نزلت في الحرب ولا دلالة في لفظها الى وجوب المبادرة
الى الخيرات كلها وان منكم لمن ليبطئن الخطاب لعسكر الرسول صلعم المؤمنين منهم والمنافقين
والمبطئون منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد من بطأ بمعنى ابطأ وهو لازم او بطأ
غيره كما فعل ابن ابي يوم احد واللام الاولى للابتداء دخلت اسم ان للفصل بالخبر والثانية
جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه ما استكن في ليبطئن والتقدير
وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن ووجه التاكيد لتحقيق حال المنافقين وانهم على خلاف
ما يظهرون من الايمان وان اصابتكم مصيبة من قتل وهزيمة قال اي المبطئ قد انعم الله علي اذ لم
اكن معهم شهيدا حاضرا فيصيبني ما اصابهم واذ لم اكن ظرف ناصبه انعم بمعنى من
ولئن اصابكم فضل من الله من الفتح والغنيمة ليقولن ذلك المنافق اكد لفظ تحسره وقرئ
بضم اللام اعادة للضمير الى معنى من لانه في معنى الجماعة كان لم تكن بينكم وبينه مودة
اعتراض بينه وبين مفعوله وهو يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما حكى الله سرور

المنافقين عند نكبة المسلمين ثم اراد ان يحكي حزنه عند دولتهم بسبب فوات الغنيمة فقيل
ان يذكر الكلام بتمامه الحق هذا القول في البين للتعجب كانه يقول انظروا الى ما يقوله هذا
المنافق كان لم يكن بينكم وبينه مودة ومخالطة اصلا والذي حسن موقع الاعتراض كون
ما بعدها فاصلة وهي ليست بفاصلة او حال من الضمير في ليقولن او داخل في المقول اي يقول
المبطئ لمن يثبطه من المنافقين وضعفة المسلمين تضريبا وحسدا كان لم يكن بينكم وبين محمد عم
مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز يا ليتني كنت معهم وكان مخففة من الثقيلة
واسمها ضمير الشان وهو محذوف وقرئ تكن بالتاء لتانيث لفظ المودة والمنادى في يا
ليتني محذوف اي يا قوم وقيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع فافوز نصب على جواب التمني
وقرئ بالرفع على تقدير فانا افوز في ذلك الوقت او العطف على كنت معهم لتندرج الفوز
مع الكون معهم في حكم التمني فيكونا متمنيين جميعا فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون
الحيوة الدنيا بالآخرة ان جعل يشرون بمعنى يبيعون فالامر للمؤمنين اي ان صد هؤلاء
المبطئون عن القتال فليقاتل الثابتون في الايمان المخلصون الذين يستحبون الآخرة
على الدنيا ويستبدلونها بها وان جعل بمعنى يشترون فالامر للمبطئين الذين يشترون
الحيوة الدنيا بالآخرة وعظوا بان يغيروا نياتهم وما بهم من النفاق ويخلصون الايمان
بالله ورسوله ويجاهدوا في سبيل الله فالفاء على الاول جواب شرط مقدر وعلى الثاني
للتعقيب يعني ينبغي ان يعقبوا ما صدر عنهم من التثبط عن القتال والثبات على النفاق
بالتحريض على القتال ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب لم يقل فيغلب او يقتل لئلا
يندرج في الاول الفار من الزحف ولا اجر له ولم يقل فيقتل او يقتل للتنبيه على انه يستحق الاجر
بالغلبة قتل او لم يقتل وعلى ان حقه ان لا يقصد بالذات الى القتل بل الى اعلاء الحق واعزاز
الدين وتقديم الاول للدلالة على انه اولى واحق بالاجر والاقتصار عليهما للتنبيه على ان
حق المجاهد ان يثبت في المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة او الدين بالظفر والغلبة فسوف نؤتيه
اجرا عظيما قيل وعد الاجر على قتل وغلب ترغيبا للقتال وتكذيبا لقوله قد انعم الله علي اذ لم
اكن معهم شهيدا وفيه انه لم يصب في قوله غلب على ما نبهت عليه آنفا وكذا في قوله وتكذيبا
لان مراد ذلك المنافق من القول المذكور مطابق للواقع وما لكم مبتدا وخبر لا تقاتلون
في سبيل الله حال والعامل فيها ما في الظرف من معنى الفعل والمستضعفين مجرور عطف على سبيل
الله اي وفي خلاص المستضعفين فان سبيل الله عام في كل خير ومن اعظم الخيرات خلاصهم
من ايدي الكفار وهم الذين اسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين اظهرهم مستذلين
من الرجال والنساء والولدان جعل الولدان من جملة المستضعفين تسجيلا على الظلمة بافراط
الظلم حتى بلغ اذاهم الصبيان ارغاما وايذاء لآبائهم ومبغضة وابلاء لهم ويجوز ان يكون

يعز نفسه

ذكر الولدان مع المستضعفين لاشتراكهم الاطفال في الدعاء استرحاما من الله تع بدعاء
الصغار الذين لم يذنبوا ويجوز ان يراد بالرجال والنساء الاحرار والحرائر والولدان
العبيد والاماء لان العبد يدعى بالوليد فغلب الذكر واطلق عليهما الولدان كما يقال
الولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها اراد والتوصيف
التنبيه على ان طلبهم الخروج منها لظلم اهلها والا فهى وطنهم واشرف البقاع لا يريدون
الخروج منها بلا اضطرار ولما كان المراد من القرية مكة شرفها الله تع تجنبوا عن المبالغة في ظلم
اهلها بنسبة الظلم الى القرية ولم يسلكوا مسلك قوله وكاين من قرية عتت وكم اهلكنا من قرية
بطرت واجعل لنا من لدنك وليا وهب لنا من عندك من يتولى كفايتنا واجعل لنا من لدنك نصيرا
من ينصرنا ويمنعنا من عدونا فاستجاب الله تع دعاءهم جعل رسول الله صلعم وليهم وعتاب
ابن اسيد ناصرهم قال عطا فكان يستنقذ واحدا منهم ويبعثه على يد مرثد بن مرثد الى الاب
الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله فيما يصلون به الى الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل
الطاغوت فيما يبلغ بهم الى الشيطان فقاتلوا اولياء الشيطان لما حرضهم على القتال في سبيل الله
وفي خلاص المستضعفين شجعهم ورغبهم فيه ترغيبا باخبارهم انهم انما يقاتلون في سبيل
فالله وليهم وناصرهم والكفار في سبيل الشيطان فلا ولي لهم الا الشيطان ان كيد الشيطان
كان ضعيفا اي كيده للمؤمنين في جنب كيد الله تع للكافرين اضعف شيء واوهنه فلا تخافوا
اولياءه الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم عن القتال واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واشتغلوا
بما امرتم به فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس على ما طبع عليه البشر من الجبن
وذلك ان المسلمين كانوا بمكة مكفوفين عن القتال وكانوا يتمنون ان يؤذن لهم فيه فلما
كتب عليهم القتال بالمدينة احجم فريق منهم خوفا من الموت وضنة بالارواح وجبنا عن
الاخطار بها لا ريبة في الدين اذا للمفاجاة جيء بها في جواب الشرط مع الجملة الاسمية بدل الفاء
وفريق مبتدا تخصص بالصفة وهي منهم خبره يخشون كخشية الله موضع النصب صفة للمصدر
المحذوف اي خشية مثل خشية الله فهي مضافة الى المفعول او على الحال من ضمير يخشون مثل اهل
خشية الله منه او اشد خشية نصب عطفا على المصدر اي خشية خشية الله او خشية اشد
خشية من خشية الله على ان الخشية خاشية او جر عطفا على خشية الله اي كخشية الله او كخشية
اشد خشية من خشية الله او على الله على ان الخشية من الفعل المبني للمفعول اي كخشية الله او خشية
ومن اشد في كونه مخشيا من الله كما ذكر في اشد ذكرا او نصب على العطف في محل الكاف
والخشية في الاصل الخوف مع تعظيم المخوف منه والمراد هنا المبالغة في الخوف وكلمة او للتنويع لانه على
تفاوته في الخشية فان خشية بعضهم كان مثل خشية الله تعالى وخشية بعضهم كان اشد منها
وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال هذا المقام لا يناسب حال الصحابي الراسخ قدمه في الايمان

ناصرهم

المنشرح جنانه بالاسلام الذي يرى الوصول الى الدار الآجلة خيرا من القرار في الدار العاجلة
ولهذا قيل انهم المنافقون والتاويل بانهم ما نطقوا به ولكنهم قالوا في انفسهم فحكى الله
عنهم مع انه بعيد لم يعهد مثله في القران لا يجدي نفعا لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في
مدة الكف عن القتال حذرا عن الموت كانهم حسبوا القتال قتلا فتمنوا تاخير الاجل وهذا
اية غاية جبنهم قل متاع الدنيا قليل سريع التقضي والآخرة خير لمن اتقى اي المعاصي ولا تظلمون
فتيلا شيئا يسيرا من فضل على الاول فقد قصر بالنقص عن الثواب الموعود ولا بالزيادة على العقاب
المعهود وقد تقدم تفسير الفتيل وفيه ترغيب في التحمل على مشاق القتال وترهيب عن مخالفة الامتثال
لامر الجهاد وقرئ لا يظلمون لتقدم الغيبة اينما تكونوا يدرككم الموت اي لا خلاص لكم من الموت
والجهاد موت يستعقبه سعادة اخروية فاذا كان لا بد من الموت فالموت في سبيل الله تع اولى
وقرئ يدرككم بالرفع على حذف الفاء كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها او على انه كلام مبتدا
واينما متصل بلا تظلمون وعلى هذا اين ظرف مكان لا اسم شرط وانتفاء الظلم ينتظم الدارين
ولو كنتم في بروج مشيدة في قصور او حصون مرتفعة والبروج في الاصل بيت على طرف القصر
واصل البروج الظهور ومنه تبرجت المراة اذا اظهرت محاسنها وقرئ مشيدة ووصفها بوصف
فاعلها كقولهم شعر شاعر ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه وان تصبهم حسنة نعمة كخصب
يقولوا هذه من عند الله اي نسبوها اليه تعالى نسبة مجردة عن توسط كسب العبد وان
تصبهم سيئة بلية كقحط الحسنة والسيئة كما يقعان على الطاعة والمعصية كذلك يقعان على
النعمة والبلية يقولوا هذه من عندك اي اضافوها اليك وقالوا ان هي الا بشؤمك كما قالت
اليهود منذ دخل محمد صلعم المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها قل كل من عند الله بتقدير
الله تع واقع على حسب سنته في خلقه قال الله تع وبلوناهم بالحسنات والسيئات وقال وما ارسلنا
في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالباساء والضراء لعلهم يتضرعون ولما كان هذا تفصيل ذلك المجمل
المنزل ظهر حسن موقع الفاء في قوله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا يوعظون
به وهو القران وتنكيره للتعظيم والتنبيه على انه لا حاجة الى الاشارة عند الاطلاق وما عده
الحاذق في نفي المقاربة وهو ابلغ من نفي الفعل ما اصابك خاطب النبي تع م ليعلم حال ما اصاب غيره
بطريق الدلالة من حسنة من نعمة فمن الله تفضلا منه فان كل ما يفعله الانسان من الطاعة
لا يكافي نعمة الوجود فكيف يقتضي غيره وما اصابك من سيئة من بلية فمن نفسك يعني هو وان
كان من عند الله باعتبار الايجاد والفاعلية لكن السبب القابل المقتضي لذلك فعلك واجتنابك
فهو من عندك وبما كسبت يداك واسند عليك بما انزلت بك كقوله وما اصابكم من مصيبة
فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير لما نسبوا النعمة الى الله والبلية الى النبي صلعم على ما زعموا
فتمام الرد عند قوله فمن نفسك وارسلناك للناس جميعا لا للعرب خاصة كما زعمه بعض المنكرين وعد

المعنى مستفاد من ذكر اسم الجنس بما عدة المقام رسولا حال قصد بها التأكيد ويجوز نصبه على
المصدر كقوله ولا خارجا في زور كلام ولا يجوز تعلق الجار بها لانه يوهم منه اختصاص رسالته
بجنس الأناسي وكفى بالله شهيدا على ذلك بنصب المعجزة فوجب على الكل طاعتك واتباعك ولهذا
قال من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه في الحقيقة مبلغ والآمر هو الله تع لانه لا ينتظم طاعته في
غير الاحكام الشرعية بل لانه ارسله وامر بطاعته والعدول عن الضمير الى المظهر للاشعار بترتب ايجاب
الطاعة على وصف الرسالة وروي انه عم قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع
الله فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذ النصارى
عيسى فنزلت ومن تولى اي عن طاعته حذف جزاؤه وهو فاعرض عنه واوقع ما هو سبب له موقعه
بقيل فما ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها انما عليك البلاغ وعلينا
الحساب وهو حال من الكاف ويقولون اذا امرتهم امرا ونهيتهم عن شيء طاعة اي امرنا طاعة اي منك
واصلها النصب على المصدر والعدول الى الرفع للدلالة على الدوام والثبات فاذا برزوا
خرجوا من عندك اي غابوا عنك والفاء للدلالة على عدم التراخي بين قولهم الموافق و
فعلهم بيت طائفة منهم اي زورت وسوّرت غير الذي تقول خلاف ما قلت لها او ما قالت
لك من القبول وضمان الطاعة والتبييت اما من البيتوتة لان الامور تدبر بالليل او من بيت
المبنى لانه يسوى ويدبر وقرئ بيت طائفة بالادغام لقربهما في المخرج والله يكتب ما يبيتون
ويعدلهم اي يثبت في صحائف اعمالهم ويجازيهم عليه او يكتب في جملة ما يوحي اليك فيطلعك عليه
فلا يغني عنهم اسرارهم فاعرض عنهم ولا تشتغل بالانتقام منهم وتوكل على الله في الامور كلها
سيما في شأنهم وكفى بالله وكيلا لمن توكل عليه فهو الدافع كيدهم عنك والمنتقم منهم لك افلا
يتدبرون القرآن الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف اي ايعرضون عن القرآن فلا يتدبرونه
لانهم لو تدبروه حق التدبر لم يكن لهم شك في توافق معناه وتناسق نظمه والتدبر اثارة المعنى
بغوص الافكار واستخراج جواهر المعاني بدقائق الاعتبار وهو في الاصل النظر في ادبار الامر اي عواقبه
ثم استعمل في كل تامل ونظر سواء كان في حقيقة الشيء واجزائه او سوابقه واسبابه او لواحقه واعقابه
وفيه باعتبار اصله وفيه اشارة الى ان في مقاطعة الكلام مظان الطعن في بادي الرأي الخ تزول
عند التامل وتوفيق النظر والواو في قوله ولو كان من عند غير الله للحال وغير الله يتنظم الجن والملك
وفيه دلالة على انه كلام الله تع واما اعجازه فالثابت به انه ليس من كلام البشر ولا يلزم منه ان يكون
كلام الله تع لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من جهة فصاحة اللفظ وبلاغة النظم وصحة المعنى لان الخطيب
الفصيح البليغ اذا كثر كلامه اختل نظامه واختلفت اقسامه خصوصا اذا تطاولت في تفاوت
كلامه اياه لنقصان قد تتبع على خالق القوى والقدر وما يوجد من الاختلاف في الاحكام ليس
للاختلاف لاصالة في الحكم لا للتناقض في الحكم واذا جاءهم امر من الامن او الخوف من للبيان وبيان

الأناسي

اختلفت

عند

الامر بمجموع الامن والخوف اي ما يوجبهما لا باحدهما على سبيل البدل فكلمة او للتنويع
لا المنع للجمع اذاعوا به فعلوا الاذاعة به وهو ابلغ من اذاعوه للدلالة على انه يوجد
نفس الحقيقة كما في كلمة يعطي ويمنع لما فيه من الابهام والتفسير والاذاعة الاشاعة والافشاء
كان يفعله قوم من ضعفة المسلمين اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلعم واخبرهم
الرسول عم بما اوحي اليه من ظفر بالعدو او تخويف من الكفرة اذاعوا به لعدم حزمهم وكان
فيه مفسدة ولو ردوه اي الامر الى الرسول اي لم يحدثوا به حتى يكون النبي عم هو الذي
يحدث به والى اولي الامر منهم وهو كبار الصحابة من البصراء بالامور وامراء السرايا العلمية
[illegible] يذكر الذين يستنبطونه منهم يستخرجون تدبيره بتجاربهم وانظارهم واصل
الاستنباط اخراج النبط وهو الماء الذي يخرج من البئر اول ما تحفر وقيل كانوا يسمعون
اراجيف المنافقين فيذيعونها فتعود وبالا على المسلمين ولو ردوه الى الرسول والى اولي
الامر يستخرجون علمه من جهتهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته ايها الرسول والمؤمنون
بما انزل من الهدى واظهر من كيد الشيطان والمنافقين لاتبعتم الشيطان ودمتم على
الكف عن القتال والاصغاء الى المنافقين من المثبطين الا قليلا منهم رسول الله صلعم واصحابه
صلوات الله عليهم اجمعين والمستنبطين وفيه تحريك من حمية الضعفة مع لطف واحماد وطال
الاقرباء ثم قال فقاتل في سبيل الله اي فاذا كان الامر كذلك من انك وثبت الفضل والرحمة
مع ما وقعت له من سابقة القدم في التجنب عن اتباع الشيطان فاثبت في سبيل الله واعلاء كلمة الحق
ولا تبال بكيد المنافقين واتخذ ذلهم الضعفاء وما يحصل من مفسدة الاذاعة فانه لا يسر كحد لان
خاذل قوي او ضعيف فالله ناصرك لا الجنود باحلال باسه بمن يعاديك لا تكلف الا نفسك
على الحق فاعل فقاتل اي غير مكلف الا نفسك وحدها يعني لا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم فتقدم
الى الجهاد وان لم يساعدك احد فان الله ناصرك لا الجنود روي انه عم دعا الناس في بدر الصغرى
الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج وما معه الا سبعون لم يلو على احد وقرئ لا تكلف
بالجزم ولا نكلف بالنون على بناء الفاعل اي لا نكلفك الا فعل نفسك لا انا لا نكلف احدا الا
نفسه لقوله وحرض المؤمنين على القتال وما عليك في شأنهم الا التحريض فحسب لا التعنيف بهم عسى الله
ان يكف باس الذين كفروا اي كفار قريش وقد كف وقد بدا لابي سفيان وقال هذا
عام مجدب فرجع بهم والله اشد باسا من قريش واشد تنكيلا تعذيبا منهم وفيه
تقريع لمن لم يتبعه من يشفع شفاعة حسنة هي التي روعي بها حق مسلم ودفع عنه شرا او
جلب بها اليه خيرا لا بحد من حدود الله او حق من حقوقه طلبا لرضاء الله تع لا لغرض من اغراض
الدنيا والسيئة بخلاف ذلك يكن له نصيب منها وهو ثواب الشفاعة والتسبب الى الخير
الواقع بها وقيل الشفاعة الحسنة هي الدعوة للمسلم لانها في معنى الشفاعة الى الله تعالى وعن

النبي صلعم من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك لنصب الدعوة على المسلم بضد ذلك ومن يشفع شفاعة يكن له كفل منها نصيب منه وزر مما ساوله في العذر وكان الله على كل شيء مقيتا مقتدرا من اقات على الشيء اذا قدر عليه او شهيدا حافظا من القوت فانه يقوى البدن ويحفظ واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها الجمهور على انه في السلام ويدل على وجوب الجواب اما باحسن منه وهو ان يزيد عليه ورحمة الله فان قاله المسلم زاد وبركاته وهي النهاية وذلك لاجتماعه اقسام مطالب السلامة عن المضار وحصول المنافع وثباتها او بردها بان يقول ان ابلغ المسلم نهايته لما روى ان رجلا قال لرسول الله صلعم السلام عليك قال وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال انتقصتني فاين ما قال الله وتلا الآية فقال ثم انك لم تترك لي فضلا فرددت مثله فكلمة او للتنويع لا للتخيير لما عرفت ان كلا من الزيادة ورد المثل مشروط بشرط ينافي شرط الآخر فلا يجتمعان وايضا التخيير بين امرين احدهما ايسر من الآخر لا يكون على وجه الوجوب على ما تقرر في موضعه وهذا الوجوب على الكفاية وجنس السلام مشروع فلا يرد في الخطبة وقراءة القرآن وفي الحمام وعند قضاء الحاجة والتحية تفعلة من حيي يحيي تحية وكانت تحية العرب عند اللقاء حياك الله اي طال الله حياتك ونقل ذلك في الاسلام الى السلام وبقي الاسم كذلك ان الله كان على كل شيء حسيبا يحاسبكم على التحية وغيرها الله مبتدا لا اله الا هو خبر او اعتراض والخبر ليجمعنكم اخبر بجمعه العالم في يوم القيمة للمجازاة وانما قال الى يوم القيمة تنبيها على ان جمعهم بطريق الحشر والقيام والقيمة كالطلاب والطلابة وهي قيام الناس من قبورهم او للحساب لا ريب فيه في اليوم او في الجمع فهو حال من اليوم او صفة للمصدر ولما ذكر الجمع عليه اردفه بقوله ومن اصدق اي لا احد اصدق من الله حديثا فانه لا يتطرق الكذب الى خبره بوجه لانه نقص ينافي الالوهية فما لكم الفاء للترتيب على ما فهم مما تقدم من اي ما نزل في حق المنافقين وبيان احوالهم حق مطابق للواقع في المنافقين فئتين اي فما لكم تفرقتم في امر المنافقين فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم الذي نطق به المنزل وذلك ان ناسا منهم استاذنوا رسول الله صلعم في الخروج الى البدو واجتووا المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في اسلامهم وقيل غير ذلك وفئتين نصب على الحال من الضمير في ما لكم والعامل ما في الظرف من معنى الاستقرار كقولك ما لك قائما وفي المنافقين حال من فئتين اي متفرقين فيهم او من الضمير اي فما لكم تفترقون فيهم ومعنى الافتراق مستفاد من فئتين والله اركسهم ردهم في حكم المشركين اصل الركس رد الشيء مقلوبا بما كسبوا من لحوقهم واحتيالهم على رسول الله صلعم او ردهم في الكفر بسبب مرض قلوبهم وسوء عقيدتهم جملة اعتراضية منبهة لوجوب

اتفاق المؤمنين على نفاقهم رافعة لاختلافهم في ذلك مقتضية لمعنى الانكار الذي في ما الاستفهامية او له حال مبنية اتريدون ان تهدوا الى الحق من اضل الله عن طريق الحق معنى الهمزة الانكار ارادتهم هداية من اضل الله تع لكونه مستحيلا ولذلك قال ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا اي الى الاهتداء او لن تجد لهدايته سبيلا لاستحالة وقوع ما اراد خلافه تقديرا لانكار ارادتهم المتعلقة بالمحال ودوا لو تكفرون كما كفروا تمنوا راغبين في ان تكفروا كفرهم اكد وداد منهم لكفرهم بلو وبقوله كما كفروا اي لما يرضون بانفكاكم الكفر بل تمنوا لكم كفرا بالغا اصيلا راسخا مثل كفرهم ثم بالغ في ذلك بقوله فتكونون سواء لا تخرج كفرهم عطف على تكفرون اي ودوا كفركم وكونكم مستوين معكم في الضلال ويجوز نصبه على جواب التمني فلا تتخذوا منهم اولياء فلا توالوهم وان اظهروا الايمان حتى يهاجروا في سبيل الله حتى يظاهروا الايمان بهجرة صحيحة في سبيل الله بنية صادقة لله ولرسوله لا لغرض من اغراض الدنيا وسبيل الله ما امر بسلوكه فان تولوا فان اعرضوا عن الهجرة المستقيمة التي تصدق ايمانهم فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم اي فحكمهم حكم ساير المشركين في وجوب قتلهم حيث وجدوا في الحل والحرم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا اي وان بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوهم وجانبوهم مجانبة كلية الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم اي الا الذين يتصلون وينتهون الى قوم عاهدوكم ويفارقون محاربتكم فانهم في حكمهم في الميثاق وهم من وادع رسول الله صلعم وقت خروجه الى مكة على ان لا يعينوه ولا يعينوا عليه ومن لجأ اليهم فله من الجوار مثل ما لهم او جاؤكم عطف على صلة الموصول اي او الذين جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى عن المامور بالاخذ والقتل من ترك المحاربين ولحق المعاهدين ومن جاء المؤمنين وكف عن قتالهم الفريقين على صفة قوم لان الاستثناء بدل بان سبب ترك التعرض لهم امران احدهما الاتصال بالمعاهدين والآخر الاتصال بالكافين عن القتال ان كان العطف على الصفة ونفس الكف عن القتال ان كان العطف على الصلة وقوله وان اعتزلوكم يرشد الى انه الكف وقرئ بغير العاطف على انه بيان ليصلون او بدل او استيناف حصرت صدورهم في موضع الحال باضمار قد ويدل عليه قراءة حصرة صدورهم وحصرات صدورهم وقيل بيان لجاؤكم وهم بنو مدلج جاؤا الى رسول الله صلعم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم عن ان يقاتلوا صلة لحصرت او كراهة ان يقاتلوكم مفعول له ولو شاء الله لسلطهم عليكم اي ولو شاء الله ان يبتليكم بهم لا بتلاكم بتسليطهم عليكم وهذا بيان القدرة ولا يلزمه الموافقة للحكمة فانها تستتبع الوقوع دون القدرة فلقاتلوكم ولم يكفوا عنكم فان اعتزلوكم

فلم يقاتلوكم فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم الاستسلام والانقياد فما جعل الله
لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم في قتلهم واخذهم ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوا
قومهم هم اسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار اتوا المدينة واظهروا الاسلام فلما رجعوا
كفروا كلما ردوا الى الفتنة كلما دعاهم قومهم الى قتال المسلمين اركسوا فيها ذوا فيها وقلبوا
اخبث قلب واشنعه اضمهم الكفر الى الغدر ونقض العهد فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم
السلم الاستسلام والانقياد ويكفوا ايديهم عن قتالكم كلاهما معطوفان على يعتزلوكم
في حكم الجزم بلم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم لانهم لم يكفوا
ايديهم عن القتال واولئكم اشارة الى الموصوفين بدوام نقض العهد والخيانة مرة
بعد اخرى في جميع الاوقات انما يتحقق تسليط الله تع اياكم عليهم واظهاركم بالحجة بهذه
الصفات جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة في التعرض لهم بالقتل والسبي لظهور
حالهم في الكفر والعداوة والغدر او تسلطا ظاهرا حيث اذن لكم في قتلهم اينما اقتدرتم
عليهم وما كان لمؤمن اي ليس من شانه ولا يليق بوصف الايمان ان يقتل مؤمنا يباشر قتله
من عند نفسه بلا ايجاب الشرع ولا رخصة فيه منه الا خطأ مفعول له اي لعلة من العلل الا الخطأ
وحده او حال بمعنى مخطئا اي ليس له قتله في حال من الاحوال الا في حال الخطأ او صفة
مصدر محذوف الا قتلا خطأ وهو ما لا يقارنه القصد الى الفعل والشخص فما لا يقصد
زهوق الروح غالبا من قبيل الاول لانه ما قصد الى القتل بل قصد الى الضرب وما لا يقصد
محظورا كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل باسلامه من قبيل الثاني لانه ما قصد الى الشخص المسلم
في زعمه بل قصد الشخص الكافر والمعتبر في القصد زعم القاصد واما غير المكلف فالشرع
لم يعتبر قصده فاعطاه حكم الخطأ وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة والآية
في عياش بن ابي ربيعة اخي ابي جهل من الام لقي حارث بن زيد وكان قد اسلم ولم يشعر به
عياش فقتله ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة اي فعليه او فواجبه تحرير رقبة والتحرير
جعل الانسان حرا كما ان الاعتاق جعله عتيقا والحر العتيق للكريم لان الكرم في الاحرار
كما ان اللؤم في العبيد ومن الوجه اكرم موضع منه والرقبة يعبر بها عن النسمة كما يعبر عنها
بالرأس مؤمنة كبيرة كانت او صغيرة ذكرا كان او انثى ودية عطف على تحرير مسلمة
مؤداة الى اهله يصرف الى ما يصرف اليه تركته فالاهل ينتظم الوصي وامين بيت المال
ولم يعين الله تعالى في كتابه ما يعطى في الدية ولم يبين فيه ان ايجابها على العاقلة او القاتل
وانما اخذ ذلك من السنة الا ان يصدقوا يتصدقوا عليه بالدية واصلها القاتل وتحملها
العاقلة تخفيفا عليه وسمي العفو عنها بالتصدق حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي عم
كل معروف صدقة وهو متعلق بعليه او بمسلمة اي تجب الدية عليه او يسلمها الى اهله الا

حال تصدقهم اياها عليه فهو في محل النصب على الحال من القاتل واما انتصابه على الظرف
فقيل انه مخالف لنص النحويين على منع قيام ان وما بعدها مقام الظرف فانه مما اختص
به ما المصدرية فان كان اي ان كان المقتول من قوم عدو لكم كفار محاربين وهو اي
المقتول مؤمن يعني اذا اسلم الحربي في دار الحرب ولم يهاجر الينا فقتله مسلم ولم يعلم بايمانه
ولافادة هذا القيد صدر الكلام بالفاء المرتبة له على ما تقدم وفيه الكفارة لا غير
وهو قوله فتحرير رقبة مؤمنة فقط دون الدية لاهله اذ لا وراثة بينه وبينهم لانهم محاربون
فكان هذا القائل غافل عن العموم المذكور فيما سبق في حصر الدية وانك في حمله على مؤمن
اختلط باهل الحرب ويأباه قوله لانه ح لا يكون منهم وان كان من قوم بينكم وبينهم
ميثاق ينتظم عهد الامان وعهد الذمة فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة اي فحكمه
حكم المسلم في وجوب الكفارة والدية وتقديم الدية ههنا اهتمام في رعاية حكم الميثاق قيل
هذا في حكم مشركي العرب الذي كان بينهم وبين النبي عم عهد على ان يسلموا او يؤذنوا بحرب
الى اجل معلوم ومن قتل منهم وجب الدية والكفارة ثم نسخ بقوله براءة من الله ورسوله
الى الذين عاهدتم من المشركين واما ما قيل ولعله فيما اذا كان المقتول معاهدا وكان له
وارث مثله فلا صحة له اما اولا فلان قوله وان كان من قوم صريح في كون المقتول معاهدا
فلعله لم يصب محزه واما ثانيا فلان دية الذمي تؤخذ لبيت المال اذا لم يكن له وارث
ودية الحربي انما تعطى بحكم العهد فقوله وان كان له وارث مما لا وجه له فمن لم يجد اي
الرقبة المؤمنة بان لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها او لم توجد في زيادة فصيام شهرين
فعليه اي فواجبه صيام شهرين متتابعين توبة مصدر موكد اي تاب الله توبة او مفعول
له اي شرع ذلك توبة منه من الله صفتها وكان الله عليما بالاحوال ويندرج فيها حال القاتل
دخولا اوليا حكيما في الافعال ومنها ما امر في شانه ومن يقتل مؤمنا متعمدا عدل ههنا
عن الماضي الى صيغة المستقبل استبعادا لوقوع هذا النوع من القتل فجزاؤه جهنم اقتصر
ههنا الى بيان حكمه الاخروي لانه بين حكمه الدنيوي في سورة البقرة خالدا فيها المراد بالتخليد
المكث الطويل دون التأبيد ولهذا لم يقل ابدا لان الدليل متظاهرة على ان عصاة المسلمين
لا يدوم عذابهم وقيل انه مخصوص بمن لم يتب لقوله تع واني لغفار لمن تاب ونحوه اما
تخصيصه بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره ففيه انه تخصيص بلا مخصص فان سبب النزول
لا يصلح له وهو ان مقيس بن ضبابة وجد اخاه هشاما قتيلا في بني النجار ولم يظهر قاتله
فاخذ منهم الدية بامره عم ثم حمل على مسلم فقتله فرجع الى مكة مرتدا اذ لا تصريح فيه بقتله مستحلا
وقد تقرر في الاصول ان العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب ومراد ابن عباس رض من قوله لا
تقبل توبة قاتل المؤمن اذ روي عنه خلافه وغضب الله عليه ولعنه اي انتقم منه وطرده من

من قوم عدو لكم

رحمه واعد له عذابا عظيما لا اجترائه على الله لما كان قتل النفس المحرمة اكبر الكبائر
بعد الشرك بالغ فيه بان جعله منافيا للايمان حيث قال ما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا
اى ينافى وصف الايمان قتل المؤمن ثم بتنكير مؤمنا اى ليس لاى مؤمن كان ثم بحذف الخبر المقدم
لشدة العناية بالتصريح بالكفارة ثم بايجاب الدية والكفارة على قاتل الكافر المعاهد
وحرمته لها وان كانت كافرة بمجرد العهد ثم بالوعيد مع التوبة بقوله وكان الله عليما
حكيما لانه اعظم الاثم بعلمه به والآن القتال غفورا رحيما اعتدادا بالتوبة وتخفيما لها لخفة
التوبة فى جنب الاثم مع كونه خطاء لما عسى يقع من تفريط فيما يجب عليه من الاحتياط
والتحفظ ثم بالتهديد العظيم والابعاد والابراق الشديد والارعاد على قتل العمد وان
بالوجوه المذكورة من دخول جهنم والخلود فيها فاستحقاق الغضب ثم العذاب العظيم كل
ذلك تغليظ للدلالة على غلظ الامر وعظم الخطب يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم فى سبيل
الله اذا غزوتم وسرتم الى الجهاد فتبينوا وقرئ فتثبتوا وتفعل بمعنى استفعل الدال على الطلب
اى فاطلبوا بيان الامر وثباته ولا تعجلوا فيه وقد قوبل البيان بالعجلة فى قوله عم التبيين
من الله والعجلة من الشيطان ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام اى لمن حياكم بتحية السلام
وقرئ السلم اى الاستسلام والانقياد وفسر به السلام ايضا لست مؤمنا وانما فعلت
ذلك متعوذا وقرئ مؤمنا بالفتح من آمنه اى لا يؤمنك تبتغون فى محل النصب على الحال
من الضمير فى تقولوا مشعر بما هو الحامل لهم على العجلة اى لا تقولوا ذلك مبتغين عرض الحيوة
الدنيا الغنيمة التى هى من حطام السريع النفاد فتتركون التثبت والتفحص عن حال من
تقتلونه لاجله فعند الله مغانم كثيرة تغنيكم عن مثل هذه الفعلة والفاء للتعليل اى
كذلك كنتم من قبل اول ما دخلتم فى الاسلام سمعت منكم كلمة الشهادة فحقنت بها دماؤكم و
اموالكم من غير اطلاع على قلوبهم ومواطاة لها لالسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والتصلب
فى الدين والاشتهار بالايمان والتقدم فيه والفاء للعطف على كنتم فتبينوا فاعلوا بالداخلين
فى الاسلام كما فعل بكم ولا تبادروا الى قتلهم ظنا بانهم ادخلوا فيه اتقاء وخوفا فان
ابقاء الف كافر اهون عند الله تع من قتل امرئ مسلم وتكرير الامر بالتبيين والانتهاء بقوله ان
الله كان بما تعملون خبيرا للتاكيد لتعظيم الامر وترتيب الحكم على ما ذكر والمبالغة فى التحذير
عن مثل ما فعلوا اى كونوا محترزين محتاطين مجتهدين لاعلاء كلمة الاسلام واعزاز الدين
لا لطلب الغنيمة والمال فان الله تع مطلع على ما فى ضمائركم خبير باعمالكم وما يبتنى عليها من
نياتكم فيواخذكم بها فلا تتهاونوا فى القتل روى ان سرية لرسول الله صلعم غزت اهل فدك
فهربوا وبقى مرداس ثقة باسلامه فلما راى الخيل الجا غنمه الى عاقول من جبل وصعد فلما
تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن

فتثبتوا

[illegible] يغنيكم

واستاق غنمه فنزلت ولا دلالة فيه على صحة ايمان المكره وان ما روى ليس من الاجتهاد
المعهود فى شئ لا يستوى القاعدون عن الحرب من المؤمنين فى موضع الحال من القاعدين
او من الضمير فيه غير اولى الضرر بالرفع بدل من القاعدين او صفة لهم لانه لم يقصد بهم
قوم باعيانهم ولان غير قد يتعرف اذا وقعت بين ضدين وقرئ بالنصب على الحال او
الاستثناء وقرئ بالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل منه روى انها نزلت ولم يكن فيها غير
اولى الضرر فقال ابن ام مكتوم وكيف انا اعمى فنزل القيد المذكور والضرر النقصان
بدنيا كان كالعمى والعرج او ماليا كعدم الاهبة ولما كان مساق الكلام للتحريض على الجهاد
كان الاستثناء المذكور لبيان انهم غير مرادين بالتحريض وغير المكلفين بالخروج اليه لا انهم
كالمجاهدين فى الاثابة والتفضيل والمجاهدون فى سبيل الله باموالهم وانفسهم اى لا مساواة
بينهم وبين القاعدين عن الجهاد بلا عذر وفيه تذكير بما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد
فى الجهاد رفعا لرتبته وانفة عن انحطاط منزلته فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم
على القاعدين درجة نصب على المصدر وتنكيرها للتعظيم والمعنى على القاعدين اولى
الضرر نص على ذلك الامام الواحدى فى الوسيط ثم قال وذلك ان المجاهدين مباشرون
للطاعة فلهم فضيلة على القاعدين من اهل العذر وان كانوا على نية الجهاد وقصده وتفصيل
ان المراد بقوله تع لا يستوى الى قوله وانفسهم ان بين المجاهدين والقاعدين عن الاضراء
بونا بعيدا وان ليس بين المجاهدين والقاعدين الاضراء هذا البون البعيد ولكن بينهم
تفاوت ايضا وكان هذا المعنى محتاجا الى البيان فبينه بقوله فضل الله وبما عطف عليه من
قوله وفضل فكلتا الجملتين بيان له لا الجملة الاولى فقط فبين بالكلام الاول انهم مفضلون
على اهل العذر درجة ثم قال وكلا يعنى المجاهد والقاعد المعذور كذا نقل فى الوسيط
عن مقاتل وعد الله الحسنى المثوبة الحسنى وهى الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما
التفاوت فى زيادة العمل المقتضى لمزيد الثواب ثم بين بقوله وفضل الله المجاهدين على
القاعدين ان المجاهدين مفضلون على القاعدين من غير عذر بدرجات وقوله اجرا عظيما
نصب على المصدر لان فضل بمعنى اجر والمفعول الثانى له لتضمنه معنى الاعطاء كانه قيل واعطاهم
زيادة على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة كل واحدة منها بدل من اجرا و
ينتصب درجات نصب درجة كما تقول ضربته سوطا اى ضربات كانه قيل فضلهم تفضيلات
واجرا حال عن درجات مقدمة عليها لكونها نكرة وينتصب مغفرة ورحمة باضمار فعلهما اى
وغفر لهم مغفرة ورحمهم رحمة وقيل الدرجات ارتفاع منزلتهم عند الله والدرجات منازلهم
فى الجنة وكان الله غفورا لما عسى يفرط منهم رحيما بما وعد لهم ان الذين توفيهم الملئكة يحتمل
ان يكون ماضيا وان يكون مضارعا بحذف التاء اى تتوفيهم الملئكة وقرئ توفيهم الملئكة بنا

الا انه على الماضي ويوافقهم على المضارع المبني للمفعول من توفّت بمعنى ان الله تع توفى الملائكة انفسهم فيتوفونها اى يمكنهم من استيفائها فيتوفونها ظالمي انفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة فانها نزلت في ناس من مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة قالوا اى الملائكة للمتوفين وهو خبر ان اى قالوا لهم تخويف الراجع فيم كنتم باى سبب كنتم على ما كنتم عليه من مخالطة المشركين وموافقتهم ولفظ في هنا كالتي في قوله المستثنى فيه قيل اى في اى شيء كنتم من امر دينكم ولا ينتظم الجواب قالوا كنا مستضعفين في الارض اى في ارض مكة اجابوا اعتذارا بضعفهم عن مقاومة المشركين وعدم قدرتهم للمخالفة قيل وعجزهم عن الهجرة قالوا لهم الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الى قطر آخر فتخلصوا عن ايدي المشركين كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة هذا السؤال والذي سبق بدل لان على انهم ما توا مسلمين ظالمين لانفسهم في ترك الهجرة فانهم لو ماتوا كافرين لكان التوبيخ على كفرهم فاولئك ماويهم جهنم لتركهم الواجب ومساعدتهم المشركين وهو جملة معطوفة على جملة قبلها مستنتجة منها وساءت مصيرا مصيرهم او جهنم كان الهجرة من فرائض الاسلام بعد هجرة النبي عم ثم نسخ ذلك بعد فتح مكة بقوله عم لا هجرة بعد الفتح وكانه غافل عن هذا من قال وفي الآية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يمكن الرجل فيه من اقامة دينه والاشارة الى العموم المذكورين على العموم ولهذا استثنى منهم المستضعفين العاجزين حقيقة بقوله الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان قيل لما نزل الوعيد المذكور قال المسلمون هلك اخواننا الذين بمكة فنزل الا المستضعفين الاية وذكر الولدان ان اريد به المماليك فظاهر وان اريد به الصبيان فللمبالغة في امر الهجرة وايهام انها يجب لو استطاعها غير المكلفين لوجب عليهم والاشعار بانه لا محيص لهم عنها البتة اذا بلغوا حتى كانها واجبة عليهم قبل البلوغ لو استطاعوا وبان القوم ينبغي ان يكون بعجز الولدان وقيل لتحقيق خروج الرجال والنساء عن الوعيد عند عدم الاستطاعة فانهم حينئذ كالولدان في عدم الاثم لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني او حال عنه او عن المستكن فيه واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة وما يتوقف عليه واهتداء السبيل معرفة الطريق بنفسه او بدليل فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم عسى من الله تع دليل الوقوع لانه الطامع والكريم اذا اطمع انجز وفي لفظ العفو ايذان بان ترك الهجرة امر خطير حتى ان المضطر من حقه ان لا يامن ويترصد الفرصة ويعلق بها قلبه وكان الله عفوا بالتخفيف عن العاجزين غفورا للقادرين الذين اخروا الهجرة بعد وجوبها الى وجوب الى نزول الوعيد وفي الفرقة الثالثة وهم القادرون والذين تركوا الهجرة تحت الوعيد ومن يهاجر

في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا مهاجرا يهاجر اليه على رغم من يفارقه او طريقا يراغم بسلوكه انف قومه المفارق وهو منهم والرغم الذل والهوان واصله لصوق الانف الى الرغام وهو التراب وسعة في الرزق واظهار الدين ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله قوله الى الله ذكر تمهيدا لذكر الهجرة الى رسول الله صلعم تعظيما له وتنبيها على قصد اختصاصه بالله تعالى ثم يدركه الموت وقرئ يدركه بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اى ثم هو يدركه وبالنصب على اضمار ان والجمهور على ان هذا في الواو والفاء في غير الثمانية ضرورة فكيف في ثم فقد وقع اجره على الله فقد ثبت وتحقق بموجب وعده قال ابن عباس رض لما نزلت آية الوعيد بعث رسول الله صلعم بها الى مسلمي مكة فقال جندب بن ضمرة لبنيه احملوني فاني لست من المستضعفين واني لاهتدي الطريق وكان شيخا كبيرا فحمله بنوه على سرير متوجها الى المدينة فمات بالتنعيم فبلغ الاصحاب موته فقالوا لو لحق بنا لاتم الله اجره فانزل الله تع ومن يخرج من بيته واعلم انه لا يخيب من التمس رضاه وكان الله غفورا بغفر له ما كان من القعود الى ان خرج رحيما برحمه باكمال اجر المهاجرين له واذا ضربتم في الارض سافرتم فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة بتنصيف ركعاتها والقصر رخصة عند الشافعي لان نفي الحرج في الرخصة لا في العزيمة قلنا في الاية بيان حكم الخوف فتوقف حكم حالة الامن على قيام الدليل وقد ورد ذلك في الحديث بلفظ الصدقة ولو بقي فرض الاربعة فاين الصدقة فمن وهم ان الآية يخالف قول عمر رض صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم وقول عائشة رض اول ما فرضت الصلوة ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر فقد وهم وقرئ تقصروا من اقصر ومن الصلوة صفة محذوف اى شيئا من الصلوة عند سيبويه ومفعول تقصروا بزيادة من عند الاخفش ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا اى ان خفتم ان يتعرضكم الكفار بما يكره من قتل او جرح او اخذ والخوف شرط لجواز القصر عند الخوارج اخذا بمفهوم هذه الآية وعند الجمهور ليس بشرط اما عند من لم يقبل حجية المفهوم فظاهر واما عند من قال بها فلانها مشروطة بعدم معارضة منطوق نص وقرئ من الصلوة ان يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى كراهة ان يفتنكم ان الكافرين كانوا لكم عدوا اى اعداء والعدو يستوي فيه المفرد والجمع وانما قال مبينا على اللفظ فانه المفرد في الوضع وفيه اشعار بان وصف الكفر الجامع لهم الباعث للعداوة جهة وحدتهم واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة وهي صلوة الخوف وتعلق بالشرط المذكور من خصها بحضرة الرسول قائلا بعدها على خلاف القياس فلا يتعدى مورد النص والجمهور على انها غير مختصة به عم فان الائمة بعده نوابه فحضورهم حضوره فينتظم النص بطريق الدلالة لا بطريق القياس فلتقم طائفة منهم معك يصلون وتقوم الطائفة الاخرى تجاه العدو واما جعلهم طائفتين فمفهوم اقتضاء وليأخذوا اى

المصلون اسلحتهم ولا يجوز ان يكون الضمير للطائفة الاخرى لانه ح يتفرق الضماير فيتنافر
عليك النظم الذي هو اعجاز القرآن ومن اعانه والقانون الذي وقع عليه التحدي على طريقة التعبير
دون التصوير اهم ما يجب على المفسر فاذا سجدوا اي عبر بالسجود عن الركعة فليكونوا من ورائكم
اي اذا وصلت هذه الطائفة التي معك ركعة تامة فليرجعوا ليقفوا بازاء العدو وفي ورائكم
تغليب المخاطب على الغائب ولتأت طائفة اخرى هذا الاظهار دليل ظاهر على ان الضماير فيما
سبق للطائفة الاولى لم يصلوا لاشتغالهم بالحراسة فليصلوا معك الركعة الثانية وليأخذوا
حذرهم ما يتحذرون به من العدو من القوس والدرع والمغفرة واسلحتهم ما يقاتلون به
من السيف والرمح والقوس كذا فسر الامام ابو منصور والذي يناسب بلاغة القرآن هو انه
جمع بين الحذر والاسلحة في وجوب الاخذ ايذانا للغازي بانه يجب عليه ان يجعل الحذر آلة
للحرب كالاسلحة ماخوذ بين جمع بينهما في الامر ههنا مبالغة في الاحتياط لانه مظنة هجوم العدو
فان تنبه بكونهم في الصلوة يكون بعد سجودهم ذكر صلوة طائفة ركعة مع النبي عم صلوة
طائفة اخرى ركعة معه عم ولم يبين كيفية اتمام الطائفتين واختلفت الاخبار في ذلك
واختلف فيه باختلافها العلماء فعند ابي ح يتم صلوته ان كانت ركعتين ثم تقف هذه
بازاء العدو وتاتي الاخرى فتؤدي الركعة بغير قراءة لانهم لاحقون ويتمون الصلوة
ثم يحرسون وتاتي الاخرى فتؤدي الركعة بقراءة لانهم مسبوقون ويتمون الصلوة كذلك
رواه ابن مسعود وابن عمر رض والسجود مجاز عن الركعة على ما نبهت عليه فيما سبق على
ظاهره ود الذين كفروا لو تغفلون اي احب الكفار غفلتكم عن اسلحتكم وامتعتكم منتصبا
ذلك فيميلون عليكم ميلة واحدة فيشدون عليكم شدة واحدة وهو بيان ما
لاجله امروا باخذ الحذر والسلاح ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم
مرضى لم يقل او مرض لعدم دلالته على العموم وهو المراد ان تضعوا اسلحتكم لما كانت
حالة المرض مما يشق حمل السلاح فيها وحالة المطر مما يثقل العدو ويمنعه من خفة الحركة للقتال
رخص لهم فيهما وضع السلاح وفي قوله ولا جناح دلالة على ان الامر بالاخذ للايجاب دون
الاستحباب وخذوا حذركم امرهم مع ذلك باخذ الحذر كيلا يهجم عليهم العدو ولما كان
الامر بالحذر موهما لتوقع غلبة العدو وقوته وان الله وكلهم على انفسهم ولم يعد اهم
ازال ذلك الوهم بقوله ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا تقوية لقلوبهم وتشجيعا
وتبشيرا بان الله هو الذي يهين عدوهم ويخذله وينصرهم عليه واعلاما بان الامر بالحذر
انما تعبد لا لغلبة بينهم وبين عدوهم مراعاة لحكمة الله وسنته فاذا قضيتم الصلوة
اديتم وفرغتم منها فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فداوموا على الذكر في جميع الاحوال
وهو الذكر باللسان والدعاء بالنصر فانه حال ملاقات العدو وهو كما قال اذا لقيتم فئة

فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وقيل اذا اردتم اداء الصلوة فصلوا قياما
ان قدرتم عليه وقعودا ان عجزتم عن القيام ومضطجعين ان عجزتم عن القعود وسبب
الجرح اي ادوها على حسب الوسع وهذا عند اشتداد الحرب بقرينة قوله فاذا اطمأننتم
اي سكنت قلوبكم من الخوف وعلى كلا التفسيرين لا دلالة فيه على صحة الصلوة في حال
المسايفة فاقيموا الصلوة فعدلوا وادوها تامة بطائفة واحدة ان الصلوة كانت على
المؤمنين كتابا موقوتا مفروضا محدودا باوقات معينة فلا يؤخر عنها بسبب الخوف فهو
كالتعليل لما سبق واما انه لا يؤخر عنها بسبب من الاسباب فلا دلالة عليه في الكلام فلا يكون دليلا
على وجوب ادائها في حال المسايفة والاضطراب في المعركة واما عدم دلالته على ان المراد بالذكر
الصلوة فظاهر وانما قال على المؤمنين لان الكلام في ادائها والايمان شرط صحته وان لم يكن
شرط وجوبها عند القائلين بان الكفار مخاطبون بالعبادات المفروضة ولا تهنوا ولا
تضعفوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال ان تكونوا تالمون اي لا تتوانوا
بسبب الالم والجراح ثم علل النهي فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون
فان الالم ليس مختصا بكم وهو مشترك بينهم وبينكم ثم انهم يصبرون مع ذلك وانتم اولى
بالصبر منهم لانكم ترجون من الله الثواب العظيم في الآخرة باظهار دين الله واعزازه
وهم لا يرجونه فما لكم لا تصبرون وفيه طرف من التوبيخ والتقريع على التواني فيه وقرئ
ان تكونوا بالفتح بمعنى لان تكونوا وكان الله عليما بمصالح العباد حيث امرهم الى الجهاد
حكيما في تدبير امورهم في المبدا والمعاد انا انزلنا اليك الكتاب بالحق متلبسا به لتحكم بين الناس
روي ان طعمة بن ابيرق سرق درعا في جراب فيه دقيق لقتادة بن النعمان وخباها عند
يهودي فحلف طعمة ما لي بها علم فاتبعوا اثر الدقيق الى دار اليهودي فقال اليهودي دفعها
الي طعمة واختصموا الى رسول الله صلعم فجاء اليهود وشهدوا على براءة اليهودي وجاء
بنو ظفر وهم قوم طعمة وشهدوا بالسرقة على اليهودي فنزلت بما اراك الله بما عرفك الله واوحى
به اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم والا استدعى ثلثة مفاعيل ولا تكن للخائنين لاجلهم
والذب عنهم وهم طعمة وقومه الذين شهدوا زورا على اليهودي خصيما للبري
وهو اليهودي واستغفر الله مما هممت به ان الله كان غفورا رحيما لمن يستغفره ولا تجادل
عن الذين يختانون انفسهم يخونونها فان وبال خيانتها يعود عليها او جعل معصية العاصي
خيانة منهم لانفسهم كما جعلت ظلمها عليها وضمير الجمع وان كان الخائن طعمة وحده ليشمل كل
كل خائن لعموم الحكم ولان قومه شهدوا بالبراءة ونصروه فكانوا شركاء في الاثم ان الله لا يحب
يكني بعدم المحبة عن البغض في جميع الالسنة من كان خوانا مبالغا في الخيانة بالاصرار عليها
اثيما منهمكا فيه وانما اورد صيغة المبالغة فيها تعريضا بحال طعمة وافراطه في الخيانة حيث سرق

ورمى البريء به هو ديا وحلف كاذبا وقد كان سارقا في الجاهلية يستخفون من الناس
يستترون منهم خوفا وحياء ولا يستخفون من الله لا اى لا يقدرون على الاستخفاء منه
اذ لا يخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء ويجوز ان يكون الاستخفاء كناية عن الاستحياء لانه
من اسبابه اى لا يستحيون منه وهو احق بان يستحيى منه وهو معهم لا يخفى عليه سرهم فلا طريق
معه الا ترك ما يستقبح ويواخذ عليه اذ يبيتون يدبرون ويزورون سرا واصله ان
يكون بالليل ما لا يرضى من القول من رمي البريء والحلف الكاذب وشهادة الزور وكان الله
بما يعملون محيطا اى عالما بكل وجوهه ها انتم هؤلاء مبتدأ وخبر وفيه مبالغة عظيمة في
التوبيخ في مثل اليكم في الجدال بالباطل لا يكون ذمكم يا زيد مما انتم عليه فانتم انتم لا اشهر لكم
بوصف اظهر في القبيح بما انفردتم به وتعينتم من بين سائر الناس ثم اكده بالتنبيه والاجمال
في اسم الاشارة والتفصيل في بيانه والايذان بان الجدال بالباطل لا يجدي في الآخرة انما
هو في الدنيا لكونها موضع التلبيس والاشتباه ولا يغني عنهم شيئا عند الافتضاح على رؤس
الاشهاد وانتقام العزيز القهار وان دفع الفضيحة في الدنيا والعقوبة فيها فقوله جادلتم
عنهم في الحيوة الدنيا جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا او صلة عند من يجعله موصولا فمن يجادل
الله عنهم يوم القيمة ام من يكون عليهم وكيلا محاميا يحميهم من عذاب الله ومن يعمل سوءا
قبيحا يسوء به غيره او يظلم نفسه بما يختص به ولا يتعداه غيره ثم يستغفر الله بالتوبة
وفي كلمة ثم اشارة الى ان الاستغفار لا يكون نافعا اذا لم يكن الى الاعتراف يجد الله غفورا
الذنوب رحيما وقبول توبته وامهاله الى ان يتوب وفيه حث للمذنبين على الاستغفار ويدخل
فيهم طعمة وقومه دخولا اوليا ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه فلا يتعداه وباله كقوله
وان اساتم فلها وكان الله عليما حكيما في مجازاته ومن يكسب خطيئة صغيرة او ما لا عمد فيه
او اثما كبيرة او ما كان عن عمد ثم يرم به بريئا كما فعل طعمة ووحد الضمير لمكان او فقد احتمل
اى بسبب تكاره ورميه به بريئا بهتانا برميه البريء قدمه لانه افضح واحتمل البغي من حمل
لان افضل فيه السبب واثما مبينا بكسبه النفس الخاطئة وليس فيه التوبة بين الكسبين بل تشبيه بهما
فيما يحمل بسببها فعلاه بعد الكسب ولولا فضل الله عليك اى عصمته عن الخطاء ورحمته بما اوحى
اليك من الاطلاع على سرهم لهمت طائفة منهم من بني ظفر او من الناس والطائفة بنو ظفر ان
يضلوك عن القضاء بالحق مع علمهم بان الجاني صاحبهم والجملة جواب لولا وليس القصد فيه الى
نفي همهم بل الى المبالغة في نفي تاثيره بتنزيله منزلة العدم وما يضلون الا انفسهم لانهم ما ازلوك
عن الحق وعاد وباله عليهم وما يضرونك من شيء لان الله عاصمك يحول بينك وبين الخطأ
في الحكم وما خطر ببالك كان عفوا وانك على ظاهر الامر لا ميلا في الحكم ومن شيء في موضع النصب
على المصدر اى شيئا من الضرر وانزل الله عليك الكتاب القران والحكمة السنة المنتقية الى القول

كان

وعلمك ما لم تكن تعلم
من خفيات الامور

والعقلية كالحكمة وفيه تنبيه على ان السنة التي من حديث كان الشريعة من قبيل الوحي الغير المتلو
وكان فضل الله عليك عظيما اذ لا فضل اعظم من الرسالة العامة لا خير في كثير من نجويهم من تناجيهم
الا من امر الا نجوى من امر على حذف المضاف وهو في محل الجر على البدل او في محل النصب على الاستثناء
المنقطع اى لكن من امر بصدقة ففي نجويه الخير بصدقة او معروف وهو عام في كل جميل شرعا
وعقلا وعرفا او اصلاح بين الناس او اصلاح ذات البين ومن يفعل ذلك اى يامر بالخير لان
الفعل كثيرا ما يطلق على القول والامر ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما ويجوز ان
يرتب الوعد على الفعل تحريضا للامر بالخير على فعله وتنبيها على ان الامر بفعل دون فعله لا يحسن
بل الامر به دليل على ان فعله اهم وانما يوجب الثواب لافضائه اليه فثوابه يتبع فعله وانما اشترط
ان يكون الطلب مرضاة الله تعالى لان الاعمال بالنيات فاذا لم تقارنه النية او عرض لصاحبه الرياء
او السمعة فليس له خير بل هو الى الشر ويستجاب للعقاب اقرب ووصف الاجر بالعظيم تنبيها على
حقارة ما فات من اعراض الدنيا في جنبه ومن يشاقق الرسول يخالفه من الشق فان كل من
المخالفين يكون في شق غير شق الآخر من بعد ما تبين له الهدى ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات
ويتبع غير سبيل المؤمنين وذلك هو السبيل الذي اتفقوا على صحته من الدين الحنيفي القيم
فيندرج فيه الاجماع والاجتهاد فانه ايضا مما اتفقوا على صحته وعلى كون الثابت به من الدين
وهذا كالبيان لمخالفة الرسول عم فان من اتبع الاجماع والاجتهاد مجتهد فهو موافق
له عم في الحقيقة وان كان مخالفا لظاهر الكتاب والسنة نوله ما تولى نجعله واليا لما تولاه
من الضلال بان تخلي بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم وندخله فيها نخذله في الدنيا ونعذبه
في الآخرة وقرئ نصله بفتح النون من صلاه وساءت مصيرا جهنم قيل تدل الآية على حرمة
مخالفة الاجماع لانه تعالى رتب الوعيد الشديد على المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين و
ذلك اما لحرمة كل منهما او احدهما والجمع بينهما والثاني باطل اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر واكل
الخبز استوجب الحد وكذا الثالث لان المشاقة محرمة ضم اليها غيرها او يضم واذا كان اتباع
غير سبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم واجبا ومبناه على ان لا يكون قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين
لتقرير المخالفة المذكورة وبيانها وذلك غير مسلم ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء كرر لقصة طعمة واتصاله بها انه اشرك بعد الايمان وليس للمشرك غفران تعالى قيل
فخرج طعمة من مكة بحرة بني سليم فعبد صنمهم حتى مات على الشرك فنزلت فيه الآية فتبين ان طعمة
لو لم يشرك لكان في سعة رحمة الله ان يغفر له ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا اي لا تناهي
تماديه في الضلال اذ لا جهل افحش من الجهل بالله وانما ذكر في الآية الاولى ومن افترى على الله لانها
متصلة بقصة اهل الكتاب ومنشأ شركهم كان افتراؤهم وهو دعوى التبني على الله تعالى
وهذه في شان من ليس من اهل الكتاب ولا علم عنده فناسب وصفه بالضلال وايضا فقد تقدم

ذكر الهدى وهو ضد الضلال ان يدعون من دونه الا اناثا يعني اللات والعزى ومناة
ونحوها كان لكل حي صنم يعبدونه ويلبسونه انواع الحلي ويسمونه انثى بني فلان وقيل كانوا
يقولون في اصنامهم هن بنات الله تع وقيل المراد الملئكة لقولهم الملئكة بنات الله تعالى
وهو جمع انثى كرباب وربى وقرئ انثى على التوحيد وانثا على انه جمع انيث كخنث و
خبيث ووثنا بالتخفيف والتثقيل وهو جمع وثن كاسد واسد واثنا بهما على قلب الواو همزة
همزة وان يدعون وان يعبدون بعبادتها الا شيطانا لانه هو الذي يغريهم على ذلك
ودعاهم اليه فاطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة مريدا عاتيا خارجا عن طاعة الله تعالى
ظاهر الشر كالغلام الامرد والشجرة المرداء التي سقطت اوراقها وظهرت عيدانها لعنه الله صفة
ثانية للشيطان وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا صفة اخرى له والواو للجمع اي
جامعا بين لعنة الله وهذا القول الشنيع في لاتخذن وما بعده من الافعال الدالة على فرط
عداوته للناس والمفروض المقدر اي نصيبا فرض لي وقدر من قولهم فرض له العطاء
ولاضلنهم عن الحق ولامنينهم الاماني الباطلة من طول الاعمار وبلوغ الامال ولامرنهم
فليبتكن اذان الانعام البتك القطع والتفعيل للتكثير والتكرير اي يقطعونها ليحرموا ما احله
وهي عبارة عما كانت العرب تفعل بالبحائر والسوائب واشارة الى تحريم كل ما احل ونقص
كل ما خلق كاملا بالفعل او بالقوة ولامرنهم فليغيرن خلق الله عن وجهه صورة او صفة ويندرج
فيه ما فيه من فقء عين الحامي وخصاء العبيد والوشم والوشر وعموم اللفظ يمنع التغيير مطلقا
لكن خص منه البعض كالختان بالنص ثم الفقهاء خصوا منه خصاء البهائم للحاجة بالقياس واما
ما هو من انواع الكفر كعبادة الشمس والقمر وكباير المعاصي كاللواطة فقد اندرجت تحت قوله
ولاضلنهم والجمل الاربع حكاية عما ذكره الشيطان نطقا او اتاه فعلا ومن يتخذ الشيطان وليا
من دون الله بمجاوزته عن طاعة الله تع الى طاعته وايثاره ما يدعوه اليه على ما امره به تعالى
فقد خسر خسرانا مبينا اذ ضيع رأس ماله وبدل مكانه من الجنة بمكانه من النار يعدهم ما لا ينجز
ويمنيهم ما لا ينالون وما يعدهم الشيطان الا غرورا باظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد
اما بالخواطر الفاسدة او بلسان اوليائه اولئك مأويهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا
اسم مصدر من حاص يحيص اذا خلص وتخلو عنها حال منه وليس صلة له لان المصدر لا يعمل
فيما قبله ويجوز ان يكون اسم مكان اي معدلا ومهربا بالغ في التنفير عن الشرك برجوه ولها
تحقير معبوداتهم ونقصها وبالانوثة وثانيها ان دعاءهم وعبادتهم اياها انما هو دعوة
الشيطان وعبادته وثالثها وصف الشيطان بالمرادة والامن والتمنية الدعوة للقبايح
وفنون الاغواء والاخبار عن نفسه بذلك على التاكيد القسمي ورابعها الاخبار بان ولايته
توجب الخسران لان الظاهر وخامسها تكرار اسم الشيطان في ثلثة مواضع وترك اضماره

الى طرفها راسه الدال على البعد والطرد وسادسها تكرار عنه المطلق ذنبه والاخبار بان وعده
ليس الا تغريرا محضا وقبولهم اياه غرورا باطلا وسابعها ان المشركين المطيعين له في
الشرك وارتكاب تلك المعاصي ماواهم جهنم ولا يجدون عنها مخلصا ثم قابل ذلك التنفير
بالترغيب في الايمان والتوحيد بقوله والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قد تقدم تفسيره وعد الله حقا مصدران مؤكدان
الاول لنفسه اي وعده وعدا لان مضمون الجملة الاسمية التي قبله والثاني لغيره اي وحق ذلك حقا
ويجوز ان ينتصب الموصول بفعل يفسره ما بعده ووعد الله بقوله سندخلهم لانه بمعنى نعدهم
ادخالهم وحقا على انه حال من المصدر ومن اصدق من الله قيلا توكيد ثالث على سبيل الاعتراض
والمقصود من الاية معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه
والمبالغة في توكيده ترغيبا للعباد في تحصيله ليس باما نيكم ولا اماني اهل الكتاب اسم ليس
وعد الله اي ليس ما وعد الله من الثواب ينال باما نيكم ايها المسلمون ولا باماني اهل الكتاب وانما
ينال بالايمان والعمل الصالح وقيل الخطاب مع المشركين ويعضده تقدم ذكرهم ثم قرر
ذلك فقال من يعمل سوءا يجز به عاجلا او اجلا ويدل على التعميم للعاجل قوله والسارق و
السارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا سمى القطع جزاء وقوله عم في جواب ابي بكر رضه اذ
قال كيف الصلاح بعد هذه الاية غفر الله لك يا ابا بكر الست تمرض اتصيبك اللاواء فهو ما تجزون
ولا يجد له من دونه وليا ولا نصيرا ولا يجد لنفسه اذا جاوز موالاة الله تع ونصرته من يواليه
وينصره في دفع العذاب عنه ومن يعمل من الصالحات من للتبعيض لان المكلف لا يطيق عمل كل
الصالحات والطاعة بحسب الطاقة من ذكر او انثى في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن
للبيان وهو مؤمن حال قيد به اذ لا اعتداد باعمال الكفرة لا نفعا ولا دفعا والعمل الصالح
لا يكون الا للمؤمن فزيادته تنبيه ان المراد من عمل صالحا وهو ثابت على الايمان ولا بد منه في القيد
في تحقق ما اخبر به بقوله فاولئك يدخلون الجنة ولا عبرة لايمان اقترن بالعمل الصالح ثم زال و
لا يظلمون نقيرا لا بالنقص عن الثواب الموعود ولا بالزيادة على العقاب المعهود فهو متعلق
بالوعيد ايضا المذكور بقوله من يعمل سوءا يجز به ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله استفهام معناه
النفي اي لا احد احسن دينا منصوب على التمييز وكنى بالوجه عن الذات اذ كان اشرف الاعضاء
ومعنى اسلم لله انقاد لامره وشرعه وهو محسن جملة حالية مؤكدة وكون الغير احسن دينا منه
لا يمكن لاستلزام طاعته منتهى المراتب البشرية واتبع ملة ابرهيم الموافقة لدين الاسلام المتفق على
صحتها فانه عم بعث على ملة ابرهيم عم وزيد له اشياء حنيفا مائلا عن ساير الاديان حال من
المستكن في اتبع واتخذ الله ابرهيم خليلا مجاز عن اصطفائه واختصاصه بكرامة تشبه كرامة
الخليل عند خليله وهي جملة اعتراضية فايدتها تاكيد وجوب اتباع ملته لان من بلغ من الزلفى

قوله وهو مؤمن فليبان

اسلم

واكرامه عند الله الى ان اتخذه خليلا كان جديرا بان يتبع ملته وبان من اتبعه كان من
احسن الناس دينا وانما اعاد ذكره ولم يضمر تفخيما له وتنصيصا على انه الممدوح والخلة
من الخلال فانه ودّ تخلل النفس وخالطها او من الخلّة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال
ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا يختار منهما من يشاء وقيل هو متصل بذكر العمال
الصالحين والطالحين مقرر لوجوب طاعته عليهم وكمال قدرته على مجازاتهم على الاعمال
وكان الله بكل شيء محيطا احاطة علم وقدرة وعد ووعيد ويستفتونك في النساء في ميراثهن
اذ فيه نزلت قل الله يفتيكم فيهن يبين لكم حكمه فيهن والافتاء تبيين المبهم وما يتلى عليكم في الكتاب
في محل الرفع بالعطف اى الله يفتيكم والمتلو في الكتاب في معنى اليتامى على ان في يتامى النساء صلته
يتلى وجاز ان يكون بدلا من فيهن او ما يتلى مبتدأ وفي الكتاب خبره والجملة اعتراضية
او في محل الجر على القسم وفي يتامى النساء على الوجهين بدل من فيهن واضافة يتامى الى النساء
بمعنى من والكتاب على الوجه الثاني هو اللوح المحفوظ وفائدة الاعتراض تعظيم المتلو وخاصة
حكم اليتامى اى المتلو عليكم في باب يتامى النساء حكم مثبت عند الله في اللوح حقه ان يراعى ويحافظ
عليه فانه من عظائم الامور عنده كما ان فائدة العطف في الوجه الاول تعظيمه بالاختصاص
بالله وان حكمه حكم الله فان هذه التوطئة تفخيم لشان الموطأ له وكذلك فائدة القسم في الوجه الثالث
فان الاقسام بالشيء تنويه باسمه وتعظيم لشانه اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن اى فرض لهن من الميراث
وترغبون ان تنكحوهن كان الرجل منهم يضم اليتيمة ومالها الى نفسه فان كانت جميلة تزوجها واكل
مالها وان كانت ذميمة عضلها عن التزوج حتى تموت فيرثها فيجوز ان يكون المعنى في ان تنكحوهن
لجمالهن وعن ان تنكحوهن لدمامتهن والظاهر الثاني لقوله لا تؤتونهن اى لا تؤتونهن مالهن
ولا تنكحوهن والواو للعطف دون الحال لانه مضارع مثبت فلا يدخل عليه الواو الا نادرا ولا حاجة
لنا به ههنا وظاهر النص يدل على صحة تزويج الصغيرة لغير الاب والجد ولا يعارضه احتمال ان
يكون المعنى ان تنكحوهن اذا بلغن لان الاصل في المطلق ان يجري على اطلاقه والمستضعفين من الولدان
عطف على يتامى النساء والعرب كانوا لا يورثونهم كما لا يورثون النساء وكذا قوله وان تقوموا
لليتامى بالقسط عطف عليه اى وفي ان تقوموا هذا اذا جعلت في يتامى صلة فان جعلته بدلا
فالوجه نصبهما عطفا على موضع فيهن ويجوز ان يكون منصوبا اى ويامركم ان تقوموا وهو خطاب
للائمة في ان ينظروا اليهم ويستوفوا حقوقهم او للقوام بالنصفة في شانهم وما تفعلوا من خير
فان الله كان به عليما ذكر بعد العمل بلفظ وعد ووعيد واجمع بشارة وتهديد وان امرأة فاعل
فعل يفسره الظاهر خافت توقعت من بعلها لما ظهر لها من المخايل نشوزا تجافيا عنها وترفعا عن
صحبتها ومنعا لحقوقها او اعراضا بان يقل مجالستها ومحادثتها فلا جناح عليهما ان يصلحا
بينهما ان يتصالحا بان تحط له بعض المهر او القسم او تهب له شيئا تستميله وقرئ ان يصلحا من

اصلح بين المتنازعين وعلى هذا جاز ان ينتصب صلحا على المفعول به وبينهما ظرف او حال منه
او على المصدر كما في القراءة الاولى والمفعول بينهما او محذوف وقرئ يصّلحا من اصّلح بمعنى
اصطلح والصلح خير من الفرقة او من النشوز والاعراض وسوء العشرة او من الخصومة في كل
شيء فانه ابعث على التوافق والسالم مما اذا قيد بحالهما او خير من الخيرات كما ان الخصومة
شر من الشرور والجملة اعتراضية اكدت باعتراضية اخرى وهي قوله واحضرت الانفس الشح
لانها مماراة وعنادا فان النفوس مجبولة على الشح كانها الزمته وجعلت حاضرة له لا تنفك
عنه فالمرأة لا تسمح بقسمتها او بسائر حقوقها او ببعضها فلا يغضب الزوج عليها ولا يحبها
فان الشح كالامر الطبيعي للنفوس فاذكر والتسامح ولا تتباغضا وتتشاقا وان تحسنوا بالاقامة
على نسائكم وان كرهتموهن وتتقوا النشوز والاعراض مراعاة لحقوق الصحبة فخص الخطاب
بالازواج اشارة الى انهم اولى باقامة حقوقهن والاحسان والتقوى فانهن نواقص العقول
فان الله كان بما تعملون من الاحسان والتقوى خبيرا يجازيكم عليه ويثيبكم ولن تستطيعوا
ان تعدلوا بين النساء حتى يقع بينكم زيادة ونقصان فيما يجب لهن البتة ولو حرصتم
من جهة التكلف ومراعاة العدالة في الحقوق فان ذلك امر طبيعي غير اختياري فرفع ذلك
عنكم تمام العدل والتسوية في الشيء وما كلفتم الا ما تستطيعون بشرط ان تبذلوا فيه
وسعكم فلا تميلوا كل الميل الى المحبوبة المرغوبة فيها عن المرغوب عنها فتمنعوا لها قسمها
من غير رضى منها فانه في وسعكم فتذروها كالمعلقة وهي التي ليست بذات بعل
ولا مطلقة فيه ضرب من التوبيخ وان تصلحوا ما كنتم تفسدون من امورهن وتتقوا فيما
يستقبل من مثل ذلك فان الله كان غفورا رحيما يغفر لكم ما مضى ويرحمكم بالتوفيق للعدل
في المستقبل وان يتفرقا اى يفارق كل منهما صاحبه يغن الله كلا منهما عن صاحبه ويكفه امره
بدونه من سعته من سعة رحمته وكان الله واسعا من جهة الافضال بل من جميع جهات
الفضل والكمال حكيما لا يامر عباده الا بما هو مصلحة وحكمة ولله ما في السموات وما في الارض
تنبيه على كمال سعته وقدرته ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم متعلق بوصينا
او باوتوا واياكم عطف على الذين اوتوا ان اتقوا الله اى بان اتقوا الله او يكون ان المفسرة
لان التوصية بمعنى القول واللام في الكتاب للجنس يتناول الكتب السماوية لان المراد ولقد
وصينا الامم السالفة كلها ووصيناكم اى هذه التوصية قديمة ما زال يوصي الله بها عباده
لستم مخصوصين بها فان السعادة في التقوى وفيه تفخيم لاهل التقوى وان تكفروا فان لله
ما في السموات والارض جملة معطوفة على ان اتقوا الله لان المعنى امرناهم واياكم بالتقوى
وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله الخلق كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم
وتقواكم وانما وصيكم لرحمته لا لحاجته ثم بين بقوله وكان الله غنيا عن عباده حميدا

في حد ذاته حمد او لم يحمد ان خلقه العالم ليس لحاجته ومصلحته فانه كان غنيا قبل خلقه حميدا قبل
حمد الحامدين ولله ما في السموات وما في الارض تكرير لبيان عظمته وغنايته وتقرير لوجوب تقواه
فتقديره على التوصية تمهيد لعظمته ومالكيته وكونه اهلا لان يتقى ويطاع والثاني لبيان غناه
وتاكيد الاول في تقرير معناه والثالث تقوية لما ذكر من كونه حميدا بلسان الكل وكون الاشياء
كلها في طاعته وحمده وعبادته فلا يضره كفركم وكفى بالله وكيلا اعتراض موكد لمالكيته ومدبريته
للكل ببيان انه لم يكل امورهم الى غيرهم فعليهم ان يطيعوه ويتوكلوا عليه وفيه تسلية للرسول عم
والمومنين وفيما بعده تخويف وتهويل شديد وابعاد وتهديد بليغ لاعدائهم ان يشا يذهبكم
ايها الناس اي يميتكم ويفنيكم كما اوجدكم وانشاكم ومفعول يشاء محذوف دل عليه الجواب
ويات باخرين ويوجد قوما آخرين مكانكم يوالونه عم ويومنون به والخطاب بمن يعاديه من
كفار العرب وكان الله على ذلك من الاعدام والايجاد قديرا اذ لا يمتنع شيء على قدرته وارادته
ويروى انها لما نزلت ضرب رسول الله عم بيده ظهر سلمان قال انهم قوم هذا ابناء فارس
من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يطلب الغنيمة بجهاده فعند الله ثواب الدنيا والآخرة فلا وجه
لارادته فعند الله ثواب الدارين فماله يطلب الاخس ويترك الاشرف وفي الحديث ان الله يعطي
الدنيا على نية الاخرة ولا يعطي الاخرة على نية الدنيا فان الاشرف يستتبع الاخس دون العكس
فمن جاهد لوجه الله لم يفته الغنيمة وله من ثواب الاخرة ما الغنيمة بجنبه كلا شيء فليدخرهما
وكان الله سميعا باحاديث نفوسكم بصيرا بنياتكم وارادتكم في اعمالكم وفيه وعيد لمن
وقع مع هوى نفسه واختار الاخس الفاني ووعد لمن اخلص وجه الله تعالى وطلب الاشرف
الباقي يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط ملازمين للعدالة دائمين القيام بها شهداء
لله لوجه الله وهو خبر ثان او حال مامورون بكونهم قوامين بالقسط مطلقا فلا وجه لتقييده
بحال الشهادة ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها فان الشهادة بيان الحق
سواء كان على نفسه او على غيره او الوالدين والاقربين اخره ولم يسلك طريق الترقي لمكان قوله
ان يكن اي المشهود عليه غنيا او فقيرا فلا تمتنعوا عن اقامة الشهادة ولا تجوروا فيها ميلا
لغناه او ترحما لفقره فالله اولى بهما بالغني والفقير وبالنظر لهما فلو لم يكن الشهادة
عليهما صلاحا لما شرعها وهو علة الجواب اقيمت مقامه والضمير في بهما ليس للمذكور اعني
احد الجنسين حتى يلزم افراده بل لما دل عليه المذكور اعني مجموع الجنسين فان في الشرط
احد الامرين دلالة على وجودهما في الجملة وبهذا القدر من البيان لا يتم الكلام في
هذا المقام بل لابد من بيان وجه العدول عن الظاهر وجعل الضمير للمدلول دون المذكور
وهو انه للقصد الى تعميم اولويته وان لا يتوهم انها بالنسبة الى الواحد فقط وقرائة
اولى بهم شاهدة على ارادة الجنس فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا كراهة ان تعدلوا

بين الناس وارادة ان تعدلوا عن الحق على ان يكون علة للنهي وطلب الترك اي نهاكم عن
اتباع الهوى ارادة لعدلكم او كراهة لعدولكم وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق او
حكومة العدل وقرئ وان تلوا اي وليتم احدهما من اقامة الشهادة والحكومة او تعرضوا عن الشهادة
بما عندكم او عن الحكومة بالعدل فان الله كان بما تعملون خبيرا فيجازيكم عليه يا ايها الذين امنوا
دوموا على الايمان بالله ورسوله والخطاب للمسلمين او امنوا بقلوبكم كما امنتم بلسانكم و
الخطاب للمنافقين او آمنوا ايمانا عاما يعم الكتب والرسل فان الايمان بالبعض مع انكار
الباقي كلا ايمان والخطاب لمؤمني اهل الكتاب ويشهد له انه روي ان ابن سلام واصحابه
قالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتورية وعزير ونكفر بما سواه فنزلت
وباعده التفصيل في قوله والكتاب الذي نزل على رسوله يعني القرآن فانه انزل منجما و
لهذا قال نزل بخلاف ساير الكتب والكتاب الذي انزل من قبل يريد به الجنس وذكر المنزل
عليه في الاول بوصف الرسالة والاضافة الى نفسه مع ما لا يخفى من التشريف والتعظيم له عم
ومن يكفر بالله وملئكته وكتبه ورسله واليوم الآخر اي ومن يكفر بشيء من ذلك وفي التعبير
عنه بالوجه المنزل تنبيه على ان الايمان بتلك الجملة في حكم الايمان بشيء واحد فالكفر ببعضه في حكم
الكفر بكله فقد ضل ضلالا بعيدا عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه ان الذين امنوا
ثم كفروا ثم امنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا يعني المنافقين اذ هم المتلاعبون بالدين بالكفر
بعد اخرى والاصرار على النفاق وافساد الامر على المومنين ولذلك جاء بعده بشر المنافقين اظهارا
لحالهم واخبار عن مالهم لم يكن الله ليغفر لهم اي ليس في عادته ارادة المغفرة لهم ولا
ليهديهم سبيلا لان قلوبهم ضرية بالكفر وبصائرهم عميت عن الحق وخبر كان في امثاله
هذا محذوف تعلق به اللام اي لم يكن الله مريدا ليغفر لهم بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما
وضع بشر مكان انذر تهكم بهم الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المومنين في محل
النصب على الذم لا النعت لوجود الفاصل فلا يرتكب حيث لا ضرورة او في محل الرفع على الذم ايبتغون
عندهم العزة الهمزة للانكار اي كيف يطلبون العزة عند من ضربت عليهم الذلة ثم [illegible]
مطلبهم بحصر العزة في اولياء الله مع التاكيد بان وجميعا بقوله فان العزة لله جميعا اي ما العزة الا
لاولياء الله الذين اعزهم بنصره وكتب لهم العزة كما قال ولله العزة ولرسوله وللمومنين لا يوبه
بعزة غيرهم بالاضافة الى عزتهم وقد نزل عليكم في الكتاب يعني القرآن والخطاب للمومنين و
للمنزل عليهم ما نزل بمكة من قوله تع فاذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا
في حديث غيره وقرئ نزل والقايم مقام الفاعل ان اذا سمعتم ايات الله وهي المخففة والمعنى اذا
سمعتم ايات الله وهذا على طريقة قولهم سمعت فلانا يقول فالمسموع منها استهزاؤهم بايات الله
تعالى لا الايات يكفر بها ويستهزا بها حالان من الايات والاولى تمهيد للثانية تعظيما لامر الاستهزاء

بالقرآن وانما جيء به لتقييد النهي عن المجالسة في قوله فلا تقعدوا معهم الضمير لما دل عليه قوله
يكفر بها من الكفرة حتى يخوضوا في حديث غيره اي غير ما خاضوا فيه والخوض الشروع وهي غاية
للنهي وانما جعل غاية الخوض في حديث غيره دون السكوت عنه لانه لا يدل على الفراغ عنه
بخلاف الخوض بحديث آخر انكم اذا مثلهم اي اذا سكتم معهم فانتم مثلهم في الوزر لانكم
قادرون على الاعراض عنهم والانكار عليهم ولم يرد به التمثيل من كل وجه لان خوض المنافقين
فيه كفر ومكث هؤلاء معهم معصية وعدم انكارهم عليهم لا يدل على الرضا، و[لا] على تقدير
تسليم الدلالة عليه فالرضاء بكفر الغير ليس بكفر اذا لم يكن مع استحسان له وتخصيص الخطاب
بالمنافقين لا يساعده السياق ولا يقتضيه اللحاق على ما ستقف عليه باذن الله تعالى واذن
ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وافرد مثلهم لانه كالمصدر
او للاستغناء بالاضافة الى الجمع وقرئ بالفتح على البناء لاضافته الى مبني قيل لما
نزلت هذه الآية وكانوا اذا خاضوا في ذلك قام المخلصون فعلم المنافقون بذلك فكانوا
يكثرون الخوض فيه قصدا الى تفريقهم ومن هنا ظهر وجه انتظام قوله ان الله جامع المنافقين
والكافرين اي جامع لذينك الفريقين في جهنم وقوله جميعا لاحاطة افرادهما وسياق الكلام
لزم المنافقين وموجب ذلك ان لا يجمع المذنبين من مخلصي المؤمنين مع الكفار فيها وذلك
بحذوهم قبل ان يدخلوا الذين يتربصون بكم ينتظرون ما يحدث بكم وهذا بدل من الذين
يتخذون او صفة للمنافقين خاصة او ذم مرفوع او منصوب وجوز ان يكون مبتدأ والخبر
قوله فان كان لكم فتح من الله وفيه ضعف لنبو المعنى عنه ولزيادة الفاء في غير محلها لان هذا الموصول
غير ظاهر الشبه باسم الشرط قالوا الم نكن معكم مظاهرين لكم فاسهموا لنا في الغنيمة وان كان
للكافرين نصيب من الحرب فانها سجال وانما سمي غلبة المؤمنين فتحا وغلبة الكافرين نصيبا
تعظيما لشان المسلمين وتخسيسا لحظ الكافرين لان ظفر اهل الاسلام امر عظيم تفتح له ابواب
السماء وينزل النصر على اوليائه واما غلبة الكفار فما هي الا حظ دني كنار العرفج قالوا الم
نستحوذ عليكم الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم فابقينا عليكم كاستحواذ الاستيلاء، وقد
جاء بالواو على اصله كما جاء استروح واستصوب ونمنعكم من المؤمنين بان خذلناهم بتخييل ما ضعفت
به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم فاشركونا فيما اصبتم فالله يحكم بينكم يوم القيامة يعني ان الحكم
ما في ضمنهم من الامهال في الدنيا استدراج لهم لا اهمال لامرهم والفاء السببية للدلالة على ان الحكم
الموعود عليهم لا لهم ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا حينئذ او في الدنيا والمراد بالسبيل
الحجة ولا متمسك فيه لاصحاب الشافعي على فساد شراء الكافر المسلم ولا للحنفية على حصول البينونة
بنفس الارتداد ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم سبق الكلام فيه في اوائل سورة
البقرة واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى بضم الكاف وفتحها جمع كسلان اي متثاقلين كالمكره

على الفعل يراؤن الناس ليخالوهم مؤمنين والمراآة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم
او للمقابلة فان المرائي يري من يرائيه عمله وهو يريه استحسانه كسالى ويراؤن منصوبان على
الحال من ضمير قاموا ولا يذكرون الله الا قليلا لاشتغالهم بامور الدنيا وتركهم عليها اما عطف
على يراؤن واما حال من ضميره قيل اذ المرائي لا يفعل الا بحضرة من يرائيه وهو اقل احواله وبابه العطف
بالواو اذ حقه العطف بالفاء مذبذبين بين ذلك مترددين بين الكفر والايمان من الذبذبة
وهو جعل الشيء مضطربا واصله الذب بمعنى الطرد حال من ضمير يذكرون او يراؤن او منصوب
على الذم وقرئ بكسر الذال اي يذبذبون قلوبهم او دينهم او يتذبذبون كقولهم صلصل
بمعنى تصلصل وقرئ بالدال غير المعجمة بمعنى اخذوا تارة في دبة واخرى في دبة وهي الطريقة
لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء لا صائرين الى احد الفريقين بالكلية وفي ذمهم بهذا الوجه دلالة
على ان النفاق اخبث من الكفر الصرف ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الحق والصواب اعتراض
لبيان تلك الذبذبة من الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين فانه
صنيع المنافقين ودينهم فلا تتشبهوا بهم اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا حجة
بينة فان موالاتهم دليل ظاهر على النفاق والهمزة للانكار والتقرير ان المنافقين في الدرك
الاسفل من النار وهي الطبقة التي في قعر جهنم وهو اشدها عذابا ولذلك يقول الكافرون
ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين والنار
سبع دركات سميت بذلك لانها متداركة متتابعة بعضها تحت بعض والمنافقون
اخبث الكفرة حيث ضموا الى الكفر استهزاء بالاسلام وخداعا للمسلمين ولذلك استحقوا
اشد العذاب واما قوله عم ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه
مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد خلف واذا ائتمن خان فمن باب التغليظ وقرئ في
الدرك بسكون الراء وهو لغة كالسطر والسطر والتحريك اوجه لانه يجمع على ادراك ولن
تجد لهم نصيرا يخرجهم منه الا الذين تابوا عن النفاق واصلحوا ما افسدوا من احوالهم
واسرارهم في حال النفاق واعتصموا بالله تمسكوا ووثقوا به كما يثق المؤمنون
الموقنون واخلصوا دينهم بالبراءة عن الرياء وتخصيص العبادة به تعالى وابتغاء وجهه
بالطاعات فاولئك مع المؤمنين اي اصحابهم ورفقاؤهم في الدارين وسوف يؤتي
الله المؤمنين اجرا عظيما فيساهمونهم فيه ويشاركونهم في الاجر ما يفعل الله بعذابكم
ان شكرتم وامنتم انكار لانتقامه تعالى بعذابهم اي منزه عن الاغراض التي انما يعذب الملوك
لاجلها لا تشفى به من غيظ ولا يدرك به ثارا ولا يستجلب به نفعا ولا يستدفع به ضررا كما يفعل
الملوك لانه الغني المطلق الذي لا يجوز عليه شيء من ذلك وانما العذاب بمقتضى حكمته فان شكرتم
نعمته باستعمالها فيما يجب وتوسلتم بها الى معرفته وامنتم به فقد ابعدتم استعدادكم عن استحقاقه

العقاب وكان الله شاكرا يثيبكم بايفاء اجوركم عليما بحق شكركم وايمانكم وانما قدم الشكر
على الايمان لان اعظم الشكر هو الاستدلال بالنعمة على المنعم الموصل الى معرفته ثم استعمالها في
والاستدلال مقدم على الايمان لا يحب الله الجهر بالسوء من القول انما ذكر هذا الوصف مع انه لا يحب
السوء مطلقا لانطباقه سبب النزول روي ان رجلا اضاف قوما فلم يطعموه فاصبح شاكيا فعوتب
على الشكاية فنزلت الا من ظلم الا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم وذكره بما فيه من السوء فالاستثناء
متصل وقرئ ظلم على البناء للفاعل على انه منقطع اي ولكن الظالم يجهر بالسوء فاعلا ما لا يحبه الله او على
البدل من الفاعل اي لا يحبه الا الظالم على لغة من يقول ما جاءني زيد الا عمرو بمعنى ما جاءني الا عمرو
ومنه قوله تعالى لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وكان الله سميعا بسمع قول المظلوم
عليما يعلم فعل الظالم ان تبدوا خيرا طاعة وبرا او تخفوه او تفعلوه سرا او تعفوا عن سوء
خص العفو بالذكر مع اندراجه في البين لكونه المقصود على اي وجه كان وذكر ابداء الخير واخفائه
تشبيبا له ولذلك رتب عليه قوله فان الله كان عفوا قديرا يكثر العفو عن العصاة مع القدرة
على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنته وتخلقوا بخلقه فحثهم العفو بجعله صفة لله تعالى وبالحث
على الاتصاف به وتعظيم صاحبه بانه تسمية ان الذين يكفرون بالله ورسله قوله بالله توطئة
لرسله بدليل قوله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله اي بالايمان بالله والكفر بالرسل
والمراد بالتوطئة بيان ان الكفر بالرسل كفر بالله فالتفريق ضمنا اي هل ذا واسطة بين الكفر و
والايمان ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم ويريدون
ان يتخذوا بين ذلك سبيلا طريقا وسطا بين الايمان والكفر اومى في اول الاية ان الكفر بالبعض
كفر بالكل وصرح به في اخرها بقوله اولئك هم الكافرون على سبيل الحصر بتوسيط الضمير وتعريف
ما بعده اي الكاملون في الكفر وبالتاكيد بالمصدر فان قوله حقا مصدر مؤكد لغيره او صفة لمصدر
الكافرين بمعنى هم الذين كفروا كفرا حقا اي يقينا محققا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا اراد
الاهانة في الغاية والا فمعلوم ان العذاب لا يكون الا مهينا والذين امنوا بالله ورسله ولم يفرقوا
بين احد منهم اضدادهم ومقابلوهم وقد سبق وجه دخول بين على احد في اخر سورة البقرة
اولئك سوف نؤتيهم اجورهم الموعودة لهم وتصديره بسوف لتوكيد الوعد والدلالة
على انه كائن لا محالة وان تاخر وقرئ يؤتيهم بالياء على تلوين الخطاب وكان الله غفورا لما فرط
منهم رحيما بتضعيف حسناتهم يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء نزلت
في احبار اليهود اذ قالوا ان كنت صادقا فاتنا بكتاب من السماء جملة كما قال وقال الذين كفروا
لولا نزل عليه القران جملة واحدة وقيل كتابا محررا بخط سماوي على اللوح كما كانت التورية او
كتابا الينا باعياننا كما قال بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة او كتابا نعاينه حين ينزل
كما قالوا لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه فقد سالوا موسى اكبر من ذلك جواب لشرط محذوف

الجزء السادس

دل عليه يسئلك اي ان سالوك ما كبر عليك فقد سالوا موسى اكبر من ذلك جواب الشرط محذوف
اي فلك في الانبياء اسوة ولهم في ذلك سابقة وانما قال فقد سالوا والسائلون اسلافهم
لانهم على طريقة واحدة وراضون بها كابرا عن كابر فهم واياهم قوم واحد في التعنت وعرقهم
راسخ في ذلك فقالوا ارنا الله جهرة اي ارناه نره جهرة عيانا او مجاهرين معاينين فاخذتهم
الصاعقة نار جاءت من السماء فاهلكتهم بظلمهم بسبب ظلمهم وهو تعنتهم في السوال والادلال
فيه على استحالة المسؤل ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات المعجزات ولا يجوز حملها على
التورية لان اتيانها بعد ذلك فعفونا عن ذلك اي تابوا فعفونا فالفاء فصيحة [illegible]
قوله في سورة البقرة ثم عفونا عنكم واتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا عليهم حين
امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن اتخاذهم العجل ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم بسبب ميثاقهم
ليقبلوه وقلنا لهم ادخلوا الباب اي باب ايليا سجدا مطاطئين عند الدخول رؤسكم وقلنا
لهم على لسان داود عم ويجوز ان يكون موسى عم فانه شرع السبت ولكن كان الاعتداء فيه
والمسخ في زمن داود عم لا تعدوا في السبت وقرئ لا تعدوا وعلى ان اصله لا تعتدوا فادغمت التاء
في الدال واخذنا منهم ميثاقا غليظا على ذلك وهو قولهم سمعنا واطعنا فبما نقضهم ميثاقهم
متعلق بمحذوف اي بسبب نقضهم ميثاقهم وكفرهم وكذا وكذا فعلنا بهم ما فعلنا من تحريم
الطيبات عليهم واعتداد العذاب الاليم لهم وحذف لدلالة ما بعده عليه وما يقوله حرمنا واعتدنا
على ان قوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبما نقضهم وما عطف عليه وما مزيدة للتاكيد
وتحقيق ان تحريم الطيبات عليهم واعتداد العذاب الاليم لهم لم يكن الا بنقض العهد وما يتبعه
من الكفر بالايات وقتل الانبياء عم وغير ذلك والفاء فصيحة عاطفة على محذوف تقديره
ثم نقض الميثاق فبسبب نقضهم الميثاق فعلنا بهم ما فعلنا وكفرهم بايات الله بما في كتابهم
وقيل القران وفيه انه ح حقه ان يؤخر عن قوله وقتلهم الانبياء بغير حق قد سبق تفسيره
في سورة البقرة وقولهم قلوبنا غلف مغشاة غطية خلقية لا يصل اليها شيء من الذكر والموعظة
بل طبع الله عليها بكفرهم رد لما قالوه اي لم يخلق قلوبهم غلفا بل طبع الله عليهم وخذلهم
بكفرهم فابطل استعدادهم فلا يؤمنون الا قليلا ايمانا قليلا لا عبرة به لنقصانه ويجوز ان يكون
القلة كناية عن العدم وقد سبق وجهها في سورة آل عمران واما ما قيل المعنى الا قليلا منهم كعبد
الله بن سلام فيا باه التفريع على ما تقدم وبكفرهم يعني بعيسى عم وهو معطوف على بكفرهم لانه
من اسباب الطبع او على قوله فبما نقضهم ويجوز ان يعطف مجموع هذا وما عطف عليه على مجموع
ما قبله ويكون تكرير ذكر الكفر ايذانا بتكرر كفرهم فانهم كفروا بموسى ثم بعيسى عليهما
السلام ثم بمحمد صلعم وقولهم على مريم يعني نسبتها الى الزنا والقول اذا تعدى بعلى يكون بمعنى
الافتراء ونصب بهتانا على تضمين معنى باهتين وقوله عظيما تاكيد لما في تنكير بهتانا من

نعيهم وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله قالوه استهزاء كما قال فرعون
ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ويجوز ان يكون استينافا بان يضع الله الذكر الحسن
مكان ذكرهم القبيح في الحكاية عنهم رفعا لعيسى عم عما يذكرونه به وعيسى بدل من المسيح
او عطف بيان وكذلك ابن مريم ويجوز ان يكون صفة ايضا واجاز ابو البقا في رسول الله
هذه الاوجه الثلثة الا ان البدل في المشتقات قليل وقد يقال ان رسول الله جرى مجرى الجوامد
وما قتلوه وما صلبوه تخصيص بعد التعميم لكونه محل الاهتمام او نفي لما ظنهم من انهم قتلوه
ثم صلبوه ولكن شبه لهم شبه مسند الى الجار والمجرور كانه قيل وقع لهم التشبيه او الى ضمير
المقتول المدلول عليه بقوله انا قتلنا كانه قيل شبه لهم من قتلوه روي انه دخل رجل من اليهود
بيتا كان هو فيه فلم يجده والقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى عم فاخذ وصلب
وامثال ذلك من الخوارق لا يستبعد في زمان النبوة وقيل ان رهطا من اليهود سبوه وامه
فدعا عليهم فمسخهم الله قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله بانه يرفعه
الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام رجل
منهم فالقى الله شبهه فقتل وصلب واما ذمهم الله بما دل عليه الكلام من جراتهم على الله وقصد
قتل نبيه المؤيد بالمعجزات الباهرة وتبجحهم به لا بقولهم هذا على حسبانهم وان الذين اختلفوا
فيه في شان عيسى عم وذلك انه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه
كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد آخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال
بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله يرفعني الى السماء انه
رفع الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت لفي شك منه من امره والمراد من الشك التردد
ولما احتمل ان يكون الوقوع في الشك لا كثر دفعه بقوله ما لهم به من علم شيء من جنس العلم الا
اتباع الظن استثناء منقطع والمعنى انهم مستمرون على الشك لكن قد يلوح لهم امارة فيحصل
ظن ثم يزول ويعود الشك وهذا ادل على شدة الحيرة من استمرار الشك ما يلزمه من الحيرة الخ
للمجيب لهم عنها وعبارة في الدلالة على الثبوت والتقرير انما تساعد هذا وما قتلوه يقينا
صفة مصدر محذوف اي وما قتلوه قتلا يقينا او حال اي وما قتلوه متيقنين فيما ادعوا من
قولهم انا قتلنا المسيح او تاكيد لما قتلوه حقا اي حق انتفاء قتله حقا وهو تاكيد لغيره بل
رفعه الله اليه رد وانكار لقتله واثبات لرفعه الى منزلة عالية مما كان فيه وكان الله عزيزا
لا يغلب على ما يريده حكيما في تدابيره ويدخل فيه دخولا اوليا ما دبره في امر عيسى عم وان من
اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به قبل موته جملة قسمية وقعت صفة لاحد ويعود اليه الضمير الثاني
والاول لعيسى عم اي ما من يهودي ولا نصراني الا ليؤمنن قبل ان يموت ولو حين تزهق روحه
ولا ينفعه ايمانه بان عيسى عم عبد الله ورسوله ويؤيد ذلك انه قرئ الا ليؤمنن به قبل موتهم

بضم النون لان احدا في معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معاجلة الايمان به قبل
ان يضطروا اليه ولا ينفعهم ايمانهم وقيل الضميران لعيسى عم والمعنى انه اذا نزل من السماء آمن
به اهل الكتاب جميعا فيكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام وهذا ينبغي تخصيص اهل الكتاب
بالذين هم يوجدون عند نزوله عم وتعميم الحكم لغير الكتابي ايضا فعلى ما ذكر يكون في المنزل
تخصيصا في موضع التعميم وتعميما في موضع التخصيص ويوم القيمة تقديمه للتخصيص يكون عليهم
شهيدا فيشهد على اليهود بالتفريط في حقه وعلى النصارى بالافراط فيه فبظلم من الذين هادوا
حرمنا عليهم طيبات احلت لهم يعني ما ذكر في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا الاية والتنكير
في بظلم للتعظيم وتقديمه على ما تعلق به يفيد التخصيص وبصدهم عن سبيل الله كثيرا اناسا
كثيرا او صدا كثيرا وانما اعيدت الباء هنا دون في واخذهم وما بعده للفصل بين المعطوف
بما ليس معمولا للمعطوف عليه بخلاف الفصل فيما بعده فان الفاصل ثمه بالمعمول للمعطوف عليه و
اخذهم الربوا وقد نهوا عنه اي كان محرما بدلالة السباق فلا دليل فيه على ان النهي المطلق يدل
على التحريم واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة وساير الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين
منهم دون من تاب وامن عذابا اليما في الغاية لكن الراسخون في العلم منهم كعبد الله بن سلام
واصحابه والمؤمنون اي منهم والمهاجرين والانصار يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك
خبر المبتدا والمقيمين الصلوة نصب على المدح لبيان فضيلة الصلوة او عطف على ما انزل
اليك والمراد بهم الانبياء عليهم السلام اي يؤمنون بالكتب والانبياء وقرئ بالرفع عطفا على
الراسخون او الضمير في يؤمنون او على انه مبتدا الخبر اولئك سنؤتيهم والمؤتون الزكوة رفعه
لاحد الاوجه المذكورة والمؤمنون بالله واليوم الآخر قدم عليه الايمان بالانبياء والكتب وما
يصدقه من اتباع الشرايع لانه المقصود من الآية اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما على جمعهم بين الايمان
الصحيح والعمل الصالح انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح بدا به عليه السلام لانه اول نبي شرعت
له الشرايع وسنت له السنن والنبيين من بعده جواب لاهل الكتاب ان ينزل عليهم كتابا من
السماء واحتجاج عليهم بان امره في الوحي كساير الانبياء واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق
ويعقوب والاسباط وعيسى ويونس وهرون وسليمن خصهم بالذكر مع اشتمال
النبيين عليهم لان ابرهيم عم اول اولي العزم وعيسى اخرهم والباقون اشراف الانبياء
ومشاهيرهم وانما لم يذكر موسى عم هنا لان طريقة مخصوصة على ما سيأتي التصريح بها وايضا
قد انزل عليه كتاب من السماء دفعة واحدة فلا يناسب ذكره في الرد على ما طلب من ذلك واتينا
داود زبورا وقرئ زبورا بالضم وهو جمع زبر بمعنى مزبور ورسلا منصوب بمضمر دل عليه
اوحينا او بما فسره قد قصصناهم عليك من قبل من قبل هذه السورة او اليوم ورسلا لم نقصصهم
عليك وكلم الله موسى تكليما وهو منتهى مراتب الوحي خص به موسى عم من بينهم قوله تكليما لدفع المجاز

قال الفراء العرب تسمي ما وصل الى الانسان كلاما باي طريق وصل ولكن لا تحققه بالمصدر فاذا
حقق به لم يكن الا حقيقة الكلام رسلا مبشرين ومنذرين منصوب على المدح او على
التكرير للتاكيد وعلى الحال الموطئة كقولك مررت بزيد رجلا صالحا لئلا يكون للناس على الله
حجة بعد الرسل لئلا يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فيوقظنا من سنة الغفلة وينبهنا
لما وجب الانتباه له ومن قال وفيه تنبيه على ان بعثة الانبياء عليهم السلام الى الناس ضرورية
لقصور الكل عن ادراك جزئيات المصالح والاكثر عن ادراك كلياتها فلم يثبت لعدم مساعدة
الاقتصار على التبشير والانذار لذلك فان الاهم حينئذ ذكر بيان الاحكام كما لا يخفى على ذوي
الافهام واللام متعلقة بحجة لانه مصدر وبعد ظرف لها او صفة وكان الله عزيزا لا يغلب فيما
يريده حكيما فيما دبره ويدخل فيه تدبيره في النبوة وتخصيص كل نبي من الانبياء المذكورين
بما خص به دخولا اوليا لكن الله يشهد استدراك عما دل سؤالهم فانه لما اجاب عن اقتراحهم
انزال كتاب من السماء تعنتا واحتج عليهم بان طريق الوحي المنزل على جميع الانبياء عليهم السلام
على هذا الاسلوب دل على انهم لا يشهدون به والام بالوا لو شهدوا ولم يتعنتوا فقال
لكن الله يشهد او انهم انكروه وكفى الله يبينه ويقرره بما انزل اليك من القرآن المعجز الدال
على نبوتك روي انه لما نزل انا اوحينا اليك الآية قالوا ما نشهد لك فنزلت انزله بعلمه حال
اي ملتبسا بعلمه جملة مفسرة او وردت بيانا للشهادة اي بعلمه الخاص وهو العلم بتاليفه على
وجه يعجز عنه كل بليغ او حال من يستعد للنبوة ويستاهل نزول الكتاب عليه او بعلمه الذي يحتاج
اليه الناس في معاشهم ومعادهم وعلى هذا يكون الحال عن المفعول وعلى الاولين عن
الفاعل والملائكة يشهدون ايضا بنبوتك وكفى بالله شهيدا اي وكفى بما اقام من
الحجج على صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيره ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد
ضلوا ضلالا بعيدا لجمعهم بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون اعرف في الضلال
وابعد عن الانقلاع عنه ان الذين كفروا بانكار نبوة محمد صلعم وظلموا انفسهم بالضلال
وغيرهم بالصد والاضلال لم يكن الله ليغفر لهم اي ليس في عادته تعالى المغفرة لهم ما داموا
على ذلك ولا ليهديهم طريقا لامتناعهم عن قبول ذلك الا طريق جهنم لاجرائهم اليها
بسوء اهوائهم او لا يهديهم يوم القيامة الا طريقا خالدين فيها ابدا لجري حكمه السابق ووعده المحتوم
وهو ان من مات على الكفر فهو لا يخرج من النار وخالدين فيها حال مقدرة وكان ذلك على الله
يسيرا لا يصعب عليه ولا يستعظمه يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق البيان للتعدية
اي بالكتاب والدين الذي هو الحق او للمصاحبة اي ملتبسا بالحق من ربكم لما قرر امر النبوة
وبين الطريق الموصل الى العلم بها ووعيد من انكرها خاطب الناس عامة بالدعوة والزام
الحجة والوعد بالاجابة والوعيد على عدمها فآمنوا خيرا لكم اي ايمانا خيرا لكم او ائتوا

لجري

امرا خيرا لكم مما انتم عليه وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض اي فان الله
غني عنكم ولا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم لان له ما في العالم كله فحذف الجزاء واقيم
تعليله مقامه وعبر عن العالم بقطريه وكان الله باحوال العالم حكيما فيما دبر له مراعيا للحكمة
في جميع افعاله التي من جملتها تعذيبه اياهم بكفرهم يا اهل الكتاب تجريد للخطاب وتخصيص له
بالنصارى زجرا لهم عما هم عليه من الكفر والضلال لا تغلوا في دينكم بالافراط في رفع شان
عيسى عم وادعاء الوهيته وانما غلوا اليهود في حط رتبته عم ورميهم له بانه ولد لغير رشدة
فقد نعى ذلك عليهم فيما سبق ولا تقولوا على الله الا الحق اي لا تصفوه بما يستحيل اتصافه به
من الحلول والاتحاد واتخاذ الصاحبة والولد بل نزهوه عن جميع ذلك انما المسيح قد مر تفسيره
في سورة آل عمران وقرئ بكسر الميم وتشديد الياء كالسكيت على صيغة المبالغة وهو مبتدا
وقوله تعالى عيسى بدل منه

سورة الانعام مكية غير ست آيات او ثلاث من قوله قل تعالوا وهي ١٤٥ اية

الحمد لله الذي خلق السموات والارض اخبر بانه تع حقيق بالحمد باعتبار ذاته المستجمعة بجميع صفات الكمال وعامة نعوت الجلال والجمال ونبه على استحقاقه له باعتبار افعاله العظام وآثاره الجسام ايضا حمدا ولم يجمد ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون و جمع السموات دون الارض مع انها مثلهن في التعدد لان طبقاتها مختلفة بالحقيقة على ما ورد في الاخبار دون الارض وا ما دلالة آثارها وحركاتها على تعددها فمبناها على اصول فلسفية باطلة وقدمها لتقدمها وجودا لانه على خلاف ما ورد في الاخبار الصحيحة على ما مر بيانه في تفسير سورة البقرة بل لشرفها وعلو مكانها وعبر بهما باعتبار انهما قطر العالم من جميع الاجسام لطيفها وكثيفها كما عبر بالظلمات والنور عن جميع الاعراض المحسوسة بالبصر وغاب بها عنه وجعل الظلمات والنور انشاءهما والفرق بين خلق وجعل المتعدي الى مفعول واحد ان الخلق فيه معنى التقدير والتسوية والجعل المذكور فيه معنى التعلق والارتباط بالغير بان يكون فيه او منه او اليه لا بان يصير اياه ولانه معنى آخر للجعل فانه ح يتعدى الى مفعولين ولهذا اي ولكون الارتباط بالغير معتبرا في معناه اثره هنا تحقيقا لما في الظلمة والنور من معنى القيام بالغير وتضمينا للرد على الثنوية بتقدير عدم صلاحيتهما للقيومية وجمع الظلمات دون النور لاختلاف اجناس ما غاب عنه البصر اختلافا فاحشا بحسب اختلاف مظاهره من القوى الظاهرة والباطنة بخلاف النور وقدمها لتقدم جنس الغائب عن البصر ظهورا فانه يظهر للانسان وهو جنين ولا يظهر له ما يدرك بالبصر ما لم يولد ولرعاية المناسبة لما تقدم ثم الذين كفروا يعني بالآخرة على ما افصح عنه قوله تع والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون عطف على خلق و في ثم معنى استبعاد ترك الايمان بعد ان قام عليه البرهان كانه قيل حصل ما اوجب توحيده من خلق السماء والارض وما بينهما بناء على انه لو كان فيهما آلهة آخر لفسدتا بربهم يعدلون حذف المفعول حفظا على الفواصل تقديره يعدلون غيره اي يتركون به واصل العدل المساواة اي ساووا بين الله تع خالق العالم وبين اصنامهم العاجزين عن الخلق ثم ان هذا العطف على قصد انه صلة اخرى او بعض الصلة بل على قصد انه من الروادف لتلك الصلة ولهذا حسن تمحض الفاء للسببية في قولنا ما تاتيني فاكرمك انقطع علاقة التشريك فلم يكن في معنى الحمد لله الذي عدلوا به ولتضمنه لاستبعاد الاشارة الى غاية لطفه ونهاية حكمه زاد وجه ذلك الارداف حسنا ولطافة ويجوز عطفه على الحمد لله والمعنى انه تع حقيق بالحمد على ما خلق نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون

بالاشارة

قال الحسن البصري الظلمات الكفر والنور الايمان وقال ابن عباس اي خلق الليل والنهار وقال علي بن الحسين كل ما في القرآن من الظلمات والنور فهو الكفر والايمان الا في هذه فانه يريد بها الليل والنهار وكذلك قال السدي وقال قتادة اي النار والجنة وروى عبد الله بن عمرو العاص عن النبي انه قال ان الله تعالى خلق خلقه في ظلمة ثم القى عليهم من نوره فمن اصابه يومئذ من ذلك النور اهتدى ومن اخطأه ضل من الكشف التفسير

فيكفرون نعمه وحذفت صلة يعدلون ايقاعا للانكار على نفس الفعل ووضع المظهر موضع الراجع الى الموصول تنبيها على انه خلق هذه الاشياء اسبابا لتكونهم وتعيشهم فمن حقه ان يجمد عليها ولا يكفر وبمعنى ثم على هذا الوجه استبعاد عدولهم عنه بعد ذلك هو الذي خلقكم من طين اي خلق اصل مادتكم وهو الاغذية التي تتكون منها النطفة او مادة اصلكم وهو آدم عم كاينه من طين وللتباعد بين الخلق الصوري والتقدير المعنوي ثم قضى اجلا نوعا من الاجل يحتمل التجاوز عنه واجل آخر لا يحتمل ودل على ذلك قوله مسمى اي مثبت معين وقد افصح عن هذا التفصيل قوله تع ويؤخركم الى اجل مسمى ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون على ما نقف عليه وعلى ما بين الفاضلين من المواصلة المعنوية في تفسير نوح عم والذي عبر عنه ثم باضافة الاجل الى الله تع هو المعبر عنه هنا عنده اثبت تعيينه ثم اخبر بان ذلك المعين عنده جسيما لقطع تغييره وكون ذلك الاجل مبهما نظرا الينا ذكر منكرا وانما قدم وهو نكرة على خبره وهو ظرف للفاصل بينهما بما هو مختص له ثم انتم تمترون الامتراء التردد في المتقابلين ماخوذ من مري الضرع اي مسحه والفرق بينه وبين الريب والشك قد مر في قوله تع لا ريب فيه والامتراء لهم فيما ذكر حقيقة الا انهم لانهماكهم في حب الحيوة كانهم شاكون في الموت وانما ذكر ثم مع زيادة الانقاع في انتم تنبيها على زيادة الاستبعاد وهو الله الضمير لله تع والله خبره في السموات وفي الارض متعلق بمعنى اسم الله تع اي هو المستحق للعبادة فيهما لا غير او هو المتوحد بالالهية لا غير ويجوز ان يتعلق الظرف بقوله يعلم ويكفي لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد في الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه او بالمصدر وهو بمعنى المفعول فليس بمقدر بحرف مصدر وصلته حتى يلزم تقدم صلته عليه والجملة خبر ثان او هي الخبر والله بدل ويجوز ان يكون الظرف مستقرا وقع خبرا بمعنى انه لكمال علمه بما فيهما كانه فيهما وفي الجملة الفعلية الواقعة حالا عن ضمير الاستقرار في الظرف بيان وتقدير سركم باطنكم اي نفوسكم وجهركم ظاهركم اي ابدانكم وعلى تقدير تعلق الظرف بالفعل المذكور ويكون المعنى يعلم نفوسكم المفارقة لابدانكم في الارض ويعلم ما تكسبون بالقوى النفسانية والجوارح البدنية لانه تع خالق والخلق كاسب ولما كان مقتضى العلم بذلك كونه خالقا له وهو مظنة الاشتباه حتى ضل فيه كثير من الناس اعاد الفعل اهتماما بالتحقيق ذلك المقتضى ولما ثبت المبداء مع ما يتوقف عليه المبدائية من التوحيد ثم اثبت المعاد مع ما يتوقف عليه الاعادة من العلم بني ثبوت النبوة بشهادته واوعد المنكرين بقوله وما تاتيهم من آية من آيات ربهم من الاولى مزيدة لاستغراق دل عليه وقوع آية في سياق النفي والثانية للتبعيض كانه قيل ما تاتيهم بعض من الآيات اي بعض كان فلا منافاة بين هذا التبعيض والاستغراق والآيات هي المعجزات الظاهرة لهم

واسنادها الى الرب للتعظيم والتنبيه على انها صادرة عنه تعالى تصديقا للنبي صلعم
الا كانوا عنها معرضين تاركين لها غير ملتفتين اليها لكونهم غير مبالين بالعواقب
وفي العدول عن صيغة الفعل وزيادة كان دلالة على شدة اعراضهم وقوة ثباتهم وزيادة
تمرنهم عليه فقد كذبوا بالحق كلام كاللازم لما قبله اذا اعرضوا عن الآيات كلها فقد كذبوا
بالحق اي بها او كالدليل عليه اي ان اعرضوا عن الآيات كلها فلا عجب فقد كذبوا بما هو اعظم
الآيات كلها واجلها وهو الحق لما جاءهم اي القرآن الذي تحدوا به فعجزوا عن الاتيان بمثله وكأنه
لوضوحه معلوم عند الكل ان الحق هو لا يحتاج الى تسميته وعلى هذا معنى الابهام في انباء ما كانوا
تعظيم القرآن وتفخيم شأنه اي سيعلمون باي شيء استهزؤوا او ينكشف لهم انه لم يكن بموضع استهزاء
فسوف يأتيهم يعني الاتيان كائن لا محالة وان تأخر ففائدته توكيد الوعد وتنبيه لابان كونه
متأخرا انباء ما كانوا به يستهزؤون اخبار ما استهزؤوا على تجدد الاستهزاء حينا فحينا تارة بنسبته
الى السحر والكهانة واخرى الى الشعر واساطير الاولين ان هو الا ذكر وقرآن مبين ولتعلمن نبأه
بعد حين والمراد من اخباره ما فيه من الوعد للمصدقين والوعيد للمنكرين آجلا وعاجلا و
هذا منهم غاية العصيان ونهاية التمادي في الطغيان حيث اعرضوا عما هو بينة اولا وكذبوا
ثانيا وسخروا به ثالثا ومن الرحمن زيادة فضل واحسان اذ اخرهم الى حين ولم يعجل لهم بالعذاب
المهين شدد عليهم النكير وهددهم ثم جاءهم بالموعظة والتذكير بقوله الم يروا كم اهلكنا
من قبلهم من قرن كم مفعول اهلكنا ومن تبيين لابهامها اي كثيرا من القرون اهلكنا وكل اهل
عصر قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم مأخوذ من قرن الشمس وهو اعلاها واول ما يبدو منها
وقال الزجاج عندي القرن هو اهل كل مدة كان فيها نبي او طبقة من العلماء قلت السنون
او كثرت والتقدير برده قوله عم خيركم قرني ثم اصحابه رض ثم الذين يلونهم يعني التابعين
ثم الذين يلونهم يعني تابع التابعين مكناهم في الارض اي ثبتناهم فيها متمكنين اباهم و
انباتهم فيها كناية عن طول عمرهم كما ان تاليه كناية عن بسط معيشتهم ما لم نمكن لكم مكنه ابلغ
من مكن له اي جعل له مكانا فكأنه قيل ثبتناهم ما لم نثبتكم ما يقرب منه والالتفات للتنبيه والتمييز
بينهم وبين المحكي والخطاب لاهل مكة وارسلنا السماء عليهم مدرارا السماء هو المظلة والمرسل
المدرار هو المطر والسحاب فلا بعد في التجوز في المسند اليه او في الاسناد والمدرار مفعال يستوي
فيه المذكر والمؤنث معناه كثير الدر وجعلنا الانهار لم يقل واجرينا الانهار جريا على مجرى
قرينه السابق لان النهر انما يطلق على الماء حال كونه جاريا فليس له ان يجري وان لا يجري
وهو نهر بخلاف الماء والنازل من السماء والسحاب فانه قد يحبس وقد يطلق وهو
وانما صدره بالواو الدالة على الاستقلال دون الفاء لان المقام مقام تعداد النعم
العظام وفي ضمنه الاشارة الى ان الانهار موادها لا يلزم ان يكون من الامطار فافهم

هذا الاعتبار تجري من تحتهم الانهار خص هذا الوصف بالذكر لانه مما يتعاظمه الناس
الا يرى قول فرعون وهذه الانهار تجري من تحتي فاهلكناهم بذنوبهم الفاء فصيحة
تفصح عن محذوف تقديره بطرت معيشتهم وانشأنا من بعدهم تحقيق لامر الوعيد
بتسهيل شأن الاهلاك فان من قدر على انشاء القرون لا يتعاظم عنده اهلاك بعضهم
بذنوبهم وفي عبارة الانشاء اشارة الى انهم قلعوا من اصلهم واستوصلوا فلم يبق
احد من نسلهم ويعضد ذلك ما رواه ابن مسعود رض عن النبي عم انه قال ان الله تع
لم يهلك قوما او يعذب قوما فيجعل لهم نسلا قرنا آخرين يعمر به بلادهم وحاصل الوعيد انه تع
كما قدر ان يهلك من قبلكم كعاد وثمود وينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده قدر ان يفعل
مثل ذلك بكم قيل جماعة من قريش قالوا يا محمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله
ومعه اربعة من الملئكة يشهدون عليه انه من عند الله وانك رسوله فنزلت ولو نزلنا عليك
نزل منا بمعنى انزل الكتب بمعنى اخبر كتابا مكتوبا في قرطاس ورق فلم يقتصروا على رؤيتهم
الكتاب عيانا في قرطاس بل زاد عليه التقييد بقوله فلمسوه تقوية للادراك البصري بالادراك
اللمسي مبالغة في الظهور وفيه دفع ما عسى ان يقول انما سكرت ابصارنا وما نزل من السماء
اذ باللمس انما يندفع احتمال كون المرئي مختلا واما نزوله من السماء فلا يثبت به ثم ان اللمس
لانه لصوق فقط ولذلك آثر اللمس عليه بايديهم انما قيد به لان اللصوق بالاحساس يكون بجميع
الاعضاء وللبد خصوصية في الاحساس ليست في سائرها واما التجوز باللمس عن الفحص كما في
قوله تع وانا لمسنا السماء فلا يندفع به اذ لا بعد في ان يكون ذلك البيان مباشرتهم للفحص
بانفسهم بل يندفع بكون المعنى الحقيقي انسب للمقام ولما سيق له الكلام لقال الذين كفروا
عدل عن الظاهر حيث لم يقل لقالوا تنبيها على ان هذا ليس باول كفر منهم ويجوز ان يكون
تعريف الموصول للعهد والمراد به اشخاص توغلوا في التعنت والعناد على وفق ما ذكر في سبب النزول
فيكون التوصيف بيانا للسبب تقولهم ان هذا الا سحر مبين توصيف السحر بالمبين في
مقابلة توصيف المنزل بكونه ملموسا بايديهم فكأنهم عارضوا تأكيده الفعلي في الاظهار
بتأكيده القولي بالانكار وهذا دليل على غاية عنادهم وخبثهم وفسادهم وقالوا
لولا انزل هلا انزل عليه ملك يكلمنا انه نبي ولو انزلنا ملكا لقضي الامر جواب لقولهم و
بيان المانع من انزال مقترحهم والقضاء للاهتمام والالزام والمعنى لتم اهلاكهم لوجوب
العذاب بعد ذلك وهذا لانهم لا يؤمنون ولو نزل عليهم الملك كما اخبر الله تع به في قوله تع
ولو اننا نزلنا اليهم الملئكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا وكسنة
الله تع في الكفار قد جرت على انه متى اقترحوا آية قاهرة فظهرت ثم لم يؤمنوا استوصلوا بالعذاب
على ما افصح عن ذلك آية المائدة ولكن الله تع ابى من استيصالهم بتعظيم النبي عم كما اخبر به في

قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ثم لا ينظرون اى لا يؤجلون ولا يمهلون قال قتادة لو
انزلنا ملكا ثم لم يؤمنوا لعجل لهم العذاب ولم يؤخروا طرفة عين يعنى بعد عدم ايمانهم لا بعد
نزول العذاب وفى لفظة ثم اشارة الى ان لهم مهلة قدر ان يتاملوا فيما نزل فيؤمنوا بالاختيار
ولا اختيار لا بالالجاء والاضطرار فافهم هذا الاعتبار ولو جعلناه اى الرسول ملكا لجعلناه
اى لمثلناه رجلا كما مثل جبرئيل عم فى صورة دحية وذلك لان ابصار عامة البشر لا تقدر
على النظر الى صورة الملك للطافة وضعف شعاع ابصارهم جواب اقتراح ثان فانهم يقولون
لو شاء ربنا لانزل ملائكة واحتمال ان يكون جوابا ثانيا على ان الضمير للملك المقترح انزاله
يأباه عبارة تارة يقولون لولا نزل عليه ملك وتارة جعلناه ملكا فانه المناسب ح ان يقول
ولو انزلناه ملكا لجعلناه رجلا وانما لم يقل بشرا مع انه المناسب لمقابلة الملك تضمينا للكلام معنى
زائدا على اصل المرام وهو الاشارة الى ان شان الرسالة البراءة عن النقصان ولا بد من رعايته على
التقدير المذكور حتى لا يصح ان يكون الرسول المفروض فى صورة امراة ولا فى صورة صبى وهذا كان
تفصيل ما ذكر انه لا ينفع لهم فيما سالوا لانه اذا كان فى صورة رجل لا يعلمون انه ملك فلا يجدى نفعا
فى دفع شبهتهم بحجة ان يقال يجوز ان يكون لنا رد الملك فى صورة الرجل فيندفع الاشتباه بذلك
تدارك دفعه بما مرجعه الى انه لا بد من الالتباس والاشتباه كيلا يفوت حكمة التكليف فقوله و
للبسنا من تتمة الجواب قرئ باللام مبنى على تقدير شرط اخر وقرئ بلام واحدة على العطف
وبالتشديد فيهما للمبالغة عليهم ما يلبسون اى لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم الآن
فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم ثم قال تسلية له عم عن استهزائهم به بان له فى الانبياء عم
اسوة وان ما يفعلون به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء عم وتنبيها لنا على ان
قولهم ذلك على سبيل الاستهزاء والا فهم عقلاء يعلمون ان رسول قوم لا يكون الا منهم
ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق اى حاط بسبب ذلك الاستهزاء بالذين سخروا والمراد
الاهلاك من احاط العدو فالحيق لا يستعمل الا فى الشر منهم تنبيه على ان ضرر سخريتهم
لا يتعدى انفسهم وهو مدلول قوله الآتى وان يهلكون الا انفسهم ما كانوا به يستهزؤن
من العذاب الذى كان الرسل يخوفونهم بنزوله فلا تجوز له فى الاسناد ولا فى المسند اليه
لما ذكر اهلاك المستهزئين المكذبين امر بالسير فى الارض للاعتبار بحالهم من مساكنهم فقال
قل سيروا فى الارض الى ان تشرفوا على ديار قوم نزل بهم العذاب فاخبروا واعتبروا
ولما كان فى هذا السير المامور به من الامتداد جئ بكلمة التراخى فى قوله ثم انظروا فان
النظر وان لم يكن متراخيا عن السير باعتبار الانتهاء ولكنه متراخ عنه باعتبار الابتداء
واما قوله قل سيروا فى الارض فانظروا فلعل المراد من الارض فيه ما هو المعهود من ارض
قوم نزل العذاب بساحتهم فجئ بفاء التعقيب تنبيها على ان السير انما امر به لاجل النظر فجعله

ان لا يتاخر عنه وما قيل معناه اباحة السير فى الارض وغيرها من المنافع وايجاب النظر فى
آثار الهالكين ونبه على ذلك بثم لتباعد ما بين الواجب والمباح باباه سلامة الذوق
لان الخام امر اجنبى عن حال المستهزئين وما يناسبه يتصل به من الامر بالاعتبار باثارهم
مما يخل بالبلاغة اخلالا ظاهرا كيف كان عاقبة المكذبين دون المستهزئين اشارة الى انه
حال من كذب اذا كان كذلك فكيف الحال فى حال من جمع بينه وبين الاستهزاء قل لمن فى
السموات والارض الزام وتبكيت لانهم لا يقدرون ان يضيفوا خلقها وملكها الى غيره تع
ولذلك عقبه بقوله قل لله تقرير لهم اى لا خلاف بينى وبينكم فى ذلك وفيه انهم مع
كونهم مقرين بذلك على ما افصح عنه قوله تع ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن
الله تنبيه فلوا فى الجواب واستمعوا الماظهر منكم من كونهم محجوجين فقد عليهم ذلك كتب على
نفسه الرحمة فى الدارين اى التزمها تفضلا واحسانا لا ان ذاته اوجبها على نفسه بمقتضى حكمته وهذا
استعطاف منه تع للمتولين عنه الى الاقبال اليه واخبار بانه رحيم بالعباد لا يعجل بالعقوبة
ويقبل الانابة والتوبة ليجمعنكم ضمن الجمع معنى الحشر ولذلك قال الى يوم القيمة اى الى
وقفها كيوم بدر استيناف وقسم للوعيد على اشراكهم كانه قيل وما تلك الرحمة فقيل هى
انه تع ليجمعنكم الى يوم القيمة وذلك لانه لولا خوف الحساب والعذاب يحصل الهرج والمرج
وارتفع الضبط وكثر الخبط فتقدير العقاب فى العقبى من اعظم اسباب الرحمة فى الدنيا ولك
ان تقول بين بقوله كتب على نفسه الرحمة كمال رحمته بالامهال ودفع عذاب الاستيصال
بعد ما قدم بيان كمال قدرته بقوله قل لمن ما فى السموات والارض ليتعين من اول الامر
ان امهاله ذلك عن رحمة لا عن عجز ثم بين بقوله ليجمعنكم فيجازيكم على شرككم انه يمهل ولكن
لا يهمل بل يحشرهم ويحاسبهم على نقير وقطمير لا ريب فيه فى اليوم او الجمع الذين خسروا
انفسهم نصب على الذم او رفع عليه او مبتدا خبره فهم لا يؤمنون والفاء للسببية
فان الخسران بتضييع راس مالهم وهو نور الفطرة يوجب الاصرار على الكفر وله ما سكن
فى الليل والنهار لما ذكر ان له ملك ما حوى المكان من السموات والارض ذكر ان له ما حوى الزمان
واشتمل عليه الملوان وكل واحد من المكان والزمان وان كان مستلزما للآخر لكن التنصيص
عليهما ابلغ فى مقام التقرير والبسط وقدم المكان لانه اقرب الى العقول والاذهان والظاهر
انه استيناف اخبار ليس مندرجا تحت قل وسكن من السكنى وهو يتعدى بفى كما يتعدى
بنفسه يقال سكنوا الدار وسكنوا فيها لا من السكون على الاكتفاء باحد الضدين عن الآخر لانه
لا يناسب بسط الظاهر قصده من تفصيل ظرفى المكان وصنفى الزمان وهو السميع العليم
وعيد للمشركين على اقوالهم وافعالهم قل اغير الله اتخذ وليا همزة الاستفهام على الاسم
دون الفعل لان الانكار متوجه على اتخاذ الغير وليا لا الى اتخاذ الولى مطلقا ولا دخل فى ذلك

لتقديم المفعول لانه لا تم لدخول همزة الاستفهام فكان ثانيا تبعا له وانما عبّر عن المعبود بالولي
لان اول درجة العبادة تستلزم اتخاذه وليا فكان نفيه ابلغ فاطر السموات والارض مبدعهما
وجرّه على الصفة لله فانه بمعنى الماضي ويؤيده قراءة فطر ويجوز ان يكون بدلا ويرجحه ان الفصل
بين المبدل منه والبدل اسهل من الفصل بين المنعوت والنعت بناء على ما هو المشهور من ان
البدل على تكرار العامل وقرئ بالرفع والنصب على المدح والجملة تقرير لانكار اتخاذ غير الله
تعالى وليا وتعليل له وكذا قوله وهو يطعم ولا يطعم اي المنافع كلها من عنده ولا يجوز عليه الانتفاع
محصول الطعم غير ملحوظ بل هو من باب تنزيل جل الشيء منزلة كله وقرئ ولا يطعم بفتح الياء و
بعكس الاول على ان الضمير لغير الله تع فان الكلام وان كان مع عبدة الاصنام الا انه نظر الى
عموم غير الله تع وتغليب ولي النهى لان فيه انكارا ان يصلح الاصنام للالوهية بطريق الاولى
والمعنى كيف اشرك بمن هو فاطر السموات والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وبناءها على
على ان الثاني من اطعم بمعنى استطعم وعلى انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى اي وهو الباسط و
القابض بحسب الحكمة والمصلحة كقولك وهو يعطي ويمنع قل اني امرت ان اكون اول من اسلم
لان النبي عم سابق امته في الاسلام وهذا على طريقة التحريض على الاسلام كما يأمر الملك
رعيته بامر ثم يتبعه بقوله انا اول من يفعل ذلك لتحملهم على فعله ولا تكونن من المشركين
عطف على معنى قوله قل اني امرت فانه بمعنى قيل لي كن اول من اسلم فلا حاجة الى تقدير قيل
لي لا تكونن اي امرت بالمسارعة الى الاسلام ونهيت عن الشرك ولتعلق الامر بالمسارعة دون
نفس الاسلام لم يؤكد تأكيد النهي المتعلق بنفي الشرك وقيل يجوز عطفه على قل ويرد عليه
ان سلامة النظم تأبى عن فصل الخطابات التبليغية بعضها من بعض بخطاب ليس منها
قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم الشرط معترض بين الفعل والمفعول
وجوابه محذوف دل عليه الجملة والانبياء عم وان كانوا معصومين عن الكفر الا انه قد
يفرض ذا التعلق به لغرض صحيح من المبالغة في اطاعتهم والتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبو
العذاب فلا دلالة في الآية على انه عم كان يخاف على نفسه الكفر من يصرف عنه اي العذاب
وهذا ابلغ لتضمنه معنى ان ينال انصراف العذاب برحمة من الله تع سواء كان الصارف
هو او غيره فان فيه تنبيها على ان الغير كالشفعاء وان كان صارفا للعذاب عن العصاة لكون
صرفهم ذلك باذن الله تع يومئذ وقرئ يصرف مبنيا للفاعل على ان الضمير فيه لله تع ويعضده
القراءة باظهاره ويناسب الجزاء والمفعول به محذوف لظهوره مما قبله ويومئذ على ان
يراد منه مفعوله فلا حاجة الى تقدير المضاف وفي عبارة العرف اشارة الى ان الآية تتعلق بالعذاب
فقد رحمه نجّى ذلك الحرف ونظير هذا قوله عم لن يجزي ولد عن والده الا ان يجده
مملوكا فيشتريه فيعتقه يعني بالاشتراء المذكور وجه ذلك ان اختلاف العنوان يكفي في صحة

يتوله
فيمن

الترتيب والتعقيب ولكن تقول ان الرحمة مسبب للصرف سابق عليه على ما توجه اليه من
او نبين بصيغة الماضي وصيغة مستقبل والترتيب باعتبار الاخبار عنها وذلك اي صرف العذاب
عنه وهو مستحق له الفوز المبين ظهور الفوز يزداد بازدياد الاستحقاق المعتبر فهي صرف عنه
العذاب وان يمسسك الله بضر وهو سوء الحال اخص من الشر المقابل للخير وانما خصه بالذكر
لشدة الحاجة فيه الى الكشف فلا كاشف له فلا مزيل عنك له الا هو وان يمسسك بخير حذف
جوابه لدلالة جواب مقابله عليه ثم اكد الجوابين بشموله قدرته على كل شيء فهو على كل شيء
قدير فلا يقدر غيره على مخالفته وهو القاهر فوق عباده يعني الفوقية ههنا تصوير
للقهر والعلو بالغلبة والقدرة لا بالجهة وفي القهر معنى زائد ليس في القدرة وهو منع غيره
عن بلوغ المراد وهو الحكيم في امره وتدبيره اياهم الخبير باحوالهم وخفايا امورهم قل اي
شيء اكبر شهادة روي ان قريشا قالوا يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا
ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد لك انك رسول الله فنزلت والشيء يطلق
على كل موجود وقد مر تفصيله في سورة البقرة ووصفه شهيد للمبالغة في التعميم قل
الله هو الجواب ثم ابتداء شهيد بيني وبينكم كرر البين ولم يقل بيننا للايماء الى
معنى التفصيل المترتب على الشهادة المقبولة ويجوز ان يكون الجواب الله شهيد فهو
على الاول للتعلق من اثبات التوحيد الى اثبات النبوة بان هذا الشاهد الذي لا اصدق
منه شهد لي بايحاء هذا القرآن وعلى الاسلوب الحكيم لان الوهم لا يذهب الى ان
هذا الشاهد يحتمل ان يكون غيره تع بل الكلام في انه هل يشهد لنبوته اولا واوحي الي
هذا القرآن لانذركم به اي بالقرآن والخطاب لكفار مكة وليس فيهم ما يصح ان يبشروا
به لذلك خص الانذار بالذكر ومن بلغ من في موضع نصب عطفا على مفعول لانذركم ومن
بلغ هذا القرآن من العرب والعجم وقيل من الثقلين ممن وجد ويوجد الى يوم القيمة
وهو دليل على ان احكام القرآن تعم كل من بلغه الى يوم القيمة واما انه لا يؤاخذ بها من لم يبلغه
فلا دلالة فيه عليه الا عند من قال بحجية المفهوم ويجوز ان يكون في موضع رفع عطفا على
الضمير المستكن في لانذركم وجاز ذلك للفصل بينه وبين الضمير اي ولينذر به من بلغه
القرآن ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة تقرير لهم مع انكار واستبعاد ولما كانت تلك
الآلهة حجارة وخشبا اجريت مجرى المفرد تحقيرا لها فوصف بما هو وصف بالمفرد وقيل
اخرى قل لا اشهد بها وتكم بان معه آلهة قل انما هو اله واحد قل اشهد ان لا اله الا هو
وانني بريء مما تشركون امرا اولا بان يخبرهم بانه لا يوافقهم في الشهادة ولا يلزم منه كذلك اقراره
لله تع بالالوهية فامر به ثانيا ثم امر ثالثا بان يخبرهم بالتبري من اشراكهم وهو التأكيد لما قبله
الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه يعني اليهود والنصارى يعرفون رسول الله صلعم بحليته

للتعلق
ذلك يوم من بابه

ونعته الثابت في الكتابين معرفة حقة كما يعرفون ابناءهم بحلاهم الذين خسروا انفسهم
من المشركين واهل الكتاب بتضييعهم ما يكسب به الايمان من النور الفطري فهم لا يؤمنون
قد مر وجه السببية المستفادة من الفاء على انه لا يلزمها بل يكفي ان يكون ما بعدها لازما لما
قبلها كما يكون قوله تع قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ومن اظلم ممن افترى على
الله كذبا بقولهم الملئكة بنات الله تع وهؤلاء شفعاؤنا عند الله وغير ذلك او كذب باياته
بالقران او بالمعجزات وانما جاء باو مع كونهم جامعين بين الكذب والتكذيب تنبيها على ان كلا
منهما وحده بالغ غاية الافراط في الظلم على النفس لا ظلم فوقه انه لا يفلح الظالمون جاء بضمير
الشان مع ان للاجمال والتفصيل والتنبيه على ان الظالم قط لا يفلح فكيف ممن لا احد اظلم منه ويوم
نحشرهم جميعا منصوب بمضمر حذف تهويلا للامر ومبالغة في التخويف تقديره كان ما لا يدخل
تحت الوصف والحشر السوق من جهات مختلفة الى مكان واحد ثم نقول للذين اشركوا وقرئ
يحشرهم ويقول بالياء فيهما اين شركاؤكم سوال توبيخ وانما اضيف الشركاء اليهم لانه لا شركة
في الحقيقة بين الاصنام والمعبود بحق وانما وقع عليها اسم الشريك بمجرد تسميتهم لها شركاء
فاضيف اليهم بهذه النسبة ويعضده التعبير عن اعتقادهم بالزعم فانه كالعلم في
الباطل ولا يخفى ما فيه من التهكم الذين كنتم تزعمون انهم شركاء الله حذف المفعول لدلالة
سياق الكلام عليه وهذا السوال الظاهر فلا وجه في غيبة الشركاء وقوله تع وما نرى شفعاءكم
الى قوله وضل عنكم ما كنتم تزعمون نص فيها فلا وجه لما قيل يجوز ان يحضروا ويشاهدوا
ولكن لما لم ينتفعوا بهم ولم يكن فيهم ما رجوا من الشفاعة لهم جعلوا كانهم غيب عنهم وهو
ابلغ في التوبيخ اذ وجودهم اشد من العدم واما ما قيل يجوز ان يحال بينهم وبينها ليتفقدوها
في الساعة التي علقوا بها الرجاء فيها فيرد عليه انه ح ينكشف الحال عندهم ويعلمون انهم لا
منفعة لهم في آلهتهم بل مضرة فلا احتمال للتفقد ثم لم تكن فتنتهم جوابهم وانما سمي فتنة
لانه معذرتهم التي توهموا تخلصهم بها من قولك فتنت الذهب اذا خلصته وقيل كفرهم والمراد
عاقبته الا ان قالوا وقرئ بالتاء الفوقانية والنصب على تقدير ان قالوا مؤنثا اي ثم لم تكن
فتنتهم الا مقالتهم وهذا احسن اعتبار التانيث في الخبر وقرئ يكن بالياء التحتانية وفتنتهم
بالنصب على ان الاسم ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين كذبوا وحلفوا مع علمهم بانه لا ينفع
حيرة ودهشة وقرئ ربنا بالنصب على النداء او المدح انظر كيف كذبوا على انفسهم بنفي الشرك
عنها وضل عنهم ما كانوا يفترون اي غاب عنهم ما كانوا يفترونه من الشركاء اي يفترون الالهية
والشفاعة ومنهم من يستمع اليك حين تتلو القران روي ان جماعة من كفار قريش سمعوا
الرسول ع م فقالوا للنضر ما يقول محمد فقال ما يقول الا اساطير الاولين مثل ما احدثكم من القرون
الماضية وكان صاحب اخبار فنزلت وجعلنا على قلوبهم اكنة جمع كنان وهو ما يستر الشئ

كالغطاء ان يفقهوه ويجوز ان يكون مفعولا لما دل عليه الكلام المذكور اي منعناهم ان يفقهوه
وفي آذانهم وقرا ثقلا الاكنة في القلوب والوقر في الآذان مما ينفي فقاهتهم وسماعهم عن
قبوله واعتقاد صحته وما قيل لما كان القران معجزا من حيث اللفظ والمعنى اثبت لكفرة ما يمنع
عن فهم المعنى وادراك اللفظ يرد عليه انهم ما عجزوا عن ادراك اللفظ المسموع على ما دل عليه
ما مر في سبب النزول انما عجزوا عن ادراك اللفظ المطبوع الحاصل للخواص والمزايا وان يروا
كل آية لا يؤمنوا بها لفرط عنادهم ولا بد من تخصيص الآية ببعض المجيئة دفعا للمنافاة بينه وبين
قوله تع ان نشا ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين حتى اذا جاؤك يجادلونك
حتى هي التي تقع بعدها الجمل والجملة بعدها الشرطية يجادلونك في محل الحال وجواب الشرط يقول
الذين كفروا وفيه وضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالكفر والعناد مع وضوح الآيات
ويجوز ان يكون حتى هي الجارة واذا مجرد الظرفية في محل الجر فلا يكون له جواب اي حتى
مجيئهم ويقول الذين تفسير ليجادلونك ان هذا الا اساطير الاولين اي ليس الا الاباطيل
الواحدة الاسطورة بالضم واسطارة بالكسر وجعل اصدق الحديث خرافات الاولين
غاية التكذيب وقيل الاساطير جمع اسطار جمع سطر بالتحريك بمعنى الخط والكتابة و
على هذا ينطبق ما روي عن النضر فيما سبق واما السطر بالسكون فجمعه اسطر وسطور وهم
ينهون عنه اي ينهون الناس عن القران او الرسول واتباعه عن الايمان به وينأون ويبعدون
عنه بانفسهم فيضلون ويضلون وان يهلكون وما يهلكون بذلك الا انفسهم وما يشعرون
ان ضرر ذلك لا يتعداهم الى غيرهم وان كانوا يظنون انهم يضرون رسول الله صلعم ولو
ترى اذ وقفوا من وقفه اي حبسه لانه قال في موضع آخر ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم
يوزعون اي يحبسون والقران يفسر بعضه بعضا وضمنه معنى الاطلاع دل على ذلك قوله
على النار والمعنى اذ حبسوا مطلعين على النار ومنه وقفته على كذا اذا فهمته وعرفته وقرئ على البناء
للفاعل منه وقف عليه وقوفا وانما حذف الجواب تهويلا اي لو تراهم حين يوقفون عليها حتى
يعاينوها او يطلعون عليها وهي تحتهم او يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها لرايت امرا شنيعا
لا يدخل تحت الوصف فقالوا يا ليتنا نرد تمنوا الرجوع الى الدنيا ولا نكذب بآيات ربنا ونكون
من المؤمنين وقرئ بنصب نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين باضمار ان بعد الواو ولا
على جواب التمني لان الواو لا يقع في جواب الشرط ولا ينعقد بما قبلها وبعدها بشرط وجواب وانما
هي واو الجمع يعطف ما بعدها على المصدر المتوهم قبلها والافعال الثلثة متمناة على سبيل الجمع
بينها لا ان كل واحد متمنى على حدة اذ التقدير يا ليتنا يكون رد مع انتفاء الكذب وكوننا مع
المؤمنين او واو الحال على ان مدخولها حال من الضمير في نرد غير مكذبين وكائنين من المؤمنين
وقرئ برفعهما عطفا على نرد فيكونان داخلين في التمني وقوله وانهم لكاذبون الى ما تضمنه

التمني من الوعد او على الاستيناف ونصب الثاني عطفا على مصدر متوهم مقدر
من الجملة السابقة ويكون ان مضمرة بعد الواو فالتقدير يكون منا رد وكون من المؤمنين
بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل اضراب عن ارادة الايمان المفهوم من التمني اي ظهر
لهم في صحفهم وبشهادة جوارحهم عليهم ما كانوا يخفون من الناس فضايحهم و
لذلك تمنوا ما تمنوا ضجرا لا عزما على انهم لو ردوا لامنوا ولو ردوا الى الدنيا لعادوا لما
نهوا عنه من الكفر والمعاصي وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم وقالوا استيناف
وعطف على انهم لكاذبون ولا على نهوا اذ ح حق قوله وانهم لكاذبون ان يؤخر عن المعطوف
عليه ويقدم على المعطوف عليه ان هي الا حيوتنا الدنيا الضمير للحياة وما نحن بمبعوثين
الى الحشر والجزاء، ولو ترى اذ وقفوا على ربهم للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين
يدي سيده ليعاتبه مجاز الوقوف بمعنى العرض ولذلك قال على ربهم والمعنى اذ عرضوا
على ربهم موقفين وقد افصح عن هذا المعنى قوله تع وعرضوا على ربك صفا وقوله تع اذ
المجرمون موقوفون عند ربهم وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم وجزائه او عرفوه حق
حق التعريف وجواب لو محذوف كما مر قال اليس هذا بالحق استيناف كانه قال قائل ماذا
قال لهم ربهم ح فقيل قال الخ والهمزة للتقريع والتعيير من الله تع على التكذيب وانكار البعث
والجزاء حين سمعوا حديثه وقالوا ما هذا بحق والاشارة الى البعث والجزاء قالوا بلى وربنا
اقرار مؤكد باليمين قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بسبب كفرهم قد خسر الذين كذبوا
بلقاء الله وما يتصل به من احوال الاخرة حتى اذا جاءتهم الساعة الغيبة وحتى غاية لكذبوا
لا لخسروا فان خسرانهم لا غاية له والكلام فيها وما بعدها كما مر حتى اذا جاءوك بغتة وهي مجيء
الشيء بسرعة من غير خطور ببالك حال اي باغتة او مصدر لانها نوع من المجيء قالوا يا حسرتنا
تعال فهذا اوانك والحسرة شدة الندم على ما فرطنا قصرنا مع القدرة على عدم التقصير
فيها اي في الحيوة الدنيا اضمرت لانها معلومة وان لم يجر لها ذكر او في الساعة اي في شانها
والايمان بها كما في قوله فرطت في جنب الله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم مثال المتمثل
واعتقد وزن الاعمال واذعن حصول الثقل لها يوم الجزاء فليس له ان يقول انه تمثيل الثقل
اوزارهم والمعنى انهم يقاسون عذاب ذنوبهم مقاساة من يحمل ثقلا على ظهره لانه منطبق
الانكار بما ذكر والجملة حال من الضمير في قالوا الا ساء ما يزرون اعتراض والمخصوص بالذم
محذوف اي بئس شيئا يزرون وزرهم او الذي يزرونه وساء على وزن فعل متعد
تقديره ساءهم وما الحيوة الدنيا اي ما الحيوة الدنيا اعمالها المخصوصة بها بحيث لا يظهر
اثرها في الحيوة الاخرى ولذلك قال الا لعب ولهو فان مطلق اعمالها الشاملة للعبادات
ليس كذلك ومن هنا ظهر وجه السلوك الى طريقة المجاز شبهت اعمال الدنيا باللعب لقلة جدويها

وسرعة زوال منافعها ولانه يلهي الناس ويشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية
وهو جواب لهم ان هي الا حيوتنا الدنيا وللدار الاخرة خير للذين يتقون اي اد لام الابتداء
واثبات ما فيها للذين يتقون ولتاكيد بقوله افلا تعقلون اشعار بان ما سوى اعمال المتقين لهو
ولعب يشتغل به من لا يعقل وان العاقل هو الزاهد في الدنيا وقرئ ولدار الاخرة على الاضافة
اي دار الاخرة وقرئ تعقلون بالتاء على خطاب المخاطبين به او تغليب الحاضرين على الغائبين
قد نعلم انه ليحزنك قد ههنا من باب استعمال اللفظ في نقيضه للمبالغة لانه بمعنى تكثير الفعل وزيادة
كما يستعمل ربما لذلك كانه بجاءه الى ان تكل ما بينهم من وقوع مرات الفعل وزيادته بالنسبة الى ما يراد
منه قليل ويقويه في تفخيم الفعل وكثرته ايراد ضمير الشان ولام الابتداء في المعلوم المفيد
للاعتبار به وتحقق وقوعه ليلزم من كثرة وقوع المعلوم كثرة العلم به ومن دوامه ليحزنك
قرئ بفتح الياء وضمها من احزن الذي يقولون اي كثيرا ما نعلم حزنك من قولهم ساحر كذاب
او كاهن وامثاله فتسل والهٌ عن حزنك فانهم لا يكذبونك المراد بنفي تكذيبه عليه السلام استعظام
تكذيبه بجعل تكذيبه تكذيب الله لا نفيه حقيقة ولكن الظالمين بايات الله يجحدون بل يكذبون الله
تعالى بجحد اياته تع والاستهانة بكتابه فيكذبونك بتكذيبه ووضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل
عليهم بالظلم وان جحودهم مسبب عن ظلمهم وافراطهم في الظلم والالتفات في اسم الله تع
بيان لعظم ما ارتكبوا والباء لتضمين الجحود معنى التكذيب وقرئ لا يكذبونك بالتخفيف من
من اكذبه اذا وجده كاذبا او نسبه الى الكذب ومعنى كذبه جعله كاذبا في زعمه روي ان
ان ابا جهل كان يقول ما نكذبك وانك عندنا المصدق وانما نكذب ما جئتنا به فنزلت
ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية لرسول الله صلعم على التكذيب ومبناها على وقوع
التكذيب فدل هذا على ان المعنى ما قدمناه فصبروا على ما كذبوا واوذوا اي على تكذيبهم
وايذائهم فتاس بهم واصبر كما صبروا فان مع الصبر النصر حتى اتاهم نصرنا فيه ايماء
الى وعد النصر للصابرين ولا مبدل لكلمات الله اي لمواعيده من قوله ولقد سبقت
كلمتنا لعبادنا المرسلين الايات الثلث ولقد جاءك من نبأ المرسلين اي بعض انبائهم
وما كابدوا من مصابرة اعدائهم ويجوز ان يكون الفاعل ضميرا يعود على ما دل عليه
المعنى من الجملة السابقة اي ولقد جاءك هذا الخبر من تكذيب اتباع الرسل والصبر على
الايذاء الى ان نصروا ومن ساء عبارة الايذاء صحيحة فصيحة قال صاحب الكشاف
في تفسير قوله تع ان الذين يؤذون الله ورسوله وحقيقة الايذاء صحيحة في رسول الله
صلعم قال القاضي في تفسير قوله تع ان الذين يؤذون الله ورسوله ودع اذاهم ولا تحفل
به وايذاءك اياهم مجازاة في موضع الحال وذو الحال ذلك الضمير وان كان كبر شق
وثقل عليك اعراضهم عما جئت به فان استطعت ان تبتغي نفقا في السماء فتاتيهم باية

في الارض منفذا ينفذ فيه الى ما تحت الارض فتطلع لهم اية

او مصعدا تصعد به الى السماء فتنزل منها آية جواب فان استطعت محذوف اى فافعل فعل
اى انك لا تستطيع ذلك والمراد بيان حرصه وتهالكه على اسلام قومه والشرطية جواب
الشرط الاول وفى الارض صفة لنفقا او متعلق بتبتغى وكذا فى السماء صفة لسلما او
متعلق به بالفعل ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ولكن لم يشأ فلا تتهالك على فلا تكونن
من الجاهلين من الذين يجهلون ذلك ويرومون خلافه اى لا تحرص على ما لا يكون ولا تجزع
فى مقام الصبر فان ذلك من دأب الجهلة انما يستجيب الذين يسمعون اى لا يستجيب
دعوتك الى الايمان الا الذين يسمعون فيفهمون ويتدبرون دون الموتى وهؤلاء
الذين تحرص على ايمانهم موتى كقوله انك لا تسمع الموتى والموتى استعارة للجهال
لان العلم حيوة القلب فالذين لا يسمعون انما لا يسمعون لان قلوبهم موتى فى الحقيقة
يبعثهم الله فيعلمهم حين لا ينفعهم الايمان وانت لا تقدر على اعلامهم ثم اليه يرجعون
للجزاء وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه مع كثرة ما انزل اليه من الآيات لعدم اعتدادهم بها
عنادا كانهم لم ينزل عليه شئ او آية مما اقترحوها قل ان الله قادر على ان ينزل وقرئ
بالتشديد على ان تنزل بمعنى انزل آية مما اقترحوها او آية ان جحدوها اخذهم العذاب
وهم من لوازم الآيات الملجئة ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله قادر على انزالها ولكن يفعل
على مقتضى حكمته وما من دابة فى الارض اى تسير فيها ولا طائر وقرئ بالرفع على المحل يطير
بجناحيه تصوير لتلك الهيئة الغريبة الدالة على القوة الباهرة والمقام مقام بيان كمال
قدرته وقيل انه لقطع مجاز السرعة وقيل للتعميم ويرد عليهما انه لو قيل ولا طائر فى السماء
لكان اخصر وفى افادة ذينك الامرين اظهر مع ما فيه من رعاية المناسبة من القرينين بذكر
جهة العلو فى احدهما وجهة السفل فى الآخر الا امم امثالكم محفوظة احوالها مقدرة
ارزاقها وآجالها والمقصود من ذلك بيان بيان كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره
ليكون كالدليل على انه قادر على ان ينزل آية وجمع امم على المعنى مع تقويته للعموم المستفاد
من وقوع النكرة فى سياق النفى مصحوبة بمن التى تفيد الاستغراق ولما دل بها على كمال قدرته
واحاطة علمه وعدهم على ما فرط منهم من الانكار بقوله ما فرطنا وقرئ بالتخفيف فى
الكتاب اى ما اغفلنا وما اهملنا فى اللوح المحفوظ من شئ مالم نكتبه لم نثبته اى شئ
كان فلا بد من كمال اعمالكم وعقابكم واحوالكم ثم الى ربهم اى الى ذلك القادر
لا الى غيره يحشرون كلهم فيجازيهم وانما اجريت مجرى العقلاء لاطلاق الامم عليهم
او تغليبا للعقلاء لكونهم المقصودين من مزيدة وشئ من موضع المصدر او مفعول
به على تضمين فرط معنى اهمل واغفل والمقصود ان من يضبط احوال الدواب والطير
كلها واعمالها ويحشرها فينتصف بعضها من بعض كما روى انه يأخذ للجماء من القرناء

اسلام قومك

ومجازى كلها كيف يهملكم سدى وقيل حشرها موتها ويرده ان الحشر بعث من
مكان الى آخر وتعديته بالى تنصيص على هذا المعنى والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم فى الظلمات
خبر ثالث كناية عن عمى البصر ناظر الى عمى فى قوله تع صم بكم عمى وهذا ابلغ اذ جعلت
الظلمات ظرفا لهم وجمعت لاختلاف جهات الضلالة من الكفر والجهل والعناد والتقليد
وعدم التحقق من الدلائل القاطعة على ربوبيته وقدرته وعظمته ووجوب التيقظ لما يرد
عليه والاقرار به وبالخروج والمكذبين بآياتنا صم لا يسمعوا كلام المنبه فاستيقظوا
ودعوا ابكم لا ينطقوا بالاقرار بالحق خابطون فى ظلمات انواع الظلمات فلا يتنبهون
لذلك ولا يتأملون ويتفكرون فيه ثم اكد ما يتبع جهلهم وعمههم واعوجاجهم بقوله
من يشاء الله يضلله ايذانا بانهم من اهل الطبع والختم ومن يضلل الله فلا هادى له ومن
يشاء يجعله على صراط مستقيم كان الظاهر ان يقال ومن يشاء يهده وانما عدل عنه
لان هدايته تع ومبنى رشاده الى الهدى غير مختصة ببعض دون بعض عامة للكل قل
ارأيتكم اخبرونى لما كان العلم سبب الاخبار وضع طلب العلم موضع طلب الخبر فصورته
استفهام ومعناه الامر لاشتراكهما فى الطلب والكاف حرف الخطاب اكد به الضمير للتأكيد
لا محل له من الاعراب والفعل معلق او المفعول محذوف تقديره ارأيتكم آلهتكم تنفعكم
اذ تدعونها ان اتيكم عذاب الله كما من قبلكم او اتتكم الساعة هولها اغير الله تدعون
تبكيت لهم ان كنتم صادقين ان الاصنام آلهة وجوابه محذوف اى فادعوه بل اياه
تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء واراد ان يتفضل عليكم وتنسون ما تشركون
اى آلهتكم التى تشركونها به تع لما ذكر فى العقول انه القادر على كشف الضر دون غيره ولقد
ارسلنا الى امم من قبلك ومن زائدة فاخذناهم الفاء فصيحة اى كذبوا وكفروا الرسل
فاخذناهم والاخذ الامساك بقوة وقهر والمراد مبالغة العقوبة والملازمة بالبأساء
البؤس والشدة كالقحط والفقر والضراء الآفات ومعا صيغتا تأنيث لا مذكر لهما
لعلهم يتضرعون يتذللون لنا ويتوبون عن الذنوب فان البلاء يلين القلوب فلو
لا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا معناه نفى التضرع فى ذلك الوقت مع قيام الداعى وعدم
المانع وذلك انه لما جاء بلولا التحضيضية الداخلة على الماضى للتنديم دلت على ان لا مانع
لهم من التضرع الذى اقتضاه الحال ولما كان التضرع من لين القلب كان معنى لم يتضرعوا لم
يلينوا فاستدرك بقوله ولكن قست قلوبهم فالاستدراك على كلام غير ملفوظ بل مدلول
عليه معنى وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون يعنى لا مانع لهم عن التضرع الا قسوة
قلوبهم وشدة شكيمتهم فى عنادهم واعجابهم باعمالهم التى زينها لهم الشيطان فلما نسوا
ما ذكروا به من البأساء والضراء اى تركوا الاتعاظ به ولم يتزجروا فتحنا عليهم ابواب كل

بعض

اتي

صيغتا

شئ المراد بكل شئ التكثير دون التعميم كما في قوله تع واوتيت من كل شئ والفتح المدلول
تعبير عن تيسير مطالبهم الدنيوية اى امتحناهم بالضراء والسراء وابتليناهم بالشدة و
الرخاء مخاشنة وملاطفة الزاما للحجة وازاحة للعلة ويجوز ان يكون التوسعة عليهم
مكرا واستدراجا لما روى في مسند احمد بن حنبل عن عقبة بن عامر رضعن النبى
صلعم قال اذا رايت الله يعطى العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فانما هو استدراج
ثم تلا رسول الله صلعم فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم الآية فالتوسعة قهر خفى
في صورة اللطف كما ان الاخذ بالبلاء لطف خفى في صورة القهر وقرئ فتحنا بالتشديد
للتكثير حتى اذا فرحوا بطروا واعجبوا بما اوتوا من النعم اخذناهم بغتة اى اهلكناهم
فجأة وهو اشد الاهلاك اذ لم يتقدم شعور فتوطن النفس على الغاية فاذا هم مبلسون
المبلس الشديد الحسرة واليائس الحزين فقطع دابر القوم الذين ظلموا استوصلوا و
لم يبق منهم والدابر التابع للشئ من خلفه يقال دبر الولد الوالد يدبره دبرا ودبورا
اذا تبعه ووضع الذين ظلموا موضع الضمير للتسبب اى حق عليهم الدمار والعذاب
بسبب تمادى ظلمهم وتناهيه حتى لم يبق لهم مطمع في صلاحهم والحمد لله رب العالمين
على اهلاكهم وفيه ايذان بان اهلاك الظلمة من اجل النعم واحقها بان يحمد عليه لان
وجودهم بلاء وعناء وشرهم متعد ومفسدة دينا ودنيا فتخليص المؤمنين من
شوم اعمالهم وعقابهم خير عظيم ونعمة سنية قل ارأيتم ان اخذ الله لما كان هذا
التهديد بدا ان يوقى الكتفى ههنا بخطاب الضمير ولم يؤكد بحرف الخطاب كما اكده ثمه
سمعكم وابصاركم اصمكم واعماكم وختم على قلوبكم غطى عليها بما يذهب فهمكم وعقلكم
من اله غير الله يأتيكم به اى بذلك اجراء للضمير مجرى اسم الاشارة او بما اخذ وختم عليه
او باحد هذه المذكورات انظر كيف نصرف الآيات نكررها متنوعة تارة بالمقدمات
والحجج العقلية وتارة بالوعد والوعيد والترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير
باحوال الامم الماضية ثم هم يصدفون يعرضون وثم لاستبعاد الاعراض عن الآيات بعد
تصديقها وظهورها ولذلك قدم الضمير على الفعل المضارع وصيغ الجملة اسمية اى هم
المكرر عليهم الآيات متنوعة لا غيرهم يجددون الاعراض بما مع تجدد التصرف فما
ابعد حالهم عما فعلنا بهم قل ارأيتكم لما كان التهديد شديدا جمع فيه بين ادانى
الخطاب ان اتاكم عذاب الله بغتة او جهرة لما كان البغتة هجوم الامر من غير ظهور امارة
وشعور به تضمنت معنى الخفية فصح مقابلتها بالجهرة وبدئ بها لانها اردع من الجهرة
وانما لم تقل خفية لان الاخفاء لا يناسب شانه تع وقرئ بغتة وجهرة هل يهلك معنى الاستفهام
النفى اى ما يهلك به هلاك سخط وقهر الا القوم الظالمون بالاعراض عن الآيات فما

لاستخفافهم ذلك بالزام الحجة وازالة العذر وقرئ يهلك من اهلك وما نرسل المرسلين الا
مبشرين للمطيعين بالجنة ومنذرين للعاصين بالنار وانفعا بهما على الى في ... معنى
العلية اى ارسلناهم للتبشير والانذار لا لان يقترح عليهم ويستهزئ بهم فمن
آمن واصلح ما يجب صلاحه مما شرع لهم فلا خوف عليهم من العذاب ولا هم يحزنون
بفوات الثواب والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب جعل العذاب ماسا حيا كانه
يطلب بلامهم بالوصول اليهم واستغنى بالتعريف عن التوصيف بما كانوا يفسقون
بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة قل لا اقول لكم عندى خزائن الله جمع خزينة
وخزانة وهى ما يخزن اى يحرز ويحفظ بحيث لا تناوله الايدى وخزائن الله تع مقدوراته
اى لا املك ان افعل ما اريد مما تقترحونه وليس المراد التبرئ عن دعوى الالوهية ولا
لقيل لا اقول لكم انى اله كما قيل ولا اقول لكم انى ملك وايضا في الكناية عن الالوهية بعندى
خزائن الله ما لا يخفى من البشاعة بل هو جواب عن اقتراحهم عنه عم ان يوسع عليهم خيرات
الدنيا ولا اعلم الغيب عطف على اقول فليس معمولا له بل للامر ولذلك احتيج الى اعادة
لا اقول في قوله ولا اقول لكم انى ملك فانه على تقدير العطف على عندى خزائن الله لا
حاجة الى اعادته وانما لم يأت فيه بنفى القول للفرق الدقيق بينه وبين قرينيه وهو ان
مفهوم عندى خزائن الله وانى ملك معلومان عند الناس فلا حاجة الى نفيهما وان احتيج
الى نفى ادعائهما تبريا عن الدعوى الباطل بخلاف مفهوم لا اعلم الغيب فانه كان مجهولا
عندهم بل كان الظاهر من حاله عم الاطلاع على الغيب فلذلك ينسبونه الى الكهانة فاحتيج
ههنا الى نفيه ثم ان هذا النفى يتضمن الجواب عن قولهم ان كنت رسولا فاخبرنا بما يقع
في المستقبل من المصالح والمضار فنستعد لتحصيل تلك ودفع هذه ونفى دعوى
الملكية يتضمن الجواب عن قولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الاسواق ان
اتبع الا ما يوحى الى في الدعاوى والاحكام والاخبار انه نفيه تتميم لما تقدم من نفى الامور
الثلثة وبيان ان منزلة الرسالة التى هى قصوى المنازل البشرية قل هل يستوى الاعمى
والبصير تمثيل للضال والمهتدى او العالم والجاهل والمدعى المحال كالملكية ومدعى
الممكن الصحيح كالنبوة افلا تتفكرون فتهتدوا كالبصير ولا تكونوا ضالين كالاعمى او
فتعلموا ان ما ادعيت الا ما يصح للبشر وان اتباع الوحى واجب فتكونوا بصراء لا عميانا
وانذر به اى بما يوحى الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم هم المقرون بالبعث من المؤمنين
المقصرين في العمل ومن اهل الكتاب او المترددون فيه كالمشركين المستعدين الذين علم
الله تع ان يجمع فيهم دون المنكرين الجازمين بانتفائه ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع في
موضع النصب على الحال من يحشروا اى كائنين ان يحشروا غير منصورين من احد من دون الله تع

ولا شفيع لهم لعلهم يتقون يحذرون سوء العاقبة فيعملون عمل اهل التقوى
او يؤمنون فيتقون ولما امر بانذار غير المتقين ليتقوا امر باكرام المتقين وتقريبهم
تكميلا للامر بالتحريض على التقوى بالترهيب والترغيب فقال ولا تطرد الذين يدعون
ربهم بالغداة وقرا ابن عامر وحده بضم العين واسكان الدال واثبات واو بعدها
وهي معرفة لو كانت نكرة لجاز فيها الاضافة كما جاز غداة يوم الجمعة وقال ابو علي الفارسي
الوجه الغداة لانها تستعمل نكرة وتتعرف باللام واما غدوة فمعرفة ابدا وهو علم صيغ له
وقال ابن خالويه في توجيهه ان العرب تدخل الالف واللام على المعرفة اذا جاورها في الالف
واللام كنزدوج الكلام قال الشاعر وجدنا الوليد بن اليزيد مباركا فادخل الالف
واللام على اليزيد لمجاورة الوليد ومنهم من قال انها انما تكون معرفة اذا اردت غدوة
نهارك وههنا لم ترد ذلك فكان التعريف جنسيا وقال الجوهري سر على فرسك غدوة
وغدوة فما نون من هذا فهو نكرة وما لم ينون فهو معرفة والعشي اي يعبدون الله تعالى
دايما فان المراد من الغداة والعشي الدوام على اكثر استعمالهما وقيل يصلون الصبح والعصر
وقت دعوتهم بالغداة والعشي لانهما من اعمال الظاهر وهي معرفته وادام ادتهم
فاستغرقت جميع اوقاتهم لانها من احوال الباطنة وهي مؤيدة بريدون وجهه لا دنياهم
بكرايمها ولا عقباهم بمطاعمها والوجه يعبر به عن ذات الشيء وحقيقته والمراد بارادة
وجه الله تعالى الاخلاص رتب النهي على مواظبتهم على دعاء ربهم وعبادته مع الاخلاص اشارة
الى انها الموجبة لاكرامهم وان ملاك الامر في العبادة الاخلاص فلا تعتبر بدونه لما قصر لهم
لسان المعارضة سكتوا متضرعين بقلوبهم بين يدي الله تعالى داعين له بحسن الابتهال
فتولى سبحانه تعالى خصوصهم فقال ولا تطرد الذين الخ لا تنظر يا محمد الى صرفهم على ظواهرهم
وانظر الى صرفهم في سرايرهم كانوا مستورين فشهرهم الله تعالى قال الامام ابو منصور ذهب
عامة اهل التاويل الى ان النبي صلعم بطرد فقراء المسلمين طمعا في اسلام رؤساء المشركين
فعاتبه الله تعالى في ذلك وانزل عليه هذه الاية ولكنه بعيد سمج ينسبون النبي الى اقبح فعل
واوحشه ولا يحتمل ان يكون النبي عم يقرب لاعداء ويبعد من الاولياء ولو فعل ذلك لوجد
الكفرة مطعنا يقولون يدعوا الناس الى الايمان والتوحيد والاتباع فاذا فعلوا ذلك
طردهم وابعدهم هذا الحرى مرفوع في عقل كل عاقل ولكن يجوز ان يكون طلب ذلك منه اولئك
فاما ان يهم هو به فلا ويجوز ان يكون هذا من الله تعالى ابتداء تاديب وتعليم له في صحبة اصحابه
رض ومعاملتهم واخبار عن قدرهم عندهم ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك
عليهم من شيء كقوله ان حسابهم الا على ربي وذلك ان المشركين طعنوا في دينهم واخلاصهم
فشهد الله تعالى لهم بالاخلاص وقال الميمنه ما عليك من حسابهم من شيء كما لا عليهم من حسابك

خصوصهم

من شيء اي لا يلزمك اعتبار بواطنهم واخلاصهم بعد اتسامهم بسيرة المتقين وصلاح
ظواهرهم انما ذلك على الله او عليهم اخلصوا او لم يخلصوا لا عليك حالهم في ذلك بالنسبة
اليك كما لك بالنسبة اليهم سواء لا يتعدى ذنب احد الى صاحبه كقوله تعالى ولا تزر وازرة
وزر اخرى فالجملتان في تادية المعنى المراد بمنزلة جملة واحدة وقيل حسابهم رزقهم اي
فقرهم وقيل الضمير للمشركين اي لا يواخذون بحسابك ولا انت بحسابهم حتى يهمك ايمانهم
فتطرد المؤمنين لاجلهم فتطردهم النصب اي ما عليك شيء من حسابهم فتطردهم فتكون من
الظالمين جواب النهي ولا تطردهم فتكون من الظالمين وهو عطفه على فتطردهم على
وجه التسبيب ولا يساعده المعنى فان الطرد انما يستقيم جوابا للنفي على تقدير ان يكون
حسابهم عليهم وح لا يكون سببا للظلم الا ان يقدر فتطردهم بقول المشركين وكذلك
اي مثل الفتن العظيم وهو اختلاف احوال الناس في الدنيا فتنا بعضهم ببعض اي ابتلينا
بعض الناس فقدمنا فقراء المسلمين على اشراف قريش بالسبق الى الايمان ليقولوا اي ليقول
المشركون اللام للعاقبة وان ضمن فتنا معنى خذلنا فهم فللتعليل على اصل القايلين
بصحة تعليل افعاله تعالى بالاغراض اي خذلناهم مفتونين ليقولوا فكان افتنانهم سببا
لهذا القول فانه لا يقوله الا مفتون مخذول اهؤلاء اشارة الى اولئك المؤمنون واحتقارا
لهم كقولهم اهذا الذي بعث الله رسولا من الله عليهم من بيننا اي انعم عليهم من بيننا بالتوفيق
لما يسعدهم عنده من الايمان واصابة الحق دوننا ونحن الرؤسا المتقدمون وهم الضعفاء
العبيد وهو انكار منهم لان يكون امثالهم على الحق وممنونا عليهم بالخير دونهم كقولهم
لو كان خيرا ما سبقونا اليه اليس الله باعلم بالشاكرين الاستفهام للتقرير اي الله اعلم بمن يقع
منه الايمان والشكر فيوفقه لذلك وبمن لا يقع منه فيخذله واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا
الذين يدعون ربهم وصفهم بالمواظبة على الطاعة ثم بالايمان بالله واياته في الحجج والبينات
بعد النهي عن طردهم ثم امره عم بقوله فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة بان يبدأ
بالتسليم عليهم او يبلغ سلام الله تعالى اليهم ويبشرهم بسعة رحمة وفضله عليهم وان
الله تعالى التزم لهم ذلك ايذانا بانهم الجامعون لفضيلتي العلم والعمل ومن كان كذلك
وجب اعزازه واكرامه وان يبشر من الله تعالى بالسلامة في الدنيا والرحمة في الاخرة وقيل
ان قوما جاؤا الى النبي صلعم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا
فنزلت انه من عمل منكم سوءا استيناف تفسير للرحمة وقرئ بالفتح على البدل منها بجهالة في
موضع الحال اي عمله وهو جاهل وملتبسا بجهالة ثم تاب من بعده اي من بعد عمل السوء
واصلح بالتدارك والعزم على ان لا يعود الى مثله فانه غفور رحيم فتحه من فتح الاول
غير نافع على اضمار مبتدا او خبر اي فامره او فله غفرانه وكذلك مثل ذلك التفصيل البين

جواب

بهم

نفصل الآيات آيات القرآن في وصف المطيعين والمجرمين المصرين منهم والأوابين و
لتستبين سبيل المجرمين استبان يجيء لازما ومتعديا كبين وقرئ بالياء والتاء
مع رفع السبيل لأنها تذكر وتؤنث وقرئ بالتاء والياء مع رفع السبيل ونصب السبيل
على خطاب الرسول عم وهو عطف على علة محذوفة أي ليظهر الحق ولتستبين أو علة
لمحذوف أي ولتستبين سبيل المجرمين فصلنا ذلك التفصيل واكتفى بذكر سبيل المجرمين
ليتبين سبيل غيرهم منه ولم يعكس لأن ذكره أهم والنفس إلى الترهيب أطوع
منها إلى الترغيب قل إني نهيت صرفت وزجرت بنور فطرتي وصفاء عقلي وبما أوحي
إلي ونصب لي من الدلائل أن أعبد الذين تدعون من دون الله عن عبادة ما تعبدون
من دون الله وتدعونها آلهة قل لا أتبع أهواءكم تأكيد لقطع أطماعهم وتجهيل لهم
واستركاك لعقولهم وإشارة إلى علة النهي وموجب الامتناع عن متابعتهم وبيان
لسبب ضلالتهم وذم طريقتهم وأن ما هم عليه مجرد هوى فارغ عن الدليل مخالف
لمقتضى العقل ومعنى قد ضللت إذا إن اتبعتكم قد ضللت لأنه مركوز في العقل أن كل
من اتبع الهوى فهو ضال وفيه تنبيه على أن كل من طلب الحق فليجتنب الهوى وليتمسك
بالحجة وليلزم طريق العقل فإن الهوى ثم أكد بقوله وما أنا من المهتدين على الجملة
الاسمية الدالة على المنافاة الكلية بين متابعة الهوى والهدى مع المبالغة بناء على أن
من المهتدين أبلغ من المهتد وهو أبلغ من اهتدى وأن القيد دخل النفي أي وما أنا من
الهدى في شيء ما دمت أنا أتبع أنتم كذلك وفيه غاية التنفير عن طريقتهم ولما بالغ
في نفي كون الهوى متبعا نبه على ما يجب اتباعه بقوله قل إني على بينة البينة الحجة الواضحة
التي تفصل الحق عن الباطل فقيد الوضوح معتبر في مفهومها مستفاد من التنكير وهي أعم
من أن يكون وحيا أو دليلا عقليا وكشفا من ربي متعلق بالظرف أو صفة لبينة أي
إني من معرفة ربي وحدانيته على يقين وحجة واضحة وكذبتم به أي بربي حيث أشركتم به
غيره أو بالبينة حملا على المعنى وهو القرآن ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب الذي
استعجلوه بقولهم فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم إن الحكم إلا لله في
تأخير العذاب لا إلي وإلا لعجلته يقض الحق في كل ما يرجع به من التعجيل والتأخير الحق صفة
للمصدر أي القضاء الحق أو مفعول به أي يصنع الحق ويحكمه من قولهم قضى الدرع إذا
صنعها فرجع القراءة الثانية معنى قال الزجاج هذه كتبت ههنا بغير ياء على اللفظ لأن
الياء سقطت لالتقاء الساكنين كما كتبوا سندع الزبانية وقرئ يقص الحق أي يتبع ما
هو الحق من قص أثره إذا اتبعه لا من قص الخبر لعدم ملائمة ما في السباق واللحاق من الحكم والفصل
وهو خير الفاصلين القاضين وأصل القضاء الفصل بين الحق والباطل قل لو أن عندي

أي في قدرتي ووسعي ما تستعجلون به من العذاب لقضي الأمر بيني وبينكم
لأهلكتكم عاجلا غضبا لربي وانقطع ما بيني وبينكم استعظاما لتكذيبهم أي أنتم
إذ كذبتم بما هو أبين شيء خفاء بأن نعاقبهم بالعذاب لتستأصل لكنه لا قدرة
لي ولو كان عندي أشد العذاب لأوقعته بكم معجلا والله أعلم بالظالمين يستعجل
عليهم بأن الشرك الذي هم عليه أعظم الظلم والظلم موجب لاستحقاق العذاب
لكن الله أعلم بما يجب من عذابهم وبوقته وعنده مفاتح الغيب المفاتح جمع مفتح بفتح
الميم وهو المخزن الذي يفتح ويغلق أو جمع مفتح بكسرها وهو المفتاح ويؤيده
قراءة من قرأ مفاتيح استعار المفاتح لما أودع فيه الغيب من خزائنه ولما يتوصل به إليه
وخصصت بتقديم الظرف لأنه لا اطلاع عليه ولا يمكنه التوصل إليه لا يعلمها إلا هو
هو المطلع على مكامن مخبئه وحده أو هو ما به يتوصل إليه كأنه في مخدع مغلق أبوابه
لا يعلم أحد مفاتيحه إلا هو أو عن أسبابه التي توجب إحداثه وإظهاره في عالم الشهادة
أي يعلم أوقاتها وما في تأخيرها وتعجيلها من الحكم فيظهرها على ما اقتضته مشيئته بحسب
حكمته وهذا الوجه أنسب لما قبله وقيل فيه دليل على علمه بالأشياء قبل وقوعها ويرد
عليه أن علمه لا يلبس بزماني ظا قبلية بينه وبين الأشياء الواقعة في الزمان ويعلم ما
في البر والبحر كما يعلم ما في الغيب كله يعلم ما في الشهادة كلها وما تسقط من ورقة إلا
يعلمها تأكيد لعلمه بالجزئيات مما في البحر والبر ولا حبة في ظلمات الأرض أي ظلمة
بطنها وظلمة داخل الشجر وظلمة جوف الثمر عبر بالحبة الموصوفة بهذه الصفة عما هو في
مبدأ أمره من جنس النامي وبالورقة الساقطة عما بلغ منتهى شأنه منه ولا رطب ولا
يابس معطوفان على ورقة وقوله إلا في كتاب مبين كالتكرير لقوله إلا يعلمها لأن معناه
ومعنى إلا في كتاب مبين متحد واحد أما إذا أريد بالكتاب المبين علم الله تعالى فظاهر
وأما إذا أريد به اللوح المحفوظ فلأن كونه فيه كناية عن كونه من جملة معلوماته تعالى فهو آيل
إليه في المعنى وقرئت بالرفع على العطف على محل من ورقة أو على الابتداء والخبر إلا في
كتاب مبين وهو الذي يتوفاكم بالليل في وقت النوم وإنما عبر عنه بالليل وعن
وقت الكسب بالنهار لأنهما مظنتا أوقاتهما وخصهما بالذكر جريا على ما هو المعتاد والتعبير
التوفي فيه من الموت للنوم لمشابهته إياه في زوال الإحساس والتمييز وأصله قبض الشيء
بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار ما كسبتم فيه ومنه إطلاق الجوارح للأعضاء الكاسبة
والواو حالية لا عاطفة وإلا لفرقت عن قوله ثم يبعثكم فيه في النهار والبعث الإثارة
للإيقاظ غاية بعث النائم يكون بإيقاظه فلا تشبيه فيه للتوفي ليقضى أجل مسمى في علم
الله تعالى وقضاء الأجل فصل مدة العمر من غيرها ويلزمه البلوغ إلى نهاية تلك المدة وهو المراد

فيها ثم اليه مرجعكم بالبعث بعد الموت والمراد الرجوع الى موقف حسابه ثم
ينبئكم يخبركم بما كنتم تعملون من الخير والشر فهذا وعد ووعيد وقيل الخطاب للكفرة
والمعنى انكم ملقون كالجيف في الليل وكاسبون الآثام في النهار وانه مطلع على
اعمالكم يبعثكم من القبور في شان ما قطعتم به اعماركم من الغفلة والمعاصي في الليل
والنهار ليقضى المدة التي ضربها لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم بالحشر
ثم يخبركم باعمالكم بالجزاء وعلى هذا يكون الضمير في فيه عائدا الى مضمون كونهم متوفين
وكاسبين ويكون في بمعنى لام التعليل والاجل المسمى مدة الكون ولا يخفى ما فيه من
التعسف المستغنى عنه بما قدم من الوجه الظاهر وهو القاهر فوق عباده قد مر تفسيره
في هذه السورة قدمه على ذكر ارسال الحفظة ليعلم ان ارسالهم لم يكن لحاجة
الى ذلك لان المحتاج لا يكون قاهرا بل لحكمة وهي ان يكون العباد على حذر وهذا ابلغ
في الزجر لان من علم ان عليه رقباء كان احذر بالحذر فان العبد اذا وثق بلطف
مولاه واعتمد على عفوه لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المطلعين عليه ويرسل
عليكم حفظة الجمهور على انهم حفظة الاعمال وقيل انهم الذين يحفظون انفاس الخلق
ويعدونها الى وقت انقضائها ثم يقبضون الروح بانتهاء عدده وعليكم متعلق
بيرسل كما في قوله يرسل عليكما شواظ وهم لتمكنهم منا جعلوا مستولين علينا وكونه
متعلقا بحفظة اي حافظين عليكم حتى اذا جاء احدكم الموت اي اسبابه توفته قبضت
روحه وقرئ بالف ممالة رسلنا جاء جمعا يعني به ملك الموت واعوانه وفي عبارة
رسلنا اشارة الى ان ذلك بامره ولذلك اسنده الى نفسه في موضع آخر وقال
الله يتوفى الانفس حين موتها وهم لا يفرطون جملة حالية او استئنافية وقرئ بالتشديد
والتخفيف فالتفريط التواني والتاخير عن الحد والافراط مجاوزة الحد اي لا ينقصون
مما امروا به ولا يزيدون فيه ثم ردوا الى الله فيه التفات من الخطاب الى الغيبة ومن التكلم
اليها وذلك لان الرد يناسب اعتبار الغيبة وان لم يكن حقيقة فانهم ما غابوا عن
قبضة لحظة ولا خرجوا من حكم نظرة ولا لفظة فالرد من البرزخ اي موقف العرض
للسوال والجواب مولاهم الذي يتولى امرهم والمراد منه في قوله وان الكافرين لا مولى
لهم معنى المعين الناصر فلا منافاة الحق العدل الذي لا يحكم الا بالحق وقرئ بالنصب
على المدح الا له الحكم يومئذ لا حكم لغيره فيه وهو اسرع الحاسبين اذ لا يشغله حساب
ولا يلبث في السوال والجواب قل من ينجيكم استفهام بمعنى النفي وقرئ بالتخفيف
من ظلمات البر والبحر من شدائدهما استعيرت الظلمة للشدة المشاركة ما بينهما وبين
معنى الظلمة في الهول وابطال الابصار فقيل لليوم الشديد يوم مظلم ومن جملة تلك

الشدائد الخسف في البر والغرق في البحر تدعونه تضرعا وخفية مظهرين بالتضرع
الضراعة بالكسر وهي شدة الفقر والحاجة الى الشيء ومسرين الطلب على وجه الاخلاص
بالقلب واظهارا واسرارا وقرئ خفية بالكسر لئن انجيتنا وقرئ انجانا ليوافق قوله
تدعونه من هذه اشارة الى الظلمات لنكونن من الشاكرين جواب القسم المحذوف ولا
حاجة الى تقدير القول لدلالة تدعونه عليه قل الله ينجيكم منها قرئ بالتشديد والتخفيف
ومن كل كرب الكرب الغم الشديد اصله من كرب الارض وهو قلبها بالحفر فالغم اذا اشتد
يثير النفس اثارة ذلك ثم انتم تشركون ثم استبعاد لشركهم مع اقرارهم بانه
لا يكشف الضر الا الله تعالى ووضع تشركون موضع لا تشكرون مبالغة لان من
يشرك بالله فهو في غاية البعد من شكره قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا اي
هو الذي عرفتموه انه الكامل في القدرة الذي لا قدرة لاحد سواه ومعنى الاية الوعيد
باحد اصناف العذاب المذكورة من فوقكم كما امطر على قوم لوط وعلى اصحاب الفيل
الحجارة او من تحت ارجلكم كما خسف بقارون واغرق فرعون او من الجهتين معا
كطوفان نوح عم وقيد ارجلكم لقطع المجاز كما في تجري من تحتها الانهار وكذا بفوق
اريد بالاول ظلم السلاطين وبالثاني تسليط السفلة وبالثالث الهرج والمرج ولما
كان بين هذه الثلثة منع الجمع بحسب العادة اتى باداة التنويع او يلبسكم شيعا
فرقا بان يخلط امرهم خلط شقاق لا وفاق فيجعلكم مختلفي الاهواء ويذيق بعضكم باس
بعض يقاتل بعضكم بعضا نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن انظر كيف نصرف
الايات نحولها من نوع الى آخر من انواع الكلام تقديرا للمعنى وتقريبا الى الفهم وقيل
بالوعد والوعيد ولا يناسبه قوله لعلهم يفقهون وكذب به اي بالقرآن قومك
وهو الحق حال من الضمير في به او استيناف اخبار بان القرآن الصدق قل لست عليكم
بوكيل بحفيظ وكل الى امركم امنعكم من التكذيب اجبارا انما انا منذر والله الحفيظ لكل
نبا النبا خبر ذو خطر مستقر اي لكل شيء ينبا به في القرآن وقت استقرار وحصول
لابد منه وسوف تعلمون عند وقوعه في الدنيا والآخرة وهذا كقوله ولتعلمن نباه
بعد حين واذا رايت الذين يخوضون في آياتنا بالاستهزاء والطعن فيها والخوض اصله
في الماء ثم استعمل بطريق الاستعارة في غمرات الاشياء التي هي مجال تشبيها لها
بغمرات الماء فاعرض عنهم امرهم بعدم التوجه اليهم وترك الاقبال عليهم وبلزمهم
النهي عن مجالستهم بطريق المبالغة حتى يخوضوا في حديث غيره غير القرآن وليس هذا
من قبيل عود الضمير على الايات باعتبار المعنى بل من قبيل عوده على ما علم من سياق الكلام
واما ما زايدة بعد ان الشرطية وما احسن مجيء الشرط الاول باذا التي هي للمحقق او غالبه

الوقوع ومجئ هذا الشرط بان التي هي للشكوك ينسينك الشيطان وان شغلك بوسوسته
حتى تنسى النهي عن مجالستهم وقرئ ينسّينك بالتشديد فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان تذكر
مع القوم الظالمين اي معهم فوضع الظاهر موضعه دلالة على انهم ظلموا بوضعهم
التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام وما على الذين يتقون وما على
المتقين الذين يجالسونهم من حسابهم مما يحاسبون عليه من ذنوبهم واستهزائهم من
شئ اي من كان تقي الثواب عن ارتكاب الاثام كان بمعزل يوم النشور عن طاقات
الالام ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى اذا سمعوهم يخوضون فيها بالمواعظ والنهي
ثم القيام واظهار الكراهة فذكرى نصب على المصدر ويجوز ان يكون مرفوع المحل
اي عليهم ذكرى لعلهم يتقون على التقوى يجتنبون الخوض حياء او كراهة لمسائتهم
ويجوز ان يكون الضمير للذين يتقون اي لعلهم يثبتون على التقوى ويزدادونها ولا
يجوز عطفه على محل من شئ لان من حسابهم ياباه لانه حال من شئ قدم عليه فصار قيدا
للعامل فاذا عطف ذكرى عليه كانت جهة القيد معتبرة فيه بحكم الاستعمال في عطف المفرد
على المفرد لاسيما بحرف الاستدراك فيؤل المعنى الى ان عليهم من حسابهم ذكرى
وذكرى ليس من حسابهم روي ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقران
لم نستطع ان نجلس في المسجد الحرام وان نطوف فنزلت وذر الذين اتخذوا
دينهم الذي كلفوه لعبا ولهوا حيث سخروا به او بنوا امر دينهم على التشهي وتدينوا بما لا
نفع فيه اصلا كعبادة الصنم وتحريم البحائر والسوائب او جعلوا عيدهم الذي
جعل ميقات عبادتهم زمان لهو ولعب والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم
ويجوز ان يكون تهديدا كقوله ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف
يعلمون اي كلهم الى ما اختاروا فانا لهم اعتدنا لهم من حق الكرامة اذا اهلكنا بهم كسرنا
عليهم خمار الغفلة وكشفنا عنهم خمار الوهم والجهالة ولا ضرورة في جعله منسوخا
باية السيف بحمله على الامر بالكف عنهم وترك التعرض وغرتهم الحيوة الدنيا اعتراض
لبيان انهم انما بنوا امر دينهم على اللعب واللهو لان الحيوة الدنيا غرتهم حتى انكروا
البعث وذكر به اي بالقران ان تبسل نفس بما كسبت مخافة ان تمنع نفس عما كسبت
رهينة او تحبس بسوء كسبها وعذابه كقوله وجوه يومئذ باسرة الابسال و
البسل المنع ومنه اسد باسل مانع ان يغلب فريسته ويقال بسر الرجل اذا اشتد
عبوسه فاذا زاد قالوا بسل ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع يدفع عنها العذاب
وان تعدل كل عدل وان تفد كل فداء والعدل الفدية لانها تعادل المفدى
وكل نصب على المصدر ويوخذ في قوله لا يؤخذ منها مسند الى منها لا الى ضمير العدل

التشهي

تحبس

ابسل

الا بطريق الاستخدام لان العدل ههنا مصدر لوقوعه مفعولا مطلقا وهو ليس
بماخوذ بخلاف قوله ولا يؤخذ منها عدل لانه المفدى به اولئك الذين ابسلوا بما
كسبوا اي اسلموا الى العذاب بسبب قبائح اعمالهم استعمل الابسال للاسلام
الى العذاب لان المسلم اليه يمنع المسلم لهم شراب من حميم بما شربوا من الشهوات
بما كانوا يكفرون اي هم بسبب كفرهم بين ماء مغلي يتجرجر في بطونهم ونار تشتعل
بابدانهم قل اندعوا انعبد من دون الله ما لا ينفعنا ان اطعناه ولا يضرنا ان عصيناه
ونرد على اعقابنا اي نرتد عن ديننا ونرجع الى ورائنا بعد اذ هدينا الله فانقذنا منه
ورزقنا الاسلام والمعنى انكار الرجوع الى الشرك بعد الاهتداء الى التوحيد كالذي
استهوته الشياطين مردة الجن في الارض استهوى استفعل من هوى في الارض اذا
ذهب فيها كان معناه طلبت هويه وحرصت عليه وزعم ابو علي انه من الهوى اي الفتنة
في هويه ويكون استفعل بمعنى افعل كما استزل وازل ويا باه ما بعده حيران نصب
على الحال ولم ينصرف لان انثاه حيرى كسكران وسكرى والحيران هو الذي لا يهتدي
لجهته حيرة له اصحاب رفقة يدعونه الى الهدى الى الطريق المستقيم سمي الطريق
بالهدى تسمية بالمصدر للمبالغة ائتنا يقولون له ائتنا واضمر القول له لانه يدعون
على ذلك قل ان هدى الله اي الاسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلال وامرنا
في محل النصب عطفا على محل ان هدى الله على انه مقول واللام في لنسلم لرب العالمين
للتعليل اي وامرنا بذلك لنسلم وزعم الكسائي والفراء ان لام كي تقع في موضع ان
في اردت وامرت قال الله تعالى يريد الله ليبين لكم وقيل الباء وقيل زائدة ويقويه عطف
وان اقيموا الصلوة واتقوه عليه كانه قيل امرنا بان نسلم وان اقيموا او
على الاول معناه وامرنا بذلك للاسلام واقامة الصلوة وتقوى الله فان ان المصدرية
اذا دخلت على الامر يسبك منه مصدر ولا يلاحظ فيه معنى الامر وقيل موضع العلة
وقع المامور به فعطف على موضعها وهو الذي اليه تحشرون يوم القيمة وهو الذي
خلق السموات والارض بالحق في موضع النصب على الحال اي قائما بالحق والحكمة ويوم
يقول اي وحين يقول لشئ من الاشياء فيكون ذلك الشئ ويوم منصوب بما دل
عليه بالحق او بخلق اي يقوم بالحق يوم يقول او خلق السموات يوم يقول وقوله
الحق مبتدأ خبر قدم فيها الخبر لا للحصر لانه لا يناسب المقام بل لكونه الشايع في الاستعمال
مثل عنده علم الساعة وقيل قوله على هذا الوجه يجوز ان يكون فاعل فيكون والحق
صفته اي ويوم يامر كل شئ بقوله كن فيكون قوله الحق ولا يخفى تعسف
او منصوب بفعل الاستقرار على ان قوله الحق مبتدأ ويوم يقول خبر مقدم كقولك يوم

وعذاب اليم

الجملة الفعالية وقوله مبتدأ والحق خبره ويوم ظرف للقول او الحق وله الملك يوم
ينفخ في الصور ويوم ينفخ ظرف لقوله وله الملك كقوله لمن الملك اليوم او بدل من
يوم يقول على ان كن فيكون بمعنى الاحياء والبعث وقوله الحق قوله يوم القيمة عالم الغيب
والشهادة رفع على المدح اى هو عالم الغيب وخبر بعد خبر وهو الحكيم الخبير كالفذلكة
للاية واذ قال ابرهيم لابيه آزر عطف بيان لابيه قال الفراء والزجاج ليس بين النسابين
اختلاف في ان اسم ابي ابرهيم تارخ وآزر لقب له قال ابن الانباري قد يغلب على اسم الرجل لقبه حتى يكون به اشهر منه
باسمه فيجوز ان يكون آزر لقبا ابطل الاسم لشهرته فخبر الله تع به لذلك وقيل نعت
مشتق من الازر ومنع صرفه للعجمة والعلمية او للوصفية ووزن الفعل وقيل المراد به
الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره ما بعده اى اتعبد آزر اتتخذ اصناما آلهة تعجب
وتقرير ويعضده قراءة آزر بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وسكون
الزاء ونصب الراء منونا على انه اسم صنم وتوجيهها على الاول انه كان اسم صنم يعبده
فلقب به للزوم عبادته او اطلق عليه بحذف المضاف وقرئ بالضم على النداء وهذا
ظاهر في حذف المضاف كما في نداء الابن اياه باسم العلم غلظة واستخفاف لا يليق بشان
ابرهيم عم الموصوف بغاية الحلم المعروف بمحبة ابيه ورعايته يرشدك الى هذا قوله
اني اريك وقومك في ضلال مبين ظاهر الضلالة حيث لم يقل انت وقومك في ضلال مبين
رعاية في حسن الادب في مخاطبته وكذلك نري ابرهيم مثل ذلك التبصير بنصر ابرهيم قد
سبق ان اسم الاشارة في مثل هذا المقام لهذه الاشارة لا الى شيء آخر تشبيه به
هذه جملة اعتراضية بين المعطوف والمعطوف عليه ومعنى الاعتراض بيان الارشاد و
الهداية بطريق الاستدلال الموصل الى مرتبة الايقان الذي يكشف به ضلال قومه ولكنه
استحضر الماضي حالا فقال نري على الحكاية تصويرا وتعظيما وقرئ بالتاء ورفع الملكوت
ومعناه تبصره دلائل الربوبية ملكوت السموات فعلوت من الملك وزيادة التاء للمبالغة
ومعناه ما يملك به الشيء اى نري ربوبيتنا للسموات والارض وما يدبرهما ويملكها من
عجائب الملكوت وليكون من الموقنين اى وفعلنا ذلك ليكون من المحققين فيل اى وليستدل
وليكون وبابه اللام والواو فانهما لا يذكران بين الاستدلال وما يترتب عليه فلما
جن عليه الليل ستره بظلامه رأى كوكبا قيل كان الكوكب الزهرة او المشتري قال هذا ربي
على سبيل الوضع فان المستدل على فساد قوله يحكيه على ما يقوله الخصم ثم يكر عليه بالافساد
وفي تقديم الاعتراض المذكور تنبيه على هذا فانه لولا ذلك البيان لسبق الى الوهم انه استدلالا
لنفسه واما تقديمه فلم يبق ذلك الاحتمال ومن هنا تبين انه لا مجال ان يكون قوله فلما جن
عليه الليل الخ تفصيلا وبيانا لذلك لان ما ذكر طريق النظر والاستدلال التابع الرابع

بين اصحاب الظواهر المقصور نظرهم على عالم الملك ولا يصلح بيانا لحال من يرتقي
منه الى درجة الوقوف على سرائر عالم الملكوت والمشاهدة لاسرار الربوبية فيتعين
عطفه على قال ابراهيم فان اباه وقومه كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فاراد
ان ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم الى الحق من طريق النظر والاستدلال فلما افل اى غاب
الغروب قال لا احب الآفلين الارباب المنتقلين من حال الى حال المحتجبين بالغروب
والانتقال فضلا ان اعبدهم فان التغيير بالانتقال من مكان الى مكان من خواص الاجرام
المحتاجة الى الرب فلا يصلح للربوبية فلما رأى القمر بازغا البزوغ الطلوع قال هذا
ربي فلما افل كانه غاب عن نظره او لم يكن حين رآه في ابتداء الطلوع بل كان في وراء
الجبل ثم اطلع منه او في جانب آخر لا يراه والا فلا احتمال لان يطلع القمر من مطلعه بعد افول
الكواكب ثم يغرب بعد طلوع الشمس قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين
تنبيه لقومه على ان من اتخذ الآفل المتغير آلها فهو ضال وان الهداية الى الحق انما يكون
من فضل الرب وعنايته وهذا طريق من يتلطف في البحث والارشاد باظهار المناصحة
لنفسه والمحاضر حتى اراد لصاحبه ما اراد لنفسه وينسب الذم والتقريع الى نفسه
لا يواجه به الخصم ليكون ابعد عن اسماعه وعناده واشد تلبيسا لمريكته وكسرا لعود
شكيمته كما قال صاحب يس وما لي لا اعبد الذي فطرني وفيه تعريض قوي فلما رأى
الشمس بازغة قال هذا ربي ذكر الاسم الاشارة لتذكير الخبر ولانه لا يفرق في غير لغة
العرب بين المذكر والمؤنث في الاشارة فاجرى الكلام على قاعدة تلك اللغة في مقام الحكاية
وعلى قاعدة لغة العربية في مقام الاخبار واما ما قيل وكان اختيار هذه الطريقة واجبا
لصيانة الرب عن شبهة التانيث فيرد عليه ان هذا الوجوب في الرب الحقيقي مسلم واما
الذي فرض ربا للابطال باظهار ما فيه من الاوصاف المنافية للربوبية فالوجوب المذكور
فيه ممنوع بل المناسب ح اظهار علامة التانيث لما فيه من الاشارة الى ما سبق له العبارة
هذا اكبر من باب مراعاة النصفة ايضا مع الخصم ويحتمل ان يكون تجريد اسم الاشارة
عن علامة التانيث ايضا من هذا الباب كانه يفرض ربا متجنبا عما يكون التجنب عنه مما يوهم
ما لا يليق بشان الرب فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون من الاجرام المحدثة
المتغيرة المحتاجة الى محدث ومدبر معتبر وهذا صريح في ان الكلام مع القوم وقد دل قوله
لئن لم يهدني ربي على انه كان عارفا بان له ربا يستحق العبادة ومنه الهداية وان قومه
على الضلالة واشعر بان محاجته كانت مع منكر مبالغ في الانكار حيث احتيج الى القسم
فان اللام في لئن موطئة للقسم وفي لاكونن جواب قسم لما تم استدلاله وظهرت الحجة
ولم يبق شبهة يتمسك بها الخصم صرح بالقصور واظهر التبري عما كانوا يشركون به

عن اخرجها وتوجه الى من دلت عليه الممكنات المتغيرة من موجدها ومبدعها فقال
انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين انما استدل
بالافول دون البزوغ مع دلالته ايضا على التغيير والانتقال عن حال الى حال لتعدد
دلالته من جهة الانتقال والاختفاء وانتفاء النورية ولانه لا مجال للاستدلال بالبزوغ
فى الكوكب لانه راه فى وسط السماء حين قرر الاستدلال وحاجه قومه خاصموه فى توحيد
الله تع ونفى الشركاء عنه قال اتحاجونى وقرئ بتخفيف النون فى الله فى وحدانيته تع انكر
مخاصمتهم فيها بعد ان حج عليهم بالبرهان كما اشار اليه بقوله وقد هدان الى توحيده
وكانوا خوفوه ان معبودتهم تصيبه بسوء فقال ولا اخاف ما تشركون به ولا اخاف
معبوداتكم وقتا ما لانه لا يضر ولا ينفع الا ان يشاء ربى نصب على الظرف اى وقت مشية
ربى شيئا يخاف من جهتها مثل ان يصيبنى مكروه من جهة الكواكب والشمس والقمر فان
كان فذلك منه تع لا منها وسع ربى كل شئ علما اعتراض كالتعليل للاستثناء اى لا علم
والله احاط علما بكل شئ فلا يبعد ان يكون فى علمه ان يصيبنى مكروه من جهتها افلا تتذكرون
ابعد ما يخصه من الدليل لا تتذكرون مرادها وهوان لا مؤثر الا الله تع والفاء للعطف على
مقدر اى اتخوفوننى فلا تتذكرون فرادها وهوان لا مؤثر فتميزوا بين الصحيح والفاسد
والقادر والعاجز ثم تعجب من جهلهم بقوله وكيف اخاف ما اشركتم ولا تأثير له فى شئ ولا تخافون
انكم اشركتم بالله وانتم لا تخافون ما يوجب كل الخوف وهو اشراككم بالله القادر على كل شئ
ما لم ينزل به باشراكه عليكم سلطانا ترهم بهم فان اقامة الحجة على الشرع ممتنع وتعريض
بوجود الحجة على نفيه ولما دل الكلام على انهم يخافون المخوف من جميع الوجوه فاى الفريقين
احق بالامن الموحدون ام المشركون ولم تقل فاينا انا ام انتم حفظا للادب واحترازا
عن تزكية النفس ان كنتم تعلمون ما يحق ان يخاف منه ثم استانف جواب الاستفهام بقوله
الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اى ولم يخلطوه بشرك كنسبة التاثير الى الغير بعد التصديق
بالله تع لما روى ان الآية لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال عم ليس
ما تظنون انما هو ما قاله لقمان لابنه يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وقيل بمعصية
ويؤيد الاول كونه جوابا للاستفهام من المشرك والموحد اولئك الموحدون لهم الامن دون
غيرهم وهم مهتدون خاصة وتلك اشارة الى ما احتج به ابرهيم عم على قومه من قوله فلما جن
عليه الليل الى قوله وهم مهتدون حجتنا خبر تلك اتيناها ابرهيم الهمناها اياه ودفعناه لها
على قومه متعلق بحجتنا واتيناها بعد خبر بعد خبر او جملة مبتدأة او حجتنا بدل واتيناها خبر
وعلى قومه متعلق بمحذوف دل عليه مفعول اتيناها اى اتيناها حجة على قومه نرفع درجات
من نشاء فى العلم والحكمة وقرئ درجات بالتنوين ان ربك حكيم فى رفعه وخفضه عليم

بحال المرفوع والمخفوض واستحقاق كل منهما بما فعل به ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا
هدينا اى كلا منهما هدينا ونوحا هدينا من قبل من قبل ابرهيم عم فهو نوح عم اول قوم
عبد والاصنام ووحد هو الله تع وفى عبارة من قبل اشارة الى ان فيه سوء حسنة لابرهيم
وانما عد هداه نعمة ابرهيم عم من حيث انه ابوه وشرف الولد يتعدى الى الولد فحق ان يذكر
نوح عم بعلاقته لابرهيم عم كما ذكر من ذكر بعده كذلك ومن ذريته الضمير لابرهيم عم
لان الكلام فيه ويونس عم ايضا من ذريته لما ذكر فى جامع الاصول انه كان من الاسباط
فى زمن شعيب عم ارسله الله تع الى نينوى من بلد الموصل ولا يبعد فى عد لوط عم من ذرية ابرهيم
باعتبار انه كان ابن اخيه هاجر معه الى الشام فلا ضرورة داعية الى تخصيص البيان بالمعدودين
فى الآية الاولى والثانية وعطف المذكورين فى الثالثة على نوح عم وقيل لنوح عم لانه اقرب
وفيه انه يلزم ح افراد اسمعيل عم عن باقى ذرية ابرهيم داود وسليمن وايوب ايوب
امرص من اسباط عيص بن اسحاق ويوسف وموسى وهارون وكذلك ومثل ذلك الجزاء
العظيم الذى جزينا ابرهيم عم من رفع درجات وكثرة اولاده والنبوة فيهم نجزى
المحسنين الذين احسنوا فى عبادتنا وزكريا ويحيى وعيسى هو المسيح ابن مريم وفى ذكره على
تناول الذرية لاولاد البنت والياس هو من سبط هارون عم وقيل هو ادريس جد
نوح عم فيكون البيان مخصوصا بمن فى الآية الاولى كل من الصالحين من الكاملين فى الصلاح
وهو الاتيان بما ينبغى والتحرز عما لا ينبغى وفى توصيف الانبياء عم بصلاح تنويه بشان
تلك الصفة وتنبيه على عظم قدرها كما وصف الانبياء والملئكة عم بالايمان فان الاشراف
الاوصاف واسمعيل واليسع هو اليسع بن اخطوب وقرئ والليسع كضيغم وعلى القرائتين
هو علم عجمى قيل ادخل عم كما ادخل على اليزيد فى قوله رايت الوليد بن اليزيد مباركا
يرد ودن لزوم اللام له فالوجه ما قاله ابن مالك ما قارنت الى نقله كالنضر والنعمان وان تحالا
كاليسع والسموال فان الاغلب ثبوت ال فيه ويونس هو يونس بن متى عم ولوطا هو
هارون بن ابرهيم عم وكلا فضلنا على العالمين بالنبوة على من ليس من الانبياء ولا بد
من هذا القيد كيلا يلزم تفضيل كل منهم على الآخر او تفضيل كل من المتاخرين على الآخر ومن اباهم
وذرياتهم واخوانهم فى محل النصب عطفا على كلا او نوحا ومن للتبعيض لان منهم من
لم يكن نبيا ولا مهديا واجتبيناهم عطف على فضلنا وهديناهم الى صراط مستقيم
تقديرها هدو اليه ذلك هدى الله اشارة الى ما دانوا به يهدى به من يشاء من عباده
فيه دليل على ان الهداية بمشيته لذاته وذلك غير ظاهر من الكلام ولو اشركوا مع فضلهم وتقدمهم
وعلو درجاتهم لحبط عنهم ما كانوا يعملون لكانوا كغيرهم فى بطلان اعمالهم بسقوط
ثوابها عنهم اولئك الذين اتيناهم الكتاب اى جنسه والحكم الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه

اوصافه

والحكم والنبوة بالفرق بينها وبين الرسالة في سورة الاعراف فان يكفر بها اي
بهذه الثلثة او بالاخيرة منها هؤلاء يعني اهل مكة فقد وكلنا بها قوما هم مؤمنوا اهل
المدينة قاله ابن عباس رض ومعنى توكيلهم توفيقهم للايمان بها والقيام بحقوقها كما
يوكل الرجل بالشيء ليقوم به ويتعهده فمعنى المراعاة داخل في مفهوم التوكيل ليسوا
بها بكافرين الباء الاولى صلة الكافرين والثانية تأكيد للنفي اولئك الذين هدى
الله الاشارة الى الانبياء المتقدم ذكرهم فبهداهم اقتده تقديم فبهداهم للتخصيص
اي هديهم بالاقتداء ولا تقتد الا بهم والمراد بهداهم الايمان والتوحيد واصول
الدين مما اشترك الكل فيه دون الفروع من الشرايع المختلفة والاديان فانها تختلف
بحسب الازمان بقي قسم آخر وهو الفروع المتفق عليها كالصوم والصلوة وحرمة الكذب
والزنا فيدخل هذا القسم من الفروع مع الاصول تحت مطلق الهدى من المشترك المضاف
الى الكل فيصلح متمسكا في الجملة لمن قال انه عم كان متعبدا بشرايع من قبله والهاء
في اقتده للوقف ومن اثبتها في الدرج ساكنة اجرى الوصل مجرى الوقف وجه
اشباعها ان يجعل كناية عن المصدر قل لا اسئلكم عليه اي على التبليغ اجرا جعل
جهتكم كما لم يسئل الانبياء الذين تقدموا قبل وهذا من جملة ما امر بالاقتداء بهم فيه وفيه
اعتراف بعدم اختصاص الهدى المذكور بالاصول فلا وجه لنفي التمسك لما ذكره
ان هو اي التبليغ او القرآن الا ذكرى للعالمين تذكرة وعظة لهم وما قدروا الله
حق قدره وما عرفوه حق معرفته في الرحمة على عباده وهو الانعام عليهم ببعثة الرسل
وانزال الكتب وفي السخط على الكافرين والبطش بهم حين انكروا الوحي والنبوة و
اقدموا على تلك المقالة العظيمة اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء والقايلون هم اليهود
بدليل الزامهم بانزال التورية على موسى عم وقيل القايلون قريش وانما الزموا بانزال
التورية لانه كان من المشهورات الذايعة عندهم ولذلك كانوا يقولون لو انا انزل علينا
الكتاب لكنا اهدى منهم قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس
نورا وهدى حالان اي جامعا بين كونه نورا يتبين به الاحكام والشرايع وبين كونه
هدى للناس الى التوحيد والمعاد تجعلونه اعتراض لبيان سوء حملهم للكتاب
وفعلهم به ما ينافي كونه نورا وهدى للناس توبيخا لهم وتعييرا قراطيس ورقات
متفرقة ليتمكن تفريقها على ما قصدوا من الابداء والاخفاء تبدونها وتخفون كثيرا قراءة
الجمهور تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون نقضا بكلامهم والزاما لهم وقراءة
بعضهم بالياء التحتانية حملا على قالوا وقدروا ولتضمين الالزام توبيخهم على تبعيض
التورية وتحريفها وابداء بعض واخفاء بعض وعلى هذا التفت الى الغيبة تبعيدا لهم

بسبب فعلهم القبيح ثم التفت ثانيا الى الخطاب تنبيها على ان الغائبين هم المخاطبون
وما احسن الالتفاتين حيث ابعد نسبة القبيح اليهم اعرض عنهم حتى لا يواجهوا به
وحيث نسب اليهم الحسن وهو علم ما لم يعلموا خاطبهم به وعلمتم خطاب لليهود اي
لسان محمد عم ما لم تعلموا انتم مع كونكم حملة الكتاب ولا اباؤكم الاقدمون الذين كانوا
اعلم منكم من الحكم والمواعظ والقصص زيادة على ما في التورية وبيانا لما التبس عليكم
لقوله تع ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وعلى القول
الثاني الخطاب لمن آمن من قريش كقوله تع لتنذر قوما ما انذر آباؤهم قل الله امر
بالجواب عنهم اشعارا بان الجواب متعين لا يلتبس عليهم ولا يناكرونه فيه وهو الله
انزله لكنهم بهتوا محجوجين ملزمين لا يقدرون على الجواب خوف الفضيحة ثم ذرهم
في خوضهم يلعبون ثم لاستبعاد الكلام بعد الالزام حذف الخبر لدلالة انزل في
السؤال عليه اي لا كلام الا هذا ولهذا سمي كلامهم غير هذا خوضا في الباطل اي
هواء وهذيانا وسماهم لاعبين لان الكلام الذي ليس بنافع ولا معقول لعب
ومعنى ذرهم لا عليك بعد الزام الحجة ان لم يكفوا فاتركهم يلعبون حال من ذرهم
و في خوضهم صلة له او ليلعبون او حال منهما ومن خوضهم وهو صلة لذرهم وهذا
اي القرآن والتعظيم الذي قصد بذلك في قوله تع ذلك الكتاب حصل من تنكير
كتاب فحصل التعادل بين القولين انزلناه مبارك كثير المنافع الثابتة والفوائد
الباقية فان البركة ثبوت الخير على الازدياد مصدق الذي بين يديه من الانجيل
وساير الكتب الالهية المخبرة عن رسالة نبينا عم والمبشرة عن بعثته ومرجعه
الى تصديقه عم في دعوى النبوة وهو من المقاصد الاصلية من انزال القرآن ولتنذر
عطف على ما دل عليه صفة الكتاب اي للبركات وللتصديق وللانذار اكتفى بذكره
عن مقابله وخصه بالذكر ام القرى اهل مكة وانما سميت به لانها قبلة اهل القرى
ومحجهم ومكان اول بيت وضع للناس لانها اعظم القرى شأنا ومن حولها من العرب
وانما خصهم بالذكر مع ان اصل الانذار العام لان نزوله عربيا لاجلهم
على افصح عنه في قوله تع وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر ام القرى و
من حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به لان التصديق بالآخرة يحمل صاحبه
على النظر والتدبر خوف العاقبة حتى يؤمن بالكتاب والنبي ويحافظ على الطاعات
وهم على صلوتهم يحافظون المراد بالمحافظة على الصلوة المواظبة على الطاعات
بجملتها وانما خص الصلوة بالذكر لانها عماد الدين فارقة بين الكفر والاسلام ناهية
عن الفحشاء والمنكر فمن واظب عليها واظب على كلها ومن اظلم ممن افترى على الله

كذبا بانه بعثه نبيا كمسيلمة كذاب اليمامة والاسود كذاب صنعاء او اختلق
عليه احكامه كعمرو بن لحي ومتابعيه او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء هو عبد الله
ابن سعد بن ابي سرح القرشي كان يكتب لرسول الله صلعم فلما نزل قوله ولقد
خلقنا الانسان من سلالة فقال فتبارك الله احسن الخالقين فقال رسول الله صلعم
اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي
له ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال فارتد عن الاسلام ولحق بمكة ثم رجع مسلما قبل
فتح مكة ومن قال سانزل مثل ما انزل الله كالنضر بن الحارث واشباهه حيث قال
لو نشاء لقلنا مثل ولو ترى اذ الظالمون اللام اما للعهد والاشارة الى المذكورين
من اليهود والمتنبئة وسائر المدعين واما للجنس ويدخل هؤلاء تحته دخولا اوليا و
حذف جواب لو وهو لرايت امرا عظيما ايماء الى انه لا يكون وصفه لشدته وحذف مفعول
ترى لدلالة اذ الظالمون عليه اي ولو ترى الظالمين في غمرات الموت اصل الغمرة
ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة الغالبة والملئكة باسطوا ايديهم اليهم حال اخرجوا
انفسكم على تقدير القول اي يقولون اخرجوا ارواحكم الينا من اجسادكم وقيل باسطوها
بالعذاب اخرجوا انفسكم خلصوها من ايدينا اي لا تقدرون على الخلاص تشبيها لهم
بالطالب المضيق والغريم المشدد الذي لا يمهل ولا يخفف بل يلح ويبوح تصويرا
لعنفهم في ازهاق الروح والغلظة في المطالبة والقبض من غير تنفيس او بالمؤاخذ
الباطش القابل للكسيرة تهكما خلص نفسك عمن يريد تعجيزه وانه لا يقدر على الخلاص
البتة اليوم يريد وقت الاماتة او الوقت الممتد من الاماتة الى ما لا نهاية له تجزون عذاب
الهون اضافة العذاب الى الهون وهو الهوان لافادة الاصالة فيه والتمكن و
العراقة كما تقول رجل سوء بما كنتم تقولون بسبب قولكم على الله غير الحق كنسبة الولد
والشريك بالله تع ودعوى النبوة والوحي كاذبا وكنتم عن اياته تستكبرون وبالاستكبار
عن الايات فلا يؤمنون بها ولقد جئتمونا للحساب والجزاء فرادى منفردين عن اموالكم
واولادكم وسائر ما اثرتموه من دنياكم واعوانكم واوثانكم التي زعمتم انها شفعاؤكم
وهو جمع فرد او جمع فريد كقرين وقرانى ورديف وردافى والالف للتانيث
ككسالى وقرئ فرادا بالتنوين قيل كرجال وفيه انه بالضم اسم جمع وبالكسر جمع رجل
بكسر الجال وقد يقال الرجال بالضم انه جمع اما تجوزا واما لغلبة الكسرة ضمة وقرئ
فراد كثلاث وفردى كسكرى كما خلقناكم اول مرة صفة للمصدر اي مجيئا مثل خلقنا لكم
او صفة لفرادى او بدل منه اي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد او حال ثانية او حال
عن الضمير في فرادى اي مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما وانتصب اول مرة

على الظرف وتركتم ما خولناكم اعطيناكم وتفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به
عن الاخرة وراء ظهوركم مبالغة في الترك وعدم الانتفاع بحيث لا يمكنه النظر اليه
وما نرى معكم شفعاءكم صريح في انه يحال بينهم وبينهم ابتداء والاستفسار عنهم
عند ذلك ثم انهم يجمعون على ما افصح عنه قوله واذا راى الذين اشركوا شركاءهم
وقدمت ما يتعلق بهذا في هذه السورة الذين زعمتم انهم فيكم شركاء في ربوبيتكم
واستحقاق عبوديتكم شركاء لله لقد تقطع بينكم اكثر القراء رفع بينكم على اسناد
الفعل الى الظرف على الاتساع كما يقال قوتل خلفكم وامامكم والمعنى وقع التفرق بينكم
ومن نصب فعلى تاويل اسناد الفعل الى المصدر كما تقول وقع التقطع بينكم كما يقال
جمع بين الشيئين اي اوقع الجمع بينهما واصله لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ به و
قيل ان البين مصدر وهو من الاضداد يجيء بمعنى الفصل والوصل فمعناه لقد تقطع
وصلكم وتشتت جمعكم ولا يأباه قراءة النصب اذ يكون حركته حركة بناء لاضافته
الى المبني وهو ضمير الخطاب فيكون فاعلا لتقطع فيستوي القراءتان وضل غاب عنكم
ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم يرشدك الى هذا قوله وضل عنهم ما كانوا يفترون
ان الله فالق الحب والنوى بالنبات والشجر اخبر عنه بشق النواة مع شدتها وصلابتها
ويخرج من نبات اخضر لينا ما لو اجتمع كل الخلائق على اخراج مثله ما قدروا عليه وقيل
المراد به الشقاق الذي في النواة والحنطة مثلا يخرج الحي من الميت جملة مبينة لما قبله
لان فلق الحب والنبات والنواة بالشجر اخراج الحي من الميت لان النامي في حكم الحيوان
ولقوله تع يحيي الارض بعد موتها الا انه اعم ليكون كالدليل ومخرج الميت ما ينمو
من النطفة والحب من الحي من الحيوان والنبات ذكره بلفظ الاسم حملا على فالق الحب ذلكم الله
اي ذلكم القادر على تلك الامور العجيبة هو الذي يحق له العبادة فانى تؤفكون تصرفون
عنه الى غيره وفيه دلالة على ان هناك صارفا لهم عن مقتضى فطرتهم وانه غير الله تع
فالق الاصباح شاق ظلمة الاصباح وهو الغلس في آخر الليل الذي يلي الافق عن الصبح
او شاق عمود الصبح عن بياض النهار يقال انشق عمود الصبح وانصدع الفجر و
سموا الفجر فلقا بمعنى المفلوق الظلمات والاصباح في الاصل مصدر اصبح اذا دخل في
الصبح سمي به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ فالق بالنصب على المدح
وجاعل الليل سكنا السكن ما يسكن اليه ويستانس به ومنه قيل للنار سكن لانه يستانس
بها والليل يستانس به التعب ويسكن اليه للاستراحة فيه ونصبه بفعل دل عليه جاعل
لا به لانه بمعنى المضي ويعضده قراءة وجعل الليل حملا على معنى المعطوف عليه فان فالق
بمعنى فلق ولذلك قرئ به او به على ان المراد منه جعل مستمر في الازمنة وما يقال انه لما

بمعنى المضي عن شبه الفعل فبمعنى الاستمرار اولى ليس بشيء لان شبهه انما حصل
هو بالمضارع وباعتبار عمله ولهذا يشترط معنى الحال والاستقبال الذي هو حقيقة
المضارع عند الجمهور والمضارع قد يجيء بمعنى الاستمرار كثيرا فاسم الفاعل كالاستمرار
لا يبعد عن شبه الفعل بخلاف معنى المضي وعلى هذا التقدير يجوز ان يكون والشمس
والقمر عطفا على محل الليل والاحسن نصبهما على اضمار فعل دل عليه جاعل وقرئ بالجر
عطفا على الليل ولا دلالة فيه على ان نصبهما عطفا على محل الليل بناء في حسن نصبهما على
اضمار فعل وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي والشمس والقمر حسبانا
اي جعلا حسبانا جعلهما على الحسبان لان حسبان الاوقات يعلم بسيرهما ودورهما
يعني على ادوار مختلفة يحسب بها الاوقات ويكونان علم الحسبان وعلى قراءة الجر ينصب
حسبانا بفعل مقدر اي جعلا كما مر في سكنا والحسبان كالكفران مصدر حسب بفتح العين
واما مصدر حسب بالكسر فالحسبان كالغفران ذلك اي جعلهما حسبانا يعني ذلك التسيير
بالحسبان المعلوم تقدير العزيز الذي قهرهما وسخرهما العليم بتدبيرهما وتدويرهما
على الادوار المختلفة وهو الذي جعل لكم النجوم اجمالا اي خلقها لاجلها فان لكم فيها منافع
وهو دليل اضماره في الكل مر فالق الحب وجاعل الليل والشمس لانه في معرض الامتنان
وتعداد النعم على الانسان لتهتدوا بها تنبيه بافراد بعض منافعها بالذكر اشارة
الى انه اكثر منافعها واجلها في ظلمات البر والبحر ظلمات الليل في البر والبحر واضافتها
اليهما للملابسة او في مشتبهات الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة قد فصلنا
الآيات بيناها فصلا فصلا وانما قال لقوم يعلمون لما علمت ان ذلك التفصيل في معرض
الامتنان وهي لا تكون الا للعالم بما امتن به وهو الذي انشاكم من نفس واحدة
هو آدم عم فمستقر ومستودع فلكم استقرار في الرحم او فوق الارض واستيداع
في الصلب او تحت الارض وقال ابن الحنيفة المستقر الصلب والمستودع الرحم لتقديم
ذكره المستقر على المستودع او فلكم محل استقرار واستيداع وعلى قراءة كسر القاف
فمنكم مستقر اسم فاعل ومنكم مستودع اسم مفعول لان الاستقرار منا دون
الاستيداع وهو جعل الشيء في الشيء للاحتفاظ به قال الحسن المستقر من مات والمستودع
فجمع الاحبة بالاحبة قبلنا فالناس مفجوع به ومستودع او مستقر قد طال المستقر
بزوره المستودع وكان يقول يا ابن آدم انت وديعة في اهلك ويشد وما المال
والاهلون الا ودائع لا بد يوما ان يرد الودائع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون
فرق بين الفاصلتين فذكر مع ذكر النجوم والاهتداء بها يعلمون لظهور امرها ومع
انشاء الخلق من نفس واحدة يفقهون لان تصريفهم بين احوال واحوال مختلفة يحتاج الى

دقة نظر وروية وهو الذي انزل من السماء ماء من جانبها او من السماء فاخرجنا على
تلوين الخطاب به بالماء نبات كل شيء نبت كل صنف من اصناف النامي فيه بماء الى
عجيب صنعه وبديع خلقه من كون السبب واحدا والمسببات اشياء مختلفة كقوله يسقى
بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل فاخرجنا منه من النبات خضرا شيئا غضا
اخضر وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة نخرج منه من الخضر حبا متراكبا هو السنبل
ومن النخل من طلعها قنوان اي وما يخرج من النخلة في اكمامها قنوان وهو الاعذاق جمع قنو
مبتدا ومن النخل خبره ومن طلعها بدل منه كانه قيل وحاصل من طلع النخل قنوان و
يجوز ان يكون الخبر محذوفا لدلالة اخرجنا عليه اي ومخرجه من طلع النخل قنوان ومن
قرأ يخرج منه حب متراكب عطف قنوان على حب وقرئ بضم القاف وبفتحها على انه اسم جمع اذ
ليس فعلان من ابنية الجمع دانية قريبة التناول لان النخل تتمر على ما قصرها او قريبة بعضها
من بعض وصفت القنوان بالدانية لان النعمة فيها اكثر واهنا واستغنى بها عن ذكر مقابلها
كقوله سرابيل تقيكم الحر وجنات من اعناب بالكسر في محل النصب عطف على نبات كل شيء و
قرئ بالرفع على الابتداء اي ولكم او وثمة جنات من الاعناب اي مع النخل ويجوز عطفه على
قنوان ولا يلزم ان يكون المعنى ومن النخل جنات من اعناب اذ يكون من اعناب عطفا
على من نخيل فيصير من عطف مفرد على المبتدا او على خبره وقدم الظرف في المعطوف عليه
للتخصيص واخر في المعطوف لعدم اختصاص الجنات غايته ان المعطوف على المبتدا يكون
نكرة غير مخصوصة ولم يعرف منع ذلك كيف وقد قال الشاعر عندي اصطبار وشكوى
عند قاتلتي فهل باعجب من هذا امرؤ سمعا والزيتون والرمان ايضا عطف على نبات او
نصبا على المدح لعزة هذين الصنفين عندهم مشتبها وغير متشابه حال وتقديره
والزيتون مشتبها وغير متشابه والرمان كذلك كقوله كنت منه ووالدي بريا او بعضه
مشتبه وبعضه غير متشابه في القدر واللون والطعم والشكل وذلك دليل القدرة
وقرئ متشابها والاشتباه والتشابه بمعنى واحد وكثيرا يشترك الافتعال والتفاعل
بمعنى انظروا الى ثمره اي ثمر كل واحد من ذلك وقرئ بضم الثاء جمع ثمرة كخشبة وخشب
او ثمار ككتاب وكتب اذا اثمر اذا اخرج ثمره نظر استبصار واعتبار واستدلال على قدرة
مقدره ومدبره وناقله من حال الى حال كيف يخرج ضئيلا حقيرا لا ينتفع به وينعه و
الى حال نضجه او الى نضيجه كيف يعود شيئا جامعا للمنافع وملاذ والينع مصدر ينع
بفتح الباء في لغة الحجاز وضمها في بعض لغة نجد يقال ينعت الثمرة اذا ادركت و
قيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وبولغة فيه ويانعه ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون
اي لآيات دالة على وجود قادر حكيم وتوحيده لمن نظر واعتبر وظهور الآيات لا ينفع

الا لمن قدر الله تع له الايمان فنبه على ذلك بنوصيف القوم بالايمان فهو من قبيل هدى للمتقين ولما ذكر ما دل على صانع قادر حكيم لا ند له ولا ضد ونعى من اشرك به واستعظم فقال وجعلوا لله شركاء الجن لله شركاء مفعولا جعلوا والجن منصوب بمحذوف جوابا عن سوال كانه قيل من جعلوه شركاء فقيل لله فقيل الجن او بدل من شركاء او شركاء الجن مفعولاه ولله متعلق بجعلوا او حال من شركاء وشركاء ثاني مفعوليه وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن اي هم الجن وبالجر على الاضافة للتبيين وفايدة تقديم لله استعظام ان يكون لله شركاء اي شيء كان جنيا او انسيا او غير ذلك وكذا فايدة تقديم شركاء على الجن والظاهر ان المراد به الملئكة وسماهم جنيا لاجتنابهم تحقيرا لشانهم ويجوز ان يراد بالجن الشياطين لانهم اطاعوهم كما يجب ان يطاع الله تع او عبدوا الاصنام بتحريضهم وتسويلهم فهم عبدوهم في الحقيقة وقيل المراد به الثنوية القايلون بيزدان واهرمن الذين زعموا ان الله تع خالق كل نافع وابليس خالق كل شر وضار وخلقهم اي الجاعلين معناه وقد علموا ان الله تع خالقهم دون الجن فكيف يجعلون من لا يخلق شريك الخالق او الجن يعني وخلق الله تع الجن فكيف يجعلون مخلوقه شريكا له وقرئ خلقهم بسكون اللام عطفا على شركاء على الوجه الاول اي اختلافهم للافك معناه وجعلوا الله افتراءهم وهم نسبوا قبايحهم الى الله تع في قولهم ان الله حرم هذا وقولهم والله امرنا بها وامثال ذلك وخرقوا له فتعلوا الافك يقال خلق الافك وخرقه واختلقه وافترقه بمعنى ويجوز ان يكون من خرق الثوب اذا شقه اي اشتقوا له بنين وبنات وقرئ وحرّقوا بالتشديد للتكثير لقوله بنين وبنات على الجمع وقرئ وحرفوا له وزوروا له اولادا لان المزور محرف مغير للحق الى الباطل وهو قول اهل الكتابين في المسيح وعزير عم وقول قريش في الملئكة بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوا اي قولا عن جهالة وعمى من غير فكر ورؤية وهو في موضع الحال اي خرقوا ملتبسين بالجهالة او المصدر اي خرقا بغير علم ولما ذكرا نباتهم الشركاء له تع واختلافهم نسبة ما الاكون نسبة الله تع نزهه عن ذلك بقوله سبحانه وتعالى عما يصفون وهو ان له شريكا او ولد بديع السموات والارض من اضافة الصفة الى فاعلها اي بديعة سماواته وارضه او الى الظرف اي بديع فيهما بمعنى عديم النظير فيهما كقولك فلان ثبت الغدر اي ثابت فيه وقيل بمعنى المبدع وقد مر ان فعيلا يجيء بمعنى المفعل كحكيم وحكيم هو خبر مبتدا محذوف اي هو بديع او مبتداء خبره انى يكون له ولد اي من اين او كيف يكون له ولدا وفاعله تعالى وقرئ بالجر صفة لله تع او بدلا من ضميره سبحانه وبالنصب على المدح ولم تكن له صاحبة يكون منها الولد وقرئ بالياء للفصل ولان الاسم ضمير الله تع او ضمير الشان وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية وانما قال بكل شيء ولم يقل به لان الاول اخفى بالمخلوقية

وفي الاية استدلال على نفي الولد من وجوه احدها انه تع مبدع الاجسام كلها لا يكون جسما والولادة انما يكون من صفات الاجسام فلم يكن له ولد وثانيها ان الاجسام مبدعة والمبدع هو الذي لا يوجد من مادة والولد من مادة شخص فالمبدع ليس بوالد وثالثها ان الولد لا يكون الا عن زوجة تجانس الوالد وهو غير مجانس فلا زوجة له فلا ولد ورابعها انه تع خالق الكل والمخلوق ممكن محتاج الى الخالق واجب مستغن فلا يجانسه شيء من خلقه وخامسها انه تع عالم بكل شيء لذاته ومن عداه ليس كذلك بالاجماع فلا يجانسه غيره والولد انما هو مجانس للوالد فلم يكن له ولد ذلكم اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتداء وما بعده اخبار مترادفة وهي الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء ويجوز ان يكون البعض خبرا والبعض بدلا او صفة فاعبدوه سبب عن مضمون الجملة اي من استجمع هذه الصفات متولي اموركم فكلوا اليه اموركم ولو سلموا اليه بعبادة ليجازيكم بها لا تدركه لا تحيط به الابصار فاذا لم يحط به الكل فعدم احاطة كل واحد منها به بطريق الاولى وهو الاوجه للعدول عن المفرد الى الجمع واذا كان المنفي الادراك الخاص فلا تمسك فيه لمن انكر الرؤية واما الجواب عنه بتخصيص الحكم ببعض الاوقات او ببعض الاشخاص فلا يتحمله الكلام على الوجه المذكور المناسب للمقام والابصار جمع بصر وهو حاسة العين اي قوتها التي تدرك وقد يطلق مجازا على العين مجازا وهو يدرك الابصار يحيط بها علما وهو اللطيف الخبير فيدرك ما لا يدرك بالبصر ويجوز ان يكون الاول ناظرا الى قوله لا تدركه الابصار كانه والثاني الى قوله وهو يدرك الابصار لانه الخبير بكل خفية وجلية والمراد من اللطيف ما لا يتعلق به خاصة النظر لعدم حظه من الكثافة بطريق الاستعارة قد جاءكم بصائر من ربكم البصائر جمع بصيرة وهي نور القلب يدرك به الحقائق ويستبصر وهي للقلب بمنزلة البصر للعين سميت بها الدلالة لانها يجلي بها الحق ويبصر بها فمن ابصر اي ابصر الحق بهذه الدلائل وآمن به فلنفسه ابصر اياها نفع ومن عمي اي عمي عن الحق وانكر فعليها عمي واياها ضر اذ لبس وباله الا عليها وهذا الكلام وارد على النبي عم لقوله وما انا عليكم بحفيظ وما انا عليكم برقيب بحفظ اعمالكم ويجازيكم بها بل الله هو الحفيظ وما انا الا منذر وكذلك نصرف الايات ومثل ذلك التصريف نصرف وهو اداء المعنى الداير في المتعاقبة من الصرف وهو نقل الشيء من حال الى حال وليقولوا درست علة فعل محذوف اي ليقولوا درست نصرفها واللام للعاقبة كذا قالوا والظاهر ان اللام الامر والفعل مجزوم بها لا منصوب باضمار ان ويؤيده قراءة من قرأ بتسكين اللام والمعنى عليه متمكن كانه قيل ومثل ذلك نصرف الايات

وهو على كل شيء وكيل عبادته ولا تكون العبادة الا للبديع
اي مع تلك الصفات متولي امور ...

وليقولوا هم بان يقولون وهو امر معناه الوعيد والتهديد وعدم الاكتراث بهم
وبما يقولون والدرس استمرار التلاوة وقرئ دارست اى دارست العلماء ودرست
من الدروس اى قدمت هذه الآيات وعفت كقولهم اساطير الاولين وقرئ درست
بضم الراء مبالغة في درست بضم الراء ودرست على البناء للمفعول اى قرئت هذه الآيات
وعفيت ودارست بمعنى درست اليهود محمدا عليه الصلوة والسلام وجاز الاضمار
لان اليهود كانت مشهورة عندهم بالدراسة ويجوز ان يكون الضمير للآيات والمراد
اهلها وهم اهل الكتاب ودرس اى درس محمد عم ودرست اى عفوت ودارسات اى
قديمات او ذات درس كعيشة راضية ولنبينه اللام للتعليل على الحقيقة او بطريق
الاستعارة على اختلاف الاصلين في جواز ان يكون فعل الله تع معللا بالغرض واعيد الضمير
مفردا على معنى الآيات وهو القرآن الذي اعتبر فيه وحدة المعنى كان لتوحيد الضمير
فهذه ههنا باعتبار المعنى موقع حسن لقوم يعلمون وجه التخصيص ما ذكر في قوله
لقوم يؤمنون اتبع ما اوحي اليك من ربك بالتدين به لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب
اتباع الوحي وحال مؤكدة من ربك بمعنى منفردا في الالوهية واعرض عن المشركين اى
لا تحتفل باقوالهم ولا تلتفت اليهم ومن جعله منسوخا باية السيف حمل الاعراض على
ما يعم الكف عنهم ولا ضرورة فيه ولو شاء الله توحيدهم وعدم اشراكهم ما اشركوا
دليل على ان الله تعالى لا يريد ايمان الكفار وان مراده تع واجب الوقوع وما جعلناك
عليهم حفيظا رقيبا وما انت عليهم بوكيل تقوم باموريهم ولا تسبوا الذين يدعون
من دون الله اى لا تذكروا الهتهم التى يعبدونها بما فيها من القبائح فيسبوا الله بسبب سبكم
لان سبوا الله تع فيه تلوين الخطاب بالعدول عن خطابه عم وحده الى الخطاب في ضمن
الكل لما في المواجهة النبي عم بما ذكر من خلاف ما كان عليه من الاخلاق الكريمة اذ لم يكن فحاشا
ولا سبابا قال الامام ابو منصور كيف نهانا الله تع عن سب من يستحق بالسب لئلا يسب
من لا يستحقه وقد امرنا بقتالهم فاذا قاتلناهم قتلونا وقتل المؤمن بغير حق منكر وكذا
امر النبي بتبليغ الوحي والتلاوة عليهم وان كانوا يكذبونه ثم قال في جوابه ان السب
لا ولكنه مباح غير مفروض وقتالهم فرض وكذا التبليغ وما كان مباحا فانه ينهى عما
يتولد منه ويحدث وما كان فرضا لا ينهى عن المتولد منه وعلى هذا يقع الفرق لابي ح
يضمن قطع يد قاطع يده قصاصا فمات منه فانه يضمن الدية لان استيفاء حقه مباح
فاخذنا بالمتولد منه والامام اذا قطع يد السارق فمات لم يضمن لانه فرض عليه فلم
يؤخذ بالمتولد منه الى هنا كلامه وعلى هذا لا دلالة في الآية على ان الطاعة الواجبة يجب
ان يترك اذا ادت الى معصية راجحة كالنهي عن المنكر يعني ههنا شئ وهو انهم كانوا مقرين

بالله تع وعظمته وان الاصنام انما نعبد ليكونوا شفعاء عند الله تع فكيف يسبونه
واجيب عنه بانهم لا يقولون ذلك صريحا لكن ربما يفضي فعلهم الى ذلك كما قالوا
اتترك شتم الهتنا او لنشتمن من يامرك بذلك ويعضد ذلك قوله عدوا بغير علم
اى تجاوزا عن الحق الى الباطل على جهالة حال اى عادين او مفعول له اى لعدوان
فيهم او مصدر للنوع اى سبا عدوا وقرئ عدوا بضم الدال وتشديد الواو
وبما قررناه الى ما قيل انه عم كان يطعن في الهتهم فقالوا لتنتهين عن سب
الهتنا او لنهجون الهك فنزلت فان عبارة لنهجون تابى عن التنزيل المذكور
وقد ذكر في التيسير سبب النزول غير ذلك كذلك زينا لكل امة عملهم
اى مثل ذلك التزيين العظيم وهو تزيين سب الله تع زينا لكل امة عملهم والتخلية
بينهم وبين اعمالهم حتى تزين لهم وقيل هو عام اى زينا لكل امة عملهم من الخير والشر
باحداث ما يمكنهم ويحملهم عليه توفيقا وتخذيلا ويقوي الاول كون الكلام في
الكفار والمسبب تزيين سب الله تع وتهديد بقوله ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا
يعملون بالمجازاة والمعاقبة واقسموا بالله جهد ايمانهم مصدر في موقع الحال اى جاهدين
ايمانهم جهدا وانما اقسموا بالله تع مؤكدين تحكما على رسول الله صلعم في طلب الآيات و
اقتراحها وعدم الاعتداد بما راوا منها لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل انما
الآيات عند الله لا عندي اى هو القادر عليها لا انا حتى آتيكم بها وما يشعركم انها اذا
جاءت لا يؤمنون استفهام انكار للسبب مبالغة في نفي المسبب اى لا تدرون انها
المؤمنون ان الآيات المقترحة اذا جاءتهم لا يؤمنون بل انا اعلم ذلك بمعنى ان سبب
عدم انزال الآية التي يقترحونها علم الله تع انها اذا جاءت لا يؤمنون بها وذلك ان
المؤمنين كانوا يطمعون في ايمانهم ويتمنون مجيئها ليؤمنوا فاجيبوا بذلك ودليله
قوله تع كما لم يؤمنوا به اول مرة ومنهم من جعل لا مزيدة في القراءة بالفتح وقرئ لا تؤمنون
بالتاء على ان الخطاب للمشركين وقرئ وما يشعرهم اى وما يعلمون ان قلوبهم اذا جاءت
كانت كما كانت مطبوعا عليها بهم فلا يؤمنون بها وقيل انها بمعنى لعلها من قول العرب ائت
السوق انك تشتري لحما وتؤيده قراءة ابى لعلها وقرئ انها بالكسر على ان وما يشعركم
كلام قد تم اى وما يشعركم ما يكون منهم ثم ابتدأ فاخبرهم بقوله انها اذا جاءت لا يؤمنون
البتة ونقلب افئدتهم وابصارهم عطف على لا يؤمنون داخل في حكم الاستفهام وكذا
نذرهم اى وما يشعركم انا نقلب افئدتهم اى نطبع على قلوبهم ونعمي ابصارهم كما كانت
فلم يذكر اسماعهم اذ لا مناسبة التقليب ولهذا ايضا لم يقل قلوبهم بدل افئدتهم
ويجوز ان يكون كما في قوله كما لم يؤمنوا به اول مرة للتعليل في ما مصدرية اى ونفعل

بهم ذلك لكونهم لم يؤمنوا به اى بما انزل من الايات اول وقت جاءهم نصدهم
تعالى وبناسب هذا المعنى اخر الاية ونذرهم في طغيانهم يعمهون لا نحيرهم
لا نهديهم هداية المؤمنين وقرئ ويقلب ويذرهم على الغيبة وقرئ وتقلب على
البناء للمفعول ورفع افئدتهم وابصارهم ولو اننا نزلنا اليهم الملئكة كما قالوا
لولا انزل علينا الملئكة وكلمهم الموتى كما قالوا فاتوا بابائنا وحشرنا عليهم كل شئ
قبلا كما قالوا او تاتى بالله والملئكة قبيلا والقبل جمع قبيل بمعنى كفيل اى كفلاء بما بشروا
به وانذروا او جمع قبيل جمع قبيلة اى جماعات او مصدر بمعنى مقابلة وقرئ
بكسر القاف وفتح الباء اى عيانا حال على القرائتين كلها من كل شئ لعمومه ما كانوا ليؤمنوا
لما سبق عليهم القضاء بالكفر لان فيه تعليل الحوادث بالتقدير الازلى في الجنة
فاده لبطلان استعدادهم وتبدل فطرتهم القابلة بسوء اختيارهم الا ان
يشاء الله ظرف اى الا وقت ان يشاء الله ولكن اكثرهم يجهلون انهم لو اوتوا بكل اية
لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون ولذلك اسند الجهل الى اكثرهم
مع ان مطلقه يعمهم لان المؤمنين بعضهم او ولكن اكثرهم يجهلون انهم لا يؤمنون عند مجئ
الايات فيطمعون في ايمانهم ويتمنون نزولها بين ان الايات وان توالت في
شموس البرهان وان تعالت فمن قصمته العزة وكسته الغفلة لم يرد ذلك الا ضلالا
وسخرالا الا نفورا وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا اى كما جعلنا لك عدوا جعلنا
لكل نبى سبقك عدوا والحكمة في ذلك الابتلاء والامتحان ليظهر الثبات والصبر وكثرة
الثواب شياطين الانس والجن مردة الفريقين بدل من عدوا او هما مفعولاه
ولكل متعلق به او حال منه يوحى بعضهم الى بعض يوسوس شياطين الجن
الى شياطين الانس او بعض الجن الى بعض آخر منه زخرف القول مزينة
ومموهه بالاباطيل غرورا حال اى غارين او مغرورين او مفعول له اى للغرور
ولو شاء ربك حذف المفعول لدلالة ما فعلوه عليه اى ولو شاء ربك ان لا يفعلوا
معاداة الانبياء وايحاء الزخارف على ان الضمير لما ذكر ما فعلوه ولكن ما شاء لما
اقتضته حكمته ويجوز ان يكون الضمير للايحاء وفي الاية دلالة على ان الشر و الكفر صادر
عنه تع بمشيته فذرهم وما يفترون اى اذا عرفت ان ذلك بمشية تع ومشيته
تابعة لحكمته فاتركهم وكفرهم وفيه تهديد ووعيد ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون
بالاخرة عطف على غرورا ان جعل علة او علة لمحذوف اى ولتصغى اليه جعلنا
لكل نبى عدوا واللام للتعليل او للعاقبة على الاختلاف في جواز ان تكون افعاله تعالى
معللا بالغرض وليست لام الامر والا لقيل ولتصغ بحذف الالف ولام القسم

لان عطفه ولترضوه يأباه وهذا يدفع كونها للامر ايضا والضمير في اليه ليرضوه
لما له الضمير فعلوه والصغو الميل لغرض من الاغراض يقال اصغيت الاناء اذا املته بجميع
ما فيه وليرضوه لانفسهم وليقترفوا وليكتسبوا ما هم مقترفون من الاثام فيتميز
الشقى من السعيد وترتيب هذه المفاعيل في غاية الفصاحة لانه اول يكون الخداع فيكون
الميل فيكون الرضى فيكون فعل الاقتراف وكان كل واحد مسببا عما قبله افغير الله ابتغى
حكما على ارادة القول اى قل لهم يا محمد والهمزة للانكار والفاء للعطف على ما دل عليه ما قبله
اى اشك لكثرة الجاحدين المفترين فغير الله ابتغى اى اطلب حكما يحكم بيني وبينكم ويفصل
المحق منا من المبطل روى ان مشركى قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اجعل
بيننا وبينك حكما من احبار اليهود وان شئت من اساقفة النصارى ليخبرنا بما في كتابهم
عن امرك فنزلت وغير مفعول ابتغى وحكما حال منه ويحتمل عكسه وحولوا ابتغاء الى جواب بتخصيصه تع بالابتغاء
والرضى بكونه حكما حال منه ويحتمل عكسه وجوز ان يكون حكما تمييزا عن كقولهم ان لنا غيرها
ابلا وهو ابلغ من الحكم قيل ولذلك لا يوصف به الا العادل وفيه ان المبالغة من جهة التكرار
والدلالة فيه على الوصف وهو الذى انزل اليكم الكتاب اى القرآن مفصلا
مبينا فيه الحق والباطل مميزا به الصادق من المفترى وفيه تنبيه على ان القرآن باعجازه
وتقريره مغن عن سائر الايات ثم اكد الدلالة على ان القرآن حق بعلم اهل الكتاب به حق
لتصديقه ما عندهم وموافقته له من غير قراءة منه م لكتبهم بجملة استئنافية وهو قوله
والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل قرئ بالتخفيف والتشديد من ربك بالحق
انما وصف الكل بالعلم تنزيلا للجاهلين منهم لتمكنهم منه منزلة العالم وقيل المراد مؤمنوا
اهل الكتاب فلا تكونن من الممترين انهم يعلمون ذلك وانه منزل من ربك بالحق لكثرة جحودهم
وكفرهم فهو من باب التهييج والالهاب او خطاب لكل احد اى لما تعاضدت الادلة
وبهرت فلا ينبغى لاحد ان يرتاب فيه وقيل الخطاب للرسول عم والمراد امته وتمت كلمة
ربك اى تمت كل كلمة من ربك ومعنى تمت استمرت لا انه كان بها نقص فكملت وبلغت
الغاية صدقا في الاخبار والمواعيد وعدلا في الاحكام والاقضية نصبا على الحال
او التمييز او المفعول لا مبدل لكلماته لا احد يقدر ان يحرف شيئا منها شيوعا وذيوعا
كما فعل بالتورية على ان المراد بها القرآن فيكون ضمانا من الله تع بحفظه ولا نبى ولا كتاب
بنسخه ويبدل احكامه وقرئ كلمة ربك اى ما تكلم به او القرآن وهو السميع لما يقولون
العليم بما يضمرون فلا يهملهم وان تطع اكثر من في الارض اى اكثر الناس
يضلوك عن سبيل الله لان اكثرهم يتبعون اهواءهم وقيل المراد بالارض ارض مكة ان
يتبعون الا الظن اى الاراء الفاسدة وهو الاهواء الباطلة وظنوا ان اباءهم كانوا

على الحق وهم يقلدون وهم فان الظن يطلق على ما يقابل العلم وان هم الا يخرصون يقدرون
انهم على شيء او يكذبون في قولهم ان الله تعالى حرم كذا فان الخرص التقدير والكذب ان
ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اي اعلم بالفريقين ومن اما
موصولة او موصوفة وهي في محل النصب بفعل دل عليه اعلم لا به لان افعل لا يعمل في الظاهر
في مثل هذه الصورة او في محل الجر لا باسقاط حرف الجر وابقاء عمله لدلالة بالمهتدين عليه
لان مثله لا يكون الا في ضرورة الشعر بل باضافة اعلم اليه واستفهامية في محل الرفع بالابتداء
والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وعلى هذا حرفه عن وفاق فيه تعجيب بليغ
شان المضلين المتبعين للظن الكاذبين وابعاد لهم وقرئ من يضل بضم الياء اي
يضله الله تعالى اي اعلم المضلين من قولهم من يضلل الله او من اضللته اذا وجدته ضالا
والتفضيل في العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التي من شان العلم ان يتعلق بها ولزومه و
كونه بالذات لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحلون
الحرام ويحرمون الحلال وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تعبدون الله فما قتل الله
احق ان تاكلوا مما قتلتم انتم فقيل للمسلمين ان كنتم متخصصين بالايمان فكلوا مما ذكر اسم
الله عليه خاصة دون ما ذكر اسم غيره معه او مات حتف انفه وما ذكر اسم الله
عليه هو المذكى باسم الله تعالى ان كنتم بآياته مؤمنين فان الايمان بها يقتضي ما ذكر وقد دل
هذا على شرط محذوف وجوابه فكلوا وما لكم الا تاكلوا واي غرض لكم في ان لا تاكلوا
مما ذكر اسم الله عليه وتتحرجوا عن اكله قيل هو كلام على القلب اذ المراد وما لكم ان تاكلوا مما
لم يذكر اسم الله عليه فقلبت مبالغة في صونهم عن اكل ما حرم عليهم وانهم ليسوا مما يحتاجون
بذلك فيحتاج الى النية فانهم لشدة الاحتراز عن الحرام كادوا يتركون ما احل لهم نوعا
ولهذا رتب الوعيد على تجاوز الحد وقد فصل لكم ما حرم عليكم وقد بين لكم ما حرم عليكم
مما لم يحرم يعني في هذه السورة لانها على ما نقل مكية ونزلت في مدة واحدة والتفصيل
والواقع في البقرة والمائدة متاخر عن النزول لانهما مدنيتان وقرئ فصل على البناء للمفعول
وكذا حرم الا ما اضطررتم اليه استثناء متصل اي مما حرم عليكم وجوز ان يكون ما
مصدرية وما اضطررتم في محل النصب على المصدر والاستثناء مفرغ اي ما حرم عليكم
في جميع الاوقات الا وقت اضطراركم اليه يعني في حال الضرورة فانه ح حلال وان كثيرا
ليضلون فيحرمون ويحللون باهوائهم بغير علم بتشهيهم من غير تمسك بدليل يفيد
العلم وقرئ ليضلون بضم الياء وفتحها ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين الحق
الى الباطل والحلال الى الحرام وذروا ظاهر الاثم وباطنه ما يعلن وما يسر او ما يعمل
بالجوارح او ما بالقلب وقيل الزنا في مناولتين واتخاذ الاخدان قال الضحاك كان اهل

الجاهلية يرون ما كان من الزنا سرا حلالا فحرم بهذه الآية ان الذين يكسبون الاثم
سيجزون بما كانوا يقترفون يكسبوا ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر في تحريم المتروك
عليه اسم الله تعالى عمدا او نسيانا وعليه احمد ومالك وداود وخالفه الشافعي لقوله عم ذبيحة
المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه وفرق ابو ح رح بين الترك والنسيان واوله بالميتة
او بما ذكر غير اسم الله تعالى عليه لقوله او فسقا اهل لغير الله به وانه لفسق الواو للاستيناف
او للعطف على جملة استينافية للتعليل حذفت لدلالة باقي الكلام عليها اي انه حرام وانه
لفسق والضمير لمصدر الفعل الذي دخل عليه النهي اي وان الاكل منه لفسق او للموصول
اما بحذف المضاف اي وان اكله لفسق او بان يجعل ما لم يذكر اسم الله عليه نفس الفسق ويجوز ان
يكون الضمير الثاني على تقدير التقدير بعدم ذكر اسم الله وان الشياطين ليوحون ليوسوسون
الى اوليائهم من المشركين ليجادلوكم بقولهم المنقول فيما سبق وهو يؤيد التاويل بالميتة
وان اطعتموهم في استحلال ما حرم انكم لمشركون لان من اتبع غير الله تعالى فقد اشرك جواب
قسم مقدر قبل الشرط ساد مسد جوابه اي والله وقيل حذف الفاء لدخول الشرط على
الماضي ورد بانه يقع ضرورة فلا يكون في القرآن او من كان ميتا فاحييناه الهمزة للانكار
والواو للعطف على مقدر دل عليه اي هل يكون المهتدي كالضال ومن كان ميتا فاحييناه
وقرئ ميتا على الاصل وجعلنا له نورا يمشي به في الناس انما زاد تقوية للنور فان
المشي بينهم يعجزه ما في نور بصره ضعف كمن مثله صفته وهو مبتدا خبره في الظلمات
على الحكاية بمعنى انه اذا وصف يقال له ذلك والجملة صلة من اي كمن صفته هذه وقوله
ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف والعامل معنى الاستقرار لا من البارز في مثله
للفصل وهو مثل لمن بقي في الضلالة لا يفارقها بحال وما سبق مثل لمن هداه الله تعالى
وانقذه من الضلال وجعل له نورا لبصيرة يميز به بين الحق والباطل بالتامل في الآيات
والبينات وكلاهما من قبيل الاستعارة التمثيلية اذ لا يذكر المشبه صريحا ولا دلالة بحيث
ينافي الاستعارة وهذا كما تقول في الاستعارة الافرادية ايكون الاسد كالثعلب
اي الشجاع كالمختال كذلك اي مثل ذلك التزيين والاشارة الى ما في قوله زينا لكل امة عملهم
او قوله وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم زين للكافرين ما كانوا يعملون والآية
نزلت في حمزة رض وابي جهل وقيل في عمر وعمار رض وابي جهل وكذلك اي كما جعلنا في مكة
اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا بمعنى صيرنا
ومفعولها الاول اكابر مجرميها وفي كل قرية مفعولها الثاني ويجوز ان يكون في كل قرية
ظرف لغو والمفعول الثاني ليمكروا على ان الجعل بمعنى التمكين واكابر على هذا بدل او مضاف
الى مجرميها واجاز ابو البقاء ان يكون مجرميها الاول من اكابر واجاز ابن عطية ان يكون مجرميها

المفعول الاول واكابر المفعول الثاني والجعل بمعنى التصيير او بمعنى التمكين على
ان يكون الكلام من قبيل اعصر خمرا ويرد عليه ان افعل التفضيل اذا كان بمعنى ملفوظا
بها او مقدرا ومضافا الى نكرة كان مفردا مذكرا دائما سواء كان المذكر او مؤنثا او مثنى
او مجموعا فاذا انث او ثني او جمع طابق ما هو له في ذلك ولزمه احد الامرين اما الالف
واللام او الاضافة الى معرفة وعلى الوجهين المذكورين يلزم ان يبقى اكابر مجموعا وليس
فيه الالف واللام ولا هو مضاف الى معرفة واللازم باطل وتخصيص الاكابر لانهم اقوى
على استتباع الناس المولعين بهم وقرئ اكبر مجرميها على هذه القراءة يمكن تمشية الوجهين المردودين
على القراءة السابقة وما يمكرون الا بانفسهم لان وباله يحيق بهم وما يشعرون ذلك
واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن اي بنبوتك لآية حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله لم يقولوا
مثل ما اوتي محمد لانهم كانوا في مقام الانكار لذلك وفيما روي ان ابا جهل قال زاحمنا
بني عبد مناف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه
الا ان يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت قوله كما يأتيه لا يناسب النكتة المذكورة وعلى صحة ما روي
الجمع في قالوا لان من تبعهم من قريش رضوا بقوله فنزلوا منزلة القائلين الله اعلم حيث يجعل
رسالته استئناف للرد عليهم بان النبوة ليست بكثرة السن ولا بالمال والجاه انما هي خصائص
يخص الله بها من يشاء من عباده ويصطفي لها من يعلم انه يصلح لها وهو يعلم بالمحل الذي
يضعها فيه فناصب حيث يعلم محذوف لا علمه باعلم لان افعل التفضيل لا يعمل
في المفعول به وحيث هنا مفعول به لما عرفت ان المعنى انه تع يعلم نفس المحل المستحق
لوضع الرسالة فيه لا شيئا في المحل وقرئ رسالاته سيصيب الذين اجرموا من اكابرها
صغار وهوان وحقارة بعد كبرهم وعظمتهم مكان ما يتعززون من عز النبوة وخسة
الرسالة فيه دلالة على ان المجرم يستحق الذل والهوان وان الرسل انما فازوا بتلك العزة
لعصمتهم عن الجرائم عند الله يوم القيامة وقيل تقديره من عند الله تع ويمكن ان يقال انه من
قبيل الفصل بين المعطوفين بما له تعلق بهما ويأتي نظيره في هذه السورة وعذاب شديد
في الدارين القتل والاسر وعذاب النار بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم او جزاء عليهم
فمن يرد الله ان يهديه يوفقه للايمان ويعرفه طريق الحق يشرح صدره للاسلام شرح
الصدر توسيعه كناية عن تنوير الباطن وتصفية الاستعداد عما ينافي قبول الحق
الشكوك والشبه فيصدق الرغبة في الايمان ومن يرد ان يضله ان يخذله ولا يوفقه
يجعل صدره ضيقا قرئ بالتخفيف والتشديد ضيق الصدر كناية عن تكدير الباطن
ويزيل الاستعداد ويميل النفس الى الشهوات فينبو عن الحق وينقبض عنه فلا يقبله حرجا
شديد الضيق وقرئ بفتح الراء وصفا بالمصدر كانما يصعد في السماء مثل لمن يزاول

امرا ممتنعا لا يسعه قدرته لان صعود الانسان الى السماء امر خارج عن طوقه العادي وقيل
لمن ينبو عن الشيء ويتباعد مبالغا في الهرب منه والتجافي واصل يصعد يتصعد وقد
قرئ يصعد من صعد ويصاعد من اصاعد بمعنى يتصاعد ويقع في السماء وعند
ابلغ من الى السماء كذلك مثل ذلك التضييق يجعل الله الرجس العذاب او الخذلان او الفعل
المؤدي الى العذاب على الذين لا يؤمنون وضع الظاهر موضع الضمير للتعليل وهذا اي
الاسلام او ما ذكر من التوفيق والخذلان صراط ربك طريقه الذي اقتضته حكمته مستقيما
لا عوج فيه ولا ميل الى شيء من الجوانب او عادلا مطردا وهو حال مؤكدة لان صراطه تعالى
لا يكون الا مستقيما والعامل فيها معنى الاشارة قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون فيعلمون
ان القادر على ما يشاء وان الخير والشر بقضائه وقدره وانه عالم باحوال العباد فيما
يفعل بهم لهم دار السلام اضافة الدار الى السلام الذي هو اسم من اسماء الله
تعالى فتعظيم ورفع من شانها واشارة الى انها دار لا نقص فيها ولا آفة ولا عيب والسلامة
بمعنى السلامة من المكاره او دار تحيتهم فيها سلام عند ربهم في نزله وضيافته كما تقول
نحن اليوم عند فلان اي في كرامته وضيافته ويحتمل ان يكون قوله عند الله فيما سبق من
قوله تع صغار عند الله بهذا المعنى على التهكم وقيل في ضمانه كقولك له عندي حق وهو وليهم
محبهم او ناصرهم على اعدائهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او متوليهم بجزائها ويوم
نحشرهم جميعا منصوب باضمار يقول او قائلين يا معشر الجن وهذا اولى من اضمار اذكر
مفعولا به لخروجه واطرادها عن الظرفية الى تقدير القول في ربط ما بعده والضمير لمن يحشر
من الثقلين وقرئ يحشر بالياء والمراد من الجن الشياطين قد استكثرتم من الانس من اغوائهم
او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم يقال استكثر الامير من الجنود وقال اولياؤهم
من الانس الذين اطاعوهم ربنا استمتع بعضنا ببعض انتفع الانس بالجن بان دلوهم
على شهواتهم وما يتوصل به اليها من الحيل واستمتع الجن بالانس باطاعتهم وساعدتهم
على مرادهم وما يشتهون من اغوائهم وقيل استمتاع الانس بهم ما في قوله تعالى وانه كان
رجال من الانس يعوذون برجال من الجن واستمتاع الجن بهم اعترافهم للجن بانهم يقدرون
على الدفع عنهم واجارتهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا اي البعث وهو اعتراف
منهم بطاعة الشياطين في الدنيا والتكذيب بالبعث وتحسر على حالهم قال النار مثواكم
منزلكم او ذات ثوائكم خالدين فيها حال عاملها مثواكم ان جعل مصدرا او معنى الاضافة
ان جعل مكانا الا ما شاء الله من عصاة المؤمنين واستعمالها في ذوي العقول شائع كما
في قوله تع الا ما رحم ربي وفي قوله تع فانكحوا ما طاب لكم او من الاوقات التي يخرجون فيها من
النار وهو ما ذكر في تفسير قوله تعالى الله يستهزئ بهم من انه يفتح لهم وهم في النار باب

الى الجنة فيرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم
الذين آمنوا من الكفار يضحكون وقيل من الاوقات التي ينقلون فيها من النار الى
الزمهرير وفيه من الحاجة الى صرف النار عن معناها العلمي الى اللغوي وقيل الا ما شاء
قبل الدخول ولا وجه له لان حكم الخلود والابد بعد الدخول ومن جهة المنتهى لا من جهة
المبتدأ ان ربك حكيم في افعاله واقواله عليم بافعال عباده واحوالهم وكذلك اي مثل
ما فعلنا من تمكين الجن من اغواء الانس نولي بعض الظالمين بعضا نقولهم اي نجعل بعض
الظالمين والاتباع على بعض يسخرونهم ويعودونهم او نجعل بعضهم يتولى بعضا نقولهم
او نجعل بعضهم اولياء بعض وقرناءهم يوم القيمة كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون
بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصي يا معشر الجن والانس قدم الجن لان الخطاب للتوبيخ
الم يأتكم رسل منكم من جملتكم فاهلك الانس عن الكلبي كانت الرسل قبل نبينا يبعثون
الى الانس وهو عم بعث الى الثقلين وقيل من الجن ايضا رسول ولا دلالة في الآية على ذلك
اذ لم يقل رسل منهم حتى يحتاج على القول الاول الى التأويل بمثل ما ذكر في قوله تعالى يخرج منهما
اللؤلؤ والمرجان يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا يعني يوم القيمة
قالوا جوابا شهدنا على انفسنا بالجرم والعصيان ارادوا شهادتهم عند وفاتهم
على ما نطق به قوله تعالى حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا اين ما كنتم تدعون من دون
الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ولذلك قالوا شهدنا
بلفظ الماضي وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ذم
لهم وتخطئة لرأيهم وتحذير لمن سمع لا يتعاظ بهم ذلك اشارة الى ما تقدم من ارسال
الرسل وانذارهم وهو خبر مبتدأ محذوف اي الامر ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى
بظلم واهلها غافلون تعليل وان هي الناصبة للافعال اي لئلا يكون او المخففة من الثقيلة
اي لان الشان والحديث لم يكن ربك مهلك القرى ويجوز ان يكون بدلا من ذلك كقوله تعالى
وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع وان يكون خبرا لذلك اي ارسال الرسل
والانذار لانتفاء كون ربك مهلكا اناما بظلم والباء للسببية اي بسبب ظلم او بظلم
حال اي ملتبسين بظلم يعني انه لو اهلكهم وهم غافلون ولم ينبهوا برسول وكتاب
لكان ظلما وهو تعالى منزه عن الظلم ولكل اي لكل عامل بطاعة او معصية درجات اي
مراتب في الجزاء مما عملوا من اجل اعمالهم بحسبها فالمحسن في مرتبهم في درج الثواب متنعم
والمسيء في دركات العقاب متالم وما ربك بغافل عما تعملون قرئ بياء الغائبة ردا على الآية
التي قبلها وبتاء المخاطبة ردا على قوله يا معشر الجن والانس والمعنى وما ربك بغافل عما
يعملون من المعاصي ولكن يؤخر تعذيبهم رحمة منه كما قال ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل

الظالمون اما بجرمهم او انه تعالى عالم باعمالهم خلقهم لا عن جهل لان ضرر اعمالهم يرجع
اليهم لا اليه تعلق ابو يوسف ومحمد بظاهره في ان الجن لهم ثواب وابو حنيفة ذهب الى التخصيص
والقراءة بتاء المخاطبة تشهد لهما وربك الغني فلا ينتفع بالطاعة ولا يتضرر بالمعصية
فليس التكليف لمصلحة تعود اليه بل لتكميلهم وتبليغهم الى الدرجات والكمالات ذو الرحمة
فلا يعاجل بالعقوبة بل يمهلهم عسى ان يتداركوا ما فاتهم اخبر بالاول عن جلاله وبالثاني
عن افضاله فهم في سماع هذه الآية بين احتياج وارتياح وهذا تكملة لما قبله من ان
ارسال الرسل عليهم لا لانتفاعه بطاعتهم وتاسيس لما بعده من قوله ان يشأ يذهبكم
ايها العصاة اي لغناه عنكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق المطيع لكنه ابقاكم ترحما
عليكم كما انشأكم من ذرية قوم آخرين اي من نسل قوم كانوا قبلكم وقيل من للبدل
كما يقال اعطيتك من دينار ثوبا اي كما انشأكم بدلا منهم انما توعدون من البعث واحوال
الآخرة لكائن لا محالة وما انتم بمعجزين بفائتين طالبكم به اي يدرككم حيث كنتم يقال اعجزت
فلانا فاعجزني اي سبقني ففاتني قل يا قوم اعملوا على مكانتكم المكانة مصدر مكن مكانة
اذا تمكن ابلغ التمكن وقد تكون بمعنى المكان يقال مكان ومكانة كما يقال مقام ومقامة اي
على غاية تمكنكم واقصى استطاعتكم وعلى مقامكم وحالتكم التي انتم عليها من كفركم وعداوتكم
يقال للرجل اثبت على مكانتك اي اثبت على ما انت عليه من حال ولا تنحرف عنه وقرئ مكاناتكم
على الجمع اني عامل فاعل على قدرتي واستطاعتي او على مقامي وحالي في الاسلام
والمصابرة معكم فحذف للاختصار والمبالغة في الوعيد والاشعار بان حاله
لا تقف فانه تعالى يزيد على مر الايام قوة ونصرة ومعنى الآية على الاول اظهار التجلد
للعدو وعدم المبالاة به غاية الوثوق بحفظ الله تعالى والاعتماد على نصرته او لا تتعبوا
علي وانفذوا وسعكم في عداوتي فاني فاعل بكم ما اقدر عليه وهذا غاية في التهديد
وتعجيز الخصم وعلى الثاني التخلية والتسجيل على المأمور بانه لا يأتي منه الا الشر فكانه
مأمور به واجب عليه ذلك لا يسعه خلافه والاعراض الكلية والاشعار بانه لا يطمع
في خيره كقوله تعالى اعملوا ما شئتم فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار من اما
استفهامية علق عنها الفعل ومحلها الرفع على الابتداء ما بعده خبره اي فسوف
تعلمون اينا تكون له العاقبة المحمودة التي لها هذه الدار واما موصولة محلها النصب
على المفعولية اي فسوف تعرفون الذي تكون له العاقبة وعيد وانذار بلطيف المسلك
مراعاة حسن الادب والانصاف للخصم في القول عند الوثوق بسوء عاقبة المواعد وكذا
قوله انه لا يفلح الظالمون اشعار بظلم المخاطبين وان ظلمهم سبب امتناع فلاحهم مع حسن
العبارة وارخاء العنان والمسامحة والابهام بانه ان كنت انا الظالم فلا فلاح لي ولهذا

ذكر الظلم دون الكفر ثم بين ظلمهم وكفرهم في الآتي بعدها وجعلوا اي مشركو العرب
لله مما ذرا خلق فيه ايماء الى انهم يرجحون ما لم يخلق شيئا ولم يقدر على شئ على من خلق
شيئا فيؤثرونه عليه بما خلقها وذكاها جهالة وكان العكس اولى ولهذا قال ساء ما يحكمون
من الحرث والانعام نصيبا لم يذكر هنا نصيب الشركاء ايجازا واكتفاء بذكره في التفصيل
الآتي وايماء الى جهالتهم بانهم جعلوا لمن له الكل نصيبا مما خلقه وان التسوية شئ لا يليق
بالادب التلفظ به مراعاة للحشمة فقالوا هذا لله بزعمهم وقرئ بضم الزاء وهي لغة فيه
وهو الظن المخطاء وقد جاء فيه الكسر ايضا كالود وفيه تنبيه على ان ذلك من جهالاتهم
وشرعهم ما لم ياذن به الله تع وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان
لله فهو يصل الى شركائهم كانوا يعينون من حرثهم ونتاجهم نصيبا لله تع ونصيبا
لآلهتهم فاذا راوا ما عينوه لله تع ازكى رجعوا وجعلوه لآلهتهم وان راوا ما عينوه
لآلهتهم ازكى تركوه لها معتلين بان الله تع غني وانما فعلوا ذلك حبا لآلهتهم و
ايثارا لها ساء ما يحكمون ما مصدرية وساء متعدية حذف مفعولها لدلالة المعنى
تقديره ساءهم حكمهم اي جلب لهم السوء وكذلك ومثل ذلك التزيين والاشارة الى
مضمون قوله وجعلوا لله الاية او الى نفس هذا التزيين الذي تزيين قتل الاولاد
وقد مر مثل هذا زين لكثير من المشركين قتل اولادهم بالوأد وبنحرهم لآلهتهم
شركاؤهم من الجن او من الانس وقرئ زين على البناء للفاعل وهو شركاؤهم ونصب
قتل وعلى البناء للمفعول وهو القتل ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه المذكور
كانه قيل من زينه فقيل زينه شركاؤهم واما قراءة ابن عامر زين على البناء للمفعول
وهو القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء على اضافة القتل اليه والفصل بينهما بغير الظرف
فقد ردت بان ذلك غير مقبول في مقام الضرورة كما في قوله زج القلوص ابي مزاده
فكيف به في غيره لكنه مردود لانه مختلف فيه بين النحويين على ما ذكره ابو حيان ووقوعه
في قراءة متواترة دل على الصحة لان العربية تثبت بالقرآن ومنهم العكس من عكس الفهم
ثم انه لا ضرورة في الشعر المذكور كما توهم لاستقامة الوزن بالقلوص العاقبة بجر القلوص
ودفع ابي واعتقاد الضعف في مثل تلك القراءة من ضعف الاعتقاد ومبناه عدم الاعتماد
على القراءة والطعن في الاسناد ولا يخفى ما فيه من الفساد ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء
والاضلال واللام للتعليل ان كان التزيين من الجن وللعاقبة ان كان من السدنة و
ليلبسوا وليخلطوا عليهم دينهم وهو ما كانوا عليه في الاصل من دين اسمعيل عم
او دينهم الذي وجب عليهم ان يتدينوا به ولو شاء الله ما فعلوه اي ما فعل المشركون
او ما فعل الشياطين والسدنة التزيين او الارداء او اللبس والاولى ان يجري الضمير

مجرى اسم الاشارة فيراد به الجميع فذرهم وما يفترون وافتراءهم والذي يفترونه
من الافك وقالوا هذه اشارة الى ما جعل للالهة انعام وحرث حجر حرام من الحجر وهو
المنع فعل بمعنى مفعول كالذبح ويستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير لان
حكمه حكم الاسماء لا الصفات وقرئ حجر بالضم وعن ابن عباس حرج اي ضيق لا يطعمها
الا من نشاء يعني خدم الاوثان والرجال دون النساء بزعمهم اي قولهم الباطل
وانعام حرمت ظهورها من البحائر والسوائب والحوامي وانعام لا يذكرون اسم
الله عليها في الذبح وانما يذكرون عليها اصنامهم وقيل لا يحجون ولا يلبون على ظهورها
اي قسموا انعامهم اضرابا بهواهم فقالوا هذه حجر وهذه محرمة الظهر وهذه لا يذكر عليها اسم
الله تعالى افتراء عليه اي نسبوا ذلك التقسيم الى الله تعالى افتراء عليه نصب على المفعول له
او حال اي مفترين على الله تع او مصدر مؤكد لان تقولهم ذلك محض الافتراء والجار
متعلق بقالوا سيجزيهم بما كانوا يفترون بسببه وقالوا ما في بطون هذه الانعام
يعني بما في بطون هذه البحائر ونحوها من الاجنة وفي قول ابن عباس نو والشعبي هي
الالبان وياباه قوله وان يكن ميتة خالصة لذكورنا حلال للذكور خاصة لا يشاركهم
فيها الاناث ان ولد حيا لقوله وان يكن ميتة ومعنى الاختصاص لذكورهم في المقام لانه
قرينة لارادة الاناث من الازواج وهو لا يفاد بعبارة المباح فلذلك اوثر عبارة خالصة
عليها مع ان حق المقابلة مع عبارة محرم لها والتاء في خالصة ليست للتانيث بل تعالى في الكلمة
خالص او حمل خالصة في التانيث على المعنى لان ما في بطونهم في معنى الاجنة ومحرم على اللفظ
وكانت التاء للمبالغة كراوية الشعر او كان مصدرا كالعافية وقعت موقع النصب اي في وجه خالصة
بمعنى خالص ويؤيده قراءة من قرأ خالصة بالنصب على انه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا
ويجوز ان يكون حالا من الضمير الذي هو فاعل الاستقرار في قوله في بطون لا من الذي
في لذكورنا لان العامل المعنوي لا يتقدم معموله ولا من الذكور لان المجرور لا يتقدم
عليه حاله وقراءة ابن عباس خالصة على الاضافة وهو بدل من ما او مبتدأ ثان وفي مصحف
عبد الله خالص وقرئ خالصا على ازواجنا لم يقل على اناثنا مع ان المراد من الازواج الاناث
وهي المناسب ان يذكر في مقابلة الذكور لان المقصود الاشارة الى وجه تحريمها على الاناث
وهو كونهن ازواج الرجال في الجملة لا بيان تحريمها على الاناث فانها قد فهمت مما تقدم
ولهذا صدره باداة الوصل فانه لو اريد به بيان الحرمة على الاناث لكان حقه الفصل لما
بينه وبين ما تقدم كمال الاتصال وان يكن ميتة الضمير لما في بطونها وقرئ بالتاء لتوقفا
على نابل الاجنة وقرا ابن كثير عامر بها وبرفع ميتة على كان التامة وتذكير الضمير في
فهم فيه شركاء اي الذكور والاناث فيه سواء سيجزيهم وصفهم الكذب اي جزاء وصفهم

الكذب على الله تعالى في التحريم والتحليل انه حكيم في جزائهم عليم بافعالهم قد خسر الذين
قتلوا اولادهم يريد بهم العرب الذين يدفنون بناتهم احياء فبعضهم يفعل
ذلك خوف العيلة والافتقار وبعضهم خوف السبي والعار وقرئ قتّلوا بالتشديد سفها
مفعول له والسفه خفة الحلم بالعجلة اي مالا ينبغي ان يعجل اليه بغير علم حال او صفة مصدر
اي قتلا بغير علم فيه اشارة الى ان فعلهم ذلك لجهلهم بان الله تعالى هو الرزاق المقدر
للسبي وغيره وحرموا ما رزقهم الله من البحائر ونحوها افتراء على الله قد مر وجوه
الاعراب في مثله قد ضلوا وما كانوا مهتدين الى الحق والصواب وزيادة كان للدلالة
على الاستمرار استمروا على عدم الاهتداء على ان القيد المذكور داخل على النفي في الاعتبار
وانما كان مدخولا له في الظاهر وبهذا اندفع وهم القصور والتكرار وهو الذي انشأ
جنات معروشات مرفوعات على دعائم وغير معروشات متروكات على الارض وقيل
الاول ما غرسه الناس وعرشوه والثاني ما نبت في الجبال والبراري ولم يغرس والنخل
والزرع مختلفا حال مقدرة لانه لم يكن كذلك حال الانشاء اكله ثمره الذي يوكل
في الهيئة والكيفية والضمير للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه لان الاصل ان
يطلق الاكل على الثمرة والحبات بالحقيقة فغلب فيه الزرع او للزرع والباقي يقتضى عليه
او للجميع على تاويل ذلك وكل واحد منهما والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه
يتشابه بعض افراده في الكم والكيف ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره الضمير لكل واحد
اذا اثمر قد كان من المعلوم انه لا يوكل قبل الاثمار ففائدة القيد المذكور التنبيه تثبت قبل
الادراك والايناع بخلاف وجوب الحق الشرعي المذكور في قوله وآتوا حقه يوم حصاده
وهو ما يتصدق به وكان ذلك الحق واجبا حتى نسخ بالزكوة وقيل هو الزكوة والآية
مدنية والظرف لحقه ليعلم ان الوجوب وجوبه بالادراك لا بالتنقية لا للايتاء للمحافظة
التوقيت في الامر حقه ان يحافظ على ظاهره كيلا يشتبه الموقت بالمطلق وقرئ حصاده بكسر
الحاء وهو لغة فيه ولا تسرفوا اي في التصدق لا في الاكل ولذلك فسر نفي المحبة عنهم وقد
قيل انهم كانوا يعطون شيئا سوى المقدر ويسرفون فيه فنهى عنه انه لا يحب المسرفين
الموصوفين بهذه الصفة فانه من امارات المكروبين ولا المشكورين ومن الانعام عطف
على جنات اي وانشأ من الانعام حمولة وفرشا ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او
ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش وقيل الاول الكبار التي تصلح للحمل والثاني الصغار
مثل الفرش وهي الارض المستوية التي يتوطأها الناس كلوا مما رزقكم الله اي ما احل
لكم منه دلالة فيه على ان كل رزق ماكول حتى ينتهض حجة للمعتزلة في ان الحرام ليس برزق
ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تقتفوا اثاره في التحليل والتحريم من عند انفسكم اعتقادا

وقولا وعملا وكان في الاتيان بعبارة الجمع اشارة الى هذه الثلثة انه لكم عدو مبين
ظاهر العداوة ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا والزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه
وقد يقال لمجموعهما والمراد هنا الاول من الضان اثنين اي زوجين اثنين الكبش
والنعجة وهو وما بعده عطف بيان لثمانية ازواج او من الضان بدل من الانعام
واثنين من حمولة وفرشا او من ثمانية ازواج ان جوزنا للبدل بدلا وقرئ اثنان
على الابتداء والضان جمع ضائن كالتجر جمع تاجر وقيل هي جمع لا واحد من لفظه
ويجمع على ضئين كالعبد يجمع على عبيد وقرئ بفتح الهمزة وهي لغة فيه ومن المعز اثنين
التيس والعنز وهو جمع ماعز وقرئ بالفتح وهو ايضا جمع له كحارس وحرس
وقرئ معزى قل آلذكرين ذكر الضان والمعز والهمزة للانكار حرم ام الانثيين
ام انثييهما ونصب الذكرين والانثيين بحرم وتقديم المفعول للتخصيص ام ما اشتملت
عليه اي حوت وانضمت عليه ذكرا كان او انثى ارحام الانثيين الارحام جمع رحم وهو
موضع الولد وما كان في الحي منه عضو واحد فالاضافة الى الانثيين بالجمع كما في
قوله فقد صغت قلوبكما نبئوني بعلم اخبروني بامر معلوم من جهة الله تعالى يدل على انه تعالى
حرم شيئا من ذلك عبر عنه بالعلم مبالغة للتنبيه على ان دليل التحريم لا بد ان يكون
قطعيا وهو اعتراض لطيف من اقسام لم يتفصل للتاكيد في الاحتجاج على من حرم ما
احل الله لعباده ومن بالتفصيل عليهم مبالغة في التحليل ان كنتم صادقين في زعمكم
ان الله تعالى حرم هذا ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين
ام ما اشتملت عليه ارحام الانثيين كما سبق والمراد انكار تحريم الله تعالى شيئا من الاجناس
المذكورة وذلك انهم كانوا يحرمون ذكور هذه الانعام تارة واناثها اخرى واولادها
كيف ما كانت ذكورا واناثا تارة وينسبون تحريمها الى الله تعالى فانكر ذلك عليهم ام
كنتم شهداء معنى بل في ام المنقطعة الاضراب عن طلب العلم والدليل القطعي الدال على
التحريم من عند الله على سبيل المسامحة ومعنى الهمزة انكار المشاهدة وذكرها تهكم بهم
وبديهيهم لانهم لم يؤمنوا بنبي ولا كتاب وزعموا ان الله تعالى حرم هذا فلم يبق الا طريق
المشاهدة والسماع فقيل لهم اشاهدتم بهم اذ وصاكم الله بهذا اي حين وصاكم بهذا
التحريم وامركم به والوصية مقدمة مؤكدة فيما يفعل او يترك ولما اثبت انه لا علم لهم
اصلا في هذا فلم يبق الا الافتراء وهو ظلم قال فمن اظلم ممن افترى على الله نسب اليه تعالى
تحريم ما لم يحرمه وهو عمرو بن لحي بن قمعة المؤسس لتسمية البحائر وتسييب السوائب
كذبا كاذبا لا مخطئا في ظنه فان فيه مندرجة عن الكذب ليضل الناس اي عمل عمل القاصد
اضلالهم من اجل دعائهم الى ما فيه الضلالة وان لم يقصد الاضلال ولذلك قال بغير علم

ان الله لا يهدي القوم الظالمين الى دار الثواب لانهم يستحقون العقاب قل لا اجد
كنى بعدم الوجدان عن عدم الوجود ومبنى هذه الكناية على ان طريق التحريم التنصيص
من الله تع عليه حاجة الى التفقد والتتبع لكونه بطريق الدلالة الخفية وانما قال فيما اوحي
الي دون ما انزل علي لان المنهي النص المحرم لا يلزم ان يكون من جنس الكتاب محرما
طعاما حراما على طاعم نكرة تجريدا له عن قيد زائد حتى ينتظم الطاعم الظالم وغيره
الظالم فيؤول المعنى الى انه ليس في جنس المطعوم من حيث انه مطعوم محرم الا هذه
الاربعة فلا يتجه النقض بحرمة المأكول ظلما لان حرمته من قيده لا من نفسه وفائدة التوصيف
بقوله يطعمه قطع المجاز كما في طائر يطير فان الطاعم يطلق على المطعم مجازا الا ان يكون اي
الا ان يكون المطعوم فالاستثناء من المفهوم وقرئ بالتاء لتأنيث الخبر وبرفع ميتة
على ان كان هي التامة والمراد من الميتة هاهنا ما فقد حيوته بلا ذبح اصلا اي شرعا كان
او غير شرعي ولهذا احتيج الى ذكر المحرم الرابع وفي قوله على طاعم يطعمه دلالة على ان
جلد الميتة قبل الدباغ يحرم لانه قد يؤكل واذا دبغ خرج عن قابلية الاكل او دما
عطف على ميتة او على ان مع ما في حيزه على اختلاف القراءتين فيها وانما ذكرهما منكرين وفي
سورة البقرة والمائدة معرفين لان هذه السورة مكية وهما مدنيتان فناسب ان يذكرا فيها
معرفين بتعريف العهد وتعريفهما في سورة النحل مع انها مكية بناء على تاخر نزول ما فيها
من الآية المشتملة عليهما من نزول ما في هذه السورة مسفوحا مصبوبا صبا يعتبر شدة الى
اعتبار هذا القيد الزائد على معنى الصب في مفهوم السفح على الزاني باعتبار تصبيبه الماء
قال عم ولدت من نكاح لا من سفاح واذا تقرر هذا ففي العبارة المذكورة اشارة
الى ان حق هذا الدم التضييع والاهدار لا الحفظ والادخار وانما خص الدم بالقيد
المذكور لان ما اختلط باللحم منه وقد تقرر تخلصه من اللحم عند مباح واما الطحال فليس
بدم حقيقة وكذا الكبد فلا حاجة للاحتراز عنهما الى القيد المذكور او لحم خنزير انما
زيد عليه لحم لان تمامه غير مأكول والا لناسب زيادتها في الميتة ايضا للاشتراك في
العلة المذكورة بل لئلا يسبق الى الوهم انه من قبيل صيد الحرم حتى لا يبقى محرما بعد ما صار
لحما ولما كان المأكول المحرم من الخنزير غير منحصر في اللحم تناول الحكم في الباقي بالتعميم دلالة
حيث علل المذكور بقوله فانه اي فان الخنزير رجس اي قذر ينفر عنه الطبع السليم
لتعوده اكل النجاسة ولا يخفى ما في هذا الاعتراض بين المعطوفين للتعليل من الدلالة على
حرمة سائر اجزائه القابلة للاكل ويجوز ان يراد باللحم ما يؤكل منه مطلقا على طريقة التعبير
عن الاكل بالحل وعلى هذا لا حاجة الى صرف الضمير عن المضاف فان قلت اليس في هذا التعليل
غنى عن اقحام اللحم لافهامه اللحم ذكرا آنفا قلت لا لان التعليل النحوي لا يلزمه ان يكون

بالعلة الشرعية بل قد يكون بالحكمة التي لا يلزمها الاطراد ولا الانعكاس وانما خص
هذا والذي يليه بالتعليل عبارة واشارة لان الطبع يساعد الشرع في الاولين بخلافهما
في الاخيرين او فسقا نصب عطفا على لحم خنزير لا على انه مفعول له دل على ذلك قوله تع
في موضع آخر وانه لفسق سمي بالمصدر فهو بعبارته تحذير عنه وباشارته تعليل لحرمته
اهل لغير الله به صفة موضحة له والاهلال به كناية عن ذبحه وهو في الاصل رفع الصوت
بالشيء فمن اضطر اي دعته الضرورة الى اكل شيء من ذلك غير باغ على مضطر مثله ولا عاد
قدر الضرورة في تناوله فان ربك غفور رحيم لا يعاقب ان يفرط عند العمل بالرخصة فيه
وقد استدل بهذه الآية على انتساخ الكتاب بالسنة لان عبارتها وان كانت ساكتة
عن عدم محرم آخر لكن دلالتها ناطقة بانه لا محرم غير هذه وليس فيها توقيت فلما
زيد محرم آخر بالسنة انتسخ حكم تلك الدلالة وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر قال
ابن عباس رض وجماعة ذوات الظلف كالابل والنعام وما ليس بذي اصابع منفرجة
كالبط والاوز ونحوهما واختاره الزجاج وفي قوله حرمنا تكذيب لليهود في قولهم ان الله
تعالى لم يحرم علينا شيئا وانما حرمنا على انفسنا ما حرمه اسرائيل على نفسه ومن البقر والغنم
عطف على كل ذي ظفر وقوله حرمنا عليهم شحومهما تبيين للمحرم منهما ولا بد من اضافة للربط
وفي الاجمال ثم التفصيل زيادة تقرير وتاكيد ولولا القصد الى ذلك لكان الظاهر ان
يقال وشحوم البقر والغنم او يقال ومن البقر والغنم الشحوم والمعنى حرمنا لحم كل ذي ظفر
وشحمه وكل شيء منه وتركنا البقر والغنم على التحليل لم يحرم منهما الا الشحوم الخالصة
وهي الثروب وشحوم الكلى وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا حرم عليهم بسبب ظلمهم
لقوله تع فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وتدعي النصارى ان
ذلك نسخ في شرع عيسى عم ويشهد لذلك التخصيص المستفاد من تقديم الجار والمجرور
في قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا الا ما حملت ظهورهما الا ما علقت بظهورهما
او الحوايا ان قدر وزنها فواعل فجمع حاوية كزاوية وزوايا او جمع حاوياء كقاصعاء
وقواصع وان قدر وزنها فعائل فجمع حوية كطيبة ومطايا وهي الدوارة التي تكون
في بطون الشاة وقيل هو عطف على شحومهما واو للتفصيل فصل بها ما حرم من البقر والغنم
او ما اختلط بعظم كالالية وما في القوائم والجنوب والراس والعينين والاذان والمخ
ذلك التحريم والجزاء جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم وانا لصادقون فيما اخبرنا به فان
كذبوك في ذلك فقل ربكم ذو رحمة واسعة اي لا تعرض عنهم ولا تؤيسهم عن رحمته
بل كن ثابتا في مقام الدعوة على قدمي الابشار والانذار وذلك ان ما ذكر كلمة جامعة لهما
اما الابشار فلما فهم من العبارة المذكورة انه تع يقبل التوبة ويقبل الحوبة فان رجع

عن التكذيب الى التصديق فلهم الفوز والنجاة واما الانذار فلما فهم من اشارتها
الى انه تع لسعة رحمته يمهل لا انه يهمل ولما كان في الامهال مظنة الانتفاع تداركه
بقوله ولا يرد باسه حين ينزل عن القوم المجرمين فلا تغتروا بامهاله او فان كذبوك
في الانذار وابعاد العصاة واعتلوا بان الله تع واسع الرحمة فلا يؤخذ بالبغي
فقل ربكم ذو رحمة واسعة للمطيعين وذو باس شديد للمجرمين فلا يرد
رحمته بأسه عليهم بل ربما اودع نقمة في صورة لطفه استدراجا فلا تغتروا
سيقول الذين اشركوا في رد الدعوة وتكذيب الرسول لو شاء الله ما اشركنا
ولا اباؤنا عطف على الضمير المرفوع في اشركنا بلا تاكيد للفصل بلا ولا حرمنا من
شيء اي ما صدر منا ومن ابائنا ما صدر الا بمشية الله تع وارادته اصابوا فيما
قالوا على وفق ما مر في هذه السورة من قوله تع ولو شاء الله ما اشركوا وقوله تع ولو
شاء ربك ما فعلوه ولكنهم خطاؤا في تمسكهم به في الرد على الرسول عم وزعمهم
ان فيه حجة عليه بناء على ظنهم ان ما اراده الله تع لا يكون منهيا عنه وما لم يرده الله تع
لا يكون مامورا به فلا مساغ للنهي عن شركهم قل وقوعه على ان مراد الله تع والامر بتوحيد
دل عدم وقوعه على انه لم يكن مراد الله تع لما تقرر في موضعه انه لا تلازم بين الامر والارادة
بل ينفك كل منهما عن الآخر وكذا النهي وعدم الارادة ولذلك اي لعدم خطائهم في القول
المذكور بل في احتجاجهم به عم ذمهم بالتكذيب دون الكذب حيث قال كذلك اي
مثل ذلك التكذيب العظيم كذب الذين من قبلهم للرسل هذا دليل على ان مرادهم التكذيب
دون ابلاء العذر حتى ذاقوا باسنا حتى انزلنا عليهم العذاب بتكذيبهم وبين ان
احتجاجهم ليس على علم ويقين بل عن ظن وتخمين بقوله قل هل عندكم من علم اي ليس عندكم
بذلك علم فتخرجوه فتظهروه لنا ان تتبعون الا الظن الذي لا يغني من الحق شيئا وان انتم
الا تخرصون وما انتم الا تخمنون وتقدرون ان الامر كما زعموا وليس كذلك لما مر من بطلان
مبنى ذلك الظن فلا متمسك فيما ذكر لاهل الزيغ والضلال من اصحاب الاعتزال ولا حاجة
الى التوجيه والتاويل بتقييد المشية اولا اي فيما ذووا او هو بانها على اطلاقها آخرا اي فيما
سيجيء قل فلله الحجة البالغة الفاء للسببية والجملة مسببة عما دل عليه الكلام السابق والمعنى
اذ قد ظهر عدم تمام حجتكم فالحجة التامة مختصة به تع فلو شاء لهديكم اجمعين الفاء قائم
مقام ان في تحقيق ما دل عليه الكلام السابق من كونهم محجوجين وذلك انه فيه الزاما لهم
بناء على قولهم اي بل صدقتم ولكن كما شاء كفركم لو شاء هدايتكم كلكم فباي شيء علمتم
انه لم يشاء هدايتكم حتى امرتم وهذا تهييج لمن عسى ان يكون له استعداد منهم
فيستمع ويهتدي فيرجع عن الشرك ويؤمن ففيه فائدة اخرى وهي تدارك لما يخطر بالبال

من ابطال احتجاجهم ان يكون الاختلاف في قولهم لو شاء الله ما اشركنا
بقصد تعنتهم في ذلك المقال ففيه حجة دامغة لاصحاب الاعتزال قل هلم شهداءكم
من اسماء الافعال يجيء متعديا كما هنا بمعنى هاتوا ولازما كقوله هلم الينا اي
تعالوا وانما اضاف الشهداء اليهم لانها لو اطلقت لكان المعنى هلم باي شهداء
فكان ظاهره طلب الشهداء بالحق وذلك فاسد الذين يشهدون ان الله حرم
هذا يعني مرتضاهم وقدوتهم امرهم باحضارهم ليلزم الحجة وسكتهم فيظهر
المشهود لهم عند انقطاعهم انهم ليسوا على شيء ولهذا قال فان شهدوا فلا
تشهد معهم فلا تصدقهم ولا تسلم لهم كنى عن ذلك بالشهادة معهم مبالغة
في النهي ودلالة على ان الاخفاء عليهم دخول في عداد الشهداء بالباطل ولا تتبع
اهواء الذين كذبوا باياتنا من باب وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ان
المكذب بايات الله تع لا يكون الا متبع الهوى اذ لو تبع الدليل والعقل لكان مصدقا
بها والذين لا يؤمنون بالاخرة كعبدة الاوثان وهم بربهم يعدلون يجعلون
له تع عديلا قل تعالوا امر من التعالي واصله امر من كان في مكان عال لمن هو اسفل
منه فعمم اتساعا فيه لكثرة الاستعمال اتل ما حرم ربكم ما موصولة منصوبة باتل
او استفهامية منصوبة بحرم والجملة في محل النصب باتل لان التلاوة من باب القول
اي اتل اي شيء حرم ربكم عليكم متعلقة بحرم وان في الا تشركوا به شيئا مفسرة
ولا للنهي لعطف الاوامر عليه في قوله وبالوالدين احسانا لان تقديره واحسنوا
بالوالدين وعطف الاوامر على النواهي الواقعة بعد ان المفسرة لتلاوة المحرمات
مع القطع بان المامور به لا يكون محرما دل على ان التحريم راجع على اضدادها وذلك
لما علق التلاوة بالتحريم اجمالا ثم فسره بالتفصيل وجب ان يكون التفاصيل كلها من
محرمات لكن عدل في بعضها الى الامر باضدادها مبالغة في النهي وتنبيها على ان
اضدادها واجبة فيلزمها النهي عنها بابلغ الوجوه ويحتمل ان يكون الاوامر
معطوفة على المناهي وداخلة تحت ان المفسرة شيئا يحتمل المصدر والمفعول وذلك
ان نقول انها معطوفة على قوله اتل ما حرم امرهم او بالامر يترتب عليه ذكره هنا
ثم امرهم ثانيا باوامر وبالوالدين احسانا اي واحسنوا بهم وضعه موضع النهي
عن الاساءة اليهما للدلالة على ان ترك الاساءة في شانهما غير كاف بخلاف غيرهما
وتبعهما المبالغة في النهي ولا تقتلوا اولادكم النهي مطلق وانما قال من املاق نظرا
لسوء صنيعهم فانهم كانوا يفعلون ذلك من اجله في الاساس املق الرجل انفق ماله
حتى افتقر ولما كان الاملاق باعتبار بدايته فقرا جاز استعماله في كل منهما وقد قيل

المخاطب هنا للفقراء ولذا قدم رزقهم فقيل نحن نرزقكم وإياهم منعا لتوهم
ما كانوا يفعلون لأجله واحتجاجا عليهم فناسب أن يفسر الإملاق هنا بالفقر و
المخاطب في ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق للأغنياء ولذا قدم رزق الأولاد
فقيل نحن نرزقهم وإياكم فناسب أن يفسر الإملاق ثمة بالإنفاق ولا تقربوا الفواحش
كبائر الذنوب ما ظهر منها وما بطن بدل منه والظاهر ما بينك وبين الخلق ولا تقتلوا
النفس لما كان في إطلاق النفس شمول في النفس الحيوانية والأصل فيها الإباحة قيدها
بقوله التي حرم الله يعني النفس الإنسانية إلا بالحق أي بما يحق به قتلها ككفر بعد إيمان
ورجم بعد إحصان وقتل نفس ظلما ذلكم إشارة إلى ما ذكر مفصلا وصاكم به لما
كان في الوصية معنى الاهتمام والمحافظة زيادة على معنى الطلب استعيرت للأمر المؤكد
والموصى به نفس ما ذكر لا حفظه لعلكم تعقلون ترشدون فإن غاية العقل الرشد
ولا تقربوا مال اليتيم عن القرب الذي يعم التصرف وفيه سد الذريعة إلا بالتي أي بالخصلة
التي هي أحسن في حق اليتيم وإنما جيء بصيغة التفضيل مراعاة لمال اليتيم حتى يبلغ أشده
غاية من حيث المعنى أي احفظوه عليه حتى يبلغ أوان الحلم مع الرشد فادفعوه إليه
والأشد جمع شدة كأنعم ونعمة وأوفوا الكيل والميزان لا إيفاء مخصوص بالكيل
والميزان عطف عليه على طريقة ذكر أحد الفعلين وعطف متعلق المحذوف على المذكور
على حسب ما يقتضيه لفظ حتى كأنه شريكه في أصل الفعل كقولهم علفته تبنا وماء باردا
وقوله بالقسط بالعدل والتسوية متعلق بالفعل المحذوف أي وزنوا الميزان بالقسط
لما أنه مظنة البخس بحيث لا يتفطن له صاحبه بخلاف الكيل لا نكلف نفسا إلا وسعها إلا ما يسع
ما احتملته الطاقة وذكره عقيب الأمر للدلالة على أنه لا يؤاخذها بنقص يقع من غير قصد
بعد الاجتهاد في مراعاة العدل وإذا قلتم أريد بالقول هنا ما لا يطلع عليه إلا بالقول
من أمر وحكم وشهادة وخبر وسفارة وغير ذلك فاعدلوا فيه ولو كان المقول له أو
عليه ذا قربى في من ذوي قرابتكم وبعهد الله أي بما عاهدكم من أوامره ونواهيه أوفوا
أو بما عاهدتم الله عليه من أيمانكم ونذوركم ذلكم وصاكم به أي أمركم به وأكد الأمر
لعلكم تذكرون لما كان في هذه الأمور نوع خفاء بالناس إلى ما سبق بحيث يحتاج إلى
الاجتهاد والذكر الكثير ختمت بتذكرون وأن هذا صراطي الصراط من السبيل ما لا التواء
فيه ولا اعوجاج بل يكون على سبيل القصد وإنما يوصف بالاستقامة لأن الاحتراز
عن الميل إلى شيء من الجوانب الأربعة بالصعود والهبوط ونحوهما إلا أن الاحتراز قد حصل
هنا بالإضافة فقوله مستقيما حال مؤكدة والإشارة إلى ما ذكره في السورة فإنها بأسرها
في إثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرئ بالكسر على الاستئناف وبالفتح

بتقدير اللام على أنه علة الأمر في قوله فاتبعوه وقرئ إن مخففة من الثقيلة وفيها ضمير
الشأن ولا تتبعوا السبل الأديان المختلفة أو الطرق التابعة لليهود والطريق كل ما
يطرق طارق معتادا كان أو غير معتاد في السبيل من الطرق ما هو معتاد السلوك أعم
من أن يكون على جهة القصد أو لا وبهذا التفصيل تبين وجه إضافة كل من الصراط والسبيل
نحو فتفرق الفاء جواب النهي والمضارع المحذوف التاء منصوب بإضمار أن وفاعله
ضمير السبل ومنهم من لم يحذف التاء بل أدغمها في تاء التفعيل فقرأها بتشديد التاء
والباء في بكم للتعدية وتعديته بعن لتضمنه معنى الإزالة أي فتزيلكم متفرقين عن
سبيله فيه التفات وتعيين وتنبيه على أن الطريق المنسوب إليه تعالى لا يكون إلا صراطا
مستقيما ذلكم الإشارة إلى مجموع الأمر والنهي وصاكم به لعلكم تتقون ذكر أولا تعقلون
ثم تذكرون ثم تتقون لأنهم يعقلون ثم يتعظون ثم يتقون المحارم والمهالك ثم آتينا
موسى الكتاب عطف على ذلكم وصاكم به فثم للتراخي في الإخبار أو للتفاوت في الرتبة
كأنه قيل ذلكم وصاكم به قديما ثم آتينا أو ثم أعظم من ذلك أنا آتينا موسى الكتاب
تماما للكرامة والنعمة على الذي أحسن على من أحسن القيام به ويؤيده قراءة ابن مسعود
على الذين أحسنوا وقراءة أبي رضه تماما على المحسنين أو على الذي أحسن بتبليغه وهو
موسى بهم أو تماما على الذي أحسنه أي أجاده من العلم والشرائع أي زيادة على علمه
إتماما له وقرئ بالرفع على أن تقديره على الذي هو أحسن وقيل في وجه النصب أنه
خفض لكنه لا ينصرف ففتح ووجه يكون بدلا عن الذي وترجمة عنه كقولك مررت بالذي
خير منك بالخفض وتفصيلا بيانا في غاية التفصيل عطف على تماما ونصبهما يحتمل العلة
والحال والمصدر لكل شيء يحتاج إليه في الدين قيد للدلالة على أنه لا اجتهاد في شريعة موسى
عليه السلام لأنه فرع الإجمال في بعض الأمور الدينية وهدى ورحمة يهتدون عليهم منشأ
التكليف بما ذكر من التعريف لعلهم لعل بني إسرائيل بلقاء ربهم بلقائه ثوابه وعقابه يوم
الجزاء يؤمنون يصدقون وهذا أي القرآن كتاب عظيم الشأن أنزلناه أسند إلى نفسه
بنون العظمة مبارك كثير النفع إنما فصل بينه وبين قرينه بأنزلناه لأن الانتفاع به
بعد نزوله فاتبعوه واتقوا مخالفته لعلكم ترحمون بذلك علقها بكلمة الترجي لأن حصولها
بالختم على الإيمان وفيه خطر أن تقولوا كراهة أن تقولوا المقدر دل عليه أنزلناه فيما
تقدم وقرئ بالتاء والياء وعلى الثاني التفات من خطاب فاتبعوه واتقوا وفي فقد
جاءكم التفات من الغيبة إلى الخطاب وكلاهما في محز حيث أعرض عنهم وجعلهم غائبين
عند حكاية أقوالهم الردية ثم خاطبهم عند قصد توبيخهم وتبكيتهم إنما أنزل الكتاب
جنس الكتاب المنحصر في التوراة والزبور والإنجيل لقولهم من قبلنا وأما الصحف فليست

من جنس الكتاب في العرف على طائفتين من قبلنا اى اليهود والنصارى ودل
هذا على ان المجوس ليسوا من اهل الكتاب اذ لو كانوا منهم كانوا ثلث طوائف وان
كنا ان هي المخففة دل عليه دخول اللام الفارقة خبر كان اى وانه كنا عن دراستهم
قراءتهم لغافلين لا ندري ما هي لانه لم يكن على لغتنا فلم نقدر على قراءته او نقول لو
عطف على الاول لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى ارشد واسرع اهتداء
منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا ولهذا تلقفنا فنونا من العلم كالتواريخ
والاشعار والخطب على انا اميون فقد جاءكم بينة من ربكم حجة واضحة تعرفونها
تبكيت لهم والزام الحجة وفيه مجاز بحذف الشرط اشعار بتصديقهم في دعوى
الذكاء وحدة الذهن وان من يدعي ذلك فليتبه بمثل هذه النكتة وليدرك
البينة ويعتنا لا فهامهم وتهييجا واتزانا بان الاهم هو الجزاء لا الشرط والمعنى
ان صدقتم في الدعوى فقد جاءكم وان اظهر صدقه وهدى ورحمة كالذي انزل
على من قبلكم فمن اظلم اى لنفسه وغيره وقد مر في تفسير قوله تع فمن اظلم ممن منع مساجد
الله تحقيق هذا النوع من الاستفهام ممن كذب بايات الله بعد ما عرف صحتها و
تمكن من معرفتها وصدف عنها الناس فضل واضل واما معنى الاعراض فقد حصل
بالتكذيب سنجزي الذين يصدفون عن اياتنا سوء العذاب اى العذاب السيئ وهو
الموصوف وهو الموصوف بنهاية النكاية بما كانوا يصدفون بسبب استمرارهم
على تجديد الصدف واحداثه حينا فحينا هل ينظرون اى ما ينظرون يعني الذين قالوا
لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى الاخر الا ان تأتيهم الملئكة او ياتي
ربك هنا ذكروهم بقوله او تاتي بالله والملئكة قبيلا او ياتي بعض ايات ربك
هذا ما ذكروهم بقوله او تسقط السماء كما زعمت وانما عبر عنه ببعض ايات ربك
تعظيما لانه اعظم الايات الظاهرة قبل قيام الساعة يوم ياتي بعض ايات ربك يعني
الايات المذكورة آنفا لا بعض اشراط الساعة مطلقا لان الايمان نافع بعد ظهورها
كيف ونزول عيسى عم لدعوة الخلق الى دين الحق بعد خروج الدجال لا ينفع نفسا
ايمانها كالمحتضر اذا صار الامر عيانا والايمان المقبول برهانيا كان او تقليديا ما يكون
بالغيب لم تكن امنت صفة نفسا من قبل متعلق بالمعطوفين او كسبت عطف على امنت
في ايمانها خيرا اريد بالايمان المعرفة برشد كل لبيه قرا فلا تنفع بالشاء وبكسب الخير الاذعان
والقبول ونحن معاشر اهل السنة نقول بما هو موجب النقل من الايمان النافع مجموع
الامرين فلا حجة فيه للمخالف لان مبناها على حمل الايمان على المعنى الاصطلاحي المخترع بعد
نزول القران تخصيص الخبر بما هو يكون بالجوارح وكل منهما خلاف الاصل الظاهر ولو سلم

فقبول الايمان النافع لا بد فيه من امرين الاعتقاد بالقلب والاقرار باللسان وقد
عبر عن الاول بقوله امنت وعن الثاني بقوله او كسبت فان الكسب يكون بالالات
البدنية ومنها اللسان فمنطوق الاية على وفق مذهبنا والله اعلم قل انتظروا اى انتظروا
اتيان احد الثلثة انا منتظرون له وعيد لهم ووعد لنا ان الذين فرقوا دينهم
فامنوا ببعض وكفروا ببعض وافترقوا فيه قال عم افترقت اليهود في احدى وسبعين
فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها في
الهاوية الا واحدة وستفترق امتي على ثلث وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة
وقرئ فارقوا وكانوا شيعا فرقا جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب
من شاعه اذا تبعه واصله الشياع وهو الحطب الصغار توقد به الكبار لست منهم من
امر دينهم في شيء اى ليس اليك شيء من مجازاتهم والعفو عنهم انما عليك انذارهم و
تبليغ الوحي اليهم انما امرهم الى الله ان شاء عاجلهم بالعقوبة وان شاء اخرهم الى الاخرة
وان شاء وفقهم للرجوع عنها فعفا عنهم ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون اى في الاخرة
ويجازيهم على ذلك من جاء بالحسنة لم تقل من عمل الحسنة ليعلم ان النظر الى ما ختم به على ذلك
القول قال عم الاعمال بالخواتيم فله عشر امثالها على اقامة صفة الجنس المميز مقام
الموصوف تقديره عشر حسنات امثالها لم يرد به الحصر بل اراد به التفضل بالتضعيف
ومعناه اقل ما وعد بالاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وسبعمائة وبغير حساب وقرئ
عشر بالتنوين وامثالها بالرفع على الوصف ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها
اى واحدة بواحدة هذا بحكم الوعد لا باقتضاء العدل كما توهمه المعتزلة اذ لا حق
للخلق على الخالق وهم لا يظلمون بنقص ما وعدهم من الاجر وبالعقاب بلا استحقاق
قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم اى ارشدني الى ما نصبه من الحجج دينا بدل من محل صراط
لان معناه هداني صراطا لقوله ويهديكم صراطا مستقيما او مفعول فعل مضمر دل عليه
الملفوظ او حال من صراط لاختصاصه بالصفة او نصب على المدح اى اعني او اخص
دينا قيما فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم
ابلغ منه باعتبار الصيغة لانه نص في الاستقامة وقرئ قيما وهو مصدر بمعنى القيام وصف
به ملة ابراهيم عطف بيان لدينا انما ذكر ذلك مثالا لهم على اتباعه لانه دين ابيهم حنيفا
حال من ابراهيم وما كان من المشركين عطف عليه قل ان صلاتي ونسكي عبادتي وتقربي
كله قيل وذبحي وجمع بين الصلوة والذبح كما في قوله تع فصل لربك وانحر وقيل ومع
مناسك الحج انما خصه بالذكر لان المشركين كانوا يدخلون الشرك في التلبية وكذا تخصيص
الذبح بالذكر على القول الاول ومحياي ومماتي وما انا عليه في حياتي واموت عليه

من الايمان والطاعة او طاعات الحيوة والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير
وقرئ محياي باسكان الياء اجراء للوصل مجرى الوقف لله رب العالمين لا شريك له
خالصة لا اشرك فيها غيره وبذلك الاخلاص امرت بدا بقوله قل وختم بهذا بيان انه
بقال انما الا فيه ر وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته
قل اغير الله ابغي ربا هذا ابلغ من اغير الله اعبد لدلالته على معناه بطريق البرهان
وهو جواب عن دعائهم له الى عبادة الاصنام وهو رب كل شيء فلا يصلح غيره
ان يكون معبودا اصلا فضلا عن ان يكون شريكا له في المعبودية وهو يحق
لان يكون معبود كل شي جملة حالية في مقام التعليل للانكار المذكور ولا تكسب كل
نفس الا عليها اي لا يكون جناية نفس الا عليها ومعناه السلب الكلي لا سلب الكل
فاداة السور داخلة على النفي بمعنى وان كانت مدخولة له لفظا ولا تزر وازرة
وزر اخرى اي لا تحمل نفس حاملة حمل نفس اخرى قال عطاء قال الوليد ابن المغيرة
اتبعوا سبيلي احمل عنكم اوزاركم فنزل هذا فالمعنى نفي القدرة عن الغير على ذلك
التحمل واما نفي التحمل من الله تعالى فالآية ساكتة عنه فلا منافاة بينها وبين حديث ابي موسى
ره المذكور في صحيح مسلم وهو هذا يجيء يوم القيمة ناس من المسلمين بذنوب
امثال الجبال فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى ثم متعلق بقوله
ولا تكسب كل نفس الا عليها وقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى معترض تاكيدا
لما ذكر الى ربكم لا الى غيره مرجعكم يوم القيمة فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ببيان
الرشد من الغي وتمييز المحق من المبطل هو الذي جعلكم خلائف الارض خلائف الامم
الماضية في الارض لقوله تعالى ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون
اي استخلفناكم فيها بعد القرون التي اهلكناها استخلاف من يختبر ولا يلزم هذا ان
يكون الخطاب للمؤمنين خاصة وكل من جاء بعد ما مضى فهو خليفته والجمع الخلائف
جاؤا به على الاصل مثل كريمة وكرائم وقالوا ايضا خلفاء من اجل انه لا يقع الا على
مذكر وفيه الهاء جمعوه على اسقاط الهاء فصار مثل ظريف وظرفا لان فعيلة بالهاء
لا تجمع على فعلاء ورفع بعضكم فوق بعض درجات في الخلقة والمكنة والعلم والعمر
ليبلوكم اي ليختبركم فيما آتاكم فيما اعطاكم من النعم بالشكر وفي ما ابتلاكم به من المحن
بالصبر ان ربك سريع العقاب لاعدائه وانما كان عقابه سريعا لانه لا يحتاج الى استعمال
الآلات ولا يتوقف على استحصال ادوات وانه لغفور رحيم اي لاوليائه ووصف ذاته
بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة واتى ببناء المبالغة وعلى التاكيد ان واللام تنبيها على انه تعالى غفور
بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح فيها تم بعون الله تعالى

سورة الاعراف مكية غير ثماني آيات وآيها مائتان وخمس

المص قد سبق الكلام في مثله كتاب خبر مبتدا محذوف انزل اليك صفته والمراد به
السورة وهذا اولى من ان يراد به القرآن لان البعض اذا استعمل بالكمال والاعجاز
فالكل اولى به فلا يكن في صدرك حرج منه اي فلا تكن شاكا او خائفا على طريقة الكناية فان
الشاك والخائف ضيق الصدر او فلا يكن في قلبك شك وخوف على ان الصدر مجاز عن
القلب والحرج مجاز عن الشك او الخوف وتوجيه النهي اليه لايهام ان الحرج لو كان مما ينهى عنه
لنهيناه عنك فانت انته ولا يخفى ما في هذا الاعتبار من التلطف من تعظيم شانه الشريف
والفاء للسببية اي اذا انزل اليك من الله تعالى فلا يحرج صدرك لانه سبب لانشراحه او فلا
يكن في صدرك ضيق على ان يكون النهي للتكوين لا للنفي ويعضد هذا الوجه قوله تعالى الم
نشرح لك صدرك منه اي من انه منزل من الله تعالى او من تبليغه مخافة ان تكذب فيه او
تقصر في القيام بحقه وفائدته التشجيع لتنذر به علة لانزل وانما اخر تنبيها على انه
ينبغي ان يزيل الحرج عن صدره اولا ثم يشتغل بالانذار او للنهي لانه اذا تيقن
انه من عند الله تعالى تشجع على الانذار وكذلك اذا امنه الله تعالى وذكرى نصب باضمار
فعلها اي ولتذكر تذكيرا فان الذكرى اسم بمعنى التذكير او جر عطفا على المصدر المنسبك
من ان والفعل المنصوب باضمارها في قوله لتنذر اي للانذار او عطفا على محل لتنذر لانه في
محل النصب او رفع عطفا على كتاب او خبر المحذوف اي هو ذكرى للمؤمنين اطلق
الانذار لعمومه الفريقين وخص التذكير بالمؤمنين لانهم المنتفعون اتبعوا ما انزل اليكم من
القرآن والسنة لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى لانه لا ينتظم السنة التقريرية بل لقوله تعالى
وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ولهذا عدل عن الضمير وقيل اليكم من
ربكم لما شجعه عم امر الجميع باتباع جميع ما يرسمه ليكون اوعى لانشراح صدره ورحب
ذراعه ولا تتبعوا من دونه اي من دون ربكم اولياء من شياطين الجن والانس فيضلوكم
عن دين الله تعالى ويحملونكم على عبادة الاوثان واتباع الهوى والبدع او من دون ما
انزل اليكم اي من دون دين الله دين اولياء وقرئ ولا تبتغوا قليلا صفة للمصدر
اي تذكرا قليلا او للزمان اي زمانا قليلا حيث تتركون دين الله تعالى وتتبعون غيره ما
مزيدة لتاكيد القلة تذكرون صفة الاولياء وقرئ بحذف التاء وقرئ يتذكرون على
ان الخطاب مع النبي عم وكم من قرية كم خبرية منصوبة بفعل مقدر يفسره اهلكناها
اي وكثيرا من القرى اهلكناها فجاءها باسنا فيه استخدام وقلب ما الا اول فلان الضمير
في اهلكناها للقرية باعتبار معناها الحقيقي والضمير في فجاءها لها باعتبار المعنى المجازي

وهو اهلها واما الثاني فلان اصل الكلام وكم من قرية جاءها بأسنا فاهلكناها
ويجوز ان يكون الفاء تفصيلية ويكون الكلام على اصله بياتا في موضع الحال اي
بائتين او هم قائلون في محل النصب عطفا على بياتا كانه قال بائتين او قائلين
وانما وقعت الجملة الاسمية حالا بغير واو ولا اكتفاء بالضمير لانه غير فصيح لعطفها
على حال قبلها فاستثقل اجتماع حرفي عطف لان واو الحال واو العطف استعيرت
للوصل وتخصيص الوقتين بنزول العذاب لانهما وقت دعة وغفلة فيكون نزوله
فيهما اشد وافظع واما المبالغة في التعبير فلا اختصاص لها بالوقتين فما كان دعواهم
دعاءهم على انفسهم بالويل اذ جاءهم بأسنا وقت ظهور طلائع العذاب الا ان قالوا
انا كنا ظالمين الا قولهم هذا ترشدك الى هذا ان المعنى هذا قوله تع وكم قصمنا
من قرية الى قوله يا ويلنا انا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم
حصيدا خامدين فلنسألن الفاء فصيحة اي لنجمعن الخلائق فلنسألن الذين
ارسل اليهم وهم الامم بسؤالهم عما اجابوا به الرسل لقوله تع ماذا اجبتم المرسلين
والمراد به التوبيخ والتقريع لا الاستخبار ولا التقرير لقوله تع فعميت عليهم الانباء
يومئذ ولنسألن المرسلين عما اجيبوا به لقوله تع يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا
اجبتم والنفي في قوله تع لا يسأل عن ذنوبهم المجرمون السؤال عن الذنب لا مطلق السؤال
فلا ينافي هذا حتى يحتاج الى التوفيق الاختلاف في الاوقات او في معنى السؤال
فلنقصن لما كان سؤال الفريق الاول سؤال تعنيف وتعذيب وسؤال الفريق الثاني
سؤال تشريف وتقريب لا الاستخبار والاستفسار سكتوا عن الجواب وتركوا الخطاب
فناسب المقام تقدير الكلام بالفاء الفصيحة عليهم اي على الفريقين ما كانوا عليه
بعلم كامل شامل لظواهرهم وسرائرهم وما كنا غائبين حال في تمام التعليل اي اذا
لم يكن عنهم غائبين لم يغب وما كنا كانوا عنا غائبين تنبيها على ان المناسب لهذه الحال
ما في شانه تع من الكمال لا امر من جانبهم وعدم الغيبة عنهم مجاز متفرع على الكناية
عن الاحاطة التامة باحوالهم وافعالهم واقوالهم وفيه دفع ما عسى ان يخطر بالبال
من ان وزن الاعمال لخفاء الحال فله تعلق تام بجانبي الكلام موجب لكمال الحسن في
النظام وتمام البنيان والوزن مبتدأ يومئذ ظرفه الحق خبره اي والوزن يوم سأل
الله الامم ورسلهم هو الحق الثابت الواجب الوقوع او الحق صفته والخبر يومئذ اي
الوزن العدل كائن يومئذ والاول اولى لان المقام مقام الاخبار عن الوزن الواقع
يومئذ بانه الحق لا غيره لا عن اليوم المذكور بان الوزن الحق فيه لا في غيره قيل يوزن
صحف الاعمال بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة

كما يسألهم عن اعمالهم فيعترف بها السنتهم وتشهد بها جوارحهم وبه اخذ الجمهور
ويصدقه ما ورد في الخبر عن خير البشر ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر عليه تسعة
وتسعين سجلا كل سجل مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فيوضع السجلات
في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فمن ثقلت موازينه اي
رجحت موزوناته وهي الاعمال التي لها وزن واعتبار وقدر اي الحسنات او ما يوزن
به اعماله على ان الموازين جمع موزون او جمع ميزان وتوحيد الضمير باعتبار
لفظ من لان معناه جمع لقوله فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة والثواب ومن
خفت موازينه عن الحق وحق الميزان يوضع فيه الحسنات ان يثقل وحق من الميزان يوضع
فيه السيئات ان يخف وهذا على ثاني معنى الموازين فاولئك الذين خسروا انفسهم بتضييع
الفطرة السليمة التي فطروا عليها بما كانوا بآياتنا يظلمون اي يكذبون ولقد مكناكم
في الارض اقدرناكم على التصرف فيها بالسكنى والزرع وغيرهما وجعلنا لكم فيها
معايش ما تعيشون به جمع معيشة وهي وصلة من جهة مكسب المطعم والمشرب والملبس
الما فيه الحيوة وقد يطلق على ما يعاش به من المطاعم والشارب وغيرهما والوجه تصريح
الياء لاصالتها ومن همزه فقد شبهها بما فيه الياء زائدة كصحائف قليلا ما تشكرون نصب
قليلا بتشكرون وما مزيدة لتاكيد القلة والشكر اعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم ولقد
خلقناكم ثم صورناكم اي خلقنا اباكم آدم عم غير مصور ثم صورناه والصورة
بنية مقومة على هيئة ظاهرة نزل خلقه عم وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره لقوله
ثم قلنا للملئكة اسجدوا لآدم او ابتدأنا خلقكم ثم تصويركم بان خلقنا آدم ثم صورناه
ثم قلنا للملئكة اسجدوا الخ وكان الظاهر ان يقول ثم امرنا الملئكة بالسجود لآدم وانما
عدل عنه لان الامر بالسجدة كان قبل آدم عم على ما نطق به قوله تع فاذا سويته ونفخت فيه

خلقوه

من روحي فقعوا له ساجدين والواقع بعد تصويره انما هو قوله تع للملئكة اسجدوا
لآدم لتعيين وقت السجدة المامور بها قبل هذا فلا صارف لكلمة ثم عن معناها الاصلي
وعلى تقدير الحرف عنه حقها ان يصرف الى معنى التفاوت في الرتبة لا على التراخي في الاخبار
فسجدوا اي سارعوا في الامتثال واتوا بما امروا به على الاستعجال ولما كان في بقية الاضمار
ان يكون الاستثناء بقوله الا ابليس عن المقيد راجعا الى قيده لا الى اصله احتيج الى قوله
لم يكن من الساجدين دفعا لذلك الاحتمال فلا صارف للاستثناء عن الاتصال بناء على
انه عم لا حاجة الى هذا المقال وكان يكفي ان يقال لم يسجدوا الا انه قصد مع عدم الانفصال
الاشعار بانه على تقدير اظهاره السجود لا يكون ساجدا حقيقة لما فيه من اضمار الاستكبار بل
يكون معدودا من الساجدين فبقي ذلك الكون فافهم هذا الاعتبار قال عدل عن التكلم الى الغيبة

ايماء بعدم اسناد القول الى نفسه صريحا الى هذه المخاطبة مع ابليس لم يكن بالذات وكان
الجبائي تنبه لهذا الايماء حيث قال ان هذه المكالمة كانت بعض الملئكة ما منعك ان لا تسجد
منع نظير صرف فحمل عليه في التعدية بالى كانه قيل ما صرفك عن ان تسجد الى ان لا تسجد
ولا يخفى ان اعتبار الصرف ابلغ في الكلام وانسب للمقام ومن هنا تبين انه لا دلالة
في قوله تع ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي على زيادة لا في هذا القول لانتظام معنى
الصرف كلا القولين اذ معمولة لقوله منعك عن السجود في وقت امرتك بالسجود فيه
فلا دلالة فيه على ان مطلق الامر للفور ولا على انه للوجوب اما الاول فلان الفور انما
لزم من تعيين وقت نفخ الروح في بدن آدم عم في قوله تع فاذا سويته ونفخت فيه
من روحي فقعوا له ساجدين فان فيه دلالة على ان المامور به السجدة في الحال وفي
تضاعيف المقال تلويح الى انها لتعظيم امر النفخ وما يظهر عنده من آثار القدرة الباهرة
في الحقيقة وان كانت في الظاهر لتعظيم ادم عم واما الثاني فلان مبناه على ان يكون
صيغة الاستفهام للتوبيخ وان يكون التوبيخ على عدم الايتمار وكل منهما في معرض
المنع اما الاول فلان الظاهر من قوله استكبرت ام كنت من العالين الاستفسار عن
الكشف عن سبب المنع واما الثاني فلاحتمال ان يكون التوبيخ على مخالفة لمن هم اعلى
منه وترك متابعته اياهم كما هو الظاهر من قوله الى ان يكون مع الساجدين اي ابى
متابعتهم في السجود وفي قوله امرتك دلالة على ان ابليس كان مامورا بالسجود
لادم عم بقوله تع للملئكة اسجدوا لادم عبارة كان ذلك او دلالة والظاهر من قوله
استكبرت ام كنت من العالين هو الثاني على ما نقف عليه في موضعه قال انا خير
منه لما كان هذا القول جوابا من حيث المعنى عن السؤال على وجه التفصيل عن المانع
المذكور في قوله تع ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين
مستانفا فيه باختيار الشق الثاني من الترديد المذكور اي كنت من الذين لم يتناولهم
الامر دلالة لعلو شانهم كما انبنا ولهم عبارة ذكر هنا في معرض الجواب عن
السؤال على وجه الاجمال عن المانع ومن غفل عن هذا قال انه جواب من حيث المعنى
مستانف فيما سبقنا ما منه لان يؤمر الفاضل بسجود المفضول فهو الذي قال
بالحسن والقبح العقليين او لا خلقتني من نار وخلقته من طين تعليل لفضله
وقد غلط في ذلك حيث راى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار
الفاعل كما اشار اليه بقوله لما خلقت بيدي على القراءة بالتشديد بالتوحيد اي
بغير واسطة وباعتبار الصورة كما اشار اليه بقوله ونفخت فيه من روحي وباعتبار
الغاية كما اشار اليه بقوله لما خلقت بيدي على القراءة اي بقدرتي المتصرفة في

عالمي الشهادة والغيب ولذلك اي ولكونه ذا حظ من عالمي الملك والملكوت صار
افضل ممن له حظ من احدهما فقط واستحق لان يسجد له الملك فاللعين في تعليله كمن
قيل فيه حفظت شيئا وغابت عنك اشياء وقيل لعل نسبة خلق الانسان الى الطين
وخلقه الى النار باعتبار الجزء الغالب ويرد عليه ان المناسب لهذا الاعتبار ان يقال خلقته
من تراب والله اعلم قال فاهبط تفريع على جوابه الخارج عن حد الادب بل عن نهج السداد
افتخر اللعين بما في عنصره من شرف الصعود فجوزي بذل الهبوط وهو نزول من
جهة السفل فصح عود الضمير في قوله منها اي من جهة العلو ويلزمه النزول من السماء
والخروج من الجنة فلهذا ذهب الى كل منهما ذاهب غافلا عن ان في عود الضمير
الى واحد منهما بخصوصه محذور الاضمار قبل الذكر فما يكون يصح لك تعليل للامر
المذكور ان تتكبر فيها لانها مكان المطيعين المتواضعين والتكبر في وصف المخلوق
اظهار الكبر بالتكلف بلا مساعدة من الحال وفي وصف الخالق اظهاره على وجه الكمال
فلهذا صار ذما في الاول ومدحا في الثاني فاخرج وفي سورة الحجر فاخرج منها
اي عن زمرة الملئكة المقربين الساكنين في السماء تفريع على عدم لياقته لان يكون
في جهة العلو انك من الصاغرين من الذليلين لصغر القدر تعليل للامر بالخروج من
بين المتصفين بالعزة قوبل في كل من مقامي الامر بضد ما ظهر من المامور قولا وحالا
قال انظرني الانظار بمعنى الامهال الى مدة فيها النظر طال او قصر وقوله الى يوم يبعثون
بيان مدة الانظار الذي طلبه والضمير في يبعثون عائد الى المفهوم من تضاعيف
المقال المعلوم بقرائن الاحوال وفيه دليل على اعتقاد اللعين بالبعث وهو في الاصل
الاطلاق في الامر ثم استعمل مجازا في الاخراج عن العدم والمراد باليوم المذكور يوم
النشور سال البقاء الى يوم اللقاء على ما افصح عنه في قوله لئن اخرتني الى يوم القيمة
قال انك من المنظرين اي انك من جملة من قدر لهم الانظار فلا حاجة الى السؤال وفيه
الاشعار بان ذلك ليس من قبيل استجابة الدعوة فافهم لطف هذا الاعتبار ثم انه
في الاخبار عن حصول ما رامه من اصل الانتظار ابتلاء للعباد وتعريضا للعباد لنيل الغنيمة
لغة الثواب لا عن الوصول الى المقصود من امتلاء المعهود وهو الامان من خوف
الفوت والم ذوق الموت حيث قال الى يوم الوقت المعلوم لله تع وهو قدر فيه
انتهاء اجل المنظرين وهو يوم النفخة الاولى وانما ابهم الله تع كيلا يخلو اللعين
عن الم الخوف في كل حين وفي ابهام اليوم زيادة في الابهام كما لا يخفى على ذوي الافهام
قال فبما اغويتني الباء للسببية تعلقت بفعل القسم وقد ظهر القسم به في قوله
فبعزتك لاغوينهم لا بافعلن لان اللام تصدر عنه وما مصدرية واصل الكلام

الفساد يقول العرب غوى الفصيل اذا بشم والبشم فساد اللبن في البطن والمعنى
بعد ان امهلتني لاجتهدن في اغوائهم باى وجه يمكنني بسبب اغوائك اياى فيهم
ضع يفعد واسببى كما فسدت بسببهم لاقعدن لهم القعود كناية عن الترصد
بل مجاز متفرع عليها لان المراد من الصراط المستقيم الدين القويم وهو لا يصلح متعلقا
للقعود الحقيقي صراطك المستقيم نصبه على تضمين معنى اللزوم اى لالزمن صراطك
مترصدا كما يفعل قطاع الطريق للسابلة وهذا اولى من انتصابه على اسقاط حرف
الجر في مثل هذا لا يتقاس ثم مستعار للبعد ما بين الاجمال المذكور والتفصيل الآتي
في ضمن التمثيل لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم مثل
اتيانه اياهم بقصد التسويل والاضلال باتيان العدو السابلة بقصد النهب والغزو
الاموال محيطا بهم من الجوانب كيلا يفوت الاستيصال ولهذا خص الجهات الاربع بالذكر
والا فقصد التسويل يتيسر له من جميع الجهات وانما قال من بين ايديهم ولم يقل
قدامهم قصدا الى تشبيه اتيانه من تلك الجهة باتيان عدو ولم يتنبه له الخصم الا وهو
حاضر بين يديه فانه اشد كيدا واشد نكاية وانما عدى الفعل الى الاولين بمن
لان فيهما معنى طلب النهاية وفي الاخرين بعن لان فيهما معنى الانحراف عن المقصود ولا
تجد اكثرهم شاكرين لم يقل فلا تجد لانه اراد بيان ان حالهم هذا على مقتضى جبلتهم
لا بسبب تسويله واضلاله لا تعلق له بقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لان
مظنونه بقرينة تمام ذلك الكلام وهو قوله فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين ما ذكره
بقوله فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين فان اطباقه عليه لا يمضون
هذا الكلام وقال اخرج منها الامر باصل الخروج من زمرة المؤمنين قد كان فهو
هنا منصرف الى قيده المذكور بقوله مذؤوما من ذامه اذا ذمه وقرئ مذوما
كمسول في مأوول ومكول في مكيل من ذامه يذيمه ذيما وقيل الذام والذيم اشد العيب
كاللوم مدحورا الدحر الدفع والطرد على وجه الهوان والاذلال لمن تبعك منهم
اللام فيه لتوطئة القسم وجوابه لاملان جهنم وهو ساد مسد جواب الشرط و
قرئ لمن بكسر اللام اى لمن تبعك منهم هذا الوعيد وهو قوله لاملان جهنم على ان لاملان
جهنم في محل الابتداء ولمن تبعك خبره او على انه علة لاخرج ولام لاملان جواب قسم
محذوف على الوجهين منكم اجمعين اى منك وممن تبعك لقوله تعالى في موضع آخر لاملان
جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين فغلب هنا المخاطب ويا آدم اى قلنا يا آدم
على ما ذكر في سورة البقرة لا مساغ لان يعطف على قوله اخرج لانه في معرض الكلام
في جواب ابليس وهذا ليس من تتمته ولانه من تتمة الامتنان وفي العطف على ما بعد قلنا

بعدا اسكن انت وزوجك الجنة قد سبق ما يتعلق بها من اللطائف فكلا من
حيث شئتما وفي سورة البقرة وكلا اعتبر ثمة الاستقلال في امر الاكل تعظيما لشان
تلك النعم الجليلة واعتبر ههنا تفرعه على الامر الاول وفيه زيادة تفخيم لذلك
الامر ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذى على الاصل لتصغيره ذيا والهاء بدل
بدل من ياء فتكونا فتصيرا يحتمل الجزم بالعطف والنصب بالجواب من الظالمين
اى بصيغة الفاعل لانه ابلغ من الذى واطلقه لينتظم الظلم غيره من ذريته
فوسوس اى تكلم كلاما خفيا مكررا اصل الوسوسة الصوت الخفى ومنه وسواس
الحلى وهو غير متعد كولولت المرأة ووعوعت الذئب فلا بد من اداة التعدية
ولهذا قيل لهما الشيطان والفاء للترتيب على ما تقدم من النهى ليبدى لهما
ما ووري عنهما من سوآتهما الابداء الاظهار والموارة الستر والسوأة العورة
مجاز لانه يسوء صاحبها ظهورها وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر
واللام للتعليل ان كان اللعين عالما بذلك والا فلام العاقبة وقال ما نهاكما
ربكما عن هذه الشجرة بيان للوسوسة والواو للاستيناف الا ان تكونا الا كراهة
ان تكونا ملكين في حصول الكمالات الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة
اذ لا احتمال لقلب الحقائق فلا دلالة فيه على فضل الملك على بنى آدم او تكونا من الخالدين
من الذين يخلدون في الجنة ولا يموتون وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين واقسم
لهما بالنصيحة فاخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة لاجتهاده فيه اجتهاد المبالغ و
قيل اقسم لهما واقسما عليه بالله انك لمن الناصحين فدلاهما فنزلهما الى الاكل منه
الشجرة وفيه دلالة على انه اهبطهما من درجة عالية الى منزلة سافلة لما في معنى
التدلية من ارسال الشئ من اعلى الى اسفل بغرور بما غرهما به من القسم بالله وكانا
من الظالمين لا يظنان ان احدا يحلف بالله كاذبا او ملتبسين بغرور اى مغرورين
والغرور اظهار النصح مع ابطان الغش واصله الغر طى الثوب فان فيه اظهار حال
واخفاء اخرى ومنه الغرور خلفا ما يؤمن فيه فلما ذاقا الشجرة بالاكل منها ثمرتها
دل هذا على ان المراد من كل الاكل في قوله فكلا برايته كما دل هو على ان المراد من الذوق
هنا نهايته فان القرآن يفسر بعضه بعضا بدت لهما سوآتهما اخذ العقوبة
بشؤم المعصية وتساقط عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما وطفقا عطف
على مقدر اى فتداركا واخذا يخصفان عليهما اى على عوراتهما ورقة فوق ورقة
يستتران بهما يخصفان النعل ويجعلان طرفه فوق طرفه والخصاف الذى يرقع النعل والمخصب
الثقب الذى يخصف به النعل من ورق الجنة قيل كان ورق التين وناداهما ربهما

الم انهكما عن تلكما الشجرة انما قال تلكما لانه خاطب ثم نهى اشار الى الشجرة وقل
لكما ان الشيطان لكما عدو مبين توبيخ من الله تع لهما على الاغترار بقول العدو
بعد التحذير وعتاب على مخالفة النهى الارشادى ولا دلالة فيه على ان مجرد النهى
للتحريم قالا ربنا ظلمنا انفسنا بنقص حظها من النعمة وتعريضها للمحنة وان لم تغفر
لنا انما لم نقل فان لم تغفر لنا لان الحاجة الى المغفرة والرحمة والكون من زمرة الخاسرين
عند عدمهما ليس لما تقدم من النقص والتعريض بل ذلك مرض وربما ذكر
وترحمنا لنكونن من الخاسرين هذا على عادة المقربين فى استعظام الصغيرة من
السيئات مستصغار من الحسنات لما عرفت ان النهى ارشادى لا تكليفى فلا
دلالة فيه على ان الصغيرة من الذنوب معاقب عليها ان لم تغفر قال اهبطوا خطاب
لهما ولذريتهما او لهما ولابليس كرر الامر له تبعا ليعلم انهم قرناء او اخبر عما
قال لهم مفرقا بعضكم لبعض عدو فى موضع الحال ولكم فى الارض مستقر
استقرار او موضع استقرار ومتاع تمتع الى حين انقضاء اجالكم قال فيها تحيون
وفيها تموتون ومنها تخرجون يعلمهم انهم لا يعودون الى الجنة والشقى الى النار
يا بنى آدم اراد نوع الانسان والتعبير بما يشير الى بداء خلقته وابتداء ولادته
ليتذكر خلقه عريانا فان المناسب لمقام الامتنان باعطاء اسباب اللباس قد
انزلنا عليكم لباسا جعل ما فى الارض منزلا من السماء لانه قضى وقدر ثم وخلق
بتدبيرات سماوية واسباب نازلة منها كقوله وانزلنا الحديد يوارى سوآتكم
التى قصد الشيطان ابداءها اى يستر ما يسوءكم انكشافه من الجسد ويغنيكم عن
خصف الورق وريشا وقرئ رياشا جمع ريش كشعب وشعاب والريش
لباس الزينة والجمال استعير من ريش الطير لانه لباسه وزينته اى انزلنا عليكم
لباسين لباسا يوارى سوآتكم ولباسا يجملكم ويزينكم والزينة غرض صحيح فى الشرع
كما قال لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال ولباس التقوى هو الاكتفاء بالصوف والخشن
من الثياب ورفعه بالابتداء خبره ذلك خير وذلك لان خير الامور اوساطها او
خبره خير وذلك صفته عدية عن النصب وفهم بالاشارة اليه وقرئ ولباس
التقوى بالنصب عطفا على لباسا قيل هو ما يتقى به فى الحروب ولا يناسبه الترجيح
والتفخيم فان ما ذكر وجه الرجحان انما يا عدا الاول وقيل هو لباس الورع ولا يناسبه عكسه
ذلك من آيات الله اى تحصيل اللباس من مواد ارضية حاصلة باسباب سماوية و
اتصال منافع احديهما بالاخرى مع بعد ما بينهما دليل على كمال قدرة منشيها وحكمة
مدبرها لعلهم يذكرون فيعرفون نعمته ويعترفون بقدرته ويحترزون عن نقمته

او يتعقلون فيتورعون عن القبائح روى ان العرب كانوا يطوفون بالبيت
عراة ويقولون لا نطوف فى ثياب عصينا الله فيها فنزلت فعلى هذا يكون قصة
آدم عم تقدمة لذلك تنبيها على ان انكشاف العورة اول سوء اصاب الناس
من الشيطان وانه اغواهم فى ذلك كما اغوى ابويه وان الفطرة السليمة اقتضت
سترها بخصف الورق عليها ليتعظوا بها يا بنى آدم لا يخفى على الفطن ما فى هذا التعبير
من الاشارة الى انهم مظنة الافتتان لكونهم ذرية من افتتن لا يفتننكم لا يمتحننكم
الشيطان دخول الجنة بالافتتان اى بالاغواء كما اخرج اى فتن ابويكم بما ادى
الى اخراجهما من الجنة والمراد بنهى الشيطان المبالغة فى نهيهم عن مظان الافتتان
به ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما حال من ابويكم او من فاعل اخرج اسناد
النزع اليه مجازى للتسبيب والعدول عن صيغة الماضى لاستحضار تلك الصورة
العظيمة والنزع قلع الشيء عن موضعه الذى هو طالبه له انه اى ان الشيطان
يريكم تعليل للنهى على سبيل الاستيناف وتاكيد للتحذير من فتنته بانه بمنزلة العدو
المداجى يكيدكم من حيث لا تشعرون وهو اظهر لصحة عطف قوله وقبيله اى جنوده
من حيث لا ترونهم اى من مكان لا ترونهم فيه قال ابن عباس رض صدر الانسان
له مسكن ويجرى منه مجرى الدم وانما لم يقل ولا ترونهم كيلا يذهب الوهم الى عدم
رؤيتهم لنا مطلقا انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون بالتناسب
بينهم والآية مقصود القصة واذا فعلوا فاحشة فعلة متناهية فى القبح كعبادة
الصنم وكشف العورة فى الطواف قالوا وجدنا عليها آباءنا اعتذروا بتقليد الآباء و
تماروا اما فيه من الضعف يدوه يقولهم والله امرنا بها قيل هما جوابا سؤالين
مترتبين كانه قيل لما فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها آباءنا فقيل من اين اخذ
آباؤكم فقالوا الله امرنا بها وفيه ان حق النظم ح والله امرهم بها قل ان الله لا يامر
بالفحشاء لان عادته تع جرت على الامر بمحاسن الافعال والحث على مكارم الخصال
اقتصر على رد الثانى لما عرفت ان الاول يعول عليه بدونه وفى الآية دلالة على
ان فى بعض الافعال قبحا يشتبه العقل مع قطع النظر عن الشرع وان لم يدل على ترتب
الذم عليه اجلا قبل النهى اتقولون اتفترون على الله انكار يتضمن النهى وانما قال
ما لا تعلمون اظهارا لما فى افترائهم من زيادة قبح لتضمنه الاخبار عما لا علم لهم به قل
امر ربى بالقسط بالعدل الذى هو الوسط بين طرفى الافراط والتفريط فى كل شيء
واقيموا وجوهكم معطوف على ما يتحل اليه المصدر الذى هو القسط اى بان اقسطوا
واقيموا وكما يتحل اليه المصدر الى ان والفعل الماضى نحو عجبت من قيام زيد وخرج اى

من ان قام زيد وخرج كذلك يحتمل ان مع الفعل المضارع نحو للبس عباءة
وتقرّ عيني اى لان البس عباءة وتقرّ عيني عند كل مسجد موضع سجود اى
لا تسجدوا كما يسجد اليهود على انصاف الوجوه وقد مرّ وجه ذلك في تفسير سورة
البقرة وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اى الطاعة مستغنين بها وجه الله تعالى
خالصا فانكم مبعوثون مجزيون على اعمالكم فحذف التعليل وذكر ما يدل على
البعث اكتفاء بالعبادة عن الاشارة كما بدأكم اى كما ابدأكم ابتداء تعودون
باعادته اى فيسوا الاعادة بالابداء فلا تنكروها لانها اهون منه فريقا هدى
بان وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة بابطالهم الاستعداد الاصلي والقابلية
الفطرية لا بالاقتضاء القضاء الازلي كما زعمه الجبرية لان القضاء تابع للمقضي
لا متبوع له وانتصابه بفعل مضمر يفسره ما بعده اى اضل كقولهم لك زيدا مررت به
انهم اى ان الذين حق عليهم الضلالة اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله
فاطاعوهم تعليل للمفترا وتحقيق للمفتر ويحسبون انهم مهتدون ولولا حسبانهم
هذا لكان فيهم تاثير الانذار التذكير فهو تتميم للتعليل والتحقيق وتنبيه على ان
الضلال انما حق على من ضل وزعم انه اهتدى ومن هنا ظهر ان المكلفين غير مجبورين
في الفريقين المذكورين فان المعاند بمعزل عن الجبل المذبور يا بني آدم انما خاطبهم
بهذا تذكيرا لستر ابيهم آدم عم في ستر العورة خذوا زينتكم اى لباسكم المواري
لعوراتكم والزينة فعلة من التزين وهو اسم ما يتجمل به من ثياب وغيرها والمأمور
باخذه هنا هو ما يستر العورة عند كل مسجد اى عند كل قصد للطواف دل عليه
سبب النزول فانهم كانوا يدعون ثيابهم وراء المسجد عند الطواف وللصلوة
فان ستر العورة فيها واجب والسنة ان ياخذ الرجل احسن هيئة للصلوة اعتبارا
لظاهر عبارة الزينة وكلوا واشربوا اى لا تضيقوا على انفسكم فيهما وسع الله عليكم من
الاكل والشرب روى انهم كانوا لا يصلون في ثيابهم ويقولون لا نصلي في ثياب اذنبنا
فيها ولا ياكلون من الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما في ايام حجهم يعظمون بذلك حجهم
فقال المسلمون يا رسول الله نحن احق بذلك ان نفعل فنزلت الاية ولما كان حذف
المفعول في الموضعين مظنة التعميم والتوسيع لدائرة الرخصة في الاكل والشرب كما
وكيفا تدارك دفعه بقوله ولا تسرفوا اى في التغذي بالتعدي عن الحلال الى المحظور وعن
الطيب الى المحذور انه اى ان الله تع والاضمار قبل الذكر للتفخيم لا يحب المسرفين
اى لا يرتضيهم لاسرافهم وهذا ابلغ في ذم الاسراف وصيغة الجمع للتعميم لانواعه
فانه مذموم في كل امر حتى في التصدق على ما مرّ في سورة الانعام قل من حرّم معنى

الاستفهام انكار تحريم هذه الاشياء وتوبيخ محرّميها والاستفهام اذا تضمن
الانكار لا جواب له زينة الله الاضافة اليه تعالى تعظيما تفضيلا لبهجة الزينة للدلالة على
عدم التحريم من جهته تعالى التي اخرج من الحيوان كالحرير والصوف والنبات
كالقطن والكتان والمعدن كالحديد وسائر الاجساد لعباده في عبارة العباد
اشارة الى ان الاخراج المذكور لمصلحة العباد فلهذا اخرجها على الناس والطيبات
اى المحللات فان الحرام ليس بطيب وان كان مستلذا من الرزق من المأكل والمشرب
فوصف الطيب هنا في مقابلة الاضافة الى الله تع قرينة في افادة المعنى المهم في المقام
وهو كونهما غير محرمين في الشرع فلا دلالة في الاية على ان الاصل في المطاعم والمشارب
والملابس وانواع التجملات الاباحة قل هي اى جملة ما ذكر من الزينة والطيبات للذين
امنوا في الحيوة الدنيا غير خالصة لهم لكون الكفار شركاءهم فيها وانما لم تقل للذين
امنوا ولغيرهم تنبيها على انها خلقت لهم بالاصالة والكفار تبع لهم فيها وافحام الحيوة
للاشعار الى وجه التشريك بافهام انها للحاجة اليها في الحيوة خالصة يوم القيمة لا
يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحال من الضمير المستكن في الجار والمجرور الواقع
خبر الهي وقرئ بالرفع على انها خبر بعد خبر كذلك نفصل الايات اى كتفصيلنا
لكم هذه الاحكام في الحلال والحرام نفصل لكم جميع ما بكم حاجة اليه من شرائع الاسلام
وانما قال لقوم يعلمون للعلماء على غيرهم بتخصيص التفصيل لهم وتغليبا للذكور على
الاناث لاصالتهم في اهلية الخطاب باعلام الاحكام وافهام الحلال والحرام قل انما حرم
ربي الفواحش اى لم يحرم الزينة والطيبات وانما حرم القبائح التي زاد قبحها والتحريم
المنع من الفعل بافادة الدليل على وجوب تجنبه وضده التحليل وهو الاطلاق في
الفعل ببيان جواز تناوله ما ظهر منها وما بطن قال ابن عباس رض كانوا لا يرون
بالزنا سترا باسا ويستقبحونه علانية فنهوا عنها جميعا وتخصيصها بالذكر مع
انتظامها في سلك الاتي ذكره للاهتمام والاثم اريد به ما بين العبد وبينه تع من
الذنب والبغي زيادة بيان لان ما كان بحق لا يكون بغيا وان تشركوا بالله ما لم ينزل
به سلطانا تهكم بهم اذ معلوم انه لا برهان عليه حتى ينزل فهو من قبيل ولا ترى الضب
بها ينجحر واذا لم يجز انزال البرهان بالاشراك كان ذكره استهزاء ثم ان في السلطان
مزية على البرهان من حيث ان البرهان اظهار صحة المعنى وفساد نقيضه والسلطان
اظهار ما يتسلط به على نقيض المعنى بالابطال ولا يخفى ما في اعتبار هذه المزية واشتراط
تنزيله دون ظهوره من تعظيم امر الشرك وان تقولوا على الله وان تفتروا عليه ما لا تعلمون
انما ذكره اظهارا لزيادة قبح ما فعلوا والا فالافتراء لا يكون عن علم ولكل امة اجل

الجماعة التي على مقصد واحد والاجل الوقت المضروب لانقضاء المهل فتبيّن شادّة
الى تفاديها عما اهل لعصر الواحد واما الوعيد فمبناه على ان يكون المراد من الاجل
مدة نزول العذاب ولا يساعده اخذ الكلية على ظاهرها فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون اي لا يتقدمون ولا يتأخرون وانما قال ساعة لانها اقصر الاوقات
في العرف بقول المستعجل لصاحبه في الساعة اي اقصر وقت وانما قال فاذا جاء اجلهم
لانه قبل المجيء يقبل التقدم والتأخر بخلاف ما بعده على ما افصح عنه في قوله ويؤخركم
الى اجل مسمى ان اجل الله لا يؤخر والمراد من مجيء الاجل مجيء قربه على ما دلّ عليه قوله ولا
يستقدمون وهذا كما يقال وجاء الصيف اذا قارب وقته يا بني آدم اما اوثر هذا
التعبير لما فيه من التذكير لا قول لرسل منهم اما يأتينكم هي ان الشرطية زيدت عليها ما لتأكيد
معنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة والخفيفة وجواب الشرط الجملة الشرطية
الآتية رسل منكم انما جاء منكم في اتيان الرسل بحرف الشك تنبيها على انه غير واجب
كما زعم اهل التعليم يقصون عليكم آياتي القصص وصل الحديث بالحديث واصله
اتباع الشيء فمن اتقى الشرك والمعاصي واصلح العمل في الاسلام فلا خوف عليهم من
الوقوع في العقوبات وهذا ثمرة الاتقاء ولا هم يحزنون بفوات الثواب وهذا ثمرة
الاصلاح وليس فيه ابطال مخافات القيمة لان المراد به العاقبة فهو كقول الطبيب لا بأس
عليك ولا خوف وان كان في وضع وضعف والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها
اي تعظموا عن قبولها والمعنى واستمروا على التكذيب فان الاستكبار يلزمه الاستمرار
على خلاف من اتقى واصلح اولئك اصحاب النار الملازمون لها لتكذيبهم بآياتنا هم
فيها خالدون لاستمرارهم عليه وانما اورد في جواب فمن اتقى الفاء دون جواب
والذين للمبالغة في الوعد والمسامحة في الوعيد فمن اظلم فمن اخشى ظلما والفاء للترتيب
على ما فهم من عظم شان الافتراء حيث قرن بالشرك بالله وشان التكذيب حيث
اخبر بان جزاءه الخلود في النار والاستفهام وقدمر بيان طريقه في تفسير سورة الانعام
ممن افترى على الله الافتراء اختراع امر لا اصل له في حق من يشتبه ولهذا يتعدى بعلى
فقوله كذبا تصريح بما علم التزاما اظهارا لما في الافتراء من مزية قبح حيث جمع بين
القبيحين اوكذب بآياته لم يقل او كذبه لان من كذب كلام الله تعالى انما كذبه منكرا
لكونه كلامه وانما قال بآياته لينتظم المعجزات الفعلية اولئك ينالهم النيل هو وصول
النفع الى الغير اذا اطلق وان قيد وقع على الضرر لان اصله الوصول الى الشيء نصيبهم
من الكتاب اي مما كتب لهم من الارزاق والاعمار اي هؤلاء مع نهاية ظلمهم لا يحرمهم
في الدنيا بل يصل اليهم حظهم في الدنيا مما كتب لهم في الكتاب السابق حتى اذا جاءتهم

غاية لينالهم نصيبهم واستيفائه رسلنا اي ملك الموت واعوانه يتوفونهم
يستوفون ارواحهم حال من الرسل وحتى التي تقع بعدها الجملة قالوا جواب اذا
اينما كنتم حق ما الفصل لانها موصولة ولكن وقعت موصولة في خط المصحف باين
فاتبع سنته تدعون من دون الله اي تعبدونه من الالهة ترجون شفاعتهم ومعونتهم
قالوا ضلوا عنا غابوا عنا فلا نراهم وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين اي اعترفوا
بكفرهم بلفظ الشهادة التي هي تحقيق الخبر ولا يخالف هذا ما تقدم في سورة الانعام
من قولهم والله ربنا ما كنا مشركين لان انكارهم ذلك عند غيبة الهتهم على ما بين
فيما سبق واعترافهم هذا عند ظهورهم على ما افصح عنه قوله تعالى واذا رأى الذين
اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك قال
اي يقول الله لهم على السنة الملئكة يوم القيمة ادخلوا ويجوز ان يكون الامر للتعجيز
كما في قوله تعالى اهبطوا فيكون دخولهم في النار بلا قدرة واختيار منهم كما هو
الظاهر من قوله تعالى كلما القي فيها فوج في امم اي كائنين في عدادهم ومصاحبين لهم
فان كلمة في تجيء بمعنى مع قد خلت من قبلكم اي مضت لانه مضى بالهلاك فقد انتفى عنه
مكانه فخلا مكانه عنه الآن فلذلك نسب الخلو اليه من الجن والانس قدم الجن على الانس
لاصالتهم في الاغواء والاضلال لان المقام مقام التحقير في النار متعلق بادخلوا
الدخول في النار وان لم يقتض كون الفريقين من الكفار لكن الامر بالمشركين بالكون
منهم في معرض العقاب دلّ على ذلك كلما دخلت اي في النار امة من تلك الامم لعنت اختها
مثلها في الدين التي ضلت هي بها وقيل بالاقتداء بها ويرد عليه انه يلزم ح ان لا تستلزم
الامم الداخلة في النار غير متناهية حتى اذا اداركوا وقرئ تداركوا اي تلاحقوا
وهو الاصل ثم وقع الادغام فاحتيج الى الف الوصل فيها جميعا قالت اخراهم منزلة
وهم الاتباع والسفلة لاولاهم لاجل اولاهم لان الخطاب مع الله تعالى لا معهم وهم الرؤساء
والقادة ربنا هؤلاء اضلونا بان دعونا الى ذلك وامرونا به قال تعالى خبرا عنهم
اذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا فلا حاجة الى الصرف عن الظاهر المتبادر
فآتهم عذابا ضعفا من النار مضاعفا لانهم ضلوا واضلوا قال لكل منكم ومنهم ضعف
مثل زايد على مثل لان كلا من الفريقين ضال ومضل وهذا في حق القادة ظاهر واما
في حق الاتباع فلانهم بالاتباع لهم وصدوه ومدحهم غروا بهم زادوهم في طغيانهم
وثباتهم على الضلال وقوتهم على الاضلال وقد افصح عن هذا المعنى في قوله تعالى وانه
كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا واما التقليد في الباطل
فلا يصلح وجها له لعدم اختصاصه بالاتباع فان القادة ايضا قد يكونون مقلدين

ولكن لا يعلمون ذلك كيلا يحصل لهم نوع سلوة وسرور فانه لو علم كل منهم ما بالآخر
بسبب ضلالهم اياهم لكان لهم فيه تسلية وخفة وقرئ بالياء على الانفصال وقالت
اوليهم لاخريهم مرتبا كلامهم على جواب الله تعالى لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل اي
فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا بل انا واياكم متساوون في الضلال والاضلال في استحقاق
العذاب بهما فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون كما نحن نذوقه بما كنا نكسب فليس هذا
القول منهم تشفيا كيف والمقام لا يحتمل الاخبار عن حال فيها نوع سرور لهم ان الذين
كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها قد سبق تفسيره لا تفتح لهم اي لادعيتهم واعمالهم
ولارواحهم كما تفتح للمؤمنين فهو بمنطوقه وعيد للكفار وبمفهومه وعد
للمؤمنين اذ لولاه لما كان وعيدا لهم والحاجة الى صيغة الجمع في قوله ابواب السماء
لمصلحة المفهوم اذ لا حاجة اليها في المنطوق وقرئ تفتح بالتشديد لكثرة الابواب
وبالبناء للفاعل على ان الفعل للآيات وبالياء على انه لله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج
الجمل الولوج التقحم في الشيء وانما خص الجمل من جنس البعير بالذكر لانه اكبر و
اصلب من الناقة في سم الخياط في ثقبة الابرة وهو من باب التعليق بالمحال اذ المعنى
لا يدخلون الجنة حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم فيما هو مثل في ضيق المسلك وذلك
مما لا يكون ابدا فكذا ما علق به وقرئ الجمّل كالقمّل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنصب
والجمل كالحبل وهي الحبل الغليظ وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وفي سم المخيط
وهو والخياط ما يخاط به كالحزام والمحزم وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين
اي الكافرين الموصوفين بالجرم الكامل وانما وضع المجرمين موضع الضمير تسجيلا على
المكذبين بالاجرام وايذانا بان الاجرام هو السبب الموجب للحرمان الموصل الى العقاب
المؤبد في النيران ولذلك الجزاء وسجل عليهم بالظلم تأكيدا لهم من جهنم مهاد جمع مهد
وهو الفراش الذي يفترش ومنه مهد الصبي وتمهيد الامور تسويتها واصلاحها
فهو على طريقة قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم ولهذا اي لما في لفظ المهاد من التهكم آثر على
لفظ الفراش مع ما فيه من صنعة التجنيس اعتبارا لجانب المعنى وترجيحا للمزية
المعنوية على اللفظية ومن فوقهم غواش جمع غاشية وهي لباس مجلل والتنكير
فيها وفي مهاد للتعظيم والتهويل ولما كان في المهاد اختصاص بجهة التحت بخلاف
الغاشية فانها خلو عن الاختصاص بجهة وكان المراد التغطية من جهة الفوق فلا جرم
احتيج الى قوله من فوقهم دون من تحتهم ظلل لقيام الحاجة الى تعيين الجهة في
الموضعين قوله ومن تحتهم ظلل يرشدك الى ارادة معنى جمع من المهاد وكذلك
نجزي الظالمين انفسهم بالاصرار على عدم الايمان والاستكبار عن الاذعان والذين

آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدأ والخبر
للاشارة اولا الى ان المذكور في معرض الشرط الاعمال التكليفية وثانيا الى انه غير
معتبر في حق غير المكلفين والمعذورين اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون على
عادته تعالى في ان يشفع الوعد بالوعيد واولئك اشارة الى الذين استحقاق الخلود في
النعيم بسبب اتصافهم بالايمان والاعمال الصالحة مع سهولتها وتعظيم لشأنها ونزعنا
ما في صدورهم من غل النزع رفع الشيء عن مكانه المتمكن فيه اما بتحويله عنه واما باعدامه
والمراد هنا هو الثاني والغل الحقد الذي ينسل بلطفه الى صميم القلب ومنه الغلول وهو
الوصول بالحيلة الى دقيق الخيانة والصدر ما يصدر منه جهة التدبير والرأي ومنه
قيل للرئيس الصدر تجري من تحتهم الانهار زيادة في حبورهم وسرورهم النهر المجرى
الواسع من مجاري الماء ومنها النهار لاتساع ضيائه والجريان الحركة المائعة وقالوا
الحمد لله الذي هدانا لهذا بالدلالة الى ما يوصلنا اليه من الايمان والعمل الصالح وما كنا
لنهتدي لولا ان هدانا الله زيادة اللام لتأكيد النفي اي وما كان يصح ويستقيم
لنا ان نكون من المهتدين اي الى ذلك مع يسره لولا هدايته تعالى وتوفيقه وجواب
لولا محذوف دل عليه ما قبله وقرئ ما كنا بغير واو على انها جملة مبينة للاولى وعلى القراءة
المشهورة اعتراضية للتأكيد لقد جاءت رسل ربنا بالحق فاهتدينا الى هذا بارشادهم
وهو كلام وارد على سبيل الاعتبار والتبجح بما قالوا والسرور بما شاهدوا ونودوا ان
تلكم الجنة اورثتموها النداء الدعاء على طريقة يا فلان كانه قيل لهم يا ايها المؤمنون وان
هي المخففة من الثقيلة تقديره بانه والضمير ضمير الشأن او المفسرة لان النداء في معنى
القول والجنة صفة تلكم وهي مبتدأ خبره اورثتموها او الجنة خبره واورثتموها حال
والعامل معنى الاشارة في تلكم اي مورثة لكم والاشارة بتلك لقصد التعظيم وانما سماها
ميراثا لانها ليست مما يستحق بالعمل بل هو محض فضل الله ووعده على الطاعة كالميراث من
الميت لا يكون عوضا مستحقا عن شيء بل هو عطية خالصة ففيه سامع الى عن المبادر الى
الفهم من الباء السببية في قوله بما كنتم تعملون من ان يكون تلك الاعمال اسبابا حقيقية
فما يعطى لهم في الدار الآخرة فان سببيتها له انما هي بحكم الوعد وهذه طريقة بليغة سمعنا (ها)
في بعض رسائلها المعمولة في اسرار البلاغة بالتقدم بالحفظ وهي ابلغ طريقة التدارك وقد
غفلوا عنها القوم ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار قدر ان نادى معناه دعاء غير انه
في النداء معنى امتداد الصوت ورفعه وليس كذلك الدعاء لانه قد يكون بعلامة كالاشارة
من غير صوت ولا كلام والصاحب هو المقارن على نية طول المدة والصحبة والمقارنة
نظيران الآن في الصحبة الارادة ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ان في المواقع الاربعة

محتملة لوجهين كما مرّ آنفا وجدنا من الوجود وحقا مفعوله الثاني او من المصادفة
وحقا حال فهل وجدتم ما وعد الوعد عند الاطلاق ينتظم الخير والشر بخلاف الوعيد
فانه مختص بالثاني ربكم حقا انما قالوا تبجحا بحالهم وتحسيرا لاصحاب النار ولذلك
ذكر مفعول وعد في الاول وترك في الثاني فان اهل الجنة يستبشرون بحصول موعودهم
فذكروا ما وعدهم الله تع مضافا اليهم واطلقوه حين سئلوا اهل النار ليشمل
كل موعود من البعث والحساب والثواب والعقاب وساير ما في احوال القيامة من
الاهوال تنبيها على تكذيبهم بامور كثيرة ليست مخصوصة بهم ساءهم كلها ويجوز
اجابتهم بنعم تصديقا بجميع ما وعد الله تع بوقوعه في الآخرة للصنفين واعترافا منهم
بحصول موعود المؤمنين ليتحسروا عليها فانهم من نعيمهم اذ نعيم اهل الجنة مما
يحزنهم ويزيد في عذابهم قالوا نعم وقرئ نعم بكسر العين فرقا بين نعم التي هي جواب
وبين نعم التي هي اسم للابل والبقر والغنم فاذن مؤذن ابهمه للتنكير ونكره للتعظيم وهو
ملك ينادي بامر الله تع نداء يسمع اهل النار زيادة في تحسيرهم فمعنى بينهم بين القائلين
نعم ولو كان المعنى بين الفريقين لقيل بينهما كما قيل وبينهما حجاب ان لعنة الله على الظالمين
اي الكفار باطلاق اسم الجنس على الفرد الكامل بدليل قوله تع وهم بالآخرة كافرون
قرئ ان بالتشديد والنصب وقرئ بالكسر على ارادة القول او اجراء التأذين مجراه الذين
يصدون عن سبيل الله صفة مقررة للظالمين او نصب على الذم او رفع عليه والصد
الصرف عن الخير خاصة ويبغونها اي ويبغون لها والضمير للسبيل وهو يذكر ويؤنث عوجا
العوج بالكسر في المعاني والاعيان ما لم يكن منتصبة وبالفتح في المنتصبة كالحائط والرمح
اي يطلبون لها زيغا وميلا الى الباطل وهم بالآخرة كافرون اي كانوا بها جاحدين
مناداة الفريقين منبئة عن القرب بينهما ومظنة ان يتوهم وصول روح اهل الجنة
الى اهل النار وقبحها الى اهل الجنة دفعه بقوله وبينهما اي بين الفريقين لا بين الدارين
لانه قال في موضع آخر بينهم حجاب هو الحاجز المانع عن الادراك والمراد هنا السور المذكور
في قوله فضرب بينهم بسور وعلى الاعراف اي اعراف الحجاب وهو اعاليه جمع عرف
هو ما ارتفع من الشيء فانه بارتفاعه وظهوره اعرف من غيره ومنه عرف الديك رجال
قوم علت درجاتهم كالانبياء والشهداء او خيار المؤمنين او ملائكة يرون في صورة
الرجال وقيل جمع قصروا في العمل وتساوت حسناتهم وسيئاتهم وبابهما عبارة
الرجال لان الامر المذكور لا يختص بالذكور يعرفون كلا من اهل الجنة والنار بسيماهم
بعلامتهم التي اعلمهم الله تع بها كبياض الوجه وسواده فعلى من سام ابله اذا ارسلها
في المرعى معلمة او فعلى من وسم على القلب كالجاه من الوجه وقد دل الباء السببية على انهم

يعرفونهم بالامارات الظاهرة فلا وجه لما قيل وعرفانهم ذلك يجوز ان يكون بالالهام
من الله تع او بتعريف الملائكة ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم اي اذا نظروا الى
اهل الجنة نادوهم بالتسليم عليهم وقد دل على هذا تمام الكلام فلا حاجة الى تقدير
لم يدخلوها استيناف او صفة الاصحاب اي لم يدخلوها بعد وفيه دفع ما يتبادر
الى الفهم عبارة اصحاب الجنة ودفع وهم مخالفته لما يأتي من قوله ادخلوا الجنة وهم
يطمعون حال منهم والطمع توقع المحبوب ونقيضه الياس وهو القطع بعدم حصوله
واذا صرفت ابصارهم الصرف امالة الشيء من جهة الى اخرى تلقاء اصحاب النار اي
حذائهم ومن جهة اللقاء تفعال استعمل ظرف مكان وفيه دلالة على ان نظرهم الى اهل الجنة
نظر رغبة وارتضاء واما نظرهم الى اهل النار فليس كذلك بل لا ينظرون اليهم لكراهتهم
ونفرتهم منهم ولا يتأتى منهم النظر اليهم طوعا حتى كان صارفا صرف نظرهم اليهم
كرها ليعلموا قدر ما هم فيه ولهذا كان الاول مقابلا بالتسليم والثاني بالاستعاذة
قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين استعاذوا بالله تع من مصاحبتهم صريحا و
في ضمنها الاستعاذة من النار ولا يخفى ما في هذا الاعتبار من تقديم الفرار من عذاب
صحبة الفجار على الفرار من عذاب النار بناء على ان الاول روحاني والثاني جسماني والروحاني
اشد ايلاما ونادى اصحاب الاعراف رجالا من رؤس الكفرة واعيان الكفرة يعرفونهم
في الدنيا بسيماهم المعهود عندهم فهذه معرفتهم باشخاصهم وما سبق معرفتهم من حيث
انهم من اهل الجنة او من اهل النار قالوا ما اغنى عنكم استيناف لبيان ما نودي به جمعكم
كثرة جندكم واعوانكم وجمعكم المال وما في ما اغنى استفهامية للتوبيخ والتقريع ويجوز ان
يكون نافية وفي وما كنتم مصدرية اي وكونكم تستكبرون عن الحق او على الخلق وقرئ تستكثرون
بالثاء المثلثة اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم للرجال والاشارة
الى فقراء اهل الجنة والخطاب لرؤساء الكفرة الذين كانوا يستهينون بهم ويفتخرون
يقسمون ان الله لا يدخلهم الجنة وقد تم قبيل ادخلوا الجنة لما اشاروا اليهم بهؤلاء
لرؤساء الكفرة قالوا لهم اخبارا من الله تع ملتفتين اليهم ادخلوا الجنة وقرئ ادخلوا
على البناء للمفعول وقرئ دخلوا على الاستيناف والتقدير ادخلوا او دخلوا مقولا لهم
لا خوف عليكم فيما يأتي ولا انتم تحزنون على ما فات وفيه تعريض اصحاب النار بانهم
يحزنون ونادى اصحاب النار اي الكفار على ما ستقف عليه اصحاب الجنة ان قلت كيف
النداء وبينهما حجاب قلت لعل في الجنة كوى ينظر اهلها منها الى اهل النار ان افيضوا
من الفيض وهو السيلان عن الامتلاء ولما فيه من معنى الاحسان قالوا علينا اي اصبوا
علينا مما زاد منكم من الماء فلا دلالة فيه على ان الجنة فوق النار او من فضله ما رزقكم

الله من نوع آخر من جنس المشروب وانما خصهم بالطلب لما بهم من غلبة العطش
وشدة الحرارة ولهذا اتوا باداة التنويع ولو كان المراد الطعام لما عدلوا عن
العطف باداة الجمع اذ لابد لهم من طلب الماء، ولما كان في سؤالهم وما دل على ان التماسهم
من الفضلة وما لا حاجة لهم به وكان الامتناع عن الاجابة في مثله مظنة البخل اجابوا
بما يندفع به هذا الوهم ثم انهم عدلوا عن الجواب بالمنع الصريح الى ذكر سببه محافظة
لجانب الكرم مهما امكن وقطعا لاطماعهم على وجه احسن قالوا ان الله حرمهما على الكافرين
لم يقل عليكم تضمينا لمعنى التعليل وتعميما للجواب لغير السائلين من جنسهم منعهما
لغيره والتحريم المنع وتعديته بعلى كتعديته الشهادة بها كما في قوله ع وحرمنا عليه المراضع
من قبل ولا خفاء في ان المنع اللغوي ابلغ من التحريم الشرعي فلا وجه لما قيل منعهما
عنهم منع المحرم عن المكلف الذين اتخذوا دينهم الاتخاذ اخذ الشيء باعداد الامر من
الامور ولا يخفى لطف موقعه ههنا من حيث تضمنه الاشارة الى ان حق الدين اتخاذه
والاهتمام بشانه دون الهزل واللعب فكان فيه نعي لهم بتقبيح صنيعهم لهوا ولعبا
كتحريم البحيرة والتصويت حول البيت واصل اللهو الانصراف عن الشيء والمراد به ما ينصرف
اليه مما لا معنى واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب به واشتقاقه من اللعاب وهو المرور
على غير الاستواء وغرتهم الحيوة الدنيا التغرير تزيين الباطل للوقوع فيه فاليوم
ننساهم نفعل بهم فعل الناسين بتركهم في النار ترك المنسي كما نسوا لقاء يومهم
هذا كما فعلوا به فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له ولم يهتدوا به والمراد من اليوم
الواقعة ولهذا اضافه اليهم وما كانوا باياتنا يجحدون معطوف على ما نسوا وما فيهما
مصدرية والكاف في كما للتعليل اي نسيانهم زيادة تعظيم له فصلناه اي جعلناه فصولا
من اصول الامور الدينية والدنيوية على علم عالمين كيف يجب ان يفصل حتى جاء حكيما و
قرئ فضلناه اي رجحناه على ساير الكتب عالمين بوجه رجحانه وانه حقيق بذلك هدى
ورحمة لقوم يؤمنون حال من الهاء او مفعول له اي لاجل هدى هل ينظرون اي ما ينتظرون
والانتظار هو الاقبال على ما ياتي بالتوقع وانما قيل لهم منتظرون ان كانوا جاحدين
لانهم بمنزلة المنتظر في انه ياتيهم لا محالة اتيان المنتظر الا تاويله الا تاويل ما يؤول اليه حال
الشيء يوم ياتي تاويله اي يتبين صدقه بظهور ما نطق به الوعد والوعيد يقول الذين
نسوه من قبل تركوه ترك الناسي قد جاءت رسل ربنا بالحق اي قد تبين انهم جاؤا
بالحق وظهر ما اخبروا عنه فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم حذف النون للنصب
جوابا للتمني او نرد اي وهل نرد الى الدنيا وجوابه فنعمل وقرئ او نرد بالنصب عطفا على
فيشفعوا اي فيشفعوا لنا او فنرد او جعلا لاو على معنى الى ان اي فيشفعوا حتى نرد فنعمل

وقرئ بنصب نرد ورفعه اي فنحن نعمل فالمعنى على الرفع تمني الشفاعة او الرد وعلى
الاول وجهي النصب تمني الشفيع للشفاعة بدون الرد وللرد على انهما غاية الشفيع
للشفاعة مفضيا الى الرد وسببا ووسيلة اليه غير الذي كنا نعمل من الكفر والمعاصي قد
خسروا انفسهم في الدنيا بابطال استعدادهم فلا يجدي الرد على ما افصح عنه في قوله ولو
ردوا لعادوا لما نهوا عنه استيناف لبيان حالهم على وجه يتضمن الحكمة وعدم استجابتهم
وضل اي وغاب عنهم في الاخرة ما كانوا يفترون ما كانوا يعبدونه من الهتهم ان ربكم
الله اي ليس ربكم ومدبركم وحده فغلطكم ما عبدتموه من الاصنام والكواكب والملائكة و
الجن بل كل ذلك مربوب ومخلوق ومحتاج الى مدبر بل ربكم وخالقكم وحافظكم الله الذي
خلق السموات والارض وما بينهما على ما بينه في موضع آخر جعل الخبر موصولا لبناء على
كون ذلك معهودا عند السامع ومفروغا من تحقق النسبة والعلم في ستة ايام في
صحيح مسلم عن ابي هريرة رض قال اخذ بيدي رسول الله صلعم فقال خلق الله التربة يوم
السبت وخلق الجبال فيها يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق الظلمات يوم الثلثا
وخلق النور في اخر ساعة من ساعات يوم الجمعة فيما بين العصر الى الليل والمراد منه
اليوم مقدار دورة العرش من الزمان ثم استوى على العرش استوى عليه بالتاثير في
ايجاد الاشياء باثبات صورها عليه قصدا مستويا من غير ان يلوي الى شيء آخر
فهو شانه الذي عليه كل يوم ولما ذكر الاستواء على العرش وهو اخبار عن نفاذ
امره وكمال ملكه والى تدبيره بين ذلك في عيان يغشي الليل النهار اي يغطيه به ولم
يذكر عكسه للاتي اللفظ يحتملهما اذ لابد من ارادة احدهما على التعيين بل العلم به يطلبه
حثيثا من الحث وهو الحمل على السرعة حال من الليل تقديره حاثا او محثوثا والمراد
من طلب الليل النهار معاقبته اللازم فكانه طالب له لا يدركه بل هو في اثره بحيث يكاد
يدركه والشمس والقمر والنجوم عطف على السموات مسخرات حال منها بامره متعلق بمسخرات
وقرئ كلها بالرفع على الابتداء والخبر الا له الخلق والامر اي هو الذي اوجد الاشياء
وصرفها بارادته كيف يشاء جملة اعتراضية مبينة لما ذكر من التوحيد كالمقصود منه
ولذلك صدرها بحرف التنبيه وقدم فيها الظرف للتخصيص ايذانا بان اهم الاشياء
اعتقاد التوحيد في الخلق والتدبير تبارك الله رب العالمين اي فذلك هو الرب للجميع
لا رب سواه فليجب تعظيمه اعراض لحزليان تعظيمه بالوحدانية في الالوهية والربوبية
للكل اي تعاظم الواحد الموجد للكل المتعرف فيه بالربوبية وتوجيهه ان الكفرة كانوا
يتخذون اربابا فدعاهم الى التوحيد بالحكمة والحجة وصدر الاية بان لاتخاذهم فقال
ان ربكم المستحق للربوبية ليس الا واحدا وهو الله الموجد للكل على الترتيب المحكم المتقن

الدال على العلم والحكمة والقدرة الذى انشاء ملكه على ما بشاهد ثم عمد الى تدبيره
كالملك المتمكن فى مملكته لتدبير ملكه فصرف الدهر على ما نرى من تصريف الملوين و
سخر الاجرام السماوية بامره ونفذ امره بقضائه وقدره ثم صرح بما هو فذلكة التقدير
فى بيان التوحيد بالجملة الاعتراضية الاولى وافصح عن المقصود من التركيب كالنتيجة
بالجملة الاعتراضية الثانية ثم امرهم بتخصيصه بالعبادة والدعوة متضرعين
متذللين ذوى خفية بقوله ادعوا ربكم تضرعا التضرع التذلل وهو التكلف
فى اظهار الذل الذى فى النفس وخفية كيلا يشوب الدعاء معنى الريا والاخفاء
اغماض الشئ بحيث لا يقع عليه الادراك وفى التعبير عن قسم الدعاء خفية بما
ذكر اشارة الى الدعاء جهرا انما يصلح مامورا به اذا كان مقرونا بالاستكانة و
التذلل انه لا يحب المعتدين لتعليل ما قدمه عبارة واشارة والاعتداء تجاوز
الحد الذى لا ينبغى تجاوزه اى ان الله تع لا يحب المجاوزين ما امروا به فى كل شئ
من الدعاء وغيره وفيه تنبيه على انه لا ينبغى الصياح فى الدعاء والاسجاع فيه
وطلب ما لا يليق ولا تفسدوا فى الارض بالكفر والمعاصى بعد اصلاحها ببعث الانبياء
وشرع الاحكام وادعوه خوفا وطمعا خائفين عقابه طامعين فى ثوابه والخوف
هو الانزعاج بما لا يؤمن من المضار والطمع توقع المحبوب وانما قدم الخوف لانه
اهم ان رحمة الله قريب من المحسنين استيناف لتعليل ما قدمه من القيدين
عبارة واشارة اما الاول فظاهر فان الاخبار للتاكيد عن قرب رحمته
مطمع واما الثانى فلان اشتراط الاحسان هو وراء الايمان والاسلام مظنة الخوف
لعامة المؤمنين وقد قال كثير من العلماء ينبغى ان يغلب الخوف على الرجاء طول الحيوة
فاذا جاء الموت غلب الرجاء ومن هنا اتضح وجه آخر لتقديم الخوف على الطمع وتذكير
قريب لان تاويل الرحمة بالرحم او الترحم او لاكتسابها التذكير من المضاف اليه كما ذكروا
فى قراءة ما ان مفاتحه لتنوء بالياء التحتانية او لكونه صفة محذوف اى شئ قريب
او على تشبيهه بفعيل بمعنى مفعول او بفعيل الذى هو مصدر كالنقيض وللفرق
بين القريب من النسب والقريب من غيره واما التذكير لكون التانيث غير حقيقى
فوهم لوجوب التانيث فى نحو الشمس طالعة والموعظة نافعة وهو الذى يرسل الرياح
وقرئ الريح على الوحدة والاول اولى لان الغالب استعمال الجمع فى الرحمة واستعمال المفرد
فى العذاب ولهذا قال عم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا نشرا بضمتين جمع
نشور بمعنى ناشر ونشرا بتخفيف نشر كرسل ورسل ونشرا بمعنى منشورات فعل
بمعنى مفعول ونشرا بفتح النون على انه مصدر فى موقع الحال بمعنى ناشرات او مفعول

مطلقا فان النشر والارسال متقاربان وبشرا جمع بشير وبشرا بتخفيفه وبشرا
بفتح الباء مصدرا من بشره بمعنى بشره وبشرى بين يدى رحمته امام نعمته و
هى الغيث الذى هو من اهم النعم واتمها نفعا وقد سبق فى عبارة ما فى بين يدى
من الدلالة على القرب ولهذا يؤثر على عبارة الامام والقدام قيل ان الصبا تثير السحاب
والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه حتى اذا اقلت حملت ورفعت و
اشتقاق الاقلال من القلة لان الرافع المطيق يرى ما يرفعه قليلا سحابا ثقالا بالماء
جمعه لان السحاب جمع سحابة سقناه الضمير للسحاب على اللفظ ونسب السوق
اليه تعالى بنون العظمة التفاتا لما فيه من عظم المنة وجليل النعمة لبلد اى لاجله ولاجل
ان يصل له بل يكفى ان يكون وصوله لما وصل له لمصلحة فينتظم السوق الى الجبال و
الاودية ومن هنا ظهر وجه مزية اللام ميت استعير الموت لجدبه وعدم انباته
لانه من حيث عدم الانتفاع به كالجسد الذى لا روح فيه فانزلنا به اى بالبلد او
بالسوق او بالسحاب والباء للسببية وعلى الاول يحتمل الظرفية والالصاق الماء
المعهود وهو ما تقل به السحاب فاخرجنا به اى بالماء لانه اقرب لفظا ومعنى لا
الى البلد على ان الباء للظرفية لقوله من كل الثمرات فان جميع انواعها لا تخرج فى
البلد وقوله وهو الذى انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شئ صريح
فى المعنى الاول والقران يفسر بعضه بعضا كذلك اى مثل ذلك الاخراج هو اخراج
الثمرات نخرج الموتى من الاجداث قال الكلبى وذلك اذا مات الناس كلهم مطرت
السماء اربعين يوما كمنى الرجال فينبتون فى قبورهم بذلك المطر كما ينبتون
فى بطون امهاتهم ثم يخرجون فى النفخة الآخرة وبينهما اربعون سنة لعلكم
تذكرون فتعلمون ان من قدر على هذا قدر على ذلك والبلد الطيب الارض
الكريمة التربة وتخصيص البلد بالذكر لانه اصلح منبتا على ما نبه عليه فى الخبر
المأثور وهو قوله الرجال من القرى ولهذا اسقط فى مقابلة يخرج نباته باذن
ربه بتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه لانه اوقعه فى مقابلة والذى
خبث السبخة التى لا تنبت ما ينتفع به لا يخرج الا نكدا النكد الذى لا خير فيه و
نصبه على الحال تقديره لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه
وهو الضمير المجرور مقامه فانقلب مرفوعا مستكنا لوقوعه موقع الفاعل
او تقديره ونبات الذى خبث وقرئ يخرج من اخرج فيكون نكدا مفعولا وقرئ
نكدا بفتح الكاف على المصدر اى ذا نكد ونكدا باسكانها للتخفيف كذلك مثل ذلك
التصريف والترديد نصرف الايات نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله

بيان ماده

ويتفكرون فيها ويعتبرون بها والآية مثل لمن تدبر الآيات وانتفع بها ولمن لم يرفع
إليها رأسا ولم يتأثر بها لقد أرسلنا نوحا جواب قسم محذوف ولا يكاد يقع هذه
اللام إلا مع قد لأن الجملة القسمية مظنة التردد ونوح عم أول من شرعت له الشرائع
وسنت له السنن وليس بينه وبين إدريس عم نبي وإنما قال إلى قومه لأن بعثته
كانت مخصوصة كبعثة سائر الأنبياء عم غير نبينا عم فإن بعثته عامة خاصة
ولا ينافي هذا قول نوح عم رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا لأن من لم يجبه
له دعوته لا بد قبل تحت هذا الدعاء فقال يا قوم أي ههنا بالفاء الدالة على التعقيب
بدون الإمهال دلالة على الاستعجال في الامتثال اعبدوا الله أي وحدوه وأفردوه
بالعبادة لتفرده بالألوهية ما لكم من إله غيره بيان لوجه اختصاص بالعبادة
وقرئ غيره بالجر على اللفظ والرفع على المحل كأنه قال ما لكم إله غيره وبالنصب
على الاستثناء أي ما لكم من إله إلا إياه إني أخاف عليكم وعيد وبيان للداعي إلى
عبادته تع وموقعها الاعتراض عذاب العذاب هو الألم الجاري على الاستمرار يوم عظيم
هو يوم القيامة أو يوم نزول العذاب وهو الطوفان قال الملأ الملاء الجماعة الشريفة لأنهم
يملئون النفس والعين بجلالهم وجمالهم على أنه مأخوذ من الملاءة ويحتمل أن يكون مأخوذا
من تمالاء القوم على أمر أي توافقوا ومنه قول علي رضه ما مالأت عثمان ولا مالأت
في دمه والملاء صفة غالبة وجمعه أملاء وليس من باب رهط إن كان اسم الجمع لأن
رهطا لا واحد له من لفظه وملاء يوجد من لفظه مالي قال أحمد بن يحيى المالي الرجل
الجليل الذي يملاء العين فيكون ككاذب وخادم فإن اسم جمعهما كذب وخدم من قومه
القوم الجمع الذين يقوم بالأمر لأسوة فيهم وفائدة التقييد بالوصفين تحقير المسند
إليه عن ناقصات العقول كيلا يتوهم أن هذا القول صدر عن بعض ضعفائهم في العقل
والرأي وإسناده إلى الكل إسناد فعل واحد إلى الجماعة إنا لنريك استعار ورؤية للعلم
بلا شبهة لادعوى الظهور في المعلوم في ضلال متمكنا فيه والضلال الذهاب عن صوب
الصواب والتنكير للتعظيم مبين بالغ فيه كيفا بعد ما بالغ كما قال يا قوم إضافة
إلى النفس تمهيد لما يأتي من دعوى الإخلاص والإمحاض ليس بي ضلالة قدم الجار
والمجرور للتعريض لهم به وزيدت التاء للتقليل أي ليس بي أقل قليل من الضلال العظيم
الظاهر وما يتخايل من أن نفي الماهية أبلغ لأن نفي الشيء مع قيد الوحدة قد يكون بانتفاء
الوحدة مضمحل بأن الوحدة ليس صفة مقيدة بل اللفظ موضوع للجزء الأول المتحقق
مع الكثرة ولكني رسول استدراك بطريق الكناية كأنه قال ولكني رسول على حد
كامل في الغاية لأني رسول فأبلغ نصحيكم بالتعريض الذي هو أوقع في البلاغة

وبالكناية التي هي أقوى في الحكاية وأداة ظرفية بأداة الملابسة لأنها أوسع دائرة
فنفي النفي يكون أقطع مما في هذه المقابلة على وجه المقابلة من المبالغة في المقابلة من رب
العالمين فيه إشارة إلى أن رسالته لمصلحة تربيتهم فعقبه إظهار لمكابرتهم وفرط
غباوتهم حيث وصفوا من هو بهذه المنزلة من الهدى الباهر بالضلال المبين
الظاهر أبلغكم استئناف لبيان كونه رسولا والإبلاغ إيصال ما في بيان الأفهام
ومنه البلاغة وهي إيصال المعنى إلى النفس في أحسن صورة من اللفظ رسالات الرسالة
جملة من البيان يحملها القائم بها ليؤديها إلى غيره وإنما جمعها باعتبار تعددها بحسب
الأوقات أو باعتبار تنوعها بحسب المعاني وفي قوله ربي بعد قوله من رب العالمين
إشارة إلى أن في الرسالة تربيتان عامة وهي للمرسل إليهم وخاصة وهي للمرسل
وأنصح لكم النصيحة الدعاء إلى ما فيه الصلاح والنهي عما فيه الفساد ومنه قوله عم
الدين النصيحة والنصح كذلك في خلاف الغش وفي زيادة اللام تأكيد في إمحاض
النصح لهم ومبالغة في أنها خالصة للمنصوح له مقصود بها جانبه لا غير فرب نصيحة
ينتفع بها الناصح أيضا وأعلم من الله ما لا تعلمون وعيد وتقرير لما في قوله عليكم عذاب
يوم عظيم أي أعلم من قدرته وشدة بطشه أو من جهة بالوحي أشياء لا تشعرون
لكم علم أوعجبتم الهمزة للإنكار والواو للعطف على محذوف تقديره أكذبتم وعجبتم
والعجب تغير النفس بما خفي سببه وخرج عن العادة مثله أن جاءكم ذكر موعظة من
ربكم كل ما يأتي من الله تع فله حكم الذكرى فكان جاءكم معناه نزل فحسن أن يقال
على رجل ولا حاجة إلى تقدير لسان منكم من جنسكم فإنهم كانوا يتعجبون من إرسال
البشر ويقولون لو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين أي بإرسال
البشر وإنما لم يقل على بشر بل أثر الإطناب على الوجه المذكور بما ذكر لأن المناسب لإنكار
تعجبهم أي يبين مجيء الرسالة على مقتضى الحكمة وهو أن يكون الرسول من جنسهم ولا
يكون أنثى ولا صغيرا لينذركم ليحذركم عاقبة الكفر والمعاصي اكتفى بأحد القرينين
عن الآخر وإنما خص الإنذار بالذكر دون الإبشار لأنه أعم وأهم ولتتقوا و
ليوجد منكم التقوى ولم يعتبر سببية الإنذار له والأول فتتقوا ولعلكم ترحمون
لتقواكم والعطف بالواو دون الفاء للتنبيه على أن الترحم من الله تع تفضل لا يوجبه
التقوى فهو في بقعة الإمكان وكلمة الترجي لترجيح جانب الوقوع حتى يزداد الرغبة
في تحصيل التقوى ولا يعتمد عليه كل الاعتماد فكذبوه فأنجيناه الفاء فصيحة
وقد ذكر ما حذف هنا في موضع آخر ولكان تقول في الوصل بينهما بأداة التعقيب
تنزيل للتكذيب منزلة العذاب الذي ترتب عليه ولا يخفى ما فيه من التهويل

والتعظيم لامر التكذيب والذين معه من البشر وساير انواع الحيوان وفي العبارة
المذكورة اشارة الى ان نجاتهم بسبب متابعتهم وبركة مصاحبتهم فقوله
في الفلك متعلق بمعه اى الذين صحبوه في الفلك واشتقاقه من فلك ثدى المرأة
اذا استدار سميت السفينة فلكا لانها تدور على الماء كيفما ديرت واغرقنا
الاغراق الغوص المتلف في الماء الذين كذبوا بآياتنا كان اغراقهم بسبب تكذيبهم
على ما اشير اليه واغراق ساير الحيوان بشوم معاصيهم انهم كانوا قوما عمين
استيناف على سبيل التعليل وانما قال قوما على تغليب الذكور على الاناث تنبيها
على تبعيتهن للرجال في الضلالة الكاملة بسبب كونهم عمى القلوب غير مستبصرين
وقرئ عامين والاول ابلغ لدلالته على الثبات والى عاد اخاهم عطف على
نوحا الى قومه وهم قوم سموا باسم ابيهم وهو عاد بن عوض بن آدم بن
سام بن نوح عم ومعنى اخاهم نسيبهم وانما جعل منهم لانهم افهم لمقالة
واعرف بحاله وارغب في اقتدائه هودا عطف بيان لاخاهم قال يا قوم
استيناف على تقدير سوال سايل فما قال لهم فقيل قال يا قوم وكذا
جوابه فان قلت ما وجه اختصاص قول نوح عم بالعطف والربط اللفظي
وقول هود عم بالاستيناف والربط المعنوى قلت قصة نوح عم ابتداء
كلام فليس مظنة ان يقال افقال هود مثلما قال نوح ام لا اعبدوا الله ما لكم
من اله غيره قد سبق تفسيره افلا تتقون عاقبة الشرك الهمزة للانكار والفاء
للترتيب على ما تقدم من موجب التوحيد فهى مقدمة على الهمزة معنى وان اخرت
عنها لفظا حمايةً لها على حق صدارتها وكانهم كانوا واقفين على نزول العذاب
على مشركى قوم نوح عم لقرب عهدهم منهم فلهذا انكر عليهم بهذه الصيغة
وقال الملاء الذين كفروا من قومه التقييد بالذين كفروا للتنبيه على ان اشراف قومه
من آمن به كمرثد بن سعد الذى اسلم وكتم ايمانه ولا مساغ لهذا التنبيه في
قصة نوح عم ولهذا لم يذكر ذلك القيد ثمه واما ذكره فيها في سورة المؤمنين
فلانه والتمييز وان كان في معرض اللزوم فلا كذلك الزام انا لنريك في سفاهة
متمكن في خفة عقل راسخا فيها حيث خالفت اشراف قومك واسلافك ولما كان
هذا تخطئة في قوله ولا علم عندهم بحقيقة الحال انما تمسكهم فيه التقليد
بآبائهم قالوا وانا لنظنك قال يا قوم ليس بى سفاهة الكنى بنفى السفاهة
ايماء الى ان الاقدام على الكذب في مثل هذا الامر الخطير لا يخلو عن نوع سفه فنفيه
راسا يغنى عن نفى الكذب ولكنى رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربى

وانا لكم ناصح امين او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم
قد سبق تفسيره وفي اجابة الانبياء عم اممهم المكذبين عن كلماتهم الحمقى بما اجابوا
به والاعراض عن مقابلتهم كمال الشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة وكرم الخلق
اذ قال لهم اخوهم نوح من سورة الشعراء ليقتدى بهم المؤمنون في آداب المناظرة
والمعاشرة مع الخلق وفي قوله وانا لكم ناصح امين تنبيه على انه مشهور فيما بينهم
بالنصح والامانة واذكروا احذرهم من انتقام الله تع ثم ذكرهم بانعامه اذ جعلكم
مفعول به لا ظرف اى اذكروا ذلك الوقت خلفاء من بعد قوم نوح اى خلفتموهم
في مساكنهم او في الارض او جعلكم ملوكا فان منهم شداد بن عاد وزادكم في الخلق
بسطة في القامة والقوة والبدانة وهم تعميم بعد تخصيص فاذكروا آلاء الله اى
فاشكروا على نعم الله تع فان الذكر هنا كناية عن الشكر لان الذكر حقيقة لا يتخلف
عن التذكر فلا حاجة للامر به بعده بل لا حاجة وجه التفريع عليه نعم الله تع وفي
الكناية بالذكر عن الشكر تنبيه على ان هذه النعم يجب بمجرد ذكرها الشكر عليها
فتذكيرها غنى عن الحث على الشكر عليها لعلكم تفلحون لعل الشكر عليها يفضى الى الفلاح
قالوا اجئتنا كان له عم مكان يتحنث فيه معتزلا عن قومه كما كان لرسول الله عم
حراء فلما اوحى اليه جاء قومه يدعوهم ويحتمل ان لا يراد حقيقة المجئ ولكن التعرض
بذلك والقصد كما يقال ذهب يشتم ولا يراد حقيقة الذهاب كانهم قالوا افتعنا
لنعبد الله وحده وتعرضت لنا بتكليف ذلك ونذر ما كان يعبد آباؤنا انكروه واستبعدوا
اختصاص الله تع بالعبادة والاعراض عن الالهة التى اعتكف عليها آباؤهم
حبا لما نشأوا عليه والفا لما صادفوا اسلافهم يتدينون به فاتنا بما تعدنا ان
كنت من الصادقين استعجال منهم لما خوفهم منه من العذاب تكذيبا قد وقع قد
حق ووجب عليكم او على جعل المتوقع الذى لا بد من وقوعه بمنزلة الواقع من ربكم
رجس عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب وغضب ارادة انتقام اتجادلونني
في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم اى اسماء بلا مسميات لانكم تسمونها آلهة و
استحالة فيها معنى الالوهية ما نزل الله بها من سلطان بهم لان المستحيل لا يمكن اثباته
بالحجة ولا نزول الوحى به فجمع بينهما اظهارا لغرطها لنهم فانتظروا اى لما تبين
الحق وانتم مصرون على العناد فانتظروا العذاب انى معكم من المنتظرين هذا غاية في
التهديد والوعيد ونهاية في الوثوق بما يحل بهم وانه كاين لا محالة فانجيناه الفاء
فصيحة وما حذف هنا مذكور في موضع آخر والانجاء التخليص من الهلاك واصله النجوة
وهى الارتفاع من الارض والذين معه اى الذين اتبعوه برحمة منا عليهم لا بقوة

وتدبيرهم فيه اشارة الى ان هودا عم مع رتبته في النبوة ودرجته في الرسالة
انما نجا برحمة من الله ليعلم ان النجاة لا تكون باستحقاق الذات وباستجاب الصواب منه
العمل وانما تكون بفضل من الله ورحمة ابتداء وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا
قطع دابرهم استيصالهم عن آخرهم لان الدابر الذي يدبر القوم ويأتي خلفهم
فاذا انتهى القطع الى ذلك لم يبق احد وفي قوله باياتنا دلالة على انه كانت لهود عم
معجزات ولكن لم يذكر لنا بخصوصها وما كانوا مؤمنين تعريض بمن آمن منهم كمرثد
وتنبيه على ان الفارق بين من نجا ومن هلك هو الايمان وان النجاة مرتبة عليه
كما ان الهلاك مسبب عن التكذيب كانه قيل فقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا ولم
يكونوا ممن آمن والى ثمود بمنع الصرف اسم القبيلة وقرئ ثمود بالصرف بناء على
الحي او باعتبار الاصل لانه اسم ابيهم الاكبر اخاهم صالحا قال قد سبق وجه
الاستيناف يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة معجزة ظاهرة
الدلالة على صحة نبوتي حيث جاءتكم من ربكم لتصديقه في دعوى النبوة هذه
ناقة الله استيناف لبيانها واضاف الناقة الى الله للتعظيم ولانها وجدت معجزة
من عنده تع من غير اسباب ووسايط معهودة فاضيفت اليه لكم آية نصب على
الحالية ناقة الله والعامل فيها معنى الاشارة ولكم بيان لمن هي له آية وهم ثمود
فان دعوة هود عم كانت مخصوصة لهم فمعجزته كانت لاجلهم ومن وهم انها
كانت معجزة لهم خاصة لانهم عاينوها وسائر الناس اخبروا عنها فقد وهم اذ بعد
ظهور المعجزة الاخبار المتواترة كافية بغير المشاهدين وهو حال عن آية او ناقة
بدل من هذه الناقة ناقة الله والارض ارض الله فذروها تاكل فيها من العشب
فليست الارض ارضكم ولا ما فيها من النبات نباتكم ولا تمسوها بسوء قد سبق ان
في المس اشعارا زايدا على معنى الاصابة وهو تاثر الحاسة به وان سوء العذاب لا قطع
فلا وجه لما قيل نهى عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لانواع الاذى
مبالغة في الامر وازاحة للعذر فياخذكم عذاب اليم جواب للنهي واذكروا اذ جعلكم
خلفاء من بعد عاد ولم يقل من عاد لما بينهما خلا بقيهم عاد بالذات وبوأكم
نزلكم المباءة المنزل في الارض ارض الحجر تتخذون من سهولها السهل ليس فيه
مشقة على النفس من عمل او ارض قصورا القصر هو الدار الكبيرة سوء يكون به
مقصورة قيل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال وتنحتون الجبال اي من
الجبال والنحت النجر والنشر في الشيء الصلب كالحجر والشجر فاذكروا اما مر من ذكر
اللساني وهذا من الذكر القلبي آلاء الله انواع نعمه

من التمكن في الارض والتسخير حتى بنوا القصور وشيدوا المنازل والدكك
مع طول الامال وتبليغ الآجال والمراد الامر بالشكر على تلك النعمة بطريق الكناية
وفيها ايماء الى انها من النعم الجسام التي لا مانع عن القيام بشكرها الا الغفلة عنها
ولا تعثوا في الارض مفسدين قد سبق تفسيره في سورة البقرة قال الملأ الذين
استكبروا اي عن متابعة هود عم لان الاستكبار طلب الكبر فوق القدر حتى يؤدي
صاحبه الى انكار ما دعي اليه من الحق انفة من اتباع الداعي الى الحق من قومه للذين
استضعفوا اي الاستضعاف طلب الضعف بالاحوال التي يعتقد صاحبها عما
يمكن غيره من القيام بالامر وبناء المجهول لانهم غير مقصورين على من استضعفهم
تلك الملأ واستعد لهم لمن آمن منهم بدل من الذين استضعفوا بتكرير العامل
بدل البعض من الكل سواء كان الضمير للذين او لقومه لان من المستضعفين من لم
يؤمن وانما اثر اختلاف المرجعين من حيث انه على الاول لا يكون الاستضعاف
مقصورا عليهم بحكم دلالة اللفظ بخلاف الثاني اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه كلام
قالوه على سبيل الاستهزاء والسخرية به كما تقول للمجسمة اتعلمون ان الله تع فوق
العرش ولهذا لم يقولوا نعم بل اجابوا بما نقل عنهم في قوله قالوا انا بما ارسل به
مؤمنون ايذانا بان ارساله اظهر من ان يشك فيه عاقل او يخفى على فيحتاج الى
السؤال عنه لغاية وضوحه وانارة برهانه انما الكلام في وجوب الايمان به فيخبركم
انا به مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون كان الجواب المطابق
انا بما ارسل به كافرون الا انهم لما عدلوا عن الظاهر بان جعلوا الارسال مسلما معلوما
ماكان جواب الكفرة ايضا معدولا به عن الظاهر اي ليس ما جعلتموه معلوما مسلما
عن ذلك القبيل وايضا لم يريدوا ان يتفوهوا بارسال الرسالة له فعقروا الناقة اسند
الفعل الى الجميع لانهم امروا صاحبهم فتعاطى فعقر على ما يأتي التفصيل في سورة القمر
ومن غفل عن هذا زعم ان الاسناد اليهم للملابسة والعقر الجرح الذي يأتي على اصل
النفس وهو من عقر الحوض وهو اصله وعتوا عن امر ربهم هو ما يبلغه صالح عم
بقوله فذروها وعتوا الامر مخالفته على وجه التهاون به والاستكبار عن قبوله
وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا من العذاب والابهام لقلة الاهتمام ذريعة الى التحقير
في امثال هذا المقام والوعد يذكر في الخير والشر ويعرف بالقرينة عند الاطلاق ان
كنت من المرسلين استعجلوا العذاب اظهارا للجزم في تكذيبهم فاخذتهم الرجفة الزلزلة
المحركة فاصبحوا في دارهم اي في بلدهم ولذلك وحد جاثمين باركين على ركبهم غير
قادرين على الحركة لقوله تع في سورة الذاريات فما استطاعوا من قيام ثم صاروا

كتشبيه المنتظر وهو المذكور في سورة النمل فتولى صالح عم عنهم وقال يا قوم
لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين حكاية حال ماضية
والظاهر انه كان يتولى عنهم حين راى العلامات قبل نزول العذاب تولى ذاهبا
عنهم منكرا لاصرارهم ولوطا اى وارسلنا لوطا اتاتون الفاحشة من اتى المرأة اذا
غشيها انكار وتوبيخ لهم وتقريع على تلك الفعلة المتمادية في القبح واللام في الفاحشة
للجنس كانها الفاحشة على الحقيقة وما عداها ليس من جنسها نظرا الى فحش التفاوت
بينهما في ذلك المعنى ما سبقكم بها من احد من العالمين الباء للتعدية ومن الاولى
زائدة تاكيد النفي والاستغراق والثانية للتبعيض اى ما عملها احد قبلكم قط وهو
جملة استينافية مقررة للانكار وتجهيم اولا باتيان الفاحشة ثم باختراعها فانه اسوء
واخش لعدم المجال للاعتذار بالتقليد انكم لتاتون الفاحشة الرجال بيان لقوله
اتاتون الفاحشة والهمزة مثلها في الانكار والاستقباح كررت لتاكيد الانكار تفصيلا
واجمالا وهي مع ان ابلغ في الانكار وقرئ انكم على الاخبار المستانف وفي التقييد بقوله
شهوة وهي مطالبة النفس بفعل ما فيه اللذة زيادة استهجان ووصف لهم
بالبهيمية الصرفة لا ذم اعظم منه اى لا حامل لكم عليه الا مجرد الشهوة لا طلب النسل
وبقاء النوع الذى هو مقتضى العقل فهو مفعول له او مصدر في موقع الحال اى
مشتهين تابعين للشهوة وقوله من دون النساء نصب حال اى منفردين والمعنى
تتجاوزون الرجال لمجرد الشهوة البهيمية وتكم عنها بدل قضية تذكير بتجاوزهم المعتاد
المتبوع المشروع واظهار لعدم الضرورة الداعية الى ذلك الفعل القبيح وفي ذكر الرجال
دون الذكور المقابل للنساء زيادة تقبيح لصنعهم الشنيع باظهار انهم يفعلونه
بامثالهم في الرجولية وذلك لا يخلو عن الايماء الى انهم يفعلونه كرها لان مقتضى
الرجولية الامتناع عنه بل انتم قوم مسرفون انكر عليهم مخالفة العقل ثم اضرب عن
الانكار بالاخبار عنهم بحالهم التي هي ام الرذائل وموجب ارتكاب جميع القبائح
اى فليست هذه غريبة عن عادتهم حتى تنكر عليهم وهي انهم قوم عادتهم
الاسراف وتجاوز الحد في كل شيء فمن ثمة اسرفوا في باب الشهوة ايضا وما كان جواب
قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم اى وما اجابوا بما هو جواب له عما كلمهم به ونصح
لهم فيه من انكار الفاحشة واستعظامها لغاية دعارتهم وخبثهم ولكنهم قالوا
نصيحة وعظة بالامر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم وهي من القرى وهو
الجمع بها ما فيه لا بنية لانها مجتمع الناس في الاقامة الا انه صار بالعرف عبارة عن
مجتمع الناس في منازل متجاورة يقرب ضيعة بلونها الاكراه انهم اناس يتطهرون

استيناف بطريق الاستهزاء كانه قيل لهم لم تخرجونهم من قريتكم فقالوا لانهم قوم ملوثون
بالفواحش وهم اناس يبالغون في التنزه منها فلا حاجة لاختلاط الطاهرين بالخبائث
وهذا غاية السخرية منهم وهذا ليس بجواب عن انكاره وتوبيخه لكنهم قالوا
تضجرا منه عقيب انكاره وفي اطلاق الجواب عليه اشارة الى انهم كانوا ملزمين
مبهوتين حتى لم يقدروا على ان يتكلموا في معرض الجواب بشيء سوى هذا وهذا
قريب من اسلوب الشاعر ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم فلول من قراع الكتائب
ولما كان مآل المعنى انهم لم يقدروا على الجواب وكان السلوك الى الطريقة المذكورة
للمبالغة في عدم قدرتهم اندفع وهم المنافاة بينه وبين قوله تع قالوا لئن لم تنته
يا لوط لتكونن من المخرجين لان المنقول فيها ايضا ليس بجواب حقيقة وان كان في
في معرض الجواب والله اعلم بالصواب فانجيناه الفاء فصيحة والمحذوف ههنا مذكور
في موضع آخر والمراد من الانجاء اخراجه من بينهم قبل نزول العذاب واهله واهل
بيته لا من تبعه في الدين لقوله الا امرأته فانها كانت تستر الكفر كانت من الغابرين
من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور وامطرنا عليهم يقال
في العذاب امطرت وفي الرحمة مطرت وتعديته بعلى لما فيه من معنى النزول مطرا
نوعا من المطر عجيبا غير معهود اذ كان الممطور عليهم الحجارة على ما بين فانظر كيف
كان عاقبة المجرمين من قوم نوح وهود وصالح ولوط عم والمراد نظر التفكر ونظر
البصر فيمن يقف له آثار منازل ومساكن وفيه ايقاظ وازدجار ان تسلك هذه
الامة ذلك المسلك الفظيع والى مدين اخاهم شعيبا اى وارسلنا اليهم وهم اولاد
مدين بن ابرهيم عم وشعيب هو ابن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب
الانبياء لحسن مراجعة قومه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد سبق
تفسيره قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة شاهدة بنبوتي ولم يذكر في القرآن
فان ما ذكر فيه وفي التفاسير متاخر عن هذه المقاولة فاوفوا الكيل والميزان اى آلة
الكيل لا لمقوله والميزان لانه يجيء بمعنى الوزن بل لقوله في سورة هود عم والمكيال ويجوز
ان يكون الميزان مصدرا كالميعاد والميلاد والمراد الايفاء في الكيل والوزن او يراد الكيل
ووزن الميزان على الاضمار او اطلاق الكيل على المكيال كالعيش على المعاش هذا عند
القوم والذى هو عندي ولعل الاراد ف وبالقبول احق قد سبق في تفسير سورة الانعام
والمراد بايفاء الكيل والميزان ايفاء ما يكال ويوزن فنسب الى الفعل مجازا او الى الآلة
للملابسة كانوا اهل بخس للمكاييل والموازين فامرهم بالايفاء ولما كان المحظور بالامر
المذكور التعدي الى جانب النقصان لا الى جانب الزيادة نبه على ذلك بقوله ولا تبخسوا

الناس اشياءهم ولا تنقصوا حقوقهم وانما قال اشياءهم للتعميم لانهم كانوا
يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وكانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه
ولا تفسدوا في الارض بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعد ما اصلح فيها الانبياء بالايمان
والعدل ذلكم اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه خير لكم مطلقا ان كنتم مؤمنين
بزعمكم لان قضية الايمان العدالة وخير لكم في الانسانية وحسن الاحدوثة او فيما
تطلبون من التكسب والتربح وزيادة المال لان الناس اذا عرفوا منكم الامانة و
العدالة رغبوا في متاجرتكم ان كنتم مصدقين فيما انتم اقول لكم ولا تقعدوا بكل صراط
ولا تقعدوا الشيطان في قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فتقعدوا بكل منها من مناهج
الدنيا لقوله وتصدون عن سبيل الله من آمن وتبغونها عوجا وطريق الحق وان كان
واحدا لكن يتشعب الى عقائد ومعارف وحكم وفضائل واخلاق جميلة وحدود
احكام كثيرة وكانوا اذا راوا يسلك طريقا منها او يتكلم منها منعوه واوعدوه وصدوه
وقيل كانوا يقعدون بالمراصد ويقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب لا يفتننك عن دينك
كما كان يفعل قريش بمكة ويوعدون من آمن به وقيل كانوا يقطعون الطريق ومحل
توعدون وما عطف عليه النصب على الحال اي لا تقعدوا موعدين وصادين وباغينها
عوجا ومن آمن مفعول تصدون على اعمال الاقرب ومفعول توعدون محذوف
لدلالة عليه ولو كان مفعول توعدون لقال وتصدونهم الا ان يجعل تصدون بمعنى
تعرضون لازما والضمير في به اي توعدون وتصدون من آمن بالله عن سبيله تبغونها
اي تطلبون سبيل الله عوجا تصفونها للناس بالعوج وانها معوجة وغير مستقيمة فلا
تسلكوها او بالقاء الشبه وقيل الضمير المذكور راجع الى كل صراط اي توعدون من
آمن به وتصدون عنه فوضع الظاهر الذي هو سبيل الله موضع الضمير تقبيحا لما كانوا
عليه ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتبغونها عوجا تهكم بهم اي تطلبون ما هو محال
واذكروا اذ كنتم قليلا عددا او عددا فكثركم بالبركة في النسل والمال وانظروا
كيف كان عاقبة المفسدين من قوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام وكانوا
اقرب الى العهد فما اصاب المؤتفكة والمراد من النظر الاعتبار بهم وان كان طائفة
منكم من الطوف صفة غالبة اقيمت مقام الموصوف ماخوذة من الاجتماع على الطواف
آمنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا اطلقه هنا ايماء الى عدم الايمان بما ارسل
به نبي يستلزم عدم الايمان بما ارسل به سائر الانبياء عم لان كلا منهم يصدق الاخرين
فاصبروا الصبر حبس النفس عما تنازع اليه من الجزع حتى يحكم الله بيننا اي فتربصوا وانتظروا
حتى يحكم الله بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد

للكافرين وهو خير الحاكمين لان حكمه حق وعدل لا يخاف حيف ولا ميل والحكم
المنع من الخروج عن الحق قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب
والذين آمنوا معك اي آمنوا بما ارسلت به تابعين لك من قريتنا او لتعودن
في ملتنا اي ليكون احد الامرين اما اخراجكم عن القرية واما عودكم في الكفر
والعود هو الرجوع الى الحالة التي كان عليها لما شركوا شعيبا عم في الاخراج
مع الذين آمنوا معه شركوه في العود تغليبا للجماعة على الواحد وان لم يكن عم
في ملتهم قط لان الانبياء عم لا يجوز عليهم الكفر مطلقا وكذلك اجرى شعيب عم
جوابه على التغليب ويجوز ان يكون قولهم على زعمهم وفي قوله عم على المشاكلة
ويجوز ان يكون العود بمعنى الصيرورة كما في قوله تع حتى عاد كالعرجون القديم
اي صاروا في ملتنا من ابلغ من الى لدلالته على الاستقرار والتمكن كانهم لم يرضوا بان يتظاهروا
انهم من اهل ملتهم قال اولو كنا كارهين الواو للحال والهمزة للاستفهام للانكار
اي اتعود فيها ونحن كارهون لها وانقيدونا فيها على كره منا اباها قد افترينا
اخبار مقيد بالشرط وهو بمعنى المستقبل لانه لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وادخل
عليه قد لتقربه من الحال اي قد افترينا الآن ان هممنا بالعود في ملتكم بعد ان وفقنا
الله تع للنجاة منها بالتوحيد لانا علمنا ان لا شريك له فان زعمنا ان له ندا فلا افتراء
اعظم من افترائنا وقد سبق معنى الافتراء ووجه تقييده بقوله كذبا ان عدنا في ملتكم
جواب شرط محذوف دل عليه قد افترينا وهو استيناف في معنى التعجب كانهم قالوا
ما اكذبنا على الله تع ان عدنا لانا تحققنا التوحيد وتيقناه فادعاء الند مع اعتقاد
التوحيد افتراء في غاية القبح وقيل جواب قسم على تقدير حذف اللام اي لقد افترينا
على هذا التقدير بعد اذ نجانا الله منها اي حفظنا عنها فان النجاة الحقيقية انما يكون بعد
الابتلاء ولا ابتلاء هنا فلا بد من المصير الى اقرب المجاز وما يكون لنا وما يصح لنا ان
نعود فيها الا وقت ان يشاء الله ربنا عودنا هذا هو الذي يقتضيه المعاني وتقدير
الخذلان من خذل لان التقدير وسع ربنا كل شيء علما لم نقل قدرة وارادة لان الاخبار
عن سعة قدرته وارادته لكل شيء انما يناسب للمقام اذا كان ما في الكلام للاشعار بوقوع
المستثنى واما اذا كان ما فيه للاشعار بعدم وقوعه فلا يناسب ذلك انما المناسب في الاخبار
عن سعة علمه وحكمته وفائدة هذا الاشعار حسم طمعهم في العود بالتعليق على ما لا يكون
وفي زيادة ربنا مع تمام الكلام بدونه نوع تاييد للاشعار المذكور وفضل تاكيد
للحكم المذبور من حيث ان الرب في الاصل بمعنى التربية وهو تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا
على الله خاصة توكلنا في ان يثبتنا على الايمان ويحفظنا عن الشر والعدوان ربنا

افتح بيننا وبين قومنا احكم بيننا وبينهم بالحق والفتاحة الحكومة والفتاح
القاضي واظهر امرنا بنفتح ما بيننا وينكشف ويتميز المحق من المبطل بانزال العذاب
عليه واعلاء المحق من فتح المشكل اذا بينه وانت خير الفاتحين على المعنيين وقال الملأ
الذين كفروا من قومه اي قال بعضهم لبعض لئن اتبعتم شعيبا فيما امركم به ونهاكم
عنه في معاملاتكم انكم اذا اي ح هو اسم زمان لخاسرون الاموال وهو سادة مسد
جواب الشرط او القسم الموطاء باللام فاخذتهم الرجفة الزلزلة اي رجفة من الصيحة
المذكورة في سورة هود عم فاصبحوا في دارهم جاثمين قد سبق تفسيره الذين
كذبوا شعيبا مبتداء كان لم يغنوا فيها خبره وكذا ما بعده اي كان لم يقيموا
فيها يقال غني بالمكان اذا اقام به والمغاني المنازل الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين
بالغ في تقدير هلاكهم بوجوه بالاستيناف وايراد الموصول كانه قال الذين
كذبوا شعيبا هم المخصوصون بالاستيصال احقاء به لتكذيبهم وبقوله كان لم يغنوا
فيها اي ما نفي اثر منهم كان لم يكونوا قط وبالتكرير على الوجه الاول وبكونهما جملتين
وتعريف الخاسرين بلام الماهية وباطلاقه اي الخاسرين في الدارين وبتوسط هم
في الثانية اي هم الاخصاء بالخسران المطلق لا الذين صدقوه واتبعوه كما زعموا فانهم
الرابحون فيهما كل ذلك رد لمقالة الملاء فيما بينهم وتسفيها لرايهم واستهزاء بنصح
بعضهم لبعض فتولى عنهم يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم كلام
قاله بعد هلاكهم تاسفا وتحزنا عليهم ثم انكر على نفسه الاسف وشدة حزنه عليهم
فقال فكيف اسى على قوم كافرين ليسوا باهل للحزن عليهم لاستحقاقهم ما اصابهم بكفرهم
او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم اي لقد عذرت اليكم وبالغت في الابلاغ
وبذلت وسعي في النصح لكم والتحذير عما نزل بكم فلم تصدقوا قولي فكيف اسى عليكم
اي فلا احزن عليكم بعد الآن والنتا لكفركم وكونكم غير مستحقين لذلك وما ارسلنا في
قرية من نبي تعدية ارسل بالي وفي انما اتى بفي اعتبارا لمعنى الاستقرار فانه يدل على
الاستمرار للابشارة والانذار وعند ذلك يظهر استحقاقهم بالاخذ الآتي ذكره الا
اخذنا اهلها اي الا آخذين اهلها فهو استثناء مفرغ من الاحوال بالباساء بالبؤس
والفقر والضراء والضر والمرض لاستكبارهم عن اتباع النبي وتعززهم والشدة والبلاء
تلين القلوب القاسية الآبية وتذلل النفوس الطاغية العوية لعلهم يتضرعون
لكي يتذللوا ويصنعوا بتجارة العزة والكبر والنخوة ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة
لفظ ثم للدلالة على امتداد تلك الحالة وبدده ما في عبارة المكان من الاشعار بالتمكين
اي ثم اوردنا مكان الحالة السيئة الحالة الحسنة مبدلين احديهما بالاخرى كما الامر الاشياء

قال تع وبلوناهم بالحسنات والسيئات والحكمة فيه ان النفوس الجافية الغليظة تتفهم
وتنكسر بالبلاء والشدة والنفوس اللطيفة تتفهم وتطيع بالنعمة والنعمة حتى عفوا
كثروا عددا بالعفو في انفسهم واموالهم من عفى النبات اذا كثر ومنه قوله عم واعفوا
اللحى وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء بطرا واشرا بالنعمة ونسيانا للنعمة واعتقادا
ان هذه عادة الدهر يعاقب نائبة بوسع ورخاء ويتعاقب فيه المحنة والمنحة كما عليه
ابائنا فلم يروا ذلك ابتلاء من الله تع فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون لما لم يتنبهوا عن
غفلتهم باحدى الحالتين فلم يبق الا ان اخذناهم اشد الاخذ بالعذاب وهو الاخذ
فجاءة من غير شعور لانه اعظم مدة ولو ان اهل القرى اللام للعهد والاشارة الى القرى
التي دل عليها وما ارسلنا في قرية آمنوا وصدقوا بدل كفرهم وتكذيبهم واتقوا بدل عصيانهم
لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لوسعنا عليهم الخير في كل شئ ومن كل جهة و
يسرنا لهم وقيل لاتيناهم المطر والنبات ولكن كذبوا الرسل فاخذناهم بما كانوا يكسبون
بسوء كسبهم لما هم من التكذيب والعصيان افامن اهل القرى الفاء للعطف على فاخذناهم
وكذا الواو في اوامن ولو ان اهل القرى الى اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه والهمزة
للانكار اي بعد اخذنا اياهم بتكذيبهم من هذه القرى ان ياتيهم باسنا بياتا البيات ان
كان بمعنى البيتوتة فظرف اي وقت بيات وان كان بمعنى التبييت فحال اي مبيتا او
مبيتين او مصدر لان التبييت نوع من الاتيان كانه قال ان يبيتهم باسنا تبييتا وهم
نائمون حال من ضميرهم البارز او المستتر في بياتا اوامن اهل القرى بان ياتيهم باسنا
ضحى نصب على الظرف والضحى هي البكرة والصحوة وهم يلعبون يشتغلون بامور الدنيا قال
الله تع انما الدنيا لعب ولهو والعدول الى صيغة المضارع للدلالة على التجدد والمناسب
للعب افامنوا مكر الله تكرير للتاكيد وتقرير للجملتين على سبيل التعميم باستعارة لطيفة
وتقديره هي استعارة المكر للاخذ بغتة بلا شعور منهم استدراجا فلا يامن مكر الله الا القوم
الخاسرون اي اذا كان استدراجه واخذه على هذا الوجه فلا يامن مكر الله الا الذين خسروا
انفسهم بالكفر وتركوا النظر والاعتبار وفي تكرير مكر الله دون يامن مكر الله تهويل وتربية
للمهابة اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم
قرئ يهد بالياء على ان قوله ان لو نشاء فاعله وبالنون على انه مفعوله وان مخففة من
الثقيلة مهملة في ضمير الشان وتعديته فعل الهداية باللام الى المفعول الاول لما فيها من
معنى التبيين اي ولم يهد ولم يبين للذين يخلفون من مضى قبلهم في ديارهم ويرثون
ارضهم هذا الشان وهو انا لو نشاء اصبناهم بذنوبهم كما اصبنا من قبلهم واهلكنا
الوارثين كما اهلكنا المورثين او لم نبق لهم ذلك ونطبع على قلوبهم عطف على ما دل

عليه

او لم يهد اى تغفلون عن الهداية ونطبع او كلام مبتدأ عطف الجملة على الجملة اى ونحن
نطبع ولا يستقيم عطفه على اصبناهم بمعنى وطبعنا لانه فى سياق لو فيؤدى الى نفى الطبع و
القوم مطبوع على قلوبهم واما عطفه على يرثون فيلزم الفصل بين ابعاض الصلة بالاجنبى
لان المعطوف عليه على الصلة صلة ولا يتعلق لقوله ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم شئ
من الصلة فهم لا يسمعون سماع تفهم واعتبار تلك القرى اى قرى الامم المار ذكرهم
نقص عليك من انبائها حال منها كقوله هذا بعلى شيخا او خبر ثان او القرى صفة ونقص
خبر ومن للتبعيض اى نقص عليك بعض انبائها ولهم انباء غيرها لم نقصصها ولقد
جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فما كانوا ليؤمنوا عند مجئ الرسل بالبينات بما كذبوا
من قبل بما كذبوه من قبل الرسل بل كانوا مستمرين على التكذيب او فما كانوا ليؤمنوا
الى آخر اعمارهم بما كذبوا به اولا حين مجئ الرسل اى استمروا على التكذيب مع تكرر المواعظ
وتتابع البينات ولم يلن قلوبهم حتى ماتوا وتاكيد النفى باللام للدلالة على ان الايمان بما
كان منافيا لحالهم فى تصميمهم على الكفر طول عمرهم وشدة شكيمتهم فى عنادهم
كذلك مثل ذلك الطبع العظيم نطبع على قلوب الكافرين فلا تلين شكيمتهم بالآيات والنذر
وفيه ايذان بان سبب الطبع كفرهم الاصلى وما وجدنا لاكثرهم اى لاكثر الامم المذكورين لان
الاقل من كل منهم آمنوا او للناس على الاطلاق والجملة اعتراضية من عهد زائد بنفى العهد
نفى الوفاء على سبيل المبالغة يقال ما له عهد لمن ينكث العهد والمراد من العهد اما ما فى
الفطرة فى الايمان والتقوى واما قولهم عند الضر والمخافة لئن انجيتنا من هذه
لنكونن من الشاكرين او عهدهم مع الانبياء عم كقولهم لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن
لك وان وجدنا اكثرهم لفاسقين اى علمناهم من وجدت زيدا ذا الحفاظ لدخول
ان المخففة واللام الفارقة فيه وذلك لا يجوز الا فى المبتدأ والخبر والافعال الداخلة عليها
وعند الكوفيين ان للنفى واللام بمعنى الا ثم بعثنا البعث الارسال وهو فى الاصل النقل باعتماد
يوجب الاسراع الى الشئ من بعدهم الضمير للرسل او للامم موسى باياتنا بمعجزاتنا الى فرعون
وملئه اى الاشراف من قومه من فرعون كان لقبا لمن ملك مصر من العمالقة فظلموا بها الظلم
وضع الشئ فى غير موضعه وتعديته بالباء لتضمينه معنى الجحد والمراد من ظلمهم اختيارهم
الكفر على الايمان فانظر كيف عاقبة المفسدين النظر تحريك القلب الى المعنى لادراكه فكانه
قيل فانظر بعين القلب كيف كان عاقبتهم بسبب فسادهم وموضع كيف نصب لانه خبر
كان وتقديره انظر اى شئ كان آخر امر الذين افسدوا وقال موسى يا فرعون خاطب
له باحسن ما يدعى به واحبها اليه لما عرفت انه من الالقاب الشريفة المخصوصة بملوك
العمالقة ففيه ايماء الى الامر الوارد فى قوله تع فقولا له قولا لينا انى رسول من رب العالمين

لم يقل اليك لعدم اختصاص رسالته عم له ولما كان فرعون قد ادعى الربوبية فاتحه
موسى عم بما ينبهه على انه مبطل فى الوصف الذى ادعاه حقيق على ان لا اقول جواب
لتكذيبه اياه فى دعوى الرسالة المفهوم من قوله فظلموا بها وقرئ على بالتشديد اى واجب
على وعلى قراءة التخفيف بمعنى حقيق وجدير وخليق الا انه ضمن معنى المجبول ولذلك عدى
بعلى اى مجبول على ذلك جدير به وفيه اشارة الى ان من هو فى مقام الرسالة يكون فى غاية
العصمة عن وصمة الكذب حتى لو قصد لا يقدر عليه على الله الا الحق انما قال على الله لان فى
الرسالة من تحميل العهد على المرسل الذى نقل عنه الرسالة قد جئتكم ببينة من ربكم
اى بما يبين انى رسول من رب العالمين ادعى الرسالة ثم اردفها بما يدل على صحتها ولما
قرر رسالته فرع عليها تبليغ الحكم بقوله فارسل اى فاطلق معى بنى اسرائيل اى يرجعوا
معى الى الارض المقدسة التى هى وطنهم ومولد آبائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم
فى الاعمال تغلبا منذ توفى يوسف عم وانقرضت الاسباط قال ان كنت جئت باية من عند
من ارسلك فات بها فاظهرها واحضرها عندى ليثبت بها صدقك ان كنت من الصادقين فى
فى الدعوى فالقى عصاه اصل الالقاء اللقاء الذى هو الاتصال فالقى عصاه ازال اتصالها
مما كان وعصا عود يابس واصله الامتناع بيبسه يقال عصى اذا امتنع ومنه العصا
لمن عصى فاذا هى اذا للمفاجاة والفاء للتعقيب ثعبان حية عظيمة يقال انثعب
الماء اذا جرى باتساع والمثعب هو المجرى الواسع ومنه الثعبان لانه يجرى باتساع لعظمه
مبين ابان عن نفسه انه ثعبان حقيقة لا شئ يشبه الثعبان كما يكون الاشياء المزورة
بالشعوذة والسحر ونزع يده اى اخرجها من جيبه لقوله تع وادخل يدك فى جيبك تخرج
بيضاء والنزع اخراج الشئ مما كان متصلا به وطالبا له فاذا هى بيضاء لها شعاع
يكاد يغشى الابصار ويسد الافق وفى قوله للناظرين دلالة على ان بياضها كان شيئا
يجمع النظارة على النظر اليه لخروجه عن العادة وقيل بيضاء للنظار لا انها كانت بيضاء
حقيقة ويرده قوله تع فى موضع آخر تخرج بيضاء من غير سوء لانه صريح فى انقلابها بيضاء
لانه مظنة السوء عند ذلك قال الملأ من قوم فرعون فى موضع آخر قال للملأ حوله وذلك
انه قاله هو واشراف قومه على سبيل التشاور فى امره فحكى عنه تارة وعنهم اخرى وفى عبارة
الملأ نوع اشارة الى هذا من حيث ان الملأ جماعة يجتمعون للتشاور ان هذا لساحر
عليم فائق فى علم السحر وهو لطف الحيلة فى اظهار اعجوبة توهم خرق العادة لخفاء
سببه يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره ان يلقى العداوة والفرقة بينكم ويستميل اليه
به بعضكم فيخرجكم من بلادكم فماذا تامرون ماذا مفعول ثان لتامرون على سبيل التوسع
فيه بان حذف منه حرف الجر والمفعول الاول محذوف اى بشئ تامروننى من المرة فامر فى

بكذا اذا شاورته فاشار عليكم برأى تحيّر عند غلبة سلطان المعجزة فنسى دعوى الالوهية
ومرتبة كونه امرا وناهيا حتى خاطبهم خطاب الاذلاء للمفهوم بين المامورين قالوا
ارجه من الارجاء وهو التاخير اى اخّر امره وهذا يدل على تقدمهم فرعون بقتله على ما
دلّ عليه قوله تعالى وقال فرعون ذرونى اقتل موسى فقالوا اخّر قتله واغلبه بالحجة كيلا يدخل
على الناس الشبهة توهموا انهم بالتاخير وتقديم التدبير وبذل الجهد والتشهير يغيرون
شيئا من التقدير وارسل فى المدائن واخاه يعنى هارون وكان معه على ما ذكر فى موضع
آخر حاشرين الحشر السوق من جهات مختلفة الى مكان واحد وتعديته ارسل بالى دائما
الى بنى تضمينا بمعنى الاستقرار ليفيد الاهتمام فى امر الحشر ولان المقصود اتيان مهرة
السحرة ومن هم فى الطبقة العليا من ذلك الجنس وهو لا يكون الا بالتتبع والتفحص فلا بدّ
من مكث فى مطانهم فى المدائن ياتوك بكل ساحر عليم مثله فى عمل السحر وعلمه وقرئ
سحّار وهو ابلغ لان اعتبار المبالغة فى وصف يؤتى بالمبالغة اولى وفى دخول كلمة
كل على المفرد دلالة على ان كل واحد منهم منفردا عن الآخرين مطلوب بالاتيان ومقصود
اصالة وبالذات وجاء السحرة فرعون اى فارسل الحاشرين وجاء السحرة فالواو فصيحة
كالفاء فى قوله فجمع السحرة قالوا ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين استيناف على تقدير
سائل سئل ما قالوا اذ جاءوه فاجيب بقوله قالوا ائن لنا استفهاما وقرئ بالاخبار
وقع للدلالة على ايجابهم عليه اجرا عظيما كانهم قالوا لا بد لنا من اجر كثير ومثل هذا التنكير
فى افادة التعظيم والتكثير قوله ان له لابلا وان له لغنما والاجر الجزاء بالخير فان الجزاء قد يكون
بالخير والشر بحسب العمل ويجب بما يقتضيه العدل والغلبة ابطال المقاومة بالقوة قال نعم يجيب
لهم عما سالوا الواو للعطف كانه قال نعم لكم ذلك وانكم لمن المقربين اى مراتب الجلالة
التى يكون فيها الخاصة ولا يخطى اليها العامة حقق امنيتهم وزاد على ذلك ما لم يتصوروه
مع المبالغات واللام اى لا اقتصر على الثواب العظيم وان لكم مع الثواب ما يقل معه الثواب
وهو التقريب والتعظيم تحريصا لهم قالوا يا موسى اما ان تلقى واما ان نكون نحن الملقين
الالقاء ارسال المفيد الى جهة السفل وضده الامساك واما للتخيير والتقدير اما ان تلقى
انت اولا واما ان نلقى نحن اولا ودليله ما فى موضع آخر واما ان نكون اول من القى قيل اظهروا
الاقتدار وقالوا ان بدأت انت او بدأنا فلا خوف علينا ولا حذر وقيل احترموا
وببركة ذلك سلموا ولكن كانت رغبتهم فى ان يلقوا قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم الى ما
فيه رجحان طرفهم فى الالقاء من الجملة الابتدائية والتاكيد بتوسيط الضمير وتعريف
الخبر قال بل القوا لما كانت رغبتهم بالتخيير كرمهم موسى عم وسوّغ لهم ما تراغبوا فيه
اظهارا للفضيلة وتحقيرا لهم واذورا بشانهم وثقة بالله تعالى وما خصصه به من الآيات

السماوى وان المعجزة لن يغلبها سحر ابدا فلما القوا سحروا اعين الناس خيلوا اليهم الحقيقة
بخلافه وارواهم بالحيل والشعوذة ما لا وجود له ومن هنا ظهر ان السحر لا يقلب عينا وانما
هو باب التخييل واسترهبوهم اى ارهبوهم ارهابا شديدا كانهم استدعوا رهبتهم و
قيل استفعل هنا بمعنى افعل كابل واستبل والرهبة الخوف مع الفزع وجاءوا بسحر عظيم
وصف بالعظيم لبعد مرام الحيلة فيه وشدة التمويه به حتى اوجس موسى فى نفسه خيفة
واوحينا الى موسى ان الق عصاك ان مصدرية ويجوز ان يكون المفسرة لان فى الوحى معنى
القول فاذا هى ذا هى اى ثعبان والفاء فصيحة اى فالقاها فاذا هى ونكتة الحذف فى مثل هذا
قد مرّ بيانها فى تفسير قوله تعالى فانفجرت منه من سورة البقرة تلقف تبتلع تناولا بعينه بغيره
بسرعة منها ويؤيده قراءة تلقم اى تبتلع كاللقمة ما يافكون الافك قلب الشئ عن وجهه
وما موصولة اى ما يافكونه او مصدرية اى افكهم تسمية للمأفوك افكا فوقع الحق الوقوع
ظهور الشئ بوجوده نازلا الى مستقره والحق كون الشئ فى موضعه الذى اقتضته الحكمة و
بطل ما كانوا يعملون من السحر والمعارضة فغلبوا هنالك اى عند ذلك الجمع وانقلبوا صاغرين
اى رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين والضمير لفرعون وقومه وانما قال والقى السحرة ساجدين
دون وخرّوا وسجدوا للمبالغة كانما القاهم ملق لشدة خرورهم لان الحق بهرهم واضطرهم الى
السجود بحيث لم يبق لهم تمالك وقد وفقهم الله تعالى لذلك ودبّر الامر ليكسر فرعون وقومه
بالذين ارادهم كسر موسى عم قالوا آمنا برب العالمين لما استشعروا ان يتوهموا انهم
ارادوا فرعون تداركوه بقولهم رب موسى وهارون بان ابدلوه منه قال فرعون آمنتم
استفهام على سبيل الانكار والتوبيخ اى افعلتم هذا الفعل الشنيع وقرئ بالاخبار و
هو ايضا تقريع وتشنيع به لانه ما بعده به اى بموسى عم لا بالله تعالى لان قوله فى سورة الشعراء
انه لكبيركم الذى علمكم السحر لا يستطيعه قبل ان آذن لكم فيه ابدا ان يوهن امره حيث جعل ذنبهم
مفارقة الاذن دون نفس الايمان به ان هذا لمكر مكرتموه فى المدينة اى صنعكم هذه الحيلة
احتلتموها انتم وموسى فى مصر قبل ان تخرجوا الى الميعاد وتواطأتم عليها لتخرجوا منها اهلها
القبط ويخلص لكم ولبنى اسرائيل حاله تموهوا بها على الناس لئلا يتبعوا السحرة فى الايمان فسوف
تعلمون عاقبة ما فعلتم وعيد مجمل مفصّل لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف من كل شق
طرفا وذلك للتشديد فى العذاب والتغليظ فان الانسان لا يتعيش بيد واحدة ورجل
واحدة واذا كانتا من جانب واحد بخلاف ما اذا كانتا من جانبين ولهذا يقطع رجل السارق
فى المرة الثانية من خلاف واذا كان القطع من خلاف فان فى الموت بعده خصوصا اذا كان
متراخيا الاجدية فاراد فرعون ان يمضى وعيده الشديد بتجديد العذاب بالقتل بعد
ما زال الم القطع وعاد لذة الحياة على ما دل عليه كلمة ثم فى قوله ثم لاصلبنكم اجمعين

تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل انه اول من قطع وصلب قالوا انا الى ربنا
منقلبون اي انا لا نبالي بوعيدك لانقلابنا الى ربنا ورحمته كانهم استطابوه
شغفا لقاء الله تعالى او انا جميعا اي نحن وانت منقلبون اليه فيحكم بيننا وما
تنقم منا النقمة الاخذ بالعقوبة وتعديته بمن لتضمنه معنى تنال وعلى جعل
يكون قوله الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا مفعولا من جملة استثناء مفرغ
اي ما تنال منا اخذا ايانا بالعقوبة بشيء من الاشياء الا ان آمنا وهذا ما اشار
اليه في تفسيره حيث قال اي مالنا عندك ذنب تعذبنا عليه الا ان آمنا وهذا
ما اشار اليه في تفسيره حيث قال اي مالنا عندك الخ ثم فزعوا الى الله تعالى بقولهم ربنا
افرغ علينا صبرا اي على وعيد فرعون لعلمهم ان الصبر مطهرة لهم استعارة
بالكناية شبه الصبر بالماء فاورد الافراغ اي افض علينا من الصبر ما يغمرنا ويغسل
عنا كما يفرغ الماء افراغا والتنوين للتعظيم اي صبرا واسعا كثيرا او ما يطهرنا من
اوضار الآثام كما يطهر الماء من الاقذار وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام اي
ايمان قيل انه فعل بهم ما اوعدهم وقيل لم يقدر عليهم لقوله انتما ومن اتبعكما
الغالبون وفيه نظر لان المراد من اتبعهما قبل غلبتهما فلا يتناول السحرة وقال الملأ
من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض بتغيير الناس عليك
ودعوتهم الى مخالفتك ويذرك عطف على يفسدوا في الارض بدوا اولا بالعلة
العامة ثم اتبعوه بالخاصة قدموا بذلك يزيد بغيظ على موسى عم وقومه ليكون
ذلك ابلغ عليهم منازلهم اذ منهم من الاشراف ويترك موسى عم وقومه بمصر يذهب
ملكهم وشرفهم وانما نسبوا الفساد الى الجميع والترك الى موسى عم خاصة لان الترك
المذكور راجع الى امر الدين وقومه تابعون فيه فذكر تركه كاف بخلاف الفساد لانه
من جهة الدنيا والملك وهم مستقلون فيه وجواب للاستفهام بالواو على معنى ليكون
منك ترك موسى وقومه ويكون ترك اياك والهتك وقرئ بالرفع عطفا على اتذر اي
اتذره ويذرك بمعنى يتطبق له ذلك او استينافا او حالا اي وهو يذرك والهتك
وقرئ بالجزم كانه قيل يفسدوا ويذرك جوابا للاستفهام كقوله فاصدق واكن و
الهتك قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه
ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ الهتك اي عبادتك قال سنقتل ابناءهم ونستحيي
نساءهم سنعيد عليهم ما كنا محناهم به ليعلموا وانا فوقهم قاهرون اي انا على
ما كنا عليه من القهر والغلبة عليهم وان لا اثر لغلبة موسى في ملكنا وان لا يتوهم العامة
انه هو المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده قال موسى لقومه لما سمع

قوم موسى من قول فرعون سنقتل ابناءهم وتضجروا سلاهم بقوله استعينوا بالله
واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده ذكرهم ما وعده الله تعالى من اهلاك
القبط وتوريثهم ارضهم وديارهم فاللام في الارض للعهد والافصح ان يكون للجنس
فيتناول المعهود وهو ارض مصر تناولا اوليا واعلق الايراث بالمشية فاجملهم بتية تحو
والعاقبة للمتقين للبشارة بعد الابهام بان العاقبة الخ بينا هل ان يسمى عاقبة اي العاقبة
المحمودة كان ما عداها ليست بعاقبة مخصوصة بالمتقين منكم ومن القبط اشعارا
بانهم هم المتقون والعاقبة لهم وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان قالوا اي بنوا
اسرائيل اوذينا بقتل الابناء والاستعباد والاتعاب بالخدمة وانواع التعذيب والاذى ضرب
لا يبلغ بصاحبه ان يأتي على نفسه من قبل ان تأتينا بالرسالة والاتيان ينتظم المجيء وما بعده
وهو الذهاب ومن بعد ما جئتنا باعادته علينا قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم
في الارض تصريح بما رمز اليه من البشارة وهو اهلاك فرعون وقومه واستخلافهم في
الارض فينظر كيف تعملون شكرا او كفرا بالطاعة او معصية فيجازيكم بحسبه ولقد اخذنا
آل فرعون اثر على عبارة القوم لانتظامه الاناث حقيقة ولا نكتة للتغليب والتنبيه على ان
اخذهم بذلك لاتباعهم فرعون فيفهم منه سلامة من آمن من قومه ودخول فرعون في
الحكم المذكور بطريق الدلالة بالسنين بالحذف لقلة الامطار والمياه والنبات السنة غلبت
على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ به فصارت كالدابة والنجم ثم اشتقوا منها فقالوا
اسنت القوم اذا قحطوا او جمعت سنين ونقص من الثمرات قال ابن عباس رض اما السنون
فكانت لباديتهم واما نقص الثمرات فكانت في امصارهم لعلهم يذكرون لينتبهوا ان ذلك
بشوم كفرهم ومعاصيهم ويتعظوا فتلين قلوبهم وترق بالشدائد فيفزعوا الى الله
ويرغبوا فاذا جاءتهم الفاء الفصيحة لترتب مدخولها على مقدر دل عليه سياق الكلام
ولي فمن عدم تنبههم لما ذكر وتفصيل في لكل الحسنة الخصب والرخاء والسعة قالوا
لنا هذه اي لكرامتنا خاصة واستحقاقنا لها وان تصبهم سيئة جدب وشدة وضيق
يطيروا بموسى ومن معه وقالوا هذا بشومهم ولولا مكانهم فيها لما اصابنا التطير التشأم
واصله التفاؤل بالطير ومنه الطائر الذي هو سبب الخير والشر فغلب التطير على الشر واصل يطيروا
يتطيروا فادغم وانما عرف الحسنة بلام العهد الذهني مع اذا الدالة على الوقوع وصيغة الماضي
الدالة على الاستمرار لان جنسها مقطوع الوقوع لكثرته واتساعه ونكر السيئة مع حرف الشك
وصيغة المضارع لقلتها وندور وقوعها وتجددها بناسب لا بتعاظ والاتعاظ الحسنة
لا يخلو عنها احد والسيئة لا تقع منها الا الشيء وهذا اغراق في وصفهم بالقساوة والحمق
والغباوة بان الشدائد تزيد رقة القلوب وتذلل النفوس وتلين العرائك وتكسر الشكائم

لم يؤثر فيهم ولم يزدادوا بها الا تماديا في الغي وعتوا في الكفر ولذلك بولغ في انكار التطير
بموسى عم ومن معه باسناد الشر والخير الى الله تع على القصر بانما وتصدير الجملة بحرف التنبيه
حيث قال ألا انما طائرهم سبب خيرهم وشرهم عند الله أي كل بقضائه ومشيئته وهو
الذي أيهما شاء أصابهم به وليس بيمن أحد ولا بشؤمه والتأكيد بقوله ولكن أكثرهم
لا يعلمون أن ما يصيبهم من الله تع أو من شؤم أعمالهم وقالوا مهما أصله ما الشرطية ضمت
اليها ما المزيدة للتأكيد ثم قلبت ألفها هاء لئلا يوهم التكرير وهو مبالغة في التعميم ومحلها
الرفع على الابتداء أو النصب بفعل يفسره تأتنا به أي شيء تحضرنا تأتنا به من آية بيان لها
وانما سموها آية استهزاء ولذلك قالوا وعدلوا في الجزاء عن لن نؤمن الى الجملة الاسمية مع تأكيد
النفي بالباء وتحقيق الجزاء بزيادة من حيث قالوا لتسحرنا بها أي لتسحر بها أعيننا والضميران
لما الأول باعتبار اللفظ والثاني باعتبار المعنى فما نحن لك بمؤمنين أي فلا نتعلق بارادتها
فما نحن بمصدقين لكفر عند لعنه وهذا منهم غاية الضلالة والعناد اذ كذبوه بما لم يأت
به بعد وظهروا أنهم مصرون على كفرهم أبدا غير منقادين للحق وان ظهر بدا فأرسلنا عليهم
الطوفان قال ابن عباس رض الطوفان الماء المغرق وقال الجماعة هو المطر المتتابع المفرط
وهو في اللغة ما طاف بالقوم وغلبهم من ماء أو مرض وغيرهما والجراد والقمل هي كبار القرد
والضفادع جمع ضفدع والدم روي أنهم مطروا ثمانية أيام في ظلمة شديدة لا يرون شمسا ولا قمرا
ولا يقدر أحدهم أن يخرج من داره ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم
وكانت بيوت بني اسرائيل مشتبكة ببيوتهم ولم تدخلها قطرة وفاض على وجه
أرضهم فمنعهم من الحرث والبناء والتصرف فقالوا لموسى عم ادع لنا ربك يكشف عنا
ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم ونبت لهم من الزرع ما لم يعهد مثله فلم يؤمنوا
فبعث الله تع عليهم الجراد فأكلت عامة زروعهم وثمارهم ثم أخذت تأكل الأبواب
والسقوف والثياب ولم يدخل بيوت بني اسرائيل فيها شيء ففزعوا الى موسى عم ووعدوه
التوبة فرفع عنهم ثم لم يؤمنوا فسلط الله تع عليهم القمل فأكل ما أبقاه الجراد وكان
يقع في أطعمتهم ويدخل بين أثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه عم فرفع عنهم
فقالوا قد تحققنا الآن أنك ساحر ثم أرسل الله عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب
ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلئ بها مضاجعهم وتثبت الى قدورهم وهي تغلي و
أفواههم عند التكلم ففزعوا اليه عم وتضرعوا فأخذ عليهم العهود ودعا فكشف
الله تع عنهم فنقضوا العهد ثم أرسل الله تع عليهم الدم فصارت مياههم دماء حتى كان
يجتمع القبطي مع السبطي على اناء فيكون ما يليه دما وما يلي السبطي ماء ويمص الماء
من فم السبطي فيصير دما في فيه آيات نصب على الحال مفصلات مميزات بعضها من بعض

بين كل اثنين فصل ومدة لبثها في كل واحدة حتى التأمل كان اذا أتتهم آية منها أقامت
عليهم سبوعا ثم تقلع عنهم شهرا ثم تأتيهم أخرى تأكيدا للحجة عليهم كأنه يقول
قد قالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين لكنا تابعنا لهم الآيات
ولم تقلع عنهم الراجين بما أظهروا من الجهالات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين فتعالوا
عن الانقياد للحق والايمان بموسى عم وكانوا قد اعتادوا الآثام والاجرام واكتسب
أنفسهم العذاب اللازم ولما وقع عليهم الرجز أي الطاعون فمات من القبط سبعون ألف
انسان وقيل هو العذاب المفصل وفيه أن المناسب ح تقييد الكلام بكلمتها قالوا يا موسى
ادع لنا ربك فيه آية عنادهم حيث قالوا ربك دون ربنا اظهارا للاصرار على الانكار
في مقام العجز والاضطرار بما عهد عندك أي زمانك وهو كل اليه فهم يعم جميع السائل بين
الله تع وبينه عم من طاعته منه ونعمه من الله تع وهو صلة لادع أي ادع لنا ربك يكشف
عنا العذاب بحق ما عندك من عهد الله أو بمعنى الحال أي متوسلا اليه بعهده عندك أو قسم
جوابه لنؤمنن أي بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ويجوز أن يكون
موصولة أي بالذي يعهده اليك أن تدعوه فيجيبك وفي اسناد الكشف اليه عم حيث
عن اسناده الى الله تع لعدم اقرارهم وان لنرسلن معك بني اسرائيل انما زاد قوله معك
لانه عم كان طالبا لارسالهم معه حيث قال أن أرسل معنا بني اسرائيل فلما كشفنا عنهم
الرجز الفاء فصيحة عاطفة على مقدر كأنه قيل فدعا موسى عم فكشفنا عنهم الرجز
فلما الى أجل الى حد من الزمان وهم بالغوه فيهلكون فيه وهو وقت الغرق لا بعد الا
أن منهم من مات قبل الغرق ومنهم من بقي بمصر لان لحاق الكلام يدفعه على ما ستعرف
عليه بولغ في وصف الأجل بالجملة الاسمية مع تجريد الخبر عن شائبة الحدوث اشارة
الى ضرورة بلوغهم الحد المقدر لهم ولزومه اذا هم ينكثون جواب لما أي لما كشفنا
عنهم الرجز فاجأوا بالنكث وبادروه من غير توقف وتأمل فانتقمنا منهم أي أحللنا
بهم النقمة وهي ضد النعمة فأغرقناهم الفاء تفسيرية كما في قولك رزق زيد المال فمنع
المعروف فلم يحسن الى الفقراء في اليم وهو البحر الذي لا يدرك قعره وقيل هي لجة البحر
ومعظم مائه وهذا صريح في أن الناكثين كلهم هلكوا بالغرق بأنهم بسبب أنهم كذبوا
بآياتنا والآيات هي المعجزات التي ظهرت على يد موسى عم وكانوا عنها أي عن آياتنا غافلين
غفلتهم عن جهة دلالتها على صدق موسى عم في دعوى الرسالة غفلة عن تلك الآيات في
الحقيقة لانها بدون الدلالة المذكورة لا تبقى آيات وهذه الغفلة هي سبب التكذيب و
أورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون بالاستعباد وهم بنو اسرائيل هنا في الارض
يعني أرض الشام ومغاربها ملكهم الله تع بعد الفراعنة والعمالقة نواحيها الشرقية والغربية

قال صاحب الكشاف [illegible]
هذا التكرار [illegible]
انتقمنا منهم [illegible]

وتصرفوا فيها كيف شاؤا وصيغة الجمع للمبالغة في وسعها من جهة الخصب والبركة
التي باركنا فيها بالخصب وسعة العيش وهذا ظاهر في ان المراد ارض الشام لا ارض
مصر ولان القوم المستضعفين لم يعودوا الى ديار مصر بل قاموا في الارض المقدسة
وتمت كلمة ربك الحسنى تحققت عدته الحسنى بالتمكين في الارض وتعرفت بالانجاز وهي
قوله ونريد ان نمن الى قوله ما كانوا يحذرون وقرئ كلمات ربك لانها كانت مواعيد
بما صبروا بسبب صبرهم وكفى به حاثا على الصبر ودمرنا خربنا ما كان يصنع فرعون
وقومه من القصور والعمارات وما كانوا يعرشون من الجنات او ما كانوا يرفعون
من البنيان كصرح هامان واصل العرش الرفع وجاوزنا ببني اسرائيل البحر اي البحر
الذي غرق فيه فرعون وقومه وهو بحر القلزم ولم يقل وجاوز بني اسرائيل تنبيها
على ان جوازه كان خارقا للعادة خارجا عن طوق البشر ثم ان جاوز به ابلغ من
اجازه كما ان ذهب به ابلغ من اذهبه ذكر ما احدثوه بعد هلاك عدوهم وانجائهم
من الامور الشنيعة عقيب ما رأوا من الآيات العظام والنعم الجسام تسلية لرسول الله
صلعم مما رأوا منهم بالمدينة وايقاظا للمؤمنين لئلا يغفلوا عن سياسة نفوسهم و
محاسبتها وحراسة احوالهم ومراقبتها فأتوا على قوم فمروا عليهم يعكفون يقيمون على
اصنام على عبادتها قيل كانت تماثيل بقر وذلك اول شان العجل وانما قال لهم تنبيها على
غاية حماقتهم حيث عبدوا ما يملكونه قالوا يا موسى اجعل لنا الها صنما يعكف عليه كما لهم آلهة
اصنام يعكفون عليها وما كافة للكاف ولم يقل كالهتهم لان مثابتها غير مقصودة
انما مقصودهم ان يكون لهم ايضا اله قال موسى عم انكم قوم تجهلون تعجب من قولهم
بعد ما رأوا الآية العظمى والمعجزة الكبرى فجهلهم واكد جهلهم بالاطلاق وتكرير النسبة
وتنوينها بان وايراد الفعل المضارع الدال على التجدد الدائم اشعارا بان ذلك منهم
كالطبع والغريزة لا ينفكون عنه في حال ان هؤلاء اي عبدة تلك التماثيل متبر مدمر
ما هم فيه اي يتبر الله الذين هم عليه على يدي ويحطم اصنامهم ويجعلها رضاضا وباطل
مضمحل ما كانوا يعملون من عبادتها بالغ في تحذيرهم وتنفيرهم عما طلبوا اليه بايراد
هؤلاء اسما لان وتقديم الخبر في الجملتين بعده وايقاع كانوا اي ان هؤلاء الذين عبدوا
الاصنام هم المعينون المعرضون بوسمهم وعبادتهم لها للتتبير وانه لا يعدوهم
البتة وانه لهم ضربة لازب وهباء ما هم فيه وما عملوا من شيء من عبادتها فيما سلف
من الزمان الا وهو باطل مضمحل وان كان في زعمهم انه تقرب الى الله تع ثم انكر عليهم
ما طلبوا وتعجب من طلبتهم عبادة غير الله تع مع كونهم مغمورين في نعمه بالهمزة وتقديم
المفعول فقال اغير الله اي غير المستحق للعبادة ابغيكم اطلب لكم الها معبودا وهو فضلكم

على العالمين وهو الذي فضلكم بما فعل دون غيره من الاختصاص بالنعم التي لم يعم
بها على احد من العالمين وفيه تنبيه على سوء مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص الله تع
اياهم من امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بان قصدوا ان يشركوا به اخس شيء
من مخلوقاته والمراد من العالمين عالمي زمانهم وانتصب غير مفعولا لابغيكم و
الها تمييز عن غيرا وحالا او على الحال والها المفعول وكان غير صفة فلما تقدم
انتصب حالا ثم ذكر نعمة الانجاء وما يتبعه واذ انجيناكم من آل فرعون واذكروا
صنيعه معكم في هذا الوقت يسومونكم يبغونكم استئناف لبيان ما انجاهم او حال
من المخاطبين او من آل فرعون او منهما سوء العذاب شدته يقتلون ابناءكم
ويستحيون نساءكم بدل منه مبين والمعنى مبين فيما سبق وفي ذلكم اشارة الى الانجاء
او العذاب بلاء نعمة او محنة من ربكم عظيم وزيادة في قوله من ربكم ترجح المعنى
الاول وواعدنا موسى ثلثين ليلة ذا القعدة واتممناها الضمير للمواعدة المفهومة
من واعدنا بعشر من ذي الحجة وحذف الهاء من عشر لان العدد مؤنث فتم ميقات
ربه الميقات وقت قدر فيه عمل من الاعمال وفي عبارة ربه اشارة الى انه لمصلحته عم
وتربيته اربعين ليلة مفعول به اي الامر كلمت ثم اسند التمام لميقاته وانتصب
اربعون على التمييز ودلت الآية على ان التاريخ بالليالي دون الايام وهذا لان الليالي اوائل
الشهور روي انه عم وعد بني اسرائيل بمصر انه يأتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من الله تع
فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك سأل ربه فامره بصوم ثلثين فلما اتم انكر خلوف
فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فافسدته بالسواك فامره الله تع
ان يزيد عليها عشرا وقال موسى لاخيه هارون اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح
ما يجب ان يصلح من امورهم او كن مصلحا فيهم ولا تتبع سبيل المفسدين اي لا تتبع
المفسدين في سبيلهم كقوله لا يهدي كيد الخائنين اي لا يهدي الخائنين في كيدهم
وهذا اسلوب بديع لم يتنبه له الناظرون في كلام الله تع ويجوز ان يكون على طريقة التطويع
اي لا تسلك سبيل المفسدين متبعين فلما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه
له وحددناه واللام للاختصاص اي اختص مجيئه لميقاتنا وكلمه ربه بغير واسطة من
كل جهة وذلك لان الله تع ليس في جهة وكلامه ليس من جنس كلام المحدثين والعدول عن الكلام
وهو كلمناه الى ما ذكر كالعدول عن ميقاتنا الى ميقات ربه والنكتة مشتركة بينهما قال
رب ارني انظر اليك ارني نفسك بان تتجلى لي فانظر اليك واراك وهو دليل على ان رؤيته تع
جائزة في الجملة لان طلب المستحيل على الانبياء عم محال وخصوصا ما يتعلق بمعرفة الله وتقتضي
الجهل به ورده بقوله لن تراني ليس لامتناع رؤيته تع في نفس الامر والا لقال لن اري بل

لقصور الطالب عن رؤيته كيفية الحجاب فهي موقوفة على ارتفاعه وجعل السؤال لتبكيت قومه
الذين قالوا ارنا الله جهرة ليس بشيء لان هذه عم ان يجهلهم ويزيل شبهتهم كما فعل بهم حين
قالوا اجعل لنا الها والاستدلال على استحالتها بالجواب ابعد عن الصواب اذ لا دلالة فيه
على ان لا يراه عم ابدا او لا ان يراه غيره فضلا من ان يدل على استحالتها ودعوى الضرورة
فيه مكابرة وجهالة بحقيقة الرؤية قال لن تراني اي لن تطيق ان تراني ولكن انظر الى
الجبل استدراك يريد ان يبين به انه لا يطيقه فان الجبل مع شدته وصلابته اذا لم يستقر
فالآدمي مع ضعف بنيته اولى ان لا يستقر وهذا تسكين لقلب موسى عم وتخفيف عنه
ثقل عباء المنع ولا يذهب على من نظر بعين الانصاف وتجنب عن التعصب والاعتساف انه
ليس بجواب من يسال محالا وقد قال ع لنوح عم فلا تسألن ما ليس لك به علم اني اعظك ان
تكون من الجاهلين فلو سأل موسى عم محالا لكان في الجواب زجر فان استقر مكانه فسوف
تراني بعد رفع الموانع من البين علق رؤيته بالاستقرار وهو امر ممكن في نفس الامر
فيفهم منه انه ممكن في نفسه لكن المانع من جهته على ما دل عليه قوله ع ما كان لبشر ان يكلمه الله
الا وحيا او من وراء حجاب حيث قال ما كان لبشر ولم يقل ما كان له ع اتى بالتعليق
ثم التسويف مبالغة في تقدير المطلب اما التعليق فليبان ان الطاقة البشرية لا تحمل
رؤيته ع واما التسويف فليبان انه على تقدير التحمل لا بد من ارتفاع موانع زوالها
يحتاج الى مهلة ومدة فلما تجلى ربه للجبل اي ظهر له ظهورا مرئيا للرائي بان خلق الله
فيه حيوة وحسا وهذا المعنى هو المروي عن ابن عباس رض وهو الموافق لسياق الكلام
المطابق لاصل اهل السنة والجماعة ومن حرفه عن الظاهر فقد دس فيه مذهب الاعتزال
جعله دكا الدك والدق اخوان كالشك والشق وانما قال دكا مبالغة كرجل عدل والمجاز
عقلي في فتره بالمدكوك على انه مصدر بمعنى مفعول فقد اخرجه الى شيء معقول على طريقة
افادته وكيفية ادائه من عبارة الدك وقرئ دكاء اي ارضا مستوية وقرئ دكا اي قطعا
جمع دكاء تانيث ادك وخر سقط موسى صعقا مغشيا عليه كمن يصيبه الصعقة لهول
ما راه من تلاشي الجبل والا لكان حق النظم العطف بالفاء ولما عطف بالواو علم انه ايضا
مترتب على تجلي للجبل فلما افاق اي عن غشيته قال سبحانك تبت اليك قال الامام ابو منصور
خرج هذا الكلام منه مخرج العادة عند رؤية الافزاع حسب ما يجري على السنة الانام
عند الاخطار لا عن ذنب يتذكره فيتوبون عنه ونظير هذا التنبيه في قول عيسى عم
سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ونظير ذكر التوبة من غير ذنب ما في قول النبي عم
في كل يوم مائة مرة استغفر الله واتوب اليه وانا اول المؤمنين اي بما اخبرت في حق الرؤية
من انه لا يطيقها هذه البنية للبشر وانما خفي عليه عم الى ذلك الوقت انه لا يعطي الخلق رؤيته

في الدنيا مع جوازها ليوجد منه عم سؤال الرؤية بناء على معرفة جوازها ليتحقق
جواز الرؤية بسؤاله عم ذلك فيكون حجة قاطعة لاهل الحق على المنكرين لها من اهل البدع
قال يا موسى اني اصطفيتك اخترتك على الناس الموجودين في زمانك وهارون عم
وان كان نبيا واكبر منه سنا لكنه كان وزيرا له مأمورا باتباعه لا كليما ولا صاحب شرع
برسالاتي قرئ على الجمع اذ الذي ارسل به ضروب ولا على الافراد على ان تجعل الرسالة
محل المصدر الذي هو الارسال وبكلامي بعض اسفار التورية وانما اخره لان الرسالة
والحكمة وكن من الشاكرين من المعروفين بالشكر وهذا ابلغ من الامر بالشكر على النعمة بوجوه
روى ان سؤال الرؤية كان يوم عرفة واعطاء التورية يوم النحر وكتبنا له في الالواح
من كل شيء لفظة كل هنا للتكثير والتفخيم لا للاحاطة والتعميم كما في قوله تع واوتيت من
كل شيء والالواح جمع لوح وهو الصفحة المرتبة للكتابة فيها وانما قال له لان الوقوف
بالمكتوب فيها على تفصيل كل شيء كان مخصوصا به عم موعظة تحذيرا بما يزجر عن
القبيح وتبصيرا بمواقع الخوف والحذر وهي مفعول له لا البدل عن الجار والمجرور
لان المعنى الذي ذكرنا له مقصود بالافادة في المقام وتفصيلا لكل شيء من المصالح
الدينية والدنيوية فخذها عطف على كتبنا على ارادة القول اي فقلنا خذها و
الهاء للالواح بقوة بجد وعزيمة وامر قومك يأخذوا باحسنها بواجباتها فانها
احسن من غيرها وبما هو واجب وندب فانه احسن من المباح او باحسن ما
فيها ما هو حسن واحسن كالصبر بالنسبة الى الانتصار اي مرهم باختيار الافضل على
طريقة الندب سأريكم من رؤية العين ولهذا يتعدى الى اثنين دار الفاسقين
الذين اهلكهم الله بفسقهم فيتنظم دار فرعون وقومه ودار العمالقة ومنازل
عاد وثمود وموعظة بليغة تجري مجرى الوعيد على ترك الطاعة اي وامر قومك
يأخذوا باحسنها ويطيعوا ولا يهملوا ويفسقوا فاريكم دار من فسق فعقره
بهلاكهم ليعتبروا وقرئ ساوريكم اي سابيني لكم منها واورثت لغة وهي لغة
فاشية بالحجاز وقرئ ساورثكم على وفق قوله ع واورثنا القوم سأصرف عن
اياتي في الآفاق حتى لا يتفكروا في خلقها ولا يعتبروا بها وفي الانفس حتى يردوا فنائها
ويحجبوا بها الذين يتكبرون يتعظمون عن الانقياد للانبياء عم طلبا للعلو والرياسة
وانما قال في الارض اشارة الى كونهم من العالم السفلي الذي لا يليق الترفع بشان
من كان منها فيه تمهيد لقوله بغير الحق اي بدون الاستحقاق حال عن فاعل يتكبرون او صلة
اي يتكبرون بما ليس بحق اي بباطل وفيه انذار للمتطبعين من عاقبة المتكبرين الذين
طبعوا على قلوبهم بسبب شأنه التكبر فلا يتفكروا في ايات الله ع وان يروا كل اية لا يؤمنوا

بها

قوله بكلامي اي بتكليمي اياك ... عطف على الرسالة ع

اذ لا يعتبرون بها غفلة وانهماكا فيما يشغلهم عنها من شهواتهم وان يروا سبيل
الرشد لا يتخذوه سبيلا لاستيلاء الشيطنة عليهم وقرء الرشد بالفتحتين وقرئ
الرشاد وثلثتها لغة وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا لما هم الله تع السبيلين فالاول
وعد بناه النجدين وراء وما فاثروا الغي على الرشد قال تع فاستحبوا العمى على الهدى
ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين اي ذلك الصرف بسبب تكذيبهم باياتنا وغفلتهم
عنها وينصب على المصدر اي صرفهم ذلك الصرف بسببها ويجوز ان يكون قوله وكانوا
عنها غافلين استينافا اخبارا منه تع عنهم اي من شانهم انهم كانوا عنها غافلين عن الايات
وتدبرها فاورثتهم الغفلة التكذيب بها هذا ما قيل في الوجه وعندي هو ان يكون ذلك اشارة
الى التكبر لان سبب الصرف قد علم من قوله الذين يتكبرون لما تقرر في الاصول ان ترتب الحكم
على الموصول يدل على علية الصلة انما المحتاج الى البيان سبب ذلك التكبر فالكلام على ما ذكرنا
يكون على احسن وجوه الانتظام حيث يشار فيه اولا الى سبب الصرف هو التكبر عن الانقياد
للانبياء عم ثم يصرح بان سبب التكبر تكذيب المعجزات الدالة على صدقهم ثم ينبه
على ان سبب التكذيب انهماك المتكبرين في اسباب الغفلة عن جهة دلالة الايات
المذكورة على صدقهم في دعوى النبوة واعراضهم عن النظر فيها ولا بد من صرف قوله
المذكور عن ظاهره وتاويله بالوجه المذكور كيلا يكون مظنة الاعتذار من جهتهم والذين
كذبوا باياتنا ولقاء الاخرة من باب اضافة المصدر الى المفعول به اي ولقائهم الاخرة
او الى الظرف اي ولقاء ما وعد الله في الاخرة حبطت اي بطلت وتلاشت اعمالهم فلا ينتفعون
بها واحتمال عموم الاعمال للسيئات بعيد قد اندفع بقوله هل يجزون الا ما كانوا يعملون استفهام
بمعنى النفي اي لا يجزون الا جزاء ما عملوا من الكفر والمعاصي واتخذ قوم موسى من بعده
من بعد مفارقته عم اياهم الى الطور للميقات من حليهم التي استعاروا من القبطيين
حين هموا بالخروج من مصر واضافتها اليهم للملابسة لانها كانت في ايديهم واما ما قيل على
انهم قد ملكوها بعد المهلكين فلا صحة له لفظا ومعنى اما الاول فلان التدافع بين
الوجهين يابى عن عبارة العلاوة واما الثاني فلان المهلكين منهم الرجال والحلي كانت
للنساء منهم وقيل هذا الحلي ما اخذه بنو اسرائيل من قوم فرعون بعد الغرق وعلى هذا
يصح الوجه الثاني والحلي بضم الحاء جمع حلي كثدي وثدي وهو اسم ما يتزين به من الذهب
والفضة وقرئ من حليهم بكسرها بالاتباع كدلي وقرئ بالافراد عجلا لما كان المتبادر
منه ان يكون عجلا حقيقة ابدل عنه قوله جسدا لا روح فيه لم يقل بدنا لان الراس وساير
الاطراف خارج عنه له خوار البقر قيل ان السامري لما صاغ العجل القى في فمه من تراب
اثر فرس جبرئيل عم فصار حيا وقيل صاغ بنوع من الحيل فيدخل الريح جوفه ويصوت

دبرته الاتخاذ اليهم لا لانهم رضوا بفعله بل لان المراد اتخاذهم اياه الها
على ما دل عليه التشنيع الآتي ذكره وانما حذف قوله الها لدلالة مساق الكلام وفيه
ابهام ان ما صنعوا امر منكر مع قطع النظر عن عبادته وقرئ جؤار اي صياح الم
يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا تقريع على ما فرط منهم واخلالهم بالنظر
اي الم يروا حين اتخذوه الها انه لا يقدر على التكلم ولا على الارشاد كآحاد البشر
حتى حسبوا انه خالق الاجساد والقوى والقدر ولما كان الارشاد الى السبيل ممكنا
بالاشارة كان نفي الثاني ابلغ فاخر على طريقة الترقي اتخذوه تكرير للذم اي
اقدموا عليه من المنكر الفظيع وكانوا ظالمين اي في عادتهم وضع الاشياء غير
مواضعها فلم يكن هذا بدعا ولا اول مناكرهم ولما سقط في ايديهم كناية عن
اشتداد ندمهم وتحسرهم لان من شان النادم الشديد التحسر ان يعض يده
غما فيصير يده مسقوطا فيها لان فاه وقع في يده بلا اختيار وقرئ سقط على البناء
للفاعل بمعنى اي وقع العض فيها وقال الزجاج انه تشبيه لما يحصل في النفس
بما يحصل في اليد وتصوير للمعقول في القلب بالمحسوس في العين فمعناه سقط الندم
في انفسهم كما ينال حصل في يده مكروه ولا واحد وعلموا باتخاذه انهم قد ضلوا
قالوا لئن لم يرحمنا ربنا وقرئ ربنا بالنصب على النداء انقطاعا الى الله تع واعترافا
بعظم ما اقدموا عليه ولما كان ذنبهم اعظم الذنوب بدؤا بالرحمة التي وسعت كل شيء
ومن ثم بجانبها غفران الذنب ويغفر لنا بالتجاوز عن الخطيئة لنكونن من الخاسرين
المغبونين في الدنيا والاخرة ولما رجع موسى الى قومه غضبان صيغة مبالغة اسفا
شديد الحزن على ما كان منهم في غيبته عم قال بئسما خلفتموني اي قمتم مقامي وكنتم خلفاء
حيث لم تمنعوا من عبد العجل والخطاب لهارون عم والمؤمنين معه او بئسما خلفتموني
وكنتم خلفاء حيث عبدتم العجل والخطاب لعبدة العجل من بعدي من بعد ذهابي
عنكم او من بعد ما رأيتم مني من التوحيد والدعوة الى عبادة الله تع والكف عن عبادة
غيره ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة المستخلف ما نكرة موصوفة مفسرة للمستكن في بئس منصوبة
المحل خلفتموني صفة والمخصوص بالذم محذوف اي بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي
خلافتكم اعجلتم امر ربكم اي تركتموه غير تام استفهام انكار يقال عجل عن الامر اذا تركه
غير تام الا انه ضمن معنى سبق فعدي تعديته يعني لم تنتظروا وعد ربكم الذي وعدنيه من
الاربعين فقركتم الميعاد غير تام لقوله تع في موضع اخر الم يعدكم ربكم وعدا حسنا روي انهم
عدوا عشرين يوما بلياليها فجعلوها اربعين ثم احدثوا ما احدثوا بعد ما قال لهم السامري
ان موسى عم لن يرجع وانه قد مات فغيروا واما غيرة الامم بعد موت انبيائهم والقى الالواح طرحها من شدة

الغضب وفرط الضجر حمية للدين قيل ان التوراة كانت سبعة الواح فلما القاها
انكسرت فرفعت ستة اسباعها وكان فيها كل شيء وبقي سبع كان فيها المواعظ والاحكام بابا
قوله واخذ الالواح لان الظاهر منه ان المأخوذ هذا الملقى بعينه واخذ برأس اخيه ولحيته
على ما نص عليه في موضع آخر يجره اليه لفظ ما وهمه من الامر الذي استفزه ظنا باخيه انه قصر
في الكف قال ابن ام في ذكر الام مع انهما كانا اخوين لاب وام استعطاف واسترحام
لذكر انهما من بطن واحد بلا شبهة فيه وان مراعاة حقها احق واوجب فانه اعظم الاخوة
مع انها قاست المخاوف والشدائد لاجله قرئ بكسر الميم وطرح ياء الاضافة اكتفاء بالكسرة وبالفتح
لكونها اخف وتشبيها بخمسة عشر ان القوم استضعفوني اي لم يهابوني ولم يسمعوا مني
وكادوا يقتلونني اي بذلت وسعي في كفهم حتى قهروني وقاربوا قتلي قاله ازاحة لتوهم التقصير
في حقه فلا تشمت بي الاعداء فلا تفعل ما هو امنيتهم من الاستهانة وما يشمتون بي لاجله
والشماتة فرحة بمصاب عدوه ولا تجعلني مع القوم الظالمين معدودا في عدادهم
بالمؤاخذة او نسبة التقصير قال رب اغفر لي ما صنعت باخي ولاخي ضمه اليه اخاه في
الاستغفار ان عسى فرط في حسن الخلافة ترضية له ورفعا للشماتة عنه وادخلنا في
رحمتك بمزيد الانعام علينا وانت ارحم الراحمين ارحم بنا منا على انفسنا والواو
للعطف على مقدر كانه قيل انت الغفور وانت ارحم الخ ان الذين اتخذوا العجل سينالهم
غضب هو ما امرهم به من قتل انفسهم وانما قال من ربهم اشارة الى ما في ضمنه من اثر الرحمة
حيث كان فيه قبول توبتهم ولهذا قدمه على قوله وذلة اخراجها عن حيز الربية لهم
في الحياة الدنيا هي خروجهم عن ديارهم وقيل الجزية وكذلك ومثل ذلك الجزاء نجزي
المفترين على الله سبحانه ولا فرية اعظم من فريتهم هذا الهكم واله موسى لم يفتر مثلها احد
قبلهم ولا بعدهم والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي ثم تابوا من بعدها من
بعد السيئات وعبارة ثم للدلالة على ان التمادي فيها لم يضر بعد ما تاب عنها وامنوا اي
اخلصوا الايمان لان اصل الايمان قد ذكر فيما سبق ان ربك من بعدها من بعد تلك العظائم
لغفور رحيم لها وان كثرت كعبادة العجل وكثرت لجاجة بني اسرائيل رحيم بالامهال وترك
الاستعجال في الاخذ بالنكال فكان في عبادة تمهيد لهذا وتكرير من بعدها مع ان واللام مبالغة
في شمول غفرانه وسعة رحمته عظمت جرائمهم او لا ثم عقبها بتعظيم مغفرته ورحمته تعظيما
لا كتعظيمها بل ازيد وازيد ليعلم ان الذنوب وان جلت فان عفوه وغفرانه وكرمه واحسانه
اذا تاب صاحبها واخلص اجل واعظم وفيه تحريض على التوبة وحث على الاخلاص ولما سكت
ضمنه معنى زال فعداه بعن اي زال بعد عن موسى الغضب ساكنا وهو كلام في غاية البلاغة لان فيه
تشبيه الغضب بشخص كانه يحرضه على ما فعل ويقول له قل لقومك كذا والق الالواح وخذ برأس

اخيك على طريقة الاستعارة بالكناية لكون السكوت على حقيقته غير مجاز عن السكون ابلغ
او طريقة الاستعارة التمثيلية على تشبيه الحال بسكون الغضب بحال سكوت الناطق وترك ظاهرها
ان يكون اجزاء الكلام على معانيها الاصلية وقال الزجاج مصدر سكت الغضب سكت و
مصدر سكت الرجل سكوت وهذا يقتضي ان فعل على حدة وليس منه سكوت الناس وهو قول
يونس بن حبيب تقول العرب سال الوادي يومين ثم سكت فعلى هذا سكت بمعنى سكن
وقد قرئ به وقرئ سكت واسكت على ان المسكت هو الله تعالى او اخوه بالاعتذار و
قومه بتوبتهم وفيه اشارة الى حسن امهال الله تعالى العبد اذا تغير عن حاله وغلب عليه لا يطفئ
واذا كان اولوا العزم من الرسل يغلبهم بمرة عن الاختيار فكيف الظن بمن دونه اخذ الالواح
التي القاها وفي نسختها المنسخة فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وهي المكتوبة اي فيما نسخ بمعنى
كتب والنسخ النقل فيقتضي نقل مكتوب من اصل آخر وقد يطلق على الكتابة وان لم يكن نقل آخر ويكون
ان يكون المعنى وفيما انتسخ بنوا اسرائيل من الالواح والواو وفي نسختها للحال هدى بيان للحق
ورحمة ارشاد الى الصلاح والخير للذين هم لربهم يرهبون للذين يخافون ربهم بالله
والرهبة خوف معه تحرز واضطراب واللام في لربهم دخلت جابرة للضعف العارض للعمل
بسبب تاخيره عن المعمول واختار موسى قومه اي اختار موسى من قومه فحذف الجار واوصل
الفعل اليه وفيه ايهام تنزيل جل القوم منزلة كلهم سبعين رجلا القوم لا يكون الا رجالا
ففائدة قوله دفع احتمال التغليب لميقاتنا روي انه تعالى امره عليه السلام بان ياتيه في سبعين من
بني اسرائيل فاختار من كل سبط من الاسباط الاثني عشر ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان
فتشاجروا فقال ان لمن قعد منكم مثل اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلما
دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى عليه السلام بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه تعالى يكلم موسى عليه السلام وقالوا
لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة فصعقوا منها فلما اخذتهم الرجفة الاضطراب
والتقلقل للهول العظيم وقيل هو رجفة الجبل قال موسى عليه السلام لو شئت اهلكتهم من قبل واياي
تمنى هلاكه وهلاكهم قبل ان يرى ما راى كما يقول المبتلى ببلية لو شاء الله لاهلكني قبل هذا
او استرحم الله تعالى فقال انك قدرت ان تهلكنا بسبب اخر كاقدار فرعون علينا والاغراق
بالبحر وغيرهما وترحمت وانجيتنا فان ترحمت مرة اخرى لم يبعد من عميم احسانك اتهلكنا
جميعا بما فعل السفهاء منا من التجاسر على طلب الرؤية وكان القائل بعضهم سفههم وقيل المراد
به عبادة العجل واختيار موسى عليه السلام السبعين انما كان لميقات التوبة فغشيتهم هيبة
قلقوا منها ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف عليهم عليه السلام فبكى
ودعا فكشفها الله تعالى عنهم ان هي الا فتنتك ابتلاؤك حين اسمعتهم كلامك فطمعوا في رؤيتك
واحدث في العجل خوارا فضلوا به والضمير للفتنة تضل بها بالفتنة من تشاء ضلالة بالتجاوز عن حده

او اتباع المخايل وتهدي من تشاء هدايته فيقوى بها ايمانه وكذا الكل ابتلاء انت ولينا
مولانا القائم بامرنا فاغفر لنا بمغفرة ما قارفنا وارحمنا بدفع العذاب عنا لما كان نحو
واخوهم من المعصومين من الذنوب فحين سال المغفرة له ولاخيه لم يوكد المغفرة بل قال وانت
ارحم الراحمين ولما كان قد اندرج قومه في قوله انت ولينا وفي سوال المغفرة والرحمة وكان
قومه اصحاب الذنوب اكد استعطاف ربه في غفران تلك الذنوب فقال وانت خير الغافرين
تغفر الذنوب الكبيرة بالعذر اليسير ثم تجود بالعطاء الجزيل الكثير واكتب لنا اي اثبت لنا و
يستعمل في كل ما يخلد في هذه الدنيا هذه لتنزيل شان الدنيا عن شان الاخرة حسنة عاقبة طيبة وحسنة
سيرة وتوضعنا للطاعة وفي الاخرة اي وفيها حسنة ايضا وهي الجنة وما فيها انا هدنا اليك من هاد
يهود اذا رجع وقرئ هدنا اليك بكسر الهاء من هاد يهيد اذا حركه وامالة ويحتمل ان يكون
مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى املنا انفسنا او املنا اليك ويجوز ان يكون المضموم ايضا
مبنيا للمفعول منه على لغة يقول عود المريض قال عذابي اصيب به من اشاء تعذيبه بمقتضى
عدل ورحمتي وسعت كل شيء لا يخلو منها مسلم ولا كافر ولا شيء من الاشياء ولا اختصاص لرحمة
الاخرة بالمسلم على ما بينا في تفسير سورة الفاتحة فساكتبها فسا ثبتها والضمير للرحمة للذين
يتقون الكفر والمعاصي ويوتون الزكوة خصها بالذكر لانافتها لانها حق الصلوة التي هي عماد
الدين بل لانها كانت اشق عليهم لمحبتهم الدنيا والذين هم باياتنا بجميع اياتنا يومنون لا يكفرون
بشيء منها الذين يتبعون اما جر صفة للذين يتقون او بدل منه بدل الكل على ان المراد من آمن
منهم بمحمد عم او البعض او نصب على المدح او رفع عليه اي هم الذين يتبعون او مبتدأ
خبره يامرهم الرسول النبي الامي وصفه بالرسالة باعتبار تبليغ الاحكام من الله تع وقدمه
لانه اعم لا حيث يوصف به الملك ثم بالنبوة باعتبار انبائه عن الله تع وصفاته واخباره
عن الغيوب واحوال الاخرة وفيها وجه عموم اذا اعتبر الرسالة في بني ادم فلو اعتبر هذه
الجهة يكون تقديم الرسالة فبالنظر الى انه ارسله الله تع الى الخلق فانباءهم عنه تع ثم بكونه
اميا تنبيها على ان كمال علمه مع انه لم يقرا شيئا ولم يكتب اصلا ليس الا اختصاصها من عند الله تع
واصطفاء من لدنه واعجازا والامي الذي هو على صفة امة العرب قال عم انا امة امية لا
نكتب ولا نحسب كانه نسب الى الام فان الولد يولد من امه غير كاتب ولا قارئ او الى ام
الذي يجدونه اي يجدون اسمه ونعته مكتوبا عندهم في التورية والانجيل رفع لذكره
واشارة ما به بانه مذكور في كتب الله تع اخبر عنه الانبياء السابقون واقروا بنبوته و
زيادة قوله عندهم لافادة انه وجد في الكتابين المذكورين حال كونهما محفوظين فلا احتمال
لان يكون ذلك ملحقا من خارج يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر المعروف ما عرف بالشرع
جهة حسنة والمنكر ما عرف جهة قبحه ويحل لهم الطيبات التي حرم عليهم كالشحوم وغيرها

ويحرم عليهم الخبائث كالخمر ولحم الخنزير ونحوهما ونسبة الحل والحرمة اليه عم لانه مظهرهما
والاختلاف في اداة التعدية لما في الثاني مع التكليف دون الاول وتفضع ويحط عنهم
اصارهم وقرئ اصرهم لانه جنس فيصلح للجميع والاغلال التي كانت عليهم الاصر والاغلال
استعارتان لطيفتان للثقل الذي كان عليهم من التكاليف الشاقة المانعة عن حركاتهم
بمقتضى الهوى والقيود التي يمنعهم عن اختيارهم والاصر في الاصل الثقل الذي يأصر صاحبه
اي يحبسه عن الحركة اي يخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كاشتراط قتل النفس في صحة
التوبة وقطع الاعضاء الخاطئة والقيود الصعبة كقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب
واحراق الغنائم وتحريم العروق في اللحم وتحريم السبت واما تعيين القصاص في العمد و
الخطاء فقد مر ما فيه فتذكر ولا خفاء في ان ما اريد بالاصار اشق مما اريد بالاغلال والعفو
منه فلذلك ذكرها بالاضافة اليهم دون الاغلال فالذين آمنوا به اي بمحمد عم تكرير لتاكيد
مدحهم وتعظيمهم بالصفات المذكورة واعلام بانها هي الموجبة لانحصار الفلاح فيهم والفاء
للترتيب على ما تقدم وعزروه من العد وحتى لا يقوى عليه وقرئ وعزروه بالتشديد اي
عظموه بالتقوية ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اي مع نبوته اي القران وانما سمي نورا لانه
باعجازه ظاهر امره ومظهر غيره او لانه كاشف الحقائق مظهر لها ويجوز ان يكون معه متعلقا باتبعوا
اي واتبعوا القران مع اتباع النبي فيكون اشارة الى اتباع السنة اولئك هم المفلحون الاشارة
باولئك الى الموصوفين بالصفات المذكورة والى ان استحقاقهم للفلاح انما هو بسببها وبعض
الفلاح وتوسيطهم فقد مر ما يتعلق بها غير مرة ومضمون الاية جواب لدعاء موسى عم
متضمن لتوبيخ بني اسرائيل على ما صدر عنهم من انواع الكفر والمعاصي والتعريض لهم في
تكذيبهم بايات الله تع العظام التي اجراها على يد موسى عم بقوله والذين هم باياتنا يومنون
وترغيبهم في الاخلاص والعمل الصالح ببيان حال اعقابهم الذين يتبعون النبي المبعوث
في اخر الزمان وتحريضهم على التصديق بما في التورية والانجيل من نعته ليوطنوا انفسهم على
الايمان به طمعا في الرحمة التي خصصها بهم في قوله فساكتبها فيجبروا امثالهم ومنهم عبد الله بن
سلام واضرابه قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم الخطاب عام كان كل نبي مبعوثا
الى قومه خاصة ورسولنا صلعم الى الناس كافة بل الى الانس والجن عامة جميعا حال من اليكم
الذي له ملك السموات والارض صفة الله او بدل منه ولا يمنعه الفصل بما هو في حكم المتقدم او
نصب على المدح او رفع عليه او مبتداء وخبره لا اله الا هو وهو على الوجه الاول بيان للجملة
التي هي الصلة لان من ملك العالم كله لا يكون غيره الها وكذلك يحيي ويميت بيان لما قبله لانه
تقرير لاختصاصه بالالوهية اذ لا يقدر على الاحياء والاماتة غيره فامنوا بالله ورسوله النبي الامي
لما ذكر انه رسول الله امرهم بالايمان به وبدا بالايمان بالله تع لانه اصل يتفرع عنه الايمان بالرسل عم

والتفت عن التكلم الى الغيبة تعظيما له بتكرار ذكر الرسول عم واعادة صفات
المدح وتنبيها على ان الذي وجب الايمان به واتباعه هو الموصوف بهذه الصفات
لاجلها كائنا من كان وايقاظا للسامع لئلا يغفل عنه فيتمكن ويقع في نفسه الذي
يؤمن بالله وكلماته اي ما انزل الله عليه وعلى جميع الرسل من كتبه ووصيه وقرئ
كلمته اي جنس ما تكلم به او القران او عيسى عم تعريضا لليهود وتنبيها على ان من
لم يؤمن به عم لم يعتبر ايمانه وقيل كلمته الخ وجد بها الكل ومي قوله كن واتبعوه
لعلكم تهتدون جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه
بالتزام شرعه فهو بعد في خطط الضلالة ومن قوم موسى يعني بني اسرائيل امة
التنكير للتكثير او للتكبير يهدون بالحق يرشدون الناس محقين او بكلمة الحق وبه
بالحق يعدلون في الحكم بين الناس وهم الثابتون في الايمان القائمون بالحق
من اهل زمانه اتبع ذكرهم عبدة العجل كما هو عادة القران في الجمع بين السعداء و
الاشقياء في الذكر تنبيها على ان تعارض الخير والشر وتزاحم اهل الحق والباطل امر
مستمر وفيه دفع ما اوهم تخصيص الرحمة في جواب دعاء موسى عم بالذين يتبعون
الرسول في اخر الزمان ان غيرهم كلهم اهل الضلالة وقيل هم مؤمنوا اهل الكتاب وقيل
قيل قوم وراء الصين رأيهم رسول الله صلعم ليلة المعراج فامنوا به وقطعناهم اثنتي
عشرة مفعول ثان على تضمين قطعنا معنى صيرنا او حال وتانيثه على تاويل القطعة
او الفرقة اسباطا بدل منه ولذلك جمع او تمييز وجمع لانه اراد اثنتي عشرة قبيلة
اسباط لسبط موضع قبيلة للدلالة على ان كل واحدة منها اسباط تخفيفا فعلى هذا
اسباطا قايم مقام المفرد اما بدل من اثنتي عشرة او من اسباطا او نعت لها وفيه
اشارة الى ان كل من واحد من الاسباط كانت امة كثيرة العدد يؤم كل واحدة منهم
خلاف ما يؤمه الاخرى لا تكادونا تلف وتتفق والباقي مر تفسيره في سورة البقرة و
اوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه في التيه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست اي فضرب
فانبجست وحذفه للتنصيص للفظ وتكثير المعنى وهو ابلغ وجوه الاعجاز وذلك ان فيه اشعارا
بان الانفجار مستتبع للايحاء مرتب عليه وان الضرب لا تاثير له فيه بذاته وان موسى عم
لم يتوقف في الامتثال بالدلالة عليه في قوله فضرب محذوفا كانه او مذكورا والانبجاس خروج
الماء الجاري بقلة والانفجار خروجه بكثرة وكان البدء بقلة ثم بكثرة بالاتساع قد علم كل اناس
كل سبط جمع كرخاء ونساء لا جمع تكثير وجمع انسي اصله كسر الهمزة كشعب وشعاب فابدلت
الكسرة ضمة مشربهم وظللنا عليهم الغمام ليقيهم الحر وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا
اي وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون قد مر

تفسيره في سورة البقرة واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية باضمار اذكروا والقرية بيت
المقدس وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا مثل ما في سورة
البقرة غير ان هناك ادخلوا وهنا اسكنوا والسكنى يتعقب الدخول فامروا هناك بالمبدأ
وهنا بما تسبب عنه وهناك فكلوا بالفاء وهنا بالواو وذلك لان الدخول حالة منقضية
ذكر فاء التعقيب بعده والسكنى حالة مستمرة فحسن الامر بالاكل معه لا بعده واثبت
رغدا هناك بعد الامر بالدخول لانه حالة قدوم فالاكل فيها الذ بخلاف السكنى المذكورة
هنا فانها حالة استقرار واطمينان فليس الاكل فيها الالذ كالاكل عند الدخول واما تقديم الحطة
على الدخول وتاخيرها عنه فلا تفاوت فيه لان الواو للجمع لا للترتيب واما قوله واذا
قيل في مقام واذ قلنا على حذف العامل للعلم به واما انزلنا وارسلنا ويفسقون ويظلمون
فمن واد واحد نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين وعد بالغفران والزيادة عليه
بالاثابة قيل وانما اخرج الثاني مخرج الاستيناف للدلالة على انه تفضل محض ليس في مقابلة
ما امروا به ومبناه الفصول عن الواو الجامعة بينهما في سورة البقرة الدالة على التشريك في
المقابلة المذكورة فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا
من السماء بما كانوا يظلمون مر تفسيره في سورة البقرة واسألهم المراد من سؤالهم
التقريع بتقديم كفرهم واعتدائهم حدود الله والتقدير والاعلام بان هذا من العلوم
التي لا يحصل الا بالتعليم او بالوحي ولم يتعلم عم قط فهي لانه معجزة عن القرية عن خبرها
وحال اهلها وهي ايلة التي كانت حاضرة البحر قريبة منه على شاطئه بين مدين والطور
وقيل مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية اذ يعدون في السبت اذ يتجاوزون
حدود الله في تعظيم السبت بالاصطياد واذ ظرف لكانت او حاضرة او للمضاف المحذوف
ولا يجوز ان يكون بدلا منه بدل الاشتمال لان اذ من الظروف التي لا تتصرف ولا يدخل عليها حرف
جر وجعلها بدلا يجوز دخوله عليها لان البدل على نية تكرير العامل وانما يتصرف فيها بان
اضيف اليها بعض الظروف الزمانية نحو يوم اذ كان كذا وقرئ يعدون واصله يعتدون
ادغمت التاء في الدال ونقلت حركتها الى العين ويعدون من الاعداد اي يعدون الات الصيد في
حال تعظيم السبت او يوم السبت وقد نهوا عنه وامروا بان لا يشتغلوا فيه بغير العبادة اذ
تاتيهم حيتانهم ظرف ليعدون واحتمال الابدال قد مر وجه بطلانه يوم سبتهم شرعا
يوم تعظيمهم للسبت مصدر سبت اليهود اذا عظمت سبتهم بالتجرد للعبادة وقيل
اسم لليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويرجح الاول قراءة يوم اسباتهم و
قوله ويوم لا يسبتون لا تاتيهم وقرئ لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون على البناء للمفعول
بمعنى لا يدخلون في السبت وشرعا حال من الحيتان ومعناه ظاهرة على وجه الماء من شرع علينا

استقرار

اذا دنا واشرف وقيل اي مقبلة اليهم مصطفة كما تقول اشرعت الرماح اذا مدت
مصطفة والحيتان جمع حوت واكثر ما يستعمل العرب الحوت في معنى السمكة واختلف في
اطلاق اسم السمكة على ما سوى الحوت من الحيوانات البحرية والذي نص عليه الشافعي في الام
والمختصر انها تطلق على الجميع قال صاحب الروضة وهو الصحيح كذلك مثل ذلك البلاء الشديد
والظاهر ان الاشارة الى ابتلائهم باتيان الحيتان يوم السبت وعدم اتيانها في ساير الايام
نبلوهم بما كانوا يفسقون بسبب استمرارهم على الفسق واذ قالت عطف على ما قبلها امة
منهم جماعة من اهل القرية من صلحائهم الذين بالغوا في وعظهم وبذلوا المجهود في نهيهم
حتى ملوا وآيسوا من قبولهم وتفرسوا من حالهم ان الوعظ لا يؤثر فيهم فتركوهم لاقوام
منهم لم يتركوا موعظتهم لم تعظون قوما الله مهلكهم اي قد اشرفوا على ان يهلكهم الله تع
فيستأصلهم او معذبهم عذابا شديدا غير مستأصل قالوا معذرة الى ربكم اي موعظتنا
معذرة الى الله تع لئلا ننسب الى تقصير في النهي عن المنكر وقرئ معذرة بالنصب اي نعظهم
معذرة الى الله تع على انه مفعول له او يعتذر معذرة على المصدر ولعلهم يتقون وطمعنا
ان يتقوا بعض الاتقاء فلما نسوا تركوا ما ذكروا به ما ذكرهم به الصلحاء وجعل الترك
نسيانا مبالغة اذ اقوى احوال الترك ان ينسى المتروك انجينا الذين ينهون عن السوء
من عامة في المعاصي ويدخل فيها صيد الحوت دخولا اوليا واخذنا الذين ظلموا بالارتكاب
للمنكر وفيه تنبيه على ان العلة للاخذ هي الظلم بعذاب بئيس شديد فعيل من بؤس يبؤس
بأسا اذا اشتد وقرئ بئس كحذر وبيس كطير على تسكين العين للتخفيف ونقل
حركتها الى الباء ككبد في كبد وقرئ بيس على قلب الهمزة ياء كما قلب في ذيب وعلى انه
فعل الذم وصف به فجعل اسما وقرئ بيئس كريس على قلب الهمزة ببيس باء وادغام
الياء فيها وبيس على تخفيف بيس كهين في ميت بما كانوا يفسقون بسبب استمرارهم
على الفسق فلما عتوا عما نهوا عنه طغوا وتكبروا عما نهوا عنه وزادوا عصيانا وتمردا
قلنا لهم على طريقة الامر التكويني كونوا قردة اي مسخناهم دفعة خاسئين اذلاء مبعدين
عن الناس وقد مر ما يتعلق بهذا في تفسير سورة البقرة والظاهر من المعنى ان الله تع عذبهم
اولا بعذاب شديد فلم ينتهوا وعتوا بعد ذلك فمسخهم وقيل لما عتوا تكرير وتقدير لقوله
فلما نسوا والعذاب الشديد هو المسخ وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا ابدانهم واذ تأذن
ربك تأذن عزم وهو تفعل من الايذان وهو الاعلام او عدوا جرى مجرى القسم ولهذا
ليبعثن عليهم اي عزم ذلك واوجب على نفسه ليسلطن على اليهود الى يوم القيمة من
يسومهم يكلفهم سوء العذاب كالاذلال وضرب الجزية بعث الله تع عليهم بعد سليمان عم
بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتليهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على

بقي منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس الى ان بعث الله محمدا عم فضربها عليهم لا الى آخر
الدهر كما قيل بل الى نزول عيسى عم لانه بعد نزوله من السماء يضع عليهم الجزية على
ما ورد في الحديث المرفوع وعند ذلك ينقلب تخليف الجزية الى اشده وهو تكليف الاسلام
بالقتل وسوء العذاب ينتظمها ويجوز ان يكون المراد من يوم القيمة وقت ظهور بعد
اشتراطها فحينئذ لا حاجة الى تعميم سوء العذاب والله اعلم بالصواب ان ربك لسريع العقاب
لا يحتاج الى اعداد الآلات واحضار الاسباب وانه لغفور رحيم لمن تاب واناب وقطعناهم
في الارض فرقناهم في اقطارها بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم تتميما لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة
بالاجتماع امما مفعول ثان او حال منهم الصالحون الذين آمنوا بالمدينة ونظراؤهم والصالحون
فاعل للظرف لاعتماده على الموصوف او مبتدأ ومنهم خبره والجملة صفة لامما ومنهم دون ذلك
صفة لمبتدأ محذوف اي ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عن درجة الصلاح وهم
الفسقة والكفرة وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون عما كانوا عليه
بالانتهاء فخلف من بعدهم من بعد المذكورين خلف بدل سوء وهو مصدر نعت به ولذلك
يستوي فيه الواحد والكثير وقيل جمع قال ثعلب الناس كلهم يقولون خلف صدق للصالح
وخلف سوء للطالح وكأنه غافل عن قول حسان في المدح لنا القدم الاولى اليك وخلفنا لاولنا
في طاعة الله تابع والمراد به الذين كانوا في عصر رسول الله صلعم ورثوا الكتاب التورية
التورية في اسلافهم يقرؤونها ويقفون على ما فيها ولا يعملون بها وفي عبارة ورثوا
اشارة الى انها وصلت اليهم بلا استحقاق منهم كما يصل المال الموروث الصالح الى الوارث
الطالح يأخذون عرض هذا الادنى اي حطام هذا الشيء الادنى وهو ما يأخذونه من
الرشى في الاحكام وعلى تحريف الكلم للتسهيل على العامة الادنى اما من الدنو بمعنى القرب لان
الشيء الحقير سهل التناول قريب المأخذ واما من الدناءة بمعنى الخسة والمراد منه الدنيا وما
يتمتع منه فيها والاشارة بهذا المزيد التحقير والجملة حال من ضمير ورثوا او صفة بعد صفة
ويقولون سيغفر لنا اي اذا عوتبوا على ذلك اعتذروا بما يرجونه من سعة رحمة الله تع ويقولون
لا يؤاخذنا الله تع بما اخذنا ونجانا وزعمنا وهو يحتمل العطف والحال والفعل مسند الى الجار
والمجرور او الى مصدر يأخذون وان يأتهم عرض مثله يأخذوه حال من الضمير في يقولون اي
يرجون المغفرة جازمين بها وهم مصرون على ذنوبهم لا يتوبون عنها الم يؤخذ عليهم
ميثاق الكتاب اي العهد الذي في التورية ان لا يقولوا على الله الا الحق عطف بيان للميثاق
او يتعلق به اي بان لا يقولوا اي لا يفتروا على الله وهو القطع بالمغفرة مع الاصرار وهو
خلاف ميثاق الكتاب ويجوز ان يكون ان مفسرة ولا يقولوا نهيا كأنه قيل الم نقل لهم لا تقولوا
وان فسر الميثاق بما تقدم فيه وهو ان ارتكب ذنبا عظيما لا يغفر الا بالتوبة كان لا يقولوا

مفعول له اي لئلا يقولوا ودرسوا ما فيه الظاهر عطف على ورثوا وقوله الم يؤخذ الخ
اعتراض وحال بتقدير قد وقيل عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى لانه تقرير له كانه قيل
اخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه معنى الهمزة في الم يؤخذ تقريع وتوبيخ على اخذ
الرشوة والقطع بالمغفرة ولهذا قبح فعلهم بوجوه اولها انه خلاف ميثاق الكتاب الثاني
انه افتراء على الله تع الثالث التاكيد بقوله ودرسوا ما فيه اي اشتراط التوبة في غفران
الذنب الرابع قوله والدار الاخرة خير اي من ذلك العرض الخسيس للذين يتقون الرشى وهو
تعريض بانهم يستحبون الدنيا على الاخرة ويستبدلونها بها ثم التاكيد بقوله افلا تعقلون
اي انا خذون العرض الحقير فلا يعقلون ان الدار الآخرة خير فلا يبيعون الشريف الباقي
بالخسيس الفاني وقرئ يعقلون بالياء على الالتفات وفي الابهام بقوله الا تعقلوا تنبيه على
عظم ما يرتكبونه والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة تعريض بانهم لا يمسكون
الكتاب اذ يخالفونه وانهم لا يصلون وتخصيصها بالذكر لانه عماد الدين وام العبادات
والجملة عطف على للذين يتقون وافلا تعقلون اعتراض بينهما انا لا نضيع اجر المصلحين
اعتراض اخر او مبتداء خبره انا لا نضيع اجر المصلحين اي منهم او على وضع الظاهر موضع
الضمير تنبيها على ان الاصلاح كالمانع من التضييع وايماء الى انهم مفسدون بما يفعلون
او استئناف لتعليل الخبر المحذوف كانه قيل توفيهم اجورهم لانا لا نضيع اجر المحسنين
واذ نتقنا الجبل اي قلعناه من الاصل ورفعناه فوقهم يقال نتقت الدابة صاحبها اذا
نفضته وابه اي حركته ورفعته كانه ظلة مع في موضع الحال من الجبل والظلة كل ما اظل من سقيفة
او سحاب وقرئ بالطاء المهملة من اطل اذا اشرف وظنوا انه واقع بهم ساقط عليهم
وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لثقلها فرفع الله تع الطور فوقهم وقيل
لهم ان قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم وهذا لا يقتضي تيقنهم بوقوع الجبل بهم وكذا
عدم ثبوت الجبل في الجو لا يقتضيه لانه على خلاف جري العادة واما على تقدير حرفه فلا بعد فيه وعدم
وقوع المتعلق لا يصلح وجها لاطلاق الظن على الاعتقاد الجازم لعدم الفرق بينهما
في عدم الاقتضاء لوقوعه فالوجه ان يكون الظن هنا على حقيقته خذوا على اضمار القول
وقلنا خذوا او وقائلين ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزم على اضمار تكاليفه ومشاقه
وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل به ولا تتركوه كالمنسي لعلكم تتقون ما انتم عليه من قبائح
الاعمال ورذائل الاخلاق واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم اي اخرج من
اصلابهم نسلهم على ما يتولدون قرنا بعد قرن ومن ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض
والضمير لآدم وبنيه لا لبنيه خاصة والا يلزم اخراج اولاده من قبله اذ ذاته واما عيسى عم
فخارج من ظهر جده بواسطة امه واشهدهم على انفسهم الست بربكم اي نصب لهم دلائل

ربوبيته وركب في عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم الست
بربكم ونزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منزلة الاشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل
ويدل عليه قوله قالوا بلى شهدنا بلى في سؤال النفي اثبات فكان اقرارا والاقرار بدون
الاعتقاد لا يكون شهادة ولهذا رد الله تع قول المنافقين قالوا نشهد انك لرسول الله فالتصديق
ثبت مقتضى قولهم شهدنا ان تقولوا اي كراهة ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا
غافلين لم ننبه عليه او تقولوا عطف على ان تقولوا وقرئ كلاهما بالياء بناء على ما عليه اول
الكلام من الغيبة انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لان التقليد
عند قيام الدليل والتمكن من العلم به لا يصلح عذرا افتهلكنا بما فعل المبطلون
ابعدنا سبيل آبائنا المبطلين الشرك وجعلهم اياه سنت لنا تهلكنا بما فعلوه وقيل
لما خلق الله تع آدم عم اخرج من ظهره ذريته كالذر واحياهم وجعل لهم العقل و
النطق والهمهم ذلك بحديث رواه عمر والمقصود من ايراد هذا الكلام ههنا الزام
اليهود مقتضى الميثاق العام بعد ما الزمهم بالميثاق المخصوص بهم والاحتجاج عليهم
بالحجج السمعية والعقلية ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر والاستدلال كما قال
وكذلك ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل الآيات قطعا لعذرهم ولعلهم يرجعون
اي يميز بعضها ليتمكنوا عن الاستدلال بها ويرجعوا عن التقليد واتباع الباطل والواو
للعطف لمقدر نبهنا عليه واتل عليهم على اليهود نبأ الذي آتيناه آياتنا هو احد علماء
بني اسرائيل وقيل هو الكنعاني اسمه بلعم بن باعورا وتي علم بعض كتب الله تع فانسلخ
منها بان كفر بها وخرج عن حكمها فاتبعه الشيطان حتى لحقه اي جعله تابعا وقيل استتبعه
او اتبعه ليضله فادركه ولحقه وصار قرينا له فكان من الغاوين فصار من الغاوين
وقيل هو امية بن ابي الصلت كان قد قرأ الكتب وعلم ان الله تع مرسل في ذلك الزمان رسولا
وتوقع ان يكون هو كذلك فلما بعث محمد صلعم حسده وكفر به ولو شئنا لرفعناه
بها الى منازل الابرار من العلماء لان مراد الله تع لا يتخلف ولكن حكمته اقتضت ان يتبع
ارادته اختيار العبد واشار الى هذا حيث قال في موقع ولكن لم نشأ ولكنه اخلد الى الارض
نذكر فعل العبد لا فعله اي مال الى الدنيا والى السفالة واتبع هواه في ايثار الدنيا واسترضا
قومه واعرض عن مقتضى الآيات بسبب نسبة الآيات الى الله تع وخروجه عن حكمها اليه
اشعارا بان الكمال انما يكون بحسب استعداد العبد فاعطاه اسباب الكمال ولكنه بحسب
استعداده الى الجهة السفلية فخرج عن حكمها فانسلخ الشيطان فاغواه فتغير بها وعلق رفعه
بمشية الله تع واسند تركه بفعل العبد تنبيها على ان المشية سبب لفعل الموجب لرفعه
وان عدمه دليل عدمها الاستلزام انتفاء المسبب انتفاء السبب وان السبب الحقيقي هو

المثبتة وان الاسباب والوسائط فى حصول المسبب اذا تعلقت المشية به كذلك ووضع قوله
اخلد الى الارض واتبع هواه موضع اعرض عنها اقامة للسبب مقام المسبب مبالغة
وتنبيها على ان موجب اعراضه هو النفس وحب الدنيا وانه راس كل خطيئة وكان يقتضى
الظاهر ان يقال ولكنه اخلد الى الارض فحططناه فى مقابلة رفعناه فوضع قوله فمثله
كمثل الكلب موضع فحططناه ابلغ حط واذله مبالغة اى صفته كصفة الكلب الذى هو
مثل فى الخسة فى اخس احواله واذلها وهو دوام اللهث سواء حمل عليه وهيج او ترك
ولم يهيج على ما ذكر بقوله ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث فانه يلهث دايما لضعف
قلبه وحرارته بخلاف ساير الحيوانات فانه يلهث عند التحرك والانزعاج ولا تلهث
عند التوديع والاجمام واللهث هو ادلاع اللسان من التنفس الشديد الذى يلحق
الانسان وغيره من شدة الاعياء وهو فى الكلاب طبع وقد يكون من العطش ومحل
الجملة الشرطية النصب على الحال اى كمثل الكلب لاهثا فى الحالين والمراد التمثيل ان استعداد
الخبيث لا موجبات الترقى واسباب الكمال والسعادة بل يزيده نقصا واخطاطا وشقاء
كما لم ينفعه الايات بل زادته رجسا ووجه التمثيل ان ابتاء الايات واسباب السعادات
كالتوديع والاجمام وضلالة واستعداده كلهث الكلب وطبيعته ولهذا قيل معناه ان وعظته
فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا يعنى لا اختصاص للتمثيل
المذكور بالذى ورد فى حقه بل يعم وامثاله من المكذبين باياتنا كما لا اختصاص للاحكام
النازلة باسباب نزولها ومن ههنا يتضح وجه التفريع فى قوله فاقصص القصص المذكور
المشتملة على التمثيلات المنبهة لمن حاله كحالهم لعلهم يتفكرون فيه فيتعظون ويحذرون
مثل عاقبته ساء مثلا القوم الذين كذبوا باياتنا ساء بمعنى بئس واصلها التعدى يقول
ساءنى الشى يسوءنى ثم استعمل استعمال بئس على فعل وجرت عليها احكام بئس ومثلا تمييز
للضمير المستكن فى ساء فاعلا وهو مفسر بهذا التمييز وهو من الضماير التى يفسرها ما
بعدها ولابد ان يكون المخصوص بالذم من جنس التمييز فاحتيج الى تقدير مضاف
اما فى التمييز اى ساء اصحاب مثلا اصحاب القوم واما فى المخصوص اى ساء مثلا
مثل القوم وهذه الجملة تاكيد للجملة التى قبلها وانفسهم كانوا يظلمون بعد قيام الحجة و
علمهم بها اما معطوف على كذبوا فيكون فى حيز الصلة اى الذين جمعوا بين التكذيب
والظلم على انفسهم واما كلام منقطع عن الصلة اعتراضا للبيان اى وما ظلموا بالتكذيب
الا انفسهم لان وباله لا يتعدى الا اليها ولهذا التخصيص قدم المفعول وهذا الاخبار
احسن من يهدى الله فهو المهتدى ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون لما تقدم ذكر المهتدين
والضالين صرح بانه المتصرف فيهم بما شاء من هداية وضلال وفيه تصريح بان الاهتداء

مخصوص بمن يهدى الله تع وتنزيل للهداية التى لم يترتب عليها الاهتداء منزلة العدم
واما اختصاص هدايته تع ببعض دون بعض واستلزامها الاهتداء فيرده قوله تع و
اما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى وفى الافراد فى الاول والجمع فى الثانى اعتبار
اللفظ فى الاول والمعنى فى الثانى والتعبير بلفظ الضالين تنبيه على ان المهتدين كنفس
واحدة لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين فان لهم طرقا لا تنحصر وان اجتماعهم لا يجدى نفعا
فى دفع الخسران اللازم لضلالتهم وفى الاقتصار فى الاخبار عمن هداه الله تع بالمهتدى تعظيم
لشان الاهتداء وبيان انه فى نفسه كمال تام لو لم يكن غيره لكفى نفعا جليلا وربحا وافيا
لانه المستلزم للفوز الاكبر والعنوان لجميع الكمالات ولقد ذرانا خلقنا لجهنم لمصلحة
فانه مظهر جلال الله تع وقهره فلا يناسب الحكمة تعطيله وفيه تنبيه على سبب خلقه تع من لا حظ له
من الاهتداء كثيرا من الجن والانس قدم الجن على الانس لان الكلام فى مقام التحقير والاذلال
وهم المطبوع على قلوبهم الذين علم الله تع فيهم الدعوة الى الحق والايات لهم قلوب
لا يفقهون بها اذ لا يلقون افهامهم الى النظر فى الدلائل ولا اذهانهم الى طلب الحق
ومعرفته ولهم اعين لا يبصرون بها اى لا ينظرون بها نظر اعتبار الى ما خلق الله تع
ولهم اذان لا يسمعون بها ايات الله سماع تدبر وتامل فكانه لا ادراك لقلوبهم و
مشاعرهم اولئك كالانعام لما لم ينتفعوا بقلوبهم ومشاعرهم جعلها مسلوبة الفهم والادراك
ثم شبههم بالانعام فى عدم الفقه والاعتبار والفهم او فى ان مشاعرهم لا يتوجه الا
الى اللذات الحسية وامور المعاش لا يطمح ابصارهم ولا يلتفت بصائرهم الى امور المعاد
بل هم اضل لانها مع عدم العقل يجتنب المضار ويجلب اسباب المنافع بخلاف الكفار فانهم على
عكس هذا كيف وهم يصرون على الكفر والانكار والاصرار يورثهم الاضرار فى هذه الدار
ودار القرار اولئك هم الغافلون الكاملون فى الغفلة يعنى بسبب كونهم اضل من الانعام وهو
الغفلة عما اعد الله تع لاوليائه من الثواب ولاعدائه من العقاب وفى الاية تعريض باليهود
ببيان ما هو صورة حالهم ولله الاسماء الحسنى التى هى احسن الاسماء لدلالتها على المعانى التى
هى اشرف المعانى فادعوه بها لا بغيرها ولا تدعوا غيره بها وذروا الذين يلحدون فى اسمائه
واتركوا تسمية الذين يميلون فى تسميته عن الحق الى الباطل فيسمونه بما لا توقيف فيه او
او بما يوهم معنى فاسدا كقولك يا الله يا ابا المكارم يا ابيض الوجه او الذين يزيغون فى
اسمائه فيطلقونها على غيره تع كقولهم ما نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة فلا تبالوا بانكارهم و
اتركوا والحادهم او ذروهم والحادهم فى اطلاقها على اصنامهم لتسميتهم واشتقاقهم اسماءها
منها كاللات من الله والعزى من العزيز فلا توافقوهم فيها واعرضوا عنهم فان الله تع يجزيهم
كما قال سيجزون ما كانوا يعملون والتركيب على هذا الوجه اول وقرئ يلحدون بالفتح يقال

لحد والحد اذا مال عن القصد ولما قال ذرأنا لجهنم كثيرا كالضالين الغافلين والملحدين فقاه
بما دل على انه خلق للجنة كثيرا وهو قوله وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون في الحكم
في كل قرن طائفة بهذه الصفة لقوله عم لا يزال طائفة من امتي على الحق الى ان ياتي امر الله فيه
دلالة على صحة الاجماع والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم اي بايات الله تع التي تضمنها
القران لقوله تع فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم والمراد من الاستدراج
الاستدناء الى الهلاك قليلا قليلا يقال درج الكتاب اي طواه شيئا بعد شيء قال الخليل
اي سنطوي عمرهم في اغترارهم فهو من الدرج بمعنى اللف ومنه ادرج الميت في اكفانه
وقيل هو من الدرجة فهو في الاصل التقريب من المقصود درجة بعد درجة بالاصعاد
والاهباط ثم اتسع فاطلق على التقريب منه قليلا قليلا ومنه درج الصبي اذا قارب
بين خطاه من حيث لا يعلمون انه استدراج حيث جدد لهم النعمة كلما جددوا ما يستحقون
به النقمة فاغتروا به حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة واملي لهم واوخر عنهم من
الملي بقبلة الباء يقال مضى عليه ملي من الدهر وملاوة بفتح الميم وضمها وكسرها اي قطعة منه عطف
على سنستدرجهم ذا لا حاجة الى ادخاله في حكم السين فان الاملاء يلزمه الاستدراج المذكور
لزوما بينا فتاكيده يغني عن تاكيد هذا فمن قال عطف على سنستدرجهم ثم قال وهو داخل
في حكم السين فقد اخطاء مرتين وانما لم يقل نملي لهم على وفق نستدرجهم للفرق بينهما
فان الاستدراج بالتدبير العادي الذي توسط فيه المدبرات امرا والاملاء بالتقدير
الالهي الذي لا دخل فيه لاحد ان كيدي الكيد الاخذ على خفاء فاطلاقه هنا على الحقيقة
لا على التشبيه كما زعمه من قال وانما سماه كيدا لانه على صورته ولا يعتبر فيه اظهار خلاف ما ابطنه
وبه يفارق المكر فانه يشارك الكيد في الاخذ المذكور ويمتاز عنه باشتمال القيد المذكور متين
شديد قوي اصله من المتن وهو اللحم الغليظ الذي على جانب الصلب وهما متنان اولم
يتفكروا الاستفهام للتعجب والواو للعطف على محذوف تقديره الم يعلموا ولم يتفكروا ما
بصاحبهم يعني محمدا عم من جنة اي جنون من مس الجنة وكانوا يقولون فيه عم شاعر مجنون
بالغ في نفي الجنون عنه عم بنفي الجنة منكرا قاصدا بتنكيرها التقليل اي ليس به عم شيء من
الجنة وبزيادة من الدالة على نفي ما ينسب اليها ايضا وان لم يكن منها حقيقة وفي تعبيرهم بصاحبهم
تعريض لهم وفي عبارة الصاحب ونسبته اليهم اشارة الى انه لو كان به عم تلك الحال
لما خفيت عليكم لما بينكما من المصاحبة والمخالطة ان هو الا نذير عن قتادة ان النبي عم
علا الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم باس الله تع فقال قائلهم ان صاحبكم هذا مجنون
بات يصوت الى الصباح فنزلت فالمعنى ما هو عم في تلك الحالة الا منذر مبين موضح
انذاره باعلى صوت اولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات والارض فيما يدل له

عليه من عظم ملكه او فيما يملك به السموات والارض ملكوتا بناء انهما الملكوت الملك العظيم
او الملائكة اي جنس الملائكة المدبرة لها بامره تع ثم انه لم يقتصر على الحث على النظر في الملكوت
بل نبه على ان كل فرد له اية تدل على انه واحد فقال وما خلق الله من شيء وفيما خلق الله تع
من كل ما يقع عليه اسم الشيء مما لا يمكن حصره ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة فاطرها
وعظم شان مالكها ومدبرها فيعلمون صحة ما يدعوهم اليه وفي امكان اقتراب اجلهم فلعلهم
انهم يموتون عن قريب فيسارعون الى النظر فيما يهديهم الى الحق ويبادرون من العمل الى ما
ينجيهم من العذاب قبل مغافصة الاجل وحلول العقاب على ما ذكره بقوله وان عسى ان يكون
قد اقترب اجلهم عطف على ملكوت وان مخففة من الثقيلة اصله انه والضمير فيها وفي يكون ضمير
الشان والحديث اي وفي ان الشان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم ولا يجوز ان يكون مصدرية
لانهم نصوا انها توصل بفعل متصرف وعسى فعل جامد فلا يجوز ان يكون صلة لان ويجوز
ان يراد باقتراب الاجل اقتراب الساعة فباي حديث بعده اي بعد القران يؤمنون متعلق بعسى
ان يكون اي لعل اجلهم قد اقترب فما بالهم لا يبادرون الى الايمان بالقران قبل الفوت
وما ينتظرون بعد وضوحه ولزوم الحجة عليهم وقيل فوائه ما هو الا كونهم مطبوعا
على قلوبهم لما ارشدهم الى الاستدلال وحرضهم على النظر في امكان قرب الاجل انكر عليهم
التثبط عن الايمان ثم قرر معنى الانكار وما يلزمه وعلل ذلك بقوله من يضلل الله فلا هادي له
نفي نفيا عاما ان يكون هاديا لمن اضل الله تع فتضمن الياس عن ايمانهم والمقت لهم ونذرهم بالرفع
اعتراض بالنون اي ونحن نذرهم وقرئ يذرهم بالياء لقوله من يضلل الله وقرئ به وبالجزم عطفا
على محل فلا هادي له كانه قيل لا يهده احد غيره ويذرهم في طغيانهم في افراط ترفعهم يعمهون
حال من يسئلونك عن الساعة اي عن يوم القيمة لقوله تع يسالونك ايان يوم الدين وهو
من الاسماء الغالبة واطلاقها على ذلك اليوم اما لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او لانها على
طولها كساعة عند الله تع وقيل اصلها ساعة قيام الناس بالاضافة كبيت الله تع فلما غلب [تعينت]
فاستغنت عن الاضافة وعلى هذا لا حاجة الى وجه التسمية ايان مرسيها ايان بمعنى متى قيل [اشتقاقه]
من اي وان من اوبت لان البعض آو الى الكل ويمكن ان يكون تركيبها من اي بمعنى مع الان
فتركيبها لان معناه اي وقت مرساها مصدر اي ارساها الاثبات او اسم زمان منه [او مكان?]
وهو ثبات جسم ثقيل وقراره ومنه رساء الجبل لا اثقل من الساعة كان النبي صلعم يدعوهم
الى الايمان والطاعة وينهاهم عن الكفر والمعصية ويحذرهم قيام الساعة فقالوا متى هي
قل انما علمها عند ربي استاثر به لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا لما كان السؤال
عن الساعة عموما ثم خصص السؤال عن وقتها جاء الجواب عنها عموما بقوله قل انما علمها عند ربي
ثم خصص من حيث الوقت فقيل لا يجليها لوقتها اي لا يبينها ولا يكشف عنها للناس واللام [للتوقيت?]

كما في اقم الصلوة لدلوك الشمس والمعنى ان الخفاء بها يستمر على غيره الى وقت وقوعها ولا
يظهرها الا في ذلك الوقت الذي تقع فيه بغتة بنفس الوقوع لا بالاخبار عنها ليكون ادعى
الى الطاعة وازجر عن المعصية كما اخفى الاجل الخاص الذي هو وقت الموت ثقلت في السموات
والارض اي شقت وكبرت على اهلها من الملئكة والثقلين لهولها وعظمها كانه اشار
الى الحكمة اخفائها اي لا يطيقون حمل اخبارها او ثقل اخفائها عليهم فان ما خفي امره ثقل
على النفوس لا تاتيكم الا بغتة فجاءة على غفلة منكم كما قال ما ينظرون الا صيحة واحدة
تاخذهم وهم يخصمون وقد ورد في الحديث ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح
حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في السوق والرجل يخفض ميزانه ويرفعه
يسالونك اي عن الساعة كانك حفي عنها فعيل من حفي عن الشيء اذا بالغ في السؤال عنه واصل التركيب
للمبالغة ومنه احفاء الشارب واحتفاء البقل استيصاله واحفى في المسئلة اذا الحف
فالمعنى عالم بها علما متقنا لان من بالغ في المسئلة عن الشيء استحكم علمها واتقن ولهذا
عدى بعن او كانك بليغ في السؤال عنها حتى احكمت علمها وقرئ حفي بها اي عالم بليغ في العلم
بها قل انما علمها عند الله كرره لتكرير يسالونك لما نيط به من زيادة قوله كانك حفي عنها للتاكيد
والمبالغة ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان علمها عند الله تع لم يؤته احدا من خلقه قل لا املك
لنفسي نفعا ولا ضرا جلب نفع ودفع ضر وهو اظهار للعبودية وتبري عما يختص بالربوبية
من علم الغيب اي كما يرا الممالك والعبيد لا املك لنفسي شيئا الا ما شاء الله من ذلك فيلهمني
اياه ويوفقني ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ولو كنت اعلم الغيب لخالفت
حالي ما هي عليه من استكثار الخير باجتلاب المنافع والاخلاص عن الشر باجتناب المضار كما
هو مقتضي طبع البشر وفيه دلالة على انه لا يثر للعبد سوالا امكن بالتدبير على تقدير العلم
باسباب النفع والضر فتدبر فانه موضع النظر عن ابن عباس رض قال اهل مكة الا يخبرك ربك
بالسوق الرخيص قبل ان يغلوا فتشتري وتربح وبالارض التي يريد ان يجدب فيرحل عنها الى
ما اخضب فنزلت ان انا الا نذير وبشير الا عبد ارسلت نذيرا وبشيرا لقوم يؤمنون متعلق
بالبشير ومتعلق النذير محذوف للتعميم لقوله تع ان انذر الناس وبشر الذين امنوا والقوم محتمل
بالرجال فالبشارة عبارة تختص بهم ودلالة تعم النساء حيث علقت بالايمان فان ترتب
بموصوف يدل على علية الوصف له وفيه تحريض للكفار على الايمان هو الذي خلقكم من نفس
واحدة هو ادم عم وجعل منها من جنسها لقوله وجعل لكم من انفسكم ازواجا زوجها حواء
ليسكن اليها سكون الشيء الى جنسه فيانس بها ويطمئن اليها وانما ذكر الضمير ذهابا الى المعنى
ليبين ان المراد منها آدم ويؤكد معنى الانس والميل لان الذكر بالانثى انس واليها اميل لسيما
قوله فلما تغشيها التغشي كناية عن الجماع حملت حملا الحمل بالفتح على ما كان في بطن وبالكسر

ما كان على ظهر خفيفا لكونه نطفة او خفت عليها ولم تلق منه ما يلقى الحبالى غالبا من الكرب
والثقل والاذى فمرت به فقامت به وقعدت اي ترددت به لخفته كما لم يكن تحمل او
استمرت به كما هو قراءة ابن عباس رض اي لم تزلق ولم تسقط ولم تخدج وقرئ فمرت
بالتخفيف اي فشكت فيما اصابها هل هو حمل او مرض او غيرهما وقرئ فمارت به اي جاءت
وذهبت وتصرفت كما تقول مارت الريح مورا فلما اثقلت صارت ذات ثقل بكبر الولد في
بطنها اي حان وقت وضعه وقرئ اثقلت على البناء للمفعول اي اثقلها الحمل دعوا الله الضمير لآدم عم
وحواء ربهما مالك امرهما ومتعلق الدعاء محذوف يدل عليه جملة جواب القسم لئن اتيتنا صالحا
اي دعواه ورغبا اليه في ان يؤتيهما ولدا سويا قد صلح بدنه وكملت خلقته لنكونن من الشاكرين
لك على نعمائك ويدخل فيه دخولا اوليا الشكر على هذه النعمة المتجددة فلما اتيهما صالحا
جعلا له اي جعل اولادهما شركاء فيما اتيهما اي اولادهما فسموا عبد العزى وعبد مناف
على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ويدل عليه قوله فتعالى الله عما يشركون وكون
الخطاب لغير آدم عم باباه وجعل منها زوجها ليسكن اليها وقرئ شركا اي شركة فيه غيره
او ذوي شرك اي شركاء ايشركون الاستفهام بمعنى التوبيخ ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون
هم ضمير الاصنام جيء به على تسميتهم اياها الهة ولا يستطيعون لهم اي لعبدتهم نصرا و
لا انفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها وان تدعوهم اي المشركين الى الهدى اي الاسلام
لا يتبعوكم وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير الاصنام اي ان تدعوهم الى ان يهدوكم لا يتبعوكم
الى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله وقرئ لا يتبعوكم بالتخفيف سواء عليكم ادعوتموهم
قدمر ما يتعلق به في تفسير سورة البقرة ام انتم صامتون انما لم يقل ام صمتم لان المراد انه لا
سواء عليكم احدثتم الدعاء ام انتم على ما انتم عليه من عادة الصمت عن دعائهم فانهم كانوا
وهو حسب حالهم لانه اذا دهمهم امر دعوا الله دون الاصنام كقوله واذا مس الناس ضر دعوا
ربهم وفيه مبالغة في عدم افادة الدعاء من حيث هو مسوى بدوام الثبات على الصمات
ان الذين تدعون من دون الله تعبدونهم وتسمونهم الهة عباد امثالكم من حيث انها مملوكة
مسخرة وانما سمى الاصنام عبادا لانهم كانوا يعتقدون انها تضر وتنفع فادعوهم فليستجيبوا لكم
ان كنتم صادقين في انها قادرة على النفع والضر وقيل ذلك استهزاء بهم اي فصارى امرهم ان يكونوا
احياء عقلاء فان ثبت ذلك فهم عباد امثالكم لا تفاضل بينكم ثم ابطل ان يكونوا عبادا امثالكم
فقال لاثبات انهم اعجز منهم الهم ارجل يمشون بها وناباه الفصل بقوله فادعوهم لان انتظامه
مع سياق الكلام والتيام للمقام على الوجه الاول كما لا يخفى على ذوي الافهام وقرئ ان الذين
بتخفيف ان ونصب عبادا على انها نافية عملت عمل ما الحجازية فرفعت الاسم ونصبت الخبر وفيه
خلاف اجازه الكسائي واكثر الكوفيين من البصريين ابن السراج والفارسي وابن جني ومنعه الفراء

واكثر البصريين واختلف النقل عن سيبويه والمبرد والصحيح انه لغة ثبتت في النظم والنثر ام
لهم ايد يبطشون بها قرئ بكسر الطاء وضمها وهما لغتان والبطش الاخذ بقوة والقدرة
على الامساك وبهذه الزيادة يكون الاخذ من خواص اليد من بين الاعضاء كما ان المشي بما فيه
من الزيادة على مطلق الحركة يكون من خواص الرجل واعادة اداة الاستفهام على وجه الانكار
دون اداة الجمع للاشعار باستقلال انتفاء كل منهما في الابطال والاثبات المذكورين آنفا ام لهم
اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها ام منقطعة فتقدر ببل والهمزة وهو اضراب
على معنى الانتقال لا على معنى الابطال وانما هو تقرير على نفي كل واحدة من هذه الجملة وتوجه النفي
الى الوصف لانهم كانوا يصورون هذه الاعضاء للاصنام قل ادعوا شركاءكم من باب وضع الظاهر
موضع المضمر للتهكم بعد اثبات عجزهم اي استعينوا بهم على ابطالي الخ ثم كيدون اي
بالغوا فيما تقدرون عليه من مكر وهي انتم وشركاؤكم فلا تنظرون فلا تمهلون فاني لا ابالي
بكم وهذا غاية الوثوق على ولاية الله تعالى وحفظه ولهذا قال بعده على سبيل التاكيد بان ان
وليي الآية لما كان بلوغهم الى الغاية في بذل الجهد مترتبا على الاستعانة المذكورة عطفه عليها باداة
التراخي وكان عدم الامهال مترتبا عليه صدره باداة التعقيب ان وليي الله الذي نزل الكتاب
اي ناصري وحافظي الله اكرمني بانزال القرآن علي وهو يتولى الصالحين ومن عادته ان يتولى الصالحين
من عباده والذين تدعون من دونه اي من دون الله تعالى لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون
اي انهم عاجزون عن نصرة انفسهم فضلا عن نصرة غيرهم اعاده بيان عجزهم لان الاول للتقريع
والثاني لتتميم التعليل لعدم مبالاته بهم فلا تكرار وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا لانها جماد
لا يحس ليس هذا موضع اشتباه بخلاف امر النظر فانهم صوروها بصورة من ينظر الى
من يواجهه ولهذا قال وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون والحال انه لا قدرة فيهم على الابصار
فليس يراه على الحقيقة انما تكرر القول في هذه وترددت الآيات فيه لان امر الاصنام وتعظيمها
كان متمكنا في نفوس العرب في ذلك الزمان ومستوليا على عقولهم فاطنب القول في لطف من الله تعالى
بهم خذ العفو اي السهل وما تيسر من افعال الناس واخلاقهم من غير كلفة ولا تطلب منهم
الجهد وما يشق عليهم من التكاليف من العفو الذي ضد الجهد والفضل ضده فانهم وما يسهل
عليهم ويتيسر لهم وذلك قبل وجوب الزكوة وامر بالعرف بالمعروف المستحسن من الافعال و
الاقوال والاحوال واعرض عن الجاهلين ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم ولا تمار فيهم واحلم
عنهم واغض عن المذنبين وهذه الآية جامعة لمكارم الاخلاق وروي انه صلعم سال جبرئيل
عن معنى هذه الآية اعط من حرمك وصل من قطعك واعف عمن ظلمك واحسن الى من اساء اليك
وقيل لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلعم يا رب كيف والغضب فنزل قوله واما ينزغنك
من الشيطان نزغ اي كلمتان ان الشرطية وما التي صلة زائدة والنون للتاكيد والنزغ الازعاج

بالتحريك الى الشر اي يعرض لك الشيطان بافساد شيء من هذه الاخلاق التي امرتك بها فاستعذ بالله
فاستعصم به من الشيطان الرجيم انه سميع لكلامك عليم بما يكون الاستجابة ان الذين اتقوا
ان المؤمنين المتقين الله اذا مسهم طائف من الشيطان اذا نالهم وسوسة قليلة كانهم طافت
بهم ودارت حولهم فلم يقدر ان تؤثر فيهم ومبناه العقول عرفه لانه المشي على التاثر وقرئ طيف
والطيف والطائف ما الم بالانسان من عوارض الشيطان وقرئ طيف كليّن بتشديد الياء قال الزجاج
طاف الخيال يطيف اذا الم به وطاف عليهم يطوف اي دار ومن جعل هذا من الطوف والدوران قال
طيف اصله طيّف بالتشديد ثم خفف كالهيّن والهين والمراد من الشيطان الجنس ولذلك جمع
ضميره تذكروا ما امر الله به ونهى عنه فاذا هم مبصرون بسبب التذكر مواقع الخطاء ومكايد
الشيطان فيتحرزون ولا يتبعونه فيها والآية تقرير لما تقدم وما فيه من وجوب الاستعاذة
عند نزغ الشيطان وبيان ان المتقين عادتهم اذا اصابهم ونزغ والمام بوسوسة ان يستعيذوا
ويتذكروا قبل ان يصير خاطرا وجالت فيه النفس بالفكر واخوانهم يمدونهم اي واخوان الشياطين
الذين لم يتقوا يمدهم الشياطين في الغي بالتزيين والحمل عليه وقرئ يمدونهم من امده بمادة
كانهم يعينونهم بالتسهيل والاغراء وهؤلاء يعينونهم بالاتباع والامتثال ثم لا يقصرون
لا يمسكون عن اغوائهم حتى يردوهم وهذا اشد من الاول ولهذا عطف عليه بثم المستعارة للتراخي
في الرتبة ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين والضمير المضاف اليه للجاهلين فيكون الخبر جاريا على
ما هو له والاول اوجه لان اخوانهم في مقابلة الذين اتقوا واذا لم تأتهم باية من القرآن او مما
اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها هلا اجتمعتها افتراء ونقولا من عند نفسك لانهم كانوا يقولون ان
هذا الا افك مفترى او هلا اخذتها مقترحة من جبايه اذا جمعه او من جبا اليه فاجتباه اي اخذه
قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي لست بمختلق للآيات او لست بمقترح لها هذا بصائر من ربكم هذا القرآن
بصائر للقلوب بها يبصر الحق ويدرك الصواب وهدى ورحمة لقوم يؤمنون قد سبق تفسيره
فاذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لما ذكر ان القرآن بصائر وهدى ورحمة امر باستماعه
اذا شرع في قراءته وبالانصات وهو السكوت مع الاصغاء اليه لان ما اشتمل على تلك الاوصاف
حري بان يصغى اليه حتى يحصل منه للمنصت المستمع هذه النتائج العظيمة فيستبصر من العمى ويهتدي
من الضلالة ويرحم بها وقيل نزلت في الصلوة كانوا يتكلمون فيها فامروا باستماع قراءة القرآن
والانصات له واطلاق الامر يقتضي وجوبهما حيث يقرأ القرآن مطلقا وعامة العلماء على استحبابهما
خارج الصلوة وفيه اشكال اذ ح يلزم الجمع بين معنيي الامر ويمكن ان يقال انه جائز عند اختلاف
المحل على ما ذهب اليه العراقيون من اصحابنا وعن ابن عباس رض ان النبي صلعم قرأ في المكتوبة وقرأ اصحابه
خلفه فنزلت هذه الآية ومن ههنا اتضح وجه الاحتجاج من لا يرى القراءة على المأموم بها واما قول
من قال انها في الخطبة فضعيف لان الآية مكية والخطبة انما بعد الهجرة بقي ههنا دقيقة انيقة لا بد من التنبيه

لها وهو ان الانصات مقدمة الاستماع فحقه ان يتقدم في الذكر وانما اخر هنا تالثا لشانه واظهارا له
عن ضمن الاتباع الى حد الاستقلال وتنبيها على انه مقصود بالذات وما هو به اهتمام اصالة حتى لو كان
في مجلس القراءة نائبا عن القارى فحقه ان ينصت وان لم يشترط الاستماع تعظيما لشان القرآن و
احرازا لاحدى الفضيلتين وان قدم الانصات لتبادر الى الفهم ان الامر به لمصلحة الاستماع فلا يجب
بدونه واذكر ربك في نفسك عام في جميع الاذكار من القراءة والدعاء والتهليل والتسبيح وغيرها
لان الاخفاء في النفس ادخل في الاخلاص والخشوع تضرعا باللسان وخيفة بالقلب مفعول
من اجله اي لتضرع وخيفة او مصدران منصوبان على الحال اي متضرعا وخائفا ودون
الجهر معطوف على قوله في نفسك اي ذكرا في نفسك وذكرا دون الجهر او على تضرعا اي وقائلا
قولا دون الجهر ولهذا جعل قوله من القول بيانا للجهر بالغدو والآصال باوقات الغدو اي
الغد وان المقارنة الاصال وهي جمع الاصيل كاليمين والايمان وقيل جمعه الاصل وجمع الاصل
الاصال وقرئ بالايصال من آصل اذا دخل مع الاصيل وهما عبارة من الليل والنهار والمراد
به الذكر على الدوام لما امر تع بالذكر اكد ذلك النهي عن ضده فقال ولا تكن من الغافلين عن
ذكر الله تع خاطبه صلعم والمراد نهي امته عنها على ابلغ وجه اي لا تقتدوا بالغافلين لكن بالملائكة الذين
لا يغفلون وذلك قوله تع ان الذين عند ربك هم الملائكة المقربون وعند بيان قرب الكرامة دون المكان
فان الله تعالى منزه عن ذلك لا يستكبرون عن عبادته لان الاستكبار مقدمة العصيان كذلك عدمه
مقدمة الطاعة ثم ذكر الطاعة القلبية وهو التنزيه والتطهير عن جميع ما لا يليق بذاته المقدسة
بقوله ويسبحونه والطاعة القالبية وهي الحال التي يكون العبد فيها اقرب الى الله تع بقوله وله يسجدون وتقديم له
للاختصاص اي يخصونه بالعبادة لا يشركون به وهو تعريض على من عداهم من المكلفين ولذلك شرع السجود عند قرائته

سورة الانفال مدنية وآيها ست وسبعون

يسألونك عن الانفال جمع نفل وهو الغنيمة واصله الزيادة ومنه نوافل العبادات وانما سميت
الغنيمة نفلا لانها زيادة على القيام بالجهاد وحماية الحوزة والدعاء الى الله تع وعبادة عن صبر كيف
ان السؤال للاستفتاء فالمطلوب بيان حكمها وقرئ بدون عن فيكون السؤال سؤال الاستعطاف
وما يشترطه الامام لمن يغنم خطرا زائدا على سهمه سمي ايضا نفلا فالمعنى يسألك المغتنمين المخاطر
ما شرطت لهم وقرئ علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن فيها قل
الانفال لله والرسول اي حكمها مختص بالله تع ورسوله يامر الله تع رسوله عم بقسمتها على مقتضى
حكمته ويمتثل الرسول عم امره تع فيها فيقسمها على حسب ما امر ليس لاحد فيها حكم وسبب نزوله اختلاف
المسلمين في غنائم بدر انها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون منهم والانصار وقيل شرط رسول الله
صلعم لمن كان غناء ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم

وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها
فنزلت وعلى هذا يكون ما شرط بالنسبة منسوخا بالكتاب قبل العمل به فلا متمسك فيه لمن يرى
انه لا يلزم الامام ان يفي بما وعد وعن ابن عباس رضه ان هذه الاية نزلت ولا قصارت الانفال
لرسول الله صلعم ثم نزلت واعلموا انما غنمتم من شيء الاية فقسمه الله تع ذلك الخمس
لرسوله ولمن سمي فيها ويوافق هذا عن سعد ابن وقاص رضه انه قال نزلت في هذه
الاية وذلك انه لما كان يوم بدر قتل اخي عمير وقتلت سعيد بن العاص واخذت سيفه
فاتيت به رسول الله صلعم واستوهبته واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت
سورة الانفال فقال لي رسول الله عم سألتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب
فخذه وعلى هذا يكون المعنى الانفال للرسول ويكون ذكر الله تمهيدا لتعظيم شانه عم
والتنبيه على انه عم يتصرف فيها على ما يرتضيه تع وتقتضيه الحكمة فاتقوا الله في الاختلاف
والتخاصم متحابين متاخين في الله واصلحوا بالمساعاة والمساعدة فيما رزقكم الله تع و
تفضل به عليكم وتسليم امره الى الله والرسول ذات بينكم ذات البين هي الاحوال التي
تقع بين الناس اي ما بينكم من الاحوال ولما كانت ملابسة للبين بالاضافة كقوله تع
عليم بذات الصدور اي مضمراتها وما فيها من السرائر واطيعوا الله ورسوله في تفويض
امركم اليهما والتسليم لحكمها ان كنتم مؤمنين ايمانا يعتد به فقد جعل التقوى وطاعة
الله ورسوله واصلاح ذات البين من لوازم الايمان وشرائطه ايذانا بان كمال الايمان
موقوف عليها حتى انه فقدت كان كلا ايمان كما تقول ان كنت من الرجال فاوف بعهدك
تشير الى لزوم الوفاء للرجولية واللام في قوله انما المؤمنون اشارة اليهم والمراد الكاملون
في الايمان والدليل عليه قوله اولئك هم المؤمنون حقا كان غيرهم ليسوا بمؤمنين حقيقة
الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وقيل
في امره وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنها خوفا من عقابه وقرئ
وجلت بالفتح وهي لغة وقرئ فرقت اي خافت واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا اي
يقينا وطمأنينة نفس فان الايمان مراتب في القوة والضعف رسوخ اليقين انما بتظاهر
الادلة وقيل لزيادة المؤمن به ويلزمه تخصيص الايات بالتي نزلت اولا وقيل بالعمل بموجبها
على قول من قال بدخول العمل في الايمان ويلزمه تخصيصها بالتي يتعلق بالاعمال زيادة على التخصيص
الاول فتأمل وعلى ربهم يتوكلون في تقديم الجار والمجرور على الفعل اشارة الى ان المؤمنين
بالايمان الكامل حقهم ان لا يفوضوا امورهم الا اليه ويسلموا اليه الذين يقيمون الصلوة و
مما رزقناهم ينفقون قد مر تفسيره في سورة البقرة اولئك هم المؤمنون قد جمع في الاية
بين اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل بين اعمال الجوارح من الصلوة والزكاة

لان الظاهر عنوان الباطن والباطن اساس الظاهر ولكمال الثلثة الاولى اصول الاعمال
القلبية وملاكها فالآخران اصول الاعمال القالبية وعيارها فهي مستتبعة لسايرها حقا مصدر
مؤكد لما تقدم اي حق ذلك او صفة مصدر محذوف اي ايمانا حقا لهم درجات عند ربهم كرامة
وعلو منزلة ومغفرة لما فرط منهم ورزق كريم اعد لهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي
امده ولما تقدمت ثلث صفات قلبية وقالبية ومالية يترتب عليها ثلثة اشياء فقوبلت الاعمال
القلبية بالدرجات والقالبية بالغفران والمالية بالرزق الكريم قوله عند ربهم متعلق بالمعطوف
كما قيل في قوله تع لم تكن آمنت من قبل او كسبت وقد مر بيانه في تفسير سورة الانعام كما اخرجك
ربك في محل الرفع خبر مبتدأ محذوف اي هذه الحال كحال اخراجك للحراب في كراهتهم اياها او
في النصب صفة لمصدر الفعل في قوله لله والرسول اي الانفال ثبت لله والرسول مع كراهتهم
ثباتا مثل ثبات اخراجك ربك من بيتك بالمدينة او المدينة نفسها لانها في اختصاصها به حيث
انها مكية ومهاجره كاختصاص البيت بصاحبه مع كراهتهم اياه بالحق صفة المصدر اي اخراجا
ملتبسا بالحق والصواب وان فريقا من المؤمنين لكارهون حال اي اخرجك في حال كراهتهم وفيه
دلالة على ان كراهة الاخراج انما كانت من بعضهم وسبب خروجه ان عير قريش اقبلت
من الشام فيها تجارة عظيمة وفيها اربعون راكبا فاخبر جبرئيل عم رسول الله صلعم فاخبر
المسلمين فاعجبهم تلقي العير لكثرة الخير قلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابو جهل فوق
الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا
ابدا فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهو النفير في المثل السائر لا في العير فقيل ان العير اخذت
طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور
ونشرب الخمور ببدر فيتسامع جميع العرب بخروجنا وان محمدا عم لم يصب العير وانا اعضضنا
فمضى بهم الى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يوما في السنة وكان رسول الله
صلعم بوادي ذفران فنزل جبرئيل عم بالوعد باحدى الطائفتين اما العير واما القريش
فاستشار فيه اصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتاهب له انا خرجنا
للعير فهم المراد من الفريق المذكور وتمام القصة يطلب من كتب السير يجادلونك في الحق
يحتمل ان يكون في موضع الحال من الضمير في لكارهون ويحتمل ان يكون استينافا في اخبار وجدالهم
قولهم ما كان خروجنا الا للعير ولو عرفنا لاستعددنا للقتال والحق نصرة دين الاسلام
بالجهاد بعد ما تبين اي بعد تبينه باعلام الرسول عم انهم ينصرون وهذا ابلغ في الانكار
عليهم كانما يساقون الى الموت اي حال يجادلونك مشبهين بمن يساق الى الموت وهم ينظرون
حال من ضمير يساقون شبه حالهم في شدة فزعهم وفرط رعبهم لقلة عددهم وعدم عددهم
بحال من يساق بالذل والصغار الى القتل المتيقن وهو مشاهد لاسبابه ناظر اليها واذ

يعدكم الله احدى الطائفتين على اضمار اذكروا واحدى ثاني مفعولي يعد وقد ابدل عنها
انها لكم بدل الاشتمال وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم يعني العير لانه لم يكن فيها الا اربعون
فارسا وكانوا يكرهون النفير لكثرتهم بكثرة العدد ووفرة العدد والشوكة الحدة مستعارة من واحدة
في الاصل واحد الشوك فتطلب في كل قوة وحدة ومنه شائك السلاح ويريد الله ان يحق الحق
ان يثبته ويعليه بكلماته بآياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة او بامره الملائكة بالنزول لنصرتهم
وبما قضى وقدر من قتلهم واسرهم وقرئ بكلمته اي بامره ويقطع دابر الكافرين
يستاصلهم والدابر الآخر من دبر اذا ادبر واذا قطع آخرهم لم يبق احد منهم والمعنى
انكم تتمنون ان تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها وهو من سفساف الامور والله يريد
اعلاء الدين واظهار الحق وما فيه فوز الدارين وهو من معالي الامور ليحق الحق ويبطل
الباطل متعلق بمحذوف اي فعل ذلك ويجوز ان يكون متعلقا بيقطع ويجب تقديره
الفعل مؤخرا ليفيد معنى الاختصاص وانه ما فعل الا لذلك وليس بتكرير لان الاول لبيان
المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت والثاني لبيان الداعي الى حمل الرسول على اختيار
ذات الشوكة ونصره عليها ولو كره المجرمون ذلك والجملة في موضع الحال اذ تستغيثون
ربكم بدل من اذ يعدكم او نصب باضمار اذكر ويجوز ان يكون متعلقا بقوله ليحق الحق
واستغاثتهم انهم لما علموا انه لا بد من القتال اخذوا يدعون الله يقولون اي رب انصرنا
على عدوك يا غياث المستغيثين فاستجاب لكم اني ممدكم اصله باني ممدكم فحذف الجار
وسلط عليه استجاب وقرئ بالكسر اجراء للاستجابة مجرى القول بالف من الملائكة مردفين
بكسر الدال من اردفه اذا اتبعه متبعين بعضهم بعضا المؤمنين ليحفظوهم وانفسهم
المؤمنين او بتقدير معونتهم فيتبعونهم او من اردفه اذا جئت بعده اي متبعين بعضهم
بعضا او متبعين المؤمنين وقرئ بفتح الدال بمعنى متبعين اي كانوا مقدمة الجيش او متبعين
اي كانوا ساقتهم وقرئ مردفين بكسر الدال وفتحها وتشديد الدال واصله مرتدفين
فادغمت التاء في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل وبالضم على الاتباع
وقرئ بالالف فيوافق ما في آل عمران ووجه التوفيق على التوحيد اذا فسر الارداف والالف
بانباع ملائكة آخرين ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة او وجوههم
واعيانهم والباقي اتباع لهم او من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روي اخبار
تدل عليها والظاهر وما جعله الله اي الامداد الا بشرى الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن
به قلوبكم فيزول ما بها من الوجل لقلتكم وعدم عدتكم انهم لم يكونوا نازلين للقتال و
للمنافي ان يقول ان الضمير في جعله لقوله اني ممدكم فلا ينافي ان يكون نزولهم للقتال والله
اعلم بحقيقة الحال وقوله ولتطمئن عطف على بشرى من جهة المعنى والمراد به مطلق الحدث

المدلول عليه ضمنا على الاتساع كما في قوله تسمع بالمعيدي خير من ان تراه فالمعنى الا بشارة لكم
ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله لا من الملائكة ولا من المقاتلة او وما النصر بالملائكة
وسائر الاسباب الا من عند الله والمنصور من نصره الله تعالى ان الله عزيز منيع لا يغالب حكيم في اقواله
وافعاله اذ يغشيكم النعاس بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة ثالثة او منصوب بالنصر او
بما في عند الله من معنى الفعل او بما جعله او باضمار اذكر وقرئ بالتخفيف من اغشيته الشيء
اذا غشيته اياه والفاعل هو الله تعالى وقرئ يغشاكم بفتح الياء ورفع النعاس من غشي و
النعاس ابتداء حال النوم قبل الاستغراق امنة مفعول له من جهة المعنى فان قوله يغشيكم
النعاس يتضمن معنى تنعسون ويغشيكم بمعناه والامنة الامن لفعل لنا على منه صفة لامنة اي
امنة كائنة حاصلة منه تعالى ويجوز ان يراد بها الايمان فيكون فعل المغشي وان يجعل على القراءة
الاخيرة فعل النعاس على المجاز لانها لاصحابه او لانه كان من حقه ان لا يغشيهم لشدة الخوف
فلما غشيهم فكانه حصلت له امنة من الله تعالى لولاها لم يغشهم كقوله يهاب النوم ان يغشى عيونا
تهابك فهو نفار شرود والمعنى تنعسون في وقت كان ما بكم من الخوف مانعا من النوم فامنكم
الله فنعستم لامنكم وقرئ امنة كرحمة وهي لغة فيه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به
من الحدث والجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان اي الجنابة فانها من تخييله او وسوسته اياهم
وتخويفهم من العطش والجنابة وذلك ان الشيطان تمثل لهم وكان المشركون قد سبقوهم
الى الماء ونزل المؤمنون في كثيب احمر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم
فقال لهم انتم يا اصحاب محمد تزعمون انكم على الحق وانتم تصلون محدثين مجنبين وقد
عطشتم ولو كنتم على الحق ما غلبكم هؤلاء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع
اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فاشتقوا فانزل الله المطر فمطروا
ليلا حتى جرى الوادي واتخذ رسول الله صلعم واصحابه الحياض على عدوة الوادي و
سقوا الركاب واغتسلوا وتوضأوا وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى تثبت
فيه الاقدام وزالت وسوسة الشيطان وليربط على قلوبكم اي يشددها ويقويها بالسكون
وحسن الظن وزوال الاضطراب والارتياب ويثبت به الاقدام اي في مواقف القتا
ل للقتال والضمير به للربط فان القلب اذا قوي باليقين والوثوق بالله تعالى ثبت القدم في المعركة
وح يكون الثبوت من لوازم الربط ويظهر وجه عدم الفصل بينهما باعادة اداة التعليل كعدم
الفصل بين التطهير ويدل عليه انه ح لا يكون الثبوت من لوازم الربط فحقه ان يعاد فيه
اداة التعليل اذ يوحي ربك الى الملائكة بدل ثالث او متعلق بيثبت اني معكم اي معينكم في تثبيت
المؤمنين وهو مفعول يوحي وقرئ اني بالكسر اجراء للوحي مجرى القول فثبتوا الذين آمنوا
بالبشارة او بتكثير سوادهم او بمحاربة اعدائهم فيكون قوله سألقي في قلوب الذين كفروا

الرعب كالتفسير لقوله اني معكم فثبتوا اذ لا اعانة كالقاء الرعب في قلوب الاعداء
او نوع آخر من الاعانة والرعب الخوف الذي يملأ القلب من قولهم رعبت السيل الوادي
اذا ملأه او يقطع القلب من رعبت السنام وهو تقطيعه فاضربوا فوق الاعناق اعاليها
التي هي المذابح او الرؤوس والهامات واضربوا منهم كل بنان اصابع اي الاطراف اي جزوا
رقابهم واقطعوا اطرافهم وزاد هنا عبارة كل للتعدد في الاطراف والمراد استيصالهم
بالقطع امر الملائكة بان يقتلوهم او يجرحوهم على وجه لا يمتنعون على من قصد لهم
وفيه دلالة على انهم قاتلوا ومن انكره قال قوله تعالى سألقي الى قوله كل بنان تلقين لهم معنى
تثبيتهم كانه قال لهم قولوا للمؤمنين قولي هذا او تفسير للخطاب بان يكون فثبتوا
الذين آمنوا خطاب الملائكة والباقي خطاب للمؤمنين ذلك بانهم شاقوا الله و
رسوله اشارة الى ما اصاب الكفار من القتل والعقاب بسبب مشاقتهم لله تعالى ولرسوله
والخطاب للرسول او لكل احد وهو ابلغ لدلالته على فظاعة الامر والمشاقة مشتقة
من الشق لان كل واحد من المتعادين في شق خلاف شق الآخر كالمعاداة من العدوة والمخاصمة
من الخصم وكلاهما الجانب ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب تقرير للتعليل
ووعيد لهم بما اعد لهم في الآخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا اي ذلك العذاب في الدنيا
بسبب المشاقة ومن شاق فلا يقتصر على هذا فان الله شديد عقابه في الآخرة والخطاب
في قوله ذلكم للكفرة على طريقة الالتفات وهو بالابتداء والخبر اي ذلكم العقاب او
العقاب ذلكم او نصب بفعل يفسره قوله فذوقوه والفاء عاطفة اي ذوقوا ذلكم فذوقوه
او باشروا او قبلوا او عليكم ذلكم ولا وجه له لان عليكم من اسماء الافعال واسماء الافعال
لا تضمر وهذه الجملة تاكيد وتقرير لما سبق لان الاول دالة على استحقاقهم العذاب الآجل
مع عذاب العاجل ولما كان عذاب الدنيا بالنسبة الى عذاب الآخرة يسيرا سمى ما اصابهم
فيه ذوقا لان الذوق يعرف به الطعم وهو يسير وان للكافرين عذاب النار عطف على ذلكم
رفعا ونصبا ويجوز ان يكون مفعولا معه على ان الواو بمعنى مع اي ذوقوا هذا العذاب
العاجل مع العذاب الآجل الذي لكم في الآخرة ووضع الظاهر فيه موضع المضمر للدلالة على
ان الكفر سبب العذاب الآجل والجمع بينهما وقرئ وان بالكسر على الاستئناف ولما كانت
النار اعدادها للكفار على ما نطق به قوله تعالى اعدت للكافرين صح تقديم الجار والمجرور
والمفيد لاختصاص عذابها المعذبين بهم يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا
حال من الذين كفروا والزحف الجيش الدهم الذي يرى لكثرته كانه يزحف اي يدب من زحف
الصبي اذا دب على استه قليلا سمي بالمصدر فلا تولوهم الادبار كناية عن الفرار
ولا يلزمه الانهزام على ما افصح عنه الاستثناء الآتي ذكره اي اذا لقيتموهم للقتال

وهم كثير وانتم قليل فلا تفروا فضلا ان تدانوهم فى العدد او تساووهم ومن يولهم يومئذ
دبره الا متحرفا لقتال هو الكر بعد الفر تغرير العدو وهو من باب خدع الحرب ومكايدها
بحيل العدو انه منهزم ثم يعطف عليه او متحيزا منحازا الى فئة اى جماعة اخرى من المسلمين
على القرب منه ليستعين بهم سوى الفئة التى هو فيها وبعضهم لا يعتبر القرب لما روى ان ابن
عمر رض انه قال خرجت سرية وانا فيهم ففروا فلما رجعوا الى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت
فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانتصاب متحرفا ومتحيزا
على الحال والا لغو لا عمل لها او الاستثناء له اى الا رجلا متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفيعل
لا متفعل والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز يقال حاز الشئ اى ضمه وجمعه والحيز مجتمع
القوم فيعل من الحوز والتحيز الانضمام اليهم والدخول فى جملتهم وهو تفيعل من الحيز و
الفئة الجماعة المتقطعة عن غيرها من فاء وهو قطع الراس بالسيف وان جعل يومئذ
حالا من المؤمنين يكون اشعارا لهم بما سيكون منهم يوم حنين ويختص حين تولوا مدبرين
وهم اثنا عشر الفا ومن يولهم يومئذ امارة عليه وتقدمه نهى فقد باء بغضب من
الله اى استوجبه وماويه جهنم هذا اذا لم يزد العدو على الضعف لقوله تع الآن خفف
الله عنكم الآية وقيل هذه الآية مخصوصة باهل بدر والحاضرين معه فى الحرب وبئس
المصير هى جهنم فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وامداد الملئكة والقاء
الرعب فى قلوبهم وتقوية قلوبكم وهو كالتعليل لما تقدم من النهى عن الانهزام بسبب
كثرة العدو روى انه لما التقى الجمعان يوم بدر تناول الرسول عم كفا من الحصباء فرمى
بها وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينه فانهزموا وردفهم المؤمنون
يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول القائل قتلت واسرت فنزلت
الآية صيانة لهم عن الاعجاب وتنبيها على ان الله تع هو الذى هيأ لهم هذه الاسباب وكذا
الحال فى الخطاب لانه ذكره وقيل الفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فانتم
لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وباباه عطف قوله وما رميت انت تلك الرمية العجيبة يا محمد
اذ رميت لانك لو رميتها لما زاد تاثيرها على تاثير رمى البشر ولكن الله رمى حيث اثرت
ذلك الاثر العظيم اثبت الرمية لرسول الله صلعم لان صورتها وجدت منه ونفاها عنه لان اثرها
الذى لا يقدر عليه البشر فعل الله تع فكان الله فاعلها فى الحقيقة لا الرسول والفعل قد يطلق
ويراد به منتهاه وقد يطلق ويراد به كماله والمقصود منه اى غايته وليبلى المؤمنين
ولينعم عليهم منه بلاء حسنا انعاما جميلا اى وللانعام على المؤمنين ذلك الانعام العظيم
بالنصرة والغنيمة ومشاهدة الآيات فعل ما فعل وما فعل الا لذلك ان الله سميع لدعائهم
واستغاثتهم عليم باحوالهم ونياتهم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع اى

المقصود ذلكم او الامر ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين معطوف على ذلكم اى المقصود
ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وقرئ ان بالفتح اى وان الله تع معين المؤمنين كان
ذلكم ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا
ان ينفروا تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم
الحزبين وان تنتهوا عن الكفر وعداوة رسول الله صلعم فهو خير لكم لتضمنه سلامة الدارين
وخير المنزلين وان تعودوا لمحاربته نعد لنصرته عليكم ولن تغنى ولن تدفع عنكم فئتكم جماعتكم
شيئا من الاغنياء ولو كثرت فئتكم وان الله مع المؤمنين بالنصر والمعونة كذا قالوا وقيل
هذا بيوم احد فانهم عادوا فيه المحاربة وكانت الغلبة لهم وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى
ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا من التثاقل فى القتال والرغبة عما يستاثره الرسول
فهو خير لكم وان تعودوا الى التثاقل نعد بالانكار ولن تغنى عنكم كثرتكم اذا لم يكن
الله معكم بالنصر وان الله مع الكاملين ايمانا ويؤيد هذا حسن التيام مع قوله يا ايها
الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه اى ولا تتولوا عن الرسول عم فان المراد
الامر بطاعته عم والنهى عن الاعراض عنه وذكر الله تمهيد لاختصاصه الرسول عم به تعالى
والله ورسوله احق ان يرضوه وفيه تنبيه على ان اطاعة الله تع وطاعة الرسول عم شئ
واحد ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ويجوز ان يرجع الضمير فى عنه الى الامر بالطاعة اى
ولا تتولوا عن هذا الامر وانتم تسمعون اى تسمعونه او تسمعون القرآن والمواعظ سماع
فهم وتصديق ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا كالكفرة والمنافقين ادعوا السماع وهم
لا يسمعون لانهم ليسوا بمصدقين فكانهم غير سامعين اصلا والمعنى انكم تصدقون بالقرآن
والنبوة فاذا توليتم عن طاعة الرسول صلعم فى بعض الامور كقسمة الغنائم كان تصديقكم
كلا تصديق واشبه سماعكم سماع من لا يؤمن ان شر الدواب عند الله من يدب على وجه
الارض او شر البهائم الصم البكم الذين لا يعقلون فقد مر تفسيره فى سورة البقرة جعلهم
كالبهائم فى عدم انتفاعهم بالمشاعر والجوارح ثم جعلهم شرها لابطالهم ما ميزوا به عنها وفضلوا
به عليها ولو علم الله فيهم خيرا اى شيئا من جنس الخير لاسمعهم سماع تفهم لا يسمعهم لانه لا
يجدى فيهم نفعا فقوله ولو اسمعهم لتولوا اى لم ينتفعوا به تقريرا وتاكيدا له فهو من قبيل العطف
على ما قبله باعتبار المعنى التولى قد يكون للتردد والتدبر فقوله وهم معرضون تاسيس لا تاكيد
يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم وحد الضمير لان دعوة الله تع تسمع من الرسول عم
وقصد التمهيد باباه اعادة الصلة لما يحييكم من العلوم الدينية فانها حيوة القلب والجهل موته
الجاهل ميت وان لم يدفن بيته قبره وثوبه كفنه وقيل جهاد الكفار لانهم لو تركوه لغلبوهم و
قتلوهم فهو سبب حيوتهم كقوله ولكم فى القصاص حيوة وقيل الشهادة لقوله بل احياء عند

ربهم المراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض واعلموا ان الله
يحول بين المرء وقلبه تحذير عن ترك الاستجابة وزيادة على الحث للتأكيد اي ان القلوب
بيد الله تعالى فيمنعكم ما يشغلها عنها ويمنعكم عن الامتثال بالامر وقرئ بين المر بتشديد الراء
على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من يشدد فيه وانه
اليه تحشرون فيجازيكم على التقصير والتفريط من اعمالكم واحوالكم فالنية كانت دليله وفيه
زيادة تحذير عن التقصير بالتأخير واشير الى هذا في قوله عم عجلوا بالصلوة قبل الفوت و
عجلوا بالطاعة قبل الموت واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اراد بالفتنة
الظلم الفاحش بقرينة قوله الذين ظلموا والتنكير الدال على التكثير لا تصيبن جواب الامر ان
اصابكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة بل يعم الطالح والصالح ثم يكون للظالم عقوبة و
لغيره كفارة والنون لتضمنه معنى النهي والتأكيد بها للمبالغة في النهي ومن للتبعيض قال
ابن عباس رض هذا في ترك الامر بالمعروف عند غلبة المنكر فيصيب الفتنة بفسقهم وغير
الفسقة بتركهم الامر بالمعروف وهذه الفرقة ايضا وان كانوا مذنبين لكنهم ليسوا من الذين
ظلموا اي باشروا الظلم ونهى بعد امر كانه قيل واحذروا ذنبا او عقابا ثم قيل لا تتعرضوا
للظلم فيصيب العقاب او وبال الذنب من ظلم منكم خاصة او صفة لفتنة على ارادة القول
اي فتنة مقولا عندها لا تصيبن كقوله جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط ومن على
هذين الوجهين للتبيين وبعضد الاخير قراءة لتصيبن على جواب قسم محذوف وفي تقييد الظالمين
عنكم في الوجهين الاخيرين تنبيه على ان الظلم منكم اقبح منه من غيركم واعلموا ان الله شديد
العقاب وعيد شديد وفي زيادة علموا مزيد تهديد واذكروا اذ ضربوا بيا لكم واذكروا
اذ انتم قليل قليل في اول الاسلام قبل ان تكملوا اربعين وقيل قبل الهجرة والخطاب للمهاجرين
مستضعفون في الارض مقهورون في ارض مكة لم تقبل ذليل مع ما فيه حسن الازدواج
بتقليل تعاد باعن اطلاقه على من هو عزيز بعز الاسلام وقيل الخطاب لعامة العرب لانهم
كانوا مغلوبين لاهل فارس والروم تخافون ان يتخطفكم الناس لان الناس كانوا جميعا لهم
اعداء والتخطف الاخذ والانتزاع بسرعة فآواكم الى المدينة وجعل لكم مأوى يتحصنون به
عن اعدائكم وايدكم بنصره على الكفار بمظاهرة الانصار وبامداد الملئكة يوم بدر وعلى
تقدير ان يكون الخطاب لقريش يكون المعنى فآواكم الى الحرم ويؤيده قوله تع اولم يروا انا
جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم ورزقكم من الطيبات الغنائم لعلكم تشكرون
ارادة ان تشكروا هذه النعم وعلى المعنى الاخير يكون المراد من الطيبات الثمرات لقوله وارزقهم
من الثمرات لعلهم يشكرون يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول الخون النقص كما ان الوفاء
التمام ومنه تخونه اذا تنقصه ثم استعمل في مقابلة الامانة والوفاء لانك اذا خنت الرجل

فقد ادخلت عليه النقصان ذكر اسمه تع للتمهيد وخيانتهم للرسول عم بان يعصوه واخلاف ما
يظهرون او بالغلول في الغنائم روي انها نزلت في ابي لبابة رض وقصته مذكورة في كتب التفاسير
وتخونوا اماناتكم فيما بينكم اي لا يصدر منكم خلاف ما هو من حكم الايمان جزم وداخل في حكم النهي
او نصب باضمار ان كقوله وتكتموا الحق وانتم تعلمون انكم تخونون وانتم علماء بميزان الحسن والقبح و
اعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة جعل الاموال والاولاد فتنة لانها سبب الوقوع في الفتنة
وهي الاثم والعذاب او محنة وبلاء فلا يحملنكم حبهم على الخيانة كابي لبابة عم وعليكم ان
يحافظوا فيهم على حدود الله تع وهي من جملة ما نزل فيه وان الله عنده اجر عظيم لمن آثر رضا
الله تع على جنبهم وتنزهوا في الدنيا ولا تحرصوا على حب المال والولد وفي قوله عنده تنبيه
للاجر المذكور وبيانا انه مصون على الضياع يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا
هداية ونورا في قلوبكم وتوفيقا وشرحا الصدوركم تفرقون به بين الحق والباطل او نصرا
بين المحق والمبطل باعزاز الاسلام واهله واذلال الكفر واهله ومنه قوله تع يوم الفرقان او ظهورا
يشهر امركم ويبثر صيتكم في اقطار الارض من قولهم بت فعل كذا حتى سطع اي الصبح
ويكفر عنكم سيئاتكم صغائر ذنوبكم اراد بالكفارة الازالة ولذلك قال عنكم وهي بالحسنات
لقوله ان الحسنات يذهبن السيئات ويغفر لكم ذنوبكم كبائرها والغفر الستر ضمنه معنى الرحمة
ولذلك قال لكم وكنى به عن العفو والتجاوز عنها وذلك بالاستغفار والشفاعة والله
ذو الفضل العظيم بالالطاف في الدنيا والاحسان الباقي في دار القرار ولما عرفت ان للعبد
اعطي جزاء حسناته بازاء سيئاته فكانه ما وصل اليه من اللطف والاحسان فضل من الله تع ووعد
على التقوى ايضا تفضل باطلاق الاجر عليها ووعد في مقابلته بطريق الاستعارة واذ يمكر بك
الذين كفروا ذكره عم مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله عليه في انجائه من مكرهم وتغلبه
عليهم اي واذكر وقت مكرهم بك وتفصيله مذكور في كتب التفاسير ليثبتوك او يقتلوك
وقت مكرهم ليثبتوك من الاثبات او يقتلوك او يخرجوك من مكة ويمكرون باخفاء المكايد
له ويمكر الله باخفاء ما اعد لهم حتى يأتيهم بغتة او برد مكرهم عليهم او بمعاملة الماكرين
معهم حيث اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين في اعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا والله خير
الماكرين اذ مكره انفذ من مكر غيره وابلغ تأثيرا قيل واسناد المكر الى الله تع للمزاوجة
والمشاكلة ولا يجوز اطلاقها عليه تع ابتداء لما فيه من ايهام الذم وكان بعد الغافل غافل
عن قوله تع فامنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون واذا تتلى عليهم اياتنا قالوا
قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا هذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا
ذلك فما منعهم ان يشاؤا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم بالسيف
فلم يعارضوا سورة مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصا في باب البيان قيل نزلت

قول نضر بن الحارث وهو كان موسوما بينهم بالنبل والفهم فكان اذا كان قولا قاله
كبرهم واتبعوه كما يفعل الناس قتداء بعلمائهم ان هو الا اساطير الاولين ما سطره
الاولون من القصص قد سبق ما يتعلق بالاساطير واذ قالوا اى واذكروا اذ قالوا
وهذا ايضا من كلام ذلك القائل ابلغ فى الجحود روى انه لما قال النضر ان هذا الا اساطير
الاولين قال له النبى صلعم ويلك انه كلام الله تع فقال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
فامطر علينا حجارة من السماء اى ان كان القران حقا منزلا فامطر الحجارة علينا عقوبة
لنا على انكاره والمراد به التهكم واظهار اليقين والجزم التام بكونه باطلا اغراقا فى
الانكار واظهار الجراة فيه وجحد القران اولا بان جعل مثل كلامهم وسماها اساطير الاولين ثم
بالغ فى الجحود بشبهة جعلها كالدليل على بطلانه زاعما انه برهان وهو انه لو كان حقا لحق
منكره العقاب لكن لم تعاقب بانكاره فلم يكن حقا وقرئ الحق بالرفع على انه هو مبتدأ
لا فصل وفائدة التعريف انه ان كان هو الحق الذى يدعيه رسول الله صلعم من انه كلام الله
تعالى منزلا عليه لانه لم ينكروا كونه مطابقا للواقع كالاساطير وفائدة التقييد بكونه من السماء
مع ان الامكان لا يكون الا منها كونها حجارة مسومة للعذاب وهى السجيل فوضعت حجارة من السماء
موضعه ولهذا قال او ائتنا بعذاب اليم اى بنوع من عذاب اليم سواه اشارة الى ان السجيل
نوع اليم من العذاب وما كان الله اى ليس فى عادته تع ليعذبهم وانت فيهم بيان سبب
امهالهم وامهالهم والتوقف فى اجابة دعائهم واللام لتاكيد النفى والدلالة على ان تعذيبهم
حال كون النبى عم فيهم غير جائز فى الحكمة لان سنة الله تع جارية بان لا يستأصل قوما بالعذاب
ما دام نبيهم بين اظهرهم وفيه اشعار بانهم مرصدون للعذاب اذا هاجر عنهم لدلالة قوله
وما لهم الخ على اثبات التعذيب كانه قال وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وهو معذبهم
اذا فارقتهم وما كان الله معذبهم لما كانت كينونته عم فيهم سببا لتعذيبهم اكد خبر كان
باللام على راى الكوفيين او جعل خبر كان الارادة المنفية على راى البصريين وانتفاء الارادة
للعذاب ابلغ من انتفاء العذاب ولما كان استغفارهم دون تلك الكينونة الشريفة لم يؤكد
باللام فشتان ما بين استغفارهم دون تلك الكينونة الشريفة لم يؤكد باللام فيهم وهم
يستغفرون حال كقوله وانت فيهم والمراد باستغفارهم اما استغفار من بقى فيهم من المؤمنين
او قولهم اللهم غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله تع وما ربك ليهلك القرى
بظلم واهلها مصلحون وما لهم الا يعذبهم الله وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف
لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد الحرام وما لهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء رسول الله عم
والمؤمنين الى الهجرة واما احصارهم عام الحديبية فقد كان بعد قبل النظر ونظرائه فلا انتظام
لمعجز ما سبق الكلام له فى هذا المقام وما كانوا اولياءه مستحقين ولاية امره مع شركهم

للانتفاء

وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ان
اولياؤه الا المتقون الذين لا يعبدون فيه غيره اى ما يستحق الولاية البيت وما حوله
منها لانها مخصوصة بالمتقين من المسلمين ليس كل مسلم يصلح لذلك فكيف بالمشركين
من اعداء الدين ولكن اكثرهم لا يعلمون ان لا ولاية لهم عليه نبه بالاكثر على ان منهم من يعلم
ذلك ولكن يعاند لما نفى عنهم ان يكونوا ولاة البيت ذكر من فعلهم القبيح ما يؤكد ذلك
وان من كانت صلوته ما يذكر لا يستاهل ان يكونوا اولياءه وما ذكر بقوله وما كان صلوتهم عند
البيت من جملة موانع استحقاقهم بل الولاية وموجبات استحقاقهم للعذاب كما ذكر بقوله وهم يصدون
والمراد بصلوتهم ما يضعونه موضعها ويسمونه صلوة وفيه من التهكم ما لا يخفى وقرئ صلوتهم
بالنصب على انه الخبر المقدم الا مكاء صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكاء وتصدية
تصفيقا تفعلة من الصدى او من الصد على ابدال احد حرفى التضعيف بالياء يعنى انهم يضعون
الصفير والتصفيق موضع الصلوة ولهذا اورد قوله فذوقوا العذاب بفاء التسبيبة
اى بسبب هذا الكفر ذوقوا وباله فى الدنيا والمراد عذاب القتل والاسر يوم البدر
الظاهر ان يكون اللام للعهد والمعهود ما ذكر فى قولهم او ائتنا بعذاب اليم او وضعهم المكاء
والتصدية موضع الصلوة انهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء وهم
مشبكون بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وكانوا يفعلون نحو ذلك اذا قرأ
رسول الله عم فى صلوته يخلطون عليه ويرون انهم يصلون ايضا بما كنتم تكفرون اتى
بصيغة المضارع وزاد عليها عبارة كنتم للدلالة على الاستمرار التجددى والمراد ما كانوا
يفعلون عند البيت من المكاء والتصدية مكان الصلوة ولا يجوز ان يكون المراد من العذاب
عذاب الاخرة لان الفاء تاباه وذلك ان التسبيبة للعذاب مطلقا قد استفيدت من الباء
والفاء انما تفيد اذا كان ذلك العذاب المسبب بما ذكر معجلا ان الذين كفروا ينفقون اموالهم
ليصدوا عن سبيل الله عن دينه واتباع رسوله نزلت فى المطعمين يوم بدر وكانوا اثنى
عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر او قيل فى ابى سفيان استاجر
ليوم احد الفين من الاحابيش سوى من احباش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية
وقيل فى اصحاب العير فانه لما اصيب قريش ببدر قالوا لكل من له تجارة فى العير اعينونا بهذا
المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا ففعلوا فسينفقونها فائدة تكرار ذكر الانفاق
ان مساق الاول لبيان الغرض منه والثانى لبيان عاقبته ومآل امره وان غرضهم لا يحصل منه
وبعقب الخيبة هذا ما قالوا وباه زيادة السين فى الثانى وترتيبه بالفاء على الاول
وكذا يأبى هذا الاخير عن حمل الاول على ما كان فى يوم بدر والثانى على ما كان فى يوم الاحد
فالاولى ان يحمل الاول على غرضهم على الانفاق والثانى على وقوعه عن قريب منضما على

ذلك الغرم ثم يكون عليهم حسرة لا ستلزام انفاقهم للاموال ندامة وسرعة انقلابه الخصا
كان ذاتها تصير ندامة مبالغة والحسرة غم بما انكشف من فوت استدراك الخطيئة وذلك الغم
يسمى ندامة واصلها الكشف من قولهم حسر عن ذراعيه والحاسر ضد الدارع ثم يغلبون
ثم لا يبقى حالهم على الندم والحسرة لفقد الاموال وفقدان الغرض حتى يصيرهم الامر المغلوبية
التي هي ضد الى الحالة التي هي ضد الحالة التي قصدوها فيرجعون خلفاء وان كانت الحرب بينهم
وبين المؤمنين قبل ذلك سجالا ومعنى ثم في الموضعين غاية بعد ما بين غرضهم في الانفاق
وبين ما يحصل منه ويقع بعده والذين كفروا اى الذين ثبتوا على الكفر منهم اذ اسلم بعضهم
وحسن اسلامه الى جهنم خاصة يحشرون يجمعون بالسوق من جهات متعددة وفائدة تقديم
الجار والمجرور دفع وهم القرار في محل آخر ليميز الله الخبيث من الطيب اى الفريق الكافر من الفريق
المؤمن فيجعل الخبيث اى الكافر بعضه على بعض فيركمه جميعا اى يجمعهم ويضمهم حتى يتراكبوا كقوله
كادوا يكونون عليه لبدا اى لفرط ازدحامهم فيجعله في جهنم جعل الكفار في الانضمام والازدحام
والاجتماع في النار شيئا متراكما كحطب تركب بعضه على بعض بمجموع ملقى في جهنم مبالغة او المال
الخبيث الذي انفقه المشركون في عداوة رسول الله صلعم من المال الطيب الذي انفقه المسلمون في نصرته
فيجمع الخبيث الذي انفقه المشركون فيجعله في جهنم من جملة ما يعذبون به كمال الكانزين واللام
في قوله ليميز على الاول متعلق بيحشرون او يغلبون وعلى الثاني بتكون وقرئ ليميز من التمييز
وهو ابلغ من الميز اولئك اشارة الى الفريق الخبيث على الاول والى الذين كفروا على الثاني من حال
او الى المنفقين فكانه فضل خسران منهم من اسلم وحسن اسلامه هم الخاسرون الكاملون في الخسران
لانهم خسروا انفسهم واموالهم قل للذين كفروا لمن بقي من الكفار قريش بعد من قتل منهم ببدر
واللام للتبليغ ان ينتهوا عن معاداة الرسول عم وقتاله بالدخول في الاسلام يغفر لهم
ما قد سلف من ذنوبهم لان الاسلام يجب ما قبله وقرئ بالتاء والكاف على الخطاب وان يعودوا
الى قتاله فقد مضت سنة الاولين تعليل للجواب فيهم مقامه والتقدير وان يعودوا انتقمنا منهم
وامكنا منهم فقد مضت سنة الاولين في انا انتقمنا منهم وامكنا منهم لتكذيب انبيائهم عليهم
السلام وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة الا ان لا يوجد فيهم شرك ويكون الدين كله بان يضمحل الاديان
الباطلة كلها ويبقى فيهم دين الاسلام وحده فان انتهوا عما يجب الانتهاء عنه والقتال
على ما تقدم فان الله بما يعملون بصير تعليل ما تضمنه الجواب من عدم التقصير في المجازاة تقديره
فيجازيهم على الامتثال ولا يضيع تبرؤهم عن الشرك والاعمال وقرئ تعملون بالتاء على
معنى فان الله تعالى بما تعلمون من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بصير يجازيكم عليه ويكون تعليقه
بان انتهوا على الغيبة للتغليب اى انه بصير بعملكم وعملهم فيثيبكم جميعا ويجازي كلا بحسب عمله
وان تولوا وهم ان ثباتهم للتسبب فقد وهم وان تولوا عن الامتثال فاعلموا ان الله مولاكم

ناصركم ومتولى اموركم فلا تبالوا بمعاداتهم وتخوفوا بولا يته تع في زيادة اعلموا المضمنة الدلالة
على تنزيلهم منزلة الجاهل لنكتة خطابية تناسب المقام وتزيد في البلاغة درجة الكلام من زيد
تهييج لهم على ذلك نعم المولى هو فلا يضيع من تولاه ونعم النصير فلا يغلب من ينصره واعلموا انما
غنمتم اى الذي اخذتموه من الكفار قهرا من شيء اى من اقل ما يقع عليه اسم الشيء حتى المخيط
والخيط وتصدير الكلام بقوله اعلموا لزيادة الاهتمام فان لله خمسه دخلت الفاء في خبر
ان لتضمن العموم الذي دل عليه ما معنى الشرط وان لله في موضع رفع على انه خبر مبتدا محذوف
تقديره فالحكم ان لله خمسه والجمهور على ان ذكر الله تع تمهيد لذكر الرسول عم وما عطف عليه
تعظيما وتخصيصا للمعطوفين به كما في قوله والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسم الخمس على
الخمسة المعطوفين وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كانه قال فان
لله خمسه يصرف الى هؤلاء الاخصين به تفضيلا لهم على غيرهم يستوي فيه المؤمن والكافر بل العلم
المستلزم للعلم فان المقصود بالذات من العلم العمل اذ امره هو العمل والعلم مقصود بالعرض
وهو متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا اى اجعلوا الخمس لله واصحابه للتقرب اليه فاقطعوا
اطماعكم عنه واصرفوا الى من عين من المخصوصين واقتنعوا بالاخماس الاربعة والحكم بعد باق الان
سهم الرسول عم يصرف اى عليهما يصرف من مصالح المسلمين كما كان يفعله الشيخان وقيل الى الامام
وقيل الى الاصناف الاربعة الباقية وعند ابي حنيفة رحمه الله سقط سهمه عم بوفاته وسهم ذوي القربى
لانهم استحقوا بالنصرة والمظاهرة وصار الكل مصروفا الى الثلثة الباقية وعند مالك يفوض الى
رأي الامام يصرفه الى ما يراه اهم ان كنتم وما انزلنا على عبدنا محمد من الايات والملئكة والنصر معطوف
على بالله وقرئ عبدنا بضمتين اي الرسول والمسلمون والكفار واليوم الاول بمعنى الوقعة والثاني
بمعنى الوقت والله على كل شيء قدير ختم بصيغة القدرة لانه دال الموءمن على قلتهم على الكافر مع
كثرتهم ذلك اليوم اذ انتم اذ بدل من يوم التقى الجمعان بالعدوة الدنيا القربى بمعنى من المدينة
والعدوة بالحركات الثلث شط الوادي وقد قرئ بها والمشهور الضم والكسر وهم بالعدوة القصوى
البعدى تانيث الاقصى وكان قياسه قلب الواو ياء كالدنيا والعليا وكذا الكل فعلى من بنات الواو
تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الاصل كالقود وهو اكثر استعمالا من القصيا والركب اى العير فوقه
اسفل منكم في مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل نصب على الظرف وهو مرفوع المحل لانه خبر مبتدا
والجملة حال من الظرف قبله وفائدة التقييد وتعيين مركب لفريقين بيان الحالة الدالة على حركة
الكفار وعدة غلبتهم واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم
على ان لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا جهدهم وضعف شان المسلمين والتباث امرهم واستبعاد
غلبتهم عادة وان ظفرهم بالعدو وغلبتهم في مثل هذه الحالة ليس الا بتائيد من الله تع ونصره
ليعلموا ان الحول والقوة والقدرة كلها لله تع وان الفتح كان صنعا الهيا من خوارق العادات

وانه سمى يوم الفرقان لانه يوم بدر فانه فرق
بين الحق والباطل يوم التقى الجمعان صح

فيزدادوا ايمانا وثقة وذلك ان ارض المؤمنين كان ارضا رخوة تسوخ فيها الاقدام ولا يمشى
الا فى تعب ولم يكن بها ماء بخلاف العدوة القصوى ويقويه قوله ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد
اى ولو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالهم فى الكثرة والقوة والشوكة وتمهد العدد و
ما لكم فى القلة والضعف وعدم اسباب الظفر لاختلفتم انتم تهيبا منهم ويأسا من الظفر عليهم وظنا
بالمغلوبية ولكن دبر الله تع ذلك حيث وعد احدى الطائفتين مبهمة واخرجكم راغبين فى العير
واخرجهم ليمنعوا عيرهم وسبب لكم اسبابا وجمع بينكم وبينهم على هذه الحالة ليقضى الله امرا كان
مفعولا حقيقا بان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى
عن بينة بدل منه او متعلق بقوله مفعولا والمستعار للهلاك للكفر والحيوة للاسلام كما يستعار الموت
والحيوة للجهل والعلم اى ليكون كفر من كفر عن وضوح بينة حتى لا يبقى له عند الله تع معذرة و
يصدر اسلام من اسلم ايضا عن تيقن بانه دين الحق الذى يجب الدخول فيه والتدين به وذلك
ان وقعة بدر كانت من الايات الواضحة التى من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه مغالطا لها وقرئ وحيى
باظهار التضعيف لحوافه مستقبله وان الله لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن
وثوابه والجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد اذ يريكهم الله فى منامك قليلا
بدل ثان من يوم الفرقان او نصب باضمار اذكروا بقوله عليم اى سميع باحاديث نفوسكم
فى كراهة القتال عليم بتدابير اموركم وتسويد مصالحكم اذ يريكها فى نومك قليلا اراهم اياه
فى رؤياه قليلا فاخبر به اصحابه فثبتهم ذلك وشجعهم على عدوهم ولو اريكهم كثيرا لفشلتم
الفشل ضعف مع الوجل لم يقل لفشلت لانه عم كان معصوما من النقائص ولم يسند الفشل اليه عم
على طريقة التغليب رعاية لما بنى الكلام والمقام ولتنازعتم فى الامر امر القتال وتفرقت
اراءكم بين الثبات والفرار والتنازع الاختلاف الذى يحاول كل واحد منهما انه عليم بذات
الصدور يعلم ما سيكون فيها من الجبن والجرأة والصبر والجزع وما يغير احوالها واذ يريكموهم اذ
التقيتم فى اعينكم قليلا حتى قال ابن مسعود رض لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم
مائة تثبيتا لهم وقيل تصديقا لرؤيا الرسول صلعم وفيه نظر والضميران مفعولا يريكموهم وقليلا
نصب على الحال ويقللكم فى اعينهم حتى قال ابو جهل ان محمدا واصحابه اكلة جزور وقللهم فى
اعينهم قبل التحام القتال ليجترؤا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم بعده حتى يرونهم
مثليهم لتفاجئهم الكثرة فتبهتهم وتكسر حدتهم وشوكتهم وذلك من عظائم ايات تلك
الوقعة وليس هذا التقات فى لا يبصر مع تساوى الشروط الا بخرق العادة ليقضى الله
امرا كان مفعولا كرره لاختلاف الفعل المعلل به او لان المراد بالامر ثمة الالتقاء على الوجه المحكى
وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الكفر وحزبه والى الله ترجع الامور فلا راد لقضائه ولا معقب
لتقديره يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم اى حاربتم فان اللقاء مما غلب فى القتال فئة الخ

معتبر فى مفهوم الفئة اصلها من فأت رأسه بالسيف اذا قطعته والجماعة المنقطعة عن المؤمنين
كفارا وبغاة ومن لم يقف على هذه الدقيقة الانيقة قال ولم يصفهم لان المؤمنين ما كانوا يلقون
الا الكفار واذكروا الله كثيرا فى مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره مترقبين لنصره
لعلكم تفلحون تظفرون بالنصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان المؤمن يجب ان يداوم على ذكر الله
خصوصا عند الشدائد لا يجمع همته ولا ينوزع باله ويشجع قلبه ويطمئن بالتوجه نحوه ويستمد منه
فيما يدعو به ويستظهر بقوته وحوله واطيعوا الله ورسوله باتفاق الكلمة ولا تنازعوا
باختلاف فيما بينكم باحد فتفشلوا نصب باضمار ان او جزم داخل فى حكم النهى وقرئ ويذهب
ريحكم بالتاء والنصب عطفا على الاول وبالياء والجزم على الثانى اى يذهب دولتكم على ان
الريح مستعارة للدولة شبهت فى تمشى امرها ونفاده بالريح فى جريها وهبوبها يقال
هبت رياح فلان اذا دالت له الدولة ومنه قول على ولا خير فى قوم امرئ متلون اذا الريح
مالت مال حيث يميل وقيل ذهاب الرياح على الظاهر فانه لم يكن نصر قط الا بريح يبعثها الله
كما قال عم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور واصبروا ان الله مع الصابرين بالكلاءة
والنصر ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم يعنى قريشا حين خرجوا لحماية العير بطرا البطر
اضمال الغنى ومن اثاره الفخر والاشر ورياء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة فى ابى
جهل واصحابه خرجوا من مكة لنصرة العير بالقينات والمعازف فنهى الله تع المؤمنين ان يكونوا
مثل هؤلاء بطرين مرائين باعمالهم ويلزمه الامر بالتقوى والاخلاص بناء على ان
النهى عن الشئ يستلزم الامر بضده بطرا ورياء نصب على الحال والمفعول لهما واما ما قيل ذلك
انهم لما بلغوا الجحفة وافاهم رسول ابى سفيان ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال ابو جهل
لا والله حتى نقدم بدرا ونشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب
فوافوها ولكن سقوا كأس المنايا وناحت عليهم النوائح فلا يصلح وجها لخروجهم من
مكة بطرين ومرائين وقوله ويصدون عن سبيل الله عطف عليهما حالين مطلقا ومفعولا لهما
على تأويل المصدر اى وصدا عن سبيل الله والله بما يعملون محيط اى عالم به فيجازيهم عليه وعيد
وتهديد لمن بغى من الكفار واذ زين لهم الشيطان منصوب باذكر اعمالهم التى عملوها
فى معاداة الرسول عم وقال لا غالب لكم خبر لا غالب اى كائن لكم وصفة وليس صلة يعنى
لا غالبا اياكم والا لكان منصوبا كقولك لا ضاربا زيدا عندنا اليوم من الناس وانى جار لكم
والجار هو المجير الذى يعطى الخائف الامان روى عن ابن عباس رض ان المشركين تخوفوا من بنى
بكر بن كنانة اذ كانوا قتلوا منهم قتيلا فلم يأمنوا يوم خروجهم الى بدر ان يأتوهم من ورائهم
فتصور لهم ابليس بصورة سراقة بن مالك وهو من بنى بكر وقال انا جاركم من بنى بكر فركنوا
الى قوله وساروا وهو معهم حتى اذا التقى المسلمون والكفار [illegible] منهم

ولما نكص على عقبيه أخذ الحارث بن هشام بيده فقال أعلى هذه الحالة تخذلنا فقال إني أرى
ما لا ترون قال الحارث والله ما نرى إلا جعاسيس يثرب قال إني أخاف الله قال الحارث فهلا كان
هذا أمس فدفع صدر الحارث وانطلق فانهزم الناس فلما قدموا مكة قالوا هزم الناس
سراقة بن مالك فقال بلغني أنكم تقولون إني هزمت الناس فوالله ما شعرت بمسيركم حتى
بلغني هزيمتكم فقالوا أتيتنا يوم كذا فحلف لهم فلما أسلموا علموا أن ذلك الشيطان وذهب
بعضهم إلى أن الترتيب في هذه الآية وما بعدها من الأقوال إلى ما هو بالوسوسة والمحادثة في
النفوس ولا يخفى ضعفه فإن قوله وإني جار لكم ليس مما يليق بالوسوسة وكذا النكوص على
عقبيه وما بعده من الأقوال ليس مما يليق بها فلما تراءت الفئتان تراءت تفاعلت من الرؤية
أي رأى كل من الفريقين الآخر وهذه الحالة قبل الالتقاء نكص الشيطان أي رجع القهقرى
هو فاعما برى وزيادة قوله على عقبيه ليفيد أنه انهزم على أسوء حال قال إني بريء منكم أي رجعت
عما كنت ضمنت لكم من الأمان إني أرى ما لا ترون تعليل لبريه قاله حين رأى إمداد المسلمين
بالملائكة كأنه يقول إني كنت مجيركم من الناس وضمنت لكم الغلبة عليهم وأرى ما ليس من
جانبي ربكم إني أخاف الله أي أخاف عقابه على أيدي من أراهم ولا ترونهم أنتم قال
قتادة وابن الكلبي إنه هذه معذرة كاذبة ولم تلحقه قط مخافة وقال الزجاج وغيره
بل خاف مما رأى من الأمر وهوله أنه يومه الذي أنظر إليه والله شديد العقاب لا يرد عقابه
بشيء ولا يقاوم والظاهر أنه من كلامه إذ على تقدير كونه مستأنفا يكون تقدير المعذرة
ولا يقتضيه المقام فيكون فضلة في الكلام إذ يقول المنافقون بالمدينة والذين في قلوبهم مرض
والذين ليسوا بثابتي الأقدام في الإسلام بل كانوا على حرف وعن الحسن هم المشركون ويحتمل
أن يكون صفة للمنافقين والواو للجمع بين الصفتين أي الجامعون بين النفاق والشرك
كفو لهم هو الغيث والليث غر هؤلاء أي المسلمون دينهم حيث وثقوا به وتعرضوا
لما لا يدي لهم به فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر إلى زهاء الألف ومن يتوكل
على الله جواب لهم فإن الله عزيز غالب لا يذل من استجار به وإن قل ويتسلط بأيده
على الكثير القوي حكيم يفعل بحكمته ما يستبعده العقل ويعجز عن إدراكه ولو ترى ولو رأيت
فإن لو ترد المضارع كما ترد الماضي مضارعا وإنما عدل عن الماضي إلى المضارع لتصوير
الحال الماضية بالاستحضار استفظاعا لها إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ببدر وإذ ظرف
والمفعول محذوف أي ولو ترى الكفرة أو حالهم ح والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه
قراءة تتوفى بالتاء والأصل في القراءتين التوفيق بينهما مهما أمكن فلا وجه لما قيل ويحتمل
أن يكون الفاعل ضمير الله تع وهو مبتدأ خبره يضربون وجوههم والجملة حال من الذين
واستغنى فيه بالضمير عن الواو وهو على ما ذكرنا حال منهم أو من الملائكة أو منهما لاشتماله على

الضمير وأدبارهم ظهورهم وأستاههم وتخصيصهما بالضرب لكون الخزي والنكال في ضربهما
أشد ويجوز أن يكون المراد تعميم الضرب لما أقبل منهم وما أدبر وحذف جواب لو للتقطيع
والتهويل أي لرأيت أمرا عظيما لا يمكن وصفه وذوقوا عذاب الحريق أي ويقولون ذوقوا عذاب
النار وأن الحريق اسم النار وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها التهبت النار
ذلك الضرب والعذاب بما قدمت أيديكم بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي وهو خبر لذلك
يحتمل أن يكون من كلامهم وأن يكون من كلام الله تع وأن الله ليس بظلام للعبيد جملة حالية
لتقرير ما فهم مما سبق من أن ما يفعل بهم إنما يفعل بهم جزاء بما كسبوه فيكون عدلا محضا
ولو قيل ليس بظالم لكان أبلغ والعدول عنه إلى صيغة المبالغة للتنبيه على أن شأنه تع يقتضي
أن يكون كل وصف يثبت له بالغا إلى حد الكمال ومن لم يتنبه لهذه الدقيقة الأنيقة زعم
أنه لأجل العبيد ولم يدر أن ما يقال إن الله تع ليس بظلام للعبيد أصلا ونفي مبالغة
الظلم لا يستلزم نفي أصله بل ربما يوجب إثباته بدليل الخطاب وبرجوع النفي إلى القيد لا
يندفع بما ذكر إذ المعنى ح نفي ظلمه تع عن الكل ولا يلزمه نفيه عن كل واحد فإن رفع الإيجاب
لا ينافي الإيجاب الجزئي وقيل إن الله عطف على ما قدمت أي ذلك العذاب بسببين بسبب ما كسبوا
وسبب أن الله تع ليس بظلام لأن تعذيب الكفار من العدل ولو يرد عليه أنا سلمنا ذلك لكن ترك
التعذيب من مستحقه ليس بظلم بل فضل فلا ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب وقيل إن العطف المذكور
للدلالة على أن سببيته مقيدة بانضمامه إليه إذ لولاه لأمكن أن يعذبهم بغير ذنوبهم وفيه
أن الحاجة إلى ما ذكر لانحصار السببية فيما كسبوا حيث لا يكون التعذيب بسبب آخر محتملا وذلك
غير مستفاد من الكلام وليس مقتضى للمقام كدأب آل فرعون الكاف في محل الرفع أي دأب
هؤلاء مثل دأب آل فرعون والدأب العادة والعمل الذي دأبوا فيه أي واظبوا عليه و
الذين من قبلهم من قبل آل فرعون كفروا بآيات الله تفسير لدأبهم فأخذهم الله بذنوبهم
كما أخذ هؤلاء إن الله قوي لا يغلبه شيء شديد العقاب لا يطاق عقابه ولا يرده
شيء ذلك إشارة إلى ما حل بهم بأن الله بسبب أن الله تع لم يك مغيرا أبدا نعمة أنعمها
على قوم بالنعمة حتى يغيروا يبدلوا ما بأنفسهم ما بهم من الحال إلى حال أسوء منها كما بدلت
قريش حالهم في صلة الرحم وعدم التعرض للآيات والرسل وإن كانوا كفرة لا أن الكفر
يمنع النعمة الدنيوية لقوله تع ومن كفر فأمتعه قليلا بمعاداة الرسول عم ومن تابعه
وإيذائهم والسعي في قتلهم والاستهزاء بالآيات إلى غير ذلك مما أحدثوه بعد البعث فبدل الله
تعالى ما أنعم به عليهم من الإمهال وحسن الحال في العاجل وعاجلهم بالعذاب أي سنة الله تع جارية
بأن يغير نعمة على من أنعم عليهم عند تغييرهم حالهم فالسبب مفهوم ما ذكر لا منطوقه
وأصل يك يكون فلما دخلها لم جزمها فالتقى ساكنان فحذف الواو فبقي لم يكن ثم لما كثر

حذفوا النون تخفيفا فاذا تحركت اثبتوها قالوا لم يكن الرجل كذا قاله الجوهري والذى
ذكره ليس بحتم فان النون قد ثبتت عند السكون كما فى قوله تع وان يكن ميتة وقوله لم
اكن لاسجد وان الله سميع لاقوالهم عليم بافعالهم واحوالهم كداب آل فرعون والذين
من قبلهم كذبوا بايات ربهم تكرير للتاكيد وفى تغيير تفسيره زيادة دلالة على كفران النعم
وجحود الحق بما فى لفظ الرب المضاف اليهم من الاشعار بكونهم منعما عليهم وقيل الاول
لتشبيه الكفر والاخذ به والثانى لتشبيه التغيير فى النعمة بسبب تغييرهم ما بانفسهم وفيه
انه لا مساعدة للتخصيص المذكور لا من جهة العام ولا من جهة نظم الكلام فاهلكناهم
اى عاجلا بذنوبهم على العموم دلالة الباء على السببية المطلقة والسببية للعذاب العاجل
انما تستفاد من الفاء واغرقنا آل فرعون على الخصوص وفيه بيان الاخذ بالذنوب
ذ فى قوله وكل كانوا ظالمين اشارة الى ان سبب الاخذ بالذنوب وفى قوله ظلمهم وفيه تقرير
لقوله وان الله ليس بظلام للعبيد اى المشبهون الذين هم قتلى قريش والمشبه بهم الذين هم
آل فرعون والذين من قبلهم كلهم كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصى فتسببت بذلك
ظلمهم لعقابهم فما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون ان شر الدواب عند الله الذين
كفروا اى اصروا على الكفر ورسخوا فيه لان مجرد الكفر لا يفيح الجبار عنهم بعدم الايمان
فهم لا يؤمنون فلا يتوقع منهم الايمان لكونهم مطبوعا على قلوبهم معنى الفاء السببية
والتنبيه على ان كفرهم فى الرسوخ بحيث لا يوجب انتفاء صدور الايمان عنهم الذين عاهدت
منهم بدل من الذين كفروا بدل الكل او البعض للبيان والتخصيص وهم يهود قريظة عاهدهم
رسول الله عم ان لا يمالئوا عليه فاعانوا المشركين بالسلاح وقالوا نسينا ثم عاهدهم فنكثوا
ومالؤهم عليه يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم وانما قال منهم للتضمن
المعاهدة معنى اخذ الميثاق والمراد من المرة فى قوله ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة مرة
المعاهدة او المحاربة انما كانوا شر الدواب لان نقض العهد خروج عن المروة والا
فى الفعل مقتضى فطرتهم بالكفر ونقض العهد الاول الفطرى فانحطوا عما جبلوا عليه ثم اصروا
على ذلك العهد الظاهر فكانوا شر الدواب لكونها على جبلت عليه وهم لا يتقون عاقبة الغدر
ولا يبالون بوخامتها فى الدنيا والاخرة من العار والنار فاما تثقفنهم فى الحرب فاما تصادفنهم
وتظفرن بهم اى بقتلهم شر قتل والثقف الادراك بسرعة فشرد بهم من خلفهم اى فنكل
هؤلاء تنكيلا يكون سببا شرود من وراءهم خوفا منك والتشديد التفريق على اضطراب
وقرئ فشرذ بالذال المعجمة وكانه مقلوب من شذر وقرئ من خلفهم والمعنى واحد
فانه اذا اشرد من وراءهم فقد فعل التشريد فى الوراء لعلهم لعل المشردين يذكرون
يتعظون واما تخافن من قوم معاهدين خيانة بامارات تلوح لك الخيانة نقض عهد

فيها او تمن عليه فانبذ اليهم النبذ الالقاء الخبر اى من لا يعلم بما يوجب ذلك حرب
على سواء استواء حال من النابذ والمنبوذ اليهم اى الق اليهم الخبر انك نقضت
العهد الذى بينك وبينهم لتكونوا انتم وهم فى العلم بالنقض على استواء اى مستوين
فيه ولا تحاربهم قبل الاعلام لانه خيانة ان الله لا يحب الخائنين تعليل للامر بالنبذ والنهى
عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة الاستئناف ولا تحسبن خطاب للنبى عم
وقوله الذين كفروا سبقوا مفعولاه وقرئ ولا يحسبن بياء الغيبة والفاعل ضمير يعود
على الرسول عم او على التابع والمفعول الاول الذين كفروا والثانى سبقوا وقيل اصله
ان سبقوا فحذفت ان كما فى قوله ومن اياته يريكم البرق ويدل قراءة ابن مسعود رض انهم
سبقوا وهذه القراءة لم ينفرد بها حمزة كما توهم بل وافقه ابن عامر وعاصم فى رواية حفص
عنه انهم لا يعجزون تعليل للنهى اى لا تحسبنهم سبقوا فافلتوا لانهم لا يفوتون الله ولا
يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وقرئ انهم بالكسر على انه تعليل على سبيل الاستئناف
والمراد الازاحة لما يحذر به من نبذ العهد وايقاظ العدو وعن الزهرى انها نزلت
فيمن افلت من قتل المشركين واعدوا لهم ايها المؤمنون لهم لناقض العهد وللكفار ما استطعتم
من قوة من كل ما يتقوى به فى الحرب وعن عقبة بن عامر رض سمعته عم يقول على المنبر
الا ان القوة الرمى قالها ثلثا والمراد انه اقواها ومن رباط الخيل الرباط شد ايدى
العقد يقال ربط يربط ربطا ورباطا وصار اسما للمربوط الا انه لا يستعمل الا فى الخيل
فالاضافة باعتبار عموم المفهوم الاصلى ويحتمل ان يكون جمع ربيط كفصيل وفصال
وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على قوة كعطف جبرائيل وميكائيل
على الملئكة عم ترهبون به الارهاب ازعاج النفس بالخوف به اى بما استطعتم او بالاعداد
عدو الله وعدوكم يعنى كفار مكة واخرين من دونهم من غيرهم من الكفرة قيل هم اليهود
وقيل المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم لا تعرفونهم باعيانهم الله يعلمهم يعرفهم وما
تنفقوا من شئ يوف اليكم جزاؤه وفى عبارة يوف بعد بيان ما ينفق بقوله من شئ اشارة
الى انه وان كان قليلا فجزاؤه جليل وانتم لا تظلمون بتضييع العمل قيل او نقص الثواب
ومبناه على استحقاق العبد بالعمل للثواب وقد عرفت ما فيه فى تفسير والله ذو الفضل العظيم
وان جنحوا مالوا ومنه الجناح وتعديته باللام او الى للسلم للصلح والاستسلام فاجنح
لها وعاهد معهم وتانيث الضمير لحمل السلم على نقيضها وهو الحرب وتوكل على الله ولا
تخف من ابطانهم خداعا فيه فان الله يعصمك منه ويكفيه بهم انه هو السميع
لاقوالهم العليم بافعالهم واموالهم والاية مخصوصة باهل الكتاب لاتصالها
بقصتهم وقيل عامة نسخها اية السيف وان يريدوا ان يخدعوك بالصلح فان حسبك

الله حسبك بمعنى محسبك وكافيك قال جرير انى وجدت من المكارم حسبكم ان تلبسوا
خز الثياب وتشبعوا هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين اى بجماعة المؤمنين او
الانصار والف بين قلوبهم على ما دل عليه قوله والف اى اوقع التالف بين قلوبهم حتى صاروا
كنفس واحدة بعد ما فيهم من العصبية والضغينة فى ادنى شئ والتهالك على الانتقام
بحيث لا يكاد ياتلف فيهم قلبان كما بينه بقوله لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين
قلوبهم اى تناهى عداوتهم الى حد لو انفق منفق فى اصلاح ذات بينهم ما فى الارض
من الاموال لا يقدر على الالفة والاصلاح ولكن الله الف بينهم بقدرته البالغة فانه
المالك للقلوب يقلبها كيف يشاء انه عزيز تام القدرة والغلبة لا يعصى عليه ما يريده
حكيم يعلم انه كيف ينبغى ان يفعل ما يريده وقيل الاية فى الاوس والخزرج وكان
بينهم من الحروب والوقايع ما اهلك ساداتهم ورؤسائهم ولم يكن لبغضائهم
امد ومنتهى وبينهما التجاور الذى يهيج الضغاين ويديم التحاسد وكان كل من
الطائفتين تتجنب ما اثرته الاخرى وتكره ما احبته فانساهم الله تعالى ذلك كله حتى اتفقوا
على الاسلام والطاعة وتصادقوا وتصافوا وتحابوا وصاروا انصارا وذلك من المعجزات
الباهرة والايات الظاهرة يا ايها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين اى كفاك الله تعالى
وكفى اتباعك من المؤمنين ناصرا وكفاك الله تعالى وكفاك المؤمنون على ان من اتبعك فى محل
النصب على المفعول معه كقولك حسبك وزيدا درهم او الرفع عطفا على الله نزلت فى
البيداء فى غزوة بدر وقيل نزلت عند اسلام عمر رض يا ايها النبى حرض المؤمنين على
القتال التحريض المبالغة فى الحث على الامر من الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفى على الموت
وقرئ حرص بالصاد المهملة من الحرص ان يكن منكم عشرون صابرون على القتال يغلبوا
مائتين وان يكن منكم مائة صابرة عليه يغلبوا الفا من الذين كفروا وتكرار المعنى الواحد
بالاعداد المتناسبة فى الطرفين ومنه للدلالة على ان حكم القليل والكثير واحد وشرط فى
الوعد والبشارة بغلبة الجماعة من المؤمنين على عشرة امثالهم من الكفار الصبر حتى
يؤيدهم بعونه ونصره ثم قال بانهم قوم لا يفقهون اى بسبب ان الكفار قوم جهلة
لا يقاتلون لله تعالى ولا يثبتون ثبات المؤمنين الذين يبتغون بالقتال رضاء الله تعالى
وثوابه فلا يستحقون النصرة والمعونة لكون دواعيهم منبعثة من الهوى والشيطنة
فاستحقوا الهوان والخذلان لتوليهم الشيطان الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا
كان فى اول الامر بخواص اصحاب النبى عم وزيادة استبصار وقوة قلب حتى لقى
حمزة رض فى ثلثين راكبا ابا جهل فى ثلثمائة راكب فلما اختلط بهم ساير الناس وفيهم
من يكون بحب الاهل والولد والمال وانه بضعف القلب عن مقاومة الكثير من الكفار

خففت عنهم بمقاومة الواحد الاثنين فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين
وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله بتقديره وتيسيره والله مع الصابرين
بالنصرة والمعونة فكيف لا يغلبون ضمنت الاية به مبالغة فى شدة المطلوبية ولكونه
اهم اثبت فى اول جملتى التخفيف وحذف من الثانية لدلالة السابقة عليه ما كان
لنبى اى ما صح له وما استقام وقرئ للنبى على العهد ان يكون له اسرى وقرئ اسارى
وقرئ تكون بالتاء حتى يثخن فى الارض اى يضعف الكفر ويذله باشاعة القتل
ويعز الاسلام بالقهر ثم يجوز له الاسر بعد ذلك ولهذا لما كثر المسلمون ونزل
الاسلام نزل فاما منا بعد واما فداء من اثخنه المرض اذا اثقله واصله الثخانة
وقرئ يثخن بالتشديد للمبالغة تريدون عرض الدنيا حطامها باخذكم الفداء والله
يريد الاخرة لكم اى ثواب الاخرة او سبب نيله من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ
يجر الاخرة على اضمار المضاف كقوله اكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا والله
عزيز يغلب اولياءه على اعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما امر بالاثخان
ومنع عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن لما تحولت الحال و
صارت الغلبة للمؤمنين روى انه عم اتى يوم بدر بسبعين اسيرا فيهم العباس
وعقيل بن ابى طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر قومك واهلك استبقهم لعل
الله تعالى يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها اصحابك وقال عمر رض اضرب
اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله تعالى اغناك عن الفداء مكنى من فلان لنسيب له
ومكن عليا وحمزة من اخويهما فلنضرب اعناقهم فلم يهو ذلك رسول الله صلعم
وقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب
رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابرهيم قال فمن تبعنى
فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال لا تذر
على الارض من الكافرين ديارا فخير اصحابه فاخذوا الفداء فنزلت قيل فدخل
عمر رض على رسول الله صلعم فاذا هو وابو بكر رض يبكيان فقال يا رسول الله اخبرنى
فان اجد بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابك على اصحابك فى اخذهم الفداء ولقد
عرض على عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة وفيه انهم ما اخذوا الفداء
الا بعد تخييرهم صاحب الشرع فلا يستحقون العذاب وفيما ذكر ما يفصح عن
استخفافهم اياه ثم ان المذكور فى سبب النزول صريح فى انه عليه السلام استشار
بعض صحابه واخذ برأى ابى بكر فى القضية المذكورة فلا دلالة فى الاية المذكورة
على ان الانبياء يجتهدون وانه قد يكون خطأ ولكن لا يقررون عليه لولا كتاب

وقضاء من الله سبق اثباته في اللوح انّي لا اعذب قوما الا بعد النهي ولم يكن نهاهم
لعذبكم فيما صنعتم وان الفدية التي اخذوها ستحل لهم قال الحسن ان الله سبحانه
اطعم هذه الامة الغنيمة وانهم اخذوا الفداء من اسارى بدر قبل ان يؤمروا به
فعاب الله تعالى ذلك عليهم ثم احله لهم وان لا يعذب اهل بدر لمسكم المس اصابة تباشر
منه البشرة فيما اخذتم بسبب ما اخذتم من الفداء عذاب عظيم كما نزلت هذه
الآية امسكوا عن مد ايديهم الى شيء من الغنائم فنزل فكلوا مما غنمتم الفاء للتسبيب و
السبب محذوف تقديره احللت لكم الغنائم فكلوا ودخل في عموم ما غنمتم بدخل الفدية لانها
من جملة الغنائم واذا كان تقدير الكلام ما ذكر لا يكون فيه متمسك لمن زعم ان الامر الوارد
بعد الحظر للاباحة حلالا حال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وفائدته ازاحة ما
وقع في نفوسهم بسبب العتاب ولذلك وصفه بقوله طيبا لتشا انه لا شبهة فيه فان الحلال
قد يكون مكروها فاذا وصف بالطيب لا يبقى هذا الاحتمال واما الاباحة فلا تجامعه الكراهة
فالمباح اخص من الحلال ومن هنا تبين ان حق المقدر ان يكون احللت دون ابحت و
جوّز ان يكون الفائدة ما وقع في نفوسهم بسبب حرمة الغنائم على الاولين وفيه
بعد ما رخص فيها وخير بين القتل والفداء لا وجه لان يبقى في نفوسهم احتمال الحرمة خصوصا
بعدما اقدموا على اخذ الفداء وعملوا بموجب الرخصة واتقوا الله في الاقدام على ما لم يعهد
اليكم فيه حكم ان الله غفور غفر لكم ذنبكم رحيم اباح لكم ما اخذتم ولا يخفى لطف هذا
الكلام وحسن انطباقه لمقتضى المقام فان في الامر بالاتقاء كما سبق الا الا وهام من بقاء
التبعة وشيء من الاثام فيما صدر عنهم من الاقدام والالتزام يا ايها النبي قل لمن في ايديكم
في ملككم كان ايديكم قابضة عليه من الاسرى وفي قراءة من الاسارى امر النبي ص ان يقول للاسارى
الذين اخذ منهم الفداء ترغيبا لهم في الاسلام ان يعلم الله في قلوبكم خيرا اخلاصا في الايمان
وصدقا في النية يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء اما في الدنيا اخلافا واما في الآخرة اثابة
روي انها نزلت في العباس كلفه رسول الله صلعم ان يفدي نفسه وابني اخويه عقيل بن
ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال اين الذهب الذي
دفعت الى ام الفضل وقت خروجك وقلت لها اني لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان
حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله والفضل وقثم فقال وما يدريك قال اخبرني به ربي
قال فاشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك رسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله
ولقد دفعته اليها في سواد الليل قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا ان ادناهم
ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة
من ربكم يعني الموعود بقوله ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا يعني الاسرى خيانتك

نقض ما عاهدوك فقد خانوا الله بالكفر ونقض ميثاقه الماخوذ بالعقل من قبل فامكن منهم
فامكنك منهم اي فاقدرك عليهم يعني يوم بدر وهم مع صناديدهم ورؤسائهم فكيف
بعد ذهابهم بالقتل فان عادوا الخيانة فسيمكنك منهم والله عليم بالاحوال حكيم في
الافعال ان الذين آمنوا وهاجروا وهم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبا لله ورسوله
وجاهدوا باموالهم بان صرفوها في الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج وانفسهم
في سبيل الله بمباشرة القتال والذين آووا اي آووا المهاجرين الى ديارهم ونصروا ونصروهم
على اعدائهم وهم الانصار اولئك بعضهم اولياء بعض في الميراث وكان المهاجرون
والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله اولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض وقيل بالنصرة والمظاهرة والذين آمنوا في ذكر امنوا هنا دون
الثاني لان قوله اووا ونصروا عنه بخلاف قوله ولم يهاجروا بل يوهم خلافه ما لكم من ولايتهم
من شيء اي من توليهم في الميراث حتى يهاجروا وقرئ ولايتهم بالكسر تشبيها للتولي بالعمل
والصناعة كالكتابة والامارة كأنه بتوليه صاحبه يزاول عملا وان استنصروكم في الدين
فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد
فانه لا يجوز ان ينقض عهدهم بنصرهم عليهم والله بما تعملون بصير تحذير عن التعدي
حد الشرع في الموالاة وتركها والذين كفروا بعضهم اولياء بعض ظاهره اثبات الموالاة
بين الكفار والمراد نهي المشركين المسلمين عن موالاتهم وموارثتهم لان الموالاة بينهم
مرتبة على التناسب في الكفر كما انها بين المؤمنين على التناسب في الايمان فالمفهوم عدم
الموالاة حيث لا مناسبة فيلزم انتفاء موالاة المؤمنين والكافرين في التوارث ووجوب
مصارمتهم ومباعدتهم وان كانوا الاقارب ان لا تفعلوه ان لم تمتثلوا ما امرتكم به ولم
تتركوا موالاة الكفار ولم تفضلوا نسبة الايمان على نسبة القرابة واخوة الاسلام على انعام
اللحمة ولم تقطعوا العلائق بينكم وبين الكفار ولم تجعلوا القرابة دينية فقط تكن فتنة يحصل
فتنة في الارض عظيمة هي ضعف الاسلام وقوة الكفر وفساد كبير في الدين لان المسلمين ما لم
يصيروا يدا واحدة على الكفرة لم يقو الدين وازداد الفساد وكبر وفرق كبير لكن في التنكير في
توصيف الفتنة بالكبير للتنبيه على انه لا يفي به التعبير والذين آمنوا وجاهدوا وهاجروا و
جاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لما قسم المؤمنين ثلثة
اقسام بين ان القسمين الاولين المتواصلين هم الكاملون في الايمان الذين حققوا ايمانهم
بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحق واثنى عليهم ووعد لهم الموعد الكريم
مخصوصا بهم وبين لحقيقتهم حيث قال لهم مغفرة ورزق كريم اي مغفرة عظيمة ونوع من
الرزق لا تبعة ولا منة له فيه والتخصيص مستفاد من تقديم الجار والمجرور والآية

الأولى الأمر بالتواصل بينهم والموالاة وهذه لبيان فضلهم فلا تكرار والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم من جملتكم أيها المهاجرون والأنصار أي حكم اللاحقين بهم المنتسبين بسمتهم حكم السابقين إلى الهجرة في كمال الإيمان والموعد جعلهم منهم ترغيبا لهم وتكريما وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في التوارث من الأجانب في كتاب الله في حكمه أو في اللوح أو في القرآن وهو آية المواريث واستدل بها على توريث ذوي الأرحام إن الله بكل شيء عليم فعلم الحكمة من التوريث بنسبة والمظاهرة أولا ثم بنسبة القرابة ثانيا الحمد لله على التمام والله أعلم بالصواب

سورة براءة مدنية

هي آخر ما نزلت ولها أسماء آخر منها سورة التوبة وعن حذيفة إنكم تسمونها سورة التوبة وإنها سورة العذاب والله ما تركت أحدا إلا نالت منه قيل كان النبي عم إذا نزلت عليه آية أو سورة بين موضعها وتوفي ولم يبين موضع هذه السورة وكانت قصتها تشابه قصة الأنفال وتناسبها لأن في الأنفال ذكر العهود وفي البراءة نبذها فضم بينهما وأما أنها لم تصدّر لها فلأن الصحابة اختلفوا أنها سورة واحدة وهي سابعة السبع الطوال أو سورتان فتركت بينهما فرجة ولم يكتب بسم الله رعاية للاحتمالين ومن قال لما تركت التسمية بينهما لأنها نزلت لرفع الأمان وبسم الله أمان فكأنه غافل عن أنها توقيفية لا دخل للرأي في إثباتها وتركها براءة مبتدأ لأنها موصوفة بقوله من الله ورسوله أي حاصلة منهما خبر إلى الذين عاهدتم أي واصلة إليهم ويجوز أن يكون براءة خبر مبتدأ محذوف أي هذه براءة وح لا حاجة إلى تقدير حاصلة بل يكفي تقدير واصلة أي براءة من الله تع ورسوله إلى الذين عاهدتم والعهد العقد الذي يتقدم به لتوثيق الأمر وظاهر ما ذكر في صورة الإخبار وهو أمر في الحقيقة للمبالغة في مبادرته عم إلى الامتثال للأمر الواردة وذكر الله تع تمهيد كما في قوله لا تقدموا بين يدي الله ورسوله تعظيما لشأنه عم وإشعارا بأنه من الله تع بمكان يوجب جلاله وإنما نسب البراءة إلى الرسول عم والمعاهدة إلى المسلمين لشركتهم في الثانية دون الأولى من المشركين من أهل مكة وغيرهم من العرب فإنهم نكثوا العهد إلا أناسا منهم من بني ضمرة وبني كنانة فأمر الله تع المسلمين بنبذ العهد إلى الناكثين منهم فسيحوا في الأرض التسيح السير على مهل والجري على انبساط ولا يخفى حسن موقعه هنا وفيه تلوين الخطاب من صورة الخبر إلى الأمر الظاهر ونقله من مخاطب إلى آخر بلا فصل بينهما بأداة النداء وهذا جائز عند عدم الاشتباه كما في قوله تع يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك فلا حاجة إلى تقدير القول ولا بعد في ترتيب الثاني على الأول كما في قول الحماسة لا تعتري وإن فقرى يجرم عليكم ولكن ابشري ام عامر

وإنما زيد قوله في الأرض تنبيها للإذن وإلا فمعلوم أن السيح لا يكون إلا في الأرض أربعة أشهر أمهلهم أربعة أشهر ليسيروا فيها على مهل آمنين أين شاؤوا وهي الأشهر الحرم المراد بقوله فإذا انسلخ الأشهر الحرم على ما يأتي بيانه بإذن الله تع وقيل هي شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم لأنها نزلت في شوال سنة تسع من الهجرة وكان حصانة الأشهر الحرم من القتل والقتال فيها واجبة فوافقها النزول وقيل عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الأول وعشر من ربيع الآخر لأن التبليغ كان يوم النحر وكانت حرما لأنهم أومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم أو على التغليب لأن ذي الحجة والمحرم منها ويرد عليه أنه لا دلالة في كون التبليغ بالإعلان والإشاعة روي أنه لما ضرب لهم مدة قالوا نسيح في المدة على أمان ثم نقاتل فنمتنع فنزل قوله تع واعلموا أنكم غير معجزي الله لا تفوتونه وإن أمهلكم تهديد وزيادة واعلموا التشديد وأن الله مخزي الكافرين الأخزاء الإذلال بإفضاء الفضيحة والعار أي خذلهم بالقتل والأسر في الدنيا والعذاب في الآخرة ووضع الظاهر موضع الضمير في الموضعين أما في الأول فلتعظيم أمر الخزي وأما في الثاني فللدلالة على أن الكفر هو الموجب له وكذا في وبشر الذين كفروا وأذان من الله ورسوله الأذان فعال بمعنى الأفعال كالأمان والعطاء بمعنى الإيمان والإعطاء وقيل معناه النداء بالأمر الذي يسمع بالأذن ورفعه كرفع براءة على الوجهين والواو عاطفة للجملة على الجملة إلى الناس لما كانت البراءة مخصوصة بالمعاهدين والإيذان بها للعموم علق الإخبار بالبراءة بالمعاهدين والإخبار بالإيذان بذلك بالناس يوم الحج الأكبر يوم العيد لأن فيه تمام الحج ومعظم أفعاله ولأن التبليغ كان فيه ولما روي أن النبي عم وقف يوم النحر في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الأكبر وتوصيفه بالأكبر لأن العمرة حج أصغر أو لأن المراد من الحج أفعاله أعماله وما يقع فيه أكبر من باقي الأعمال أو لأنه ظهر فيه عز المسلمين وذل الكافرين وأما الموافقة لأعياد سائر الملل فلا ينبغي أن يعبأ بها في تعظيم حجنا ثم أن التوصيف المذكور قد ورد في حجة الوداع أيضا ولا موافقة ثمة أن الله أي بأن الله تع حذفت الباء التي هي صلة الأذان تخفيفا وقرئ أن الله بالكسر إجراء للأذان مجرى القول بريء من المشركين من أقوالهم وأفعالهم ويندرج فيها عهودهم اندراجا أوليا ورسوله عطف على المستكن في بريء من غير تأكيد للفصل أو على محل أن المكسورة واسمها بلا فصل بأداته وقرئ بالنصب عطفا على اسم أن أو على أن الواو بمعنى مع ويجوز أن يكون مبتدأ محذوف الخبر أي ورسوله كذلك فإن تبتم تفريع على ما فهم مما تقدم من كون الشرك وآثاره سببا للبراءة المذكورة وفي هذا التفريع غنى عن ذكر متعلق التوبة فهو أي فالتوبة خير لكم في الدنيا والآخرة وإن توليتم أي أعرضتم عما دعيتم إليه فاعلموا أنكم قد عرفت أن في أمر اعلموا في مثل هذا المقام للتهديد في الوعيد غير معجزي الله لا تفوتونه كليا ولا تتخلصون منه هربا وبشر الذين كفروا الأخبار بالعذاب

عام كخل من يقدر عليها وفيه تلويح الخطاب بعذاب اليم في الآخرة الا الذين عاهدتم استدراك
من قوله براءة من الله ورسوله لا بحسب المعنى كانه قيل لا تمهلوا الناكثين للعهد غير اربعة
اشهر لكن الذين عاهدتم ولم ينقضوا عهدهم لا تجعلوهم في حكم الناكثين الذين لا رخصة
في امهالهم عن المدة المذكورة ولا يضر تخلل الفاصل اعني قوله واذان من الله الخ لانه ليس اجنبيا
كما بالكلية لكونه امرا بالاعلام معنى كانه قيل واعلموا ان الله بريء منهم قيل استثناء من فسيحوا و
مبناه على تقدير القول بين الفاء ومدخوله وقد عرفت انه تكلف مستغنى عنه وقيل استثناء
من المشركين ورد بانه يلزم ح تخلل الفاصل الاجنبي مع منافاته لعموم المشركين في قوله ان الله
بريء من المشركين والعدول في قوله من المشركين من المضمر الى الظاهر لطول العهد والتنبيه على
ان المشرك اذا قارنه الوفاء بالعهد لا يؤثر في النبذ ولا يخفى ما فيه من التفخيم لشأن الوفاء به ثم
لم ينقصوكم شيئا من شرائط العهد وفي عبارة ثم اشارة الى انهم لم يفعلوا ذلك مع تمادي
العهد ولم يظاهروا اي ولم يعاونوا عليكم احدا من اعدائكم فاتموا تفريع على ما تقدم وبيان
للمراد من عدم جعلهم في حكم الناكثين وانما قال اليهم تضمينا لمعنى الارسال اي اتموا عهدهم
الى مدتهم مرسلين اليهم بمعنى امر الاتمام وذلك لما اعتبر الاعلام في قرينه السابق ذكره كان المناسب
اعتباره ههنا ايضا وفيه دفع وهم حكم النبذ لهم ايضا وانما تفيد اذوا فيه التزام
للجمع بين معنيين احدهما معنى عن الاخر عهدهم الى مدتهم المدة زمان طويل القسمة
واشتقاقه من مددت له في الاجل المهملة والمراد منتهاها بقرينة الى التي لانتهاء الغاية فلا
حاجة الى تقدير المضاف ان الله يحب المتقين تعليل وتنبيه على ان قضية التقوى اتمام
العهد والتسوية بين الوفاء والقادر في ان النبذ مخالفة التقوى وان كان الاول
مشركا وفيه تفخيم لما قصد بقوله من المشركين من التفخيم لشأن الوفاء بعهده فاذا
انسلخ الانسلاخ انفصال الشيء عما يلابسه ملابسة التمام من سلخ الشاة واذا كان
الانفصال عما يلابسه ملابسة مجاورة او التصاق دون التمام يقال انخلع ولا يقال انسلخ
ثم ان الخلع والسلخ مشتركان في التعلق بما يحتوي الشيء وبه يفارق النزع فانه
يتعلق بما يحويه الشيء مثلا يقال نزعت المسمار ولا يقال خلعته ولا سلخته وانما يقال
لاخر الشهر يوم السلخ استعارة لعلاقة السلخ لازالة النور الاشهر الحرم وهي تسعة اشهر
لبني كنانة واربعة اشهر لسائر المعاهدين المذكورة في قوله ع فسيحوا في الارض اربعة
اشهر ومن قال التي ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها فكانه غفل عن عموم الحكم لبني كنانة و
قيل هي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ويأباه ترتيب الكلام على ما تقدم بالفاء
وانما رده بانه مخالف للاجماع لانه يقتضي بقاء حرمة الاشهر الحرم اذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها
فليس بتام لان نسخ الكتاب لا يلزم ان يكون من الكتاب وعلى تقدير لزومه كما هو مذهب

الشافعي يحتمل ان يكون ناسخه من الكتاب منسوخ التلاوة فاقتلوا المشركين الناكثين
عهدهم حيث وجدتموهم في حل وحرم ولما كان التعريف في الموضعين للعهد لم يكن
لمسئلة جواز قتال المشركين في الاشهر الحرم تعلق بهذا المقام كما سبق الى بعض الاوهام
وخذوهم الاخذ الاسر ومنه الاخيذ للاسير وليس اسرهم للاسترقاق لانه لا يجوز
في حق المشركين ولهذا امر بالحبس والمراد منه الامهال في تخييرهم بين السيف والاسلام
هذا في حق الحاضر والذي في حق الغائب ما ذكر بقوله واقعدوا لهم الخ واحصروهم
اي واحبسوهم ويجوز ان يكون المراد من الحصر المنع من التبسط في البلاد ويدخل فيه
دخولا اوليا منعهم من المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد اي مواضع الغرة قال
النابغة اعاذل ان الجهل من لذة الفتى وان المنايا للنفوس بمرصد وقيل هي كل ممر
ومجتاز ترصدونهم كيلا ينبسطوا في البلاد وعلى هذا يكون من قبيل التاكيد والتا
ضمنه وانتصابه على الظرف فان تابوا اي من المعاصي ويدخل فيها الرجوع عن الكفر فهي
متضمنة للايمان ثم قرن به اقامة الصلوة وايتاء الزكوة تنبيها على مكانهما من الشرع
ويجوز ان يكون من قبيل الاكتفاء بذكر امي العبادات البدنية والمالية عن جميع العبادات
الواجبة واقاموا الصلوة واتوا الزكوة اي التزموا شيئك العبادتين البدنية والمالية و
ذلك يتضمن التصديق بنبوة نبينا محمد عليه الصلوة والسلام وهو المقصود الاصلي
فمضمون الكلام المذكور منطوق كلمتي الشهادة فخلوا سبيلهم فاتبعوا لهم اي فدعوهم
ولا تتعرضوا لهم بشيء من ذلك ولا دلالة فيه على ان تارك الصلوة ومانع الزكوة لا يخلى
سبيله لما عرفت ان الشرط التزامهما كما في قوله حتى يعطوا الجزية ان الله غفور رحيم تعليل لما تقدم
اي لان الله غفور يغفر لهم ما قد سلف رحيم لا يكلفهم المشاق ولا يخفى حسن انتظامه
مع السياق لتضمنه الاشارة الى وجه الاكتفاء بالالتزام لما امر به وان احد فاعل
فعل مضمر يفسره ما بعده لوجود حرف الشرط وانما قال احد لعدم الرخصة لاجارة
الجميع لانها مظنة الفساد ولا يتوقف عليها تمام المصلحة من المشركين لم يعلمهم
لعدم اختصاص الحكم بهم على ما ياتي بيانه استجارك سالك ان تؤمنه وتكون جارا له
بسمع كلام الله ويتبين ما تدعو اليه فاجره فاجبه الى ذلك حتى يسمع كلام الله اي يفهمه
ويتدبره فيعلم انه من عند الله وذلك يقتضي مهلة ولهذا قال ثم ابلغه مأمنه يعني
ان لم يؤمن وطلب الرجوع الى موضع امنه والتعبير عن الفهم بالسمع لانهم من اهل
اللسان فيفهمون المعنى كما يسمعون اللفظ ذلك الحكم بانهم بسبب انهم قوم لا يعلمون
اشارة الى لطف المعاملة معهم في الاجارة وتبليغ المأمن اي لا يعلمون حقيقة ما تدعو
اليه فلا بد من الامان زمانا حتى يسمعوا ويفهموا الحق ويتدبروه ويجوز ان يكون لا

يعلمون منزلا منزلة اللازم اى ليسوا من اهل العلم والمعرفة وهذا الحكم عام لا بث
ابدا كيف يكون للمشركين استفهام على جهة التعجب والاستبعاد ومرجعه الى الانكار
على الوجه الابلغ عهد عند الله بامنون به من عذابه فى الآخرة وعند رسوله
يامنون به عذاب الدنيا من القتل والاخذ وتكرار عند للتنبيه على اختلاف المراد
وفيه سد لباب التمهيد قبل الاتحاد واستبعاد لان يكون لهم عهد ولا ينكثوه
مع غرة صدورهم او لان يفى الله ورسوله بالعهد وهم ينكثون ولا يذهب عليك
ان ما ذكر معنى قولنا كيف يكون لله ورسوله عهد عند المشركين لا معنى ما قاله مع
كيف حال عن اسم يكون مقدمة للاستفهام وللمشركين خبره وعند الله صفة لعهد
او ظرف ليكون او كيف خبر مقدم وللمشركين حال مبينة للعهد او عند الله خبر
الا الذين عاهدتم نصب على الاستثناء او جر على البدل او رفع على انه كلام مستدرك
بمعنى لكن الذين عاهدتم عند المسجد الحرام المستثنون قبله فما استقاموا لكم على
العهد فاستقيموا لهم عليه والفاء للاولى على الوجهين الاولين عاطفة الجملة على
مقدر اى فتربصوا امرهم فما استقاموا لكم وعلى الثالث فاء الجزاء لتضمين الموصول
معنى الشرط وما شرطية وجزاء الشرط فاستقيموا او مصدرية على معنى فاستقيموا
لهم ما استقاموا لكم والفاء الثانية مكررة للتاكيد ان الله يحب المتقين تعليل للامر
بالاستقامة واشعار بان المحافظة على العهد من لوازم التقوى كيف اعادة للاستبعاد
المذكور على وجه الاختصار على طريقة الاختصار على ذكر اول الكلام عند انفهام التمام
بمعونة المقام واما التنبيه على العلة فحاصل بدون اعادة كيف والمعنى كيف يكون
لهم عهد عند الله وعند رسوله ولا عهد لله ولرسوله عندهم وقد عبر عن هذا على
طريقة اقامة دليل الشئ مقامه بقوله وان يظهروا عليكم اى وحالهم انهم ان يظفروا
بكم اصل الظهور العلو بالغلبة لا يرقبوا لا يراعوا فيكم اصل الارتقاب بالبصر ومنه
الرقيب ثم قيل لكل من حافظ على شئ وراعاه راقبه وارتقبه الا حلفا وقيل قرابة ولا ذمة
عهدا او حقا يعاب على اغفاله يرضونكم بافواههم كلام مستانف لبيان حالهم المنافية
للثبات على العهد وتقرير عدم مراعاتهم للحلف او القرابة والارضاء بالافواه عبارة
عن معاذيرهم الكاذبة ومواعيدهم الباطلة وانما ذكر الافواه لانها المظاهر وتابى قلوبهم
عن الارضاء حقيقة بما فيها عن العزايم على خلاف ما قالوا وانما قال واكثرهم فاسقون
لما ان بعضهم من التفادى عن الغدر والتعفف عما يجر الى احدوثة السوء وتوصيفهم
بالفسق مع ان الشرك اشد منه لرفع شان الفسق فى الذم كما ان توصيف الانبياء عم
بالايمان لرفع شان الايمان فى المدح فلا حاجة الى التكلف فى صرف الفسق عن ظاهره

اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا استئناف لبيان فسقهم وقد مر تفسيره فى سورة البقرة
فصدوا اى اعرضوا من صد عنه يصد صدودا او منعوا من صده عنه صدا عن
سبيله اراد بالسبيل الدين الحق والاضافة الى الله للتشريف انهم ساء ما كانوا الخ
المخصوص بالذم محذوف او ما دل عليه قوله لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة تفسير لما
يعملون لا تكرير واولئك هم المعتدون المجاوزون الغاية فى الظلم والشرارة و
الواو للعطف من جهة المعنى على ما تقدم من الجملة الانشائية فان تابوا اى بعد هذا كله
ان رجعوا عن الكفر الى الايمان واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة قد مر تفسيره فاخوانكم
فى الدين لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ونفصل الآيات اعتراض للتحريض على تدبر ما فصل
من الآيات وما بين من احكام المشركين المعاهدين والتائبين والحث على المحافظة
عليه لقوم يعلمون فيه اشعار بان العالم من تامل تفصيلها والواو للعطف على مقدر
اى نبين القرآن ونفصل الآيات وان نكثوا ايمانهم النكث النقض واصله فيما يفتل
ثم يحل فهو فى الايمان والعهود استعارة وانما قال من بعد عهدهم اظهارا لقبح حال الناكثين
حيث عاهدوا ثم اكدوا عهدهم بالايمان وافراد العهد وجمع الايمان لان الاول بكلم
بالنيابة فهو مقدم جماعة يكون عهدا لهم دون الثانى فلا بد من صدور اليمين من كل
واحد منهم وطعنوا فى دينكم الطعن هو الاعتماد بالعيب واصله الاعتماد بالرمح فى دينكم بتصريح
التكذيب وتقبيح الاحكام اى اظهروا النقض المذكور بالقول ولا بد من اظهاره فى
اباحة القتال وتخصيص الاظهار لادنى بالذكر ليعلم الحكم فى الاظهار الاعلى وهو ما يكون
بالفعل بالطريق الاولى ولما كان ذلك الطعن فى صدد بيان ان نقض العهد انما يبيح القتل
والقتال اذا كان ظاهرا قولا او فعلا لم يكن فى الآية دلالة على ان الذمى اذا طعن فى
الدين ينكث عهده ويباح قتله فقاتلوا ائمة الكفر وضع الظاهر موضع الضمير للدلالة
على ان سياق الكلام فى رؤسائهم بناء على ان المعاهدة انما تكون بهم بحسب العادة
فقوله من بعد عهدهم تمهيد وكذا ان تحمل ان الجزاء فى الحقيقة فاقتلوهم ولما كان
قتلهم سبق فى مقابلة مقدميهم ورفع مرافقة رؤسائهم من البين نزلها منزلة الجزاء
على طريقة الكناية بذكر الملزوم عن اللازم وقرئ ايمة بتحقيق الهمزتين والافصح
جعل الثانية بين بين واما التصريح بالياء فلحن صريح انهم لا ايمان لهم تعليل
لما ذكر على طريقة تنزيل الشئ الخالى عن التاثير منزلة العدم اى لا اثر لعهودهم فى
المنع عن قتلهم بعد النكث فلا دلالة فيه على ان يمين الكافر ليس بيمين وقرئ لا ايمان
ولا وجود لهم بالكسر يعنى ان المانع عن قتلهم احد الامرين العهد وقد نقضوه و
الايمان ولا وجود له لعلهم ينتهون متعلق بقوله فقاتلوا اى ليكن غرضكم فى قتالهم

انتهاؤهم عما هم عليه من الكفر والغدر وسائر العظائم لا ايصال الاذية بهم كما
هو طريقة المؤذين الا تقاتلون معنى الهمزة الداخلة على نفي القتال الانكار والتوبيخ
فيفيد المبالغة في الحث والتحريض عليه وتعديد الصفات الموجبة لمن نكث الايمان
والهم باخراجه عم والبدء بالقتال تقوية وتاكيد لذلك قوما نكثوا ايمانهم التي
حلفوها مع الرسول عم والمؤمنين على ان يعاونوا عليهم فعاونوا بني بكر على خزاعة
وهموا باخراج الرسول حين تشاوروا بمكة في امره حتى اذن الله له عم في الهجرة
وهم بدؤكم اول مرة بالمعاداة والمقاتلة لانه عم بداهم بالدعوة وتحداهم بالكتاب
والزمهم الحجة فعدلوا عن المعارضة فعجزهم عنها الى المقاتلة فهم البادئون بالقتال
اتخشونهم اتتركون قتالهم خشية ان ينالكم منهم مكروه والخشية انزعاج النفس
لتوقع ما لا يؤمن من الضرر وادخال الهمزة هنا انكار للخشية وايماء الى منافاتها
للايمان على ما صرح به بعده بقوله فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين لان الايمان
يستلزم تخصيص الخشية بالله تع وعدم المبالاة بغيره وفيه جمع بين التقريع والتشجيع
وهو ابلغ في التحريك ولما بالغ في التوبيخ على ترك القتال وبين موجباته جرد لهم
الامر به صريحا ووعد لهم النصر والغلبة وتعذيب الكفار بايديهم ليكون اوقع في
نفوسهم واشد تثبيتا لقلوبهم وتقوية لعزائمهم فقال قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم
قتلا ويخزهم اسرا الخزى ذل يستحيى منه وينصركم عليهم النصر المعونة بدفع الضرر و
تعديته بعلى لتضمنه معنى التغليب ويشف الشفاء ملائمة النفس بما يزيل عنها الاذى
صدور قوم مؤمنين وهم خزاعة ووجه تخصيصهم انهم الذين نقض فيهم العهد
ونالتهم الحرب وكان فيهم مؤمنون كثير الغيظ وتخصيص المؤمنين منهم بالذكر لان المقصود
اصالة شفاء صدورهم ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا منهم من المكروه امرهم بالقتال
ووعد عليه هذه الاشياء وانجز ما وعد فكان الاخبار بذلك من المعجزات ويتوب الله
على من يشاء كلام مبتداء واخبار بان بعض اهل مكة يتوب ويقبل الله توبته وقد حصل
وكان ذلك ايضا منفصل عما قبله لفظا ولكنه متصل به معنى اي فمن فوائد القتال
انه يتوب بسببه بعض من تامل فيه وقرئ ويتوب الله على النصب على اضمار ان
على دخول التوبة في جملة ما اجيب به الامر من حيث المعنى والله العد ولعن الضمير للتعظيم
عليم لا يكون عليه خفاء حكيم لا يلحقه خطاء ام حسبتم ام منقطعة تتضمن اضرابا
عن اللفظ الاول لا عن معناه واستفهاما فهي تسد مسد بل والف الاستفهام
والاستفهام هنا للتوبيخ لهم على حسبانهم ان تتركوا بحالكم اي حسبتم في ظنكم
انكم تتركون على ما انتم عليه دون اختبار وامتحان فانكم لا تتركون حتى يتميز

المخلص الذين جاهدوا منكم في سبيل الله لوجه الله ولم يتخذوا بطانة من الذين
يضادون رسول الله والمؤمنين يوالونهم ويبثون اليهم اسرارهم من غيرهم
ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم اي لم يتبين المخلص منكم وهم الذين جاهدوا من
غيرهم وما في لما من معنى التوقع منبهة على ان تبين ذلك متوقع لما لنفي العلم معنى التوقع
والمراد به المبالغة في نفي المعلوم على طريق البرهان لانه لو وقع لكان معلوما له فلما لم
يعلم لزم عدم وقوعه ولم يتخذوا عطف على طريق البرهان لانه لو وقع جاهدوا
داخل في الصلة من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة بطانة من الولوج وهو
الدخول ووليجتك صديقك الذي تطلع على ما في داخل قلبك والله خبير بما تعملون فيعلم
عمل المجاهدين المخلصين قبل وقوعه فهو كالمزيح لما يقع في الوهم من الشبهة في قوله
ولما يعلم الله ما كان للمشركين ما صح لهم ان يعمروا مساجد الله شيئا منها فضلا عن
المسجد الحرام او المراد هو وانما جمع لانه قبلة المساجد كلها وامامها فعامره كعامر الجميع
وقرئ بالتوحيد في الموضعين يوافق المنجيبين لان تعريفه يحتمل العهد والجنس شاهدين
على انفسهم بالكفر حال من الواو وفيه اشارة الى حالهم المنافية اي ما استقام لهم
ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت الله تع وعبادة غيره اولئك حبطت اعمالهم
التي يفتخرون بها من العمارة والحجابة والسقاية وفك العناة لان الكفر الطاري يهدم
الاعمال فكيف بالمقارن وفي النار هم فيها خالدون لكفرهم دون العصاة من المؤمنين
انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلوة وآتى الزكوة اي لا
يستقيم ولا يصح عمارة مساجد الله تع الا ممن آمن وجمع بين الكمالات العلمية والعملية
والايمان باليوم الآخر المتضمن للتصديق بالمعاد الجسماني لا يكون الا بطريق السمع فهو
بهذا الاعتبار يشمل الايمان بنبينا عم لان المعاد الجسماني لم يذكر في غير القرآن من الكتب
السماوية هذا هو الوجه لعدم ذكر الايمان به عم واما قوله واقام الصلوة وآتى الزكوة
فلا يغني عنه لانهما يجوز ان يؤخذا من سائر الشرايع والعمارة تتناول رم ما استرم منها
وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وتمهيد الفرش واقامة الصلوة وادامة الذكر وتلاوة
القرآن ودراسة العلوم وصيانتها عما لم يبن له كحديث الدنيا وسائر الفضول ولم
يخش الا الله المراد من الخشية هو الرهبة والهيبة والامتناع اللازمة من تصور عظمة
الله تع لا الانفعال الجبلي الذي هو الخوف فانه ليس بادنى واما هذه فانه من لوازم
التقوى لان عظمة الحق في قلب المؤمن يصغر المخلوق في عينيه فلا خشية له من غيره فعسى
اولئك ان يكونوا من المهتدين في ذكره بصيغة التوقع قطع اطماع المشركين في الاهتداء
وتبعيد لهم عن مظانه لان الموحدين المخلصين في الاعمال اذا كان اهتداؤهم دائرا

بني عبس ولعل وكيف يطمع فيه المشركون باعمالهم المبنية على الافتخار والرياء و
المباهاة والتقرب بها الى العزى واللات ومنع للمؤمنين ان يفتخروا باحوالهم ويتكلوا
عليها اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الآخر وجاهد
في سبيل الله السقاية والعمارة مصدران والحدث لا يشبه بالجثة فلا بد من مضمر مدلول عليه
بقرينة الفعل محذوف للايجاز تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج كايمان من آمن والمعنى انكار
ان يشبه المشركون واعمالهم المحبطة بالمؤمنين واعمالهم المثبتة وقوله لا يستوون عند الله
تقرير لذلك وتاكيد له وبين عدم تساويهم بقوله والله لا يهدي القوم الظالمين اي الكفرة
ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول وهم منهمكون في الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم الله
ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين وانما
قال لا يهدي تنزيلا للهداية الواقعة في حقهم منزلة العدم لعدم ترتب الاثر عليها الذين
امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله
من اهل السقاية والعمارة عندكم او ممن ليس كذلك فيندرج فيه اهلهما اندراجا اوليا
لكونهم مشركين واولئك هم الفائزون المختصون بالفوز دونكم او دون من عداهم و
الفوز بلوغ البغية اما في نيل مرغوب او نجاة عن مكروه والمراد هنا الفوز الكامل فيتضمنهما
يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها في الجنات نعيم النعيم لين العيش
ورغده مقيم دايم وتنكير المبشر به للتعظيم وكونه فوق وصف الواصف وتعريف المعرف
وفي اسناد البشارة الى ربهم زيادة تعظيم للمبشر به وتكريم للمبشر وبيان كون الرحمة
منه يوجب كونه معلوما لا يخفى عن قصد التعظيم لها وانما اطلق الرضوان لينتظم نوعيه
المذكورين في قوله تع رضي الله عنهم ورضوا عنه خالدين فيها ابدا اكد الخلود بالتابيد
لانه قد يستعمل للمكث الطويل ان الله عنده اجر عظيم يستحقر دونه الاجور الدنيوية
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء عن ابن عباس رض هي في المهاجرين
خاصة كان قبل فتح مكة من آمن لم يتم ايمانه الا بان يهاجر ويصارم اقاربه الكفرة ويقطع
موالاتهم ولم يذكر الابناء في هذه الاية اذ الاغلب في البشر ان الابناء هم التبع للاباء
والمعنى لا تتخذوهم اولياء يمنعونكم عن الايمان ويصدونكم عن الطاعة لقوله ان استحبوا
الكفر اي اختاروا وآثروه على الايمان فتعديته بعلى لتضمنه معنى الاختيار والايثار
ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون لوضعهم الموالاة في غير موضعها على خلاف امر الله
لما ورد التشديد في امر الهجرة قالوا يا رسول الله ان نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين
قطعنا اباءنا وابناءنا وعشايرنا وذهبت تجارتنا وهلكت اموالنا وخربت ديارنا
وبقينا ضايعين فنزلت قل ان كان اباؤكم وابناؤكم ذكر الابناء في هذه الاية لما جلبت ذكرهم

المحبة والابناء صدر في المحبة واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم اقرباؤكم ماخوذ من العشرة
وقيل من العشرة فانها جماعة ترجع الى عقد واحد كعقد العشرة واموال اقترفتموها اكتسبتموها
واصل الاقتراف انقطاع الشيء من مكانه الى غيره وتجارة تخشون كسادها يعني ما اشتريتموه
طلبا للربح تخافون وقوفها وخسرانها بفوات وقت نفاقها ومساكن ترضونها منازل تعجبكم
الاقامة فيها احب اليكم المراد الحب الاختياري دون الطبعي فانه لا يدخل تحت التكليف في التحفظ
عنه من الله ورسوله وجهاد في سبيله فيه دلالة ظاهرة على ان سياق الكلام في الحض على الجهاد
فتربصوا جواب ووعيد والتربص التوقف على الانتظار حتى ياتي الله بامره بعقوبة
عاجلة او آجلة وفي العدول عن حتى ياتي امر الله الى ما ذكر تفخيم للامر والله لا يهدي القوم
الفاسقين فيه تنزيل لوجود الهداية في حقهم منزلة العدم لعدم الاثر في الآية تشديد
عظيم وقل من يتخلص عنه لقد نصركم الله في مواطن كثيرة الموطن موضع الاقامة ومواطن
الحروب مواقفها وهي المراد هنا ويوم حنين عطف على محل مواطن اي وموطن يوم حنين
او التقدير في ايام مواطن كثيرة ويوم حنين لتناسب الامكنة او الازمنة فيقع حرف النفي
موقعه ويجوز ان يراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين اذ اعجبتكم كثرتكم بدل من يوم حنين
ولا يمنع ابداله منه عطفه على محل في مواطن اذ لا يقتضي العطف اشتراكهما فيما اضيف
اليه المعطوف فلا يلزم ان يكون اعجاب الكثرة اياهم في جميع المواطن وحنين واد بين مكة
والطايف قيل انهزم المسلمون يومئذ وهم اثنا عشر الفا وبقي رسول الله صلعم
مركزه ليس معه الا عمه العباس في قوله نصرنا رسول الله في الحرب تسعة وقد فر من فر
منهم واقشعوا وعاشرنا لاقى الحمام بنفسه بما مسه في الله لا يتوجع وذلك العاشر
ايمن ابن ام ايمن نع قال البراء بن عازب نع لقد رايته عم وانه على بغلته البيضاء و
ان ابا سفين اخذ بلجامها والنبي صلعم يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب
اقول تثبيت المسلمين عامة واخره تثبيت عمه وابن عمه خاصة فان في ذكر هذه
الاشعار اباحة من كان من نسل حقيقة الفرار دون الفرار وهذا اية غاية الشجاعة حيث
لم يخف اسمه ونسبه في تلك الحالة ولم يخف الكفار على نفسه فلم تغن عنكم اي تلك الكثرة
شيئا قليلا من الاغناء او من امر العدو وضاقت عليكم الارض بما رحبت برحبها اي
من الخوف كما قال الشاعر كان بلاد الله وهي عريضة على الخايف المطلوب كفة حابل و
الرحب بالضم السعة وبالفتح الواسع الجار والمجرور في محل الحال اي ملتبسة برحبها
ومعنى ضيق الارض عليهم مع سعتها انهم لا يجدون فيها منجى ولا مهربا يرتضونه لفرط
الرعب فكانها ضاقت عليهم او لا يثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم الكفار ظهوركم
مدبرين منهزمين والادبار الذهاب الى خلاف الاقبال ثم انزل الله سكينته رحمته

التي سكنوا بها وامنوا على رسوله وعلى المؤمنين الذين انهزموا وقيل الذين ثبتوا مع رسول الله صلعم حين وقع الهرب وتكرير على للتنبيه على اختلاف الحال وانزل جنودا لم تروها باعينهم والجنود الجموع التي تصلح للحرب والمراد هنا الملئكة وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر والسبي وذلك جزاء الكافرين اي ما فعل بهم جزاء كفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك الجريمة العظيمة على من يشاء بالتوفيق للاسلام وهم ناس منهم والله غفور يتجاوز عنهم رحيم يتفضل عليهم يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس مصدر والافصح ان يجعل نجس خبرا على انهم النجاسة بعينها والمعنى انه يجب ان يجتنب عنهم كما يجتنب عن النجاسة الا انه بولغ وصفهم بها فجعلوا عينها للتنفير وبيان وجوب تبعيدهم عن المسجد وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم وهو تخفيف نجس نعتا واكثر ما جاء تابعا لرجس وعلى هذه القراءة لا بد من تقدير موصوف كجنس او ضرب فلا يقربوا المسجد الحرام الفاء للسببية اي فلا يقربوه بسبب انهم عين النجاسة والنهي عن الاقتراب للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم وهو مذهب عطا والمراد من نهيهم ان يقربوه نهي المسلمين عن تمكينهم منه ولهذا صدر الكلام بالخطاب لهم فلا دلالة فيه على ان الكفار مخاطبون بالفروع وقيل المراد المنع عن الحج والعمرة وعليه ابو حنيفة ويؤيده قوله بعد عامهم هذا فانه لولا هذه الارادة لكان مقتضى النوع المذكور انتظام النهي لبقية ايام هذا العام ايضا والاشارة الى سنة عشر وقيل الى سنة تسع وان خفتم عيلة فقرا بسبب ورده ان المسلمين حين منعوا المشركين من الموسم وهم كانوا يجلبون الاطعمة والتجارات قذف الشيطان في نفوسهم الخوف من الفقر وقالوا من اين نعيش فوعدهم الله تع ان يغنيهم من فضله فالغنى فتح عليهم باب اخذ الجزية من اهل الذمة بقوله قاتلوا الذين الاية وقرئ عايلة وهو مصدر كالعافية او نعت محذوف اي حالا عايلة فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه او تفضله بوجه اخر وقد انجز وعده بان فتح عليهم باب اخذ الجزية من اهل الذمة واخذ الغنيمة من اهل الحرب ووفق اهل تبالة وجرش فاسلموا واشار واليهم ان شاء قيده بالمشية لينبه على انه متفضل في ذلك لان قوله من فضله صريح فيه بل لينقطع الامال اليه وينبه على وجه اختلاف الاحوال والاعوام والاشخاص والاقوام ان الله عليم بمصالح العباد وحكيم فيما حكم واراد قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر اي لا يؤمنون بهما على وجه يصح ويقبل على ما مر بيانه في اوايل سورة البقرة وانما قال قاتلوا دون اقتلوا اشارة الى اختصاص الجزية التي ينتهي عندها القتال بمن يتحمل بنيته بنية الحرب فلا جزية على المرة والصبي والشيخ الفاني ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله لم يقل

او رسوله لانه عم لم يحرم شيئا الا بالوحي على المذهب الصحيح فليس المعنى ما حرم الله بالكتاب او رسوله بالسنة لما في هذا النوع من ايهام استقلاله عم في التحريم ولا يدينون دين الحق الثابت الذي هو ناسخ ساير الاديان ومبطلها من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين لا يؤمنون وتاكيد للحجة التي لا بد من تقديمها على القتال لانهم كانوا يجدونه عم في التورية والانجيل فلا دلالة فيه من جهة المفهوم على اختصاص قبول الجزية باهل الكتاب كما لا دلالة فيه على اختصاص وجوب القتال بهم بل في الاية السابقة قتال المشركين وبين في هذه الاية قتال اليهود والنصارى ولو قال قاتلوا اهل الكتاب لكفى وانما اطنب بذكر هذه الاوصاف الذميمة تحريضا للمؤمنين على قتالهم لانها صفات توجب البراءة منهم والعداوة لهم حتى يعطوا الجزية اي الى ان يقبلوها وهي عطية عقوبة جزاء على الكفر على ما وظفه رسول الله صلعم على اهل الذمة وهي على وزن جلسة وقعدة لنوع من الجزاء وقيل من جزى يجزي اذا كافاه عما ابري اليه وكانهم اعطوها جزاء عما منحوا من الامن ومن هذا المعنى قول الشاعر يجزيك او يثني عليك وان من اثنى عليك لما فعلت كمن جزى مد وجوب القتال الى هذه الغاية وهذا حكم اهل الكتاب بالنص وحكم المجوسي كذلك بالخبر وهو قوله عم سنوا بالمجوس سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا ماكلي ذبايحهم ولا يجوز هذا في مشركي العرب لقوله عم لا يقبل منهم الا الاسلام او السيف ويجوز في اليهود والاتراك والديلم عندنا خلافا للشافعي وعند مالك يؤخذ من كل كافر الا المرتد عن يد حال من الجزية واليد مجاز عن القوة والقدرة والمراد قدرة المعطي وفايدة الاشارة الى انه لا جزية على الفقير العاجز عن الكسب وان كان بنيته بنية الحرب وهذه الاشارة من مقتضيات المقام فلا وجه لتفسيرها بحمل القيد المذكور على معنى اخر كمعنى الانعام عليهم ومعنى الطاعة والانقياد ومعنى التسليم بنفسه على ان هذه المعنيين الاخيرين من لوازم القيد الاتي ذكره فلا حاجة لافادته الى زيادة قيد اخر ومن هنا تبين انه لا وجه لان يكون المراد من القدرة على تقدير الحمل عليها قدرة الاخذ واما معنى نقدا مسلمة عن يد الى يد على انه حال عن الجزية فلا يناسب المقام لما عرفت ان الغاية حقيقة هي التقبل والالتزام دون الاعطاء بالفعل وهم صاغرون الصغار الذل والنكال الذي يصغر قدر صاحبه اي وهم اذلاء ياتون لاداء الجزية مشاة لا ركبانا ويؤدون قياما والاخذ قاعد ويده تحت الاخذ ويؤخذ بتلبيبه عند الاخذ ويحرك ويقال اد الجزية يا يهودي او يا نصراني والجزية على ثلث مراتب على المعتمد في السنة اثني عشر درهما وعلى وسط الحال اربعة وعشرون درهما وعلى كامل الحال ثمانية واربعون درهما كذا كذا فعله عمر ره وبهذه الجزية اغناهم الله تع عن العيلة وهو وجه اتصال هذه الاية بالاولى وقالت

اليهود انما قال بعضهم من متقدميهم او ممن كان بالمدينة عزير ابن الله مبتدأ وخبر
وسقط التنوين بمنع الصرف للعجمة والعلمية ومن نونه من القراء جعله عربيا او لان ابن
صفة له وعلى هذا يكون الخبر متروكا غير ملفوظ ولا ملحوظ وقصر الفعل على هذه القدر حتى كلامهم
لتجريد الانكار لتوصيف المذكور وفيه ايهام التبعيد لكلامهم عن خبر التمام وتمهيد للمقصود
من زيادة قولهم على احد الوجهين الآتي ذكرهما وقالت النصارى المسيح ابن الله هو ايضا
قول بعضهم ذلك قولهم بافواههم يعني انهم يذكرونه صريحا لانه يعنيهم بطريق الاستدلال
من بعض افعالهم فهو لرفع التجوز في المسند فانه اهم من دفع التجوز في الاسناد
ونسبة القول الى الافواه دون الالسنة لان الالة الاولى اشمل واكمل فان من الاقوال
ما لا حاجة في التلفظ به الى اللسان ويجوز ان يكون المراد انه قول لا حقيقة له ولا معنى كالمهملات
الملفوظة التي تخرج من الافواه ولا معنى لها في القلوب يضاهئون قول الذين كفروا من قبل
يضاهي قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا
هذا ما قالوا وعندي انه على طريقة لا يهدي كيد الخائنين اي لا يهديهم في الكيد فالمعنى
يضاهئونهم في القول والمضاهاة المشابهة وقرئ بالهمزة من قولهم امرأة ضهيا وهي
التي ضاهت الرجال في انها لا تحيض من قبل من قبلهم والمراد المشركون الذين قالوا الملائكة
بنات الله قاتلهم الله دعاء عليهم بالاهلاك فان من قاتله الله تعالى هلك وبعضهم التعجب والسابق
لانه كلمة لا يقاد بها الا في موضع التعجب من شناعة فعل قوم او قولهم ولهذا تعجب بعده
من اعتقادهم وتلفظهم بالكلمة الشنعاء بقوله انى يؤفكون اي يصرفون عن الحق الى الباطل فلا
مانع عن الجمع بينهما فصدا اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله اي اتخذوا
علماء اليهود وعباد النصارى كالارباب حيث احلوا لهم الحرام فاستحلوه وحرموا عليهم
الحلال فحرموه فتقول اربابا كقوله نارا في قوله حتى اذا جعله نارا قال ابن السكيت الحبر بالكسر
المداد وبالفتح العالم والراهب ماخوذ من الرهبة وهو الذي حمله خوف الله تعالى على ان يخلص
له النية دون الناس والمسيح ابن مريم اي اتخذوه ربا معبودا والرب هنا على الحقيقة
ولهذا فصله عما قبله مع جاله عن زمرتهم مفردا له بالاضافة عنه وانما ذكره بنسبته
الى امه اظهارا لعدم صلاحيته للربوبية فنفى التعبير عنه بلقب المشعر بالربوبية نوع تمهيد
لذلك المقصود ولا يخفى ما فيه من النعي عليهم وما امروا اي وما امر المتخذون قبل ويجوز ان
يكون المعنى وما امر المتخذون اربابا فيكون كالبرهان على بطلان الاتخاذ وكان هذا القائل
غافل ان الرب في غير المسيح لم يتخذ على الحقيقة الا ليعبدوا الها واحدا وهو الله تعالى ولا حاجة
الى صرف العبادة عن معناها الى معنى الطاعة حتى يحتاج الى ان يقال طاعة الرسول صلعم وسائر
من امر الله تعالى بطاعته فهو طاعة الله في الحقيقة لا اله الا هو صفة ثانية او استيناف مقرر

للتوحيد سبحانه عما يشركون تنزيه له عن الاشراك به يريدون ان يطفئوا الاطفاء اذهاب
نور النار ثم استعمل في اذهاب كل نور وفي سورة الصف يريدون ليطفئوا اي يقومون
لذلك الامر والتجوز عن ارادة امر بالقيام له شايع وكذا عكسه شايع والقيام لامر عبارة
عن الاهتمام بشانه نور الله بافواههم اطفاء نور الله بافواههم تهكم بهم في ارادتهم ابطال
الاسلام بشانه بقولهم في القرآن هذا سحر مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بغية ليطفئه
ويجوز ان يكون المراد من نور الله القرآن او دين الاسلام والحجج الدالة على حقيقته ويكون
المراد من افواههم اقوالهم التي لا صحة لها فانها لا تتجاوز عن الافواه الى فهم السامع وعلى هذا
يكون الاطفاء ترشيحا للاستعارة النور ويابى الله الا ان يتم نوره باعزاز الاسلام واعلاء كلمة
التوحيد انما جاز الاستثناء المفرغ من الكلام الموجب لان قوله يابى الله تعالى اوقع موقع لا يريد
الله الا ترى كيف قابل قوله يريدون ان يطفئوا نور الله بقوله يابى الله الا ان يتم نوره هو الذي
ارسل رسوله اي محمدا عم بالهدى بالقرآن كما في قوله ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين
ودين الحق اي الاسلام ليظهره اي دين الحق او الرسول على الدين كله كالبيان لقوله ويابى الله
الا ان يتم نوره ولذلك كرر قوله ولو كره المشركون بوضع المشركين موضع الكافرين للدلالة
على انهم ضموا الكفر بالرسول صلعم الى الشرك بالله تعالى والتعريف في الدين للجنس والظهور على
الجنس انما يكون بالظهور على جميع افراده وجميع افراده وقت رسالته عم انما هو ساير الاديان
وظهور الدين على الدين انما يكون بنسخه وابطاله وعلى تقدير رجوع الضمير الى الرسول عم
يكون المراد ظهوره عم على اهل ساير الاديان على تقدير المضاف يا ايها الذين امنوا المراد بهذه
الآية بيان نقايص المذكورين فيها وفي ضمنه نهي المؤمنين عن تلك النقايص لما ذكر الله تعالى انهم
اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ذكر ما هو عليه كثير منهم تنقيصا من شانهم
وتحقيرا وان مثل هؤلاء لا ينبغي تعظيمهم فضلا عن اتخاذهم اربابا ان كثيرا من الاحبار
والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل باخذونها بالرشى والتخفيف في الشرايع
واطلق الاكل على اخذ المال مجازا لانه معظم الغرض منه او لكونه سبب الاكل ويصدون
صد بنفسه واقفا ومتجاوزا فالمعنى يصدون غيرهم عن سبيل الله اي عن دين
الاسلام وشريعة محمد عم او يصدون عنه في اكلهم الاموال بالباطل اي لا تنخدعوا
في كثير من الاحبار والرهبان صلاحا ولا تغتروا بظاهر زيهم وسكونهم فان ذلك
كله مصايد للمطامع واستجلاب للرياسة ومكايد للصيد عن سبيل الله والحق الى
الضلال قال عبد الله بن المبارك وهل افسد الناس الا الملوك واحبار سوء ورهبانها
والذين يكنزون الذهب والفضة اي يجمعونها ويحفظونها في الاوعية ومنه قولهم
رجل مكتنز اي مجتمع اللحم وليس من شرط الكنز الدفن ولكن كثر في حفظ المال ان

بدفنه حتى يعود فاسم الكنز للمدفون وانما خصّهما بالذكر لانهما قانون التموّل
واثمان الاشياء فلا احتياج اليهما فيما بين الناس اكثر فلا يجوز كنزهما ومنع الناس
عن فائدتهما والذين مبتداء اسم موصول ضمّن بمعنى الشرط فلذلك دخلت الفاء
في خبره في قوله فبشرهم ويجوز ان يكون والذين معطوفا على الضمير في قوله ياكلون
والفصل يقوم مقام التاكيد وان يكون محلّ الموصول منصوبا عطفا على اسم انّ في قوله
انّ كثيرا وهو اشارة الى الكثير من الاحبار والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين
مذمومتين فيهم اخذ الرشى وكنز الاموال والضنّ بها عن الانفاق في سبيل الخير
واورد عليه انه لو اريد اهل الكتاب خاصة لقيل ويكنزون بغير والذين فلما زيد
والذين فقد استانف معنى اخر يبيّن انه عطف جملة على جملة واما تسوية للمسلمين
الكانزين غير المنفقين بالمرتشين من اهل الكتاب باقترانهم بهم في استحقاق البشارة
بالعذاب الاليم تغليظا ونهيا عن الكنز وبعثا عن الانفاق ويدلّ على هذا انه لما نزل
كبر على المسلمين فذكر عمر رض لرسول الله صلعم فقال انّ الله لم يفرض الزكوة الا ليطيب بها
ما بقي من اموالكم فعلم انّ المراد بترك الانفاق في سبيل الله تع منع الزكوة وقوله عم ما ادّى
زكوته فليس بكنز اي كنزا وعد عليه وان كان باطنا وما بلغ ان يزكّي فلم يزكّ فهو كنز
وان كان ظاهرا معناه ليس بكنز فان الوعيد على الكنز مع عدم الانفاق فيما امر الله
ان ينفق فيه على ما فهم من قوله ولا ينفقونها في سبيل الله والضمير للفضة وحدها
احالة للحكم في الذهب على الدلالة وانما لم يعكس مع ما فيه اعتبار جانب التذكير
رعاية لجهة القرب وهذه الطريقة سلكت في قوله تع ومن يكسب خطيئة او اثما ثم
يرم به بريئا ايضا واما قوله عم من ترك صفراء او بيضاء كوي بها ونحوه فالمراد
منها ما لم يؤدّ حقّها لقوله عم ما من صاحب كنز لا يؤدّي زكوته الا اذا كان يوم القيمة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها
جنبه وجبينه وظهره فبشرهم بعذاب اليم هو الكيّ بهما يوم يحمى عليها اصله تحمى النار
عليها اي توقد النار ذات حمي وحرّ شديد من قوله نار حامية فحذفت النار لقوله في
نار جهنم واسند الفعل الى الجارّ والمجرور فلزم تذكيره كما يقال رفعت القصة
الى فلان فاذا حذفت قيل رفع الى فلان وفي جعل الاحماء للنار والابهام باسناد الفعل
الى الظرف ثم التفصيل وجعل نار جهنم مكانا للاحماء من المبالغة ما ليس في قوله تحمى
بالنار وانما لم يكتف بضمير الفضة فقد مرّ وجهه فتكوى بها الكيّ الصاف الذي الحار
بالعضو جباههم وجنوبهم وظهورهم انما خصّصت هذه المواضع بالكيّ لانه بالجبهة
اشنع وفي الجنب والظهر اوجع لوصول الحرّ الى الجوف بخلاف اليد والرجل وقيل لان الغني
المانع للزكوة اذا راى الفقير انقبض وجهه واذا ضمّه والفقير مجلس ازورّ عنه وولّاه

بجنبه واذا امّه قام وولّيه ظهره هذا ما كنزتم على ارادة القول لانفسكم لتنتفع لهم
وتنفعكم بهم من كنز نموه لتنتفع به نفوسكم وتلتذّ بها فكانت على مضرّتها وسبب
تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون اي وبال كنزكم او ما تكنزونه انّ عدّة الشهور
مبلغ عددها عند الله ظرف عدّة لانها مصدر اثنا عشر شهرا في الشهور السنة شمسية كانت
او قمرية كذلك لا انّ المراد هنا الشهور القمرية في كتاب الله في اللوح المحفوظ او فيما
اثبته واوجبه من حكمه صفة لاثنا عشر اي مثبتة فيه وقوله يوم خلق السموات والارض
اي امر ثابت في نفس الامر مذ خلق الله تع الاجرام والازمنة متعلق بما فيه من معنى الثبوت
او بالكتاب ان جعل مصدرا منها اربعة حرم واحد فرد وهو رجب وثلثة سرد ذو القعدة
وذو الحجة والمحرّم ذلك اي تحريم الاشهر الاربعة الدين القيّم دين ابراهيم عم واسمعيل عم
وكانت العرب ورثوه منهما فلا تظلموا فيهنّ لما كانت جمع الحرم للقلة عاد الضمير اليها
بالنون تقول العرب الجذوع انكسرت لانه جمع كثرة والاجذاع انكسرن لانه جمع قلة
انفسكم بهتك حرمتها وعن عطاء ما يحلّ للناس ان يغزوا في الحرم ولا في اشهر الحرم الا ان يقاتلوا
وما نسخت والجمهور على انّ حرمة المقاتلة فيهنّ منسوخة واوّلوا الظلم بارتكاب المعاصي
فيهنّ فانه اعظم وزرا كارتكابها في الحرم وحال الاحرام فيل ويؤيده ما روي انه عم
غزا هوازن بحنين وحاصر الطائف فقبل انه عم حاصره بقية الشهر المذكور فلما دخل
ذو القعدة انصرف عنه واتى الجعرانة واحرم منها بعمرة وقاتلوا المشركين كافة كما
يقاتلونكم كافة جميعا من كفّ بمعنى منع كانهم كفّوا ان يخرج منهم احد وقع موقع الحال
واعلموا اي كونوا على ثقة ويقين انّ الله مع المتقين بشارة لهم وضمان بالنصر بيانه
انّ تقويتهم بسبب تقواهم انما النسيء مصدر نسأه اذا اخّره اي تاخير حرمة الشهر
الى شهر آخر وذلك انهم كانوا اصحاب حروب وغارات فاذا جاء الشهر الحرام وهم
محاربون احلّوه وحرّموا مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد
العدد وذلك قوله تع ليواطئوا عدّة ما حرّم الله وهي الاربعة وربما زادوا في عدد الشهور
عند الله فيجعلونها ثلثة عشر ليتسع لهم الوقت ولذلك قال تع انّ عدّة الشهور
عند الله اثنا عشر شهرا اي من غير زيادة زادوها زيادة في الكفر لانهم لما احلّوا ما
حرّم الله تع وحرّموا ما احلّه زادوا كفرا على كفرهم يضلّ به الذين كفروا اضلالا زائدا يحلّونه
عاما الضمير للنسيء الدالّ عليه النسي ويحرّمونه عاما اي اذا احلّوا شهرا منها عاما رجعوا فحرّموه
في العام القابل والجملتان تفسير للضلال او في موقع الحال ليواطئوا عدّة ما حرّم الله اي ليوافقوا
عدّة الاربعة المحرّمة واللام متعلقة بيحرّمونه او بما دلّ عليه مجموع الفعلين فيحلّوا ما حرّم
الله بمواطاة العدّة وحدها من غير مراعاة وقت زيّن لهم سوء اعمالهم خذلهم الله

واضلتهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا والله لا يهدى على طريقة تنزيل وجود ما لم يترتب
عليه اثره منزلة العدم القوم الكافرين من باب وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ان
كفرهم مانع من قبول الهداية وترتب الاثر يا ايها الذين امنوا ما لكم هو حرف استفهام بمعنى
التوبيخ اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله النفر التنقل بسرعة من مكان الى مكان لامر يحدث و
سبيل الله طريق طلب رضاء الله تع اثاقلتم الى الارض تباطأتم وتقاعدتم وقرئ تثاقلتم
على الاصل وقرئ اثاقلتم على الاستفهام ومعناه الانكار والتوبيخ ضمنته معنى الميل والاخلاد
فعدى بالى اى ملتم الى الدنيا ولذاتها او ملتم الى الاقامة بارضكم وديار كم وكرهتم مشاق
السفر والجهاد وهو العامل في اذا اذا لم يستفهم به واذا استفهم به منع الاستفهام عمله فيما
قبله فالعامل ح ما دل عليه ومعنى الفعل في ما لكم كما يعمل في الحال اذ قيل ما لك قائما كانه قيل
ما تصنعون وما ذكر عبارة عن تخلفهم عن رسول الله صلعم وتركهم الغزو واختيارهم
سكنى ديارهم والقرار تخلفهم وظلالهم وكان ذلك في غزوة تبوك امرهم بها بعد رجوعهم
من الطائف وفي وقت عسرة وقحط مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ارضيتم بالحيوة
الدنيا وغرورها من الاخرة بدل الاخرة ونعيمها فما متاع الحيوة الدنيا فما التمتع بها في
الاخرة في جنب الاخرة الا قليل مستحقر الا تنفروا ان لا تنفروا الى ما استنفرتم اليه يعذبكم
عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم اظهار سخط عظيم على ترك النفر والتثاقل وعدهم
عليه بعذاب مطلق متناول لعذاب الدنيا والاخرة ونكره ووصفه بالاليم وانه يهلكهم
ويستبدل قوما خيرا منهم واطوع كاهل يمن وابناء فارس ولا تضروه شيئا اى لا تغنى
عنهم في نصرة دينه في دينهم وفي محل اقامة لا يقدح تثاقلهم فيها شيئا وقيل الضمير للرسول
اى ولا تضروه لان الله تع وعده بالعصمة والنصر بالامداد كما قال الا تنصروه فقد نصره الله
اى ان لم تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه الا رجل واحد فدل بقوله فقد نصره الله
في الماضي على ان ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت واقامه مقامه او فقد حكم الله
بنصره واوجبه على نفسه حين نصره في ذلك الوقت فلم يكن ليخذله ابدا في غيره اذ اخرجه
الذين كفروا اسناد مجازى لان همهم الكفرة باخراجه او قتله تسبب لاذن الله تع له
بالخروج فكانهم اخرجوه ثاني اثنين نصب على الحال ومعا رسول الله تع وابو بكر رض ولا
يخفى ما في التعبير المذكور من التعظيم للصديق رض اذ المعنى احد اثنين والعدول الى ما
ذكر للاشعار بانه عم كان ثانيا له رض في دخولهما الغار وقد كان كذلك اذ هما بدل من
اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد بزمان الاخراج زمان متسع في الغار وهو النقب العظيم في
الجبل مكة يقال له ثور ماخوذ من غار يغور اذا دخل في عمق اذ يقول بدل ثان
او ظرف لثاني لصاحبه وهو ابو بكر رض لا تحزن الحزن الغم الذي يتسلط على النفس ومنه

الحزن الارض الغليظ ان الله معنا بالحفظ والعون فانزل الله سكينته امنه الذي تسكن
عنده القلوب والفاء للتعقيب بلا مهلة وفيه نوع دلالة على ان توكله عم على الله تع كان
سببا للنزول المذكور عليه اى ابى بكر رض فانه هو الخائف المحتاج الى الامن فاما النبي عم
فقد كان امنا ساكنا بما وعده من النصر وايده بجنود لم تروها عطف على قوله فقد
نصره الله تع والمراد من الجنود الملائكة والتاييد بهم كان في بدر وحنين وجعل كلمة الذين
كفروا اى دعوتهم الى الكفر السفلى وكلمة الله اى دعوته الى الاسلام هي العليا وتغيير
الاسلوب للدلالة على ان الاولى بالتغيير والتبديل بخلاف الثانية فانها المستمرة الثابتة
وقرئ كلمة بان كلمة الله تع عالية في نفسها وان فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبار
ولذلك وسط الفصل والله عزيز في انتقامه حكيم في تدبيره واحكامه انفروا خفافا
وثقالا الخفة والثقل مستعاران لمن يمكنه بسهولة ومن يمكنه بصعوبة وما ذكر في تفسيرهما
من المعاني فلا وجه لتخصيص بعضها دون بعض بالارادة بل هي معان متفقة والتحقيق
ان الناس امروا جملة وتلك المعاني الاقوال انما هي على وجه المثال للثقل والخفة وجاهدوا
باموالكم وانفسكم في سبيل الله ذكر لكمال ما يكون من الجهاد والنفقة عند الله تع وقدمت الاموال
في الذكر لانها اول مصروف وقت التهيؤ فرتب الامر كما هو في نفسه ذلكم خير لكم من الجهاد
باحدهما ومن قال ومن ترك فلم يصب ان كنتم تعلمون الخير علمتم انه الخير لو كان عرضا
العرض خلاف النقد وقد عبر به عن الغنيمة لانه الغالب فيها اى لو كان ما دعوا اليه غنما
قريبا سهل المأخذ وسفرا قاصدا متوسطا سمي قصدا لانه مما يقصد لاتبعوك فيما قصدت
اليه ولكن بعدت عليهم الشقة المسافة التي تقطع بمشقة وهي القطعة من الارض التي
يشق ركوبها على صاحبها وسيحلفون بالله اى المتخلفون عند رجوعك من غزوة تبوك
معتذرين لو استطعنا لو كان لنا استطاعة الخروج من جهة البدن او المال والشرطية
محكية على ان الحلف من جنس القول فلا حاجة الى تقديره لان التقدير باعتبار التصريح
من خارج جائزة فجوازها باعتبار ما في ضمنه بالطريق الاولى لخرجنا معكم ساد مسد
جوابي القسم والشرط وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير في قوله اشتروا
الضلالة يهلكون انفسهم بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع للنفس في العذاب
او حال بمعنى مهلكين والاخبار بهذا قبل وقوعه فقد كان من المعجزات والله يعلم انهم لكاذبون
في ذلك لانهم كانوا مستطيعين للخروج عفا الله عنك الاخبار عن العفو مقصود بالافادة
فلا يكون كناية عن الخطأ نعم يفهم منه وجود الخطأ بطريق الاقتضاء وهذا من لطيف
معاتبته ولو لم يفتتح باب المخاطبة بالعفو لما كان عم يتحمل تقوله تع لم اذنت لهم ولا يخفى
ما في تقديم العفو على ذكر ما يوهم العتاب من تعظيم شأنه عم والتنبيه على لطف مكانه

ومن لم يتنبه لذلك قال انه كناية عن الجناية ومعناه اخطأت وبئس ما فعلت ثم انه لم يكن
ان الاذن المذكور من قبيل الخطاء في الاجتهاد فهو مظنة الثواب لا العتاب والله اعلم بالصواب
والاذن دفع التبعة في الفعل حتى يتبين لك الذين صدقوا في الاعتذار متعلق لما تقدم باعتبار
المفهوم لا باعتبار المنطوق فانه استفهام انكاري في معنى هلا توقفت في اصل المعنى
لم اذنت على الفور فرجع الانكار الى كيفية الاذن لا الى نفسه وتعلم الكاذبين فيه قيل
انما فعل رسول الله صلعم شيئين لم يؤمر بهما اخذ الفداء واذنه للمنافقين فعاتبه
الله تع عليهما وقد كان هذا القائل غافلا عن ثالثهما وهو تحريمه عم ما احل الله تع ابتغاء
لمرضاة ازواجه ثم ان العتاب ليس على الاذن لما عرفت انه بالاجتهاد والخطاء فيه لا يتعلق
به الخطاب لعتاب بل عدم التوقف على نزول الوحي في بيان شانهم على ما نبهت عليه انفا لا يستاذنك
الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم اي ليس من عادة المؤمنين
ان يستاذنوك في ان يجاهدوا فضلا ان يستاذنوك في التخلف عنه وكان الخلص من المهاجرين
والانصار يقولون لا نستاذن رسول الله عم ولنجاهدن معك باموالنا وانفسنا ان يجاهدوا
والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم بثوابه انما يستاذنك في التخلف الذين
لا يؤمنون بالله واليوم الاخر تخصيص الايمان بالله واليوم الاخر بالذكر في الموضعين اشعار
بان الباعث على الجهاد وبذل النفس والمال لله تع هو الايمان بهما والرادع عنه عدمه وارتابت
قلوبهم فهم في ريبهم يترددون يتحيرون لو ارادوا الخروج اي معكم للغزو لاعدوا له
للخروج عدة العدة ما يعد للامر ويهيأ له وقرئ عدة بكسر العين اي جماعة من الالات
ولكن كره الله انبعاثهم انطلاقهم للخروج استدراك عن مفهوم قوله ولو ارادوا الخروج
لان معناه نفي ارادة الخروج كانه قيل ما ارادوا الخروج وتنزيل لعلة الشيء منزلته فان المعنى
ولكن تثبطوا عنه لان الله تع كره انبعاثهم هذا ما قيل في توجيه ما ذكره وفيه وقوع
لكن بين المتفقين من جهة المعنى فالوجه ان يكون ذلك من قبيل حذف جملة من الكلام
لدلالة الباقي عليه كقوله تع ولقد آتينا داود وسليمان علما وقال الحمد لله الاية وذلك
انه لما احتمل ان يتوهم ان عدم خروجهم للغزو لعدم تنبههم له قبل حتى ينبهوا استدرك
دفعه بما ذكر محذوف الصدر فكانه قيل ليس هذا من تقصيركم في بعثهم للخروج ولكن
كره الله انبعاثهم فثبطهم التثبيط التوقيف وقيل اقعدوا تمثيل لالقاء الله تع في قلوبهم
التثبيط وكراهة الانبعاث او وسوسة الشيطان بامرهم بالقعود عنه او حكاية قول
بعضهم لبعض او اذن الرسول عم لهم وقول مع القاعدين ذم لهم والحاق بالذين شانهم
القعود ولزوم البيت العاجز عن القيام بمصالح الغزو من النساء والصبيان والزمنى لو خرجوا
فيكم لم يقل معكم لان اخراجهم على تقدير خروجهم مختلطين معهم لا منفردين عنهم

ما زادوكم شيئا الا خبالا الخبال الفساد في الاشياء المؤتلفة المتلحمة والزيادة لما كانت
باعتبار اعم العام الذي وقع منه الاستثناء لم يلزم ان يكون لهم خبال حتى لو خرجوا فيهم
زادوه ولاوضعوا خلالكم الايضاع تهييج المركوب على الاسراع اي سعوا بينكم بالنميمة
وافساد ذات البين وهو مجاز يفيد المبالغة في السعي بالنمائم لان الراكب اسرع من الماشي
ويقويه حذف المفعول لما فيه التعميم من زيادة المبالغة بتقدير اتاهم كل ما شاء من المراكب
كانه قيل لاوضعوا كل ما وجدوا من الركائب يبغونكم الفتنة حال من ضمير اوضعوا اي يريدون
ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم والرعب في قلوبكم وفيكم سماعون لهم اي نمامون
يسمعون حديثكم فينقلونه اليهم او ضعفة يطيعون لهم يسمعون ما يامرونهم به والله
عليم بالظالمين فيعلم ضمائرهم وما يتاتى منهم وعيد لهم من باب وضع الظاهر موضع
المضمر للتسجيل عليهم بالظلم وايجاب الظلم للوعيد لقد ابتغوا الفتنة بالسعي في تشتيت
امرك وتفريق اصحابك من قبل يعني يوم احد حين انصرف عبد الله بن ابي بمن معه و
قلبوا لك الامور ودبروا لك الحيل والمكايد ودوروا الاراء في ابطال امرك حتى جاء
الحق النصر والتاييد الالهي وظهر امر الله وعلا دينه وهم كارهون اي غلب امر الله وشرعه
على رغم منهم والايتان لتسلية الرسول عم والمؤمنين على تخلفهم وبيان ما ثبطهم الله
لاجله وكره انبعاثهم له وهتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة اعتذارهم تداركا
لما فوت الرسول عم بالمبادرة الى الاذن ومنهم من يقول ائذن لي في القعود ولا تفتني
ولا توقعني في الفتنة وهي المعصية والاثم فاني ان لم تاذن لي تخلفت بغير اذنك اثمت
اي لا يمكنني الخروج معك ولا بد لي من التخلف اذنت او لم تاذن او لا تلقني في الهلكة فاني
ان خرجت معك هلك مالي وعيالي اذ لا كافل لهم او لا تفتني ببنات الاصفر لما روي
ان جد بن قيس قال قد علمت الانصار اني مستهتر ببنات الاصفر يعني نساء الروم فلا تفتني
بهن ولكن اعينك بمالي فاتركني الا في الفتنة سقطوا تقديم الظرف بعد حرف التنبيه لافادة
تعظيم ما وقعوا فيه وتخصيص له اي ما الفتنة الا التي وقعوا فيها وهي التخلف لا ما حذروا
عنه وما وقعوا الا فيما زعموا انهم يحترزون عنه وفي عبارة سقطوا اشارة الى
انهم وقعوا فيه عن غفلة وعدم تدارك وان جهنم لمحيطة بالكافرين وعيد لهم من
باب وضع الظاهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالكفر والاشارة الى سبب الاحاطة بهم
والمراد احاطة اسبابها بهم فوضع المسبب موضع السبب اشعارا بشدة ايجابه كقوله تع
انما ياكلون في بطونهم نارا ان تصبك في بعض غزوك حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم
لفرط حسدهم وان تصبك في بعضها مصيبة من افة في النفس او الاهل والمال واصلها
الصوب وميل الجري الى الشيء ومنه صوب الماء اذا سال والاصابة وقوع الشيء بما قصده

والصواب اصابة الحق بفعل او قد اخذنا امرنا الذي نحن متسمون به من التيقظ والحذر
والعمل بالجزم من قبل ما وقع اى يتجهون بانصرافهم ويستحمدون رأيهم ويتولوا عن مقام
التحدث بذلك الى اهليهم او عن الرسول عم وهم فرحون مسرورون قل لن يصيبنا الا
ما كتب الله لنا بعض في اللوح المحفوظ امر الله تع نبينا عم ان يرد على المنافقين بان يعلمهم ان
الشئ الذي يعتقدونه مصيبة ليس كما اعتقدوه بل الجميع مما كتب الله تع للمؤمنين فاما ان
يكون ظفرا وسرورا في الدنيا واما ان يكون ذخرا الآخرة يرشد كل اليه هذا قوله هو مولانا
اى الذي يتولانا فانه لتاكيد ما سبق من الاختصاص واما ما قيل ان المعنى الا كتب الله في
اللوح وجف به القلم فلا يتغير بموافقتكم ولا بمخالفتكم فلا يناسب المقام لانه لا يصلح
ردا لهم ثم ان ما ذكر على وفق ما قاله الجبرية وقرئ هل يصيبنا وهل يصيبنا بتشديد
الياء وهو تفعيل من فيعل لا من فعل لانه من بنات الواو لقولهم صاب السهم يصوب
وعلى الله لا على غيره فليتوكل المؤمنون لان حقهم ان لا يتوكلوا الا عليه جمع بين الحرفين
في عطف الجملة على الجملة لتقدم العلة للاختصاص كان الواو للعطف والفاء لافادة السببية
والتوكل تفويض الامر الى الله تع والرضاء بتدبيره والثقة بحسن اختياره قل هل تربصون
التربص التمكث بما ينتظر به مجئ حينه الا احدى الحسنيين احدى العاقبتين اللتين كل واحد
منهما حسنى العواقب النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم احدى السوأيين من العواقب ان
يصيبكم الله بعذاب من عنده اى قارعة من السماء كما نزلت على عاد وثمود او بايدينا
وهو القتل على الكفر فتربصوا بنا ما ذكرنا من عاقبتنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم
قل انفقوا طوعا او كرها نصب على الحال اى طائعين او كارهين لن يتقبل منكم امر
في معنى الخبر اى لن يتقبل منكم نفقاتكم انفقتم طوعا او كرها وفائدته المبالغة في تساوي
الانفاقين في عدم القبول كانهم امروا بان يمتحنوا فينفقوا في الحالين وينظروا هل
يتقبل منهم وهو جواب قول جد بن قيس واعينك بمالي ونفي التقبل يحتمل ان لا يتقبل
الرسول عم ولا يأخذ منهم وان لا يتقبل الله تع منهم ولا يثيب عليها وكرها يحتمل الالزام
والاكراه فيؤيد الثاني والكراهة من المنفقين فلا يرجح احدهما ونظيره انهم لا ينفقون
الا كارهون كما اخبر عنهم في الآية التي بعدها واما الطوع فهو على سبيل الفرض لما وانه
الكره في عدم القبول او ان يعطوا من غير الزام واكراه وفي انفسهم الكراهة انكم كنتم
قوما فاسقين تعليل لرد انفاقهم على سبيل الاستيناف اذ الفسق هنا هو التمرد والعتو
في الكفر فيوجب رد كل عمل فيه تنفير للمسلمين عن الفسق وما بعده بيان وتقرير وما منعهم ان
تقبل منهم نفقاتهم لا يخفى ما في هذا التعبير من حسن التصوير لقبول النفقة بصورة امر
مرغوب مطلوب كانهم طلبوه بالطبع فان اكرام العرب مجبولون على حب الانفاق كم

اباه ما بهم من الكفر والنفاق الا انهم كفروا بالله وبرسوله اى وما منعهم قبول نفقاتهم الا
كفرهم واعادة الجار للتنبيه على ان كفرهم به عم اصالة لا تبعا لكفرهم بالله تع ولا يأتون
الصلوة الا وهم كسالى متثاقلين ذمهم على الكسل في الصلوة وذم على النفاق الذي يبعث
على الكسل وفقد الايمان الذي يبعث على النشاط ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم
لا يرجون بفعلها ثوابا ولا يخافون بتركها عقابا فلا تعجبك اموالهم الاعجاب بالشئ
ان يسر به سرور متعجب من حسنه راغب فيه والتفريع على ما تقدم باعتبار ان يكون
المال مرغوبا يؤدي الى كراهة الانفاق الى سياق الكلام في ذمها ولا اولادهم اى فلا يترك
اموالهم واولادهم مستحسنا اياها متعجبا منها فان ذلك استدراج ووبال لهم كما قال
انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا اى بسبب ما يكابدون منها من كلف الجمع و
الحفظ وما ينوبهم من الشدائد والمصائب وآفات النهب والسبي وما كلفهم الله من
الانفاق في سبيل الخير على كراهتهم اياه مفعول يريد محذوف تقديره يريد ابتلاءهم
من الاموال والاولاد وتزهق انفسهم الزهوق الخروج بصعوبة وشدة وهم كافرون
في حالة كفرهم متحيرين لاهين بالتمتع بها عن النظر في العاقبة متالمين بالتعلق بها وحيث
متعذبين بفراقها لما قطع رجاءهم عن جميع منافع الآخرة بقي ان الاشياء التي يتعلقون بها
من باب منافع الدنيا جعلها الله تع اسبابا للتعذيب بهم بها في الدنيا والآخرة ويحلفون بالله
عطف على مقدر تقديره ينافقون ويحلفون انهم لمنكم من جملة المسلمين منصوب بيحلفون
لتضمنه معنى القول وما هم منكم لكفرهم الباطن ولكنهم قوم يفرقون اى يخافون منكم ان
اظهروا بكم ما في قلوبهم فلهذا يحلفون انهم منكم قال تع اتخذوا ايمانهم جنة والفرق الانفعال
الزعاج النفس بتوقع الضرر فلا يحتمل الا في الخوف الشديد لو يجدون ملجأ منكم يلجئون
او مغارات جمع مغارة من غار يغور قال ابن عباس هي المغارات الغيران والسراديب
وهي المواضع التي يستتر فيها او مدخلا مفتعل من الدخول اى مسلكا يندسون بالدخول فيه لولوا
وجوههم اليه اى لاقبلوا نحوه والعبر الاحوال الثلثة وهم يجمحون يسرعون اسراعا
لا يرده شئ من جمح الفرس اذا لم يرده اللجام ومنهم من يلمزك يعيبك قال الزجاج
اللمز العيب مسارة والهمز العيب مجاهرة في الصدقات في قسمها وفي هنا بمعنى الباء
السببية كما في قوله عم لشئ فيه فان اعطوا منها رضوا وذكروه بالجميل وان لم يعطوا منها
اذا هم يسخطون اذا المفاجاة نائب مناب الفاء الجزائية وما احسن مجئ جواب بعد الشرطين
لان الاول لا يلزم ان يقارنه ولا ان يعقبه بل قد يكون ان يتاخر كون ان استحقت ذلك الحنة
واما جواب الشرط الثاني فمفاجاة باذا الفجائية ليدل على انه اذا لم يعطوا فاجاءهم سخطهم
ولم يكن ناخرا لما جبلوا عليه من محبة الدنيا والشره في تحصيلها ولو انهم رضوا ما آتاهم

الله ورسوله ذكر الله تع تمهيد للتنبيه على ان اعطاءه عم بامره تع فهو المعطي في الحقيقة
قال عم الله المعطي في الحقيقة وانا القاسم ومفعول رضوا محذوف اى رضوا ما اعطاهم
الرسول وطابت به انفسهم وان قل نصيبهم وليس المعنى رضوا عن الرسول عم لانهم منافقون
ولان رضاءهم وسخطهم لم يكن الا لاجل الدنيا وقالوا عطف على رضوا في حيز الشرط والجواب
محذوف تقديره لكان خيرا لهم حسبنا الله اى كافينا ورازقنا من حيث يشاء فيعطينا
كفايتنا وان تاخرت سيؤتينا الله من صدقة اخرى وانما قال من فضله لان ما آتاه الله تع
فضل منه سواء بكسب العبد او بدونه ورسوله اى ويؤتينا رسوله عم بامره انا الى الله اى
الى رضائه راغبون لا رغبتنا الى فارق الدنيا فتقديم الجار والمجرور للتخصيص انما
الصدقات للفقراء فهو جنس الصدقات المشتملة على الانواع المختلفة المشار اليه بصيغة
الجمع على الاصناف المعدودة تصويبا لما فعله الرسول عم وزعما لانوف المنافقين
وردعا لهم عن اللمز وحسما لاطماعهم باثبات استحقاق غيرهم لها دونهم فانهم ليسوا
منها في شيء فما لهم والتكلم فيها وفيمن قاسمها فايرادها استطراد ساق اليه الكلام في
مثالبهم ورذائلهم وظهور ما اضمروا من معاداة الرسول عم والمؤمنين من فلتات
لسانهم ولهذا توسطت بين ذكر المنافقين ومكايدهم ومعناه انما هي لهم لا لغيرهم
وهو دليل على ان اللمز في قسمة الزكوة لا في الغنائم والقصر المذكور يفيد اختصاصها بالاصناف
الثمانية وعدم تجاوزها الى غيرهم لا ايجاب شمولها وقسمها على جميعهم فيحتمل استيعاب
الجميع والصرف الى بعضهم فابو حنيفة اختار الثاني وعن عمر وابن عباس رض وحذيفة
وكثير من الصحابة رض والتابعين جواز صرفها الى واحد منهم والشافعي اختار وجوب الصرف
الى كل واحد منهم والتسوية بينهم على قضية الاشتراك والمساكين المسكين من له مال او كسب
ولكن لا يكفيه والفقير من ليس له واحد منهما ولهذا قدمه وروي انه عم سال المسكنة وتعوذ
من الفقر والعاملين السعاة في جميع الصدقات وقبضها وانما قال عليها لتضمين معنى القيام
كانه قيل القائمين على مصالحها وكل من يبعث معهم من عون لا يستغنى عنه فهو منهم لانه يكثر
الناس عليهم والمؤلفة قلوبهم وهم كانوا اصنافا ثلثة صنف كان النبي عم يتالفهم
ليسلموا وصنف يعطيهم لدفع شرهم وصنف كانوا اسلموا وفي اسلامهم ضعف فيزيدهم
بذلك تقريرا على الاسلام وكل ذلك كان جهادا منه عم لاعلاء كلمة الله تع لان الجهاد يكون تارة
بالسنان وتارة بالبيان وتارة بالاحسان واختلف في انقطاع هذا الصنف بعزة الاسلام
وظهوره وفي الرقاب اى وللصرف في الرقاب بان يعان المكاتب بشيء فيها على اداء النجوم
وقيل بان يفدى الاسارى والعدول من اللام الى في للدلالة على ان الاستحقاق في الجهة للرقاب
او للايذان بانهم احق بها واقوى استحقاقا لان في للظرفية اى هم مواضعها التي يوضع فيها

لما فيهما من الفك والانقاذ من الرق والغرم والاسر وحفظ بيضة الاسلام والتخليص
من الاشراف على الهلاك والغارمين الذين تدينوا لانفسهم في غير معصية اذا لم يكن لهم
وفاء او لاصلاح ذات بين بتحمل الحمالات وان كانوا اغنياء لقوله عم لا تحل الصدقة
لغني الا لخمسة لغاز في سبيل الله او لغارم او رجل اشتراها بماله او رجل له جار مسكين
فتصدق على المسكين فاهدى المسكين للغني او لعامل عليها وفي سبيل الله اى وللصرف في
الجهاد بالانفاق على المتطوعة وابتياع الكراع والسلاح وقيل في بناء القنطرة والمصانع و
اعادة الجار لانه من نوع آخر وابن السبيل اخره عن سبيل الله مع انه من قبيل ما سبق
رعاية لظاهر الكلام فان ابن السبيل يناسبه ان يذكر بعد السبيل والمراد منه المسافر
المنقطع من ماله وابن السبيل كالعلم فلذلك لم يجمع فريضة من الله مصدر مؤكد لان
معنى قوله تع انما الصدقات للفقراء فرض الله الصدقات لهم او حال من الضمير في قوله للفقراء
وقرئ فريضة اى تلك فريضة والله عليم بمواضع الاستحقاق حكيم يضع الاشياء مواضعها
ومنهم اى من المنافقين الذين يؤذون النبي روي ان جماعة منهم ذموه عم وبلغه
ذلك فاشتغلت به قلوبهم فقال بعضهم لا عليكم انما هو اذن سامعة قد سمع كلام المبلغ
فتاذى ونحن ناتيه فنعتذر فيسمع عذرنا ايضا فيرضى وهذا ما ذكره تع بقوله ويقولون
هو اذن الاذن من قيل له شيء سمعه وحدث بشيء لا ينكره فان الاذن الذي هو جارحة السماع
كذلك اى ليس فيه وراء الاستماع تمييز الحق من الباطل اراد به ذمه عم فما ذكر من قبيل التشبيه
والغرض المبالغة في الذم واما اطلاق العين على الجاسوس فمن قبيل المجاز العقلي كاطلاق
العدل والغرض منه المبالغة في المدح فاين هذا عن ذلك كان النبي عم يسمع الكلام من يحدثه
بشيء لكرمه وحسن خلقه فظنوا او لتكلنه لسلامة قلبه وغفلته ولقد احسن من قال عابه الجهال
بما هو ابين غاية كرمه وعلامة حسن شيمته قال عم المؤمن غر كريم فطن والمنافق خب لئيم
قل اذن خير لكم اضافة الاذن الى خير للمبالغة كقولك رجل صدق تريد وصفه بالجودة و
الصلاح كانه قيل نعم هو اذن ولكن نعم الاذن او اذن في الخير وفيما يجب سماعه وقبوله
لا في كل شيء على الوجه الذي ذممتموه به والدليل عليه قراءة ورحمة بالجر اى هو اذن
خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله وقرئ اذن خير لكم برفعهما منونين على ان خير صفة له
او خبر ثان او كلا منهما خبر لمبتدا محذوف اى هو اذن هو خير لكم وعلى هذه القراءة معناه
ان كان كما تقولون فهو خير لكم لانه يقبل معاذيركم ولا يكافئكم على سوء دخلتكم ثم فسره بقوله
يؤمن بالله اى يصدق به لما قام عنده من الادلة ويؤمن للمؤمنين اى يسلم لهم ما يقولون
فالاختلاف في التعدية لاختلاف في المعنى ورحمة اى وهو رحمة اريد المبالغة في رحمته
لهم فسلك مسلك رجل عدل للذين آمنوا اى اظهروا الايمان منكم حيث يقبله ولا يكشف سره

وفيه تنبيه على انه عم ليس يقبل قولهم جهلا بحالهم بل يقبل ترحما لهم ورفقا بهم و
فيه؟ ورحمة بالنصب تعليلا لما تقدم من جهة المعنى فان اذن خير لكم في معنى يأذن لكم
والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم اظهار ذكر رسول الله عم تعظيم وابدان بان
ايذاء الذى هذا شانه يوجب استيجابهم العذاب الاليم يحلفون بالله لكم الخطاب للمؤمنين
ليرضوكم اى يحلفون على معاذيرهم عند الاعتذار اليكم في التخلف عن الجهاد او التكلم بالمطاعن
والايذاء ليقبلوا عذرهم ويرضوا عنهم والله ورسوله احق ان يرضوه ذكر الله تمهيد لتعظيم
الرسول عم وبيان ان ارضاءه ارضاء الله تع اى ورسول الله احق بالارضاء بالطاعة
والموافقة ان كانوا مؤمنين كما يزعمون لان الايمان يقتضى ابتغاء مرضات الله تع ولو سخط
من سواه الم يعلموا استفهام بمعنى التوبيخ انه اى الشأن من يحادد الله ورسوله المحادة
مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق لان المتخالفين كل منهما في حد وذكر الله تع هنا ايضا
تمهيد فان له نار جهنم خالدين فيها على حذف الجزاء اى فحق ان له او على تكرير ان للتاكيد
قيل يجوز ان يكون معطوفا على انه ويكون الجواب محذوفا وتقديره من يحادد الله ورسوله
يهلك فيكون فان له نار جهنم في موضع نصب وهذا الذى قدره لا يصح لانهم نصوا
على انه اذا حذف الجواب لدلالة الكلام عليه كان فعل الشرط ماضيا في اللفظ او مضارعا
مجزوما بلم نحو كلامهم انت ظالم ان فعلت ولا يجوز ان تفعل وههنا حذف جواب الشرط
وفعل الشرط ليس ماضى اللفظ ولا مضارعا مقرونا بلم وذلك انما جاء في كلامهم مخصوص
بالضرورة وايضا فتجد الكلام تاما دون تقدير هذا الجواب ذلك الهلاك الدائم الخزى
العظيم الخزى الهوان بما يستحيى من مثله يحذر المنافقون خبر عن حذرهم وقيل هو
بمعنى الامر اى ليحذر المنافقون ان تنزل عليهم على المنافقين والنازل فيهم كالنازل عليهم
من حيث انه مقرو ومحتج به عليهم سورة تنبئهم تخبرهم بما في قلوبهم لم يكن ذلك لاخبار
لاعلام المخبر به بل لاعلام انه لا يخفى على الله تع ولا يخفيه عن رسوله عم وفيه هتك استارهم
واظهار اسرارهم للمؤمنين ولا يخفى ما في هذا المعنى من شدة الالتئام بين اجزاء الكلام و
اعتبار لطيف يناسب المقام بلا التزام لانتشار الضماير ثم ان ما ذكر على تقدير الامر ظاهر
واما على تقدير الخبر فمقوله لكثرة ما كان يطلع الله رسوله عليه كانوا يحذرون ذلك ويخبث
باطنهم وشدة كفرهم كانوا يؤذونه عم ويستهزءون به وذلك قوله تع قل استهزؤا
صيغة امر وهو للتهديد ودليله ان الله مخرج من الكمون الى البروز ما تحذرون اى ما
تحذرونه من نزول السورة في اظهار اسراركم وهتك استاركم او من اظهار مساويكم
ولئن سالتهم ليقولن روى ان ركب المنافقين مروا على رسول الله صلعم في غزوة تبوك
فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاخبر الله تع

به نبيه عم فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا في شىء من امرك وامر
اصحابك ولكن كنا في شىء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر فنزلت
فيما ذكر من السؤال والجواب كان مع بعضهم الا انه اسند الى الكل لاتحادهم في المنشأ انما
كنا نخوض ونلعب الخوض في الاصل دخول القدم فيما كان مايعا من الماء والطين ثم كثر حتى
صار في كل دخول فيه اذى وتلوث قل ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن تقرير بالاستفهام للاستهزاء
وتوبيخ لهم على استهزائهم بمن يجب تعظيمه ولا يصح الاستهزاء به لان ايلاء المستهزأ به
حرف الاستفهام انما يصح بعد وقوع الاستهزاء فلم يعبأ باعتذارهم للعلم بكذبهم في ذلك
وذكر الله تمهيد لتعظيم آياته والتنبيه على ان استهزاءها راجع الى الله تع لا تعتذروا لا تشتغلوا
باعتذاركم فانها معلومة الكذب لا تنفعكم بعد ظهور اسراركم قد كفرتم بالاستهزاء والايذاء
بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان ان نعف عن طائفة منكم لتوبتهم واخلاصهم او لاجتنابهم
عما كانوا يفعلون من الايذاء والاستهزاء نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين بكونهم مجرمين
مصرين على النفاق او ما كانوا عليه المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض اى جنس واحد
كابعاض الشىء الواحد غير مماثل لجنس المؤمنين تعريض بانهم ليسوا من المؤمنين وتكذيب
لهم في حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله تع وما هم منكم وما بعده كالدليل عليه ببيان منافاة
حالهم لحال المؤمنين وهو قوله يامرون بالمنكر بالكفر والمعاصى وينهون عن المعروف اى
الايمان والطاعة ويقبضون ايديهم قبض اليد عبارة عن الشح اى يمنعون عن الانفاق في
سبيل الخير نسوا الله فنسيهم النسيان في الاول كناية عن الترك والمراد ترك طاعته وفي الثاني
مجاز عنه مرتبا على الكناية والمراد ترك رحمتهم وانما يعبر بالنسيان عن الترك مبالغة اذا
بلغ وجوب الترك هو الترك الذى يقترن بها النسيان ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون
في التمرد والخروج عن دايرة الخير والمبالغة في ذمهم بالفسق وجعله غاية في التمرد و
العتو والفارق الاعظم بينهم وبين المسلمين تنفير المسلمين عنه وعد الله المنافقين و
المنافقات الفصل بين الجنسين فيهم للاهتمام بشانهم لان الكلام في ذمهم والكفار الى
بقرينة المقابلة ومن لا تخ عن الدلالة على انهم جنس آخر نار جهنم خالدين فيها حال عن
معنى وعد فانه كناية عن وقوع العذاب كانه قيل يعذبهم الله بنار جهنم خالدين فيها هى
حسبهم اشارة الى عظم عذابها وانه لا مزيد عليه اى حسبهم عقابا وعذابا اذ لا شىء ابلغ
منه ولعنهم الله طردهم واهانهم مع التعذيب وقرنهم بالشياطين الملاعين في التبعيد
ففيه بيان عذابهم الروحانى ولهم عذاب اى ولهم نوع من العذاب سوى الصلى بالنار
مقيم دايم كعذاب النار كالذين اى انتم مثل الذين من قبلكم او فعلتم مثل الذين من قبلكم
كانوا اشد منكم قوة منعة وبطشا واكثر اموالا واولادا اى كانوا اشد منكم واقدر فاذا

كنتم في سوء المعاملة مثلهم وفي القوة والمنعة دونهم فما يؤمنكم اي يصيبكم من العقوبة
مثل ما اصابهم ومن ومهم انه بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم فقد ومهم فاستمتعوا
بخلاقهم الخلاق النصيب من الخلق بمعنى التقدير وهو ما خلق للانسان اي قدر له من خير كما
سمي نصيبا لانه نصب واثبت وتقديمه على التشبيه المذكور بقوله فاستمتعتم بخلاقكم كما
استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم تمهيد لذمهم بذم الاولين بالاستمتاع بما اوتوا من
حظوظ الدنيا واشتغالهم بها وذهولهم بلذاتها الفانية عن التفكر في امر الآخرة والنظر في
العاقبة وطلب الفلاح وتحصيل اللذات الباقية لتتقرر سوء حالهم وسماجة فعلهم في انفسكم
ثم يتيقظوا ويتفطنوا القبح ما هم فيه بتشبههم بهم واقتفاء آثارهم والاستمتاع طلب
المتعة وهي فعل ما فيه اللذة من المآكل والمشارب والمناكح وخضتم اي دخلتم في الباطل
كالذي خاضوا اي كالذي خاضوا الذي اسم ناقص يعبر به عن الواحد والجمع اولئك الذين
رضوا من آخرتهم بدنياهم حبطت بطلت اعمالهم في الدنيا والآخرة اما في الآخرة فلانه
لا ثواب لهم ولا نجاة من العذاب واما في الدنيا فلانهم قصدوا بذلك توهين الاسلام
وقهر اهله وعلو انفسهم فابطل الله تع مع كيدهم وخيب املهم واولئك هم الخاسرون
ذهب اموالهم فيما ضرهم ولم ينفعهم ولو ذهب فيما لا يضرهم ولا ينفعهم كان خسرانا
فكيف وقد ذهبت فيما يضرهم ولا ينفعهم اشار الى الاولين المستمتعين ليعلم المشبهون
بهم ان استمتاعهم وتلذذهم سبب لحبط اعمالهم في الدنيا والآخرة وخسرانهم المطلق
فيرتدعوا الم يأتهم نبأ الذين من قبلهم الاستفهام للتقرير والتحذير والنبأ الخبر الذي
له شان قوم نوح اغرقوا بالطوفان وعاد اهلكوا بالريح وثمود اهلكوا بالرجفة وقوم
ابرهيم بهر هلك نمرود ببعوض وكذا اصحابه واصحاب مدين اهلكوا بالرجفة على ما مر
في سورة الاعراف والذين اهلكوا بالنار يوم الظلة منهم اصحاب ايكة من قوم شعيب ثم
لم نقل وقوم شعيب لان كثيرا منهم اموالهم … وبمثل هذا عدل فيما سبق عن قوم هود
وقوم صالح الى عاد وثمود والمؤتفكات الائتفاك الانقلاب والمراد كل من اهلك من المكذبين
المتمردين كما يقال انقلبت عليه الدنيا … دخولا اوليا قوم لوط ولو اريد بها قوم لوط
خاصة لكان حقها ان يذكر قبل اصحاب مدين اتتهم رسلهم بالبينات الضمير لكل ما تقدم ذكره
من الامم فما كان الله ليظلمهم اي لم يكن من عادة الله العقوبة بلا جرم وما يتبين هذا مما
تقدم صدره باداة التفريع وهو كما يكون باعتبار الوجود يكون باعتبار الظهور ولكن
كانوا انفسهم يظلمون بتماديهم فيما يوجب العقوبة وتقديم المفعول يفيد التخصيص والمؤمنون
والمؤمنات بعضهم اولياء بعض ذكر في مقابلة المنافقين والمنافقات والمراد المخلصون والمخلصات
وفي العبارة المذكورة اشارة الى ان حق الايمان الاخلاص وان المنافق ليس من جنس المؤمن

والمعنى ان ذكورهم واناثهم يتوالون على الدين ويتناصرون حتى ان الرجل يخرج الى الجهاد والمرأة
تهيئ اسبابه وتخرج النساء مع الرجال ايضا فيداوين الجرحى ويعالجن المرضى ويصلحن الطعام
ويحملن الماء وغير ذلك من المهمات واختيار كلمة التبعيض ثمة لشدة الارتباط فيما بينهم وقوة اتفاقهم
على الكفر والنفاق وايثار عبارة الولاية هنا للاشارة الى ان حق الاخوة الايمانية الموالاة في
المصالح الدينية وان كان بينهم معاداة في المصالح الدنيوية يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر
التوصيف في الموضعين للجنس ويقيمون الصلوة فهم يذكرون الله تع ويؤتون الزكوة فلا
يقبضون ايديهم والتعريفان هنا للعهد ولو حمل على الجنس نظرا الى ان المدح بالنوافل ابلغ اذ
من يقيم النافلة احرى باقامة الفرض لكان له وجه ويطيعون الله ورسوله في الاوامر والنواهي
اولئك سيرحمهم الله السين مؤكدة للوعد مفيدة لوقوع الرحمة لا محالة هذا ما يحسب جليل النظر
والذي هو بحسب دقيقه انها مدخلة في الوعد مهلة لتكون النفوس تتنعم برجائه وفضله مع
ذعيمة بالانجاز ان الله عزيز اي قوي غالب قادر على قهر اعدائه واعزاز اوليائه بجميع الوجوه
حكيم يضع الاشياء مواضعها فيخص النقمة بالمنافقين والكفار والرحمة باعدائهم على حسب
استحقاقهم فليتعمدوا بكلا الامرين فهو من تتمة وعيد المنافقين على وجه يتضمن وعد المؤمنين
وعد الله المؤمنين والمؤمنات فيه انتقال من التضمين والاشارة الى التصريح اهتماما لامر
البشارة جنات اي للسكون والقرار فيها تجري من تحتها الانهار لما كان الموعود قرارهم فيها
صح ان يكون قوله خالدين فيها حالا عنه بلا تأويل ومساكن طيبة يستطيبها النفس او يطيب
فيها العيش وفي الحديث انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر في جنات عدن
مقام معين لما روى ابو الدرداء عن رسول الله صلعم عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر
على قلب بشر لا يسكنها غير ثلثة النبيون والصديقون والشهداء وهذا لا ينافي تعميم الوعد لسائر
المؤمنين لان الموعود لهم ما في حولها من الجنات قال ابن مسعود رض عدن هي بطنان الجنة ووسطها
ولا يجوز ان يراد به معناه اللغوي وهو الاقامة والخلود لما فيه من التكرار في اعتبار
معنى واحد وعدهم اولا بالرحمة المطلقة اجمالا ثم فصلها وفسرها بما هو ابهى الاماكن
التي يعرفونها من جنات تجري من تحتها الانهار وتكريرها للتعظيم ليميل اليها طباعهم
اول ما يقرع اسماعهم ثم زاد عليها دفع وهم ما ينغص به العيش وهو زوال تلك النعمة
ثم وصفه بانه محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التي لا تخلو عنها شيء
منها اماكن الدنيا وانما زيادة قوله في جنات عدن فلدفع وهم ان يكون تلك المساكن
خارجة عن الجنات ويكون سكون المؤمنين فيها قبل الدخول في الجنة ثم وعدهم بما هو اكبر
مما تقدم ذكره فقال ورضوان من الله اكبر افرده بالذكر ونونه تعظيما في شانه اي وشيء
من رضوان الله تع اكبر من ذلك كله لان رضاه تع سبب كل فوز وسعادة ومو…

كل قرب وكرامة روي ان الله يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون ما لنا لا نرضى
وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي
شيء افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم افضل من ذلك قالوا واي
شيء افضل من ذلك ابدا ذلك اشارة الى جميع ما وعدهم وقيل الى الرضوان خاصة لتعظيم
وفيه ان جميع ما وعد الرضوان المذكور عين هذا الفوز العظيم ويأباه ما يأتي من قوله تع اعد
الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم فانه صريح في
دخوله في هذا الفوز المذكور فمعنى الفوز العظيم لا ما يعده الناس في الدنيا فوزا لانه يتغير
ويتغير دونه ويتنغص ويتكدر بخلافه يا ايها النبي جاهد الكفار المجاهرين بالقتل والسيف
والمنافقين بالزام الحجة واقامة الحدود وتقديم الكف لا لان جهادهم ادفع وانهم تكونوا باللسان
اولا وباللسان ثانيا وجهاد المنافقين بالثاني فقط واغلظ عليهم في الجهادين قال عطاء
نسخت هذه الآية كل شيء من العفو والصلح وما يوهم صفحهم عطفه بالواو دلالة على ان
المذكور بعض ما اعد لهم فاضمر بعضه ثم عطف عليه ما ذكر ولا يخفى ما فيه من التهويل وبئس
المصير هو يحلفون بالله ما قالوا روي انه اقام رسول الله في غزوة تبوك شهرين ينزل
عليه القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد لئن كان ما يقول محمد لاخواننا حقا
لنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله عم فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب الجلاس وحسنت
توبته ولقد قالوا كلمة الكفر هي كل لفظة ترجع الى الطعن في الدين او في الرسول عم وكفروا بعد
اسلامهم اي اظهروا الكفر بعد ما اظهروا الاسلام وهموا بما لم ينالوا وهو الفتك برسول الله عم
وذلك عند مرجعه من تبوك وما نقموا وما انكروا اي ما وجدوا ما يورث نقمتهم الا ان اغناهم
الله استثناء مفرغ من اعم المفاعيل والعلل وعلى الاخير يكون الكلام على طريقة قول النابغة
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب وما نقموا الا ما حقه ان يشكر وذلك
انهم كانوا حين قدم رسول الله صلعم المدينة في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة
فاثروا بالغنائم ورسوله من فضله الضمير لله تع وتوسيط ذكر الرسول عم لانه الواسطة
في وصول الفضل المذكور منه تع اليهم فان يتوبوا يك خيرا لهم الضمير في يك للتوب
وهذا احسان منه تع ورفق بهم حيث فتح لهم باب التوبة بعد ارتكاب تلك الجرائم العظيمة
وهذا هو الذي حمل الجلاس على التوبة وان يتولوا بالاصرار على النفاق يعذبهم الله عذابا
اليما في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار وما لهم في الارض من ولي ولا نصير ينجيهم
من العذاب باللطف او بالعنف وانما افرد الارض بالذكر تخصيصا لما هو المتحمل بالنفي
وهذا ابلغ من ذكر السماء معها والتصريح بنفي الولي والنصير فيه ايضا ومنهم اي من المنافقين
من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن قال الضحاك هم نبتل بن الحرث وجد بن قيس ومعتب

ابن قشير وثعلبة بن حاطب وفيهم نزلت الآية روي انه قال يا رسول الله ادع الله ان
يرزقني مالا فقال عم يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي
بعثك بالحق لئن رزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمي
الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسال عنه رسول الله عم
فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلعم مصدقين لاخذ الصدقات
فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسالاه الصدقة واقراه كتاب رسول الله عم
الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا اخت الجزية وقال ارجعا حتى ارى رأيي فلما رجعا قال لهما
رسول الله عم قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال عم ان الله تع منعني
ان اقبل منك فجعل التراب على رأسه فقال عم هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول
الله عم فجاء بها الى ابي بكر رض فلم يقبلها ثم جاء بها الى عمر رض فلم يقبلها ثم جاء الى عثمان فلم يقبلها
وهلك في زمن خلافته ولنكونن من الصالحين قال ابن عباس رض يريد الحج ليلائم المعطوف
عليه اعني لنصدقن اشارة الى الزكوة فيحسن ترتيبها على ايتاء المال المشار اليه بقوله لئن آتانا
من فضله ومن ههنا قالوا الصلاح في المال بعد الصدقة النفقة في الحج والغزو فلما آتاهم من
فضله بخلوا به منعوا حق الله تع منه وتولوا عن طاعة الله تع وهم معرضون وهم قوم عادتهم
الاعراض عنها فاعقبهم اي فعلهم ذلك من البخل والتولي نفاقا متمكنا في قلوبهم لانه كان السبب
فيه والظاهر ان الضمير لله تع اي فجعل عاقبة فعلهم ذلك نفاقا ثابتا في قلوبهم الى يوم
يلقونه اذ على موتهم على النفاق ولذلك لم يقبل الخلفاء زكوة ثعلبة والضمير لله تع ويوم
لقائه وقت الجزاء وابتداؤه من وقت الموت او لفعلهم والاعمال تتجسم هي ح وتحصل
الملاقاة حقيقة على ما ورد في الاحاديث الصحيحة وانما لم يحمل الى ان يموتوا تنبيها على
ان يوم الجزاء ابتداؤه من وقت الموت ولهذا قال النبي عم من مات فقد قامت قيامته
بما اخلفوا الله ما وعدوه بسبب خلافهم ما وعدوا الله تع من التصدق والصلاح و
بما كانوا يكذبون وبكونهم كاذبين فيه فان خلف الوعد احد الكذب يجوز استعمال
اسمه له وعيد بالعذاب وتهديد بالعقاب ثم عقبه تأكيد الوعيد بقوله الم يعلموا اي
المنافقون وقرئ بالتاء التفاتا على الالتفات ان الله يعلم سرهم ونجواهم ما اسروا
من النفاق والعزم على اخلاف الوعد وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسمية
الصدقة جزية وتدبير منعها وان الله علام الغيوب فلا يخفى عليه شيء من ذلك الذين يلمزون
محله النصب والرفع على الذم او الجر على البدل من الضمير في سرهم ونجواهم واللمز قد مر تفسيره
المطوعين المتطوعين من المؤمنين في الصدقات روي ان رسول الله حث على الصدقة
فجاء عبد الرحمن بن عوف رض باربعة الاف درهم وامسك مثلها فبارك له الرسول عم فيما اعطاه

وفيما امسك وتصدق عاصم بن عدى بمائة وسق تمر وجاء ابو عقيل الانصارى بصاع
تمر فامر رسول الله صلعم ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن
وعاصم الا رياء وما تصدق ابو عقيل الا ليذكر مع الاكابر او ليذكر بنفسه ليعطى من الصدقات
والله غنى عن صاعه فنزلت والذين لا يجدون الا جهدهم وقرئ بالضم وهو مصدر جهد فى الامر
اذا بلغ فيه وحمل على نفسه مشقة فيه وقيل هو بالضم الطاقة وبالفتح المشقة فيسخرون منهم اى
يهزؤن بهم سخر الله منهم قد مر بيانه فى تفسير الله يستهزئ بهم من سورة البقرة ولهم عذاب
اليم تنكير العذاب للتعظيم ومعلوم ان العذاب لا يخلو عن الم فالتوصيف انما يفيد اذا قصد به
المبالغة وتقديم الجار والمجرور لمحافظة الفاصلة استغفر لهم او لا تستغفر لهم اراد الخبر
عن تسوية الاستغفار وتركه فى امتناع الغفران كما نص عليه فى قوله فلن يغفر الله لهم
وفائدة الامر به وبتركه ان يتمحض فيعلم يقينا انه لا يتفاوت فى الحالين عدم الغفران ان تستغفر لهم
سبعين مرة فلن يغفر الله لهم روى انه سال عبد الله بن ابى رسول الله عم وكان رجلا مخلصا
ان يستغفر لابيه فى مرضه ففعل فنزلت فقال عم لازيدن على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت
لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لانه عم فهم من السبعين العدد المخصوص لانه
الاصل فجوز ان يكون حدا يخالفه حكم ما وراءه فبين له ان المراد به التكثير دون التحديد وقد
شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوها فى التكثير لاشتمال السبعة على جملة ما هو
الاصول من كسور اسم العدد فكانها العدد باسره ذلك اشارة الى امتناع الغفران وعدم
نائل الاستغفار فى حقهم بانهم كفروا بالله ورسوله يعنى ان ذلك لعدم قبولهم له بسبب كفرهم
وتمردهم فى الفسق والعصيان لا لمنع ولا لتقصير والله لا يهدى قد تراه من قبيل الموجود
منزلة المعدوم لعدم اثره القوم الفاسقين المتمردين فى كفرهم وهذا كالدليل على الحكم السابق
فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر والارشاد الى الحق والمنهمك فى كفره المطبوع عليه لم يطلع
لا ينقطع ولا يهتدى والتنبيه على عذر الرسول عم فى استغفاره وهو عدم ياسه عم عن
ايمانهم ما لم يعلم انهم مطبوعون على الضلالة والممنوع هو الاستغفار بعد العلم لقوله تع
ما كان للنبى والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى من بعد ما تبين لهم
انهم اصحاب الجحيم فرح المخلفون الذين لم يخرجوا مع رسول الله صلعم الى غزوة تبوك
المخلف المتروك خلف من مضى والفرح انشراح الصدر بلذة عاجلة بمقعدهم اى بقعودهم
عن الغزو فى المدينة عند خروجه عم خلاف رسول الله نصب على الظرفية اى خلفه يقال
اقام خلاف الحى اى بعدهم ويعضده قراءة ابى حيوة خلف رسول الله او على المصدر
لانه فعال رسول الله خلافه كقوله تع فضرب الرقاب اى اضربوا الرقاب ضربا وقيل هو
بمعنى المخالفة لانهم خالفوه عم فيكون حالا او مفعولا له اى مخالفين له او للمخالفة وكرهوا

ان يجاهدوا باموالهم ايثارا للموجود الفانى على الموعود الباقى وانفسهم ترجيحا للدعة
على طاعة الله تع فى سبيل الله اى فى طريق الغزاء والاضافة الى الله تع للتشريف والتنبيه على ان الغزا
المحمود ما كان خالصا لله تع وفى ذكر حالهم هذه فى معرض الذم تعريض لحال الباذلين اموالهم و
انفسهم فى سبيل الله تع المتحملين للمشاق لوجه الله تع بالمدح وقالوا احد فى المقول للتعميم اى قالوا
لكل من لاقوه وقدروا على اغوائه واضلاله لا تنفروا فى الحر فى وقته اى لا تخرجوا للغزو فانه وقع
فى شدة الحر لا يومن معها قلة المياه وهلاك الظهور فى الضعف عن المشى فعاب الله تع هذا من قولهم
وهددهم عليه بالنار بقوله قل نار جهنم اشد حرا قيمت عليهم الحجة بان قيل لهم فاذا كنتم
تجزعون من حر القيظ فنار جهنم اشد حرا فاحرى ان تجزعوا منها وذكره فى سياق الوعيد لهم
يتضمن الدلالة على ان حالهم هذه موجبة للتعذيب بنار جهنم لو كانوا يفقهون الفقه الفهم
بالفطنة اى لو كان لهم فهم وفطنة لما رغبوا عن طاعة الله تع لما فيها من التعب وهو سبب
الرغبة فيها لان الاجر للعمل بقدر المشقة فيه قال عم افضل الاعمال احمزها واما فيه
استجهال لهم لان من تصون من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصون فى مشقة الابد
كان اجهل من كل جاهل فلا ينتبهوا ايثار يفقهون على يعلمون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا الفا
للسببية والضحك حال تفتح وانبساط يظهر فى وجه الانسان عن تعجب مع فرح والبكاء حال
يظهر فى الوجه عن غم مع جرى الدموع على الخد والامر فى الموضعين للتكوين ومجيئه على صيغة
المضارع لان كون تلك الحال فى الاستقبال وقيل اخبار عما يؤل اليه حالهم فى الدنيا والآخرة
اخرجه على صيغة الامر للدلالة على انه حتم واجب ومبناه على ان يكون الاخراج المذكور اقوى
من بناء الاخبار على صيغته فلا يخفى ضعفه كيف وما عليه الجمهور وهو المشهور ان اخراجه
على صيغة الاخبار اقوى من ابقائه على حاله ويجوز ان يكون المراد من الضحك والبكاء فرط
السرور والغم ومن القلة العدم ومن الكثرة الابد جزاء بما كانوا يكسبون من انواع المعاصى
ويندرج فيه معصيتهم السالفة ذكرها اندراجا اوليا ففيه تقرير وتعيين لما دل عليه الفا
السببية والكسب اجتلاب الحظ بما هى من الاسباب فلا ينتظم ترك الواجب والمفهوم انما يعتبر
اذا لم يعارضه منطوق نص آخر والجمع بين كان وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددى
واعتبارها بما يناسب الاخبار عن الجزاء الدائم فان رجعك الله الى طائفة الفا للتفريع على ما تقدم
ورجع متعد من الرجع بمعنى الرد والطائفة الجماعة التى من شانها ان يطوف ولهذا لا يقال
فى جماعة الحجارة طائفة والمراد الجماعة المتخلفون وانما قال منهم لان كلهم لم يكونوا منافقين
او لان فيهم من تاب او مات كان يعود الرسول عم الى المدينة بطيب [illegible]
واما وصوله الى زمرة المنافقين فقد كان بكراهة واضطرار فاوثر صيغة المتعدى على اللازم
للاشعار بهذه الدقيقة الانيقة فاستاذنوك للخروج اى استيذانه طلب الاذن وهو رفع التبعة فى

امر بمعنى التهديد كقوله اعملوا ما شئتم ومعناه
يضحكون قليلا على فرحهم بتخلفهم وبذا فى الدنيا وكل
الذنب فيبكون كثيرا فى الآخرة بكاء كثيرا او لا يكون
لا ينقطع جزاء بما كانوا يكسبون من الكفر والنفاق
والمعاصى [illegible]

الفعل او الترك واصله ان يكون يقول يسمع بالاذن والفاء فصيحة عاطفة على مقدر تقديره ثم اردت الخروج الى غزوة اخرى للخروج اى معك والخروج في الاصل لا تنشأ الا من محيط فعل جواب شرط لن تخرجوا معى نهى عن خروجهم معه عم الى الغزاء اخرجه على صيغة الاخبار للدلالة على وقوع الامتثال عنهم بالاضطرار وعدم قدرتهم على المخالفة ابدا الابد الزمان المستقبل من غير انتهاء الى حد وتعبيره في الماضي فقط ولن تقاتلوا معى عدوا الاول لاسقاطهم عن ديوان الغزاة خاصة وهذا لاسقاطهم عن ديوان المجاهدين مطلقا انكم رضيتم بالقعود تعليل للنهى المذكور وكان اسقاطهم عن الديوان المذكور آنفا عقوبة لهم على التخلف بالاختيار بلا كره واضطرار لا على التخلف مطلقا وللاشارة الى هذا اتى بعبارة الرضاء اول مرة هى الخرجة الى غزوة تبوك فاقعدوا مع الخالفين من النساء والصبيان وساير من لا يليق بالجهاد ومن اصحاب الاعذار ولا تصل على احد منهم مات هذه فضيحة لهم بعد الوفاة وما ذكر قبلها اخرى لهم في حالة الحيوة قال قتادة دخل رسول الله عم على عبد الله بن ابى بن سلول في مرض موته وكان دعاه فسأله ان يصلى عليه ويقوم على قبره ويكفنه قميصه ففعل ذلك فنزلت الآية وعن عمر رض انه قال لما توفى عبد الله بن ابى سلول ودعا ليصلى عليه فقام رسول الله عم فقلت تصلى على عدو الله القائل يوم كذا وكذا والقائل في يوم كذا او عددت ايام الخبيثة فتبسم رسول الله صلعم ثم مشى معهم وقام على حفرته حتى دفن وانصرف فوالله ما لبثت الا يسيرا حتى نزل ولا تصل على احد منهم مات الآية فما صلى رسول الله عم بعدها على منافق ولا قام على قبره وانما قال مات والمراد الاستقبال لانه كائن لا محالة وقوله ابدا منصوب بتصل وبه صارت الآية محكمة لا بمات كما توهم من قال فان احياء الكافر للتعذيب دون التمتع فكأنه لم يحيى ولم يدر انه على التقدير المذكور ايضا لا حاجة الى التوجيه المزبور بل لا وجه له لان الحيوة في البرزخ لا تنافي استمرار الموت الواقع في الدنيا فلا تقم على قبره المرجحة بعد دفنها الميت والمراد من قيامه عليه معناه في التكفين فلا ينبغى ما قيل انه عم بنيه من التكفين في قميصه ونهى عن الصلوة عليه لان الضنة بالقميص كانت مخلا بالكرم ولانه كان مكافاة لالباسه العباس رض قميصه حين اسر ببدر على ان ما ذكر لا يصلح تعليلا لعدم النهى عنه لما عرفت ان نزول الآية المذكورة بعد الصلوة والتكفين فيكون النهى على تقدير وروده عن العود الى مثله وفي بعض الروايات انه قيل له عم يا رسول الله اتلبس عدو الله قميصك قال عم انى لارجو ان يسلم بقميصى الف من بنى الخزرج وكان كذلك انهم كفروا بالله ورسوله تعليل للنهى على سبيل الاستيناف وماتوا وهم فاسقون اى قد كفروا واصروا عليه حتى ماتوا على الفسق اى الخروج عن الطاعة قال الامام ابو منصور سمى الله تع الكفار والمنافقين فاسقين في آيات الله وان كان اسم الكافر والمنافق ابلغ في الذم من اسم الفاسق لان اسم الفاسق يانف منه كل ذى دين فانه خروج عما تدين به

فاخبر الله تع انهم مع ترتيبهم بالباطل فاسقون في معاملاتهم خارجون عن دياناتهم مستوجبون للمذمة بتلك الجهة ايضا ولا تعجبك اموالهم واولادهم قد مر التفسير ومعنى التكرير المبالغة في التاكيد والتقرير والامر حقيق به فان الابصار طامحة الى الاموال والاولاد والقلوب مرتبطة بهما والنفوس مغتبطة عليهما وانما عطف هنا بالواو دون الفاء لعدم صحة التفريع على ما تقدم بخلاف ما سبق فان للتفريع ثمه وجها على ما بين هناك انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا لا تحسبن ان تمكين النفاق من تنفيذ مرادهم وتكثير اموالهم واولادهم اسداء معروف من الله تع اليهم او اسباغ انعام من لدنه عليهم انما ذلك مكر بهم واستدراج لهم وامهال لا اهمال والله قدير متعال وتزهق انفسهم وهم كافرون فيعذبون بالنار في الدار القرار ابدا واذا انزلت سورة بتمامها على الحقيقة او بعضها على المجاز لانه علم للمجموع المعين بخلاف القرآن والكتاب فانه يقع على كل منهما على الكل والبعض على الحقيقة ان آمنوا بالله ان هى المفسرة وجاهدوا مع رسوله اى جاهدوا الكفار متابعين لرسول الله صلعم استأذنك اولوا الطول منهم ذووا الفضل والسعة من طال عليه طولا وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين الذين قعدوا عن الجهاد بعذر رضوا بان يكونوا مع الخوالف من النساء جمع خالفة وقيل معناه مع الخساس من قولهم فلان خالفة قوم اذا كان دونهم في اسباب الفضل وهذا تعيير لهم وذم وطبع على قلوبهم اى ختم عليها انما عطفه على ما تقدم بالواو دون الفاء تنبيها على ان الطبع المذكور ليس اثر الرضاء المذكور بل الامر بالعكس فهم لا يفقهون فضل ما في الجهاد من السعادة الآجلة على ما في تركه من الراحة العاجلة ورجحان ما في التخلف من الشقاوة الباقية على ما في عمومه من المشقة الزايلة وعلى هذا يظهر وجه ايثار لا يفقهون على لا يعلمون وايضا فيه تنبيه على ان اثر الطبع ازالة الفطنة لا ازالة الفهم راسا فهى تنافي بقاء التكليف لكن الرسول استدراك عما تقدم من جهة المعنى فان قوله تع رضوا الخ في معنى لم يجاهدوا اصلا والذين آمنوا اى المخلصون من المؤمنين وانما اتى معه افادة لمعنى التبعية له عم جاهدوا باموالهم وانفسهم اى ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم واخلص نية كقوله تع فان استكبروا فالذين عند ربك لا يستكبرون صرح هاهنا بما فهم من تعريضه واولئك لهم الخيرات انما اتى بالواو وعطف على مضمر كانه قيل فاولئك لهم النصرة والغلبة والمراد من الخيرات منافع الغنائم فانها جمع خيرة تخفيف خيرة وهو المستحسن من كل شيء وكثر استعماله في النساء ومنه ما في قوله تع فيهن خيرات حسان ولهذا قيل اريد هاهنا الحور واولئك هم المفلحون الذين ادركوا بغيتهم في الآخرة والحصر في المواضع الثلثة اضافى اعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الانهار بيان وجه ادراكهم البغية خالدين فيها ذلك الفوز العظيم قد مر ما يتعلق به من التفسير وجاء المعذرون

من الاعراب ليؤذن لهم يقال اعذرت الى فلان اى تحكمت بالعذر فعذرنى اى قبل عذرى
واعتذرت اليه اى اقمت العذر الصحيح على امرى وعذرت بالتشديد اى اتيت بما هو فى صورة
العذر ولا عذر لى فيه حقيقة والآية قرئت بالتخفيف وهو قراءة ابن عباس رضه وبالتشديد
وهو قراءة سائر الناس فبالتخفيف من اعذر وبالتشديد من اعتذر على ادغام التاء فى الذال
ونقل حركتها الى العين اخبارا عن قوم اتوا بالعذر الصحيح فعذروا بالتشديد من عذر
اخبار عن اعراب تكلموا بالعذر ولا عذر لهم فلم يعذروا وفى الآية لهم وجملته ان نزول
السورة فى الجهاد صار الناس على اصناف منافقوا اهل المدينة وقد ذكرهم فى قوله استاذنك
اولوا الطول منهم والمخلصون وذكرهم فى قولهم والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم
وانفسهم واعراب اهل البادية ممن لهم عذر حقيقة او لا عذر لهم وذكرهم الله تع فى هذه
الآية على الفريقين واخرون من الاعراب تخلفوا من غير استيذان وذكرهم فى قوله وقعد الذين
كذبوا الله ورسوله فى ادعاء الايمان ودليله قراءة ابى كذبوا الله بالتشديد سيصيب الذين
كفروا منهم من الاعراب وانما قال الذين كفروا منهم لان منهم من اعتذر للتساهل لا للكفر عذاب
اليم فى الدنيا بالقتل وفى الآخرة بالنار وقوم اخرون من ضعفاء المسلمين لم يكن لهم عدة فجاؤا
واستاذنوا وذكرهم فى قوله ليس على الضعفاء الذين لا قوة لهم بسبب كبر سن او زمانة
او عرج او عمى او غير ذلك ولا على المرضى الذين بهم علة يرجى زوالها الا انه لا طاقة به فى الحال
اذا نصحوا لله ورسوله النصح لله ولرسوله الايمان بهما وطاعتهما فى السر والعلن القيام بما
يعود على الاسلام والمسلمين بالصلاح قولا وفعلا كما يفعل الناصح لمن ينصحه ويندرج فيه
اندراجا اوليا ما قبل اى لم يثبطوا غيرهم من الموسرين والاصحاء عن الخروج ولم يوهموا ان
قعودهم كان لجواز التخلف لكل من اراده بل يبينوا سبب تخلفهم ويحفظوا الغازى فى اهله
وقاموا بما يليق بهم عند خروجهم واسبابهم فلحقوهم بالمعونة ما على المحسنين من سبيل
اى ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل وانما وضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على
انهم موصوفون بصفة ينافى العتاب فيفيد المدح فيندرج المدح والتعليل والله غفور
رحيم للمسئ فكيف للمحسن ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم عطف على الضعفاء اى ولا
حرج ايضا على الاقتاء الذين لا يستطيعون المشى يحتاجون الى المركب وجاؤا يسألون
ان تعطيهم مركبا تحملهم عليها يقال حمل الامير فلانا اذا اعطاه مركبا قلت لا اجد ما احملكم
عليه حال من الكاف فى اتوك باضمار قد كقوله او جاؤكم حصرت صدورهم اى اذا ما
اتوك قائلا لا اجد تولوا جواب اذا ويجوز ان يكون جوابا اذا قوله قلت واعينهم تفيض
الفيض هو السيلان عن الامتلاء من الدمع من للبيان كما فى قولك افديك من رجل فمحل
الجار والمجرور النصب على التمييز ورد بان التمييز الذى اصله فاعل لا يجوز جره

بمن اصل الكلام تفيض دمعها فعدل الى ما ذكر ليكون ابلغ كان العين كلها دمع فائض
حزنا مفعول له او حال او مصدر لفعل دل عليه ما قبله الا يجدوا اى لئلا يجدوا متعلق
بحزنا او بتفيض ما ينفقون فى مغازيهم فيه دلالة على انهم مندرجون تحت قوله ولا على
الذين لا يجدون ما ينفقون حرج ويجوز ان يكون قوله ولا على الذين معطوفا على المحسنين
عطف الخاص على العام ويحسن هذا قوله انما السبيل معرفا بالالف واللام اذ عاد الى النكرة
وكلمة انما ليست للحصر بل هى للمبالغة فيما يريد تقريره كما فى قولك انما الشجاع عنترة على الذين
السبيل قد توصل بعلى وبالى غير ان وصلها بعلى مقتضى صفة المتوصل اليه وقلة منفعة فلذلك
حسنت فى هذه الآية يستاذنونك وهم اغنياء واجدون الاهبة رضوا بان يكونوا مع
الخوالف وطبع الله على قلوبهم استيناف كانه قيل ما لهم يستاذنوا وهم اغنياء فقيل رضوا
بالضعة والدناءة والانتظام فى سلك الخوالف ايثارا للدعة وفائدته بيان سبب الاستيذان
مع الغنى وهو ان رضاءهم بالدناءة والطبع على قلوبهم بالخذلان حتى غفلوا وجهلوا
وخامة عاقبتهم فهم لا يعلمون مغبته قد حصر المعذورين فى التخلف فى ثلثة اقسام الذين
فقدوا الاستطاعة البدنية والذين عدموا الاستطاعة المالية والذين استحملوا فلم يجد
ما يحملهم عليه يعتذرون اليكم فى التخلف خطاب للصحابة رض اذا رجعتم اليهم من هذا السفر
قل لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة لن نؤمن لكم علة للنهى عن الاعتذار لان غرض المعتذر
ان يصدق فيما يعتذر فلا يعاتب فاذا لم يصدق يترك الاعتذار قد نبانا الله من اخباركم
علة لانتفاء التصديق انما علمنا بالوحى الى نبيه بعض اخباركم وهو ما فى ضمائركم من الشر
والفساد وسيرى الله عملكم رؤية العمل فى مثل هذا المقام يكون كناية عن فصل الرائى ما يستحقه
العامل بسببه اى سيرى الله تع اتنيبون اليه وتتوبون ام تثبتون على الكفر وتصرون عليه
فيه وعيد بالاساءة فى الدنيا ووعد بالاحسان فيها وتقديم عملكم على قوله ورسوله للفصل
بين الرؤيتين تنبيها على ان الثانى على حقيقته والمراد موجبها وهو العضاضة على تقدير
الثبات على الكفر ولا يخفى انه فى غاية الايجاز والفصاحة ثم ان عبارة التسويف اشارة الى
الامهال لتدارك الانابة ففى الكلام استنابة على اللطف وجه وانما قلنا ان ما ذكر من الوعد و
الوعيد فى الآخرة وفيه تدارك لما عسى ان يذهب اليه الوهم من قوله وسيرى الله الى ما لا يليق
بشانه تع من الحاجة الى الرؤية وسبق علمه ببعض الاشياء بالفعل عنه ولهذا وضع عالم
الغيب والشهادة موضع الضمير اى لا يخفى عليه خافية مما فى قلوبكم ولا بارزة مما يظهر على السنتكم
وجوارحكم فيما ذكم به فينبئكم على رؤس الاشهاد بما كنتم تعملون تشهيرا لحالهم وتغييرا لهم
وتذكيرا لما ذهب عن خيالهم وبالهم على ما افصح عنه فى موضع آخر بقوله فينبئهم بما عملوا
احصاه الله ونسوه فيميزون عنده المسارعة بهم الى النار بما يحقهم به من الخزى والعار

سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم لما ذكر انه يصدر عنهم الاعتذار اخبر انهم
سيؤكدون ذلك الاعتذار الكاذب بالحلف بالله وان سبب الحلف طلبهم ان تعرضوا عنهم اعراض
صفح فلا تلوموهم ولا توبخوهم فاعرضوا عنهم اى فاجيبوا الى طلبتهم وتعليل الاعراض عنهم
بقوله انهم رجس دلالة على انه اعراض مقت اى يستقذرون بالنظر واعلنه النفاق فيجب
مباعدتهم واجتنابهم كما قال فى الآية الاخرى رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه وهذا اولى
مما قيل لا ينفع فيهم التانيب فان المقصود منه التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس لا تقبل
التطهير لان قوله ومأويهم جهنم يفيد هذا المعنى اى انهم ارجاس من اهل النار لا يجدى فيهم
التوبيخ والافادة خير من الاعادة اللهم الا ان يقال انه تعليل آخر اى كفتهم جهنم عتابا وتوبيخا
فلا تتكلفوا انتم عتابهم جزاء بما كانوا يكسبون مصدر مؤكد او مفعول له او حال من جهنم
يحلفون لكم حذف المحلوف به واثبت فيما تقدم اكتفاء بذكره مرة كما فى قوله تع اذ اقسموا
ليصرمنها وقوله تع واقسموا بالله لترضوا عنهم اى غرضهم من الحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم
فى دنياهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اى فان رضاكم لا ينفعهم
اذا كان الله تع ساخطا عليهم لان سخطه تع يورث عقوبة الدنيا والآخرة ورضاكم لا يستلزم
رضاه والعدول عن المضمر الى الظاهر للتسجيل عليهم بالفسق وللدلالة على ان سخطه تع عليهم
سبب عن فسقهم فلا يحصل رضاه ما داموا فاسقين وعلى ان الحكم عام وان كان سبب الورود
خاصا فان العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب والمراد نهيهم عن الرضاء عنهم والاغترار
بمعاذيرهم لما ذكر حلفهم فيما سبق لاجل الاعراض جاء الامر بالاعراض هنا لانها تتنوع بحسب
الاعراض فيكون على مقتضى الحكمة ولا كذلك الرضاء وقد ذكر ههنا الحلف لاجل الرضاء وابرز النهى
عنه فى صورة الشرطية اخراجا له مخرج المترقب وفيه لانه من الامور القلبية بخلاف الاعراض فانه محسوس
مشاهد وجعل جوابه انتفاء رضى الله عنهم فصار رضى المؤمنين ابعد شيء من الوقوع لان اللائق
بهم ان لا يرضون عمن لا يرضى الله عنهم الاعراب سكان البوادى اشد كفرا ونفاقا من اهل
الحضر لانهم كانوا فى البوادى ولا محالة ان خوفهم هناك اقل من خوف منافقى المدينة فالسنتهم
لذلك الحلق ونفاقهم اشد ازالة النفاق عن قلبهم واجدر ان لا يعلموا واحق بان لا يعلموا لبعدهم
عن رسول الله صلعم وغيبتهم عن مجالسه وقلة ما يرد عليهم من مواعظ القرآن حدود ما انزله
الله على رسوله من الاوامر والنواهى لقوله تع كل واحد من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب
به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا ذكر العلم بعد العمل ابلغ وعد ووعيد والحكم بشارة وتهديد
ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق يصرفه فى سبيل الله ويتصدق مغرما غرامة وخسرانا اى يجعله
مقصدا ولا يرى فيه غير ذلك لا يحتسبه عند الله ولا يرجو عليه ثوابا وانما ينفق رياء او
تقية واصل المغرم الدين ومنه تعوذ رسول الله صلعم من المغرم والمأثم ولكن كثر استعماله

فيما يؤديه الانسان مما لا يلزمه بحق وفى لفظ معنى اللزوم ومنه قوله تع ان عذابها كان غراما
ويتربص بكم الدوائر الدائرة فى الاصل مصدر سمى به كالعاقبة او اسم فاعل دار يدور سمى
به عقبة الزمان التى لا مخلص عنها فهى تحيط بالشخص كما تحيط الدائرة ويحتمل ان يؤخذ من دوران الزمان
اى ينتظر لكم ما يأتى به الايام ويدور به النوائب لينقلب الامر عليكم فيتخلصون من النفاق عليهم
دائرة السوء دعاء عليهم بنحو ما تربصوا به معترض كقوله تع وقالت اليهود يد الله مغلولة
غلت ايديهم والسوء بالفتح وهو ذم للدائرة اضيف اليه كقولك رجل سوء لان من
دارت اليه ذمها بالسوء وقرئ بضم السين قيل بالفتح المصدر وبالضم الاسم وقال
ابو على معنى الدائرة يقتضى معنى السوء فانما هى اضافة بيان وتاكيد كما قالوا شمس النهار
ولحيا راسه ولا يقال رجل سوء الا بفتح السين ولهذا لم تختلف القراء فى فتح السين
فى قوله تع ما كان ابوك امرأ سوء والله سميع لما يظهرونه عند الانفاق عليم بما يضمرونه
من النفاق ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر لما ذكر من يتخذ ما ينفق مغرما
ذكر مقابله وهو ما يتخذ ما ينفق مغنما وذكر ههنا الاصل الذى يترتب عليه نفاق المال
فى القربات وهو الايمان بالله تع واليوم الآخر اذ جزاء ما ينفق انما يظهر ثوابه الدائم
فى الآخرة واكتفى ثمه بذكر نتيجة الكفر وهو اتخاذ ما ينفق مغرما والتربص بالمؤمنين
الدوائر ويتخذ اى يجعله مقصدا ما ينفق قربات عند الله سبب قربات وهى ثانى مفعول
يتخذ عند الله صفتها او ظرف ليتخذ وصلوات الرسول سبب صلوته لانه عم كان يدعو
للمتصدقين ويستغفر لهم ولذلك سن للمصدق ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته
لكن ليس له ان يصلى عليه كما قال عم اللهم صل على آل ابى اوفى لانه منصبه فله ان يتفضل به
على غيره اقيم المسبب مقام السبب فى الموضعين لقوة الاستلزام وشدة التشوق الى
اللازم الا انها قربة لهم شهادة من الله تع للمتصدق بصحة ما اعتقده على ابلغ الوجوه
من التاكيد بالاستيناف والاداتين المفيدين للتحقيق وثبات الامر وتمكنه وتنكير قربة
للتعظيم والضمير لنفقتهم سيدخلهم الله فى رحمته تصديق لرجائهم على ما فى السين
من تحقيق الوعد باحاطة الرحمة عليهم وما اقوى دلالة هذا الكلام على رضى الله تع
عن المتصدقين وان الصدقة من الله تع بمكان اذا خلصت النية من صاحبها ان الله غفور
رحيم استيناف لتقريرها وعد لهم والسابقون الاولون من المهاجرين الذين صلوا
الى القبلتين وقيل هم الذين شهدوا بدرا والانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا
سبعة نفر واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة
مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على السابقون والذين اتبعوهم اللاحقون بالسابقين
من القبيلتين او الذين اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيمة باحسان باخلاص

قال تعالى بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن رضي الله عنهم لطاعتهم واعمالهم ورضوا عنه
لما افاضه عليهم نعم الدينية والدنيوية واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار وقرئ
من تحتها خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وقد مر تفسيره وممن حولكم اي حول
بلدتكم وهي المدينة من الاعراب منافقون وهي جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار
ومن اهل المدينة عطف على ممن حولكم او خبر لمحذوف صفته مردوا على النفاق اي تدربوا
فيه ومرنوا عليه ولجوا فيه وهو يستعمل في الشر لا في الخير ونظيره في حذف الموصوف واقامة
الصفة مقامه قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا وعلى الاول صفة للمنافقين فصل بينها و
بينه بالمعطوف على الخبر او كلام مبتدأ لبيان تمرنهم في النفاق لا تعلمهم لا تعرفهم
باعيانهم بيان لقوله تعالى مردوا على النفاق اي بلغوا من مهارتهم فيه الى ان خفي حالهم
عليك مع كمال فطنتك وصدق فراستك لتنوقهم في توقي مواضع التهم نحن نعلمهم
تاكيد للبيان لا فايدة تقديم الضمير التخصيص اي لا يعلمهم الا الله وحده ولا يطلع على سرهم
غيره لشدة ابطانهم الكفر واظهار الاخلاص وحمل مردوا على الاستيناف ابلغ وانسب
لهذه المبالغة سنعذبهم فيه تحقيق لعذابهم بموجب علمه مرتين بالفضيحة والقتل
او باحدهما وعذاب القبر او باخذ الزكوة ونهك الابدان ويحتمل ان لا يراد بها شفع العدد
بل يكون المعنى على التكثير كقوله ثم ارجع البصر كرتين اي مرة بعد مرة ثم يردون الى عذاب
عظيم اي عذاب النار في دار القرار وآخرون اعترفوا بذنوبهم اي لم يعتذروا بالمعاذير
الكاذبة من تخلفهم واعترفوا بتقصيرهم ومخالفتهم نادمين وهم طائفة من المتخلفين
اوثقوا انفسهم على سواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله صلعم
فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فرآهم فسأل عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا
انفسهم حتى يحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم خلطوا
عملا صالحا هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب وآخر سيئا هو التخلف وموافقة
اهل النفاق والواو في الخلط ابلغ من الباء لدلالتها على كون كل منهما مخلوطا ومخلوطا به
بخلاف الباء لافادتها ان يكون احدهما مخلوطا والآخر مخلوطا به ويجوز ان يكون بمعنى الباء
والمفعول محذوف وعملا بدل منه من قولهم بعت الشاء شاة ودرهما عسى الله ان
يتوب عليهم اي يقبل توبتهم وهي مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم قال الكلبي عسى
من الله تعالى واجب اي هو اطماع والطماع الكريم ايجاب ان الله غفور رحيم يتجاوز عن
التائب ويتفضل عليه قال بعض العلماء المسيء منا الى مخلوق اذا خافه لم يتخلص من ذلك
الا بشيئين الانكار والفرار والمسيء في حق الله تعالى لا ينجيه الا شيئان الاقرار والفرار
قال قائلهم اقرر بذنبك ثم اطلب تجاوزنا واعلم بان جحود الذنب ذنبان خذ

من اموالهم صدقة روي انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك
فتصدق بها وطهرنا فقال عم ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت تطهرهم عن الذنوب
او حب المال المؤدي بهم الى مثله صفة لصدقة والتاء للخطاب او لغيبة المؤنث وقرئ تطهرهم
من اطهره بمعنى طهره وقرئ تطهرهم بالجزم جوابا للامر ولم تقرؤا وتزكيهم الا باثبات الياء
والتزكية مبالغة في التطهير وزيادة فيه او الانماء والبركة في المال بها بالصدقة وصل عليهم
واعطف عليهم وترحم بالدعاء والاستغفار لهم ان صلوتك سكن لهم يسكن اليها نفوسهم
وتطمئن قلوبهم بان الله تعالى قبل توبتهم وجمعها لتعدد المدعو لهم والله سميع باعترافهم
بذنوبهم عليم بما في ضمائرهم من الغم والندم وصدقة التوبة الم يعلموا الضمير اما للمتوب عليهم
والمراد ان يمكن في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم او لغيرهم والمراد التحضيض عليهما
ان الله هو يقبل التوبة اذا صحت لا رسوله ولا غيره عن عباده تعديته بعن لتضمنه معنى
التجاوز ويأخذ الصدقات اذا صدرت عن خلوص النية واخذها مجاز عن قبولها كناية عن
اعطاء الثواب في مقابلتها كما هو شان الكريم وان الله هو التواب الرحيم وان من شانه قبول
توبة التائبين مرة بعد اخرى والتفضل عليهم بالتجاوز عما وقع بين التوبتين والواو للعطف
على مقدر كانه قيل ان الله هو البر الكريم تعليل للكناية المذكورة وحذف اداة التعليل مع آية قبلها
وتقديمه على ما ذكر في تعليل قبول التوبة للتقريب بين التعليل والمعلل بهما امكن فتأمل وقل اعملوا
ما شئتم ظاهرا او باطنا وعد ووعيد والخطاب للجميع فسيرى الله عملكم خيرا كان او شرا وقد مر
بيانه ورسوله والمؤمنون في الخبر لو ان رجلا عمل في صخرة لا باب لها ولا كوة لخرج عمله الى
الناس كائنا من كان وستردون الى عالم الغيب والشهادة قد مر بيانه وانما اتى ههنا بدل
ثم حرف التعقيب لان كل آت قريب ولان الرد عند الموت وهو محتمل في كل آن والمقام مقام
التحذير فلا يناسبه اداة التسويف فينبئكم بما كنتم تعملون وعد في حق المحسن ووعيد في حق
المسيء وآخرون من المتخلفين مرجون قرئ بالهمزة من ارجاه وبغير الهمزة من ارجيه و
معناه مؤخرون اي موقوف امرهم لامر الله تعالى اي الى امر الله تعالى في شانهم اما يعذبهم ان
اصروا ولم يتوبوا واما يتوب عليهم ان تابوا والترديد لنا وللدفع ومنهم ان يكون له تعالى
قال والله عليم باحوالهم ونياتهم حكيم فيما يفعل بهم ويدخل فيه ارجاؤهم لا اوليا
وقرئ غفور رحيم والمراد بهم كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول
الله صلعم اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما راوا ذلك اخلصوا نياتهم ونصحت
توبتهم فرحمهم الله تعالى والذين اتخذوا مسجدا عطف على آخرون او نصب على الذم او خبر مبتدأ
محذوف تقديره ومنهم الذين او مبتدأ خبره محذوف اي فيمن وصفنا الذين اتخذوا والواو
عاطفة الجملة على الجملة وقرئ بغير واو فاحتمل ان يكون بدلا من قوله وآخرون وان يكون خبر

مبتداء محذوف او مبتداء محذوف الخبر واتخذ واهنا تعدى بواحد كما في قوله
اتخذت بيتا اى عملته وضرارا اى مضارة مفعولا لاجله لما ذكر طريق ذميمة للاصناف
المنافقين اقوالا وافعالا ذكر ان منهم من بالغ في الشر حتى ابتنى مجمعا للمنافقين
يدبرون ما شاؤا فيه من الشر وسموه مسجدا وكفرا وتقوية للكفر الذي يضمرونه روى
ان بني عمرو بن عوف لما بنى مسجد قبا سالوا رسول الله صلعم ان ياتيهم فاتاهم فصلى فيه
فحسدتهم اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا على قصد ان يؤمهم فيه ابن عامر الراهب
اذا قدم من الشام وتفريقا بين المؤمنين المجتمعين على الصلوة في مسجد قبا لانهم ارادوا
ان يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم وارصادا وترقبا لمن حارب الله لاجل من حارب الله يعني الراهب
فانه قال لرسول الله صلعم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله
الى يوم حنين انهزم مع هوازن وهرب الى الشام ليأتي من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله
ومات بقنسرين وحيدا ورسوله ذكر الله تع تمهيد لتعظيم امر محاربته من قبل متعلق
بحارب او باتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف لما روي انه بنى قبل غزوة
تبوك فسالوا رسول الله صلعم ان ياتيه فقال انا على جناح سفر واذا قدمنا ان شاء الله
صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فنزلت فدعا بجماعة منهم او وحشي فقال لهم انطلقوا الى هذا
المسجد الظالم اهله فاهدموا واحرقوه ففعلوا واتخذ مكانه كناسة وليحلفن ان اردنا الا
الحسنى ما اردنا ببنائه الا الخصلة الحسنى او الارادة الحسنى وهي الصلوة والذكر والتوسعة
على المصلين فانهم متى قالوا لما اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما تموا بناءه انا قد
بنينا مسجدا لذي الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية والله يشهد انهم لكاذبون
في حلفهم لا تقم فيه ابدا اراد القيام للصلوة كما في قوله عم من صام رمضان وقامه
لمسجد اسس على التقوى يعني مسجد رسول الله صلعم اسس لاحياء دين الله تع
واظهار شريعة النبي عم لا يقوم بها الا من اتقى الله تع قال ابو سعيد الخدري عن ابي
ابن كعب انه قال النبي عم هو مسجدي هذا من اول يوم من ايام وجوده وقيل هو
مسجد قبا لانه هو اوفق للقصة والاول هو الاوصل لانه لا يقترن مع الحرج لانه اوفق لقوله
احق ان تقوم فيه اولى بان تصلي فيه فيه رجال التنكير للتعظيم يحبون ان يتطهروا
من المعاصي والخصال المذمومة طلبا لمرضاة الله وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها
استيناف تعليل يتضمن الاشارة الى ان صلاح جماعة من اسباب ترجيح الصلوة
في مسجدهم والله يحب المتطهرين يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه ادناء المحب حبيبه
روي انه عم قال يا معشر الانصار رايت الله اثنى عليكم بالطهور فماذا تفعلون عند
الغايط فقالوا نتبع الاحجار الثلثة ثم نتبع الاحجار الماء فقال رجال يحبون ان يتطهروا

افمن اسس بنيانه بنيان دينه على تقوى من الله ورضوان على قاعدة محكمة هي التقوى
من الله تع وطلب مرضاته بالطاعة خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار على
قاعدة هي اضعف القواعد وادخلها الشفا الحرف والشفير وجرف الوادي جانبه الذي
حرف اصله السيول وتخفر بالماء فبقي واهيا من الجرف وهو انقلاع الشيء من اصله والهار
الهائر وهو المتصدع الذي اشفى على الهدم والسقوط لما استعار الجرف الهائر لما يقابل التقوى
بقاعدة قوية محكمة على طريق الاستعارة بالكناية ولهذا نكر التقوى للتعظيم ووصفها بكونها من الله تع ثم رشح الاستعارة بالكناية بقوله فانهار به في نار جهنم فان الجرف الهائر
سهل الانهيار لخوره وقلة ثباته واستمساكه وهو تصوير لسرعة اداء الباطل الى هوى
صاحبه في قعر جهنم كانه بنى على حرف واد من اودية جهنم حرف اصله السيل ويقهم منه ان تأسيس
الذي يقابله على امر يحفظ عن النار ويوصله الى الرضوان الذي هو مقتضيات الجنة ولذلك
عطف الرضوان على التقوى وجعلا كانهما امران متلازمان ونكر كالتقوى اشعارا بان تلازمهما
بحيث كلما يلزم احدهما يلزم الآخر ولا ترى ابلغ من هذا الكلام ولا ادل على ما هو المقصود منه
وانما لم يقل فوقع في نار جهنم لانه ما دام حيا امكنه ان يخلص فيتخلص ولا يقع فيها والله لا يهدي
القوم الظالمين اى لا يهديهم من حيث هم ظالمون الى ما فيه صلاح ونجاة وقد مر ان نفي الهداية
في مثل هذا على طريقة تنزيل العلم الا انزله منزلة العدم والا فالله هادي الكل الى مصالحهم لا يزال
بنيانهم الذي بنوا بناؤهم الذي بنوه مصدر اريد به المفعول وقيل هو جمع واحده بنيانة
وصح يكون الذي والاخبار بقوله ريبة في قلوبهم عن المضاف المحذوف اي بناء بنيانهم الذي بنوها
سبب ريبة فانه حملهم على ذلك ثم لما هدمه رسول الله صلعم رسخ ذلك في قلوبهم الا ان تقطع
قلوبهم قطعا بحيث لا يبقى لها قابلية الادراك والاضمار فالتقطيع تصوير لامتناع زوال
الشك عن القلوب مع بقائها وان زواله لا يكون الا بزوالها وهو في غاية المبالغة والاستثناء
من اعم الازمنة اى وقت ان تقطع وهو في محل النصب على الظرف ويجوز ان يكون المراد حقيقة
التقطيع بالقتل او في القبور او في النار وقيل معناه الا ان يتوبوا توبة يتقطع بها قلوبهم
ندما واسفا على تفريطهم وقرئ بحرف الانتهاء وتقطع بمعنى تتقطع وقرئ يقطع بالياء وتقطع
بالتخفيف وتقطع على خطاب لرسول عم او لكل مخاطب وقرئ ولو قطعت على البناء والله
عليم بضماير العباد حكيم في التمييز بين اهل الصلاح واهل الفساد فيه خلل في الاول بانهم
وفي الثاني لا مر الوارد في حقهم دخلا اولا ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم
بان لهم الجنة استعار الاشتراء لاثابتهم الجنة على بذل الاموال والانفس في سبيل الله تع ولم يقل
بالجنة مدحا لهم باعتبار انهم بذلوا انفسهم واموالهم لمجرد الوعد وفيه كمال تعظيمهم بوعد
وايضا تمام الاستعارة المذكورة به اذ لا بد لها من قرينة مانعة عن ارادة الحقيقة ولو قيل

بين البناء الذي بنى على التقوى والنفاق والغدار
عبرانه بشبه الحقالذي هو التقوى

بالجنة لم توجد تلك القرينة لان الجنة صالحة لان تكون احد العوضين بخلاف بانها يقاتلون في
سبيل الله استيناف ببيان الاشتراء لاجله الشراء وقيل خبر بمعنى الامر كقوله تع تجاهدون
في سبيل الله باموالكم وانفسكم اظهارا لاهتمامهم بالمامور به كانهم يسارعون الى الامتثال
فاخبر عنه فعلى هذا يكون الاشتراء تمهيدا له فيقتلون ويقتلون تفصيل لمقاتلتهم وبيان لاحرازهم
فضيلة الجهاد وقرئ بتقديم المبني للمفعول وبناؤه على اسناد فعل البعض الى الكل وفيه دلالة
على ثبات قلوبهم وجراءتهم على العدو وحيث لم ينكسروا بان قتل بعضهم كما قال تع وكاين من
نبي قتل معه ربيون كثير فما وهنوا وقيل في توجيهه ان الواو لا يوجب الترتيب وهو لا يجدي لان
تقديم ما حقه التاخير لا يكون بسلامة الامر وعدا عليه مصدر مؤكد لما دل عليه قوله بان لهم
الجنة حقا صفة في التورية والانجيل والقران اي اوحي به الى انبيائه واثبته في كتبه ومن اوفى
بعهده من الله مبالغة في انجاز الوعد وتقرير لكونه حقا فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به
فافرحوا به غاية الفرح فانكم تبيعون فانيا بباق وتاخذون ثمنا من مشتري بمبيع هو ملكه
وعنده ثم لا يخرج عن يديكم بهذا البيع الا حيوة منقضة فانية ومال قليل تافه تعتاضون منهما
حيوة مهناة دائمة ونعما في جنات الخلد باقية خاطبهم على سبيل الالتفات تشريفا لهم
واستبشر فعل جاء فيه استفعل بمعنى افعل وليس هذا من معنى الطلب في شيء كعجب واستعجب وذلك
اي البيع هو الفوز العظيم لانه الوصول الى الحظ الاغبط من حط الذنوب ودخول الجنة
بلا حساب التائبون رفع على المدح اي هم التائبون والمراد بهم المؤمنون المذكورون
والدليل عليه قراءة التائبين الى قوله والحافظين نصبا على المدح او جرا صفة للمؤمنين ويجوز
ان يكون مبتدا خبره محذوف اي التائبون الموصوفون بهذه الصفات من اهل الجنة وان لم يجاهدوا
كقوله تع وكلا وعد الله الحسنى او خبره العابدون وما بعده خبر بعد خبر اي التائبون من الكفر على
الحقيقة هم الجامعون لهذه الصفات العابدون الذين عبدوا الله تع وحده مخلصين له
الدين الحامدون لنعمائه او لما نابهم من السراء والضراء السائحون اي الصائمون لقوله عم
سياحة امتي الصيام شبهها بها من حيث انه يعوق عن الشهوات او لانه رياضة نفسانية يتوصل
بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت او السائرون للجهاد او طلب العلم الراكعون الساجدون
في الصلوة الامرون بالمعروف بالايمان والطاعة والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي و
العاطف هنا للدلالة على انهما بمنزلة خصلة واحدة كانه قال والجامعون بينهما وفي قوله والحافظون
لحدود الله اي فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع لانه من تمام تلك الخصلة فان لم يعد
فعله قوله ولم يوافق حاله مقاله لا يجدي امره نفعا ولا يفيد نهيه ردعا ومن لم يثبته لهذا فانه
انه للتنبيه على ان ما قبله مفصل الفضائل وهذا مجملها وليت شعري ما وجه الدلالة في العاطف
على هذا وقيل انه للايذان بان التعداد قد تم بالسابع من حيث ان السبعة هو العدد التام

والثامن ابتداء تعداد اخر معطوف عليه ولذلك سمي واو الثمانية ونقف باذن الله تع على ما فيه
في موضعه وبشر المؤمنين يعني بهم هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ووضع المؤمنين
موضع ضميرهم اشعارا بان الايمان هو الباعث على هذه الخصال وان الكامل في الايمان من كان
على الصفات المذكورة وحذف المبشر به للتعظيم كانه قيل وبشرهم بما يجل عن الوصف
واحاطة الافهام والتعبير عنه بالكلام ما كان للنبي فايدة دخول كان المبالغة في نفي الفعل الداخلة
هي عليه بتعديد جهة نفيه عموما باعتبار الكون وخصوصا باعتبار الاستغفار مثلا والذين امنوا
ان يستغفروا للمشركين ان يطلبوا المغفرة لهم ولو كانوا اولي قربى روي انه عم قال لابي
طالب لما حضره الوفاة قل كلمة احاج لك بها عند الله فابى فقال لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت
وفيه ان موت ابي طالب كان قبل الهجرة وهذا اخر ما نزلت بالمدينة لا يقال ما ذكرتم لو كان
نزول الاية عقيب موت ابي طالب وليس بلازم لجواز ان يكون النبي عم يستغفر له الى وقت
نزول الاية لانا نقول الظاهر من قول الراوي فنزلت انما هو التعقيب بلا تراخ وانما قال
للمشركين دون للكافرين لان منهم من هو معذور كالذي لم يبلغه الدعوة فلا نهي عن الاستغفار
لهم وذكر الثعلبي ان النبي عم زار قبر امه في الف فارس وهو يريد ان يستغفر لها فلما قام
عند قبرها فاذا هو بجبرائيل عم فوضع يده على صدره وتلا هذه الاية فبكى النبي ع وبكى المسلمون
فما روي يوما اشد باكيا من يومئذ من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم لانهم ماتوا على الشرك
خاصة بل به وبنزول الوحي فيه فلا يختص النهي بالذين ماتوا على الشرك وانما قال من بعد ما تبين
لعدم المنع عن الاستغفار قبل ذلك لانه طلب التوفيق للايمان اقتضاء ومن قال بحجية المفهوم
اتخذه دليلا على جواز الاستغفار للاحياء من الكفار مطلقا ولما ورد النهي عن الاستغفار
للمشركين قال الناس ان ابرهيم عم استغفر لابيه المشرك فنزلت هذه الاية وما كان استغفار
ابرهيم لابيه يعني بعد موته على الشرك لان الاستغفار له قبل الموت لا يصلح متمسكا للقائل
المذكور وذلك ظاهر فلا ينطبق سبب النزول الا عن موعدة وعدها اياه لقوله عم سلام
عليك سأستغفر لك ربي فانجز وعده فان انجاز الوعد واجب ولم يكن موته على الشرك
ظاهرا عنده عم كما هو الظاهر من قوله فلما تبين له انه عدو لله وهذا التبين عنده عم
كان يوم الجزاء على ما ورد في الحديث الصحيح تبرا منه لم يطلب مغفرة بعد ذلك ان ابرهيم
استيناف لبيان ما حمله عم على الاستغفار لابيه لاواه فعال من اوه وهو الذي يكثر التاوه
اي الترحم والتعطف ولغط نا وهو كان يعطف لابيه المشرك حليم صبور على الاذى ولذلك
كان يحلم عن ابيه ويحتمل اذاه ويستغفر له مع شكاسة خلقه وما كان الله قدمر وجه زيادة كان
في مثل هذا المقام ليضل قوما ما يخلق فيهم الضلال ومن قال ليسميهم ضلالا فقد دس فيه
مذهب الاعتزال بعد اذ هديهم للاسلام حتى يتبين لهم بالنهي عبارة او دلالة ما يتقون

ما يجب تداركه اى ليس من شانه تع تكليف الغافل فالمهتدى للاسلام اذا اقدم على بعض محظورات
الشرع انما يكون ضالا اذا كان اقدامه عليه بعد بيان حظره وكان فيه بيان عذر الرسول عم في
الاقدام على استغفاره لعمه وفيه دليل على ان تكليف الغافل غير واقع في شرايع الانبياء عم ان الله
بكل شيء عليم فيعلم حاجة الغافل الى البيان فيعذره فهو تتميم للبيان المذكور ان الله له
ملك السموات والارض لا شريك له يحيي ويميت يهدى ويضل وما لكم من دون الله من ولي ولا
نصير لما منعهم من الاستغفار للمشركين ولو كانوا اولى قربى واشار بقوله تبرأ منه الى وجوب
التبرء منهم بعد ما تبين حالهم بين ان الملك والحول والقوة كلها لله تع مراسا وانه الهادى
والمضل لا والى ولا ناصر لهم الا منه ليتولوه ويتوجهوا اليه بشراشرهم ويتبرؤا عما عداه حتى
لا يبقى لهم مقصود فيما ياتون ويذرون سواه لقد تاب الله على النبي قال ابن عباس رض هو العفو
عن اذنه للمنافقين بالتخلف عنه والمهاجرين والانصار قيل هو في حق زلات سبقت منهم يوم
حنين قال تع انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم فيه بعث للمؤمنين
على التوبة والمعنى ما من احد الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبي عم والمهاجرين والانصار قال تع
وتوبوا الى الله جميعا اذ لا احد الا وله حال يستنقص دونها ما هو فيه بالنسبة اليها فالترقي
منه اليها توبة من تلك النقيصة وفيه بيان لفضلها وشرفها بانها مقام الانبياء عم والصالحين
قال ابن عباس رض كانت السورة تدعى الفاضحة فلما نزلت هذه الاية سميت بها سورة التوبة
الذين اتبعوه امره عم في ساعة العسرة في وقتها فان الساعة في اللغة بمعنى مطلق الزمان و
العسرة الضيق والشدة والعدم وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة الظهر
يتعقب العشرة على بعير واحد والزاد حتى قيل ان الرجلين يقتسمان تمرة والماء حتى نحروا الابل
واعتصروا فروثها وفي شدة زمان من حمارة القيظ من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق اى
بعد ما قاربوا ان تميل عن اتباع الرسول عم في تلك الغزوة وانما اسند زيغهم الى القلب
اظهارا لكونه بمعنى الميل القلبي لا بمعنى الانحراف الغالبي منهم اى من المتبعين له عم وفي كاد
ضمير الشان او ضمير القوم والعائد عليه الضمير في منهم لم يقل زاغت بل قال كاد تزيغ ولم يقل
قلوبهم بل قال قلوب فريق منهم تنبيها على شركتهم كلهم في الزاد على قدم الثبات في مثل تلك
الحال وامتياز طائفة عن الباقين بقوة الثبات وفيه اشارة الى جهة استغفارهم لان سيتوب الله تع وما
في قوله منهم من الابهام انهم ليسوا من المهاجرين والانصار لعدم اختصاص التخيير له عم فيهما ما لا يخفى
من التعظيم لشانهما والترفيع لمكانهما عن مظنة التشنيع ثم تاب عليهم على الفريق الذى
كاد يزيغ قلوبهم لكيده وردتهم وعلى قراءة عبد الله من بعد ما زاغت قلوبهم وما تقدم في
حق زلات سبقت من المهاجرين والانصار في يوم احد وحنين لا يغني عن هذا فلا تكرير وفي
عبارة التراخي اشارة الى تاخر عفوهم الى تخلل المكث بينه وبين جريمتهم انه بهم مستانف

تعليل رؤف رحيم الجمع بين الاسمين للمبالغة والتاكيد وعلى الثلثة الذين هم الذين تقدم
فيهم واخرون مرجون معطوف على قوله والانصار خلفوا اخروا وترك امرهم لم يقبل منهم
معذرة ولا ردت عليهم فكانهم خلفوا عن المعذرين حتى اذا ضاقت عليهم انفسهم قلوبهم
الارض بما رحبت برحبها لاعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة الحيرة وضاقت عليهم
انفسهم قلوبهم من فرط الحيرة الوحشة والغم بحيث لا يسعها انس ولا سرور وظنوا علموا ان
لا ملجأ من الله من سخطه الا اليه بالتوبة والاستغفار جاء هذه الجمل في كنف اذا في غاية الحسن
والترتيب حيث ذكر اولا ما هو كناية عن ضيق المحل وثانيا ما هو كناية عن ضيق الحال والاول
لا يغني عن الثاني لانه قد يضيق المحل ويكون النفس منشرحة وثالثا ما هو كناية عن الياس عن
الناس والانقطاع الى الله تع وحده اذ كل غاية تقديره وخلفوا الى هذه الغاية ثم تاب
عليهم وفقهم للتوبة ليتوبوا او انزل قبول توبتهم ليصيروا من جملة التائبين او رجع عليهم
بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم بقرينة الاستيناف لتعليل بقوله ان الله
هو التواب لمن تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة الرحيم المتفضل عليهم باصناف النعم ومتمم
بانواع النعم يا ايها الذين امنوا اتقوا الله فيما لا يرضاه وكونوا مع الصادقين الذين صدقوا
في دين الله تع قولا وعملا او في ايمانهم ومعاهدتهم الله تع ورسوله عم على الطاعة او في
توبتهم وانابتهم فيكون المراد هؤلاء الثلثة واضرابهم وقرئ من الصادقين ونسبة
الزائغة الى المعاني المذكورة على السواء ما كان لاهل المدينة اى ما صح وما جاز لهم ومن
حولهم من الاعراب كمزينة والاشجع واسلم وجهينة وغفار ان يتخلفوا عن رسول الله
معاتبة للمؤمنين من اهل يثرب وقبايل العرب المجاورة لها على التخلف عن رسول الله
صلعم في غزوة ونهيهم منها الامر على ابلغ وجه بملازمته عم اينما توجه غازيا وبذل
النفوس دونه ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه اى ولا ان يرغبوا عطفا على الاول وعن
اذا تعدى بعن والباء يفيد معنى الترك والاعراض وقال المعنى ولا يرضوا ان يكونوا في
خفض ودعة ورسول الله صلعم في شدة ونصب روي ان ابا خيثمة بلغ بستانه وكانت
له امرأة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد
فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله صلعم
في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد
رسول الله صلعم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه
ففرح به رسول الله صلعم واستغفر له وفي لا يرغبوا بجواز النصب والجزم ذلك اشارة
الى وجوب متابعته عم المدلول عليه بقوله ما كان لهم ان يتخلفوا بانهم بسبب انهم
لا يصيبهم ظمأ عطش ولا نصب تعب ولا مخمصة مجاعة مفعلة من خموص البطن و

ضميرٌ وكني به عن حالة الجوع لانه ملازم لها والتنكير في الثلثة للتقليل في سبيل الله في طريق الجهاد ولا يطؤن موطئا باقدامهم وارجل خيولهم والموطأ يجوز ان يكون مصدرا وان يكون موضعا كالمرجع يغيظ الكفار والغيظ انقباض الطبع بما يرى مما يسوءه ينتظمهم ولا ينالون من عدو نيلا شيئا من قتل وجرح او ضرب او اسر او تشديد واخذ مال الا كتب لهم به عمل صالح اى حصل لهم بكل من هذه الاثار حسنة مقبولة فان كتابته كناية عن حصوله وذلك مما يوجب المتابعة و انما قال به مع ذكر اشياء جميعا لانه لما دخل تحت كل شيء منها لا مكررا صار كل واحد منها مفردا بالذكر مقصودا بالوعد ولهذا قالوا من حلف لا ياكل خبزا ولحما حنث بكل واحد منهما ولو قال لا ياكل خبزا ولحما لم يحنث الا بهما جميعا ان الله لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم فيه تنبيه بان الجهاد احسان والاحسان موجب للاجر فيكون تعليلا لكتب فكونه احسانا بالنسبة الى المؤمنين فلما فيه من صيانة حوزة الاسلام عن استيلاء الكفار واما بالنسبة الى الكفار فلانه سعي في اصلاحهم وارشادهم باقصى ما يمكن كضرب المداوى المجنون ليشرب الدواء النافع ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو تمرة او علاقة سوط ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان رض في جيش العسرة وتقديم النفقة الصغيرة مع ان حقها التأخير للاهتمام بشانها لانها مظنة التحقير وعدم الالتفات بها ولا يقطعون واديا في ذهابهم ومجيئهم والوادي كل منعرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودى اذا سال فشاع بمعنى الارض الا كتب لهم اثبت لهم ذلك ليجزيهم الله به احسن ما كانوا يعملون احسن مصدر او مفعول ثان اى جزاء احسن اعمالهم واحسن جزاء اعمالهم فيلحق ما دونه به شكرا لسعيهم وتوفيرا لاجرهم وما كان المؤمنون لينفروا كافة اللام لتاكيد النفي اى وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو وطلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فانه مخل بامر المعاش وهو تمهيد لوجوب النفر في طلب العلم لانه فهم منه انه لو امكن نفر الكل ولم يؤد الى مفسدة لوجب وهذا الوجوب لوجوب التفقه على كل مسلم لقوله عم طلب العلم فريضة على كل مسلم فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة اى فاذا لم يمكن نفر الكل لمنافاته المصلحة فهلا نفر من كل فرقة كثيرة منهم كقبيلة واهل بلدة طائفة قليلة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون اى ليتكلفوا الفقاهة ويتجشموا المشاق لتحصيلها وليجعلوا غرضهم في ذلك ونهاية سعيهم انذار قومهم وارشادهم ارادة ان يحذروا الله تع في اجتناب معاصيه وامتثال اوامره وتخصيص الانذار بالذكر وجعله وحده غرض التفقه وان كان العمل به اقدم واهم لانه اشرف واعلى ولان التفقه لا يكون تفقها الا عند العمل به فمن لم يعمل بما علم فليس بفقيه ولا شك ان التكميل بعد الكمال فكان العمل داخلا في التفقه وبعد الكمال بالعلم والعمل لا يكون الغرض منه الا التكميل وفيه دليل على ان التفقه في الدين والتذكير من فروض الكفاية وان خبر الآحاد

حجة بعموم كل فرقة فلو كانت فرقة في فرقة لوجب خروج بعضهم للتفقه وانذارهم لوجب عمل الباقين باخبارهم وان لم يتواتر فانه غير ممكن فيه في الآية وجه آخر وهو ان المؤمنين بعد ما سمعوا ما انزل الله تع في المتخلفين في غزوة تبوك نشأ بقوا في الجهاد فكان اذا بعث رسول الله صلعم جيشا نفروا عن آخرهم وانقطعوا جميعا عن استماع الوحي والتفقه فامروا ان ينفر من كل فرقة طائفة ليتفقه الباقون في الدين فلا ينقطع التفقه الذي هو الغرض من البعثة والجهاد الاكبر فان الجدال بالحجة اعظم اثرا من الجدال بالسيف ولينذروا قومهم النافرين واليهم للفرقة الباقين وفي رجعوا ولعلهم للطائفة النافرين وفيه تشتيت الضماير وهو وان لم يكن مخلا بالفصاحة عند انتظام المعنى وانسياقه الى الذهن لكن عدمه اولى فالراجح هو الوجه الاول يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم يقربون منكم من الكفار امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب قيل كان النبي عم اذا غزا ربما تجاوز كفارا ويقاتل الابعد ليكون آية لتقويته انه لا يبالي ولا يخاف من تركه فنزلت الآية تعليما للمؤمنين امر الحرب كما علمهم ذلك في آيات اخر من الامر باخذ الحذر واعداد ما استطاعوا من قوة وقيل ان الذين يلونهم من الاعداء يوم نزول هذه الآية هم الروم الذين بهم همّ رسول الله صلعم غزوه الى تبوك فكان الكلام متصلا بما تقدم من غزوة تبوك وليجدوا فيكم غلظة خشونة وشدة وصبرا على القتال وقرئ غلظة بالحركات الثلث واعلموا ان الله مع المتقين قدموا وجه زيادة اعلموا في مثل هذا المقام ينصرهم انتقاه فهو تبشير لهم بالنصر واذا ما انزلت سورة فمنهم فمن المنافقين من يقول لبعضهم ايكم زادته هذه السورة ايمانا انكارا واستهزاء بالمؤمنين وقرئ ايكم بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته فاما الذين آمنوا اى فاما المخلصون والفاء للترتيب للاخبار عنهم وعن مقابلهم على التنويع والتفصيل على ما تقدم فزادتهم ايمانا بزيادة اليقين الحاصل من تدبر السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها الى ايمانهم وهم يستبشرون وهم يفرحون بنزولها لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم بها حتى يتبين ذلك في وجوههم وبشرتهم واما الذين في قلوبهم مرض كفر فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه انزال القرآن لقوم شفاء اولا يرون بعني المنافقين وانما فتحت الواو لانها عاطفة دخل عليها الف الاستفهام للتوبيخ والكلام مستانف من وجه متصل من وجه وقرئ بتاء الخطاب يعني المؤمنين والاستفهام للتعجب اى عجبا منهم كيف قست قلوبهم وعميت بصائرهم عما يتتابع عليهم من انواع المحن واصناف الفتن انهم يفتنون يبتلون بانواع البليات او بالجهاد مع رسول الله صلعم فيعاينون ما يظهر عليه من الآيات في كل عام عام العام هنا ليس على عمومه بل يخصص بقرينة المقام مرة او مرتين قيل هذه الفتنة بهتك استارهم واظهار اسرارهم ثم لا يتوبون من نفاقهم

ولا هم يذكرون ولا يتعظون بما يصيبهم حتى ينبهوا عما هم عليه و زيادة همّ لان غيرهم
يتعظون باختبارهم ان سنة الله تع ان لا يخلى د باب التكليف من دلايل التقريب والتحريك
لهم في كل وقت بنوع من البيان والتحريك في كل وان يضرب من الامتحان فمنهم من لا يزداد
بايضاح البرهان الا زيادة الخذلان والحجبة عن فوايد البيان واذا ما انزلت سورة
ذكر فيما سبق ما يحدث منهم من القول على سبيل الاستهزاء و ذكر ههنا ما يحدث منهم من
الفعل استهزاء نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا لها وسخرية او غيظا لما
فيها من عيوبهم هل يريكم من احد احد من المسلمين يريدون الانصراف سدا لانفاد صبرهم
على الاستماع لغلبة الضحك او تراهموا ابنشا و رون في تدبير الخروج والانسلال لغلبة
الغيظ فان لم يرهم احد قاموا وان راهم اقاموا تغافا ثم انصرفوا عن حضرته عم مخافة
الفضيحة على التقدير بين صرف الله قلوبهم الظاهر انه خبر لكان الكلام في معرض ذكر الذنب
بدءا بالفعل المنسوب اليهم بقوله ثم انصرفوا ثم ذكر فعله بهم على سبيل المجازاة لهم في
فعلهم كقوله فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم و من بلاغة القرآن و بديع نظمه انه
اذا كان القول في تعداد الذنب بدء في ترتيبه من الجهة التي هي غير المذنب كما في الثلثة
المذكورين ليكون هذا اشد تقريرا للذنب عليهم واذا كان في تعداد نعمة الله تع بدء
في ترتيبه بالجهة التي هي عنده كما في قوله ثم تاب عليهم ليتوبوا ليكون ذلك منبها على
تلقي النعمة من عنده بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لسوء فهمهم او عدم تدبرهم
لقد جاءكم رسول مخاطبة للعرب على جهة تعديد النعمة عليهم في ذلك اذ نشاء من نسلهم
وجاء بلسانهم وبما يفهمون من الاغراض والفصاحة و تشرفوا به غابر الايام على
ساير الانام و قرئ من انفسكم اي اشرفكم ثم ذكر ما يتبع المجانسة والمناسبة بقوله
عزيز عليه ما عنتم اي شديد شاق عليه عنتكم ولقاؤكم المكروه من سوء العاقبة و
الوقوع في العذاب حريص عليكم على ايمانكم و صلاح شانكم بالمؤمنين خاصة رؤف
رحيم الرافة اشد الرحمة والرحمة اعم منها لان الرحمة تستعمل في كل نفع من المطر والسعة
والعافية وغيرها فكان المعنى في الرؤف الشفيق العطوف و في الرحيم النافع المفضل
فلكل منهما وجه تقدم على الآخر قيل قدم الرافة على الرحمة لان الرافة انما تكون باعتبار
الحفظ والصيانة عن الآفات والنقايص التي يستحق بها العقاب والرحمة باعتبار
افاضة الكمالات والسعادات التي بها يستحق الثواب فالاولى من باب التزكية والثانية
من باب التحلية ونسبتها الى الاولى نسبة حريص الى عزيز فان تولوا فقل اي فان اعرضوا
عن الايمان بك فقل لهم وفيه تلوين الخطاب ووجه التفريع ان مقتضى الرافة والرحمة
ان لا يدعوا عليهم ولا يجازيهم بالفعل الذي يؤذيهم اي فاقتصر على القول الجامع للترغيب

والترهيب حسبي الله فاستغن بالله تع و فوض اليه امرك فانه يكفيك معرتهم و يعينك عليهم
لا اله الا هو كالدليل على التسليم والتوكل عليه توكلت فلا ارجوا ولا اخاف الا منه وهو رب
العرش العظيم الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذي ينزل منه الاحكام والمقادير
وعن ابي هريرة آخر ما نزل هاتان الايتان وقال البراء بن عازب آخر سورة انزلت
كاملة براءة و من قال وعن النبي عم ما نزل القرآن علي الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة
براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملئكة فكما نشئ ما قدمه من
قوله عن رسول الله صلعم انزلت علي سورة الانعام جملة واحدة شيعها سبعون الف ملك

سورة يونس مكية وهي مائة وتسع آيات

الر قرئ بفتح الراء على التفخيم وبكسرها على الامالة وقرئ بين الفتح والكسر والاصل ترك
الامالة لان الفها ليست منقلبة من الياء ومن امال قصد التنبيه على انها اسم لا حرف تلك
آيات الكتاب الحكيم تلك اشارة الى ما تضمنته السورة او القرآن والكتاب احدهما والاول ابلغ
من حيث ان البعض اذا استقل بوصف الكمال فالكل اولى والحكيم ذو الحكمة وصف به الكتاب
لاشتماله عليها ويجوز ان يكون من قبيل توصيف الكلام بصفة المتكلم كشعر شاعر للمبالغة
كانه في نفسه حكيم لكثرة حكمه وان يكون على تشبيه الكتاب بالحكيم الناطق بحكمته فيكون
استعارة مكنية واثبات الحكمة قرينة اكان للناس عجبا الهمزة للانكار تعجب للكفار من الايحاء
والتعجيب السامعين من تعجبهم لكونه في غير محله وعجبا خبر كان قدم على اسمه وهو ان اوحينا
لكون الانكار والتعجب راجعان اليه وقرئ عجب فجعل اسما مع كونه نكرة تخصص بتقديم
للناس عليه لانه في المعنى صفة له انقلبت حالا بالتقديم والاستفهام خصوصا الانكاري
في حكم النفي وان اوحينا خبرا على عكس ما تقدم لا على القلب لا لانه خلاف الاصل لانه يخل بالبلاغة
بل لان القلب المقبول هو المشتمل على لطيفة او اعتبر كان تامة وعجب فاعلها والمعنى احدث
عجب لان اوحينا و اما ما قيل ان اوحينا بدل من عجبا فلا يساعده سداد المعنى اللام في
للناس متعلق بعجبا على طريقة البيان بمعنى ان هذا الامر التعجب لهم كما في هيت لك بمعنى هذا
الخطاب لك اي انهم جعلوه اعجوبة يتعجبون منها و نصبوه لهم علما في انكارهم واستهزائهم
به ولو قيل عند الناس لم يفد هذا المعنى والتعبير عنهم باسم الجنس للتحقير كما في قولهم ومن الناس
من يقول كذا اشكاته قصد منا بلينهم فيما قصدوه بقولهم الى رجل منهم تعجبوا من ان يوحى
الى رجل من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب ان الله تع
لم يجد رسولا يرسله للناس الا يتيم ابي طالب و ذلك من فرط حماقتهم وقصور نظرهم عن
معرفة الاوصاف التي بها اختاره الله تع للرسالة فان رسول الله صلعم لم يكن ليفضي من

عظمائهم في النسب والحسب والشرف وكل مما يعتبر في الرياسة من كرم الخصال الا المال وخفة
الحال اعون شيء من هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء عليهم السلام قبله كذلك وقيل تعجبوا
من انه تعالى بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره في سورة الانعام فمن خلط بين الوجهين لم
يصب كما لا يخفى على ذوي الافهام ان انذر الناس ان هي المفسرة لان في الايحاء معنى القول و
يجوز ان يكون مخففة من الثقيلة على ان الاصل انه انذر والمعنى ان الشان قولنا انذر الناس
وموضعه النصب او جرا وفيه حذف الاسم والخبر وفي الاول خلاف الكوفيين فالاولى
ان يكون مصدرية تقديره بانذار الناس وذكر اسم الجنس اي الناس للتعميم للفريقين كانه
قال ان انذر الناس مؤمنا كان او كافرا وبشر الذين آمنوا خاصة لان البشارة مشروطة بالايمان
فالبشارة ينقلب نذارة في حق الكفار لا الاستغراق كما ذهب اليه من قال عمم الانذار اذ
قل ما من احد ليس فيه ما ينبغي ان ينذر منه لان تبليغ الانذار ولو بارسال الخبر الى كل من فيه
عصيان ليس في وسعه عليه السلام واطلاق المؤمنين للتعميم لمن آمن من الثقلين وبذلك يندفع العقول
الى ان الى الوهم من تخصيص الانذار باحدهما لاصالته في امر البعثة لان المفهوم انما يعتبر اذا
لم يعارضه المنطوق وهذا الشرط مفقود ههنا لان العبارة وان كانت ساكتة عن العموم
لكن الدلالة ناطقة به بقرينة ما في قرينه من التعميم وانما قدم الانذار على التبشير لانه اهم ولانه
التخلية بعد التحلية ان لهم في محل النصب ببشر على حذف الباء قدم صدق سميت السابقة
والمساعي الجميلة قدما لان التقدم والسبق انما يكون بالقدم كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد
واضافتها الى الصدق للدلالة على زيادة فضل وانها متحققة او ان صاحبها قد نالها
بصدق القول والنية ويجوز ان يراد به المنزلة الرفيعة معنوية او صورية فيكون
كقوله في مقعد صدق عند مليك مقتدر ويعضده قوله عند ربهم ومن قال اي
سابقة وفضلا ومنزلة ورفعة لم يصب في الجمع بين وجهي المجاز بل بين وجوهه قال الكافرون
ان هذا فيه دلالة على انهم يقولونه عند حضرته عليه السلام لساحر مبين وقرئ لسحر والاشارة
الى القرآن وسائر ما اتى به من الخوارق للعادات وكيف ما كان ففيه اعتراف بعجزهم عن
المعارضة وتسليم لاعجازه معنى وان كانوا يطلقون عليه لفظ السحر عنادا ومكابرة
لان التعجب قلائم التكلم بما هو معلوم الانتفاء قطعا حتى عند نفس المعارض دأب العاجز
المفحم ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش
دل على عظمة شانه وكمال سلطانه بالقدرة على خلق اصول الممكنات كلها مع سعتها وبسطها
في وقت يسير وعلى عظم ملكه بالاستواء على العرش ثم قررها واكدها بقوله يدبر الامر لان
تدبير امر الملك كلها بتهيئة اسبابها وترتيبها على النظام الحكيم مما يبين امر العظمة و
يقرره والتدبير النظر في ادبار الامور لتقع على ما ينبغي من الوجه الاتم الاصوب

ثم زاد في تقرير معنى العظمة والكبرياء والعزة والجلال بقوله ما من شفيع الا من بعد اذنه
كقوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وفيه اثبات الشفاعة لمن
اذن وانما الرد على من زعم ان آلهتهم يشفع لهم عند الله تعالى فلا يتم لانهم يدعون ان الله تعالى
يأذن لهم في الشفاعة ولا دلالة في الآية على عدم الاذن لهم ذلكم الله اشارة الى المعلوم
الموصوف بتلك العظمة والكبرياء الموجبة لاستحقاق العبادة اي ذلكم الموصوف بما وصف
هو ربكم لا غير اذ لا يشاركه احد في شيء من ذلك فاعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئا من
اشرف الموجودات فضلا عن الجماد افلا تذكرون ابعد النظر في تفرده تعالى في هذه الاوصاف
الموجب لتخصيصه بالعبادة لا تتذكرون فتنتبهون بادنى تفكر على خطاء ما انتم عليه اليه
لا الى غيره مرجعكم جميعا بالبعث من القبور يوم النشور ظاهره اخبار عن المآل وباطنه انذار
بما فيه من سوء الحال وامر على وجه الارشاد بالاستعداد ليوم التناد وعد الله مصدر مؤكد
لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعد من الله تعالى حقا مصدر آخر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله
انه يبدأ الخلق ثم يعيده بعد بدئه واهلاكه استئناف كالدليل لما تقدم وذلك انه تعالى لما
اخبر عن وقوع الحشر والنشر ذكر بعده ما يدل على كونه في نفسه ممكن الوقوع بقوله ثم يعيده و
قيل هو كالتعليل لقوله اليه مرجعكم جميعا لانه لما كان المقصود من الابداء والاعادة مجازاة
الله المكلفين على اعمالهم وجب ان يكون مرجع الجميع اليه ويؤيده قراءة انه بالفتح اي
لانه وبعد حذف اللام يكون منصوبا بالظرف اعني اليه ويجوز ان يكون من غير اعتبار اللام
منصوبا بوعد المحذوف مفعولا به باعتبار المعطوف اعني ثم يعيده لان الموعود هو
الاعادة لا البداءة او مرفوعا بحق المحذوف وقرئ وعد الله على لفظ الفعل وحق انه يبدأ
الخلق من ابدأ ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط متعلق بيجزي اي بعدله
او بعدالتهم اي بما عدلوا بايمانهم وعملهم ولم يظلموا بالشرك لان الشرك ظلم عظيم وهو
الاوجه لمقابلته قوله بما كانوا يكفرون والذين كفروا لهم شراب من حميم من ماء حار متناه
انتهى حره وهو في جهنم وعذاب اليم اي عذاب يخلص وجعه الى قلوبهم بما كانوا يكفرون
غير النظم ولم يقل ويجزي الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم كما
قال ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط للمبالغة في استحقاقهم للعقاب ولحوق
العذاب بهم وجعل ثواب الايمان والعمل الصالح غرضا دون عقاب الكفر للتنبيه على ان المقصود
بالذات من الابداء والاعادة هو الاثابة وان الله تعالى هو الذي يتولى اثابة المؤمنين بما
يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه واما العقاب فانه واقع بالعرض كانه داء ساقه اليهم
الكفر وسوء اعتقادهم وسوء افعالهم هو الذي جعل الشمس ضياء ان كان جعل بمعنى
صير يكون ضياء مفعولا ثانيا وان كان بمعنى خلق يكون حالا والضياء مصدر كقيام او

جمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو وقرئ بهمزتين على القلب بتقديم
اللام على العين والقمر نورا جعل نفس الشمس ضياء وعين القمر نورا للمبالغة ولما كانت الشمس
اعظم جرما خصت بالضياء لانه هو الذي له سطوع ولمعان وهو اقوى من النور وقيل
ما بالذات ضوء وبالعرض نور فكأنه قصد بما ذكر التنبيه على ان نور الشمس ذاتي ونور
القمر عرضي مستفاد منها وقدره وقدر القمر منازل اي مسيره منازل او قدره ذا منازل
كقوله والقمر قدرناه منازل والمراد بالمنازل البروج اذ بها وبقطعها عدد الشهور
والسنين وخصص القمر بها لان المعتبر في الشرع السنة القمرية والشهر الهلالي وبها يتعلق احكام
الشرع ولذلك علله بقوله لتعلموا عدد السنين والحساب اي حساب الاوقات من الاشهر
والايام والليالي في معاملاتهم وعباداتكم ما خلق الله ذلك اشارة الى ما ذكر الا بالحق
حال مستثناة من اعم الاحوال اي ما خلقه بحال الا ملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة
اي الصواب نفصل الآيات نبين العلامات التي يستدل بها على الحق لقوم يعلمون خصهم
بذلك لانهم هم المنتفعون بها ان في اختلاف الليل والنهار اختلافهما تعاقبهما وكون احدهما
يخلف الآخر او تفاوتهما وكون احدهما يزيد بنقصان الآخر وما خلق الله في السموات والارض
من انواع الكائنات لآيات على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لقوم يتقون خصهم
بذلك لان الباعث على النظر والتدبر لا يكون الا تقوى الله والحذر عن العاقبة فهم الذين يعلمون
الآيات وينتفعون بها دون غيرهم ان الذين لا يرجون لقاءنا لا يخافونه لا لانكارهم البعث
لانه لا ينتظم مع تعليل قرينه بل لاعتمادهم على شفعائهم واستعمال الرجاء في معنى الخوف شائع
كما في قوله تع ما لكم لا ترجون لله وقارا وقال الهذلي اذا لسعته النحل لم يرج لسعها والمراد من لقاء
الله تع سوء الحساب عنده تع وما يترتب عليه من اصابة المكروه وهذا صريح في عدم تأثير التحذير
والترهيب فيهم ورضوا بالحيوة الدنيا من الآخرة لغفلتهم عنها ولا تمشية لهذا التعليل في حق
المنكرين لها ضرورة ان الانكار لا يجامع الغفلة عنه ووصفهم كناية عن ان الترغيب
لا يجدي نفعا في حقهم لما اخبر الله تعالى لم لا يجوز ان يزال غفلتهم بالتنبيه والاستدلال ودفعه
بقوله واطمأنوا بها اي سكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها فانظر الى حسن انتظام هذا المقال
فمن قال في تفسير الوصف الاول لا يتوقعونه لانكارهم البعث وذهولهم بالمحسوسات عما
وراءها فكأنما اخطأ في التعليل لم يصب في المعلل لانه اخل بتحقق الترهيب ثم ان قوله وذهولهم
بالمحسوسات عما وراءها انما يناسب تفسير الرجاء بالامل على ما هو حقيقته وحمل اللقاء على
نيل الثواب على ان عبارة الذهول لاقتضائه سبق العلم لا يناسب المقام والذين هم عن
آياتنا غافلون لا يتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها والواو بين الموصولين للجمع
بين الوصفين المتغايرين والتنبيه على ان الوعيد على الذاتين ومعنى الفرقة الغافلة

عن احوال الآخرة واهوالها الراضية بالحيوة الدنيا والتي الهاهم حب العاجل عن التأمل
في الآجل والاعداد له اولئك مأويهم النار بما كانوا يكسبون بما واظبوا عليه وتمرنوا به
من المعاصي ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم بسبب ايمانهم الى سلوك
السبيل المؤدي الى الجنة ولذلك جعل تجري من تحتهم الانهار بيانا وتفسيرا له او يهديهم في
الآخرة بسبب نور ايمانهم الى الجنة كقوله تع يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين
ايديهم او لما يريدونه في الجنة وعلى هذا يكون تجري خبرا ثانيا او حالا من الضمير المنصوب
في يهديهم وجعل التمسك بسبب السعادة نفس الوصول اليها كان هدايتهم الى المقصد لسرعة
الاداء اليه نفس الوصول اليه في جنات النعيم متعلق بتجري او بيهدي او خبر او حال آخر من
الضمير المذكور او من الانهار ولا يخفى على من انصف وبالتجنب عن التعسف اتصف ان الجمع
بين الايمان والعمل الصالح ظاهر في انه السبب لاستيفاء مقام الترغيب في كسب اسباب حسن
اللقاء واجتناب اسباب سوء الجزاء ثم التصريح بسببية الايمان المضاف الى الذين آمنوا وعملوا
الصالحات كالتنصيص على انه ذلك الايمان المقرون بالعمل الصالح لا مطلق الايمان غاية الامر انه ذكر
لاصالته وزيادة شرفه فلا يكون ذكره مستدركا ولا دالا على استقلال الايمان وبهذا التفصيل
اندفع ما قيل ومفهوم الترتيب وان دل على ان سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح كالتتمة
والرديف قيل ولا مخالفة لما ذكر من اهل السنة والجماعة لان العصاة غير مهديين واما ان
كل من لم يكن مهتديا فهو خالد في النار فهو ممنوع ودعوى ذلك غاية المكابرة ولا وجه له
لان الكلام في الهداية بسبب الايمان الى سلوك السبيل المؤدي الى الجنة وعصاة المؤمنين مهتدين
بهذه الحالة ولا خلاف في ان من لا يكون مهتديا بهذه الهداية لا يدخل الجنة فالصواب في الجواب
عن تمسك المخالف بهذه الآية انها معارضة بمثل قوله تع وجنة عرضها كعرض السماء والارض
اعدت للذين آمنوا بالله ورسله كان فيه دلالة على ان الايمان وحده كاف في استحقاق ما
اعد له والاصل في النصوص التوفيق وهو ههنا بحمل النعيم على ما هو اسم خاص لاحدى الجنان السبع
على ما مر تفصيله في تفسير سورة البقرة والمراد من الجنان المضافة اليه ما فيه من البساتين ونظيره
قوله تع فلهم جنات المأوى فيجوز ان يكون الهداية الى جنة النعيم مشروطا بالعمل الصالح و
يكون الايمان وحده كافيا في الهداية الى مطلق الجنة دعويهم فيها اي دعاؤهم سبحانك اللهم
اللهم انا نسبحك تسبيحا وتحيتهم فيها اي تحية بعضهم لبعض وتحية الملائكة اياهم سلام وآخر
دعويهم خاتمة دعائهم ان الحمد لله رب العالمين اي ان يقولوا ذلك وان هي المخففة من الثقيلة
اصله انه الحمد لله والضمير للشان وقرئ ان الحمد بالتشديد ونصب الحمد يعني ان اهل الجنة مستغرقون
عن طلب السؤال بحضور ربهم ما يشتهيهم في الحال امنوا عن احتمال الانقطاع والزوال فكلامهم
دعاؤهم اولا وآخرا مقصور على التحميد ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير اصله ولو يعجل

الله للناس الشر تعجيله لهم الخير حين استعجلوه بالخير فوضع استعجالهم بالخير في حذف ما
حذف منه لدلالة الباقي عليه ايجازا وذلك لوضع للاشعار بسرعة اجابته لهم في الخير
حتى كان استعجالهم به نفس تعجيله له وبان المراد بالشر الشر الذي استعجلوه كقولهم فامطر
علينا حجارة اليه لما قالوا لو تعذبنا بل اهلكوا او اميتوا لان تركيبهم في الدنيا لا يحتمل ذلك
وقرئ لقضى على البناء للفاعل وهو الله تعالى ويؤيده قراءة لقضينا وهذه الآية متصلة
بقوله ان الذين لا يرجون لقاءنا دلالة على استخفافهم العذاب وانه تعالى انما يمهلهم استدراجا
وجيء بالناس بدل ضميرهم تغليظا للامر ثم قيل فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم
يعمهون مصرحا باسمهم وذكر المؤمنين انما وقع في البين تتميما ومقابلة فليس حينئذ
ومن هنا ظهر انه لا حاجة الى ان يجعل فنذر جواب شرط محذوف واذا مس الانسان
الضر دعانا لازالته في جميع احواله لا يفتر عنه في حال ما من احواله لجنبه ملقيا لجنبه
في موضع الحال بعطف الحالين عليه اي دعانا مضطجعا او قاعدا او قائما فائدة الترديد
للتعميم بجميع الاحوال او بجميع اصناف الضرر ملقى لجنبه عاجزا عن القعود فاعدا
لا يقدر على القيام او قائما لا يقدر على النقل اي لا يستغني عن الدعاء في نوع من انواعه
فلما كشفنا عنه ضره مر مضى طريقته الاولى في الذهول والغفلة سهيا ونسي الحمد
او مر عن موقف الدعاء لا يرجع اليه كان لم يدعنا اصله كانه لم يدعنا فخفف وحذف
ضمير الشأن كما في قوله ونحر مشرق كان ثدياه حقان الى ضر مسه الى كشف ضر كذلك
مثل ذلك التزيين زين للمسرفين ما كانوا يعملون عملهم من الاعراض عن الذكر والدعاء
والانهماك في الشهوات ولقد اهلكنا القرون من قبلكم الخطاب لاهل مكة لما ظلموا
حين ظلموا بالتكذيب وجاءتهم رسلهم بالبينات الواو للحال ولا حاجة الى تقدير قد
لانها لم تدخل على جاءتهم رسلهم بالبينات وحده بل على جملة ذلك القول والنهي
بل هي كانه قيل لما ظلموا او قصتهم هذه وقدمت نظير هذا في اوائل سورة البقرة
او عطف على ظلموا لان معناه احداث التكذيب ومعنى هذا الاصرار عليه بحيث لا فائدة
في امهالهم وما كانوا ليؤمنوا وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم واللام
لتاكيد النفي واما علمه تعالى بانهم يموتون على الكفر فلا تاثير له في عدم ايمانهم لان العلم تابع
للمعلوم فلا يؤثر فيه ويجوز ان يكون عطفا على ظلموا او يكون ظلموا مؤخرا عن جاءتهم رسلهم
بالبينات معنى وان قدم عليه لفظا للاهتمام كما قدم ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا
لذلك والمعنى ان السبب في اهلاكهم تكذيبهم الرسل وعدم الفائدة في امهالهم بعد ان
الزموا الحجة ببعثة الرسل ويجوز ان يكون وجاءتهم رسلهم بالبينات اعتراضا لتقرير
ما تخلل هو بينه كذلك مثل ذلك الجزاء بالاهلاك على وجه الاستئصال نجزي القوم المجرمين اراد

المجرمين بالجرم المعهود وهو تكذيب الرسل والاصرار عليه وانما قال نجزي القوم لان
الكلام في عذاب الاستئصال ومن لم يتنبه له قال في تفسيره نجزي كل مجرم والمقصود وعيد
لاهل مكة وتهديد لهم ومبناه على اندراجهم فيه اندراجا اوليا وهذا ابلغ من الخطاب
لهم ومن لم يتنبه له جوز ان يكون المعنى نجزيكم على وضع المظهر موضع المضمر ثم جعلناكم خلائف
في الارض من بعدهم من بعد القرون التي اهلكناهم جعل مختبر لننظر كيف تعملون اتعملون خيرا
ام شرا فنعاملكم على حسب عملكم استعير للتراخي في الرتبة فلا يغني عنه قوله من بعدهم
وكيف في محل النصب بتعملون مستعار لمعنى اي شيء فيكون نصبه على المفعولية ويجوز ان
يكون نصبه على الحالية اي لننظر على اي حال تعملون على حال الخير ام على حال الشر ولا يجوز انتصابه
بننظر لان الاستفهام لا يتقدم عليه عامله وفائدته الدلالة على ان المعتبر في الجزاء جهات
الافعال وكيفياتها لا هي من حيث ذاتها ولذا يحسن الفعل تارة ويقبح اخرى والنظر على حقيقته لان
الكلام على طريقة الاستعارة التمثيلية كقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا على ما نبهت عليه آنفا
ومن لم يتنبه لذلك قال هو مستعار للعلم المحقق الذي هو العلم بالشيء موجودا ويلزمه
الالتزام بان يكون علمه تعالى بالحوادث حادثا ولا صحة له لانه صفة كمال لا يجوز خلوه تعالى عنه
ومنشؤه الغفول عن ان من ليس بزماني لا يتوقف علمه بالحوادث على مرور الزمان ووجود
تلك الحوادث في اوقاتها كما هو في شان علم من هو زماني واذا تتلى عليهم آياتنا بينات
قال الذين لا يرجون لقاءنا لا يخافون لقاءنا يعني المستهزئين من المشركين ذكره ابن عباس رضي
ائت بقرآن غير هذا بكتاب آخر ليس فيه ما يغيظنا من ذم آلهتنا والوعيد على عبادتها
تنفعك او بدله بان تجعل مكان آية تقيد ذلك آية اخرى وانما اقترحوا ذلك مكرا وطمعا
في اجابته اليه فيلزموه ويستهزؤوا منه ولما كان الاتيان بقرآن غير هذا غير مقدور للانسان
لم يحتج الى نفيه ونفى ما هو مقدور له وان كان غير جائز في حقه ع م فقيل قل ما يكون لي
ما يصح لي ان ابدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي مصدر استعمل ظرفا هذا بحسب جليل
النظر والذي هو بحسب دقيقه ان نفي الثاني نفي للاول دلالة فلا اقتصار في النفي ولا اكتفاء
ببعض الجواب والله اعلم بالصواب ان اتبع الا ما يوحى الي تعليل لقوله ما يكون لي لان المتبع
لغيره في امر سيما الوحي لا يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب للنقض بنسخ بعض آي القرآن ورد
لما عرضوا به في هذا السؤال من ان القرآن كلامه ع م ولذلك قيد التبديل في الجواب
بقوله من تلقاء نفسي وسماه عصيانا بقوله اني اخاف ان عصيت ربي اي بالتبديل عذاب
يوم عظيم فيه ايماء بانهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح قل لو شاء الله غير ذلك
ما تلوته عليكم ولا ادراكم به ولا اعلمكم به على لساني اي تلاوته ليست الا بمشيئة الله تعالى لا
بمشيئتي حتى اجعله على ما تشتهونه وقرئ ولادراكم بلام التاكيد اي لو شاء الله ما تلوته

عليكم ولا اعلمكم الله على لسان غيري والمعنى ان الحق الذي لا محيص عنه لو لم ارسل به غيري و
وقرئ ولا ادراتكم على من يقول لعطأته وارضأته في اعطيته وارضيته ويعضده قراءة
ابن عباس به ولا انذرتكم وقرئ ولا ادراكم به على لغة من يقلب الالف المبدلة من اليا
همزة لانهما من واد واحد او على انه من درأته اذا دفعته وادرأته جعلته دارئا اي
ولا اجعلكم بتلاوته خصما تدرؤونني بالجدال وتكذبونني فقد لبثت فيكم عمرا
طويلا مقدار اربعين سنة من قبله من قبل هذا القرآن لا اتلوه ولا اعلم شيئا وهو
تعريض بكونه من اعلام الله تع ومعجزاته فان من نشأ بينهم وعاش فيهم هذه المدة لم
يتعلم شيئا ولم يجالس قط عالما ولم يمارس علما ولم ينشئ خطبة ولا قريضا ثم اتى
بكلام بذت فصاحته فصاحة كل بليغ وعلا نظمه كل منظوم ومنثور فارقا للعادة
اعجز عن معارضته البلغاء عن آخرهم محتويا على فنون العلوم والحكم ناطقا بغيوب لا يعلمها
الا الله مشتملا على اصول الاحكام وفروعها معربا عن اقاصيص الاولين واحاديث الاخر
على ما هي عليه علم انه معلم من عند الله تع افلا تعقلون افلا تستعملون عقولكم بالتأمل
فيه فتعلمون انه ليس الا من الله تع لا من مثلي ولا تتهموني بالافتراء على الله تع فمن اظلم
ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته كناية منه عم ومنهم اي من اظلم مني ان افتريت
على الله كذبا بتبديل ما انزله علي ومنكم بتكذيبكم بآيات الله تع وقد سبق في تفسير البقرة
وجه هذه الطريقة الاستفهامية في مقام المبالغة واما ما قيل تظليم للمشركين بافترائهم على
الله في قولهم انه ذو شريك وذو ولد فيأباه التصدير بالفاء الدالة على ترتب الكلام على
ما سبق واتمام زاد قوله كذبا مع ان الافتراء لا يكون الا كذلك اظهارا لما فيه من جهتي القبح
انه لا يفلح المجرمون لا يظفرون بمطلوب ولا يصلون الى مأمول ولا يأمنون من محذور و
يعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم اي الاوثان لانها جمادات لا تضرهم ان
تركوا عبادتها ولا ينفعهم ان عبدوها ومن خواص المعبود ان يكون قادرا على النفع والضر
مثيبا على الطاعة معاقبا على المعصية ويقولون هؤلاء الاوثان شفعاؤنا عند الله تشفع
لنا في الآخرة وعن نضر بن الحارث اذا كان يوم القيمة يشفع لي اللات والعزى ومن زاد
على هذا قولا ان لم يكن بعث وكأنهم كانوا شاكين فيه فقد اتى بشئ عجاب كما لا يخفى على ذوي
الالباب قل أتنبئون الله اتخبرونه بما لا يعلم اي بما لا وجود له اصلا وهو ان له شريكا انباؤهم
الله تع تهكم بهم وتقريع لهم باخبارهم علام الغيوب بما ادعوه من المحال الذي هو وجود
الشركاء وشفاعتهم عند الله تع واعلام ببطلانه واستحالته بان ما لا يتعلق علمه به لم يكن
شيئا اصلا لان علمه تع محيط بجميع الاشياء ولا حاجة في تمشية هذا الكلام الى تفسير الشئ
بما يعلم ويخبر عنه في السموات والارض حال من العائد المحذوف مؤكدة للنفي لان ما لم

يوجد فيهما فهو منتف لعدم صحته بل لما جرى به العرف من انه يقال عند تأكيد النفي ليس هذا
في السماء ولا في الارض لاعتقاد العامة ان كل ما يوجد فهو اما في السماء واما في الارض فلا حاجة
الى الالتزام بكون الكلام الزاميا ودعوى ان الامر كذلك في اعتقاد المخاطبين سبحانه وتعالى
عما يشركون عن اشراكهم او عن الشركاء الذين يشركونهم به وما كان الناس الا امة واحدة
موحدين على الفطرة من غير اختلاف بينهم وذلك في عهد آدم عم الى ان قتل قابيل هابيل
وقيل بعد الطوفان حين لم يذر من الكافرين ديارا ومبنى هذا على عموم آفة الطوفان
وتمامه موقوف على ان يكون نوح عم مبعوثا لكافة الانام حتى يلزم الكفر لمن لم يتبعه
ولا يخفى ما فيه من الكلام فاختلفوا باتباع الهوى فبعث الله تع النبيين مبشرين ومنذرين
على ما مر في سورة البقرة فمن وهم ان اختلافهم ببعثة الرسل وما فهم انه مخالف لنص القرآن
ولولا كلمة سبقت من ربك قضاء جرى في الازل بتأخير الفصل والحكم بينهم الى يوم القيمة
لمجال التزود في العمل في دار التكليف لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون بتمييز الحق عن الباطل
بابقاء المحق واهلاك المبطل عدل عن صيغة الماضي الى صيغة المضارع حكاية للحال الماضية
وقصدا الى الاستمرار ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه ارادوا به آية من الآيات التي كانوا
يقترحونها غير مكترثين بما نزل عليه من الآيات العظام المتكاثرة التي لم ينزل مثلها على احد من
الانبياء عم قبله خصوصا القرآن المعجز الباقي على وجه الدهر وغير معتدين به عنادا ومكابرة
بل جعلوا نزوله كلا نزول وكأنه لم ينزل عليه آية قط حتى قالوا لولا انزل عليه آية تنكير آية
للتحقير اي آية ما واحدة وشئ من جنس الآية وذلك لفرط عنادهم وتماديهم في التمرد
وانهماكهم في الغي فقل انما الغيب لله اي انه لا اعلم المانع من انزالها فانه غيب ولا يعلم
الغيب الا الله وما قيل فلعله يعلم في انزالها من مفاسد تصرف عنه لا ينتظم مع قوله
فانتظروا نزول ما اقترحتموه اني معكم من المنتظرين ما يفعل الله بكم من العذاب بجحودكم
الآيات العظام واقتراحكم غيرها تعنتا واذا اذقنا الناس رحمة كخصب وامن وصحة
من بعد ضراء من القحط والشدة والمرض مستهم خالطتهم حتى احسوا بسوء اثرها
منهم اذا لهم مكر في آياتنا المكر اخفاء الكيد وطية من الجارية الممكورة المطوية الخلق ووطية
قد سبق في تفسير سورة الاعراف بيان معنى المكر وما به يفارق الكيد واذا الاولى
شرطية والثانية للمفاجأة وقعت جوابا للشرط قيل سلط الله تع القحط على اهل مكة سبع
سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فطفقوا يقدحون في آيات الله تع ويمكرون
رسوله عم قل الله اسرع مكرا انما قال اسرع على مكرا يعني منكم لان معنى المفاجأة قد دل على السرعة
فعضل عليها اي فاجؤوا في وقت اذاقة الرحمة المكر وسارعوا اليه قبل ان ينفضوا من رؤوسهم
غبار الضراء ومعناه انه قد دبر عقابكم وهو موقعه بكم قبل ان تدبروا كيدكم في اطفاء

اسرع

نور الاسلام والمكر من الله تعالى جزاء مكرهم او اخذهم بغتة بعد الاستدراج ان رسلنا يكتبون
ما تمكرون اعلام بان ما دبروا في اطفائه من مكرهم لم يخف على الحفظة فضلا عن ان يخفى
على الله تعالى وايعاد بالانتقام وتحقيق له وقرئ يمكرون ليوافق ما قبله هو الذي يسيركم في
البر يمكنكم من السير فيه بان جعل لكم الارض ذلولا تمشون في مناكبها وقرئ ينشركم من النشر
والبحر فكان السير فيه اغرب والى ظهور آثار القدرة والرحمة اقرب خصه بالتفصيل
فقال حتى اذا كنتم في الفلك في السفن وحتى على القراءة الثانية لبيان ان غاية السير مضمون
الجملة الشرطية والالتفات وجرين بهم اي بمن فيها للمبالغة في جري الفلك بمرادهم كانت
ركوبها ووقوعهم في الغيبة مع السرعة الجري وتقبيح حالهم بمنزلة ما اذا اعرض المتكلم عن
المخاطب وحكى لغيره سوء صنيعه وقلة حيائه كانه يذكر لغيرهم حالهم لتعجبهم فيها ويستدعي
منهم الانكار والتقبيح ولك ان تقول في وجه الالتفات ان قوله هو الذي يسيركم في البر و
البحر خطاب فيه امتنان واظهار لنعمة المخاطبين والسايرون في البر والبحر مؤمنون وكفار
والخطاب شامل فحسن خطابهم بذلك ليستديم الصالح الشكر ولعل الطالح يتذكر هذه
النعمة فيرجع فلما ذكرت حالة آل الامر في آخرها الى ان الملتبس بها هو باغ في الارض
بغير الحق عدل عن الخطاب الى الغيبة حتى لا يكون المؤمنون يخاطبون بصدور مثل هذه
الحالة بريح طيبة لينة الهبوب وفرحوا بها بتلك الريح جاءتها جواب اذا والضمير للريح
الطيبة بمعنى تلقتها ريح عاصف ذات عصف شديدة الهبوب وجوز ان يكون
الضمير للفلك ولا يلائمه قوله وجاءهم الموج لما فيه تخصيص مجيء الريح بالسفينة و
مجيء الموج بمن فيها بلا نكتة تقتضيها بل معنى مجيء الموج من جهات متقابلة يستدعي ان
يكون الضمير للريح الطيبة حتى يفيد معنى التقابل والتدافع بين الريحين فيحصل المبالغة
في التجاج البحر واضطراب امواجها المقصودة من قوله من كل مكان فان عبارة كل في
مثل هذا المقام للمبالغة والتعجب لا للاحاطة والتعميم ومن غفل عنه قيد المكان بقوله يجيء
الموج منه وظنوا انهم احيط بهم سدت عليهم مسالك الخلاص كمن احاط به العدو ومثل
في الهلاك فاستعمل مكانه دعوا الله بدل من ظنوا بدل الاشتمال لان دعاءهم من لوازم ظنهم
مخلصين له الدين موحدين بلا اشراك لصفاء الفطرة بزوال الموانع من شدة الخوف لئن
انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين مفعول دعوا لانه من جملة القول فلا حاجة الى تقديره
واللام في لئن موطئة للقسم فلما انجاهم اجابة لدعائهم اذا هم يبغون في الارض فاجتهد
الفساد فيها وسارعوا الى ما كانوا عليه بغير الحق احتراز من البغي بالحق كتخريب المسلمين ديار
الكفار وقلع اشجارهم واحراق زروعهم فانه افساد بحق يا ايها الناس تكرير الخطاب
في اثناء الكلام والالتفات اخر لشدة الاعتناء بترك البغي والمبالغة في النهي والتنفير عنه

انما بغيكم على انفسكم بغيكم مبتداء على انفسكم صلته متاع الحيوة الدنيا خبره اي بغيكم على من
هو جنسكم ومثلكم يعني بغي بعضكم على بعض منفعة الحيوة الدنيا لا تبقى ويبقى عقابها او على انفسكم
خبر اي انما بغيكم وبال على انفسكم ومتاع الحيوة الدنيا خبر مبتداء محذوف اي هو متاع الحيوة الدنيا
وقرئ متاع بالنصب على انه مصدر مؤكد وعلى انفسكم خبر اي انما بغيكم وبال على انفسكم تتمتعون
متاع الحيوة الدنيا ثم الينا مرجعكم في القيامة فننبئكم بما كنتم تعملون قد سبق تفسيره في سورة
التوبة انما مثل الحيوة الدنيا حالها العجيبة في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها
واغترار الناس بها كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاشتبك بسببه حتى خالط
بعضه بعضا لمخالطته مما ياكل الناس والانعام من الزروع والبقول والحشيش حتى اذا اخذت
الارض زخرفها استعير لتلك البهجة والنضارة والالوان المختلفة لفظة الزخرف وهي
الذهب لما كان من الاشياء البهية المنظر السارة للنفوس وازينت باصناف النبات واشكالها
والوانها المختلفة وازينت اصله تزينت فادغم وقد قرئ على الاصل وازينت على افعلت
من غير اعلال كاغيلت اي صارت ذات زينة وازيانت كابياضت وظن اهلها انهم قادرون
عليها متمكنون من حصدها وتحصيل ثمرها والانتفاع بها اتاها امرنا باتلاف زرعها و
افساده ببعض العاهات بعد امنهم من افاتها ليلا او نهارا فجعلناها اي فجعلنا زرعها على تقدير
حذف المضاف للمبالغة حصيدا مقطوعا من اصلها شبيها بالحصيد كان لم تغن اي كان لم
ينبت ذلك الزرع ولا حاجة هنا الى تقدير المضاف وقرئ بالياء على الاصل يقال غني بالمكان بمعنى
مثل غني وتغنى اذا اقام وقرئ لم يتغن بالامس فيما قبله مثل في الوقت القريب ايضا كانه
قيل كان لم تغن آنفا لما قرر ان البغي متاع الحيوة الدنيا عقبه بتمثيل الحيوة الدنيا في سرعة تقضيها
وانقراض نعيمها مع بهجته وزينته بحال نبات الارض النابت بماء المطر في سرعة تقضيه وانقراضه
جفافه وذهابه حطاما بعد اخضراره وغضاضته قبل انتفاع الناس به لتنفير العقلاء عنه
والممثل به مضمون الحكاية لا الماء وان وليه حرف التشبيه لانه من التشبيه المركب وقوله حتى
اذا اخذت الارض زخرفها وازينت مبالغة في تزيين الارض وبهجتها في اثناء التمثيل بتشبيهها
في جعلها اخذة زخرفها بالعروس اذا اخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت
بانواع الزين والحلى على طريق الاستعارة بالكناية كذلك نفصل الآيات نبينها ونميز بعضها
عن بعض لقوم يتفكرون وانما خصها بهم لانهم المنتفعون بها والله يدعوا الى دار السلام الجنة
اضافها الى اسمه تعالى تعظيما لها او دار السلامة من التقضي والآفة لسلامة اهلها من كل مكروه و
قيل دار السلام لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم ويهدي من يشاء هدايته
بالتوفيق الى صراط مستقيم طريقها وهو الاسلام والتقوى ولما كان الدعاء عاما لم يتقيد بالمشية
بخلاف الهداية فانها خاصة فتقيدت بها وفيه ايذان بان الامر غير الارادة وان المصر على الضلال

لم يرد الله تعالى ان يرشده للذين احسنوا الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة عليها وهي
التفضل لقوله ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها
الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة الرضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة هو
اللقاء من غلاة اصحاب الضلالة من قال زعمت المشبهة والمجبرة ان الزيادة النظر
الى وجه الله وجاءت بحديث مرفوع اذا دخل اهل الجنة الجنة نودوا يا اهل الجنة فيكشف
الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم الله تعالى شيئا هو احب اليهم منه قولهم مرفوع
صح بالقاف عنده ومعناه مرقوع مفترى واما عند اهل الحق فقد صح بالفاء رواه
ابو بكر الصديق وابو موسى الاشعري وحذيفة وابن عباس وعكرمة وقتادة والضحاك
وابن ابي ليلى والسدي ومقاتل واورده مسلم في صحيحه عن صهيب عن النبي عم واورده
البخاري في صحيحه بلا اسناد وصححه احمد بن حنبل والزهري وابن ماجة فالحديث
متفق على صحته وذلك التعصب طعن في الحديث الصحيح والخبر الحق الصريح ترويجا
لاعتقاده الفاسد وتصحيحا لمذهبه الباطل وصحف المرفوع بحمل مرقوع على الرفع
به مذهبه المموه وقد صيرها اتسع الخرق على الراقع والحق الواقع ما له من دافع ولا يرهق
وجوههم ولا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة هوان يعني لا يرهقهم ما يرهق
اهل النار او لا يلحقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال وكسوف بال اولئك اصحاب الجنة
هم فيها خالدون دائمون لا زوال فيها ولا انقطاع لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها
والذين كسبوا السيئات عطف على الذين احسنوا كقولهم في الدار زيد والحجرة عمرو
وجاز العطف على عاملين مختلفين لتقدم المجرور او مبتدأ خبره جزاء سيئة بمثلها
على تقديره وجزاء الذين كسبوا السيئات اي يجازى سيئة بسيئة واحدة مثلها وفيه
دليل على ان الزيادة هي الفضل لان جزاء السيئة بمثلها هو العدل وترهقهم ذلة
اذكارا لهم بما يتعدهم منه يرحمه ما لهم من الله من عاصم اي من سخط الله تعالى و
عقابه او من جهة الله ومن عنده كما يكون للمؤمنين كانما اغشيت وجوههم
قطعا من الليل لفرط سوادها وظلمتها مظلما حال من الليل والعامل فيها اغشيت لانه
العامل في قطعا ومن الليل صفة له والعامل في الموصوف عامل في الصفة او معنى الفعل
في من الليل وقرئ قطعا بالسكون من قوله بقطع من الليل فيكون مظلما صفة لقطعا
او حالا منه لاختصاصه بالوصف ويعضده قراءة كانما يغشى وجوههم قطع من الليل
مظلم اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ولا متمسك فيه للوعيدية لان سياق الكلام
في الكفار لقوله تعالى وجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة ولقوله
فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم واما التعليل باشتمال السيئات على الشرك

والكفر ففيه تخصيص الحكم المذكور بالمشركين ولا وجه له والتعليل يتناول الذين اجترحوا
اصحاب الكبيرة من المؤمنين فلا يتناول قسيمه فليس بقوي لان كونهم من المحسنين
على الاطلاق غير ظاهر ويوم نحشرهم جميعا يعني الفريقين جميعا ثم نقول للذين
اشركوا مكانكم اي الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم تاكيد للضمير المرفوع
المنتقل الى مكانكم من عامله لسده مسد الزموا وشركاؤكم عطف عليه وقرئ
شركاءكم بالنصب على المفعولية معه فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل
التي كانت بينهم في الدنيا قيل فباعدنا بينهم بعد الجمع بينهم في المحشر وتبرء شركاؤهم
منهم ومن عبادتهم لقوله تعالى اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون قالوا ضلوا عنا و
يأباه ترتيبه قبل قوله وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون بالفاء الواصلة بلا تراخ
على ما تقدم وهذا مجاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم فانهم انما عبدوا في الحقيقة
اهواءهم لانها الآمرة بالاشراك لا ما اشركوا به والمراد من الشركاء الملائكة وعزير والمسيح
ومن عبدوه ممن اولي العقل وقيل الاصنام ينطقها الله تعالى فيكلمهم بذلك مكان الشفاعة
التي يتوقعون منها وقيل الشياطين ويرده قوله فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم العالم
بكنه الحال ان كنا عن عبادتكم لغافلين لان عبادتهم كانت باغوائهم ان هي المخففة
من الثقيلة واللام هي الفارقة هنالك في ذلك المقام تبلو كل نفس ما اسلفت تختبر
ما قدمت من العمل اي تعاين ضره ونفعه وقرئ تتلو من التلاوة اي تقرأ في صحيفتها
ما قدمت من العمل اي تعاين الخير والشر ومن التلو اي تتبع لان عملها هو الذي يقودها
الى الجنة او النار وقرئ نبلو بالنون ونصب كل اي نصيب كل نفس بالبلاء والعذاب بسبب
ما قدمت من الشر فيكون ما ناصبا بانتزاع الخافض او نختبرها باختبار ما اسلفت اي
نفعل بها فعل المختبر بحال المتعرف بسعادتها وشقاوتها بمعرفة عملها في الصلاح
والفساد والقبول والرد فيكون ما بدلا من كل نفس بدل الاشتمال وردوا الى الله
الى جزائه اياهم بما اسلفوا مولاهم الحق ربهم والمتولي امورهم الحق لا الباطل
الذي اتخذوه مولى او مولاهم على الحقيقة لا الذي ليس لولايته حقيقة او العدل
الذي لا يظلم احدا وقرئ الحق بالنصب على المدح كقولك الحمد لله اهل الحمد او على المصدر
المؤكد هذا عبد الله الحق لا الباطل وضل عنهم وضاع عنهم ما كانوا يفترون من ان
آلهتهم تشفع لهم او ما كانوا يدعون انها آلهة قل من يرزقكم من السماء والارض
منهما جميعا فان الارزاق انما تحصل من اسباب سماوية ومواد ارضية معا او من كل واحدة
منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان من على حذف المضاف اي من اهل السماء والارض
ام من يملك السمع والابصار اي من يستطيع خلقهما او تسويتهما او حفظهما

وكلاهما من الآفات مع كثرتهما وسرعة تاثرهما وبطلانهما من ادنى شىء ولما كان
الوصول الى الرزق بواسطتهما كان خلقهما وحفظهما من تمام الترزيق ولهذا قال
ام من ولم يقل ومن كما قال ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى اى ينشئ
الحيوان من النطفة والنطفة منه ومن يدبر الامر ومن يلى تدبير العالم تعميم بعد التخصيص
تنبيها على ان تفاصيل المنن والنعم واسباب الايجاد والتربية اكثر من ان يحصى كانه قال
وبالجملة من يدبر امر العالم كله فسيقولون الله اذ لا يقدرون نسبة ذلك الى غيره لمكابرة
لفرط وضوحه فالسين للتاكيد والفاء جزائية للترتيب على شرط محذوف تقديره
ان سألتهم عن ذلك فسيقولون الله البتة فقل تفريع على الشرط المذكور افلا تتقون
الله فى اشراككم به ما لا تشاركه فى شىء من ذلك الهمزة للاستفهام الانكارى والفاء للترتيب
الانكار على الاعتراف المذكور فهى متقدمة معنى وان اخرت لفظا حفظا لها الصدارة
الهمزة فذلكم الله اشارة الى من هذه افعاله وقدرته ربكم الحق الثابت ربوبيته لواجب
وجوده لانه الذى انشاكم واحياكم ورزقكم ودبر اموركم فماذا بعد الحق الا الضلال
استفهام انكارى اى ليس بعد الحق الذى هو التوحيد وتخصيص العبادة بربه الا الضلال
فانى تصرفون عن الحق الى الضلال وعن التوحيد الى الشرك كذلك مثل ذلك الحق اى كما
حقت الربوبية لله تع او كما حق وثبت ان الحق بعده الضلال او انهم مصروفون عن الحق
حقت كلمة ربك حكمه على الذين فسقوا تمردوا فى الكفر وخرجوا عن حد الاستصلاح انهم
لا يؤمنون مفعول كلمة لانها فى معنى الحكم اى حكمه بانهم لا يؤمنون او بدل منها اى حق وثبت
انهم لا يؤمنون او تعليل على ان الكلمة كلمة العذاب وعلته اى لانهم لا يؤمنون قل هل
من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده الزمهم بابداء الخلق واعادته وان لم يكونوا
معترفين بها تنبيها على وضوح برهانها ودلالة على ان من انكرها كان مكابرا رادا
للظاهر البين الذى اعترف بصحته العقلاء وكان عندهم من المسلمات وقد ادى
الى لجاجهم وعنادهم وشدة تكابرهم بامر النبى صلعم بان ينوب عنهم فى الجواب
فى قوله قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده اى لا بد عنهم لجاجهم ان ينطقوا بكلمة الحق فتكلم
عنهم فانى تؤفكون تصرفون عن قصد السبيل قل هل من شركائكم من يهدى الى
الحق بنصب الحجج وارسال الرسل والتمكين والاقدار على النظر والتوفيق للتفكر والتدبر
والهام الحق والصواب وهدى كما يعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام
للدلالة على ان المنتهى غاية الهداية وانها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك
عدى بها ما اسند الى الله تع فى قوله قل الله يهدى للحق اى الله وحده هو الذى يهدى
للحق دون غيره افمن يهدى الى الحق هذه الهداية احق بالاتباع ام الذى لا يهدى

بنفسه الا ان يهدى به الله تع وهذا حال اشرف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير
وقيل من لا يهدى الا ان ينقل وقرئ لا يهدى بفتح الهاء وكسرها وتشديد
الدال والاصل لا يهتدى فادغم وقرئ الا ان يهدى من هداه للمبالغة ومنه
جاء تهدى لمطاوعه كقولهم قطعته فتقطع فما لكم كيف تحكمون بالباطل اذ تزعمون
انهم انداد الله تع وما يتبع اكثرهم فى معتقداتهم الا ظنا غير مستند الى برهان
بل مستند الى خيالات واقيسة فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق على
المخلوق بادنى مشاركة موهومة والمراد بالاكثر من ينتمى منهم الى تمييز ونظر ولا يرضى
بالتقليد الصرف ان الظن لا يغنى فى معرفة الله تع من الحق اى العلم والاعتقاد شيئا
مفعول به ومن الحق حال منه او نصب على المصدر اى لا يغنى بدل الحق شيئا من الاغناء
وقيل وما يتبع اكثرهم فى اتخاذ الاصنام آلهة وانها شفعاء الا ظنا وقيل فيه
دليل على ان تحصيل العلم فى الاصول واجب والتقليد والاكتفاء غير جائز ان الله عليم
بما يفعلون وعيد لهم على ما يفعلون من اتباع الظن وتقليد الاباء دون البرهان
وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله وما صح ان يكون مثل هذا القرآن
فى الاعجاز افتراء من الخلق ولكن تصديق الذى بين يديه ولكن كان تصديق ما
تقدمه من الكتب المنزلة الصادقة وتصديق الصادق صادق وهو لكونه معجزا
دليل على صدقها وشاهد لصحتها نصب تصديق خبر كان المقدر او علة لفعل محذوف
تقديره لكن انزل الله تصديق الذى وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق
الذى وتفصيل الكتاب وتبيين ما كتب وفرض من الاحكام والشرائع من قوله
كتاب الله عليكم وقرئ وتفصيل بالرفع عطفا على تصديق على قراءة الرفع لا ريب
فيه خبر ثالث داخل فى حكم الاستدراك اى منفيا عنه الريب كائنا من رب
العالمين ويجوز ان يكون من رب العالمين متعلقا بالتصديق والتفصيل ويكون
لا ريب فيه اعتراضا كقولك زيد لا شك فيه كريم او بالفعل المعلل بهما وحالا من
الكتاب او الضمير فى فيه لانه مفعول فى المعنى ومساق الآية بعد النفى عن اتباع الظن
لبيان ما يجب اتباعه والبرهان على كونه من عند الله تع ام يقولون بل يقولون
افتراه محمد ومعنى الهمزة انكار لقولهم واستبعاد لدعوى الافتراء مع كونه
حجة عليهم بالاعجاز قل فاتوا بسورة مثله اى ان كان افتراء كما زعمتم فاتوا
انتم بسورة مفتراة مثله فى البلاغة وحسن النظم فانكم مثلى فى البلاغة والفصاحة
بل اشد تمرنا بها منى وادعوا من استطعتم ومع ذلك فاستعينوا بمن امكنكم
ان تستعينوا به من دون الله من خلقه اى لا تدعوا الله فانه وحده قادر على ذلك

من الاوثان الا ان الامكان فيعطله
الا ان يهدى صح

بالظن ده

غيره ان كنتم صادقين انه افتراه بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بالقران
بما لم يحيطوا بعلمه بالقران في اول وهلة سماعه قبل ان يفهموه ويعلموا معانيه او بما
جهلوه ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء وما يخالف دينهم لفرط انسهم
بما الفوه وتقيدوا به من دينهم ونفورهم عما يخالفه ولما يأتهم تأويله ولم يقفوا
بعد على تأويل ما فيه ولم يبلغ اذهانهم معانيه او لم يأتهم بعد تأويل ما فيه من
الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق او كذب يعني ان القران معجز من جهة اللفظ
والمعنى ثم انهم فاجأوا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع
في لما انه قد ظهر لهم في الاخرة اعجازه لما كرر عليهم التحدي فرازوا قواهم
في معارضته فتضاءلت دونها ولما شاهدوا وقوع ما اخبر به طبقا لاخباره مرارا
فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا كذلك مثل ذلك التكذيب كذب الذين من
قبلهم انبياءهم قبل النظر في معجزاتهم تقليدا وبعده عنادا او حسدا فانظر كيف
كان عاقبة الظالمين وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم ومنهم من يؤمن به من
يصدق به في نفسه ولكن يعاند ومنهم من لا يؤمن به من يشك فيه ولا يصدق
او منهم من سيؤمن به ومنهم من سيصر ولا يؤمن به وربك اعلم بالمفسدين
بالمعاندين والمصرين وان كذبوك وان اصروا واطبقوا على تكذيبك بعد الزام
الحجة فقل لي عملي ولكم عملكم فتبرأ منهم وخلهم فقد اعذرت وقل لي جزاء
عملي ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون
لا تؤاخذون بعملي ولا اواخذ بعملكم قيل ولما فيه من ايهام الاعراض عنهم وتخلية
سبيلهم قيل انه منسوخ باية السيف ولا وجه له لان النسخ انما يصار اليه
عند قيام التعارض قطعا والايهام بمعزل عنه ومنهم من يستمعون اليك اذا
قرأت القران وعلمت الشرائع ولكن لا يقبلون ولا يعون كالاصم الذي لا يسمع
اصلا افانت تسمع الصم ابعد التبليغ تقدر على اسماع الصم ولو كانوا لا
يعقلون ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم ومنهم من ينظر اليك ويعاين دلائل
صدقك ولا يصدقك ولكن افانت تهدي العمي انت بعد اظهار المعجزات ودلائل
النبوة تقدر على هدايتهم ولو كانوا لا يبصرون ولو انضم الى عماهم عدم بصيرتهم
افانت انكار ان يكون هو الذي يقدر على اسماع الاصم الذي لا يعقل وهداية
الاعمى الذي لا بصيرة له وفيه تنبيه على ان حقيقة الاسماع هو فهم المعنى وحقيقة
الابصار هو الاستبصار والاعتبار وهما انما يكونان بالعقل والبصيرة لا بالاذن
ولذلك لا يوصف بالاول البهائم ويحدس الاعمى المستبصر ويتفطن بما لا يدركه

البصير الاحمق وانه لا يقدر على موهبة العقل والبصيرة والتوفيق للفهم والاستبصار
الا الله تعالى وحده فاذا لم يهب ولم يوفق فمحال ان تقدر على ذلك وفي تشبيههم بالصم
والاعمى ان فائدة السمع والبصر الفهم والاستبصار فاذا لم يحصلا فكانهما لم يكونا و
في ضم سلب العقل والبصيرة الى الصمم والعمى تنبيه على الياس من ان يفهموا ويستبصروا
واما سلب العقل في الاول وسلب البصر في الثاني فلانه بالبصر بدون العقل يوصل الى
اهتداء الطريق والسلوك فيها الا ترى ان البهائم تبصر الطرق وتسلك فيها وتنتفع بها
ولا عقل لها بخلاف السمع فانه لا ينتفع بها بدون العقل فبظاهر البصر بدون العقل تبصر
الاشياء وبظاهر السمع بدون العقل لا تعرف الاشياء والاية كالتعليل للامر بالتبرء و
الاعراض عنهم ان الله لا يظلم الناس شيئا باخلال شيء من اسباب كمالهم ووسائل
اهتدائهم كنقص حواسهم وسلب عقولهم وبصائرهم واهمالهم سدى بلا
بلا تنبيه ببعثة الرسول وانزال الكتب ولكن الناس انفسهم يظلمون بترك استعمال
مشاعرهم وعدم التفكر والتفهم بعقولهم والنظر والاعتبار ببصائرهم والذهول
عن الوحي والانذار بالانهماك في شهواتهم او لا يظلمهم بالتعذيب بكفرهم وعنادهم
يوم القيمة فانه عدل ولكن الناس انفسهم يظلمون باقتراف اسبابه واستيجابه فعلى
هذا الوجه هو وعيد لهم وعلى الاول تنبيه على ان كونهم بمنزلة الصم والعمي من عدم استعمالهم
الاهتداء فيما خلقت له لا لان اسباب الهداية مفقودة وعلى الوجهين تذييل لسابقه ويوم
يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة استقصار منهم لمدة لبثهم في الدنيا او في البرزخ لهول
ما يرون وفي بيانها بقوله من النهار تاكيد للاستقصار لان النهار لكونه زمان الاشتغال
بالاشتغال لا يدرك طول ساعته بخلاف الليل والجملة التشبيهية في موقع الحال اي
يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة او صفة ليوم والعايد محذوف اي كان لم
يلبثوا قبله او المصدر محذوف اي حشرا كان لم يلبثوا قبله يتعارفون بينهم يعرف
بعضهم بعضا كان لم يتفارقوا الا قليلا وذلك اول ما حشروا ثم ينقطع التعارف
بينهم لشدة الامر عليهم فهو بيان لقوله كان لم يلبثوا لان طول مدة اللبث يوجب
التناكر والتعارف ثابت مع قلتها قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله استيناف للشهادة
من الله على خسرانهم في تجارتهم وبيعهم الايمان بالكفر وما كانوا مهتدين اي الى طريق
التجارة وفيه معنى التعجب كانه قيل ما اخسرهم ووضع الذين كذبوا موضع ضميرهم
اشعارا بان سبب الخسران انما هو تكذيبهم بلقاء الله وعدم اهتدائهم لاستعمالهم
من المشاعر العقول والبصائر في تحصيل المعارف واكتسابهم عقايد فاسدة و
جهالات تؤديهم الى الخسار والهلاك والعذاب واما نرينك بعض الذي

نعدهم من العذاب في حيوتك كما أراه يوم بدر أو نتوفينك قبل أن نريك
فإلينا مرجعهم فنريكه في الآخرة قيل هو جواب نتوفينك وجواب نريك محذوف
مثل فذاك ولا حاجة إلى تقدير الجواب المذكور لأن قوله فإلينا مرجعهم صالح
أن يكون جوابا للشرط وما عطف عليه وعلى هذا يكون المعنى في كلا التقديرين نعذبهم
في الآخرة والذي نريكه في الدنيا لا يكون سببا لتخفيف عذابهم في الآخرة وهذا
هو المناسب للمقام فلا وجه للعدول عنه بالارتكاب لمحذوف في الكلام ثم
الله شهيد على ما يفعلون أي بعد رجوعهم إلينا الله معاقبهم على أفعالهم
أو الله مؤد شهادته على أفعالهم حين ينطق جلودهم وألسنتهم وأيديهم
شاهدة عليهم والمراد من الشهادة مقتضاها ونتيجتها أي العقاب لأن شهادة
الذي أحاط علمه بجميع أفعالهم السيئة الخفية والظاهرة يوجب العقاب لا شك بد لأنه
محض كل ما سوء والالتفات من التكلم إلى الغيبة وإظهار اسم الله تع وإيقاع ثم
وإيراد الجملة الاسمية للتنبيه على أن المعاقب هو الله تع الذي لا يخفى عليه خافية
وتربية المهابة والتهديد والتهويل بأن مضمون الوعيد في غاية البعد من تصورهم
عند الرجوع ودوام العقاب وفيه أنواع من المبالغات في تشديد الوعيد و
تأكيده وقرئ بالفتح أي هنالك ولكل أمة من الأمم الماضية رسول بعث إليهم
ليدعوهم إلى الحق فإذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه قضي بينهم بالقسط
بالعدل فأنجي الرسول ومن آمن به وأهلك المكذبون وذلك لإلزام الحجة كقوله تع
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وهم لا يظلمون بالعقاب في الآخرة بعد العذاب
في الدنيا لأنه جزاء سيئاتهم والتعذيب في الدنيا لا يكون مكفرا في حق الكافر وعلى
هذا هو تأسيس لا تأكيد لما قبله فالعاطف أصاب المحز بخلاف ما قيل معناه
لكل أمة يوم القيمة رسول تنسب إليه فإذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم
بالكفر والإيمان قضي بينهم بإنجاء المؤمنين وعقاب الكافر كقوله وجيء بالنبيين
والشهداء وقضي بينهم فإنه ح يتعين التأكيد فالعاطف يكون واقعا بين الشجر
ولحائه ويقولون متى هذا الوعد استعجال من المكذبين لما وعدوا من العذاب استبعادا
وإنكارا واستهزاء إن كنتم صادقين خطاب للرسول عم والمؤمنين به قل لا أملك
لنفسي ضرا ولا نفعا فكيف أملك لكم فأعجل إليكم العذاب وتقديم الضر لأن مساق
الكلام من جنسه إلا ما شاء الله استثناء متصل أي إلا ما شاء الله أن أملكه أو منقطع
أي ولكن ما شاء الله مع ذلك كائن لكل أمة أجل مضروب لهلاكهم عند الله تع وحد
محدود من الزمان إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون إذا جاء وقته

الجزء وعدكم بالعذاب فلا تستعجلوه به بياتا نصب على الظرف أي وقت بياتكم وغفلتكم
بالنوم أو نهارا أي وقت اشتغالكم بطلب المعاش والكسب واللهو وجواب الشرط محذوف
أي ندمتم على الاستعجال وعرفتم الخطاء فيه وقوله ماذا يستعجل منه المجرمون متعلق بأرأيتم
أي أخبروني ماذا تستعجلون منه والشرطية اعتراض والأولى أن يكون ماذا جواب الشرط
كقولك إن أتيتك ماذا تطعمني والشرطية اعتراض متعلقة بأرأيتم ونحوها أن العذاب
كله مكروه موجب للنفار يجب أن يستعاذ منه لا أن يستعجل فأي شيء تستعجلون
منه على أن الضمير منه للعذاب وقيل لله تع ويجوز أن يكون معنى الاستفهام في ماذا
التعجب من العذاب مع الإنكار أي أي شيء هائل شديد تستعجلون منه
ومن في هذا الوجه يجوز أن يكون للبيان ووضع المجرمون موضع ضمير المخاطبين على
طريقة الالتفات تقوية لما في الاستفهام من معنى الإنكار والتعجب ودلالة على موجب
تركه الاستعجال الذي هو الإجرام فإن المجرم من حقه أن يخاف التعذيب ويستبعده
منه وإن أبطأ فضلا أن يستعجله ويجوز أن يكون أثم إذا ما وقع آمنتم به جواب الشرط
وماذا يستعجل اعتراضا أي أخبروني إن أتاكم عذابه بياتا أو نهارا ووقع وتحقق
آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الإيمان ودخول الهمزة على ثم لإنكار تأخير الإيمان
إلى وقت لا ينفع وهو وقت العذاب وإدخالها على المعطوف لأنه مصب للإنكار والاستبعاد
وإنما جيء بحرف التراخي بدل الواو دلالة على الاستبعاد ثم زيد أداة الشرط دلالة على
استقلاله بالاستبعاد وعلى أن الأول كالتمهيد وزيادة التجهيل وأنهم لم يؤمنوا إلا
بعد أن لم ينفعهم البتة الآن على إرادة القول قيل لهم إذا آمنوا بعد وقوع العذاب
الآن آمنتم وقد كنتم به تستعجلون تكذيبا وإنكارا ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل
المقدر قبل الآن ذوقوا عذاب الخلد المؤلم على الدوام هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون
من الكفر والمعاصي ويستنبئونك ويستخبرونك أحق هو الضمير للعذاب الموعود أحق خبر
والضمير مبتداء أو مبتداء والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر كقولهم أقائم زيد والجملة
في محل النصب بيستنبئونك والهمزة للاستفهام على سبيل الإنكار والاستهزاء وقرئ
الحق هو على أن اللام للجنس كأنه قيل أهو الحق لا الباطل أو هو الذي سميتموه الحق و
هو أقوى في الاستهزاء لتضمنه معنى التعريض بأنه باطل قل إي وربي إنه لحق أن العذاب
الكائن وإي من حروف الجواب الإيجاب بمعنى نعم ويختص بالقسم كما أن أجل بمعنى قد
يختص بالاستفهام فيقولون إي والله ولا ينطقون به وحده وما أنتم بمعجزين فائتين
العذاب أي هو لاحق بكم لا محالة ولو أن لكل نفس ظلمت بفعل ما يستحق به العذاب ما في
الأرض أي ما في الدنيا اليوم من خزائنها وأموالها وجميع منافعها لافتدت به لجعلته

فدية لها من العذاب من قولهم افتداه بمعنى فداه ولفظة كل لتعميم الحكم لكل واحدة من
النفوس الظالمة واسروا الندامة لما راوا العذاب وقت رؤيتهم العذاب لانهم بهتوا
بما عاينوه مما لم يخطر ببالهم ولم يحتسبوه وسلبت شدته وفظاعته قولهم فلم يطيقوا
اظهار الجزع والبكاء للدهشة والحيرة لا للتجلد اذ ليس هناك فامتلأت قلوبهم ندما وقيل
اسر رؤساؤهم الندامة من اتباعهم الذين اضلوهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم
وقيل اسروا الندامة اخلصوها وجعلوها سرهم اى لم ينووا طلبهم بحيث لم يكن فيها
شئ آخر او من قولهم سر الشئ لخالصه لانها يخفى ويضن بها وعلى هذا يكون فيه تهكم
بهم وقيل اظهروها من قولهم اسر الشئ اذا اظهره وهو من الاضداد وقضى بينهم
بالقسط اى بين الظالمين والمظلومين لدلالة ذكر الظلم وهم لا يظلمون ليس بتكرير لان
الاول قضاء حكومة والثانى مجازاتهم على الشرك وساير المعاصى الا ان لله ما فى السموات
والارض تقرير لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب الا ان وعد الله حق ما وعده من الثواب
والعذاب كاين لا خلف فيه انى بكلمتى التنبيه والتحقيق وجمع بينهما فى جملتى الاختصاص
بالملك وانجاز الوعد تقريرا لما عدوه وتنبيها على ان ما ذكر حق واجب الوقوع لا
محالة ولكن اكثرهم لا يعلمون لانهم كهم فى الغفلة هو يحيى ويميت فى الدنيا فيقدر
عليهما فى العقبى ايضا لان القادر لذاته لا يزول قدرته والمادة القابلة بالذات للحيوة
والموت قابلة لهما ابدا واليه ترجعون بالبعث بعد الموت تحذير وترهيب واطماع و
ترغيب ليخاف ويرجى يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور
وهدى ورحمة للمؤمنين اى كتاب جامع لهذه الفوايد من الحكمة العملية المبينة لمحاسن الاعمال
وقبايحها والمحرض على الاولى والتحذير عن الثانية والحكمة النظرية من المعارف والحقايق
التى هى شفاء لما فى الصدور من الامراض القلبية كالجهل والشك والنفاق والشرك والهداية
الى الحق والتوحيد والرحمة لمن آمن به بانزاله عليهم ما ينجيهم من ظلمات الضلال والكفر
الى نور الهدى والايمان ومن دركات النيران الى درجات الجنان وتنكير موعظة وما عطف
عليها للتعظيم قل بفضل الله وبرحمته يتعلق بفعل محذوف يفسره ما بعده تقديره بفضل
الله ورحمته يعنى بانزال القرآن والهداية الى الايمان فليفرحوا فبذلك فليفرحوا او بفعل
نوع وما يناسبه نحو بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فحذف لدلالة الثانى عليه وذلك
اشارة الى الفضل والرحمة بتاويل ما ذكر وتقديمه للتاكيد والبيان بعد الابهام وايجاب
اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوايد الدنيا وكذا تكرير الفاء
للتاكيد وهو جواب شرط مقدر تقديره ان كانوا يفرحون بشئ فليخصوهما بالفرح فانه لا
مفروح به احق منهما ويجوز ان يكون الفاء للربط بما قبلها والدلالة على ان مجئ الكتاب

الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح ويجوز ان يتعلق بفضل الله وبرحمته بقوله
قد جاءتكم اى قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته وذلك اشارة الى مصدر جاء اى بمجيئها
فليفرحوا وقرئ فلتفرحوا بالتاء على الاصل المرفوض وهو القياس وروى عن رسول الله
صلعم مرفوعا وانما اثروه لانه ادل على الامر بالفرح واشد تصريحا به وهو راجع لما فى ذلك
خير مما يجمعون من حطام الدنيا السريع الزوال وقرئ تجمعون بالتاء على المخاطب ومن
لم يذق حسن هذا الاستيناف فى مقام التعليل ولم يدر انه اقوى الوصلين قال على معنى بذلك
فليفرح المؤمنون فهو خير مما تجمعون فاوهم ان حق المقام الوصل بالفاء التعليلية
ولا يخفى ما فيه من سوء الادب قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق جعل الرزق منزلا
لانه مقدر فى السماء مسبب باسبابها من المطر والشمس والقمر والانبات والانضاج والتلوين
وما فى محل النصب بانزل او بارايتم لانه فى معنى اخبرونى ولكم دل على ان المراد بالرزق
ما حل ولذلك وبخهم على التبعيض بقوله فجعلتم منه حراما وحلالا من البحيرة والسائبة
والوصيلة والحامى وما جعلوا لله من الحرث والانعام وانما قدم حراما لانه منصب
الانكار وفى اسناد التحريم والتحليل اليهم اشارة الى انهم هم المنصوبون توبيخا وتمهيدا
لاثبات القسم الثانى من المنفصلة فى قوله قل آلله اذن لكم ام على الله تفترون اى اخبرونى
آلله اذن لكم فى التحريم والتحليل فتفعلون ذلك باذنه ام تكذبون على الله فى نسبته اليه
على ان ام منفصلة وتكرير قل بين ارايتم وما يتعلق به للتاكيد والاستفهام للتبكيت
والاشارة الى نسبة ذلك الى الله تعالى تقليد وقول بلا حجة فلزم الافتراء وكان الاصل
آلله اذن ام غيره فعدل الى المنزل دلالة على ان الثابت هو الشق الثانى وهم ينسبونه
الى الله تعالى فهم مفترون عليه لا على غيره وفيه زجر وتهديد عظيم وان جعلت ام منقطعة
بمعنى بل والهمزة فالاستفهام للانكار ومعنى بل اضراب عن ان يكون ذلك باذن الله تعالى
ومعنى الهمزة تقرير للافتراء وتوبيخ عليه وتقديم على الله تقبيح لتخصيصهم بالافتراء عليه
لما انه نهاية فى قبح الكذب وفى العدول عن الضمير الى الاسم المظهر تفخيما زيادة تقبيح
لقبح الافتراء وما ظن الذين يفترون على الله الكذب فى ابهام متعلق الظن بحذفه و
السؤال عنه وعيد بليغ وتهديد عظيم اى اى شئ ظنهم يوم القيمة وهو يوم الجزاء
ايحسبون انهم لا يجازون على الافتراء وقرئ ظن على لفظ الفعل على جعل المحقق الوقوع
واقعا ونصب على المصدر اى ظن ظنهم فيه ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم بما
انعم عليهم من العقل والحواس وساق اليهم الرزق وهداهم الى الحق بارسال الرسل
وانزال الكتب واخر عنهم العذاب من غير سابقة صنع منهم يستوجبون به ذلك
ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعم العظيمة لجهلهم بمواقعها وما يكون فى شان ان فى

الامر واصله القصد وعينه الهمزة من شانت شانه اذا قصدت قصده فخففت والضمير
في قوله وما تتلو منه راجع الى الشان لان تلاوة القران بشان معظم من شؤون النبي عم
او لان القراءة تكون لشان فيكون التقدير من اجله ومفعول تتلو من قران على ان من
تبعيضية او مزيدة لتاكيد النفي او للقران واضماره قبل الذكر ثم بيانه تفخيم له او لله ولا
تعملون من عمل من لتاكيد النفي اي عمل كان ولا تعملون تعميم للخطاب بعد تخصيصه
بمن هو راسهم ومقدمهم وحيث خص ذكر ما فيه فخامة وحيث عمم ذكر ما يتناول
الخطير والحقير للمناسبة الا كنا عليكم شهودا رقباء مطلعين عليه استثناء مفرغ من
اعم الاحوال على تقدير قد كنا او اعم الاوقات اي وقت كنا اذ تفيضون فيه وقت اندفاعكم
فيه ظرف لشهودا وعلى الثاني جاز كونه بدلا من الوقت المقدر وما يعزب عن ربك قرئ
يعزب بكسر الزاء وضمها والعزوب معناه البعد والغيبة يقال عزب اذا انفرد عن اهله
من مثقال ذرة موازن نملة صغيرة او هباء في الارض ولا في السماء عبر بقطري العالم
عن كله المراد احاطة علمه بجميع ما في الموجود فعبر عنه بما ذكر على معتقد العامة فان التنزيل
وارد على لسانهم وهم ينكرون وجود ممكن ليس بمتحيز وقدم الارض هاهنا بخلاف ما في
سورة سبا لان الكلام هاهنا في شؤون اهل الارض وشهادته عليها رعاية للملايمة والا
فالواو في الجمع بينهما كالتثنية ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين جملة
براسها ولا لنفي الجنس واصغر مبني على الفتح اسمها وفي كتاب خبرها ولا اكبر عطف
عليه بالنصب ولا مزيدة للتاكيد او مفتوح مثله وقريا مرفوعين على ان الاول مبتدا
خبره في كتاب والثاني عطف عليه ومن جعل رفعها عطفا على محل من مثقال وفتحها
على لفظ مثقال لكونهما غير منصرفين مفتوحين في موضع الجر جعل الا في كتاب استثناء
منقطعا بمعنى لكن في كتاب مبين والمراد من الكتاب اللوح المحفوظ فيصير مؤكدا لقوله
لا يعزب عنه كانه قيل كيف يعزب وهو في كتاب مبين على ان الاتصال له ايضا وجه لا سيما
اذا فسر الكتاب المبين بعلم الله تع كما مر في سورة الانعام ويكون المعنى لا يغيب عنه الا في
علمه ومعلوم ان غيبة الشي في العلم عين كشفه فهو من باب الا ما قد سلف وان فسر باللوح
فلا باس ايضا لانه محل صور معلوماته تع وكان مقتضى البلاغة بحسب النظر تقديم الاكبر على الاصغر
ليكون الكلام على طريقة الترقي وانما عكس الترتيب سوقا له على مقتضاها بحسب دقيق النظر
ليكون في كل واحد من جزئي الكلام نوع من الاهتمام التقديم وذلك انه ح يكون في الجزء الاول
التقديم وفي الثاني اهتمام التصريح بعد العلم بالالتزام الا ان اولياء الله الذين يتولونه
بالطاعة ويتولاهم بالكرامة لا خوف عليهم في الحال من لحوق محذور ولا هم يحزنون من وقوع
مكروه من فوات نافع وحصول ضار الذين امنوا وكانوا يتقون نصب او رفع على المدح او على

وصف الاولياء فيكون بيانا لتوليهم ربهم او رفع على المدح الابتداء والخبر لهم البشرى
في الحيوة الدنيا وفي الاخرة بيان لتوليه اياهم والبشرى في الدنيا ما بشر الله تع به المؤمنين
في غير موضع من كتابه وعلى لسان نبيه عم وما يريهم في الرؤيا الصادقة وما يسنح لهم من الكشوف
وبشرى الملئكة عند النزع واما البشرى في الاخرة فتلقي الملئكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز
والكرامة لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا خلاف لمواعيده ذلك اشارة الى
تخصيص البشارة بهم في الدارين هو الفوز العظيم لانه نيل جميع ما يرجى والامن من كل
ما يخشى وهذه الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق البشرية وتعظيم شانه وليس من شرطه ان يقع
بعده كلام يتصل بما قبله ولا يحزنك قولهم تكذيبهم وتهديدهم وتشاورهم في تدبير
هلاكك وقرئ لا يحزنك من احزنه ان العزة لله جميعا استيناف للتعليل كانه قيل ما لي لا احزن
فقيل ان العزة الخ اي الغلبة والقدرة كلها لله تع لا يملك احد غيره شيئا منها فهو يغلبهم و
ينصرك عليهم وقرئ ان العزة بالفتح اي لان العزة تصريحا بالتعليل وفيه اضمار عن اهل
العزة تسلية لاهل العزة هو السميع لاقوالهم العليم بعزماتهم فيكافيهم عليها الا ان لله
من في السموات والارض تمهيد لما بعده من امتناع ان يكون الجماد له ندا لانه تخصيص للعقلا
بملكيته بتقديم لله وايراد من دون ما مع التاكيد بتصدير الجملة بحرف التنبيه والتحقيق
فالعقلاء من الملئكة والثقلين اذا كانوا تحت يده عبيدا مملوكين مع كونهم اشرف المخلوقات
ولا يصح كونهم شركاء فكيف يصح ان يكون الجماد له ندا فهو كالدليل على بطلان اعتقاد المشركين
وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ما نافية وشركاء مفعول يدعون وان جعلت
موصولة فمنصوبة المحل عطفا على من وقرئ تدعون بالتاء والمعنى واي شي يتبع الذين
تدعونهم شركاء من الملئكة والنبيين اي انهم لا يتبعون الا الله تع ولا يعبدون غيره فما لكم
لا تتبعونهم فيه كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة فيكون الزاما بعد برهان
وما بعده مصروف عن خطابهم لبيان سندهم ومنشا رايهم وان هم الا يخرصون اي يكذبون
فيما ينسبون الى الله تع او يحزرون ويقدرون انها شركاء تقديرا باطلا هو الذي جعل لكم الليل
لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تنبيه على انه تع هو المتفرد بكمال قدرته وعظيم نعمته التي لا يمكنهم
ان يعبدوا بدونها ليدلهم على انه المتفرد باستحقاق العبادة فيقصدوا بها وجعل متعد الى
مفعول واحد بمعنى خلق ومبصرا حال ويجوز ان يكون متعديا الى مفعولين والثاني لكم اي لتسكنوا
فيه وتستريحوا من تعب التردد في طلب المعاش وما يكدحون منه في النهار وحذفها من النهار
وذكر وصف النهار وحذفه من الليل وكل من المحذوفين يدل عليه المذكور في مقابله والتقدير
جعل لكم الليل مظلما لتسكنوا فيه والنهار مبصرا لتتحركوا فيه في مكاسبكم وتهتدوا الى مآربكم
واسناد الابصار الى النهار مجازي على طريقة ليله قائم ونهاره صائم وانما عدل عن قوله لتتحركوا

فيه مناسبا لتسكنوا فيه للدلالة على انه مع كونه ظرفا للابصار سبب لها بخلاف سائر
الظروف ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع اعتبار وادكار قالوا اتخذ الله ولدا
اي تبناه سبحانه تنزيه له تع عن التبني وتعجيب من المتبني وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغني
علة لتنزهه عنه فانه مسبب عن الحاجة له ما في السموات وما في الارض تقرير لغناه ان عندكم
من سلطان بهذا نفي لمعارض البرهان الذي اقامه تحقيقا لبطلان قولهم ومبالغة في
تجهيلهم اي ما عندكم من حجة بهذا القول مع ان الحجة دالة على خلافه والباء في بهذا متعلق
بسلطان او بقوله ان عندكم بمعنى الظرفية اي ما عندكم في هذا القول حجة كقولك ما عندكم
بارضكم موز اتقولون على الله ما لا تعلمون لما نفى البرهان عنهم جعلهم جاهلين وفيه دليل
على ان كل قول لا دليل عليه فهو جهل وان العقايد لا بد ان يكون برهانية لا تقليدية
والهمزة للتوبيخ والتقريع لهم على اختلاقهم وجهلهم قل ان الذين يفترون على
الله الكذب بنسبة الولد والشريك اليه تع لا يفلحون لا ينجون من النار ولا
يفوزون بالجنة متاع خبر مبتدأ محذوف والتنكير للتقليل تقديره افتراؤهم متاع
قليل اي منفعة يسيرة في الدنيا اي يتمتعون به في الدنيا برياستهم في الكفر وحيوتهم
وتقلبهم فيها متاع او مبتدأ خبره محذوف اي لهم تمتع في الدنيا ثم الينا مرجعهم
بالبعث بعد الموت فيلقون الشقاء المؤبد ثم نذيقهم العذاب الشديد في جهنم
بما كانوا يكفرون بسبب استمرارهم على الكفر واتل عليهم نبأ نوح خبره مع قومه اذ
قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم شق وثقل ومنه قوله تع وانها لكبيرة الا على
مقامي مكاني اي كوني ووجودي ومنه فعلت كذا لمكان فلان او اقامتي ومكثي بين اظهركم
مدة طويلة او قيامي على الدعوة لا عند التذكير لان قوله وتذكيري يغني عنه والتلبيس
عنه من التاكيد بايات فعلى الله توكلت اي خصصت الله تع بالتوكل عليه والوثوق بجواب
الشرط اي فلا ابالي وقيل جواب الشرط فاجمعوا امركم وما تقدم اعتراض بين الشرط
وجوابه كما تقول ان كنت انكرت على شيئا فان الله حسبي فاعمل ما تريد ونحو فاجمعوا
ما تريد قرئ بالوصل من الجمع وبالقطع من الاجماع وهو العزم في اسناد الجمع او الاجماع
الى شركاء تهكم بهم وشركائكم كما في قوله تع قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون وشركائكم
معطوف على امركم على حذف مضاف تقديره وامر شركائكم او منصوب بفعل محذوف
تقديره وادعوا شركاءكم وقد قرئ به وقيل اجمعوا بمعنى اعزموا ونفع على المعطوف
جميعا وقال الزجاج هو مفعول معه والواو بمعنى مع اي مع شركائكم ولا يساعده
قراءة الوصل لما قال الجوهري في درة الغواص لا يقال اجتمع فلان مع فلان وانما يقال
اجتمع فلان وفلان وقرئ بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز بلا تاكيد للفصل

ثم لا يكن امركم في قصدي عليكم غمة مستورا عليكم وليكن مكشوفا مجاهرا به من غمه
اذا ستره او لا يكن امركم اي ما تكونون فيه من شدة الحال والكراهة وثقل مقامي فيكم
ومشقته عليكم غما وكربا عليكم الغمة والغم كالكرب والكربة معنى وصيغة اي لا تتوقفوا
في اهلاكي وتدبيره لئلا يكون عيشكم بسبب مصاحبتي وما لكم مني غصة عليكم ثم اقضوا
ادوا الي ذلك الامر الذي تريدون بي يعني ادوا قطعه وتصحيحه الي كقوله وقضينا
اليه ذلك الامر او ادوا الي ما هو حق عليكم من وجوب اهلاكي كما يقضي الرجل غريمه
وقرئ ثم افضوا بالفاء اي ثم انتهوا الي بشركم وقيل هو من افضى الرجل اذا خرج
الى الفضاء اي اصحروا به الي وابرزوا به لي ولا تنظرون ولا تمهلوني فان توليتم اي
اعرضتم عن تذكيري فما سألتكم من اجر يوجب اعراضكم عني لثقله عليكم واتهامكم اياي
لاجله من طمع من اموالكم ان اجري في نصيحتكم ووعظكم الا على الله هو الذي يثيبني عليه
اي ما نصيحتكم الا لوجه الله تع لا لغرض من اغراض الدنيا وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين
لامر الله وقضية الاسلام ان لا يطلب على تعليم الدين شيء من الدنيا ولا يبتغي بالدعوة
والموعظة الا وجه الله تع رضي الله عن ابي حنيفة ره ما امعن النظر اذ لم ير الاجارة
على الطاعات والمراد الزام الحجة لهم وتبرئة ساحته عما يوجب الاعراض فكذبوه فاصروا
على تكذيبه تمردا وعنادا بعد طول مدة الدعوة والزام الحجة فنجيناه يعني من الغرق ودل
عليه قوله ومن معه في الفلك من الانسان والحيوان وانما قال ومن دون وما تغليبا للعقلاء
على غيرهم للتنبيه على ان نجاة غيرهم كان تبعا لهم وجعلناهم خلائف من الهالكين و
اغرقنا الذين كذبوا باياتنا بالطوفان والجعل مؤخر عن الاغراق وان قدم لفظا للاهتمام
به فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما نزل بهم من العذاب وتهديد لمن كذب
رسول الله صلعم وتسلية له والعدول عن مقتضى ظاهر السياق وهو المكذبين الى المنذرين
للتنبيه على ان التكذيب انما يستوجب نزول العذاب اذا كان بعد الانذار فاعتبر هذا
اللطف ودقق لطف هذا الاعتبار ثم بعثنا البعث اعم من الارسال فان كل نبي ارسله
فقد بعثه ومنه قوله من بعثنا من مرقدنا والذي امر بتبليغ الرسالة الى قوم ومنهم
انما يناسبه عبارة البعث دون الارسال من بعده من بعد نوح هم رسلا التنكير
للتكثير الى قومهم الى اقوامهم كل رسول الى قومه وانما لم يجمع لانه في الاصل مصدر فجاؤوهم
بالبينات بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا عبارة كان الدالة على الاستمرار
مقدمة على اداة النفي في الاعتبار اي لم يؤمنوا بهم واصروا على الانكار وفي زيادة
لام الجحود تاكيد لهذا المعنى ودلالة على ان ايمانهم في حيز الامتناع بما كذبوا به من قبل
بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه من قبل بعثة الرسول اي ما تفاوت حالهم

قبل البعثة وبعده لاعتيادهم بالعناد وانكار الحق كذلك مثل ذلك الطبع المحكم نطبع
على قلوب المعتدين لان الاعتداء والافراط في التمادي في عين الحق يوجب الخذلان ضح بحسب
دينا وطبقا فالكلام على الحقيقة دون الكناية ثم بعثنا من بعدهم من بعد هؤلاء الرسل
موسى وهرون الى فرعون وملائه خص اشرافهم بالذكر اكتفاء بذكر الملأ عن الكل
باياتنا بالآيات التسع اضافها الى نفسه تنبيها على خروجها عن حيز استطاعة العبد وتعلق كسبه
بها وكونها من خوارق العادات فاستكبروا عن قبول الحق واتباع من ارسل اليهم والاستكبار
طلب الكبر من غير استحقاق واعظم الكبر استهانة العبد برسالة ربهم بعد تيقنها بالبينات
وكانوا قوما مجرمين معتادين بالآثام العظام فلذلك استكبروا عنها واجترءوا على
ردها اما توصيف الآثام بالعظام فلان الجرم يؤذن عن ذنب له عظم ثم ان سبيل الكلام
سبيل الاعتراض التذييلي وبدل على تمردهم واعتيادهم له فجمعه بالاسم لذلك على ان الكافر
اذا وصف بالجرم والفسق فهم ليعلم اشده واما التسبيبية فمن نفس الاعتراض والحمل على العطف
الساذج لا يلائم بلاغة القران فلما جاءهم الحق من عندنا فلما عرفوا انه الحق وانه من عند الله
تعالى لا من قبل موسى وهارون ع م قالوا من فرط تمردهم ان هذا لسحر مبين ظاهر وفائق في
فنه واضح من بين فنونه والدليل على العرفانين المذكورين من النظم ايقاع الحق موضع ضمير الآيات
واسناد المجيء اليه وقولهم ان هذا لسحر مبين كما مر في صدر السورة من دلالته على الاعتراف
وتناهي العجز قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم تعيبونه وتطعنون فيه من قولهم فلان يخاف
القالة كقوله سمعنا فتى يذكرهم فيستغنى عن المفعول وقيل حذف مقول القول لدلالة ما قبله
عليه وهو انه لسحر والهمزة للتوبيخ والتقرير ولا يجوز ان يكون اسحر هذا لانهم بتوا القول
بل هو استئناف بانكار ما قالوا الآن يكون الاستفهام فيه للتقرير والمحكي مفهوم قولهم وهذا
على الوجه الاول اشارة الى وضوح حقيته وكونه ممتازا في الحق من الباطل معلوم الحقية بحيث
لا يشك فيه مشارا اليه في ذلك وعلى الثاني تحقير واستبعاد لكونه موجبا للفلاح ولا يفلح الساحرون
من تمام كلام موسى ع م للدلالة على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة
ولان العالم بانه لا يفلح الساحر لا يسحر او من تمام قولهم ان جعل اسحر هذا محكيا كانهم قالوا
اجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون ويأباه قوله ائتوني بكل ساحر عليم لانه
طلب الفوز بهم وصيغة الجمع للدلالة على ان اجتماعهم لا يجدي نفعا في طلبهم الفوز قالوا
اجئتنا لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان عما وجدنا عليه اباءنا من عبادة الاصنام
وتكون لكما الكبرياء في الارض الملك فان الملوك يوصفون بالكبر ويجوز ان يقصد به ذمهما بانهما
يريدان ان يتكبرا ويتجبرا في ارض مصر باستتباع الناس وما نحن لكما بمؤمنين بمصدقين فيما
جئتما به وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم حاذق فيه فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا

استطالة عليهم وعدم مبالاة بهم وفي ابهام ما انتم ملقون تحقير له وتقليل واعلام انه لا شيء
يلتفت اليهم فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر ما موصولة مبتدأ خبره السحر اي الذي جئتم
هو السحر لا الذي جئنا به من آيات الله تع وقرئ السحر على الاستفهام على ان ما الاستفهامية مبتدأ
خبره محذوف تقديره السحر هو ويجوز ان ينتصب ما بفعل يفسره ما بعده تقديره اي شيء اتيتم
ان الله سيبطله سيمحقه او سيظهر بطلانه باظهار المعجزة ان الله لا يصلح عمل المفسدين
لا يثبته ولا يقويه ولا يديمه ولكن يسلط عليه الدمار وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه
لا حقيقة له ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته بامره ومشيئته ولو
كره المجرمون ذلك فما آمن لموسى في اول امره الا ذرية من قومه الا طائفة من ذراري قومه
اي اولاد بني اسرائيل دعا آباءهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون وقومه واجابته طائفة من ابنائهم
وبناتهم وقيل الضمير في قومه لفرعون والذرية طائفة من شبان قومه مؤمن آل فرعون وآسية
امرأته وخازنه وامرأة الخازن وماشطته ولا يناسبه قوله على خوف من فرعون فان حق
الكلام ح اظهار اسم فرعون ثم واضماره ههنا وملائهم الضمير يرجع الى فرعون بمعنى آل فرعون
كما يقال مضر وربيعة او لانه ذو اصحاب يأتمرون له فعلى هذا يكون من باب قوله تع يا ايها النبي
اذا طلقتم النساء ولا يجوز ان يكون جمعه على ما هو المعتاد في ضمير العظماء لانه يكون عند قصد
التعظيم ولا يساعده المقام او الى الذرية او قومه اي على خوف من فرعون ومن اشراف
بني اسرائيل لانهم كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى انفسهم بدليل قوله ان
يفتنهم ان يعذبهم فرعون وهو بدل منه او مفعول خوف وعلى الوجه الاول افراده بالضمير
يحتاج الى التأويل بان يقال الخوف من الملأ كان لسببه وانما قال على خوف للدلالة على شدة
خوفهم ولا يفيد مع ما افاده على لان المصحوب ليس كالمركوب وان فرعون لعال في الارض
لغالب قاهر فيها استئناف لبيان السبب في كون اولئك المؤمنين خائفين فالمناسب ان يكون
المراد من الاسراف في قوله وانه لمن المسرفين تجاوزه عن الحد المعتاد في التعذيب والقتل من
يخالفه في امر من الامور وقال موسى لما رأى تخوف المؤمنين منه يا قوم ان كنتم آمنتم بالله
صدقتم به تع وفي ايراد ان ايماء الى ان حالهم ليست حال المصدق بالله الصادق في الايمان
الواثق به تع فعليه توكلوا فخصصوه بالتفويض اليه والثقة به في العصمة من فرعون ثم
شرط في حصول التوكل وصحته الاسلام بقوله ان كنتم مسلمين كما شرط في وجوبه الايمان لان
من قضية الايمان وجوب التوكل على الله تع ولا يصح التوكل الا مع تسليم نفوسهم له تع خالصة
سالمة ليس لغيره فيها حظ ولا تخليط فيه فهو كقولك ان اتاك زيد فاحسن اليه ان قدرت فقالوا
على الله توكلنا لانهم كانوا مخلصين ولذلك قبل توكلهم واجاب دعاءهم ونجاهم واهلك
من كانوا يخافون عذابه وبلاءه وجعلهم خلفاء في ارضه ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين

موضع فتنة لهم اى عذاب يعذبوننا به او يفتنوننا عن ديننا او فتنة لهم يفتنون
بنا يقولون لو كان هؤلاء على الحق لما اصيبوا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين من
وشوم مشاهدتهم وانما قدموا التوكل على الدعاء لان الداعي ينبغي ان يتوكل اولا لتجاب
دعوته واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا ان اتخذا مباءة اى مرجعا يرجع اليه لقومكما
بمصر بيوتا تسكنون فيها او ترجعون اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم تلك البيوت
قبلة مصلى واقيموا الصلوة فيها قال ابن عباس رض ان فرعون لما اتاه موسى عم بالرسالة
امر بمساجد بني اسرائيل فكسرت كلها وكانت مساجدهم ظاهرة فامرهما الله تع ان يجعلا لقومهما
مساجد في جوف البيوت ولا يظهروها وبشر المؤمنين بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبى انما
ثنى الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤس القوم بتشاور ثم جمع
لان جعل البيوت مساجد والصلوة فيها مما ينبغي ان يفعل كل احد ثم وحد لان البشارة في
الاصل وظيفة صاحب الشرع وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملأه زينة ما يتزين به
من لباس وحلي وفرش وغير ذلك واموالا اصنوفا من الاموال في الحيوة الدنيا عن ابن عباس
كانت لهم من ارض فسطاط مصر الى ارض الحبشة جبال فيها معادن ذهب وفضة وزبرجد
وياقوت ربنا ليضلوا عن سبيلك دعاء عليهم بما هم فيه بلفظ الامر لليأس عن قبولهم
الدعوة والهداية وتحقق اصرارهم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم جعلوها
سببا للضلال فكانهم اوتوها للضلال فيكون ربنا تكريرا للاول تاكيدا وتنبيها على ان المقصود
عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله ربنا اطمس على اموالهم اهلكها والطمس المحق قال ابن عباس
بلغنا ان الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة كهيئة الدراهم والدنانير واشدد
على قلوبهم اشدد على القلوب لكي تستبين منها وقبضها حتى لا يدخلها الايمان اى واطبع عليها
حتى لا تنشرح لقبول الحق فلا يؤمنوا جواب للدعاء الذي هو اشدد ودعاء معترض بين
المعطوف والمعطوف عليه واعترض عليه بان الاعتراض بالدعاء لا يكون له حسن موقع و
لهذا عيب على النابغة قوله لعل زيادا لا ابالك غافل حتى يروا العذاب الاليم اى ليروا ذلك
ويحتمل الغاية اى الى ان يروا العذاب الاليم وكان كذلك قال قد اجيبت دعوتكما يعني موسى
وهارون عم لانه كان يؤمن فاستقيما فاثبتا اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين
لا يعلمون طريق الجهلة في الاستعجال فان الامور مقدرة معلقة باوقاتها او عدم الوثوق
بوعد الله تع قال الزجاج قوله ولا تتبعان في موضع جزم والتقدير ولا تتبعا ان النون
المشددة دخلت على النهي مؤكدة وكسرت لسكونها وسكون النون التي قبلها فاختير لها
الكسر لانها بعد الالف تشبه نون التثنية واستضعفه ابن الحاجب وحمل على انه نفي
بمعنى النهي فجاز العطف والواو للحال وفعل المضارع المنفي لا يمنع دخول الواو عليه اى

استقيما غير متبعين وهذا اشد ملائمة وقرئ ولا تتبعان بتخفيف النون ولا تتبعان من
تبع وجاوزنا ببني اسرائيل البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم وقرئ جوزنا وهو من فعل
المرادف لفاعل كضعف وضاعف فاتبعهم فرعون وجنوده اى طلبوا الحاقهم فتبعوا
منهم واما الادراك فلم يحصل بغيا وعدوا باغين وعادين او للبغي والعدو حتى اذا ادركه
الغرق الغرق بالفتح القرب من الهلاك بغمرة الماء والغرق بتسكينها الهلاك فيها قال آمنت
انه قرئ بالفتح على حذف الباء التي هي صلة الايمان وبالكسر على الاستيناف بدلا من آمنت
وتفسيرا له لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين على الاول تكرير للمعنى الواحد
بعبارتين مختلفتين وعلى الثاني بثلث عبارات شغفا على القبول لكن لما لم يبق وقت التكليف
لم يقبل ولو بقي وقته لكفت مرة واحدة كان مؤمنا ضرورة حصول التصديق القلبي ولم
يكن مسلما لان الاسلام تسليم النفس الى الله تع فاذا آمن في وقت خرجت نفسه من يده
لم يصر مسلما نفسه اليه تع اذ ليس نفسه في يده حتى يسلمها ولذلك وبخه بالعصيان المقابل للانقياد
دون الكفر المقابل للتصديق حيث قال الآن اى اتؤمن الآن وقد ايست من نفسك ولم يبق
لك اختيار وقد عصيت من قبل قبل ذلك مدة عمرك وكنت من المفسدين الضالين المضلين
عن الايمان روى الترمذي عن ابن عباس رض ان النبي عم قال لما اغرق الله تع فرعون قال
آمنت الى قوله بنو اسرائيل قال جبرائيل فلو رأيتني يا محمد وانا آخذ من حال البحر فادسه في فيه
مخافة ان تدركه الرحمة اراد ادراك الرحمة في الدنيا كما ادرك قوم يونس عم فنجوا عن
العذاب فليس فيه ما يدل على كراهة ايمان الكافر والرضى بكفره فان الرضاء بالشيء لا يستلزم
الرضا بسببه الا يرى ان المريض يشرب الدواء البشع كارها اياه راضيا بما يترتب عليه من نفعه
الشفاء فمن وهم ان في قوله مخافة ان تدركه الرحمة جهالتان احديهما ان الايمان يصح بالقلب
كايمان الاخرس فحال البحر لا يمنعه والاخرى ان من كره ايمان الكافر واحب بقاءه على الكفر فهو
كافر لان الرضى بالكفر كفر وزعم بناء على ذلك انه من زيادات الباهتين لله تع وملائكته فقد
وهم مما انه على تقدير زيادته لا بهت فيه لله تع فاليوم ننجيك نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر
البحر ونجعلك طافيا او نلقيك على نجوة الارض ليراك بنو اسرائيل ببدنك في موضع الحال
اى بدرعك وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرئ بابدانك اى بدروعك كانه كان
مظاهرا بينها وخروجه من الماء او ظهوره على وجهه مع ما عليه من جسم ثقيل آية اخرى وقيل
اى ببدنك عاريا عن الروح او كاملا سويا او عريانا من غير لباس بايماء الباء لانها تقتضي
وجود شيء آخر غير البدن ولم ينج جسده على انه فرق بين البدن والجسد فان الاطراف
خارج عن الاول داخل في الثاني فحق المقام حينئذ ان يذكر الجسد بدل البدن لتكون لمن خلفك
آية لمن بقي بعدك من القبطي والسبطي علامة اذ كان في نفوسهم من عظمته ما خيل اليهم انه

لا يموت حتى روي ان بني اسرائيل لم يصدقوا موسى عم في اخباره بغرقه حتى عاينوه مطروحا
على ممرهم من الساحل ولمن يأتي بعدك من القرون اذا سمعوا ممن شاهدك عبرة ونكالا من
الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان على ما كان عليه من عظم الشان وكبرياء الملك والسلطان
مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ ننحيك بالحاء من التنحية وهي التبعيد ببدنك على
انه تمثيله البدل لمن خلفك بالقاف اي يخلفك عن الرحمة بما كسب بدنك من الجنوة لتكون من
خالفك آية لخلفه فان افراده اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه قصد لكشف تزويرك و
اماطة الشبهة عن امرك دال على كمال قدرته وعلمه وارادته وهذا الوجه محتمل على المشهورة
ايضا ومن قال في تفسيره على القراءة الاخيرة اي نلقيك بناحية الساحل فقد غفل عن ان من قرأه
بالحاء قرأ ببدنك بالباء وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون لا يتفكرون
فيها ولا يعتبرون بها ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق منزلا صالحا مرضيا وهو مصر
والشام ورزقناهم من الطيبات من اسباب المعيشة المستطابة فما اختلفوا اي كانوا على
ملة واحدة وطريقة مع موسى عم في اول حاله حتى جاءهم العلم بنزول التورية فاختلفوا وهذا
ذم لهم من جهة ان العلم سبب الاتفاق فصار عندهم سبب الاختلاف حتى تشعبوا شعبا
بعد ما قرأوا التورية وفي ترتيب ذلك الاختلاف الذي لا يخلو عن نوع كفران على العلم بين ايديهم
المنازل البهية والمطاعم الشهية والعلم بالاحكام تاكيد للذم لتنزيلهم الكفران منزلة الشكر
وقيل المراد من اختلافهم الاختلاف في امر محمد عم من بعد ما علموا صدقه بنعوته وظاهر
معجزاته ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز المحق من المبطل ويجزي
كل منهم على استحقاقه وينزله منزلة استحقاقه على حكم وعده ووعيده فان كنت في شك مما
انزلنا اليك كلام مبني على الفرض والتقدير موكد لما هو وارد على سبيل التهييج وزيادة
التثبيت فلا يستلزم وجود الريب والامتراء والتكذيب ولا امكانها اذ كل ذلك من باب
فرض المحال وبناء الكلام عليه اي من هو اكمل الناس يقينا واشرفهم رتبة واعز خلق الله تع
عليه مثلك لو كان موصوفا بهذه الصفات الخبيثة الخ وصفوا بها لوقع في الخسران المطلق
وكما دل على زيادة التثبيت والعصمة له دل على سوء حال الشاكين فيه من بني اسرائيل فسئل
الذين يقرؤن الكتاب من قبلك من بني اسرائيل الذين اتيناهم الكتاب من قبلك فانه محقق
عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما انزلنا اليك والمراد اثبات نبوته عم بشهادة الاحبار
وذلك انه لما ذكر بني اسرائيل ووصفهم اراد ان يقرر عليهم صحة نبوته عم وصدق القرآن
بشهادة علمائهم وكتابهم او وصف الاحبار بالرسوخ في العلم بصحة نبوته عم ولذلك
قال عم لا اشك ولا اسأل بل اشهد انه الحق وبهذا التقرير تبين وجه تصدير الكلام باداة
الترتيب على ما قبله وقيل الخطاب لكل من يسمع اي ان كنت في شك ايها السامع مما انزلنا

على لسان نبينا اليك وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة في الدين فعليه مراجعة العلماء لقد
جاءك الحق من ربك اي ثبت عندك بالبراهين الناطقة والمعجزات الواضحة ان الذي جاءك
هو الحق الذي لا مدخل للشبهة فيه فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات
الله فتكون من الخاسرين فاثبت على ما انت عليه من الجزم واليقين وانتفاء المرية والتكذيب وقد
مر انه من باب التهييج والالهاب كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ان الذين حقت عليهم ثبتت
عليهم كلمة ربك حكمه بانهم يموتون على الكفر ويخلدون في العذاب لا يؤمنون اذ لا يكذب كلامه
ولا ينقض قضاؤه ولو جاءتهم كل آية لانتفاء تعلق ارادته تع بايمانهم فانه لا يتحقق في وجود
كل ممكن حتى يروا العذاب الاليم وحينئذ لا ينفعهم كما لم ينفع فرعون فلولا كانت قرية آمنت فهلا
كانت قرية واحدة من القرى التي اهلكناها آمنت قبل معاينة العذاب وضيق الخناق ولم
تؤخر اليه كما اخر فرعون فنفعها ايمانها بان يقبل الله تع منها لوقوعه في وقت الاختيار ويكشف
عنها العذاب الا قوم يونس استثناء من القرى لان المراد اهاليها وهو متصل والجملة في
معنى النفي لتضمن التحضيض معناه كانه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة فنفعها
ايمانها الا قوم يونس وانتصابه على الاستثناء والدليل عليه قراءته بالرفع على البدل او منقطع
اي لكن قوم يونس لما آمنوا اول ما رأوا امارات العذاب ولم يؤخروه الى حلوله كشفنا عنهم
عذاب الخزي في الحيوة الدنيا والخزي الهوان الذي يفضح صاحبه ومتعناهم الى حين الى وقت
انقضاء آجالهم ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم حتى لا يشذ منهم احد جميعا
مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه وفيه دلالة على ان من شان الله تع ايمانه يؤمن لا محالة
افانت تكره الناس على ما لم يشاء الله منهم يعني انما يقدر على اكراههم واضطرارهم الى
الايمان هو لا انت وايلاء الاسم حرف الاستفهام للاعلام بان الاكراه ممكن مقدور عليه وانما
الشان في المكره من هو وما هو الا الله وحده لا يشاركه فيه احد لانه هو القادر على ان
يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر وبهذا المساق
تمسك من حمل المشية المذكورة على المشية الملجئة حتى يكونوا مؤمنين بترتيب الاكراه على المشية
بالفاء وايلاؤها حرف الاستفهام للانكار للدلالة على ان خلاف المشية مستحيل يعني اذا لم يشاء
الله تع ايمانهم لم تقدر عليه انت ولا غيرك بالاكراه فضلا عن مجرد الحث والتحريض روي انه
كان شديد الحرص على ايمان قومه فنزل ولذلك قرره بقوله وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن
الله اي بارادته وتوفيقه وتيسيره فلا تجهد نفسك في هداها فانه الى الله تع ويجعل الرجس
العذاب وقرئ الرجز بالزاء على الذين لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والبينات
فيؤمنوا وورد في مقابلة الايمان عدم العقل وفي مقابلة الاذن الرجس لان الايمان انما يكون
بصحة العقل والنظر في الدلائل العقلية والتصميم والاصرار على الكفر المقابل للايمان سبب

عن عدم صحة العقل لقوله صم بكم عمي فهم لا يعقلون فاوماء الى ان العاقل هو المؤمن
ومن ثم يوقعه الله تعالى للايمان لعدم عقله لزم كفره الموجب للعذاب فرتب لازم الكفر الذي
هو الرجس على ملزومه الذي هو عدم العقل للجمع بين التهديد والتوبيخ قل انظروا
تفكروا ماذا في السموات والارض من عجايب الصنع الدالة على توحيده وكمال حكمته وقدرته
وماذا استفهام علق فعل النظر عن العمل وما في وما تغني الايات نافية او استفهامية في
محل النصب بتغني والنذر عن قوم لا يؤمنون في علم الله تعالى وحكمه فهل ينتظرون الا مثل ايام
الذين خلوا من قبلهم مثل وقايعهم ونزول باس الله تعالى بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم
ايام العرب لوقايعها قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين لذلك او فانتظروا هلاكي اني
معكم من المنتظرين بهلاككم ثم ننجي رسلنا والذين امنوا معهم على حكاية الحال الماضية كذلك
مثل ذلك الانجاء حقا علينا اعتراض اي حق ذلك حقا علينا او بدل من ذلك ننجي المؤمنين
منكم ونهلك المشركين قل يا ايها الناس خطاب لاهل مكة ان كنتم في شك من ديني وصحته
فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفيكم فهذا ديني اعتقادا
او عملا فاعرضوه على العقل الصحيح وانظروا فيه بعين الانصاف لتعلموا صحته وهو اني لا اعبد
ما تخلقونه وتعبدونه لكن اعبد خالقكم الذي يوجدكم ثم يتوفيكم وانما خص بالذكر التهديد
وانه حقيق بان يخاف ويتقى فيعبد لا الجماد الذي لا يقدر على شيء وامرت ان اكون من المؤمنين
بما دل عليه العقل ونطق به الوحي وحذف الجار من ان اجتمع فيه الوجهان القياس وهو ان
حذفه مع ان وان مطرد في ساير الافعال والسماع وهو حذفه بعد فعل الامر وان اقم وجهك
للدين استقم عليه ولا تلتفت الى غيره عطف على ان اكون وجاز مع كون الفعل انشاء لان حق
ان هذه ان يكون مع الفعل في تاويل المصدر والامر والخبر في تضمن المصدر سواء حنيفا
حال من الدين او الوجه ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك اي
لا يقدر على نفع ولا ضر فان فعلت اي فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكني
عنه بالفعل ايجازا فانك اذا من الظالمين لان الشرك من اعظم الظلم لقوله ان الشرك لظلم عظيم
وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله لما اشار الى علة
النهي بايراد ما الت لغير العقلاء وسلب النفع والضر عن اصنامهم واثبات الظلم لمن عبدها
اتبعه بايراد العلة الموجبة لتخصيص العبادة بالله تعالى وبين انه هو الضار النافع الذي
ان اصابك بضر لم يقدر على كشفه الا هو وحده دون كل قادر غيره فضلا عن الجماد
الذي لا حيوة له وان ارادك بخير لم يرد احد ما اراده بك من فضله واحسانه فكيف
بالاوثان ليدل على انه هو الحقيق بالعبادة دون ما عداه وفي ذكر المس مع الضر والارادة
مع الخير مع تلازمهما ايماء الى ان المراد بالذات هو الخير ولهذا لا يرد احد منه وان الضر انما

مسهم لا بالقصد الاول وفي وضع الفضل موضع الضمير دلالة على انه من باب الامتنان
والتفضل لا باستحقاق منا واستيجاب كالشر واكد ذلك بقوله يصيب به بالخير من يشاء
من عباده وتقديم الضر للتهديد والايماء الى ان عبادة الغير توجب المس بالضر وتعرض
للعقاب لكونه ظلما ورجح بجانب الترغيب فيه على جانب الترهيب لان المقصود الحث
على الالتجاء الى الله تعالى وحده والاعتصام به ولا شك ان داعي اللطف انفع للنفوس
الكريمة اليه اميل فاوثر في الاول لفظ المس الدال على ملاصقة الظاهر دون تعرض في
عدم التصريح بالارادة زيادة لطف وكذلك في قوله فلا كاشف له الا هو وما فيه
من انه يكشفه لا محالة ان سبر به وفي الثاني لفظ الارادة وما فيه من شمول الظاهر والباطن
زيادة تقوية له ثم انه طيب سامعه اولا بكونه جزاء وثانيا بكونه فضلا ولهذا لم
يكدر الرجاء بالتعقيب بالاستثناء وصفى مورده عن شوب الاضداد وما قيل
ولم يستثن بعض في الثاني لان مراد الله تعالى لا يمكن رده انما يكون يصلح وجها لعدم الاستثناء
فيه على طريقة ما في قرينه وطريقه غير منحصر في ذلك الوجه ومن لم يتنبه لكون كل واحد من لفظي
المس والارادة امس لمقامه من الاخر قال كانه اراد ان يذكر الامرين جميعا الارادة
والاصابة في كل واحد من الضر والخير وانه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به
منهما فاوجز الكلام بان ذكر المس وهو الاصابة في احدهما والارادة في الاخر ليدل
بما ذكر على ما ترك ثم انه لم يصب في عدم الفرق بين المس والاصابة وقد اوضحنا
الفرق بينهما في تفسير سورة البقرة وهو الغفور الرحيم تحريض وبعث على التوبة من
الشرك اي لا تيأسوا من غفرانه وتوبوا اليه من عصيانه وتعرضوا لرحمته بتوحيده
وتخصيصه بالعبادة قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق اي الرسول بالدين المبين والقران
المبين من ربكم فلم يبق لكم عذر ولا على الله تعالى حجة فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه
فمن اختار الهدى واتباع الحق فما ينفع الا نفسه ومن ضل فانما يضل عليها ومن اثر الضلال
فما وبال ذلك الا عليها وفيه حث على ايثار الهدى والاعراض عن الضلال وما انا عليكم بوكيل
موكول الى امركم وانما انا بشير ونذير واتبع ما يوحى اليك ودم على ما انت عليه من اتباع ما يوحى اليك
بالامتثال والتبليغ واصبر على مشقة دعوتهم واحتمال اذاهم حتى يحكم الله لك بالنصرة عليهم والغلبة
وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطاء في حكمه لاطلاعه على السراير اطلاعه على الظواهر تمت السورة الحمد لله رب العالمين

سورة هود عليه السلام مكية

الر كتاب خبر مبتدا محذوف او خبر الر احكمت اياته صفة له اي احكمت من جهة اللفظ والمعنى
والنظم عن تطرق الخلل فصارت في غاية الاحكام ثم فصلت اي ميزت بعضها عن بعض

في النزول كيلا يختل امر الاستدلال على الاحكام فالتراخي على الحقيقة وقيل المراد ايات السور
وليس فيها منسوخ فمعنى احكامها منعها من النسخ او احكمت بالحجج والدلائل او جعلت
حكيمة منقولة من حكم اذا صار حكيما لانها مشتملة على امهات الحكم النظرية والعملية ومعنى
فصلت انها فصلت بالفوائد كما تفصل القلائد بالفرائد من العقائد والاحكام والمواعظ
والاخبار او جعلت فصولا اية اية او فصل فيها ما يحتاج العباد اليه بين ولخص فالتراخي
رتبي وقرئ فصلت من الثلاثي المجرد اى فرقت بين الحق والباطل وقرئ احكمت اياته
ثم فصلت على البناء للمتكلم من لدن حكيم خبير في تعلقه باحكمت ثم فصلت طباق حسن
لان معناه احكمها حكيم وفصلها وبينها خبير بالاشياء واحوالها فصار على اكمل ما ينبغي
باعتبار ما ظهر منه وما خفي ان لا تعبدوا الا الله مفعول له اى لان لا تعبدوا او نهي وان
مفسرة لان في تفصيل الايات معنى القول او امر لان فيه معنى الامر اى امركم ان لا تعبدوا
الا الله ويجوز ان يكون كلاما مبتداء منقطعا عما قبله على لسان النبي عم بتقدير قال
اغراء منه على تخصيص الله تع بالعبادة او امر به ويدل عليه قوله انني لكم منه من جهته نذير
وبشير اى ولا تعبدوا الا الله والزموا ترك عبادة غير الله تع على ان ان مصدرية ولا نافية
وانما قدم نذير على بشير لان الانذار اعم واتم وان استغفروا ربكم عطف على ان لا تعبدوا
ثم توبوا اليه اى استغفروا من الكفر والمعصية ثم توبوا الى الله تع بالطاعة فالتراخي على
الحقيقة ويجوز ان يراد تراخي الرتبة لان التحلية افضل من التخلية او الاستغفار منتظم
الندم على ما سلف واحسان العمل في المؤتنف حتى يكون راجعا بعمله الى ربه ولهذا قدم ذكر
الاستغفار على التوبة اى اطلبوا مغفرة ربكم بالاسلام والندم على سالف الاجرام والثبات
على الطاعة في باقي الايام وارجعوا الى الله تع بالاخلاص والاستسلام على الثبات والدوام
يمتعكم متاعا حسنا في خفض عيش وسعة وامن ودعة الى اجل مسمى معين عند الله تعالى
هو اخر اعماركم المقدرة او لا يهلككم بعذاب الاستيصال ويؤت كل ذي فضل في العمل
والطاعة فضله جزاء فضله في الاخرة او كل ذي فضل في الدين فضله في الثواب والدرجات
فان الدرجات تتفاضل في الجنة بحسب تفاضل الاعمال وان تولوا وان تتولوا وقرئ
تولوا من ولى فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير اى يوم القيمة وصف بالكبر كما وصف
بالعظم والثقل الى الله مرجعكم رجوعكم في ذلك اليوم جميعا وهو على كل شئ قدير
بيان لوجه كبر ذلك اليوم بان مرجعهم الى من هو قادر على كل شئ لا الى عاجز فهو قادر
على اشد ما يريده من العذاب ولا يمكنهم التفصي منه الا انهم يثنون صدورهم
يزورون عن الحق وينحرفون عنه لان اذ ورعى الشئ ثنى عنه صدره وطوى عنه
كشحه كما ان من توجه اليه استقبله بصدره او يعطفون صدورهم على الكفر وعداوة

رسول الله صلعم اى يضمرونها وقرئ تثنوني صدورهم بالتاء والياء من اثنوني
افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهي بناء مبالغة وقرئ يثنون بالتاء والياء و
اصله يثنونن يفعوعل من الثن وهو ما هش وضعف من الكلاء اى تطاوع صدورهم
للثني كما يثني الهش من النبات وتضعف قلوبهم وايمانهم وتثنئن من اثنان افعال
منه ثم همز كما همز ابياضت في ابياض وتثنوى بمعنى يوزن ترعوى ليستخفوا منه اى
يريدون ليستخفوا من الله تع فلا يطلع رسوله والمؤمنين على ازورارهم لان ثني الصدور
بمعنى الاعراض اظهار للنفاق فلا يصلح تعليله بالاستخفاء ونظيره اضمار يريدون لعود
المعنى الى اضماره الاضمار في قوله تع فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى اى فضربوه
فحيي كذلك يحيى الله الموتى فالمعنى يظهرون النفاق ويريدون مع ذلك ان يستخفوه
هذا على الوجه الاول من التفسير واما على الثاني فلا حاجة الى الاضمار الا حين يستغشون
ثيابهم يتغطون بها يريدون الاستخفاء ايضا كراهة لاستماع كلام الله تع كقول نوح عم
جعلوا اصابعهم في اذانهم واستغشوا ثيابهم اى الا حين يريدون في اظهار نفاقهم
ويعلمون ما هو ادل عليه من ثني الصدر قال ابن عباس رض انها نزلت في اخنس بن
شريق وكان يظهر لرسول الله صلعم المحبة وله منطق حلو وحسن سياق للحديث بحيث
كان يعجب رسول الله مجالسته ومحادثته وهو يضمر خلاف ما يظهر وقيل نزلت المنافقين
جميعا وكون النفاق في المدينة غير مسلم لظهوره في الامتياز الى ثلث طوائف كان فيها يعلم
ما يسرون في قلوبهم وما يعلنون بافواههم اراد التسوية بينهما ولهذا عدل عن السكوت
الذي في الظاهر في خلافه اى يستوي في علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما يظهرون انه
عليم بذات الصدور بسرائرها وضمائرها تعليل على سبيل الاستيناف للتلويح المذكور
في قوله يعلم الخ والاوان للتنبيه على جهلهم وفساد اعتقادهم في الاستخفاء وثني الصدور
وما من دابة في الارض الا على الله رزقها اشتباها معاشها لتكفله اياه تفضلا ورحمة
وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل فيه ويعلم مستقرها ومستودعها
اماكنها في الحيوة والممات والاصلاب والارحام او مساكنها من الارض حين وجدت
بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة كل كل واحد من الدواب واحوالها
في كتاب مبين مثبت في اللوح المحفوظ بيان وتقرير لكونه تع عالما بجميع المعلومات
والاية التي بعدها بيان لكونه قادرا على كل شئ وتقرير لما سبق من التوحيد والوعد
والوعيد وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام مر تفسيره في سورة الاعراف
ووجه الجمع في الاولى والافراد في الثانية مر في سورة الانعام وكان عرشه على الماء
عرشه عبارة عن قبو مبنيه والماء اشارة الى صفة الحيوة اذ من الماء كل شئ حي وفي على

بيان بناء الاولى على الثاني اى وكان قبل خلقهما فلا دلالة فيه على امكان الخلاء وعلى ان الماء اول
حادث بعد العرش من اجرام هذا العالم وليت شعرى من اين الدلالة على ما فرض فوق العرش
ليبلوكم علة للخلق اى خلق ذلك ليعاملكم معاملة المبتلى لاحوالكم كيف تعملون فان جملة
ذلك اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم وما تحتاج اليه اعمالكم ودلائل وامارات تستدلون
بها وتستنبطون منها ولما كان الابتلاء الاختبار احد طرق العلم واشهرها واعمها استعير
للعلم لانه ملابس له كالنظر فى قوله فانظر ماذا ترجعون وانما قال ايكم احسن عملا ومنهم المتقون
وفى المخاطبين من عمله قبيح واقبح لامرين احدهما ان المقصود من الخلق بالقصد الاول
وبالذات هو الايمان والعمل الصالح ونظره تع الى ما هو احسن من ذلك لا الى القبيح والاقبح
والثاني التحريض على حسن العمل والترغيب فيه وهو اعم من الاعمال البدنية كالطاعات
والجوارح والقلبية كالاعتقادات والنيات فكانه قال ليظهر من هو اكمل عملا وعلما ويتميز
ممن هو على خلافه ولهذا قال النبى عم ليبلوكم ايكم احسن عملا اورع من محارم الله تع
واسرع فى طاعة الله تع وفيه تعظيم للمحسنين المتقين وتشريف لهم واشارة الى انهم
من الله تع بمكان ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت للجزاء على ما انكشف منكم بالابتلاء
ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين اشارة الى القول بالبعث اى انه باطل كالسحر
الظاهر البطلان فى الحديثة او الى القرآن لانه ناطق بالبعث فاذا جعلوه ظاهر البطلان
كالسحر لزم بطلان ما فيه من البعث وغيره من الوعد والوعيد وقرئ الا ساحر اشارة الى
الرسول عم اى كاذب مبطل كالساحر وقرئ انكم بفتح الهمزة على تضمين قلت معنى ذكرت
او يكون ان بمعنى لعل اى ولئن قلت لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم ولا تجزموا بانكاره
كعدوه من قبيل ما لا حقيقة له مبالغة فى انكاره واللام فى لئن موطئة للقسم فى الآيات الاربع
والجواب له ساد مسد جواب الشرط ولئن اخرنا عنهم العذاب الموعود الى امة معدودة
الى جملة من الاوقات قليلة ليقولن ما يحبسه ما يمنعه من الوقوع الا يوم ياتيهم كيوم بدر
ليس مصروفا عنهم ليس العذاب مدفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه قيل
هو دليل على جواز تقدم خبرها عليها اذ المعمول لا يقع الا حيث يقع العامل والمخالف يمنع
دلالة جواز تقديم المعمول على جواز تقدم العامل وايضا الظرف والمجرور يتسع فيهما ما لا
يتسع فى غيرهما ويقعان حيث لا يقع العامل فيه وكان ما ذكر مستعقبا لانهم للتعذيب على وجه
التكذيب والاستهزاء ولذلك قال وحاق بهم اى احاط بهم ما كانوا به يستهزؤن وضع
يستهزؤن موضع يستعجلون لانه قد وقع مبالغة فى التهديد ولئن اذقنا الانسان منا
رحمة نعمة من صحة وامن وخصب جدة بحيث يجد ذوقها ولذتها ثم نزعناها سلبناها
منه وفى عبارة النزع اشارة الى ما فى السلب المذكور من شدة الالم انه ليؤس شديد

الياس من عود مثلها اليه قاطع رجاءه من فضل الله تع وسعة رحمته غير صابر ولا مسترجع
ولا مسلم لقضائه كفور عظيم الكفران لما سلف له من النعمة ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء
مسته كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم وفى ذكر الاذاقة مع النعماء والمس مع الضراء اشارة
الى ان النعم ادوم حظ يجد الانسان ذوقها وتلذذ بها بخلاف الضر فان المس مبدا الوصول
فيه دلالة على قلة صبرهم كانهم بمجرد اثره جزعوا وكفروا النعمة الطويلة الزمان ليقولن
ذهب السيئات عنى اى المصائب التى ساءتنى انه لفرح اشر بطر فخور على الناس بما اذاقه الله
من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر الا الذين صبروا على الضراء وعملوا الصالحات
شكرا لالائه سابقها ولاحقها فان فى قوله صبروا دلالة على هذا لان الايمان نصفان نصف
صبر ونصف شكر اى المؤمنين الذين عادتهم الصبر عند زوال النعمة ووقوع الضراء
والشكر عند النعماء استثناء من الانسان واللام لاستغراق الجنس كما فى قوله ان الانسان
لفى خسر ومن خص الانسان بالكافر لسبق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعا اولئك لهم
مغفرة لذنوبهم واجر كبير ثواب عظيم فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك هذا على النهى
اى لا تترك بعض ما يوحى اليك وهو ما يخالف راى المشركين مخافة ردهم واستهزائهم به
وهو كما يقول الرجل لآخر لعلك تريد ان تفعل كذا وهو ينهاه عنه ولما كان مبنى هذا
النهى على الصبر على اذى المشركين واستهزائهم صح ترتيبه على كلام تضمن الحث والتحريض
على الصبر ومن وهم ان لعل للتوقع فقد وهم وضائق به صدرك وعارض لك احيانا ضيق
صدرك وانما اختار ضائق على ضيق لانه ابلغ وهو مناسب للفظ تارك ان يقولوا
اى بان يقولوا وقيل الضمير فى به مبهم وان يقولوا تفسيره اى يضيق صدرك بسبب قولهم
هلا لولا انزل عليه كنز ينفعه فى استتباع الناس كالملوك او جاء معه ملك يصدقه انما انت
نذير ما عليك الا الانذار وما عليك ان تقبلوه ولا يردوه فلا يضيق صدرك بردهم و
تهاونهم به والله على كل شىء وكيل فتوكل اليه امرك فانه حافظ عليهم ما يقولون ويفعلون
وفاعل بهم ما يجب ان يفعل من جزائهم ام يقولون افتراه ام منقطعة والضمير فى افتراه لما
يوحى قل فأتوا بعشر سور مثله فى البلاغة تنزل اولا قوله تع فليأتوا بحديث مثله وهو كل القرآن
فى ذلك الوقت فلما ظهر عجزهم عنه تحداهم بعشر سور فلما عجزوا عنهم ايضا سهل عليهم و
تحداهم بسورة واحدة كما هو عادة المعارضين وتوحيد المثل لان المراد المماثلة من جهة
البلاغة ولا اختلاف بين السور فيها فما هو مثل لاحدها مثل لسائرها ففيه تنبيه على ان المراد
المماثلة فى حسن البيان لا فى بدايع المعانى مفتريات من باب المساهلة وارخاء العنان لما كانوا
افتراه من عنده امرهم بان يقاودهم على دعويهم ويقول هبوا انى افتريته فاتوا انتم بكلام
مثله فى حسن النظم والبيان مفتريات من عندكم فانتم فصحاء مثلى وادعوا من استطعتم من دون الله

الى المعاونة على المعارضة ان كنتم صادقين في انه مفترى فان لم يستجيبوا لكم اي لك وللمؤمنين
باتيان مثله فانهم ايضا كانوا يجدونهم وكان امر الرسول عم متنا ولا لهم من حيث انه يجب
عليهم اتباعه في كل امر الا ما خصه الدليل وللتنبيه على ان التحدي مما يوجب رسوخ ايمانهم
وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك رتب عليه الامر الآتي ذكره ويجوز ان يكون الجمع
في الخطاب لتعظيم الرسول عم ويجوز ان يكون الخطاب للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن في
من استطعتم اي فان لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله الى المظاهرة على معارضته لعلمهم
انهم عاجزون عن ذلك فاعلموا انما انزل متلبسا بعلم الله اي بما لم يعلم الا الله من نظم معجز
للخلق وان لا اله الا هو واعلموا عند عجز الكل ان لا اله الا الله وحده القادر على ما لا يقدر
عليه احد وان الشرك به ظلم وان ما تعبدونه ليس من الالوهية في شيء فهل انتم مسلمون
بعد هذه الحجة القاطعة ويجوز ان يكون الخطاب للمسلمين ومعناه واثبتوا على العلم
بالتوحيد وزيدوا يقينا فهل انتم دائمون على الاسلام مخلصون لله تع بازدياد
اليقين وثبات القدم والطمانينة وفي تعبير مقتضى الاسلام بهل والعدول عن الفعل
الى الجملة وسبك المسلمون من تسلمون ايذان بطلب دوام الاسلام وقوة الثبات
في الدين وانهم مطالبون بذلك لزوال العذر ووضوح الدليل فما بعد ما لكم
عن ذلك وفيه تهديد بليغ واقناط من ان يجيرهم من باس الله تع شركاؤهم لان
دليل التوحيد دال على نفي القدرة والالوهية عن الغير ووجوب الاذعان له من كان
يريد الحيوة الدنيا باحسانه وبره وزيادة كان للدلالة على استمرار تلك الحالة
منه في ترتيب ما ياتي ذكره وزينتها الزينة تحسين الشيء بغيره من لبسه وحليته وغير ذلك
نوف اليهم اعمالهم وقرئ يوف بالياء اي يوف الله تع ويوف على البناء للمفعول
ويوف بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض جزاء اعمالهم من الصحة والامن وسعة
الرزق وكثرة الاولاد والرياسة والتوفية تادية الحق على تمام فيها في الحيوة الدنيا وهم
فيها اي في حق الاعمال ولا يكون عود الضمير الى الحيوة الدنيا لما فيه من الافادة بدون
الافادة لا يبخسون البخس نقصان الحق ظلما يعني لا ظلم في ايفاء جزاء اعمالهم
في هذه الدار دون ابقائه الى دار القرار فما ذكرنا سبيل التاكيد والاية في عامة الكفرة
وبرهم اولئك الذين ليس لهم في الآخرة ان لوحظ في لهم ما به يقابل العلم يكون
الكلام على طريقة بشر فالمراد بالنار النار وما فيها من انواع العذاب والاقتصار
على ذكر النار من قبيل الاكتفاء عن الشيء بذكر منبعه وذلك لانهم استوفوا ما تقتضيه
صور اعمالهم الحسنة وبقيت عليهم اوزار العزايم السيئة وحبط ما صنعوا فيها
في مصلحة الآخرة من وجوه البر بنوع من التكلف لانه خلاف مقتضى الطبع وهوى النفس

ولهذا اعبر عنه بالصنع وانما قال فيه حبط لانه ليس باطلا في حد نفسه كفرهم الا في ذكره
الا انه لا يجدي في الآخرة لانه لم يقارن بشرط القبول وهو الايمان وباطل في نفسه ما كانوا
يعملون لما اعتادوا اعمله من مصالح الحيوة الدنيا واسباب زينتها وللدلالة على الاستمرار
التجددي جمع بين كان وصيغة المضارع كما في قوله ومن كان يريد الحيوة الدنيا و
مجموع الجملتين علة لما قبلها وقرئ بطل على الفعل وباطلا على انه مفعول يعملون وما
ابهامية او في معنى المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام افمن كان على بينة
من ربه برهان من الله تع على ان دين الاسلام حق وهو القرآن مبتدا خبره محذوف
تقديره افمن كان على بينة من ربه كمن كان يريد الحيوة الدنيا في المنزلة والرتبة يعني
ان هؤلاء الكاملين المحققين وبين اولئك الناقصين المقصرين بونا بعيدا وتفاوتا
عظيما فالهمزة لانكار المماثلة بينهما والفاء لتفريع هذا الانكار وترتيبه على ما تقدم
من بيان سافات حال تلك الناقصين فهي متقدمة معنى وان اخرت عن الهمزة لفظا
لاقتضائها الصدارة في الكلام ومن ذهب الى ان الفاء عاطفة للتعقيب يقدر عنه
ما يعطف عليه فالتقدير امن كان يريد الحيوة الدنيا فمن كان على بينة من ربه والخبر
محذوف لدلالة الفاء اليه اي يعقبونهم ويقربونهم والاستفهام لانكار معقد
التعقيب فلم يكن على بصيرة حيث خلط بين الوجهين فخبط ويتلوه اي يتبع ذلك
البرهان الذي يتضمن الدليل العقلي لكونه معجزا شاهد هو عيسى عم حيث بشر ببعثة
نبينا عم وهذه البشارة منه شهادة بحقيقة دين الاسلام والتنكير للتعظيم وكذا
قوله منه اي من الله تع ومن قبله اي من قبل ذلك الشاهد كتاب موسى يعني التورية
فانه ايضا يتلوه في التصديق وقرئ كتاب موسى بالنصب عطفا على الضمير في
يتلوه والضمير في قبله للقرآن الذي عبر عنه بالبينة فالمعنى ان الشاهد المذكور يتبع
الكتابين القرآن والتورية اماما كتابا يؤتم به في الدين قدوة فيه ورحمة تامة
عظيمة على المنزل اليهم لانه الوصلة الى الفوز بخير الدارين اولئك اشارة الى من
كان على بينة يؤمنون به بالقرآن ومن يكفر به من الاحزاب من اصناف الكفار مشركا
او كتابيا فالنار موعده يردها لا محالة لانه تع لا يخلف الميعاد فلا تك في مرية منه
من القرآن وقيل من الوعد وقوله انه الحق من ربك ظاهر في الاول وقرئ مرية بضم الميم
وهما لغتان وقد مر في اول سورة البقرة الفرق بينها وبين الريب والشك ولكن
اكثر الناس لا يؤمنون بكونه من عند الله تع لقلة نظرهم وقصور تدبيرهم ومن
اظلم ممن افترى على الله كذبا بان اسند اليه ما لم ينزله او نفى عنه ما انزله وقد مر ما
يتعلق به في تفسير سورة الانعام اولئك يعرضون على ربهم يحبسون في الموقف ويعرض

فقد يخلف واما من اختار التعقيب الاول
ويعم ان الوجه الانكار التعقيب

اعمالهم ويقول الاشهاد من الملائكة والنبيين جمع شاهد او شهيد كاصحاب واشراف
وما وصفهم بذلك لانهم يختصون بهذا العرض لان العرض عام في كل العباد كما قال
الله تع وعرضوا على ربك صفا بل لانهم يعرضون فيفتضحون بقول الاشهاد
عند عرضهم هؤلاء الذين كذبوا على ربهم بنسبة الولد والشريك اليه ونفي ما انزل
عنه الا لعنة الله على الظالمين من قول الاشهاد او قول الله تع اي ابعدوا ولعنوا بسبب
ظلمهم بالكذب على الله تع وفيه تهويل عظيم بما يحيق بهم الذين يصدون عن سبيل الله
عن دينه ويبغونها عوجا يصفونها بالاعوجاج او يبغون اهلها ان يعوجوا بالارتداد
والعوج الانحراف والميل المؤدي الى الفساد تقول بغيتك خيرا او شرا اي طلبت
لك وهم بالآخرة هم كافرون والحال انهم كافرون بالآخرة وتكرير هم لتاكيد كفرهم
واختصاصهم به اولئك لم يكونوا معجزين اي ما كانوا معجزين الله تع في الدنيا ان
يعاقبهم ومعنى معجزين مغلبين لا يقدر عليهم وانما قال في الارض لان تصرف بني
آدم وتمتعهم انما هو فيها ومنتهى قصاراه لا يقدر يستطيع التجاوز عنها وما كان لهم من
دون الله اثبت ذكر الله ههنا واسقط فيما سبق وكان مقتضى الظاهر اثباته ثم
والاكتفاء بالضمير هنا وانما عدل الى ما وقع احترازا عن اضافة العجز اليه تع صريحا
من اولياء يمنعونهم من العقاب ولكنه اخرهم الى هذا اليوم ليتضاعف عذابهم
فقوله يضاعف لهم العذاب استئناف في مقام التدارك بالجواب للسؤال عن وجه
تاخير العقاب والله اعلم بالصواب ما كانوا يستطيعون السمع لفرط تصاممهم كراهة
استماع الحق كانهم لا يقدرون على استماعه وما كانوا يبصرون لفرط تعاميهم كراهة
ابصاره وكانه العلة لمضاعفة العذاب اولئك الذين خسروا انفسهم باشتراء
عبادة الاوثان بعبادة الله تع وضل عنهم ما كانوا يفترون من الآلهة وشفاعتها
او خسروا بما بذلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة
لا جرم مذهب الخليل وسيبويه انه ركب من لا وجرم وبني والمعنى حق وما بعده رفع
به على الفاعلية وقال الكسائي معناه لا صد ولا منع فيكون جرم اسم لا وهو مبني على الفتح
انهم في الآخرة هم الاخسرون لما كان خسران النفس اعظم الخسران حكم عليهم بانهم الزائدون
في الخسران على كل خاسر سواهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم
اطمانوا اليه بالخشوع من الخبت وهو الارض المطمئنة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون
دائمون مثل الفريقين الكافر والمؤمن وقدم الكافر اعتبارا للسباق كالاعمى والاصم
والبصير والسميع شبه فريق الكافرين في عدم انتفاعهم بالمشاعر بالاعمى والاصم و
فريق المؤمنين بالسميع والبصير والتشبيه كما يحتمل ان يكون من قبيل المفرق وكما

دقيقه من قبيل المركب لانه ابلغ والتعبير بالمثل انسب وذلك ان المقام يحتمل تشبيه الفريقين
بالجامع بين العمى والصمم والجامع بين السمع والبصر على ان الواو في والاصم للجمع بين
الصفتين كما في قوله الصابح فالغانم فالآيب وتشبيه احدهما بكل واحد من الاعمى والاصم
والآخر بكل واحد من السميع والبصير فيكون الكل تشبيهان كما في قوله كان قلوب الطير رطبا
ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي وهو من باب اللف والطباق والوجه هو
الاول لان تشبيه الكفار الى مشبه بالاول ومشبه بالثاني وكذلك المؤمنون غير مقصود
في الآية بخلاف البيت المذكور بل المراد تشبيه حال هؤلاء الكفرة الصادين الموصوفين
بالتعامي عن آيات الله تع بحال من خلق اعمى اصم لا ينفعه اشارة ولا عبارة وحال هؤلاء
الذين آمنوا وعملوا الصالحات فانتفعوا باسماعهم وابصارهم اهتداء الى الجنة وانكفافا
عما كانوا خابطين فيه من ضلال الكفر والدجنة بحال من بصير سميع يستضيء بالانوار في
الظلام ويستفيد مغانم الانذار والابشار فوزا بالمرام هل يستويان اي الفريقان و
الاستفهام انكاري مثلا صفة او تشبيها افلا تذكرون بالتامل فيما ضربناه من المثل فالفاء
لترتيب الاستفهام التقريري على ما تقدم وتاخرها لفظا لرعاية ما للاستفهام من حق
الصدارة في الكلام لقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير قرئ اني بالكسر على ارادة
القول اي فقال او قال اني وبالفتح فتقديره باني اي ارسلناه ملتبسا بهذا الكلام و
مبينا له فلما اتصل به الباء فتح والمعنى على الكسر كما فتح في قولك ان زيدا كالاسد
اذا اتصل به الكاف فقيل كان زيدا الاسد والمعنى بحاله مبين ابين لكم موجبات العذاب
والخلاص عنه الا تعبدوا الا الله بدل من اني لكم على قراءة الفتح وعلى قراءة الكسر ان مفسرة
متعلقة بنذير او بارسلنا ويجوز ان يكون المعنى بان لا تعبدوا على ان الباء صلة ارسلنا
كانه قيل ارسلناه بنهيهم عن الاشراك قائلا اني نذير اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم
وصف اليوم بالاليم من الاسناد المجازي لوقوع الالم فيه كقولهم نهاره صائم فقال
الملأ الذين كفروا من قومه ما نريك الا بشرا مثلنا ارادوا به نفي رسالته بطريق البرهان
بناء على زعمهم ان الرسول يجب ان يكون ملكا فقوله مثلنا لتحقيق البشرية فقوله وما
نريك اتبعك الا الذين هم اراذلنا استدلال بانهم ضعفاء العقول لا تمييز لهم يجوزوا
ان يكون الرسول بشرا والاراذل جمع الارذل بمعنى الاخس فانه بالغلبة صار مثل
الاسم كالاكبر والارذل جمع رذل بادي الرأي قرئ بالهمزة من بدا يبدا بداء
اذا ابتدا اي اول الرأي وبغير الهمزة من بدا يبدو بدوا اذا ظهر اي ظاهر الرأي
نصب على الظرف والعامل فيه اتبعوك وقت حدوث اول رأيهم او وقت حدوث
ظاهر رأيهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وانما استندوا لذلك او لعلهم

فانهم لما لم يعلموا الا ظاهرا من الحيوة الدنيا كان الاحظ بها اشرف عندهم والمحروم
منها اذل وما نرى لكم اى لك ولمتبعيك فغلب المخاطب على الغائبين علينا من فضل
التنكير للتقليل فهذا القول منهم بتخييل بان دعوى النبوة باطلة لادخاله فى الاراذل
فى سلك على اسلوب يدل على انهم افضل البشر فضلا عن الارتقاء الى درجة التفضل بل
نظنكم كاذبين اياك فى دعوى النبوة واياهم فى دعوى العلم بصدقك وكانهم اظهروا
الاحتراز عن الجزاف والاقتصار على قدر الحاجة ولهذا عدلوا عن دعوى اليقين الى
دعوى الظن الكافى فى ايجاب العامل على العاقل بموجبه قال يا قوم ارايتم اخبرونى
ان كنتم على بينة من ربى اى حجة شاهدة بصحة دعواى وآتانى رحمة من عنده من
النبوة فعميت عليكم فخفيت عليكم البينة لان خفاءها يوجب خفاء النبوة اذ النبوة
بعد ظهور البينة فحذف للاقتصار والاكتفاء بذكره مرة كقوله بين دراعى وجبهة الاسد
ويجوز ان يراد بالبينة والرحمة معا النبوة وقرئ فعميت بالتشديد اى اخفيت وقرئ
فعماها على ان الفعل لله تع انلزمكموها انكرهكم على الاهتداء بها جواب ارايتم ساد مسد
جواب الشرط واذا اجتمع ضميران وليس احدهما مرفوعا وقدم الاعرف جاز فى الثانى الاتصال
كما وقع هنا والانفصال كما لو قيل انلزمكم اياها وانتم لها كارهون لا تختارونها ولا تتاملون
فيها ويا قوم لا اسئلكم عليه راجع الى قوله لهم انى لكم نذير مبين ان لا تعبدوا الا الله هذا
اى الرجوع الى القول اولى من الرجوع الى المدلول لا تع الاجر فى مقابلة النقل فالقول
المشتمل على الانذار هو القابل بالاجر مالا جعلا ينفاوت الحال بسبب كون المنتجب
فقيرا او غنيا ففيه الجواب عن قولهم ما نراك تتبعك الا الذين هم اراذلنا ان اجرى الا
على الله بالتزامه تفضلا لا بالايجاب شرعا وعقلا وما انا بطارد الذين آمنوا جواب لهم
حين سالوا طردهم ليومنوا به انفة من ان يكونوا معهم وتمالوح اليهم ما يشككم فى امرهم
وترددوا فى علمه قال انهم ملاقوا ربهم اى فايزون بلقاء ربهم وقربه فكيف اطردهم
ويجوز ان يكون جوابا عن قولهم اتبعوك بادى الراى اى افعل العمل بظاهر ما ارى
فالكفى بظاهر ايمانهم واكل باطنهم الى الله تع فانهم ملاقوه فيجازيهم على سرايرهم ولكنى
اريكم قوما تجهلون استدراك عما تقدم من قولهم من نوبك اى لا حقيقة لما رايتم فكانكم
ما رايتم فينا شيئا ولكن اريكم قوما تجهلون ما لا ينبغى ان يخفى على الرجال من ان الانسان
لا يتفاضلون بالاحساب والاحتساب والاموال بل باسباب الكمال من الاعمال والاحوال
وبما قدرناه تبين وجه ادراج قوله قوما فى الكلام وادماج دقيقة انيقة فى اثناء تقرير
المرام ويا قوم تلطف نوح ع م بندائه اياهم بقوله يا قوم استدراجا لهم فى قبول كلامه
كما تلطف موسى الى فرعون يا قوم من ينصرنى من الله بدفع انتقامه منى ان طردتهم

وهم بتلك المثابة من القرب والكرامة عند الله افلا تذكرون لتعرفوا ان التوقيف لايمان
على طردهم ليس بصواب ولا اقول لكم عندى خزاين الله رزقه ونعمه اى كما لا اسالكم
مالا فكذلك لا ادعى انى املك مالا ادفعه لاتباعى فلا غرض لى فى المال لا اخذا ولا ما له
دفعا ولا اعلم الغيب حتى اصل ما اريده لنفسى ولاتباعى عطف على لا اقول لا على عندى
خزاين الله وانما لم يات فيه بنفى القول للفرق الدقيق بينه وبين ما اتى فيه بنفيه وقد مر
بيانه فى تفسير سورة الانعام واما فائدة تكرار لا انك اذا اكدت به لازالة احتمال المعية فى
النفى فقد اذنت انك فى الكلام محق بان على اليقين بعيد عن السهو والتجوز ولا اقول لكم
انى ملك بعبادته جواب عن قولهم ما نرى الا بشرا مثلنا وباشارته جواب عن طعنهم فيهم
بمخالطته للفقراء اى لا اتعظم بذلك بل طريقى الخضوع والتواضع ومن كان شانه وطريقه
كذلك فانه لا يستنكف من مخالطة الفقراء والمساكين ولا يطلب مجالسة الاغنياء والسلاطين
فلما كانت طريقتى توجب مخالطة الفقراء فكيف جعلتم ذلك عيبا على ثم اكد هذا بقوله و
لا اقول للذين تزدرى اعينكم اى فى شان من استرذلتموه لفقرهم لا زدراء
افتعال من زرى عليه اذا عابه وازرى به قصر به وازدرابه اى احتقره واسناد
الازدراء الى الاعين مجاز للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادى الرؤية من
غير رؤية بل بما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم من غير تامل فى معتقداتهم و
كمالاتهم لن يوتيهم الله خيرا عسى ان يكون ما اعد الله تع لهم فى الآخرة او فى الدنيا
والآخرة خيرا مما اتيكم من الغنى الله اعلم بما فى انفسهم من الايمان وعدمه انى اذا
اذن فعلت وقلت شيئا من ذلك لمن الظالمين انفسهم بطرد من امرت بقبوله قالوا يا نوح
قد جادلتنا اى خاصمتنا يقال جادله اذا خاصمه ليرجعه عما عليه واصله الجدل وهو الفتل
فاكثرت جدالنا فاطلته او اتيت بانواعه فاتنا بما تعدنا من العذاب المعجل ان كنت من
الصادقين فى الوعيد فان مناظرتك لا تؤثر فينا ولا نعبد قال انما ياتيكم به الله ان شاء
اى ليس الاتيان به الى انما هو الى الذى عصيتموه وكفرتم به فيفعل ان شاء كما شاء عاجلا
وآجلا وما انتم بمعجزين بدفع العذاب او الهرب عنه ولا ينفعكم نصحى النصح امحاض ارادة
الخير والدلالة عليه ونقيضه الغش وقيل هو اعلام موضع الغى ليتقى والرشد ليقتفى ان
اردت ان انصح لكم شرط ودليل جواب والجملة دليل جواب قوله ان كان الله يريد
ان يغويكم وتقدير الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم ان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم
نصحى وهو جواب لما اوهموا من ان جدالكم بلا طايل وانما قال ان اردت ان انصح مع
وقوع النصح استظهارا فى الحجة لانهم ذهبوا الى انه ليس بنصح فقال لو كان نصحا ما
نفع من لا يقبله وفيه دلالة على ان ارادة الله تع يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده

عنه واقع هو ربكم خالقكم ومتصرف فيكم في الدنيا الى وقت هلاككم واليه ترجعون فيجازيكم
على اعمالكم ام يقولون افتراه قال مقاتل هذا كلام في شان محمد عم اعترض في قصة
نوح عم وهذا اظهر وانسب بالسياق لانه كالتكرير لقوله ام يقولون افتريه دلالة
على كمال العناد وان مثله بعد الاتيان بالقصة على هذا الاسلوب المعجز لا ينبغي ان ينسب
الى افتراء في زيادة انكار على انكار كانه قيل بل امع هذا البيان ايضا يقولون افتريه
وهو نظير اعتراض قوله وان يكذبوك فقد كذب امم من قبلك بين قصة ابرهيم عم
على الوجهين قل ان افتريته فعلي اجرامي ان ثبت افترائي فعلي عقوبة اجرامي وكان حقي
ح ان تعرضوا عني وتعادوني وانا بريء مما تجرمون اي ولم يثبت ذلك بل هو فرض
محال وانا بريء من افترائكم اي نسبتكم اياي الى الافتراء وانما عدل الى المنزل على طريقة
المشاكلة او ما جا لكونهم مجرمين وان المسئلة معكوسة واوحي الى نوح انه لن يؤمن من
قومك الا من قد امن هذا الاستثناء على طريقة الا ما قد سلف على ما قيل انه استثناء
من اللفظ للمبالغة في التحريم فلا تبتئس بما كانوا يفعلون اقنطه الله تع في ايمانهم
على وجه ابلغ ثم نهاه ان يغتم بما استمروا عليه من تجديد التكذيب والاستهزاء
والابتئاس حزن في استكانة واصنع الفلك باعيننا ملتبسا باعيننا ولما كان العين
من الجوارح التي بها يحفظ الشيء عبر بكثرتها عن المبالغة في الحفظ والرعاية عن الاختلال
والزيغ في صفته وعن مزاحمة العدو له وكيده في المنع من عمله على طريقة التمثيل ووحينا
اليك كيف تصنعها ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهى عن التكلم فيهم مبالغة في النهي عن الدعاء
في استدفاع العذاب عنهم انهم مغرقون محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل الى كفه
ويصنع الفلك حكاية حال ماضية وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه من عمل السفينة
وكان يعملها في برية بعيدة من الماء وان عتريته فكانوا يتضاحكون منه ويقولون يا نوح
صرت نجارا بعد ما كنت نبيا والسخر الاستهزاء مع الاستهزاء ومصدر سخر يضم السين
والمصدر من السخرة سخري بكسرها قال ان تسخروا منا فيه تنزيل المحقق منزلة المشكوك
تمهيدا لما قصده من تجهيلهم فيما فعلوه فانا نسخر منكم كما تسخرون المراد من سخريته عم
مجرد الاستجهال واطلاق السخرية عليه بطريق المشاكلة اي انا نستجهلكم في استجهالكم
ايانا بناء على ظاهر الحال وجهلا بحقيقة الامر كما هو عادة الجهال والسخرية بهذا المعنى منه عم
في الحال ومن قال اذا اخذكم الغرق في الدنيا والحرق في الاخرة فقد حملها على الحقيقة
وكانه لم يدر ان الاستهزاء لا يناسبه عم فسوف تعلمون تهديد بليغ من ياتيه عذاب
يخزيه يعني بمن ياتيه اياهم وبعذاب يخزيه الغرق في الدنيا ويحل عليه حلول الدين اللازم
الذي لا انفكاك له عنه في الاخرة عذاب مقيم دائم في عذاب النار حتى اذا جاء امرنا غاية

لقوله ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه او حتى التي يبتدأ بعدها الكلام وفار
التنور كما يفور القدر بالغليان اي نبع الماء وارتفع من الارض بشدة الاندفاع
والتنور تنور الخبز ابتداء منه النبوع على خرق العادة قلنا احمل فيها الضمير للسفينة و
كانت ذات بطون والمحمولون كانوا في بطونها على طبقاتهم ولهذا قال فيها دون عليها
من كل نوع لا بد منه الزوجين الزوج له واحد شكل فالذكر زوج والانثى زوج وقد
يطلق الزوج على مجموعهما واندفع هذا الاحتمال بقوله اثنين وانما لم يقل من كل نوع
اثنين ازواجا لمثل البغل عن جنس الامر بالحمل لعدم الحاجة اليه وقرئ من كل زوجين
بالاضافة على معنى احمل اثنين من كل زوجين واهلك عطف على زوجين او اثنين
والمراد امراته وبنوه ونساؤهم الا من سبق عليه القول بانه من المغرقين ولما كان
القول السابق ضارا لهم قال عليه دون فيه استثناء من المعنى اللازم للامر وكانه قيل
انهم لا يغرقون الا من سبق عليه القول يعني ابنه كنعان وامراته واعلة فانهما كانا كافرين
فاندفع السؤال بانه لا يصح ان يكون المستثنى معلوما لنوح عم فلا وجه لقوله رب ان
ابني من اهلي وان وعدك الحق اولا فيلزم استثناء المجهول يعني الذين امر عم بحملهم
على السفينة ولا وجه له ومن آمن اي والذين آمنوا من غيرهم وافرادهم بالذكر مع انهم
من الذين آمنوا المصلحة الاستثناء المذكور المتضمن للاشارة الى ان الانتساب اليه عم لا يجدي
نفعا في دفع العذاب المذكور انما المنجي عنه هو الاتباع له عم وما آمن معه الا قليل اختلفوا في
عدده ولا فائدة في تعيينه وكلمة مع هنا كالتي في قوله واسلمت مع سليمان وقال اي قال
نوح عم لمن آمن معه اركبوا فيها والركوب العلو على ظهر الشيء وهو يتعدى بنفسه فيقال
ركبت السفينة وزيادة في لانه عم امرهم ان يكونوا في جوفها لا على فوقها باسم الله متعلق
من ضمير الفاعل اي اركبوا مسمين الله تع وقائلين باسم الله مجريها ومرسيها نصب على الظرف
اي وقت اجرائها وارسائها لانهما اسما زمان او مصدران كالاجراء والارساء بحذف الوقت
كقولهم خفوق النجم ويجوز ان يكونا اسمي مكان وانتصابهما في اسم الله من معنى الفعل او
ارادة القول ويجوز ان يكون بسم الله مجريها جملة من مبتدا وخبر في موضع الحال من ضمير
الفلك اي اركبوا فيها مجراة ومرساة باسم الله بمعنى التقدير كقوله ادخلوها خالدين او جملة
مقتضبة على ان نوحا عم امرهم بالركوب فيها ثم اخبرهم بان اجراءها وارساءها باسم الله
فيكونان كلامين له عم يروى انه اذا اراد ان تجري قال باسم الله فجرت واذا اراد ان
ترسو قال باسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما كقوله ثم اسم السلام عليكما و
يراد بالله اجراؤها وارساؤها اي بقدرته وامره وقرئ مجريها ومرسيها بفتح الميم من
جرى ورسى مصدر ميمي او زماني او مكاني وقرئ مجريها ومرسيها بلفظ اسم الفاعل

اركبوا

مجريها ومرسيها صفتين لله ان ربي لغفور رحيم لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما نجاكم
وهي تجري بهم متعلق بمحذوف دل عليه اركبوا اي فركبوا مسمين وهي تجري بهم والباء
في بهم كالتي في قولك دخلت عليه بثياب السفر والجملة مرتفعة والعدول الى صيغة المضارع
لاستحضار تلك الحالة العجيبة في موج جمع موجة وهي قطعة عظيمة ترتفع عن جملة الماء
الكثير عند اضطرابه كالجبال شبه كل موجة بجبل في تراكمها وارتفاعها وفي قوله في موج
رد لما قيل من ان الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة تجري في جوفه اذ لا مجال
للموج والحمل على انه في ابتداء الحال يأباه المقام لانه مقام المبالغة في بيان تلك الاهوال فلا
وجه للاكتفاء بذكر اوائلها ونادى نوح ابنه كنعان وقرئ ابنها وابنه بفتح الهاء اكتفاء بالفتحة
عن الالف والضمير لامرأته على انه كان ربيبه وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف
الحرف وكان في معزل المعزل موضع منقطع عن غيره وكان كنعان في ناحية منفصلة عن موضعهم
يا بني قرئ بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة وبالفتح اقتصارا عليه من الالف المبدلة
من ياء الاضافة في قولك يا بنيا او سقطت الالف والياء لالتقاء الساكنين لان الراء بعدها
ساكنة اركب اي اركب السفينة معنا فتنجوا وقرئ بادغام الباء في الميم لتقاربهما ولا تكن
مع الكافرين فتهلك حالة كانت ملتبسة له عم لانه كان ينافقه ولهذا سعى في خلاصه بعد
العلم بان الكفار كلهم مغرقون واما السؤال بانه كيف ساغ الامر بركوبه في السفينة
بعد العلم بانه من جملة المستثنى من اهل المامور بحملهم فقد مر وجه اندفاعه قال ساوي الى
جبل عظيم يعصمني من الماء يمنعني بارتفاعه قال لا عاصم اليوم من امر الله اتى باليوم لان في سائر
الايام يوجد عاصم من امر الله على ما نطق به قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه
يحفظونه من امر الله والمراد من امر الله الآفات الواقعة على خلاف العادة الا من رحم اي
الا الله الذي قد رحمنا بان امننا من الغرق وفي العدول عن المضمر الى الموصول زيادة تفخيم
وتحقيق لرحمته وان رحمته هي المعتصم لا الجبل وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة الا من رحمه الله
وحال بينهما الموج بين نوح عم وابنه والجبل فكان التفريع في قوله فكان من المغرقين اذ لا
دخل للحيلولة بينه وبين الجبل في صيرورته من المهلكين بالماء لما مر انه ليس بعاصم وقيل
يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي الابلاع الازدراد والمراد به نشف الماء على
طريقة الاستعارة لا غور الماء في الارض لان فعل الارض هو النشف دون الغور فانه
فعل الماء بطبعه والاقلاع اذهاب الشيء من اصله حتى لا يبقى له اثر يقال اقلعت السماء
اذا ذهب مطرها حتى لا يبقى شيء منها شبهت السماء والارض في سرعة انقيادهما لما
يراد بهما وانفعالهما بفعله فيهما بلا توقف وقبول ما يراد منهما مع تعلق الارادة به من غير
امتناع بالمامور المطيع للامر المطاع القادر على ما يشاء الذي امر سارع الى الامتثال

من غير ريب وبادر الى الطاعة بلا لبث خشية وهيبة من عظمته وجلاله فنودي بما ينادى
به العاقل المميز المطلوب اقباله وامر بما يؤمر به المدرك المطيع المتفطن للامر به تنبيها على
كمال قدرته ونفاذ امره ومشيته في الكل وغيض الماء من غاضه اذا نقصه وقضي الامر انجز ما
وعد من اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين واستوت واستقرت السفينة على الجودي جبل
بالموصل وقيل بعدا للقوم الظالمين هلاكا لهم يقال بعد بعدا اذا صار بعيدا جدا بحيث لا
يرجى عوده ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء وايراد الاخبار على الفعل المبني للمفعول
للدلالة على عظمة الفاعل وجلال قدره وعلو شانه وانه لا يمكن ان يكون فاعل تلك الافعال
والآثار الا الله الواحد القهار القادر على ما يشاء ويختار وانه متعين عند العقل بدليل
ابين من اللفظ اذ يستحيل ان يشاركه فيها غيره ولا يذهب الوهم الى ان يقول غيره يا ارض
ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي ولا ان يغيض هذا الماء الكثير الا هو ولا ان يقضي ذلك الامر
العظيم الهائل سواه ولا ان يستقر السفينة بعد اضطرابها الا بامره وتقديره ولا ان يهلك
الظلمة ذلك الهلاك الفظيع الا بتقديره وتدبيره وقد جمعت الآية من فخامة المعنى وجزالة
اللفظ وحسن النظم ورصافة التركيب ووضوح الدلالة على كنه الحال مع الايجاز الخالي
من الاخلال ما تاهت الافهام في محاوبه واستغلت به الالباب من كثرة النكات ولطائف
المعاني التي تحوي بدائع الطباق والجناس التي فيه لانها وان كانت ظاهر الكلام وتزيين بساط
النظام لكنها بالنسبة الى اللطائف المعنوية كالقشر في اللباب وكالدردي من صفو
الشراب ونادى نوح ربه اريد النداء نفسه ولا دلالة في عطف قوله فقال على تقدير الارادة
فانه من قبيل عطف المفصل على المجمل بل نقول لا وجه لتقديرها لان الاخبار عنها خلو عن
فائدة الخبر ولازمها رب ان ابني من اهلي الذين وعدتني انجاءهم بالركوب في السفينة هذا
الوعد غير مذكور في القرآن صريحا بل فهم من الامر بحملهم في السفينة هذا الوعد غير مذكور
في القرآن صريحا بل فهم من الامر بحملهم في السفينة وان وعدك الحق وان كل وعد تعده لا يتطرق
اليه الخلف وانت احكم الحاكمين لانك اعلمهم واعدلهم فلا يشوب حكمك زلل ولا خلل غير جيع
وهذا ابني قد حرم عن الركوب في السفينة فما معنى التسبب فيه حتى اكون على علم فيسكن قلبي
ومبنى هذا على زعمه ان ابنه ليس بكافر لما انه كان ينافقه على ما تقدم بيانه وهذا النداء
منه عم وان كان بعد هلاكه مع ابنه لكن قوله ساوي الى جبل لا يدل على كفره لجواز ان
يكون قد ظن ان الصعود على الجبل الشامخ يجري مجرى السفينة وانه يعصمه من الغرق و
بعد اخبار ابيه انه لا عاصم اليوم من امر الله حال الموج بينه وبين ابيه فلم يبق له
مجال الركوب وانما قلنا انه كان بعد هلاكه لانه لو كان قبله لما ساغ له عم ان يقول يا
بني اركب معنا اذ يكون معلوما له عم انه من الذين نهي عن حملهم في السفينة قال يا نوح

انه ليس من اهلك لانقطاع الولاية بين المؤمنين والكافرين واشار اليه بقوله انه عمل
غير صالح فانه تعليل لنفي كونه من اهله وابدل فاسد بغير صالح تصريحا بالمنافاة بين
وصفيهما الموجبة لانتفاء القرابة بينهما ونفيا لما اوجب النجاة لمن نجا من اهله وايماء الى
ان من نجا من اهله انما نجا بالصلاح لا بقرابته وقرئ انه عمل اى عمل عملا غير صالح وجعل ذاته
نفس العمل للمبالغة في ذمه واصله ذو عمل فاسد فحذف ذو فلا تسألني قرئ بكسر النون
من غير ياء وبالنون الثقيلة بياء وبغيرها ما ليس لك به علم اى لا تطلب مني ما لا تعلم اصواب
هو ام ليس بصواب حتى تبين لك وجه كونه صوابا وانما نهاه عن ذلك لتضمن كلامه بتذكير
الوعد بنجاة اهله استنجازه في حق ولده وهذا لانه عم لم يكن جاهلا بهلاك ابنه ولا دلالة
على هلاكه في حيلولة الموج بينهما واما ظاهر كلامه عم وهو سؤال استفسار عن المانع
لكونه محمولا في السفينة مع كونه من اهله الذين ورد البشارة في حقهم بذلك فلا يناسب
النهي عنه خصوصا مع التقييد بقوله ما ليس لك به علم فانه باعث للاستفسار دون الانتهاء
عنه اني اعظك الوعظ الزجر عن القبيح بما يدعو الى الحسن على وجه الترغيب والترهيب
ان تكون من الجاهلين انما سماه جهلا ونهاه عنه لانه لما استثنى عند الوعد بقوله الا من
سبق عليه القول فقد نبهه ان من اهلك من يهلك فكان الواجب عليه ان يوطن نفسه
على ان من اهله من يستوجب العذاب وقد دل ظاهر حال ابنه على انه منهم فلا رخصة
في حقه سؤال الاستنجاز قبل ان يتبين حاله فعوتب على ذلك واما السؤال الاستفساري
وان كان ينتظم ايضا هذا القول لكن القيد المقدم ذكره لا يحتمل على ما نبهت عليه آنفا
وان ما قيل ان استثناء من سبق عليه القول من اهله قد دله على الحال واستغناه
عن السؤال لكن شغله حب الولد عنه حتى اشتبه عليه الامر فبناه على ان يكون الاستثناء
المذكور من لفظ اهله وقد عرفت ما فيه من الاشكال فانه عم بعد علمه ان ابنه مستثنى من
الذين امر بحملهم في السفينة يكون قوله يا بني اركب معنا عصيانا والاعتذار بما ذكر لا يكاد
نفعا قال رب اني اعوذ بك العياذ الاعتصام بما يمنع من الشر ان اسألك ان اطلب منك ما ليس
به علم بحاله لاحتمال الخطاء وهذا توبة منه عم عن ان يعود الى مثله في المستقبل تأدبا بتأديب
الله تع والا تغفر لي ما فرط مني وترحمني بالتفضل علي بقبول توبتي اكن من الخاسرين اعمالا طلب
المغفرة والرحمة بهذه الطريقة الكناية ابلغ واكد من قولهم اللهم اغفر لي وارحمني لما فيه
من قطع الرجاء من غيره تع واظهار انه لا يملك احد ذلك غيره بخلاف ما صرح فيه بالطلب قيل
يا نوح اهبط اى انزل من الجبل الى قرار الارض فالهبوط نزول من اعلى مكان الى ما دونه بسلام
منا اى بتحية كما قال سلام على نوح في العالمين وقيل بسلام من الآفات وبركات عليك جمع
بركة وهو ثبوت الخير ونماؤه وهي في حقه عم بتكثير ذريته واتباعه وسائر المنافع لما كان

الطوفان عاما فعند ما خرج نوح عم من السفينة علم انه ليس في الارض ما ينتفع به
من النبات والحيوان فكان كالخائف في انه كيف يعيش وكيف يدفع جميع الحاجات عن نفسه
من المأكول والمشروب فازال الله تع ذلك الخوف عنه بالبشارة بحصول السلامة عن الآفات
وسعة الرزق في المهمات وعلى امم ممن معك من لابتداء الغاية اى امم ناشئة ممن معك في
السفينة لانهم كانوا جماعات اولاد الامم يتشعب منهم وامم مبتدأ سنمتعهم صفته والخبر
محذوف دل عليه ممن معك وممن معك امم سنمتعهم ولما فصل امما ناشئة ممن معه بالسلام والبركات
وهم المؤمنون اشار الى ان منهم امما متمتعين في الدنيا معذبين في الآخرة وهم الكافرون و
قبلهم قوم هود وصالح ولوط وشعيب والعذاب المذكور في قوله ثم يمسهم منا عذاب
اليم ما نزل بهم تلك اشارة الى قصة نوح عم ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها من انباء الغيب
اى بعضها نوحيها اليك خبر ثان والضمير لها اى موحاة اليك وحال من الانباء او هو الخبر ومن
انباء متعلق به او حال من الهاء ما كنت تعلمها انت ولا قومك خبر آخر اى مجهول عندك وعند
قومك من قبل هذا من قبل ايحائنا اليك وحال من الهاء في نوحيها او الكاف في اليك اى جاهلا انت
وقومك بها والفائدة في قوله ولا قومك ان قومك مع كثرتهم ليسوا عن علم القصص والانباء
وانت احدهم فلم يكن تعلمها منهم ولا تخالط غيرهم فما علمت الا بالوحي فاصبر على اداء الرسالة
واذى قومك كما صبر نوح عم وتوقع في العاقبة لك ولمن تبعك ما قيض له ولقومه ان العاقبة
بالظفر في الدنيا والفوز في الآخرة للمتقين عن الكفر والمعاصي والى عاد اخاهم واحدا منهم عطف
عطف على نوحا الى قومه عطف بيان قال يا قوم اعبدوا الله اى تعبدوا وحده دل

هودا

عليه تعقيبه بقوله ما لكم من اله غيره وذلك يدل على ان المقصود من هذا منعهم
عن عبادة الاصنام وغيره صفة له قرئ بالرفع حملا على محله وبالجر على لفظه ان انتم الا
مفترون على الله تع في قولكم انه امرنا بعبادة الاصنام واما ما قيل باتخاذ الاوثان شركاء
وجعلها شفعاء فمبناه عدم الفرق بين الكذب والافتراء ويا قوم لا اسألكم عليه
اجرا ان اجري الا على الذي فطرني ما من رسول الا خاطب قومه بهذا القول ازاحة
للتهمة وتمحيضا للنصيحة فانها ما دامت مشوبة بالمطامع لا تنجع افلا تعقلون فتميزوا
بين الحق والباطل وتعلمون ان من لا غرض له في النصيحة لا يريد نصيحته ويا قوم استغفروا
ربكم ثم توبوا اليه انما قدم الاستغفار على التوبة لانه طلب المغفرة الذي هو الغرض ثم
بين ما به يتوصل اليها من التوبة فعبادة ثم ههنا كالتي في قوله هو الذي خلقكم من نفس
واحدة ثم جعل منها زوجها يرسل السماء عليكم مدرارا المدرار كثير الدرور والمراد
من السماء المطر ويزدكم قوة الى قوتكم ويضاعف قوتكم وانما رغبهم بذلك لانهم كانوا
اصحاب زروع وعمارات قيل حبس عنهم القطر وعقمت نساؤهم ثلث سنين

والمراد بالقوة كثرة الاولاد ولا تتولوا ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه مجرمين
مصرين على اجرامكم قالوا يا هود ما جئتنا ببينة بحجة تدل على صحة دعواك قالوا
ذلك عنادا وجحودا مع كثرة معجزاته كقول قريش للرسول عم لولا انزل عليه
آية من ربه مع فوت آياته الحصر وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك حال من الضمير
في تاركي اي صادرين عن قولك والجملة الاسمية وسبك اسم الفاعل من تترك
وزيادة الباء في الخبر في قولهم وما نحن لك بمؤمنين اي وما يصح من امثالنا مع
وفور العقل والكياسة ان يصدقوا امثالك اقناط له عم من الاجابة والتصديق
على وجه المبالغة والتاكيد ان نقول الا اعتراك مقول القول والا لغو لان
الاستثناء مفرغ اي ما نقول الا قولنا اعتراك مقول القول هو من اعتراه وعراه
الفناء والساحة والمراد الاصابة بطريق الكناية بعض آلهتنا بسوء كجنون لسبك
اياها وصدك عنها ومن ذلك تهذي وتتكلم بالخرافات والقوم كانوا جفاة باهتين
قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون ما مصدرية او موصولة و
اشهاده نفي كلام جار على اصله جيء به ليؤكد به ما ذكره من البراءة عن شركهم و
شركائهم واما اشهاده اياهم على البراءة فلا اذ لا يقول احد لمن يعاديه اشهد
على اني بريء منك الا وهو يريد عدم المبالاة والاستهانة بعداوته واذا كان كذلك
لزم التخالف بين الصيغتين خبرا ثانيا ابانة جازما استهانة من دونه اي انتم
تجعلونها وتنسبونه بتحقيق الآلهة وسمو التوحيد الذي دعاهم اليه والارشاد الذي
نصحهم به جنة وخبطا ولم يعتدوا ببيناته وخوفوه من آلهتهم وايسوه من الايمان
بما جاء به اجابهم بالبراءة عن آلهتهم وقابلهم بعدم المبالاة بهم وبآلهتهم ثقة
بالله واكد البراءة ووثقها بشهادة الله تع وشهادة العباد على مجرى العادة وبالغ في ذلك
ان قال اني اشهد الله وخالف بين اشهاد الله واشهادهم بان بت في الاول واكد
اخباره تثبيتا للتوحيد واحكاما لمعاقده وعن عدل عن الخبر الى الامر في الثاني
قلة مبالاة بهم وبدينهم وآلهتهم واستهانة بما زعموا واعتقدوا من عتوبتهم
ثقة بالله وقوة اعتماد عليهم وصحة توكل وزاد على ذلك ان امرهم بالاجتماع على الكيد
في اهلاكه والاعتناء فيه وعدم الانتظار والتوقف بقوله فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون
كقول نوح عم ثم اقضوا الي ولا تنظرون وذلك من اعظم المعجزات فانه كان رجلا وحيدا
بين الجم الغفير والعدد الدهم من الاقوياء الغلاظ الشداد وخاطبهم بما خاطب وحقرهم
وآلهتهم بما حقر وحثهم على نفسه فلم يقدروا على اضراره ولم يجترئوا على بطشه وما
ذاك الا بعصمة الله تع اياه وحسن كلاءته ولذلك عقبه بقوله اني توكلت على الله ربي

وربكم تقرير له اي انكم ان اجتمعتم وتعاونتم وآلهتكم علي وبذلتم وسعكم في قصدي
بالسوء لم تضروني ولم تقدروا على اهلاكي فاني توكلت على الله مالكي ومالككم لم يمكنكم
اصابتي بما لم يرده بي ثم برهن على ذلك بقوله ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها اي الا
هو مالكها ومصرفها على مقتضى مشيته وهي في قبضته وملكته وتحت قهره وسلطنته والاخذ
بالنواصي تمثيل بذلك حتى صار الاخذ بالناصية عرفا في القدرة على التصرف وكانت
العرب تجز ناصية الاسير الممنون عليه علامة انه قد قدر عليه وقبض على ناصيته ان ربي
على صراط مستقيم على طريق الحق والعدل في ربوبيته لا يسلط على من توكل عليه ظالما ولا
يضيع عنده معتصم به ولا يغلب احد احدا الا باذنه وفي قوله ان ربي من اعادة وربكم
كما في الاول نكتة سرية بعد الاختصار المغني عن الحشو فيه ما يدل على زيادة اختصاصه به
وانه رب الكل استحقاقا وربه دونهم تشريفا وارادفا فان تولوا اي تتولوا وجواب
الشرط ماض صريح فلذلك جاء بالفاء وقد فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم وانتم ما زدتم
الا تكذيب الرسالة ومكافاة الرسول بالعداوة ويستخلف ربي قوما غيركم كلام مستانف
بالوعيد لهم اي يهلككم ويأتي بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم واموالكم ولا تضرونه
شيئا من الضرر بتوليكم لاستحالة ذلك عليه وقرئ ويستخلف بالجزم وكذلك ولا تضروه
بحذف النون عطفا على محل فقد ابلغتكم اي ان تتولوا يعذرني ويستخلف قوما غيركم
ولا تضروه الا انفسكم ان ربي على كل شيء حفيظ رقيب مهيمن يحفظ اعمالكم ويؤاخذكم
بها او حافظ على الاشياء كلها والكل محتاج الى حفظه من الضرر ومن كان كذلك لا يمكن
ان يضره شيء ولما جاء امرنا في التعيين بمجيء الامر من نزول عذاب الاستيصال على عاد
ما لا يخفى من الدلالة على العظمة والجلال في جانب الامر وسرعة الامتثال في جانب المامور
نجينا هودا والذين آمنوا معه قيل كانوا اربعة آلاف برحمة منا من شوم معاصي
العاصين فانه لو لم يدركهم الرحمة من الله تع لما نجوا من العذاب النازل على عاد لقوله
تع واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ونجيناهم من عذاب غليظ الغلظ
كناية عن الشدة والتنكير في عذاب ورحمة للتعظيم احترازا لا بان الايمان الذي وفقوا
له صار سبب نجاتهم ثم اضراب ذلك لا نجاة كان من عذاب اتى عذاب دلالة على كمال
الامتنان وتحريضا على الايمان او هما متغايران فالاول نجاة الدنيا والثاني نجاة الآخرة
والاول اوفق لمقتضى المقام وعلى الوجه الاول يعنا التكرير ومن غفل عن هذا قال
تكرير لبيان ما نجاهم عنه وتلك عاد الاشارة الى مصارعهم قصد الاعتبار بهم وافضائها
لهم كانهم مشاهدون بما يعاين من الآثار وفي الاتيان باسم الاشارة وبما يدل على
البعد تهويل وتفخيم لما نزل بهم لا تعظيم لشانهم او تحقير جحدوا بآيات ربهم

استيناف لبيان الوصف الذى استوجبوا به العذاب وانما قال وعصوا رسله ولم يرسل
اليهم غير هود عم لان الانبياء عم كلهم دعوا الى التوحيد والاسلام متوافقين
وصدق بعضهم بعضا فاذا عصوا واحدا منهم فقد عصوا كلهم واتبعوا امر كل جبار
عنيد اى رؤسائهم وكبرائهم الطاغين وعنيد من عند عندا وعنودا اذا طغى
واتباع امرهم طاعتهم اى عصوا من دعاهم الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا من
دعاهم الى الكفر وما يرديهم واتبعوا فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة لما اتبعوا
الجبابرة الطغاة جعلت اللعنة تابعة لهم فى الدارين تكبهم على وجوههم فى عذاب الله
الا ان عادا كفروا ربهم جحدوه او كفروا نعمه او كفروا به وانما عدى بالذات حملا له
على نقيضه الا بعدا لعاد دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على انهم كانوا مستوجبين
لما نزل عليهم بسبب ما حكى عنهم وتكرير حرف التنبيه مع اسمهم فى الموضعين وايراد
حرف التحقيق مع وصفهم الموجب للهلاك والعذاب تهويل وتفظيع لامرهم وحث على
الحذر من مثل حالهم والاعتبار بهم وايماء الى انهم فى التعين والاستحقاق لما نزل بهم
بسبب كفرهم كالعلم حتى صاروا مثلا مشهورا قوم هود عطف بيان لعاد وفائدته
التميز بينهم وبين عاد الثانية والايماء الى ان استيهالهم لغاية البعد بالهلاك بسبب
ما جرى بينهم وبين هود عم والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم
من اله غيره قد مر تفسيره هو انشأكم من الارض اى لم ينشئكم منها الا هو وذلك لانشاء
بخلق آدم عم او بخلق مواد النطف التى خلقوا منها من التراب واستعمركم فيها عمركم
فيها واستبقاكم من العمر او اقدركم على عمارتها وامركم بها قيل هو من العمرى بمعنى اعمركم
فيها وورثها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم
ثم تتركونها لغيركم فاستغفروه ثم توبوا اليه قد مر تفسيره والفاء فصيحة عاطفة على
مقدر معناه وقابلتم الاحسان بالعصيان ان ربى قريب اى دانى الرحمة مجيب
لداعيه استيناف للترغيب فى الامتثال بما امر به قالوا يا صالح قد كنت فينا فيما بيننا
مرجوا قبل هذا اى كنا نشاهد منك مخايل الرشد وامارات الصلاح فنرجو ان تكون
فينا سيدا ومستشارا ومسترشدا فى التدابير او موافقا فى ديننا فلما تكلمت بهذا
القول انقطع رجاؤنا عنك اتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا حكاية حال ماضية واننا
لفى شك مما تدعونا اليه من التوحيد والتبرى من الاوثان مريب اسم فاعل من متعد
يقال اربته اذا اوقعته فى الريبة وهى قلق النفس وانتفاء الطمأنينة باليقين او من لازم
يقال اراب الرجل اذا كان ذا ريبة والاسناد الى الشك مجازى على كلا الوجهين قال يا قوم
ارأيتم ان كنت على بينة اتى بحرف الشك باعتبار المخاطبين الجاحدين اى قدروا

انى على برهان من ربى وآتانى منه رحمة نبوة فمن ينصرنى من الله فمن يمنعنى من عذاب
الله والعدول من الضمير الى الظاهر الاسم للتفخيم ان عصيته فى تبليغ الرسالة والمنع من
الاشراك به على هذا التقدير فما تزيدوننى اذا باستتباعكم اياى غير تخسير غير ان تخسرونى
بابطال اعمالى والتعرض لعذابه او فما تزيدوننى بما تقولون لى غير ان اخسركم وانسبكم
الى الخسران ويا قوم هذه ناقة الله الاضافة للتعظيم لكم آية حال والعامل فيها ما فى اسم الاشارة
من معنى الفعل لكم حال من آية لتقدمها عليها ولو تأخرت عنها كانت صفة لها فذروها تأكل
فى ارض الله ترعى نباتها وتشرب ماءها وانما اضاف الارض اليه لاظهار وجه التفريع يعنى
ان الارض ارض الله والناقة ناقة الله فذروها تأكل فى ارض صاحبها ولا تمسوها
بسوء فيأخذكم عذاب قريب عاجل لا تراخى عن مسكم لها بالسوء الا يسيرا وهو ثلثة
ايام فعقروها العقر قطع العضو الذى له تأثير آفة فى النفس فقال تمتعوا اى تلذذوا
بما تريدون من اسباب العيش فى داركم فى بلدكم يقول العرب الذين حوالى مكة نحن من
عرب الدار اى من عرب البلد وقيل فى دنياكم ثلثة ايام قيل عقروها يوم الاربعاء و
هلكوا يوم السبت ذلك وعد غير مكذوب اى غير مكذوب فيه فاتسع فى الظرف بحذف
حرف الجر واجرائه مجرى المفعول به كقوله يوم مشهود او وعد غير مكذوب على ان المكذوب
كالمجلود والمعقول وكالمصدوقة بمعنى الصدق ويجوز ان يكون من باب الاسناد المجازى
كانه قيل للوعد اوفى بك فاذا اوفى به فقد صدق ولم يكذب فلما جاء امرنا نجينا صالحا
والذين آمنوا معه برحمة منا قد مر تفسيره ومن خزى يومئذ من متعلق بمحذوف اى و
نجيناهم من خزى على وفق ما تقدم فى قصة هود عم والمراد من الخزى هلاكهم بالذل
والفضيحة وقرئ ومن خزى بالتنوين وبنصب يومئذ على الظرف معمولا لخزى وقرئ
بالاضافة وفتح الميم والتنوين فى اذ تنوين عوض من الجملة المحذوفة المتقدمة الذكر
اى ومن فضيحة يوم اذ جاء الامر وحل بهم ان ربك هو القوى العزيز القادر على كل
شئ الغالب عليه واخذ الذين ظلموا الصيحة لم يوجدوا والمغنى المقام الذى يقيم الحى
به الا ان ثمود كفروا ربهم قرئ ثمود بفتح الدال من غير تنوين وقرئ بالتنوين وكذلك فى
الدال فى قوله الا بعدا لثمود ذهابا الى الحى والاب الاكبر ولقد جاءت اللام لتأكيد الخبر
وقد للتوقع لان السامع لقصص الانبياء عم متوقع قصة بعد قصة رسلنا ابرهيم
اى الملئكة بالبشرى اى بالبشارة بالولد وقيل بهلاك قوم لوط ويأباه ما فى الذاريات
من قوله وبشروه بغلام عليم ثم بعده فما خطبكم ايها المرسلون قالوا سلاما سلمنا
عليك سلاما ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكروا قال سلام اى عليكم سلام او سلام
عليكم حياهم باحسن من تحيتهم والتنكير للدلالة على التعظيم ابلغ من التعريف وقرئ سلم

بمعنى السلام كرم وحرام وقيل المراد به الصلح فما لبث فما مكث اذ كان عنده طعام
معد للاضياف كل يوم والفاء للتفريع على ما ظهر من السلامة انهم جاؤا للخير دون
الشر ان جاء بعجل اما في محل الجر على تقدير فما لبث في المجيء او فما تأخر عن المجيء به او
النصب على حذف حرف الجر او الرفع على الفاعلية اى فما لبث مجيئه والعجل ولد البقرة
سمي به لتعجيل امره بقرب ميلاده ولا يخفى لطف موقعه بعد ما فهم من قوله فما لبث
من معنى العجلة حنيذ والحنيذ هو الذي يقطر دسمه من حنذت الفرس اذا القيت
عليه الجل حتى يقطر عرقا ويدل عليه قوله في موضع آخر بعجل سمين وقيل المشوي بالرضف
في اخدود وفيه ان اعتبار قيد لا يهتم لاظهاره في المقام مما يعد حجة في الكلام فلما
رأى ايديهم لا تصل اليه روي انهم نكبوا بقداح كانت في ايديهم في اللحم ولا يصل
ايديهم اليه وعلى هذا يظهر وجه الاتيان بالفاء الفصيحة والعدول عن لا يمدون اليه
ايديهم ومن وهم ان المذكور كناية عن الترك فقد وهم نكرهم هذا صريح في ان
انكاره عم اياهم كان بعد ما رأى انهم لم يمدوا ايديهم الى الطعام والظاهر من قوله
قال سلام قوم منكرون انه كان قبل ذلك والتوفيق انه عم انكرهم بعينه حين رآهم
ونكرهم بقلبه بعد ما رأى منهم امارة الخوف قال ابو العالية يقال نكره بقلبه وانكره
بعينه واوجس منهم خيفة الايجاس الاحساس وذلك لانهم كانوا اذا نزل بهم ضيف
ولم يأكل من طعامهم ظنوا انه لم يجئ بخير وقيل وجس بمعنى اضمر ويرده قوله تع في سورة
الحجر قال انا منكم وجلون وكذا يرده ما قيل وانما قالوا لا تخف لانهم رأوا اثر الخوف
والتغير في وجهه او عرفوه بتعريف الله او علموا لان علمه بانهم ملائكة موجب للخوف
لانهم كانوا لا ينزلون الا بعذاب فان مبنى هذا ايضا الغفول عن انه عم افصح
عن خوفه باوضح عبارة قالوا له عم لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط يعني بالعذاب
على ما افصح عنه في موضع آخر بقوله لنرسل عليهم حجارة قيل وانما يقال هذا لمن عرفهم
فيه ارسلوا ومبناه ايضا الغفول عن التفصيل الواقع في سورة الحجر فان هذا القول
منهم بعد البشارة له عم بالغلام واستفساره بقوله فما خطبكم ايها المرسلون وكذا
مبنى ما قيل ههنا انا ملائكة مرسلة اليهم بالعذاب وانما لم نمد اليه ايدينا لانا لا نأكل
مبناه الغفول عما ذكر وامرأته قائمة يعني في الخدمة وكانت تسمع منهم لا على رؤسهم
كما قيل لانه مردود بقوله في موضع آخر فاقبلت امرأته في صرة فضحكت سرورا بالامن
او بهلاك اهل الفساد وقيل باصابة رأيها فانها كانت تقول لابرهيم عم اضمم اليك
لوطا فاني اعلم ان العذاب ينزل بهذا القوم ويرد عليه انه ح اي على تقدير ان يكون
المعنى فضحكت من اصابة رأيها يخرج الكلام مخرج الالغاز واما ما قيل ان ضحكت بمعنى

حاضت ورد بان التعجب بعده وبعيد اذ لا تعجب من الولادة في زمن الحيض واذكره
في سياق التعجب يأباه اللفظ والمعنى فبشرناها باسحق هذه البشارة ايضا على لسان
الملئكة والفاء للتعقيب اي بشرناها بالولد وبولد الولد عقيب ما اوجب سرورها
والاسمان يحتمل وقوعهما في البشارة كيحيى ويحتمل وقوعهما في الحكاية ومن وراء اسحق
يعقوب رفع بالابتداء خبره الظرف اى ومن بعد اسحق يعقوب مولود وقرئ بالنصب
بفعل دل عليه بشرناها اي ووهبنا له من وراء اسحاق يعقوب قالت يا ويلتى يا عجبا
واصله في الشر ثم اطلق في كل امر فظيع والالف فيها مبدلة من ياء الاضافة وقرئ بالياء
على الاصل االد وانا عجوز اي مسنة قيل كانت في تسع وتسعين ولم يدخل الهاء لانها وضعت
للنثى خاصة وهذا بعلي زوجي واصله القائم بالامر شيخا حال والعامل فيه معنى الاشارة
في هذا وقرئ شيخ على انه خبر مبتدأ محذوف اي هذا بعلي هو شيخ او خبر لهذا وبعلي بدل
منه او خبر بعد خبر ان هذا لشيء عجيب يعني الولد من هرمين وهو استبعاد من
حيث العادة وانما انكرت الملئكة تعجبها بقولهم قالوا اتعجبين من امر الله لانها كانت
في بيت الآيات والمعجزات وخوارق العادات فكان حقها ان لا تستغرب بل تستغرق وتشكر
نعم الله تع وتحمده وتمجده ولا تتعجب منه لاعتيادها بامثالها ولهذا قالت الملئكة رحمة
الله وبركاته عليكم اهل البيت كلام مستأنف علل به انكار التعجب كأنه قيل ليس هذا
مكان التعجب فان الله تع خصكم من بين سائر الناس بامثال هذه الكرامات واكرمكم
بها اهل بيت النبوة ونصبه على المدح او على النداء لقصد التخصيص وقيل الرحمة النبوة
والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء كانوا فيهم كثيرا انه حميد فاعل ما يستوجب
به الحمد مجيد كريم يستحق التمجيد والثناء بكثرة الاحسان والانعام على عباده فلما
ذهب عن ابرهيم الروع الافزاع مما اوجس من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم وعرفانه
سبب مجيئهم والفاء لترتيب بعض ما يتعلق بامرأته وله ايضا مدخل في ذهاب روعه
وجاءته البشرى بدل الروع يجادلنا في قوم لوط يجادل رسلنا في شأنهم ومجادلته
اياهم قوله ان فيها لوطا وجواب لما محذوف ويجادلنا كلام مستأنف دال عليه تقديره اجترأ
على خطابنا او فزع لمجادلتنا ونحو ذلك وقيل الجواب يجادلنا على حكاية الحال الماضية وقيل
لما يرد المضارع الى معنى الماضي كما يرد الماضي الى المستقبل معنى وقيل معناه اخذ يجادلنا
او قيل يجادلنا او في معناها ان ابرهيم لحليم متحمل جهل السفهاء غير عجول على الانتقام
ممن اساء اليه اواه كثير التأوه من الذنوب والتأسف على الناس منيب رجاع الى
الله تع بما يحب ويرضى والمقصود من ذلك بيان الحامل له على المجادلة وهو الرأفة و
الرحمة على ابناء الجنس يا ابرهيم على ارادة القول اى قالت الملئكة يا ابرهيم اعرض

عن هذا الجدال وان كانت الرحمة دعتك اليه لربهم اعلم بهم وبما يستوجبونه انه قد
جاء امر ربك اي قضاؤه وحكمه وانهم آتيهم عذاب غير مردود مصروف بجدال ولا
دعاء ولا غير ذلك لا برامه عند الله فلا فائدة في جدالك ولما جاءت رسلنا لوطا سيء
بهم ساءه واغتم بمجيئهم لانهم جاؤوا في صورة غلمان حسان فحسبهم اناسا فخاف عليهم
خبث قومه وعجزه عن مدافعتهم وضاق بهم ذرعا كناية عن شدة الانقباض عن
مدافعة المكروه كانه ضاق بمكانهم صدره وقال هذا يوم عصيب شديد من عصبه
اذا شده وجاءه قومه يهرعون يسرعون اليه كانما يدفعون دفعا لطلب الفاحشة
من اضيافه ومن قبل ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون السيئات الفواحش فتمرنوا
عليها ولم يستحيوا منها فلذلك جاؤوا يهرعون اليه مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتي فتزوجوهن
فدى بهن اضيافه كرما وحمية وكان اذ ذاك تزويج المسلمات من الكفار جائزا
ومن زاد على هذا قوله وكانوا يخطبونهن قبل ذلك ولا يجيبهم اليهن لخبثهم وعدم كفاءة
وكانه لم يتامل في قولهم لقد علمت ما لنا في بناتك من حق فانه ظاهر في عدم رغبتهم
فيهن وقيل المراد بالبنات نساؤهم فان كل نبي ابو امته من حيث الشفقة والتربية و
في مصحف ابن مسعود وازواجه امهاتهم وهو اب لهم فيأباه قولهم لقد علمت ما لنا
في بناتك من حق واما ما قيل قاله عم مبالغة في تناهي خبث ما يرومونه حتى ان ذلك اهون
منه واظهار الشدة امتعاضه من ذلك كي يرقوا فلا يناسب شانه عم ولا يلائم
قوله هن اطهر لكم اراد المبالغة في الطهارة لا تفضيلهن فيها على ما راموه كقوله عم
الله اعلى واجل في مقابلة قول ابي سفيان اعل هبل وقرئ اطهر بالنصب على تقدير خذوا
هؤلاء اطهر لكم وقوله بناتي هن جملة معترضة تعليلا للامر وكونهن اولى فقدمت للاهتمام
كانه قيل خذوا هؤلاء العفائف اطهر لكم ان بناتي هن وانتم تعلمون طهارة نفي وطهارة
بناتي ويجوز ان يكون هؤلاء مبتدأ وبناتي خبره هن تاكيد للمستكن في بناتي لانه في معنى
وصف مشتق واطهر حالا فاتقوا الله في ركوب الفاحشة ولا تخزون من الخزي وهو
الهوان او من الخزاية وهي الحياء في ضيفي بسببهم فان التعدي اضيف لرجل اخزاء
له وترتبه على المحذوف لا على المذكور على ما افصح عنه في موضع اخر حيث قال ان هؤلاء
ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون وقد علم منه ان المراد من الخزي معنى اخر غير
اخر غير الفضاحة اليس منكم رجل رشيد يهتدي الى الحق ويرعوي عن القبيح فيرشد
اصحابه اليه ويمنعهم عنه والمراد هذا ولذلك قال منكم لقومه الاجنبي وكلامه لا يؤثر
تأثير كلام الذي منهم قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق حاجة بالغوا في النفي منكر
حق وزيادة من بالغوا في النفي باثبات علمه على ابلغ وجه واكده وانك لتعلم ما نريد

من اثبات الذكر ان قال لو ان لي بكم قوة لما كان فيه معنى الفعل عطف عليه قوله او
آوي الى ركن شديد اي لو قويت عليكم بنفسي او اويت الى قوي استند اليه واتمنع
به فيحميني منكم شبه القوي العزيز الذي يحتمى به بالركن من الجبل في
شدته ومنعته وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم وقرئ او آوي بالنصب باضمار
ان كانه قال لو ان لي بكم ان يعرفوه عم لعدم حصول بغيتهم دفعه بقوله لن يصلوا
اليك فهو استيناف في غاية الجزالة ومن لم يتنبه له قال لن يصلوا الى اضرارك باضرارنا
ثم انه لم يدر ان حق الكلام ح الوصل بالفاء دون الفصل فاسر باهلك بالقطع من
الاسراء وقرئ بالوصل من السرى ترتبه على المحذوف والمذكور في موضع آخر بقوله
وآتيناك بالحق وانا لصادقون بقطع من الليل بطائفة منه ولا يلتفت منكم احد ولا يتخلف
احد ولا ينظر الى ورائه والنهي عام له عم ولاهله والمخصوص به انما هو تبليغه اليهم ومن
وهم انه في اللفظ لاحد وفي المعنى للوط عم فقد وهم الا امراتك بالنصب استثناء من قوله
فاسر باهلك ويدل عليه قراءة فاسر باهلك بقطع من الليل الا امراتك فقط وذلك مما يبتنى
على تاويل الالتفات بالتخلف لا بالنظر الى الخلف لئلا ينافي قراءة من قرأ بالرفع بدل
من احد والا لزم على القراءتين ان يكون امراته سري بها وغير مسري بها وفيه نظر لان
الاستثناء من الاهل يقتضي ان لا يكون لوط عم مامورا بالاسراء ولا يمنع انها سرت
بنفسها ويكفي لصحة الاستثناء من هذا المقدار كيف ولم ينه عن اخراجها ولكنه امر
باخراج غيرها وبهذا اندفع ايضا ما قيل انه اما ان اسري بها فالاستثناء من قوله احد
يتعين اولا فيتعين من قوله فاسر باهلك والقصة واحدة فاحد التاويلين باطل قطعا و
القراءتان الثابتتان قطعا لا يجوز حملهما على ما يوجب بطلان مقتضى احدهما واما ما قيل
وفي اخراجها مع اهله روايتان روي انه اخرجها معهم وامر ان لا يلتفت منهم احد الا
هي فلما سمعت هذا العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وروي انه امر
بان يخلفها مع قومها فان هواها اليهم فلم يسر بها فاختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين
فاعترض عليه بانه لا يجوز لان القواطع لا يصح حملها على المعاني المتناقضة واجيب بان
معناه اختلاف القراءتين جالب وسبب لاختلاف الروايتين كما تقول السلاح للغزو اي
اداة وصالح له ولم يرد ان اختلاف القراءتين اختلاف لاجل الروايتين فقد حصل ويرد
عليه انه ح ينقلب الرواية دراية لاتخاذها من ظاهر القراءة وايضا فيه التزام بلا التزام
اختلاف القراءتين احد محذورا وهو الجمع بين المتنافيين والاولى جعل الاستثناء في
القراءتين من قوله ولا يلتفت منكم احد كما في قوله ما فعلوه الا قليل والا قليلا ولا بعد ان يكون
اكثر القراء على غير الافصح فان النصب ضعيف وان كان البدل افصح انه مصيبها ما اصابهم

استبان علّته استثناؤها من اهله ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها
عنه استصلاحا ولذلك جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع ان موعدهم الصبح
كانه علة الامر بالاسراء اليس الصبح بقريب جواب لاستعجال لوط عم واستبطائه العذاب
وانما جعل الصبح ميقاتا لهلاكهم لان النفوس فيه اودع والراحة فيه اجمع فيكون العذاب
فيه افظع فلما جاء امرنا وقت امرنا او امرنا به فقد ورد مثل هذا وانما المامور به
فنفس ما ذكر في قوله جعلنا عاليها سافلها جواب لما وانما عدل عن الظاهر وهو جعلوا
اي الملئكة المامورون به واسنده الى نفسه من حيث انه المسبب تعظيما للامر وامطرنا عليها
على المدن حجارة روى ان جبرئيل ادخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها الى السماء ثم
قلبها عليهم واتبعوا الحجارة من فوقهم والتنكير في حجارة للتعظيم من سجيل من طين
متحجر لقوله حجارة من طين كلمة معربة من سنك كل وقيل هي من اسجله اذا ارسله لانها
ترسل على الظالمين لقوله لنرسل عليهم حجارة وقيل مما كتب الله ان يعذب به من السجل
وسجل لفلان منضود نضد في الارسال يرسل بعضها اثر بعض كقطار الامطار او نضد
بعضه على بعض والصق به او نضد معدا لعذابهم مسومة معلمة للعذاب او بسيماء
يتميز به عن حجارة الارض او باسم من يرمى به عند ربك في خزائنه التي لا يتصرف فيها
الا هو وما هي من الظالمين ببعيد لاستحقاقهم لذلك وفيه وعيد لاهل مكة وعن رسول
الله صلعم سأل جبرائيل عم عن هذا فقال يعني من ظالمي امتك وقيل الضمير للقرى اي هي
قريبة من ظالمي امتك يمرون بها في مسايرهم قوله ببعيد بشيء او بمكان بعيد كذا قيل
ولا حاجة الى التاويل لانه على زنة المصدر كالزفير والصليل والمصادر يستوي في الوصف
بها المذكر والمؤنث والى مدين اخاهم شعيبا قد مر نظائره ومدين مدينة بناها مدين
بن ابرهيم عم فسميت باسمه والمراد اهلها واولاده قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم
من اله غيره قد سبق تفسيره ولا تنقصوا المكيال والميزان امرهم بالتوحيد اولا لانه ملاك
الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافي للعدل المخل بحكمة التعاوض اني اريكم بخير
بسعة وثروة تغنيكم عن التطفيف او بنعمة حقها ان تقابل بالشكر لا بما تفعلونه او بخير فلا
تزيلوه عنكم بما تفعلون وهو على كل الوجوه علة النهي واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط
لا يشذ منه احد او مهلك من قوله واحيط بثمره والمراد عذاب يوم القيمة او عذاب الاستئصال
وتوصيف اليوم بالاحاطة من باب الاسناد المجازي وهو ابلغ من وصف العذاب بها لانه
مشتمل على حوادث مع اشتماله على العذاب فاذا كان مهلكا فما اشتمل عليه لو ادرك كان مجتمعا
على المعذب في اهلاكه ويا قوم اوفوا المكيال والميزان امر بالايفاء بعد النهي عن ضده
قصدا الى تقبيح المنهي وتعييبه لان التصريح بالمنهي عنه توبيخ للمنهي وتعيير له لكنه يترجح

فاذا ورد الامر بعده مصرحا به كان اوقع في نفسه واسرع الى القبول والامتثال
لانه ترغيب وحث بعد ترهيب وزجر عن ضده فكان ابلغ بالقسط بالعدل والتسوية
من غير زيادة ونقصان وانما قيده به قصرا على ما هو الواجب وتنبيها على ان المطلوب
من الايفاء القسط ولهذا قد يكون الفضل محرما كما في الربويات ولا تبخسوا الناس
اشياءهم تعميم بعد تخصيص لان نقص الحقوق مطلقا اعم من النقص في الكيل والوزن
وكذا ولا تعثوا في الارض لانه التمادي في انواع الفساد درجهم في النهي بما غلب عليهم
الى سائر القبائح ويجوز ان يريد بالعثي البخس مبالغة وتعريضا بانه شر انواع الفساد
وانما قال مفسدين اخراجا لما يقصد به الاصلاح كما فعل الخضر بقية الله ما ابقى عليكم
من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم خير لكم مما تجمعون بالتطفيف ونقص الحقوق ف
ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا وانما قيده به لظهور فايدتها معه وان كان مع الكفر
ايضا نجاة عن تبعتها وذلك لان حصول الثواب بها مشروط بالايمان ولا نظر على الكافر
الا النجاة من تبعة البخس الى تفاسيرهم في غمرات الكفرات وفي ذلك تعظيم للايمان وتنبيه
على جلالة قدره وايماء الى ان لا فايدة للمخاطبين بدونه او ان كنتم مصدقين لي في نصحي
اياكم وقيل البقية الطاعة اي ما يبقى لكم عند الله من الطاعة خير مما يبقى كقوله والباقيات
الصالحات خير عند ربك ثوابا واضافتها الى الله تع تعظيم لها وتشريف بنسبتها
اليه وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه التي تكف عن المعاصي والقبائح وما انا عليكم
بحفيظ تعذيبكم الظلم وبلاؤه حرف النفي وعيد بليغ اي الله حفيظ عليكم ومجازيكم
بها لا انا انما انا نذير مبلغ وقد انذرت وبلغت ونصحت واعذرت قالوا يا
شعيب اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا من الاصنام اجابوا به بعد امرهم
بعبادة الله تع وترك عبادة الاصنام وبايفاء الحقوق على طريقة السخرية والاستهزاء
حيث اسندوا الامر الى الصلوة استبعادا بان المامور به مما لا يامر به العقلاء لانه
وسوسة وجنون لا امر فطنة وعقل واما تخصيصهم بالصلوة بالاسناد اليها لانه عم
كان يصلي وكانوا يقولون له ما تستفيد بهذا فيقول انها تامر بالمحاسن وتنهى عن
المساوي كما عن قوله تع عباده بقوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فقالوا
له على وجه التهكم به اصلوتك تامرك الى فقيه استهزاء من وجه اخر واما جمعها فلانه عم
كان كثير الصلوة وكانوا اذا راوه يصلي يتغامزون ويتضاحكون استبعادا منهم بان يفعل
مثل ذلك الافعال فقد انبا بها على صيغة الجمع اشارة الى نوع اخر من الاستهزاء ثم انهم
جعلوه مامورا بفعل الغير دلالة على افراطه في ذلك كان نفسه مامور به وذلك ان في
الامر نهي الغير يكفي الابلاغ مرة او مرتين وهو عم قد واظب على ذلك فنزلوه منزلة

المأمور بانيان الترك الواجب على الغير وهذا ايضا نوع من الاستهزاء منهم مبناه
على اعتقاد دقيق ولهذا غفل عنه الناظرون في هذا المقام حتى ذهبوا الى تقدير المضاف
اي نأمرك بتكليف ان نترك فاذهبوا احسن الكلام ولطف الاعتبار المناسب للمقام
او ان نفعل في اموالنا ما نشاء عطف على ما اي وان نترك فعلنا ما نشاء في اموالنا و
العطف باو دون الواو للاشعار بان الامر بواحد منهما على سبيل البدل يكفي في التسفيه
والنسبة الى الضلال فكيف اذا امر بهما معا ولا يخفى ما فيه من الدلالة على انهم كانوا انه في
قد بلغوا غاية الضلالة وقرئ بالتاء في تفعل وتشاء على ان العطف على ان نترك انك
لانت الحليم الرشيد تهكم به وبفعله لانهم ارادوا وصفه بغاية السفه والغي على ما يقتضيه
السباق والسياق فعكسوا تهكما كقوله ذق انك انت العزيز الكريم واما قيل
عللوا انكار ما سمعوا واستبعاده بانه موسوم بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة
الى امثال ذلك فيأباه سياق الكلام من الاقدام على السخرية والاستهزاء من وجوه
شتى قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي اشارة الى ما اتاه من العلم والنبوة
ورزقني منه رزقا حسنا اشارة الى ما اتاه من المال الحلال والتقييد بحسنا للاحتراز
عن الرزق القبيح وفيه اشارة الى ان الحرام رزق وجواب الشرط محذوف تقديره
فهل يسع لي مع هذه الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية ان اخون في وحيه
واخالفه في امره ونهيه وهو اعتذار عما انكروا عليه من الاقدام على تغيير المألوف والنهي
عن دين الآباء ولا يخفى ما فيه من لطف المراجعة وحسن الاستنزال ورفق الاستدعاء
ولذلك قال فيه رسول الله صلعم ذاك خطيب الانبياء والضمير في منه لله تع اي من عنده
باعانته بلا كد مني في تحصيله وقد ادرج فيه الجواب عن قولهم وان نفعل في اموالنا ما نشاء
على القراءة بالنون فيهما وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه وما اريد ان اقصد الى ما
انهاكم عنه من المعاصي والملاذ لاستبد بها دونكم فلو كان صوابا لاثرته ولم اعرض عنه
فضلا عن النهي عنه يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وانت مول عنه وخالفني اذا ولى
عنه وانت قاصده ان اريد الا الاصلاح ما استطعت ما اريد الا ان اصلحكم بموعظتي
ونصيحتي ما امكنني فلو وجدت الصلاح فيما انتم عليه ما نهيتكم عنه ولهذه الاجوبة
الثلثة على هذا النسق شان وهو التنبيه على ان العاقل يجب عليه ان يراعي فيما يباشره
احد ثلثة حقوق اولها واعلاها حق الله تع وثانيها حق نفسه وثالثها حق الناس في كل
ذلك يقتضي ان امركم بما امرتكم به وانهاكم عما نهيتكم عنه وما مصدرية واقع موقع الظرف
اي مدة استطاعتي او خبرية بدل من الاصلاح اي الا القدر الذي استطعته منه او على تقدير
حذف المضاف اي الا اصلاح ما استطعته ومفعوله اي الا ان اصلح ما استطعت اصلاحه

من فاسدكم وفيه ان اعمال المصدر المعرف قليل وما توفيقي الا بالله اي وما توفيقي لاصابة
الحق والصواب فيما اتي وما اذر الا بتأييد الله تع ومعونته عليه توكلت لا على غيره فانه القادر
على ما يشاء دون غيره فان من عداه عاجز ساقط عن درجة الاعتبار في الوجود فضلا عن
القدرة واليه انيب لا الى غيره وفي الاية طلب التوفيق من الله تع لاصابة الحق فيما هو بصدده
على ابلغ وجه واحسن لاطماعهم وعدم المبالاة بهم وبعداوتهم بتوكله على الله تع وتهديد
للكفار بانابتهم اليه تع للجزاء ويا قوم لا يجرمنكم لا يكسبنكم شقاقي معاداتي ان يصيبكم مثل
ما اصاب قوم نوح من الغرق او قوم هود من الريح او قوم صالح من الرجفة وان يصيبكم
ثاني مفعولي جرم فانه مثل كسب في معناه وتعديته الى مفعول واحد والى مفعولين و
قرئ لا يجرمنكم بضم الياء من اجرمته ذنبا اذا جعلته جارما له اي كاسبا وهو منقول من
جرم المتعدي الى مفعول واحد كما يقال اكسبه المال من كسب والاول افصح فان اجرم اقل
دورانا على السنة الفصحاء وقرئ مثل بالفتح لاضافته الى المبني وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا
او مكانا فانهم اقرب الهالكين منهم او ليسوا ببعيد منكم في الكفر والمعاصي وما يستحق
به العقاب فحالكم حالهم وافراد البعيد قد مر وجهه فتذكر واستغفروا ربكم
ثم توبوا اليه قد سبق ما يتعلق به ايضا ان ربي رحيم عظيم الرحمة للتائبين ودود
لعباده يفعل بهم من اللطف والاحسان ما يفعل البليغ المودة بمن يوده وهو
وعد على التوبة بعد الوعيد على الاصرار لشمول الدعوة واخذ الحبل بطرفيه قالوا
يا شعيب ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول المراد فهم الكلام على ما تضمن من المعنى وفي نفيه دون نفي الفهم
دلالة على انهم لم يريدوا قصورا في اداء الكلام كما سبق الى بعض الاوهام
قال في وجه ما ذكر انه عم الشيء وانما قالوا ذلك استهانة بكلامه حيث كنوا بعدم
فهمهم ما قاله عن عدم دلالته على معنى صحيح فنزلوا منزلة الهذيان والتخليط وفي
التقييد بقوله كثيرا اظهار التنزه عن المكابرة وهذا ابلغ في المبالغة عن الكلام
الى عن ذلك القيد ومن هذا القبيل قولهم في وصف سيف الشجاع يقطر دما
سبيل قيل كانوا يفهمونه ولكنهم لم يقبلوه فكانهم لم يفهموه ولا يذهب عليك
ان هذا التنزيل لا يناسب عبارته ان لو كان في الحكاية دون المحكي وانا لنريك
فينا ضعيفا لا قوة لك ولا عزة فيما بيننا وفي قوله فينا نوع تعريض لما ارادوه من
اثبات العجز عن المدافعة كانهم يقولون انك لست بخارج عنا حتى لا نصل اليك
ابدا ولا قوة في نفسك فلا مانع ولا دافع لا من جهة شانك ولا من مكانك وكذلك قالوا
قوم حيث جعلوهم رهطا والرهط من الثلثة الى العشرة وقيل الى السبعة وانما قالوا
ولولا رهطك لرجمناك احتراما لهم لكونهم على ملتهم لا خوفا منهم ولدفع ما

هذا الوهم عبّروا عنهم بالرهط دون العشيرة والقبيلة ونحو ذلك والرجم
الرمي بالحجارة والمراد قتله به يعني قتلناك شر قتلة باصعب وجه وهذا ديدن
السفيه المحجوج يقابل الحجج والآيات بالسب والتهديد وما انت علينا بعزيز اي
لست علينا بممتنع فلا نقدر على رجمك وهذا هو المناسب لسياق الكلام وعلى هذا
لا مفهوم فيه ومن وهم منه المفهوم قائلا كأنه قيل وما انت علينا بعزيز بل رهطك
هم الاعزة علينا فقد حمل العزة على الكرامة على ما صرح به حيث قال اي لا تعز علينا
ولا تكرم حتى نكرمك عن الرجم فقد غفل عن ان المناسب ح ان يقولوا عندنا بدل
علينا ومنطوق قولهم ولولا رهطك لرجمناك اغنى عن اعتبار المفهوم المذكور
لما عرفت ان معناه ولولا حرمة رهطك وعزتهم عندنا لرجمناك فاعتباره
بعد هذا كالاستضاءة بالمصباح بعد طلوع الصباح وايلاء الضمير حرف النفي
لتقوية الحكم وتأكيده كما في قوله تع وما هم بمؤمنين وتقديم علينا لما قطع الفاصلة
وزيادة الباء في بعزيز لتأكيد النفي وتنكيره للتقليل اي ليس لك عندنا شيء من جنس
العزة واما ما قيل وقد دل ايلاء ضميره حرف النفي على ان الكلام واقع في الفاعل لا
في الفعل كأنه قيل وما انت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا ولذلك قال في
جوابهم ارهطي اعز عليكم من الله ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب
فيرد عليه انه لا دلالة في مفهوم قوله وما انت علينا بعزيز على ان رهطه هم الاعزة
انما دلالته على انهم هم العزيزون لان المفهوم تابع للمنطوق والمنفي عنه بطريق
المنطوق انما هو اصل العزة لا زيادتها ثم ان قوله ولو قيل وما عززت علينا الخ
فقد صرح ما به يظهر انه ليس بصواب قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله لما كان نبيا
مبعوثا من عند الله تع كانت الاستهانة به استهانة بالله لقوله من يطع الرسول فقد
اطاع الله فجعل كون رهطه اعز عليهم منه كونهم اعز من الله لان امره امر الله تعالى
وهو يحتمل الانكار التوبيخي على ان المعنى ارهطي اعز عليكم منه تع في نظركم واعتباركم
والانكار الابطالي على ان المعنى انهم اعز عليكم منه تع في الواقع وعلى الاول يدخل فيه
قوله واتخذتموه وراءكم ظهريا ايضا في حيز الاستفهام والاتخاذ اخذ الشيء لامر
يستمر في المستأنف كاتخاذ البيت واتخاذ المركوب فدلالته على المعنى المقصود اقوى
من دلالة الجعل عليه والظهري منسوب الى الظهر كالامسي بالكسر منسوب الى الامس
والكسر في مثل هذا من تغييرات النسب الكناية عن الترك وعدم الاعتداد به فذمّت
بقوله واتخذتموه وراءكم الا انه زاد فيه نسبته الى الظهر انما ما الى الحق المبالغة وافادة
لمعنى الاعراض عنه بالكلية ان ربي بما تعملون محيط فقد احاط باعمالكم علما فلا يخفى منها

شيء فيجازيكم عليها ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون سبق
مثله في سورة الانعام والفاء في فسوف للتصريح بان الاصرار والتمكن فيما هم عليه
سبب لذلك وحذف هاهنا للاستئناف كأنه قيل فماذا يكون اذا عملنا على مكانتنا وعملت
انت فقال سوف تعلمون وهو ابلغ من الوصل بالفاء من يأتيه عذاب يخزيه ومن
هو كاذب قياس الكلام ومن هو صادق بدل قوله ومن هو كاذب ليكونا قسمين ينصرف
الاول اليهم والثاني اليه لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا اجرى الكلام على مقتضى زعمهم
فقال ومن هو كاذب اي على زعمكم ودعواكم او اراد سوف تعلمون من المعذب
والكاذب مني ومنكم لانهم كذبوه واوعدوه وارتقبوا وانتظروا ما اقول اني
معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الفاعل كالصريم او المراقب كالعشير او المرتقب كالرفيع
ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا انما ذكر ساقتي قصة عاد
وقصة مدين بالواو وساقتي قصتي ثمود ولوط بالفاء لانه لم يسبق فيهما وعد يقتضي
التسبيب فحقهما ان تعطف بحرف الجمع عطف قصة على قصة واما في قصتي ثمود ولوط
فقد سبق وعد يقتضي التسبيب وهو قوله في الاولى ذلك وعد غير مكذوب وفي الثانية
ان موعدهم الصبح فجيء بها كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت واخذت
الذين ظلموا الصيحة صاح بهم جبرائيل عم صيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين فهلكوا
بحيث لم يبرد كأن لم يغنوا فيها كأن لم يقيموا في ديارهم مترددين في نضرة فانهم الا
بعدا لمدين كما بعدت ثمود انما شبههم بثمود في هلاكهم لانهم ايضا اهلكوا بالصيحة
الا ان صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم وقرئ بعدت بالضم
على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما
والبعد مصدر المكسور ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين له على صدق
نبوته يجوز ان يكون المراد بالآيات المعجزات وسلطان مبين هو العصا وافردها
بالذكر لانها ابهرها ويجوز ان يراد بهما واحد اي ولقد ارسلناه بالجامع بين كونها آيات
وكونها سلطانا له على صحة دعواه والفرق بينهما ان الآيات تعم الامارات والدلائل القاطعة
والسلطان يختص بالقاطع والمبين ما فيه جلاء ومن وهم ان المراد من الآيات التورية
فقد وهم وما فهم ان قوله الى فرعون وملائه يأباه لان التورية نزولها انما كان بعد
هلاك فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون بالكفر بموسى او فما اتبعوا موسى الهادي الى
الحق المؤيد بالمعجزات الباهرة واتبعوا طريقة فرعون البين ضلاله وطغيانه لفرط
جهلهم وعنادهم فانه ادعى ما لا يخفى على من له ادنى تمييز وفطنة استحالته وهو الالهية
مع كونه بشرا مثلهم وما امر فرعون برشيد بمرشد او بذي رشد انما هو غي

صريح وضلال ظاهر لا رشد فيه يقدم قومه يوم القيمة يتقدمهم الى النار كما كان
تقدمهم في الدنيا الى الضلال يقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه قادمة الرحل كما يقال
قدمه بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش تفسير وبيان لعدم كون امر فرعون برشيد بسوء
حميد العاقبة وعدل الى الماضي فيما عطف عليه فقيل فاوردهم النار مبالغة في تحقق وقوعه
وشبه في جره اياهم الى النار بالفارط الذي يتقدم الواردة واتباعه بالوارد الخاص على
الماء ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى اتيانها مورد ثم قال وبئس الورد المورود
اى بئس المورد الذي وردوه فانه يراد لتبريد الاكباد وتسكين العطش والنار
بالضد واتبعوا في هذه اى في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة اى يلعنون في الدنيا والآخرة
بئس الرفد المرفود المخصوص بالذم محذوف اى رفدهم والرفد العطية واصله الذى
يعين على الغير قال قتادة ترادفت عليهم لعنتان من الله تعالى لعنة في الدنيا ولعنة
وكل شيء جعلته عونا للشيء فقد رفدته به ذلك مبتدأ من انباء القرى خبره اى
ذلك النبأ بعض انباء القرى المهلكة نقصه عليك خبر بعد خبر اى مقصوص عليك
منها قائم وحصيد جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب اى بعضها باق على اثره كالزرع
القائم على ساقه وبعضها عافي الاثر كالزرع الحصيد وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم
ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب الشرك والمعاصي التي اهلكوا بها فما اغنت عنهم آلهتهم
فما قدرت ان تدفع عنهم بأس الله تعالى التي يدعون حكاية عن حال ماضية اى التي كانوا
يعبدونها من دون الله اى اصنامهم التي اعتقدوها آلهة معبودة من شيء غناء
قليلا لما جاء امر ربك حين جاء عذابه ونقمته وما زادوهم غير تتبيب تخسير وكذلك
مثل ذلك الاخذ اخذ ربك وقرئ اخذ ربك بالفعل ويكون محل الكاف النصب على المصدر
اذا اخذ القرى اى اهلها وقرئ اذ لان المعنى على المضي وهي ظالمة حال من القرى وهي في
الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامه اجريت عليها وفائدتها الاشعار بانهم اخذوا بظلمهم
وانذار كل ظالم ظلم نفسه او غيره من وخامة العاقبة ان اخذه اليم شديد من باب الاسناد
المجازي لان الاخذ مؤلم كقوله ضرب وجيع ومعناه صعب على الماخوذ حتى كان الاخذ
تألم من صعوبته ولا يخفى ما فيه من المبالغة في التهديد والتحذير ان في ذلك اى فيما نزل
بالامم الهالكة او فيما قصه الله تعالى من قصصهم لآية لعبرة لمن خاف عذاب الآخرة واما
الذي ينكر الآخرة او لا يخطر بباله احوالها فلا حظ له من ذلك الاعتبار ذلك اشارة الى
يوم القيمة لدلالة عذاب الآخرة عليه يوم مجموع له الناس للحساب والجزاء والناس فاعل
مجموع كانه قيل يوم يجمع له الناس والعدول عن لفظ الفعل الى لفظ اسم المفعول
للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه موصوف به صفة لازمة لا محالة واثبت اسناد

الجمع الى الناس لانه يفيد انهم لا ينفكون عن الجمع الذي هو وصف اليوم كما لا ينفكون
عن الموصوف الذي هو ظرف لهم فهو ابلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع وذلك يوم مشهود
اى مشهود فيه فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به اى تشهد فيه الخلائق الموقف
لا يغيب عنه احد والمراد بالمشهود الذي كثر شاهدوه كما يقال لفلان مجلس مشهود
وطعام محضور يريدون الكثرة ولو جعل اليوم مشهودا في نفسه لفات الغرض وهو
التعظيم لليوم وتميزه فان سائر الايام كذلك والتهويل الحاصل من عدم ذكر المشهود
وما نؤخره اى اليوم الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة معدودة قليلة على حذف المضاف
وارادة مدة التأجيل كلها بالاجل لا منتهاها فانه غير معدود يوم يأت وقرئ بكسر
التاء والاكتفاء بالكسر عن الياء والفاعل هو الله تعالى كقوله او يأتي ربك ويؤيده قراءة
وما يؤخره بالياء وقوله باذنه او اليوم كقوله الا ان تأتيهم الساعة والمراد من اتيان
اليوم اتيان هوله وشدائده فلا يلزم ان يكون الزمان ظرفا لنفسه والعامل في الظرف
لا تكلم او الانتهاء المحذوف اى ينتهي الاجل يوم يأتي فلا حاجة الى تقدير اذكر لا تكلم نفس
لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب او شفاعة الا باذنه الا باذن الله تعالى كقوله الا من
اذن له الرحمن وهذا في موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون
في موقف آخر وقوله يجادلون عن انفسهم في موقف آخر وقوله نختم على افواههم وتكلمنا
ايديهم في موقف آخر ولما كان القول بتعدد المواقف مما لا بد منه توفيقا بين الآيات
المذكورة فلا حاجة الى تخصيص الممنوع عنه بالاعذار الباطلة والمأذون فيه
بالجواب الحق بل لا وجه له لان الشفاعة ايضا مأذون فيها وليست من جنس الجواب
فمنهم الضمير للناس المذكور او لاهل الموقف المدلول عليه بقوله لا تكلم نفس شقي
وجبت له النار بمقتضى الوعيد تفصيل لما فهم من قوله لا تكلم نفس الا باذنه انقسامهم
الى قسمين اجمالا وتقديم الشقي لانه المفهوم اولا في مرتبة الاجمال وسعيد وجبت
له الجنة بمقتضى الوعد والاصل ومنهم سعيد فحذف منهم اختصارا والتنكير فيهما
للنوعية فاما الذين شقوا ففي النار شروع في تفصيل احوال الصنفين المذكورين
بعد تفصيلهما لهم فيها تقديم الظرف للتخصيص زفير وشهيق الزفير اخراج
النفس والشهيق رده واستعمالهما في اول النهيق وآخره من اصوات الحمير
فيه تشبيه حالهم بحال من استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه للدلالة على
شدة كربهم وغمهم خالدين فيها ما دامت السموات والارض والمراد بهذا التوقيت
التأبيد على طريقة العرب في قولهم ما اقام ثبير وما لاح كوكب وغير ذلك مما يذكر
في مقام المبالغة في نفي الانقطاع ولا سبق الى الفهم منها الا التأبيد لا تعليق مدة

بعده بغاية ويجوز أن يراد التعليق على أن المراد من السموات والأرض سموات الآخرة
وأرضها فإنه لا بد لأهلها من مقلّة ومظلّة وهو لا يلزم في التعليق بهما علمنا بكيفيتهما
بل يكفي تعقلنا بديهتهم بين مقلّة ومظلّة وهو مفهوم من النصوص كقوله يوم تبدل
الأرض غير الأرض والسموات وقوله وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء و
ليس فيه تشبيه ما يعرف بما لا يعرف كما توهم إلا ما شاء ربك استثناء من الخلود في عذاب
النار لأن الكفار ينقلون من حر النار إلى برد الزمهرير ويرد أن الرد بأن النار عبارة
عن دار العقاب غير وارد لأنا لا ننكر استعمال النار فيها تغليبا إنما الدعوى أن التغليب
خلاف الأصل بخلاف الأبدي إلى قوله نخ نارا تلظى نارا وقودها الناس والحجارة وكم
وكم وأما ما قيل لأن بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف لصحة
الاستثناء لأن زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض وهم المراد بالاستثناء
الثاني فإنهم مفارقون عن الجنة أيام عذابهم فإن التأبيد من مبدأ معين
ينتقض باعتبار الابتداء كما ينتقض باعتبار الانتهاء فضعيف لأن موجب ذلك اندراج
الفساق في القسمين فيفوت ما قصد بالتنكير من التنويع والتمييز بينهما بحيث
لا يندرج أحدهما في حكم الآخر والتقابل المتعارف بينهما المفهوم من قوله صلعم
السعيد سعيد في بطن أمه والشقي شقي في بطن أمه يأبى عن الجمع بينهما بالاعتبارين
ثم الزفير والشهيق من خواص الكفار على ما ذكر يلزم تشريك الفساق معهم فيهما
وأما ما ذكره ثانيا فضعيف لأنه لا دلالة في اللفظ على المبدأ المعين ولو سلم فالاستثناء
يقتضي إخراجا عن الخلود وهو لا محالة بعد الدخول ولا يجوز أن يكون الاستثناء
من قوله لهم فيها زفير وشهيق لأن حق النظم ح أن يتقدم قوله ما دامت السموات
والأرض على قوله لهم فيها زفير وشهيق إن ربك فعال لما يريد فلا يتجه الاعتراض عليه
في تخصيص بعض أوقات الشقاوة بأحد نوعي العذاب وبعضها بنوع الآخر وأما
الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض وقرئ على البناء
للمفعول من سعده الله بمعنى أسعده إلا ما شاء ربك قال الزجاج هذا من باب
حتى يلج الجمل في سم الخياط ولا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى وقيل أهل الجنة
ينعمون بما هو أعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز برضوان الله تع
ولقائه ورد بأن ما ذكر يحصل وهم في الجنة فينافي الاستثناء عطاء نصب على المصدر
المؤكد أي أعطوا عطاء أو الحال من الجنة غير مجذوذ غير مقطوع وهو تصريح
بأن الثواب لا ينقطع وتنبيه على أن المراد من الاستثناء ههنا الانقطاع وقوله
في الأشقياء إن ربك فعال لما يريد في مقابلة هذا القول في السعداء ترجيح نعل

سعدوا ه

الأشقياء إلى ما هو أغلظ من عذاب النار من عقوبات يقتضيها سخط الله تع وما
يعلمها إلا هو فلا تك في مرية الترديد الحاصل مع الشك مما قص عليه ع م قصص عبدة
الأصنام وما حل بهم من أنواع العذاب والنقم أقبل عليه مسليا له بقوله هذا أي لا تكن
في تردد بعد ما أنزل إليك في سوء عاقبة قومك ومآل عبادتهم الأوثان مما يعبد هؤلاء
من عبادة هؤلاء المشركين في أنها ضلال مؤد إلى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك
سوء عاقبة عبادتهم أو من حال ما يعبدونه في أنه يضر ولا ينفع إلا كما يعبد آباؤهم
من قبل استئناف لتعليل النهي عن المرية أي أن حالهم في الشرك مثل حال آبائهم من غير
تفاوت وقد بلغك ما نزل بآبائهم بسببه فسينزل عليهم مثله لأن التماثل في الأسباب
يقتضي التماثل في المسببات ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة قبل عليه وإنا لموفوهم
نصيبهم حظهم من العذاب كما وفينا آباءهم أنصباءهم أو من الرزق فيكون عذرا
لتأخير العذاب عنهم مع قيام موجبه غير منقوص نصب حالا عن النصيب تقييدا
له لدفع احتمال أن يكون منقوصا في حد نفسه عما يستحقونه وتوفيته لا يدفع هذا الاحتمال
ومن لم يتنبه لهذا قال إنه لتقييد التوفية فإنك تقول وفيت حقه وتريد به وفاء بعضه
ولو مجازا وأما من قال يجوز أن يوفى وهو ناقص ويوفى وهو كامل ألا تراك تقول وفيته
شطر حقه وثلث حقه وحقه كاملا وناقصا فلم يصب في التنوير لأن قوله ليس بمعزل عما فيه
الكلام وآخر ليس بتام كما لا يخفى على ذوي الأفهام ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه
فآمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء في القرآن ولولا كلمة سبقت من ربك يعني
سبق بتأخيرهم إلى يوم القيامة لقضي بينهم بين قوم موسى ع م أو بين قومك وتميز بين
المحق والمبطل فإنهم فإن كفار قومك لفي شك منه من القرآن مريب موقع في الريبة وإن
وهذه الآية من جملة التسلية له ع م وإن كلا التنوين عوض من المضاف إليه أي جميع المختلفين
فيه المؤمنين به والكافرين وقرئ بالتخفيف على إعمال المخففة اعتبارا للأصل لما ليوفينهم
ربك أعمالهم اللام الأولى موطئة للقسم والثانية للتأكيد أو بالعكس وما مزيدة بينهما
للفصل وقرئ لما بالتشديد على أن أصله لمن ما فقلبت النون ميما للإدغام فاجتمع ثلث
ميمات فحذف أولاهن والمعنى لمن الذين يوفينهم ربك جزاء أعمالهم وقرئ لما بالتنوين
أي جميعا وقرئ وإن كل لما على أن إن نافية ولما بمعنى إلا وقد قرئ به إنه بما يعملون خبير
فلا يفوت شيء منه وإن خفي فاستقم كما أمرت لما بين أمر المختلفين في التوحيد والنبوة
وبالغ في الوعد والوعيد أمر نبيه ع م بالاستقامة مثل ما أمر به في العقائد والأعمال فيعم
العبادات والتبليغ كما أنزل إليه وبيان الشرائع جامعا بين التنزيه والتشبيه في التوحيد
محترزا عن الإفراط والتفريط في الأعمال محتاطا في التبليغ والتشريع وإلغاء المستتبع

اى اذا كان جزاء الكل عليه لا عليك فاستقم انت فيما امرت به والكاف فى محل النصب صفة
للمصدر اى استقامة مثل الاستقامة التى امرت بها ومن تاب معك عطف على المستتر فى فاستقم وحسن من غير
تاكيد للفصل اى فليستقم من تاب معه من الكفر وامن فى اتباعه فى العقايد والاعمال سالكا
سبيل الامرين دون ما هو مخصوص به عم ولما كان فى هذه الصيغة من تبليغ ذلك الامر
الصبر الى غاية العسر قال صلعم شيبتنى سورة هود اى خص هذه السورة بالذكر والا فالامر
بالاستقامة وارد فى سورة الشورى ايضا ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حد لكم فيتعدد وا انه
بما تعملون بصير فهو مجازيكم به وهو فى معنى التعليل للامر والنهى وفى الاية دليل على وجوب
اتباع المنصوص من غير تصرف وانحراف بمجرد الراى واما التصرف بمقتضى الاجتهاد فيما يحتاج
اليه فليس بمنهى عنه بل مامور به على ما ورد به النصوص والتصرف بالقياس والاستحسان
من المجتهدين من هذا القبيل ولا تركنوا الى الذين ظلموا الركون الميل اليسير اى ولا تميلوا
ميلا ما الى من وجد منه ظلم ولم يقل الى الظالمين للمبالغة فى النهى فكانه قيل لا يوجد منكم ادنى ميل
الى من صدر منه وقتا ما ظلم ما فضلا عن الميل الكثير الى الذين عادتهم الظلم فكيف بالظلم و
بتناول مصاحبتهم ومداهنتهم فى اعمالهم والانحطاط الى هواهم والتزيى بزيهم ومد
العين الى زهرتهم وتعظيمهم وانما قال الى الذين ظلموا دون الى الذى ظلم لان كونهم جماعة
مظنة رخصة فى مداهنتهم فالنهى عن ركونهم ابلغ والاية ابلغ ما يتصور فى النهى عن الظلم و
التهديد عليه فتمسكم النار بالركون اليهم وخطاب الرسول عم التثبيت على الاستقامة
التى هى العدل وايعادهم بالنار مع سلب الولاية والنصرة عنهم عند ادنى الانحراف منهم عن
جادة العدل الى من وجد منه ضده مع كونه صلعم احب الخلق اليه زيادة تاكيد فى المبالغة
فان الميل الى احد طرفى الافراط والتفريط ظلم فى نفسه سواء كان على نفس الظالم او غيره
وما لكم من دون الله من اولياء من انصار يمنعونكم من عذابه حال من قوله فتمسكم النار
وانما اتى بصيغة الجمع لمكان كم والا فنفى المفرد ابلغ ثم لا تنصرون هو ابطنا اذ اسبق
حكم بتعذيبكم فلا يبقى عليكم ومعنى ثم استبعاد نصرته لهم بعد الحكم باستيجابهم العذاب
واقم الصلوة طرفى النهار غدوة وعشية وانتصابه على الظرفية لاضافته الى الوقت
وزلفا من الليل وساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه وهو جمع
زلفة عطف على طرفى النهار وان فسر بغيرها فالوجه ان يعطف على الصلوة اى واقم
صلوات تتقرب بها الى الله تع فى بعض الليل وصلوة الغدوة الفجر وصلوة العشية
الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشى وصلوة الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفى
بمعنى زلفة كقربى وقربة ان الحسنات يذهبن السيئات يكفرنها وفى الحديث ان الصلوة
الى الصلوة كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكبائر او يمنعن السيئات بمعنى يزلن المستعد لـ

ارتكابها كقوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ذلك اشارة الى قوله فاستقم وما بعده
ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين والصبر كرر التذكير بالصبر بعد ما جاء بما هو خاتمة
للتذكير للدلالة على فضيلة الصبر ومزيته والتنبيه على شانه ومكانته كانه قال وعليك بما هو
اهم مما ذكرت به واحق بالتوصية فى بابه وهو الصبر على امتثال ما امرت به والانتهاء
على ما نهيت عنه فلا يتم شئ الا به فان الله لا يضيع اجر المحسنين تعميم كالتعليل بالرجاف
للاوامر والنواهى المذكورة من قوله فاستقم الى قوله فاصبر وانما عدل عن الضمير ايماء
الى ان الصلوة والصبر احسان الا انه لا يعتد بهما دون الاخلاص فلولا كان لولا ههنا للتحضيض
صحبها معنى التفجع والتاسف الذى ينبغى ان يقع من البشر على هذه الامم الذى لم يهتد من القرون
من قبلكم اولوا بقية اولو فضل وخير وانما سميت بقية لان الرجل يستبقى مما يخرجه اجوده و
افضله فصار مثلا فى الجودة والفضل ومنه قولهم فى الزوايا خبايا وفى الرجال بقايا ومنه قوله
فى عباس رض هذا بقية ابائى ويجوز ان يكون مصدرا كالتقية اى ذووا بقاء على انفسهم
وصيانة لها من العذاب ويؤيده انه قرئ بقية وهى المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه
ينهون عن الفساد فى الارض الا قليلا ممن انجينا منهم لكن قليلا ممن انجينا من القرون نهوا
عن الفساد واكثرهم تاركون للنهى على ان من للبيان لا للتبعيض لان النجاة انما هى للناهين
وحدهم لقوله وانجينا الذين ينهون عن السوء ولا يجوز ان يكون الاستثناء متصلا على
الظاهر لفساد المعنى لانه يكون تحضيضا لاولى بقية على النهى عن الفساد الا للقليل من الناجين
منهم ولكن ان استثنى من النفى اللازم للتحضيض جاز كونه متصلا كانه قيل ما كان من القرون
اولو بقية ينهون عن الفساد الا قليلا وان كان الافصح ان يرفع على البدل واتبع الذين
ظلموا ما اترفوا فيه من النهى عن المنكرات ما انعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل
اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك وكانوا مجرمين كافرين كانه اراد ان يبين ما كان
السبب لاستيصال الامم السالفة وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم للهوى مع الكفر واتبع
عطف على مضمر دل عليه الكلام اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا
مجرمين عطف على اترفوا اى اتبعوا ما اترفوا فيه وعادتهم التمادى فى الاجرام او على
اتبعوا اعتراض وقرئ واتبع اى اتبعوا جزاء ما اترفوا فيه وعادتهم فيكون الواو
للحال ويجوز ان يفسر به المشهورة ويعضده تقدم وما كان ربك ليهلك القرى اللام
لتاكيد النفى بظلم حال من الفاعل والتنكير للتعظيم والاشارة الى ان اهلاك المصلحين
ظلم عظيم ولذلك اكد النفى باللام وكذا ان فسر الظلم بالشرك والباء للسببية اى
لا يهلكهم بسبب ظلم لا ظلم اعظم منه واهلها مصلحون حال كونهم مصلحين ما بينهم بالعدالة
لكمال رحمته ورافته بالعباد ومساهلته فى حقه ومن ثم قدم الفقهاء عند تزاحم

المخوف حقوق العباد اى وما صح ان يهلك ربك بالقرى ظالما لها تنزيها لذاته من الظلم او بسبب شرك اهلها ما لم يضموا الى الشرك فسادا بينهم ولذلك قيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة على ملة الاسلام كلهم وهو دليل على ان الامر لا يستلزم الارادة وانه تعالى قادر على ايقاع ما اراده فى الخصوص المذكور وان ما ان كل ما اراده يجب وقوعه فلا دلالة فيما ذكر عليه ولا يزالون مختلفين بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل كما ترى الآن الا من رحم ربك الا قوما اهديهم الله بمحض فضل فاتفقوا على دين الحق وملة التوحيد ولذلك خلقهم الضمير للقوم والاشارة الى الاختلاف واللام للعاقبة ولما هم عليه من الاختلاف خلقهم ليتميز المحق من المبطل ويترتب الثواب والعقاب على العقائد والاعمال وتمت كلمة ربك وعيده او قوله للملائكة لاملأن جهنم من الجنة والناس اى من عصاتهما اجمعين لا من احدهما فقط فيه دفع احتمال ان يكون الملأ من احدهما ويضاف اليهما كما فى قوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمراد بهما الصنفين لا استيعاب افرادهما وكلا مفعول لنقص عليك والتنوين بدل من المضاف اليه اى نبأ وقوله من انباء الرسل بيان لكلا اى نخبرك به ما نثبت به فؤادك بدل منه او كلا مصدر اى وكل اقتصاص نقص عليك على معنى وكل نوع واسلوب من انواع القصص واساليبه نقص عليك وما نثبت به مفعول نقص ومعنى تثبيت فؤاده عليه السلام طمأنينة قلبه وزيادة يقينه والناشى لهم فى الثبات والصبر على تبليغ الرسالة وتحمل الاذى كما ولى العزم فاصبر كما صبر اولوا العزم بما جرى على المكذبين من العقوبات المستأصلة بانواع من العذاب من غرق وريح ورجفة وخسف فيه طمأنينة النفس والتأنيس وجاءك فى هذه السورة والانباء المقتصة عليك الحق ما هو حق وموعظة وذكرى اشارة الى سائر فوائده العامة وانما قال للمؤمنين اذ لا ينتفع بهما الا المؤمن وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون قد سبق تفسيره فى سورة الانعام وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم ما نزل على امثالكم ولله غيب السموات والارض خاصة دون غيره لا يخفى عليه خافية فيهما فلا يخفى عليه اعمالكم واليه خاصة لا الى غيره يرجع الامر كله فلا بد ان يرجع اليه امرك وامرهم فينتقم لك منهم فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وتقديم العبادة على التوكل للتنبيه على ان التوكل انما ينفع العابد وتخصيصه بالعبادة والاشتغال عن اشغال الخلق المأمور وما ربك بغافل عما تعملون انت وهم فيجازيك بما تستحق من الثواب ويجازيهم بما يستحقون من العذاب

سورة يوسف عليه السلام مكية وهى مائة واحدى عشرة

الر تلك اشارة الى السورة آيات الكتاب القرآن المبين الظاهر من ابان بمعنى بان

والمراد ظهور اعجازه وهو ههنا بمنزلة قوله لا ريب فيه فى قوله ذلك الكتاب لا ريب فيه ويجوز ان يكون من ابان بمعنى بين اى المبين لما سأله اليهود عن سبب انتقال آل يعقوب عليهم السلام من الشام الى مصر وعلى هذا يكون تلك اشارة الى آيات هذه السورة ومن المراد بالكتاب انا انزلناه اراد تعظيم الكتاب المذكور باسناد انزاله الى نفسه قرآنا اى حال كونه مقروا او نصب على اطلاق اسم الكل على الجزء لان مبناه على كون القرآن علما بالغلبة وذلك بعد النزول فلا وجه لاعتباره عنده عربيا اى كسوناه للقراءة كسوة العربية وهو كالتعليل لكونه مبنيا على المعنى الاول لعلكم تعقلون ارادة ان تفهموا حقائق معانيه ودقائق مبانيه وما فى عبارته من الاسرار والاشارات اذ هى بلغتكم كما انزل التورية على اهلها بلغة العبري والانجيل بلغة السرياني لذلك وفيه اشارة الى ان حقيقة كلامه منزهة فى كلاميته عن كسوة الحروف واللغات ولكن الخلق يحتاجون فى تعقلها وتعقل معانيها اليها نحن زيادة تأكيد لان نقص دال على معنى الجمع عليك احسن القصص اى قصصا احسن القصص وهو مصدر بمعنى الاقتصاص ويجوز ان يراد به المفعول ومنقول كالنقض وهو فى الاصل تتبع الشىء ومنه قالت لاخته قصيه اى تتبعى اثره والقاص يتتبع الاثار فيخبر بها والحسن عائد الى القصص يقال فلان حسن الاقتصاص للحديث اى جيد السياقة له او الى القصة فانها اتم القصص المذكورة فى القرآن واشملها لانواع العبر واصناف الحكم ويجوز ان يكون المعنى لعلكم تعقلون انه منزل من عند الله تعالى وذلك لان الدليل عليه اعجازه بغاية بلاغته ونهاية فصاحته وبلوغه اليهما بكونه على لسان العرب لانه افصح الالسنة وابلغها وعلى هذا يكون تمهيدا لما ذكره بقوله بما اوحينا بايحائنا اليك بواسطة جبرائيل عليه السلام وانما اسقط الواسطة تشريفا للموحى والموحى اليه هذا يكون ان يكون مفعول نقص على ان احسن نصب على المصدر والاشارة المتضمنة للتقريب يؤيد المقصود المذكور القرآن نعت لهذا او بدل منه او عطف بيان واجاز الزجاج الرفع على اضمار مبتدأ كان سائلا سأل عما اوحى فقيل هو هذا القرآن واجاز الفراء الخفض على التكرير وهو عند البصريين على البدل من ما وعلى هذين التقديرين يجوز ان يكون ما موصولا والعائد محذوف والباء بمعنى فى وعلى هذا يجوز ان يكون نصب هذا القرآن على الاختصاص لا بيانا للمحذوف والمراد بالقرآن السورة وان كنت انه مخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة من قبله الضمير راجع الى ما اوحينا والمعنى وان الشان كنت من قبل ايحائنا اليك لمن الغافلين عن هذه القصة لم تخطر ببالك وهو تعليل لكونه موحا كنى بالغفلة عن عدم العلم بالكلية اجلالا لشانه صلعم فان فى التصريح بكونه من الجاهلين ما لا يخفى ومن الغافلين عما فى هذا الكلام من الاحترام من قال فى تفسيره اى من الجاهلين

اذ قال بدل من احسن القصص بدل الاشتمال على انه مفعول او منصوب باضمار اذكر يوسف
اسم عبرانی اذ لو كان عربيا لصرف لخلوه عن سبب آخر سوی التعريف وقرئ
بفتح السين وكسرها على التلعب به لا على انه مضارع بنی للمفعول او الفاعل من اسف
لان القراءة المشهورة شهدت بعجمته لابيه يعقوب عم يا ابت اصله يا ابی فعوضت
تاء التانيث عن الياء لتناسبهما فی الزيادة ولذلك قلبت فی الوقف هاء وقرئ بالفتح
لانها حركة اصلها او لم تسكن كاصلها لانها حرف صحيح نزل منزلة الاسم فوجب تحريكها
ككاف الخطاب او لانه كان يا ابتا فحذفت الالف واكتفی بالفتحة وانما جاز يا ابتا ولم
يجز يا ابتی لانه جمع بين العوض والمعوض عنه وقرئ بالضم اجراء لها مجری الاسماء
المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض كقولك يا ثبة انی رايت من الرؤيا لا من الرؤية
لانه لو كانت فی اليقظة لكانت اية عظيمة ليعقوب عم ولما خفی عليه وعلی الناس
لانه يجوز ان يكون ارهاصا ليوسف عم واكرامة لا يلزمها ان يطلع عليها صاحبها
واما اطلاع الناس عليه فانما يلزم ان لو كان سجودهم مجتمعين فی الارض ولا دلالة عليه
فيما ذكر لان قوله لا تقصص رؤياك وقوله هذا تاويل رؤيای صريحان فيه احد عشر
وقرئ بسكون الشين لاجتماع ست فتحات وروی بسكون العين لطول الاسم وكثرة
الحركات كوكبا منصوب على التمييز والشمس والقمر انما اخرهما عن الكواكب ليعطفهما عليهما بيانا
لفضلهما واستبدادهما بالمزية على ساير الطوالع رايتهم لی ساجدين استيناف ببيان
حالهم التی راهم عليها وانما اجريت مجری العقلاء لوصفها بصفاتهم ويجوز ان يكون الاول
بيانا مشاهدتهم فی المنام على وجه التفصيل والثانی لبيان مشاهدتهم جملة مجتمعين
فی السجود له فلا اعادة للافادة وتقديم الظرف للاهتمام والعناية بما هو الاهم وفی ضمنه
رعاية الفاصلة قال يا بنی تصغير الابن للشفقة او لصغر السن لا تقصص رؤياك
الرؤيا فی المنام والرؤية فی العين والرای فی القلب والرؤيا كالرؤية غير ان احدهما
مختصة بما يكون فی النوم والاخری بما يكون فی اليقظة وفرق بينهما بحرفی التانيث كالقربة
والقربی على اخوتك فيكيدوا لك منصوب باضمار ان جوابا للنهی والمعنی ان قصصتها
عليهم كادوك لانهم يعلمون تاويلها فيحتالون فی هلاكك وانما اتی باللام ولم يقل فيكيدوك
كما قيل فيكيدونی لاتضمنه معنی فعل يتعدی باللام نحو احتال ليفيد معنی الفعلين مبالغة
وتاكيدا فی التحذير ولذلك اكده بالمصدر والكيد الاخذ على خفاء كيدا منكرا بعيدا
عن فهمك وهو معنی تنكيرها وابهامها والمقصود زيادة مبالغة فی التخويف ولذلك
استانف قوله ان الشيطان للانسان عدو مبين على تقدير سؤال كان يوسف عم استبعد
وقوع الكيد فی حقه من اخوته فازال استبعاده ببيان منشايه يعنی ان الشيطان ظاهر

العداوة للانسان بما فعل بادم وحوا فهو يحمل على الكيد والمكر وكل شر ليوقع من يحمله
فلا يؤمن ان يحملهم على مثله وكذلك محله النصب على المصدر ای مثل ذلك الاجتباء الذی
اجتباك لمثل هذه الرؤيا يجتبيك يصطفيك من ساير المخلوقات فضلا عن اقرانك لما هو اعظم منه
منها واصل الاجتباء الجمع على طريق الاصطفاء ثم استانف بقوله ويعلمك لئلا يكون داخلا
فی حكم التشبيه ای وهو يعلمك من تاويل الاحاديث ای تعبير الرؤيا لانها احاديث الملك ان كانت
صادقة واحاديث النفس والشيطان ان كانت كاذبة وانما سمی التعبير تاويلا لانه يؤول ما راه
الی ما ذكره وكان يوسف عم اعبر الناس للرؤيا واصحهم عبارة لها ويجوز ان يراد
بتاويل الاحاديث تبيين معانی كتب الله تع وسنن الانبياء صلعم وما غمض واشتبه على
الناس من اغراضها ومقاصدها وسميت احاديث لانه يحدث بها عن الله تع ورسوله صلعم
مبنی على واحده المستعمل وهو الحديث كانهم جمعوا احدثا على احدثة ثم جمعوا الجمع على احاديث
كقطيع واقطعة واقاطيع والقول بانه اسم جمع للحديث مردود بانه لم يات اسم جمع على
هذا الوزن واما اباطيل فجمع لا واحد له كعباديد وشماطيط ويتم نعمته عليك بالنبوة
او يوصل نعمة الدنيا بنعمة الاخرة وعلى آل يعقوب ساير بنيه قيل استدل على شرفهم ونبوتهم
بضوء الكواكب ونسله كما اتمها على ابويك من قبل تذكير لكونه من حفدة الانبياء الكرام عم
وتلويح الی معنی الولد سر ابيه ليطمئن قلبه بما اخبر به ومن هنا ظهر وجه جعل
الابوين اليه دون يعقوب عم وايضا فی اضافتهما الی يعقوب تغليب اسحق على ابرهيم عم
بخلاف ما اذا اضيفا الی يوسف عم والمراد بالابوين الجد وابو الجد لانهما فی الاصالة فی
حكم الاب ومن ثم يقولون ابن فلان لمن بينه وبين فلان عدة آباء واتمام النعمة فی حقهما
بالنبوة ودفع الدرجات فی الاخرة وقيل على ابرهيم عم بالخلة والانجاء من النار وعلى اسحق عم
بالانجاء من الذبح والفداء بذبح عظيم ان ربك عليم بعلم من يستحق الاجتباء حكيم يفعل
الاشياء على ما ينبغی فلا يتم نعمته الا على من يستحقه لقد كان فی يوسف واخوته ای فی قصتهم
آيات دلائل على قدرة الله تع وحكمته للسائلين للطالبين لها او دلائل على نبوته للذين سالوه
من اليهود عنها فاخبرهم بالصحة من غير سماع من احد ولا قراءة كتاب وانما جمع لتعدد
جهة الاعجاز لفظا ومعنی والمراد باخوته من الطرفين واشاروا بهذه الاضافة بنو علاته
العشرة اذ قالوا ليوسف واخوه بنيامين وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه بالاخوة من
الطرفين واشاروا بهذه الاضافة الی ان سبب فضله عند ابيهم اختصاص يوسف عم
فذكرهم زيادة محبة ابيهم له ليس حسدا منهم عليه بل حسدا على يوسف عم لانها ايضا
يرجع الی زيادة محبته ولهذا اضمروا وفايدة لام الابتداء فی يوسف عم تحقيق مضمون الجملة
وتاكيده ای زيادة محبته لهما امر محقق لا شبهة فيه احب الی ابينا منا انما وحد مع كونهما

اثنين لان افعل من كذا لا يغير عن صيغة الواحد المذكر لان تمامه بمن ولا يثنى الاسم ولا
يجمع ولا يؤنث قبل تمامه ولا بد في المعرف باللام من المطابقة وفي المضاف جاز الامران
ونحن عصبة اى يفضلهما في المحبة علينا والحال انا جماعة كفاة اقوياء بمصالحه ومنافعه
وهما صغيران لا كفاية لهما ولا منفعة فنحن احق بزيادة المحبة منهما والعصبة والعصابة
العشرة فصاعدا سموا بذلك لانهم جماعة تعصب بهم الامور وتستكفى النوائب ان ابانا
لفي ضلال مبين لفي ذهاب عن وجه الصواب في رأيه هذا بايثار اثنين من الضعفاء
على عشرة من الاقوياء مع استوائهم في الانتساب اليه بالغوا في الاسناد بزيادة حرفي التأكيد
وفي المسند بوصف الضلال بالظهور وجعله ظرفا له عم وذلك لزيادة تأثرهم عن التفضيل
المذكور روى انه كان يوسف عم احب الى ابيه لما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه
فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض
له اقتلوا يوسف من جملة المحكي بعد قوله اذ قالوا كانهم اتفقوا على ذلك الا من قال لا تقتلوا
او اطرحوه ارضا منكورة مجهولة بعيدة عن العمران وهو معنى تنكيرها وابهامها ولذا نصب
الظروف المبهمة والمعتبر فيها ان لا يكون محدودا بالحدود ولا محصورا بالاقطار ولا ينافيه
التقييد بنوع من القيود يخل جزم لانه جواب الامر ومعناه يخلص ويصفو لكم وجه ابيكم
فيقبل عليكم بكليته لا يلتفت عنكم الى غيركم وذكر الوجه لتصوير اقباله عليهم لان من اقبل
على الشيء يكون وجهه في جانبه ويجوز ان يكون المراد بالوجه الذات كما في قوله ويبقى وجه
ربك لانه اذا صفت محبته لهم وحده غير مشترك فيه وتكونوا جزم عطفا على يخل او نصب
باضمار ان والواو بمعنى مع من بعده من بعد يوسف او من بعد قتله او طرحه او الفراغ
من امره قوما صالحين تائبين الى الله تعالى عما جنيتم عليه او ذوي صلاح في امر دنياكم
لانتظامه بخلو وجه ابيكم لكم او بصلاح ما بينكم وبين ابيكم بعذر تمهدونه له قال قائل
منهم ابهمه سترا على القائلين بقتله عم حذرا عن سوء الظن من الناس بخصوصهم
وهم انبياء عم ومن لم يتنبه لهذا قال يعني يهودا وكان هذا القائل احسنهم رأيا حيث
انكر كلا من الامرين الذين عزموا على ان يفعلوا واحدا منهما لما رأى في احدهما افراطا وفي
الآخر تفريطا نظرا الى ان غرضهم لعدم قدرتهم في يوم واحد على تبعيد يوسف عم
عن ديارهم لا تقتلوا يوسف فان القتل اعظم والغرض يحصل بدونه ولم يصرح بالنهي
عن المنكر الآخر احالة له على دلالة ما اختاره عليه كانه قال مقدم رأيكم الذي يتم به غرضكم
هو هذا والقوه في غيابة الجب الغيابة ما غاب عن عين الناظر واظلم والجب البئر التي
لم تطو انما سمي جبا لانه ليس فيه غير جب الارض اي قطعها وغيابته اسفله الذي تغيب
ما وقع فيه وقعره وقرئ غيابات على الجمع كانه لتلك الجب غيابات يلتقطه الالتقاط اخذ

الشيء من حيث لا يحتسب لا للاخذ مطلقا ولهذا احسن موقعه هنا وفي قوله تعالى فالتقطه آل فرعون
بعض السيارة اى بعض المسافرين فيذهب به الى ناحية بعيدة فتستريحوا منه والسيارة
جمع سيار وهو كثير السير في الارض وانما اختار صيغة المبالغة لانها المناسب لما قصده من
الاذهاب الى ديار بعيدة وفيما ذكر قرينة على انه اشار بقوله في غيابة الجب الى بئر قد عرفوها
في ديارهم ولذلك عرفها وقرئ تلتقطه بالتاء الفوقانية على المعنى لان بعض السيارة سيارة
ان كنتم فاعلين ما يفرق بينه وبين ابيه فهذا هو الرأي لان هذا القدر يكفي فيه ولما كان
اول الكلام هذا القائل على نظر الشفقة الى في اخره ما يناسبه حيث قال ان كنتم فاعلين قالوا
يا ابانا ما لك لا تأمنا على يوسف لم تخافنا عليه ونحن له لناصحون ونحن نشفق عليه و
نريد له الخير وما وجد منا في حقه الا النصح والمحبة ارادوا استنزاله عن رأيه في حفظه
منهم لما احس بالحسد ارسله معنا غدا الى الصحراء وفي لفظ ارسله دليل على ان يعقوب عم
كان يمسك يوسف عم ويصحبه دائما يرتع الرتع الاتساع في الملاذ بالذهاب في جوانبه
من اليمين والشمال وقيل اصل الرتع التصرف في الشهوات يقال رتع فلان في ماله اذا انفقه
في شهواته ويلعب المراد من اللعب هنا الاستباق والانتضال ويتدربون بذلك لقتال
العدو وانما سموه لعبا لانه بصورة اللعب ولم يريدوا به اللهو بدليل قولهم انا
ذهبنا نستبق ولو كان مرادهم اللهو لما اقرهم يعقوب عم وقرئ نرتع بالنون وكسر
العين من ارتعى يرتعي وقرئ بالكسر والياء فيه وفي يلعب وقرئ يلعب بالياء والسكون
على اسناد الفعل الى يوسف عم لصغره وما يعبر عنه باللعب يناسب اسناده الى الصغير
خاف يعقوب عم على يوسف عم الضيعة من جهة الجوع فامنوه عن ذلك بقولهم نرتع
اى نتسع في اكل الفواكه ونحوها وخاف عليه ان يكلفوه امرا يشق عليه ويشتد فامنوه ايضا
عن ذلك بقولهم ويلعب لانه ليس في اللعب مشقة ولا شدة وخاف عليه الضيعة بتركهم
حفظه فامنوه عن ذلك ايضا بقولهم وانا له لحافظون ان يناله مكروه قال اني ليحزنني ان
تذهبوا به ذهابكم به لقلة صبري عنه وشدة مفارقته علي وأخاف ان يأكله الذئب واخاف
عليه عدوة الذئب وكانت الارض مذأبة الحزن الم القلب بفوت المحبوب والخوف انزعاج
النفس لنزول المكروه كانه يقول لا اصبر عن رؤيته ولا طاقة لي بفرقته هذا اذا كانت الحالة
حالة السلامة فكيف ومع هذا المخاف ان يأكله الذئب وقيل رأى في المنام ان الذئب قد
شد على يوسف عم فكان يحذره فقال ذلك وقد لقنهم العلة وقرئ الذئب بالهمزة على
الاصل وقيل اشتقاقه من تذأبت الريح اذا هبت من كل جهة لانه يخبط في مشيه ويضطرب
وقال الاصمعي ان اشتقاق تذأبت من الذئب لان الذئب يفعله في عدوه وهذا اظهر لفظا و
معنى وانتم عنه غافلون لاشتغالكم بالرتع واللعب وقلة اهتمامكم بحفظه قالوا لئن اكله

الذئب اعتذر لهم يعقوب عم بشيئين احدهما عاجل في الحال وهو ما يلحقه من الحزن
بمفارقته وكان لا يصبر عنه والثاني خوفه عليه من الذئب ان تغفلوا عنه برتعكم ولعبكم
وعدل اخوة يوسف عم عن الاول لقصر مدة الحزن وايهامهم انهم يرجعون به اليه عن
قريب واجابوا عن الثاني لان السبب القوي في منعه عن الذهاب لهم اللام موطئة للقسم
والقسم محذوف تقديره والله لئن اكله الذئب والواو في ونحن عصبة اي فرقة مجتمعة
مقتدرة على الدفع للحال انا اذا لخاسرون جواب للقسم مجزي عن جزاء الشرط مغبونون ضعفا
لا غناء بهم او مستحقون ان يدعى عليهم بالخسار والدمار ويقال خسرهم الله حين اكل بعضهم
الذئب وهم حاضرون وقيل ان لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا اذا وخسرناها
فلما ذهبوا به متصل بمحذوف تقديره فاذن له وارسله معهم فالفاء فصيحة واجمعوا
ان يجعلوه اي عزموا عليه ولا يقال اجمع الا اذا قويت الدواعي الى الفعل من غير صارف
ومنه الاجماع وكانه ماخوذ من اجتماع الدواعي ولما لم يكن مرادهم من القائهم في البئر
اهلاكه كان التعبير عنه بالجعل فيها افصح في غيابة الجب قيل هو بئر على ثلثة فراسخ من منزل
يعقوب عم ولا يخالفه القول بانها بارض الاردن لان كنعان ناحية من نواحي الاردن
ومنزله عم كان فيها وكذا القول بانها كانت بين مصر ومدين لان مدين كان ايضا من
ارض الاردن في جوار كنعان واما القول بانها بئر بيت المقدس فلا صحة له لانهم جاؤا الى
منزلهم عشاء ذلك اليوم وبينه وبين بيت المقدس مراحل وقرئ في غيابات وهي لا توجد في البئر
نظرا ومنه ظهر وجه ايثار الجب على البئر وجواب لما محذوف للمبالغة مع الايجاز اي فعلوا به
من الاذى والاهانة لا يمكن وصفه ولا يحتمل سماعه وتفصيله مذكور في كتب التفاسير واوحينا
اليه يعني في البئر فهو معطوف على محذوف تقديره والقوه في غيابة فالواو فصيحة قيل اوحى
اليه في الصغر كما اوحى الى عيسى عم ويحيى عم وقيل كان اذ ذاك مدركا لتنبئنهم بامرهم هذا
بالتوبيخ وذلك قوله عم لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف وفيه تبشير بحسن حاله في المآل وبما
يؤل اليه امره من علو شان ورفعة مكان ابن ساله وتطييبا لقلبه وهم لا يشعرون انك يوسف
لطول العهد المغير للهيئات والاشكال وبعد الحال عما وهامهم على ما دل عليه قوله وهم له منكرون
ومن وهم انه اشارة الى هذا القول فقد وهم وما فهم ما فيه من التوبيخ فالقول ما قاله حذام
وهو المناسب كما لا يخفى على ذوي الافهام ويؤيده الاشارة الى الامر المذكور بهذا لتضمنها الدلالة
على ما فيه من القباحة الفاحشة وقرئ لننبئنهم بالنون على انه وعيد لهم بقول العرب لمن يتوعده
بمجازاة سوء فعله لانبئنك ولاعرفنك يعني لاجازينك وهذا شايع في ساير الالسنة ايضا
وهم لا يشعرون على هذه القراءة متعلق باوحينا اي انسناه بالوحي وهم لا يشعرون ذلك و
جاؤا اباهم عشاء وقرئ عشيا وهو تصغير عشي وعشا بالضم والقصر جمع اعشى اي عشوا

من البكاء وفيه ضعف لان قدر ما بكوا في ذلك اليوم لا يعشو منه الانسان والعشا آخر النهار
الى نصف الليل ومنه اشتق الاعشاء لانه يبتغي ببصر ضعيف اي جاؤا ليلا وذلك ليكونوا
اقدر على الاعتذار في الظلمة ولهذا قيل لا تطلب الحاجة في الليل فان الحياء في العينين ولا تعتذر
من ذنب فتتلجلج في الاعتذار يبكون حال معناه متباكين دون باكين لان البكاء جريان
الدمع من العين عند حال الحزن بهم ولا حزن بهم الا انهم اظهروا صورة ليوهموا انهم صادقين
روي انه عم لما سمع صوت تباكيهم فزع فقال ما لكم يا بني واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا
نستبق اي نتسابق في العدو والرمي والافتعال والتفاعل يشتركان كالانتضال والتناضل
والارتماء والترامي وتركنا يوسف عند متاعنا اي تركناه عند الرحل ليحفظه فاكله الذئب
الفاء للتعقيب بلا تراخ ولا بد من اعتباره في الاعتذار عن عدم التدارك وما انت بمؤمن
لنا قد مران الايمان اذا كان بمعنى التسليم يتعدى باللام واذا كان بمعنى التصديق يتعدى
بالذات او بالباء وتقديم انت وايلاؤه حرف النفي لادعائهم ان غيرك مصدق لنا لانا
مشهورون بالصدق موثوق بقولنا عند الكل واما انت فلسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف
فلا تسلم لنا ولذلك اكدوه بزيادة الباء والتقييد بقوله ولو كنا صادقين اي ولو كنا عندك
من اهل الصدق والثقة فكيف وانت سيئ الظن بنا غير واثق بقولنا وانما حذف الظرف لان
ذكره مقدما يفسد المعنى لافادة الاختصاص الذي لا يناسب المقام وذكره مؤخرا يفسد اللفظ
لانه يفوت محافظة رؤس الاي ويضيع رعاية الفواصل ومن شرايطه حسن نظام الكلام
وفضل الفصل وجاؤا على قميصه بدم كذب في محل النصب حال من الدم ومنع تقدمها على صاحبها
المجرور في غير الظرف وجوز نصبه على الظرف بمعنى فوق واورد عليه بان العامل فيه جاء
على ان يكون الباء للمصاحبة كما في ذهب الله بنورهم واما اذا كانت للتعدية كما في ولو جئنا
بمثله مددا فلا يلزم المحذور المذكور ولا وجه للحمل على الاول لسبق الاخبار عن مجيئهم كذب
وصف بالمصدر مبالغة او مصدر اريد به المفعول اي مكذوب فيه كالنسخة يراد بها المنسوخ
به وتقديره ذي في مثل هذا المقام ينزل الكلام عن منزلة البلاغة وقرئ بالنصب على الحال من
الواو اي جاؤا كاذبين وكدب بالدال غير المعجمة اي كدرا وطري روي انه عم لما راى قميصه
غير ممزق قال ما رايت ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه ولذلك قال بل سولت
لكم انفسكم كذا قالوا والذي عندي ان امارة الكذب قلة الدم المفهومة من التنكير ومن
التعبير بكونه على القميص ولو كانت الامارة عدم التمزق القميص لكان هو بالتعرض احق بل
اضراب عن مقدر يقتضيه المقام ويدل عليه سياق الكلام وبه تمام الانتظام فهو كالفاء الفصيحة
والتسويل تحسين الشيء وتزيينه وتحبيبه الى الانسان ليفعله او يقوله امرا اي امرا منكرا لا يحتمل
التعريف والتوصيف فصبر اي فحقي صبر او فامري فصبر جميل فعدة من ايام اخر اي فعليه جميل في الحديث المرفوع

الصبر الجميل الذى لا شكوى فيه ولا حاجة الى تخصيص الشكوى بالخلق لكون الى غير الله تع اذ ليس
فى كلامه عم وعد بالصبر الجميل والله المستعان على ما تصفون اى المطلوب منه العون على كشف
ما التبس من امركم هذا هو المناسب لقوله فصبر جميل عسى الله ان يأتينى بهم جميعا الا ما قيل
على احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف عم كما لا يخفى وهذه الجريمة كانت قبل استنبائهم ان
صح وجاءت سيارة رفقة تسيرون وفى صيغة المبالغة دلالة على انهم جاؤا من بعيد والمراد مجيئهم
الى قرب البئر بدلالة البئر بدلالة السباق واللحاق والظاهر من قولهم يلتقطه بعض السيارة انها
كانت قريبة من الطريق العام قيل كان ذلك بعد ثلث من القائه فيها فارسلوا اى الى البئر واردهم
هو الذى يصير الى الماء ليستقى منه فادلى دلوه تقول ادليت الدلو اذا ارسلتها ليملاء فتدلى
بها يوسف عم فلما خرج فاذا هو غلام احسن ما يكون قال يا بشرى هذا غلام بشر اصحابه
بانه وجد عبدا ومعنى النداء التنبيه اى انتبهوا لفرحتى وسرورى قيل نادى رجلا اسمه بشرى
ويرده قراءة بشراى فانه لو كان اسما علما لم يكن الى الضمير وجه واسروه اى الوارد واصحابه عن
سائر الرفقة بضاعة نصب على الحال اى اخفوه متاعا للتجارة والبضاعة ما بضع من المال
اى قطع منه للتجارة وعن ابن عباس رض ان الضمير لاخوة يوسف عم وانهم قالوا للرفقة هذا
غلام لنا ابق منا فاشتروه منهم وسكت يوسف عم مخافة ان يقتلوه ولا يخفى ما فيه من الانفلاك
لحسن نظم الكلام لاشكال من جهة ان التعبير المذكور لا يناسب الحال والله عليم بما يعملون و
لهم حيث استبضعوا ما ليس لهم وشروه باعوه بثمن التنكير للتقليل بخس ذى بخس ناقص
العيار دراهم بدل من ثمن معدودة قليلة فانهم كانوا يزنون ما بلغ الاوقية ويعدون
ما دونها وفيه تصريح بما قصد بالتنكير وتنبيه على انه لم يقصد به المبالغة فى العلة وكانوا فيه فى
يوسف عم من الزاهدين الزهد خلاف الرغبة يقال زهد فى الشئ وعن الشئ وذلك انهم كانوا
التقطوه والملتقط للشئ متهاون به خائف عن انتزاعه من يده مستعجل فى بيعه وفيه متعلق بمحذوف
يبينه الزاهدين لان متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول وان ما بعد الحال لا يعمل فيما قبلها كانه
قيل كانوا زهدوا فيه فحذف لدلالة من الزاهدين عليه قال الذى اشتراه منهم وهو العزيز
الذى كان على خزاين مصر وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقى وقد امن بيوسف
ومات فى حيوته روى انه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشر سنة ولبث فى منزله ثلث عشر
سنة واتاه الحكم والعلم وهو ابن ثلث وثلثين سنة ومبناه الغفلة عن لبث فى السجن بضع
سنين وكون السجن فى منزل العزيز قوله تع ودخل معه السجن فتيان واما قال من مصر تنبيها
على انه غير المشترى الاول لامراته راعيل او زليخا واللام متعلقة بقال لا باشتراه اكرمى مثواه اى
اجعلى مكان اقامته حسنا مرضيا والاكرام لا ضاعة جهة الاعظام ويلزمه الارضاء وانما اضاف
الى مثواه دون نفسه مبالغة فى احسان تعهده لان من يكرم غيره لاجله كان اعظم منزلة ممن يكرم

في نفسه عسى ان ينفعنا نفع مملوك مقبل لمالكه او نتخذه ولدا فينتفع بنا في نفس
فيه الرشد فقال ذلك ولا دلالة فيه على انه كان عقيما لا يولد له وكذلك اى مثل ذلك
التمكين من قبل العزيز حتى عطف عليه وامر امراته باكرام مثواه مكنا ليوسف فى الارض
مكنا له فى ارض مصر اى جعلنا له منزلة فيها كناية عن حكومته فيها بالعدل والحكمة ولنعلمه
بعض تأويل الاحاديث وهو تاويل الرؤيا فيعبرها ويعرف الحوادث قبل وقوعها فينبغى
تدبير الامور عليها كما دبر الامر لسنى مصر وعلى معللها محذوف اى وللتعليم فعلنا ذلك
والله غالب على امره لا يمنعه مانع ولا ينازعه منازع فيما يقتضى ويريد هذا على عمومه
ويدخل فيه امر يوسف عم دخولا اوليا فان اخوته ارادوا به ما ارادوا ولم يكن الا
ما اراد الله تع ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيده او حسن كلاءته وعصمته و
خفايا لطفه وعنايته ولما بلغ اشده منتهى اشتداد الجسم والقوة وكمال البنية وهو سن
الوقوف ما بين الثلثين الى الاربعين يؤيده قوله تع ولما بلغ اشده وبلغ اربعين سنة
اتيناه حكما حكمة وهو العمل المؤيد بالعلم وعلمناه تاويل الاحاديث او حكما بين الناس وفقها
وكذلك نجزى المحسنين تنبيه على ان الله تع اتاه الحكم والعلم لاستحقاقه اياه باحسانه فى العمل
واتقائه فى عنفوان العمر وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه المراودة المطالبة من راد يرود
اذا ذهب وجاء لطلب الشئ ومنه الرائد ويجوز ان يكون من الرويد وهو التمهل والرفق
فالمراودة هى المطالبة على الرفق والتمهل وهى مفاعلة من واحد نحو داويت المريض وتعديتها
لتضمنه معنى المخادعة اى فعلت ما يفعل المخادع بصاحبه من الاحتيال فى اخراج ما فى يده
وهو يحفظه ويكره اخراجه فعن للمجاوزة اى راودته ان يجاوز خداعها نفسه لان يقف
عندها بان لا يطاوعها وانما قال التى هو فى بيتها ولم يصرح باسمها ولا بامراة العزيز
سترا على الحرم والعرب تضيف البيوت الى النساء فتقول ربة البيوت قال يا ربة البيت
قومى غير صاغرة وفى ذكرها بالموصول توصل الى زيادة تقرير معنى الخبر ليفيد براءة يوسف عم
فان كونه فى بيتها يقرر معنى المراودة وغلقت الابواب قيل كانت سبعة والتغليق الاطباق
بما يعسر فتحه والتشديد للتعدية لان غلقت الباب غلقا لغة ردية متروكة ذكره الجوهرى
فمن وهم انه للتكثير والمبالغة فى الاستيثاق فقد وهم وقالت هيت لك اسم فعل معناه بادر وا
واللام للبيان اى لك اقول هذا وقرئ هيت لك على لفظ الفعل بمعنى تهيأت وعلى هذا فاللام
صلة قال معاذ الله مصدر اى اعوذ بالله معاذا انه ربى ان الشأن سيدى ومالكى احسن
مثواى حين امرك بالاحسان الى فكيف اخونه فى اهله نوع من المجاز البليغ حيث اكتفى بذكر
المقتضى والتقدير فى مثل هذا او الذهاب الى نوع من المجاز من ضيق الفطن كما لا يخفى على ارباب
الفطن انه لا يفلح الظالمون ويدخل فيهم الذى يجازى الحسن بالسيئ دخولا اوليا والزنا

صيغة الجمع لبيان ان جمعهم لا يغنى ولقد همت به اى بمخالطته لان الهم لا يتعلق بالاعيان
وهم بها اى بمخالطتها ولو قيل ولقد هما بالمخالطة لكان اخصر وكان ابناؤه عن الجواب المقدر
اظهر الا انه فصل بين الهمين بذكر كل على حياله دلالة على افتراقهما حكما ثم مدحا وذما فالجمع
بينهما ابطال لما هو المقصود من الكلام وهو التنبيه على انهما وان كانا مشتركين فى الميل المخصوص
الا ان احدهما ميل عن شهوة فاجرة ردعها العقل فاضمحلت فى الاخرة واذا كانا كذلك
فاللف بينهما عن طباق المقام بمراحل ولا خلاف فى ان همها كان معصية لانها كانت مصرة و
اما همه فمن قبيل ما يخطر فى النفس ولا يثبت فى الصدر وهو الذى رفع الله تع فيه المواخذة
عن الخلق اذ لا قدرة للمكلف على دفعه فلا ذلة مع ان ذلة الانبياء عم حكما زيادة الوصل وشدة
الحياء بالخجل والتخلى عن عجب العمل والتلذذ بنعمة العفو بعد التحمل الامل وكونهم فى الرجاء لاهل
الزلل لولا ان راى برهان ربه اى فى موضع رفع والجواب محذوف لعلم السامع به اى لولا
رؤية برهان ربه لامضى ما هم به ولا يجوز ان يجعل وهم بها جواب لولا فانها فى حكم ادوات
الشرط فلا يتقدم عليها جوابها وظاهره يدل على انه شاهد ما صرفه عما قصده حتى قيل انه
راى جبرائيل وقيل تمثل له يعقوب عم عاضا على انامله وقيل نحو ذلك وهذا الذى ذكره
غير صحيح لان ذلك يقتضى الالجاء وزوال التكليف ولو كان كذلك لما استحق يوسف عم مدحا
وثوابا على امتناعه عما هم به وقد مدحه انه من عبادنا المخلصين فالوجه ان يكون الرؤية بمعنى
العلم والبرهان ما دل الله تع ليوسف عم على تحريم ما هم به كذلك اى مثل ذلك لتثبيت ثبتناه
او الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء خيانة السيد والفحشاء الزنا انه من عبادنا المخلصين
الذين اخلصهم الله تع لطاعته وقرئ بالكسر اى الذين اخلصوا دينهم لله واستبقا الباب
اى تسابقا اليه هو للخروج والهرب منها وهى لمنعه منه واصل استبق ان يتعدى بالى
فحذف الجار واوصل الفعل ولقد حسن موقعه حيث كان فى التعبير عن المراد بعينا سابقه
الى المقصد واتما وحد الباب هنا لان بيان تعدده فضلة فى هذا المقام بخلاف ما
سبق والاستباق الى الباب ينتظم الاستباق الى الكل وقيل تعديته بالذات باعتبار
تضمين التسابق معنى التبادر اى تبادر الباب طالبين السبق فسبقها يوسف عم على ما دل عليه
قوله وقدت قميصه من دبر عطف على محذوف تقديره فادركته وقدت والقد الشق طولا
قيل ادركته قبل ان يخرج فقبضت فى على قميصه فتخرق القميص عند طوقه ونزل التخريق الى اسفل
القميص ففى قوله قدت دون تخرقت بيان انها جذبته من اعلى القميص دون اسفله ولولا ذلك
لكان المتبادر الى الفهم خلاف ما هو الواقع وهو الجذب من الذيل فالقد المعنى فى القد اصا.
المحز والفيا سيدها اى صادف بعلها تقول المراة لبعلها سيدى لدى الباب لدى مخصوص
بالحضور لا يتضمن معنى الانحفاظ بخلاف عند فانه قد يتضمن ويستعمل فى الغيبة ايضا ولهذا

عن شهوة يشتهيها العقل فازدادت تشنطا وصارت عزيمة قاهرة والثانى
صح

ذكر عند فى قوله عند مناعنا دون لدى فكل منهما صادف مخرجا قالت ما جزاء من اراد باهلك
سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم ما نافية اى ليس جزاؤه الا السجن او التعذيب واستفهامية
اى اى شئ جزاؤه الا السجن او التعذيب كقولك من فى الدار الا زيد ما عنيت يوسف عم
بل عممت حيث قالت من اراد اى كل من اراد باهلك سوءا فما جزاؤه الا السجن او التعذيب
ليكون ابلغ فيما هو مرادها من تخويف يوسف عم وانما كان ابلغ لانه كالدليل على استيجابه
للعقاب قالت لبعلها لما راها على تلك الهيئة المريبة ايهاما انها فرت منه تبرئة لساحتها
واغراء له بيوسف عم وهى مغتاظة عليه اذ لم يؤثرها فارادت تخويفه عسى ان يقضى وطرها
خوفا من مكرها حين لم يقض حاجتها حتالها كقولها ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن فجمعت
بين كيدين وقيل العذاب الاليم الضرب بالسياط والتهديد بينه وبين السجن يدل على عظم
موقع السجن من ذوى الاقدار حيث قرنته بالعذاب الاليم ولما اغرت بيوسف عم واظهر
تهمته احتاج الى ازالة التهمة عن نفسه ولذلك قال هى راودتنى عن نفسى طالبتنى بالمواتاة
انى بصيغة الغيبة اذ كان غلب عليه الحياء ان يشير اليها ويعينها بالاشارة لان فى المواجهة بالقبيح
ما ليس فى الغيبة ولما تعارض قولاهما عند العزيز وكان رجلا فيه اناءة ونصفة طلب الشاهد
فالواو فى قوله وشهد شاهد من اهلها عاطفة على مقدر قيل كان ابن عم او خال لها صبيا فى
المهد وما قيل انه كان رجلا حكيما يرده ما روى عن النبى صلعم انه تكلم اربعة وهم صغار ابن
ماشطة فرعون وشاهد يوسف وشاهد جريج وعيسى رواه الحاكم من حديث ابى هريرة
وقال صحيح على شرط الشيخين وانما القى الله تع الشهادة على لسان اهلها ليكون الزم للحجة
عليها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين من قبيل المسامحة فى احد شقى الكلام
لتعين الامر عند القابل بتنزيل المحتمل منزلة الظاهر لان الشق بالجذب هذا الشق ايضا
محتمل ومن غفل عن هذا قال لانه يدل على انه قصدها فدفعت عن نفسها فقدت قميصه او
انه اسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد من قدامه وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من
الصادقين لانه يدل على انها تبعته فاجتذبت قميصه فقدت حكيت الشرطية بعد فعل الشهادة
لانها نوع من القول فلا حاجة الى ارادة القول من الخارج قيل استعادة الشهادة للشرطية المذكورة
لادائها مؤدى الشهادة فى اثبات قول يوسف عم وابطال قولها ومناه العقول عن ان القول
المذكور معطوف على مقدر به ينتظم امر الشهادة على الحقيقة وجواب الشرط فصدقت وفكذبت
وهو على اضمار قد والجمع بين الاستقبال والماضى المحقق فى الشرط والجزاء على تاويل ان يعلم
انه كان قميصه قد كقولك لمن يمتن عليك باحسانه ان احسنت الى فقد احسنت اليك من قبل
اى ان تمتن على باحسانك امتن عليك باحسان سابق وقرئ من قبل ومن دبر لانهما قطعا عن
الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف وبسكون العين

فلما رای قمیصه قد من دبر وعلم صدقه وکذبها قال انه ای ان قولک ما جزاء من اراد باهلک
سوءا او ان هذا الامر من کیدکن من حیلتکن ایتها النسوان فالخطاب لها ولجواریها ولسائر
النساء فانهن قد اشتهرن بشدة الحیل ان کیدکن عظیم ان کید النساء الطف واعلق بالقلب
واشد تاثیرا فی النفس وعن بعض العلماء انی اخاف من النساء اکثر مما اخاف من الشیطان وهذا
لانهن یواجهن الرجال والشیطان یوسوس به مسارقة یوسف حذف حرف النداء لقربه و
کمال فطنته وسرعة فهمه للحدیث لذکاوته وقیل فیه تقریب له وتلطیف لمحله وفیه نظر لان اسم
الظاهر علی ما بین فی کتب المعانی طریق الغیبة اعرض عن هذا ای هذا الامر ادبا بالاعراض عنه
کتمه وعدم التحدث له ثم اقبل علیها فقال واستغفری انت ثم ذکر سبب الاستغفار بقوله
لذنبک ثم اکد ذلک بقوله انک کنت من الخاطئین من جملة القوم المتعمدین للذنب یقال خطئ
اذا اذنب متعمدا والتذکیر تغلیبا لتاکید التعمد فان النساء فی النسوان غالب وقال نسوة
النسوة اسم مفرد لجمع المراة وتانیثه غیر حقیقی لتانیث اللمة ولذلک لم یلحق فعله تاء التانیث
وضم النون لغة فیه فی المدینة ظرف لقال ای اشتعن الحکایة فی مصر ویفهم منه کونهن فیها کلا
ما اذا کان صفة لنسوة فانه لا یفهم منه معنی الاشاعة فیها فالوجه کونه ظرفا دون صفة امراة
العزیز تراود فتاها عن نفسه تطلب مواقعة غلامها ایاها والعزیز بلسان العرب الملک والفتی
الغلام وعرفه فی المملوک وفی الحدیث لا یقل احدکم عبدی وامتی ولیقل فتای وفتاتی واصله
فتی لقولهم فتیان والفتوة شاذة یعنی انهن اشتعن هذا الامر من حب راعیل یوسف عم
وصرحن باضافتها الی العزیز مبالغة فی التشنیع لان النفوس امیل لسماع اخبار ذوی الاخطار
وما یجری لهم واخترن صیغة المضارع لدلالتها علی انه صار ذلک سجیة لها تخادعه دائما عن
نفسه ثم نبهن علی علة دیمومة المراودة وهی کونها والهة فی حبه بقولهن قد شغفها حبا
ای خرق حبه الشغاف وهو حجاب القلب حتی وصل الفؤاد انتصب حبا علی التمییز المنقول
من الفاعل وفیه مبالغة بلیغة فی التعشق بذکر الشغاف والابهام والتبیین کانه من استیلاء
حبه علی قلبها قد شق شغاف قلبها وتمکن فی حبة قلبها وهی سویداؤه وقرئ شعفها من شعف
البعیر اذا هناه فاحرقه بالقطران ثم نعین ذلک علیها فقلن انا لنریها فی ضلال عن الرشد
وبعد عن الصواب مبین واضح للناس فلما سمعت بمکرهن باغتیابهن وانما سماه مکرا لخفیه
کما یخفی الماکر مکره لما عرفت ان سیاق الکلام یفصح عن الاشاعة بل لانه قلن ذلک یوسف عم
ارسلت الیهن تدعوهن واعتدت لهن متکأ ای شرفت وهیات لهن ما یتکئن علیه من
النمارق والوسائد وقیل متکأ مجلس طعام وشراب لانهم کانوا یتکئون للطعام والشراب
کعادة المترفین ولذلک نهی ان یاکل الرجل متکئا والاول یناسب المقام لما فیه من مقابلة المکر
بالمکر کانها قصدت بقعودهن متکئات والسکاکین فی ایدیهن ان یقطعن ایدیهن علی ایدیهن

فیقطعنها اذا بهتن وشغلن عن انفسهن من الدهش والحیرة عند رؤیته لان المتکئ اذا
دهش مال عن متکائه فوقعت یده علی یده وقرئ متکا مفعلا من تکئ یتکأ اذا اتکأ ومتکاء وهو
الاترج او ما یقطع من متک الشئ بمعنی بتکه اذا قطعه وآتت کل واحدة منهن سکینا ای واعطت
سکینا یعالج به ما یحتاج الیه قطعه مما قدم من اللحوم والفواکه وقالت یوسف اخرج علیهن
وذلک فی حال ما کن یعالجن بالسکین فلما رأینه عطف علی محذوف تقدیره فخرج فلما رأینه و
حذف ههنا کحذف فضرب فی قوله اضرب بعصاک الحجر فانفجرت ففیه دلالة علی سرعة امتثاله الامر ها
اذا کان بالمحذوف اکبرنه اعظمنه وتعجبن من ذلک الجمال الباهر للعقول المدهش للقلوب وعن
النبی صلعم رایت یوسف لیلة المعراج کالقمر لیلة البدر وقیل کان یری تلألؤ وجهه علی الجدار
کما یری نور الشمس من الماء علیها وقیل معنی اکبرن حضن یقال اکبرت المراة اذا حاضت واصله
دخلت فی الکبر لانها بالحیض تخرج من حد الصغر الی حد الکبر والهاء هاء السکت او ضمیر المصدر
او ضمیر یوسف علی حذف اللام وایصال الفعل ای حضن له من شدة الشبق ومنه قول ابی الطیب
خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت فی الخدور العواتق وقطعن ایدیهن ای
جرحنها بالسکاکین لفرط الدهش والتضعیف للتکثیر کان الجرح وقع مرارا فی الید الواحدة و
صاحبتها لا تشعر به لما دهلت بما راعها من جمال یوسف عم فکانها غابت عن حسها اشرف وشبه عم
فیهن ولم یؤثر فی امراة العزیز لطول الصحبة والاعتیاد والبصر صفة اهل الهدایة وقلن حاش لله
تنزیها له تعالی من صفات العجز وتعجبا من قدرته علی خلق مثله وحاش اصله حاشی فخفف بحذف
الالف وهی کلمة تفید معنی التبرئة والتنزیه ومن زاد علی هذا قوله فی باب الاستثناء فقد خبط
لما عرفت انه یفید المعنی المذکور فی غیر مقام الاستثناء وانه فی ذلک الباب لا یفید الا معنی الاستثناء
اذ لا فرق بین قولک قام القوم الا زیدا وقولک قام القوم حاشی زید ثم انه مثل بعده لاسیما القوم
حاشا زید ولم یدر ان معنی التنزیه انما استفید لدلالة الکلام علی براءة زید من الاساءة لان حاشی
فی مقام الاستثناء یقتضی ذلک قطعا الا یری انه لو ذکر بدل اساء فعلا آخر لا یفید المعنی المذکور
واللام للبیان کما فی قولک سقیا لک وقرئ حاش الله بغیر لام بمعنی براءة الله وحاشا الله بالتنوین
علی تنزیله منزلة المصدر وقیل حاشا فاعل من الحشا الذی هو الناحیة وفاعله ضمیر یوسف عم
ای صار فی ناحیة لله مما یتوهم ما هذا بشرا لان مثل هذا الجمال غیر معهود للبشر واعمال ما بمعنی لیس
لغة اهل الحجاز لمشارکتهما فی نفی الحال وقرئ بشر علی لغة تمیم وما اقراء بشری ای بعبید مشتری
بمعنی مشتری حاصل بشری فلا یطابق قوله ان هذا الا ملک کریم لان هذه البشارة الرائعة
والهیئة فی الجمال لا تکون الا للملک وقد ذکر فی الطباع ان لا احسن من الملک ولا اقبح من
الشیطان وشبه کل منهما فی الحسن والقبح بهما ولان الجمع بین الجمال الرائع والعصمة البالغة
لا یکون الا للملائکة قالت فذلکن الذی لمتننی فیه ای به واللوم الوصف بالقبیح علی وجه

التوبيخ والتشنيع وذا اسم اشارة واللام لبعد المشار اليه وكن خطاب لتلك النسوة والمعنى
ان هذا الذي صدر منكن الاكبار وتقطيع الايدي فيه ونفي البشرية عنه واثبات الملكية له ذلك
العبد الكنعاني الذي لمتنني بسبب الافتتان به قبل ان تتصورنه حق تصوره ولو تصورتنه بما عاينتن
لعذرتنني او فهذا الذي لمتنني به وانما قيد ذلك وهو حاضر تعظيما له ورفعا لمنزلته في
الحسن واستبعادا لمحله والغرض ان يثبت له استحقاق ان يحب ويفتتن به ولقد راودته
عن نفسه الاخبار عن المراودة المذكورة مؤكدا بقد واللام يدل على انها لم تخبر عنها قبل حقه
فما قيل في تفسير فلما سمعت بمكرهن انما سماه مكرا لانها استكتمتهن سرها فافشينه عليها
ليس بذلك فاستعصم فامتنع طالبا للعصمة اقرت لهن حين عرفت انهن عذرنها كي تعاونها
على الانة عريكته والاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كانه
في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها ونحوه استجمع الراي واستجمع الخطب وهذا
بيان لما كان من يوسف عم لا مزيد عليه وبرهان لا شيء انور منه على غاية عصمته و
نهاية طهارته وفي الفاء التعقيبية دلالة على انه ما صدر عن يوسف عم بين المراودة والاعتصام
فعل بفصل عنها فمن هنا تبين ان الواقع من جانبه عم مجرد هم غير اختياري فما زيد على
ذلك وذكر في كتب التفاسير والقصص مردود بنص الكتاب فافهم والله الهادي الى الصواب.
ولئن لم يفعل ما آمره اي ما امر به فحذف الجار كما في قوله امرتك الخير او امري اياه ومعناه
موجب امري ومقتضاه فيكون الضمير له عم واللام في لئن موذنة بقسم محذوف وجوابه
ليسجنن وجاءت النون المشددة لانها اكد من المخففة ثم عطف عليه وليكونن بالنون
المخففة لان الصغار اخف من السجن وقرئ بالنون المشددة والاول اولى معنى لما تقدم
ولفظا لان النون كتبت في المصحف الفا على حكم الوقف وذلك لا يكون الا في الخفيفة من الصاغرين
من الاذلاء من صغر بكسر العين يصغر صغارا وصغرا اما الصغير فمن صغر بالضم
يصغر صغرا قال رب السجن وقرئ بالفتح على المصدر احب الي مما يدعونني اليه من ركوب
المعصية وهي محبة الاختيار والايثار لا محبة النفس فانها تهوى ما يدعونه اليه دليله
قوله اصب اليهن ودلت الاية على ان النسوة راودنه عن نفسه ولذلك قال اذ راودتن
يوسف عن نفسه ويجوز ان يكون اسناد الدعوة والمراودة اليهن لانهن تنصحن
له وزين له مطاوعتها وقلن اياك والقاء نفسك في السجن احب الي وكان حقه ان
يسال العافية ولذلك رد رسول الله عم على من كان يسال الصبر والا تصرف عني
وان لم تصرف عني كيدهن في تحبيب ذلك الي وتحسينه عندي بالتثبيت على العصمة اصب
اليهن امل الى اجابتهن او الى انفسهن بطبعي ومقتضى شهوتي والصبوة الميل الى الهوى
ومنها الصبا لان النفوس تصبوا اليها لطيب نسيمها وروحها وقرئ اصب من الصبابة

واكن من الجاهلين من الذين لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى بعلمه فهو ومن لا يعلم
سواء او من السفهاء لان الحكيم لا يفعل القبيح فاستجاب له ربه فاجاب الله تعالى دعاءه الذي تضمنه
قوله والا تصرف عني فان فيه معنى طلب الصرف والدعاء باللطف فصرف عنه كيدهن بتثبيته على
العصمة تنبيه للاستجابة انه هو السميع لدعوات الملتجئين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم
ثم بدا لهم ثم ظهر للعزيز واهله من بعد ما راوا الآيات الشواهد على براءته كشهادة الصبي
وقد القميص وقطع النساء ايديهن فلسن منها كما لا يخفى وفاعل بدا مضمر يدل عليه ما يفسره
عليه وهو ليسجننه والمعنى بدا لهم بداء اي ظهر لهم راي هو ليسجننه وهو جواب قسم محذوف
تقديره قائلين وما كان ذلك الا باستنزال المراة لزوجها وفتلها منه في الذروة والغارب
وكان مطاوعا لها حتى انساه ذلك ما عاين من الآيات وعمل برايها في سجنه والحاق الصغار
به كما اوعدته به وذلك لما ايست من طاعته لها وطمعها في ان يذلله السجن ويسخره لها وقرئ
لتسجننه بالتاء على الخطاب خاطب به بعضهم العزيز ومن يليه والعزيز وحده على وجه
التعظيم حتى حين الى زمان كانها اقترحت ان يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه او يحسب الناس
انه المجرم فلبث في السجن بضع سنين وقرئ عتى بلغة هذيل ودخل معه السجن فتيان اي
عبدان للملك قال الزجاج كانوا يسمون المملوك فتى شيخا كان او شابا والواو للعطف على محذوف
تقديره امضوا ما رايتهم في سجنه فسجنوه ودخل معه اي في صحبته السجن فان مع حقيقة فيها
فلا يصرف عنها الى المجاز الا لصارف كما في قوله واسلمت مع سليمان والمعنى انه عم دخل السجن
واتفق ان دخل آخران من عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام بانهما قصدا ان يسماه
قال احدهما وهو الشرابي اني اراني اي ارى في المنام وهي حكاية حال ماضية استحضارا للصورة
عند السامع لاظهار الاهتمام بتاويلها اعصر خمرا وفي قراءة ابن مسعود عنبا واطلاق الخمر
على العنب مجاز من باب تسمية الشيء بما يؤول اليه ونكتة المجاز بيان ان عصره كان للتخمير
لا لامر آخر على وجه الايجاز وقال الآخر وهو الخباز اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاكل
الطير تنهس منه نبئنا بتاويله تسمية الاخبار بما سيقع من الامور الغيبية بتغيير الشكل والافصاح
عن معناه لا بابهامه فتسماه التاويل والضمير لما قصا عليه جاريا مجرى اسم الاشارة كانه قيل
نبئنا بتاويل ذلك انا نراك من المحسنين الذين يحسنون تعبير الرؤيا قالا ذلك لانهما راياه يعبر
رؤيا بعض اهل السجن او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بتاويل ما راينا ان كنت
تعرفه قال لا ياتيكما طعام ترزقانه فانه لما استعبراه اراد ان يجعل ذلك ذريعة الى دعوتهما
الى التوحيد فقدم لذلك مقدمة باعثة اياهما على القبول وهي الاخبار عن المغيبات كما
هو طريقة الانبياء عم في انتهاز الفرصة في الدعوة الى الحق فقال لا ياتيكما من عنده
اهلكما او اصدقائكما او من غيرهم ما تحتاجان في الطعام في السجن الا نباتكما بتاويله

اى بيان ماهيته وكيفيته قبل ان ياتيكما كذا وكذا من الطعام من صفته كيت وكيت فيكون كما اخبر ويجوز ان يكون الضمير في نباتكما بتاويله راجعا الى ما استجراه عنه اى سانبئكم بتاويل ما قصصتما على قبل ان ياتيكما وظيفة الطعام الذى ترزقانه فكانهما قالا له عم كيف نعلم ذلك وهو غيب فقال ذلكما اشارة الى التاويل اى ذلك التاويل والاخبار بالمغيبات مما علمنى ربى بالالهام والوحى انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله تاويل تعليل لما قبله وتشويق لهما الى الايمان اى لانى تركت ملة قوم انما عبر دينهم وهم اهل مصر وكانوا مشركين وليس هو تركا بعد الكون فيها بل هو الامتناع عنها اصلا وهم بالاخرة هم كافرون لما اراد ان يحبب اليهما الايمان والتوحيد ويكره اليهما الكفر والفسوق فقال هذه الكرامة لانى امتنعت عن ملة قوم ليسوا من الايمان بالله فى شئ ولا من الايمان بالاخرة وعدل عن الجملة الفعلية الى الاسمية وكرر هم وقدم الاخرة للدلالة على انهم قوم عادتهم الكفر فهو لهم كالطبيعة لا امر عارض وانهم خصوصا كافرون بالاخرة وان غيرهم مؤمنون وهم الذين على ملة ابرهيم عم ولتخصيص كفرهم بالاخرة والجزاء فان على التوحيد والمعاد هما اساس الدين وللتعريض بان ما هم عليه من الظلم والكبائر لا يرتكبه الا من هو كافر بدار الجزاء واتبعت ملة آبائى فيه اطلاق الاب على الجد وقدمه وجده ابرهيم واسحق ويعقوب اى واتبعت ملة آبائى الانبياء عم ويجوز ان يكون اعنى قوله انى تركت الخ ابتداء كلام للتمهيد للدعوة بعد اظهار المعجزة واثبات انه من بيت النبوة والشرف والكرامة ليتقوى رغبتهما فى قبول كلامه واتباعه ووثوقهما به ولهذا يجوز للعالم الخامل ان يصف نفسه ليعرف فيقتبس منه ويهتدى بهديه ما كان اى ما صح لنا معاشر الانبياء ان نشرك بالله من شئ اى شئ كان وتعميم مفعول نشرك وتاكيد النفى بزيادة من ليكون كالبرهان على امتناع اشراك الاصنام به تع على ابلغ الوجوه وانه اذا لم يجز الاشراك بشئ ما به ولو كان اشرف الاشياء فكيف باحسنها وهى الجمادات ذلك التوحيد من فضل الله علينا بالوحى والاختصاص بالنبوة وعلى الناس بارسالنا اليهم لنهديهم اليه ونعلمهم ونزكيهم ولكن اكثر الناس المرسل اليهم لا يشكرون فضل الله تع ولا يعرفون نعمة الهداية فكيف يشكرونها او من فضل الله تع علينا وعليهم بنصب الادلة وانزال الايات ولكن اكثرهم لا ينظرون فى الادلة اتباعا لاهوائهم ولا يستدلون بها ولا يتنبهون لذلك الفضل فلا يشكرون تلك النعمة السنية يا صاحبى السجن ناداهما باسم الصحبة فى المكان الشاق الذى تخلص فيه المودة وتمحض فيه النصيحة والمعنى يا صاحبى فيه فاضافهما اليه على الاتساع كما فى قوله يا سارق الليلة اهل الدار ثم اورد الدليل على بطلان ملة قومهما بقوله ءارباب متكاثرة فى العدد متفرقون بتفريق الغير المتعهودون تحت قدرته خير ام الله الواحد القهار الغالب الذى لا يعادله

ولا يقاومه غيره مثل ضربه لعبادة الله تع وحده وعبادة الاصنام وبما قدمناه تبين وجه اصابة التوصيف بالقهار وتحقيره وكان الظاهر مقابلة الله بالالهة وانما عدل عنه للتنبيه على ان التعدد ينافى الالوهية ثم استطرد بعد هذا الاستفهام الى الاخبار عن حقيقة ما يعبدون فقال ما تعبدون من دونه اى ما تعبدون شيئا من دون الله تع والخطاب لهما ولمن على دينهما الا اسماء سميتموها الا اسماء بلا مسميات اخذ تموها انتم واباؤكم اى سميتم اشياء ليس فيها معنى الالوهية الهة فعبدتموها باعتبار تلك الاسماء فكانكم تعبدون تلك الاسماء الخالية من المسميات ما انزل الله بها بتسميتها من سلطان من حجة تدل على تحقق مسمياتها ان الحكم فى امر العبادة والدين الا لله لانه مستحق للعبادة بالذات من حيث انه الواجب لذاته الموجد للكل المالك للامر ثم بين ما حكم به فقال امر على لسان انبيائه عم الا تعبدوا الا اياه الذى دلت عليه الحجج ذلك اى تخصيصه تع بالعبادة هو الدين القيم الثابت الذى دلت عليه البراهين عقلا ونقلا ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيخبطون فى جهالاتهم تدرج فى الدعوة فبدأ بتقبيح ملتهم فى اعينهم وابطالها اولا ثم بتحسين ملة التوحيد وتزيينها عليهم وبيان انه من فضل الله تع تنفيرا وترغيبا ثم بين رجحان التوحيد على اتخاذ الالهة بالتمثيل على طريق الخطابة ثم ابطل الشرك بانه لا حجة عليه اصلا لا عقلا ولا نقلا وانه عبادة العدم البحت ثم صرح بان الحق هو التوحيد وذلك هو الدين الثابت بالبرهان العقلى والسلطان النقلى الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ومن لا يعرف ذلك فهو الجاهل مطلقا يا صاحبى السجن لما القى اليهما ما كان اهم وهو امر الدين رجاء فى ايمانهما ناداهما ثانيا لتجمع انفسهما لسماع الجواب اما احدكما يريد الشرابى اتهما لم يعينه صريحا ايهاما للامر لاخر مهما امكن واحترازا عن المخاطبة بالقبيح والتصدير بأما للشروع فى تفصيل ما قصده من الجواب عما استفتياه فيسقى ربه سيده ومولاه خمرا اى يسقى ما يرويه به خمرا كما كان يسقى قبله اى يعود الى ما كان عليه واما الاخر يريد الخباز فيصلب فتاكل الطير من راسه قيل سقى واسقى لغتان بمعنى واحد والذى عليه اكثر اللغة ان معنا سقاه ناوله فشرب وصب الماء فى حلقه ومعنى اسقاه جعل له سقيا قال تع واسقيناكم ماء فراتا قضى اى قطع وتم الامر الذى فيه تستفتيان مما يؤول اليه امركما وهو ان ما اتهمتما ووسجنتما لاجله ومحافظتنا ان ما رأياه فى معنى ما يؤول اليه فاستفتياه فيه ما عاقبته وقيل جحدا وقالا كذبنا ما راينا شيئا وتحلمنا لنجربك فقال ان ذلك كاين سواء كان منكما حلما او تحالما والاستفتاء طلب الفتيا والفتيا جواب بحكم المعنى وهو غير الجواب بعلته وزمان الاستفتاء لا ينقضى ما لم ينقض المعنى الوطر فى الفتيا ولهذا قال تستفتيان دون استفتيتما وقال يوسف عم للذى ظن انه ناج منهما الظان ايضا وهو عم ان كان تاويله عن اجتهاد والشرابى ان كان عن وحى الا ان يكون الظن بمعنى اليقين كما فى قوله انى ظننت انى ملاق حسابيه والنجاة الخلاص عن الورطة

بسلامة اذكرني عند ربك اذكر حالي عند الملك عسى ان يخلصني فانساه الضمير للشرابي لشكا
الانساء حقيقة من الله تعالى وانما نسب الى الشيطان لانه كان بوسوسته اليه من الاشتغال المانعة
عن التذكر والفاء للسببية فان توصيته عم له المتضمنة للاستعانة من غير الله تعالى كان سببا
للانساء الذي ترتب عليه مكثه في السجن مدة مديدة ذكر ربه اى ذكر يوسف عم للملك
والاضافة لادنى ملابسة ومن جوزه ان يكون المعنى انسى يوسف عم ذكر الله تعالى فقد استغاث
بغيره لم يدر ان حق الفاء حينئذ ان يدخل على قال ويذكر جملة بعدها ولانه يبعد لما ذكره
في قوله عم رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس
فاثبات بعده كما ذكرناه فلبث في السجن بضع سنين البضع ما بين الثلث الى التسع من
البضع وهو القطع واكثر الاقوال على انه عم لبث فيه سبع سنين وقال الملك اني ارى
حكاية حال ماضية فلذلك جاء بلفظ المضارع سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف
لما دنى فرجه عم راى ملك مصر في المنام سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع
بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل السمان وسبع سنبلات خضر قد انعقد حبها واخر يابسات
وسبعا آخر يابسات قد ادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها وانما استغنى
عن بيان حالها بما قص عن حال البقرات وسمان جمع سمين وسمينة ككرام صفة
اجريت على المميز دون المميز للقصد الى التمييز بنوع من الجنس والعجف غاية الهزال و
العجاف جمع عجفاء وقياسه عجف لان فعلاء افعل جمع فعل لكنه حمل على سمان ومن
عادة العرب حمل النقيض على النقيض كحمل النظير على النظير وانما اجريت عجاف على سبع
للاستغناء عن التمييز بالمميز الاول الذي هو الجنس فان التمييز انما يكون بالجنس فلو جعل
عجاف مميزا بدون ذكر الجنس لم يجز كما لا يجوز ثلاثة غلاظ واربعة ضخام لعدم دلالتها
على الجنس فاذا اجريت على السبع بالوصف بالنوع بعد تمييزه بالجنس تعذر الرجوع الى
الاول واخر عطف على سبع يابسات منصوب المحل صفته على قياس عجاف في الاول يا ايها
الملا خطاب للاعيان والاشراف من العلماء والحكماء افتوني في رؤياي عبروها ان
كنتم للرؤيا اراد الجنس فلذلك عدل عن الضمير واللام للبيان او لتقوية العامل لان الفعل
اذا تاخر عن معموله ضعف تاثيره فقوى باللام كاسم الفاعل ويجوز ان يكون للرؤيا
خبر كان كما تقول فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا فيه وتعبرون حال وخبر
بعد خبر وان يضمن تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة
الرؤيا والعبور المجاوزة وعبرت الرؤيا جاوزتها اى جاوزت صورتها المتخيلة
المرئية الى الصورة الكائنة في نفس الامر التي انتقلت المتخيلة منها الى المرئية وكذا اولتها
اى ذكرت مالها وما ترجع هي اليه من الصورة الواقعة في نفس الامر وعبرت اثبت عند

اهل اللغة وعبرت بالتشديد للمبالغة كقطعت وقطّعت قالوا اضغاث احلام هذه اضغاث
احلام او امثال هذه اضغاث احلام اى تخاليطها جمع ضغث وهو ما جمع من اخلاط النبات
وحزم سمي بها ما يجمعه المتخيلة من احاديث النفس ووساوس الشيطان فاستعير للرؤيا
الكاذبة والاحلام جمع حلم بالضم وهو رؤيا كاذبة لا حقيقة لها وفي الخبر الرؤيا من الله تعالى
والحلم من الشيطان اخرج عن جنس الرؤيا لعدم ترتب اثره عليه والاضافة بمعنى من اى اضغاث
من احلام وانما جمع ولم يكن الا حلما واحدا لتضمنه اشياء مختلفة وقيل للمبالغة في الوصف
بالبطلان كقولهم فلان يركب الخيل ويلبس عمائم الخز لمن لا يركب الا فرسا واحدا وماله
الا عمامة واحدة تزيدا في الوصف وعلى تقدير امثال يكون الجمع على ظاهره وما نحن بتاويل
الاحلام بتاويل المنامات الباطلة بعالمين لما اجابوا بقولهم اضغاث احلام عن سؤال
التعبير واسقطوا احتماله بنفي احتمال السؤال بطلب التاويل لانه واسع دايرة من التعبير فتداركوه
باظهار العجز من تاويل الا باطيل وفيه دليل على انهم نزلوا ما رآه لتضمنه الاشياء منزلة الاحلام
والا لكان حقهم ان يقولوا وما نحن بتاويل الحلم بعالمين وقال الذي نجا منهما من صاحبي
السجن وهو الشرابي وادكر جملة حالية واذكر بالدال وهو الفصيح وعن الحسن واذكر بالذال
المعجمة اى تذكر يوسف بعد امة بعد جماعة من الزمان طويلة حين استفتى الملك في رؤياه واعضل
على الملا تاويلها وقرئ امة بكسر الهمزة وهي النعمة اى بعد ما انعم عليه بالنجاة من القتل وقرئ
بعد امه بالهاء اى بعد نسيان انا انبئكم بتاويله عمن عنده علمه فارسلون اليه لاساله عنه
والمعنى فارسلوه الى يوسف فاتاه فقال يوسف فحذف ايجازا ايها الصديق ناداه
بالصديق وهو المبالغ في الصدق لانه عرف صدقه في تاويل رؤياه ورؤيا صاحبه
واخبر حاله في السجن افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات
خضر واخر يابسات اى في رؤيا ذلك لعلي ارجع الى الناس الى الملك ومن عنده وانما
بنى الكلام على الظن لانه تادب بصحبته يوسف عم فلم يجزم في الرجوع اليهم فربما
اخترم دونه ولا في علمهم فربما لم يعلموا وقيل لم يكن السجن في المدينة لعلهم يعلمون
فضلك ومنزلتك فيخلصوك من محنتك قال تزرعون خبر في معنى الامر كقوله تؤمنون
بالله واليوم الآخر وتجاهدون وفائدة اخراج الامر في صورة الخبر المبالغة في ايجاب
المامور به والاعتناء بشانه فجعل كانه قد وجد فيخبر عنه والدليل على انه في معنى الامر
قوله فذروه سبع سنين دابا بسكون الهمزة وتحريكها مصدر داب في العمل اذا
واظب اى على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال بمعنى دائبين او المصدر باضمار
فعله اى تدابون دابا وتكون الجملة حالا فما حصدتم فذروه في سنبله لئلا يتسوس
الا قليلا مما تاكلون في تلك السنين نصيحة خارجة عن التعبير واشارة براي نافع

بحسب طعام مصر وضبطها التي لا تبقى عليها الا بجعلها ابقائها في السنبل ثم ياتي من
بعد ذلك سبع شداد اي سبع سنين شداد فحذف المميز لدلالة قوله سبع سنين ياكلن
ما قدمتم لهن اي اسند الاكل اليهن على سبيل المجاز من حيث انه يؤكل فيها كما قال والنهار
مبصرا تطبيقا بين المعبر والمعبر به الا قليلا مما تحصنون تحرزون لبذور الزراعة ثم
ياتي من بعد ذلك عام لم يقل سنة لتغليبها في عام القحط فيه يغاث الناس يمطرون فيه
من الغيث ويغاثون من القحط من الغوث فعلى الاول يبنى من ثلاثي وفي الثاني من رباعي
تقول غاثنا الله من الغيث واغاثنا من الغوث الغوث والغيث المطر الذي يجيء في
وقت الحاجة وباعتبار هذا القيد فيه موقعه في قولهم الغيث لا يخلو عن الغوث و
الغوث النفع الذي ياتي على شدة حاجة بنفي المضرة وفيه يعصرون ما يعصر كالعنب
والقصب والزيتون والسمسم لكثرة ما يعصر من الفواكه وغيرها وقيل يحلبون الضروع
وقرئ تعصرون بالتاء على تغليب المستفتي وقرئ على بناء المفعول من عصره اذا انجاه
ويحتمل ان يكون المبني للفاعل ايضا منه اي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا او من
اعصرت السحابة عليهم فعدي بنزع الخافض او بتضمينه معنى المطر وهذه بشارة بشرهم
بها بعد ان اول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات بسنين
مجدبة وابتلاع العجاف السمان باكل ما جمع في السنين المخصبة في السنين المجدبة نصحهم
وهداهم الى التدبير فيها ثم بشرهم بان العام الثامن يجيء خصبا وذلك اما بالوحي او بالعلم
بان انتهاء الجدب الى الخصب وان السنة الالهية جارية بالتوسع على العباد بعد
التضييق عليهم وقال الملك بعد ما جاءه بالتعبير ائتوني به اي بالمعبر ففي الكلام حذف
فلما جاءه الرسول يوسف عم ليخرج من السجن قال يوسف عم ارجع الى ربك
تأنى وتثبت في اجابة الملك وقدم سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عما قذف
وفيه دليل على ان السعي في دفع التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف في مواقفها وعن
النبي عم لو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة ومن زاد على
ذكر قوله ويعلم انه سجن ظلما فلا يقدر الحاسد ان يتوسل الى تقبيح امره لم يصب
لان التعجيل اعون على دفع الوهم المذكور فان في التاخير مخافة الآفة وحال البراءة
تختلف بكونه في داخل السجن وخارجه ولذلك قال عم لاسرعت الاجابة وفي بعض الروايات
ما اخبرتهم يعني عن تعبير الرؤيا حتى اشترطت ان يخرجوني وانما قال فاسأله ما بال النسوة
اللاتي قطعن ايديهن ولم يقل فتش ان يفتش عن حالهن تهييجا له على البحث وتحقيق
الحال لان الانسان اذا سئل عن شيء جد فيه واجتهد في تحقيقه بخلاف ما اذا التمس منه
شيء وانما لم يتعرض لامرأة العزيز صريحا وقصدا مع ما صنعت به كرما ومراعاة للادب

وانما قلنا صريحا وقصدا لان التعرض للمقطعات ايديهن يستلزم التعرض لها والسؤال
عن بالهن يؤدي الى السؤال عن بالها ان ربي بكيدهن عليم حين قلن لي اطع مولاتك
تعظيم لكيدهن بانه كيد بعيد الغور لا يعلم كنهه الا الله تع واستشهاد بعلم الله تع عليه و
على انه بريء مما اتهم به وايعاد لهن بان الله تع عليم بكيدهن فيجازيهن عليه قال اي الملك
مخاطبا لهن بعد احضارهن ففي الكلام حذف ما خطبكن ما شانكن والخطب امر يحق ان يخاطب
فيه صاحبه لعظمه اذ راودتن يوسف هل وجدتن منه ميلا الى ما دعوتموه اليه قلن
حاش لله تعجبا من عفته وذهابه بنفسه عن شيء من الريبة ومن نزاهته عنها ما علمنا عليه
من سوء بالغن في نفي جنس المكروه عنه عم بالتنكير وزيادة من وانما قلن عليه لان مرادهن
نفي ما يسوءه لا ما يسوء الغير قالت امرأة العزيز فصلها عما قبلها ولم يعطف قالت لان مبنى الوصل
على دخولها في الخطاب بقوله ما خطبكن وليست بداخلة فيه الآن حصحص الحق ثبت واستقر
من حصحص البعير اذا القى مباركه ليناخ او ظهر من حص شعره اذا استاصله بحيث ظهرت
بشرة رأسه لما سمعت مقالتهن في براءة يوسف عم اقرت باعظم مما افترته
اذ كانت هي اقوى بسبب فيما جرى من المراودة ومن سجنه ولا بينة اجلى من اعترافهن
على انفسهن وشهادتهن له بالبراءة والنزاهة وهي خصومه والفضل ما شهدت به الاعداء
انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين في قوله هي راودتني عن نفسي ذلك ليعلم من
كلام يوسف عم لما جاءه الرسول واخبره بكلامهن فحذف ما حذف لدلالة الكلام عليه
كقوله تع قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم ثم قال فماذا
تامرون وهو من كلام فرعون يستشيرهم بذلك مخاطبا اياهم اي ذلك التثبت ليعلم العزيز
اني لم اخنه بالغيب بظهر الغيب في حرمه وهو حال من الفاعل او المفعول اي لم اخنه وانا
غائب عنه او هو غائب عني او ظرف اي بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة و
ان الله اي وليعلم ان الله لا يهدي كيد الخائنين اي لا يهدي الخائنين في كيدهم كقوله ولا
تتبع سبيل المفسدين اي لا تتبع المفسدين في سبيلهم وقوله ايضا هو قول الذين كفروا
في قولهم وهذه طريقة دقيقة لا يسلكها الا من له السليقة وفيه تعريض بامرأة العزيز في خيانتها
امانة زوجها وتوكيد لامانته ولذلك عقبه بقوله وما ابرئ نفسي تنفيا لتزكية نفسه وهضما
لها واحترازا عن اعجابها بامانتها وعصمتها واقرارا بان ذلك بتوفيق الله تع ورحمته
وتسديده وعصمته لا منه اي وما ابرئ نفسي من الزلل ولا اذكيها ولا اشهد لها
بالبراءة وهو اعني البراءة والتنزيه اما مختصة بهذه الواقعة وارادة الهم المذكور وهو ميل
النفس لا القصد الاختياري واما عامة في جميع الاحوال ان النفس لامارة بالسوء تعليل وتاكيد
بعد التلويح والمراد بالنفس الجنس اي هذا الجنس كله دائم الامر بالسوء حامل عليه بما فيه

عن نفسه

من الشهوات باعثة للقوى والجوارح عليه الا ما رحم ربي الا ما عصمه الله تع برحمته نصب على
الظرف من اعم الاوقات اي الا وقت رحمة ربي وعصمته او على الاستثناء المتصل اي الا
البعض الذي رحمه ربي بالعصمة واللام في النفس للاستغراق حتى يصح الاستثناء ويجوز
ان يكون استثناء منقطعا اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف السوء كقوله ولا هم ينقذون
الا رحمة وقيل هو من كلام امرأة العزيز اي ذلك الذي قلت ليعلم اني لم اخنه اي لم اكذب
عليه في حالة الغيبة وجئت بالصدق فيما سئلت عنه وما ابرئ نفسي مع ذلك من الخيانة
فاني قد خنته حين قرفته وقلت ما جزاء من اراد باهلك سوءا فهو اعتذار منها عما سلف
ان كل نفس لامارة بالسوء الا نفسا رحمها الله تع بالعصمة كنفس يوسف عم وفيه تكلف صرف
الخيانة عن معناها الى معنى الكذب ان ربي غفور رحيم يغفر هم النفوس ويرحم من يشاء
بالعصمة او يغفر للمستغفر لذنبه المعترف على نفسه ويرحمه وقال الملك ائتوني به لما اخبر النساء
بما اخبرن قال ملك مصر جيئوني به استخلصه لنفسي اجعله خالصا لنفسي لما ظهر عنده
من علمه وصلاحه فلما كلمه معطوف على محذوف تقديره فاتوا به فاستنطقه اي الملك
ففاعل كلمه ضمير يوسف عم اي فلما كلم يوسف الملك ورأى حسن منطقه بما صدق به
الخبر قيل كان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه قال انك
اليوم لدينا مكين اي ذو مكانة ومنزلة امين مؤتمن على كل شيء قيل توفي العزيز في تلك
الليالي فنصبه منصبه وزوج منه زوجته فوجدها عذراء وولد له منها افرايم
وميشا قال اجعلني على خزائن الارض اي ولني على امرها والارض ارض مصر لما وصفه الملك
بالتمكن عنده والامانة طلب من الاعمال ما يناسب هذين الوصفين اني حفيظ لها احفظ
ما تستحفظه عليم بوجوه التصرف وصف نفسه بالامانة والكفاية اللتين هما طلبة الملوك
ممن يولونه وانما قال ذلك ليتوصل به الى امضاء احكام الشرع واقامة الحق وبسط العدل
والتمكن مما لاجله يبعث الانبياء الى العباد ولعلمه ان احدا غيره لا يضطلع بذلك ولا يقوم
مقامه فيه فطلب التولية ابتغاء وجه الله تع لا لحب الملك والدنيا وفيه دليل على جواز طلب
التولية واظهار انه مستعد لها والتولي من يد الكافر اذا علم انه لا سبيل الى اقامة الحق
الا بالاستظهار به وعن مجاهد انه قد اسلم على يده عم وكذلك ومثل ذلك التمكين الظاهر
مكنا ليوسف في الارض ارض مصر يتبوأ منها حيث يشاء ينزل من بلادها حيث يهوى
لدخول جملتها تحت ملكه وسلطانه نصيب برحمتنا بعطائنا من نشاء في الدنيا والاخرة
ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفي اجورهم عاجلا وآجلا ولا ننقص من اجورهم
في الآخرة بسبب ما عطيناهم من الملك والغنى شيئا ولهذا قال ولاجر الآخرة خير لانه الدائم
الذي لا يفنى للذين آمنوا وكانوا يتقون اي وداموا على التقوى من باب وضع الظاهر

موضع الضمير تنبيها بذكر الايمان والتقوى وتبيينا لمهية الاحسان واصله بانه هو الايمان
والتقوى اي العلم والعمل وايماء الى ان اجر الآخرة انما يستحق بهما وان غير المؤمن التقي اعني
عن الشرك لا نصيب له في الاخرة قال سفيان بن عيينة رح المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا و
الاخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق وتلا هذه الاية وفيها شهادة
من الله تع ليوسف عم بالاحسان واشارة الى ان حاله في الآخرة خير من حاله العظيمة في الدنيا و
ايذان بان الاحسان هو الذي لا يضيع الله تع اجره وجاء اخوة يوسف اي من كنعان من ارض
فلسطين من نواحي الشام الى مصر ليمتاروا منها فتوصلوا الى يوسف عم للميرة روي انه
اصاب بلاد شام وارض كنعان نحو ما اصاب ارض مصر فارسل يعقوب بنيه ليمتاروا واحتبس
بنيامين عنده فدخلوا عليه فعرفهم لانه فارقهم وهم رجال ملتحون ورأى زيهم قريبا مما
كان من قبل وهم له منكرون لانهم فارقوه في سن الحداثة غير ملتح ولحسبانهم انه هلك
ولبعد حاله التي بلغها من الملك والسلطان عن حاله التي فارقوه عليها وتبدل زيه وابهته
ولانهم من التهيب والاستعظام مما ينكر له المعروف ولما جهزهم بجهازهم اصلحهم بعدتهم
واوقر ركائبهم بما جاؤا له من الميرة وقرئ بجهازهم بالكسر والجهاز بالفتح والكسر عدة المسافر
من الزاد وما يحتاج اليه المسافرون وقيل هو فاخر المتاع الذي يحمل من بلد الى اخرى ومنه
جهاز العروس قال ائتوني باخ لكم من ابيكم لا بد من مقدمة تقتضي هذا الامر روي انهم لما
دخلوا عليه قال من انتم وما امركم لعلكم عيون قالوا معاذ الله نحن بنو اب واحد وهو شيخ صديق
نبي من انبياء الله تع اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فذهب احدنا الى البرية فهلك
فقال فكم انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا عند ابينا يتسلى به من الهالك قال
فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا ههنا من يشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني
باخيكم من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت شمعون وقيل كان يوسف عم يعطي لكل
نفر حملا فسألوا حملا زائدا لاخ لهم من ابيهم فاعطاهم وشرط عليهم ان يأتوه به ليعلم
صدقهم ثم ذكر ما يحرضهم به على الاتيان باخيهم بقوله الا ترون اني اوفي الكيل اتمه وانا خير
المنزلين للضيف اي المضيفين يعني في قطره وفي زمانه وكان قد احسن انزالهم وضيافتهم
يونسهم بذلك ويستميلهم ثم توعدهم ان لم يأتوا اليه به بحرمانهم من الميرة في المستقبل بقوله
فان لم تأتوني به فلا كيل لكم فلا طعام لكم عندي ولا تقربوني يحتمل ان يكون نهيا وان يكون نفيا
مستقبلا معناه النهي وحذفت النون وهو مرفوع كما حذفت في قولهم فبم تبشرون وان
يكون نفيا داخلا في الجزاء معطوفا على محل فلا كيل لكم عندي فيكون مجزوما كانه قيل فان لم تأتوا
به تحرموا ولا تقربوا تلطف في استمالتهم بنيامين بالترغيب والترهيب قالوا سنراود عنه
اباه سنخادعه عنه ونحتال حتى ننتزعه من يده ثم اكدوا ذلك الوعد بقوله وانا لفاعلون

ذلك لا محالة لا نتوانى فيه ولا نقصر ولقادرون على ذلك وقال لفتيته لغلمانه
الكيالين جمع فتى وقرئ لفتيانه على جمع الكثرة ليوافق قوله اجعلوا بضاعتهم
في رحالهم فانه وكل بكل رحل واحدا يعبي فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت
نعالا وادما وانما فعل ذلك توسيعا وتفضلا عليهم وترفعا من ان ياخذ ثمن الطعام
منهم وخوفا من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به والرحل آلة السفر من وعاء و
مركب لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها او لكي يعرفوها اذا انقلبوا الى اهلهم
وفتحوا اوعيتهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع فلما رجعوا
الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل حكم بمنعه بعد هذا ان لم تذهب ببنيامين فارسل
معنا اخانا نكتل ما نحتاج اليه من الطعام لوجود الشرط ورفع المانع وقرئ يكتل بالياء
اي يكتل اخونا فينضم اكتياله الى اكتيالنا ويجوز ان يكون المعنى يكن سببا للاكتيال على الاسناد المجازي
لان امتناعه سبب عدم ذهابهم به فاذا ارسل معهم كان هو سببا لاكتيالهم فكانه
هو المكتال وانا له لحافظون عن ان يناله مكروه قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على
اخيه من قبل استفهام بمعنى النفي وهذا تقدير وتوقيف وتألم من فراق بنيامين ولم يصرح
بمنعه من ارساله في ذلك من المصلحة وشبه هذا الائتمان في ابنه هذا بائتمانه اياهم
في حق يوسف عم كانه يقول قد قلتم فيه وانا له لحافظون كما قلتم في هذا فاخاف
ان تكيدوا له كما كدتم لذلك لكنه لم يخف عليه كما خاف على يوسف عم واستسلم لله تع
فقال والله خير حافظا وتوكل عليه واعتمد على حفظه وكلاءته دونهم ورضي بدفعه
اليهم وقرئ حفظا وانتصابه وكذا انتصاب حافظا على التمييز وكون حافظا حالا ليس
بجيد لان فيه تقييدا لخيريته بهذه الحالة وهو ارحم الراحمين فارجو ان يرحمني بحفظه ولا يجمع
على مصيبتين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم اي وضعت في رحالهم
وقرئ ردت بالكسر على ان كسرة الدال المدغمة نقلت الى الراء كما في قيل وبيع قالوا يا
ابانا ما نبغي ما استفهامية منصوبة المحل اي اي شيء نطلب وراء هذا من مزيد على ذلك
اكرمنا واحسن مثوانا ورد علينا متاعنا او نافية اي ما نبغي في القول وما نزيد فيما وصفنا
لك من احسان الملك وروي ما تبغي بالتاء على الخطاب اي اي شيء تطلب وراء هذا من
الاحسان او الشاهد على صدقنا هذه بضاعتنا ردت الينا جملة استينافية وقعت بيانا
لقوله ما نبغي ونمير اهلنا عطف على محذوف اي هذه بضاعتنا ردت الينا فنستظهر بها
ونمير اهلنا اذا فسر البغي بالطلب واذا فسر بالكذب والتزيد في القول جاز ان يعطف نمير
على ما نبغي ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ اي وينبغي ان نمير اهلنا كقولك سعيت في حاجة
فلان ويجب علي ان اسعى له ونحفظ اخانا عن المخاوف في الذهاب والاياب ونزداد

كيل بعير اي وسق بعير باستصحاب اخينا لزيادة وسقه على اوساق اباءنا فما نبغي وراء
هذه المباغي ذلك كيل يسير اي ذلك الذي جئنا به كيل يسير لا يكفينا فلا بد ان نرجع اليه ونضاعفه او
ذلك الزائد لاخينا مكيل قليل لا يضايقنا فيه الملك ولا يتعاظمه او ذلك الذي يكال لنا شيء
يسير نزيد عليه ما يكال لاخينا وقيل هو من كلام يعقوب عم اي ذلك المزداد وهو حمل بعير
واحد شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد كقوله ذلك ليعلم ويأباه تأخير قال عنه فان حقه ان يقدم
عليه قال لن ارسله معكم بعد ما رأيت حتى تؤتون موثقا من الله ما اتوثق به من عند الله تع
بمعنى الحلف بالله تع وانما جعله موثقا من الله تع لان الحلف بالله مما يؤكد به العهود وتشدد
وقد اذن الله تع فيه فهو اذن منه تع لتأتنني به جواب القسم لان معنى حتى تؤتون موثقا حتى
تحلفوا الا ان يحاط بكم الا ان تهلكوا او الا ان تغلبوا فلن تطيقوا الاتيان به مفعول له وقوله
لتأتنني به في تأويل النفي اي لا تتركنه لعلة الا لعلة الاحاطة بكم لانه استثناء مفرغ من اعم
العلل فلا يكون الا في النفي كقولك اقسمت بالله الا فعلت اي لا اطلب منك الا فعلك او ظرف
مستثنى من اعم الظروف اي لا تمتنعون عن الاتيان به وقتا ما الا وقت الاحاطة فلما اتوه موثقهم
عهدهم قال الله على ما نقول من طلب الموثق واتيانه وكيل مطلع رقيب وقال حين اخذ
منهم يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وصاهم بالحذر عن اصابة
العين لانهم كانوا جماعة ذوي ابهة وشارة حسنة مشتهرين بين اهل مصر بالقربة والكرامة
عند الملك فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا لجلالتهم في الصدور وقد عرف
كونهم اخوة والعين تتسارع تأثيرها الى مثلهم ولذلك لم يوصهم بذلك في الكرة الاولى اذ
كانوا مجهولين مغمورين بين الناس او كان الداعي له الى التوصية خوفه على بنيامين
وتأثير العين مما لا ينكر وقد ورد في الخبر عن خير البشر العين حق وفي خبر آخر العين تدخل
الرجل القبر والجمل القدر ولا بأس في ذلك لان لا مؤثر الا الله تع لان حقيقة التأثير واصله
ليس الا منه تع وان ظهر على مظاهر الاشياء بحسب جري العادة وليس هذا بمحل الامتحان
والابتلاء لانه ليس من خوارق العادة وانه عم تعوذ الحسنين بقوله اعيذكما بكلمات
الله التامة من كل هامة ومن كل عين لامة وشهدت به التجربة وما اغني عنكم من الله من
شيء مما قضي عليكم بما اشرت به اليكم اي لا انفع ولا ادفع ان اراد الله تع بكم سوءا
ولم يرد به الغاء الحذر عن القاء النفس الى محل الخطر ببيان عدم التأثير للتدبير في
تغيير ما في التقدير لانه لا يناسب شأن النبي عم ان يوصي بشيء على وجه الاهتمام ببنيه
الكرام ثم يبطله ويظهر انه من مخطرات الاوهام بل اراد دفع ما يخطر بالبال عند سماع
مثل هذا المقال من معارضة التقدير بالتدبير بحسب الظاهر المتبادر الى الافهام بما
مرجعه الى ان الحذر لا يغني من القدر ومع هذا لا بد للعاقل من الحذر عن مظان الضرر

ولذلك امرنا به في قوله تعالى خذوا حذركم ونهينا عن خلافه في قوله ع ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكة ان الحكم الا لله اي ليس الفصل بين الامور على ما ينقضيه الحكم الا
لله ع ولما كان في توصيتهم مظنة التوسل بالاسباب العادية تداركه بقوله عليه توكلت اي
فوضت امري ع يدبره كيف يشاء وتقديم الصلة لتخصيص المتوكل به ع وعليه فليتوكل المتوكلون
جمع بين حرفي العطف مع تقديم الصلة واراد بالواو العطف على فعله من تخصيص التوكل
بالله ع في حفظهم وبالفاء التسبيب لان فعل الانبياء عم سبب لان يقتدى به اي وعليه
خاصة اذ خصه بالتوكل عليه فليتوكل المتوكلون في جميع امورهم او وعليه ان توكل
متوكل فليتوكل كما عليه توكلت ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اي من ابواب متفرقة
في البلد ما كان يغني عنهم من الله من شيء اي ما كان دخولهم في البلد متفرقين على
راي يعقوب عم مغنيا عنهم من قضاء الله في حقهم شيئا الا حاجة في نفس يعقوب
قضاها اي لكن كان اضطرابا في قلبه ودغدغة في خاطره ازال ذلك عن نفسه بوصيته
واما ما قيل سرقوا واخذ بنيامين بوجدان الصواع في رحله وتضاعف المصيبة على
يعقوب عم فلا يناسب المقام لان مساق الكلام في عدم تاثير تدبيره فيما رضاه بهم وهو
الاحتراز عن مظنة الضرر من جهة اصابة العين بهم لا من جهة اخرى وانه اي وان يعقوب عم
لذو علم عظيم وفي التنكير للتعظيم توطئة لما في قوله لما علمناه من كمال التفخيم الحاصل من
اضافة التعليم الى نفسه ع ولكن اكثر الناس لا يعلمون سر ايجاب الحذر مع انه لا يغني
شيئا من القدر ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين على الطعام
او في المنزل لايواء الضم والتصيير الى موضع الراحة ومنه المأوى وهو المنزل الذي
يصير اليه صاحب للراحة فيه روي انهم اضافهم فاجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيدا
فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لجلس معي فاجلسه على مائدته ثم قال لينزل كل
اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات عنده وقال له اتحب ان اكون اخاك
بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف عم
وقام اليه فعانقه وقال اني انا اخوك يوسف فلا تبتئس فلا تحزن افتعال من البؤس
بما كانوا يعملون بما استمر به عادتهم من الجفاء في حقنا وذكر تغير الجميل عندك مغايظة
لك وكانه قصد الاشارة الى ما هم بصدد ان يعملوا في حقهم من اسناد السرقة بقولهم
ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل ولذلك اتى بصيغة المضارع وكان ذلك معلوما له بطريق
الوحي فلما جهزهم بجهازهم الفاء فصيحة عاطفة على محذوف تقديره ظاهر كما مر
تفسيرها جعل السقاية المشربة في رحل اخيه قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال بها وقيل
كانت يسقى بها الدواب ويكال فيها وكانت من فضة وقيل من ذهب وقرئ وجعل على حذف

جواب لما تقديره امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن نادى مناد الايذان الاعلام
يقول بسمع بالاذن يقال اذنه اعلمه واذن اكثر الاعلام ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه
ايتها العير العير القافلة ومنه المثل لا في العير ولا في النفير وهو في الاصل اسم ما يمتير
عليه من الابل والحمير والبغال لانها تعير اي تتردد والقول بتخصيصه بالابل نقل عليه
الازهري ثم قيل لاصحابها كالخيل في قوله عم يا خيل الله اركبي انكم لسارقون من قبيل
نسبة الفعل الى جماعة كلهم واحدة لصدوره عن واحد منهم والسرقة اخذ الشيء من
حرز في خفية بغير حق قيل لم يامرهم يوسف عم بذلك ولا علمه وانما كان امر بعض خواصه
بجعل السقاية في رحل اخيه على ما امر الله تعالى فلما فقدها الموكلون بها اتهموهم بسرقتها فقالوا
اي اخوة يوسف عم واقبلوا جملة حالية اي وقد اقبلوا عليهم اي على طالبي السقاية وفيه
تنبيه على ما في قوله ثم اذن مؤذن من ايجاز الحذف والاقبال مجيء الشيء الى جهة المقابلة
بوجهه وضده الادبار ماذا تفقدون يحتمل ان يكون ماذا استفهاما في موضع نصب
بتفقدون ويحتمل ان يكون وحدها استفهاما مبتدأ وذا موصولة بمعنى الذي خبر عن
ما وتفقدون صلة لذا والعائد محذوف اي تفقدونه وفقد الشيء طلبه عند غيبته بحيث
لا يدري اين هو قال الجوهري فقدت الشيء افقده فقدا وتفقدته اي طلبته عند غيبته
ولما فيه من معنى الطلب قالوا تفقدون ولو كان معناه الغيبة المجردة لكان حقهم ان
يقولوا ما ذا افقدتم وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا قالوا نفقد صواع
الملك هو المكيال وهو السقاية المذكورة سماه اولا باحدى جهتيه واخرا بالثانية وقرئ
صاع وصوع بالفتح والضم والعين والغين وصواغ من الصياغة ولمن جاء به حمل بعير
اراد وسق بعير من طعام جعلا لمن حصله وتمام الكلام يوعد للمتهمين ووعد للمحسن
من رئيس تلك الجماعة الا انه اختصر واكتفى بجزئه الثاني مصدرا بالواو الفصيحة الدالة
على محذوف هو جزؤه الاول وروح بنظم الافراد في وانا به زعيم اي كفيل اديه الى من رده
مع الجمع في قوله قالوا نفقد قيل فيه دليل على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل ويرد
عليه اذ لا دلالة فيه على لزوم الضمان وصحة الالتزام بدون اللزوم مما لا حاجة الى الدليل عليه
قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب مما اضيف اليهم والتاء بدل من الواو في قول اكثر النحويين و
قال السهيلي انها اصل بنفسها وقد حكي عن العرب دخولها على الرب والرحمن وحياتك قالوا
ترب الكعبة وتالرحمن وتحياتك لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض اي في ارضكم وانما استشهدوا
بعلمهم لاشتهارهم بينهم بالامانة والديانة واختبارهم حالهم في كرتي المجيء ومداخلتهم
ولانهم دخلوا مصر وافواه رواحلهم معكومة لئلا يتناول زرعا او طعاما لاحد ولانهم
ردوا البضاعة عليهم التي وجدوها في رحالهم وما كنا سارقين مرادهم نفي السرقة عن انفسهم

فكان حقهم أن يقولوا وما سرقنا إلا أنهم أرادوا أن يعتمدوا عبادتهم الدالة على أن الاقدام
على مثل هذه السرقة إنما يتيسر ممن هو معتاد بها قالوا فما جزاؤه الضمير للصواع أي فما جزاء
سرقته على حذف المضاف إن كنتم كاذبين في ادعاء البراءة قالوا جزاؤه أي جزاء سرقته من
وجد في رحله أي أخذه واسترقاقه هكذا كان شرع يعقوب عم فهو جزاؤه جملة أخرى
لتقرير الحكم والزامه أو خبر من والفاء لتضمنه معنى الشرط أو جواب لها على أنها شرطية و
الجملة كما هو خبر جزاؤه على إقامة الظاهر مقام الضمير تفخيما للشأن الجزاء كأنه قيل جزاؤه
من وجد في رحله فهو هو كذلك مثل ذلك الجزاء وهو الاسترقاق نجزي الظالمين بالسرقة
وهذا كلام من لم يشك أنه بريء مما رموا به ولاعتقادهم البراءة علقوا الحكم على وجدان
الصاع لا على سرقته فبدأ بأوعيتهم أي فبدأ من قال وأنا به زعيم وقد تقدم المنفذين
بتفتيش أوعيتهم وقيل يوسف عم لأنهم ردوا إلى مصر قبل وعاء أخيه بنيامين نفيا للتهمة
ثم استخرجها أي السقاية وتذكير الضمير فيما سبق لأن الحذف منه عبروا عنها بالصواع فما دام الكلام
منقولا عن لسانهم ذكر الضمير عائدا إليه من وعاء أخيه وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة كذلك
أي مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف أي علمناه إياه وأوحينا به إليه ما كان ما صح
ليأخذ أخاه بالسرقة في دين الملك ملك مصر لأن دينه الضرب وتغريم ضعف ما أخذ دون
الاسترقاق وهو تفسير للتأكيد وبيان له إلا أن يشاء الله نصب على الظرف أو على المفعول له
أي ما كان ليأخذه وقتا من الأوقات إلا وقت مشيئة الله تع وإذنه فيه أو لعلة من العلل إلا مشيئة
الله تع أو إلا بسبب مشيئة الله تعالى نرفع درجات من نشاء في العلم كما رفعنا درجته عم
فيه وقرئ يرفع بالياء ودرجات بالتنوين وفوق كل ذي علم عليم رفع درجة منه في العلم
أراد المبالغة في عدم انتهاء مراتب العلم في المخلوق ودرجاتها لعدم انتهاء المعلومات وعلم الله تع ليس
بوصف زائد على ذاته فلا يقال له تع ذو علم ذو بما قررناه ظهر وجه العدل عن العالم إلى ذو علم
قالوا إن يسرق يعنون بنيامين فقد سرق أخ له من قبل يعنون يوسف قيل ورثت عمته من أبيها
منطقة إبراهيم عم وكانت تحضن يوسف عم وتحبه فلما شب أراد يعقوب عم انتزاعه منها
فشدت المنطقة على وسطه ثم أظهرت ضياعها فتفحص عنها فوجدت محزومة عليه
فصارت أحق به في حكمهم وبقي عندها حتى ماتت فأسرها يوسف في نفسه الضمير لما يفهم
من سياق الكلام أي أكن كراهة ذلك القول في نفسه والفاء للعطف على محذوف تقديره
وسمع يوسف كلامهم فأسرها وقوله ولم يبدها لهم تأكيد للسابق وبيان للمراد من اللاحق
فإنه علم منه أنه عم قال في نفسه أنتم شر مكانا أي شر منزلة في سرقتكم أخاكم من أبيكم والله
أعلم بما تصفون أي يعلم أن الأمر ليس كما تصفون من نسبة السرقة إلينا وصيغة أفعل للمبالغة
لا للتفضيل على معنى والله أعلم منكم بما تصفون إذ لا علم لهم به فإن ما قالوه ناشئ عن الجهل

غير مطابق للواقع قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا ذكروا له حال أبيهم في كونه
شيخا كبير القدر استعطافا له عليه وكأنما قد أخبروه بأنه كان له ولد قد هلك وهذا شقيقه
يستأنس به وهو أحب إليه منهم فخذ أحدنا مكانه بدله على وجه الاستعباد والاسترقاق إنا
نراك من المحسنين إلينا وما الانعام إلا بالإتمام فأتمم إحسانك أو من المتعودين بالإحسان فلا تغير
عادتك قال معاذ الله مصدر يقوم مقام الفعل أي نعوذ بالله معاذا أن نأخذ من أن نأخذ
فإذا أضيف إلى المفعول به فحذف من إلا من وجدنا متاعنا عنده أي أن نظلم فإن أخذ السارق
على فتواكم واجب فلئن أخذنا غيره إنا إذا لظالمون في مذهبكم ودينكم فلم تطلبون منا ما هو
ظلم عندكم كلام ذو وجهين ظاهره ما مر وباطنه أني مأمور من عند الله تع بأخذ بنيامين في
الفتنة كنت في المأمور به خلاف الوحي عاصيا وإنما قال إلا من وجدنا متاعنا عنده إجراء
للكلام على مجرى ما قالوه عند بيان الجزاء واحترازا عن التصريح بإسناد السرقة إلى أخيه
والا فيما لا حصر لفظا والأظهر معنى أن يقول إلا من سرق فلما استيأسوا منه يئسوا من
يوسف عم أي من إجابته إياهم وزيادة السين والتاء للمبالغة كما ذكر في استعصم خلصوا
انفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم غيرهم نجيا ذوي نجوى أو فوجا نجيا حال أو
مفعول له أي مناجيا أو تناجي بعضهم بعضا وكان تناجيهم في تدبير أمرهم والنجي
قد يجيء بمعنى المناجي كالعشير بمعنى المعاشر ومنه قوله تع وقربناه نجيا وقد يكون بمعنى المصدر
بمعنى التناجي كالنجوى ومنه قيل قوم نجي كما قيل وإذ هم نجوى تنزيلا للمصدر منزلة الوصف
ويقال هم نجي كما يقال هم صديق لأنه على زنة المصادر قال كبيرهم في السن وهو روبيل
أو رئيسهم وهو شمعون أو كبيرهم في العقل والرأي وهو يهودا ألم تعلموا أن أباكم قد
أخذ عليكم موثقا من الله عهدا وثيقا وإنما جعل حلفهم بالله تع موثقا منه لأنه بإذن منه
وتأكيد من جهته وإنما قال عليكم لما في أخذه من التكليف والإيجاب ومن قبل أي ومن قبل
هذا ما فرطتم في يوسف قصرتم في شأنه ولم تحفظوا عهد أبيكم فيه وما مزيدة أو مصدرية
ومحل المصدر النصب بالعطف على تعلموا كأنه قيل لم تعلموا أخذ أبيكم موثقا وتفريطكم من
قبل في يوسف ولا بأس بالفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف وأما الرفع على الابتداء
وخبره الظرف وهو من قبل أي وقع من قبل تفريطكم في يوسف فمردود بأن قبل إذا كان
خبرا أو صلة لا يقطع عن الإضافة حتى لا ينقص أو موصولة أي ومن قبل هذا ما فرطتموه في
حق يوسف أي ما قدمتموه من الجناية العظيمة ومحله النصب والرفع على الوجهين فلن أبرح
الأرض فلن أفارق أرض مصر حتى يأذن لي أبي في الرجوع إليه أو يحكم الله لي بالتوفي أو بالخروج
منها أو بتخليص أخي من يد من أخذه بسبب من الأسباب ولو بالمقابلة معهم وهو خير الحاكمين لأنه
لا يحكم إلا بالحق ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق على ما شهدنا من ظاهر الأمر

وقيل سرق اي نسبت الى السرقة وما شهدنا عليه الا بما علمنا بان رأينا ان الصواع
استخرج من وعائه وما كنا للغيب لباطن الحال حافظين اعتذار عن مواعدتهم اياهم
بحفظه اي ليس من شاننا حفظ لامر غايب عنا فانا كنا ضمنا لك حفظه مما يمكننا الحفظ
عنه من الآفات في الطريق فاما السرقة فمما لم يمكن لنا الى حفظه منه سبيل وهذا هو الظاهر من
الكلام المتبادر الى الافهام المطابق لما يقتضيه المقام فلا حاجة الى صرف الحفظ عن معناه
الى معنى العلم كما سبق الى بعض الاوهام واسئل القرية التي كنا فيها يعني مصر اي ارسل الى اهلها
فاسألهم عن كنه القصة والعير التي اقبلنا فيها قد مر ان العير يطلق على القافلة وهم كانوا
من كنعان جيران يعقوب عم وقيل من صنعاء وانا لصادقون تأكيد في محل القسم وفي
الكلام اضمار معناه فلما رجعوا الى ابيهم وقالوا له ما قال اخوهم قال بل سولت اي زينت
وسهلت لكم انفسكم امرا اردتموه والا فما ادرى الملك ان السارق يؤخذ بسرقته
لولا فتواكم فصبر جميل قد مر تفصيله عسى الله ان يأتيني بهم جميعا بيوسف واخيه و
الكبير المتوقف هناك انه هو العليم بحالي وحالهم الحكيم في تدبيره ولا يفعل الا ما يقتضيه
الحكمة وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة لما صادفه به وقال يا اسفا على يوسف اي يا
اسفا تعال فهذا اوانك والاسف اشد الحزن على الغائب وهو اشد الغضب ايضا ويجوز
ان يكون اجتمع له المعنيان الحزن على فقد يوسف والغضب على اخوته او على نفسه ببعثه معهم
ويناسبه ما في لحاق الكلام من التعرض لهما وانما تأسف على يوسف عم والحادث مصيبة
اخويه لان الرزء به اشد المصائب وانكاها وهو الآخذ بمجامع قلبه لا ينساه ولانه كان
واثقا بحيوتهما دون حيوته وفي الحديث لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند
المصيبة الا امة محمد الا يرى الى يعقوب حين اصابه ما اصاب لم يسترجع وقال يا اسفى
مضاف الى ياء المتكلم ابدلت الياء الفا وابيضت عيناه من الحزن لكثرة بكائه من الحزن فان
العبرة اذا كثرت محقت سواد العين وغيرته الى بياض كدر وعلل الابيضاض بالحزن و
انما هو من البكاء المتوالي لانه ثمرة الحزن فعلل بالاصل الذي نشأ منه البكاء والحزن الهم
الغليظ على النفس من الارض الحزن بفتح الحاء اي الغليظة والظاهر انه عم كان عمي لقوله ع
فارتد بصيرا وقيل من الحزن وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند التفجع ومثل ذلك
لا يدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله عم على ولده
ابرهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابرهيم
لمحزونون فهو كظيم مملوء من الغيظ على اولاده ممسك له في قلبه ولا يظهره فعيل بمعنى مفعول
كقوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه او بمعنى فاعل لقوله والكاظمين الغيظ
من كظم الغيظ اذا اجترعه واصله من كظم البعير جرته اذا ردها في جوفه والكظم بفتح

الظاء مجرى النفس قالوا تالله جواب القسم تفتؤا حذفت منه لا وحذفها جائز لانه
لا يلتبس بالاثبات اذ لو كان اثباتا بعد القسم لقيل لتفتأن اذ لا بد في الاثبات من اللام
والنون فقرينة النفي خلوه عن علامة الاثبات والمعنى لا تزال واسمها ضمير الخطاب وتذكر
خبر تفتؤا اي لا تزال تذكر تفجعا عليه حتى تكون حرضا مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض الذي
اذابه هم او مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
والنعت بالكسر كدنف ودنف وقد قرئ وبضمتين كجنب او تكون من الهالكين الهلاك ذهاب
الشيء بحيث لا يدري الطالب اين هو فالميت هالك لهذا المعنى ويطلق على الآلة للشيء
وهو المراد ههنا ولهذا اخر فانه لو اريد المعنى الاول لكان حقه التقديم قال انما اشكو بثي
البث اصعب الهم الذي لا يقدر صاحبه ان يكتمه فيبثه اي ينشره وحزني الى الله اي
لا اشكو الى احد منكم ولا من غيركم انما اشكو الى الله تع ملتجئا اليه فخلوني وشكايتي وهو
معنى توليته عنهم الى الله تع واعلم من الله اي اعلم من لطفه ورحمته انه يأتيني بالفرج من
حيث لا احتسب واعلم من جهة الله تع بالوحي ما لا تعلمونه من حيوة يوسف عم قيل انه رأى
ملك الموت في منامه فسأله هل قبضت روح يوسف فقال لا والله هو حي فاطلبه وقيل علم من
منام يوسف انه لا يموت حتى يسجد له ابوه واخوته يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف
واخيه فتعرفوا منهما وتفحصوا من حالهما والتحسس الاستقصاء والطلب بالحواس وقرئ
بالجيم من الجس وهو الطلب ومنه الجاسوس امرهم بطلب يوسف عم بالبصر لعلهم
يرونه وبالاذن لعلهم يسمعون ذكره ولا تيأسوا من روح الله ولا تقنطوا من فرجه
وتنفيسه وقرئ من روح الله من رحمته التي يحيي بها العباد انه لا ييأس من روح الله الا
القوم الكافرون بالله تع وصفاته فان العارف لا يقنط من رحمته تع في شيء من الاحوال فلما
دخلوا عليه اي على يوسف عم بعد ما رجعوا الى مصر رجعة ثانية قالوا يا ايها العزيز مسنا
واهلنا الضر الهزال من شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر
رغبة عنها واحتقارا لها من ازجيته اذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب قيل كانت
بضاعتهم دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة وقيل غير ذلك فاوف لنا الكيل فاتمم لنا
منه ايفاء الكيل بعد ما قدموا باعث الشفقة وموجب الرحمة ولذلك صدروه باداة التضرع
وتصدق علينا اي بالمسامحة والاغماض عن رداءة البضاعة او زد على حقنا فسموا
ما هو فضل وزيادة لا يلزمه صدقة تمسكنا وتواضعا فلا دلالة فيه على عدم اختصاص
حرمة الصدقة لنبينا عم نزلوا اوضع منزلة كانهم قالوا ان لم نستوجب معاملة البيع والشراء
فقد استوجبنا بذل العطاء وعلى الله تع المكافاة والجزاء ان الله يجزي المتصدقين احسن
الجزاء والتصدق التفضل مطلقا ومنه قوله عم في القصر هذه صدقة تصدق الله عليكم

فاقبلوا صدقة لكنه اضيق عرفا بما يبتغي به ثواب من الله تعالى قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف
واخيه سوال عن الملزوم وارادة اللازم اى هل تبتم عن ذلك ورجعتم الى الله تعالى فهو
شفقة عليهم ونصح لهم في الدين كما هو عادة الانبياء عم لا معاتبة وتثريب ايثارا
لحق الله تع على حق نفسه ولذلك قال لا تثريب عليكم اليوم فلا يناسب تقدير القبح على ان
يكون المعنى هل علمتم قبح ما فعلتم لانه لا يخلوا عن نوع توبيخ وتثريب والمراد من فعلهم
باخيه افرادهم اياه عنه واذلاله حتى كان لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة ان انتم
جاهلون عاقبته فلذلك اقدمتم عليه وانما قال ذلك عذرا من جانبهم واظهارا للشفقة
في حقهم حتى يؤثر تنصيحه لهم وتحريضه اياهم على التوبة وقيل اعطوه كتاب يعقوب عم
في تخليص بنيامين وذكروا له ما هو فيه من الحزن على فقد يوسف واخيه فقال لهم ذلك وانما
جهلهم لانهم كانوا حينئذ صبيانا لانه لا يطابق الواقع وينافي ما تقدم من قولهم ونحن عصبة
بل فعلهم فعل الجهال قالوا أئنك لانت يوسف استفهام تقرير ولذلك حقق بان واللام
ويدل عليه قراءة انك على الايجاب وهذا كلام متعجب مستغرب لما يسمع فهو تكرير للاستثبات
قيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن
راسه فراوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكانت لسارة ويعقوب عم مثلها قال انا
يوسف انما قال وهذا اخي حين سالوه عن نفسه بيانا لما سالوه عنه اى هذا اخي من ابي
وامي وتفخيما له وادخالا في قوله قد من الله علينا اى بالسلامة والكرامة والاجتماع بعد
الفرقة والانس بعد الوحشة ثم ذكر ان سببه من الله تع هو التقوى والصبر فقال على
طريقة الاستيناف التعليلي انه من يتق الله في اموره ويصبر على بلاياه او على الطاعات
وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين وضع المحسنين موضع هم للتنبيه على ان المتقي
الصابر هو المحسن والتسجيل عليهم بالاحسان قالوا تالله لقد آثرك الله علينا فضلك
علينا بالتقوى والصبر وسيرة اهل الاحسان وان كنا لخاطئين والحال ان شاننا انا كنا
متعمدين للاثم فلذلك اعزك بالملك واذلنا بالتمكن بين يديك قال لا تثريب عليكم اليوم
تفعيل من الثرب وهو الشحم الذي غاشية الكرش ومعناه ازالة الثرب كما ان التجليد
ازالة الجلد فضرب مثلا للتقريع الذي يمزق العرض ويذهب بماء الوجه وتثريب اسم لا و
عليكم الخبر واليوم منصوب بالعامل في الخبر اى لا تثريب مستقر عليكم اليوم ولا يجوز
تعلقه بالتثريب لانه مصدر وقد فصل بينه وبين معموله ولا يجوز ذلك لان معمول المصدر
من تمامه والمعنى لا اثربكم اليوم الذي هو مظنة فما ظنكم بسائر الايام ثم دعا لهم بالمغفرة
بقوله يغفر الله لكم ويجوز تعلق الظرف بيغفر اى ابشركم بغفران الله تع عاجلا لما تجدد يوم
من توبتكم وندمكم على خطيئتكم ولما دعا لهم بالمغفرة اخبر عن الله تع بالصفة التي هي سبب

الغفران بقوله وهو ارحم الراحمين لانه يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على التائب
فيرجى منه قبول دعائه لهم بالمغفرة ويروى ان اخوته لما عرفوه ارسلوا اليه وقالوا
انك تدعونا بالبكرة والعشي الى الطعام ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال ان اهل
مصر كانوا ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما
ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا انكم اخوتي واني من حفدة ابراهيم عم
اذهبوا بقميصي هذا القميص الذي كان عليه قيل هو القميص المتوارث امر جبرائيل عم
ان ارسله اليه فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم الا عوفي فالقوه على وجه ابي يأت
اى يصير بصيرا كقولك جاء البناء محكما اى صار محكما ويدل عليه فارتد بصيرا او يأت الي وهو
بصير وينصره وأتوني باهلكم اجمعين اى بابي وآله اجمعين ولا حاجة الى التغليب على ان يكون
المعنى وائتوني انا وانتم لان اباهم لما كان شيخا كبيرا عاجزا عن الكسب كان داخلا في اهلهم
ولما فصلت العير يقال فصل من البلد يفصل فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه و
هو لازم وفصل الشيء فصلا فرق وهو متعد والمعنى انفصلت العير من عريش مصر
ومن محمل عن التفصيل المذكور حال فصل يغني عنه ولما كثر حذف مفعوله فصار كاللازم
قال ابوهم لمن حضره اني لاجد ريح يوسف وجده الله تع ما عبق بقميصه من ريح يوسف عم
حين اقبل به يهودا من ثمانين فرسخا لولا ان تفندون التفنيد النسبة الى الفند وهو نقصان
عقل يحدث من الهرم يقال شيخ مفند اى قد فسد رايه ولا يقال عجوز مفندة لان المراة
لم يكن لها عقل اى اصيل فيدخله التفنيد وجواب لولا محذوف اى لصدقتموني او لولا تفنيدكم اياي لقلت
لصدقتموني قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما بالافراط في محبة يوسف
واكثار ذكره والتوقع للقائه فلما ان جاء البشير وهو يهودا روي انه قال كما احزنته
بحمل قميصه الملطخ بالدم اليه افرحه بحمل هذا اليه القاه طرح البشير القميص على وجهه على
وجه يعقوب عم او طرحه يعقوب عم نفسه فارتد بصيرا عاد بصيرا لما انتعش فيه
من القوة قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون من حياة يوسف عم وانزال الفرج
وقيل اني اعلم كلام مبتدا والمقول لا تياسوا من روح الله او اني لاجد ريح يوسف قالوا
يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ومن حق المعترف بذنبه ان يصفح عنه ويسال
له المغفرة قال سوف استغفر لكم ربي اخره الى السحر او الى ان يستحل لهم من يوسف عم او يعلم انه
عفا عنهم لان عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده ما روي انه استقبل القبلة قائما يدعو
وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين حتى نزل جبرائيل عم وقال ان الله
قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعد ذلك على النبوة وهو ان صح فدليل على
نبوتهم وان ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم واما ما قيل اخره الى السحر او الى صلاة الليل

او الى ليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة فباه سوف لانها ابلغ في التنفيس من السين و
على ما ذكر حق العدة ان يكون بالسين ولما وعدهم بالاستغفار الى رجاهم بحصول
الغفران بقوله انه هو الغفور يغفر المعاصي الرحيم يرحم العاصي اذا تاب واستغفر
فلما دخلوا على يوسف قيل وجه يوسف عم الى ابيه اموالا ليتجهز الله بمن معه واستقبلهم
يوسف عم والملك واهل مصر باجمعهم وكان اولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين و
سبعين رجلا وامرأة آوى اليه ابويه ضم اليه اباه وخالته واعتنقهما نزلها منزلة الام
كتنزيل العم منزلة الاب في قوله واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق او لان يعقوب عم
تزوجها بعد امه والرابة تدعى اما وقال الحسن وابن اسحق كانت امه بالحيوة وعلى هذا
لا حاجة الى التاويل وقال ادخلوا مصر والدخول الاول كان في موضع خارج البلد كانه
ضرب لهم مضرب وبيت حين استقبلهم في الطريق فدخلوا فيه ان شاء الله آمنين من القحط
واصناف المكاره والمشية متعلق بالدخول المكيف بالامن لان القصد الى اتصافهم
بالامن في دخولهم ورفع ابويه على العرش اى رفعهما على السرير وخصهما بالذكر تكرمة
لهما دون اخوته وخروا له سجدا تحية وتكرمة له فان السجود كان عندهم يجري مجراها والواو
لابويه ولاخوته والرفع مؤخر عن الخرور وان قدم لفظا للاهتمام بتعظيمه لهما والواو
لا يفيد الترتيب وقيل الضمير لله ويا باهما قوله وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل
رايتها ايام الصبا قد جعلها ربي حقا اذ لا مطابقة بين الرؤيا والواقع وقد احسن بي
حمل على لطف حمل النعت على النظر فعداه بالباء والا فاحسن اصله ان يعدى بالى او باللام
واما التضمين فلا يناسب للمقام لان احدهما يغني عن الآخر فلا فائدة في الجمع بينهما
اذ اخرجني من السجن لم يذكر الجب اكتفاء بدلالة النزع الآتي ذكره عليه لا لصفحا عن ذكر
ما تعلق بفعل اخوته لئلا يكون تثريبا عليهم لانه على تقدير ان يكون خطابه عم لابيه
بمسمع منهم وله دلالة في الكلام عليه وجاء بكم من البدو من البادية لانهم كانوا اصحاب
المواشي واهل عمد قد نقلهم من البدو نعمة اخرى وفي الحديث عن رسول الله عم من
يرد الله به خيرا ينقله من البادية الى الحاضرة اى اصلح حالكم من بعد ان نزغ الشيطان
بيني وبين اخوتي اى افسد بيننا واغوى نزغ بمعنى نخس من نخس الرابض الدابة و
حمله على الجرى وانما ذكر هذا القدر من امر اخوته لان النعمة اذا جاءت اثر بلاء وشدة
كانت احسن موقعا وليت شعري من قال عدم ذكر الجب للاحتراز عن التثريب عليهم
ما يقول في ذكر الفساد الواقع بينه وبينهم والعجب انه قال في تفسير قوله ما فعلتم بيوسف قبح ما
فعلتم به والتثريب فيه اظهر منه في ذكر الجب ان ربي لطيف لما يشاء من الامور ما من صعب الا
وينفذ فيه مشيته ويتسهل بلطف تدبيره انه هو العليم بوجوه المصالح والتدابير الحكيم الذي

يفعل كل شيء بمقتضى الحكمة رب قد آتيتني من الملك وهو ملك مصر ومن قال او بعض ملك
مصر فكانه غفل عن ذكر قوله وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوأ منها حيث يشاء و
علمتني من تاويل الاحاديث بعض تاويلها لانه عم لم يؤت تاويل جميع الكتب والرؤيا
فاطر السموات والارض مبدعهما وانتصابه على الصفة او على النداء انت وليي ناصري
او متولي امري في الدنيا والآخرة او الذي يتولاني بالنعمة فيهما توفني مسلما لما عدد
نعم الله تع تشوق الى لقاء ربه ولحاقه بصالحي سلفه وراى ان الدنيا كلها فانية فتمنى الموت
وقيل لما راى امره على الكمال علم انه على الزوال فسال سعادة الانتقال وليس فيه سؤال التوفي
للحال بل سؤال الختم على الاسلام متى كان فتوفاه الله تع طيبا طاهرا ولقد تواترت الفراعنة
بعده مصر ولم يزل بنو اسرائيل تحت ايديهم على بقايا دين يوسف عم الى ان بعث الله
موسى عم والحقني بالصالحين من ابائي او على العموم وفيه اشكال وهو ان الفلاح اول
درجات المؤمنين ويوسف عم من اكابر الانبياء عم فكيف يليق به ان يطلب لبدايته وحله
ان النفوس المفارقة اذا اشرقت بالانوار الالهية وكانت متناسبة انعكس النور من كل
واحدة الى الاخرى كالمرايا المتقابلة اذا اجتمعت انعكست الصورة من كل واحدة الى الاخرى
ويتقوى الضوء ويكمل السعادة ومن لم يتنبه لهذا قال في الرتبة والكرامة وقيل المراد منها
عند ذكرها على الاطلاق الانبياء عم لكمال حالهم واستجماع خلال الخير فيهم ذلك اشارة الى
ما ذكر من نبأ يوسف والخطاب فيه للرسول عم وهو مبتدأ من انباء الغيب نوحيه اليك
خبران له وان جعلت اسم الاشارة بمعنى الموصول فمن انباء الغيب صلته والخبر نوحيه
اى الذي من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم كالدليل عليهما
والمعنى ان هذا النبأ غيب لا تعرفه الا بالوحي لانك لم تحضر اخوة يوسف حين عزموا
على ما هموا به من ان يجعلوه في غيابة الجب وهم يمكرون ويبغون له الغوائل وبابيه
ليرسله معهم جملة حالية وتفصيل ذلك ان اخباره عم عن هذه القصة لا يكون الا عن مشاهدة
او نقل او وحي ولم يخف على احد من المكذبين انه عم لم يكن من حملة هذا الخبر ولا
اشباله عن قومه فاستغنى عن ذكره لظهوره فكان الشك في انتفاء المشاهدة او وقع
من الشك في انه لا يسمعها من احد ولذكره في غير هذه القصة كقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك
من قبل هذا فاذا انتفت المشاهدة لم يبق الا الوحي ونحوه وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا
الى موسى الامر وما اكثر الناس قال ابن عباس رضي الله عنه يريد اهل مكة ولو حرصت وتهالكت
عن ايمانهم وبالغت في اظهار الآيات عليهم بمؤمنين لعنادهم وتصميمهم على الكفر وما تسألهم
عليه اى على ما تحدثهم به من اجر من جعل كما يفعله حملة الاخبار ونقلة الآثار ان هو الا ذكر
عظة من الله تع للعالمين عامة وكاين وكاي عدد شيء من آية دالة على وجود الصانع و

توحيده وكمال قدرته وحكمته في السموات والارض يمرون عليها على الآيات ويشاهدونها و
المراد ما يرون من آثار الامم الهالكة وغير ذلك من العبر والدلائل وهم عنها معرضون لا يتفكرون
فيها ولا يعتبرون بها فلا عجب ان يعرضوا عن الآيات التي نأتيهم بها وقرئ والارض بالرفع على
انه مبتدأ خبره يمرون فيكون لها الضمير في عليها وبالنصب على ويطؤن الارض وقرئ
والارض يمشون عليها اي يترددون فيها فيرون مشاهد الهالكين في آثارها من الماكثين
اقطارها وما يؤمن اكثرهم بالله في اقرارهم بوجوده وخالقيته للكل الا وهم مشركون
بعبادة غيره من الاوثان او باتخاذ الاحبار اربابا او القول باتخاذه الولد او القول
بالنور والظلمة وامثال ذلك جملة حالية اي ايمانهم ملتبس بالشرك وعن ابن عباس رض
هم الذين يشبهون الله تع بخلقه افامنوا استفهام انكار فيه معنى التوبيخ والتهديد والفاء
للترتيب على ما تقدم وهو مقدم في الاعتبار ان تأتيهم الساعة اي يوم القيمة بغتة فجأة
من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون باتيانها غير مستعدين لها تأكيد لقوله بغتة قل هذه
سبيلي اي هذه السبيل التي هي الدعوة الى دار الايمان والتوحيد سبيلي ادعوا الى الله
على بصيرة اي ادعوا الى دينه في حالة كوني على حجة واضحة غير عمياء حال من الياء في سبيلي
والعامل معنى الاشارة في هذه او بيان وتفسير لسبيله وعلى بصيرة حال من المستكن في ادعو
وانا تأكيد له ومن اتبعني عطف عليه اي ادعوا الى الله انا ويدعو اليه من اتبعني او مرفوع
بما في الظرف من معنى الفعل على الفاعلية اي كائنا او ثابتا على بصيرة انا ومن اتبعني او مبتدأ
خبره على بصيرة والجملة ابتداء اخبار بانه ومن تبعه على حجة وبرهان لا على هوى كغيرهم
وسبحان الله وانزهه تنزيها من الشركاء وما انا من المشركين فيه تعريض بانهم هم المشركون
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا رد لقولهم لو شاء ربنا لانزل ملائكة وعن ابن عباس رض
معناه نفي استنباء النساء يوحي اليهم مما اوحي اليك وتميزوا بذلك عن غيرهم وقرئ نوحي
بالنون من اهل القرى لانهم اعلم واحلم من اهل البدو فان فيهم الجهل والجفاء والقسوة
ولا دلالة في قوله وجاء بكم من البدو على ان يعقوب عم من اهل البدو وانما دلالته على
انه عم كان في البدو وسكنه لمصلحة مواشيه افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل والآيات فيحذروا تكذيبك ومن المشغوفين
بالدنيا المتهالكين عليها فيقلعوا عن حبها ولدار الآخرة اي دار الساعة او الحيوة او الحالة
الآخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي خصوصا على العمل لدار الآخرة والاستعداد لها افلا
تعقلون يستعملون عقولهم ليعرفوا انها خير وقرئ بالتاء حملا على قوله قل هذه سبيلي اي قل
لهم افلا تعقلون حتى اذا استيأس الرسل غاية لمحذوف دل عليه الكلام اي وما ارسلنا من
قبلك الا رجالا مثلك يبلغون الرسالة ويوضحون الدلالة فتراخى نصرهم حتى اذا استيأسوا

عن النصر او عن ايمان قومهم وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم
ينصرون او كذبهم قومهم بوعد الايمان اي لا يغرن قريشا تمادي ايامهم فان الرسل قبلك
قد تطاول عليهم مدة التكذيب وعداوة الكفار وانتظار النصر حتى استشعروا القنوط وتوهموا
ان لا نصر لهم في الدنيا وعن ابن عباس رض وظنوا حين ضعفوا وغلبوا انهم قد اخلفوا ما
وعدهم من النصر وقال كانوا بشرا وتلا قوله تع وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى
نصر الله وقد رواه البخاري في صحيحه فقيل في توجيهه ما يهجس في القلب على سبيل الوسوسة وحديث
النفس بحكم البشرية لا الظن بمعنى الاعتقاد الراجح فانه غير جائز على آحاد المسلمين فكيف بالرسل
ويجوز ان يراد به المبالغة في التراخي والامهال على سبيل التمثيل وقيل فظن المرسل اليهم ان الرسل
قد كذبوا اي اخلفوا وقيل الضمير للمرسل اليهم انهم قد كذبوا من جهة الرسل اي كذبهم الرسل
في انهم ينصرون عليهم وقرئ بالتشديد اي وظن الرسل اي كذبهم الرسل في انهم ينصرون
عليهم انهم قد كذبوا عند قومهم لانهم اذا لم يروا فيما اوعدوا به قومهم من النصر عليهم
اماعي تأويل ابن عباس رض واما على انهم كذبوا عند قومهم لانهم اذا لم يروا لموعدهم اثرا
قالوا ان الرسل قد كذبوا فيكونون كاذبين عند قومهم او ظن الرسل اليهم ان الرسل
قد كذبوا جاءهم نصرنا بغتة فنجي على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرئ فننجي بالتخفيف والتشديد
انجاه ونجاه وقرئ فنجا من نشاء الرسل والمؤمنين وانما ابهم تعظيما لهم وتنبيها على انهم
الذين علم كل احد انهم هم الذين يشاء الله تع نجاتهم ولا يشاركهم فيه غيرهم
ثم بين ذلك بقوله ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين ايذانا بان العذاب مخصوص بالمجرمين
لازم لهم فيلزم نجاة اضدادهم من الرسل واتباعهم ومفعول شاء محذوف تقديره
من نشاء تنجيته لقد كان في قصصهم في قصص الانبياء عم واممهم او في قصص يوسف
واخوته عبرة لاولي الالباب لذوي العقول المبرأة عن شوائب الالف والركون الى الحس
ما كان حديثا يفترى الضمير للقرآن لقوله ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية
وانتصب تصديق على انه خبر كان المحذوفة انما جعله نفس التصديق مبالغة في كونه مصدقا
لما بين يديه وتفصيل كل شيء عبارة بكل للتكثير لا للاحاطة والتعميم كما في قوله تع واوتيت
من كل شيء عبارة بكل للتكثير وقوله وفتحنا عليهم ابواب كل شيء ومن لم يتنبه لهذا احتاج
الى تخصيص الشيء بالذي يتعلق بالدين ثم تكلف في بيانه فقال اذ ما من امر ديني الا وله
سند من القرآن بواسطة او بغير واسطة ولم يدر ان عبارة التفصيل لا تحتمل هذا التاويل
وهدى من الضلال ورحمة ينال بها خير الدارين وقرئ تصديق وتفصيل وهدى ورحمة
كلها بالرفع اي ولكن هو تصديق ولكن على هذه القراءة لعطف الجملة لقوم يؤمنون
يصدقونه خصهم بذلك لانهم هم الذين ينتفعون به كما قال هدى للمتقين

سورة الرعد مدنية وهي خمس واربعون

المر قد مر في تفسيرها فاد بل وقيل معناها انا الله اعلم وارى تلك اشارة الى ايات السورة اي
اي تلك الايات العظام ايات السورة الكاملة العجيبة في بابها والذي انزل اليك من ربك
يعني القران كله ومحله الرفع على الابتداء وخبره الحق اي هو الحق الذي لا مزيد عليه لا هذه السورة
وحدها وفي ايقاع الموصول مسندا اليه تفخيم المنزل او ثبت تلاوته وحكم بخلاف ساير الكتب
الالهية وتعريف الحق انه هو الذي اذا تحققت الحق وماهيته فهو هو لا غير والمراد الاخبار
عنه بكمال الحقيقة حيث ثبت على مر الدهور ولم يتطرق له التحريف والتغيير فلا دلالة فيه
على ان غير المنزل اليه ليس بحق اصلا فلا حاجة الى تعميم المنزل ضمنا بل لا وجه له بعد التصريح بان
المراد منه القران كله على انه لا يجدي نفعا في دفع النقض بحقيقة ما نزل الى ساير الانبياء عم و
درجة في الذي انزل اليه عم ضمنا باعتبار انه نطق بحسن اتباعه ما لا يخفى من التعسف وهو
بعد التسليم والتي يؤدي الى ان يكون ترك قوله اليك خيرا من ذكره ولكن اكثر الناس لا يؤمنون
اي لا يصدقون بانه منزل من الله تع لاعراضهم عن النظر فيه او اخلالهم بحق التامل في
وجوه اعجازه الله الذي مبتدأ وخبر ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر يدبر الامر و
الجملة الثانية كالحجة على الجملة الاولى وطريقتها طريقة الانمارية في الكلمة من بني عبس هم كالحلقة
المفرغة لا يدرى اين طرفاها اي كما انها تمنعت التفاضل حذرا باثبات الكمال لكل واحد دلالة
على ان كمال كل لا يحيط به الوصف او هو اجمال بعد التفصيل لهذا الغرض كذلك لا يختص به
سورة دون اخرى للدلالة المذكورة رفع السموات اي خلقها مرفوعة لا ان يكون موضوعة
فرفعها بغير عمد جمع عماد كاهاب واهب او عمود كاديم وادم وقرئ عمد كرسل والعمود
السارية واصله منع الميل ومنه الاعتماد والاسطون غير مرادف له ترونها استيناف
للاستشهاد برؤيتهم السموات كذلك وقيل هي صفة لعمد وفيه ايهام ان يكون لها عمد غير
مرئية ومقتضى المقام نفي العماد اصلا وذكره بصيغة الجمع للتعدد في السماء وقرئ ترونه
اي ترون رفعها بغير عمد والاول اولى لان قوله وهو الذي مد الارض عطف عليه على
سبيل التقابل بين العلويات والسفليات وفي المقابل تعين الخبرية فكذلك فيه ليتوافقا و
لدلالته على ان كونه كذلك هو المقصود بالحكم لانه ذريعة الى تحقيق الخبر وتعظيم كما هو
مقتضى الوجه الآخر قيل هو دليل على وجود الصانع الحكيم فان ارتفاعها على ساير الاجسام
المساوية لها في حقيقة الجسمية الجرمية واختصاصها بما تقتضي ذلك لا بد وان يكون بمخصص
ليس بجسم ولا جسماني يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته وعلى هذا المنهاج ساير ما
ذكر من الايات ولا يخفى ان مبنى تلك الدلالة على ثبوت المساواة المذكورة ولا دليل عليه لا من

جهة العقل ولا من جهة النقل ثم استوى على العرش بالحفظ والتدبير ولفظ ثم مستعار للتراخي
في الرتبة وسخر الشمس والقمر اي ذللهما وجعلهما طائعين له غير ممتنعين عليه وقصرهما على
سنن واحد منهما كما قال والشمس تجري لمستقر لها والقمر قدرناه منازل وقال والشمس والقمر
بحسبان اي بحسا معلوم لا يختلف وهذا ايضا من جملة التدبيرات لمنافع العباد ومصالح
البلاد بخلاف ما قيل يجري لغاية مضروبة ينقطع دونها سيره وهي اذا الشمس كورت و
اذا النجوم انكدرت فلا يناسب الفصل به بين التسخير والتدبير ثم ان غايتهما الا كونها
متحدة والتعبير بكل يجري صريح في التعدد والغاية الى دون اللام يدبر الامر يدبر امر
ملكوته وربوبيته في الايجاد والتصرف نحو المراد يفصل الايات اي ياتي بالايات الدالة على
القدرة والتدبير فصلا فصلا التمكن من تدبر كل آية على حدة لعلكم بلقاء ربكم توقنون فان
من تدبر هذه الايات وتفكر فيها ايقن ان من قدر على خلق هذه الاشياء وتدبيرها قدر
على الاعادة والجزاء فلا بد من الرجوع اليه بمقتضى وعده والجملتان اما حالان من الضمير في قوله
ثم استوى على العرش وقوله وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى من تتمته لانه تقرير
لمعنى الاستواء وتبيين له واما مفسرتان له وفي تعقيب الاول بالايقان والثاني بقوله ان
في ذلك لايات لمن يتفكر من فضل السابق لافادتها اليقين واللاحق ذريعة الى حصوله
لان الفكر الذي والاشارة الى تقدم الثاني بالنسبة الى الناحر رتبة وكل ذلك فائت على
تقدير جعل الموصول وصفا لما قرر الدلائل السماوية اردفها بتقرير الدلائل الارضية فقال
وهو الذي مد الارض اي بسطها طولا وعرضا ليثبت فيها الاقدام ويتقلب عليها الحيوان
ولما كان مظنة ان يقال لولا فيها من الجبال لكان السفر فيها ايسر ومواضع التقلب اكثر دفعه
ببيان الفائدة في خلقها بقوله وجعل فيها رواسي من الرسو وهو ثبات الجسم الثقيل وقراره
ومنه ارسى السفينة والمرسى كانت الارض مضطربة فثقلها الله تع بالجبال في اجزائها فزال اضطرابها
ولما غلب على الجبال وصفها بالرواسي صارت الصفة تغني عن الموصوف فجمع جمع الاسم
كحايط وحوايط وكاهل وكواهل كذا قيل والتحقيق ان فاعل يجمع على فواعل اذا كان لغير العاقل
على ما نص عليه الجوهري وانهارا الانهار المجاري الواسعة والمراد ما يجري فيها من المياه وفي
ضمها الى الجبال وتعليق الفعل الواحد بهما ايماء الى ان الجبال اسباب لتولدها ولهذا كثر
قران ذكرها في القران ومن كل الثمرات متعلق بجعل في قوله جعل فيها زوجين اثنين
ان الزوجين قد يكون اسما للشفع وقد يكون اسما للفرد المقارن لشبهه فاتبعه اثنين
ليعلم انه لم يرد به الشفع اي جعل من انواع الثمرات فيها صنفين متقابلين كالابيض و
الاسود والحلو والحامض والكبير والصغير واما ما قيل خلق فيها من جميع انواع الثمرات
زوجين زوجين حدها ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت ففيه انه دعوى بلا دليل مع

ان الظاهر خلافه فان النوع الناطق المحتاج الى الزوجين خلق ذكره اولا فكيف في الثمرات
وتكون واحد من كل ولا كان في التولد وعبارة كل للتكثير لا للاحاطة حتى يلزم ان يوجد
في الارض صنفين من انواع الثمرات التي في حيز الامكان يغشي الليل النهار استعارة تبعية
فانه شبه نور اخفاء نور الجو وستره بالظلمة بالتغشية اي يغطي الليل النهار فيذهب ضوءه
ويغشي النهار فيذهب ظلمته فهو مختصر في الذكر مراد في المعنى بدليل نظائره ان في ذلك لآيات
لقوم يتفكرون فيها فان تكونها وتخصصها بوجه دون وجه دليل على وجود قادر مختار و
في الارض عدل عن الضمير الى الظاهر لان المتبادر منه الظرفية كما في قوله جعل فيها والمراد ان
يكون في نفسها كون الجزء في الكل قطع وفي بعض المصاحف قطعا على وجعل وح يكون الاصح
الى وجه العدول اظهر متجاورات بقاع مختلفة مع كونها متجاورة مثلا صفة طيبة الى سبخة
وكريمة الى زهيدة ودخوة الى صلبة بعضها يصلح للزرع والضرع دون الشجر والثمر وبعضها
بالعكس وفي ذلك من الدلائل الناطقة بانه القادر على ما يشاء من تخصيص كل واحدة بخاصية
تضاد ما في الاخرى مع اتحادها في الطبيعة الارضية وما يلزمها وما يعارض لها بتوسط ما كذا
من الاسباب السماوية من حيث انها متضامة متشاركة في النسب والاوضاع وكذا الكروم و
الزروع والنخيل النابتة في قطعة واحدة من تلك القطاع مختلفة الاجناس والانواع متفاوتة
الثمرات في الوانها واشكالها وطعومها وروائحها متفاضلة فيها ومن يسقى بماء واحد في ارض
واحدة وجنات من اعناب وزرع ونخيل وبساتين فيها انواع الاشجار والزروع و
توحيد الزرع لانه مصدر في اصله والفصل به بين نوعي جنس واحد وهو من جنس واحد
فيه من الفضل حيث كان به قوام المعاش وقرئ وزرع ونخيل بالرفع عطفا على جنات
وقرئ جنات بالنصب عطفا على زوجين وبالجر عطفا على كل الثمرات صنوان جمع صنو وهي
نخلة ذات ساقين تفرعا من اصل واحد وغير صنوان ومتفرقات مختلفة الاصول وقرئ بالضم
كقنوان في جمع قنو تسقى بماء واحد وقرئ يسقى بالياء على تاويل ذكر اجزاء للضمير يجري سم الاثنان
ونفضل بعضها على بعض في الاكل قرئ بضم الكاف وسكونها وقرئ يفضل بالنون والياء على
البناء بين جميعا والبناء للفاعل يطابق ليدبر وانما خص التفضيل في الاكل بالذكر مع وجود
وجوه التفاضل في غيره لانه غالب وجوه الانتفاع من الثمرات ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون
يستعملون عقولهم للتفكر وفيه اشعار بان العاقل اذا لم يستعمل عقله لما خلق له فكانه لا يعقل
وان تعجب يا محمد او يا ايها السامع الموحد من قولهم في انكارهم للبعث فعجب فحقيق بان يتعجب
منه قولهم وتقديم الخبر للتخصيص اي ما قولهم لا عجب لا عجب منه لان من قدر على انشاء ما
عدد من الفطر العجيب كان على الاعادة اقدر اذ الاعادة اهون من الابداء وايسر فانكارهم
اعجوبة من الاعاجيب أئذا كنا ترابا في محل الرفع بدلا من قولهم او في محل النصب بالقول

واذا نصب بما دل عليه قوله أئنا لفي خلق جديد اي لفي صدد ذلك بعد ما كنا ترابا وهذا ابلغ
في الانكار اولئك المنكرون الذين كفروا بربهم هم المتمادون في الكفر بربهم لانهم كفروا بقدرته
على البعث واولئك الاغلال في اعناقهم اي المعرقون الذين لا يمكنهم النظر والاستبصار و
دفع الرؤوس الى ما دعوا اليه وعلى الاعناق تمثيل كقوله انا جعلنا في اعناقهم اغلالا او كونه ان
يكون وعيدا لما بعده واولئك اصحاب النار في تكرير اولئك تعظيم لانكارهم وتاكيد في تقبيحه
وبيان استيجابهم العذاب الابدي لذلك اي انهم اذ انكروا ما ثبت بهذه الدلائل الدالة
على قدرة المبدئ على الاعادة دلالتها على الابداء بل اقوى فاقبح انكارهم واشد امرهم و
ما احقهم بالخلود بالكفار فان عبادته وان كانت مخصوصة منهم وهم المنكرون للبعث لكن
دلالته تعم سائر الاوصاف ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة بالعقوبة قبل العافية وذلك
انهم استعجلوا بما هددهم به من عذاب الدنيا استهزاء وانكارا وقد خلت من قبلهم المثلات
عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا حلول مثلها والمثلة بوزن
السمرة العقوبة لانها مثل المعاقب عليه وقرئ المثلات على انها جمع مثلة كركبة وركبات وهي
العقوبة المستاصلة كقطع الانف والاذن ونحوهما وان ربك لذو مغفرة للناس اللام
للعهد والمعهود هم المستعجلون المذكورون والمراد من المغفرة الستر والامهال على ظلمهم في محل
النصب على الحال والعامل فيه المغفرة اي ظالمين انفسهم اي ظالمين فانه على ابلغ من مع وان
ربك لشديد العقاب للظالمين فلا يمهل وان كان يمهل فلا دلالة في الآية على جواز العفو قبل
التوبة لان مبناها على حمل المغفرة على التوبة وهو غير مسلم عند المخالف ويقول الذين كفروا
لولا انزل عليه آية من ربه لعنادهم وعدم اعتدادهم بالآيات المنزلة على رسول الله عم وكانهم
مقترحين مثل آيات موسى وعيسى عم انما انت منذر مرسل للانذار والتخويف من سوء
العاقبة كغيرك من الرسل لا الاتيان بما اقترحوا عليك وما عليك الا الاتيان ما يصح به نبوتك من الآيات
والآيات كلها سواء في ذلك ولكل قوم هاد نبي مخصوص بمعجزات من جنس ما هو الغالب عليهم
يهديهم الى الحق بوجه من الهداية التي يخصهم او قادر على هدايتهم وهو الله تع اي ما عليك الا
الانذار فلا يهمنك عنادهم وانكارهم للآيات المنزلة عليك فليس لك هدايتهم ولست
بقادر عليها انما القادر على ذلك هو الله تع لكنه لا يهدي الا من يشاء من اياته ثم عقبه
بما دل على كمال علمه وقدرته وتقديره للاشياء على مقتضى حكمته تنبيها على انه عالم باحوال
الانبياء عم والامم قادر على انزال مقترحاتهم ولكن الامر مقدر عنده على ما يجب
ان يكون عليه من حكمة من تخصيص كل نبي بما خص به من الآيات واما ما قيل وعالم بهم قادر
على هدايتهم لكنه لم يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر فرجع الى التصحيح مبني مذهب الجبرية
الله يعلم ما تحمل كل انثى اما استفهام لبيان سبب لامتناع من انزال ما اقترحوا وما جعلنا

الاولى تفسير لهاد اى هو الله الثانية ابتداء كلام لبيان كون الكل بعلمه وتقديره ويجوز ان
يكون جملة قوله الله يعلم مقررة ويكون من باب اقامة الظاهر مقام المضمر كانه قيل هو
يعلم اى ذلك الهادى ما تحمل كل انثى او حملها انه على اى حال من الاحوال الحاضرة فالمترقبة وما
تغيض الارحام وما تزداد وما تنقصه وما تزداده فى الجثة والمدة والعدد وقيل المراد بالغيض
دم الحيض والازدياد وغاض جاء متعديا ولازما وكذا ازداد قال تعالى وازدادوا تسعا
فان جعلا لازمين ينبغى ان يكون ما مصدرية واسنادهما الى الارحام على المجاز فانهما لله تعالى
او لما فيها وكل شىء عنده بمقدار بقدر وحد من جهة الكمية والكيفية والزمان لا يجاوزه ولا
ينقص عنه والمراد من العندية الحضور العلمى اى هو عالم بكميته بكل شىء وكيفيته ووقت حدوثه
فيهيئ له اسبابا مسوقة يقتضى ذلك وهذه الجملة مقررة لما تقدم وليس فى الانفصال كالتى
بعدها ولذلك وصل هذه له وفصل هى عما قبلها عالم الغيب الغائب عن الحس والشهادة الظاهرة
الكبير العظيم فى شانه وسلطانه المتعال المستعلى على كل شىء بقدرته فلا يخرج شىء عن حكمه كما
لا يعزب عن علمه سواء منكم من اسر القول اى اخفاه فى نفسه ومن جهر به اظهره لغيره ومن
هو اى وسواء من هو مستخف بالليل طالب للخفاء فى مختبأ من الليل وسارب بارز بالنهار
والنكتة فى زيادة هو فى الاول انه الدال على كمال العلم فناسب زيادة تحقيق وهو النكتة
ايضا فى تقديم اسر واعماله فى صريح القول على جهر واعماله فى ضميره وفى حذف الموصوف من
سارب على الوجه الاول له لمن اسر وجهر واستخفى او سرب معقبات ملائكة يعتقب
فى حفظه جمع معقبة من عقبه مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه لان بعضهم يعقب بعضا على
الدوام او لانهم يعقبون ما يفعله ويتكلم به فيكتبونه والتاء للمبالغة او لانها جماعات
ومن وهم ان اصله معتقبات ادغمت التاء فى القاف كقوله وجاء المعذرون اى المعتذرون
فقد وهم لما نص عليه النحويون من ان التاء لا تدغم فى القاف والقاف فى التاء الا من كلمتين و
لا من كلمة ثم ان المعذرون لا يتعين ان يكون اصله المعتذرون وقرئ معاقيب جمع معقب
او معقبة والياء عوض من حذف احدى القافين من بين يديه ومن خلفه من جوانبه يحفظونه
من امر الله اى من الافات التى لا يمكن دفعها باسباب عادية والانسان ليس فى وسعه التحرز عنها
فالله تعالى يلطفه عين له حفظة يحفظونه من هذا النوع من الافات قال النبى عم وكل بالمؤمن
مائة وستون ملكا يذبون عنه كما تذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد الى نفسه
طرفة عين لاختطفه الشياطين وانما خص هذا النوع من الافات بالاضافة الى غيره تعالى
وان كان كلها بامره تعالى لعدم ظهور اسبابها العادية منه هذا ما عندى والذى ذكره القوم
انه صفة لمعقبات يحفظونه اى له معقبات ثابتة من امر الله يحفظونه من اجل امر الله اى من اجل
ان الله تعالى امرهم بحفظه ولا يدل عليه قراءة بامر الله لجواز تعلقه بالثانى اى معقبات بامر الله

او يحفظونه من بأس الله اذا اذنب بالاستغفار والاستمهال عسى ان يتوب وقيل المراد من
المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه فى توهمه من قضاء او على التهكم به
ان الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة الى البلاء والنقمة حتى يغيروا ما بانفسهم من الصلاح
والطاعة الى الفساد والمعصية واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له والعامل فى اذا ما دل
عليه الجواب وما لهم من دونه من وال ممن يلى امرهم فيدفع عنهم السوء او يرفعه بالعنف او
باللطف اى لا دافع ولا رافع ولا شافع فلا نافع اصلا وانما الدلالة على ان خلاف مراد الله تعالى محال
فالاية ساكتة عنها هو الذى يريكم البرق خوفا من ضرره وطمعا فى نفعه اذ لمع البرق ويخاف
الصواعق ويطمع فى الغيث كما قال ابو الطيب فتى كالسحاب الجون تخشى وترتجى يرجى الحيا منها و
تخشى الصواعق او يخاف عنده المطر من له فيه ضرر فان الغيث لا يخلو عن العبث ويطمع فيه
من له فيه نفع وانتصابهما على الحالية من المخاطبين اى يريكم خائفين طامعين او من البرق كانه
فى نفسه من شدة ما يخاف ويطمع فيه عين الخوف والطمع او ذا خوف وذا طمع او مفعول
لهما على ان المخاطبين لا يتبع لانهم لانهم متضمن لرؤيتهم والخوف والطمع من احوالهم من
حيث انهم فاعلوا الفعل المعلل الذى هو الرؤية فيرجع المعنى الى معنى فتعقدت عن الحرب
جبنا فيكونان مفعولا لهما او على تقدير حذف المضاف اى ارادة خوف وطمع بمعنى اخافة
واطماعا وينشئ السحاب الغيم المنسحب فى الهواء الثقال جمع ثقيلة وانما وصف به لانه اسم
للجنس فى معنى الجمع ويسبح الرعد عن ابن عباس رض سئل النبى عم عن الرعد ملك موكل بالسحاب
مع مخاريق من نار يسوق بها السحاب بحمده ملتبسا به ويجوز ان يكون التسبيح والحمد الى
الى الرعد مجازا من باب الاسناد الى السبب فالمعنى فاعلية الفاعل ان يسبحوا سامعى الرعد من
العباد الراجين للمطر حامدين لله تعالى يصيحون سبحان الله والحمد لله ولما كان الرعد باعثا
لتسبيحهم وتحميدهم فكانه يسبح ويحمد وهذا الوجه اولى لان الرعد فى المتعارف يقع
على الصوت المخصوص وهو الذى يقرن بالذكر مع البرق والسحاب والكلام فى ارادة
الايات الدالة على القدرة الباهرة وايجادها وتسبيح ملك الرعد لا يلايم ذلك اما حمل الصوت
المخصوص للمعنى على التسبيح والحمد فشديد الملايمة واذا حمل على الاسناد حقيقة فالوجه
ان يكون اعترافا دالا على اعتراف الملك الموكل بالسحاب وساير الملائكة بكمال قدرته تعالى
وجحود الانسان ذلك والملائكة ويسبح الملائكة من خيفته من خوف الله تعالى واجلاله وقيل
الضمير للرعد ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء اصابته فيهلكه وهم يجادلون فى الله
اى والذين كفروا وكذبوا رسول الله عم يجادلون فيما وصفه به من كمال العلم والقدرة و
المتفرد بالالوهية والاعادة والجزاء بعد مشاهدتهم الايات المذكورة تقولهم من يحيى
العظام وهى رميم واتخاذهم الانداد ونسبتهم الولد اليه فالواو لعطف الجملة على الجملة

والمعطوف عليه قوله ويقول الذين كفروا المعطوف على ويستعجلونك والعدول لعله الفعلية
الى الاسمية وطرح رعاية التناسب للدلالة على انهم ما ازدادوا بعد الآيات الا عنادا
فزادتهم رجسا الى رجسهم ويجوز ان يعطف على قوله هو الذى يريكم على معنى هو الذى
يريكم هذه الآيات الكوامل الدالة على القدرة والرحمة وانتم تجادلون فيه وهذا اقرب ماخذا
والاول املاء بالفايدة وقيل للحال اى فيصيب بها من يشاء فى حال جدالهم وهو التشدد
فى الخصومة من الجدل وهو الفتل ووجه هذا ان اربد اخا لبيد العامرى وفد على رسول الله
مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله فاخذه عامر بالمجادلة ودار اربد من خلفه ليضربه
بالسيف فتنبه له الرسول عم وقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله تع على اربد الصاعقة
فقتله ورمى عامرا بغدة فمات فى بيت سلولية وهو يقول غدة كغدة البعير وموت
فى بيت سلولية فنزلت وهو شديد المحال قوى الكيد لاعدائه يأتيهم
بالهلاك من حيث لا يحتسبون المحال المماحلة وهى شدة المماكرة والمكايدة ومنه تمحل لهذا
اذا تكلف له استعمال الحيلة واجتهد فيه وقرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول محالا
اذا احتال ومنه احول من ذئب اى اشد حيلة منه ويجوز ان يكون شديد المحال على هذه
القراءة مثلا فى القوة والقدرة كما جاء فساعد الله اشد وموساه احد لان الحيوان
المحالة وهى الفقارة فيكون معناه شديد الفقار والحيوان اذا اشتد فقاره كان منعوتا
بشدة القوة له دعوة الحق اى الدعاء الحق فانه الذى يحق ان يعبد ويدعى الى عبادته
دون غيره او له الدعوة المجابة فان من دعاه اجاب ويؤيده ما بعده والحق على الوجهين
ما يناقض الباطل واضافة الدعوة اليه للملابسة بينهما او على تأويل دعوة المدعو الحق وقيل
الحق هو الله تع وكل دعاء اليه دعوة الحق والجملتان على الوجه الاول وعيد للكفرة على مجادلتهم
الرسول عم بحلول محاله بهم وتهديد لهم باجابة دعوته عم عليهم او بيان ان دعوته عم
الى التوحيد حق وعلى قصة اربد ونزول الآية فيها فمعناهما ان اصابته بالصاعقة واصابة
صاحبه بالغدة محال من الله تع ومكر به من حيث لا يشعر وان دعوة رسول الله عم تنوبه
اللهم اكفنيهما بما شئت دعوة الحق وان دعوتهم لالهتهم ضلال باطل لتخصيص دعوة الحق
به والذين يدعون من دونه اى والآلهة الذين يدعوهم من دون الله تع لا يستجيبون
لهم بشئ من طلباتهم الا كباسط كفيه الى الماء الا استجابة كاستجابة باسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه
اى كاستجابة من بسط كفيه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه وما هو ببالغه لانه جماد لا يشعر
بدعائه ولا بعطشه ولا يقدر على اجابته فكذلك آلهتهم لانها جمادات كالماء وقيل شبهوا فى عدم
جدوى دعائهم لآلهتهم بمن بسط كفيه ناشرا اصابعه الى الماء ليغرفه الى فيه فلم يمسك كفاه
منه شيئا ولم يبلغ صاحبه من شربه لان الماء يحصل بالقبض عليه لا بالبسط اليه فهو على الاول

من تشبيه المركب بالمركب للتمثيل فى الاصل ابوزنى فى معرض التهكم حيث اثبت انهما استجابتا
زيادة فى التحسير وعلى الثانى من تشبيه المفرد المقيد بمثله كقولك لمن لا يحصل من سعيه شئ
كالراقم على الماء وكذلك لما نحن فيه وما دعاء الكافرين الا فى ضلال الا فى ضياع لا فايدة له اما
ضياع دعائهم لآلهتهم فظاهر واما ضياع دعائهم لله فلانه لا يجيبهم لكفرهم وبعدهم عن
حيز الاجابة ولله يسجد من فى السموات والارض الظاهر ان السجود على حقيقته ولهذا خص
بالذكر من المخصوص بالعقلاء ويشهد له قوله طوعا وكرها الساجدون له تع طوعا هم الملائكة
والمؤمنون من الثقلين والساجدون كرها من ضمه السيف الى الاسلام وانتصابهما على الحال
وظلالهم اى ويسجد ظلالهم والسجود ههنا بمعنى الانقياد لامره تعالى ولهذا آخره عن قوله
طوعا وكرها وانقيادها التصرف بها من جانب الى آخر على ما افصح عنه فى قوله اولم يروا
الى ما خلق الله من شئ يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله قال الفراء الظلل مصدر يعنى
فى الاصل ثم اطلق على الخيال الذى يظهر للجرم عند مسامته للشمس بالغدو والآصال ظرف
يسجد المقدر او حال من الظلال وقد مر تفسيرهما فى سورة الاعراف والمراد بهما تمام النهار
قل من رب السموات والارض اى خالقهما ومتولى امرهما قل الله حكاية لاعترافهم وتاكيد عليهم
اى لم يكن لهم بد من ان يقولوا الله فهم والخصم فى الجواب سواء لكونه من البين الذى لا مراء فيه
لقوله قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله فهو قول المناظر لصاحبه
اهكذا قولك فاذا اعترف به حكاه تقريرا له واستيثاقا ثم يقول له فيلزمك كذا وكذا فيبكته
بالحجة او تلقين اى ان تلعثموا فى الجواب لعلمهم بما يلزمهم من الحجة بناء على اقرارهم فلقنهم
فانهم يتلقونه ولا يقدرون ان ينكروه قل افاتخذتم من دونه اولياء الزام وتقريع وتوبيخ
اى ابعد ان علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه اولياء فجعلتم ما هو سبب
التوحيد من علمكم واقراركم سبب الشرك فالفاء عاطفة للتسبيب والتفريع دخلت الهمزة عليه لانكار
المنكر الاتخاذ بعد العلم لا العلم لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يقدرون ان يجلبوا اليها
نفعا او يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون انفاع الغير ودفع الضر عنه وهو دليل ثان
على ضلالهم وفساد رايهم فى اتخاذهم اولياء رجاء ان يشفعوا لهم قل هل يستوى الاعمى
والبصير تمثيل للمشرك الجاهل الذى لا يهتدى والموحد العالم المهتدى الهادى ام هل تستوى
الظلمات والنور تمثيل للشرك والضلال والتوحيد والهداية ام جعلوا لله شركاء بل جعلوا
والهمزة للانكار وقوله خلقوا كخلقه صفة لشركاء داخلة فى حكم الانكار ومعنى الاضراب ان
تعكسهم ذلك لما لم يكن عن شبهة فضلا عن حجة كان حكاية ذلك داخل فى ذمهم فيطرف
من التهكم فتشابه الخلق عليهم وخلقهم اى انهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه
عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله تع فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم

وعندى ان السجود على المعنى العام المتناول
على تقدير الجمع بين الحقيقة والمجاز
[illegible] ومن تغليب العقلاء
مسلم

اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق
بنة على مكان الشبهة نافيا ناعيا عليهم ومتهكما بهم وليس من ارخاء العنان والتدريج
في شيء قل الله خالق كل شيء ولا خالق غيره فيشاركه في العبادة جعل الخلق موجب العبادة
ولازم استحقاقها ثم نفاه عمن سواه ليدل على قوله وهو الواحد المتوحد بالالوهية
والربوبية القهار لكل شيء فما سواه مغلوب مقهور له فكيف يستقيم ان يكون له شريك
انزل من السماء من جهتها ماء التنكير للتكثير وباعتباره صح التفريع في قوله فسالت
اودية جمع واد وهو الموضع الذي يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء الجاري
فيه وتنكيرها لان المطر يأتي على تناوب بين البقاع فتسيل في بعض الاودية دون بعض
وكذا في الممثل له ليس كل قلب قابلا بل بعض منها دون بعض بقدرها الذي علم الله تعالى انه
نافع غير ضار او بمقدارها في الصغر والكبر فاحتمل السيل زبدا احتمل بمعنى حمل فجاء
فيه افتعل بمعنى المجرد كاقتدر وقدر وعرف السيل لانه عني به ما فهم من الفعل والزبد
كدر الجوهر السيال وخبثه المتميز منه بالحركة والخضخضة والغليان رابيا منتفخا مرتفعا
على وجه الماء ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع عبارة جامعة لانواع الفلز
على وجه التهاون به حيث لم يدرك الانواع باسمائها بل اجمل بذكر وصفها في اخس الاحوال
واهانها بالايقاد كما هو عبارة الملوك اظهارا لكبريائه زبد مرفوع بالابتداء وخبره مما
توقدون وقرئ يوقدون بالياء اي الناس واضماره للعلم به ومن لابتداء الغاية او
للتبعيض اي منه زبدا وبعضه زبد وانتصب ابتغاء على انه مفعول له والحلية ما يعمل للنساء
مما تتزين به من الذهب والفضة والمتاع مما ما يتخذ من الحديد والنحاس وما يشبههما من
الآلات التي هي قوام العيش كالاواني والمساحي والآت الحرث والحرب وغير ذلك والمقصود منه
بيان منافعها زبد مثله مثل زبد الماء والمماثلة في كونهما يتولدان من الاوساخ والاكدار كذلك
مثل ذلك الضرب يضرب الله الحق والباطل مثل الحق والباطل فذلكة وتنبيه وكذلك يضرب
الله الامثال تأكيد له وتفخيم فاما الزبد من السيل والفلز المذاب فيذهب جفاء مجفوا اي
مرميا به يقال جفأت القدر بزبدها وجفاء السيل رمى به واجفاء السيل واجفل وقرئ جفالا
والمعنى واحد وانتصابه على الحال واما ما ينفع الناس من الماء وخلاصة الفلز فيمكث في الارض
مدة طويلة ينتفع به اهلها كذلك يضرب الله الامثال لايضاح المشتبهات قدمنا في تكثير الامثال
في الكتب الالهية وكلمات الحكماء من الفوائد ولما ضرب الظلمات والاعمى مثلا للباطل واهله و
النور والبصير مثلا للحق واهله اكد التمثيل الاخير وهو قوله ام هل تستوي الظلمات والنور
بهذا المثل لان الغرض اثبات الحق وابطال الباطل فمثل الحق من العلم النازل الى الرسول عم
بالماء الذي ينزل من السماء والقلوب الصافية والفهوم الصائبة بالاودية وقبولها له

بقدر استعدادها بسيلانها بقدر سعتها والباطل من الجهالات والشكوك والشبه التي تنفيها العلم
بالزبد الذي يرمي به السيل وكذا شبه الحق من العمل الصالح الصحيح بالفلز الذي ينتفع به الناس
باتخاذ الحلي والاواني الامتعة منه والعمل الفاسد الباطل في اضمحلاله وسرعة زواله بزبده
وانتفاء الشكوك والشبه والاعمال الفاسدة وكونه هباء في الآخرة وبقاء الحق من العلم والعمل
وحصول سعادة الدارين بهما والثواب الابدي والنعيم السرمدي بانتفاء الزبدين في
اضمحلالهما سريعا وبقاء ما ينتفع من الماء بالسقي والحرث والزرع وسرايته في عروق الارض الى
منابعه ولنبوع العيون والقني منه ومن الفلز بصوغ الحلي واتخاذ الآنية والات الحرث والحرب منه
للذين استجابوا لربهم الحسنى كلام مستأنف بعد ضرب الامثال وتمام الكلام فيه والحسنى مبتدأ
خبره للذين استجابوا اي للذين استجابوا المثوبة الحسنى والذين لم يستجيبوا له مبتدأ خبره
لو مع ما في حيزه اي الجملة الشرطية والواو عاطفة الجملة على الجملة وقيل اللام في للذين متعلقة
بيضرب والحسنى صفة لمصدر استجابوا اي الاستجابة الحسنى والذين لم يستجيبوا عطف على
الذين استجابوا وقوله لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به كلام مبتدأ في ذكر
ما اعد لغير المستجيبين والمعنى كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين والكافرين اي هما مثلا الفريقين يعني
بين مثلي سبيلهما او دينهما اولئك لهم سوء الحساب المناقشة فيه وعن النخعي ان يحاسب
المذنب بذنبه كله لا يغفر له منه شيء ومأواهم مرجعهم بعد الحساب جهنم وبئس المهاد المستقر
والمخصوص بالذم محذوف وفي المهاد تهكم بهم على ما تقدم بيانه في تفسير سورة الاعراف
افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق فيستجيب كمن هو اعمى عمي القلب لا يستبصر فيستجيب
لما ذكر تعالى مثل المؤمن والكافر وذكر ما للمؤمن والكافر من الثواب والعقاب ذكر استبعاد من
تمثلهما سواء وانكر ذلك متفرعا على ما تقدم فالفاء للعطف على وجه التفريع وانما قدمت
همزة الاستفهام وهي مؤخرة معنى لان له صدر الكلام انما يتذكر اولوا الالباب ذوو العقول
المبرأة عن مشايعة الالف ومعارضة الوهم الذين يوفون بعهد الله مبتدأ خبره اولئك لهم
عقبى الدار او صفة لاولي الالباب وح يكون اولئك لهم استئنافا للصفات من استوفت عنهم
اي اولئك الموصوفون بتلك الصفات دلالة على ان استحقاقهم لعقبى الدار انما كان بسبب تلك
الصفات والاول اوصل لان عطف الجملة الثانية وهي قوله والذين ينقضون عهد الله اولئك
لهم اللعنة يشهد بذلك وعهد الله ما عقدوه على انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا
بلى او ما عهد الله عليهم في كتبه ولا ينقضون الميثاق ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله
تعالى وبينهم وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل من
الارحام والقرابات وموالاة قرابة رسول الله عم وموالاة المؤمنين كلهم بالاخوة الايمانية
ومراعاة حقوقهم بالاحسان والشفقة والنصيحة ويخشون ربهم فلا يعصونه هيبة وحياء و

و رهبة ولا يخالفونه في شيء مما ويخافون سوء الحساب خصوصا فيحاسبون انفسهم قبل ان
يحاسبوا والذين صبروا عما تحبه النفس بالهوى وعلى ما تكرهه ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه
خاصة لا نظرا الى الخلق رياء وسمعة او الى النفس زينة وعجبا جاءت الصلة هنا بلفظ الماضي و
في الموصولين قبل و ما عطف عليهما لان حصولها مترتب على حصول الصبر وتقدمه عليها وكونه
مما لا بد منه في حصول التكاليف لم يأت صلة في القرآن الا بصيغة الماضي واقاموا الصلوة المفروضة
وانفقوا مما رزقناهم بعضه الذي وجب عليه انفاقه سرا لمن يمنعه المروة ان يأخذه وعلانية
لمن لا تمنعه قيل او مما رزقناهم سرا وعلانية تتناول النوافل لانها في السر افضل والفرائض لانها
بالجهر افضل نفيا للتهمة و يا به التخصيص المستفاد من تقديم الجار والمجرور في الخبر ويدرءون بالحسنة
السيئة يدفعونها اي يجازون الاساءة بالاحسان او يتبعون السيئة بالحسنة فتمحوها
اولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا وما ينبغي ان يكون مآل اهلها وما يصح ان يكون عاقبة وهي
الجنة جنات عدن بدل من عقبى الدار والعدن في الاصل الاقامة ثم صار علما للجنة من الجنان السبع
على ما مر تفصيله في تفسير سورة البقرة يدخلونها ومن صلح عطف على الضمير المرفوع في يدخلونها
من غير تأكيد للفصل بالضمير المنصوب او مفعول معه من آبائهم جمع ابوي كل واحد منهم
فيتناول آباءهم وامهاتهم وازواجهم وذرياتهم انما جمعوا فيها مع قرابتهم ليتم لهم النعمة
بزيادة الانس والجمعية بهم وقيدوا بالصلاح دلالة على ان مجرد النسب والقرابة لا يكفي في الجمع
بينهم بل لا بد من شرط الصلاح ولا دلالة فيه انه يلحق بهم من صلح من اهلهم وان لم يبلغ مبلغ
فضلهم تبعا لهم وتعظيما لشانهم حتى يستدل به على ان الدرجة تعلو بالشفاعة خصوصا
اذا كان ومن صلح مفعولا معه والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من ابواب المنازل او من
ابواب الفتوح والتحف سلام عليكم في محل الحال اي قائلين سلام عليكم بشارة بدوام السلامة
بما صبرتم متعلق بمحذوف والباء للسببية او البدلية اي هذا الثواب بسبب صبركم او بدل ما احتملتم
من الصبر ومتاعبه هذه الملاذ والنعم ويجوز ان يتعلق بالظرف اي سلام عليكم بسبب صبركم
ولا يجوز ان يتعلق بسلام لان الخبر فاصل فنعم عقبى الدار المخصوص بالمدح محذوف اي فنعم
عقبى الدار الجنة وقرئ فنعم النون والاصل نعم كسر النون فنقل كسرة العين اليها ومن فنعم با
فلتسكن العين تخفيفا بلا نقل والذين ينقضون عهد الله يعني مقابلي الاولين من بعد ميثاقه
من بعد ما اوثقوه من الاعتراف والقبول ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض
بالظلم وتهييج الفتن اولئك لهم اللعنة الابعاد من رحمة الله ولهم سوء الدار عذاب النار او
سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار وانما لم يقل سوء عاقبة الدار تفاديا ان يجعل عاقبة
حيث جعل العاقبة المطلقة هي الجنة الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر لما كان كثيرا الا شقيا
فتحت عليهم ابواب نعم الدنيا ولذاتها اخبر انه هو الذي يوسع الرزق لمن يشاء ويضيقه لكن

والايمان لا تعلق لهما بالرزق قد يقدر على المؤمن ليعظم اجره ويبسط للكافر املاء لازدياد
اثامه وفرحوا اي اهل مكة بالحيوة الدنيا بما بسط لهم في الحيوة الدنيا فرح بطر لا فرح سرور
بفضل الله عليهم واغتروا ولم يشكروا ما انعم الله به عليهم ولم يعرفوه فيما يستوجبون
به نعيم الآخرة وما الحيوة الدنيا في جنب ما اعد الله لهم في الآخرة الا متاع الا شيء نذر حقير يتمتع
به ولا يدوم كعجالة الراكب وزاد الراعي ويقول الذين كفروا مقتضى الظاهر اظهار فاعل فرحوا
اذ لم يجر لكفار مكة ذكر واضمار فاعل يقول مجرى ذكره صح فاخرج عن خلاف الظاهر لارادة التمكن
في ذهن السامع بالابهام والتوضيح او للظهور والتعيين في الاول والذم والتسجيل بالكفر
في الثاني لولا انزل عليه آية من ربه آية عناد وجحود للآيات المنزلة عليه لعدم اعتدادهم بها و
اعتبارهم لها ولهذا امر في الجواب بقوله قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب اقبل
الحق ورجع عن العناد وحقيقته دخل في نوبة الخير وهو كلام جار مجرى التعجب من قولهم كانه
قيل قل لهم ما اعظم عنادكم حيث لم تعتدوا بهذه الآيات الباهرة التي لم يؤت نبي مثلها وكفى
بالقرآن وحده آية ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم من الجحود والتصميم على الكفر فلا
سبيل الى اهتدائه وان اتى بكل آية ويهدي من يشاء ممن كان على خلاف صفتكم من التصميم وفي
تنزيل اليه من اناب منزلة من يشاء فمن كان على خلاف صفتكم تنبيه على ان مشية الهداية مخصوصة
لغير المعاند الذين آمنوا بدل من من وتطمئن قلوبهم بذكر الله انسا به او بالقرآن او بذكر رحمته
بعد القلق من خشيته الا بذكر الله تطمئن القلوب تسكن اليه جملة اعتراضية تفيد كيف لا تطمئن
قلوبهم به ولا اطمينان للقلب بغيره الذين آمنوا وعملوا الصالحات بدل من القلوب على تقدير
المضاف اي قلوب الذين آمنوا او مبتداء خبره طوبى لهم وهو فعلى من الطيب كبشرى وزلفى
قلبت ياؤه واوا والضمة ما قبلها كموقن وموسر وقرئ طيبى بكسر الطاء وهو من المصادر المغنوية
او المعدولة الى الرفع اي طيبا لهم وطيب لهم كقولك سلاما لك وسلام لك والقراءة في قوله وحسن
مآب بالرفع والنصب تدل على محلهما واللام في لهم للبيان مثلها في سقيا لك فتكون الجملة الدعائية
خبرا على التأويل كذلك مثل ذلك الارسال العظيم الشأن الذي له فضل ومزية على سائر الارسالات
او مثل ارسال الرسل قبلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها قد تقدمتها امم ارسلوا اليهم فليس
ببدع ارسالك اليها لتتلو لتقرأ عليهم الذي اوحينا اليك هو الكتاب العظيم وهم يكفرون وحال
هؤلاء انهم يكفرون بالرحمن الشامل الرحمة الخ وسعت رحمته كل شيء فيكفروا نعمه وخصوصا ما انعم
عليهم بارسال مثلك اليهم وانزال هذا القرآن المعجز المصدق لسائر الكتب الذي هو مناط المنافع
الدينية والدنيوية وقيل نزلت في مشركي مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن فقالوا وما الرحمن قل
هو ربي اي خالقي ومتولي امري لا اله الا هو لا مستحق للعبادة سواه عليه توكلت في نصرتي
عليكم واليه متاب مرجعي ومرجعكم فيحكم بيننا قوله ولو ان قرآنا سيرت به الجبال دال على ان اسم

الاشارة والموصول فيما تقدم لتعظيم القرآن وتفخيم شأنه او قطعت به الارض او كلم به
الموتى جواب لو محذوف اى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال عن مقارها او زعزعت او قطعت به
الارض حتى تتصدع قطعا قطعا من خشية الله او كلم به الموتى فتسمع وتجيب لكان هذا القرآن
لكونه غاية فى التذكير والاعجاز ونهاية فى التخويف والانذار كقوله لو انزلنا هذا القرآن على
جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وقيل المراد به المبالغة فى عناد الكفرة وتصميمهم اى
ولو ان قرآنا وقع به تسيير الجبال وتقطيع الارض وتكليم الموتى لما آمنوا به كقوله ولو اننا نزلنا
عليهم الملائكة الآية وقيل ان قريشا قالوا يا محمد ان سرك ان نتبعك فسير بقرآنك الجبال عن مكة
حتى تتسع لنا فنتخذ فيها بساتين وقطائع او سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام او ابعث
من كنانة قصى بن كلاب وغيره من آبائنا ليكلمونا فيك فنزلت وعلى هذا فتقطيع الارض قطعها
بالسير وقيل الجواب مقدم وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وتذكير كلم خاصة
لاشتمال الموتى على المذكر الحقيقى بل لله الامر جميعا اضراب عما تضمنته لو من معنى النفى اى بل لله
القدرة على كل شئ فله القدرة على الاتيان بما اقترحوه من الآيات الا انه لم تتعلق ارادته بذلك
لعلمه بانهم لا يؤمنون ويزدادون العناد والجحود ويؤيده قوله افلم ييأس الذين آمنوا اى عن
ايمانهم مع ما رأوا من مكابرتهم وعنادهم والاكثر على ان معنى افلم ييأس افلم يعلم لما روى
ان عليا وابن عباس رض وجماعة من الصحابة والتابعين قرأوا افلم يتبين وهو تفسير افلم
ييأس فيكون بمعنى افلم يعلم وانما استعمل اليأس بمعنى العلم لانه مسبب عن العلم بان المأيوس
لا يكون وقيل هى لغة قوم من النخع ولذلك علقه بقوله ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا لان
معناه نفى هداية بعض الناس لعدم تعلق المشيئة باهتدائهم وتعلقه على الاول بآمنوا اى اولم يقنطوا
عن ايمان هؤلاء الكفرة الذين آمنوا بان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا او بمحذوف تقديره
افلم ييأس الذين آمنوا عن ايمانهم علما منهم ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين
كفروا تصيبهم بما صنعوا من الكفر وسوء الاعمال قارعة داهية تقرعهم وتقلقلهم او تحل اى
القارعة قريبا من دارهم فيفزعون منها ويضطربون ويتطاير اليهم شرارها ويتعدى اليهم
شرورها حتى يأتى وعد الله اى الموت او القيمة وقيل ولا يزال كفار مكة تصيبهم بما صنعوا برسول
الله عم من العداوة والتكذيب قارعة لان رسول الله عم كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حول
مكة وتختطف من مواشيهم او تحل انت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك كما حل بالحديبية حتى يأتى وعد
الله وهو فتح مكة وكان الله قد وعده ذلك ان الله لا يخلف الميعاد لا لعدم القدرة عليه لان ما تعلق
به الوعد كان ممكنا وبتعلقه لم ينقلب ممتنعا لاستحالة الانقلاب وكل ممكن داخل تحت قدرته تع
لان الخلف لا يليق بشأنه تع ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله عم ووعيد للمستهزئين
والمقترحين عليه فأمليت للذين كفروا الاملاء ان يترك ملاوة من الزمان فى دعة وامن ثم

ثم اخذتهم فكيف كان عقاب اى عقابى اياهم استفهام معناه التعجب مما حل بهم والتقرير
وفى ضمنه وعيد من فى عصره عم من الكفار افمن هو قائم على كل نفس اى الله الذى هو قائم
رقيب على كل نفس بما كسبت من خير او شر لا يخفى عليه شئ من اعمالهم ولا يفوت عنده شئ
من جزائهم والخبر محذوف تقديره كمن هو ليس كذلك دخلت الهمزة على الفاء لانكار ان يستووا
من هو مطلع على سرهم وعلنهم قادر على مجازاتهم بمن هو على خلافه بعد علمهم بما حل بالمكذبين
من الاخذ المفاجاة والبطش الشديد وجعلوا لله شركاء استئناف او عطف على مقدر اى لم
يوحدوه وجعلوا او فيه اظهار فى موضع الاضمار للتهويل والتوبيخ والتفضيح فى موضع الاحتجاج
والتبكيت ويؤيده ما بعده اسلوب بديع ضمن فيه الترقى فى الانكار اولا بمعنى لا عجب من انكارهم
لآياتك الباهرة مع ظهورها انما العجب كل العجب جعلهم القادر على انزالها المجازى لهم على
اعراضهم عن تدبر معانيها وامتثالها بتوارد تترى واحدة عقيب اخرى فيها هدى ونهاد اى عن نيراجى
بهم الى دار البوار واهوالها كمن لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا فضلا عمن اتخذه ربا يرجيا منه
جلبا او دفعا امد مجافيه الشلى نابيا وفى العدول عن صريح الاسم الى قوله افمن هو قائم تفخيما
بواسطة الابهام المضمن فى ايراده موصولا مع تحقيق ان القيام كائن وهم محققون ما يدهش
له الالباب ويقتضى مع بديع ايراده العجب العجاب وفى قوله وجعلوا لله بوضعه مقام المضمر
الراجع اليه دلالة على ان المتوحد ذاتا واسماء جعلوا له شركاء لا شريك كذلك ولا يهلك على
الله الا هالك وفى حذف الخبر تقطيع للمعانى وتخيير لمن يود بتلك الحالة ما لا يخفى من الجزالة قل
سموهم كأن قوله افمن هو قائم كافيا فى عدم قاعدة الاشراك للتفرع على السابق والتفنيق بالوصف
اللاحق وهو ابطال من طرف الحق فذيله بابطال من طرف النقيض على ابلغ وجه اى الزمهم بذلك
فانهم ان سموهم قالوا حجرا او نحاسا او خشبا ونحو ذلك فافتضحوا باشراكهم بمن لا يستحق العبادة
الا هو وحده ام تنبئونه بل أتنبئونه بما لا يعلم فى الارض شركاء لا يعلمهم فى الارض يعنى بما ليس
بشئ لان ما لا يعلمه عالم الغيب والشهادة لا وجود له كقوله قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات
والارض والهمزة المضمنة فيها تدل على التوبيخ وتعريبا انهم يريدون ان ينبئوا عالم السر و
الخفيات بما لم يعلم وهذا محال على محال ثم اضرب عن ذلك وقال قد تبين الشمس لذى عينين وما
تلك التسمية الا بظاهر من القول من غير ان يكون تحته طائل وما هو الا مجرد صوت فادعى
فيه انه لا اسماء للشركاء فضلا عن المسمى على الكناية الايمائية ثم بولغ فيها بانه لا يستأهل السؤال
عن حاله لظهور فساده وسلك فيه مسلك الكناية التلويحية من نفى العلم على نفى المعلوم ثم منه
على عدم الاستئهال ام بظاهر من القول بل تسمونهم شركاء بمجرد ظاهر القول واطلاق لفظ
الشركاء والآلهة من غير ان يكون لذلك معنى وحقيقة من الالوهية والمشاركة كقوله ما تعبدون
من دونه الا اسماء سميتموها وهذا الاحتجاج واساليبه العجيبة وردت عليها منادية على

بلسان طلق ذلق انه ليس من كلام البشر لمن عرف وانصف من نفسه ومن زاد على هذا قوله فتبارك
الله احسن الخالقين فقد اتى بكلمة حق اريد بها باطل تريدون بها من هو عن حلية الانصاف
عاطل بل زين للذين كفروا مكرهم تمويههم وتخيلوا اباطيل ثم خالوا او اضدادهم للضمعة و
صدوا عن السبيل سبيل الحق وقرئ وصدوا بالفتح اي وصدوا الناس عن الايمان وقرئ وصدوا
بالتنوين عطفا على مكرهم ومن يضلل الله بالخذلان فما له من هاد فما له من احد يقدر على
هدايته يوصله من الوجوه لهم عذاب في الحيوة الدنيا بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم من المصيبات
ولعذاب الآخرة اشق لدوامه وشدته ابدا مدد ما لهم من الله من عذاب في الدارين قيل او
من رحمته ولا بساعد المسافي ولا بدافع عبارته واق من واق من ساتر يحفظهم عن العذاب
ويحميهم فمن الاولى صلة واق قدمت عليه والثانية مزيدة للتاكيد ولما ذكر ما اعد للكفار في
دار القرار ذكر ما اعد للمؤمنين فيها فقال مثل الجنة التي وعد المتقون صفتها التي في غرابة المثل
تقول مثلت الشيء اذا وصفته وقربته للفهم وارتفع مثل على الابتداء في مذهب سيبويه و
الخبر محذوف اي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة تجري من تحتها الانهار تفسير لذلك المثل اي في
غاية النزهة وذلك لان العرب كانوا في عوز من الماء فكانوا يعدون هذا اعظم نزهة او حال
من العائد المحذوف من الصلة وقيل هي خبره على طريقة قولك صفة زيد اسمر او على حذف موصوف
او مثل الجنة جنة تجري فعلى هذا لفظ المثل على حقيقته قصد به تمثيل الغايب لما في ان هد
لم يستعر من القول السائر للصفة الغريبة اكلها دايم لا ينقطع والاكل ما يوكل فيها وظلها اي و
ظلها كذلك لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس تلك اي الجنة الموصوفة عقبى الذين اتقوا عاقبة
الكفر مآلهم ومنتهى امرهم وعقبى الكافرين النار لا غير وفي ترتيب النظمين اطماع للمتقين
واقناط للكفار والذين آتيناهم الكتاب اي من اسلم من اليهود كعبد الله بن سلام و
اضرابه ومن النصارى وهم ثمانون رجلا بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة
يفرحون بما انزل اليك وعامتهم فانهم كانوا يفرحون بما نزل موافقا لما في كتبهم ومن الاحزاب
اي من كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله بالعداوة نحو كعب بن الاشرف واصحابه والسيد
والعاقب اسقفي نجران واشياعهما من ينكر بعضه وهو ما يخالف شرايعهم او ما حرفوه منها
دون الاقاصيص وما يوافقها قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به شيئا جواب للمنكرين
اي قل لهم انما امرت فيما انزل الي بان اعبد الله ولا اشرك به وهو العمدة في الاسلام ولا سبيل
لكم الى انكاره لانكم قائلون لوجوب عبادته وتوحيده واما ما يخالف بعض شرايعكم من
جزئيات الاحكام فليس اختلاف ذلك ببدع في الكتب الالهية وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستيناف
اليه ادعو لا الى غيره واليه مآب مرجعي للجزاء لا الى غيره فلا معنى لانكاركم لا هذا هو القدر المتفق
عليه بين الانبياء كلهم واما ما عدا ذلك من التفاريع فمما يختلف بالاعصار والامم فلا معنى

قال ابن عباس يمحو الله ما يشاء من ديوان الحفظة يكتب على الانسان جميع ما يقول ويعمل فاذا كان يوم الاثنين والخميس عرض ذلك باللوح المحفوظ
فيبقى من كتاب الحفظة ما لا جزاء له من خير وشر ويثبت ما يوافق الكتاب من ذلك الخير والشر والثواب والعقاب وقال الضحاك يمحو الله ما يشاء من القرون
ويثبت ما يشاء من القرون قال سعيد بن جبير هذا في الفرايض والشرايع ينسخ فرض فرضا وشريعة شريعة وقال قتادة هو قوله ما ننسخ من آية الآية
تشير الى ان الناسخ هو المثبت والمنسوخ هو المحو وقال عكرمة يمحو الله ما يشاء يعني بالتوبة جميع الذنوب ويثبت بدل الذنوب الحسنات قال الله تعالى
فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وقال الحسن يمحو الله الآباء ويثبت الابناء وقال السدي يعني الشمس والقمر ومعناه يمحو الله القمر ويثبت الشمس قال تعالى
فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة ومحو آية الليل من وجهين احدهما نقصان نوره عن نور الشمس والثاني ما فيه من السواد في جهة المنعم وقال محمد بن كعب
الرزق اذا ولد الانسان اثبت رزقه واجله
فاذا مات محي اجله ورزقه وقال الربيع
[illegible]
[illegible] تحويل النطفة علقة ثم مضغة [illegible]
[illegible] الاعمال [illegible]
محيت الاعمال التي كانت [illegible]
حسنات فاذا [illegible]
الصالحة [illegible]
[illegible]
انه كان [illegible]
[illegible]
[illegible]
وعنده ام الكتاب قيل وهو [illegible]
لكل اجل كتاب اي لكل وقت قضاء مكتوب
في صحيح [illegible] ايام [illegible]
آية مقترحة [illegible]
ناقة الصالح [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

لانكاركم المخالفة فيه وكذلك ومثل ذلك الانزال المشتمل على اصول الديانات المجمع عليها انزلناه
اصل الكلام انزلناه هذا الانزال الذي يشاهد وتشتملا على التوحيد والدعوة اليه فاوثر
ذلك تفخيما وجئ بالمثل زيادة له ولا من ما كثر في كتابه الكريم من ايراد هذا الاسلوب حكما يحكم
في القضايا والوقايع بما تقتضيه الحكمة عربيا مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه
على الحال ولئن اتبعت اهواءهم التي يدعونك اليها من الامور الموافقة لدينهم وخصوصا الصلوة
الى قبلتهم بعد ما حولت عنها بعد ما جاءك من العلم بنسخ ذلك ما لك من الله من ولي ولا واق
ينصرك ويمنع العقاب عنك وهو حسم لاطماعهم وتهييج المؤمنين على الثبات في الدين و
اللام في لئن موطئة للقسم وما لك جواب يسد مسد جواب الشرط ولقد ارسلنا رسلا من
قبلك بشرا مثلك والتنكير للتكثير وجعلنا لهم فيه تغليب للاكثر على الاقل والا فمنهم من لا زوج
له ولا ذرية كعيسى ازواجا وذرية نساء واولادا كما هي لك كانوا يعيبونه بالزواج
والاولاد كما كانوا يقولون ما لهذا الرسول ياكل الطعام وكانوا يقترحون عليه الآيات وينكرون
النسخ فقيل كان الرسول ياكل الطعام قبلك كذلك ذوي ازواج وذريات وما كان لرسول وما
صح له ولم يكن في وسعه ان ياتي بآية مما اقترح عليه قومه ولا حكما اقتضاه رايه الا باذن الله
فانه القادر على ذلك الحكيم الذي لا يفعل الا ما اقتضته الحكمة لكل اجل كتاب ولكل وقت ومدة
حكم يكتب على العباد بحسب ما يقتضيه استصلاحهم فان الشرايع مصالح الاحوال والعبادات والاستعدادات
تختلف في الاوقات والازمان فتختلف الشرايع بحسب ذلك يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يكون الصلاح
في نسخه ويثبت بدله ما هو صالح او اصلح منه في وقته لعباده او يتركه غير منسوخ وقيل يمحو
سيئات التائب ويثبت بدلها الحسنات وقيل يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلق الجزاء ويترك
ما يتعلق به مثبتا وقيل يمحو الفاسدات ويثبت الكائنات وعنده ام الكتاب اي اصل كل كتاب
وهو اللوح المحفوظ اذ لا كائن الا وهو مكتوب فيه واما نرينك بعض الذي نعدهم او
نتوفينك اي وكيف ما دارت الاحوال اريناك بعض ما وعدناهم من العذاب النازل
بهم او توفيناك قبله فانما عليك البلاغ فما عليك الا التبليغ الوعيد بالعقوبة لا تعجلها و
وعلينا لا عليك الحساب اي حسابهم اي مراعاة اجلها المعلوم والايقاع بهم عند
الوقت المحتوم ولما نهاه عن الاهتمام بغير التبليغ والتضجر لتاخر النصر عقبه
بالتسلية وطيب نفسه وتفريح عنها بذكر طلايع ما وعد بقوله اولم يروا انا ناتي الارض
ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بما تفتحه على المسلمين منها فننقص من دار الحرب ونزيد
في دار الاسلام والله يحكم لا معقب لحكمه اعتراض لا محل لها او حال كانه قيل نافذا حكمه
كما تقول جاءني زيد لا عمامة على راسه اي حاسرا والمعقب الذي يكر على الشيء وحقيقته
الذي بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه بالتقاضي والطلب

والمعنى لا راد لحكمه ولا مبطل له وقد حكم للاسلام بالظهور والاقبال وعلى الكفر بالتراجع
والادبار وذلك كائن لا يمكن لاحد تغييره وهذا من تباشيره وهو سريع الحساب
فعما قليل يحاسبهم في الاخرة ويجازيهم باشد العذاب بعد عذاب الدنيا بالقتل و
الاجلاء وقد مكر الذين من قبلهم بانبيائهم والمؤمنين منهم فلله المكر جميعا جملة
تعليلية اقيم مقام المحذوف وهو المعطوف على ما ذكر قبلها تقدير ولا عبرة بمكرهم
فلله المكر جميعا وصفهم بالمكر ثم جعل مكرهم بالنسبة الى مكره تع كلا مكر لانه القادر
على ايقاع المراد من المكر بهم دونهم فلا مكر الا مكره تع يعلم ما تكسب كل نفس فيعد جزاءه
تعليل لاضمحلال كل مكر عند مكره تع لانه اذا علم كل ما كسبوا واعد لهم جزاءه فياتيهم به
بغتة حيث لا يعلمون كان المكر له تع وسيعلم الكفار ح يعلمهم لمن عقبى الدار لمن حسن العاقبة
من الفريقين والسين لوجوب وقوع ذلك وعلمهم به حال وقوعه فاللام في لمن دلت على
ان المراد بالعقبى المضاف الى الدار العاقبة المحمودة وقرئ سيعلم الكفر اى اهله وسيعلم
من اعلمه اذا اخبره ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل المراد بهم رؤساء اليهود
قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم حيث اظهر من الدلائل الواضحة والحجج البينة على رسالتي
ما يغني عن شاهد يشهد عليها ومن عنده علم الكتاب والذي عنده علم القران وما
الف عليه من النظم المعجز الغائب لقوى البشر او التورية والانجيل من علماء اهل الكتاب
الذين اسلموا كعبد الله بن سلام واضرابه لانهم يشهدون بنعته عم في كتبهم وقيل
هو الله عز وجل والكتاب اللوح المحفوظ والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم
ما في اللوح المحفوظ الا هو شهيدا بيني وبينكم ويؤيده قراءة من قرأ من عنده بالكسر وعلم الكتاب
على الاول مرتفع بالظرف لانه معتمد على الموصول ومبتدأ خبره الظرف وهو متعين
على الثاني وقرئ ومن عنده علم على الحرف وبناء الفعل للمفعول ورفع الكتاب

سورة ابرهيم عليه السلام مكية وهي احدى وخمسون اية

الر كتاب اى هو كتاب انزلناه اليك حجة على رسالتك باعجازه لتخرج الناس كافة
بدعائك اياهم الى الدين الحق من الظلمات من انواع الضلال الى النور الى الهدى باذن
ربهم بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب متعلق بتخرج
او حال من فاعله او مفعوله الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل
او استيناف كانه قيل الى اى نور فقيل الى صراط العزيز الحميد واضافة الصراط الى الله
لانه مقصده او المبين له وتخصيص الاسمين بالذكر للتنبيه على انه يعز سالكه ويجعله حميدا
بكماله الله الذي له ما في السموات وما في الارض عطف بيان للعزيز الحميد لانه يجري مجرى الاسماء

الاعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود بالحق وقرئ بالرفع على هو الله وويل للكافرين وعيد
لمن كفر بالويل وهو نقيض النجاة واصله النصب لانه مصدر فعدل الى الرفع لافادة معنى الثبات
كما في سلام عليكم واتصال قوله من عذاب شديد بالمعنى المذكور ظاهر فلا حاجة الى صرفه للتلهف
بكلمة التلهف من شدة العذاب الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة اى على الحيوة الاخرة
والاستحباب استفعال من المحبة لان المختار للشيء على غيره كانه يطلب من نفسه ان يكون احب اليها من
الاخرة وتعديته بعلى لتضمنه معنى الايثار والاختيار ويصدون عن سبيل الله بتعويق الناس
عن الايمان وقرئ ويصدون من اصده وهو منقول من صد صدودا اذا تنكب وليس بفصيح
كاوقفه لان في صده مندوحة عن تكلف التعدية بالهمزة ويبغونها عوجا اصله يبغون
لها فحذف الجار واوصل الفعل اى يطلبون لها زيغا واعوجاجا بان يقولوا لمن يصدونه عنها
انها سبيل ناكبة عن الحق غير مستقيمة والموصول بصلته يحتمل النصب على الذم او الرفع عليه
ولا يحتمل الجر صفة للكافرين لان فيه الفصل بين الاجنبي منهما وهو قوله من عذاب شديد لما
عرفت ان اتصاله بالويل وعلى الرفع يجوز ان يكون مبتدأ خبره اولئك في ضلال بعيد عن طريق
الحق اى ضلال فيه بعد لان الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وقد يضل مكانا بعيدا و
الافصح ان وصف الضلال بالبعد من باب الاسناد المجازي لان البعد في الحقيقة للضال المتباعد عن
الطريق فوصف به فعله كقولهم جد جده للمبالغة وتنكيره للتكثير وفي جعله ظرفا لهم دلالة على
تمكنهم فيه تمكن المظروف في الظرف وتصوير لاشتمال الضلال عليهم اشتمال المحيط على المحاط
فيكون كناية بالغة في اثبات الوصف المذكور لهم على الوجه الابلغ وما ارسلنا من رسول الا
بلسان قومه بلغة قومه الذين بعث فيهم كانبياء بني اسرائيل او ارسل اليهم كلوط ويونس عم
فمن قال الذي هو منهم وبعث فيهم لم يصب وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش
ولسن بضمتين وضمة وسكون على الجمع كعمد وعمد ليبين لهم ما يدعوهم اليه فيفقهوه بسهولة
ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم فانهم اولى برعاية حالهم سواء كان مبعوثا فيهم او مرسلا اليهم
ومن قال اى ليفقهوا عنه ما يدعوهم اليه فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولوا لم نفهم ما خوطبنا
به فكانه غفل عن ان المحذور المذكور يندفع بترجمته لهم وايضا لغير العرب من الامم ان
يحتجوا بما ذكره على نبينا عم ولا جواب عنه عندنا الا بما قلنا ولا دلالة في قوله تع ولو جعلناه
قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته على ان يكون لهم مجال الاحتجاج بالوجه المذكور على
تقدير نزوله بلغة اخرى واما ما قيل لو نزل على من بعث الى امم مختلفة كتب على السنتهم
استقل ذلك بنوع من الاعجاز ولكن ادى الى اختلاف الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد في تعلم
الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها وما في اتعاب القرائح وكد النفوس من القرب المقتضية
لجزيل الثواب فمبناه الغفول عن ان ما ذكر من الفوائد فوائت على تقدير الترجمة من الرسول عم

الصفة والموصوف

وقد عرفت ان مدار الكلام وتمام المرام عليها على تقدير عموم الرسالة وخصوص النزول

فيضل الله من يشاء بالخذلان ويهدي من يشاء بالتوفيق وفيه رد ما سبق الى الوهم من

البيان البالغ في تسهيل الفهم ان يكون ذلك كافيا في تمام امر الهداية فينسد باب الضلال

والغواية ود في الترتيب باداة التسبيب اشارة الى ان ما ذكر من الارسال مع كونه على وجه الكمال

كان في حق قوم سببا للضلال وهو العزيز فلا يغلب على مشيئته الحكيم فلا يهدي ولا يضل الا لحكمة

ولقد ارسلنا موسى باياتنا يعني اليد والعصا وساير معجزاته ان اخرج قومك من الظلمات

الى النور ان مفسرة معناها اي لان في الارسال معنى القول اي ارسلناه وقلنا له اخرج

او مصدرية اي ارسلناه بان اخرج لان صيغ الافعال في الدلالة على المصدر سواء فيصح

وصلها بالامر كوصلها بالخبر وان يوصل بها ان الناصبة وذكرهم بايام الله بنعمائه وبلائه

ذكره ابن عباس رضه وهو الموافق لقوله ع الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من

اياته فانه اذا سمع بما انزل الله تع على الامم من البلاء فاض عليهم من النعم اعتبر وتنبه

على ما يجب عليه من الصبر والشكر لانه اشق منه فهو بالاهتمام احق والعدول عن الصبور

مع مناسبته للشكور لانه في مقام الحث والتحريض بابلغ صيغتي المبالغة ابلغ واذ قال

موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من ال فرعون اي اذكروا نعمته وقت انجائه

اياكم ويجوز ان ينتصب بعليكم ان جعلت مستقرة غير صلة للنعمة وذلك اذا اريد به العطية

دون الانعام ويجوز ان يكون بدلا من نعمة بدل الاشتمال يسومونكم سوء العذاب ويذبحون

ابناءكم ويستحيون نساءكم احوال من آل فرعون او من ضمير المخاطبين وعطف قوله ويذبحون

على يسومونكم يفيد فايدة زايدة على جعله تفسيرا له كما في سورة البقرة وهي ان العذاب

جنس يتناول التذبيح والاستعباد والاستعمال بالاعمال الشاقة فجعل التذبيح كانه جنس آخر

براسه او في على جنس العذاب وزاد عليه بزيادة ظاهرة وفي ذلكم بلاء ابتلاء من ربكم عظيم

وانما كان فعل آل فرعون بلاء من ربهم لان الله تع ابتلاهم بتمكينهم واقدارهم عليه

وامهالهم فيه ويجوز ان يكون الاشارة الى الانجاء لان البلاء كما يكون بالنقمة يكون بالنعمة

قال الله تع ونبلوكم بالحسنات والسيئات وهذا انسب لقوله من ربكم وعلى الاول يكون

عبارة الرب للاشارة الى ان بلاء المؤمن تربية له واذ تاذن ربكم من جملة ما قال موسى عم

لقومه منصوب المحل بالعطف على نعمة الله كانه قيل واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة

الله عليكم واذكروا حين تاذن ربكم لئن شكرتم لا على ارادة القول على معنى تاذن ربكم

فقال لعدم الحاجة الى التقدير بل على اجراء تاذن مجرى قال لانه ضرب من القول وفي قراءة

ابن مسعود رضه واذ قال ربكم لئن شكرتم وتاذن بمعنى آذن كتوعد واوعد غير انه

ابلغ لما في التفعل من معنى التكلف والمبالغة لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما خولتكم من

نعمة الانجاء وغيرها بالايمان والعمل الصالح لازيدنكم نعمة الى نعمة ولئن كفرتم غمطتم ما

انعمت به عليكم فصرح الوعد على الشكر بقوله لازيدنكم وعرض بالوعيد على الكفران

حيث قال ان عذابي لشديد اي عسى عذابي ان ينالكم بالكفران ومن عادة من هو اكرم

الاكرمين التصريح بالوعد والتعريض بالوعيد وقال موسى ان تكفروا انتم يا بني اسرائيل

ومن في الارض من الثقلين جميعا فان الله لغني عن شكركم وشكر كل شاكر وما ضر بتم

بكفرانكم الا انفسكم حيث حرمتموها مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد حميد

مستوجب للحمد في ذاته محمود يحمده من في السموات من الملئكة بل كل ذرة من ذرات

المخلوقات الناطقة بنعمه وحمده الم ياتكم نبؤا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود من

جملة كلام موسى عم او ابتداء كلام من كلام الله تع والهمزة في الم للتقرير والتوبيخ و

الذين من قبلهم عطف على قوم نوح وقوله لا يعلمهم الا الله اعتراض او مبتداء خبره

لا يعلمهم والجملة اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله كانه يقول

دع التفصيل فانه لا مطمع في الحصر قيل ولهذا كان ابن مسعود رض اذا قراها قال كذب

النسابون اي في دعوى علم الانساب لان الله تع قد نفى علمها عن العباد وفيه نظر لعدم

الدلالة فيه على نفي علم بعض الانساب مطلقا وانما دلالته على نفي علم جميع الانساب ولم يدعه

احد من النسابين جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم وقالوا انا كفرنا

بما ارسلتم به اشاروا بايديهم الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به

على زعمكم اي هذا جوابنا لا غير اقناطا لهم من التصديق قيل عضوها غيظا وضجروا

مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها على افواههم ضحكا

واستهزاء كمن غلب عليه الضحك فوضع يده على فيه او اسكاتا للانبياء عم واشارة عليهم بالسكوت

او ردوها في افواه الانبياء عم لذلك او وضعوها على افواههم ولا يذرونهم يتكلمون

او الايدي جمع يد بمعنى النعمة اي ردوا اياديهم من التوحيد والمعارف والشرايع والنصايح

التي هي اجل النعم في افواههم لانهم اذ لم يقبلوها وكذبوها فكانهم ردوها الى حيث جاءت

منها على طريقة التمثيل ولا يذهب عليك ان الاول لا يطابق المقام فانه يحكي اول ما جاءهم

بالبينات الى اخر ما ينتهي اليه حالهم وذلك بعد التكذيب وايضا الرد ينبئ عن التكرار وليس

وحاصل الرابع والخامس مما ذكرنا لكن الرد لا يلايم الثالث والخامس مما ذكرنا لكن

الرد لا يلايم الثالث والخامس والمعتاد في الاسكات ما في الثالث لا في الخامس والسادس

غير ظاهر الدلالة لما فيه من نوع تعقيد والايدي بهذا المعنى قليلة الاستعمال وذكر الرد

والافواه يلايم الجارحة وانا لفي شك مما تدعوننا اليه التاكيد في انا وان للاقناط والمبالغة

في الرد والتكذيب والمراد مما ارسلتم به الكتب والشرايع ومما تدعوننا اليه التوحيد

فترددهم في الثاني لا ينافي قطعهم بالاول مريب موقع في الريبة او ذي ريبة من اراب
الرجل اذا صار ذا ريبة وهي قلق النفس وان لا يطمئن الى شيء وعلى الثاني يكون وصف
الشك به من باب الاسناد المجازي قالت رسلهم أفي الله شك أفي وحدانيته شك وفي حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تنبيه على ان الله تع لا يكون الا واحدا فالشك في وحدانيته
شك في ذاته وشك مرتفع بالظرف وادخلت همزة الانكار عليه مع تقديمه لان الكلام في
المشكوك فيه لا في الشك اي انما ندعوكم الى الايمان بالله ووحدانيته وهو لا يحتمل الشك لظهور
الادلة وشهادة وجوه السموات والارض عليه ثم بينهم على الوصف الذي يقتضي ان
لا يقع فيه شك البتة بقوله فاطر السموات والارض وهو صفة لا يضر الفصل بين الموصوف
وصفته بمثل هذا المبتدأ او بدل يدعوكم الى الايمان ببعثه ايانا ليغفر لكم وفيه دلالة على
ان الكافر مؤاخذ بكفره قبل البعثة وان لم يكن مؤاخذا بغيره لكفاية العقل الصحيح ناهيا عنه
ليغفر لكم لمصلحتكم لا لمصلحة نفسه من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو الكفر لما عرفت انهم
لا يؤاخذون بغيره قبل البعثة ففي قوله يدعوكم ليغفر لكم توطئة لهذا التبعيض على تقدير تقرير
معناه وعلى ان يكون المعنى يدعوكم الى المغفرة على اقامة المفعول له مقام المفعول به كما في قولك
دعوتك لتنصرني بعون هذه التوطئة وذلك لدلالة وقيل في وجه التبعيض ان المغفور
قطعا ما فعلوه حالة الكفر واما ما يفعلونه بعد الاسلام فهو بحاله وباحد الوجهين يظهر السر
في زيادة من في خطاب الكفرة دون المؤمنين في مواضع من القرآن وفي الاخير فائدة اخرى
وهي ابقاء البعض على الاحتمال لئلا يتكلوا على الايمان وحده وهذا معنى حسن واما ما قيل
اريد به انه يغفر لهم ما بينهم وبين الله تع لان الاسلام يجبه دون المظالم فلا يصلح وجها
للتخصيص لاشتراك الفريقين فيه والتوجيه بان المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفار مرتبة
على الايمان وحيث جاءت في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو
ذلك فيتناول الخروج عن المظالم منظور فيه لان تمام التقريب على تقدير ان يكون معنى قوله
مرتبة على الايمان مرتبة عليه وحده وح يتجه النقض عليه بقوله تع قال يا قوم اني لكم نذير
مبين ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ثم ان منشأ ما قدمه من دعوى
الاطراد في زيادة من في خطاب الكفرة الغفول عن قوله تع [illegible] الذين [illegible] ان ينتهوا يغفر لكم
ما قد سلف ومن قال في تفسير سورة الانفال ان الحربي اذا اسلم لم يبق عليه تبعة
قط ثم جوز هنا ان يكون التبعيض لاخراج المظالم عن حيز الارادة فقد غفل عما قدمه
ويؤخركم الى اجل مسمى قد سماه الله تع وبين مقداره فيقضي ان يبلغكم اليه آمنتم وان عاجلكم
بالاهلاك قبل ذلك الوقت قالوا ان انتم ما انتم الا بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فلم تخصون
بالنبوة دوننا ولو شاء الله ان يبعث الى البشر لبعث من جنس افضل تريدون ان تصدونا

(هذين)

عما كان يعبد اباؤنا بهذه الدعوة فأتونا بسلطان مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم لهذه
المزية او على صحة دعواكم وقد جاءت رسلهم بالبينات والحجج فلم يعتدوا بها مكابرة وعنادا
واقترحوا عليهم تعنتا ولجاجا قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم سلموا المماثلة في
البشرية ولكن الله يمن على من يشاء من عباده اثبات للمزية بمحض الامتنان والعناية لا
لفضل لهم يقتضي ذلك تواضعا منهم وهضما لانفسهم فلا دلالة فيه على عدم التفاوت
بين افراد البشر في الاستعداد والاستحقاق للرسالة وقد دل قوله تع الله اعلم حيث يجعل رسالته
على التفاوت فيه ولا ايجاب بحسبه حتى ينافي الاختيار وما كان وما صح لنا ان نأتيكم بسلطان
الا باذن الله الا بتيسيره اي ليس لنا الاتيان بما اقترحتموه انما هو امر متعلق بمشيئة الله تع
فيخص كل نبي بنوع من الايات وعلى الله فليتوكل المؤمنون نعمهم قصدوا به تخصيص انفسهم
على وجه الاولوية والاولية واشعار بان قضية الايمان وجوب التوكل على الله تع فامروا المؤمنين
كلهم به والمراد امرهم انفسهم وفيه نزول عن حقهم وتواضع وهضم لانفسهم حيث تنزلوا
الى مرتبة احاد المؤمنين ومبالغة في وجوبه عليهم كانهم قالوا ومن حقنا ان نتوكل على الله في
الصبر على معاندتكم ومعاداتكم فان ذلك حق كل مؤمن فكيف بالانبياء الا ترى الى قولهم
وما لنا ان لا نتوكل على الله اي اي عذر لنا في ان لا نتوكل عليه وقد هدانا سبلنا وفعل بنا
ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل منا سبيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين
حتى عرفه وعلم ان الامر كله بيده ولنصبرن على ما آذيتمونا جواب قسم محذوف اكدوا به
توكلهم على الله تع فيما يجري عليهم من ايذاء الكفار وعدم مبالاتهم به على سبيل الاعتراض
وعلى الله فليتوكل المتوكلون تكرير الامر بالتوكل للتأكيد ووجوب الثبات عليه بعد تحققه
والفاء السببية في الموضعين لانه مسبب عن الايمان وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم
من ارضنا او لتعودن في ملتنا حلفوا ليكونن احد الامرين اما اخراجكم من دياركم واما عودكم
في ملتهم وقد مر في تفسير سورة الاعراف ما يتعلق بهذا فاوحى اليهم ربهم اي الى الرسل عم
لنهلكن الظالمين اجري الايحاء مجرى القول لانه ضرب منه فلا حاجة الى اضمار القول وقرئ
ليهلكن ولنسكننكم الارض اي ارضهم وديارهم بالياء اعتبارا للوحي كقوله اقسم زيد
ليخرجن من بعدهم من بعد اهلاكهم كقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
مشارق الارض ومغاربها وعن النبي عم من آذى جاره ورثه الله داره ذلك اشارة الى
الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم اي ذلك الامر حق لمن خاف
مقامي اي قيامي الذي يقف فيه العباد للحساب يوم القيمة لانه موقف الله تع او قيامي
عليه وحفظي لاعماله او على اقحام المقام وخاف وعيد اي وعيدي بالعذاب وعذابي
الموعود للكفار واستفتحوا وطلبوا الفتح واستنصروا الله تع على اعدائهم او سألوا

القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو
معطوف على اوحى اليهم ربهم وقرئ واستفتحوا على لفظ الامر عطفا على لنهلكن اي
واوحى اليهم ربهم وقال لهم استفتحوا والضمير للانبياء عم وقيل للكفرة وقيل للفريقين
فان كلهم سالوه ان ينصر المحق ويهلك المبطل وخاب كل جبار عنيد منهم اي من المستفتحين
معطوف على محذوف تقديره فتح لهم فافلح المؤمنون وخاب كل جبار عات متكبر على الله
تعالى معاند للحق فلم يفلح والخيبة خلاف ما قدرته من المنفعة ومقابلة النجاح وهو ادراك
الطلبة والعنيد هو المعاند الا ان فيه مبالغة والعناد الامتناع من الحق مع العلم به
ومعنى الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة او من القبيلتين كان اوقع من ورائهم جهنم
اي من بين يديه وهو واقف عليها قال الزجاج والوراء ما توارى عنك ولهذا قد يطلق
على الخلف كما في قولهم قال الجداد لو تدلم تشفني قال سل من يدقني فان ما ورائي من لا
يتركني ورائي وقد يطلق على القدام كما في قوله ايرجو بنو مروان سمعي وطاعتي وقومي
تميم والفلاة ورائيا وليس من الاضداد ويسقى معطوف على محذوف تقديره يدخلها ويسقى
من ماء التنكير للتنويع اي نوع من الماء غير معهود وصفه قال مجاهد وغيره هو ما يسيل من
من اجساد اهل النار صديد هو قيح اي دم مختلط بمدة يسيل من الجرح عطف بيان لماء
فابهمه ابهاما ثم بينه بصديد وخصه من بين انواع العذاب بالذكر ايذانا بانه اشد
عذابها ولشدته قال يتجرعه ولا يكاد يسيغه للمبالغة اي يتكلف جرعه ولا يقارب ان يسيغه
فكيف بالاساغة بل يغص به فيطول عذابه والسوغ جواز الشراب على الحلق بسهولة وقبول
نفس والتجرع تناول جرعة جرعة على الاستمرار ويلزمه التكلف فيه وما جاء في الحديث بانه
يشربه محمول على ذلك وقوله يتجرعه صفة الماء او حال من الضمير في يسقى ويأتيه الموت
اي اسبابه من الشدائد من كل مكان فيحيط به جميع الجهات ففيه اطلاق المكان على الجهة تنصيصا
على ان المراد اسباب العذاب الروحاني وذلك لان الجهة قد توسع فيها توسعا شايعا
بخلاف المكان وقيل من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره وابهام رجله وما هو بميت
اي بحق فانه الحس والشعور حتى لا يتالم والتجوز عنه بالميت سايغ شايع في كلام
الفصحاء وقد حسن ههنا موقعه لما في ظاهره من الايهام اي ان موجب ما ذكر من مجيء
اسباب الموت من جميع الجهات هو ان يكون ميتا وحينئذ من حمل الميت على حقيقته فقد
نزل الكلام عن منزلته والمناسب لارادة الحقيقة ايراده بصيغة المضارع كما ورد
في قوله تع لا يموت فيها ولا يحيى ومن ورائه من بين يديه عذاب غليظ في كل وقت
يستقبل اي يتلقى عذابا اغلظ مما كان قبله ففيه دفع ما يسبق الى الوهم من ان يخفف
عذابهم بالاعتياد كما هو المعهود في عذاب اهل الدنيا مثل الذين كفروا بربهم مبتدأ

خبره محذوف اي فيما يتلى عليكم والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابة اعمالهم كرماد
جملة مستانفة لبيان مثلهم وقيل اعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد على تقدير مثل
اعمالهم ويجوز ان يكون الخبر هذه الجملة كما ذكر في قوله مثل الجنة اي صفة الذين كفروا
اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول اي هذا الكلام اشتدت
به الريح اي حملته واسرعت في الذهاب به الاشتداد الاسراع بالحركة على عظم القوة و
منه اشتد به الوجع لانه اسرع اليه على قوة الم في يوم عاصف العصف شدة
الريح وصف به زمانه للمبالغة كقوله نهاره صايم وليله قايم شبه مكارمهم من صلة
الارحام وعتق الرقاب وفداء الاسارى واكرام الضيفان واغاثة الملهوفين و
الاجارة وامثالها في حبوطها وكونها هباء منثورا لعدم ابتنائها على اعتقاد صحيح
من المعرفة والتوحيد والايمان بالله تع وبرسوله عم وباليوم الآخر برماد يسفيها الريح
العاصف لا يقدرون يوم القيمة مما كسبوا من اعمالهم على شيء التنكير للتقليل والتعبير
بالشيء للتحقير اي لا يترتب عليه اثر من ثواب وتخفيف العذاب لحبوطه وهو فذلكة التمثيل
ذلك اشارة الى ضلالهم وهو ابتناء اعمالهم على الشرك والتفاخر والريا هو الضلال البعيد
عن طريق الحق والصواب او عن الثواب والخلاص عن العقاب الم تر خطاب لكل واحد
من الكفرة على التلوين لقوله تع ان يشأ يذهبكم او لكل مخاطب على العموم وفيه تعجيب
ان الله خلق السموات والارض بالحق بالحكمة والوجه الذي يحق ان يكون الامر عليه ان يشأ
يذهبكم ويأت بخلق جديد اي من هو قادر على خلق السموات والارض فهو قادر
على ان يعدمكم ويخلق مكانكم خلقا آخر ولم يتوقف عليه خلقهم ثم تغيير الطبايع وتكوينهم
منها وتصويرهم دليل قاطع على ان اعدامهم وانشاء خلق آخر غير ممتنع عليه ولذلك
عقبه بقوله وما ذلك على الله بعزيز اي بمتعذر او متعسر بل هو هين عليه يسير لانه
قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شانه كان حقيقا بان
يتقى ويخاف ويرجى ولا يعبد الا هو وحده وبرزوا لله جميعا اي يبرزون له تع
يوم القيمة من قبورهم لحساب الله تع وحكمه ويظهرون لله تع باعمالهم وما كسبوا على
خلاف ما حسبوا لانهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ظنا منهم
ان ذلك خاف على الله تع فاذا كان يوم القيمة انكشف غطاؤهم وعلموا ان لا يخفى على الله
منهم شيء في الارض ولا في السماء ولا يتوارى منه متوار حتى ذرات الهباء فذلك بروزهم
عند انفسهم بعد ما اعتقدوا خلافه كقوله فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد
لانهم كانوا خافين عليه فبرزوا في ذلك اليوم اذ لا يخفى عليه خافية وقدما وانما اورد
يبرزون في صيغة برز والتحقق وقوعه كانه قد وقع واخبر عنه فقال الضعفاء الاتباع

والعوام جمع ضعيف فقيل يريد به ضعفاء الرأي ولا دلالة عليه في الكلام ولا هو مما
يقتضيه المقام وانما كتبت بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو للذين
استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم انا كنا لكم تبعا في تكذيب الرسل والاعراض
عن نصائحهم وهو جمع تابع كخدم وخادم او مصدر نعت به للمبالغة واضمار المضاف
في مثل هذا لا يناسب البلاغة والظاهر ان هذه المحاورة تكون مع آل فرعون المذكور
في قوله تعالى واذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا الخ
في النار لا المحشر فرتب قوله تعالى فقال على المحذوف لا على المذكور فهل انتم مغنون عنا
استفهام معناه توبيخهم اياهم وتقريعهم وقد علموا انهم لن يغنوا شيئا من عذاب الله
من شيء من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول به
اي بعض شيء هو عذاب الله اي كائنا عذاب الله او كلاهما للتبعيض اي بعض شيء هو بعض عذاب
وتقديره بعض شيء كائنا بعض عذاب الله فيكون الاعراب بحاله والاولى مفعول والثانية
مصدر اي بعض العذاب بعض الاغناء قالوا اي المستكبرون لما بكتهم اتباعهم بما ذكر وعلموا
انهم لا يقدرون على شيء من الاغناء عنهم اجابوهم معتذرين اليهم بما كان منهم لو هدانا
الله للايمان ووفقنا له لهديناكم ولكن ضللنا فاضللناكم اي اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا او لو
هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغنيناه عنكم كما عرضناكم له ولكن سد دوننا
سبيل الخلاص سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر والهمزة وام لتاكيد
التسوية كما في قوله سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم ولما كان عتاب الاتباع جزعا
مما هم فيه قالوا لهم ما هذا الجزع انا مشتركون في العذاب كما كنا مشتركين في الضلالة ولا
ينفعنا الجزع كما لا ينفعنا الصبر والجزع انزعاج النفس بورود ما يغم ونقيضه الصبر
قال الشاعر فان تصبرا فالصبر خير مغبة وان تجزعا فالامر ما تريان ما لنا من محيص منجى
ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول على جهة الفرار اما اسم مكان كالمبيت والمضيف
او مصدر كالمغيب والمشيب وقال الشيطان خطيبا في الاشقياء من الثقلين لما قضي الامر
قطع وفرغ منه وهو الحساب ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار ان الله وعدكم وعد
الحق وعدا حقا لا خلف فيه فوفى لكم وانجزه وهو البعث والجزاء ووعدتكم وعد الباطل و
هو ان لا بعث ولا حساب وان كانا فالاصنام تشفع لكم فاخلفتكم جعل تبين خلاف ما وعده
اخلافا حذف من الجملة الاولى ما اثبت مقابله في الجملة الثانية ومن الثانية ما اثبت مقابله في
الاولى وهذا من لطائف الايجاز البالغ بمرتبة الكلام الى ذروة الاعجاز وما كان لي عليكم من
سلطان من تسلط وقهر فالجئكم الى الكفر والمعاصي الا ان دعوتكم الا دعائي اياكم الى الضلالة
بوسوستي وتسويلي وهذا الاستثناء على طريقة قولهم تحية بينهم ضرب وجيع لان الدعاء

ليس من جنس السلطان بل المراد نفي السلطان على آكد الوجوه كانه قال ان كان مجرد الدعاء
سلطانا فكان لي عليكم سلطان فاستجبتم لي اسرعتم اجابتي فلا تلوموني بوسوستي واضلالي
وقرئ فلا يلوموني بالياء على طريقة الالتفات كقوله تعالى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم و
لوموا انفسكم حيث اغتررتم بمجرد دعائي بلا حجة ودليل فاطعتموني ولم تطيعوا ربكم
اذ دعاكم على حجج وبينات لم يدر انه لا يستحق الملامة بقوله لومكم انفسكم اولى بكم اذ انتم
اهلكتم انفسكم باجابتكم لي طوعا ولا دلالة فيه على استقلال العبد في افعاله اذ يكفي في
استحقاق الملامة ان يكون لقدرته الكاسبة مدخل فيه ومن قال وهذا دليل على ان الانسان
هو الذي يختار الشقاوة والسعادة ويحصلهما لنفسه وليس من الله الا التمكين ولا من
الشيطان الا التزيين ولو كان الامر كما تزعم المجبرة لقال فلا تلوموني ولا انفسكم فان الله
قضى عليكم الكفر واجبركم عليه فقد خلط في كلامه وخبط في تفسيره مرامه فان ما ذكره اولا
يساعده فيه اهل الحق وما ذكره ثانيا وهو مذهبه الباطل لا يساعده الشيطان ايضا وقد ثبت
فيما سبق على انه لا دلالة في كلامه عليه وما ذكره اخيرا انما يتجه على الجبرية لا على اهل الحق القائلين
لا جبر ولا تفويض بل امر بين ذلك ما انا بمصرخكم بمغيثكم من العذاب وما انتم بمصرخي بمغيثي
منه وقرئ بكسر الياء وقد طعن الناس فيه ولا ينبغي ان يلتفت اليه لانها قراءة متواترة نقلها السلف
واقتفى اثارهم الخلف وقد نص قطرب على انها لغة بني يربوع اني كفرت بما اشركتموني من
قبل ما مصدرية ومن قبل متعلق باشركتموني اي كفرت اليوم باشراككم او موصولة ومن قبل
متعلق بكفرت وما هذه كما في قوله سبحان من سخركن لنا اي كفرت بالذي اشركتمونيه وهو
الله تعالى بطاعتكم فيما دعوتكم اليه من عبادة الاصنام وغيرها من قبل اشراككم حين ابيت السجود
لادم عليه السلام واشرك منقول من شركت زيدا للتعدية الى مفعول ثان ان الظالمين لهم عذاب
اليم تتمة كلامه او ابتداء كلام من الله تعالى وفي حكاية قول ابليس في ذلك لطف ايقاظ للسامعين
وتنبيه لهم على ما سيؤول اليه امرهم ليتحرزوا اليوم عن مكايده ويتعوذوا بالله من
تسويلاته ويخلصوا فيتخلصوا عن تسلطه وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم متعلق بادخل اي ادخلتهم الملائكة الجنة باذن الله تعالى
او بخالدين وهذا منطبق على قراءة وادخل على التكلم وقد مر ما يتعلق به الذين تحيتهم فيها
سلام اي تحية بعضهم بعضا قال تعالى تحيتهم يوم يلقونه بتحية في الجنة سلام واما تحية الملائكة فلا
يناسبها التقييد بقوله فيها لوقوعها من خزنة الجنة وهم من الملائكة قبل الدخول فيها قال تعالى وقال
لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين الم تر كيف ضرب الله مثلا قد تقدم الكلام
فيه في اوائل سورة البقرة كلمة طيبة بدل من مثلا كشجرة طيبة صفة لها او خبر محذوف اي هي كشجرة
او منصوبة بفعل مقدر اي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة والجملة مفسرة لقوله ضرب الله مثلا واولى

مفعولي ضرب ومثلا تابعا له اجراء لضرب مجرى جعل وقرئ كلمة بالرفع على الابتداء اصلها ثابت
ثابت في الارض ضارب بعروقها فيها وفرعها اي اعلاها ورأسها او فروعها اي افنانها على
الاكتفاء بالجنس لاكتسابه الاستغراق من الاضافة في السماء اي صاعد في جهة العلو وحذف من
الجملة الاولى ما اثبت مقابله في الجملة الثانية ومن الثانية ما اثبت مقابله في الاولى وعبارته في
ابلغ من الى اذا اريد المبالغة في الارتفاع وقرئ ثابت اصلها والاول على اصله ولذلك قيل انه
اقوى لان المخبر عنه بالاصالة هو الاصل لا الشجرة واذا اجريت الصفة على الشجرة كان القصد الى
ثبوت الشجرة باصلها فلم يقو قوته حين كان جملة واقعة صفتها ولكن على الثاني هو جار على ما
هو له فهو اقوى في اثباته لما هو له وهو ظاهر اذ كان المقصود اثبات الوصف على سبيل
العقد بحيث نحى فيه تؤتي اكلها تعطي ثمرتها كل حين كل وقت وقته الله وقد ورد في الخبر عن خير البشر ان
المراد من الشجرة هي النخلة اكلها والبسر والرطب والتمر فهو دائم لا ينقطع وكذا حال المؤمن لا
يخلو وقتا ما من الاوقات من خير وشر لم ينتبه لهذا فالكل وقت وقتها الله لاثمارها باذن
ربها بتيسير خالقها ومدبرها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان في ضربها
زيادة افهام وتذكير وتصوير للمعاني في صور مشاهدة وادناء للمعقول من المحسوس
ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اي صفتها كصفتها اجتثت استوصلت والاجتثاث اخذ الجثة
بالكلية من فوق الارض لان عروقها قريبة به ما لها من قرار استقرار وثبات اختلفت كلماتهم
في كلمة فيسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقرآن والكلمة الخبيثة بالاشراك
بالله والدعاء الى الكفر وتكذيب الحق والاولى ان يفسر كل منهما بما يعم الكل فيقال الكلمة الطيبة ما
اعرب عن الحق او دعا الى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك وقد مر تفسير الشجرة الطيبة
وفسرت الشجرة الخبيثة بالحنظل يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت اي الذي ثبت بالحجة
عندهم وتمكن في قلوبهم واعتقدوه اعتقادا يمتنع زواله في الحيوة الدنيا وتثبيتهم به في
الدنيا انهم اذا فتنوا في الدين لم يزلوا كزكريا ويحيى وجرجيس وشمعون والذين
فتنهم اصحاب الاخدود وفي الآخرة وتثبيتهم فيها انهم اذا سئلوا عن معتقدهم في الموقف
لم يتلعثموا ولم يدهشهم اهوال القيمة وقيل معناه الثبات عند سؤال القبر وروي فيه
الخبر المرفوع ويضل الله الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون
الى الحق ولا يستثبتون في مواقف الفتن ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض بالهداية واذلال
آخرين بالاضلال من اعتراض عليه الم تر الم تنظر الى الذين بدلوا نعمة الله اي شكر نعمة الله
كفرا بان وضعوه مكانه او بدلوا نفس نعمة الله كفرا فانهم لما كفروها سلبت منهم فصاروا
تاركين لها محصلين الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله واسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته
ووسع عليهم ابواب رزقه وشرفهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين واسروا

وقتلوا يوم بدر وصاروا اذلاء مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر واحلوا قومهم الذين تابعوهم
في الكفر دار البوار دار الهلاك بحملهم على الكفر جهنم عطف بيان لها يصلونها حال منها او من
القوم اي داخلين فيها مقاسين لحرها او مفسر لفعل مقدر ناصب لجهنم وبئس القرار المخصوص
بالذم محذوف تقديره وبئس القرار هي جهنم وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله الذي
هو التوحيد وقرئ ليضلوا بفتح الياء جعل الضلال والاضلال غرضهم من اتخاذ الانداد على
سبيل التشبيه والتقريب لانه لازمه ونتيجته كالاكرام الذي هو نتيجة المجئ في قولك جئتك
لتكرمني فادخل عليه اللام وان لم يكن غرضا في الحقيقة قل تمتعوا بشهواتكم او بعبادة الاوثان
فانها من قبيل الشهوات التي يتمتع بها وفيه تهديد بليغ جعل انهماكهم في الشهوات وانهماكهم على
الشرك واللذات كامتثال مأمور مطيع لامر آمر مطاع لا يستطيع ان يخالفه ولا يملك لنفسه امرا دونه
لانغماسهم في التمتع بها واتخاذ ابهم البها بحيث لا يعرفون غيره ولا يريدون سواه ولا يرفعون
رأسا الى ما عداه على لفظ الامر في قوله فان مصيركم الى النار ايذان بان المهدد به كالمطلوب
لهم حيث جعل المهدد عليه المستلزم له كالمطلوب منهم لجدهم فيه فكانه قيل جدوا ولا تقصروا
فيه فانكم ان دمتم عليه فان مطلوبكم حاصل ولا يخفى ما فيه من التهكم مع شدة الوعيد قل
لعبادي الذين آمنوا تخصيصهم بالاضافة الى نفسه تنويه لهم وتنبيه على انهم القائمون بحقوق
العبودية ولهذا رتب في منهم الصلوة والانفاق على الامر جوابا له فقال يقيموا الصلوة وينفقوا
مما رزقناهم ايذانا بان فعلهم لا ينفك عن امر الرسول لفرط مطاوعتهم له وتحقق عبوديتهم لله
وانه كالسبب الموجب لفعلهم ومفعول قل محذوف ودل عليه جوابه اي قل لعبادي اقيموا
الصلوة وانفقوا وقيل المقول يقيموا وينفقوا بمعنى ليقيموا ولينفقوا وانما جاز حذف لام الامر لدلالة
الامر عليه سرا وعلانية نصبا على الحال اي ذوي سر وعلانية بمعنى مسترين ومعلنين او على الظرف
اي وقتي سر وعلانية او على المصدر اي انفاق سر وعلانية والانسب في الانفاق اخفاء المتطوع
والاعلان بالواجب من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره او يفتدي به
نفسه ولا خلال ولا مخالة فيشفع له خليل او من قبل ان يأتي يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ومخالة وانما
ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله وقرئ بالفتح فيهما على النفي العام الله الذي خلق السموات والارض
مبتدأ وخبر وانزل من السماء ماء فاخرج به اي بالماء والفاء للسببية الاخراج بالانزال من الثمرات
رزقا لكم تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس مفعول لاخرج ومن الثمرات بيان له حال
منه او بالعكس ويجوز ان يكون رزقا نصبا على المصدر من اخرج لانه في معنى رزق او على
المفعول به وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره بمشيئته الى حيث توجهتم وسخر لكم الانهار جعلها
معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم كيفية اتخاذها وقوله بامره متعلق
بالمعطوف فهي كما قيل في قوله يوم لم تكن آمنت من قبل او كسبت وسخر لكم الشمس والقمر دائبين

دائبان في سيرهما وانارتهما واصلاح ما يصلحانه من المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان
لسباتكم ومعاشكم ذكر انواع النعم وابرز كل منها في جملة مستقلة تنبيها لشانها وتنبيها
على عظم مكانها واتاكم من كل ما سألتموه من كل شيء بلسان الحال والاحتياج ليصلح به معاشكم
ومعادكم على ان من لابتداء الغاية ويجوز ان يكون السؤال على ظاهره على ان عبارة كل للتكثير
والتفخيم لا للاحاطة والتعميم كما في قوله وفتحنا عليهم ابواب كل شيء وحمل من على التبعيض يقتضي
اخلاء لفظ كل عن فائدة زائدة لان ما نفى في العموم بل يوهم ابتداء البعض من كل فرد يتعلق
به السؤال ولا وجه له ومن قال في تفسيره يعني من كل شيء سألتموه شيئا فان الموجود من كل
صنف بعض ما قدره الله تعالى فقد اتى في تعليله ما لا يناسب المعلل لان الكلام في ان المحصول بعض
المسؤول فكونه بعض المقدور لا يجدي نفعا في بيانه وقرئ من كل بالتنوين وما في محل النصب
بالمفعولية او نافية ومحل ما سألتموه نصب على الحال اي اتاكم من كل شيء غير سائليه وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها لا تستوفوا عدها كما قال من احصاها دخل الجنة يعني انها غير قابلة للاحصاء
لعدم تناهيها فان نعمة النفع وان كانت افرادها متناهية لدخولها تحت الوجود وكذا نعمة
الدفع اي دفع الضرر مما كان او يكون لكن نعمة الله الدفع غير متناهية ان الانسان لظلوم
يظلم النعمة باغفال شكرها او يظلم نفسه بان يعرضها للحرمان باستعمالها لا فيما ينبغي ولا فيما
ينبغي به وجه الله تعالى كفار شديد الكفران لها وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعم
يجمع ويمنع واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا البلد بلدة مكة آمنا ذا امن لمن فيها والفرق
بينه وبين قوله اجعل هذا بلدا آمنا انه سأل ثمة ان يجعله من جملة البلاد الامنة اهلها وههنا
ان يزيل الخوف عنه ويصيره ذا امن وذلك لان محط الفائدة هو المفعول الثاني الكائن بمنزلة
الخبر واجنبني وبني بعدني واياهم ان نعبد الاصنام واجعلنا منها في جانب وقرئ واجنبني
وهما على لغة نجد واما اهل الحجاز فيقولون جنبني شره رب انهن اضللن كثيرا من الناس
فلذلك سألتك ان تعصمني وبني واسناد الاضلال الى الاصنام مجازي لانهن السبب في ضلالهم
كقوله غرتهم الحيوة الدنيا ولما توهم ان يقال تخصيص طلب العصمة عن الضلال بابنائك يتدارك
دفع هذا السؤال بقوله فمن تبعني بالسلوك في الصراط المستقيم والتمسك بالدين القويم فهو مني
اي بمنزلة بعضي فيشمله طلب العصمة فكانه قال ولا اخص طلب العصمة بهم فان من تبعني
فهو في حكمهم بحكم ان النبي ابو امته فالفاء التعليلية للعطف على محذوف يقتضيه المقام ويستدعي
تقديره انتظام الكلام فانظر الى حسن نظم هذا المقال ولطف طلب الامهال لسائر الاشياع و
عامة الآل بقوله ومن عصاني فيه طباق معنوي لان التبعية طاعة فانك غفور تستر عليه
ذنبه رحيم تمهل فلا تعاجله بالعذاب وهذا على وفق ما اضربه من ان يغفر الشرك كما زعمه من
قال في تفسيره تقدر ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على ان كل ذنب

فللّه ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعد فرق بينه وبين غيره ثم انه لم يدرأنه بالترديد المذكور
قدم مبني ذلك لدلالة ربنا كرر النداء رغبة في الاجابة واظهارا للتذلل والى نصب الحاجة لانه
تقدم ذكره وذكر بينه اني اسكنت من ذريتي بعض اولادي وهم اسمعيل واولاده فان
اسكانه متضمن لاسكانهم بواد غير ذي زرع يعني وادي مكة شرفها الله تعالى لانها حجرية
لا تنبت والوادي سفح الجبل لعلها والزرع كل نبات ينفرش من غير ساق عند بيتك المحرم
هو الكعبة شرفها الله تعالى والاضافة اليه تعالى للتشريف وتوصيفه بالمحرم لانه تعالى حرم التعرض له
والتهاون به وجعل ما حوله حرما كانه قوله بواد غير ذي زرع اخبار عن صرف توكله وصدق
تفويضه وقوله عند بيتك بيان انه راعي الرفق في الجوار لا في المبار ربنا ليقيموا الصلوة اللام
يعني كي متعلقة باسكنت اي ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع الا ليقيموا الصلوة عند بيتك
المحرم وقيل هي لام الامر والمراد هو الدعاء لهم باقامة الصلوة كانه لما اسكنهم هناك طلب منهم
اقامة الصلوة وسأل الله تعالى ان يوفقهم لها وتكرير النداء وتوسيطه للاشعار بانها المقصود
بالذات من اسكانهم ثمة والمقصود من الدعاء توفيقهم لها فاجعل افئدة ذوي افئدة
من الناس من للتبعيض قيل لو لم يقل من لازدحموا عليه فارس والروم والترك والهند او
لابتداء الغاية كقولك القلب مني سقيم اي قلبي وقرئ افدة ومن امقلوب افئدة كادر
في ادور واما اسم فاعل من افدت الرحلة اذا عجلت اي جماعة يعجلون نحوهم وقرئ افدة
اما انه بنية افد بوزن خشن واما تخفيف فئدة بطرح الهمزة وان كان الوجه اخراجها بين
بين تهوي اليهم تسرع اليهم وتطير نحوهم شوقا واصل الهوي ان يكون من علو ويلزمه
السرعة وقرئ تهوى على البناء للمفعول من هوى اليه واهواه غيره وتهوى اليهم من هوى
يهوى اذا احب ضمن معنى تنزع فعدي تعديتها وارزقهم من الثمرات مع سكناهم في
واد لا نبات فيه لعلهم يشكرون تلك النعمة فاجاب الله تعالى دعوته فجعله حرما امنا يجبى اليه
ثمرات كل شيء وتجلب اليه من كل ناحية حتى يجتمع فيه البواكير والفواكه الربيعية والصيفية
والخريفية في يوم واحد ربنا كرره تضرعا والتجاء الى الله تعالى واظهارا للافتقار اليه وتلذذا
وذوقا من مناجاته انك تعلم ما نخفي وما نعلن تغاير اسلوب الترقي لان مبناه على التفاوت
في علمها وهو منتف في حقه تعالى اي تعلم السر كما تعلم العلن لا تفاوت بينهما في علمك فانت اعلم لنا
باحوالنا ومصالحنا ومفاسدنا منا فلا حاجة بنا الى السؤال وانما ندعوك اظهارا للعبودية والتذلل
والتخشع لك وامتنانا للافتقار اليك والى رحمتك واستعجالا لنيل ما عندك وقيل ما نخفي
من وجد الفرقة وما نعلن من البكاء والدعاء وما يخفى على الله من شيء الظاهر انه من كلام ابرهيم
على طريقة الالتفات تأكيدا لقوله وتبيينا له بالبرهان وتعظيما لله تعالى باظهار اسمه وتغييرا
للحكم كانه قال وكيف لا تعلم وانت الله والحق ان الله هو العالم بالغيب كله لا يخفى عليه خافية

ومن للاستغراق وان جعل من كلام الله تع كان تصديقا منه لابرهيم عم على طريقة الاعتراض
بين الحكاية قوله كقوله تع وكذلك يفعلون في الارض ولا في السماء عبّر عن العالم بما فيه الحمد
لله الذي وهب لي على الكبر في موضع الحال اي وهب وانا كبير يعني كانت الهبة حال الشيخوخة
وبعد استمرار اليأس منها فلدلالة على ان هبة الولد له لم يكن في ابتداء دخوله في سن الشيخوخة
بل كانت بعد ما تمر برهة من الزمان عليها اتى بلفظة على روي عن سعيد بن جبير رح
انه لم يولد لابرهيم عم الا بعد مائة وسبع عشرة سنة وتقييد الهبة بحال الكبر استعظام
للنعمة واظهار للقدرة وشكر لما هو فيه من المنة فان الظفر بالحاجة عند وقوع اليأس
اعظم واجلّ ولانها كانت في ذلك آية بينة له عم اسمعيل واسحاق كان اسمعيل عم اكبر
من اسحق عم فلهذا قدمه عليه ان ربي لسميع الدعاء لمجيبه من قولك سمع الملك كلام فلان
اذا اعتدّ به وقبله ومنه سمع الله لمن حمده كان عم قد دعى ربه وساله الولد فقال
رب هب لي من الصالحين فهو من تتمة الشكر حمد الله تع على موهبة الولد ورأى المنة في
قبول دعائه السابق فموقع قوله الحمد لله وتذييله موقع الاعتراض تاكيدا لما قدم من الطلب
بتذكيرها وعده من الاجابة بتوسّل اليه تع بسابق نعمته في شانه والسميع من ابنية المبالغة
مضاف الى مفعوله معملا عمل فعله كقولهم هذا ضراب اخاه ويجوز ان يكون من اضافة
الصفة الى فاعلها على ان يجعل دعاء الله تع سميعا مجازا عقليا والمراد سماع الله تع رب
اجعلني مقيم الصلوة معدلا لها مواظبا عليها ومن ذريتي عطف على المنصوب في اجعلني
اي بعض ذريتي وانما بعضها لانه عم علم باعلام الله تع اياه ان في ذريته كفارا او
ذلك لقوله لا ينال عهدي الظالمين ربنا تكرير المنادى فلا يمنع عطف قوله وتقبل دعائي
واستجب دعائي او وتقبل عبادتي ربنا اغفر لي ولوالدي ولابوي وقد تقدم عذر
استغفاره لهما ولوالدي يعني اسمعيل واسحق عليهما السلام وللمؤمنين دعا بالمغفرة
لجميع المؤمنين ويدخل فيه هذه الامة فهو قد دعا لنا ونحن ندعو له في الصلوة بامر الله تع
اجابة لدعائه واجعل لي لسان صدق في الاخرين يوم يقوم الحساب اي يثبت مستعار
من قيام القائم على الرجل كقولهم قامت الحرب على الساق او يسند الى الحساب اسنادا
مجازيا وهو لاهله لا على حذف المضاف فانه ح يكون الاسناد حقيقيا والكلام نازلا
عن منزلته فمن قال او يقوم اليه اهله فحذف المضاف واسند اليه قيامهم مجازا
فقد خلط بين الاسنادين وضبط ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون خطاب لرسول
الله عم والمراد النهي عن لازم الحسبان المذكور بطريق الكناية اي لا تتحزن بما عملوا فانه تع
مطلع على احوالهم واعمالهم لا يخفى عليه شيء من ذلك وان تاخير العذاب عنهم لتشديده
عليهم في العقبى فهو امهال لا اهمال او لكل احد ممن يستعجل عذاب الظالمين او يتوهم انه يهمله

بانه يجب ان يعلم تع رقيبا عليهم فيتسلى الاول ولا يظلم الثاني ولا يتخذ ان ظلم فانه
المجازي والمنتقم المنتصر من الظالم للمظلوم ولهذا قال ابن عيينة انه تسلية للمظلوم وتهديد
للظالم انما يؤخرهم اضاف التاخير اليهم والمؤخر عذابهم على سبيل المجاز ايماء الى انهم
من شدة العذاب في ذلك اليوم يكونون بحيث يظن من رآهم انهم عذاب مجسم
ليوم تشخص فيه الابصار اي تبقى مفتوحة لا ينطبق لعظم هول ذلك اليوم ولا اختصاص
لتلك الحالة بهم ولهذا اطلق الابصار ولم يضفها اليهم كما اضاف اليهم في قرائنها وهذا
ابلغ في التهويل فمن وهم ان المعنى تشخص ابصارهم فقد وهم ثم انه لم يصب في تفسير
الشخوص بعدم القرار قال الجوهري يقال شخص بصره فهو شاخص اذا فتح عينيه وجعل
لا يطرف مهطعين يقال هطع الرجل اذا اقبل ببصره على الشيء لا يقلع عنه وبه فسّر ابن
عباس رض حيث قال المهطع الدائم النظر لا يطرف وهو المناسب لسياق الكلام ولحاقه
دون تفسيره بالمسرع كما لا يخفى مقنعي رؤسهم اقناع الرأس رفعه اي رافعيها حتى
يبصروا مواضع اقدامهم لا يرتد اليهم طرفهم اي يبقى اعينهم ممدودة نحو الهول مفتوحة
لا تطرف اي لا تتحرك اجفانهم ولا يرجع اليهم نظرهم فينظروا انفسهم ولا يخفى ان هذا
يغني عن اضافة ابصارهم اليهم في وصفها بالشخوص وانما وحد الطرف لانه في الاصل مصدر
وافئدتهم هواء خلاء وصف القلوب بالهواء مبالغة في الخلو عن الفهم والعقل لفرط
الحيرة والدهشة كانها نفس الخلاء ومنه يقال للاحمق والجبان قلبه هواء اي لا رأي فيه
ولا قوة فالتجوز فيه عقلي كما في رجل عدل لا لغوي كما زعم من فسره بالخالية فاحلا
عن تلك المبالغة ونزل الكلام عن المنزلة العالية وقيل معناه منخرقة لا تعي شيئا للخوف
والفزع الذي دخلها فهي كهواء الجو في الانخراق وبطلان الامساك وانذر الناس
خطاب للرسول عم يوم ياتيهم العذاب يعني يوم القيمة او وقت الموت فانه اول اوقات
عذابهم وهو مفعول ثان لانذر فيقول الذين ظلموا بالشرك والتكذيب ربنا اخرنا
الى اجل قريب اي ردنا الى الدنيا الى امد وحد من الزمان قريب او اخر آجالنا مقدار
ما نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة دعوتك واتباع رسلك فقوله نجب دعوتك ونتبع
الرسل جواب للامر ونظيره لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين او
لم تكونوا اقسمتم من قبل على ارادة القول وجواب القسم ما لكم من زوال واقسامهم على
انتفاء الزوال عن الدنيا اما لغاية الغفلة والانهماك في الجهل وغلبة البطر والاشر واما بلسان
الحال حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا كانهم اقسموا على انهم خالدون فيها وانما قيل ما لكم على
المطابقة لاقسمتم ولو حكي قول المقسمين لقيل ما لنا من زوال اي اقسمتم انكم لا تزالون
عن الدنيا وقيل معناه لا ينتقلون الى دار اخرى لقوله تع واقسموا بالله جهد ايمانهم

لا يبعث الله من يموت اي اقسمتم على انكار البعث وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم
بالكفر والمعاصي كعاد وثمود سائرين بسيرتهم واصل سكن ان يتعدى بفي كقر وغني
واقام وقد يستعمل بمعنى التبوء والتوطن فيجري مجراه كقوله اسكن انت وزوجك الجنة و
السكنى سكون خاص فنزل على الاصل ويجوز ان يكون بمعنى السكون اي لبثتم فيها واطمأنتم
وتبين لكم كيف فعلنا بهم بمشاهدة اثار ما نزل بهم من مساكنهم وتواتر اخبارهم فلم
تعتبروا ولم ترتدعوا ولا تحدثوا انفسكم بما لقوا من عذاب الله وضربنا لكم الامثال اي صفات
ما فعلوا وفعل بهم التي صارت امثالا سائرة بين الناس في غاية الغرابة مضروبة لكل ظالم
او بينا انكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب وقد مكروا مكرهم الذي استفرغوا فيه
جهدهم لابطال الحق وتقرير الباطل وهو المكر المخصوص بهم ليس لاحد مكر مثله في قوته وعند
الله مكرهم الذي يمكرهم به وهو العذاب الذي يأتيهم بغتة من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون
لاستخفافهم ذلك بمكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال زوال الجبال مثل لتعاظم مكرهم
وشدته اي وان كان مكرهم لشدته وعظمته مسوى معدا لزوال الجبال منه كانوا اذا
عظموا الشيء وصفوه بمثله قال الشاعر لما اتى خبر الزبير تضعضعت سور المدينة و
الجبال الخشع اي وان عظم مكرهم فعند الله المكر الذي يبطله والمكر الاول مضاف الى
الفاعل اي وعند الله مكرهم الذي يمكرون الرسل به يعني مكتوب عنده فهو مجازيهم عليه
بمكر هو اعظم منه وان كان مكرهم مما يضرب به المثل في العظم وقيل ان في قوله وان كان مكرهم
نافية واللام لتأكيد النفي كقوله وما كان الله ليعذبهم وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى انهم
مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال الراسية ثباتا وتمكنا من ايات الله وشرايعه وقرئ بالفتح و
الرفع على انها الفارقة ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كي
وقرئ وان كاد مكرهم والجمهور على انها ان الشرطية وجواب الشرط محذوف دل عليه وعند
الله مكرهم فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله مثل قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا
ورسلي واصله مخلف رسله وعده فقدم المفعول الثاني ايذانا بانه لا يخلف الوعد اصلا
كقوله ان الله لا يخلف الميعاد واذا لم يخلف وعده احدا كيف يخلف رسله ان الله عزيز غالب
لا يماكر قادر لا يدافع ذو انتقام لاوليائه من اعدائه الخطاب لرسول الله عم والمراد بالنهي
عن الحسبان المذكور الامر بضده على ابلغ وجه وهو الجزم بنصر المؤمنين وقهر اعداء الدين
اي فكن على ثقة ويقين بالايمان بما وعدناك من الاعزاز للاسلام واهله والاذلال للكفر
والانتقام من اهله يوم تبدل الارض غير الارض بدل من يوم يأتيهم العذاب او ظرف
للانتقام ولا يجوز ان ينتصب بمخلف لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده والسموات عطف على
الارض وتقديره والسموات غير السموات اي تبدل الارض المعهودة ارضا اخرى والسموات

المعهودة سماوات اخرى والتبديل هو التغيير اما في الذات كقولك بدلت الدراهم دنانير
ومنه قوله تع بدلناهم جلودا غيرها واما في الصفات كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها و
جعلتها خاتما بتغيير شكلها ومنه قوله تع اولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات والاية تحتملهما
فعن علي رض تبدل ارضا من فضة وسماوات من ذهب وعن ابن مسعود وانس رض يحشر الناس
على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن ابن عباس رض هي تلك الارض وانما تغير صفاتها
وانشد وما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التي كنت تعلم ويدل عليه ما
روى ابو هريرة رض انه عم قال تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظي
لا ترى فيها عوجا ولا امتا واعلم انه لا يلزم على الوجه الاول ان يكون الحاصل بالتبديل
ارضا وسماء على الحقيقة ولا يبعد على الثاني ان يجعل الله تع الارض جهنم والسموات الجنة
على ما اشعر به قوله تع كلا ان كتاب الفجار لفي سجين وقوله كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وبرزوا
من اجداثهم لله الواحد القهار لما كان البروز مسوقا للوعيد كان الوصفان المذكوران
ترشيحين له لبيان شدة الامر في ذلك اليوم كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لان الاله
والملك اذا كان لواحد لا يشاركه فيه قهار لا يعاز ولا يغالب لا استغاثة لاحد الى غيره ولا
مستجار كان الامر في غاية الصعوبة والشدة وترى المجرمين يومئذ مقرنين قرن بعضهم مع بعض
لاشتراكهم في العقائد والاعمال كقوله تع واذا النفوس زوجت او مع الشياطين الذين
حملوهم على الاجرام او قرنت ايديهم وارجلهم فكانت ايديهم غلت الى رجلهم في الاصفاد
متعلق بمقرنين او حال من ضميره قال الراغب الصفد والصفاد الغل وجمعه اصفاد وفي
الصحاح الصفاد ما يصفد به من قيد وقد وغل اي يوثق وقول الشاعر قد لا في صفاد يعض
بساعد ويعظم ساق ظاهر في ان صفادا واحد جمعهما فكانه نوع من الغل يجمع فيه الرجل
واليد ويشدان على العنق سرابيلهم اي قمصهم جمع سربال من قطران فيه ثلث لغات فتح القاف
مع كسر الطاء وسكونها وكسر القاف مع سكون الطاء وهو ما يتحلب من شجر الابهل فيطبخ فيهنأ
به الابل الجربى فيحرق الجرب والجلد بحدته وهو اسود منتن يشتعل فيه النار بسرعة يطلى
به جلود اهل النار حتى يكون طلاؤه لهم كالقميص فيجتمع عليهم لذع القطران ووحشة
لونه ونتن ريحه وسرعة اشتعال النار بهم على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين
النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا لما يحيط بانفسهم من ظلمة الهيئات الردية والملكات الفاسدة
الموحشة فتجلب لها انواعا من الاذى والالم والعذاب وقرئ من قطر ان والقطر النحاس المذاب
والان المتناهي حره والجملة حال ثانية او حال من الضمير في مقرنين او عاطفة بها جملة اسمية
لان سرابيل القطران الجامعة بين الانواع الاربعة المذكورة افظع من الصفد واما ما يغشى
فللتمهيد والاستحضار المقصود في قوله وترى لان الثاني اهول او الاول في بيان حالهم في

الموقف الى ان يكبت بهم فى النار ولا ضرب لبيان حالهم بعد دخولها وكان الا وقع لحرك
من السامع ان يقول واذا كان هذا شانهم وهم فى الموقف فكيف بهم وهم فى جهنم
خالدون فاجيب بقوله سرابيلهم من قطران واوثر لفعل المضارع فى قوله وتغشى وجوههم
النار لاستحضار الحال وتجدد الغشيان حالا فحالا وانما تغشاهم لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق
ولم يستعملوا مشاعرهم التى خلقت فيها فى تدبر الحق كما تطلع على افئدتهم لانها خالية عن المعرفة
مملوة بالجهالات ليجزى الله كل نفس اما ان يتعلق بمحذوف تقديره ويفعل ذلك بهم كل
نفس ما ان يتعلق بمحذوف تقديره يفعل ذلك مجرمة ما كسبت او بقوله برزوا اى ليجزى
الله كل نفس مجرمة او مطيعة ما كسبت واكتفى بذكر عقاب المجرمين ليستدل به على ثواب
المطيعين ان الله سريع الحساب لانه لا يشغله فيه تامل وتتبع ولا يمنعه حساب عن حساب
حتى يستريح بعضهم عند الاشتغال بمحاسبة الاخرين فيتاخر عنهم العذاب وبهذا التفصيل
تبين وجه اصابة التذييل المذكور محة هذا اشارة الى السورة او الى ما وصف من قوله
ولا تحسبن الله الى قوله سريع الحساب اى هذا الكلام او هذا الكتاب بلاغ كفاية للناس
فى الموعظة والتذكير او الاشارة الى جميع ما فى السورة من العظة والتذكير او لى ليكون كالفذلكة
وخاتمة على منوال الفاتحة ولينذروا به عطف على محذوف اى لينصحوا ولينذروا به فاللام
متعلقة بالبلاغ او متعلقة بمحذوف اى لينصحوا ولينذروا به انزل وقرئ ولينذروا
به بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعد له وليعلموا انما هو اله واحد بالنظر والتامل فيما
فيه من الايات الدالة على التوحيد والمنبهة على ما يدل عليه وليذكر اولوا الالباب فيرتدعوا
عما يرديهم ويتدرعوا بما يحظيهم قيل ان الفوائد الثلث التى ذكرها لهذا البلاغ هى
الغاية والحكمة فى انزال الكتب وهى تكميل الرسل للناس واستكمالهم القوة النظرية التى غايتها
التوحيد واستصلاح القوة العملية الذى هو التدرع بلباس التقوى جعلنا الله من الفائزين بهما

سورة الحجر مكية وهى تسع وتسعون آية

الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين الاشارة الى آيات السورة والكتاب والقرآن السورة
وهذا بليغ على ما قدمنا بيانه فى تفسير سورة يوسف عم واللام فى الكتاب للماهية والتنكير
فى القرآن للتفخيم اى تلك آيات الكتاب الكامل فى كونه كتابا وقرآن اى قرآن مبين يبين الرشد
من الغى بيانا غريبا يعنى الجامع للكمال والغرابة فى البيان والبلاغة ولما كان فى التعريف نوع
من الفخامة وفى التنكير نوع وكان الغرض الجمع عرف الكتاب ونكر القرآن هنا وعكس فى
سورة النمل وقدم المعرف فى الوصفين لزيادة التنويه ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين

حكاية لودادتهم على لفظ الغيبة كقولك حلف بالله ليفعلن وحق ربما ان يدخل الماضى لانشائه
تحقق التقليل لكن لما كان الغرض من الماضى تحقق وقوعه والمترقب فى اخبار الله تع منزلة
الماضى فى تحقق وقوعه اجرى مجراه ومعنى التقليل فيه وارد على طريقة العرب وقولهم فى موقع
النصح وادنجاب المخاطب انا لا نشك فى استتباعه للتندم لعلك ستندم وربما ندم الانسان
على ما فعل وليس مرادهم الشك والتقليل بل المراد ان الندم لو كان مشكوكا فيه او قليل الوقوع
عما يفعل لكان حقا عليك ان لا يفعل لان قضية العقل التحرز من الغم المظنون والقليل وكيف
واستتباع فعلك للغم والندم الكثير محقق اى لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة
فبالحرى ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه فى كل ساعة وقرئ ربما بالفتح والتخفيف و
بتاء التانيث ودونها وما كافة تكفه عن العمل فيجوز دخوله على الفعل وقيل نكرة موصوفة
كقوله ربما تكره النفوس من الامر ذرهم اتركهم يأكلوا تخصيصه بالذكر مع اندراجه فى قوله
ويتمتعوا وتقديمه عليه للتنبيه على ان حظهم من الحيوة الدنيا حظ البهائم يأكلون ويشربون و
الاقتصار على يأكلون لان الاكل يستتبع الشرب عادة فذكره يغنى عن ذكره ويتمتعوا
بدنياهم وينهمكوا فى شهواتهم ويلههم الامل ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار وجريان
امورهم واحوالهم على وفق هواهم عن الاستعداد للمعاد فسوف يعلمون وخامة عاقبتهم
وسوء صنيعهم اذا عاينوا جزائه فيه تهديد ووعيد وتحذير عن ايثار التنعيم وطول الامل
والزام للحجة لان الامر بالضرر لا يكون الا عند تكرار الانذار وثبوت الجحود وكذلك ما دبت
عليه واقناط للرسول عم عن ايمانهم وايذان بانهم من اهل الخذلان لا يقبلون النصح ولا
يجدى فيهم الانذار وما اهلكنا من قرية اهلاكها كناية عن اهلاكها عن اهلها بافنائهم
وهى ابلغ من المجاز فى القرية واما تقدير المضاف فلا حاجة اليه بل لا وجه له عند ارباب البلاغة
الا ولها كتاب معلوم اجل مكتوب فى اللوح معلوم عند الله تع موقت ولهذا قال ما تسبق
من امة اجلها اى كتابها اى لا يتقدم امة ومن مؤكدة وما يستاخرون اى عنه فحذف
للعلم به ووحد تسبق بالتاء لظاهر كلمة امة وجمع فى قوله يستاخرون بالواو للمعنى و
الكلام متصل بقوله فسوف يعلمون اى العذاب نازل بهم فى وقته الذى جعلنا له اجلا له
اخرناها اليه لما كان فى علمنا ايمان من يخرج من اصلابهم فاذا بلغ الكتاب اجله وجب كلمة
العذاب على الكافرين ولم يتاخر عنهم وجملة المستثنى واقعة حالا من قرية لانها فى معنى

العموم قريبة من المعرفة اذ المراد فرقة من الفرق وهذه الواو هي التي تعطي ان الحالة
التي بعدها في اللفظ هي قبلها في المعنى ومنه قوله تعالى حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها ومن
حملها على الصفة لكون القرية نكرة ثم قال والقياس ان لا يتوسط الواو بين الموصوف
والصفة وانما جيء بها لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف كما في الحال تقول جاءني زيد عليه
ثوب فقد تعسف لان الواو انما جيء بها لئلا يشتبه الحال بالصفة لتقدم الحال على النكرة
الا ترى الى قولهم جاءني رجل وعليه درع كيف التزموا فيه الاتيان بالواو رفعا للاشتباه
المذكور فكذا ههنا ثم ان فيما اختاره فصلا بين الصفة والموصوف بالا وهو غير
جائز نص عليه الاخفش وابو علي الفارسي وقالوا يعني مشركي مكة على وجه الاستهزاء
يا ايها الذي نزل عليه الذكر نداء للرسول عم على سبيل التهكم الا ترى الى ما نودي له
وهو قولهم انك لمجنون والتعكيس في الكلام للاستهزاء والتهكم طريق واسع ونظيره
قول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون يعنون ان ادعاءه لنزول الذكر
عليه قول المجانين والمراد من الذكر القرآن لو ما تأتينا اي هلا تأتينا ركب لو مع ما كما ركب
مع لا لمعنيين امتناع الشيء مع وجود غيره والتحضيض والفرق بينهما ان التحضيضية
لا يليها الا الفعل ظاهرا او مضمرا والامتناعية لا يليها الا الاسماء لفظا او تقديرا عند
البصريين بالملائكة ليصدقوك ويشهدوا لك ويعضدوك على الانذار كقولهم لولا
انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او ليعاقبونا على تكذيبنا اياك كما في الامم المكذبة
من قبل ان كنت من الصادقين في دعواك ان كنت صادقا في دعواك او ان كنت من جملة
تلك الرسل الصادقين في دعواهم ما ننزل الملائكة بالنون وهو يناسب لما تقدم وما تأخر
من الفاظ التعظيم وقرئ بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تنزل بمعنى تتنزل
الا بالحق متعلق بفعل قبلها او بمحذوف على انه حال من الفاعل او المفعول اي ملتبسين
بالحق او نعت لمصدر محذوف اي الا تنزلا ملتبسا بالحق اي بالحكمة والصواب ولا حكمة
في ان يأتيكم بصورة تشاهدونها وتشهدون بصدقه فانه لا يزيدكم الا لبسا كقوله ولو
جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون ولا في معاجلتكم بالعقاب فانكم
ومن ذراريكم من سبق له حكمنا بالايمان وقيل الحق الوحي وقيل العذاب وما كانوا اذا
منظرين جواب لهم وجزاء الشرط مقدر اي ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين
انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم ولذلك اكده بان والضمير وبناء
الفعل عليه وقرره بقوله وانا له لحافظون اي من الطعن والتحريف والزيادة و
النقصان بان جعلناه مباينا لكلام البشر لا يخفى على اهل البلاغة اعجازه وتغيير نظمه
ولو غير بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها واستحفظها الربانيون

والاحبار ولم يجعل لفظها ونظمها معجزا لا يمكن تغييرها فاختلفوا فيما بينهم وحرفوا
وغيروا وقيل الضمير لرسول الله عم كقوله والله يعصمك من الناس ولقد ارسلنا
من قبلك في شيع الاولين اي ارسلنا رسلا ومن قبلك يجوز ان يتعلق بارسلنا وان
يتعلق بالمحذوف على انه نعت له والشيع جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب
من شاعه اذا تبعه واصله الشياع وهو الحطب الصغار توقد به الكبار والمعنى نبأنا رجالا
فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون كما يفعل
هؤلاء وهو تسلية للنبي عم وقيل وما يأتيهم حكاية حال ماضية لان ما لا يدخل على مضارع الا وهو
في موضع الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال ورد عليه بان ما يكثر دخولها على المضارع
مرادا به الحال ويدخل عليه مرادا به الاستقبال كقوله تعالى قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي
وانشد شاهدا له قول ابي ذؤيب اودى بني واودعوني حسرة عند الرقاد وعبرة
ما تقلع وقول الاعشى في مدح رسول الله عم له نافلات ما يغب نوالها وليس عطاء
اليوم مانعه غدا وقوله الا كانوا يجوز ان يكون حالا من مفعول يأتيهم ويجوز ان يكون
صفة لرسول ففيه وجهان الجر باعتبار اللفظ والرفع باعتبار المحل واذا كان حالا فهي
حال مقدرة كذلك مثل ذلك السلك نسلكه في قلوب المجرمين والسلك ادخال الشيء في الشيء
كالخيط في المخيط والرمح في المطعون والضمير للذكر اي ندخله في قلوبهم مكذبا مستهزأ
غير مقبول كما للضمير الاخير في قوله لا يؤمنون به وهو حال من هذا الضمير وبيان للجملة
المتضمنة له او حال من المجرمين او منهما ولا ينافي كونه مفسرا للمعنى الاول بل يقويه و
تعاقب الضمير وان لم يستلزم توافقهما في المرجوع اليه لكنه مستحسن لا يعدل عنه عند سداد
المعنى وقد خلت سنة الاولين استئناف اي قد مضت طريقتهم التي سنها الله تعالى
في اهلاكهم حين كذبوا الرسل وكذبوا الذكر المنزل اليهم وهو وعيد لاهل مكة على تكذيبهم
فتوقع هذا الكلام موقع الغاية في سورة الشعراء اعني قولهم حتى يروا العذاب الاليم
ولو فتحنا عليهم على هؤلاء المقترحين المعاندين بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون
اي يسرنا لهم معراجا يصعدون فيه اليها طول النهار ويعاينون ما هنالك وذكر
الظلول ليكون عروجهم بالنهار مستوضحين لما يعاينون ما هنالك طوله لقالوا من
غلوهم في العناد وتشككهم في الحق انما سكرت ابصارنا حيرت من السكر ويدل عليه قراءة ابن
كثير بالتخفيف اي حبست ومنعت من الابصار كما يحبس النهر من الجري بل نحن قوم مسحورون
قد سحرنا محمد بذلك كما قالوا عند ظهور غيره من الآيات اي هذا امر تخييلي لا حقيقة
له قد سكرت ابصارنا بل سحرنا به ومعنى انهم يثبتون القول بان ذلك ليس الا تسكيرا للابصار
وكذا معنى الاضراب في بل وايراد الجملة الاسمية اي قد سحرنا سحرا ثابتا لا افاقة معه

ولقد جعلنا في السماء بروجا هي الاثنى عشرة المعروفة مختلفة الهيئات والخواص
على ما دل عليه الرصد والتجربة ومن زاد على هذا قوله مع بساطتها فقد ادعى ما دون
اثباته خرط القتاد وزيناها بالاشكال والهيئات البهية للناظرين المعتبرين المستدلين
على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها وحفظناها الضمير للسماء وكذا في وزيناها اذ لا
وجه لتخصيص الزينة بالبروج من كل شيطان فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس اهلها
ويتصرف في امرها ويطلع على احوالها رجيم مرجوم بالنجوم اى يرمى بها الا من استرق
السمع في محل النصب على الاستثناء المتصل واستراق السمع اختلاسه سرا شبهت الخطفة اليسيرة
التي للشياطين من سكان السموات لبعض الغيب لما بينهم من المناسبة في الجوهر او بالاستدلال
من اوضاعها وحركاتها بالسرقة في المسموعات وعن ابن عباس انه كان الشياطين غير محجوبين
عن السموات فلما بعث عيسى عم منعوا من ثلث سموات فلما بعث محمد منعوا منها جميعا
بالشهب ولا يقدح فيها تكونها قبل المولد لجواز ان يكون لها اسباب اخر ويجوز ان يكون
من في محل رفع بالابتداء وخبره فاتبعه اى طلبه لحوقه وانما دخلت الفاء لان من اما شرطية
واما موصولة مشبهة بالشرطية والاستثناء منقطع وقيل انه منقطع وقيل انه بدل من كل
شيطان فيكون محله الجر وفيه ان الكلام موجب فيحتاج الى تأويله بالنفي ولا ضرورة ههنا
بخلاف قوله فشربوا منه الا قليلا فان فيه ضرورة على قراءة الرفع ومن قال اى فتبعه ولحقه
فكانه لم يفرق بين تبعه واتبعه والفرق قائم يقال اتبعه اتباعا اذا طلب الثاني اللحوق
بالاول وتبعه تبعا اذا مر به فمضى معه وكذلك اتبعه اتباعا بالتشديد ثم ان ما روى
عن ابن عباس بعد قوله منعوا منها جميعا فما منهم من احد يريد استراق السمع الا
رمى بشهاب قبس فان اصابه احرقه وان اخطأه خبله فصار غولا يضل الناس في
البوادي صريح في عدم اعتبار اللحوق في الاتباع شهاب مبين ظاهر للمبصرين والشهاب
شعلة نار ساطعة واطلاقه على الكوكب والسنان بطريق الاستعارة لما فيه من البريق
والارض مددناها بسطناها ليحصل بها الانتفاع لمن حل بها وقيل المد هو البسط
الى ما لا يدرك منتهاه ولما كانت هذه الجملة تقدمها جملة فعلية كان النصب على الاشتغال
ارجح من الرفع على الابتداء فلذلك نصب في الارض والقينا طرحنا وانما قال فيها دون
عليها لدفع ما يتبادر الى الفهم من القاء الجبال القاؤها على الارض من الخارج وبيان
ان المراد تكونها فيها على وجه يتظاهر كانها ملقاة عليها رواسي جبالا ثوابت وقد مر
ما يتعلق به في سورة الرعد وانبتنا فيها اى في الارض والانبات في الجبال يندرج
في الانبات في الارض بدون العكس فلا حاجة الى الجمع ولا وجه لعود الضمير الى الجبال
خاصة من كل شيء لفظ كل للتكثير والتفخيم لا للاحاطة والتعميم وقد مر نظايرها موزون

بميزان الحكمة مقدر بقدر تقتضيه او مستحسن مناسب لقولهم كلام موزون او
ذي قدر ووقع في باب النعمة والمنفعة وجعلنا لكم فيها معايش قد مر تفسيره في
سورة الاعراف ومن لستم له برازقين نصب عطفا على لكم لا على الضمير المجرور
الا لوجب اعادة الجار اى جعلنا لكم فيها معايش ولمن لستم له برازقين من العيال
والخدم والمماليك والانعام والدواب مما تظنون انكم رازقوهم ظنا كاذبا
والله يرزقكم واياهم او على معايش اى وجعلنا فيها من لستم له برازقين مما ذكر
فانها من معايشكم وفي تلك الاية الاستدلال بجعل الارض ممدودة بمقدار وشكل معين
مختلفة الاجزاء في الوضع محدثة فيها انواع النبات والحيوان المختلفة خلقة وطبيعة
مع جواز ان لا يكون كذلك على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد في الالوهية و
الامتنان على العباد انعم عليهم في ذلك ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ في ذلك فقال
وان من شيء الا عندنا خزائنه من شيء في محل الرفع مبتداء خبره عندنا خزائنه
ومن زائدة لتأكيد العموم الخزائن جمع الخزانة وهي اسم المكان الذي يخزن اى
يحفظ فيه نفايس الاموال شبه معلوماته الممكنة التي اذا تعلقت الارادة بها وجدت
بقدرته بالاشياء المخزونة في الخزائن فهي استعارة وقيل ضرب ذلك الاقتدار
على كل مقدور وايجاده وتكوينه بسبب ذلك الارادة او ما من شيء من الاشياء الممكنة
الا ونحن قادرون على ايجاد اضعاف ما وجد منه وما ننزله اى نكونه ونوجده
في العالم السفلي الا بقدر معلوم اى بمقدار معين وحد عينته الحكمة واقتضته المشية
فان تخصص كل منها بصفة دون اخرى وشكل ومقدار ووقت معين دون ما يخالفها
لا بد له من مخصص حكيم وارسلنا الرياح فيه اشارة الى ان مقتضى طبع الريح الهبوب
وانما يوكد بالقسر الالهي لما في هبوبه الذي بعد قدر الحاجة مفسدة عظيمة لواقح
حوامل وملقحات للسحب والسحاب ونظيره الطوائح بمعنى المطاوح جمع مطيحة كقوله
ومختبط مما تطيح الطوائح اى المطيحات شبه الريح التي جاءت بخير كانشاء سحاب
ماطر وانبات زرع وعشب بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم وقرئ و
ارسلنا الريح على تأويل الجنس فانزلنا من السماء ماء فد مر تفسيره في تفسير سورة
البقرة فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين نفي لما اثبته لنفسه
في قوله وان من شيء الا عندنا خزائنه عنهم كانه قال الخازنون للماء لا انتم اى نحن
القادرون على خزنه في السحاب وانزاله وما انتم عليه بقادرين دلالة باهرة على
عظيم قدرته واظهار لعجزهم وقيل معنى وما انتم له بخازنين في الغدران والعيون
والابار وانا لنحن نحيي ونميت تقديم الضمير للاختصاص وتكريره وتأكيده بان للحصر

والتقوية اي لا قدرة على الاحياء والاماتة الا لنا ويجوز ان يراد بالحيوة ما يعم الحيوان
والنبات وبالموت ما يقابله ونحن الوارثون الباقون بعد فناء الخلق كلها استعير الوارث
للباقي من وارث الميت لانه يبقى بعد فنائه ولقد علمنا المستقدمين ولقد علمنا المتأخرين
من استقدم ولادة وموتا ومن تأخر من الاولين والاخرين فيهما او من خرج من اصلاب
الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة ومن تأخر
لا يخفى علينا من احوالكم شيء فهو بيان لكمال علمه تع بعد الاحتجاج على كمال قدرته وقد
دل على ايضا ما دل على قدرته وقيل رغب رسول الله في الصف الاول فازدحموا عليه
فنزلت وروي ان امرأة حسناء كانت في المصليات خلف رسول فاستقدم بعض
القوم لئلا يقع بصره عليها واستأخر بعضهم ليبصرها فنزلت وما تقدم من الوجوه
والذي يتلوه هو المطابق للسابق واللاحق وان ربك هو يحشرهم للحشر جميع الحيوان
من جهات شتى الى مكان اي هو وحده يقدر على حشرهم وحصرهم مع تباعد اطراف
عددهم وتصدير الجملة بان لتحقيق الوعد والتنبيه على ان ما سبق من الدليل على
كمال قدرته تع وعلمه يدل على صحة هذا الحكم كما صرح به في قوله انه حكيم اي باهر الحكمة
متقن في افعاله عليم اي واسع العلم يحيط بكل شيء علما ولقد خلقنا الانسان من صلصال
كما نبه تع على منتهى الخلق وهو الحشر يوم القيمة الى ما يستقرون فيه نبههم على مبداء
اصلهم آدم عم والصلصال الطين اليابس الذي يصلصل لشدة يبسه وهو غير
مطبوخ واذا طبخ فهو فخار وقيل اذا سمع في صوته مد عند النقر فهو صليل واذا
سمع ترجيع فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل اذا انتن من حمإ صفة صلصال اي
كائن من حمإ ويجوز ان يكون بدلا من صلصال باعادة الجار والحمأ طين تغير واسود
من طول مجاورة الماء مسنون مصبوب مفرغ من سن الماء صبه اي افرغ صورة
انسان كما يفرغ في الصور والتماثيل من الجواهر المذابة كأنه افرغ الحمأ فصور
منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غير ذلك طورا بعد طور حتى
سواه ونفخ فيه من روحه والجان ابو الجن كما ان ادم عم ابو الانس ويجوز ان يراد
به الجنس كما هو الظاهر من الانسان فان تشعب الجنس لما كان من شخص واحد
خلق من مادة واحدة كان الجنس باسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره خلقناه
من قبل من قبل الانسان من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام وهذا باعتبار
الغالب كقوله خلقكم من تراب ولا يمنع خلق الحيوة في الاجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها
في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة التي الغالب فيها الجزء الناري فانها اقبل
لها من الغالب فيها الجزء الارضي وساق الآية كما هو للدلالة على كمال قدرته تع

ومعنى ونفخت فيه من روحي احييته وجعلت فيه روحي فصار بشرا حيا واضاف الروح الى نفسه تخصيصا وتكريما له والروح ما يصير الجسم به حيا
وليس ثم نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لتحصيل ما يحيى به فيه

وبيان بداء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف امكان الحشر وهو قبول
المواد للحشر والاحياء واذ قال ربك اذكر وقت قوله للملائكة اني خالق بشرا من صلصال
من حمإ مسنون وانما قال ههنا بشرا لان المراد الجسد الخالي عن الروح والمراد فيما سبق جنس
الانس ولم يقصد خلوه عن الروح فلذلك عبر عنه ثم بالانسان فاذا سويته عدلت خلقته
وهيأته لنفخ الروح فيه ونفخت فيه من روحي اي احييته وهو تمثيل لتحصيل ما يحيى به جثته
فيه وما ثم نفخ ولا منفوخ لكن لما كان ظهور الروح الانساني المخصوص بالله تع فيه انما هو بنفاذ
القوة الحيوانية على البخار اللطيف المتولد في القلب الساري منه في الشرايين الى ساير اعضاء
البدن عبر عن احيائه بنفخ الروح الى نفسه لانه صدر منه بلا واسطة فقعوا له فاسقطوا
له ساجدين امر من وقع يقع فسجد الملئكة كلهم تعلقه لامر منجز مذكور في مواضع اخر فقد
قررناه في تفسير سورة الاعراف لا لامر معلق مذكور ههنا فالفاء للفصيحة للعطف على
محذوف تقديره ظاهر لمن وقف على الامر التنجيزي اجمعون اكد بتأكيدين للمبالغة في التعميم
ومنع التخصيص هذا على قول سيبويه وعن المبرد اكد بالكل للاحاطة وباجمعين للدلالة
على انهم سجدوا دفعة واحدة ورده الزجاج بان اجمعين معرفة لا يكون حالا الا ابليس
استثناء متصل وقد سبق وجهه في سورة البقرة والاعراف ابى استيناف كان سائلا
قال هلا سجد فقيل ابى ان يكون مع الساجدين في عبادة مع اشارة الى ان ابليس كان في حيز
التابعين في امر السجود ومع ذلك استكبر ولا يخفى لطف موقع هذه الاشارة حيث كان
الكلام في تقبيح حاله قال يا ابليس ما لك الا تكون اي غرض لك في ان لا تكون مع الساجدين
لآدم قال لم اكن لاسجد اللام لتأكيد النفي اي لا يصح مني وينافي حالي ان اسجد لبشر
جسماني كثيف وانا روحاني لطيف خلقته من صلصال من حمإ مسنون اي خلقته من اخس
الاجرام وانا مخلوق من اشرفها استنقص آدم عم باعتبار النوع والاصل وقد سبق
الجواب عنه قال فاخرج منها من السماء والجنة فانك رجيم مطرود من رحمة الله تع اي ملعون
لان الطرد من الرحمة هو اللعن والرجم في الاصل هو الرمي بالحجارة وجعل الرجم طردا لان
من يطرد يرجم بالحجارة وقيل من الشيطان المرجومين بالشهب وهذا ليس جوابا عن الشبهة
على سبيل التصريح بل جواب على سبيل التنبيه وذلك ان الذي قاله تع نص والذي قاله ابليس
قياس ومن عارض النص بالقياس كان رجيما ملعونا وان عليك اللعنة هذا الابعاد والطرد
الى يوم الدين جعله منتهى امد اللعن لا بمعنى انه ينقطع عنده بل بمعنى ان الاغواء الموجب للعن
على لسان المكلفين ينقضي بانقضاء التكليف ووقت الجزاء فينقطع ذلك اللعن ثم يجازى بما نسي
معه اللعن ويتحقق من انواع العذاب والا فاللعن في القيمة منصوص عليه في مواضع من كلام
الله تع كقوله ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا كلما دخلت امة لعنت اختها

فاذن مؤذن بينهم ان لعنة على الظالمين وقيل حدّ اللعن به لانه ابعد غاية يضربها الناس
في التابيد كقوله ما دامت السموات والارض قال رب فانظرني فاخّرني والفاء متعلقة
بمحذوف دل عليه سياق الكلام تقديره فاذ جعلتني رجيما الى يوم القيمة فانظرني الى
يوم يبعثون انما سأل الانظار طلبا للامهال في العقوبة قبل ان يجد فسحة في الاغواء
ونجاة عن الموت اذ لا موت بعد وقت البعث فاجابه الى الاول دون الثاني وما ذكرنا
اتم وهو مستلزم لما ذكر اولا واما ما ذكره ثانيا فمبناه ضعيف على ما ستقف عليه
قال فانك من المنظرين الفاء للعطف على محذوف تقديره لا حاجة الى السؤال فانك من
الذين اقتضى حكمة التكليف انظارهم فكان فيه تنبيها على انه لا حاجة له ولا كرامة من جهة
الاسعاف لبعض سؤله الى يوم الوقت المعلوم هذا ويوم الدين ويوم يبعثون واحد
الا انه خولف بين العبارات قضاء لحق البلاغة في الكلام فعبّر عنه اولا بيوم الجزاء لما عرفت
وثانيا بيوم البعث لانه المناسب لغرض اللعين وثالثا بيوم الوقت المعلوم لوقوعه
في الكلامين وزيادة الوقت المعلوم للتنبيه على ان التاخير الى ذلك اليوم لا يقتضي
نجاته عن الموت لانه زمان ممتد والبعث في بعض اوقاته فيجوز ان يموت في اوله
ثم يبعث مع ساير الخلايق في وقت البعث وهذه المخاطبة وان لم يكن بواسطة لم
تدل على كرامته عند الله تع لانه على سبيل الاهانة والاذلال قال رب بما اغويتني
الباء للسببية وما مصدرية اى بعد ان امهلتني لاجهدن في اغوائهم باى طريق يمكنني
بسبب اغوائك اياى بواسطتهم وقيل الباء للقسم ويرده قوله تع في موضع اخر
فبعزتك لاغوينهم اجمعين والقصة واحدة وهو صريح في ان القسم بصفة
الذات فمن قال والمعنى اقسم باغوائك اياى ثم قال وفي انعقاد القسم بافعال الله تع
خلاف فقد اخطأ في الاول ولم يصب في الثاني لان الخلاف للفقهاء ونزاعهم في انه
يمين يترتب عليها احكامها من الكفارة وغير ذلك لا في اليمين المتعارف فانه لا خلاف
في ان اسم الحلف في عرف العرب يقع عليه وهو متعارف عندهم ولهذا ورد النهي عن
الحلف بالاباء وعدّه الاصحاب مكروها فالكلام المذكور لا مساس له لهذا المقام لازينن
لهم في الارض اى لازينن لهم المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله اخلد الى الارض
وقيل معنى تقييد التزيين بقوله في الارض اني قدرت على تزيين الاكل من الشجرة لآدم في
السماء فانا على تزيين المعاصي لذريته في الارض اولى ولاغوينهم ولاحملنهم على
الغواية اجمعين الا عبادك منهم المخلصين اى الذين اخلصهم الله تع لطاعته وطهرهم
عن الشوائب وقرئ بكسر اللام اى الذين اخلصوا نفسهم ودينهم لله تع وكان و
كان يكفيه ان يقول الا المخلصين منهم فزاد قوله عبادك اشارة الى وجه خلاصهم

عن اغوائه ومن اختصاصهم بالله تع من جهة العبودية وتوطئة لتوصيفهم بالوصف
المذكور قال هذا اشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوائه او
الى الاخلاص صراط علي اى تخلصهم من اغوائك وانتفاء سلطانك عليهم حق علي ان اراعيه
او الاخلاص طريق علي بمعنى يؤدي الى الوصول الي والدخول على مستقيم من غير اعوجاج
او هذا الصراط حق علي ان اراعيه وهو ان لا يكون لك سلطان على عبادي فقوله ان
عبادي ليس لك عليهم سلطان تفسير للصراط المشار اليه بهذا على طريق الاستيناف
وقرئ علي من علو الشرف والمكانة وفي القول المذكور لما اوهم اللعين من انه انما استثنى
المخلصين رعاية لشرف تقربهم من الله تع والاضافة في عبادي للتشريف بمعنى ان المخلصين
رعاية لشرف تقربهم من الله تع والاضافة في عبادي للتشريف بمعنى ان المخلصين بعبادي
المشرفين بالانتساب الي لا قدرة لك على اغوائهم فالاستثناء في قوله الا من اتبعك من
الغاوين منقطع اى لكن من اتبعك من الغاوين فلك عليهم سلطان والواو في قوله وان
جهنم لموعدهم اى لموعد المتبعين للعطف على المحذوف المذكور واما ما قيل انه تكذيب له
فيما اوهم ان له سلطانا على من ليس بمخلص من عبادي فان منتهى امره التزيين والتدليس
كما قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا يخفى بعده لانه ان
اريد بالسلطان القدرة على الاغواء والاضلال فلا وجه للتكذيب له وان اريد به ما اراده
في القول المنقول عنه من القدرة القاهرة وكلامه خلو عن ايهامه ثم ان مبناه على انقطاع الاستثناء
مع صحة التناول في المستثنى منه للمستثنى ولا يخفى ما فيه فان حق الاستثناء على تقدير العموم
في المستثنى الاتصال كما ذهب اليه من قال انه تصديق لابليس فيما استثناه ولا يذهب
عليك ان خطابه بالتصديق فيما قاله لا يخلو عن نوع اجلال له فلا يناسب مقام الاهانة و
الاذلال اجمعين تاكيد للضمير او حال والعامل فيها الموعد ان جعلته مصدرا على تقدير مضاف
ومعنى الاضافة ان جعلته اسم مكان فانه لا يعمل لها سبعة ابواب بحسب طبقاتها استيناف
او خبر ثان قال رضي الله تع وضع الجنان على الارض ووضع دركات النيران بعضها فوق
بعض فاسفلها جهنم فوقها اللظى وفوقها الحطمة وفوقها سقر وفوقها الجحيم وفوقها
السعير وفوقها هاوية ومن وهم عكس الترتيب فقد وهم لكل باب منهم من الاتباع جزء
مقسوم افرز له فاعلاها للموحدين والثانية لليهود والثالثة للنصارى كذا روي ان الثانية
للنصارى والثالثة لليهود والرابعة للصابئين والخامسة للمجوس والسادسة للمشركين وان
للمنافقين قال الله تع ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وهذا صريح في انها دركات
بعضها فوق بعض وبما قررنا ظهر ان التخصيص العدد لان اهلها سبع فرق لا لانحصار
مجامع المهلكات في الركون الى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوانية والغضبية وقرئ جز

بالتنقل وقرئ جن على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء ثم الوقف عليه بالتشديد ثم اجراء
الوصل مجرى الوقف ومنهم حال منه او من المستكن في الظرف لا في مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما
تقدم على موصوفها ان المتقين من اتباعه من قال في الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة فكانه
غفل عن اشتراط كفارة الصغائر بالاجتناب عن الكبائر في جنات قد سبق في تفسير سورة البقرة
ان الجنان ايضا سبع وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال
والعمال وعيون يحتمل ان يكون المراد بها الانهار المذكورة في قوله تع فيها انهار من ماء غير آسن
وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى وان يكون
منابع مغايرة لتلك الانهار ادخلوها على ارادة القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على
انه ماض لادخال بسلام سالمين او مسلما عليكم اي يسلم عليكم الملئكة آمنين من الآفات
والعاهات واما الزوال فالامن عنه انما يعلم من قوله وما هم منها بمخرجين فلا وجه لدرجه
في الامن المراد ههنا ونزعنا ما في صدورهم من غل كان لبعضهم في الدنيا على آخر نزع الله تع
ذلك من قلوبهم بعد دخولهم الجنة وطيب نفوسهم روى ابو امامة رض عن النبي عم انه
قال ان اهل الجنة يدخلون الجنة بما في صدورهم من الشحناء والعداوة والحقد والغل والحسد
والسفل فاذا تراضوا وتقابلوا نزع الله تع ذلك عن صدورهم فذلك قوله تع ونزعنا ما
في صدورهم من غل لانه نفي وهم ان ذلك النزع في الدنيا فقد وهم وعن علي رض ارجو
ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم والغل الحقد الكامن في القلب من انغل في جوفه
وتغلغل فلا وجه لما قيل من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب اخوانا حال من الضمير
المجرور في صدورهم وجاز ذلك لان المضاف جزء المضاف اليه او من فاعل ادخلوها
او من الضمير المجرور في صدورهم وجاز ذلك لان المضاف جزء المضاف اليه في آمنين او
من الضمير في جنات وكذا قوله على سرر متقابلين ويجوز ان يكونا صفتين لاخوانا او حالين
من ضميره لانه بمعنى متصافين او يكون متقابلين حالا من المستتر في على سرر لا يمسهم فيها نصب
استيناف او حال بعد حال او حال من الضمير في متقابلين والنصب الوهن الذي يلحق من النصب
في العمل وما هم منها بمخرجين نص في الخلود وبه يتم النعمة ولما اتم ذكر الوعد والوعيد
ذنبه بقوله نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم تقريرا لما
ذكر وتمكينا له في النفوس وهو فذلكة لذلك وفي ذكر المغفرة ايماء الى انه لم يرد بالمتقين
الذين اجتنبوا الذنوب باسرها كبيرها وصغيرها وعن ابن عباس رض غفور لمن تاب
وعذابه لمن لم يتب وفي توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب والتاكيد
بالضمير وتعريف الاسمين ترجيح لجانب الوعد وفي عطف ونبئهم عن ضيف ابرهيم
تحقيق لهما بما يعتبرون به مما نزل بقوم لوط عم من العذاب وانجاء لوط واله اذ دخلوا

عليه فقالوا سلاما اي نسلم عليك وسلمنا سلاما او سلمت سلاما قال انا منكم وجلون
الوجل اضطراب النفس لتوقع مكروه وكان ذلك لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت
وقيل لامتناعهم من الاكل قالوا لا توجل وقرئ لا توجل بضم التاء من اوجله اذا اخافه
وقرئ لا تواجل من واجله بمعنى اوجله انا نبشرك استيناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل اي
انك في محل الامن والبشارة فان المبشر لا يخاف منه وقرئ نبشرك بفتح النون والتخفيف
من البشر بغلام هو اسحاق عم لقوله فبشرناها باسحاق عليم بالدين فادمج فيه الاشارة الى
نبوته كما ضمن قوله بغلام البشارة بكون الولد ذكرا قال ابشرتموني على ان مسني الكبر
كانه عن تغيير ابائه عن الحال التي تطمع في الولد الى حال الياس عنه ومعنى الهمزة التعجب او
الاستنكار اي البشارة بالولد مع مس الكبر امر عجيب مستنكر في العادة ولذلك اكده بقوله
فبم تبشرون اي فباي اعجوبة تبشروني فان البشارة بما لا يتصور وقوعه في العادة بكلا
بشارة او بشارة بغير شيء وقرئ تبشرون بكسر النون والتشديد على ادغام نون
الجمع في نون الوقاية وبكسرها والتخفيف على حذف نون الجمع والاصل تبشرونني قالوا
بشرناك بالحق بما هو محقق الوقوع او باليقين الذي لا لبس فيه ويجوز ان يكون قوله
فبم تبشرون سؤالا عن وجه البشارة وطريقته اي باي طريقة تبشرونني بالولد ولا طريق
الى هذه البشارة في العادة وعلى هذا يكون معنى قوله بالحق بطريقة هي حق وهو قوله تع
ووعده فلا تكن من القانطين من الآيسين من ذلك فانه القادر على ايجاد بشر من غير
ابوين فكيف من شيخ هرم وعجوز عاقر وكان استعجاب ابرهيم عم باعتبار العادة دون
القدرة ولذلك قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون اي المخطئون طريق المعرفة فلا
يعرفون كمال قدرته وسعة رحمته كقوله تع انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
اي لم استبعد ذلك قنوطا من رحمة الله تع واستبعادا من قدرته بل استبعدته نظرا
باعتبار العادة قرئ يقنط بالحركات الثلث وقرئ من القنطين من قنط يقنط قال
فما خطبكم ايها المرسلون اي فما الامر الجليل الذي بعثتم له تفريع على ما علم مما تقدم
من ان كل المقصود من ارسالهم ليس البشارة لانهم كانوا ذوي عدد ولو لم يكن المقصود
الا البشارة لاكتفى بالواحد كما اكتفى به في بشارة زكريا ومريم ولانهم مبشرون في
اثناء ازالة الوجل لو كان المقصود هي وحدها لابتدأ بها ولان نزول الملئكة
يكون غالبا للعذاب قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين اريد بهم معنيون يدل عليه قوله
في سورة هود عم انا ارسلنا الى قوم لوط وانما نكر ههنا على سبيل الاستهانة بهم كانهم
ابهموا اولا ثم بينوا فنقل كل منهما في موضع اكتفاء بقدر الحاجة وفي الاشارة في توصيفهم
بالمجرمين الى ان ارسالهم بالعذاب غني عن الصيادة عنه بقوله لنرسل عليهم حجارة من طين

الواقع فی موضع آخر فلما جاءهم قالوا انا ارسلنا بالعذاب الی قوم مجرمین والمجرم المنقطع
عن الحق الی الباطل الا آل لوط استثناء متصل من الضمیر فی مجرمین ای قوم اجرموا کلهم
الا آل لوط او من قوم علی ان توصیفهم بالاجرام باعتبار الغالب وعلی کلا التقدیرین القوم
والارسال شاملان للمجرمین وآل لوط المؤمنین به عم والمعنی انا ارسلنا الی قوم لوط
وآله لیهلک قومه وینجوا اهله الا امرأته انا لمنجوهم ای مما یعذب به القوم اجمعین استیناف
للجواب عن سؤال ابرهیم عم وهو مذکور فی موضع آخر بقوله قال ان فیها لوطا قالوا نحن
نعلم بمن فیها لننجینه واهله الا امرأته وهذا القدر من الاختلاف فی سلوک الکلام لا یضر
اذا کان المراد نقل خلاصة المعنی وحاصل المرام الا امرأته استثناء من الضمیر المجرور فی
منجوهم او من آل لوط علی ان یجعل انا لمنجوهم اعتراضا قدرنا انها لمن الغابرین
انما کسرت من اجل اللام فی خبرها ولولاها لفتحت وهی معلقة لما فیها لان فعل التقدیر
یعلق اجراء له مجری القول لان التقدیر بمعنی القضاء قول او مجری العلم اما لکونه بمعنا
واما لکونه مترتبا علیه واما تضمینه معنی العلم فلا یجدی نفعا لبقاء معنی الفعلین واصل
التقدیر جعل الشیء علی مقدار غیره والغابر الباقی والمراد البقاء فی العقوبة وهذه
الجملة من کلام الله تع ذکرت تقدیرا للاستثناء الواقع فی کلام الملئکة لان قوله تع فانجیناه
واهله الا امرأته قدرناها من الغابرین صریح فیه والقصة واحدة فلا مساغ لان یکون
من کلام الملائکة فالذین سعوا فی توجیه اسناده منهم التقدیر الی انفسهم مما لا یحتاج الی نوع
تعسف لم یکن سعیهم مشکورا فلما جاء آل لوط المرسلون الفاء الفصیحة للعطف
علی محذوف تقدیره ظاهر بقرینة المقام وباقی الکلام قال انکم قوم منکرون تنکرکم
نفسی واخاف ان تطرقونی بشر قالوا بل جئناک بما کانوا فیه یمترون ای ما جئناک
بما تنکرنا لاجله وتخافه بل جئناک بما یسرک ویشفیک من اعدائک وهو العذاب الذی
توعدتهم بنزوله فیمارون فیه تکذیبا وقوله فی سورة هود عم قالوا ان لی بکم
قوة او اوی الی رکن شدید قالوا یا لوط انا رسل ربک لا یمکن توفیقه لهذه
المقاولة الا بجعل قوله عم مبنیا علی تصویر الحال والتعبیر عنها وحمل ما نقل عنهم علی
نقل مآل المعنی وحاصل الکلام واتیناک بالحق بالیقین من عذابهم وانا لصادقون
فیما اخبرناک به فاسر باهلک فاذهب بهم فی اللیل قری فاسر بقطع الهمزة ووصلها
من اسری وسری وقری فسر من السیر بقطع من اللیل بطائفة منه وقیل من آخره
قال افتح الابواب وانظر فی النجوم لم علینا من قطع اللیل بهیم واتبع ادبارهم وکن
علی اثرهم تذودهم لئلا یتخلف منهم احد فیصیبه العذاب لتکون مطلعا علیهم وعلی
احوالهم فلا یشتغل قلبک بمن خلفک ولا یصدر من احدهم هفوة فی تلک الحالة الهولة

احدث ما منک ولا یلتفت منکم احد فیری ما بهم من العذاب ویرق لهم او یری ما لا
یطیقه من الهول فیبقی علی مکانه دهشا فیهلک او ینص فیصیبه العذاب وقیل نهوا عن
الالتفات الی الاوطان والمالوفات تحسرا علیها لیوطنوا نفوسهم علی المهاجرة ویجوز
ان یکون النهی عن الالتفات کنایة عن الامر بتواتر السیر واتصاله وترک التوانی والتوقف
والتوقف فان الملتفت لا بد له من ادنی وقفة وتوان وامضوا حیث تؤمرون ای حیث
امرکم الله تع بالمضی وهو الشام او مصر عدی امضوا الی حیث بنفسه لانه ظرف مبهم فی الامکنة
وکذا تؤمرون الی ضمیره المحذوف علی الاتساع وقضینا الیه ضمن قضینا معنی اوحینا فعدی
بالی کانه قیل واوحینا الیه مقضیا مبتوتا ذلک الامر مبهم یفسره ان دابر هؤلاء مقطوع
ومحله النصب علی البدل منه ای یستاصلون عن آخرهم حتی لا یبقی منهم احد وفی ابهامه و
الاشارة الیه بذلک ثم تفسیره تفخیم للامر وتعظیم له وقری ان بالکسر علی الاستیناف کان
قائلا قال ما ذلک الامر فقال ان دابر الخ مصبحین داخلین فی الصبح حال من هؤلاء او من
الضمیر فی مقطوع وانما جمع حملا علی المعنی فان دابر هؤلاء فی معنی مدبری هؤلاء وجاء
اهل المدینة سدوم یستبشرون باضیاف لوط عم طمعا فیهم قال ان هؤلاء ضیفی
الضیف فی الاصل مصدر اضاف یضیف اذا اتی انسانا لطلب القری وهو اسم یقع علی الواحد
والجمع والمذکر والمؤنث واطلاق الضیف علی الملئکة لکونهم فی صورته فلا تفضحون
بفضیحة ضیفی فان اسیئ الی ضیفه فقد اسیئ الیه یقال فضحه یفضحه فضحا وفضیحة
اذا اظهر من امره ما یلزمه العار واتقوا الله فی رکوب الفاحشة ولا تخزون ولا تذلون
بسببهم من الخزی وهو الهوان او لا تخجلون فیهم من الخزایة وهی الخجالة وهذا القول
منه عم صریح فی ان مجیء اهل المدینة والمقاولة معهم فی شان الاضیاف قبل العلم بانهم
ملائکة ارسلوا للنصر کما فی قوله وجاء اهل المدینة یستبشرون اخبار عن مجیئهم عقیب
نزول الملئکة فی بیت لوط عم قبل محاورته معهم وعلمه بانهم ملائکة وما فی قوله فلما جاء
آل لوط المرسلون قال انکم قوم منکرون اخبار عن محاورته عم مع الملئکة بعد تمام مقاولته
مع اهل المدینة ولا دلالة فی الواو علی الترتیب قالوا اولم ننهک الهمزة للاستفهام الانکاری
والواو للعطف علی محذوف تقدیره الم نقل لک ولم ننهک عن ان تجیر احدا بالانزال فی بیتک ولم ننهک
عن العالمین ای عن المنع بیننا وبینهم فانهم کانوا یتعرضون لکل واحد وکان لوط عم
یمنعهم عنه بقدر وسعه قال هؤلاء بناتی فیه وجوه قدمت بیانها فی تفسیر سورة هود عم
ان کنتم فاعلین شک فی قبولهم لقوله کانه قال ان فعلتم ما اقول لکم وما اظنکم تفعلون
وقیل ان کنتم تریدون قضاء الشهوة فیما احل الله تع دون ما حرم لعمرک قسم بحیوة المخاطب
وهو نبینا عم وقیل لوط عم قالت الملئکة له ذلک واللام لام الابتداء وعمرک مبتدأ خبره

محذوف تقديره لعمرك قسمي والعمر بالفتح لغة في العمر يختص به القسم ايثارا للاخف فيه
لانه كثير الدور على السنتهم وهو متى قرن بلام الابتداء يلزمه حذف الخبر لسد جواب
القسم مسده انهم لفي سكرتهم اي غوايتهم او شدة غلمتهم التي اذهبت تمييزهم بين
الخطاء الذي هم عليه وبين الصواب الذي يشار به اليهم يعمهون يتحيرون فكيف يقبلون
النصح فاخذتهم الصيحة اللام للجنس والمراد به الفرد الكامل في معناه وهو صيحة جبرئيل عم
فان اسم الجنس كما يستعمل لمسمى مطلقا يستعمل لما يستجمع المعاني المقصودة منه ولذلك يسلب
عن غيره فيقال زيد ليس بانسان والصيحة صوت يخرج من الفم بشدة واخذهم الصيحة
قهرها اياهم وتمكنها منهم ومنه الاخيذ بمعنى الاسير مشرقين داخلين في الشروق وهو بزوغ
الشمس يقال شرقت الشمس شروقا اذا طلعت واشرق الرجل اذا دخل في الشروق كان ابتداء
العذاب حين اصبحوا وتمامه حين اشرقوا فلا منافاة بينه وبين قوله ان موعدهم الصبح
فجعلنا عاليها عالي المدينة او عالي قراهم سافلها منقلبة عليهم وامطرنا عليهم حجارة من
سجيل من طين متحجر او طين عليه كتاب من السجل لقوله حجارة من طين مسومة اي معلمة بكتاب
وقيل قذفوا بالحجارة اولا ثم قلبوا وقيل التقليب كان للحاضرين والامطار لمن شذ منهم ان
في ذلك لآيات للمتوسمين للمتفرسين اي الناظرين المتثبتين في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء
بسمته يقال توسمت في فلان كذا اذا عرفت وسمته فيه وانها وان المدينة او القرى لبسبيل
مقيم ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها لم يندرس بعد وهو تنبيه لقريش المارين به
وتهديد لهم كقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين ان في ذلك لآية للمؤمنين بالله ورسوله
ولام الاختصاص لان الانتفاع بها مخصوص بهم وان كان ان هي المخففة واللام فارقة اصحاب
الايكة هم قوم ممن بعث اليه شعيب عم كانوا يسكنون الغيضة والايكة الشجرة الملتفة واحده
الايك لظالمين لانهم كذبوه عم فاهلكوا بالظلة فانتقمنا منهم في عبارة الانتقام دلالة على
انهم اهلكوا بعذاب شديد وانهما يعني مدينة لوط عم او قراها والايكة وقيل الايكة ومدين
فانه عم كان مبعوثا اليهما فدل ذكر الايكة على مدين فاتى بضميرهما لبامام مبين لبطريق
واضح والامام اسم لما يؤتم به فسمي به الطريق واللوح ومطمر البناء لانها مما يؤتم به ولقد كذب
اصحاب الحجر المرسلين يعني ثمود كذبوا صالحا عم ومن كذب واحدا من الرسل فقد كذب الجميع
لان سايرهم يصدقونه فلا حاجة الى التاويل بحمل المرسلين على صالح عم ومن معه من المؤمنين
والحجر واد بين مدين والشام كانوا يسكنونها وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين يعني
آيات الكتاب المنزل على نبيهم او معجزاته وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من الانهدام
ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها او من عذاب الله تع لفرط غفلتهم وحسبانهم ان الجبال
تحميهم منه فاخذتهم الصيحة مصبحين اتاهم صيحة من السماء فاخذتهم زلزلتها وهو المذكور

في سورة الاعراف فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت المحكمة واستكثار الاموال
والعدد وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق اي بالعدل
والحكمة لا ملتبسا بالباطل والعبث فيهملون على فسادهم وظلمهم ولا يؤاخذون بالعذاب فانه
ينافي الحكمة والعدل وان الساعة لآتية فينتقم الله لك فيها ممن كذبك فاصفح الصفح الجميل اي فاصفح
عنهم ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم بالخلق الجميل معاملة الصفوح الحليم وقيل هي منسوخة
باية السيف ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وبيده امرك وامرهم العليم بحالك
وحالهم فلا يخفى عليه ما يجري بينك وبينهم فهو يحكم بينكم ويجازيكم على اعمالكم او هو الذي
خلقكم وعلم ما هو الاصلح لكم فامر اليوم بالصفح لعلمه بانه اصلح الى ان يكون السيف اصلح و
لقد آتيناك سبعا سبع آيات وهي الفاتحة على ما نص عليه النبي عم وقد بينا في تفسيرها وقيل
سبع سور وهي الطوال وسابعتها الانفال والتوبة فانهما في حكم سورة واحدة ولذلك لم
يفصل بينهما بالتسمية ورد بان هذه السورة قد نزلت وما نزل من السبع الطوال شيء و
الصرف عن الظاهر يابه مقام الامتنان من المثاني بيان للسبع من التثنية وهي التكرير
او من الثناء لاشتمال على ما هو ثناء على الله تع الواحدة مثناة اي موضع التثنية والثناء
تنكير سبع للتعظيم والابهام الذي فيه والتوضيح بقوله من المثاني للتمكين في نفوس السامعين
وقوله والقرآن العظيم من باب عطف الكل على البعض للتعظيم وتكثير الامتنان وتفخيم شان
البعض المعطوف عليه كانه المقصود بالذكر والاصل لساير الابعاض والمراد من الكل مجموع
ما نزل وقت نزول هذه الآية لا مجموع القرآن حتى يلزم المحذور المذكور آنفا لا تمدن عينيك
لا تطمحن ببصرك طموح راغب الناظر انما يكون مادا عينيه الى الشيء اذا ادام النظر اليه وادامة
النظر الى الشيء يدل على استحسانه والرغبة فيه الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفار
فانه ما اوتيته من القرآن العظيم اعظم منها لانه كمال مطلوب بالذات موصل الى دوام جوامع
اللذات وما اوتوا فهو مستحقر بالنسبة اليه اقل من لا شيء ولا تحزن عليهم انهم لا يؤمنوا
فيتقوى بهم الاسلام او انهم المتمتعون به دون المؤمنين واخفض جناحك للمؤمنين لمن
معك من فقراء المؤمنين وضعفائهم خفض الجناح مجاز مرسل عن التلطف والترفق مترتب
على الكناية واصله ان الطاير اذا ضم الفرخ اليه بسط جناحه ثم قبضه على فرخه وقل اني انا النذير
المبين انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم ان لم تؤمنوا وانما وصفه بالمبين لان
انذاره عم ابين من انذار ساير الانبياء عم لانه عليه عم من امارات الساعة فهو منذر
بلسان الحال كما انه منذر بلسان المقال وقد نبه عم على هذا المعنى حيث قال انا النذير العريان
كما انزلنا على المقتسمين في محل النصب صفة مصدر لآتيناك لانه في معنى انزلنا عليك كانه
قال ولقد انزلنا عليك سبعا من المثاني والقرآن العظيم كما انزلنا على اهل الكتاب المقتسمين

الذين اقتسموا القرآن الى حق وباطل حيث قالوا عنادا بعضه حق موافق للتوراة والانجيل
وبعضه باطل مخالف لهما او اقتسموه الى شعر وسحر وكهانة واساطير الاولين فيكون ذلك تسلية
لرسول الله عليه السلام وقوله ولا تمدن الى اعتراضا ممدا لها او صفة مفعول للنذير اقيم مقامه اى انذر
قريشا عذابا مثل ما انزلنا من العذاب على المقتسمين الذين اقتسموا امر اهل مكة للتنفير عن الرسول
والمنع عن الدين الذين جعلوا القرآن عضين جمع عضة بمعنى جزء واصلها عضوة فعلة من عضى
الشاة اذا جعلها اعضاء وقيل هي فعلة من عضهت اذا بهته وعن عكرمة العضه بلسان
قريش السحر يقولون للساحرة العاضهة ولعن رسول الله عليه السلام العاضهة والمستعضهة ونقصانها
على الاول واو وعلى الثاني هاء وانما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه كقولهم فلون وثبون
والموصول بصلته صفة للمقتسمين او مبتدأ خبره فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون
من التقسيم او النسبة الى السحر فيجازيهم عليه وقيل عام اى عن كل ما عملوا من المعاصي فيثاب وبهما
وهو وعيد لهم وقيل سؤالهم سؤال تقريع فاصدع بما تؤمر فاجهر به واظهره وقيل افرق
بين الحق والباطل به والصدع في الاصل شق في الاجسام الصلبة كالزجاج والحديد ويلزمه
الابانة والتمييز وما موصولة اى بالذي تؤمر به من الشرائع فحذف الجار كقوله امرتك الخير فافعل
ما امرت به او مصدرية اى بامرك كقول ابي طالب فاصدع بامرك ما عليك غضاضة وهو مصدر
من الفعل المبني للمفعول قيل فيه خلاف والصحيح انه لا يجوز ورد بان الخلاف هو في المصدر
المصرح به واما الحرف المصدري فليس محل النزاع واعرض عن المشركين اى لا تلتفت الى ما
يقولون فالاعراض كناية عن عدم الالتفات انا كفيناك نكفيك وذكره على صيغة الماضي للدلالة
على قربه المستهزئين باهلاكهم وتدميرهم وهم كانوا خمسة نفر من اشراف قريش وقصتهم
مذكورة في كتب التفاسير والسير الذين يجعلون مع الله الها آخر صفة المستهزئين فسوف يعلمون
ما ينزل بهم عاجلا واجلا ولقد نعلم انك يضيق صدرك ضيق الصدر كناية عن انقباض
النفس كما ان انشراحه كناية عن انبساطه بما يقولون من اقاويل الطاعنين فيك وفيما انزل
عليك والمستهزئين بك فسبح بحمد ربك فنزهه وربك عن العجز عن الانتقام منهم وقمعهم وتنزيهه
عما تقدم باعتبار انه كناية عن الوعد بازالة ما هو السبب لضيق صدره عليه السلام ومن لم يقف على
هذا فسره بقوله فنزهه عما يقولون حامدا له على ان هداك للحق واما ما قيل فافزع الى الله فيما
نابك يكفك ويكشف الغم عنك والفزع الى الله في الذكر الدائم وكثرة السجود فلم يصح
لان التوسل بما ذكر انما هو معنى قوله وكن من الساجدين اى من المصلين وعنه عليه السلام انه اذا كان
حزبه امر فزع الى الصلوة واعبد ربك ودم على عبادته من خلقك وربك حتى يأتيك اليقين
اى الموت فانه متيقن اللحوق لكل جسم ذي حيوة اى ولا تخل بالعبادة ما دمت حيا وفيه
اشارة وبشارة اما الاشارة فالى انه يموت كما مات سائر الانبياء والمرسلين كما في قوله

وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل واما البشارة فبانه عليه السلام عن الطاعات المانعة
للتكليف بالعبادة الى ان قضى نحبه تم الكلام في هذا المقام والحمد لله على التمام

سورة النحل مكية وهي مائة وثمان وعشرون اية

اتى امر الله اى دنى وقرب يقال لمن طلب الاغاثة وقرب حصولها جاءك الغوث والمراد من امر الله
ما اوعدهم من قيام الساعة او اهلاكه الله تعالى اياهم يوم بدر وعلى هذا وجه اصابة الماضي في قوله
فلا تستعجلوه محل ظاهر بخلاف ما اذا كان المعنى ان الامر الموعود بمنزلة الاتي المتحقق من
حيث انه واجب الوقوع والاستعجال طلب الشيء قبل حينه كانوا يستعجلون ما اوعدهم الله تعالى استهزاء
وتكذيبا فنزلت ولما كان المستعجل المستهزئ متضمنا لنسبته تعالى الى العجز عن الوفاء بما اوعده وفيه تشبيه
بالمخلوق قال سبحانه وتعالى عما يشركون اى تنزه وان يكون العجز حول سرادق كبريائه وجل عن
ان يكون له شريك في المعبودية فيدفع ما ارادهم كانوا يقولون ان صح ما قلت يا محمد فالاصنام
تخلصنا منه فنزلت وقرئ تشركون بالتاء على وفق فلا تستعجلوه وبالياء على تلوين الخطاب
واما ما قيل الخطاب للمؤمنين او لهم ولغيرهم لما روي انه نزلت اتى امر الله فوثب النبي عليه السلام و
رفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه فبناء التفسير بالفاء ينزل الملائكة بالروح
اشار الروح للوحي او القرآن لانه يحيى به القلوب الميتة بالجهل حيوة الجسد بالروح وذكره
عقيب ما وعد به الى طريق العلم به وازاحة لاستبعادهم اختصاصه عليه السلام بالعلم به وقرئ
ينزل من انزل وتنزل بمعنى تتنزل وتنزل على المضارع المبني للمفعول من التنزيل من امره
بامره او من اجل امره على من يشاء من عباده ان يتخذه رسولا ان انذروا بان انذروا او
الانذار الاعلام ويختص بما فيه تخويف ولتلك الخصوصية مناسبة للمقام من حيث ان الشرك
دائر بين الاسلام والسيف فابلاغ امر التوحيد اعلام يتضمن التخويف بالقتل وكون
ان يكون ان مفسرة لان الوحي بمعنى القول او مصدرية في موضع الجر بدلا من الروح او
مخففة من الثقيلة انه لا اله الا انا ان الشان لا اله الا انا او خوفوا اهل الشرك بانه لا اله
الا انا فاتقون رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود والاية تدل على ان نزول الوحي بواسطة
الملك وان حاصله التنبيه على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية والامر بالتقوى الذي هو
اقصى كمالات القوة العملية وان النبوة عطائية والاية بعدها دليل وحدانيته تعالى من حيث
انها تدل على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك
لقدر على ذلك فيلزم التمانع خلق السموات والارض بالحق اوجدهما على مقدار وشكل واوضاع
وصفات مختلفة قدرها وخصصها بالحكمة تعالى عما يشركون فانه موجد للعالم كله وكل ما سواه

مفتقر إليه فهو المتعالي عن رتبة الكل والتحقيق أن قوله تعالى أتى أمر الله تنبيه وإيقاظ ليكون
ما يرد بعده متمكنا في نفس حاضرة ملقية إليه وهو تمهيد لما يرد من دلائل التوحيد وقوله
ينزل الملائكة بالروح تفصيل لما أجمل في قوله سبحانه وتعالى انقطاقا لا ثم نعى عليهم ما هم
فيه من الشرك ثم أردفه بدلائل السمع والعقل وقدم السمعي لأن صاحبه هو القائم
بتحرير العقل وتنبيه به أيضا فليس النظر إلى دليل السمع بل إلى من قام به من الملائكة والرسل
خلق الإنسان من نطفة جماد لا حس لها ولا إدراك سيالة لا تحفظ الوضع و
الشكل فإذا هو عطفه على ما تقدم باعتبار أن المراد من خلق الإنسان إيجاده وتربيته
إلى أن يبلغ حد النطق والإدراك فإذا للتعقيب والمفاجأة أصابتنا المحن خصيم
منطيق مجادل عن نفسه في الخصام مبين للحجة على خصم مميز للحق عن الباطل فهو صفة
مدح أي نقله من تلك الحالة الخسيسة إلى هذه الحالة الشريفة وهي حالة النطق والإبانة
ويؤيده التعقيب بذكر ما امتن به عليه في قوام معيشته وقيل معناه مكافح لخالقه
قائل من يحيي العظام وهي رميم فهو صفة ذم ويأباه التوصيف بالإبانة ولا يساعده
سياق الكلام ولحاقه وسياقه فإنه للدلالة على كمال القدرة والإرادة والأنعام ذكر
أولا ما هو أكثر منفعة وألزم لمن أنزل القرآن بلغتهم وقد تقدم شرح الأنعام في سورة
الأنعام وانتصابها بمضمر يفسره قوله خلقها ولكم في قوله لكم فيها دفء خبر مقدم لدفء
وفيها حال منه والجملة بيان لما خلق له أو بالعطف على الإنسان وخلقها لكم بيان ما خلق
لأجله ودفء مبتدأ خبره فيها والجملة مع ما بعدها تفصيل لما خلق له والدفء ما يدفأ
به أي يسخن فيقي البرد ومنافع نسلها ودرها وإنما عبر عنها بالمنافع نسلها ودرها
وظهورها وإنما عبر عنها بالمنافع ليتناول عرضها ومنها تأكلون أي تأكلون ما يؤكل
منها من اللحوم والشحوم والألبان وتقديم الظرف للاختصاص إشارة إلى أن الأصل
المعتد به في الأكل منها وأما الأكل من غيرها فكغير المعتد به أو كالجاري مجرى
التفكه فجعله لمجرد محافظة الفاصلة تنزيل للمنزل عن منزلته الفاضلة ولكم فيها جمال زينة
حين تريحون تردونها من مراعيها إلى مراحها بالعشي وحين تسرحون تخرجونها بالغداة
إلى المرعى فإن الأفنية تتزين بها ويجاوب الرعاء والثغاء فيأنس أهلها ويفرح أربابها
ويجلهم في أعين الناظرين إليها ويكسبهم الجاه والحرمة وتقديم الإراحة على السرح لأن
الجمال فيها أظهر إذا أقبلت ملأى البطون حافلة الضروع ثم أوت إلى الحظائر حاضرة لأهلها
يأنسون بها مبتهجين وقرئ حينا على أن تريحون وتسرحون كلاهما وصف له بمعنى أي تريحون
فيه وتسرحون فيه وتحمل أثقالكم أحمالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه أي ليس من شأنكم
بلوغه بأنفسكم على أقدامكم إلا بشق الأنفس لا بجهد ومشقة لو لم يكن الإبل فضلا

أن يحملون على ظهوركم أثقالكم فكيف إذا فصلت أثقالكم من أن تحملوها أو لم تكونوا
بالغيها بها إلا بشق الأنفس قرئ بشق الأنفس بكسر الشين وفتحها وهما لغتان في المعنى
المذكور وقيل بينهما فرق وهو أن المفتوح مصدر شق الأمر عليه شقا وحقيقته راجعة
إلى الشق الذي هو الصدع وأما الشق بالكسر فهو النصف كأنه يذهب نصف قوته لما يناله
من الجهد إن ربكم لرؤف رحيم يرؤف بكم بتيسير مصالحكم ومعايشكم ويرحمكم بخلق
هذه المنافع والحوامل والخيل والبغال والحمير عطف على الأنعام واحد الخيل خائل كضائن
وأحد ضان وقيل لا واحد له لتركبوها ذكر هنا منفعة الركوب عبارة وأحال بيان
منفعة الحمل على الدلالة وعكس فيما تقدم اعتبارا في كل منهما للأصالة وزينة انتصب
بالعطف على محل لتركبوها على أنها مفعول له وخولف بينهما لأن الركوب فعل المخاطبين
ففقد شرط نصبه وأما الزينة ففعل الخالق لأنه لا يأبى عن نظم الثاني في سلك الأول بل
لأن الأول مقصود بالذات والثاني بالعرض وقرئ زينة بغير واو فيجوز أن يكون حالا
عن أحد الضميرين وأن يكون علة لتركبوها واستدل به على حرمة لحومهن ووجه الاستدلال
أن المقام مقام الامتنان بعد المنافع والكلام مشتمل لنوعي المقصود استيفاء لهما فلو
كان أكلها حلالا لكان أحق بالتعرض من الزينة وأما أكل لحم الحمار وإن كان حلالا وقت
الآية في معرض التحريم فالامتنان لا يليق بالحكيم ويخلق ما لا تعلمون لما فصل الحيوانات المحتاج
إليها غالبا احتياجا ضروريا أو غير ضروري أجمل غيرها مما لا يعلم كنهه وتفاصيله أي
فيكم ولكم على سبيل الامتنان أو لم تحصوه ولم يكن لكم به علم لكثرته زيادة دلالة على مزيد
قدرته وحكمته ويدخل فيه ما خلق في الجنة والنار مما لا يبلغه وهم أحد ولا خطر على قلبه
وعبر النظم إلى المضارع استحضارا لإيجاد ما لم يجعل به علما من الأشياء النافعة والدالة
على قدرته تذكر النعمة وتعجيبا وتقديرا لدلائل القدرة وتعجيزا لما يشركون به من الآلهة
وعلى الله قصد السبيل أي عليه رحمة وفضلا هداية الطريق المستقيم الموصل إلى الحق
أو عليه الطريق المستقيم أي يصل إليه من يسلكه لا محالة كما تقول هذا الطريق على موضع
كذا إذا أخرجت إليه والقصد مصدر بمعنى اسم الفاعل يقال سبيل قصد وقاصد أي
مستقيم كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك والمراد بالسبيل الجنس لإضافة القصد
إليها ولقوله ومنها جائر لا يوصل إلى الحق لسوء اعتقاد صاحبه وقرئ ومنكم جائر
أي عن القصد وتغيير الأسلوب للدلالة على أنه ليس على الله هداية الطريق الجائر
عن القصد والاستقامة أو لا يوصل إلى الله سالكها أو لأن المقصود بيان سبيله وذكر
قسيمه إنما جاء بالعرض ولو شاء لهداكم أجمعين أي ولو شاء هدايتكم أجمعين إلى قصد
السبيل لهداكم إليه هداية مستلزمة للاهتداء هو الذي أنزل من السماء من السماء

اومن جانب السماء لما استدل على وجود الصانع الحكيم باحوال الحيوان اتبعه بذكر
الاستدلال عليه بعجايب احوال النبات ماء تنكيره لانه على خلاف الماء المعهود حيث يسيل
بل ينزل قطرات غير متدارك لكم متعلق بانزل او خبر لشراب في قوله منه شراب اى
مشروب ومنه على الاول خبر لشراب وعلى الثاني تبعيضية متعلقة به وفي حصر المشروب
المستفاد من تقديم منه دلالة على ان مياه الارض منه ومنه شجر ومنه تكونه والمراد
بالشجر ما يرعاه المواشي وقيل كل ما نبت على الارض يطلق عليه الشجر قال الشاعر يعلفها
اللحم اذا عز الشجر فيه تسيمون ترعون من سامت الماشية اذا رعت فهي سايمة و
اسامها صاحبها واصلها من السومة التي هي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض
ينبت لكم به الزرع وقرئ بالنون على التفخيم والزيتون والنخيل والاعناب تقديم
الزرع لانه الاصل في الغذاء وتخصيص الاجناس الثلثة من الثمرات وتقديمها لاظهار
فضلها وانافتها على سايرها ولعل تقديم ما يسام فيه على الكل لصيرورته غذاء
حيوانيا هو اشرف الاغذية اسرع ما يكون في الارض اى اللبن واللحم ومن كل الثمرات
اى وبعض كلها لان كل ما يمكن من الثمرات لا يكون في الارض ان في ذلك لاية لدلالة
واضحة لقوم يتفكرون ينظرون فيستدلون بها على وجود الصانع وحكمته وقدرته و
لما كان الاستدلال بانبات الماء وهو واحد وان كثرت انواع النبات قال هنا لاية
على صيغة الافراد وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم بان هياها لمنافعكم
مسخرات بامره نصب على الحال اى نفعكم بها حال كونها مسخرات بامر التكويني او على المصدر
وجمع للتنويع جميع مسخر بمعنى تسخير اى سخرها انواعا من التسخير كانه قيل تسخيرها تسخيرات
وقرئ برفع الشمس والقمر والنجوم على الابتداء والخبر مسخرات حقيقة لله تع وانما قيل
انها سخرت لكم باعتبار ان فايدة تسخيرها عايدة اليكم ومن وهم ان المعنى سخرات
لما خلقن له فقد وهم اذ حينئذ يكون اعادة بلا افادة ان في ذلك لايات اتى هنا بصيغة
الجمع لان وجه الدلالة في السماويات متعدد لقوم يعقلون ذكر العقل لان الاحتياج الى
تجريد العقل الصرف في الاستدلال بها اشد فان القوة الفكرية كافية في الاستدلال بما
يشاهد من احوال النبات وتغيراته واختلاف اشكاله والوانه واما احوال العلويات
فلا بد فيها من مزيد عقل ومعرفة بالعلم الطبيعي والهيئة والهندسة ومن زعم ان وجه
الدلالة هنا مع تعدده اظهر من وجهها ثمة مع وحدته فقد كابر مقتضى العقل الصريح
وما ذرا لكم في الارض من انواع الحيوان والنبات والمعادن في موضع نصب بفعل
محذوف اى وخلق وانبت كذا قال ابو البقاء واستبعد لسقوط سخر على ذلك اذ حينئذ يلغو
قوله لكم فقدر فعلا لا يلغو ومن لم ينتبه لهذا قال اى سخر لكم ما خلق لكم فيها مختلفا

الوانه اصنافه فانها تتخالف باللون غالبا ان في ذلك لاية لقوم يذكرون اى يعتبرون
فان اختلافها في الطباع والهيئات والمناظر ليس الا بصنع قادر حكيم وافراد الاية لانه
عبر عنه بمفرد ووصفه بمفرد وهو الذي سخر البحر بان مكنكم من الانتفاع به بالركوب و
الاصطياد والغوص وغير ذلك لتاكلوا منه لحما طريا هو الحوت وانما عبر عنه باللحم وهو
مما يؤكل من الحيوان تنبيها على جهة فضله وامتيازه عن ساير الحيوانات الماكولة فانها لا تكون
لحما الا بعد الذبح والسلخ ولا يخفى لطف موقع هذا التنبيه والتمهيد السابق بقوله منه حيث
تضمن الاشعار بانهم يبتدؤن اكله من البحر مبالغة لتهيئة الاكل في مقام الامتنان وفي وصفه
بالطراوة بالذكر اشارة الى انه في معرض ان يسرع اليه الفساد لكمال لطافته فيسارع الى اكله
فكانه قيل لتاكلوا منه لحما في غاية اللطافة وهذا من الطف الكنايات التي قلما يتنبه لها ولا بد
من الحمل عليها اذ على تقدير ابقايه على ظاهره يكون بيانا للواقع خاليا عن فايدة الخبر ولازمها
روى ان ابا حنيفة رحمه الله قال لو حلف لا ياكل اللحم فاكل لحم السمك لا يحنث لان لحم السمك ليس
بلحم سمع سفيان الثوري قوله فانكر عليه محتجا عليه بهذه الاية فبعث اليه ابو حنيفة رجلا
وسأله عمن حلف لا يصلي على البساط فصلى على الارض هل يحنث ام لا فقال سفيان لا يحنث
فقال الرجل ليس ان الله تع قال والله جعل لكم الارض بساطا فعرف سفيان ان ذلك بتلقين
ابي حنيفة وقيل لما اخرج من البحر الملح الزعاق الحيوان الذي لحمه في غاية العذوبة وبغاية
اللطافة علم انه انما حدث لا بحسب الطبع بل بقدرة الله تع وحكمته حيث اظهر الضد من الضد
وجه قوله ان مبنى الايمان على العادة وعادة الناس اذا ذكر اللحم على الاطلاق ان لا
يفهم منه السمك واذا قال الرجل لغلامه اشتر بهذه الدراهم لحما فجاء بالسمك كان حقيقا
بالانكار وهذا معارض بانه اذا قال لغلامه اشتر بهذه الدراهم لحما فجاء بلحم العصفور
استحق الانكار ايضا مع انه يحنث باكل لحم العصفور من حلف لا ياكل اللحم وتستخرجوا
منه حلية كاللؤلؤ والمرجان فان الحلية اسم لما يتحلى به وزيادة حرف التنفيس هنا للا
على ان اخراجها بمشقة يقتضي المهلة تلبسونها تلبسها النساء فهو من قبيل اسناد فعل البعض
الى الجملة كقرينة السابق وترى الفلك مواخر فيه جوارى فيه تشقه بجريها مع صوت من
المخر وهو شق الماء بصوت ولتبتغوا عطف على محذوف تقديره لتركبوا فيها ولتبتغوا من
من فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون اى ولتكروا الله تع على فضله
النعمة الجليلة حيث يقطع بها المسافة البعيدة في المدة القليلة مع ما فيها من الاحمال
الاثقال بلا مؤنة الرفع والوضع في اثناء السفر كما هو المعتاد في مسافرة البر هذا هو
الوجه بتخصيص هذه النعمة بتعقيب الشكر واما جعل الفلك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش
فلا يناسب مقام الامتنان بالاحسان انما يناسب مقام اظهار القدرة والقى في الارض

رواسي عطف على محذوف تقديره والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وعلى
المعطوف عليه عدل عن الضمير إلى الظاهر وقد مر تفسيره في سورة الحجر أن تميد بكم كراهة
أن تميد بكم أي تتحرك وقيل لمبدأ الاضطراب وذلك أن الأرض لو بقيت على بساطتها كانت
كرية مجيبة للتحرك بأدنى سبب أو متحركة كالفلك فلما خلقت الجبال راسخة فيها تفاوتت
جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالأوتاد التي تمنعها عن الحركة والميل
من جانب إلى جانب وأنهارا أي وجعل فيها أنهارا لأن ألقى فيه معناه وسبلا لعلكم تهتدون
لتهتدوا بها في أسفاركم إلى مقاصدكم وعلامات ومعالم يستدل بها السابلة في النهار
من الجبال والأنهار ونحو ذلك وبالنجم المراد به الجنس أو الثريا والفرقدان وبنات النعش
والجدي ويساعده ما قرئ بضمتين وضمة وسكون على الجمع هم يهتدون بالليل في البراري
والبحار وفي تقديم النجم وتوسيط الضمير فيهما وإخراج الكلام عن سنن الخطاب إلى
الغيبة للدلالة على أن هؤلاء المنكرين من قريش بالنجم خاصة هم خصوصا يهتدون لأنهم
كانوا كثير الأسفار للتجارة مشتهرين بأنهم أعلم الناس بالاهتداء بالنجوم في أسفارهم
فكان الاعتبار بذلك ألزم لهم والشكر لله به أوجب عليهم فلذلك خصصوا أفمن يخلق
كمن لا يخلق الهمزة للإنكار دخلت على فاء التعقيب أي أبعد هذه الدلائل المتكاثرة الواضحة
الدالة على كمال قدرة الله تعالى وحكمته وانفراده بخلق ما عدد من مبدعاته يفعلون مساواة
الخالق بما لا يخلق شيئا وأورد من الجمادات التي هي الأصنام إما لمن كلمة وإما بناء على اعتقادهم
وتسميتهم آلهة وعبادتهم لها وفيه ضرب من التهكم وإما لأن المراد كمن لا يخلق من أولي
العلم فكيف بالجماد للمبالغة وكان حق الكلام أن يقال أفمن لا يخلق كمن يخلق لأنه إلزام
لعبدة الأوثان لكنه عكس تغليطا لشأنهم بأنهم لما سموها باسمه وعبدوها كعبادته
وسووا بينه وبينها فقد جعلوا الله تعالى من جنس هذه المخلوقات وشبهه بها فأنكر ذلك
عليهم وحذف مفعول يخلق لأن المراد نفس صدور الفعل منه أي أيكون الخالق شبيها
بغير الخالق أو للتعميم أي أفمن يخلق كل شيء كمن لا يخلق شيئا ولأن ما عدد من المخلوقات
دل عليه أي أفمن يخلق ما عدد من الأشياء العظيمة العجيبة كمن لا يخلق شيئا منها أفلا تذكرون
بعد هذه التنبيهات فتعرفوا فساد ذلك فإنه لجلائه ووضوحه كالبديهي المغفول عنه
وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا يبلغ طاقتكم ضبط عددها فضلا عن أن تطيقوا القيام
بشكرها أتبع ذلك تعداد النعم وإلزام الحجة على انفراده باستحقاق العبادة تنبيها على أن
وراءها من النعم ما لا ينحصر وأن القيام بحق عبادته وشكره غير مقدور لأحد إن الله لغفور
حيث يغفر تقصيركم في أداء شكرها ويتجاوز عنه رحيم لا يقطعها عنكم لتفريطكم ولا يعاجلكم
بالعقوبة على كفرانها وفيه إشعار بأن الله تعالى ما كلفكم حق الشكر لعدم الإمكان وتجاوز عن

الممكن إلى التسهيل الميسور وفي قوله والله يعلم ما تسرون وما تعلنون ما يشعر بأنهم قصروا
في هذا الميسور أيضا فاستحقوا العقاب أي يعلم ما تسرون من عقائدكم وعزائمكم وما تعلنون
من أعمالكم وأقوالكم وهو وعيد على شرككم كلهم باعتبار العلم والعمل وتقصيرهم في الشكر و
العبادة وتقديم ما تسرون لأن الوعيد من جهة العقائد والعزائم أهم والذين تدعون
من دون الله أي والآلهة الذين يدعوهم الكفار من دونه تعالى ويعبدونهم لا يخلقون شيئا
لما نفى المساواة والمشابهة بين من يخلق ومن لا يخلق بين أنهم لا يخلقون شيئا لينتج أنهم لا
يساوونه ولا يماثلونه ثم أثبت لهم صفات تنافي الألوهية تأكيدا لذلك فقال وهم يخلقون
وهم ممكنات مفتقرة إلى التخليق فكيف يكون إلها والإله يجب أن يكون واجب الوجود غنيا
عن الكل أموات هم أموات ولما احتمل أن يكون المعنى أموات فيما بعد على طريقة إنك ميت وإنهم
ميتون دفعه بقوله غير أحياء ويجوز أن يكون المعنى جمادات لا يعرض لها حياة كما يعرض
لبعض الأموات كالنطف التي يحييها الله ويجعلها حيوانات كأجساد الموتى التي يبعثها الله تعالى
وذلك أعرف في كونها أمواتا ويجوز أن يكون المعنى أموات حالا أو مآلا غير أحياء بالذات
ليتناول كل معبود والإله حقه أن يكون حيا بالذات لا يعتريه الممات وما يشعرون أيان يبعثون
أي لا يشعرون متى يبعث عبدتهم فكيف يجازونهم فإن المعبود يجب أن يعلم عبادة العابد
ووقت بعثه وجزائه حتى يقدر على مجازاته بعد موته فإن البعث والجزاء من لوازم التكليف
بالعبادة وفيه تهكم بهم وبآلهتهم فإنها جمادات لا شعور لها بشيء فكيف بما لا يشعر به
حتى غير الله تعالى إلهكم إله واحد تلخيص للنتيجة وتكرير للمطلوب بعد إقامة الحجة عليه على أبلغ الوجوه
فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة تعكيس للمقصود من النتيجة وبيان لموجب إنكارهم
أي أنه قد ثبت وتحقق بالبراهين المذكورة أن الألوهية تمتنع أن يكون إلا لله وحده وأنه
لا شريك له فيها فأنتج لهم ذلك إصرارهم واستمرارهم على شركهم وإنكار قلوبهم
للوحدانية وذلك لعدم إيمانهم بالآخرة فإن الذي لا يؤمن بها لا ينظر في الدلائل ولا يتأملها بخلاف
المؤمن بها وهم مستكبرون وهم قوم عادتهم الاستكبار عن التوحيد وعن الإقرار به لما
رسخ في قلوبهم من تقليد آبائهم لا جرم قد سبق تفسيره في سورة هود أن الله يعلم ما يسرون
وما يعلنون فيجازيهم على ذلك وعيد على ما ذكر على أبلغ وجه وهو في موضع الرفع على الفاعلية
لأن جرم فعل أو مصدر إنه لا يحب المستكبرين تعليل للوعيد أي لا يحب كل مستكبر فكيف الذي
استكبر عن توحيده واتباع رسوله وفي إطلاق المستكبرين تعميم برهاني وإذا قيل لهم
ماذا أنزل ربكم القائل بعضهم على التهكم أو الوافدون عليهم أو المسلمون قالوا أساطير الأولين
ماذا منصوب بأنزل أي أي شيء أنزل ربكم وتقدير الجواب ما تدعون نزوله أساطير الأولين
أو مرفوع بالابتداء أي أي شيء أنزله ربكم وتقدير الجواب هو أساطير الأولين أو المنزل

اساطير الاولين على السخرية والتهكم والمجيبون المقتسمون مداخل مكة ينفرون عن رسول
الله ص ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة متعلق بقالوا على التعليل في نفس الامر لا الغرض
واللام لام العاقبة اي قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار ضلالهم كاملة فان اضلالهم
نتيجة رسوخهم في الضلال ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض اوزار ضلال من ضل
بسببهم وهو وزر الاضلال فان ضلاله انما حصل بامرين اضلال هذا ومطاوعة هذا
فيتحملان الوزر بغير علم حال من المفعول اي يضلونهم على جهلهم وفائدة التقييد به الدلالة
على ان جهلهم ليس بعذر اذ كان عليهم ان يبحثوا وينظروا فيعرفوا من يتبعونهم ويميزوا
بين المحق والمبطل الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرونه فعلهم قد مكر الذين من قبلهم
اي سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله فاتى الله بنيانهم من القواعد فاتاها امره من
جهة العمد التي بنوا عليها بان ضعضعت فخر عليهم السقف قال ابن الاعرابي العرب تقول
خر علينا سقف ووقع علينا حائط اذا كان يملكه وان لم يكن عليه فجاء بقوله من فوقهم
ليخرج به هذا عن الذي من كلام العرب اي عليهم وقع وكانوا تحته فهلكوا واتاهم العذاب
من حيث لا يشعرون لا يحتسبون ولا يتوقعون تمثيل اي قد دبروا حيلا ليمكروا بها رسل الله
فجعل الله هلاكهم في تلك المماكر والحيل وتشبيها لهم بحال قوم بنوا بنيانا واحكموا قواعده
فاتى الله بنيانهم من جهة الاساس فسقط عليهم السقف وهلكوا ثم يوم القيمة يخزيهم
يذلهم قيل يعذبهم بالنار لقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته ويأباه قوله ويقول
اين شركائي لانه قبل دخولهم في النار اضاف الى نفسه الشركاء حكاية لاضافتهم توبيخا لهم بها
وتهكما بهم الذين كنتم تشاقون فيهم تعادون المؤمنين في شانهم وقرئ بكسر النون بمعنى
تشاقونني فان مشاقة المؤمنين كمشاقة الله تع قال الذين اوتوا العلم اي الانبياء والعلماء
الذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم ان الخزي اليوم متعلق بالخزي او فيه
والسوء الذلة والعذاب على الكافرين تقديرا لما كانوا يعظونهم به وتحقيقا لما اوعدوهم
او اظهارا للشماتة بهم وحكى الله تع قولهم ليكون لطفا لمن سمعه وقيل المراد من القائل الملائكة
ويأباه قوله الذين تتوفاهم الملائكة يحتمل الجر صفة للكافرين فيكون داخلا تحت القول والنصب
والرفع على الذم ظالمي انفسهم بان عرضوها على العذاب المخلد نصب على الحال فالقوا السلم
فسالموا واخبتوا ونزلوا عما كانوا عليه في الدنيا من الشقاق والتكبر والتعظم قيل حين
عاينوا الموت ويأباه السباق واللحاق ما كنا نعمل من سوء من كفر وعدوان اي قائلين ذلك
ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان المراد به القول الدال على الاستسلام لما جحدوا ما كانوا
عليه من الكفر والعدوان يرد عليهم اولوا العلم بقوله بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو
مجازيكم عليه وهذا ايضا من باب الشماتة وكذلك فادخلوا ابواب جهنم اي كل صنف بابه

المعد له وقيل ابوابها اصناف عذابها خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين هي اي جهنم
والوصف بالمتكبر للايذان باستحقاق صاحبه النار ومن لم يجوز الكذب يومئذ اول قولهم
ذلك بانا لم نكن في زعمنا عاملين سوء ولا يناسبه الرد المذكور كما لا يخفى وقيل للذين
اتقوا يعني المؤمنين عطف على قيل لهم في قوله واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا خيرا
اي انزل خيرا وانما رفع الاول ونصب الثاني فرقا بين جواب الجاحد وجواب المقر اي
ان المتقين لم يتلعثموا واطبقوا الجواب على السؤال بينا مكشوفا والمشركين عدلوا بالجواب
عن السؤال فقالوا هو اساطير الاولين وليس من الانزال في شيء للذين احسنوا في هذه الدنيا
كلام مدح الله تع به القائلين خيرا وجعل قولهم ذلك من جملة احسانهم وحمدهم عليه ووعدهم
به فهو كلام مبتداء لا محل له من الاعراب ويجوز ان يكون بما بعده بدلا من خيرا على انه من كلام
المتقين اي قالوا خيرا ثم فسروا الخير بهذه الجملة بمعنى انزل هذا الكلام بعد ما ابهموه وسموه
خيرا حسنة مكافاة باحسانهم في الدنيا وهي العصمة والتوفيق والنجاة من العذاب المعجل
ولدار الآخرة ولثوابهم في الآخرة خير مما لهم في الدنيا ولنعم دار المتقين اعلام للقسم ونعم
كلمة مدح اذ لا خوف فيها ولا حزن ونعيمها مقيم وملكها دائم وصاحبها فيها خالد وحذف
المخصوص بالمدح وهو دار الآخرة لتقدم ذكرها وقوله جنات عدن خبر مبتداء محذوف و
يجوز ان يكون المخصوص بالمدح يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن تقديم لهم
للتخصيص اي لهم خاصة دون غيرهم وعموم ما مع تقديم فيها يفيدان الانسان لا يجد جميع
ما يشاء من المشتهيات الا في الجنة كذلك يجزي الله المتقين فذلكة للتاكيد مع تعظيم الجزاء و
فيه تقوية للوجه الاول الذين تتوفاهم الملائكة طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي
لانه في مقابلة ظالمي انفسهم او فرحين ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم
لقوة ايمانهم وتوجه نفوسهم بالكلية الى عالم القدس يقولون سلام عليكم لا يلحقكم بعدها
مكروه ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون بسبب ثباتكم على الاعمال الصالحة وانما قالوا ادخلوا الجنة
لان القبر روضة من رياض الجنة في حقهم ومن غفل عن هذا ذهب الى ما ذهب وارتكب ما يخل
حسن الانتظام في الكلام هل ينظرون اي الكفار المار ذكرهم الا ان تاتيهم الملائكة لقبض
ارواحهم او ياتي امر ربك العذاب المستاصل الواقع فجاءة وقد سبق وجه التعبير عن
مثله بامر الله تع وتفسير الامر بالقيمة يأباه كلمة او لان انتظارها اتيان الملائكة كذلك مثل
ذلك الفعل الشنيع القبيح من الشرك والتكذيب من قال هنا فاصابهم ما اصابهم فكانه
غافل عن ان الاخبار عنه بعد هذا صريحا في نظم القران يأبى عن اعتباره هنا فعل
الذين من قبلهم وما ظلمهم الله بتدميرهم او تعذيبهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بكانوا مستوجبين
به ذلك فاصابهم سيئات ما عملوا جزاء سيئات اعمالهم لا على حذف المضاف او على تسمية

الجزاء باسمها وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن واحاط بهم جزاءه والحيق لا يستعمل الا
في الشر وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا ولا
حرمنا من دونه من شيء من البحاير والسوايب وغيرهما مما احل الله تع وانما قالوا ذلك
عنادا وتعنتا والزاما للموحدين بناء على زعمهم وقولهم ما شاء الله يجب وما لم يشاء
يمتنع ومنعا للبعثة وانكارا للتكليف لعدم الفايدة فيهما او انكارا لقبح ما انكر عليهم
من الشرك والتحريم ونحوهما متمسكين بانها لو كانت مستقبحة لما شاء الله صدورها عنهم
ولشاء خلافه ملجئا اليه لا اعتذارا اذ لم يعتقدوا قبح اعمالهم كذلك فعل الذين من قبلهم
اي مثل ذلك الفعل الشنيع من الاستهزاء بالرسل وانكار البعثة والتكليف والجدال بالباطل
فعل اسلافهم ولما فهم منه ان انذار الرسل وانكار البعثة ارشادهم لم يجد نفعا في حق
الضالين المعاندين منه اتجه السؤال بان يقال فما بال المرسلين حيث لم يتموا مصلحة الارشاد
اجاب عنه بما حذف واقيم تعليله مقامه لاستلزام العلة للمعلول قوله فهل على الرسل الا البلاغ
المبين اي لا باس فيه فهل عليهم الا البلاغ الموضح للحق اي ليس عليهم الهداية ولكن الله تسبب
الاسباب بحكمته وجعل تبليغ الرسل من اسباب الهداية لمن شاء هدايته فليس عليهم عم الا ما
كلفهم من التبليغ والابانة ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ثم بين ان بعثة
الرسل والدعوة الى الحق والتكليف امر جرت به السنة الالهية في الامم كلها سببا لهدى
من اراد اهتداءه وازدياد ضلالة من اراد ضلاله كالغذاء الصالح الذي ينفع من اعتدل مزاجه
ويضر من انحرف مزاجه بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا التنكير للتعظيم ان اعبدوا الله ان يجوز
ان يكون تفسيرية لان البعث يتضمن معنى القول وان يكون مصدرية اي بعثناه بان اعبدوا
الله واجتنبوا الطاغوت قد سبق تفسيره في سورة البقرة فمنهم من هدى الله ووفقهم للايمان
بارشادهم ومنهم من حقت عليه الضلالة تغيير الاسلوب بالعدول عن قوله ومنهم من ضلله
للتنبيه على ان الثاني لسوء استعدادهم على افصح عنه قوله تع ما اصابك من حسنة فمن الله
وما اصابك من سيئة فمن نفسك ومن لم يثبته لذلك قال اذ لم يوفقهم ولم يرد هدايتهم فسيروا
في الارض مترتبة على موجب ما تقدم من نزول العذاب عليهم فكانه اخبر عنهم واحالهم في
معرفة ذلك على السير في الارض ولا اختصاص للامر المذكور بقريش فانظروا العطف بالفاء
للدلالة على ان الغرض من الامر بالسير هو النظر المذكور اي سيروا في الارض لهذا الامر واجعلوه
غاية لسيركم فالفاء لبيان ترتب هذا الامر على الاخر بكون الاول وسيلة للثاني لا للتعقيب المتبه
بالنظر فتدبر كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون ان تحرص
الخطاب للرسول عم على هداهم فان الله لا يهدي من يضل من حقه ان يقدم تعليل الجزاء اقيم
مقامه لاستلزام العلة للمعلول اي فهون على نفسك ولا تتعبها وتسل عنهم فان هداهم ممتنع

وقرئ ولا يهدى على البناء للمفعول وهو ابلغ وما لهم من ناصرين ينصرونهم اذ خذلهم
الله تع او يدفعون العذاب عنهم اذا عذبهم وانما نفى الجمع لان الاجتماع مظنة زيادة القوة
والقدرة على النصرة واقسموا بالله جهد ايمانهم مستعار من جهد نفسه اذا بلغ طاقتها واقصى
وسعها للمبالغة في اليمين وبلوغ غاية غلظتها واقصى وكادتها وهو في حكم الحال لان اصله
واقسموا بالله يجهدون ايمانهم فحذف الفعل ووضع المصدر مكانه مضافا الى المفعول لا يبعث
الله من يموت اراد به نفي قدرته تع على بعث الموتى والجملة عطف على وقال الذين اشركوا مقرر لها
بانهم كما انكروا التوحيد انكروا البعث مقسمين عليه زيادة في البت على فساده للايذان بانهما
كفرتان عظيمتان حقيقتان بان تحكيا وتدونا التعجب منهما ويعتبر بهما وقد رد الله تع عليهم
ابلغ رد فقال بلى يبعثهم الله وعدا مصدر مؤكد لما دل عليه بلى لان يبعث موعد من الله تعالى
عليه صفة لموعد حقا صفة اخرى له اي وعدا ثابتا عليه الوفاء به حقا لامتناع الخلف في
وعده ولكون البعث مقتضى حكمته ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون او ان وعده
حق عليه انجازه بمقتضى حكمته وعدم العلم به لا يستلزم العلم بالعدم فضلا عن العلم بالامتناع
فما قيل في التعليل لقصور نظرهم بالمالوف يتوهمون امتناعه من قصورهم عن العلم بالامتناع
النظر ليبين لهم تعليل لما دل عليه بلى اي يبعثهم ليبين لهم والضمير لمن يموت عام للناس
كلهم الذي يختلفون فيه وهو الحق وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين في قولهم لا يبعث
الله من يموت وهو اشارة الى السبب الداعي الى البعث المقتضي له من حيث الحكمة وهو المميز
بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب والعقاب ثم قال انما قولنا لشيء اذا اردناه
ان نقول له كن فيكون قولنا مبتدا ان نقول خبره واذا المجردة الظرفية اي وقت ارادتنا له
او شرطية محذوفة الجواب لدلالة الجملة الاسمية عليه اي اذا اردنا وجود شيء فليس الا
ان نقول له احدث فيحدث عقيب ذلك بلا توقف تمثيل لبيان امكان البعث وسهولته
على الله تع وهو ان كل ما تعلق به ارادته من الاشياء لا يمتنع عليه ولا يتوقف بل يكون كا
مطيع امر آمر مطاع فلم يلبث ان يمتثل والمبعوث احد الاشياء الممكنة فكيف يمتنع عليه والاول
وقرئ فيكون بالنصب عطفا على نقول او جوابا للامر والذين هاجروا هم رسول الله عم و
اصحابه المهاجرون ودل قوله في الله على ان الهجرة اذا لم يكن لله تع لم يكن لها موقع وكانت
بمنزلة الانتقال من بلد الى بلد وقوله تع من بعد ما ظلموا على انهم كانوا مظلومين في ايدي
الكفار او المحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة رسول الله عم لنبوئنهم في الدنيا حسنة
مباءة حسنة او تبوئة حسنة ولاجر الاخرة اكبر مما يعجل لهم في الدنيا لو كانوا يعلمون الضمير
للمهاجرين اي لو كانوا يعلمون لزادوا في اجتهادهم وصبرهم او للكفار اي لو كانوا يعلمون
ان الله تع يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لرغبوا في دينهم الذين صبروا على اذى الكفار

ومفارقة الوطن ومحل النصب والرفع على المدح وعلى ربهم يتوكلون منقطعين الى الله ع
مفوضين اليه الامر كله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم رد لقول قريش الله اعظم
من ان يكون رسوله بشرا اى جرت السنة الالهية بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا
يوحى اليه والوحى لا يلزم ان يكون بواسطة الملك فضلا عن ان يكون على لسانه والحكمة
فى ذلك قد ذكرت فى الانعام فاسئلوا اهل الذكر اهل الكتاب او علماء الاخبار ليعلموكم
ان كنتم لا تعلمون جوابه محذوف دل عليه ما قبله وفى الآية دليل على انه تع لم يرسل ملكا
ولا امرأة ولا صبيا للدعوة العامة ولا ينافيه نبوة عيسى عم وهو فى المهد لانها اخص
من الرسالة وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم بالبينات والزبر بالمعجزات والكتب
متعلق بلا تعلمون على ان الشرط للتبكيت والالزام من حيث الاعتراف بعدم العلم وسبيل
الجاهل سؤال من يعلم لا الانكار ويجوز ان يتعلق بما ارسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء
اى وما ارسلنا الا رجالا بالبينات وان يكون صفة لرجالا اى رجالا ملتبسين بالبينات
وان يكون صفة لرجالا او بيوحى على المفعول او الحال عن الفاعل من الفعل مقام فاعله
على ان قوله فاسئلوا اعتراض ويجوز ان يتعلق بارسلنا مضمرا كانه قيل بم ارسلوا
فقيل بالبينات والزبر فهو على هذا كلام اخر مستانف وانزلنا اليك الذكر اى القرآن
وانما سمى ذكرا لانه مذكر وتنبيه للغافلين لتبين للناس ما نزل اليهم فى الذكر بتوسط
نزوله عليك من الاحكام والمواعيد والتبيين اعم من ان يبين بالمقصود او يرشد
الى ما يدل عليه كالقياس ودليل العقل ولعلهم يتفكرون وارادة ان يتاملوا فيه فيتنبهوا
بالحقايق والواو للعطف على محذوف تقديره ارادة ان يصغوا اليه افامن الذين
مكروا السيئات اى المكرات السيئات وهم الذين احتالوا لهلاك الانبياء عم او الذين
مكروا رسول الله وراموا صد اصحابه رضى عن الايمان ودخول الهمزة على فاء التعقيب
للانكار لامنهم بعد اطلاعهم على عاقبة المكذبين والبينات التى انزلت على الرسول عم
ان يخسف الله بهم الارض كما خسف بقارون او ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون
اى فى حال غفلتهم ناسين ولا يلزم ان يكون من جانب السماء ولا ان يكون بغتة و
لهذا جمع بينهما فى قوله من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون او ياخذهم
الاخذ هنا كناية عن الاهلاك كما فى قوله وكلا اخذنا بذنبه فى تقلبهم فى تصرفاتهم فى
امورهم وهذا ايضا زمان غفلتهم عن تطرق الآفات لتوغلهم فى تحصيل المهمات الا
ان لهم فيه شعورا وهذا تفصيل ما اجمله الضحاك بقوله بالليل والنهار فما هم بمعجزين
بفايتين والفاء لله لانه على شدة الاخذ بحيث لا يفلت الماخوذ ولوانا وبه بتم
الكناية المذكورة او ياخذهم على تخوف على مخافة بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فياتيهم

العذاب وهم متخوفون وهو خلاف الاتيان والاخذ المذكورين سابقا لانه اخذ على توقع
فيكون الغرض التعميم وقيل هو من تخوفته اذا تنقصته شيئا بعد شئ فى انفسهم واموالهم
حتى يهلكوا فان ربكم لرؤف رحيم لا يعاجلكم بالعقوبة مع استحقاقكم بها وهذا كالتعليل
للاخذ على التخوف لان فيه مهلة وامتداد وقت فيمكن فيه التلافى اولم يروا الى ما خلق الله
استفهام انكار اى قد راوا امثال هذه الصنايع فما بالهم لم يتفكروا فيها ليظهر لهم كمال
قدرته وقهره فيخافوا منه وانما قال من شئ لان المخلوقات على نوعين ما خلق من شئ
وهو عالم الاجساد وما خلق من غير شئ كعالم الامر وهو عالم الارواح كما قال الله
الا له الخلق والامر وانما سمى عالم الارواح عالم الامر لانه خلق بامر كن من غير شئ والكل
من خواص ما فى عالم الخلق وبهذا اندفع ما قيل ان بيان ما خلق بشئ بيان المبهم بما هو ابهم
فافهم يتفيؤا ظلاله اى تتفيؤ تنتقل من فاء يفئ اى رجع واختلف فى الفئ فقيل هو مطلق
الظل سواء كان قبل الزوال او بعده وهو الموافق لمعنى الآية وقيل الفئ هو الذى بعد
الزوال عن اليمين والشمائل اى عن الجوانب كلها استعير اليمين والشمال من جنبى الانسان لجانبى
الشئ ثم اريد بالشمائل الشمال والخلف والقدام على طريقة التغليب لان الظل من الجوانب كلها
سجدا لله وهم داخرون حالان من الضمير فى ظلاله باعتبار المعنى لانه يرجع الى ما وقد اعتبر
اللفظ وجمع داخرون بالواو لتغليب العقلاء على ساير ما خلق الله تع اولان التجود و
الدخور من اوصاف العقلاء ويجوز ان يكونا حالين من الظلال والاول منهما او الثانى من
الضمير وهذا اولى لما فيه من وصف الظلال بالتجود ووصف اصحابها بالدخول الذى هو
ابلغ لانه انقياد قهرى مع صفة المنقاد فيكمل حسن المعنى بتصوير سجود الظل وذى الظل
وتفاوتهما فى الوجود ويظهر وجه تغيير الاسلوب فى الحال الثانى واستعير التجود والدخول
للانقياد والاستسلام والتسخير لما يريد من المخلوقات او من ظلالها سواء كان بالاضطرار
او بالاختيار يقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير اذا طأطأ راسه
ليركب والمعنى والله اعلم يرجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها
ومغاربها بتقدير الله تع من جانب الى جانب منقادة لما قدر لها من التفيؤ او واقعة
على الارض ملصقة بها على هيئة الساجد والاجرام فى نفسها ايضا داخرة اى صاغرة
منقادة لافعال الله تع فيها ولله خاصة يسجد ينقاد لارادته وقدرته انقيادا يعم
الاختيارى والاضطرارى ومن ذكر بدل الاول ما يكون طوعا وبدل الثانى ما يكون
طبعا لم يصب فى واحد منهما ما فى السموات وما فى الارض من دابة بيان لما فى الارض لان
الدابة ما يدب فى الارض ولا يلزم ان يكون على وجهها والسكوت عن بيان ما فى السموات
للاشعار بكثرة ما فيها اجناسا وانواعا ومن رام تعميم البيان زاعما ان الدبيب هو الحركة

الجسمانية سواء كانت في جرم سماوي او ارضي فقد غفل عما في قوله تع والله
خلق كل دابة من ماء من الدلالة على اختصاص الدابة بما في الارض لان ما في السماء لا يخلق
بطريق التوالد والملئكة خصت بالذكر معطوفة على ما في السموات للتعظيم عطف
جبرائيل على الملئكة اي والملئكة خصوصا من الساجدين لانهم اطوع خلق واعبدهم وهم
لا يستكبرون عن عبادته جملة استينافية وتقديم هم للتخصيص يخافون ربهم خوف
اجلال وهيبة وتعظيم حال من ضمير لا يستكبرون او هو بيان لنفي الاستكبار وتاكيد
له لان من خاف الله تع لم يستكبر عن عبادته من فوقهم حال من ربهم مجاز بمعنى القهر
والعلو اي عاليا لهم وقاهرا ويفعلون ما يؤمرون خوفا وعلما بعظمته ونفاذ سلطانه
وقدرته وفي الاية دلالة على ان الملئكة مكلفون بالتكليف الشرعي الذي ترتب عليه الثواب
والعقاب وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين اكد الهين بالوصف باثنين وان
دلت التثنية عليه للدلالة على ان مساق النهي هو العدد لا الالهية وان الاثنينية
تنافي الالهية كما وصف اله بواحد في قوله انما هو اله واحد دلالة على ان المقصود اثبات
الوحدانية دون الالهية وانها لازمة للالهية فاياي فارهبون التفات من الغيبة
الى التكلم ابلاغا للرهبة في القلوب وتمكينا لها في النفوس ومبالغة في الترهيب
وتصريحا بالمقصود ولذلك قدم المفعول مع فاء السببية وكرر الفعل اي ان كنتم
رهبتم شيئا فاياي ارهبوا فارهبون دون غيري فانا ذلك لاله الواحد القهار
لكل شيء وله ما في السموات والارض التفات اخر للتعظيم وتقرير وجوب تخصيص الرهبة
به ووجوب الانقياد له في قوله ولله يسجد اي له ما فيهما خلقا وملكا فكيف لا ينقادون
له ولا يخصونه بالرهبة وتقديم الظرف تاكيد وتقوية لمعنى الاختصاص الذي في
اللام وكذا في قوله وله الدين اي الطاعة والانقياد واصبا واجبا ثابتا او وله الجزاء
دائما سرمدا لا يزول وهو تاكيد وتقرير اخر وتعليل لوجوب الانقياد والرهبة اعني
على الوجه الثاني وكذا افغير الله تتقون تاكيد اخر بتقديم المفعول مع الهمزة الانكارية
داخلة على الفاء التعقيبية اي ابعد العلم بالتوحيد وتخصيص الكل به خلقا وملكا تتقون
غيره بالابقاء وفيه توبيخ بليغ وما بكم واي شيء اتصل واستقر بكم من نعمة فمن الله
او الذي اتصل بكم فهو من الله وما شرطية او موصولة متضمنة لمعنى باعتبار الاخبار
او العلم لان استقرار النعمة سبب للاخبار والعلم بانه من الله لا لحصوله منه ثم اذا
مسكم الضر فاليه تجارون الجوار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة اي فما تتضرعون
في كشفه الا اليه ففرق بين حصول النعمة ووقوع الضر بعموم ما وايراد الباء اللاصقة
في الجملة الاسمية اي وكل ما استقر بكم من النعمة المستمرة فهو من الله يجب عليكم شكره

لان الانسان لا يخلو في حال ما من نعم كثيرة وبايراد ثم المفيد معنى التراخي والمس الذي
هو ادنى اصابة وجنس الضر الذي يكفي في اطلاقه اقل ما ينطلق عليه الاسم في الجملة الفعلية
ثم اذا تجدد اصابة ادنى شيء من جنس الضر بعد زمان طويل لا يجارون الا اليه وانما
يجارون ان لان وقوع هذا القدر من الضر في بعض لا يبين محقق ثم اذا كشف الضر
عنكم ثم مستفاد لاستبعاد الشرك بعد كشف الضر عند تخصيصه تع بالضراعة في طلب كشفه
والعلم بحصول جميع النعم منه اذا فريق منكم بربهم يشركون اذا فجائية والخطاب عام
والفريق هم الكفرة او خاص بالمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض اي اذا فريق وهم انتم
بربهم يشركون او للتبعيض على ان منهم من اعتبر وازدجر كقوله فلما نجاهم الى البر
فمنهم مقتصد ليكفروا بما اتيناهم من نعمة الكشف عنهم بيان لرسوخ الكفران فيهم و
غلبته على طباعهم حتى كانهم جعلوا غرضهم من الشرك كفران النعمة فتمتعوا وقرئ فيمتعوا
بالياء مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا على ان اللام للتعليل ويجوز ان يكون لام الامر
الوارد للتهديد والفاء للجواب فسوف تعلمون تخلية لهم ووعيد لهم بليغ ويكون
ليكفروا ايضا واردا على سبيل الخذلان والتخلية ويجعلون لما لا يعلمون اي لالهتهم
التي لا يعلمون حقيقتها فيعتقدون انها تضر وتنفع وتشفع لهم عند الله تع وهي
جمادات لا تضر ولا تنفع على ان العائد الى ما محذوف او لجهلهم على ان ما مصدرية والمجعول
له محذوف للعلم به او لالهتهم التي لا علم لها لانها جمادات فيكون الضمير لما نصيبا مما
رزقناهم من انعامهم وزروعهم تقربا اليه تعالى تالله لتسئلن عما كنتم تفترون
من انها الهة حقيقة بالتقرب اليها وهو وعيد لهم عليه ويجعلون لله البنات كانت خزاعة
وكنانة يقولون الملئكة بنات الله تع سبحانه تنزيه له عن قولهم وتعجيب منه ولهم ما
يشتهون نصب عطفا على البنات اي ويجعلون لانفسهم ما يشتهون من البنين اي
يختارون او رفع على الابتداء ولهم خبره وسبحانه اعتراض واذا بشر احدهم بالانثى
اخبر بولادتها ظل وجهه صار او دام النهار كله مسودا من الكآبة واسوداد الوجه كناية
عن الاغتمام والتشوير وهو كظيم مملو غيظا اي على المرأة يتوارى من القوم يستخفي
منهم من سوء ما بشر به من اجل سوء المبشر به ايمسكه محدثا نفسه متفكرا في ان يتركه على هون
ذل ام يدسه ام يخفيه في التراب بيده وتذكير الضمير للفظ ما وقرئ بالتانيث فيهما الا
ساء ما يحكمون حيث يجعلون لمن تنزه عن الولد ما هذا محله عندهم ولانفسهم من هو
على ضده هذا الوصف للذين لا يؤمنون بالاخرة مثل السوء صفة السوء من الحاجة الى الولد
ليقوم مقامهم وارادة الذكور استظهارا بهم وكراهة الاناث ووادهن خشية
الاملاق الشاهد على انفسهم بالشح البالغ ولله المثل الاعلى من الغنى المطلق بالوجوب الذاتي

والجود الكامل والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو العزيز المنفرد بكمال القوة و
القدرة على بطشهم واخذهم بذنوبهم الحكيم الذى يؤخرهم الى اجل مسمى بمقتضى الحكمة
ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم بسبب كفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها على الارض وجاز
اضمارها من غير ذكر لدلالة الدابة عليها لما عرفت انها ما يدب فيها من دابة قط لان
من الناس غير الدواب انما خلق لاجله لقوله تعالى خلق لكم ما فى الارض جميعا ولو اخذ الظالم
بظلمه لانقطع نسل الانسان اذ ما من شخص الا وفى آبائه ظالم فلا دلالة فى الآية على ان يكون
الناس كلهم ظالمين لما عرفت ان المراد من الظلم المضاف اليهم ما صدر عن بعضهم ولكن
يؤخرهم الى اجل مسمى سماه لاعمارهم او لعذابهم كى يتوالدوا فاذا جاء اجلهم لا يستقدمون
ساعة ولا يستأخرون قد سبق تفسيره فى سورة الاعراف ويجعلون لله ما يكرهون
اى ما يكرهون لانفسهم من البنات والشركاء فى الرياسة والاستخفاف بالرسل واراذل
الاموال وتصف السنتهم مع ذلك الكذب وهو ان لهم الحسنى اى عند الله تعالى كقوله ولئن
رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى بدل من الكذب او على اسقاط الحرف اى بان لهم و
قرئ الكذب بضمتين جمع كذوب صفة للالسنة لا جرم قد سبق تفسيره فى سورة
هود ان لهم النار رد لكلامهم واثبات لضده وانهم مفرطون بالفتح مخففا ومشددا
بمعنى مقدمون الى النار اى معجلون من افرطت فلانا وفرطته فى طلب الماء اذا قدمته
وقيل منسيون متروكون من افرطت فلانا خلفى اذا خلفته ونسيته وقرئ بالكسر مخففا من
الافراط فى المعاصى ومشددا من التفريط فى الطاعات وما يجب عليهم تالله لقد ارسلنا الى امم
من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم تسلية للرسول عليه السلام فيما كان يناله من الغم بسبب جهالة
القوم ووعيد لاهل مكة فهو وليهم اليوم حكاية الحال الماضية التى كانت يزين لهم الشيطان
اعمالهم فيها واليوم عبارة عن ذلك الوقت او اراد استحضار صورة التزيين فى وقته
عسى ان يعتبروا بها فيحترزوا عن مثلها ويخرجوا عن ولاية اللعين والولى بمعنى القرين و
الذى يتولونه او حكاية الحال الآتية وهى حال كونهم معذبين مع النار والعائدة [illegible]
المذكور فى اذهان المخاطبين والولى بالمعنى المذكور او بمعنى الناصر اى فهو ناصرهم اليوم
لا ناصر لهم غيره فيكون نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه ولهم عذاب اليم فى النار وما انزلنا عليك
الكتاب الا لتبين لهم اى للناس الذى اختلفوا فيه من التوحيد والقدر واحوال المعاد من
البعث والجزاء واحكام الافعال من التحليل والتحريم ونحوها وهدى ورحمة لقوم يؤمنون
عطف على محل لتبين نصبا على التعليل لكونهما فعلى فاعل الانزال المعلل بهما بخلاف التبيين فجئ
فيه باللام لفقد شرط نصبه والله انزل من السماء ماء قد سبق وجه تنكير الماء فاحيا به الارض
انبت فيها انواع النبات بعد موتها بعد يبسها والتعقيب الذى دل عليه الفاء لا ينافى المهلة

الواقعة بين المعطوفين لان ذلك انما يكون على حسب ما يعده الناس متعاقبا والاحياء
بعد الانزال يعد متعقبا [illegible] الا ترى الى صحة قولك تزوج زيد فولد له اذا لم يكن الا
مدة الحمل ان فى ذلك لآية لقوم يسمعون اراد بالسمع القبول كما فى سمع الله لمن حمده اى لقوم
يتأملون فيها ويعقلون وجه دلالتها ويقبلون مدلولها وانما خص كونها آية لهم لان غيرهم
لا ينتفعون بها وهذا التخصيص كالتخصيص فى قوله تعالى وهدى ورحمة لقوم يؤمنون وبما قررناه
تبين وجه العدول عن يبصرون الى يسمعون وان لكم فى الانعام لعبرة دلالة على قدرة الله تعالى وحكمته
والتنكير للتفخيم نسقيكم استيناف لبيان العبرة مما فى بطونه ذكر الضمير ووحده هنا للفظ
وانثه فى سورة المؤمنين للمعنى فان الانعام اسم جمع ولذلك عده سيبويه فى المفردات المبنية
على افعال من قال انه جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها او لواحده
او له على المعنى فان المراد به الجنس من بين فرث ودم لبنا الفرث فضالة ما يبقى من العلف فى
الكرش وكثيف ما يبقى من الاكل فى الامعاء الاول تبعيضية لان اللبن بعض ما فى بطونها والثانية
ابتدائية لان الاسقاء يبتدئ من مادة مبدأها ومنتهاها الفضلة التى لا حاجة اليها بل يجب ان
يدفع كالفرث دفعا للضرر عن البدن او من مادة بين الفرث الذى من الفضول المحضة والدم
الذى من الاصول المحضة فهو بالنسبة الى الفرث اصل لانه لا بد منه فى بقاء النسل وبالنسبة
الى الدم فضل لانه لا حاجة اليه فى بقاء الشخص وعلى هذا يجوز ان يكون من الثانية ايضا
تبعيضية لان تلك المادة غير منحصرة فى اللبن فان الدم الذى يصير غذاء الجنين منها وكذا
مادة المنى ويجوز ان يكون المتعلق المذكور حالا اى كائنا من بين فرث ودم وانما قدم على لبنا
وهو صفة له فى المعنى لانه موضع العبرة فهو معنى به جدير بالتقديم لكونه حاصلا من نجس وهو فى
معرض ان ينقلب اليه لانه ان لم يسبق بخروج مخرج فضلات الهضم الرابع وذلك ان العلف ينطبخ
فينجذب صفاوته الى الكبد ويتولد منه الدم ويبقى الفرث فى الكرش ويستفل ويتوزع الدم
على الاعضاء ليغذوها ويفضل من غذائه قسط صالح يرتقى الى الضرع الذى هو لحم غددى رخو
ابيض فينقلب الدم عند انصبابه اليه الى اللبن هذا هو القول الصحيح فى تولد اللبن فمن وهم
ان محله بين الفرث والدم فقد وهم خالصا مصفى عما يصحبه من الاجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه
ولهذا صار سائغا للشاربين سهل المرور فى حلقهم واما ما قيل صافيا لا يستصحب لون الدم
ولا رائحة الفرث فمبنى على الوهم المذكور آنفا والآتى من موضع تولد اللبن من محل الفرث ومن
ثمرات النخيل والاعناب متعلق بما فى الاسقاء من معنى الاطعام اى نطعمكم منها فينتظم المأكول
منها والمشروب المتخذ من عصيرها ولا حاجة الى تقدير تتخذون وتعلقه بنسقيكم يؤدى الى ادخال
التمر والزبيب فى الرزق الحسن ولا وجه له تتخذون منه سكرا استيناف لبيان الاطعام وتذكير
الضمير باعتبار جنس الثمر وانما قال منه لانه منه ما لا يؤكل بحالة ولما كان اللبن لا يحتاج الى معالجة

ويمكن ان يكون [illegible] لتقدير يسمعون
من [illegible] الذى يبصرونه ان ذلك
[illegible] تابع للعجب
منه

وانه دفع وجه السؤال بان ما ذكر من المبصرات
لا من المسموعات فالمناسب وصف القوم بيبصرون
دون يسمعون واما ما نقل [illegible] تدبر وانصاف
فلا يجدى نفعا فى دفع ما ذكر كما لا يخفى
منه

منه قال تتخذون والسكر مصدر سمي به الخمر وقيل السكر النبيذ ورزقا حسنا كالتمر والزبيب
والدبس والخل ونحوها وفي عطفه على سكرا تعريض بكراهة الخمر وانه ليس بحسن ورمز الى ان
السكر وان كان مباحا فهو مما يحسن اجتنابه وهذا على ما قالوا ان الآية نازلة قبل تحريم الخمر
قيل لما ميز السكر من الرزق الحسن قال اكثر الصحابة رض لو كان فيها ضرر لم يميز عن الرزق الحسن فلم يمتنعوا
عن شربها ونزول الآية قبل تحريمها لا ينافي كونها جامعة بين العتاب والمنة فان المنافي لاباحتها
هو العتاب في الآخرة لا العتاب في الدنيا الذي مرجعه النهي الارشادي ان في ذلك لآية لقوم
يعقلون يستعملون عقولهم بالنظر والتامل في الآيات ولما قال في بدء الكلام لعبرة ناسب
ختمه بيعقلون لانه لا يعتبر الا ذوو العقول واوحى ربك الى النحل الايحاء الى النحل الهامها و
ابداعها علما دل عليه حذاقتها في صنعتها وتدبير امرها وترتيب مراتب عملها ان اتخذي من الجبال
بيوتا بان اتخذي ويجوز ان يكون مفسرة لان في الايحاء معنى القول وتانيث الضمير لان
النحل جمع نحلة ومن الشجر ومما يعرشون ما يعرش الناس ويرفعونه من سقوف البيوت
وانما ذكر بحرف التبعيض لانها لا تتخذ في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرشون ولا في كل مكان منها
وليس المراد من بيتها ما تبنيه لتتعسل فيه كما توهمه من قال وانما سمي ما تبنيه لتتعسل فيه
بيتا تشبيها بالذي يبناه الانسان لما فيه من حسن الصنعة وصحة القسمة التي لا تقوى عليها حذاق
المهندسين الا بآلات رقيقة وانظار دقيقة ولعل ذكره للتنبيه على ذلك بل ما تتخذه
في الجبال وكواها وفي متجوف الاشجار وفيما يعرش ابن آدم من السقوف ثم كلي فيه ارشاد لا
النحل فانها تسوي لبيتها اولا ثم تاخذ في الجرس للعسل من كل الثمرات كل للتكثير كما في قوله و
اوتيت من كل شيء ومن لابتداء الغاية فاسلكي سبل ربك التي الهمك راجعة الى بيوتك لا
تضلين فيها فانها ربما تبعدت في طلب ثمرها الى مواضع بينها وبين بيوتها فراسخ
ذللا جمع ذلول وهو حال من السبل اي مذللة ذللها الله تع وسهلها لك يخرج من بطونها
التفات من خطاب النحل الى الغيبة تعريضا للخطاب الى الناس لان الغرض الامتنان بالنعم
الجسيمة الجامعة بين الغذائية والدوائية واللذة والشفاء عليهم والاعتبار بحالها العجيبة
ولطف صنعها التي يبهر العقول والاستدلال بها على قدرة الصانع وكمال علمه وحكمته شراب
يعني العسل لانه مما يشرب وفيه دلالة على ما هو المختار عند المحققين من ان النحل تاكل الازهار
والاوراق العطرة فيستحيل في باطنها ثم تقيئه ادخارا للشتاء ومن زعم ان العسل نباتي
محض وقال انها تلتقط بافواهها اجزاء طلية حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار و
تضعها في بيوتها ادخارا لزمه ان يجعل البطون مستعارة لافواه النحل ويكون من تبعيضا لها
مختلف الوانه ابيض واصفر واحمر وازرق بحسب لون النور وسن النحل فيه شفاء للناس
لانه من الاغذية الدوائية وقل معجون لم يقع فيه وانما نكر شفاء لان فيه شفاء ما لبعض

الامراض لا لكلها او لتعظيم الشفاء الذي فيه ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون فان من
تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة حق التدبر علم قطعا انه لا بد من
قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه والله خلقكم ثم يتوفيكم باجال مختلفة ومنكم من يرد
عطف على محذوف تقديره فمنكم من يعجل وفاته ومنكم من يرد قالوا وفضيحة الى ارذل
العمر اخسه يعني الهرم الذي يشابه الطفولية في نقصان العقل والقوة لكيلا يعلم بعد علم
شيئا ليصير الى حالة شبيهة بحالة الطفولية في النسيان وسوء الفهم كي مصدرية ناصبة
بنفسها الفعل بعدها وهي منصوبة بتاويل مصدر مجرور باللام التعليلية المتعلقة بيرد
ان الله عليم بمقادير اعمارهم قدير يميت الشاب القوي ويبقي الشيخ الضعيف وفيه دليل على
ان تفاوت آجال الناس بتقدير قادر حكيم واما انه لا دخل فيه للاستعداد واقتضاء الطبع
وسوء التدبير فلا دلالة عليه والله فضل بعضكم على بعض في الرزق تقديم اسم الله تع
للتخصيص اي الله فضل دون غيره بان جعلكم متفاوتين في الرزق فما الذين فضلوا
اي جعل رزقهم افضل من رزق غيرهم برادي رزقهم بمعطي رزقهم على ما ملكت ايمانهم
على مماليكهم فيستووهم بانفسهم في المأكل والملبس فهم فيه سواء اي هم اخوانهم و
امثالهم فحقهم ان يساووهم في ذلك فالجملة لازمة للجملة المنفية ومقررة لها ويجوز ان
يكون واقعة موقع الجواب كانه قيل فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم
فيستووا في الرزق على انه رد وانكار على المشركين فانهم يشركون بالله تع بعض مخلوقاته
في الالوهية ولا يرضون ان يشاركهم عبيدهم فيما انعم الله عليهم فيساووهم فبنعمة الله
يجحدون اي تلك التسوية شكر نعمة الله فاذا لم يسووهم بانفسهم في ذلك فذلك هو كفران
نعمة الله تع او فما المفضلون في الرزق برادي رزقهم على مماليكهم فان رزقهم بالكلية
بل يجري رزق المماليك كما يجري رزق الموالي فهم اي الموالي والمماليك سواء في رزق الله فلا
يحسبن الموالي انهم يرزقونهم فانه رزق في اجريته اليهم افبنعمة الله يجحدون حيث ينسبون
رزق مماليكهم الى انفسهم لا الى الله ويجحدون انه من عند الله والباء في بنعمة الله لحمل
الجحود على الكفر حمل النظير على النظير وعلى الوجه الاول فما الذين فضلوا جملة توبيخية
والهمزة الداخلة على الفاء التعقيبية وتقديم بنعمة الله تقرير للتوبيخ والانكار لفعلهم
اي ابعد علمهم بان الله تع هو الرزاق ووضوح دلائل ذلك بنعمة الله خاصة يكفرون
جاحدين لها وعلى الوجه الثاني فالتوبيخ والانكار انما يكون في الجملة الاخيرة بالاصالة لا
فيما قبلها والله جعل لكم من انفسكم ازواجا اي من جنسكم لتأنسوا بها ولتكون اولادكم
منهن امثالكم وجعل لكم من ازواجكم لم يقل منها لاحتمال العود الى الانفس بنين وحفدة
جمع حافد وهو الذي يسرع في الخدمة والطاعة قيل المراد منهم البنون انفسهم والعطف

لتغاير الوصفين وقيل هم البنات وقد اى في التعبير عنهن بالحفدة دون البنات تنصيص
على وجه الامتنان بالبنات وهو انهن يخدمن في البيوت اتم خدمة وقيل هم الاختان على
البنات وح يكون اشارة الى ان البنات من حيث انهن وصلة بالاجانب نعمة جليلة وقيل
هم الربايب وح يظهر وجه الاحتياج الى قوله من ازواجكم واما الحمل على اولاد الاولاد فيأباه
تخصيص البنين بالذكر فانه ح حقه التعميم اولا ايضا ورزقكم من الطيبات بعضها لان كلها انما
يكون في الجنة والمراد الاطعمة الشهية افبالباطل يؤمنون وهو ان الاصنام ينفعهم وان
من الطيبات ما يحرم عليهم كالبحاير والسوايب وبنعمة الله هم يكفرون حيث اضافوها الى
غيره تع او حرموا ما احل لهم واقحام هم بين قوله بنعمة الله ويكفرون للتقوية المعاضدة
للتوبيخ والانكار بالهمزة الواردة على فاء التعقيب اى ابعد وضوح دلايل بطلان ما
يعتقدونه يؤمنون بذلك الباطل ويجوز ان يكون لايهام التخصيص مبالغة وكذا تقديم
الباطل وبنعمة الله على ما تعلقتا به ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات
والارض شيئا من مطر ونبات وهو مفعول رزقا ان كان بمعنى المصدر وبدل منه
ان كان بمعنى المرزوق ويجوز ان يكون مصدرا ليملك للتاكيد اى ما لا يملك رزقا ما
شيئا من الملك ومن السموات والارض صلة للرزق ان كان مصدرا او صفة له ان كان
اسما والتنوين في رزقا وشيئا للتحقير والتقليل وفي ابدال شيئا من رزقا تقليل آخر
وفي ايراد ما دون من تحقير آخر وفي التقييد بقوله في السموات والارض مبالغة في نفي
ملك الرزق عنها اى ما لا يملك لهم رزقا ما في جهة من جهات العالم ولا في مكان وقطر منه ولا يستطيعون
الضمير لما لانه في معنى الآلهة وهو من الافعال التي لا يقدر لها مفعول ويجعل مطلقا كالفعل
اللازم والمراد نفي الاستطاعة المطلقة اى لا يملكون ان يرزقوا ولا استطاعة لهم اصلا
لانهم موات وان قدر المفعول لدلالة القرينة وهي مفعول الملك عليه فالمراد بالجمع بين
نفي الاستطاعة والملك جميعا التوكيد او نفي الوقوع وامكانه اى لا يملكون الرزق ولا يمكنهم
ان يملكوه ويجوز ان يكون الضمير للكفار اى ولا يستطيع هؤلاء الكفرة مع انهم احياء متصرفون
عقلاء شيئا من الرزق فكيف بالجماد الذي لا حراك به ولا حس فلا تضربوا لله الامثال
نهي عن الاشراك بالله في التشبيه على طريق التمثيل لان من يضرب المثل مشبه حالا بحال وقصة بقصة
فجعل ضرب المثل مثلا للاشراك والتشبيه فكأنه قيل ولا تشركوا بالله وعدل الى المنزل لان له
على التعميم في النهي عن التشبيه وصفا وذاتا وفي لفظ الامثال لمن لا مثال له اصلا نوع عظيم
عليهم سوء فعلهم وفيه ايماء الى ان الاسماء توقيفية وهذا هو الظاهر لدلالة الفاء وعدم ذكر
ضرب المثل منهم سابقا ان الله يعلم تعليل للنهي عن الشرك ووعيد عليه اى ان الله يعلم قبح
ما يفعلون وكنهه وعظمه فهو معاقبكم عليه بما يوازيه في العظم وانتم لا تعلمون كنه ذلك وكنه

عقابه فلذلك اجترأتم عليه ويجوز ان يراد بقوله فلا تضربوا الخ ظاهره وهو للنهي عن ضرب
الامثال لله ويكون معنى التعليل ان الله وحده يعلم كيف يضرب المثل له وانتم لا تعلمون ذلك
وكأنه اريد المبالغة في ان لا يلحدوا في اسمائه تع وصفاته فانه اذا لم يجز ضرب المثل والاستعارة
يكفي فيها شبه ما والاطلاق يكفي له العلاقة كاف فعدم جواز اطلاق الاسماء من غير سبق تعليم
منه تع واثبات الصفات اولى فاولى ثم علمهم كيف يضرب فضرب مثلا لنفسه ولمن عبد دونه
فقال ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء عبدا بدل من مثلا ومن رزقناه منا رزقا
حسنا من موصوفة عطفت على عبدا او موصولة فهو ينفق منه سرا وجهرا مثل ما اشرك به
بالمملوك العاجز عن التصرف مطلقا ومثل ذاته تع بالحر الذي رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف
فيه وينفق منه كيف يشاء وقيد العبد بالمملوك ليمتاز عن الحر فان العبد قد يطلق على
الحر باعتبار انه عبد الله تع وبقوله لا يقدر على شيء ليخرج عنه المكاتب والماذون فانهما
يقدران على شيء ولا دلالة فيه على ان المملوك لا يملك لانه لم يجعل قسيما للمالك الا بعد التقييد
بقوله لا يقدر على شيء والاصل في القيود الاحتراز بل للمخالف كمالك على ما قيل ان يتمسك به
بناء على هذا الاصل الحمد لله كل الحمد له لا يستحقه غيره فضلا عن العبادة لانه مولى النعم كلها
هل يستوون اى هل يستوي الاحرار والعبيد فاذا كان هذا لا يستويان عندكم مع كونهما
من جنس واحد ومشتركين في الانسانية فكيف تشركون بالله تع وتسوون به من هو مخلوق
له مقدور بقدرته بل اكثرهم لا يعلمون فيضيفون نعمه الى غيره ويعبدونه لاجلها وكلمة بل
رد لما زعموه من استحقاق الاصنام للعبادة وانكره وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم
اى لا نفع فيه من جهة القول قد سبق بيان معنى البكم والفرق بينه وبين الخرس لا يقدر
على شيء فلا نفع فيه من جهة الفعل ايضا وهو كل على مولاه اى ومع ذلك هو ثقل وعيال على
من يلي امره ويعوله اينما يوجهه حيثما يرسله مولاه في امر لا يات بخير بنجح وينفع والتنكير للتقليل
هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل ومن هو منطيق فهم ذو كفاية ورشد يامر الناس بالعدل
لكونه جامع الفضايل كلها وهو على صراط وهو في نفسه على طريق مستقيم ودين قويم اى
كامل مكمل كرر التمثيل لزيادة الكشف والايضاح وتصوير امتناع الاشتراك والتسوي في
صورتين مختلفتين ليتمكن في نفس السامعين واصنع في كل واحد من المثلين بامتناع الاشتراك
والتسوية بين ممكنين متماثلين مع اشتراكهما في الجنسية والمخلوقية على امتناع الاشتراك
والتسوية بين الاصنام التي هي اخس المخلوقات واعجزها وبين الله تع الواجب بذاته
الخالق القادر على الاطلاق ولله غيب السموات والارض اى يختص به تع علم ما غاب فيهما عن
العباد وقيل يوم القيمة فان علمه غايب عن اهل السموات والارض وكذا يكون العدول
عن الضمير في قوله وما امر الساعة اى امر قيامها في سرعة وقوعه الا كالاسم الظاهر لما فيه

من التعقيبة للمخبر الا كلمح البصر الا كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها تمثيل لامر آتي الوقوع غير زماني باقل ما يمكن ان يدرك من الزمان ولهذا قال او هو اقرب اي اسرع واقصر زمانا بان يكون في مقدار نصف تلك الحركة او في آن ابتداء تلك الحركة لان الله تعالى يحيي الخلايق دفعة واحدة وما هو دفعي الوجود يكون حدوثه في ان واو بمعنى بل ان الله على كل شيء قدير فيقدر على ان يقيم الساعة ويبعث الخلق في اسرع وقت كما قدر على احيايهم مندرجا ثم دل على قدرته فقال والله اخرجكم من بطون امهاتكم بيان لعجزنا في الابتداء يعني لم يكونوا قادرين بانفسكم على الخروج فانا اخرجتكم كما ان قوله لا تعلمون شيئا بيان لجهلنا فيه في موضع الحال اي غير عالمين وفيه دلالة على ان حركة الجنين غير ارادية وجعل لكم السمع والابصار خصهما بالذكر والمراد جميع الحواس لانهما اشرفها والاعتبار والاستدلال بهما كانهما اكثر كما خص الصلوة والزكوة في مواضع من القران بالذكر والمراد جميع العبادات لانهما اصلها وتقديم السمع لانه اعم نفعا واتم حيث يحصل به العلوم النقلية التي لا يتطرق فيها الغلط والافئدة اي انعم عليكم بهذه الآلات والقوى ليدركوا بالحواس والمشاعر الجزئيات وتنبهوا بالافئدة لكلياتها فيحصل لكم العلوم البديهية وتقدروا على اكتساب النظريات والافئدة من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة اذ لم يرد في السماع غيرها لعلكم تشكرون ارادة ان تشكروا نعمه الظاهرة والباطنة بالعمل بتلك العلوم فتنتجوا العلوم الكشفية كما قال عم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم فتكملوا وتسعدوا وانما ذكر آلة العلم في مقام الامتنان والحث على الشكر دون آلة القدرة تعظيما للعلم وتنبيها على ان المقصود من خلق بني آدم بل من ايجاد العالم هو العلم على ما علم من قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي ليعرفون ومن قوله عم كنت كنزا فاحببت ان اعرف الحديث الم يروا الى الطير جمع طاير مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة وهي لها من الاسباب الموافقة لذلك في جو السماء في الهواء المرتفع من الارض وفي اضافته الى السماء اظهار لجهة لطافة تقويته لمعنى التسخير ما يمسكهن فيه الا الله فان ثقل اجسادها يقتضي السقوط ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها يمسكها فلا ممسك الا الله تعالى بقدرته ان في ذلك لآيات تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة يمكن معها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيها وامساكها فيها هي التثقل في الهواء مع غاية لطافته على خلاف طبعها لقوم يؤمنون خصهم بتلك الآيات لانهم هم المنتفعون بها والله جعل لكم من بيوتكم التي تسكنونها من الحجر والمدر سكنا فعل بمعنى مفعول ما يسكن فيها واليه من سكن او مالف وجعل لكم انما اعاده لان الامتنان هنا بنوع آخر من النعمة من جلود الانعام بيوتا التنكير للتنويع اي

نوعا غريبا منها وهي القباب المتخذة من الادم ولا حاجة الى ان يتكلف في تعميمها للمتخذة من الوبر والصوف والشعر لاندراجها فيما ياتي بعيد هذا تستخفونها تجدونها خفيفة يخف عليكم حملها ونقلها يوم ظعنكم الظعن بفتح العين وتسكينها الارتحال ويوم اقامتكم وقت نزولكم واقامتكم في مساير كم لم يثقل عليكم ضربها ونقضها او يوم قراركم في منازلكم والاول اولى اذ ظهور المنة وخفتها في السفر اتم واظهر ومن اصوافها واوبارها واشعارها الصوف للضان والوبر للابل والشعر للمعز والكنايات راجعة للانعام وفي الفصل بالابل بين ما للضان وما للمعز لانه اكثر استعمالا في الحضر والسفر اثاثا اي امتعة دنيا بالفتح للحضر والسفر منها ما يلبس ومنها ما يفرش ومنها ما ينصب كاخبية الشعر واللبود ومتاعا المتاع ما ينتفع به ويتجر الى حين الى ان تبلى وتفنى تغنيا والى ان تقضوا منه اوطاركم والتنوين للتعظيم والاشارة الى انها تبقى مدة مديدة او للابهام لانه غير معين اي مدة ما من الزمان غير معلومة والله جعل لكم شرع في الامتنان بنعمة خالصة عن شوب الكسب ولهذا اعاد الاسناد الى ظاهر اسم الله تعالى مما خلق في السماء كالسحاب المظلم على ما ذكر في قوله تعالى وظللنا عليكم الغمام او في الارض كالجبل والشجر ظلالا ما يستظل به لما كانت بلاد العرب غالبا عليها الحر المفرط امتن عليهم بما يتقون به من حر الشمس وفيه نوع تمهيد لتخصيص الحر بالذكر فيما سياتي وجعل لكم من الجبال اكنانا مواضع تكنون بها من الكهوف والغيران الانسان اما مقيم او مسافر والمسافر غني يستصحب معه ما يستظل به ويكن به او فقير لا يقدر عليه فامتن على الاول بقوله جعل لكم من بيوتكم سكنا وعلى الثاني بقوله وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا وعلى الثالث بقوله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا وجعل لكم سرابيل من القطن والكتان والصوف جمع سربال قال الزجاج كل ما لبسته فهو سربال تقيكم الحر اقتصر عليه لكون البرد في بلادهم يسيرا محتملا او اكتفى باحد الضدين عن الآخر وتخصيص الحر بالذكر لما اشير اليه من كون وقاية الحر اهم عندهم وسرابيل تقيكم باسكم يعني الدروع والجواشن كذلك كما تمام هذه النعم التي تقدمت يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون تنظرون مع نعمه الفايضة عليكم فتؤمنون به وتنقادون له وقرئ تسلمون بفتح التاء من السلامة اي تشكرون نعمه فتسلمون من نعمه او تسلم قلوبكم من الشرك او تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان تولوا يحتمل ان يكون ماضيا على الالتفات اي فان اعرضوا عن الاسلام ويحتمل ان يكون مضارعا اي فان تتولوا وحذفت التاء ويكون جاريا على الخطاب السابق فانما عليك البلاغ المبين اي فلا يضرك فانما عليك البلاغ وقد بلغت فهو من باب اقامة السبب مقام المسبب فان البلاغ سبب لعذره وكونه معذورا كناية عن عدم التقصير من جهة الرسالة يعرفون نعمة الله يعرف المشركون نعمة الله من التي عددنا وغيرها

حيث يعترفون بها وانها من الله تعالى ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم هي من الله
لكن بشفاعة آلهتنا او بسببها الى من اجراها الله تعالى على يده وقيل نعمة الله نبوة محمد عم
عرفوها بالمعجزات ثم انكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة واكثرهم
الكافرون الجاحدون عنادا وانما قال اكثرهم لان فيهم من لم يكن معاندا بل جاهلا لم يعرف
الحق لنقصان عقله او تفريطه في النظر او لانه لم تقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد
التكليف وعلى هذا يكون الكافر محمولا على اطلاقه وعلى كلا التقديرين يحمل الاكثر على معنى الكل
ويوم نبعث من كل امة شهيدا يشهد لهم وعليهم بالايمان والكفر وهو نبيهم ثم لا
يؤذن للذين كفروا في الاعتذار اي لا عذر لهم فدل بانتفاء الاذن على انتفاء العذر
وثم مستعار لغاية البعد بين بليتهم بشهادة الرسل عليهم السلام وبين بليتهم بانتفاء
الاذن في الكلام لما فيها من الاقناط الكلي عن العفو والغفران بالمنع من الاعتذار والالقاء
بحجة او شبهة ولا هم يستعتبون الاستعتاب طلب الرضاء وازالة الغضب عن العتبى و
هو الرضاء اي لا يطلب منهم ارضاء الرب لان الاخرة دار الجزاء لا دار العمل ويوم منصوب
بمحذوف اي ويوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه او كان ما لا يدخل تحت الوصف او واذكر
يوم نبعث وكذا واذا رأى الذين ظلموا العذاب اي حاق بهم ما حاق وشق عليهم وكذلك
فلا يخفف عنهم اي العذاب ولا هم ينظرون يمهلون واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم
اوثانهم التي دعوها شركاء او الشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه قالوا ربنا
هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك نعبدهم او نطيعهم وهو اعتراف بكونهم مخطئين
في ذلك او التماس لان يشطر عذابهم فالقوا اليهم القول اي اجابوهم بقولهم انكم
لكاذبون في انهم شركاء الله او في دعوى عبادتنا ولا يمتنع انطاق الله تعالى الاصنام
به حينئذ او في انهم حملوهم على الكفر والزموهم اياه كقوله وما كان لي عليكم من سلطان
الا ان دعوتكم فاستجبتم لي والقوا والقى الذين ظلموا الى الله يومئذ السلم الاستسلام
لحكمه بعد الاستكبار في الدنيا وضل عنهم ضاع عنهم وبطل ما كانوا يفترون من
انهم شركاء الله تعالى وانهم يشفعون لهم وينصرونهم حين كذبوهم وتبرؤا منهم
الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله منعوا عن الاسلام وحملوا على الكفر زدناهم عذابا
فوق العذاب المستحق بكفرهم بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين بصدهم ويوم
نبعث في كل امة شهيدا يعني نبيهم من انفسهم من جنسهم ومن وهم ان نبي كل امة كان
منهم فقد وهم وهذا القيد لم يذكر فيما سبق لدلالة من عليه وجئنا بك يا محمد شهيدا
يشهد على صدق هؤلاء الشهداء او على كونه عم شهيدا على امته فقد علم مما تقدم ونزلنا
عليك الكتاب استيناف او حال باضمار قد تبيانا بيانا بليغا لكل شيء عبارة كل للتكثير

والتفخيم لا للاحاطة والتعميم كما في قوله تدمر كل شيء وما قيل من امور الدين على التفصيل
او الاجمال بالاحالة الى السنة والقياس فيأباه ما في التبيان من المبالغة في البيان ثم ان قوله
من امور الدين تخصيص لا يساعده الكلام ولا يقتضيه المقام وهدى ورحمة وبشرى بشارة
للمسلمين متعلق ببشرى ومن حيث المعنى متعلق بهدى ورحمة ايضا لقوله تعالى هذا بصائر
من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ان الله يأمر بالعدل بمراعات التوسط بين الاطراف
وسلوك طريق الواسطة بين طرفي الافراط والتفريط فهو جامع الفضائل كلها اذ الحكمة
المتوسطة بين البلاهة والدهاء والشجاعة المتوسطة بين الجبن والتهور والعفة المتوسطة
بين الشرة وخمود الشهوة فمن الحكمة اعتقاد التوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك
والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملا التعبد باداء الواجبات المتوسط بين
البطالة والترهب والامر بالمعروف والنهي عن المنكر المتوسط بين المداهنة والعنف في
الامور الدينية وخلقا كالتواضع المتوسط بين الضعة والتكبر والجود المتوسط بين البخل
والتبذير والقناعة المتوسطة بين الحرص والقعود عن طلب الضروري من المعاش ولما
كانت مراعاة العدالة في غاية الصعوبة شفعه بالاحسان بقوله والاحسان ليتدارك به ما فات
من العدالة احتياطا فان العدل هو القيام بالواجب في كل شيء والاحسان هو الندب والتجاوز
عن سمت العدالة الذي هو الطريق المستقيم الى احد الجانبين قد يكون الى جانب التفريط حسن
وقد يكون الى جانب الافراط فالاحسان هو الاتيان بالحسن والمحافظة على جانبه كالميل الى
التنزيه في الاعتقاد والتطوع بالنوافل في الاعمال باعتبار الكمية والزيادة في الاخلاص
بالاخفاء باعتبار الكيفية والميل الى الصلابة التي هي الجهة الدينية في الشجاعة والى الضعة و
العفو دون الانتقام فيما يتعلق بحق نفسه فيها والى الافراط في الجود والى التفريط في كل
ما سواه من خصال الضعة ولهذا نهى عن الافراط في متابعة الشهوة وهي الفحشاء وايتاء
ذي القربى واعطاء الاقارب ما يحتاجون وهو تخصيص بعد التعميم للاهتمام به تنبيها على
فضل هذه الخصلة من بين خصال العدل والاحسان وكذا الرذائل الثلث المذكورة بعدها
فان النهي عنها داخل في الامر بالعدل وخصصت بالذكر والنهي عنها بالانفراد للتنبيه على قبحها
وكونها في غاية الرذالة الا يرى ان البغي هو الظلم المنافي لصريح العدل فلا يفيد ذكره الا
التأكيد والمبالغة في التحذير وينهى عن الفحشاء عن الافراط في متابعة القوة الشهوانية كالزنا
والحرص والمنكر اي ما ينكر شرعا او عقلا من افراط القوة الغضبية والبغي اي الاستعلاء و
التجبر على الناس والاستيلاء وهو من تسلط القوة الوهمية على العاقلة الذي يتولد منه
الشيطنة فتارة يغلب الغضب ويحدث الاستكبار وتارة يميل الى الافراط في باب الحكمة فيحدث
الجربزة والمكر والتزوير وتارة يغلب الشهوة فتورث النهب وسلب الاموال وغصب حقوق

الناس

وكثيرا ما في العدالة ولا يوجد من الانسان شرا الا وهو داخل في هذه الاقسام الثلثة بتوسط
احدى هذه القوى الثلث ولذلك قال ابن مسعود رض هي اجمع آية في القرآن للخير والشر وصارت
سبب اسلام عثمان بن مظعون رض ولو لم يكن في القرآن الا هذه الآية لكفى به تبيانا لكل شيء
وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ولامر ما عقب قوله ونزلنا عليك الكتاب بها يعظكم بالامر و
النهي والميز بين الخير والشر حال من فاعل يامركم او من مفعوله او منهما جميعا او خبر ثان لان
لعلكم تذكرون تتعظون واوفوا بعهد الله هي البيعة لرسول الله صلعم على الاسلام في قوله ان
الذين يبايعونك انما يبايعون الله اذا عاهدتم اي اثبتوا على ما عاهدتم الله عليه وبايعتم به
رسوله بالايمان تحلفون بها ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها اي لا تنكثوها بالحنث بعد احكام
عقدها على انفسكم بذكر الله تع وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا ورقيبا لان الكفيل شاهد لحال
المكفول به رقيب عليه ان الله يعلم ما تفعلون في نقض الايمان والعهود وعيد ولا تكونوا كالتي
نقضت غزلها ما غزلته مصدر بمعنى المفعول من بعد قوة متعلق بنقضت اي نقضت غزلها
بعد ابرامه واحكامه انكاثا طاقات نكث فتلها جمع نكث وهو ما ينقض فتله وانتصابه على
الحال من غزلها او المفعول الثاني لنقضت لتضمنه معنى صيرت ولا يجوز انتصابه على المصدرية
لان النكث اسم لا مصدر والمراد تشبيه الناقض بمن هذا شانه وهي ريطة بنت سعد بن
تيم القرشية فانها كانت خرقاء تفعل ذلك تتخذون ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير في ولا
تكونوا دخلا ثاني مفعولي تتخذ اي تتخذونها دخلا اي مفسدة ودغلا واصله ما يدخل الشيء
ولم يكن منه ان تكون بسبب ان تكون امة جماعة قريش هي اربى ازيد عددا واوفر مالا
من امة اي جماعة المؤمنين انما يبلوكم الله به الضمير لقوله ان تكون امة لانه في معنى المصدر
اي انما يختبركم بكونه اربى لينظر اتوفون بعهد الله وما عقدتم على انفسكم من ايمان البيعة
لرسول الله وتتمسكون به ام تغترون بكثرة وثروتهم وتخافون من قلة المؤمنين وفقرهم
فتنقضون كانت قريش اذا راوا شوكة وكثرة في اعادي خلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم
فنهى المؤمنون عن عادتهم في الغدر وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون اذا جازاكم
على اعمالكم بالثواب والعقاب انذار وتحذير من مخالفة ملة الاسلام ولو شاء الله لجعلكم
امة واحدة متفقة على الاسلام ولكن يضل من يشاء بالخذلان ويهدي من يشاء بالتوفيق
ولتسئلن عما كنتم تعملون سؤال تبكيت ومجازاة ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم تصريح بالنهي
وتكرير له تاكيدا عليهم واظهارا لعظم المنهي عنه ومبالغة في قبحه ولهذا وقد قدم وتكرر في
قوله فتزل قدم والمراد فتزل اقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها منبها على ان زلل
قدم واحد عظيم من عظائم الذنوب فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا السوء العذاب في الدنيا
بما صددتم عن سبيل الله بسبب صدودكم عن الوفاء او صدكم غيركم عنه فان من نقض البيعة

وارتد جعل ذلك سنة لغيره ولكم عذاب عظيم في الآخرة ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا
قد سبق تفسيره في سورة البقرة والمراد هنا من الثمن القليل ما يعده قريش لضعفاء المسلمين
ويشترطون لهم على ارتدادهم انما عند الله من نصركم وتغنيمكم في الدنيا والثواب الجزيل في
الآخرة خير لكم مما يعدونكم ان كنتم تعلمون اي ان كنتم من اهل العلم والتميز ما عندكم من اغراض
الدنيا ينفد وينقضي وما عند الله من الثواب الموعود المدخر في خزائنه لكم باق لا يزول وهو
وهو تعليل للحكم السابق ودليل على ان نعيم الجنة باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم على اذى
الكفار ومشاق التكاليف ومرارة الفاقة باحسن ما كانوا يعملون بما ترجح فعله من تركه
مما فعلوا كالواجبات والمندوبات وما ترجح فعله على تركه مما تركوا كالمحرمات والمكروهات
والتعبير عن الكل للتنبيه على ان الترك انما يثاب عليه اذا قارنه عمل القلب وهو النية والقصد
الى الامتثال بالانتهاء عما نهي عنه في عبارة الصبر نوع اشارة اليه وفي الآية دلالة على
ان المباح حسن وانه لا يثاب عليه وعبارة كان للدلالة على ان المباح لا يستحق الاجر و
ان وجد الاستمرار عليه فكيف اذا وجد نادرا من عمل صالحا من ذكر او انثى بين من لابهام
وكونه ظاهرا في الذكور لو لم يبين فتشتريها ليعم الموعد وانما قال وهو مؤمن اذ لا اعتداد
باعمال الكفرة لا في استحقاق الثواب ولا في تخفيف العقاب لانها تجعل هباء منثورا بدلالة
نص الكتاب هذا ما عندي والله اعلم بالصواب ثم العمل الصالح لا يكون الا للمؤمن فزيادة
القيد المذكور لبيان ان المعنى من عمل صالحا في الحال وهو مؤمن في المال لان اعتبار صفاء الحال
بوفاء المال والامور بخواتيمها فلنحيينه حيوة طيبة في الدنيا يعيش عيشا طيبا لان المؤمن
الصالح ان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا يطيب عيشه بالقناعة والرضا
بالقسمة وتوقع الاجر العظيم في الآخرة والفاجر بالعكس فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان
موسرا فلا يدعه الحرص وخوف العواقب ان يتهنا بعيشه وانما قلنا انه في الدنيا لدلالة
قوله ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون يعني في الآخرة عليه وليس بتكرار لان الاول
في حق الذين عاهدوا رسول الله عم فحفظوا عهودهم وهذا في كل من آمن وعمل صالحا
فاذا قرات القرآن اي اذا اردت قراءته واطلاق الفعل على ارادته من قبيل اطلاق المسبب
على السبب مجاز الملابسة له ولزومه اياه غالبا ودليل المجاز السنة المستفيضة واما الفاء فلا
دلالة فيها عليه انما دلالتها على ان خبر المعنى المراد بعد لولها عن المعنى المراد بقراءات واجماعهم على
صحة المجاز قد دل على ان وجود القرينة المانعة عن ارادة الحقيقة ليس بشرط فيه فاستعذ بالله
من الشيطان الرجيم فاسئل الله ان يعيذك من وساوسه لئلا يوسوسك في القراءة والجمهور على
انه للاستحباب ولا دلالة فيه على ان المصلي يستعيذ في كل ركعة بناء على ان الحكم المرتب على الشرط
يتكرر بتكرره لان ما يقع في خلال الصلوة من القراءات في حكم قراءة واحدة ولهذا الا ستجمت الكلام

والبسملة عند الشروع كل فعل من افعال الصلوة قبل تعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد
عليه ايذان بان الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل ولا يذهب عليك ان الامر كالاخبار فى
اغنى عن هذا الايذان والاولى ان يقول استعيذ بالله ليوافق القرآن ويقرب منه اعوذ
بالله كذا قالوا ويرده ما روى عن ابى مسعود رضه انه قال قرأت على رسول الله صلعم فقلت
اعوذ بالله العليم من الشيطان الرجيم فقال قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا
اقرانيه جبرئيل عن القلم عن اللوح المحفوظ انه ليس له سلطان تسلط وولاية على الذين
آمنوا وعلى ربهم يتوكلون فانهم لا يطيعون اوامره ولا يقبلون وساوسه الا فيما يحتقرون
على ندور وغفلة ولذلك امروا بالاستعاذة ولما ذكرها عقبها بسلب سلطانه لئلا يتوهم
ان له سلطنة عليهم انما سلطانه على الذين يتولونه على من يتولاه ويطيعه دون غيره والذين هم
به بالله او بسبب الشيطان مشركون لانه هو الذى حملهم على الاشراك بالله واذا بدلنا آية
مكان آية نسخنا آية باية فجعلنا الناسخة مكان المنسوخ لفظا او حكما والله اعلم بما ينزل
فى باب المصالح فان الشرع صلاح العباد بحسب المعاش والمعاد وما يكون مصلحة فى وقت
قد يصير مفسدة فى وقت آخر وبالعكس والله اعلم بمصالح الجمهور منهم فينزل فى كل وقت
ما هو صلاح ذلك الوقت وينسخ به ما كان صلاح الوقت الماضى وقد تغير فى الوقت الآتى الى
مفسدة فوجدوا مدخلا للطعن لجهلهم بحكمة النسخ قالوا اى الكفرة انما انت مفتر متقول على
الله تأمر بشئ ثم يبدو لك فتنهى عنه نسبوا اليه الافتراء بانواع من المبالغة والتغليظ
وهى الحصر والخطاب واسم الفاعل الدال على الثبوت والاستمرار وهو جواب اذا والله
اعلم بما ينزل اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على فساد سندهم ويجوز ان يكون
حالا بل اكثرهم لا يعلمون بل اضراب عن الافتراء الذى نسبوه اليه وما بعده تأكيد للاعتراض
والتوبيخ بانهم جاهلون بحكمة الاحكام لا يميزون بين الصواب والخطاء وانما قال اكثرهم
لان منهم من يعلمها لكن ينكرها عنادا قل نزله روح القدس يعنى جبرئيل اى الروح المطهر من
الالواث البشرية واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كاضافة حاتم الى الجود فى قولهم
حاتم الجود للمبالغة فى ذلك الوصف كانه طبع منه وفى نزل ونزله من معنى التدريج فى الانزال
على حسب المصالح ما يشعر بان التبديل مما هو لرعاية المصالح التى كانت لو انزل دفعة من
ربك بالحق ملتبسا بالحق ليثبت الذين آمنوا باعتقاد انه الحق من ربهم فانهم اذا لم يتشوش
اعتقادهم بالنسخ وتيقنوا انه مقتضى حكمة وعلموا ان الناسخ هو الذى فيه صلاح الحال
دون المنسوخ ثبتت اقدامهم ورسخت عقائدهم واطمأنت قلوبهم وهدى وبشرى للمسلمين
المنقادين لحكمه وهما منصوبان معطوفان على محل ليثبت اى تثبيتا لهم وارشادا و
بشارة وفيه تعريض لحصول اضداد هذه الخصال لمن سواهم من الكفار ولقد نعلم انهم

يقولون انما يعلمه بشر اراد به جبرا الرومى وقيل لسان الذى يلحدون اليه لغة الرجل
الذى يميلون قولهم عن الاستقامة اليه يقال لحد والحد اذا مال عن القصد ومنه اللحد اعجمى
غير بين وهذا وهذا القرآن لسان عربى مبين ذو بيان وفصاحة والجملتان مستانفتان
رد لقولهم وابطالا لطعنهم وتقريره ان القرآن معجز بلفظه كما هو معجز بمعناه فان زعمتم
ان بشرا يعلمه معناه فكيف يعلمه هذا الكلام الذى كل الكلام عنه فى البيان والفصاحة وهو اعجمى
وطعنهم فى القرآن بامثال هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم ان الذين لا يؤمنون
بآيات الله اى الذين يعلم الله منهم انهم لا يؤمنون بها لا يعتقدون كونها من عند الله لا يهديهم
الله الى الحق او الى سبيل النجاة فى الدنيا ولهم عذاب اليم فى الآخرة هددهم على كفرهم
بالقرآن بعد ما اماط شبهتهم ورد طعنهم فيه ثم قلب الامر عليهم فقال انما يفترى الكذب
الذين لا يؤمنون بآيات الله لانهم لا يخافون ما يردعهم عنه واولئك اشارة الى الذين كفروا
هم الكاذبون بالحقيقة الكاملون فى الكذب لان التكذيب بآيات الله هو اعظم الكذب
او الذين عادتهم الكذب لا يبالون به فى كل شئ اذ لا يردعهم عنه مروة ولا دين او
الكاذبون فى قولهم انما انت مفتر من كفر بالله من بعد ايمانه بدل من الذين لا يؤمنون
وما بينهما اعتراض او من اولئك او من الكاذبون او مبتدأ خبره مضمر على الذم او من
شرطية محذوفة الجواب دلت عليه قوله الا من اكره على الافتراء او كلمة الكفر استثناء متصل
لان الكفر لغة يعم القول والعقد كالايمان وقلبه مطمئن بالايمان لم يتغير عقيدته جملة حالية
ولا دلالة فيه على انحصار الايمان فى التصديق القلبى ولكن من شرح بالكفر صدرا اى فتحه ووسعه
لقبول الكفر مجاز عن الرضاء وطيب الخاطر فعليهم غضب التنكير للتعظيم وقوله من الله لتربية هيبته
لان الغضب من العظيم عظيم ولهم عذاب عظيم اذ لا اعظم من جرمه روى ان قريشا اكرهوا
عمارا رضه فاعطاهم بلسانه ما ارادوا مكرها ولما اتى رسول الله صلعم وهو يبكى قال ما لك
ان عادوا لك فعد لهم وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وان كان الافضل
هو التجنب عنه اعزازا للدين ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان والوعيد بانهم يهدى القوم
الكافرين وان الله لا يهدى الى الايمان من حقت عليه الضلالة وعلم منهم الكفر هذا هو
السبب الحقيقى والاول هو السبب العادى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم
وابصارهم قد سبق تفسيره فى سورة البقرة واولئك هم الغافلون الكاملون فى الغفلة
الذين لا احد اغفل منهم لان غاية الغفلة ومنتهاها هى الغفلة عن تدبر العواقب لا جرم
قد سبق تفسيره انهم فى الآخرة هم الخاسرون البالغون فى الخسران اذ ضيعوا اعمارهم
وصرفوها فيما افضى بهم الى العذاب المخلد ثم ان ربك للذين هاجروا بالولاية والنصر
من بعد ما فتنوا اى عذبوا كعمار رضه وثم مستعار لتباعد حال هؤلاء عن حال اولئك

او الى قريش

بسبب انهم استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة
اى آثروها عليها وان الله لا

ثم جاهدوا وصبروا على الجهاد وما اصابهم من المشاق ان ربك من بعدها من بعد الهجرة
والجهاد والصبر لغفور لما فعلوا قبل رحيم ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا بعد يوم يأتي
كل نفس منصوب برحيم او باذكر تجادل عن نفسها عن ذاتها اى كل شخص يسعى في خلاص
نفسه لا يهمه شأن غيره كل يقول نفسي نفسي والمراد بالمجادلة الاعتذار عنها بمثل قولهم
هؤلاء اضلونا ما كنا مشركين وتوفى كل نفس ما عملت جزاء ما عملت وهم لا يظلمون
لا يعاقبون بغير ذنب ولا ينقص لاجر فلا احتمال له بعد التوفية وضرب الله مثلا قرية جعل
الله تعالى قرية هذه صفتها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا فابدلهم الله
بالنعمة نقمة او لمكة خاصة كانت آمنة مطمئنة لا يزعج اهلها خوف يأتيها رزقها اقواتها
رغدا واسعا من كل مكان من نواحيها ولفظة كل للتكثير فكفرت بانعم الله بنعمة جمع نعمة
على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبوس وابؤس واختيار جمع
القلة للتنبيه بالادنى على الاعلى ان كفران النعم القليلة لما اوجب العذاب فكفران النعم الكثيرة
اولى به فاذاقها الله لباس الجوع والخوف لما تقدم ذكر الامن واتيان الرزق قابلهما بالجوع
الناشئ عن انقطاع الرزق وبالخوف وقدم الجوع ليلي المتاخر وهو اتيان الرزق كما في
قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه واما الذين اسودت وجوههم الاذاقة
استعيرت للاصابة والعلاقة المشابهة بين المدرك من اثر الضرر والمدرك من طعم المر
والبشع واللباس استعير لما غشي الانسان من اثر الجوع والخوف وهو ضررهما والمعنى
هو الضرر لا الجوع والخوف والاكان لباس الجوع تشبيها على حد لجين الماء وجه تسمية
وجه ايقاع الاذاقة على اللباس اذ المعنى فاذاقهم ما غشيهم من ضرر الجوع والخوف وبهذا
التقرير ظهر وجه ايثار التجريد على الترشيح لان الاذاقة تفيد ما لا تفيده الكسوة من زيادة
التأثير الموجبة لقوة الادراك واما ايثار اللباس على الطعم فللدلالة على الشمول وهذا
اولى من حمل اللباس على انتقاع اللون ورثاثة الهيئة اللازمين للجوع والخوف اذ حينئذ يكون
الاصابة ابلغ موقعا وقرئ والخوف بالنصب على اللباس وعلى حذف المضاف واقامة المضاف
اليه مقامه اى ولباس الخوف بما كانوا يصنعون بصنيعهم الذي استمروا عليه جريهما على
ما هو المراد من القرية وفيما تقدم على ظاهر المجاز ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه يعني
محمدا عم والضمير لاهل مكة عاد الى ذكرهم بعد ما ذكر مثلهم فاخذهم العذاب بعد
ما اصابهم من الحرب الشديد او ضرب الحديد في حرب بدر وهم ظالمون في حال التباسهم
بالظلم فكلوا مما رزقكم الله حلالا لا امرهم باكل ما احل لهم وشكر ما انعم عليهم بعد ما
زجرهم عن الكفر وهدد عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب الذي حل بهم صد الهم عن
صنيع الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة ومعنى الفاء في فكلوا التسبيب اذ ايمانهم على

سوء صنيع اهل هذه القرية وخامة عاقبتهم وذكرتم بالتمثيل فاعتبروا بحالهم و
خذوا بضد ما انتم عليه من طريق الجاهلية كيلا يحل بكم مثل ما حل بهم وجعل هذا الوصل ذريعة
الى ما رتب عليه من تعداد نوع آخر من قبائحهم وقد سبق في تفسير سورة البقرة ما يتعلق
بهذا الكلام من وجوه الاعراب وما في قوله طيبا من الفائدة الزائدة فاشكروا نعمة الله ان
كنتم اياه اضافة النعمة اليه للتشريف فان عبادته تعالى لا تتم الا بالشكر على نعمه ان كنتم اياه
تعبدون وتقديم المفعول لمحافظة الفاصلة اذ لا دخل لمعنى التخصيص في التعليق خلافا لمن
قال ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الآلهة عبادته لان مبناه على اعتبار التخصيص
في الشرط المذكور انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر
غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم قد سبق تفسيره في سورة المائدة وسورة الانعام لما
امرهم بتناول ما احل لهم عدد عليهم حرماته ليعلموا ان ما عداها حل لهم ثم اكد ذلك
بالنهي عن التحريم والتحليل باهوائهم فقال ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا
حلال وهذا حرام كما قالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا الآية ومقتضى
سياق الكلام وتصدير الجملة بان ما حصر المحرمات في الاجناس الاربعة وقت نزول تلك
الآية وانتصاب الكذب بلا تقولوا وهذا حلال وهذا حرام بدل منه او متعلق بتصف
على ارادة القول اى ولا تقولوا لما تصفه السنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام او
مفعول لا تقولوا والكذب منتصب بتصف وما مصدرية اى ولا تقولوا هذا حلال
وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اى لا تحرموا ولا تحللوا بمجرد قول ينطق به السنتكم من
غير دليل وفي نصب الكذب بوصف الالسنة نوع من المبالغة بديع ووجه من الفصاحة جميل
ومبالغة في وصف كلامهم بالكذب عظيمة وهو انه جعل قولهم كانه نفس الكذب وحقيقته
وكانت مجهولة فعرفته السنتهم بوصفها وحليتها وبينته بكلامهم هذا كقولهم وجهها
يصف الجمال وعينها تصف السحر ورد هذا الوجه الاخير بان النحاة نصوا على ان المصدر
المنسبك من ان والفعل لا ينعت لا يقال يعجبني ان تخرج السريع ولا فرق بين هذا وباقي
الحروف المصدرية وقرئ الكذب بالجر بدلا من ما والكذب جمع كذوب او كذاب
بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الذم او بمعنى الكلم الكواذب لتفتروا على الله الكذب
تعليل لا يتضمن الغرض لما كان المفترى بفتريه لتحصيل مطلوب نفى عنهم الغرض به بقوله
ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون لا يجدى عليهم افتراؤهم شيئا ثم بينه
بقوله ان الذين يفترون على الله الكذب متاع قليل اى منفعتهم قليلة تنقطع عن قريب
ولهم عذاب اليم في الآخرة وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر من قبل متعلق بقصصنا
ما قصصنا عليك اى في سورة الانعام في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر

من قبل متعلق بقصصنا او بحرمنا وما ظلمناهم بالتحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون
فحرمنا عليهم عليهم ببغيهم وهو قوله تع فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات
وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم وانه كما يكون للمضرة يكون للعقوبة
ثم ان ربك للذين عملوا السوء بعم الافتراء على الله تع وغيره بجهالة بسببها او ملتبسين
بها وتنكيرها للابهام فيشمل عدم العلم بالله تع وصفاته وعقابه وثوابه وعدم التدبر
للعواقب بسبب الغفلة اللازمة للانهماك في الشهوات ومتابعة الهوى في طلب اللذات
ثم تابوا قد دل ثم بالتراخي الا انها قد يستعاد للتراخي في الرتبة ولهذا زاد قوله من بعد
ذلك السوء واصلحوا اى تاب عنه وندم عليه وعزم ان لا يعود اليه واصلح العمل
في المستانف ان ربك من بعدها من بعد التوبة واما الاصلاح فهو تكميل للتوبة لا انها شيء
آخر ولهذا لم يذكر في قوله تع انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب
فاولئك يتوب الله عليهم وانما اعيد ان ربك على سبيل التاكيد لطول الكلام ووقوع الفصل
لغفور لذلك السوء رحيم يثيب على الانابة المستتبعة للعمل الصالح ان ابرهيم كان امة
اى كان وحده امة لحصول الكمالات والفضائل التي لا تكون الا متفرقة في امة كثيرة مجموعة
فيه ليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وهو رئيس الموحدين وقدوة المحققين جادل
فرق المشركين وابطل مذاهبهم الزايغة بالحجج الدامغة ولذلك عقب ذكره بتزييف مذاهب
المشركين من الشرك والطعن في النبوة وتحريم ما احله الله تع او لانه عم كان وحده مؤمنا و
ساير الناس كفارا وقيل هي فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من امه اذا قصده او اقتدى به
فان الناس كانوا يؤمونه للاستفادة ويقتدون بسيرته كقوله اني جاعلك للناس اماما
قانتا لله مطيعا له قايما باوامره حنيفا مايلا عن كل دين باطل الا مايل الى دين الاسلام لقوله
تعالى ولكن كان حنيفا مسلما ولم يك من المشركين اى لم يكن من عدادهم وهذا في سياق النفي ابلغ
من لم يشرك والمراد استمرار النفي لا نفي الاستمرار فمفهوم كان مقدم على مفهوم لم في الاعتبار
وانما نفى عنه عم الشرك على ابلغ وجه تكذيبا لكفار قريش في زعمهم انهم على ملة ابيهم عم و
ترغيبا لهم الى التوحيد ودين الاسلام شاكرا يجوز ان يكون خبرا ثالثا او حالا من احد الضميرين
في قانتا وحنيفا لانعمه انما جاء بلفظ القلة للتنبيه على انه عم كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف
بالكثيرة هذا ما يحسب جليل النظر والذي هو بحسب جليله دقيقه انه للتنبيه على صعوبة مقام الشكر
بالاشارة الى عجز البشر عن الشكر للكثير من نعمه تع فضلا عن الشكر لكلها وذلك انه عم مع
جلالة قدره لما كان قاصرا عن شكر النعم الكثيرة فغيره اولى بالقصور عنه وانما قلنا انه لما كان
قاصرا لان المقام مقام مدحه بما كان من الاوصاف الكاملة فلولا القصور عنه لكان المذكور
على صيغة جمع الكثرة اجتباه اختاره واختصه لنفسه والاجتباء هو ان ياخذ الشيء بالكلية

واصله جمع الماء في الحوض وهو الجابية حالا او خبرا آخر لكان وهداه الى صراط مستقيم
ارشده الى طريق وآتيناه في الدنيا حسنة هي اسم جامع لكل حالة جميلة فيتناول
كل خصايصه المذكورة في النصوص من الرسالة والخلة والثناء الصدق وغير ذلك
والعدول من الغيبة الى التكلم للالتفات تعظيما لشانه وتفخيما لما اعطاه وانه في الآخرة
لمن الصالحين المستحقين لكل منزلة رفيعة ودرجة عالية في الجنة لم تقل وجعلناه في الآخرة
لمن الصالحين تنبيها على انه اثر ذلك لا ابتداء لا امر آخر فتدبر ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة
ابرهيم الخطاب لنبينا عم وفيه اشارة الى ان من اجل ما اوتي خليل الله عم واشرف اولي
من النعمة والكرامة اتباع رسول الله صلعم ملته من جهة ان ثم دلت على تباعد هذا النعت في
المرتبة عن ساير النعوت التي اثنى الله تع بها عليه وفيها من منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم
واجلال محله ما لا يخفى على الفطن وفي لفظة اوحينا ثم لا امر باتباع الملة لا اتباع ابرهيم عم
ما يدل على انه عم ليس بتابع له بل هو مستقل بالاخذ عمن اخذ ابرهيم عم وبهذا البيان
اندفع ما عسى ان يتبادر الى الوهم من انه عم كان دون ابرهيم عم ولذلك امر باتباعه
واتضح وجه ايثار فبهديهم على فبهم في قوله فبهديهم اقتده والمراد من الاتباع الاتباع
في اصول الدين لا في فروعه لقوله تع لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ما شرعه الله للعباد
على لسان انبيائهم من امللت الكتاب اذا امليته حنيفا ولما كان التوصيف بالحنيف
في مقام التعليل للامر باتباع كان في معنى فانه مال عن الاديان الباطلة فعطف عليه قوله
وما كان من المشركين بل كان من الموحدين انما جعل السبت فرض عليهم تعظيمه والتخلي
فيه للعبادة وترك الصيد السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها على الذين
اختلفوا فيه على نبيهم وذلك ان موسى عم امرهم ان يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فابوا
وقالوا نريد يوم السبت الذي فرغ الله تع فيه من خلق السموات والارض الا شرذمة
منهم قد رضوا بالجمعة فذاك اختلافهم في السبت فالزمهم الله تع السبت وشدد الامر
عليهم وذكرهم هاهنا لتهديد المشركين كذلك القرية التي كفرت بانعم الله تع وان ربك ليحكم
بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون اى يحكم للمحقين بالثواب وللمبطلين بالعقاب
تميزا بينهم وفصلا لخصومتهم في محل الاختلاف وهذا ظاهر في ان الاختلاف انما كان
بين العاصين والمطيعين ويشهد لذلك ما في سورة الاعراف من قوله تع واذ قالت
امة منهم الآية فلا وجه لما قيل معناه وانما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا
فيه فاحلوا الصيد تارة وحرموه اخرى واحتالوا له الحيل ادع حذف المفعول للتعميم
وفيه الاشارة الى بعثته العامة والتنبيه على فضله عم على من تقدمه من الرسل وفيه تانيس
لتدارك التالف ذكره الى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة وهو الدليل

القاطع الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة بالخطابيات الاقناعية والعبر النافعة
على وجه لا يخفى عليهم انك تناصحهم وتقصد بها ما ينفعهم والاولى لدعوة خواص الامة
الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم وجادلهم وجادل معانديهم بالتي بالطريقة
التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين واختيار الوجه الايسر والطريق الاشهر فان ذلك
اشد تسكينا لشغبهم وتليينا لعريكتهم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم
بالمهتدين اي ما عليك الا الدعوة بهذه الطرق واما الهداية والمجازاة فليست اليك فان
الله اعلم بهم فمن علم هدايته كفاه القدر اليسير من الحكمة ان كان مستعدا والموعظة
ان كان معاندا نكل امثاله من هو اعلم به فانه يجازيه وانما قدم الضال لان الكلام
وارد فيهم والخطاب دابرهم وذكر مقابله بصيغة الفاعل لان الدوام والثبات
يناسب حاله وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به لما امره عم بالدعوة وبين لطرقها
اشار اليه والى من شايعه بمراعاة العدل مع الخلق وملازمة طريق العدالة مع من يناصبهم
لان الدعوة لا تخلو عن المناواة والمناصبة من حيث انها ترفع العادات وتبعث عن رفع
المالوفات وتقدح في الاديان والمعتقدات وتحكم على اهلها بالكفر والضلالة روي
ان المشركين مثلوا بالمسلمين يوم احد فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة رض
وقد مثل به فقال اما والذي احلف به لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت
فكفر عن يمينه وفيه امر رخصة في المثلة بواحد ثم نسخت المثلة وفيه حث على العفو تعريضا
بقوله وان عاقبتم وتصريحا على الوجه الآكد بقوله ولئن صبرتم لهو اي الصبر خير للصابرين
من الانتقام للمنتقمين ويجوز ان يرجع الضمير الى صبرهم ويراد بالصابرين المخاطبون
اي ولئن صبرتم لصبركم خير لكم فوضع الصابرون موضع الضمير ثناء من الله تع عليهم
بانهم صابرون في الشدائد وفيه ارشاد الى انه ان صبرتم فهو شيمتكم المعروفة وفيه
ترغيب في الصبر بالغ ثم صرح الامر به لرسوله عم لانه اولى الناس بزيادة علمه
بالله تع ووثوقه عليه فقال واصبر ولما كان الصبر في هذا المقام شديدا شاقا ذكر
ما يفيد سهولته فقال وما صبرك الا بالله الا بتوفيقه ومعونته ولما ذكر هذا السبب الكلي
الاصلي في حصول جميع الطاعات ذكره بعده ما هو السبب الجزئي القريب فقال ولا تحزن
عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون وذلك لان الاقدام على الانتقام لا يكون الا لهيجان
الغضب وهو اما لفوات نفع كان حاصلا في الماضي واليه الاشارة بقوله ولا تحزن
عليهم على قتل احداي ولا تحزن بفوات اولئك الاصدقاء او على اعراضهم الكاذبين عنك
واما لتوقع ضرر في المستقبل واليه الاشارة بقوله ولا تك في ضيق مما يمكرون في ضيق صدر
من مكرهم ان الله مع الذين اتقوا الماضي ويدخل فيها دخولا اوليا استيفاء الزيادة

والذين هم محسنون في اعمالهم بالولاية والفضل ويدخل فيها دخولا اوليا ترك الانتقام
فكانه قال ان اردت ان اكون معك بالفضل والرحمة والتربية فكن من المتقين
المحسنين وقيل الاولى اشارة الى التعظيم لامر الله والثاني الى الشفقة الى خلق الله تعالى

سورة الاسرا مكية وهي مائة وعشر ايات

سبحان علم للتسبيح بمعنى التنزيه البليغ وذلك من جهة الاشتقاق من السبح وهو
الابعاد في الارض والنقل الى التفعيل والعدول عن المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة و
العامل فيه الفعل الذي من معناه لا من لفظه اذ لم يجئ من لفظه فعل فالتقدير انزه الله
تنزيها فوقع سبحان مكان تنزيها ولما كان حديث الاسراء مظنة ان يذهب الوهم الى نوع
زماني او مكاني صدره بما هو علم في تبعيده تعالى عما لا يليق بشانه ويجوز ان يكون كلمة
سبحان للتعجب بها يشير الى عجب ما جرى بينه وبين افضل خلقه الذي اسرى بعبده الاسرى
سير الليل خاصة فقوله ليلا لقطع مجاز التسرحقيقة كما ان قوله يطير بجناحيه بعد قوله ولا طائر لقطع
مجاز السير السريع والتنكير لتقليل مدة الاسراء فانه كما يدل على البعضية في الافراد كذلك يدل
على البعضية في الاجزاء دل على ذلك قول الشيخ عبد القاهر في دلائل الاعجاز ان التنكير في حيوة
في قوله تع ولكم في القصاص حيوة للدلالة على ان تلك الحيوة بعض حيوة المهموم مثله
والثاني هو المراد يشهد لذلك قراءة من الليل اي بعضه وهذا الاسراء كان جسمانيا ولذلك
كذبت قريش به وفي عبارة العبد اشارة الى ذلك من المسجد الحرام بعينه او من الحرم فانه
مسجد كله الى المسجد الاقصى بيت المقدس سمي اقصى لانه لم يكن وقتئذ مسجد وراءه الذي باركنا
حوله البركة دروس الخير وثبوته وهي دينية ودنياوية وكلاهما مراد ههنا لانه مهبط الوحي
ومعبد الانبياء عليهم السلام ومحفوف بالانهار والاشجار والالتفات من الغيبة الى التكلم
لتعظيم تلك البركات لنريه من اياتنا كقطعة مسيرة شهر ومشاهدة بيت المقدس في برهة
من الزمان وتمثل الانبياء عليهم السلام له والوقوف على مقاماتهم واما البراق وسرعة سيره
فليس منها لانه عليه السلام راى الاول قبل السري والثاني قبل الوصول الى المسجد الاقصى فلا ترتب
لرؤيتهما على السير انه هو السميع بلا اذن والبصير بلا بصر دل على ذلك صورة الحصر فلا
يحتاج الى قرب المسموع وحضور المبصر فلا يختص بمكان دون مكان فلم يكن الاسراء لاجله
بل لاجل عبده بدا بعبارة التنزيه وختم باشارته فتجاوب طرفا الكلام واتينا موسى
الكتاب التورية وجعلناه هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا وقرئ بالياء على لئلا يتخذوا و
بالتاء الفوقانية على النهي او على انه امر مقحم في تتخذوا من دوني حالين وكيلا فرض

على بان لا تتخذوا وكقولك كتبت اليه ان افعل كذا من دوني وكيلا ربا تكلون اليه اموركم ذرية
من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص او النداء ان قرئ بالتاء الفوقانية على النهي او
على انه احد مفعولي تتخذوا ومن دوني حال من وكيلا وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف
او بدل من واو تتخذوا وفيه تذكير بانعام الله عليهم في انجاء آبائهم من الغرق وايماء
الى ان ذلك لكونهم اتباع نوح عم ثم قال في تعليل تلك الفضيلة الجليلة الثابتة له عم انه
كان عبدا شكورا وفيه حث للذرية على الاقتداء به وقضينا اوصلنا القضاء الاحكام و
الاتمام وانما قال الى بني اسرائيل لتضمين معنى الانزال اى اعلمنا اعلاما محكما متمما منزلا
اليهم في التورية وتفسير القضاء بالوحي ياباه في الكتاب كما لا يخفى على ذوي الالباب
لتفسدن في الارض جواب قسم محذوف ويجوز ان يجرى القضاء المبتوت مجرى القسم
كانه قال واقسمنا لتفسدن في الارض جواب قسم محذوف ويجوز ان يجرى القضاء
مرتين اوليهما مخالفة احكام التورية وقتل شعيبا عليه السلام وثانيتهما قتل زكريا عم
ويحيى عم ولا وجه لما قيل ان المقتول في الاولى زكريا وفي الثانية يحيى لان الكرة الاتي
ذكرها لم تتخلل بينهما ولتعلن علوا كبيرا هو غلبة المفسدين منهم على المصلحين افراطا مجاوزا
عن القدر والعلو لغة هو الغلبة بحق كان او باطل فاذا جاء وعد اوليهما اى وقت
الوعد بمعنى الموعود وهو العقاب فلا حاجة الى التقدير بعثنا عليكم البعث من
قبيل تولية بعض الظالمين على بعض وكان على مقتضى الحكمة ولذلك اسنده تع الى نفسه
دون المجوس الاتي ذكره فلا وجه لصرفه عن معناه الى معنى التخلية عبادا لنا سنجاريب
وجنوده وقيل بخت نصر وقيل جالوت قطع اضافتهم عن نفسه لعدم استحقاقهم
للتشريف المستفاد منها وايضا ما في التنكير من التهويل يناسب المقام اولي باس ذوي
قوة وبطش في الحرب شديد فجاسوا خلال الديار وقرئ خلل وهو احد الخلال كجبل
وجبال ويجوز ان يكون الخلال ايضا واحدا اى ترددوا وتخللوا بين الدور في طلبكم
للقتل والسبي وقرئ بالحاء ومعناهما واحد وكان وعدا مفعولا اى لا بد ان يفعل ثم رددنا
لكم الكرة اى الدولة والغلبة عليهم اى على الذين بعثوا عليكم وامددناكم باموال و
بنين وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل ولا يلزم ان يكون من قومه
وقيل جمع نفر وهم المجتمعون لامر ولا يلزم ان يكون للذهاب الى العدو ان احسنتم
احسنتم لانفسكم لان جزائه لها وان اساتم فلها اى فالاساءة لها واللام للاستحقاق
كما في قوله تع لهم عذاب في الحيوة الدنيا ولا وجه للحمل على الاختصاص لان نفع الاحسان
وضرر الاساءة قد يتعدى بان الى الغير على ما شهد به الاخبار والاثار واما الازدواج
فانما يصار اليه عند تعذر المعنى الحقيقي فاذا جاء وعد الاخرة وقت موعد المرة الاخرة

وجواب ان محذوف دل عليه جواب الاول اى بعثناهم وانما عطف بالفاء مع انه من
تفصيل المجمل والظاهر فيه العطف بالواو للدلالة على ان مجيء وعد الاخرة لم يتراخ عن كثرتهم
ونزوتهم وذلك انهم كلما ازدادوا عدة ازدادوا عدوانا وطغيانا الى ان تكاملت اسباب
العزة فجاءهم اخذ الله تع على الغرة ليسوءوا وجوهكم بياء المغايبة على الجمع اى ليسوء
هؤلاء وجوهكم وانما عدى المساءة الى الوجوه وان كانت عليهم لان اثار الاعراض
النفسانية انما تظهر في الوجه وقرئ بياء المغايبة على الواحد للقائهم للقراءة السابق ذكرها
او لله تع للقراءة بالنون وفتح الواو وليدخلوا المسجد بيت المقدس ويخربوه كما دخلوه
اول مرة وخربوه وليتبروا ما علوا ما علوه واستولوا عليه او مدة علوهم تتبيرا
تفنينا ومنه التبر لفتات الذهب عسى ربكم ان يرحمكم وعد من الله تع ان يكشف عنهم
بعد المرة الآخرة وان عدتم توبة اخرى عدنا مرة ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا فبعث
الله تع عليهم نبينا عم هذا ما لهم في الدنيا ثم ذكر ما لهم في الآخرة بقوله وجعلنا جهنم
للكافرين حصيرا محبسا ضيقا قال القشيري يقال للذي يفرش حصير لحصر بعضه على بعض
بالنسج ان هذا القران يهدي للتي للطريقة هي اقوم الطرق ويبشر المؤمنين الذين
يعملون الصالحات ان لهم اى بان لهم اجرا كبيرا الفسق لا ينافي الايمان ولا العمل
الصالح فلا خروج للفسقة باحدى القيدين المذكورين فلا حاجة الى المكابرة بان يقال
كان الناس ح اما مؤمن تقي واما مشرك شقي وانما حدث الفاسق بعد ذلك وان الذين
لا يؤمنون بالآخرة عطف على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى انه يبشر المؤمنين ببشارتين ثوابهم
وعقاب اعدائهم اعتدنا لهم عذابا اليما في زيادة اعتدنا ههنا بناء على شدة الغضب
في حقهم ويدع الانسان حذفت الواو من يدعو لاستقبال اللام الساكنة كما في قوله
سندع الزبانية وحذفت في الخط ايضا لكنها غير محذوفة معنى بالشر هو دعاءه بالخير
على نفسه واهله وماله عند الضجر لما يجب ان يستجاب له دعاءه بالخير مثل دعائه بالخير يعني
ان القران يهديهم الى ما فيه السلامة وهم يابون الا ان ياتوا بما فيه الندامة ثم ذكر ان
ذلك من عدم تثبته وقلة صبره فقال وكان الانسان عجولا العجلة طلب الشيء قبل وقته
الذي ينبغي ان يقع فيه والسرعة عمل الشيء في اول وقته وجعلنا الليل والنهار آيتين تدلان
على القادر بتعاقبهما على نسق يترتب عليه اثار غريبة واحكام عجيبة فمحونا آية الليل
وجعلنا آية النهار مبصرة الفاء فصيحة كانه قيل وخالفنا بين الآيتين فجعلنا الاية الخ
من النهار مبصرة اى مضيئة اصله مبصرة للناس من ابصر فتجوز فان الاضاءة لازم الابصار
على ان الاضافة في الآيتين للتبيين وقيل آية الليل القمر ومحوه اخلاؤه عن النور
فان ما يرى فيه نور الشمس وآية النهار الشمس وابصارها نورها الذي يقع به الابصار

لتبتغوا تعليل لجعل آية النهار مبصرة فضلا من ربكم والابتغاء الطلب و
المعنى لتهتدوا ببياض النهار على تحصيل اسباب المعاش في عبادة الفضل اشارة
الى انه لا يجب على الله تعالى ان يرزق عباده وانما ذلك تفضلا فيه حجة على المعتزلة
ولتعلموا عدد السنين والحساب تعليل لمحو آية الليل اى لتعلموا باختلاف الجديدين
عدد السنين وجنس الحساب وما تحتاجون اليه منه والحساب المتعلق بالاوقات
على ان التعريف للعهد بقرينة عدد السنين او بنقص نور القمر شيئا فشيئا فان معرفة
السنة القمرية المعتبرة عند العرب بذلك وكل شيء كلمة كل للتكثير والتفخيم لا للاحاطة و
التعميم كما سبق الى وهم من قال مما تفتقرون اليه في دينكم ودنياكم فصلناه تفصيلا
بيناه بيانا كافيا والمقام مقام الامتنان باتمام الاحسان لا مقام الالزام والافحام
كما سبق الى بعض الافهام وكل انسان الزمناه طائره اراد بالطائر حظه من الخير والشر
كانه طير اليه عن عش الغيب وذكر القدر لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطائر
وبروحه استعير لما هو سبب للفرح والترح من قدر الله تعالى وعمل العبد في عنقه
خص العنق بالاضافة اليه من بين سائر الاعضاء لان فيه يكون الزاين من القلائد و
الاطواق والشاين من الاغلال والادهاق فاستعير لمحل الزام الخير والشر ونخرج
له اللام للاختصاص يوم القيمة يعني وقت الموت فانه القيمة الصغرى قال عم من مات
فقد قامت قيامته كتابا هيكلا مصورا بصور اعماله يلقاه منشورا لظهور تلك
الهيئات فيه بالفعل مفصلة لا مطوية كما كانت قبل ذلك عند كونها فيه بالقوة وهما
صفتان للكتاب والاول صفة والثاني حال من مفعوله وقرئ يلقاه على البناء للمفعول
من لقيته كذا اقرأ كتابك على ارادة القول فيقرأ قاريا كان او غير قارئ لان الاعمال
هناك متمثلة بصورها وهيآتها يعرفها كل احد لا على سبيل الكتابة بالحروف فلا يعرفها
الامي وهذا وجه ما روى عن قتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قاريا كفى بنفسك
الباء مزيدة للاشارة الى لصوق ذلك الوصف ولزومها اليوم قدم الظرف لتخصيص
الحكم المذكور بذلك الوقت عليك حسيبا حاسبا او كافيا نصب على التمييز وتعديته بعلى
لتضمنه معنى الشهادة وتذكيره على ان الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال فكانه
قيل كفى بنفسك رجلا حسيبا وتقديم الصلة للاشارة الى ان لكل امرء شان يغنيه عن
الالتفات الى غيره من اهتدى فانما يهتدى لنفسه فجزاء اهتدائه له ومن ضل
فانما يضل عليها فوبال الضلالة عليها وانما ان الغير لا ينتفع باهتدائه ولا يتضرر بضلاله
فلا دلالة له فيما ذكر عليه ولا صحة له ايضا كما قدمناه في تفسير قوله تع ولو يؤاخذ الله
الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولا تزر وازرة وزر اخرى مر تفسيره في

سورة الانعام وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا الجمهور على ان هذا في حكم الدنيا
خاصة قال فرقة انه في حكم الدنيا والآخرة ذكره القرطبي وعلى كلا التقديرين دلالة فيه
على انه لا وجوب قبل الشرع واما على الاول فظاهر واما على الثاني فلانه لا يلزم
من تعليق مجموع الحكمين على البعثة تعليق كل منهما عليها وانما نفى الكينونة دون البعث
لان المراد الاخبار عن عادته تع لا الوعد فعدم العذاب مقطوع به الى وقت البعثة
وكلمة حتى لبيان غاية الامن عن العذاب لا لبيان غاية عدم العذاب حتى يتيقن العذاب
عند البعثة ولما ذكر تعالى انه لا يعذب احدا حتى يبعث اليه رسولا بين بعد ذلك علة
اهلاكهم بعد البعثة وهي مخالفة امر المبعوث اليهم فقال واذا اردنا ان نهلك قرية
اى اذا تعلق ارادتنا في الازل لاهلاك قرية بما فيها في وقت مخصوص امرنا اى وجد منا
الامر قبل مجيء ذلك الوقت مترفيها متنعميها خصهم بالذكر مع عموم الامر للفريقين بدلالة
ان الكلام في بيان سبب استحقاق اهل القرية العذاب الاستيصال لانهم الرؤساء المتبوعون
ولانهم مامورون بنوعي العبادة البدني والمالي ففسقوا فيها فوجد منهم الفسق وهو الخروج
عن الطاعة منهم اى من اهل القرية كلهم لما نبهت على ان غير المترفين ايضا مامورون
لكنه استغنى بذكر المترفين عن ذكرهم كما اكتفى بذكر الملئكة عن ذكر الجن في قوله تع واذ قلنا
للملئكة اسجدوا على ما مر تحقيقه في تفسير سورة البقرة وقرئ امرنا بمعنى كثرنا تقول العرب امر
القوم بكسر الميم اى كثروا وامرهم الله بالفتح اى كثرهم فصارت الحركة مما يصير به الفعل متعديا
كما شترت عين الرجل بكسر التاء وشترها الله بفتحها ويؤيده قراءة آمرنا بالمد وامّرنا
بالتشديد فيها فيه دلالة على ان هلاك نفس القرية ايضا داخلة تحت المراد فلا مجاز في لفظ
القرية كما لا مجاز في الارادة والامر فحق عليها القول اى على القرية بما فيها القول هو وعيد
الله تعالى الذي قاله رسولهم عليه السلام فدمرناها تدميرا الاهلاك مع طمس
الاثر وهدم البناء مع اهلاك اهلها تدميرا ذكر المصدر للمبالغة في العذاب الواقع
وكم اهلكنا كم في موضع نصب باهلكنا ومن القرون بيان لكم وتمييز له اى كثيرا من القرون
اهلكنا من بعد نوح خصه بالذكر لانه اول من حلت بقومه عقوبة الاستيصال وكفى
بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب عليهما وتقديم
الخبير لتقدم متعلقه من المعتقدات والنيات فانها اقدم على الاعمال الظاهرة التي هي
متعلقات البصر والعقاب عليها اشد والعفو عنها اقل من كان يريد العاجلة مما
استمر على ارادة الدار العاجلة ولم ينقطع عنها دل على ذلك زيادة كان هنا دون
قسيمه واما اعتبار قصر الارادة عليها بمعونة المقابلة فيرده عدم صحة اعتباره في المقابل
ولا وجه للتخصيص مع الاشتراك في العلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد قيد المعجل

والمعلق له بالمشية والارادة على اختلاف العبارة لانه لا يجد كل من يريد ما اراده ولا كل واحد جميع مراده ومدلول الكلام ان حصول المرام موقوف على مشيته تعالى واما انه لا دخل فيه للهم والارادة فلا دلالة عليه فيه فانه يجوز ان يكون ذلك من الاسباب العادية ومشية الله تعالى انما يتعلق بشيء بعد تمام الاسباب العادية الا في خوارق العادات ولمن نريد بدل من له بدل البعض من الكل وقرئ يشاء والضمير فيه لله تعالى ليطابق المشهور ثم جعلنا مكان ذلك جهنم يصليها حال من الضمير في له او من جهنم مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله تعالى ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها حقها من السعي وهو الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي بالجد قال الراغب السعي المشي السريع وهو دون العدو ويستعمل للجد في الامر خيرا كان او شرا وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص وهو مؤمن هو الشرط الاعظم فلا ينفع السعي الا به فاولئك اشارة الى من اتصف بهذه الاوصاف كان سعيهم مشكورا من الله تعالى اي مقبولا عنده مثابا عليه كلا نمد هؤلاء وهؤلاء والتنوين بدل من المضاف اليه نمد الامداد المواصلة بالشيء هؤلاء وهؤلاء بدل من كلا بدل تفصيل من عطاء ربك متعلق بنمد والعطاء بمعنى المعطى وما كان عطاء ربك محظورا ممنوعا عن عباده مؤمنا كان او كافرا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض في العطاء وانتصاب كيف بفضلنا على الحال وللاخرة اكبر درجات من درجات الدنيا ودرجات منصوبة على التمييز واكبر تفضيلا اي التفاوت فيها اكبر لانه بالجنة ودرجاتها وبالنار ودركاتها لا تجعل مع الله الها آخر الخطاب للانسان او للنبي عم والمراد امته والجعل بمعنى التصيير بالعقد فتقعد فتصير عاجزا فان القعود مما يكنى به عن العجز مذموما مخذولا جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى وقضى ربك امرا امرا مقطوعا به ان لا تعبدوا بان لا تعبدوا الا اياه ويجوز ان يكون ان مفسرة ولا ناهية قال القرطبي وفي مصحف عبد الله ووصى ربك وذكرا بو حاتم عن ابن عباس رضه انه ووصى ربك فالتصقت احدى الواوين بالصاد فقرئت فقضى ربك اذ لو كان على القضاء ما عصى الله احد وقال الضحاك مثل ذلك ثم ابى ابو حاتم ان يكون ابن عباس قال ذلك وقال لو قلنا هذا لطعن الزنادقة في مصحفنا واما التعليل الذي نسبوه اليه فهو مناف لما نقل عنه من انه ليس قضاء حكم بل هو قضاء امر وبالوالدين وبان تحسنوا بالوالدين احسانا ويجوز ان يتعلق الباء بالاحسان وقد مر في تفسير سورة الانعام تحقيق وجه جواز تقدم صلة المصدر اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما اما هي ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا لها ولذلك صح دخول

النون المؤكدة في الفعل واحدهما فاعل يبلغن وبدل من الالف الراجع الى الوالدين على قراءة يبلغان وكلاهما عطف على احدهما على الاحتمالين ولا احتمال لان يكون تاكيدا لضمير يبلغان لا لكونه معطوفا على البدل لانه لا يقتضي ان يكون بدلا فان عطف التاكيد على البدل سائغ بل لان فيه دلالة على ان التاكيد غير مراد في المقام لان فائدة تاكيد التثنية الشمول والاحاطة ولو قصدت تلك الفائدة لما قيل احدهما فالمانع ذكره لا عطفه على البدل وانما قيد بقوله عندك لان مراعات الادب مع طول المصاحبة اشق فكانت مظنة التقصير فتدرك به وانما خص حالة الكبر لان بلوغها سبب خلقه فكان فيه تقوية لما ذكر آنفا من المظنة وايضا هي حالة يحتاجان فيها الى بره لتغير الحال عليهما بالضعف فلا تقل لهما اف اراد تعميم النهي لكل منهما لا تقييده بحالة اجتماعهما لعدم تحملهما احد التقديرين اف صوت يدل على التضجر وقيل اسم الفعل الذي هو اتضجر وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه في قراءة نافع وحفص للتنكير وقرئ بالفتح على التخفيف وقرئ منونا وبالضم للاتباع والنهي عن هذه اللفظة الدالة على التضجر والتبرم يفصح عن النهي عن ساير انواع الايذاء بطريق الدلالة وقال الاصمعي الاف وسخ الاذن والتف وسخ الاظفار فكثر استعماله حتى ذكر في كل ما يتاذى وعلى هذا يكون النهي عن الكل بطريق العبارة ولا تنهرهما النهر الزجر والغلظة وقل لهما قولا كريما وهو السالم عن كل عيب واخفض لهما جناح الذل اي قل لهما قولا كريما بدل القول اللئيم وهو اف وافعل لهما الفعل اللطيف بدل الفعل العنيف وهو النهر نهي عن قول وفعل وامر بقول وفعل بدلا عنهما وفي تقرير الثاني وجهان احدهما ان الطاير اذا اراد الطيران والارتفاع نشر جناحه واذا اراد ترك ذلك خفض جناحه فصار خفض الجناح مجازا عن السلام تباعلى الكناية عن فعل التواضع والثاني ان الطير اذا ضم فرخه اليه للتربية خفض له جناحه فخفض الجناح في الاصل كناية عن حسن التدبير فكانه قيل للولد اكفل والديك بضمهما الى نفسك كما فعلا ذلك بك حال صغرك ويرشدك الى هذا قوله كما ربياني صغيرا ويقوي الاول اضافة الجناح الى الذل بطريق الاستعارة التخييلية وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد من الرحمة من فرط رحمتك اليهما حيث افتقرا الى من هو افقر خلق الله اليهما وقل رب ارحمهما وادع الله تعالى ان يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية والكفر لا يمنع عن ذلك ما داما حيين لان الهداية الى الايمان من جملة الرحمة بل معظمها وصحة التشبيه في قوله كما ربياني صغيرا باعتبار ان التربية صغيرا لا يكون الا عن رحمة فذكر تلك التربية وذكر الرحمة اقتضاء فكانه قال كما رحماني وربياني

نى

صغيرا او بالعبادة المذكورة تنبيه على الموجبة للاحسان اليهما واسترحام الله تع
لهما وهي تربيتهما صغيرا او تلك الحالة مما يزيده اشفاقا لهما ورحمة اذ هي تذكر
بحاله احسانهما له وقت ان لا يقدر على الاحسان لنفسه ربكم اعلم بما في نفوسكم من
قصد البر اليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وكانه تهديد على ان يضمر لهما كراهة
واستثقالا ان تكونوا صالحين قاصدين الصلاح فانه كان للاوابين الاواب الراجع عن
ذنبه بالتوبة غفورا ما فرط منهم عند حرج الصدر من اذية او تقصير وفيه تشديد
عظيم ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجاني على ابويه التائب من
جنايته لاندراجا اوليا لوروده على اثره وآت ذا القربى حقه لما امر ببر الوالدين
امر بصلة القرابة والحق هنا ما يتعين من صلة الرحم وسد الخلة والمواساة عند
الحاجة بالمال والمعونة بكل وجه والمسكين وابن السبيل قدم تفسيرهما ولا تبذر
تبذيرا اصل التبذير التفريق من القاء البذر في الارض وهو تفريق حباته و
الفرق بينه وبين الاسراف تجاوز في الكمية وهو جهل بمقادير الحقوق والتبذير
تجاوز عن موضع الحق فهو جهل بمواقعها وكلاهما مذمومان والثاني ادخل في الذم
ويفصح عن التفاوت بينهما قوله ان الله لا يحب المسرفين وقوله ان المبذرين كانوا
اخوان الشياطين اتباعهم الملازمين لهم فان العرب تسمي الملازم للشيء اخاه
فيقول اخو الكرم اذا كان مواظبا عليها وكان الشيطان لربه كفورا كثير الكفران
لنعمه جحود الحقوق ودخول كان فيه اخبار لعادته ومذهبه في القديم واما تعرضن
عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها اي ان عرض لك حالة احوجتك الى الاعراض عن
هؤلاء المحتاجين لضيق يد انتظار الرزق ترجوه من الله تع فقل لهم قولا ميسورا
فلا تدع تعهدهم بالقول الجميل والميسور من يسر الامر مثل سعد ونحس وكان النبي
عليه السلام اذا سئل ولم يكن عنده ما يعطيه سكت انتظارا للرزق يأتي من الله
تعالى كراهية الرد فنزلت هذه الآية فكان بعد ذلك اذا سئل ولم يكن عنده ما
يعطي قال رزقنا الله واياكم من فضله وذلك قوله فقل لهم قولا ميسورا اي لا
تسكت فيكون ذلك ايحاشا لهم ولا تؤيسهم فيكون ابلاغا لهم ولا يجوز ان يتعلق
ابتغاء رحمة بالجواب لان ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها في غير باب اما وما يلحق بها
في المذهب المنصوص الا اذا اريد التعلق المعنوي فيضمن ما يتضمنه ويجعل المذكور
جاريا مجرى التفسير ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط تمثيلان
لمنع الشحيح واتلاف المبذر نهى عنهما امرا بالاقتصاد الذي هو بين التبذير والامساك
البليغ واما الكرم فلا اختصاص له ببذل النوال بل يعم سائر الاحوال فتقعد فتبقى

عاجزا ملوما يلومك الناس على الشح وهذا اثر المنهي اولا محسورا منقطعا عن النفقة
والتصرف بسبب التبذير وهذا اثر المنهي ثانيا والاوجه ان يكون كلاهما مترتبا على الثاني
واما الاول فقد اكتفي فيه بما فهم من تمثيله على اقبح وجه في التصوير ان ربك يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه لمن يشاء لا للعجز ولا للبخل انه كان بعباده خبيرا
عالما بخفيات امورهم بصيرا بمصالحهم فيوسع لقوم ويضيق لاخرى على مقتضى علمه
وحكمته ويجوز ان يكون المعنى ان البسط والقبض يليق له تع العالم بالسرائر والظواهر
واما العباد فحقهم ان يقتصدوا او انه تعالى يقبض تارة ويبسط اخرى فاستنوا بسنته
ولا تفرطوا ولا تفرطوا وعلى كلا التقديرين يكون جاريا مجرى الاستيناف للتعليل ويجوز
ان يكون تمهيدا لقوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق مخافة فقر وكان هذا نهيا عن
وأد البنات وكانوا يفعلونه نحن نرزقهم لا انتم فلا وجه لقتلهم بسبب الرزق وزيادة
قوله واياكم لبيان ان رزق الاباء ايضا على الله تع فكيف يتولى رزق الغير من يعجز عن
رزق نفسه ان قتلهم كان خطأ كبيرا لما فيه من قطع التناسل وانقطاع النوع قرأ
الجمهور خطأ بكسر الخاء وسكون الطاء والهمزة والقصر وقرأ ابن عامر خطأ بفتح الخاء
والطاء والهمزة والقصر وقرأ ابن كثير خطاء بكسر الخاء وفتح الطاء والهمزة والمد
وقال النحاس لا اعرف لهذه القراءة وجها ولكن وجدنا لذلك جعلها ابو حاتم غلطا
وقال ابو علي هي مصدر خاطأ يخاطئ وان كنا لا نجد خاطأ ولكن وجدنا تخاطأ
وهو مطاوع خاطأ فدلنا عليه والخطء والخطأ مصدر خطئ يخطأ كالحذر والحذر
ويقال خطئ اذا اثم واخطأ ضد تعمد والخطء بالكسر لا يكون الا تعمدا والخطأ بالفتح
قد يكون عمدا وقد يكون خطأ ولا تقربوا الزنا بمباشرة مقدماته وهذا نهي عنه
بابلغ وجه انه كان فاحشة فعلة ظاهرة في القبح متناهية فيه وساء سبيلا وبئس
طريقا طريقه لا لانه غصب على الابضاع لانه غير لازم له بل لانه يؤدي الى انساب
ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها بان عصمها وحقن دمها بالاسلام او بالعهد
الا بالحق اي بحق يوجب قتلها كالرجم او يبيحه كالقصاص قيل الا باحدى ثلث كفر بعد
ايمان وزنا بعد احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا وفيه نظر ذكرناه في تفسير سورة
الانعام ومن قتل مظلوما غير موجب للقتل ولا مبيح له سواء كان عمدا او خطأ فان الظلم
غير مشروط بالعمد يشهد بذلك انهم شرطوا الاول في الشهيد دون الثاني فقد جعلنا
لوليه وهو من له حق الطلب بدمه شرعا سلطانا تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى القتل
على من عليه فلا يسرف في القتل نهى عما كانت الجاهلية تفعله من قتل الجماعة بالواحد قرأ
ابن عامر وحمزة والكسائي بتاء المخاطبة جزما والخطاب للولي وقرأ الباقون

بياء المغايبة جزما والضمير يرجع الى الولي و رجوعه الى القاتل و توجيه الخطاب
اليه باباه عبارة الاسراف فان حقه النهي عن القتل مطلقا انه كان منصورا تعليل
للنهي على الاستيناف والضمير للولي لتناسق الضماير ونصره بتسليط الله تعالى
اياه على القاتل وامر الولاة بمعاونته ووجه التعليل ان الولي اذا اسرف في القتل
وتجاوز عن حد المشروع ينقلب عليه الامر ويدخل تحت القاتل ظلما ولا تقربوا مال اليتيم
قد مر الكلام في نظيره والنفس مياله الى المال والمباشرة دون القتل ولهذا اخص
النهي عن القربان بالاولين الا بالتي الا بالطريقة التي هي احسن الطرايق حتى يبلغ اشده
قد مر في سورة الانعام واوفوا بالعهد عام لما عقده الانسان بينه وبين ربه وما
عقده بينه وبين ادمي في غير معصية ان العهد كان مسئولا اي مسئولا عنه فحذف
الجار واوصل مسئولا الى الضمير كما في قوله وتفعلون ما تؤمرون اي به وقيل ان العهد
سيل تبكيتا لناقضه فيقال لم نقضت كما تسئل الرحم عن وصلها وقطعها قيل
ويجوز ان يراد صاحب العهد كان مسئولا وعلى هذا لا يظهر وجه للعدول عن الضمير الى
الاسم الظاهر وقيل اي مطلوبا يطلب من العاهد ان لا يضيعه ويفي به وفيه تعسف
لفظا ومعنى اما الاول فظاهر اذ ح يكون المسئول عدم تضييعه لا نفسه واما
الثاني فظاهر لانه ح لا يزيد على معنى اوفوا بالعهد وقد ذكر في مقام التعليل له على
الاستيناف واوفوا الكيل اي لا تبخسوا فيه وفايدة قوله اذا كلتم اي وقت كيلكم نفي
النهي عن الكيل بنقصان ما تم تكميله بعد زمان وزنوا بالقسطاس المستقيم القسطاس
صغيرا كان او كبيرا وقيل هو القبان لفظ رومي عرب والاجراء على قانون لغة العرب
ليس بشرط في التعريب على ما حققنا في رسالتنا المعمولة فيه والمستقيم السوي ذلك
خير في الدنيا لانه امانة توجب الجميل والرغبة في معاملته واحسن تاويلا عاقبة او لا
يبقى عليه تبعة في الاخرة تفعيل من آل اذا رجع ففيه نفع الدارين ولا تقف ما ليس
لك به علم لا تتبع ما لا علم لك به من قول او فعل نهى ان يقول ما لا يعلم وان يعمل
بما لا يعلم ويدخل فيه التقليد على العمياء يقال قفوته وقفيته اذا اتبعت اثره و
منه القافة لتتبعهم الاثار وقافية كل شيء آخره ان السمع والبصر والفواد كل اولئك
اولئك اشارة الى الثلثة المذكورة ولا اختصاص له بالعقلاء قال الزجاج ووافقه
الطبري كان العرب تعبر عما يعقل وعما لا يعقل باولئك وانشد قول الشاعر والعيش
بعد اولئك الايام وان نظر الى غلبة استعماله في العقلاء فنقول لما كانت تلك الاعضاء
مسئولة عن احوالها شاهدة على صاحبها اجريت مجرى العقلاء كان عنه مسئولا عنه
في موضع نصب والضمير عايد على معنى اولئك اي عن كل واحد مما تقدم مسئولا فيه

ضمير يعود على كل من حيث اللفظ وهذا الضمير هو المفعول الذي لم يسم فاعله و
يجوز ان يكون مسئولا مسندا الى عنه كقوله غير المغضوب عليهم والمجرور بالحرف
لا يلتبس بالمبتداء ومنع تقديم الفاعل وما يقوم مقامه كان كذلك ولا دلالة في الاية على
ان العبد مواخذ بالعزيمة اذ يجوز ان يكون ما سئل عنه الفواد الظنون والعقايد و
لا تمش في الارض للتمثيل مما يكون في الارض فالتقييد به لقطع المجاز فانه شايع كما في الذهاب
مرحا نصب على الحال اي ذات مرح ولا بد من التقدير لان المبالغة المستفادة من الوصف
بالمصدر لا يناسب المقام لان المراد النهي عن اصل المرح لا عن المبالغة فيه وقرئ مرحا
بالكسر والمرح هو الخيلاء والكبر وقد دل قوله تعالى ولا تمش في الارض مرحا ان الله لا يحب
كل مختال فخور على ان المرح هو مشي المختال الفخور انك لن تخرق الارض بشدة وطئك
ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال كل ذلك كان سيئه قرئ منونا غير مضاف
على انها خبر كان والاسم ضمير كل والاشارة الى المنهيات من الخصال المذكورة وقرئ
بالرفع والاضافة اي السئ منه لانه سبق ذكر المامور والمنهي عنه فكان القبيح بعضه
عند ربك مكروها بدل من سيئة او صفة لها ولا حاجة الى الحمل على المعنى لانها في
حكم الصفات ولا اعتبار بتانيثه ويجوز ان يكون حالا من المستكن في كان او في الظرف
على انه صفة سيئة والمراد به المبغوض المقابل للمرضي لا ما يقابل المراد ذلك اشارة الى
الاحكام المتقدمة مما اوحى اليك ربك من الحكمة اي من الاشياء الموضوعة في موضعها متعلق
باوحى او بدل منه او حال من الضمير المنصوب المحذوف العايد على ما ولا تجعل مع الله
الها آخر كرره للتنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه ورتب عليه اولا ما هو عايده
في الدنيا وثانيا ما هو نتيجته في العقبى فقال فتلقى في جهنم ملوما تلوم نفسك مدحورا
مطرودا مبعدا على سبيل الاهانة والاستحقاق به افاصفاكم ربكم بالبنين خطاب
للذين قالوا الملئكة بنات الله تعالى والهمزة للانكار افخصكم ربكم على وجه الخلوص
والصفا بافضل الاولاد وهم البنون لم يجعل فيهم نصيبا لنفسه واتخذ من الملئكة اناثا
بناتا لنفسه انكم لتقولون قولا عظيما باضافة الاولاد اليه وهي خاصة بعض الاجسام
لسرعة زواله ثم بتفضيل انفسكم عليه حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بجعل الملئكة الذين
هم من اشرف الخلايق ادونهم ولقد صرفنا كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير
الضمير لانه معلوم في هذا القران في مواضع منه ويجوز ان يراد بهذا القران ابطال
اضافة البنات اليه تعالى لانه مما صرف وكرر ذكره بتقدير ولقد صرفنا القول في هذا
المعنى واوقعنا التصريف فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف وكذلك ليذكروا قرئ مشددا
وكففنا اي كررناه ليتعظوا ويعتبروا ويطمئنوا الى ما يحتج به عليهم وما يزيدهم

التجريف المذكور الا نفورا عن الحق والنفور مقابل الطمانينة قل لو كان معه آلهة
كما تقولون ايها المشركون والكاف في موضع نصب اي مثل وقرئ بالياء على ان الكلام
مع الرسول عليه السلام اذا لابتغوا اي طلبوا متوصلين الى ذي العرش الى مغالبته
وافساد ملكه اشير الى ذلك بالتعبير عنه تعالى بذي العرش سبيلا لانهم شركاؤه
على الفرض المذكور كما يفعل الملوك بعضهم بعضا وهذا على وفق قوله لو كان فيهما
آلهة الا الله لفسدتا سبحانه تنزه تنزيها وتعالى عما يقولون علوا تعاليا كبيرا
متباعدا غاية البعد عما يقولون تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان
من شيء الا يسبح بحمده ينزهه عما هو من عوارض الامكان ولوازم الحدوث
بدلالته على الصانع القديم الواجب لذاته قطعا للسلسلة الحاجة ولكن لا تفقهون
ايها القاصرون عن النظر الصحيح تسبيحهم في عبارة يفقهون دلالة على ان تسبيحهم
من جنس ما يفهم بدقة النظر لا من جنس ما يدرك بآلة السمع فيتعين حمله على
معنى الدلالة ولم يبق وجه للحمل على المشترك بينهما وبين اللفظ انه كان حليما
لم يعاجلكم بالعقوبة على الغفلة والشرك غفورا لمن تاب منكم واذا قرأت القرآن
جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا يسترك عنهم عن اسماء بنت
ابي بكر رض قالت لما نزلت سورة تبت يدا ابي لهب اقبلت العوراء ام جميل
بنت حرب وفي يدها فهر والنبي عليه السلام قاعد في المسجد ومعه ابو بكر رض فلما
رآها ابو بكر رض قال يا رسول الله لقد اقبلت واخاف ان تراك قال رسول الله عم
انها لن تراني وقرأ قرآنا فوقفت على ابي بكر رض ولم تر رسول الله عم ومن وهم
انه حجاب لغيرهم كانه ما فهم انه بينهم وبين القرآن لا بينهم وبينه عم مستورا عن
اعين الناس اي ليس من جنس الحجب الظاهرة وجعلنا على قلوبهم اكنة اغطية جمع
كنان وانما لم يقل وجعلنا قلوبهم في اكنة مع انه ابلغ في تصوير المعنى المقصود
للاشعار بانه امر عارضي كسبي لا ذاتي خلقي فان كل مولود يولد على الفطرة السليمة
ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه والضمير لما يدعون اليه ويجوز ان يكون مفعولا لما
دل عليه قوله وجعلنا على قلوبهم اي منعناهم ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا لم يقل
ان يسمعوه اكتفاء بما فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا
وقر ومن بيننا وبينك حجاب قوله فهم لا يسمعون صريح في ان عدم سماعهم بسبب
اعراضهم لا لمانع في آذانهم فقوله وفي آذاننا وقر اظهار كراهة منهم لا اخبار عن
عارضتهم ومن غفل عن هذا قال ولما كان القرآن معجزا من حيث اللفظ والمعنى اثبت
لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى وادراك اللفظ ولم يدر ان الاول موقوف على الثاني

فيه رد على [illegible]
[illegible]

فالحمل الثاني على تقدير كونه حقيقة كاف في الامرين وايضا مبنى ما ذكره
على ان يكون الضمير في يفقهون للقرآن ويأباه قوله واذا ذكرت ربك في القرآن
اذ لا وجه للعدول عن الضمير الى الاسم الظاهر وايضا ما في الآية الاخرى قوله مما
تدعونا اليه يدل ان يفقهوه ظاهر في خلافه وحده واحدا غير مشفوع به آلهتهم
قال سيبويه وحده اسم موضوع موضع المصدر وهو الحاد الموضوع موضع
الحال وهو موحد ولوا على ادبارهم نفورا نافرين من استماع التوحيد على ان النفور
جمع نافر كشهود في جمع شاهد ويجوز ان يكون مصدرا على غير اذ كان قوله ولوا
على ادبارهم بمعنى نفروا وهذا دليل على انهم قادرون على الاستماع لا وقر في آذانهم
حقيقة نحن اعلم بما يستمعون به بسببه الداعي الى الاستماع من الهزء بك وبالقرآن
وهي اللغو اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم وكذا واذ هم نجوى يتناجون بالطعن في
القرآن اي نحن اعلم بغرضهم في حالتي الاصغاء والاعراض بالتناجي ونجوى مصدر
يحتمل ان يكون جمع نجي اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا بدل من
اذ هم نجوى على وضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على ان تناجيهم بقولهم
هذا والمسحور من سحر فاختل به عقله انظر كيف ضربوا لك الامثال في امر الحشر و
البعث بدلالة قوله تعالى وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي
رميم وانما قال هنا الامثال لانهم ضربوه بعبارات شتى وصور متعددة وقيل
مثلوك بان عروا الساحر والكاهن والمجنون ويرد انهم ما مثلوه عم بما ذكر
بل قالوا تارة انه ساحر واخرى انه شاعر الى غير ذلك وايضا لو كان المعنى
ما ذكر لقيل فيك لا لك لانه عليه السلام ح يكون من ضرب فيه الامثال فضلوا عن
الحق فلا يستطيعون سبيلا اليه وقالوا اذا كنا عظاما بيانا لما ضربوه ولولا
الفصل بينه وبين المبين بالجمل التعريضية لكان حقه التصدير بالفاء التفصيلية و
العامل في اذا ما دل عليه مبعوثون تقديره انبعث اذا كنا عظاما والاستفهام
للانكار ورفاتا صدر بالواو العاطفة اخراجا له مخرج الاستقلال في كونه منشأ
للاستبعاد والرفات الاجزاء المفتتة من كل شيء مكسر ولما فيه من زيادة معنى التفتت
اوثر على الحطام ولم يلتفت الى ما فيه من حسن التجانس ائنا لمبعوثون خلقا جديدا
على الانكار والاستبعاد لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من المباعدة و
المنافاة وخلقا مصدر او حال قل كونوا حجارة او حديدا رد قوله كونوا
على قولهم كنا كانه قيل كونوا حجارة او حديدا ولا تكونوا عظاما فانه يقدر على احيائكم
اوثر في الحجارة صيغة الجمع رعاية للمناسبة بكونوا والعدول في الحديد عن هذا

السن لما في مفرده صنعة الجناس مع الجديد او خلقا مما يكبر في صدوركم الى ما
يكبر عندكم عن قبول الحيوة لكونه ابعد شئ منها فان قدرته تعالى لا تقصر على احيائكم
لاشتراك الاجسام في قبول الاعراض فكيف اذا كنتم رفاتا وعظاما وقد كانت
غضة موصوفة بالحيوة قبل والشئ اقبل لما عهد فيه مما لم يعهد فيه وانما قال في صدوركم
لان اثر الاستعظام البليغ يظهر فيها فان القلب يضطرب عند ذلك لما يعتريه
من الخشية فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم اول مرة وكنتم وما هو ابعد
منه من الحيوة فسينغضون اليك رؤسهم يقال انغض رأسه اى حركه كالمتعجب
من الشئ وكل حركة في ارتجاف نغض والعدول منه التعدية الى اللازم لتضمنه
التوجه والالتفات ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا انتصابه على الخبر
او الظرف وان يكون اسم عسى وخبره والاسم مضمرا جابهم بقرب وقوعه
لا لان كل آت قريب بل لانه مضى اكثر الزمان وبقى اقله ولم يجبهم بتعيين
وقته لان ذلك مما استأثر الله تعالى بعلمه ولم يوردوا تلك الاسولة استرشادا بل
عنادا او استهزاء وقد اخرجت اجوبتهم على طريق الجد والتحقيق وعدم المبالاة
باستهزائهم وفيه نوع تمهيد للامر بحسن المجادلة الآتى ذكره يوم يدعوكم بدل
من قريبا والدعاء النداء الى المحشر بكلام يسمعه الخلائق قال عم انكم تدعون
يوم القيمة باسمائكم واسماء آبائكم فاحسنوا اسمائكم فتستجيبون الاستجابة
موافقة الداعى فيما دعى اليه بالفعل لاجل دعائه بحمده حال منهم اى حامدين
لله تعالى على الاحياء او كمال قدرته عن سعيد بن جبير انهم ينفضون التراب
عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك وتظنون ان لبثتم الا قليلا تظنون
معلقة عن العمل فالجملة بعده في موضع نصب وقلما ذكر النحويون في ادوات
التعليق ان النافية فانتصاب قليلا على انه نعت لزمان محذوف اى الا زمانا
قليلا كقوله قالوا لبثنا يوما او بعض يوم ويجوز ان يكون نعتا لمصدر محذوف
اى لبثا قليلا وقل لعبادى يعنى المؤمنين يقولوا التى هى احسن الكلمة التى هى احسن
ولا يخاشنوا المشركين ان الشيطان ينزغ بينهم يلقى بينهم الفساد بالوسوسة
ويغرى بعضهم على بعض ليقع بينهم المشارة والمشاقة وقدمت في اواخر الاعراف تحقيق
معنى النزغ ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة امروا بحسن
المجادلة ونبهوا على انه قد يكون من الشيطان اغراء واغواء وذكروا بعداوته
القديمة لهم ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم بالتوفيق للاسلام او ان يشأ يعذبكم
بالاماتة على الكفر وكلمة او للاولانه على الانفصال الحقيقى بين المشيئتين والجملة تفسير

للتى هى احسن وما بينهما اعتراض اى قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تصرحوا
بانهم من اهل النار فانه يهيجهم على الشر قيل مع ان ختام امرهم غيب لا
يعلمه الا الله وفيه ان الظاهر عموم النهى للتصريح بما ذكر ولو كان ما قالا يعنى ان علم
على اهل النار وهذه الضميمة لا تصلح علة وما ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك
امرهم تجبرهم على ما امروا به وانما قال عليهم دون اليهم افادة لمعنى القسر والالجاء
وربك اعلم بمن في السموات والارض فيختار منهم لنبوته ولايته من يليق بهما و
هو رد لاستبعاد قريش ان يكون يتيم ابى طالب نبيا وان يكون العراة الجوع
اصحابه ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بالرسالة وبكونه صاحب شريعة وبكونه
اولى العزم وبكونه ختم الانبياء عم وآتينا داود زبورا يعنى ان داود عليه السلام
وان لم يكن اولى العزم ولا صاحب شريعة لكنه من جملة المفضلين بالرسالة حيث
اوتى كتابا وقدمت ما يتعلق بالزبور في اواخر سورة النساء قل ادعوا الذين زعمتم
انها آلهة من دونه تعالى كالملائكة وعزير والمسيح عم فلا يملكون فلا يستطيعون
كشف الضر عنكم كالمرض والفقر والقحط ولا تحويلا ذلك منكم الى غيركم اولئك
الذين يدعون اى يدعون آلهة يبتغون الى ربهم الوسيلة القربة بالطاعة ايهم اقرب
بدل من واو يبتغون اى يبتغى من هو اقرب منهم الى الله تعالى الوسيلة فكيف بغير
الاقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه كسائر العباد فكيف يزعمون انهم آلهة
ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل احد حتى الملائكة والرسل وان من
قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة او معذبوها قيل يوم القيمة عن مقاتل وجدت في كتب الضحاك
في تفسير هذه الاية اما مكة فيخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق
والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف ثم ذكرها بلدا بلدا او معذبوها اى
معذبوا اهلها على ان المجاز في الاسناد دون المسند والا لقيل او معذبوها عذابا
شديدا بالقتل وانواع البلية وكان ذلك في الكتاب في اللوح المحفوظ مسطورا
مكتوبا وما منعنا ان نرسل بالآيات المقترحة استعير المنع للترك للمبالغة ولا يجوز
استعارته للصرف لانه ايضا ممتنع في حقه تعالى والباء للتعدية فان ارسل يتعدى
بنفسه وبالباء قال كثير لقد كذب الواشون ما بحت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول
الا ان كذب بها الاولون الا لتكذيب امثالهم في الطبع من الامم السالفة كعاد وثمود
يعنى لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك الامم واستوجبوا الاستيصال على مقتضى
سنتنا وهو خلاف مقتضى الحكمة لا لان فيهم من يؤمن لانه غير مانع عن استيصال المعاندين
خاصة كما وقع في قوم نوح عم بل لان فيهم من يلد من يؤمن ثم ذكر بعض من كذب

بالآيات المقترحة فاستؤصل بقوله وآتينا ثمود الناقة باقتراحهم مبصرة نصب على الحال
وهي قراءة الجمهور وقرئ بالرفع على اضمار مبتدأ اي هي مبصرة اضيف اليها الابصار
مجازا لما كانت يبصرها الناس وقرئ مبصرة بفتح الصاد اسم مفعول فظلموا بها
اي جحدوا بها وما نرسل بالآيات المقترحة الا تخويفا من نزول العذاب المستأصل فان
لم يخافوا نزل واذ قلنا واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بالناس فهم في قبضة
قدرته او احاط بقريش اي اهلكهم يعني في وقعة بدر والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه
وما جعلنا الرؤيا التي اريناك ليلة المعراج وكانت رؤية عين الا انها لما كانت
بالليل سميت رؤيا كما يقال بات يفعل اذا فعل ليلا فيسمى ما يفعله سوية وان لم
يكن نوما فلا متمسك فيه لمن زعم انها كانت في المنام بل يقول ان يمسك به يكون حجة
عليه لا له لان رؤيا المنام لا فتنة فيها وما كان احد ينكرها وقد كانت تلك الرؤيا فتنة
على ما نطق به قوله الا فتنة للناس وهي ارتداد قوم من المسلمين حين اخبرهم
النبي عم انه اسري به والشجرة الملعونة عطف على الرؤيا وهي شجرة الزقوم واللعن
لطاعميها وانما وصفت هي به مجازا للمبالغة وقيل ذلك لانها في ابعد مكان من الرحمة
وهو اصل الجحيم ولانها مكروهة ويا بئما قوله في القرآن قال ابو جهل ومن معه
هذا محمد يتوعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم انها تنبت الشجر والنار تأكل الشجر
وما نعرف الزقوم الا التمر بالزبد ثم امر ابو جهل جارية له فاحضر تمرا وزبدا وقال لاصحابه
تزقموا فافتتن بهذه المقالة بعض الضعفاء ولم يعلموا ان من قدر ان يحمي وبر السمندل
من ان تأكله النار واحشاء النعامة من اذى الجمر قدر ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها
وقرئت بالرفع على الابتداء والخبر محذوفة اي والشجرة الملعونة في القرآن كذلك ونخوفهم
بانواع التخويف فما يزيدهم التخويف الا طغيانا عتوا كبيرا مجاوزا عن الحد واذ قلنا واذ
قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قدمت تفسيره قال ااسجد لمن خلقت
طينا لمن خلقته طينا فنصب على نزع الخافض ويجوز ان يكون حالا من الموصول
اي خلقته وهو طين انكار وتعليل على ما مر ذكره في قوله انا خير منه خلقتني من نار و
خلقته من طين قال ارأيتك هذا الذي كرمت علي الكاف للخطاب لا محل له من الاعراب
على ما مر تحقيقه في سورة الانعام وهذا مفعول اول والذي صفته والمفعول الثاني
محذوف لدلالة صلته عليه والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي بامري بالسجود
له لم كرمته علي والاكرام اسم جامع لكل ما يحمد عليه وتعديته بعلى لتضمنه معنى التفضيل
لئن اخرتني الى يوم القيامة كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه لاحتنكن ذريته
لاقودنهم حيث شئت من قولهم حنكت الفرس اذا جعلت في حنكه الرسن وكذلك احتنكه

الا قليلا لا اقدر على ان اقاوم شكيمتهم وهم الذين ذكرهم الله تع في قوله ان عبادي
ليس لك عليهم سلطان قال الحسن ظن ذلك لانه وسوس آدم عم فلم يجد له عزما قال
اذهب شأنك الذي اخترته امر اهانة وعقبه بذكر ما جره سوء فعله من جزائه و
جزاء اتباعه فقال فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب
على الغائب جزاء نصب على المصدر باضمار فعله او بما في جزاؤكم من معنى تجازون او حال
موطئة لقوله موفورا مكملا لا نقصان فيه عن قدر الاستحقاق من وفرته وفرك واستفزز
واستخفف واصله القطع بشدة يقال فز الثوب اذا قطعه بشدة تخريق والمعنى استفز
له يقطعك اياه عن الحق من استطعت منهم ان تستفزه بصوتك بدعائك الى الفساد واجلب
عليهم الاجلاب السوق بجلبة من السياق وهي الصياح بخيلك ورجلك باعوانك من راكب
وراجل والرجل اسم جمع لراجل كركب وصحب جمع راكب وصاحب وقرئ بكسر الجيم وهي لغة
فيه كندس وندس وشاركهم في الاموال بحملهم على جمعها من غير وجهها وانفاقها في غير
حقها والاولاد بالحث على تحصيلهم بالوجه المحرم والاشراك فيهم بتسميتهم بعبد العزى و
نحوه والتضليل بالحمل على الاديان الزائفة وعدهم المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة
والاتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة بطول الامل وما يعدهم الشيطان الا غرورا
اعتراض لبيان مواعيده والغرور ما غر به ان عبادي يعني المخلصين والاضافة للتشريف
ليس لك عليهم على اغوائهم سلطان قدرة وكفى بربك وكيلا لهم يتوكلون به في الاستعاذة
منك ربكم الذي يزجي اي هو الذي يزجي الازجاء السوق لكم الفلك في البحر
لتبتغوا من فضله من رزقه انه كان بكم رحيما حيث سهل لكم ما يعسر من اسبابه واذا
مسكم الضر في البحر خوف الغرق ضل من تدعون ذهب عن اوهامكم من تدعونه في حوادثكم
الا اياه وحده فانه ح لا يخطر ببالكم سواه ولا تدعون لكشفه الا اياه او ضل كل من تعبدونه
من اعانتكم الا اياه وفيه ان هذا المعنى لا اختصاص له بوقت الخوف فلما نجاكم خلصكم عن
هول البحر واخرجكم الى البر اعرضتم عن الاخلاص في العبادة وكان الانسان كفورا كالتعليل
للاعراض ولم يخاطبهم بذلك بل اسنده الى الجنس لطفا بهم افامنتم الهمزة للانكار و
الفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض ان يخسف بكم
جانب البر الخسف ان تنهار الارض بالشيء وتعديته بنفسه وبكم حال اي مصحوبا بكم قال
الجوهري خسف الله به الارض اي غاب به فيها وجانب البر ناحية الارض وسماه جانبا
لانه يصير بعد الخسف جانبا او يرسل عليكم حاصبا ريحا يحصب اي ترمي بالحصباء ربما
منها ثم لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك وفي عبارته ثم اشارة الى انه تعالى يحفظهم حرمة
ولا يعود اليه بالكفران والعود الى الشرك ام امنتم ان يعيدكم فيه في البحر نقل اليه اذ لا يلزم

من العود الى الشئ التلبس به تارة اخرى بخلق الداعى الى ذلك فيرسل عليكم قاصفا
من الريح لاتمر بشئ الا قصفته اى كسرته بشدة فيغرقكم قرئ بالتاء على اسناده الى
الريح بما كفرتم بسبب كفرانكم نعمة الانجاء ثم لاتجدوا لكم علينا به بسبب كفرانكم مافعلنا
بكم تبيعا مطالبا يتبعنا بانتصار قال الفراء التبيع طالب الثار ولقد كرمنا بنى آدم
تكريما فيما بينهم بحيث لايختص ببعض دون آخر ولهذا اتى بصيغة الجمع والمراد الكرامة
البدنية ولهذا عبر عنهم بوصف البنوة وعبارته وان يتناول آدم عم لكن دلالته
متناولة له عم وذلك ان ترتيب التكريم على وصف البنوة المضافة اليه عم تكون دلالته
لايحجب عن دلالته على انه عم منشا التكريم ومبداؤه فلاحاجة الى تاويل بنى آدم بنوع
بل لاوجه له اذ حينئذ يفوت الدلالة على التكريم المشترك ولما ابهم فى جهة التكريم للتعظيم
واتى بالتعميم فى جانب المكرم حيث ذكره بصيغة الجمع النص فى التكثير دون اسم
الجنس المحتمل للقليل والكثير تضمن اول الكلام وآخره المبالغة فكان احرى ان يصدر
طرف الكلام بحرف التاكيد مرة اخرى قيل ومن جملة كرامته ان كل حيوان يتناول
طعاما بفمه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده وفيه نظر لان القردة مع انها من الحيوانات
الخسيسة تشاركه فيما ذكر فلا يصلح كرامة ولا ان يعد خاصية له وحملناهم فى البر والبحر
اى حفظناهم فيهما فان الحمل يتضمن الحفظ عادة حتى لم يخسف بهم الارض ولم يغرقهم
الماء او حملناهم على الدواب والسفن من جملته اذ احملته له مايركبه ورزقناهم
من الطيبات من ضروب الملاذ وفنون النعم مالم يجعل لواحد من سائر الحيوانات
لما فرغ عن تفصيل بعض وجوه تكريمهم البدنى شرع فى الاخبار عن تكريمهم
النفسانى واجمل فيه اشعارا بقصور العبارة عن تفصيله وفضلناهم تفضيلا مشتركا
كذلك على كثير ممن خلقنا تفضيلا بالشرف والكرامة اتى بالتاكيد هنا اهتماما لكونه
معنويا بخلاف تلك الاحوال الثلثة ولان الاحكام المذكورة من شواهد هذا الحكم فكانت
شهاداتها تاكدت بعضها ببعض فظهر اثر تلك الشهادات فى الدعوى ولما كان سياق
الكلام فى النعم المشتركة بين افراد الانسان شريفها وخسيسها على ما نبهت عليه آنفا
ظهر وجه تخصيص الحكم المذكور بالكثير فان كل فرد من افراد الانسان غير مفضل على
جميع ماعداها وذلك ظاهر ولا دلالة فيه على عدم تفضيل جنسه على جنس الملئكة لان
فى تفضيل فرد من الاول على جميع افراد الثانى يوم ندعو باضمار اذكر او ظرف لما دل
عليه ولا يظلمون وقيل بدل على المحل اى اعذروا يوم ندعو وقرئ يدعو ويدعى
ويدعوا على قلب الالف واوا فى لغة من يقول افعوا ويجوز ان يقال انها علامة الجمع كما
فى واسروا النجوى الذين ظلموا او ضمير وكل بدل منه والنون محذوفة لعلة المبالاة

بها فانها ليست الا علامة الرفع وهو قد يحذف كما فى يدعى كل اناس كل جماعة من
الانس لاناسى اصل الناس وهو اسم جمع وقدمت بيانه فى اوائل سورة البقرة
بامامهم بمن ائتموا به من نبى او مقدم فى الدين او كتاب ودين وقيل بكتاب اعمالهم
فانه يرجع اليه فى معرفة الاعمال وبرده ان المدعو الى كتاب الاعمال كل واحد من الانس
لاكل جماعة منه لعدم الاشتراك بين الاثنين فى كتاب واحد وقيل بامهاتهم جمع ام
كخفاف فى جمع خف والحكمة فى ذلك اجلال عيسى عم واظهار شرف الحسنين وان لاتفتضح
اولاد الزنا ويرده ايضا مااشير اليه آنفا من ان الامام ليست مما يشترك فيها جماعة من
الناس ثم ان ماذكر من وجوه الحكمة مردود بما ذكر فى الصحيحين من الحديث الدال
على ان الناس يدعون فى الآخرة باسمائهم واسماء ابائهم فمن اوتى من المدعوين
كتابه بيمينه اى كتاب عمله فاولئك اورده جمعا على معنى من وقد حمل على اللفظ اولا
فافرد فى قوله كتابه وفى قوله بيمينه يقرؤن كتابهم كما هو حقهم ووفور عقلهم والذين
يؤتون كتابهم بشمالهم فهم لتحيرهم وترددهم لايقرؤن كتابهم واشير اليه فى قوله
تعالى واما من اوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم اوت كتابيه حيث لم يذكر القراءة فيه
وفى قوله ياليتنى دلالة ظاهرة على انه لايحبس السنتهم عن التكلم وتعليق القراءة على ايتاء
الكتاب باليمين لايحجب عن الدالة على مااشير اليه بعدم ذكر القراءة فى مقابله ولايظلمون
اى لاينقصون عما يستحقون من الجزاء ادنى شئ وقد مر شرح الفتيل فى سورة النساء
ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى اى من كان فى هذه الدار اعمى عن النظر فى
آيات الله تعالى وعبره فهو فى الآخرة اعمى ولما نزل هذه الآية جاء عبد الله ابن ام مكتوم
الى رسول الله عليه السلام وقال يا رسول الله انا فى الدنيا اعمى افاكون فى الآخرة اعمى
فانزل الله تعالى فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور فلا دلالة فيما ذكر
على ان من اوتى كتابه بشماله لايقدر على القراءة لعدم بصره وقدمر فى تفسير قوله تعالى اقرأ
كتابك مايقطع عرق الشبهة وقد جوز ان يكون الثانى بمعنى التفضيل ويعضد ذلك
ظاهر ماعطف عليه من قوله واضل سبيلا ومن ثمه قرأ ابو عمرو الاول ممالا والثانى
مفخما لا لان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه فى حكم الواقعة فى وسط الكلام و
اما الاول فلم يتعلق به شئ فكانت الفه واقعة فى الطرف معرضا للامالة لانه منقوض
بالامالة فى قوله تع بالذى هو ادنى بل لانه اراد ابو عمرو ان يفرق بينهما لما اختلف معناهما
واجتمعا فى آية واحدة وانما امال الاول دون الثانى لما ذكر فانه يصلح للرجحان وان
لم يصلح للعلية واضل سبيلا منه لبطلان الاستعداد وفقدان الآلة والمهلة وان كادوا
ليفتنونك ان هى المخففة واللام هى الفارقة والمعنى ان الشان قاربوا بمبالغتهم ان

بخدعوك فاتبعني بالاستنزال عن الذي اوحينا اليك من الاحكام لتفتري علينا غيره
غير ما اوحينا اليك نزلت في ثقيف قالوا لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر
على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلوتنا وكل ربوا لنا فهو لنا وكل ربوا علينا فهو موضوع
عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت العرب لم فعلت
ذلك فقل ان الله امرني به وقيل في قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا و
تمسها بيدك واذا اي لو اتبعت مرادهم لاتخذوك خليلا وخليلهم بري من خلة الله
تعالى ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا اياك لقد كدت قاربت تركن اليهم شيئا قليلا
جواب لولا يقتضي اذا كان مثبتا امتناعه لوجود ما قبله لوجود مقاربة الشيء القليل
من الركون وهو الميل اليسير لم يقع منه عم فضلا عن وقوع ذلك الشيء القليل من الميل
اليسير وهذا غاية المبالغة في تنزيهه عن الميل الى هواهم والركون في صدده ففيه دلالة
ظاهرة على ان قوله تعالى ليفتنونك بيان قصدهم لا فعله عم اذا لاذقناك اي لو
قاربت ضعف الحيوة وضعف الممات الضعف بمعنى المضاعف وكان اصل الكلام
لاذقناك عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات ثم حذف الموصوف واقيمت
الصفة مقامه وهو الضعف ثم اضيفت الصفة اضافة الموصوف فقيل ضعف الحيوة
وضعف الممات والمعنى لضاعفنا لك العذاب المعجل للعصاة في الحيوة الدنيا وما نؤخره
لهم لما بعد الموت وفي ذكر الكيدودة وتقليل الميل مرة بعد اخرى مع اتباعها الوعيد
الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين دليل بين على ان من كانت درجته ارفع
ونعم الله تعالى عليه اسبغ كان وعيد الله تعالى في حقه ابلغ ثم لا تجد لك علينا نصيرا يدفع
عنك عذابنا بالغلبة علينا وان كادوا الضمير لاهل مكة ليستفزونك قد مر تفسير
الاستفزاز من الارض ارض مكة ليخرجوك منها متعلق لكادوا واذا اي لو اخرجوه
منها لا يلبثون خلفك بعدك وقرئ خلافك وهو لغة فيه اي لم يمهلوا الا قليلا قدر ما
ينزل بهم العذاب وما اخرجوه عم منها بل خرج بنفسه امتثالا لامر الهجرة نعم ان عجزه
لكن التعليق على الاخراج لا على الازعاج وقيل الضمير لليهود والمدينة والارض ارضها
وذلك انهم ارادوا المكر برسول الله عم ولكنك تخاف الروم فان كنت نبيا فاخرج
اليها فان الله تعالى يحميك كما حمى ساير الانبياء عم فوقع ذلك في قلبه مما كتب من اسلامهم
فرحل من المدينة مرحلا فانزل الله تعالى هذه الآية وعلى هذا ايضا يوجد اخراجهم عم كما هو
الظاهر من قوله واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا وقرئ لا يلبثوا منصوبا باذا على انه معطوف
على قوله وان كادوا لا على خبر كاد فان اذا لا يعمل اذا كان معتمدا ما بعدها على ما قبلها سنة
من قد ارسلنا قبلك من رسلنا نصب على المصدر اي سن الله تعالى ذلك سنة وهو ان

يهلك كل امة اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فالسنة للمرسل والاضافة الى المرسل
لانه في ملابسة دل على ذلك قوله ولن تجد لسنتنا تحويلا اي تغييرا اقم الصلوة لدلوك
الشمس لزوالها وقيل لغروبها واصله الميل وهو ينتظم المعنيين قال ابن عطية الدلوك
هو الميل في اللغة فاول الدلوك وهو الزوال واخره هو الغروب وقال الماوردي
من جعل الدلوك اسما لغروبها فلان الانسان يدلك عينيه براحته ليتبينها حالة المغيب
ومن جعلها اسما لزوالها فلانه يدلك عينيه لشدة شعاعها عند ذلك واللام للتسبب
لانها انما تجب بزوال الشمس الى غسق الليل هو اجتماع الليل وظلمته وهو وقت صلوة
العشاء الاخيرة وقيل المراد بالصلوة صلوة المغرب وقوله لدلوك الشمس الى غسق
الليل بيان لمبدأ الوقت ومنتهاه على ان الدلوك هو الغروب واستدل به على امتداد
الوقت الى غروب الشفق وقران الفجر وصلوة الصبح سميت قرانا لانه ركنها كما سميت
ركوعا وسجودا لذلك ولكن لا دلالة فيه على ذلك كما لا دلالة في تسميتها قنوتا على ان القنوت
ركنها وكذا لا دلالة فيه على وجوب القراءة فيها لجواز ان يكون التجوز بها لكونها مندوبة
في الصلوة نعم لو كان التجوز في الفجر بان يكون المراد منه الصلوة في ذلك الوقت لدل الامر
باقامتها على الوجوب فيها عبارة وفي غيرها دلالة وانتصب قرانا عطفا على الصلوة
قاله الفراء او على الاغراء اي فعليك بقراءة الفجر قاله الزجاج وعزاه الى البصريين ان
قران الفجر كان مشهودا تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار رواه الترمذي عن ابي
هريرة رض عن النبي عم وقال هذا حديث حسن صحيح والآية جامعة للصلوات الخمس
ان فسر الدلوك بالزوال ولصلوات الليل فقط ان فسر بالدلوك ومن الليل فتهجد من
للتبعيض والفاء ناسقة على مضمر اي قم فتهجد به اي بالقران والتهجد التيقظ من
النوم لا ترك النوم مطلقا قال الحجاج بن عمرو رض صاحب النبي عم ايحسب احدكم اذا
قام في الليل كله انه تهجد ان التهجد الصلوة بعد رقدة ثم الصلوة بعد رقدة كذلك
كانت صلوة رسول الله عم وهو من الهجود يقال تهجد اذا القى الهجود وهو النوم
عن نفسه وهذا الفعل جار مجرى تحوب وتحرج وتحنث وتنجس اذا القى ذلك عن نفسه
نافلة لك زايدة على تلك الفرايض المذكورة في الآية السابقة والزايد حقه ان يكون من
جنس المزيد عليه فامر بالتهجد من الفرايض وانما قال لك لانه ليس بفرض في حق امته عم
وقد روي عنه ثلث على فريضة ولامتي تطوع قيام الليل والوتر والسواك ومن زعم
انه تطوع في حقه ايضا فسر النافلة بالزيادة اي زيادة لك في الدرجات وذلك لانه عم
مغفور له فهو اذا تطوع بما ليس بواجب عليه كان ذلك زيادة في درجاته وغيره من الامة
تطوعه كفارات لذنوبهم وتدارك لخلل يقع في الفرايض عسى ان يبعثك ربك مقاما

محموداً مقاماً نصب على الظرف على تقدير العامل او تضمينه اذ لا يصلح للعمل في مثل
هذا الظرف الا فعل فيه معنى الاستقرار ويجوز ان يكون حالاً اي ذا مقام محمود وروى
الترمذي عن ابي هريرة رض ان رسول الله عم قال المقام المحمود هو المقام الذي اشفع
فيه لامتي وقال هذا حديث حسن فالمقام الموضع الذي يقوم فيه الانسان للامور الجليلة
ومعنى كونه محموداً انه عم يقيم فيه فيشفع فيحمده الخلق وقل رب ادخلني مدخل صدق
واخرجني مخرج صدق المدخل والمخرج بضم الميم بمعنى الادخال والاخراج والصدق
بمعنى المرضي يقال رجل صدق اي مرضي الخلق وقرئ مدخل ومخرج بفتح الميم بمعنى
الدخول والخروج على معنى ادخلني فادخل دخولاً واخرجني فاخرج خروجاً وقيل المراد
ادخاله مكة ظاهراً عليها واخراجه منها آمناً وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالماً و
قيل ادخاله المدينة واخراجه من مكة وفيه ان المناسب ح تقديم الاخراج على الادخال
وقيل ادخلني فيما امرتني به واخرجني عما نهيتني عنه والظاهر انه عام في جميع موارده
عليه ومصادره دنياوية واخروية وقيل المراد الادخال في القبر والاخراج منه
ليتصل بقوله عسى ان يبعثك ربك مقاماً محموداً واجعل لي من لدنك من تقبل لدن في
العمران سلطاناً نصيراً حجة تنصرني على المخالف او ملكاً ينصر الاسلام على الكفر
فاستجاب له بمثل قوله فان حزب الله هم الغالبون والنصر التمكين من الانتصار من
العدو وقل جاء الحق الاسلام وزهق الباطل اي ذهب الكفر يقال زهق روحه اذا
خرج ان الباطل كان زهوقاً اي لم يزل مضمحلاً وننزل قرئ بالتخفيف والتشديد من
القرآن من للتبيين كقوله من الاوثان قدم على المبهم اهتماماً ما هو شفاء اي كل
شيء نزل من القرآن فهو شفاء للمؤمنين يستصلحون به دينهم ويتعظون به في دينهم
موقعه منهم موقع الشفاء من المرضى وعن النبي عم من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه
الله او للتبعيض وليس معناه انه منقسم الى ما هو شفاء والى ما ليس بشفاء بل
المعنى انه ينزل شيئاً فشيئاً فيه النازل في كل وقت بعض ما هو شفاء كله
ورحمة للمؤمنين بتفريج الكروب وتطهير العيوب وتكفير الذنوب مع ما تفضل به
تعالى من الثواب في تلاوته ولا يزيد الظالمين الا خساراً اي نقصاناً لتكذيبهم وكفرهم
قال قتادة ما جالس احد القرآن الا قام بزيادة او نقصان واذا انعمنا على الانسان
بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله كانه مستغن عنه ونأى بجانبه تأكيد للاعراض
لان الاعراض ان يولي عرض وجهه والنأي بالجانب ان يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره
ويجوز ان يكون كناية عن الاستكبار لانه من عادة المستكبرين وقرئ ناء على القلب او على
انه بمعنى نهض واذا مسه الشر من مرض او فقر كان يؤساً شديد اليأس من روح الله

قل كل يعمل على شاكلته على طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة يقال طريق ذو
شواكل وهي الطرق التي تتشعب منه ويشهد لذلك قوله فربكم اعلم بمن هو اهدى
سبيلاً اسد مذهباً وابين طريقة ويسألونك عن الروح الذي يحيى به بدن الحيوان
ويدبره قل الروح من امر ربي من الابداعيات الكائنة بامر كن من غير مادة وتولد
وتولد من اصل كاعضاء جسده وفيه اشارة الى ان الروح مما لا يمكن معرفته الا
بعوارض تميزه عما يلتبس به فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى عم في جواب
وما رب العالمين بذكر بعض صفاته وهذا القدر من البيان لا ينافي الابهام المذكور
فيما روي ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين و
عن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن
بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح لان السؤال كان عن حقيقته
وهي باقية على ابهامها وقيل الروح جبرائيل عم وقيل خلق اعظم من الملك وما اوتيتم
من العلم الا قليلاً تستفيدونه بتوسط حواسكم فان اكتساب العلوم النظرية من
الضروريات المستفادة من المحسوسات غالباً ولذلك قيل من فقد حساً فقد فقد
علماً واكثر الاشياء لا يدركه الحس ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك لئن هي
جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط واللام الداخلة على ان موطئة للقسم
والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن الصدور والمصاحف ثم لا تجد لك به
علينا وكيلاً اي لا تجد بعد الذهاب من يتوكل علينا باسترداده واعادته محفوظاً
مسطوراً الا رحمة من ربك لكن لا نشاء ذلك رحمة من ربك وقيل الا ان يرحمك
ربك فيرده عليك كان رحمته يتوكل عليه بالرد وهذا امتنان من الله تع ببقاء
القرآن محفوظاً بعد المنة العظيمة في تنزيله ان فضله كان عليك كبيراً اذ جعلك سيد
ولد آدم واعطاك المقام المحمود وانزل عليك هذا الكتاب وابقاه محفوظاً قل لئن
اجتمعت الانس والجن لم يذكر الملك معهما لا لانه قادر على الاتيان بمثله لانه مردود
بقوله تع ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً بل لان الفعل المذكور
مما لا يليق بشأنه ولا يجوز ان ينسب اليه لانهم معصومون لا يفعلون الا ما يؤمرون به
على ان يأتوا بمثل هذا القرآن في كمال بلاغته وحسن نظمه وجودة تأليفه لا يأتون بمثله
جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة ولولا هي لكان جواب الشرط بلا جزم لكون
الشرط ماضياً والعدول عن الضمير الى الاسم الظاهر لتفخيم ما عجز عنه الثقلان ولكان
الاجتماع على امر قد يوجد بدون التظاهر فيما بينهم كاجتماع المجتهدين على حكم شرعي
قال ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ولو تظاهروا على ما تقفوا عليه من المعارضة

بإتيان مثله ولا يصلح هذا أن يكون تقديرا لقوله ثم لا تجد لك علينا وكيلا لأن القدرة
على الإتيان بمثله أصعب من القدرة على استرداد عينه ونفي الشيء إنما يقدر نفي ما دونه
لا ما فوقه ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن مر تفسيره في هذه السورة من كل مثل من كل
معنى هو كالمثل في غرابته وحسن موقعه فأبى أكثر الناس أي متأول بالنفي أي فلم يرضوا
إلا كفورا إلا جحودا وقالوا تعنتا واقتراحا بعدما لزمتهم الحجة ببيان إعجاز القرآن و
انضمام غيره من المعجزات لن نؤمن لك حتى تفجر قرئ بالتخفيف والتشديد لنا من الأرض
أرض مكة ينبوعا هو عين ينبع ماؤه أي يفور مفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء
إذا زخر أو يكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار هذا بالتشديد بالإجماع لمكان
الأنهار خلالها وسطها تفجيرا أي يكون لك بستان يشتمل على ذلك أو تسقط السماء كما زعمت
علينا كسفا يعنون قوله تعالى أو نسقط عليهم كسفا من السماء وهو كقطع لفظا و
معنى وقرئ كسفا بالسكون وهو فعل بمعنى المفعول كالطحن أو مخفف من المفتوح كسدر
وسدر وتأتي بالله والملائكة قبيلا عيانا والقبيل بهذا المعنى يناسب للمقام الخالي عن
التعسف مذكور في الصحاح أو يكون لك بيت من زخرف من ذهب وقد قرئ به وأصله
الزينة أو ترقى في السماء في معارجها يقال رقي في السلم إذا صعد إليها ولن نؤمن لرقيك
ولن نصدق لرقيك فاللام للصلة يقال آمن له إذا أذعن له على ما مر في سورة يوسف
حتى تنزل علينا كتابا من السماء فيه تصديقك نقرؤه فلا نحتاج إلى نقلك إياه وهذا القيد
لعدم اعتمادهم النبي عم في تبليغ القرآن قل وقرئ قال أي قال رسول الله عم سبحان
ربي تعجبا من اقتراحاتهم عليه أو تنزيها لله تع من أن يأتي أو يتحكم عليه هل كنت إلا بشرا
رسولا كسائر الرسل بشرا مثلهم وكان الرسول لا يأتون قومهم إلا بما يظهره الله تع عليهم
من الآيات فليس لي الآيات أي إنما هي إلى الله تع فما بالهم يتحكمون علي وما منع الناس
قد مر تفسير المنع في هذه السورة أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى وما منع عن الإيمان بعد
نزول الوحي ومجيء القرآن إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا إلا قولهم هذا وكان المانع
اعتقادهم بموجب ما قالوا من أن الله تع أجل من أن يكون رسوله من جنس البشر إلا أنه
عبر عنه بالقول تنزيلا له وإخراجا عن حيز الاعتقاد قل في جوابهم لو كان في الأرض ملائكة
يمشون مطمئنين متصرفين فيها بالمشي قاطنين فيها وليس لهم قدرة الصعود إلى السماء
فيسمعون من أهلها ويعلمون ما يجب علمه لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ليكون
من جنسهم فيفهمون كلامه ويسكنون إليه فأما أنتم فبشر فبعثنا إليكم بشرا مثلكم ليكون
قلوبكم إليه أسكن وأنتم لكلامه أفهم فإن مقتضى الحكمة أن يكون الرسل من جنس المرسل إليه
وملكا حال من رسولا ويحتمل أن يكون موصوفا به وكذا الحال في بشرا قل جوابا لهم

[illegible]

حين قالوا من يشهد لك بأنك رسول الله كفى بالله شهيدا بيني وبينكم نصب شهيدا
على التمييز أي حسبي الله تعالى من الشهداء أو على الحال أي كفى بالله تع في حال شهادته والعدول
من بيننا إلى ما فيه التكرير للتأكيد إنه كان بعباده خبيرا بخفيات أسرارهم بصيرا مطلعا
على ما يظهر من أفعالهم وأقوالهم فيجازيهم عليه وفيه تسلية لرسول الله عم وتهديد
للكفار ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أي هنا بضمير الجمع تنبيها
على أن نسبة الضالين إلى المهتدين نسبة الجماعة إلى الواحد ولذلك قال أولياء مع أن
نفي الولي للواحد أبلغ من دونه يهدونهم ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم مسحوبين
عليها أو ماشين عليها روي في الصحيحين أنه قيل لرسول الله عم كيف يمشون على
وجوههم قال إن الذي أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم عميا وبكما
وصما أنهم يحشرون على هذه الصفة ثم يخلق لهم ذلك قبل دخولهم النار فإنه ورد قوله تع
ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها وقوله تع دعوا هنالك ثبورا وقوله
سمعوا لها تغيظا وزفيرا وقيل لا يبصرون ما يقر أعينهم ولا يسمعون
ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون ما يقبل منهم ويرده أن قوله تع اليوم نختم على أفواههم
صريح في نفي القدرة على مطلق التكلم عنهم وإن قوله تع وتكلمنا أيديهم دل على أن ذلك
في الموقف قبل الانصراف عنه إلى النار وبهذا اندفع احتمال أن يكون ذلك بعد الدخول
فيها وعند المشارفة عليها مأواهم جهنم كلما خبت سكن لهبها الخبو سكون النار
عن الالتهاب وما قيل بأن أكلت جلودهم ولحومهم يرده قوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم
جلودا لأنه صريح في أن النار لا تتجاوز في تعذيبهم على هذا الانضاج إلى هذا الإحراق والإفناء
زدناهم سعيرا توقدا وإنما قال زدناهم دون زدناها بناء على أنهم وقودها
على ما نطق به قوله تع وقودها الناس والحجارة ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا
وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا قد مر تفسيره في هذه السورة
أولم يروا أي أولم يعلموا ذلك علما يقوم مقام العيان في حق الأتقان أن الله الذي خلق
السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وإذا قدر على خلق مثلهم قدر على إعادتهم
خلقا جديدا وجعل لهم أجلا لا ريب فيه هو الموت أو القيمة فأبى الظالمون إلا كفورا
جحودا قل لو أنتم تملكون أنتم فاعل الفعل محذوف يفسره ما بعده تقديره لو تملكون فحذف
تملك وأبدل من الضمير المتصل الذي هو الواو ضمير منفصل وهو أنتم لسقوط ما يتصل
به من اللفظ كقوله وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها وفيه دلالة على اختصاص المخاطبين
في الإمساك مع الإيجاز خزائن رحمة ربي أي خزائن نعمه إذا لأمسكتم أي لأمسكتموها خشية
الإنفاق لأجل خوف الفقر وكان الإنسان قتورا مقتصرا للنفقة وزيادة كان لبيان أن

[illegible]

الانسان مجبول على الشح والضنة ومن يوق شح نفسه فانما يوق بعصمة الله تعالى اياه و
ما ذكر جواب قولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا حتى نتوسع في المعيشة اي
لو توسعتم لبخلتم ايضا ولقد اتينا موسى تسع آيات بينات قد مر تفسيرها في سورة
الاعراف وليس نجاة الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور منها بدلالة ان الخطاب
في قوله تعالى لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات لفرعون وهذه الآيات بعضها
بعد هلاكه وبعضها عنده فاسئل بني اسرائيل اي فاسئل علماء بني اسرائيل اذ جاءهم اي
اي جاء اسلافهم والعامل فيه محذوف تقديره فاسئل عن حديثه او قصة بني اسرائيل
اذ جاءهم فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا اي ساحرا قاله الفراء وابو عبيدة
كما تقول هذا مشؤوم وميمون اي شائم ويامن ويشهد لذلك قوله تعالى قال لقد
علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر فانه ظاهر في سحر ان يكون
تلك الآيات سحرا قرأ الكسائي علمت بالضم اي قال موسى عم علمت انا وقرأ الباقون بالفتح
اي علمت انت يا فرعون لانه عاند مع علمه لقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم
يقول انك لصحة عقلك وسلامة حسك تعلم ان ما جئت به من الآيات ليس سحرا بل هي حجة
الله تعالى التي من تأملها استبصر فيها اي تيقن انه من عنده تعالى وانتصب بصائر على الحال
والعامل فيه محذوف تقديره انزلها بصائر واني لاظنك يا فرعون مثبورا هالكا وخاسرا
وقيل مصروفا عن الخير وكان موسى عم عالما بذلك بيقين وانما قال اظن اظهارا للتوسط
في تقرير ما ادعاه وفائدته دفع وهم المبالغة فيه وصون عن مظنة الافراط فاراد ان
ان يستفزهم ان يخرج موسى عم وقومه بالنفي او القتل وقد مر في هذه السورة ما يتعلق
بمعنى الاستفزاز من الارض ارض مصر والارض مطلقا فاغرقناه ومن معه جميعا فحاق
به مكره وقلنا من بعده من بعد فرعون واغراقه لبني اسرائيل اسكنوا الارض التي
اراد ان يستفزكم منها هذا على تقدير دخول موسى عم ومن معه من بني اسرائيل مصر بعد
هلاك فرعون ظاهر واما على تقدير عدم ذلك على ما ذهب اليه بعضهم فلا بد من تعيين التعريف
في الارض للجنس او القول بان الامر المذكور لاولاد من معه عم لا لهم فاذا جاء وعد
الآخرة يعني قيام القيمة جئنا بكم لفيفا مختلطين اللفيف ما اجتمع من الناس من قبائل
شتى قال الاصمعي اللفيف جمع وليس له واحد وهو مثل الجميع وبالحق انزلناه وبالحق
نزل اي ما انزلنا القرآن الى سماء الدنيا الا محفوظا من اعتراء البطلان وما نزل على الرسول
الا كذلك ذكر الحق باسمه الظاهر للتفخيم وما ارسلناك الا مبشرا بالثواب للمطيعين
ونذيرا بالعقاب للعاصين وليس لك شيء وراء ذلك وقرآنا فرقناه نزلناه مفرقا
منجما وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه لتقرأه على الناس على مكث على تمهل وتؤدة فانه

ايسر للحفظ وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا على حسب الاسباب ومقتضى
الحكمة قل آمنوا به او لا تؤمنوا يتضمن الاعراض عنهم والاحتقار لهم وعدم الاكتراث
بهم فان ايمانهم بالقرآن لا يزيده فضلا وامتناعهم عنه لا يورثه نقصا وقوله ان الذين
اوتوا العلم ومنهم مؤمنوا اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام واضرابه تعليل له اي ان
لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم من قبله من قبل نزول القرآن اذا يتلى عليهم القرآن
يخرون للاذقان سجدا تعظيما لامر الله تعالى وشكرا لانجاز وعده في تلك الكتب ببعثة
محمد عم والخرور السقوط بسرعة وانما ذكر الاذقان مبالغة في التحامل على الجبهة والانف
حتى كانه يلصق الذقن بالارض واللام بمعنى على وقيل للاختصاص وفيه ما فيه وانتصاب
سجدا للحال ويقولون اي في سجودهم سبحان ربنا عن خلف الوعد ان كان وعد ربنا
لمفعولا انه كان وعده كائنا لا محالة ويخرون للاذقان كرره لاختلاف الحال او السبب فان
الاول للشكر عند انجاز الوعد والثاني لما اثر فيهم من مواعظ القرآن يبكون اتى ههنا
بالفعل اشعارا بالتجدد فان منشأ البكاء وهو التفكر والتذكر مما يتجدد بخلاف منشأ
السجود ويزيدهم سماع القرآن خشوعا كما يزيدهم علما ويقينا بالله وقد مر تفسير
الخشوع قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن نزلت حين سمع المشركون رسول الله عم
يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو اله آخر والمراد التسوية
بين اللفظين بانهما مطلقان على ذات واحدة وان اختلفا في اعتبار الاطلاق عباراتنا
شتى وحسنك واحد وكل الى ذاك الجمال يشير والدعاء بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين
حذف اولهما استغناء عنه واو للتخيير وقيل نزلت حين قالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن
وقد اكثره الله في التورية والمعنى انهما سيان في حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود
ويعضده قوله ايا ما تدعو فله الاسماء الحسنى اصله ايا ما تدعوه فهو حسن فوضع موضعه
فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات
الجلال والاكرام والتنوين في ايا عوض عن المضاف اليه وما صلة لتاكيد ما في اي من الابهام
والضمير في له للمسمى لان التسمية له لا للاسم ولا تجهر بصلاتك بقراءة صلوتك على حذف
المضاف حتى يسمع المشركون فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها ولا تخافت بها كل
المخافتة حتى لا يسمع من خلفك من المؤمنين والمخافتة خفض الصوت وابتغ بين ذلك بين
الجهر والمخافتة سبيلا وسطا فان خير الامور اوساطها وقيل لا تجهر بصلاتك
كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفات نهارا والجهر ليلا وقل الحمد
لله الذي لم يتخذ ولدا فيه رد لمن قال العزير ابن الله ولمن قال الملائكة بنات الله ولم يكن
له شريك في الملك في الالوهية وفيه رد للثنوية القائلين بتعدد الاله ولم يكن له ولي من الذل

من اليهود لانهم اذل الناس ففيه رد لقولهم نحن ابناء الله واحباؤه
وقال الحسن بن الفضل يعني لم يذل فيحتاج الى ولي وناصر يجيره من الذل لعزته
وكبريائه وهذا قول حسن يعضده قوله وكبره تكبيرا التكبير ابلغ لفظة للعرب
في معنى التعظيم والاجلال وانما اكد بالمصدر تحقيقا له وابلاغا في معناه ولما كان
اتخاذ الولي قد يكون للانتصار والاعتزاز به والاحتماء من الذل وقد يكون
بالتفضل والرحمة لمن والى من عباده الصالحين كان المنفي لمن ينتصر به من اجل الذل
اذ كان مورد الولاية يحتمل هذين الوجهين فنفي الجهة التي لاجل النقص بخلاف الولد
والشريك فانهما نفيا على الاطلاق لعدم احتمالهما الوجهين في شانه تع وانما رتب
الحمد على وصفه بنفي الولد والشريك والذل لان من هذا وصفه هو الذي يقدر على
ايلاء كل نعمة فهو الذي يستحق جنس الحمد وهذه السورة الكريمة ابتدائت
بتنزيه الله تعالى واختتمت به والحمد لله تعالى على التمام

سورة الكهف

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب في ترتيب استحقاق الحمد على انزال
القرآن تنبيه على عظم شانه من بين النعم الجسام وذلك بهدايته الى ما فيه كمال
العباد ودعوته الى ما به انتظام صلاح المعاش والفلاح في المعاد ولم يجعل له عوجا
من تتمة الصلة على انه عطف بيان او المعنى انزل على عبده الكتاب كاملا في بابه
قال ابن السكيت كل ما ينتصب كالحائط والعود يقال فيه عوج بالفتح والعوج ما
كان في ارض او دين او معاش وما قيل انه بالكسر في المعاني مردود بقوله تع
لا عوجا ولا امتا وتنكيره لتعميم النفي انواع الانحراف عن سنن الاستقامة من
جهة الاختلال في التركيب والاختلاف في النظم والتنافي في المعنى قيما على الكتب السابقة
بالتغيير والتقرير او بمصالح العباد فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال
وقيل المراد اثبات الاستقامة والاعتدال فاتجه عليه السؤال عن فائدة الجمع بينه
وبين نفي العوج فان المفهوم من احدهما عين ما فهم من الآخر واجيب بان فائدته
بالتاكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة لا يخلو عن ادنى عوج
عند السبر والتصفح ويرد عليه بعد الاغماض عن ان ما ذكر فيما يشهد
له العباد ان في ذلك انما يصح ذلك النفي عقيب الاثبات دون العكس وبعد
التسليم ان التاسيس خير من التاكيد والافادة اولى من الاعادة وانتصابه

على الحال من الكتاب لا من الضمير في له لما فيه من الركاكة التي يجب تنزيه كلام الله تع
عنها ولا حاجة الى تقدير مضمر لان مبناه ان يتعين عطف ولم يجعل على انزل وقد عرفت
عدم تمام ذلك المبني اطلقه لعموم الجنس وعدم اختصاص باحد الفريقين على ما افصح
عنه قوله تع انذر الناس وبشر الذين آمنوا وفي اطلاقه هنا دفع وهم الاختصاص
السابق الى الفهم من قوله وينذر الذين قالوا باسا شديدا عذابا شديدا من لدنه
تقدم الكلام عليه في سورة هود ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات
لهم بان لهم وان ضمن يبشر معنى يبين لم يحتج الى الباء اجرا حسنا ثوابا جميلا
واما نفس الجنة ففي التبشير بها يكفي الايمان ولا حاجة الى العمل الصالح عند اهل الحق
ماكثين فيه في الاجر اي في محله ابدا لا الى غاية وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا
خصهم بالانذار بعد ما عم الجميع لغاية فحش صنيعهم ورتبه على القول اشعارا بانهم
استحقوا الانذار به مع قطع النظر عن الاعتقاد وابهم المنذر به ليذهب الوهم
بكل مذهب وفيه ما لا يخفى من التهويل ما لهم به اي بما قالوا من علم شيء من العلم
لاستحالة المعلوم والجملة في موضع الحال اي قالوا جاهلين به ولا لابائهم اي قلدوا
فيه اباءهم وهم مثلهم في الجهل كبرت كلمة عظمت مقالتهم هذه في الافتراء على الله
تعالى قراءة الجمهور بالنصب على التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية والاول اولى
وابلغ لما فيه من الابهام والتعيين وفيه معنى التعجب مرجعه الى تعظيم الامر في قلوب
السامعين كانه قيل ما اكبرها كلمة تخرج من افواههم صفة للكلمة وصفها بذلك مع
ان العلم الضروري حاصل بان شان جنسها ذلك فلا بد له من فائدة وهي الاشعار
بانه لا ينبغي بهذه الكلمة ان يقصد قلبي لوضوح بطلانها فكانه قيل تخرج بنفسها بلا
اخراج منهم ففيه تاييد لقوله ما لهم به من علم ان يقولون الا كذبا الا قولا كذبا
فلعلك باخع نفسك لعل للترجي في المحبوب والاشفاق في المحذور والبخع الاهلاك
من شدة الوجد على آثارهم عبر عن ادبارهم وتباعدهم عن التصديق بالقرآن
على وجه فصيح شبهه واياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الوجد
والاسف على توليهم برجل فارقته احبته فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع
نفسه وجدا عليهم فالاستعارة تمثيلية وقرئ على الاضافة وهو للاستقبال
ان قرئ ان لم يؤمنوا بالكسر وللمضي ان قرئ بالفتح بمعنى لان لا تؤمنوا فلا يكون
اعمال باخع الآن اذ اجعل حكاية حال ماضية لتصوير تلك الحالة في ذهن السامع و
استحضارها بهذا الحديث القرآن اسفا مفعول له اي لفرط الحزن ويجوز
ان يكون حالا انا جعلنا ما على الارض الى آخره يرشدك الى هذا قوله تع

حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت زينة لها مفعول ثان لجعلنا بمعنى
صيرنا ويحتمل الحال على انه بمعنى اوجدنا لنبلوهم ايهم احسن عملا في تعاطيه
حسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها ثم زهد في الميل بقوله وانا لجاعلون
ما عليها صعيدا جرزا ترابا لا نبات فيه والجرز الارض التي قطع نباتها من الجرز وهو القطع فيه تسلية لرسول الله صلعم وفقراء المؤمنين عما اصنوته ايدي المترفين
من زينتها ام حسبت بل احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم الكهف النقب المتسع
في الجبل وما لم يتسع منه فهو غار ذكره القرطبي والرقيم اسم الجبل او الوادي او
القرية او الكلب ولوح رقمت فيه اسماؤهم وجعلت على باب الكهف وقيل
الرقيم اصحاب الغار الذي انطبق عليهم فذكر كل واحد منهم احسن عمله وفي
هذا خبر معروف اخرج في الصحيحين وقال قوم اخبر الله عن اصحاب الكهف
ويخبر عن اصحاب الرقيم شيء كانوا في بقائهم احياء مدة مديدة بلا غداء من اياتنا
عجبا اي احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من بين اياتنا عجبا فليس
كذلك بل كل اياتنا عجب وفي اياتنا ما هو اعجب منهم وقال القشيري ازال موضع
الاعجوبة من اوصافهم حيث اضافه الى نفسه بقوله من اياتنا وتقليب العادة من
الله تعالى ليس بمستبدع اذ اوى الفتية الى الكهف حين التجأوا اليه وروي انهم
كانوا شبانا من ابناء الاشراف ارادهم دقيانوس الملك على الشرك فابوا وهربوا
الى الكهف فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة من خزاين رحمتك الموجبة للمغفرة والرزق
والامن وهيئ لنا من امرنا الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا نصير بسببه
مهتدين او اجعل امرنا كله هدى والرشد اصابة الطريق المؤدي الى البغية وكذا
الرشد والرشاد واصل التهيئة احداث هيئة الشيء فضربنا على اذانهم اي منعناهم
ان يسمعوا فالمضروب هنا كقول العرب ضرب الامير على يد الرعية اذا منعهم من
الفساد وضرب السيد على يد عبده الماذون اذا منعه من التصرف وتخصيص الاذان
بالذكر لان النوم قلما ينقطع الا من جهتها ولا يستحكم الا مع تعطلها اشير الى ذلك
في قوله عم ذاك رجل بال الشيطان في اذنه والذاهبون الى ان المعنى ضربنا عليها
حجابا من ان يسمع ذاهلون عن ان الحجاب لا يناسب الا السمع ولذلك دخل السمع
في قوله ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ثم على ابصارهم غشاوة تحت الختم دون التغشية
على ما اعترفوا به وذكروه في تفسيره وفي الكهف سنين ظرف لضربنا عددا قال الزجاج
اي تعد عددا لكثرتها لان القليل يعرف مقداره من غير عد فاذا كثر عددا ما قولهم
دراهم معدودة فهو على القلة لانهم كانوا يعدون القليل ويزنون الكثير ثم

بعثناهم اي من نومهم يقال لمن احيى او اقيم من نومه مبعوث لانه كان ممنوعا
من الانبعاث والتصرف لنعلم عبارة عن خروج ذلك الشيء الى الوجود ومشاهدته
وهذا على نحو كلام العرب والا فقد كان الله تعالى علم ذكره القرطبي فلا حاجة الى
اثبات التعليقين لعلمه تعالى حال واستقبال اي الحزبين المختلفين منهم او من
غيرهم في مدة لبثهم احصى لما لبثوا امدا ضبط امد الزمان لبثهم والامد الغاية
وما في اي من معنى الاستفهام علق عنه لنعلم فهو مبتدأ واحصى خبره وهو
فعل ماض وامدا مفعول له ولما لبثوا حال منه او مفعول له وقيل انه المفعول واللام
مزيدة وما موصولة وامدا تمييز وقيل احصى اسم تفضيل من الاحصاء بحذف الزوائد
كقولهم هو احصى للمال وافلس من ابن المذلق ورد عليه بان بناء اسم التفضيل
من غير الثلاثي المجرد شاذ فلا يقاس عليه ولان امدا لا ينتصب بافعل لانه لا يعمل
ولا بلبثوا لعدم سداد المعنى عليه فان زعمت نصبه باضمار فعل يدل عليه احصى
كما في قوله واضرب منا بالسيوف القوانسا فقد ابعدت المتناول وهو قريب حيث
ابيت ان فعلا ثم رجعت مضطرا الى تقديره ولكنه انما قوى لان دعواه الشذوذ
مذهب ابي علي وعند سيبويه هو قياس وبه اخذ الزجاج وعلى اختيار ابن
عصفور ان الهمزة اذا كانت لغير النقل كاشكل الامر واظلم الليل يجوز ان يقال ما
اشكل هذه المسئلة وما اظلم هذا الليل والهمزة في التمييز ومن زعم ان احصى اسم
تفضيل لم يجعله مفعولا به بل جعله تمييزا ومثله بما يقال زيدا قطع الناس سيفا واما
ثالثا فلانه يجوز ان يكون نصب امدا على نزع الخافض تقديره لما لبثوا من امد على
ان الامد بمعنى المدة ولعل هذا اراد الطبري حيث ذهب الى ان نصب امدا بلبثوا
واما رابعا فلان اسم التفضيل ينصب المفعول به في مذهب الكوفيين فلا اضطرار
الى تقدير فعل انما ذلك على تقدير نزول القرآن على مذهب البصريين واني ذلك نحن
نقص قدمت تفسير معاني سورة يوسف عليك نبأهم النبأ خبر دون شان بالحق
بالصدق انهم فتية جمع فتى كصبي وصبية امنوا بربهم الرب السيد الناظر في مصلحة
عبيده ولا اشعار بذلك عدل عن امنوا بنا وزدناهم هدى بالتثبيت وربطنا
على قلوبهم من المجاز ربط الله على قلبه صبره ومنه رابط الجاش لمكان الخوف
والقلق يزعج القلوب عن مقارها الا ترى الى قوله تعالى وبلغت القلوب الحناجر
قيل في مقابلته ربط قلبه اذا تمكن وثبت وهو تمثيل والعدول عن التعدية الى على
من باب يجرح في عراقيبها للمبالغة اذ قاموا على قدم الصدق مجاز يقال قام
الى امر كذا اذا عزم عليه بغاية الجد فقالوا ربنا رب السموات والارض

لن ندعو من دونه الها لم يقل ربا لان من جهة توحده تعالى لوهيته لا ربوبيته لقد قلنا اذا شططا والحذ الله لقد قلنا اذا قول شططا والشطط الخروج عن الحد بالغلو فيه يقال شط منزل فلان اذا جاوز القدر في البعد مصدر وصف به للمبالغة هؤلاء مبتداء قومنا عطف بيانه اتخذوا من دونه آلهة خبره وهو اخبار في معنى الانكار لولا يأتون لولا حرف تخضيض بمعنى هلا معه الانكار عليهم على الوهيتهم بسلطان بين بحجة بالغة ظاهرة فيه دليل على فساد التقليد في اصول الدين فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه تعالى واذ اعتزلتموه خطاب من بعضهم لبعض والاعتزال يشمل الجسماني والقلبي من مفارقة قومهم ومعتقداتهم وما يعبدون الا الله عطف على الضمير المنصوب سواء كان ما موصولا او مصدرية والاستثناء متصل ان كانوا يعبدون الله تعالى مع الهتهم ومنقطع ان لم يعرفونه تعالى ويجوز ان يكون ما نافية على انه اخبار من الله تعالى مع آلهتهم ومنقطع ان لم يعرفونه تعالى ويجوز ان يكون ما نافية على انه اخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه تحقيقا لمضمون الجملة فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم يبسط الرزق لكم ويوسعه عليكم من رحمته في الدارين ويهيئ لكم من امركم مرفقا ما يرتفقون به اي ينتفعون قالوا ذلك ثقة بفضل الله تعالى وقوة في رجائهم وقرئ مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء قال الجوهري من قرأ مرفقا جعله مثل مقطع ومن قرأ مرفقا جعله اسما مثل مسجد ويجوز مرفقا اي رفقا مثل مطلع ولم يقرأ به وترى الشمس اذا طلعت الخطاب للنبي عليه السلام او لكل احد والمعنى انك لو رأيتهم لرأيتهم كذا لان المخاطب رآهم على التحقيق تزاور عن كهفهم تتنحى وتميل فلا يقع شعاعها عليهم فيؤذيهم واصله تتزاور فادغمت التاء في الزاء وقرئ بحذفها وقرئ تزور كتحمر وتزوار كتحمار وكلها من الزور بمعنى الميل ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين واذا غربت تقرضهم قال الخليل في كتاب العين اذا عدلت عن شيء في سيرك قلت قرضت يمنة او يسرة في تعدية القرض اياهم دون الكهف على خلاف تعدية التزاور دلالة على ان الشمس كانت تدخل الكهف اذا غربت الا انه لا يقع شعاعها عليهم كيلا ينتبهوا فان لشعاع الشمس وحرها تأثيرا في الانتباه وهذا من تتمة ما قصد بالضرب على آذانهم ذات الشمال يعني يمين الكهف وشماله لقوله وهم في فجوة منه اي هم في متسع داخل الكهف بحيث لا يراه من كان ببابه وينالهم روح الهواء ولا يؤذيهم كرب الكهف

وهذا

وهذا ايضا من تتمة ما ذكر قبل وذلك لان باب الكهف في مقابلة بنات النعش واقرب المشارق والمغارب الى محاذاته مشرق رأس السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره يطلع مائلة عنه مقابلة بجانبه الايمن وهي الذي يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جانبيه ويحلل عفونته ويعدل هواءه ولا يقع عليهم فيؤذي اجسامهم ويبلي ثيابهم ومبناه الغفول عما في تعرضهم من الدلالة على دخول الشمس في الكهف عند غروبها ثم ان قوله ولا يقع عليهم اخراج لما وقع مما ذكره من مقابلة النعش يختلف باختلاف الاقاليم طولا وعرضا ثم ان قوله ولا يقع عليهم فيؤذي اجسامهم ويبلي ثيابهم اخراج لما وقع في شأنهم من خوارق العادات عن حدها ببيان اسبابها العادية على ان ما ذكره لا يصلح سببا كافيا ذلك من آيات الله قالوا ليس ذلك اشارة الى الايواء ولا الى التزاور والقرض بل الى حفظ الله تعالى اياهم في ذلك الكهف تلك المدة الطويلة من تبرأ عن اختيار في وصدق رجوعه الى الله تعالى في احواله ولم يستغن بحيلة من اشكاله اواه الى الكهف فضاله وكفاه جميع اشغاله وهيأ له محلا يتفيأ فيه من برد ظلاله بكمال اقباله من يهدي الله بالتوفيق فهو المهتد الذي اصاب الفلاح ثناء عليهم بانهم جاهدوا في الله تعالى بخلق دواعي الضلال عندنا وعند المعتزلة ما قوله بالخذلان فلن تجد له وليا مرشدا من يليه ويرشده والخطاب للنبي عليه السلام او لكل احد كما في السابق واللاحق وتحسبهم ايقاظا لانفتاح عيونهم وتنفسهم واما تقلبهم فانما يقع احيانا فلا يصلح سببا للحسبان لكل من يراهم وايقاظ جمع يقظ ويقظ بضم القاف وكسرها وهو اليقظان وهم رقود نيام ونقلبهم اضاف التقليب الى نفسه لانه يخلقه خاليا عن الاسباب العادية وشرائطها ذات اليمين وذات الشمال قال ابن عباس رض ولو لم يقلبوا لاكلتهم الارض وذات منصوب على الظرف لامتزاج اصلها الجهة وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله وتقلبهم على المصدر منصوبا بفعل يدل عليه وتحسبهم اي وترى تقلبهم وكلبهم اكثر المفسرين على انه كلب حقيقة وكان لصيد احدهم او زرعه او غنمه ذكره القرطبي فلأنا يبد في قراءة فكالبهم اي صاحب كلبهم لما قيل انه كلب راع مروا به فتبعهم وتبعه الكلب بل لنا يبد بخلافه اذ الظاهر انه ان يكون الكالب من الفتية وقالت فرقة لم يكن كلبا حقيقة وانما كان احدهم وكان قد قعد عند باب الكهف طليعة لهم كما سمي النجم التابع للجوزاء كلبا وقد حكى ابو عمر والمطرزي انه قرأ وكالبهم وحمل على هذا الرجل اذ بسط الذراعين واللصوق بالارض مع رفع الوجه للتطلع هيئة الربية المستخفي بنفسه ويحتمل ان يراد بالكالب الكلب باسط ذراعيه اعمل اسم الفاعل وهو بمعنى المضي لانها حكاية حال ماضية ولم يقصد

الاضبار عن فعل الكلب وعند الكسائي وهشام وابي جعفر من البصريين كونه بمعنى المضي غيرها مانع عن العمل والذراع من طرف المرفق الى طرف الاصبع الوسطى بالوصيد بالباب ولم يكن للكهف باب فالمراد منه موضع الباب ولذلك قال ابو ورق فم الشعب لو اطلعت عليهم اى لو شاهدتهم اصله الاشراف على الشئ ناظرا اليه ويكنى به عن المشاهدة الكاملة والخطاب لمن في وترك الشمس وقرا ابن كثير بالتشديد للمبالغة وقرئ بضم الواو لوليت منهم لاعرضت بوجهك عنهم وانتصب فرارا على المصدر اما لوليت محذوفة و اما لوليت لانه بمعنى لفررت او على العلة او على الحال ولملئت منهم رعبا خوفا يملاء صدرك لما البسهم الله تعالى من الهيبة وقيل لطول اظفارهم وشعورهم واجرامهم وقيل لوحشة مكانهم وياباه قوله منهم والصحيح في امرهم على ما قال ابن عطية ان الله تعالى حفظ لهم الحالة التي ناموا عليها ليكون لهم ولغيرهم فيهم اية ولم يبكر الناهض الى المدينة الا معالم الارض والبناء ولو كانت في نفسه حاله ينكرها لكانت عنده اهم ولبينا لما قال بعضهم لبعض لبثنا يوما او بعض يوم وقيل لانفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وبالجملة كان الناس محجوبين عنهم بالرعب لئلا يصلوا اليهم وقرئ لملئت بالتشديد للمبالغة ورعبا مفعول ثان او تمييز وقرئ بضم العين وكذلك بعثناهم البعث التحريك عن سكون اى ايقظناهم من نومهم على ما كانوا عليه من هياتهم لم يتغير شئ من ابدانهم وثيابهم ليتساءلوا بينهم ليسال بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم وما صنع الله تعالى بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله تعالى ويزدادوا يقينا ويشكروا ما انعم به عليهم ويستبصروا به امر البعث قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قال الحسن دخلوا الكهف في اول النهار فنظروا حين استيقظوا فاذا هو اخر النهار فقالوا لبثنا يوما ثم راوا من الشمس بقية فقالوا او بعض يوم وكان عندهم كذلك فلم يوصفوا فيه بالكذب ولم يواخذوا به قالوا ربكم اعلم بما لبثتم انكار عليهم من بعضهم استدل ابن عباس بهذه الاية على ان الصحيح من الاقوال في عددهم انهم سبعة بناء على ان اقل الجمع ثلثة قيل انهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا انهم في يومهم فلما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا ذلك وفيه نظر من وجه ولما اخذهم ما ياخذ من نام طويلا من الحاجة الى الطعام قالوا فابعثوا احدكم كانهم قالوا خذوا فيما يهمكم ودعوا علم ذلك الى الله تعالى بورقكم قرئ بكسر الراء وبسكونها والتثقيل وادغام القاف في الكاف وبالتخفيف مكسور الواو مدغما وغير مدغم ورد الادغام لالتقاء الساكنين على غير حده والورق الفضة المضروبة نص عليه في الصحاح والقاموس كانوا قد استصحبوا حين خرجوا زادهم لنفقتهم وكانت حاضرة عندهم فلذا اشاروا

اليها بقولهم هذه الى المدينة هي طرسوس فلينظر ايها الضمير للمدينة والمراد اهلها وفي الاستخدام والمصير في امثال هذا الى الحذف من ضيق العطن ازكى طعاما اكثر بركة قال ابن عباس وعلى رضى الله عنهما انه الارز فانه يزداد بالطبخ وهو من تدبير قليل البضاعة وفي تفسير القرطبي قيل انهم امروه ان يشترى ما يظن انه طعام اثنين او ثلثة لئلا يطلع عليهم ثم اذا طبخ كفى جماعة وكذلك قيل انهم امروه ان يشترى ما يظن انه طعام اثنين او ثلثة لئلا يطلع عليهم ثم اذا طبخ كفى جماعة ذلك الطعام الارز فلياتكم برزق منه وليتلطف اى وليتكلف في استعمال دقائق التدبير في دخول المدينة وشراء الطعام فلا يعلم به في ذهابه وايابه ولا يشعرن بكم احدا و لا يفعلن ما يؤدى الى الشعور بكم والضمير في انهم عائد يدل على ما دل عليه المعنى من اهل تلك المدينة ان يظهروا عليكم ان يطلعوا عليكم او ان يظفروا بكم يرجموكم يقتلوكم برمى الحجارة او بعيد وكم في ملتهم بصيروكم فيها وقيل العود على معناه الشائع لانهم كانوا اولا على دينهم ثم امنوا وانما لم يقل لها لانه لا يلزم من العود الى الشئ التلبس ولن تفلحوا اذا ابدا ولن تفوزوا بخير ابدا ان ارتددتم وكذلك اعثرنا عليهم المفعول محذوف تقديره اعثرناهم عليهم اى كما انمناهم وبعثناهم ليزدادوا بصيرة ثم اطلعناهم عليهم واصله ان من عثر برجله على شئ وهو غافل نظر اليه حتى يعلم فاستعير العثور للاطلاع ليعلموا اى ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم ان وعد الله بالبعث او الموعود الذى هو البعث حق لان نومهم وانتباههم بعد المدد المتطاولة كحال من يموت ثم يبعث وان الساعة لا ريب فيها وان القيمة لا ريب امكانها فان من توفى انفسهم و امسكها ثلثمائة سنين حافظا ابدانهم عن التحلل والتغيب ثم ارسلها اليها قدر ان يتوفى نفوس جميع الناس ممسكا اياها الى ان يحشر ابدانها فيردها عليهم اذ يتنازعون ظرف لاعثرنا بينهم امرهم امر الفتية حين اماتهم الله تعالى ثانيا فقال بعضهم ماتوا وقال اخرون ناموا نومهم اول مرة فقالوا ابنوا عليهم اى على باب كهفهم بنيانا لئلا يتطرق اليهم الناس والدواب ولا يتعرض لهم التباع ربهم اعلم بهم باحوالهم انهم ماتوا او ناموا قال لم يقل وقال لانه لم يذكر في معرض المنازعة الذين غلبوا على امرهم اى قال عظماؤهم بعد الاتفاق على البناء عليهم لنتخذن عليهم مسجدا يصلى فيه ويتبرك بمكانهم سيقولون الضمير لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله عليه السلام من اهل الكتاب والمؤمنين ثلثة رابعهم كلبهم هم ثلثة رجال رابعهم كلبهم اى جعلهم اربعة بانضمامه اليهم قيل هو اليهود ويقولون خمسة سادسهم كلبهم قاله النصارى وانما لم يذكر بالسين اكتفاء بعطفه على ما هو فيه رجما بالغيب يرمون رميا بالخبر

الخفي الذي لا مطلع لهم عليه ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قاله المسلمون باخبار
الرسول عليه السلام عن جبرئيل عم علي ما انباء اخراج هذا القول عن حيز الرجم بالغيب
واما اتباعه قوله قل ربي اعلم بعدتهم فلا دخل له في الانباء المذكور ولا دلالة في قوله
ما يعلمهم الا قليل ان ذلك تعليل من جنس الانس حتى يتمشى ان يقال اثبت العلم بهم لطائفة
بعد ماحصر اقوال الطوايف في الثلثة المذكورة فان عدم ايراد الرابع في نحو هذا المحل
دليل العدم مع ان الاصل ينفيه ثم رد الاولين باتباع المذكور ليتحقق الثالث و
اما التمسك بالواو بان يقال انها دخلت على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة
حالا عن المعرفة لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر
ثابت فضعيف لانها من المحكي لا من الحكاية فدلالتها على الثبوت عند القايل لا عند الله
تعالى نعم لو قيل انها تدل على تصديق القايلين بانهم سبعة لانها عاطفة على كلام مصدق
تقديره نعم وثامنهم كلبهم كما اذا قال قايل زيد شاعر وقيل وفقيه ايضا اي ونعم
وفقيه ايضا وفي الخبر سئل النبي صلى الله عليه وسلم انتوضا بما افضلت الحمر قال
وبما افضلت السباع قال السهيلي يريد نعم وبما افضلت السباع وقال جماعة ومنهم
الامام ابو منصور الماتريدي لم يبين الله تعالى ذلك لاهل الكتاب ولا للنبي عليه السلام
ولو كان اعلمه لم يقل ولا يستفت منهم احدا لان علمه به يغنيه عن السؤال عنهم فلا تمار
فيهم الا مراء ظاهرا فلا تجادل اهل الكتاب في شان اصحاب الكهف الا جدالا ظاهرا غير
متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما اوحى الله اليك فحسب من غير تجهيل لهم ولا تعنيف
بهم في الرد عليهم ولا تستفت فيهم منهم احدا ولا تستفهم من جهتهم قال ابن عباس
ومجاهد وقتادة روي انه عليه السلام سال نصارى نجران عنهم فنهي عن السؤال
ذكره القرطبي ولا تقولن لشيء لاجل شيء تعزم عليه اي فاعل ذلك الشيء انما قال فاعل
بالتنوين دون الاضافة لمكان قوله غدا ومبنى ذلك على قاعدة ذكرناها في تفسير اني جاعل
في الارض خليفة الا ان يشاء الله الا بان يشاء الله اي الا ملتبسا بمشيئة قايلا ان شاء
الله وهذا نهي تاديب من الله تع لنبيه عم حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح
وعن اصحاب الكهف وذي القرنين فسالوه فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن
فابطا عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش فقوله غدا بمعناه الحقيقي لا بمعنى ما
يستقبل من الزمان وعدم اختصاص الحكم به من جهة دلالة النص لا من جهة عبارته
واذكر ربك اي مشية ربك وقل ان شاء الله كما روي انه لما نزل قال عليه السلام ان شاء
الله اذا نسيت اذا فرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته وعن ابن عباس رض ولو بعد
سنة ما لم يحنث قال القرطبي هذا في تدارك التبرك بالاستثناء والتخلص عن الاثم

فيهم

واما الاستثناء المغير حكما فلا يصلح الا متصلا ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك
بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة في الحث عليه وقل عسى ان يهدين
ربي بدلني لاقرب من هذا رشدا لاقرب رشدا واظهر دلالة على اني نبي من نبا اصحاب
الكهف وقد فعل ذلك من حيث اتاه من قصص الانبياء والاخبار بالغيوب ما هو اعظم
من ذلك وادل والظاهر ان يكون المعنى اذا نسيت شيئا فاذكر ربك وذكر ربك عند
نسيانه ان يقول عسى ربي ان يهديني لشيء آخر بدل هذا المنسي اقرب منه رشدا وادنى
خيرا ومنفعة منه ولعل النسيان كان خيرا لقوله تع او ننسها نات بخير منها ولبثوا في
كهفهم بدل لبثهم فيه احياء مضروبا على اذانهم ثلثمائة سنين قرا حمزة والكسائي
بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله بالاخسرين اعمالا ومن قال وضع
الجمع موضع الواحد وبحثه ههنا ان علامة الجمع فيه جبر لما حذف من الواحد وان الاصل
في العدد الواحد وبحثه ههنا ان علامة الجمع فيه اضافته الى الجمع فقد تدافع طرفا
كلامه لان مبنى قوله على وضع الجمع موضع الواحد هو ان يكون الاصل الاضافة الى الواحد
وقرا الجمهور بتنوين مائة على انه عطف بيان وحمله على البدلية ضعيف لانه يلزم ان
لا يكون العدد مقصودا وازدادوا تسعا قيل انهم لبثوا ثلثمائة سنة شمسية بحسب
الايام والملحان الاخبار هنا للغرب ذكرت التسع اذ المفهوم عندهم من السنين القمرية
فهذه الزيادة هي ما بين الحسابين فهو بيان لما اجمل قبل وقيل انه حكاية كلام
اهل الكتاب فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عددهم فقال بعضهم ثلثمائة
وقال بعضهم ثلثمائة وتسع سنين ويعضده قراءة ابن مسعود رض وقالوا لبثوا
وقوله تعالى قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض ما غاب فيها وخفي من احوال
اهلها وانه هو وحده العالم به ابصر به واسمع امران معناهما انشاء التعجب والهاء
في به لله محله الرفع على الفاعلية عند سيبويه لان اصله عنده صار ذا بصر كاغد
البعير صار ذا غدة ثم نقل الى التعجب وغير الى صيغة الامر لانها انشاء والتعجب انشاء
فبرز الضمير لان ضمير الغايب لا يستتر في امر المخاطب وزيد الباء فيه لتاكيد التعجب
وخلوه عن الضمير لم يختلف صيغته بحسب اختلاف المخاطب افرادا وتثنية وجمعا وعند
الاخفش منصوب على المفعولية والفاعل ضمير المخاطب وهو كل احد والهمزة للتعدية
والباء مزيدة وعند بعضهم الهمزة للصيرورة والباء للتعدية والاتيان بصيغة التعجب
للدلالة على ان امره تع في الادراك خارج عما عليه ادراك السامعين والمبصرين اذ لا
يحجبه شيء ولا يتفاوت دونه لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفي وجلي ما لهم لاهل
السموات والارض من دونه من متول لامورهم ولا يشرك في حكمه في قضائه احدا

فيه رد على القاضي

فی قوله بالغداة والعشی وجوه الاول المراد کونهم مواظبین علی هذا العمل فی کل الاوقات کقول القائل لیس لفلان عمل بالغداة والعشی الا شتم الناس والثانی ان المراد صلاة الفجر والعصر والثالث المراد ان القراءة فی الوقت الذی ینتقل الانسان من النوم الی الیقظة وهذا الانتقال یشبه بالانتقال من الموت الی الحیوة والعشی هو الوقت الذی ینتقل الانسان فیه من الحیوة الی الموت ومن الیقظة الی النوم والانسان العاقل یکون فی هذین الوقتین کثیر الذکر لله عظیم الشکر لالاء الله ونعمائه
فی تفسیر الامام

منهم ولا یجعل له فیه مدخلا وقرئ بالتاء والجزم علی النهی واتل ما اوحی الیک من کتاب ربک من القران ولا تسمع لما یهذون به من طلب التبدیل لا مبدل لکلماته ای لا یقدر احد غیره علی تبدیلها ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجأ تعدل الیه ان هممت به واصبر نفسک واحبسها وثبتها مع الذین یدعون ربهم بالغداة والعشی یریدون وجهه قد مر تفسیره فی سورة الانعام ولا تعد عیناک عنهم ای لا تصرف عیناک النظر عنهم الی غیرهم من عدوته من الامر صرفته عنه وما یصرفه العین لیس الا النظر فحذف لظهوره قبل ولا تجاوزهم نظرک الی غیرهم وتعدیته بعن لتضمنه معنی نبا وفیه ان عدا بمعنی جاوز یتعدی بنفسه وبعن قال الجوهری عداه جاوزه ومالی عن فلان معدی ای لا تجاوز الی غیره ثم ان معنی الحرف اشد للمقام من معنی التجاوز وقرئ ولا تعد ولا تعد من اعداه وعداه ترید زینة الحیوة الدنیا حال من الکاف علی المشهور ومن الضمیر المستتر فی الفعل علی غیرها والعامل علی الاول ایضا الفعل لانه یعمل کما سبق فی قوله فاتبع ملة ابرهیم حنیفا ویجوز ان یکون حالا من الفاعل وتوحید الضمیر لانهما عضو واحد فی الحقیقة او لاتحاد الاحساس او للاکتفاء باحدهما عن الاخر واستشناع اسناد الارادة الی العین مندفع بانها کنایة عن ارادة صاحبها کما ان تستلذه العین والتمتع وانما المستلذ الشخص ولا تطع من اغفلنا قلبه من جعلنا قلبه غافلا عن ذکرنا وقرئ اغفلنا قلبه باسناد الفعل الی القلب علی معنی حسبنا قلبه غافلین عن ذکرنا ایاه بالمؤاخذة واتبع هواه قیل نزلت فی امیة بن خلف وذلک انه دعا النبی علیه السلام الی تبعید الفقراء عنه وتقریب صنادید قریش وکان امره فرطا ای مجاوزا فیه الحد ذکره الجوهری وقل الحق من ربکم الحق خبر مبتدأ محذوف ومن ربکم حال مؤکدة او خبر بعد خبر ای جاء الحق وزاحت العلل فلم یبق الا اختیارکم لانفسکم ما شئتم فمن شاء فلیؤمن ومن شاء فلیکفر لیس هذا بترخیص وتخییر بین الکفر وانما هو وعید وتهدید وجیء بلفظ الامر والتخییر لانهما لما مکن من اختیار ایهما شاء فکانه مخیر مامور بان یتخیر ما شاء من النجدین قیل هو لا یقتضی استقلال العبد بفعله فانه وان کانت بمشیة فمشیته لیست بمشیته وکانه زعم ان الامر بالایمان والکفر یکون امرا بخلقهما وایجادهما حتی قال ما قال والحق ان العبد مامور بالکسب فقط وماذا بعد الحق الا الضلال انا اعتدنا هیأنا للظالمین نارا احاط بهم سرادقها هو ما یمد فوق صحن الدار ذکره الجوهری فارسی معرب اصله سراطاق لا سراپرده کما توهم وما فی حدیث ابی سعید الخدری رضی الله عنه علی ما خرجه الترمذی وقال فیه حسن صحیح من قوله علیه السلام لسرادق النار

اربع جدر بعضد ما ذکرنا ویرد ما قیل انه الحجرة التی یکون حول الفسطاط وما قیل انه الحائط وان یستغیثوا من العطش یغاثوا بماء کالمهل ای یؤتوا بماء کالمهل وانما قال یغاثوا علی طریقة تحیة بینهم ضرب وجیع تهکما والمهل هو ماء غلیظ کدردی الزیت ذکره ابن عباس رض ویوافقه ما فی حدیث الترمذی عن النبی علیه السلام انه قال هو کعکر الزیت یشوی الوجوه من فرط حرارته اذا قدم لیشرب وهو صفة ثانیة لماء او حال منه لانه قد وصف فحسن مجیء الحال منه او من المهل او الضمیر فی الکاف بئس الشراب المخصوص بالذم محذوف تقدیره بئس الشراب هو ای الماء الذی یغاثون به وساءت النار مرتفقا متکأ واصله الاتکاء علی المرفق وهذا لمشاکلة قوله حسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ولا اتکاء الا ان یکون کنایة عدم النوم کما فی قوله نام الخلی وبت اللیل مرتفقا ان الذین آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضیع اجر من احسن عملا التنکیر للتقلیل اولئک لهم جنات عدن اقامة او هو وسط الجنان وانما جیء بلفظ الجمع لسعتها بحیث کان کل بقعة منها صالحة لان یکون جنة ویجوز ان یراد بالجنات سائر الجنان واضافتها الی عدن لانه معظمها والجملة خبر ان وما بینهما اعتراض او هو ایضا خبر علی قیام من احسن عملا والذین آمنوا وعملوا الصالحات ینتظمها معنی واحد واما التقلیل بان من احسن عملا علی الحقیقة لا یکون الا قلیلا الا علی الذین آمنوا وعملوا الصالحات فیاباه التعلیل المستفاد من التنکیر فی عملا او علی ان الضمیر مستغنی عنه بعموم من احسن عملا کما هو مستغنی عنه فی قولک نعم الرجل زید واما حذفه علی ان المعنی من احسن عملا منهم ففیه انه یوجب تنوع الذین آمنوا وعملوا الصالحات الی من احسن عملا والی من لم یحسنه ولا وجه له او الخبر هو اولئک کلام مستانف لبیان الاجر المبهم ویجوز ان یکون الثانی بدلا عن الاول فلا یحتاج الاول الی خبر کما فی قول الشاعر ان الخلیفة ان الله سربله سربال ملک به ترجی الخواتیم تجری من تحتها الانهار قد مر تفسیره فی سورة البقرة یحلون یجعل لهم حلیا بنی التحلیة للمفعول اشعارا بانهم یکرمون بذلک ولا یتعاطونه بانفسهم فیها من اساور من ذهب من الاولی للابتداء والثانیة للتبیین صفة لاساور وتنکیرها لابهام امرها فی الحسن ومن جمع اسورة والاسورة جمع سوار بالکسر وهو زینة تلبس فی الزند من الید وقال ابو عمرو واحد اساور الاسوار بالضم وهو بمعنی السوار لا جمع ویلبسون اسند فعل اللبس الیهم لان الانسان یتعاطی ذلک بنفسه خصوصا اذا کان ما یواری العورة وقد روی فی ذلک اثرا انها تزید فی ضوء البصر یا اخضرا

الانهار احسن الالوان واكثرها طراوة من سندس ما رق من الديباج و
استبرق ما غلظ منه معرب فارسية استبرك جمع بين النوعين للدلالة على
ان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين متكئين فيها على الارائك جمع اريكة وهي
السرير في الحجال خص الاتكاء لانه هيئة المتنعمين نعم الثواب الجنة ونعيمها وحسنت
الارائك مرتفقا متكأ واضرب لهم للكافرين والمؤمنين مثلا رجلين مفروضين
او موجودين جعلنا لاحدهما وهو الكافر جنتين بستانين من اعناب من كروم
والجملة بتمامها بيان التمثيل ولا محل له من الاعراب او صفة الرجلين وحففناهما
بنخل اي جعلنا النخل محيطا بهما وهذا مما يؤثره الدهاقين ان يجعلوها مؤزرة بالاشجار
المثمرة وجعلنا بينهما زرعا جعلها ارضا جامعة للاقوات والفواكه ووصف العمارة
بانها متواصلة ومتشابكة لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينهما مع الشكل الحسن
والترتيب الانيق كلتا الجنتين آتت اكلها ثمرها وافراد الضمير لافراد كلتا ولو قيل
آتتا على المعنى لجاز والاختيار هو الاول ولم تظلم منه اي لم تنقص من اكلها شيئا
يعهد في سائر البساتين وفجرنا خلالهما نهرا ليدوم شربهما فانه الاصل ويزيد
بهاؤهما وكان له ثمر اي انواع المال من ثمر ماله اذا كثره فقال لصاحبه والظاهر
منه انهما اخوين وهو يحاوره اي يراجعه في الكلام ويجاوبه من حار اذا
رجع انا اكثر منك مالا واعز نفرا اولادا دل على ذلك قول صاحبه ان ترن انا
اقل منك مالا وولدا والمراد الذكور لانهم ينفرون معه دون الاناث ودخل
جنته بصاحبه يريه ما فيها ويعجبه منها ويفاخره بما ملك من المال دونه وافراد
الجنة تجريدا للكلام لما يبقى له من الروض وصونا له عما يخيل اخرا والروض ههنا
بيان ما قاله عند دخوله جنته والتعرض لتعددها فضلة في ذلك وهذا كما تقول
اذا رايت لباسا طويلا على امراة قصيرة اللباس طويل واللابس قصير ولو قلت
واللابسة قصيرة جئت بما هو لكنة وفضول قول لان الكلام لم يقع في ذكورة اللابس
وانوثته انما وقع في غرض وراءهما وهو ظالم لنفسه بتعريضها لسخط الله تعالى بعجبه
وكفره وهو افحش الظلم قال ما اظن ان تبيد ان تهلك هذه الجنة ابدا وهذا
لاغتراره بانتظام احواله واطراح النظر في عواقب مآله وما اظن الساعة قائمة
كائنة ولئن رددت الى ربي اقسام منه لاعتقاده انه تعالى انما اولاه لاستيهاله
له واستحقاقه اياه لذاته انما يلقاه على انه ان رد الى ربه على سبيل الفرض لاجدن
خيرا منها من جنته وقرئ منهما اي من الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة لانها فانية وتلك
باقية وانتصابه على التمييز قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من

تراب اراد خلق اصله هو آدم عليه السلام او اصل مادته وذلك ان ماء الرجل يتولد
من اغذية حاصلة من تراب فنبهه اولا على ما تولد منه بالواسطة ثم على ما تولد منه
بالذات فقال ثم من نطفة فانها مادته القريبة ثم سواك رجلا جعلك انسانا ذكرا
بالغا مبلغ الرجال سويا قبل عدلك ويرده قوله تعالى فسواك فعدلك جعل كفره بالبعث
كفرا بالله تعالى لان منشأه الشك في قدرته تعالى ولذلك رتب الانكار على خلقه اياه
من تراب كانه يقول من اعترف بخلقه تعالى اياه من التراب لا ينكر اعادته منه لانها
اهون منه فالانكار للثاني لا يجامع الاعتراف بالاول لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي
احدا استدراك من قوله اكفرت لانه استفهام انكار وتوبيخ فهو في الحقيقة اخبار عن
كفره واصل لكنا لكن انا فحذفت الهمزة فتلاقت النونان فكان الادغام وقرئ
بالالف في الوصل لتعويضها من الهمزة او لاجراء الوصل مجرى الوقف وقرئ لكن انا
على الاصل وهو ضمير الشان وهو بالجملة الواقعة خبرا له خبر انا او ضمير الله والله
بدله وربي خبره والجملة خبر انا وقرئ لكن هو الله ربي ولكن انا لا اله الا الله
ربي ولولا اذ دخلت جنتك قلت وهلا قلت عند دخولها ما شاء الله ما موصولة
مرفوعة المحل على انه خبر مبتداء محذوف تقديره الامر ما شاء الله او مبتداء
خبره محذوف تقديره ما شاء الله كائن او شرطية منصوبة الموضع والجزاء
محذوف بمعنى اي شيء شاء الله كان اقرارا بانها وما فيها بمشية الله تعالى ان
شاء ابقاها وان شاء ابادها لا قوة الا بالله وقلت لا قوة الا بالله اعترافا
بالعجز على نفسك والقدرة لله تعالى وان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير امرها فبمعونته
واقداره ان ترن انا اقل منك مالا وولدا من رفع اقل جعله خبرا وجعل انا
مبتداء والجملة مفعولا ثانيا لترن ومن نصبه جعل انا فصلا او توكيدا للمفعول الاول
فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك في الدنيا او في الآخرة لايماني وهو جواب
الشرط ويرسل عليها على جنتك لكفرك حسبانا من السماء مرامي واحدها حسبانة قاله
الاخفش وابو عبيدة وقال ابن الاعرابي الصواعق فتصبح دل على اتيان الحسبان
بالليل صعيدا زلقا ارضا اصطلم جميع ما عليها من النبات كالراس ذا حلق لا يبقى
عليه شعر مصدر بمعنى المفعول من زلق راسه زلقا اذا حلقه او تصبح عطف
على يرسل على تنويع ما يرجى الى آفة سماوية وآفة ارضية ماؤها غورا اي
غائرا مصدر بمعنى الفاعل يقال غار الماء غورا اذا سفل في الارض فلن تستطيع
له للماء الغائر طلبا اي لن تقدر على طلبه لعدم بقاء الاثر منه واحيط بثمره الواو
فصيحة عاطفة على مقدر هو تحقق ظنه وثمره امواله واحاطة عبارة عن اهلاكه

بالكلية واصله من احاط به العدو فانه قوما احاط بهم العدو فقلما ينجو شخص ثم
استعمل في كل اهلاك فاصبح يقلب كفيه كناية عن الندم والتحسر فان النادم يقلب
كفيه ظهرا لبطن فكانه قيل فاصبح يندم على ما انفق فيها اي في عمارتها فهو متعلق بيقلب وكونه
ان يكون حالا اي متحسرا على ما انفق فيها وهي خاوية ساقطة على عروشها بان سقط
عروشها على الارض وسقطت الكروم فوقها ويقول عطف على يقلب او حال من ضميره يا
ليتني لم اشرك بربي احدا تذكر موعظة اخيه فعلم انه اتي من جهة شركه وطغيانه فتمنى
لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله تعالى امواله ويحتمل ان يكون توبة على الشرك وندما
على ما سبق منه ولم تكن بالتاء والياء له فئة قدم ما يتعلق باشتقاق فئة في آل
عمران لما افتتح بعزة نفره اخبر تعالى انه لم يكن له جماعة تجدونه نفعا وحمل ينصرونه
على المعنى دون اللفظ اي يقدرون على نصره بدفع الاهلاك او رد المهلك واما
الاتيان بمثله فليس من النصر لانه المعونة بالقهر والغلبة لا مطلق المعونة من دون
الله اي هو القادر وحده على ذلك وما كان منتصرا قادرا على الانتصار بنفسه
هنالك ذلك المقام وتلك الحال الولاية لله الحق النصرة له وحده لا يقدر عليها غيره
تقرير لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وقرئ بالكسر ومعناه السلطان
والملك لله تعالى لا يغلب ولا يمتنع عنه وفي مثل تلك الحالة الشديدة يتولى الله تعالى
ويومن به كل مضطر فيكون تنبيها على ان قوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا كان
عن اضطرار وجزع مما دهاه من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها ويجوز ان يكون
المعنى هنالك الولاية لله ينصر اولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم ويشفي صدورهم
من اعدائهم يعني انه نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن وصدق قوله فعسى ربي
الآية وقيل هنالك اشارة الى الآخرة اي في تلك الدار الولاية لله تعالى كقوله لمن الملك
اليوم ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا وقرئ الحق بالرفع والجر صفة للولاية
ولله وقرئ بالنصب على المصدر المؤكد وقرئ عقبا بالسكون وبالضم وقرئ عقبى
على فعلى وكلها بمعنى العاقبة واضرب لهم ومثل لهم هذه الاشياء على ضرب واحد اي
مثال واحد مثل الحيوة الدنيا صفتها الغريبة في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد
اقبالها واغترار الناس بها كماء هو كماء انزلناه من السماء فاختلط به اي بالماء و
الباء للسببية اي فالتف بسببه وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه ويجوز
ان يكون للتعدية اي يجمع في النبات صنف ذوي وذق وحق هذه الباء ان يدخل
في اقل المخلوطين وسلك هنا مسلك القلب للمبالغة في كثرة الماء فاصبح اي اتى
امر الله تعالى فاصبح على ما افصح عنه في سورة يونس والفاء فصيحة تكثيرها الاشعار

فانه قرين هذا الكلام يوهم انه انما اهلكت جنته بشؤم شركه وليس الامر كذلك لان انواع البلاء اكثر ما انما يقع للمؤمنين قال تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون وقال النبي صلى الله عليه وسلم خص البلاء بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل

بسرعة الزوال هشيما مكسورا من اليبس متفتتا تذروه الرياح تفرقه وقرئ تذريه
والتشبيه تمثيلي شبه الهيئة المنتزعة من احوال الدنيا بالهيئة المنتزعة من احوال النبات
الا ان ايلاء اداة التشبيه بالماء لا يخلو عن نوع اشعار بتشبيه الدنيا بالماء في ان قليله
يروي وكثيره يردي كما ورد في الخبر قال عليه السلام ذر الدنيا وخذ منها كالماء فان القليل
منها يكفي والكثير منها يطغي وكان الله على كل شيء من الانشاء والافناء مقتدرا قادرا المال
والبنون زينة الحيوة الدنيا لان في المال جمالا ونفعا وفي البنين قوة ودفعا والباقيات
الصالحات الاعمال الخيرات التي تبقى ثمرتها للانسان ابد الآباد من اي نوع كان من انواع
القول والعمل وقيل هي النيات والهمات لان بها تقبل العمل وترفع خير عند ربك من
المال والبنين ثوابا عائدة وخير املا اذ ينال بها صاحبها في الآخرة ما كان يأمل بها في
الدنيا ويوم اي اذكر يوم نسير الجبال من سيرت وقرئ تسير وتسير من سيرنا ونسير
من سارت اي تسير في الجو كما يسير السحاب كما قال في آية اخرى وهي تمر مر السحاب
وهذا بعد كونها كالعهن المنفوش ومن ذهب عليه انها تسير سير السحاب ذهب الى ان
يكون المعنى يذهب بها بان يجعل هباء منبثا فذهب عن صوب الصواب وترى الارض
بارزة ظاهرة ليس عليها ما يسترها من جبل ولا شجر ولا بنيان وقرئ ترى على بناء المفعول
وحشرناهم الحشر السوق من جهات مختلفة الى مكان واحد ومجيئه ماضيا بعد نسير وترى
لتحققه وقيل للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير والبروز ليعاينوا ويشاهدوا
ما وعد لهم كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك ولا حاجة فيه الى جعل الواو للحال باضمار بل
لا وجه له ويرده ما دل على ان ذلك قبل الحشر من الآيات كقوله تعالى فاذا نفخ في الصور
نفخة واحدة وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فلم نغادر منهم احدا بالنون
والياء يقال غادره اذا تركه ومنه الغدر لانه ترك الوفاء والغدير ما غادره السيل
وعرضوا على ربك شبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان ولا حاجة الى ما قيل
لا ليعرفهم بل ليامر فيهم اذ لا حاجة اليه اذ شبهت حاله تعالى بحال السلطان المعروض عليه
جنده صفا مفرد بمنزلة الجمع اي صفوفا لما ورد في الحديث الصحيح يجمع الله
الاولين والآخرين في صعيد واحد صفوفا ومن غفل عن هذا قال مصطفين لا يحجب احد احدا
لقد جئتمونا معمول لمحذوف تقديره وقلنا وهو حال ولا يجوز ان يكون عاملا في
يوم نسير لما عرفت انه قبل الحشر وهذا القول بعده كما خلقناكم نعت لمصدر محذوف
اي مجيئا مثل مجيء خلقكم اول مرة اي حفاة عراة غرلا كما ورد في الحديث وقيل عراة لا شيء
معكم من المال والولد لقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة بل
للاضراب بمعنى الانتقال من كلام ليس بمعنى الابطال زعمتم ان لن ان مخففة من الثقيلة

وفصل بينها وبين الفعل بحرف النفي كما فصل في قوله ان لن نجمع عظامه نجعل لكم موعدا مكان وعد او زمان وعد او وعدا كائنا وعدتم على السنة الانبياء عم من البعث والنشور ووضع الكتاب صحائف الاعمال في الميزان او ايدي العباد واحد اريد به الجمع لانه جنس فترى المجرمين مشفقين الاشفاق الخوف من وقوع المكروه مع تجويز ان لا يقع مما فيه من السيئات ويقولون الواو للحال يا ويلتنا هذه لفظ من وقع في شدة والويل الهلاك والنداء لمن بحضرتهم كانهم قالوا يا من بحضرتنا انظروا اهلكنا مال هذا الكتاب ما استفهامية مبتداء ولهذا في موضع الخبر تقديره اي شيء لهذا الكتاب تعجيب لشانه لا يغادر جملة حالية صغيرة سيئة صغيرة قدمها لانها ادخل في التعجيب ولا كبيرة يعني لا يترك شيئا من المعاصي الا احصاها الاحصاء هنا كناية عن الضبط والحفظ واسناده الى الكتاب مجاز ووجدوا ما عملوا من خير وشر حاضرا بوجوده في الخارج على ما دل عليه قوله تعالى يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم لا بوجوده في الكتابة لانه اعادة للمعنى السابق ولا يظلم ربك احدا باحضار ما لم يعملوا او لا يعدم احضار بعض ما عملوا واذ قلنا للملئكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس لما بين حال المغرور بالدنيا وكان السبب تسويل الشيطان ذكر مبدأهم اولا في حادثها ثم نفرهم عن الشيطان بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة كان من الجن استيناف للتعليل كانه قيل ماله لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه فخرج عن امر الله تعالى بترك السجود والفاء للتسبيب ومن قال هذا الكلام المعترض تعمد من الله تع لصيانة الملئكة عن وقوع شبهة في عصمتهم فقد سهى حيث اساء في عبارة التعمد افتتخذونه الهمزة للانكار والتعجب والفاء للعطف على مقدر تقديره اتعلمون انه عدو الله تعالى وعدو ابيكم فتتخذونه وذريته اولياء من دوني تستبدلونهم بي قال الشعبي سالني رجل فقال هل لابليس زوجة فقلت ان ذلك عرس لم اشهده ثم ذكرت قوله افتتخذونه وذريته فعلمت انه لا يكون ذرية الا من زوج فقلت نعم وهم لكم عدو لم يقل اعداء في مقابلة اولياء ابناء عن اتحادهم في امر العداوة وشدة اتفاقهم على ذلك بئس للظالمين بدلا من الله تعالى ابليس وذريته ما اشهدتهم وقرئ ما اشهدناهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم اي ولا اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله ولا تقتلوا انفسكم نفي احضار ابليس وذريته خلق السموات والارض واحضار بعضهم خلق بعض توطئة لنفي الاعتضاد الذي ذكره بقوله وما كنت متخذ المضلين يعني ما كنت متخذهم

عضدا اي اعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم بالاضلال واستبعادا للاعتضاد بهم فاذا لم يكونوا عضدا لي في الخلق فما لكم تتخذونه شركاء في العبادة وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك اي لم استعن بهم وبآرائهم وما وقفتهم على اسرار ملكي فلا فضيلة لهم دون غيرهم حتى لو امنوا تبعهم الناس كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم طمعا لنصرتهم في الدين فانه لا ينبغي لي ان اعتضد بالمضلين لديني ويعضده قراءة وما كنت على خطاب الرسول عم ويجوز ان يقال فيه رد لارباب التنجيم واصحاب الهيئة والمتبحرين في علم الطب وقرئ متخذا المضلين على الاصل عضدا بالاتباع وعضدا كخدم جمع عاضد من عضده اذا قواه والاصل فيه عضد اليد ثم وضع موضع العون والتقوية لان اليد قوامها العضد وانما اوقع الواحد موقع الجمع لانه في سياق النفي ابلغ ويوم يقول اي للكفار وقرئ بالنون وانما لم يقل شركائي بناء على هذه القراءة لان المقام مقام اظهار التوحيد نادوا شركائي في عبادتكم الذين زعمتم انهم شفعاؤكم ليمنعوكم من عذابي فدعوهم فنادوهم للاعانة فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم وجعلنا بينهم بين الداعين والمدعوين موبقا حاجزا لقوله فزيلنا بينهم قال ابن الاعرابي كل شيء حاجز بين شيئين فهو موبق او جعلنا تواصلهم في الدنيا مهلكا في الاخرة قاله الفراء يقال وبق يبق وبوقا اذا هلك والموبق اسم مكان او مصدر ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها راوها من مكان بعيد فظنوا انهم تاخذهم في الحال وفي الخبر ان الكافر ليرى جهنم ويظن انها مواقعته من مسيرة اربعين سنة والمواقعة ملابسة الشيء بشدة ومنه وقائع الحروب ولم يجدوا عنها مصرفا انصرافا او مكانا ينصرفون اليه ولقد صرفنا في هذا القران للناس من كل مثل من كل نوع من انواع المعاني الغريبة وتصريفه تنقيله في وجوه البيان على تمكين الافهام وكان الانسان اكثر شيء جدلا اكثر الاشياء التي يتاتى منها الجدال والجدل شدة الفتل عن المذهب بطريق الحجاج ولا يلزم ان يكون بالباطل ولذلك احتيج الى التقييد به في قوله ويجادل الذين كفروا بالباطل وانتصابه على التمييز وما منع الناس ان يؤمنوا من الايمان اذ جاءهم الهدى الرسول او القران ويستغفروا ربهم ومن الاستغفار عن الذنوب الا تقدير وطلب ان تاتيهم سنة الاولين وهو الاستيصال فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او ياتيهم العذاب عذاب الاخرة قبلا بكسر القاف وفتح الباء عيانا وقرئ بضمها وهو لغة فيه او جمع قبيل بمعنى ضروب وقرئ بفتحتين وهو ايضا لغة وانتصابه على الحال من احد المفعولين وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين بالثواب

والعقاب للمطيعين والعاصين ويجادل الذين كفروا بالباطل باقتراح الايات
بعد ظهور المعجزات وانكار كون البشر رسولا من الله تعالى ليدحضوا به ليزيلوا بالجدل
الحق عن مقره ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها واتخذوا اياتي يعني القران
وما انذروا والذي انذروه من العقاب او انذارهم هزوا استهزاء وقرئ
بالسكون وهو ما يستهزئ به ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه بالقران فاعرض عنها فلم
يتذكر حين ذكر ولم يتدبر ونسي عاقبة ما قدمت يداه اي لم يتذكر ما يترتب على
ما فعل من العذاب والتعبير عن عدم التذكر بالنسيان للمبالغة وانما حسن التجوز عن
الجملة باليدين لان المسند مما يكسب وبهما اقوى البتة انا جعلنا مرتبط بقوله ويجادل الذين
كفروا على انه تعليل لاصرارهم على ما كانوا عليه وما بينهما من قوله ومن اظلم جملة معترضة
في تقبيح حالهم على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا قدم تفسيره في سورة
بني اسرائيل وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا فلا يكون منهم اهتداء البتة لشدة
تصميمهم اذا ابدا مدة التكليف كلها واذا جزاء وجواب للرسول عم على تقدير قوله
ما لي لا ادعوهم فان حرصهم صم عليه السلام على اسلامهم يدل عليه وربك الغفور
البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة ثم استشهد على ذلك بامهال اهل
مكة مع افراطهم في عداوة رسول الله عليه السلام بقوله لو يؤاخذهم بما كسبوا
لعجل لهم العذاب في الدنيا بل لهم موعد وهو يوم بدر او يوم القيمة لن يجدوا
من دونه موئلا منجا ولا ملجا يقال وال اذا نجا ووال اليه اذا التجاء اليه وتلك القرى
يريد قرى الاولين من ثمود وعاد وقوم لوط واضرابهم اشار لهم اليها ليعتبروا
وتلك مبتداء والقرى صفة او عطف بيان والخبر اهلكناهم ويجوز ان يكون القرى
الخبر واهلكناهم جملة حالية كقوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية وان يكون تلك القرى
نصبا باضمار اهلكنا هم جملة على شريطة التفسير والقرى مجاز عن اهلها وذلك خبر
من تقدير المضاف ولا بد من احدهما ليكون مرجع الضماير لما ظلموا مثل ظلم اهل مكة
وفيه اشعار بعلة الاهلاك تحذيرا منها وبهذا استدل ابن عصفور على حرفية لما
وانها ليست بمعنى حين لان الظرف لا دلالة فيه على العلة وانما ترك مفعول ظلموا تنزيلا
له منزلة اللازم ليذهب لوهمهم كل مذهب وجعلنا وضربنا لمهلكهم بضم الميم وفتح
اللام الاهلاك موعدا وقتا معلوما لا يتاخرون عنه كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر وقرئ
بفتح الميم واللام مفتوحة او مكسورة لهلاكهم واذ قال موسى مقدر باذكر لفتاه
وهو يوشع بن نون بن اخت موسى عليهما السلام وانما قيل فتاه لانه كان يخدمه
ويتبعه وقيل كان ياخذ منه العلم والعرب يسمي التلميذ فتى وان كان شيخا لا ابرح لا ازال

اسير وحذف الخبر لدلالة حاله وهو السفر وقوله حتى ابلغ مجمع البحرين من حيث انها
غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له ويجوز ان يكون الخبر حتى ابلغ على ان يكون اصل
الكلام لا يبرح مسيري فينقلب الضمير والفعل كحذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
وان يكون المعنى لا ابرح ما انا عليه يعني الزم المسير والطلب ولا اتركه ولا افارقه
حتى ابلغ كما تقول لا ابرح المكان فلا يستدعي الخبر ومجمع البحرين ملتقاهما وهما الكر
والرس بارمنية قاله السدي وقيل بحرا فارس والروم ويرد عليهما انهما لا يلتقيان
ولا يقرب احدهما من الاخر وفي التيسير كان البحر الذي يعملون فيه اصحاب السفينة
ما بين بحر فارس الى بحر الروم واذ لا اتصال بينهما فلا صحة لهذا الكلام ايضا ولعل فارس
محرف من فارس وهي بالمغرب حاضرة البحر من اجل المدين والقديمة ويعضده ما قاله
محمد بن كعب ان مجمع البحرين عند طنجه وما قاله ابي بن كعب انه بافريقيه وقوله حضر لموسى عم
حين سلم عليه واني بارضك السلام يدل على ان ملاقاتهما لم يكن بحر فارس والروم
لان تلك الارض ارض بني اسرائيل وما يقرب منها وهي منشاء السلام ومعدن الاسلام
وقرئ مجمع بكسر الميم قال الجوهري الموضع مجمع ومجمع كمطلع ومطلع او امضي حقبا
والحقب الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل تسعون اي اسير زمانا طويلا والمعنى حتى
يقع بلوغ المجمع او مضي الحقب روي في الصحيحين ان موسى عليه السلام قام خطيبا في
بني اسرائيل فسئل اي الناس اعلم فقال انا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه فاوحى الله اليه
ان لي عبدا بمجمع البحرين هو اعلم منك فقال موسى عليه السلام يا رب وكيف لي به قال
تاخذ معك حوتا فتجعله في مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثمه فاخذ حوتا فجعله في مكتل
ثم انطلق وانطلق معه بفتاه يوشع بن نون حتى اذا اتيا الصخرة وضعا رؤسهما
فناما واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر قيل اضطراب الحوت كان
بعد ما استيقظ يوشع عليه السلام وتوضاء من عين الحيوة فانتضح الماء عليه فعاش
ووثب في الماء فلما بلغا مجمع بينهما اي مجمع بينهما البحرين وبين ظرف اضيف اليه
على الاتساع نسيا حوتهما نسيا تفقد امره وما يكون منه على الظفر بالمطلوب ولا وجه
لما قيل نسي موسى عليه السلام ان يطلبه ويتعرف حاله ويوشع عليه السلام ان يذكر
له ما راى من حيوته ووقوعه في البحر لان هذا النسيان منه قبل ذلك على ما دل عليه
قوله فاتخذ سبيله في البحر الفاء فصيحة تفصح عن مقدر يدل على حيوة متبعة الموت
وسقوطه في البحر على ما نقل فيما سبق سربا اي جعل سبيله في البحر كالسرب وهو
النفق الذي يدخل فيه فيسلك منه الى موضع وفي الحديث الماء ذكره وامسك الله عن
الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق واما السارب في قوله تعالى وسارب بالنهار

ردّ على القاضي
فكمه مردود
لانه مشي عليه كثير من المفسرين
كمولانا ابي السعود وصاحب التيسير

ومن كتب بتيسير الى الفتوح

النفق سرب ذا الدخول
من مكان الى آخر

بمعزل لانه بمعنى الظاهر صرح به الجوهري ويدل عليه مقابلته بقوله مستخف بالليل ونصبه
على المفعول الثاني وفي البحر حال منه او من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ فلما جاوزا مجمع
البحرين وفي الحديث المذكور فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كان من الغد قال
موسى لفتاه آتنا غداءنا ما نتغدى به لقد لقينا من سفرنا هذا قيل لم ينصب موسى
عليه السلام في سفر غيره ويؤيده التقييد بقوله هذا وفي الحديث المذكور انه عليه السلام
لم ينصب حتى جاوز الموعد نصبا تعبا وعناء قيل عني به هنا الجوع ولا يخفى ان الفصل
والتعقيب انما يناسبان الاول ووجه الارتباط بين الكلامين ان المقصود للتغدي هو
التمتع بالاستراحة فكانه قال آتنا غداءنا حتى نتغدى نستريح زمانا قال له فتاه
أرأيت اعلمت ما دهاني اذ اوينا الى الصخرة اي اقمنا عندها فاني نسيت الحوت يعني
امر ذكره في معرض الاعتذار عما جرى في الحوت من المعاهدة وذلك على ما ذكر في
صحيح البخاري ان موسى عليه السلام قال له لا اكلفك الا ان تخبرني بحيث يفارقك
الحوت فقال ما كلفت كثيرا وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره بدل من الضمير اي
ما انساني ذكره الا الشيطان وفي مصحف عبد الله وما انسانيه ان اذكره الا الشيطان
اي وسوسته وشغلني بغيره حتى نسيت والحال وان كانت لغرابتها احق من ذلك الا
انه لما اعتاد بمشاهدة امثالها عند موسى عليه السلام وألفها قل اهتمامه بها فهو اعتذار عن
نسيانه واتخذ سبيله في البحر عجبا اتخاذا عجبا والمفعول الثاني الظرف وانما كان عجبا
لخروجه من المكتل وحياته بعد كونه مشويا او مأكولا بعضه منه وامساك جرية الماء عليه
وقيل سبيلا عجبا وفيه ان الكثير يلتبس بحال السبيل وايضا لو كان المعنى ذلك لقيل
واتخذ في البحر سبيلا عجبا وهو من كلام يوشع عليه السلام وقيل قال موسى عليه السلام في
جوابه عجبا اي تعجبا وقيل الفعل لموسى عليه السلام اي اتخذ موسى عليه السلام سبيل
الحوت في البحر ويرده ما تأخر قال عنه قال ذلك لاشارة الى فقد الحوت لما مر في
الحديث انه قيل له فحيثما فقدت الحوت فهو ثمة ما كنا نبغ نقدره بنفيه اي نطلبه
لانه امارة المطلوب فارتدا على آثارهما اي على طريقهما الذي جاءا منه قصصا اتباعا
لذلك الاثر فانتصب على المصدرية باضمار يقصان على ما افصح عنه النبي عليه السلام
في الحديث المار ذكره حيث قال في تفسيره فرجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا الى الصخرة
فاذا رجل مسجى ثوبا فسلم عليه موسى عليه السلام فقال الخضر واني بارضك السلام فقال
انا موسى قال موسى بني اسرائيل قال نعم قال انيتك لتعلمني مما علمت رشدا فوجدا
عبدا من عبادنا هذه اضافة تشريف واختصاص وهو الخضر اسمه بليا شهد بذلك
الحديث المشهور المذكور واتفق عليه الجمهور وروى الترمذي عن ابي هريرة رض

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما سمي الخضر خضرا لانه جلس على فروة بيضاء
فاهتزت تحته خضراء والفروة هنا وجه الارض قاله الخطابي آتيناه رحمة من عندنا الرحمة
هنا الوحي والنبوة كما في قوله اهم يقسمون رحمة ربك وعلمناه من لدنا مما يختص بنا
ولا يعلم الا بتوقيفنا وقد مر ما يتعلق بلدن في آل عمران علما هو علم الغيوب قال له موسى
هل اتبعك على ان تعلمن على هذه المصاحبة بداء بالاستفهام والاستئذان ووصف نفسه
بالاتباع ومدحه بالعلم واظهر الرغبة فيما عنده من العلم وهذا غاية التواضع من موسى
عليه السلام وتعليم لمن طلب العلم من غيره ولا يناسبه تقدير الشرط على ان يكون المعنى على
شرط ان تعلمني مما علمت رشدا علما ذا رشد وهو اصابة الخير وقرئ بفتحتين وهما لغتان
كالبخل والبخل وهو مفعول تعلمني او مصدر في موضع الحال وذو الحال الضمير في اتبعك او
مفعول لعلمت العائد المحذوف وكلاهما منقولان من علم الذي له مفعول واحد ويجوز ان
يكون علة لاتبعك وكون موسى عليه السلام صاحب شريعة لا ينافي ان يتعلم من غيره ما لا تعلق له
في شريعته قال انك لن تستطيع معي صبرا اراد نفي الصبر معه الا انه بالغ فيه حيث نفى الاستطاعة
على ابلغ وجه واكده كانه لا يصح ولا يستقيم دل على ذلك قوله وكيف تصبر والصبر في الاصل
مرارة حبس النفس ومنعه عما تنازع اليه على ما لم تحط به خبرا اي ان صبرك على ما لا خبرة
لك به مستبعد وهذا كالتعليل للنفي السابق وتجنيه بالواو وشايع وفيه تدارك لما عسى
ان يتوهم انه نسب اليه عليه السلام عدم التثبت قبل فبه ابداء له حيث لا يمكنه الصبر
لما يرى من المنكرات لان الانبياء عليهم السلام لا يجوز لهم السكوت عند ذلك وفيه
ان ما اتى به ليس بمنكر شرعا ولا عقلا وايضا قد عرفت ان المنفي نفس الصبر معه لا استطاعته
وخبرا تمييز او مصدر على غير الصدر لان لم تحط بمعنى لم تخبره والخبير بالامور هو
العالم بخفاياها وما يختبر منها قال ستجدني ان شاء الله صابرا معك مع غير منكر عليك
وتعليق الوعد بالمشية للاستثناء ولا بد منه صونا للوعد من الخلف فانه لا يجوز خصوصا
في حق الانبياء عليهم السلام ولا اعصي لك امرا عطف على صابرا اي صابرا وغير عاص
كقوله صافات ويقبضن اي وقابضات او على ستجدني فلا محل له من الاعراب وفيه
انه ح لا يكون مقيدا بالمشية ولا بد منه كيلا يلزم الخلف المذموم حيث وعد ان لا يعصي
له في امر وقد اخل بترك السؤال ولم يعط فيه وانما قلنا لا محل له من الاعراب مع انه مقول
القول على هذا الوجه لانه لا تأثير للعامل في المعنى وانما تأثيره حينئذ في مجرد اللفظ والجملة
هناك ليست واقعة موقع المفرد ليكتسي حكمه محلا وهذا تواضع آخر من موسى عليه السلام
تخضع من كان الخضر عليه السلام ثم حكم عليه بوجه آخر على ما افصح عنه قوله قال فان اتبعتني
فلا تسألني وقرئ بالنون الثقيلة عن شيء انكرته مني ولم تعلم وجه صحته حتى احدث

لك منه ذكرا حتى ابتدئك ببيانه وهذا من الخضر عليه السلام تعليم وارشاد ولو صبر
ودأب لرأى العجب لكنه اكثر من الاعتراض فتحقق الفراق والاعراض فانطلقا اى انطلق
موسى والخضر عليهما السلام واما يوشع عليه السلام فقد صرفه موسى عليه السلام ورده
الى بنى اسرائيل وفى الحديث السابق ذكره فانطلقا يمشيان على ساحل البحر وفى الحديث
المذكور فمرت سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوا بغير نول حتى اذا ركبا
فى السفينة ركب متعد وانما يقال فى السفينة اظهارا لما فى ركوبها فاقتة من بين الراكب منه
معنى الدخول خرقها قال عليه السلام فى الحديث المذكور فلما ركبا فى السفينة لم يفجأ الا والخضر
قد قلع لوحا من الواح السفينة بالقدوم قال ابو العالية لم ير الخضر حين خرق السفينة
غير موسى عليه السلام وكان عبدا لا يراه الا من اراد الله تعالى ان يريه ولو رآه القوم
حينئذ لمنعوه من خرق السفينة قال اخرقتها لتغرق اهلها اى فعلت ذلك وغرضك اغراق
اهلها وقرئ بالتشديد للتكثير وقرئ بالياء ورفع اهلها اى فعلته كى يغرق اهلها
وقيل ربما لام العاقبة والاول اولى فى مقام الانكار لقد جئت شيئا امرا منكرا ماخوذ
من الامر لانه الفاسد الذى يحتاج ان يؤمر بتركه ومنه امر القوم اذا كثروا اى احتاجوا
الى من يامرهم وينهاهم ومنه الامر الامور اى الشئ الذى من شأنه ان يؤمر فيه و
لهذا لم يكن شئ كل شئ امرا ومن هنا ظهر وجه ايثار شيئا على امرا مع ما فيه من صنعة
الجناس ولو كان الامر هنا بمعنى العظيم كما قيل لروعى حسن التناسب لفظا وقيل
امرا اى العدم المانع من جهة المعنى حينئذ قال الم اقل انك لن تستطيع معى صبرا ظاهره
تذكير للقول السابق وباطنه تقرير لصعوبة الصبر معه واشارة الى منكرا ذكبه موسى
عليه السلام وهو عدم محافظة الوعد فكانه قصدا لمعارضة بالمثل ولهذا اضمن كلام
الاعتذار عن ذلك على ما افصح عنه قوله تعالى قال لا تؤاخذنى بما نسيت اى بسبب
نسيانى والمؤاخذة على ترك الحفظ لا على النسيان لانه غير مقدور ولذلك لم يقل
على ما نسيت فكانه قال ما صدر عنى ما صدر الا بسبب امر غير مقدور ولذلك
وصيغة النهى كغيرها قد تجئ للالتماس وهو المناسب للمقام ولا ترهقنى الارهاق
ادراك الشئ بما يغشاه ومنه غلام مراهق اذا قارب ان يغشاه حال البلوغ من
امرى هو اتباعى اياك عسرا اى ولا تغشنى عسرا من امرى يعنى ولا تعسر على متابعتك بالمؤاخذة
على ما صدر بسبب النسيان ويسرها على بالاغضاء وعسرا مفعول ثان لترهق وقرئ
بضمتين فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما وفى الحديث السابق ذكره ثم خرجا من السفينة
فبينما هما يمشيان على الساحل اذ ابصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فاخذ الخضر برأسه بيده
فاقتلعه فقتله ما قيل كان قتله بقتل عنقه وما قيل بضرب رأسه بالحائط مردود بنص

الحديث الصحيح وكذا ما قيل اضجعه فذبحه والفاء ههنا للدلالة على عدم تراخى القتل
عن لقاء الغلام بخلاف خرق السفينة فانه لم يتعقب الركوب كذلك فلم يذكر الفاء ثمه و
لما كان القتل قتل معصوم حقيقة او ظاهرا على اختلاف لم يتمالك فى صبره ان يعترض و لا
دخل فى ذلك لدلالة الفاء على عدم التردى والاستكشاف قال اقتلت نفسا زكية وقرئ
زاكية قال الكسائى هما لغتان مثل قاسية وقسية وقال ابو عمرو الزاكية التى لم تذنب قط
والزكية التى اذنبت وتابت ولذلك اختار الاول وهذا على ما قاله الجمهور انه كان صغيرا
غير بالغ وقال الحسن والكلبى كان بالغا يقطع الطريق ويعضده بغير نفس اى من غير ان
قتلت نفسا يفهم منه انه لو كان من قتل نفس لم يكن به بأس والظاهر منه كبر الغلام
لان الصغير لا يقاد ولا تنبيه فيه على ان القتل لا يباح الا حدا او قصاصا كيف ولا صحة
للحصر على ما نبهت عليه فى تفسير سورة الانعام لقد جئت شيئا نكرا منكرا وقرئ بضمتين اختلفوا
اى ابلغ امرا ونكرا فقيل القتل هذا واقع وهناك مترقب فنكرا ابلغ وقيل هذا اهلاك واحد
وقيل هذا اهلاك واحد وذاك اهلاك جماعة فامرا ابلغ وقال ابن عطية وعندى ان امرا
افظع واهول من حيث هو متوقع عظيم ونكرا ابين فى الفساد لان مكروهه قد وقع ومن غفل
عن هذا قال ولعل تغيير النظم بان جعل خرقها جزاء واعتراض موسى عليه السلام مستانفا
وفى الثانية جعل قتله من جملة الشرط واعتراضه جزاء لان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل
فكان جديرا بان يجعل عمدة الكلام فالوجه فى التغيير ما قد عرفته من ان تعقيب القتل للقاء
دون الخرق للركوب اقتضى ذلك قال الم اقل لك انك لن تستطيع معى صبرا فى زيادة لك
مكافحة بالعتاب زجر واغلاظ ليس فى الاول لان مقاولة الشاوى ثانية بعد التقدم الى
ترك السؤال والاعتذار بالنسيان افظع واقطع فى مخالفة ما كان اخذ على نفسه من الصبر
وعدم العصيان قال ان سألتك عن شئ بعدها بعد هذه المرة وهذه المسئلة فلا تصاحبنى
وان طلبت صحبتك وقرئ فلا تصحبنى قال الكسائى معناه فلا تتركنى اصحبك قد بلغت
من لدنى عذرا اى بلغت من قبلى مبلغا تعذر به فى ترك مصاحبتى وعن رسول الله
عليه السلام رحم الله اخى موسى استحيى فقال ذلك ولو لبث مع صاحبه لابصر اعجب
الاعاجيب وقرئ لدنى بتخفيف النون وضم الدال وبالتخفيف والسكون وفتح اللام
وبضم اللام وسكون الدال وقرئ عذرا بضمتين فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية جزيرة
اندلس روى ذلك على ابى هريرة رض وقيل الجزيرة الخضراء وقيل انها برقة واما ما قيل
انها انطاكية وما قيل انها الابلة فمبنيان على ان يكون احد البحرين بحر فارس وقد عرفت
ما فيه وقيل انها ماجروان ارمينية وذلك على ما قيل ان البحرين نهرا الكر والرس استطعما
الاستطعام سؤال الطعام والمراد ههنا بقرينة اخر الكلام سؤال الضيافة والقرينة اهلها

كرر ذكر الاهل تفظيعا لهم ولان المراد من الاهل في الاول البعض كما هو المتبادر المعتاد
والمراد منه في الثاني الكل فكان المناسب اعادته باسم الظاهر لان الظاهر من الضمير عوده
على ما ذكر اولا بعينه وعن النبي صلى الله عليه وسلم فطافا في المجالس فاستطعما اهلها
فابوا ان يضيفوهما يقال ضافه اذا كان له ضيفا واضافه وضيفه انزله وجعله
ضيفه هذا حقيقة الكلام ثم شاع الضيافة كناية عن القرى والاطعام وبهذا المعنى
مقتضى المقام فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض الانقضاض السقوط بسرعة وانقض
انفعل مطاوع قضضته وقيل افعل من النقض كاحمر من الحمرة وقرئ ان ينقض و
ان ينقاص بالصاد المهملة من انقاصت السن اذا انشقت طولا والارادة مستعارة
للمشارفة كالهم والعزم فاقامه ذكر في الحديث المار ذكره انه قال بيده اي اشار
اليه بها فاقامه وهو لا يشبه بسا برافعاله قال لو شئت لاتخذت افتعل من تخذ
كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرئ لتخذت اي لاخذت واختلفوا
في اظهار الدال وادغامها عليه اجرا كانت الحال حال اضطرار وافتقار الى المطعم
وقد لزمتهما الحاجة الى كسب المرء وهو المسئلة فلم يجدوا مواسيا فلما اقام الجدار لم يتمالك
موسى عليه السلام لما راى من الحرمان ومساس الحاجة ان قال ذلك وما قدرناه يتعين
وجه تقديم بيان استطعامهما عن اهل القرية واباءهم عن التضييف قال هذا
فراق بيني وبينك اي هذا السؤال الاخير سبب فراقنا بحكم ما شرطت على نفسك
واضافة الفراق الى البين اضافة المصدر الى الظرف على الاتساع وقرئ على الاصل
وتكريره بالاضافة الى احد مميز به والى الاخر اخرى مع كفاية بيننا لمعنى التاكيد قال
سيبويه وقال ابن عباس رض كان موسى عم في السفينة والغلام لله تعالى فلم
يكن سببا للفراق وكان قوله في الجدار لنفسه في طلب شيء من الدنيا فكان سببا له سانبئك
بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا ساخبرك بما في باطن ما لم تقدر ان تصبر عليه لكونه
منكرا وغير مناسب للحال بحسب الظاهر والسين للتاكيد اما السفينة فكانت لمساكين
لقوم ضعفاء لعارضتهم البدنية كالزمانة والعمى والخرس او لعجزهم عن دفع الظلم
وهذا كما تقول لرجل غني وقع في وحلة او خطب مسكين مرحمة لحاله وشفقة عليه ولا
دلالة فيه على ان المسكين يطلق على من يملك مالا اذا لم يكفه يعملون في البحر قدم ما يتعلق
بتعيين البحر فاردت ان اعيبها اجعلها ذات عيب تفريع على كون السفينة للمساكين
وقوله وكان وراءهم كالتعليل للتفريع ومجيئه بالواو كثير في القران منها قوله تع
وكان الانسان كفورا فعلى هذا نظم الكلام في غاية الحسن ومن لم يتنبه له تكلف في
توجيهه وكان وراءهم امامهم وقد قرئ به او خلفهم وكان رجوعهم اليه ملك

ياخذ كل سفينة صحيحة صالحة وقد قرئ بكل منهما غصبا من صاحبها واما الغلام
فكان ابواه فيه تغليب مؤمنين فخشينا ان يرهقهما ان يغشيهما طغيانا عليهما وكفرا
لنعمتهما بعقوقه ويلحق بهما شرا او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد
مؤمنان وطاغ او يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه ويطغيا ويكفرا
بعد الايمان او بما لانه اياهما على طغيانه وكفره حبا وانما خشي ذلك لان الله تعالى
اعلمه وقرئ فخاف ربك اي اكره كراهة من خاف سوء عاقبته قيل ويجوز ان يكون
قوله فخشينا حكاية قوله تعالى ولايه فاردنا ان يبدلهما ربهما ان يرزقهما بدله ولدا
خيرا منه زكوة طهارة من الذنوب والاخلاق الردية واقرب رحما الرحم والرحمة
مصدران كالكثر والكثرة اي رحمة وعطفا على والديه وقرئ رحما بالتخفيف و
انتصابه على التمييز وافعل هنا ليس للتفضيل لان ذلك الغلام الكافر لا زكوة فيه
والمناسب للمقام ان لا يكون فيه رحما ايضا على ان التفضيل بين التمييزين بحمل احدهما
على التفضيل دون الاخر لا يخلو عن نوع خلل في حسن النظم واما الجدار فكان لغلامين
يتيمين في المدينة هي القرية المذكورة قبلها وكان تحته كنز لهما هو كل مال مدفون
من ذهب وفضة وروي مرفوعا انه كان ذهبا وفضة وعن قتادة احل الكنز
لمن قبلنا وحرمت الغنيمة ولا دلالة فيه على انه كان للاب الصالح حتى يحتاج الى الاعتذار
بان الكنز المذموم ما لا يؤدى زكوته وكان ابوهما صالحا اعتناء بصلاح ابيهما و
حفظ لحقه فيهما قيل كان بينهما وبين الاب الصالح سبعة اباء فاراد ربك ان يبلغا
اشدهما قوتهما قال الجوهري هو ما بين ثماني عشرة الى ثلثين والمراد الادراك الى
قوة الراي لا الى الحلم ويستخرجا كنزهما يعني اراد الله تعالى بقاء ذلك المال مدفونا محفوظا
عن ايدي المتغلب الى زمان بلوغهما مبلغ الرجال الكاملين في الراي القادرين على
استخراج الكنز سالما عن تعدي الغير فان الصبيان والرجال العاجزين عن التدبير
لا يقدرون على ذلك اسند الارادة اولا الى نفسه لانه المباشر للتعييب وثانيا الى نفسه
والى الله تعالى لان التبديل لمباشرته اهلاك الغلام وخلق الله تعالى البدل وثالثا الى
الله تعالى وحده لانه لا مدخل له اصلا في بلوغ الغلامين اشدهما ولان الاول
شر والثاني ممتزج والثالث خير ولك ان تقول في اضافة الفعل الى نفسه على صيغة
الانفراد نوع قصور في مراعاة ادب الكلام فلا يلتزم الا لعلة وهي موجودة في الاول
ومفقودة في الثاني ولا مجال للاضافة الى نفسه في الثالث وتلك العلة صون جناب الحق
ان يعزى اليه ما هو شر ظاهر رحمة من ربك نعمة منه وهي المال لما حصل بالسهولة الواصل
الى صاحبه بلا كلفة الكسب وانتصابه على المفعول له وقيل مفعول له على ان الرحمة بمعناها

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى ليصلح بصلاح الرجل اهله وولده واهل ذريته واهل الدويرات حوله
تفسير ابي الليث سمرقندي

التابع او مصدر منصوب بادة ربك فلا يلايمه قوله وما فعلته اى ما فعلت
ما رايته عن امرى عن رأيى انما فعلته بامر الله تعالى ذلك تاويل ما لم تسطع عليه
اصله تستطع فحذفت التاء تخفيفا ويسألونك اليهود امتحانا او مشركوا مكة عن ذى
القرنين هو اسكندر الملك اليونانى المقدونى وتلقيبه بذى القرنين لما روى عنه مرفوعا
انه ملك قرنى الدنيا غربى وشرقى قال الشاعر وهو التبع الحميرى اليمانى قد كان
ذو القرنين جدى مسلما ملكا تدين له الملوك وتسجد بلغ المشارق والمغارب يبتغى
اسباب امر من حكيم مرشد وما قيل انه اسكندر الرومى ملك فارس والروم
مردود بانه تلميذ ارسطو وعلى مذهبه مذهب الفلاسفة وذو القرنين هذا لا شبهة
فى اسلامه وولايته انما الخلاف فى نبوته قال القرطبى والظاهر من علم الاخبار
ان اسكندر اثنان احدهما كان على عهد ابرهيم عليه السلام وهو الذى قضى
له حين تحاكموا اليه فى بئر السبع بالشام والآخر كان قريبا من عهد عيسى عم
قل فى جوابهم سأتلو عليكم منه من ذى القرنين ذكرا خبرا انا مكنا له فى الارض
اى اعطيناه التمكين فيها وزيادة اللام للاختصاص وآتيناه من كل شىء من
مهمات الملك سببا اصل الحبل ثم توسع فيه حتى صار يطلق على ما يتوصل به الى
الى الغرض فاتبع سببا الفاء فصيحة تقدير الكلام اراد بلوغ مغرب الشمس
وجدها تغرب فى عين حمئة اى كثيرة الحمأ وهى الطينة السوداء من حمئت البئر
حماء بالتحريك اذا كثرت حماتها وقرئ حامية اى حارة وقيل لا تنافى بينهما
لجواز ان يكون العين جامعة للوصفين او يكون حامية من الحماة فخففت الهمزة
وقلبت ياء لانكسار ما قبلها وبانى عن ذلك ما جرى بين ابن عباس ومعاوية
رض وتفصيله على ما ذكره القرطبى ان ابن عباس رض قال اقرأنيها ابى كما
اقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عين حمئة وقال معاوية رض هى حامية
فقال عبد الله بن عمرو بن العاص رض وانا مع امير المؤمنين فجعلوا كعبا بينهم حكما
وقالوا يا كعب كيف تجدها فى التورية فقال اجدها تغرب فى عين سوداء فوافق
ابن عباس رض فانه على تقدير التوفيق على احد الوجهين المذكورين لا يمشى الخلاف
المذكور وفيه تجهيل لهؤلاء الاعلام وما ذكره العقال ليس المراد انه انتهى الى الشمس
عيانا ووصل جرمها لانها تدور مع السماء حول الارض من غير ان تلتصق
بالارض وهى اعظم من ان تدخل فى عين من عيونها بل هى اكبر منها اضعافا مضاعفة
مبناه على اصول فلسفية لا تعويل عليها ومنهم من تعمق وقال المعنى بلغ ساحل المحيط
فراها كذلك اذ لم يكن فى مطمح نظره غير الماء ولذلك قال وجدها تغرب فى عين

حمئة ولم تقل كانت تغرب ويرد عليه ان الوجدان يدل على الوجود ولو كان المعنى
على ما ذكر لقيل راها تغرب ثم ان فى اطلاق العين على البحر المحيط ما لا يخفى على ذى بصيرة
ووجد عندها عند تلك العين قوما كانوا كفارا فخيره فيهم بين الامرين قلنا يا ذا
القرنين من قال انه كان نبيا تمسك بهذا الخطاب ومن انكره قال كان الخطاب
على لسان نبى او نائبه اما ان تعذب بالقتل على الكفر واما ان تتخذ فيهم لم تقل لهم
دلالة على الثبوت والاستمرار حسنا اتخاذ الحسن فيهم دعوتهم الى الله تع والتوحيد
وما قيل خيره الله تعالى بين القتل والاسر وسماه احسانا فى مقابلة القتل يأباه قوله اما
من ظلم الى آخره لانه دل على انه اثر وقد كان فى التخيير بلفظ اما ان تتخذ فيهم حسنا واختار
متعلق التعذيب مع اظهار متعلق الحسن ايماء الى ترجيح الشق الثانى فتنبه له وآثر ما
يحق بالايثار وقال اما من ظلم اما من دعوته فظلم نفسه بعدم قبول الدعوة و
الاستمرار على الكفر فسوف نعذبه اتى بحرف التسويف اشعارا بما يتخلل بين اختيارهم
عدم قبول الدعوة وتعذيبهم بالقتل من الامهال بتكرار الدعوة اظهارا لاصرارهم على
على الكفر وبنون العظمة فى نعذبه على عادة الملوك فى قولهم نحن فعلنا ثم يرد الى ربه
كان خطابه لاتباعه فانه تعالى لما خيره بين الامرين المذكورين اعلم بذلك اتباعه
ثم فصل مخاطبا لهم لا لربه تع والا لقال ثم يرد اليك فيعذبه فى الآخرة عذابا نكرا
عذابا منكرا لم يعهد مثله واما من آمن وعمل صالحا مما يقتضيه الايمان فله فى الدارين
جزاء الحسنى جزاء الفعلة الحسنى وقرئ منونا منصوبا على الحال اى فله المثوبة الحسنى
مجزيا بها او على المصدر لفعله المقدر حالا اى يجزى بها جزاء او على التمييز وقرئ
غير منون على ان تنوينه حذف لالتقاء الساكنين ومنونا مرفوعا على انه المبتدء
والخبر وسنقول له من امرنا مما نأمر به يسرا قولا ذا يسر وقرئ بضمتين قيل ويجوز
ان يكون اما واما ان يكون للتقسيم دون التخيير اى ليكن شأنك معهم اما التعذيب
واما الاحسان فالاول لمن اصر على الكفر والثانى لمن تاب ويأباه تصدير الجواب
باما التفصيلية لانه يستدعى سبق الاجمال وعلى ما ذكرنا اجمال فى الكلام السابق ثم اتبع
سببا ثم اتبع طريقا آخر وهو الذى يوصله الى المشرق وقرئ بقطع الالف مخففة التاء
حتى اذا بلغ مطلع الشمس يعنى الموضع الذى تطلع الشمس عليه اولا من معمورة الارض
وقرئ بفتح اللام قال الجوهرى والمطلع والمطلع ايضا موضع طلوعها فلا حاجة الى
اضمار مضاف وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا اى حجابا يستترون
بها عند طلوعها قيل لا جبل فيها ولا شجر ولا ماوى ولا لهم ثوب يسترها فاذا طلعت
عليهم الشمس دخلوا فى الاسراب وقيل فى النهر فاذا ارتفعت عنهم خرجوا الى معاشهم

فلما اراد موسى عليه السلام ان يرجع قال للخضر عليه السلام اوصنى فقال له الخضر اياك واللجاجة ولا تمش فى غير حاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعير الخاطئين بخطاياهم وابك على خطيئتك يا ابن عمران [illegible]

قوله يعنى اسكندر الرومى [illegible] اخرجه الطبرى ومحمد بن الربيع فى كتاب الصحابة باسناده ان رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن ذى القرنين فقال كان من الروم فاعطى ملكا فسار الى مصر وبنى الاسكندرية [illegible]

كذلك اى امر ذى القرنين كذلك اى كما وصفناه فى رفعة المكان وبسطة الملك او لم
نجعل لهم من دونها سترا مثل ذلك الستر الذى جعلنا لكم من الجبال والحصون والابنية
والاكنان من كل جنس والثياب من كل صنف وقد احطنا بما لديه من العدد والعُدد
خبرا تكثير لذلك يعنى ان كثرة ذلك بلغت مبلغا لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير ثم اتبع
سببا آخر ثم اتبع طريقا آخر وهو المعترض بين المشرق والمغرب آخذا من الجنوب الى
الشمال حتى اذا بلغ بين السدين بين الجبلين على ما ذكره وهب جبلان منيفان فى السماء املسان
يلزق عليهما كل شئ وانما سميا سدين لسدهما فجاج الارض وكانت بينهما فجوة يلج
فيها ياجوج وماجوج وهذا المكان ارض الترك وما قيل هما جبلان ارمينية واذربيجان
وهم وقرئ بين السدين بالضم قال الكسائى هما لغتان كالمكث والمكث وقال ابو عمرو
السد بالفتح الحاجز بينك وبين الشئ وبالضم الغشاوة ولهذا قال عكرمة ما كان من
صنعة بنى آدم فهو بالفتح وما كان من صنع الله تعالى فهو بالضم وانتصب بين على انه
مفعول به لانه من الظروف المتصرفة وجد من دونهما قوما اختلف فى عددهم وصفاتهم
ولم يصح فى ذلك شئ لا يكادون يفقهون قولا لا يفقهونه من اشارة ونحوها الا
بجهد ومشقة فان زيادة يكاد قد يكون لافادة هذا المعنى كما فى لا يكاد يبين وذلك
لقلة فطنتهم واما غرابة اللغة فلا تصلح علة لهذا وقرئ يفقهون اى لا يفهمون السامع
كلامهم او لا يبينونه الا بمشقة لغرابة لغتهم او لثلثهم قالوا يا ذا القرنين دل هذا
الخطاب على انه لقب تعظيم وهو فى المعنى الذى ذكرناه فيما سبق دون غيره من
المعانى المذكورة فى التفاسير وقدرة ذى القرنين على فهم قولهم وتفهيمهم من جملة
الاسباب التى آتاه الله تعالى ان ياجوج وماجوج اسمان لقبيلتين من ولد يافث
ممنوعا الصرف ولا دلالة فيه على عجميتهما لوجود علتين اخريين التانيث والعلمية وقرئا
مهموزين قال الاخفش من همز جعل الالف من الاصل كانه من اجيج النار ومن لم يهمز
جعل الالف زائدة وقال ياجوج من يججت وماجوج من مججت وقال ابو على ان همز
ياجوج فهو من اجيج النار وان لم يهمز فيمكن ان يكون خفف الهمزة فقلبت الفا مثل
راس واما ماجوج فهو مفعول من اج وان لم يهمز فيجوز ان يكون على التخفيف
وان يكون فاعولا من مج مفسدون فى الارض بالقتل والتخريب والاتلاف قيل كانوا
يخرجون الربيع فهل نجعل لك استفهام على جهة حسن الادب خرجا جعلا نخرجه من اموالنا
وقرئ خراجا قال اهل اللغة الخرج ما يخرجه من المال والخراج ما يخرج من الارض وقيل
كلاهما واحد كالنول والنوال على ان تجعل بيننا وبينهم سدا يمنعهم عن الخروج علينا و
قرئ سدا بالفتح وابو عمرو وابو عبيدة ما كان بخلق الله تعالى ولم يشارك فيه احد فهو

بالضم وما كان من صنع البشر فهو بالفتح ويلزم اهل هذه المقالة ان يقرؤوا هنا
بالفتح وفيما سبق بالضم وهى قراءة حمزة والكسائى انتهى والعجب ان الكسائى ينكر
الفرق بينهما معنى فحقه ان لا يخصص احدهما بموضع آخر وابو عمرو يعترف بالفرق و
موجبه التخصيص المذكور فكل منهما اخذ ما هو حق صاحبه قال ما مكنى فيه ربى ما جعلنى
فيه مكينا من كثرة المال والملك خير مما يبذلون لى من الخراج فلا حاجة بى اليه وقرئ
مكننى على الاصل فاعينونى بقوة اراد معاونتهم بعمل اليد وقوة البدن والتخصيص
بقوة العمل من ضعف الفطنة فانه قال اذ رفعت عنكم مؤنة المعونة بالمال
فاعينونى بخدمة بلا اجرة وهذا من تاييد الله تعالى له حيث اتوا ما هو اسرع فى حقهم
وانفع فى حقه واسرع فى قضاء الحاجة اجعل بينكم وبينهم ردما الردم السد الكبير
من قولهم ثوب مردم اذا كان رقاع فوق رقاع آتونى زبر الحديد الزبر بفتح
الباء وضمها جمع زبرة وهى القطعة العظيمة ولا يلزم ان يكون من الحديد يدل
عليه قوله فتقطعوا امرهم بينهم زبرا ولذلك قيده بالاضافة الى الحديد ودل
عليه واعطاؤها من قبيل تخصيص الالة بالخدمة لانها انما يحصل بمجرد العمل فلا ينافى
رده الخراج فلا حاجة الى صرف الايتاء عن معناه الى معنى المناولة ولا دلالة على
ذلك فى قراءة ائتونى بكسر التنوين موصولة الهمزة على معنى جيئونى والباء محذوفة
حذفها فى امرتك الخير لانه لا ينافى معنى الاعطاء غايته لا يعينه حتى اذا ساوى بين
الصدفين فى الكلام محذوف تقديره فاتونى بما طلب حتى اذا ساوى بعض البناء بين
الصدفين والصدف منقطع الجبل المرتفع ذكره الجوهرى وقرئ بضمتين وبالفتح
والسكون وبفتح الاول وضم الثانى وبالفتح والسكون والكل بمعنى واحد قال انفخوا
اى على زبر الحديد بالاكيار حتى اذا جعله نارا اى جعل النفخ ما نفخ فيه كالنار بالاحماء
قال ائتونى فيه القرائتان الثنتان فى ائتونى المتقدمة افرغ عليه قطرا نحاسا مذابا من
القطر لانه اذا اذيب قطر كما يقطر الماء منصوب بافرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة
الثانى عليه ولو اعمل الاول لقيل افرغه اذ لا يضمر فى الثانى على الفصيح فما اسطاعوا
حذف التاء تخفيفا لقربها من الطاء وقرئ بالادغام وهو على غير حده اذ لا يصح
الا ان يكون قبل الادغام متحرك او حرف مد ولين ولذلك قال ابو على هى غير
جائزة وقرئ بقلب السين صادا ان يظهروه ان يعلوه بالصعود لارتفاعه و
انملاسه وما استطاعوا له نقبا لصلابته وثخانته قال هذا اشارة الى السد رحمة
من ربى على عباده فاذا جاء وعد ربى اى فاذا دنى مجئ يوم القيامة وشارف ان
ياتى تفريع على ما ذكر يعنى ان ما كان وجوده رحمة ينعدم عند انتهاء زمان الرحمة

بانقضاء المستحقين لها جعله دكا مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض وكل ما انبسط
بعد ارتفاع فقد اندك ومنه الجمل الادك المنبسط السنام وقرئ دكاء بالمد اى ارضا
مستوية وكان وعد ربى حقا كائنا لا محالة وهو اخر القصة وتركنا جعلنا بعضهم
بعض الخلق يومئذ يموج حال يضطرب فى بعض فيختلطون انسهم وجنهم حيارى
ونفخ فى الصور هذه النفخة نفخة الانشاء لا نفخة الافناء دل على ذلك الفاء التعقيبية فى
قوله فجمعناهم جمعا للحساب والجزاء وما هو لقيام الساعة انما هو نفخة الافناء
وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين وابرزناها لهم عرضا اشار بتنكيره الى
خروجه عن حد التعريف والبيان الذين كانت اعينهم فى غطاء عن ذكرى عن
اياتى التى ينظر اليها فاذكر بالتوحيد والتعظيم وكانوا لا يستطيعون سمعا
استماعا لذكرى وكلامى لفرط صممهم عن الحق وهذا ابلغ من اثبات الصمم
لهم لان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح افحسب الذين كفروا افظن الذين
كفروا وقد قرأ كذلك ابن مسعود رضى الله عنه معطوف على قوله كانت وكانوا
دلالة على ان الحسبان ناش من التعامى والتصام وادخل عليه همزة الاستفهام
الانكار ذما على ذم وقطعا له عن المعطوف عليها لفظا لا معنى للايذان بالاستقلال
المؤكد للذم وقوله الذين كفروا من وضع الظاهر مقام المضمر زيادة للذم ان
يتخذوا عبادى هم من عبدهم من الملئكة والمسيح وعزير عليهم السلام من دونى اولياء
يعنى انهم لا يكونون اولياء كما حكى عنهم سبحانك انت ولينا من دونهم وقرئ
افحسب الذين كفروا اى افكافيهم اعتمد الهمزة وحسبهم ان يتخذوهم اولياء على
الابتداء والخبر وعلى الفعل والفاعل لان النعت اذا اعتمد الهمزة ساوى الفعل فى
العمل انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا استئناف لبيان خطاء حسبانهم وفى
جعل جهنم نزلا لهم وهو ما يقام للنزيل اى الضيف تهكم بهم وتنبيه على ان لهم
وراءها من العذاب ما يستحقر وبستلذ جنهم بالنسبة اليه قل هل ننبئكم بالاخسرين
اعمالا نصب على التمييز وجمع لتنويع اعمالهم الذين ضل سعيهم فى الحيوة الدنيا
ضاع وبطل لكفرهم واتكارهم الحشر قيل هم الخوارج اهل الحرور اوقيل هم الرهبان
اصحاب الصوامع ويردهما قوله تعالى بعد ذلك اولئك الذين كفروا اذ ليس منهما
من يكفر بلقاء الله تعالى والبعث والنشر ومحله الرفع على الخبر المحذوف فانه جواب
السؤال او الجر على الوصف او على البدل او النصب على الذم وهم يحسبون انهم
يحسنون صنعا لعجبهم واعتقادهم انهم على الحق اولئك الذين كفروا بايات ربهم
بدلائله المنصوبة على التوحيد والنبوة او بالقرآن ولقائه بالبعث على ما هو عليه

او لقاء عذابه فحبطت اعمالهم بكفرهم فلا ينتفعون بها لا بنيل الثواب ولا بتخفيف
العذاب فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فلا نضع لهم ميزانا يوزن اعمالهم لانحباطها
قيل فنزدرى بهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا ويرد عليه ان حقه حان يعطف
بالواو عطف احد الفرعين على الآخر لان منشاء الازدراء بهم كفرهم بايات ربهم
ولقائه لا حبوط اعمالهم ذلك اى الامر ذلك وقوله جزاؤهم جهنم جملة مبنية له ويجوز
ان يكون ذلك مبتداء والجملة خبره وجهنم عطف بيان للخبر بما كفروا واتخذوا اياتى
ورسلى هزوا اى بسبب ذلك وقد تقدم تفسير الهزء ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
كانت لهم فيما سبق من حكم الله ووعده جنات الفردوس نزلا قد مر معنى النزل و
ما فيه من التنبيه والفردوس البستان الذى يجمع محاسن كل بستان قال الزجاج وروى
مرفوعا انه اوسط الجنة واعلاها خالدين فيها نصبه على الحال ولما كان ما ذكر فى سابق
تقديره تعالى لم يحتج ههنا الى تقدير لا يبغون عنها حولا اى لا يطلبون عنها التحول
اذ لا مزيد عليها حتى ينازعهم اليه انفسهم بل فيها جميع ما تشتهى انفسهم وهذه غاية الوصف
والتحول التنقل من موضع الى موضع والاسم الحول ذكره الجوهرى وفيه تاكيد الخلود
لانهم اذا لم يريدوا الانتقال عنها لا ينتقلون لعدم الاكراه فيها قل لو كان البحر مدادا هو
فى الاصل الجائى شيئا بعد شئ على اتصال وصار اسما لكل ما يمد به الشئ على العموم و
ههنا الحبر وهو اسم خاص لما فى الحبر لكلمات ربى لعدم تناهيها لكلمات علمه وحكمته
لنفد البحر لنفد جنس البحر اى لم يبق منه شئ لتناهيه قبل ان تنفد فرغ بالتاء والياء
كلمات ربى لعدم تناهيها وفى نفاده قبل نفادها لا يلزم تحقق نفادها بعد نفاده
ولذلك يقع الطلاق الواحد اذا قال لغير المدخول بها انت طالق واحدة ولو جئنا بمثله
بمثل البحر الموجود مددا لنفد ايضا والكلمات غير نافدة ضرورة ان كل ما يدخل تحت
الوجود متناه المقدار فلا بد من نفاده بخلاف ما لا نهاية له فانه يستحيل نفاده ومددا
تمييز وهو مثل المداد وقرئ مددا بكسر الميم جمع مدة وهى ما يستمده الكاتب فيكتب
وقرئ مثله مدادا وسبب نزولها ان اليهود قالوا فى كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتى
خيرا كثيرا وتقرؤن وما اوتيتم من العلم الا قليلا يعنى ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من
بحر كلمات الله تعالى قل انما انا بشر مثلكم فى العجز عن الاحاطة على كلماته الا انى افارقكم بنزول
الوحى على وبعض الاحاطة بسببه يوحى الى انما الهكم اله واحد نبه على الوحدانية لانهم
كانوا كفارا بقولهم عزير ابن الله ثم حض على ما فيه التجارة بقوله فمن كان يرجو لقاء
ربه الرجاء توقع الخير فى المستقبل وهو الطمع ايضا لكنه يستعمل فى الامور المحمودة وفرق
بين الرجاء والاغترار بان الرجاء يكون لمن مهد اسباب المرجو والاغترار لمن اغفل

والمراد من لقاء به تعالى لقاء كرامته و تقدير المضاف على ان يكون الكلام حسن لقاء ربه
لا يغني عن هذا التجوز وهذا يعني عنه فليعمل عملا صالحا لا يبالي لذلك لرجاء ولا يشرك
بعبادة ربه احدا قال ابن جبير لا يرائي في عمله و ينبغي الا وجه ربه خالصا لا يخلط به
غيره روى ان جندب بن زهير قال لرسول الله عليه السلام اني اعمل العمل لله تعالى فاذا
اطلع عليه سرني فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا له عليه السلام وعنه
عليه السلام اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء والآية جامعة لخلاصتي
العلم والعمل وهما التوحيد والاخلاص في الطاعة وقرئ تشرك بالتاء والتفات من الغيبة
الى الخطاب ثم عاد الى الالتفات من الخطاب الى الغيبة في ربه ثم

كهيعص قد سبق القول فيه ذكر رحمة ربك خبر مبتدأ محذوف اي هذا ذكر او خبره
محذوف اي فيما يتلى عليك ذكر وقرئ ذكر مشددا على الماضي من التذكير ونصب رحمة
اي هذا المتلو ذكر رحمة ربك وذكر على الامر وهذا صريح في عدم اتصاله بما قبله
فالوجه ان يعرب بما قوى موافقا لهذا لان الاصل في القراآت التوافق عبده مفعول
الرحمة او الذكر على ان الرحمة فاعله على الاتساع كقولك ذكرني جود زيد زكريا
بدل منه او عطف بيان له اذ ظرف للرحمة دالة على انه وقت ندائه فناداها من
تحتها فلا تنافي في قوله نداء خفيا بين الصفة والموصوف اي دعاءه دعاء سرا لان
الاسرار والجهر عند الله سيان و عندنا الاسرار ابعد عن الرياء واقرب الى الصفا
او اخفاه لئلا يلزم على طلب الولد في زمان الكبر فانه كان مجاوزا الى حد الهرم على ما دل
عليه قوله قد بلغت من الكبر عتيا قال رب اني وهن استيناف لتفسير النداء و وهن العظم
الوهن الضعف وقرئ بالحركات الثلث و تخصيص العظم لانه دعامة البدن واصل
بنائه فتطرق الضعف اليه موجب لتطرقه الى كل البدن ولانه اصلب ما فيه فاذا توهن
كان ما وراءه اوهن وتوحيده لان المراد الجنس ولو جمع لكان قصدا الى معنى آخر
وهو انه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها و ذلك ليس مقصودا بحسب المساق و
ما زاد على المقصود يعد لكنة وفضولا و لما اقتضى المقام تغريق الحقيقة في العظم دون
الراس احتيج الى زيادة قوله مني هنا دون قوله واشتعل الراس شيبا اي تستولي
الضعف على الباطن والظاهر و ذكر هذا يزيد الدعاء توكيدا لما فيه من الاتكال على
حول الله تعالى و قوته والتبري عن الاسباب الظاهرة شبه الشيب بشواظ النار لا في
بياضه وانارته فقط بل فيهما وفي ان النار كما تشتعل في الجسم و تسري فيه حتى تحيله

الى غير حاله المتقدم كذلك الشيب يؤثر في الراس و يسري فيه شيئا فشيئا حتى تحيله الى
غير لونه الاول وشدة انتشاره في الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل ماخذ باشتعال النار
في سرعة التهابه وتعذر تلافيه ولا بد في التشبيه الثاني من اعتبار معنى السرعة في وجه الشبه
اذ به يعلم كون الشيب في وقته فيتم الكناية عن المعنى المراد وهو الدخول في سن الشيخوخة
فان الشيب قد ياخذ من الراس كل ماخذ قبل ذلك الا انه يكون على تدريج ومهل ثم الاول
مخرج الاستعارة المكنية والثاني مخرج الاستعارة التصريحية واصل الكلام اشتعل الشيب
في الراس لا اشتعل الشيب الشعر في الراس لان الشيب مخالطة شعر الابيض بالاسود و
ترك تلك المرتبة الى ما هو ابلغ منها من جهات اولها اسناد الاشتعال الى الراس لافادة شمول
الاشتعال وثانيها الاجمال والتفصيل في طريق التمييز وثالثها تنكير شيبا لافادة التعظيم
واكتفى باللام عن الاضافة لاعتماد على علم المخاطب والا لما ذكر مني فيما سبق بل اعتمادا
على انه المتبادر من العطف على القيد اعتبار القيد فيه ولم اكن بدعائك رب شقيا اي
اي كنت مستجابا لدعوة قبل اليوم سعيدا غير شقي فيه يقال سعد فلان بحاجته اذا
ظفر بها وشقي اذا خاب ونيلها يعني انه تعالى عوده بالاجابة واطمعه فيها ومن حق الكريم
ان لا يخيب من اطمعه وفيما ذكر تذكر لعادات تفضله تعالى في اجابة ادعيته و توسل به و
ذلك نعم الوسيلة وتحسين الظن بالاجابة فان له تأثيرا فيها قال تعالى انا عند ظن عبدي
بي واني خفت الموالي المولى ابن العم وجمعه الموالي من ورائي قال ابو عبيدة اي من جهة
الموت الذي هو قدامي قال الشاعر ابرجو بنو رواة سمعي وطاعتي و قومي تميم والفلاة
ورائي كانه لم يرفيهم من الخلال ما يصلحون به للقيام مقامه في الدين وقرئ خفت و
تعلق الظرف به ظاهر يعني انهم خفوا قدامه ودرجوا ولم يبق منهم من به تقوّ واعتضاد
وكانت امراتي عاقرا العاقر التي لا تلد لكبر سنها في عادة كانت دالة على انها استمرت
مدة على تلك الحالة والظاهر من تقديم هذا القول ان اراد الولد منها وقدمت وجه ذلك في
سورة ال عمران ويناسب هذا ان يكون المراد من يعقوب ابا امرأته فهب لي من لدنك اختها
شكرا لما سبب لي وامراتي لا تصلح للولادة وليا ابنا يلي امرك بعدي يرثني ويرث فرفعهما
صفة لوليا اي هب لي ولدا وارثا من العلم و من آل يعقوب النبوة ومعنى وراثة النبوة
انه يصلح لان يوحى اليه ولم يرد ان نفس النبوة تورث وجزمهما على انه جواب للدعاء
ورد ابو عبيدة قراءة الجزم وقال لان معناه ان وهبت وكيف يخبر الله تعالى بهذا وهو
اعلم به من آل يعقوب يعقوب بن ماثان اخو عمران ابو مريم وقرئ يرثني وارث آل يعقوب
على الحال من احد الضميرين واو رث بالتصغير لا للغرض لانه لا يناسب المقام بل للمدح كقول حباب
بن المنذر انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب ووارث من آل يعقوب على انه فاعل يرثني

وهذا يسمى التجنيس لانه جيء على المذكور اولا مع انه المراد واجعله رب رضيا مرضيا
في اخلاقه وافعاله او راضيا عنك وبحكمك يا زكريا اي فاستجبنا دعاءه وقلنا يا زكريا
دل على ذلك قوله في سورة الانبياء فاستجبنا له ووهبنا له انا نبشرك كانت البشارة
بواسطة الملك على ما نص عليه في سورة آل عمران بغلام فيه اشارة بثلثة امور الولد و
كونه ذكرا وبلوغه الحلم واختلف في بقائه بعد ابيه والظاهر من قوله تعالى فاستجاب له
انه بقي بعده اسمه يحيى تولى الله تعالى تسميته تشريفا له لم نجعل له من قبل سميا لم يسم بيحيى
احد وفيه دلالة على ان في التخصيص باسم مخصوص نوع تشريف للمسمى وقد سبق
معنى يحيى وبيان اشتقاقه وقال زكريا رب انى يكون لي غلام استفهام تعجب يدل على
التصديق بوقوع المخبر به والاعتراف بكمال القدرة لان التعجب انما ينشأ من استغراب
مقارن للتصديق به لتضمن الاستغراب انه يؤول لها على هذه الحالة او بعد الاحالة فاندفع
ما قيل لم استبعد واستعجب وقد علم انه يستجاب بما اجيب به فيزداد المؤمنون ايمانا ويرتدع
المبطلون وليت شعري من المراد من المؤمنين والمبطلين وقد كان دعاؤه مخفيا عن
الغير ثم انه صلى الله عليه وسلم فهم من البشارة المذكورة انه يرى بلوغ يحيى عليه السلام
اوان الحلم فازداد به التعجب ولهذا قال انى يكون لي غلام دون انى يكون لي ولد وانه
يولد من امرأته التي طلب الولد منها ولهذا قال وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا
هو اليبس والجساوة في المفاصل والعظام كالعود اليابس من اجل الكبر والطعن في السن
العالية قال الملك المبلغ للبشارة تصديقا له كذلك الامر كذلك قال ربك هو علي هين
اي بان ارد عليك قوة الجماع وافتق رحم امرأتك للعلوق وقرئ وهو علي هين على
العطف على محذوف اي افعله وهو علي هين وقد خلقتك اراد خلق مادته لا خلق صورته لانه
عن شئ فلا يناسب السياق واللحاق ولهذا قال من قبل خلقتك بشرا ولم تك شيئا بل كنت لا
شيئا صرفا وليس فيه تعرض للملاقية المشهورة قال رب اجعل لي آية علامة اعلم بها انه علق
لانه بد في الشكر ودعاء السلامة قال آيتك الا تكلم الناس علامتك ان تمنع من كلام الناس
دون ذكر الله ثلث ليال دل ذكر الليالي هنا والايام في سورة آل عمران ان المنع من كلام الناس
استمر ثلثة ايام ولياليهن للتجرد للذكر والشكر سويا حال كونك سوي الخلق سليم الجوارح
ما بك خرس ولا بكم فخرج على قومه من المحراب اي المسجد وكانوا ينتظرون فتحه ليصلوا
فيه بامره على العادة فاوحى فاشار اليهم لقوله الا رمزا ان سبحوا صلوا وادن من الحضرة
بكرة وعشيا طرفي النهار يا يحيى على تقدير القول خذ الكتاب التورية بقوة بجد اخذه فوله
وكون اخذه بقوة العمل به كما هو حقه واتيناه الحكم يعني الحكمة وفهم التورية قيل دعاه
الصبيان الى اللعب فقال ما للعب خلقنا وحنانا شفقة ورحمة للناس وانما قال من لدنا

مع ان الكل من عند الله تعالى للدلالة على ان شفقته عليه السلام كانت زائدة على ما في جبلة
الناس خارجة عن المعتاد وزكوة وطهارة من الذنوب فلم يعمل بذنب وكان تقيا مستمرا
على الاطاعة والتجنب عن المعاصي وبرا بوالديه اي محسنا اليهما في الغاية ولم يكن جبارا عصيا
الجبار الذي يعاقب على غضب نفسه لا على استحقاق الجاني قال تعالى واذا بطشتم بطشتم
جبارين والعصي المبالغ في العصيان وهو مخالفة الامر كان الظاهر المخالفة في النفي دون
المنفي والعدول عنه للاشعار بان شان النفوس القوية البلوغ الى الغاية في كل صفة محمودة
كانت او مذمومة وسلام عليه تحية من الله يوم ولد اتى هنا بصيغة الماضي وفي قوله ويوم
يموت بصيغة المضارع لان مساق الكلام بعد ولادته وقبل موته ويوم يبعث مطلق البعث
يعم ما في القبر الا انه لا يطلق عليه الحي فقوله حيا لتعيين بعث الاخرة او حشر ما يكون الخلق
في ثلثة مواطن يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث هذه في آمن ثلث لا في انه اعظم
منها ويحيى صلى الله عليه وسلم يحيى في هذه المواطن العظام واذكر في الكتاب اي القرآن
مريم يعني قصتها اذ ظرف لمضاف مقدر وقيل اذ بمعنى ان المصدرية وتقديره واذكر
مريم انتباذها بدل من مريم واما ما قيل بدل من قصة مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة
على ما فيها او بدل الكل لان المراد من الظرف الامر الواقع فيه فلا يرد عليه ان الزمان اذا لم يكن
جزءا عن الجثة ولا حالا فيها ولا وصفا لها لا يكون بدلا منها انتبذت اي انفردت وقعدت منتبذة
اي ناحية وهذا اذ اجلس قريبا منك حتى لو نبذت اليه شيئا وصل اليه ولذلك احتاجت الى
ضرب الستر بينها وبينهم ويرشد اليه هذا قوله من دونهم من اهلها مكانا انتصابه على
تضمين الانتباذ معنى الاتيان او على الاتساع شرقيا شرقي بيت المقدس او شرقي دارها
ولذلك اتخذ النصارى المشرق قبلة فاتخذت من دونهم حجابا سترا يسترها عن اهلها
بدل لانه قوله من دونهم قيل قعدت في مشرقه للاغتسال من الحيض فاحتجبت بشيء يسترها
فارسلنا اليها روحنا اي جبرائيل عليه السلام والاضافة للتشريف فتمثل لها اي تصور
لمريم بشرا سويا معتدل الخلق احسن الصورة وانما تمثل كذلك لتستأنس بكلامه ولتهيج
شهوتها فتنحدر نطفتها الى رحمها اذ ح لا يكون مثله كمثل آدم عليه السلام في الخلق بلا
واسطة نطفة بل لئلا تنفر عنه فتسمع كلامه وتبتلى به فتظهر عفتها وامارات رجلها فدخل
عليها فجاءة في الخلوة ظنت انه يريد بها سوءا وعلمت انها لا تقدر على دفع ذلك بنفسها
فاستعاذت بالله قالت اني اعوذ بالرحمن منك استيناف على تقدير سؤال وفي ذكر الرحمن
تذكير ليوم الجزاء فانه تعالى رحيم الدنيا ورحمن الاخرة ان كنت تقيا تتقي الله وتخشاه
فلا تتعرض لي فحذف الجزاء لدلالة الحال عليه وهذا كقول القائل ان كنت مؤمنا فلا تظلمني
اي ينبغي ان يكون ايمانك مانعا من الظلم قال جبرائيل انما انا رسول ربك ففيه تنبيه

التوسل اشارة الى ان توسط فى الخبر دون الاثر واتى بالرب مضافا اليها لنوع منه
الدلالة فى ذلك الكلام على ان الرسالة لايصال النعمة والاحسان الخاص بها من بين العباد و
لما كان فى مفهوم الهبة باعتبار معنى الهبة مظنة الاستبعاد اكده بانما لاهب لك حكاية
لقول الله تعالى دل على ذلك قراءة ليهب بالياء ويناسبه وصف الرسالة وفى عبارة الهبة
اشارة الى ان ما اعطيها يصل اليها بسهولة غلاما قدحت ما فيه من وجوه البشارة ظاهر من
الاناسى ونامبا على الخير والبركة وقالت انى كيف يكون لى غلام ولد ولم يمسسنى بشر
جعل المس هنا بقرينة المقابلة عبارة عن النكاح الحلال ولم اك بغيا فان تبغى لرجال اى
تطلب للرجال من اى رجل كان ولا يكون الولد عادة الا من احد هذين والبغى فعول قلبت
الواو ياء وادغمت وكسرت الغين اتباعا ولذا لم يلحق تاء التانيث او فعيل ولم يلحقها التاء
لانها بمعنى مفعوله وان كانت بمعنى فاعله فهو قد يشبه به كقولهم ملحفة حديد قال كذلك الامر
كذلك من خلق غلام منك بغير اب قال ربك هو على هين اى اعطاء الولد بلا اب على
سهل ولنجعله تعليل معلله محذوف اى وفعلنا ذلك لنجعله آية للناس علامة لهم و
برهانا على كمال قدرتنا ورحمة منا على العباد يهتدون بارشاده وكان امرا مقضيا
تعلق به قضاء الله فى الازل فلما اطمأنت الى قوله دنا منها فنفخ فى جيب درعها فوصلت
النفخة الى بطنها فحملته اى الموهوب فانتبذت به اى فاعتزلت وهو فى بطنها والجار والمجرور
فى موضع الحال مكانا قصيا بعيدا من اهلها فاجاءها جاءها بها ذكره الجوهرى وقيل الجاها
وهو منقول من جاء الا ان استعماله قد تغير بعد النقل الى معنى الالجاء ونظيره اتى حيث لم
يستعمل الا فى معنى الاعطاء وفيه نظر فان الجوهرى واتاه اى اتى به ومنه قوله تعالى آتنا
غداءنا اى ائتنا به المخاض وقرئ بالكسر وكلاهما مصدر مخضت المرأة اذا تحرك الولد
فى بطنها للخروج الى جذع النخلة كانها طلبت شيئا تستند اليه وتتعلق به كما تتعلق الحامل
لشدة وجع الطلق والجذع ساق النخلة اليابسة التى لا سعف عليها ولا غصن ولعله تع
الهمها فى ذلك ليريها من اياتها ما تسكن روعتها وتطعمها الرطب الذى هو طعام
النفساء والتعريف للجنس ولا مساغ للعهد لان شرطه ان يكون معروفا عند المخاطب
وهو مفقود هنا قالت يا ليتنى مت قبل هذا ليس تمنت الموت لما عرضها من شدة وجع
الطلق اذ لا حاجة الى قوله وكنت نسيا منسيا بل لانها خافت ان يقع قومها بسببها
فى البهتان والنسبة الى الزنا وتمنى الموت من جهة الدين جائز وقرئ نسيا بالفتح وهما لغتان
كالوتر والوتر وهو الشئ المتروك لا يذكر كانه منسى وقيل ما شانه ان ينسى ولا يطلب
كالذبح والذبح وقيل هو بالفتح مصدر وبالكسر اسم للمنسى المتروك كالقتر والقتر
فناداها كانت المنادى مخاطبة لها بعضده قراءة فخاطبها من تحتها وهو جبرائيل عليه السلام

لانه كان فى مكان المنخفض عنها وكان تحتها بمنزلة القابلة وعيسى عليه السلام لانه خاطبها
من تحت ذيلها وقرئ بالكسر والفاعل مضمر وهو عيسى عليه لانه خاطبها من تحت ذيلها و
قرئ بالكسر والفاعل مضمر وهو عيسى او جبرائيل عليهما السلام على ان الهاء فى تحتها للنخلة الا
تحزنى او بان لا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا جدولا هكذا روى مرفوعا قال ابن عباس
كان ذلك نهرا قد انقطع ماؤه فاجراه الله تعالى لمريم والنهر يسمى سريا لان الماء يسرى فيه فان
قلت ما تقول فى قول الحسن سريا اى سريا وبعنى عيسى عليه السلام قلت ليس بقول حسن لانه
مخالف للتفسير المرفوع وفى المثل اذا جاء نهر الله بطل نهر معقل وهزى اليك النخلة بتحريك
مخصوص تتبعه الحركتان المتضادتان الى الجنبين المتقابلين وتعديته بالى لتضمنه معنى
المد وفائدته التوطئة لما قصد بقوله عليك فان الهز اذا لم يكن بالمد لا يكون سقوط
الثمر على الجهات والباء فى قوله بجذع النخلة متعلق بالفعل الثابت اقتضاء تساقط
عليك فى تساقط تسع قراءات تساقط بادغام التاء وتتساقط باليائين والتاء من السقوط
وسقط ويسقط من سقط بالتاء للنخلة وبالياء للجذع او للهز رطبا تمييز او مفعول جنيا اى
نقيا وهو الطرى بعبارة البالغ نهاية النضج فكلى من الجنى واشربى من السرى وقرى
عينا بالولد الرضى وعينا تمييز اى طيبى نفسا بعيسى عليه السلام وارفضى عنك ما احزنك
وقرئ قرى بالكسر وهو لغة نجد واشتقاقه من القر فان دمعة السرور باردة ودمعة
الحزن حارة فلذلك يقال قرة العين وسخنتها للمحبوب والمكروه او من القرار اذ رات
العين ما تسر النفس سكنت اليه من النظر الى غيره فاما اصله ان ما فضمت ان الشرطية الى ما
وادغمت فيها ترين من البشر احدا اى فان رايت ادميا يسالك عن حالك فقولى انى نذرت
للرحمن صوما امساكا عن الكلام اى صمتا وقد قرئ به وكانوا يصومون عن الكلام كما
يصومون عن الطعام وقيل صياما حقيقة وكان صومهم فيه الصمت وانما امرت بذلك لان
عيسى عم يكفيها الكلام بما يبرئ به ساحتها ولئلا تجادل السفهاء وانما اخبرتهم بانها نذرت
الصوم بالاشارة وقد تسمى الاشارة كلاما وقولا ويجوز ان يكون اخبارها به قولها
فلن اكلم اليوم انسيا قبل دخول اليوم لا اكلم ادميا وانما اكلم الملائكة وذلك ان العدول
من احد الى انسيا لتعيد ان دلالة المفهوم فى صفة الدقيقة ويدمج فيه معنى كرامة اخرى
ومن رفعة منزلتها فاتت به بعيسى عليه السلام الباء للتعدية كما فى ذهبت بزيد اى معه
مع قومها بعدما طهرت من نفاسها تحمله فلما راوه معها قالوا يا مريم لقد جئت شيئا
فريا بديعا منكرا الفرى القطع كانه يقطع العادة يا اخت هرون كان اخاها من ابيها
ومن افضل بنى اسرائيل ما كان ابوك امرا سوء زانيا وما كانت امك بغيا
زانية تقرير لان ما جاءت فرى وتنبيه على ان الفواحش من اولاد الصالحين افحش فاشارت

إليه أي إلى عيسى أي كلموه ليجيبكم قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا حال معناه أن
كان من أهل المهد وإن لم يكن في تلك الحالة في المهد كما يقال صبي يرتضع وإن كان لا يرتضع
حالة الإخبار عنه ولهذا زيدت لفظة كان للتأكيد قال إني عبد الله لما أسكتت بأمر الله
لسانها الناطق أنطق الله تعالى لها اللسان الساكت آتاني الكتاب الإنجيل وجعلني نبيا
عن الحسن أنه كان في المهد نبيا وكلامه معجزة وقيل معناه أن ذلك سبق في قضائه أو جعل
الآتي لا محالة كأنه وجد وجعلني مباركا أينما كنت نفاعا حيث كنت ومعلما للخير وأوصاني
بالصلوة والزكوة لما كان الأمر بهما مؤجلا عبر عنه بالتوصية فإن الوصية المتقدم في الأمر
الذي يكون بعد ما وقت له ما دمت حيا أي مدة حيوتي وبرا بوالدتي أي بارا بها
وقرئ بالكسر على أنه مصدر وصف به منصوب بفعل دل عليه أوصاني أي وكلفني برا ويؤيده
القراءة بالكسر والجر عطفا على الصلوة ولم يجعلني جبارا قد سبق تفسيره شقيا عاصيا والسلام
علي التعريف للجنس وفيه تعريض بضده على أعدائه كقوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى
فإنه تعريض بأن العذاب على من كذب وتولى يوم ولدت ويوم أبعث حيا قد سبق
بأنه ذلك عيسى أي ذلك الذي تقدم نعته هو عيسى لا ما يصفه النصارى أو اليهود وهو
تكذيب للفريق فيما يصفانه على الوجه الأبلغ والطريق البرهاني حيث جعله موصوفا
بأضداد ما يصفانه به ثم عكس الحكم ابن مريم نعت أو خبر ثان أي لا نسبة فيه من جهة الأب
فيه رد لليهود في زعمهم أنه ابن يوسف النجار قول الحق صفة عيسى أو بدل له أو خبر آخر
ومعناه كلمة الله لا نفسه ولا ابنه ولا ثالثة ففيه رد لفرق النصارى وقد سبق وجه كونه
كلمة الله في سورة آل عمران وقيل خبر محذوف المبتدأ أي هو قول الحق الذي لا ريب و
الإضافة للبيان والضمير للكلام السابق وقرئ بالنصب على المدح أو على المصدر أي
أقول قول الحق وقرئ قال الحق وهو بمعنى القول الذي فيه يمترون في أمره يختلفون من
المراء فقالت اليهود ساحر كذاب وقالت النصارى ما سيأتي تفصيله وقرئ بالتاء على الخطاب
ما كان لله أي ليس من شأنه أن يتخذ من ولد من مزيد لتأكيد النفي سبحانه تنزيه ذاته عن
اتخاذ الولد إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون تبكيت للنصارى بعد تكذيبهم بأن من
إذا أراد شيئا أوجده بكن كان منزها من شبه الخلق والحاجة في اتخاذ الولد بإحبال
الإناث وقرئ فيكون بالنصب على الجواب وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا
صراط مستقيم سبق تفسيره في سورة آل عمران وقرئ بالفتح على ولأن أو على العطف
على الصلوة فاختلف الأحزاب الحزب الفرقة المنفردة برأيها وهم أربع فرق نسطورية
ويعقوبية وإسرائيلية وملكانية من بينهم من بين أصحاب عيسى عليه السلام أو من
بين قومه أو من بين الناس وذلك أن النصارى اختلفوا في عيسى عليه السلام حين رفع

ثم اتفقوا على أن يرجعوا إلى قول أربعة كانوا عندهم أعلم أهل زمانهم وهم يعقوب ونسطور
وإسرائيل وملكاء فقال يعقوب هو الله هبط إلى الأرض وصعد إلى السماء وقال نسطور
كان ابن الله أظهره ما شاء ثم رفعه إليه وقال إسرائيل الله إله وهو إله وأمه إله وهم الأكبر
ملوك النصارى وقال الرابع كذبوا كان عبدا مخلوقا نبيا فتبع كل واحد قوم فويل للذين
كفروا من الأحزاب إذ الحق لواحد منهم على الحق من مشهد يوم عظيم أي من شهود هول
القيمة على أن المراد من اليوم الواقعة أسمع بهم وأبصر الجمهور على أن لفظه أمر ومعناه
التعجب والله تعالى لا يوصف به ولكن المراد أن أسماعهم وأبصارهم جدير بأن يتعجب
منهما بعد ما كانوا صما عميا في الدنيا وبهم مرفوع المحل على الفاعلية كأكرم بزيد معناه كرم
زيد جدا يوم يأتوننا أي يوم القيمة لكن الظالمون اليوم أقيم الظاهر مقام الضمير إشعارا بأنهم
ظلموا أنفسهم حيث تركوا الاستماع والنظر حين يجدي عليهم اليوم في الدنيا في ضلال مبين
سجل على تركهم ذلك بأنه ضلال بين فأنذرهم يوم الحسرة يوم القيمة لأنه يتحسر الناس
فيه المسيء على إساءته والمحسن على قلة إحسانه إذ بدل من يوم الحسرة أو ظرف الحسرة وهو
مصدر قضي الأمر فرغ من الحساب وتصادر الفريقان إلى الجنة والنار وهم في غفلة
هنا عن الاهتمام لذلك المقام وهم لا يؤمنون لا يصدقون به متعلق بقوله في ضلال مبين
وما بينهما اعتراض أو بأنذرهم أي أنذرهم غافلين غير مؤمنين فيكون حالا متضمنة
للتعليل إنا نحن نرث الأرض ومن عليها أي نتفرد بالملك والبقاء عند تعميم الهلاك والفناء
وذكر من لتغليب العقلاء وهذا يدل على إفناء الأرض أيضا قوله نحن نرث مبتدأ وخبر
والجملة في محل الرفع خبر إن ولا يجوز أن يكون نحن فصلا لأن نرث نكرة والفصل لا يقع
إلا بين معرفتين أو قريبتين من المعرفة وإلينا يرجعون أي يردون فيجازون جزاء
وفاقا في محل الرفع بالعطف على نرث أو على الجملة الاسمية واذكر في الكتاب إبرهيم
إنه كان صديقا ملازما للصدق كثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله تعالى وآياته
ويجوز أن يكون المبالغة من جهة الكيف نبيا استنباه الله تعالى إذ قال بدل من إبرهيم
وما بينهما اعتراض أو متعلق بكان أو بصديقا نبيا والمراد بذكر الرسول إياه وقصته
في الكتاب أن يتلو ذلك على الناس ويبلغه إياهم كقوله واتل عليهم نبأ إبرهيم وإلا
فالله عز وجل هو ذاكره ومورده في تنزيله لأبيه يا أبت التاء عوض عن ياء الإضافة
ولذلك لا يقال يا أبتي ويقال يا أبتا وإنما يذكر للاستعطاف ولذلك كرره لم تعبد ما لا
يسمع ولا يبصر المفعول فيهما منسي لا منوي ولا يغني عنك شيئا يحتمل أن يكون شيئا في
موضع المصدر أي شيئا من الإغناء وأن يكون مفعولا به من قولك أغن عني وجهك أي
بعد دعاءه إلى الهدى وبين ضلاله واحتج عليه أبلغ احتجاج وأرشده برفق وحسن

ادب حيث لم يصرح بتضليله بل طلب العلة التي تدعوه الى عبادة ما يستخف به العقل
القبيح ويابى الركون اليه فضلا عن عبادته التي تدعوه الى عبادة ما يستحق هي
غاية التعظيم ولا تحق الا لمن له الاستغناء التام والانعام العام ونبه الى على ان العاقل
ينبغي ان يفعل ما يفعله لغرض صحيح والشيء لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على
النفع والضر ولكن ممكن لاستنكف العقل القويم عن عبادته وان كان اشرف الخلق
لما يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة الواجبة فكيف اذا كان جمادا لا يسمع ولا يبصر
ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه الحق القويم والصراط المستقيم لما لم يكن محظوظا من العلم
الالهي مستقلا بالنظر السوي فقال يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني اهدك
صراطا سويا ولم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق بل جعل نفسه كرفيق له
في مسير يكون اعرف بالطريق ثم ثبطه عما كان عليه بانه مع خلوه عن النفع مستلزم للضر
لانه في الحقيقة عبادة الشيطان من حيث انه الآمر به فقال يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان
للرحمن عصيا ومعلوم ان المطاوع للعاصي عاص وكل عاص حقيق بان يسترد منه النعم
وينتقم ولذلك عقبه بتخويفه سوء عاقبته وما يجر اليه فقال يا ابت اني اخاف ان يمسك
عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قرينا في جهنم لان الولي لا يكاد ان يقترنا في
محبوب ومكروه فجعل وليا في هذه الحالة لما قلنا وان كانا متباغضين يومئذ كما قال
تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وانما قال يمسك دون يصيبك
ليعلم ان العذاب جسماني والتنكير للتعظيم وقصدا لتقليل من عبارة المس لا يناسب
المقام ولا يساعده الكلام اما الاول فلان المقام مقام التخويف فلا يناسبه التخفيف
واما الثاني فلان المس مما يقصد به المبالغة في الاصابة كما في قوله تعالى وقد مسني الكبر
وذلك لان المس اتصال الشيء بالبشرة بحيث يتأثر الحاسة وانما قال من الرحمن لان العذاب
من مظنة الرحمة افظع واشنع وانما اخاف رعاية لمقتضى شفقة النبوة قال الراغب
الرغبة اجتلاب الشيء لما فيه من الشفقة وتعديته بفي واذا تعدى بعن يفيد ضده انت
عن آلهتي يا ابراهيم قابل استعطافه ولطفه في الارشاد بالفظاظة وغلظة العناد فناداه
باسمه ولم يقابل يا ابت بيا بني ولا تاخرفيه لتاخره بل لو قدم لكان اشنع واوقع
لان المقام مقام العنف دون التلطف وقدم الخبر على المبتدا لانه كان اهم عنده وهو
صدره بالهمزة لانكار نفس الرغبة على ضرب من التعجب كانها مما يرغب عنها عاقل ثم
هدده فقال لئن لم تنته عن مقالك فيها لارجمنك لاقتلنك بالرجام او لاضربنك بها
حتى تتباعد او لاشتمنك واهجرني عطف على محذوف يدل عليه لارجمنك تقديره
فاحذرني واهجرني مليا زمانا طويلا من الملاوة او مليا بالذهاب عني قال سلام

عليك

عليك سلام توديع ومتاركة ومقابلة للسيئة بالحسنة اي لا اصيبك بمكروه ولا
اقول لك بعد ما يؤذيك ولكن ساستغفر لك ربي وعده بطلب المغفرة له من
الله تعالى قيل لعله يوفقك للتوبة والايمان فان استدعاء التوفيق لما يوجب المغفرة
وهو الايمان ويرد عليه انه لو كان كذلك لما كان وعد هذا مستثنى عن العدوة
الحسنة بقوله تعالى الا قول ابراهيم لاستغفرن لك انه كان بي حفيا بليغا في البر و
اللطف واعتزلكم ذاد بالاعتزال المهاجرة وما تدعون من دون الله اي وما تعبدون
من اصنامكم وادعوا ربي واعبده وحده ثم قال تواضعا وهضما للنفس وتنبيها
عنها على ان الاجابة والاثابة تفضل غير واجب وان ملاك الامر خاتمته وهو غيب
وتعريضا بشقاوتهم بدعاء آلهتهم عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا خائبا ضايع
السعي مثلكم في دعاء آلهتكم فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله بالهجرة الى الشام
وهبنا له اسحق ولدا ويعقوب نافلة او لما وهب له اسمعيل عليه السلام على ما مر في
تفسير قوله تعالى الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق وانما خص
اسحق بالذكر لانه شجرة الانبياء عليهم السلام او لانه اراد ان يذكر اسمعيل بفضله
على الانفراد وكلا اي كل واحد منهما جعلنا نبيا اي لما ترك الكفار الفجار لوجهه عوضه
اولادا ابرارا ووهبنا لهم من رحمتنا النبوة والاولاد والاموال وجعلنا لهم
لسان صدق ثناء حسنا وهو الصلوات على ابراهيم وعلى آل ابراهيم في الصلوات الى قيام
الساعة استجابة لدعوته واجعل لي لسان صدق في الآخرين عبر باللسان عما يوجد به كما
عبر باليد عما يطلق بها وهو العطية ووصفه بالصدق لانه ثناء حسن لا كذب فيه
عليا رفيعا مشهورا واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا قرئ بالفتح اي اخلصه الله
واصطفاه وبالكسر اي اخلص هو العبادة لله فهو مخلص بماله من السعادة باصل الفطرة
ومخلص فيما عليه من العبادة بصدق النية وكان رسولا نبيا ارسله الله الى الخلق فانبأهم
عنه ولذلك قدم رسولا مع انه اخص واعلى وناديناه من جانب الطور هو جبل بين
مصر ومدين الايمن من ناحيته اليمنى من اليمين والمعنى انه حين اقبل من مدين يريد
مصر نودي من الشجرة وكانت في جانب الجبل على يمين موسى عليه السلام بان تمثل له الكلام
من تلك الجهة او من جانبه الميمون من اليمن وقربناه تقريب منزلة ومكانة دون منزل و
مكان نجيا مناجيا كنديم بمعنى منادم حال من احد الضميرين وقيل مرتفعا من النجو وهو
الارتفاع لما روي انه رفع فوق السموات حتى سمع صرير القلم ووهبنا له من رحمتنا
من اجل رحمتنا اخاه مفعول هرون عطف بيان او بدل نبيا حال منه وهي المقصودة بالهبة
اي وهبنا له نبوة اخيه والا فهرون كان اكبر منه سنا واذكر في الكتاب اسمعيل انه

كان صادق الوعد ذكره بذلك لشهرته به واتصافه باشياء من هذا الباب لم تعهد
من غيره وكان رسولا نبيا بعث بشرع ابيه الى قوم دون قوم ابيه وهم جرهم فكان
صاحب شريعة بالنظر اليهم لاختصاص شرع ابيه بحسب دعوته لقومه وكان يامر اهله
اشتغالا بالاهم وهو ان يقبل الرجل على نفسه ومن هو اقرب الناس اليه بالتكميل وقيل
اهله امته فان الاصل يطلق على القوم كما في قوله فانتبذت من اهلها بالصلوة والزكوة
انما خصتا لانهما اما العبادات البدنية والمالية وكان عند ربه مرضيا لاستقامة
اقواله وافعاله واذكر في الكتاب ادريس هو اخنوخ اول مرسل بعد ادم عم واول
من خط بالقلم وخاط اللباس ونظر في علم النجوم والحساب واتخذ الموازين والمكاييل
والاسلحة وقاتل بني قابيل واشتقاقه من الدرس يرده منع صرفه نعم لا يبعد ان يكون
معناه في تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة درسه اذ روي انه تعالى انزل عليه
ثلثين صحيفة انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا هو شرف النبوة والزلفى عند
الله تعالى وقيل معناه رفعه الملئكة الى السماء الرابعة او السادسة وعن الحسن الى الجنة اولئك
اشارة الى المذكورين في السورة من زكريا الى ادريس الذين انعم الله عليهم بانواع النعم
الدينية والدنياوية من النبيين من للتبعيض لان المذكورين ليسوا مطلق المنعم عليهم
بل الذين وقصوا اخبارهم عن اولئك وهم بعض الانبياء من ذرية ادم بدل منه باعادة
الجار وممن حملنا مع نوح اي ومن ذرية من حملنا مع نوح خصوصا وهم من عدا
ادريس عليه السلام فان ابرهيم كان من ذرية من حمل مع نوح عليه السلام لانه من ذرية
سام بن نوح ومن ذرية ابرهيم الباقون واسرائيل وكان منهم موسى
وهرون وزكريا ويحيى وعيسى على ان اولاد البنات من الذرية وممن هدينا
ومن جملة من هدينا الى الحق واجتبينا من الانام للنبوة والكرامة اذا تتلى عليهم ايات
الرحمن اي اذا تليت عليهم كتب الله المنزلة وهو كلام مستانف ان جعلت الذين خبرا
لاولئك لبيان خشيتهم من الله تعالى واخباتهم له مع ما لهم من علو الطبقة في شرف
النسب وكمال النفس والزلفى من الله تعالى وان جعلته صفة له كان خبرا وقرئ يتلى
بالياء لوجود الفاصل مع ان التانيث غير حقيقي خروا سجدا سقطوا على وجوههم
ساجدين رغبة وبكيا باكين رهبة جمع باك كسجود وقعود في جمع ساجد وقاعد
فخلف من بعدهم خلف فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء يقال خلف صدق بفتح اللام
وخلف سوء بالسكون اضاعوا الصلوة تركوها وقيل اخروها عن وقتها
ولا يناسبه الا من تاب وامن لانه صريح في انه في حق كفار واتبعوا الشهوات كملاذ
النفوس وعن علي رضي الله عنه من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور

فسوف يلقون غيا شرا كل شر عند العرب غي وكل خير رشاد الا من تاب رجع
عن الكفر وامن وعمل صالحا بعد ايمانه فاولئك يدخلون الجنة وقرئ على البناء
للمفعول من ادخل دخول الجنة غير مشروط بالعمل الصالح وانما ذكر ذلك لقوله ولا
يظلمون ولا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم ولا يمنعونه بل يضاعف لهم ويجوز
ان ينتصب شيئا على المصدر وفيه بيان ان كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص اجورهم
جنات بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها او منصوب على المدح وقرئ بالرفع
على انه خبر مبتدأ محذوف عدن معرفة لانه علم لمعنى العدن وهو الاقامة او هو
علم لارض الجنة لكونها مكان اقامة ولذلك صح وصف ما اضيف اليه بقوله التي وعد
الرحمن عباده اي عباده التائبين المؤمنين الذين يعملون الصالحات لما سبق
ذكرهم ولانهم اضافهم اليه وهو للاختصاص وهؤلاء اهل الاختصاص بالغيب
بالوحي الى نبيه او وعدها وهي غائبة عنهم او وهم غائبون عنها انه ضمير الشان او
ضمير الرحمن كان وعده اي موعوده وهو الجنة مأتيا اي هم يأتونها لا يسمعون فيها لغوا
اللغو فضول الساقط الذي لا يعتد به من الكلام وعنه ولذلك قيل لما لا يعتد به في الدية
من اولاد الابل لغو ولغط الذي لا يعتد به من الايمان يمين اللغو الا سلاما اي لكن
يسمعون سلاما من الملئكة او من بعضهم على بعض او لا يسمعون فيها الا قولا يسلمون
فيه من العيب والنقيصة فهو استثناء منقطع عند الجمهور وقيل متصل على تنزيل غير
المحتمل منزلة المحتمل مبالغة في نفي اللغو يعني مظنة سماع اللغو في حقهم على تقدير ان
يكون السلام لغوا وذلك محال والمعلق على المحال محال كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا لما كان اعدل احوال
المطاعم وابعدها من الضرر هو الغداء والعشاء عبر عنهم جل جلاله اعتدال احوال اهل
الجنة في ماكلهم وضرب البكرة والعشي مثلا لذلك والا فلا بكرة ولا عشي ثم ويجوز ان
يراد معنى اكلها دايم اي لهم ذلك غير منقطع وهذا كما يقول الرجل انا اصبح وامسي
في ذكرك ويريد فلان يغدو اليه ويروح اي لا ينقطع تلك الجنة التي نورث من عبادنا
اي يجعلها ميراث اعمالهم يعني ثمرتها وعاقبتها او يسمي الجنة على المتقي كما يبقى مال المورث
على الوارث استعارة الايراث في الابقاء فان الوراثة اقوى سبب التمليك والاستحقاق من حيث
انها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا تبطل برد واسقاط وقيل يورثون زيادة في
كرامتهم المساكن التي كانت لاهل النار لو امنوا لان الكفر موت حكما من كان تقيا عن الكفر
وما نتنزل الا بامر ربك حكاية قول جبريل حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما احتبس
الوحي اياما فقال المشركون ودعه ربه يا جبريل ما منعك ان تزورنا اكثر مما تزورنا

نتنزل والتنزل على معنيين معنى نزول على مهل ومعنى النزول على الاطلاق والاول
اليق هنا يعنى ان نزولنا فى الاحايين وقتا غب وقت ليس الا بامر الله وقرئ ما يتنزل
بالياء والضمير للوحى له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما نحن فيه من الاماكن او الاحايين
لا ننتقل من مكان الى مكان او لا ننزل فى زمان دون زمان الا بامره ومشيئته وما كان ربك نسيا
اى ناسيا لك وانما كان ذلك لحكمة راها فيه وقد مر وجه ايثار صيغة المبالغة فى تفسير
قوله عصيا رب السموات والارض وما بينهما بيان لامتناع النسيان عليه وهو خبر محذوف
او بدل من ربك فاعبده واصطبر لعبادته خطاب للرسول صلعم مرتب على ما تقدم اى
لما عرفت ربك بانه لا ينبغى له ان ينساك فاثبت لاجل عبادته واصطبر على مشاقها ولا تتشوش
بابطاء الوحى وهزء الكفرة وانما عدى باللام لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما يورد
عليه من الشدائد والمشاق كقولك للمحارب اصطبر لقرنك فالعبادة ثم اصطبر لها لا
ما اصطبر عليها هل تعلم له سميا اى احدا يسمى الله والاستفهام على سبيل الانكار وذلك كناية
عن نفى استحقاق الغير بالعبادة وهو تقرير للامر اى اذا صح ان لا احد غيره يستحق
العبادة لم يكن بد من التسليم لامره والاشتغال لعبادته والاصطبار على مشاقها ويقول
الانسان يعنى ابى بن خلف فانه فت عظما وقال ايبعث بعد ان صار كذا فنزل واللام
لارادة جنس باسره اذ لا يكون اسناد قول او فعل صدر عن بعض الى الكل الا اذا
صدر عنه بما مر منهم او برضى منهم كما فى قول الفرزدق فسيف بنى قيس ضربوا به
نبا بيدى ورقاء عن راس خالد ائذا ما مت لسوف اخرج حيا من الارض وتقديم
الظرف وايلاؤه حرف الانكار من قبل ان ما بعد الموت هو وقت كون الحيوة منكرة
جاء الانكار وانتصابه بفعل دل عليه اخرج لا به لان ما بعد لام الابتداء لا يعمل فيما قبلها
ومن اللام اذا دخلت على المضارع تخلص معنى الحال وتؤكد مضمون الجملة فلما جامعت
حرف الاستقبال خلصت للتاكيد واضمحل معنى الحال وما فى اذا ما للتوكيد ايضا فكانه
قال احقا انا سنخرج من القبور احياء حين يتمكن فينا الموت والهلاك على وجه الاستنكار
والاستبعاد اولا يذكر الانسان عطف على محذوف تقديره اينكر قدرتنا على الاعادة
ولا يذكر وانما اظهر الفعل للاشعار بالمنشأ لعدم تذكره فان النسيان كاللازم للانسان
قيل اول الناس اول الناسى او على يقول وتوسط الهمزة مع ان الاصل ان يتقدمها للانكار
اى الجمع بين هذين الامرين الغريبين وللاشعار بان المنكر بالذات هو المعطوف وان
المعطوف عليه انما نشأ منه فانه لو تذكر وتامل انا خلقناه اذ خلق مادته ولذلك
قال من قبل اى خلقنا مادته قبل خلق صورته ولم يك شيئا بل كان عدما صرفا لم يقل ذلك
فانه اعجب من جمع المواد بعد التفريق وايجاد مثل ما كان فيها من الاعراض وقرئ يذكر من الذكر

الذى يراد به التفكر وقرئ يتذكر على الاصل فوربك قسم باسمه تعالى مضافا الى نبيه
صلى الله عليه وسلم تحقيقا للامر وتفخيما لشان الرسول صلى الله عليه وسلم لنحشرنهم
اى المنكرين للبعث لا بد من هذا التخصيص لان لحاق الكلام لا يحتمل التعميم والشياطين
مفعول معه لما روى على وفق قوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو
قرين انهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين اغووهم كل كافر مع شيطانه فى
سلسلة ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا جمع جاث وهو الذى يبرك على ركبتيه يعنى انهم يساقون
جثاة من الموقف الى شاطئ جهنم فقوله جثيا حال مما تضمنه نحضرن من معنى التوق ثم
لننزعن النزع اخراج الشئ مما كان متصلا به او ملابسا له من كل شيعة الشيعة الجماعة
المتعاونون على امر من الامور ايهم اشد على الرحمن عتيا تمييز واصله المصدر جراءة او تمردا
اى مبتدئا بالاكبر جرما فالاكبر وايهم مبنى على الضم عند سيبويه لان حقه ان يبنى كسائر
الموصولات لكنه اعرب حملا على كل وبعض للزوم الاضافة واذا حذف صدر صلته زاد نقصه
فعاد الى حقه منصوب المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا واشد خبر مبتدأ محذوف ومرفوع
عند غيره اما بالابتداء على انه استفهامى وخبره اشد والجملة محكية وتقدير الكلام لننزعن
من كل شيعة الذين يقال فيهم ايهم اشد او تعلق عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم
للعلم او مستأنفة والفعل واقع على من كل شيعة على زيادة من او على معنى لننزعن بعض
كل شيعة واما شيعته لانها بمعنى تشيع وعلى للبيان او متعلق بافعل وكذا الباء فى قوله ثم لنحن
اعلم بالذين كنى بالعلم عن ايقاع المعلوم اى نحن نبدأ بتعذيب الاحق فالاحق وضمن
وهذه الكناية الدلالة على انه تعالى فى ذلك النزع لا يضيع شيئا فى غير موضعه هم اولى بها
احق بالنار صليا تمييز اى دخولا والباء يتعلق باولى اى الذين هم اولى بالصلى او
صليهم اولى بالنار ويجوز ان يراد بهم وباشدهم عتيا رؤساء الشيع فان عذابهم
مضاعف لضلالهم واضلالهم وان منكم وما منكم تلوين للخطاب للكلام من الغيبة الى
الخطاب للانتقال من احوال العامة الا واردها اى وان منكم احد الا داخلها والورود
فى اللغة الوصول الثانى ان المراد هنا الدخول بطريق الكناية كما فى قوله تعالى فاوردهم
النار وقوله لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها لقوله عليه السلام الورود الدخول لا يبقى
بر ولا فاجر الا دخلها فيكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابرهيم وتقول النار
للمؤمن جز يا مؤمن فان نورك اطفأ لهبى وهو الظاهر من قوله ونذر الظالمين فيها
حيث قال ونذر ولم تقل وندخل ولا ينافيه قوله تعالى ان الذين سبقت الآية لان معناه
انهم مبعدون عن النار لا عن موضعها وهم كذلك فانهم يمرون والنار خامدة على
ما ورد فى الخبر ولذلك لا يسمعون حسيسها وفائدة ادخالهم النار تشديد الحسرة على الكفار

اشد

كان ورودهم على ربك حتما مقضيا الحتم القطع بالامر وذلك حكم من الله قاطع والمقضي
الذي قضى بانه يكون ولما كان المتبادر الى الوهم من قوله كان على ربك حتما الوجوب على
الله تعالى زيد قوله مقضيا دفعا لذلك الوهم لما فيه من الدلالة على ان ما ذكر انما هو بقضائه
تعالى فيكون الكلام المذكور مستعارا لمعنى اللزوم الناشئ عن القضاء المبرم فلا وجوب
ولا ايجاب لا من ذاته تعالى ولا من غيره ثم ننجي الذين اتقوا الكفر فيساقون الى الجنة ونذر
الظالمين وندع الكافرين فيها جثيا جاثين على الركب للتخاصم كما قال ان ذلك لحق تخاصم
اهل النار وقال واذ يتحاجون في النار فلا دلالة فيه على ان المراد بجثوهم لها واذا تتلى
عليهم اياتنا بينات مرتلات الالفاظ مبينات المعاني في نفسها او ببيان الرسول او واضحات
الاعجاز قال الذين كفروا للذين امنوا لاجلهم او معهم اي الفريقين نحن وانتم خير مقاما
بالفتح موضع القيام والمراد المكان والمسكن وبالضم وهو موضع الاقامة والمنزل و
احسن نديا مجلسا يجتمع القوم فيه للمشاورة ومعنى الاية ان الله تعالى يقول اذا انزلنا
اية فيها دلائل وبراهين اعرضوا عن التدبر فيها الى الافتخار بالثروة والمال وحسن المنزل
والحال غافلين عن وخامة المآل فقال تعالى منبها على ذلك وكم اهلكنا قبلهم من قرن كم
مفعول اهلكنا ومن تبيين لابهامها اي كثيرا من القرون اهلكنا وكل اهل عصر قرن
لمن بعدهم هم احسن في موضع الصفة لقرن وجمع اعتبارا لمعناه وقيل في محل النصب
صفة لكم الا ترى انك لو تركت هم كان احسن نصبا على الوصفية ويرد عليه انهم نصوا
على ان كم الخبرية والاستفهامية لا توصف ولا يوصف بها اثاثا تميز للنسبة وهو متاع البيت
وقيل هو ما جد من الفرش والخرثي ما رث ورئيا منظرا وهيئة فعل بمعنى مفعول من
رئيت كالطحن وقرئ وريا بغير همز مشددا على قلب الهمزة واوا وادغامها او على انه من
الري الذي هو النعمة وقرئ ريئا على القلب وريا بحذف الهمزة وزيا من الزي قال المطرزي
والزي الهيئة فعل من زوى اذا جمع لانه لا يقال لفلان زي حسن الا ان يجمع ما يستحسن من
لبسة حسنة وهيئة مستحسنة لما كان كلامهم اي الفريقين خير مقاما كلام المفحم المغلوب المنقطع
الذي لا يجد ما يصلح للجواب فينتقل الى امر آخر يدعي به الفضل والغلبة رد عليهم ونقض كلامهم
مهددا بقوله وكم اهلكنا الخ ثم بين ان تمتيعهم في الدنيا استدراج ليس بدليل على الفضل
والرفعة وانما الفضل هو السعادة في الآخرة بقوله قل من كان في الضلالة وهو تسجيل على
القائلين ذلك القول بالضلالة وتنبيه وبيان ان ما دعاهم الى ذلك القول هو غاية التعمق
في الضلالة والجهالة والاستغراق فيها فليمدد له الرحمن مدا جواب من لانها شرطية وهذا الامر
بمعنى الخبر اي من كفر يمده الرحمن بمعنى يمهله ويملي له في العمر ليزداد طغيانا وضلالا كقوله انما
نملي لهم ليزدادوا اثما وانما اخرج على لفظ الامر ايذانا بان امهاله مما ينبغي ان يفعل كالمامور

استدراجا وقطعا لمعاذيره حتى اذا راوا ما يوعدون حتى متصلة بقوله خير مقاما ونديا وما بينهما
اعتراض اي لا يزالون يقولون هذا القول الى ان يشاهدوا الموعود رأي عين اما العذاب
في الدنيا وهو تعذيب المسلمين اياهم بالقتل والاسر واما الساعة اي القيامة والمراد ما ينالهم
من الخزي والنكال فيها فهما بدلان مما يوعدون فسيعلمون من هو شر مكانا من الفريقين و
اضعف جندا اعوانا وانصارا اي فحينئذ يعلمون قطعا ان الامر على عكس ما قدروه وانهم شر
منزلا واضعف جندا لا خير مقاما واحسن نديا وان المؤمنين على خلاف صفتهم وهو جواب
الشرط والجملة محكية بعد حتى وجاز ان يتصل بما يليها والمعنى ان الذين في الضلالة ممدود
لهم في ضلالتهم لا ينفكون عنها الى ان يعاينوا نصرة الله المؤمنين او يشاهدوا اهوال الساعة
ويزيد الله الذين اهتدوا هدى عطف على فليمدد لانه في معنى الخبر كانه قيل من كان في الضلالة
يزيد الله في ضلاله ويزيد المهتدين اي المؤمنين ثباتا على الاهتداء او على الشرطية المحكية
بعد القول كانه لما بين ان امهال الكافر وتمتيعه بالحيوة الدنيا ليس لفضله اراد ان يبين ان
قصور حظ المؤمن فيها ليس لنقصه بل لانه تعالى اراد به ما هو خير وعوضه منه والباقيات
الصالحات اي الطاعات التي تبقى عائدتها ابد الاباد وكل الصيد في جوف الفرا خير عند ربك
ثوابا عائدة من النعم الفانية التي يفتخرون بها كيف ومآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة
والعذاب الدائم كما اشار اليه بقوله وخير مردا مرجعا وعاقبة والتفضيل فيه للتهكم بالكفار
لانهم قالوا للمؤمنين اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا افرايت الذي كفر باياتنا لما
كان رؤية الاشياء طريقا الى العلم بها وصحة الخبر عنها استعملوا ارأيت في معنى اخبر والفاء
للتعقيب والمعنى اخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث اولئك وقال لاوتين جواب قسم
مضمر مالا وولدا وقرئ ولدا وهو جمع ولد كاسد في اسد او بمعنى الولد كالعرب في
العرب اطلع الغيب من قولهم اطلع الجبل اذا ارتقى الى اعلاه الهمزة للاستفهام وهمزة
الوصل محذوفة اي انظر في اللوح المحفوظ فراى فيه حتى اخبر ام اتخذ عند الرحمن عهدا
موثقا ان يؤتيه ذلك روي ان خباب بن الارت صاغ للعاص بن وائل حليا فاقتضاه
الاجر فقال انكم تزعمون انكم تبعثون وان في الجنة ذهبا وفضة فانا اقضيك ثمة فاني اوتى
مالا وولدا الخ وفيه ان قوله وولدا لا يناسب المقام وسياق الكلام كلا ردع وتنبيه
على الخطأ اي هو مخطئ فيما تصوره لنفسه فليرتدع عنه سنكتب ما يقول سنظهر له
انا كتبنا قوله على طريقة قوله اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي تبين اني لم تلدني لئيمة لا ان
نقل الكتبة لا يتاخر عن القول لقوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقيل معناه على طريقة
قول المتوعد للجاني سوف انتقم منك يعني انه لا يخل بالانتقام وان تطاول به الزمان الا ان
حرف التنفيس جرد ههنا للوعيد ونمد له من العذاب كما يزيد في الافتراء والافتخار

المدد يقال مده وامده بمعنى مدا اكد بالمصدر لفرط غضبه تعالى ونرثه بموته
ما يقول يعني المال والولد بدل اشتمال من الهاء في نرثه ويأتينا يوم القيامة فردا لا يصحبه
مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلا ان يؤتى ثم زائدا واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا
لهم عزا ليتعززوا بهم بان يكونوا لهم شفعاء عند الله ووحد عزا لانه بمعنى المصدر
كلا اى ليس الامر كما ظنوا سيكفرون بعبادتهم الضمير للآلهة اى سيجحدون عبادتهم
ويقولون والله ما عبدتمونا لقوله تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا او للمشركين اى ينكرون
ان يكونوا قد عبدوها كقوله والله ربنا ما كنا مشركين ويكونون عليهم ضدا
خصماء لان الله تعالى ينطقهم فيقولون يا رب عذب هؤلاء الذين عبدونا من
دونك والضد يقع على الواحد والجمع في مقابلة لهم عزا والمراد ضد العز وهو الذل
والهوان اى يكونون عليهم ضدا لما قصدوه من العز على معنى انها تكون معونة في عذابهم
بان توقد بها نيرانهم او وصل الواو للكفرة اى ويكونون كافرين لهم بعد ان كانوا يعبدونها
وتوحيده لوحدة المعنى الذى به مضادتهم فانهم بذلك كالشيء الواحد ونظيره قوله
عليه السلام وهم يد واحدة على من سواهم وقرئ كلا بالتنوين على قلب الالف نونا في
الوقف او على معنى كل هذا الراى كلا وكلا على اضمار فعل يفسره ما بعده اى سيجحدون
كلا سيكفرون بعبادتهم الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين الارسال التخلية
وتعديته بعلى لتضمين معنى التسليط اى خليناهم مسلطين عليهم بالاغراء وذلك حين
قال لابليس واستفزز من استطعت منهم بصوتك تؤزهم ازا اغراء بازعاج واصل
الاز الحركة مع صوت متصل من ازيز القدر وغليانها والمعنى تهيجهم الشياطين
وتسوقهم الى المعاصي بسرعة وسياق الكلام ظاهر في الامهال استدراجا ولذلك اتى باداة
التفريع في قوله فلا تعجل اى لا تطلب العذاب قبل حينه ولذلك قال عليهم ولما كان قوله
انما نعد لهم اى انفاسهم ليستوفوا اجالهم في مقام التعليل كان المناسب ان يكون
المراد انما نمهلهم ولا نهملهم وما قيل اى لا تعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا ايام محصورة و
انفاس معدودة بعيد عن سياق الكلام وسباق المقام عدا فلا يزدادون عليها ولا
ينقصون منها يوم نحشر المتقين الحشر الجمع من جهات متعددة ونصب يوم بلا يملكون او
مضمر اى يوم نحشر ونسوق نفعل بالفريقين ما لا يوصف الى الرحمن لاختيار هذا الاسم
في هذه السورة شان ولعله لان سياق الكلام لتعداد نعمه الجسام وشرح حال الشاكرين
لها والكافرين بها وفدا او فد جمع وافد كركب وراكب حال من المتقين ونسوق المجرمين الكافرين
سوق الانعام لانهم كانوا اضل منها الى جهنم وردا عطاشا لان من يرد الماء لا يرده الا
لعطش وحقيقة الورد المسير الى الماء فسمي به الوارد دون ذكر المتقون بانهم يجمعون

الى ربهم الذى غمرهم برحمته كما يفد الوفود على الملوك تبجيلا لهم والكافرون بانهم يساقون
الى النار كانهم نعم عطاش يساقون الى الماء استخفافا بهم لا يملكون الشفاعة الضمير فيه
للعباد المدلول عليهم بذكر المجرمين والمتقين لانحصارهم فيهما الا من اتخذ عند الرحمن
عهدا اذنا فيها لقوله تعالى لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن من قولهم عهد الامير الى
فلان بكذا اذا امره به ومحله الرفع على البدل من ضمير يملكون او النصب على تقدير المضاف
اى الا شفاعة من اتخذ او على الاستثناء وقيل الضمير للمجرمين اى لا يملكون ان يشفع لهم
الا من اتخذ عند الله عهدا بالاسلام ليستحق به ان يشفع له وقالوا اتخذ الرحمن ولدا
اى النصارى واليهود ومن زعم ان الملائكة بنات الله ولا وجه لاسناد هذا القول الى
الكل مع الانكار عن بعضهم ووقوع المشاجرة فيه فيما بينهم لكونه مقولا فيما بينهم على
ان في هذا الاسناد نوع تشنيع للمسلمين وهم براء عنه لقد جئتم شيئا ادا على الالتفات
للمبالغة في الذم والتسجيل عليهم بالجراءة على الله والتعرض لسخطه والتنبيه على عظم ما قالوا
والاد بالكسر والفتح العجب وقيل العظيم المنكر من الادة وهي الشدة تكاد السموات تقرب
يتفطرن وبالنون الانفطار من فطره اذا شقه والتفطر من فطره اذا شققه مرة بعد
اخرى فهذا ابلغ منه من عظم هذا القول وتنشق الارض وتخر الجبال وتسقط هدا
اى مهدودة او تهد هدا او مفعول له اى لانها تهد والهد الهدم بشدة صوت وهو
تقرير لكونه ادا اى بلغت هذه الكلمة من فظاعتها وعظمها وهدمها لاركان الدين وقواعده
مبلغا لو تصورت بصورة محسوسة لم يحتمل مثله هذه الاجرام العظيمة التي هي قوام
العالم وتفتتت من شدتها او كادت هذه الاجرام تنفطر وتخرب العالم لشدة غضب
الله تعالى على من تفوه بها فهدا له وهدما لاركان العالم عليه سخطا لها وتهويلا
من فظاعتها ان دعوا للرحمن ولدا اما منصوب بتقدير حذف اللام وافضاء الفعل اليه
لتعليل تكاد او لهدا اى هدا لان دعوا علل الخرور بالهد والهد بدعاء الولد للرحمن
او مجرور بدل من الضمير في منه اى من ان دعوا او على اضمار لام التعليل او مرفوع على
انه فاعل هدا اى هدها دعاء الولد او خبر مبتدأ محذوف اى سبب ذلك ان دعوا
وهو من دعا بمعنى سمى المتعدى الى مفعولين او من دعا بمعنى نسب الذى مطاوعه ادعى
بمعنى انتسب وما ينبغي ما يأتي للرحمن ان يتخذ ولدا قيل لا يليق به اتخاذ الولد ولا يتطلب
له لو طلب مثلا لانه مستحيل ويرد عليه ان المحال يستلزم المحال فيجوز ان يتطلب على تقدير
تحقق الطلب المحال فبالتعليل المذكور لا يتم التقريب وفائدة تخصيص الرحمن بالذكر
وتكريره مرة بعد اخرى انه اسم مختص بالواجب لذاته باعتبار افاضة الوجود واصول
النعم على الكل كما قيل فليكتف عن يمدك غطاؤه فانت وجميع ما عندك عطاؤه [illegible]

نعمة او منعم عليه فلا يجانس من هو مبدئ النعم والولد يجب ان يجانس الوالد فلا يمكن له
ولد فمن نسب اليه الولد فقد شبهه بخلقه واخرجه عن استحقاق اسم الرحمن ولهذا الوقف
على المفعول الثاني على تضمين دعوا بمعنى سموا لله لانه على العموم والاحاطة بكل ما جعل ولدا
لاستحالة مناسبة شيء ما من خلقه له ان كل من من نكرة موصوفة صفتها في السموات و
الارض وخبر كل الا اتي الرحمن ووحد اتي واتيه حملا على لفظ كل وهو اسم فاعل من اتى و
هو مستقبل اي ياتيه ويلتجئ اليه عبدا اي خاضعا ذليلا منقادا والمعنى ما كل من في العالم
من الثقلين والملك الا وهو ياتي الله تعالى يوم القيمة مقرا بالعبودية وهي والبنوة
متنافيان حتى لو ملك العبد ابنه يعتق عليه وهذا تصريح بما علم مما تقدم لقد احصاهم
الاحصاء الحصر والضبط اي احاط بهم علمه وعدهم عدا اي علم تفاصيلهم واعدادهم
فكانه عدهم باشخاصهم فرادى والله منزه عن الحاجة الى العد وكلهم اتيه يوم القيمة فردا
منفردا سواء العابد والمعبود ليس مع المعبود ممن يعبده احد يخدمه ويتصفه ولا مع العابد
احد يشفع له وينصره ويحققه ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا
سيحدث في قلوب الناس مودة من غير ان يتعرضوا للاسباب التي يكتسب بها مودة بل
اصطناعا من الله تعالى لعباده الخاصة قال قتادة ما اقبل العبد الى الله تعالى الا اقبل الله
بقلوب العباد اليه وللفظ الرحمن ههنا خصوصية تظهر بالتامل في قوله عليه السلام ان قلوب
بني ادم بين اصبعين من اصابع الرحمن فلهنا خصوصية يقلبها كيف يشاء والسين اما
لان السورة مكية وكانوا ممقوتين حينئذ بين الكفرة فوعدهم الله تعالى ذلك اذا دجا الاسلام
او لان الموعود في القيمة حين يعرض حسناتهم على رؤس الاشهاد فينزع ما في صدورهم
من الغل فانما يسرناه سهلناه منزلا بلسانك اي بلغتك وهو اللسان العربي المبين
والفاء التسببية لان ما قبلها دلت على ان تعنت الكفرة اياهم لا يضرهم وسيحدث بدله الحب
فقال له لا تحزن وبلغ ما انزل اليك مبشرا ومنذرا لتبشر به المتقين الصائرين الى التقوى وتنذر
به قوما لدا اللد جمع الالد وهو الشديد الخصومة في الباطل الآخذ في كل لديد اي شق و
جانب لفرط اللجاج والمراء وكم اهلكنا قبلهم من قرن تخويف لهم وانذار وتجرئة للرسول
عليه السلام على انذارهم هل تحس منهم من احد اذا اشعر به ومنه الحس والمحسوس منهم
من احد اي هل ترى منهم احدا او تسمع لهم ركزا الركز الصوت الخفي واصل التركيب
الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون اي قد ذهبوا وبادوا فلا
عين لهم ولا اثر فكذا هؤلاء ان اعرضوا عن تدبر ما انزل اليك فعاقبتهم الهلاك فليهن عليك امرهم

طه روي عن مجاهد والحسن والضحاك وعطا وغيرهم ان معناه يا رجل فان صح فلعل [illegible]
والا فالحق ما هو المذكور في سورة البقرة وقرئ طه على انه امر للرسول عليه السلام
بان يطا الارض بقدميه فانه كان يقوم في تهجده على احدى رجليه وان اصله طا فقلبت
همزته هاء وعلى هذا يحتمل ان يكون اصل طه طا ها الالف مبدلة عن الهمزة والهاء كناية
عن الارض ويمنع هذا الوجه والتعبير بها هذا كتبتهما على صورة الحرف في الاية ان يقال انه
اكتفى بشطري الكلمتين وعبر عنهما باسميهما ما انزلنا عليك القران ان جعلت طه تعديدا
لاسماء الحروف فهو ابتداء كلام وان جعلتها اسما للسورة او القران احتمل ان يكون
خبرا عنها وهي في موضع المبتدا والقران ظاهرا وقع موقع المضمر وان يكون جوابا لها
وهي قسم وان جعلتها نداء فهو منادى وان جعلتها فعلية او اسمية باضمار مبتدا او
طائفة من الحروف محكية فهو استيناف لتشقى لتتعب بفرط تاسفك على كفر قومك وتحسرك على
ان يؤمنوا وما عليك ان لا يؤمنوا اذ لم تفرط في اداء الرسالة او بكثرة تهجدك وطول قيامك
اي ما بعثت لتنهك نفسك وتذيقها المشقة الفادحة فانك لها حقا عليك وانما بعثت بالحنيفية
السمحة السهلة والشقاء شايع في معنى التعب ومنه اشقى من رائض المهر وسيد القوم اشقاهم
وفيه اشعار بان القران انما انزل عليك لتسعد وهو الوسيلة الى نيل كل فوز وسعادة
فلا تجعله موجبا للشقاوة وقيل رد وتكذيب للكفرة فانهم لما راوا كثرة عبادته قالوا
انك لتشقى لترك ديننا وان القران انزل عليك لتشقى به الا تذكرة نصب على الاستثناء
المنقطع اي لكن ليكون تذكرة او على الحال اي الا مذكرين او على المفعول له اي الا للتذكرة
وانما جيء باللام في لتشقى لانه ليس لفاعل الفعل المعلل فانتفى شرط انتصابه وانتصب
هذه لوجود الشرط لا على البدل من محل لتشقى لاختلاف الجنسين الا ان يجعل التذكير نوعا
من الشقاء اي ما انزلناه لتفرط في الرياضة والتهجد وتتعب بالتاسف والتحسر على
ايمانهم انما انزلناه لتحمل مشاق التبليغ ومتاعب التذكر ومقاولة العتاة الجاحدين
ومقابلة اعداء الدين وساير تكاليف النبوة لمن يخشى لمن يصير الى الخشية ويلين قلبه
ويرق ويعلم بقراءته ينتفع به تنزيلا بدل من تذكرة اذا جعلت حالا لا مفعولا له
لفظا او معنى اذ الشيء لا يعلل بنفسه ولا بنوعه او نصب على المصدر باضمار نزل
او بانزلناه لان معنى ما انزلناه الا تذكرة انزلناه تذكرة او على المدح و[illegible]
او على انه مفعول به ليخشى اي تذكرة لمن يخشى تنزيلا من الله وقرئ [illegible]
الرفع اي هو تنزيل ممن خلق الارض والسموات العلى صلة لتنزيلا او صفة له
اي تنزيلا كائنا من الله تعالى والعلى جمع العليا تانيث الاعلى وفخم شان المنزل اولا
باسناد الانزال الى الواحد المتعال ثم بتنكير تنزيلا للتعظيم والابهام والتوضيح حيث

لم يصف ثم بالالتفات من التكلم الى الغيبة لابقاظ السامع والتنبيه على عظمة شانه بتفنن الكلام باجراء الصفات العظام العجيبة على منزله وايراد الموصول ذريعة الى ذلك ثم بوصف السموات بالعلى للدلالة على علو قدرة خالقها ثم باجراء صفة العظمة والتمجيد فاكد الفخامة بوجوه كثيرة وطرق مختلفة ورتب صفاته ترتيبا انيقا فبدء اولا بايجاده لاصول العالم وقدم الارض لانها اقرب الى الحس واظهر نفعا واحتياجا اليها ثم اشار الى وجه احداث الكائنات وتدبير امرها بذكر استوائه على العرش واجراء الاحكام وانزال الاسباب منه على الترتيب الذى اقتضت حكمته وتعلقت به مشيته فقال الرحمن رفع على المدح اى هو الرحمن او بدل من فاعل خلق على العرش خبر مبتدأ محذوف وعلى الاول يجوز ان يكون خبرا بعد خبر استوى كناية عن الملك لان العرش سرير الملك ومكان التمكن من ملكه فاجريت هذه العبارة مجرى ملك واستعملت فى موضعه واشتهرا كالمترادفين لمنا ويجىء فى افادة المعنى المراد مع تصوير العظمة وتخييل الابهة والسلطنة والتمكن فى ملكه وان لم يتعد قط على السرير له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى ما تحت الارضين فان الثرى الطبقة الترابية من الارض ومن آخر طبقاتها وهذه الجملة تجرى مجرى البيان من الاول لان مؤدى الاول كونه ملكا مطاعا قادرا وقوله له ملك السموات الخ تفصيل لذلك وتقرير له ولما ذكر ما دل على ملكه وكمال قدرته واراد ان عقبه بما دل على كمال علمه واحاطته بخفايا الامور وجلاياها على السواء لتلازم تلك الصفات فيه وابتناء الجميع على العلم فقال وان تجهر بالقول ترفع صوتك به سواء كان ذكرا او دعاء او غيرهما وحذف جواب الشرط اى فاعلم انه غنى عن جهرك به واقيم تعليله مقامه وهو فانه يعلم السر واخفى اى ما اسررته الى غيرك وما هو اخفى منه اى ما اخطرته ببالك واضمرته فى نفسك والسر ما اضمرته فى نفسك وما هو اخفى منه ما لم يخطر ببالك من الغيب المستاثر هذا ما قالوا وعندى ان على السر واخفى كناية عن استغنائه عن الجهر بالقول فلا حذف ولا اقامة فهو تعليم للعباد ان الجهر ليهضم النفس بالتضرع والجوار واستبعادها عن مظان الغرب باستغفارها لا لاعلام الله بذلك واسماعه او نهى تنزيه عما يوزن بالريا ثم لما عدد الصفات الكمالية ووصفه بما لا يمكن ان يوصف به غيره من صفات الالوهية والربوبية افصح عن التوحيد وصرح بانه المتفرد بها المتوحد بمقتضياتها فقال الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى اى هو واحد بذاته وان افترقت عبارات صفاته ردا لقولهم انك تدعو آلهة حين سمعوا اسمائه تعالى والحسنى تانيث الاحسن وفضلها على سائر الاسماء فى الحسن لدلالتها على معان هى اشرف المعانى وافضلها وهل اتيك استفهام تقرير يحث على الاصغاء لما يلقى اليه حديث موسى فى خطابه بقصة موسى عليه السلام

ليقتدى به فى تحمل اعباء النبوة والصبر على مقاساة الشدائد فى تبليغ الرسالة فان هذه السورة من اوائل ما نزل وهذه القصة مرجحة لكون التذكرة تنصيصا على الاشتغال المفصل اذ راى نارا اذ ظرف للحديث او لاذكر او لمضمر دل عليه فقال اى حين راى نارا كان كيت وكيت فقال لاهله امكثوا البثوا مكانكم انى آنست نارا ابصرت ابصارا بينا لا شبهة فيه ومنه الانس لظهوره وقيل هو وجدان ما يونس به ولما كان الايناس محققا اتى بكلمة ان وحققه لهم ليوطنوا انفسهم عليه بخلاف الاتيان بقبس ووجدان الهدى على النار فان كلا منهما مترقب متوقع فبنى الامر فيهما على الرجاء والطمع وجاء بلعل ولم يقطع بهما لئلا يعد ما لا يستيقن الوفاء به لعلى آتيكم منها بقبس بقبس النار المقتبسة فى راس عود او فتيلة او نحوهما وقيل جمرة وبرده قوله تعالى فى موضع آخر بشهاب قبس او اجد على النار معنى الاستعلاء على النار ان اهلها مشرفون عليها عند الاصطلاء بها قياما وقعودا او مستعلون المكان القريب منها هدى اى هدى قالانه اذا وجد الهادى فقد وجد هدى ما الى الطريق وانما جاء باو لانه بنى الرجاء على انه ان لم يظفر بحاجتيه جميعا لم يعدم واحدة منهما فلما اتيها اى النار وجد نارا بيضاء تتقد فى شجرة خضراء نودى يا موسى هو تكليم الله تعالى اياه ونودى مبنى للمفعول وحذف الفاعل للتعظيم انى انا ربك قرئ بالفتح اى بانى ومن كسر اجرى النداء مجرى القول لانه ضرب منه وتكرير الضمير للتوكيد للدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة قيل لما نودى يا موسى قال من المتكلم فقال الله تعالى انا ربك فوسوس اليه الشيطان لعلك تسمع كلام الشيطان فقال انا عرفت انه كلام الله تعالى بانه اسمعه من جميع الجهات واسمعه بجميع اعضائى قوله اسمعه من جميع الجهات برده قوله تعالى وناديناه من جانب الطور الايمن فانه صريح فى سماعه النداء من جهة واحدة لا من جميع الجهات فاخلع الخلع نزع الملبوس تقال خلع ثوبه عن بدنه ونعله عن رجله وقد ينزع المسمار عن موضعه ولا يكون خلعا لانه غير ملبوس نعليك امر بخلعهما تعظيما لحضرة القدس لان فى الحفوة تواضعا لله تعالى وتادبا ولهذا كان السلف يطوفون بالبيت حافين والتعليل بقوله انك بالواد المقدس دال على ان ذلك احترام للبقعة وتعظيم لقدسها وتفريع الامر بخلع النعلين على النداء المذكور وان كان باعتبار ان ما فى الخلع من التواضع لله تعالى والتادب مقتضى النداء لكنه لا يخلو عن الاشعار بان فى بركة تلك البقعة مدخلا لورود ذلك النداء العظيم فان فيها وقيل لنجاستهما فانهما كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ وقيل ليباشر بركة الوادى المقدس وتمس قدماه تربته والوادى سفح الجبل ويقال للمجرى العظيم من مجارى الماء واد والمقدس المطهر طوى علم للوادى فيكون بدلا وعطف بيان وقرئ منونا للوصف

فهو معنى المكان وغير منون لوحظ فيه معنى البقعة وقيل هو من الطي كثني ومنى بمعنى
مرتين اي قدس مرة بعد مرة او نودي نداءين وانا اخترتك اصطفيتك للنبوة وقرئ
انا اخترناك انا ان واسمها واخترناك جملة في موضع الخبر فاستمع لما يوحى اللام متعلق
باستمع او باخترتك وما موصولة اي للذي يوحى اليك او مصدرية اي للوحي وقوله انني
انا الله لا اله الا انا فاعبدني بدل مما يوحى عظم امر التوحيد وفخم شانه بالابهام في قوله
لما يوحى والتوضيح بقوله انني انا الله او بالابدال الدال على ان الوحي مقصور على تقرير
التوحيد الذي هو نهاية العلم المستلزم لتخصيص العبادة بالله الذي هو كمال العمل وبالتاكيد
بان وتوسيط الضمير تكرير معناه بالتهليل والاتيان بفاء السببية واقم الصلوة عطف
الامر باقامة الصلوة على الامر بالعبادة وتخصيصها بالذكر من بين سائر العبادات
تنبيه على فضلها وشرفها وانافتها على الجميع كعطف جبرائيل وميكائيل على الملائكة ولذلك
علل افرادها بالذكر بقوله لذكري فانها توجب شغل القلب واللسان بذكر الله تعالى فمعنى
لذكري لتذكرني وقيل لاني ذكرتها في الكتب وامرت بها او لان اذكرك بالمدح والثناء و
اجعل لك لسان صدق او لذكري خاصة غير مشوب بذكر غيري او رياء او عوض او
غرض اخر وهو الاخلاص او لتكون لي ذاكرا غير ناس او لاوقات ذكري وهي مواقيت
الصلوة او لذكر صلوتي لما روي انه عليه السلام قال من نام عن صلوة او نسيها فليقضها
اذا ذكرها فان الله تعالى يقول اقم الصلوة لذكري على حذف المضاف او على ان ذكر الصلوة
ذكر الله تعالى او لان الذكر والنسيان من الله تعالى في الحقيقة ان الساعة آتية يعني ان
القيمة كائنة لا محالة اكاد اخفيها قربه تعالى من اخفائها مجاز عما اقتضته الحكمة من الاخبار
بوقوعها للانذار وقطع الاعذار مع كتمان وقتها ليكونوا على وجل في كل وقت فانه اظهار فيه نوع
من الاخفاء ويجوز ان يكون من اخفاه اذا ازال خفاءه اي اكاد اظهرها وقربه تعالى من اظهارها
مجاز عن اظهار بعض اشراطها كبعثة خاتم الانبياء عليه وعليهم الصلوة والسلام وانشقاق
القمر ويؤيده قراءة ابي الدرداء رضي اخفيها بالفتح من خفاه اذا اظهره قيل انه من الاضداد
والحق ما روي عن ابي علي انه من باب السلب لتجزى متعلق باتية وما بينهما اعتراض وبخفيها
على المعنى الاخير كل نفس بعض من النفوس الساعية بقرينة قوله بما تسعى السعي كناية عن الكسب
فلا يصدنك الصد الصرف عن الخير خاصة عنها عن التصديق بالساعة وعن الصلوة من لا
يؤمن بها والمراد من نهي الكافر عن صد موسى عليه السلام نهيه عن الانصداد عنها بصده
وهذا كقولك لا ارينك ههنا فان النهي عن السبب النهي عن المسبب مبالغة وفيه تنبيه على انه
عليه السلام لو خلي وفطرته السليمة لكان مصدقا بها غير معرض عنها او بحثه على العمل
في الدين وشدة الشكيمة فيه وتهييجه عليها فان صد الكافر اياه مسبب عن ضعف عقيدته

ولين شكيمته للنهي عن التسبب اي ينبغي لك ان تكون صلبا في الدين راسخا في الاعتقاد ونيته
بقوله واتبع هواه على ان سلوك طريق العقل واتباع الحجة توجب التصديق بالبعث والساعة
فانكارها والتكذيب بها انما يكون بغلبة الهوى واتباعه والهوى ميل التشهي النفس الى الشيء
بلا حجة باعثة فيه وهوى الحق محمود وهوى النفس مقصود فتردى جواب النهي او مقدر
بعد فاء الجواب وتردى علامة النصب فيه فتحة مقدرة في الالف معناه فتهلك وما تلك استفهام
تضمن معنى الاستيقاظ لما يريد فيها من الايات العجيبة الدالة على القدرة الباهرة قيل الحكمة
في هذا السؤال بسطه فقد كانت الهيبة قبضته او تركه على ما كان عليه لعله كان لا يبقى له
ثبات لنفسه ولما بسط الحق بسماعه كلامه اخذته اريحية بسماع الخطاب فاجاب عما سئل وعما
لم يسئل وسلك مسلك الاطناب بيمينك حال من تلك والعامل فيه معنى الاشارة كما في
قوله تعالى هذا بعلي شيخا وجاز ان يكون تلك اسما موصولا صلته بيمينك قيل ثم لم يقل بيدك
لانه كان في يساره خاتم فلو اجمل يعني في الجواب لاشتباه يا موسى تكرير لزيادة التنبيه و
الاستيناس قال هي عصاي قرئ عصي على لغة هذيل اتوكأ عليها اعتمد عليها اذا اعييت
او وقفت على راس القطيع والتوكي على الشيء التحامل عليه في المشي والعكوف ومنه الاتكاء
توكأت واتكأت بمعنى واحد واهش بها اخبط الورق وقرئ اهش وكلاهما من هش
الخبز يهش اذا كان ينكسر لهشاشته على غنمي ليأكله وعن عكرمة اهس بالسين وهو زجر الغنم
اي انحي عليها زاجرا لها قدم في الجواب مصلحة نفسه ثم ثنى بمصلحة ماشيته ولي فيها مارب
اخرى المارب الحاجات عاملها وان كانت جمعا معاملة الواحدة المؤنثة فاتبعها صفتها في
قوله اخرى ولم يقل اخر رعيا للفواصل وهو جائز في غيرها فكان فيها اجوز واحسن قيل
فهم موسى عليه السلام من سؤال رب العزة انه سيحدث في العصا امرا عظيما فذكر منافعها
وفصل بعض منافعها وخواصها فلما استطال الكلام استشعر سوء الادب فاجمل وقيل
انما اجمل ليسأله عن تلك المارب فيكون زيادة في اكرامه والغرض من ذكرها معتبرها ومنافعها
انها ليست الا عصا تنفع منافع امثالها كسائر العيدان ليكون جوابه مطابقا لما فهمه من فحوى الكلام مرة
حتى اذا وجدها على خلاف حقيقتها وخواصها مما ذكر من الامور الخارقة للعادة ظهر انها معجزة
باهرة وايات ظاهرة خصه الله تعالى بها واكرمه فقال والقها يا موسى اي اطرحها لانه اضافها
الى نفسه بقوله هي عصاي فاراد ان يقطعها عنه ويريه الخارق بعد اخراجه من سلطانه وتدبيره
ليعلم انه محض صنع الله تعالى ولا مدخل فيه لفعل العبد فالقاها اطرحها على الارض وقد مر في
سورة الاعراف بيان اصل الالقاء فاذا هي اي صارت في الحال حية تسعى الحية اسم الجنس
يقع على الصغير والكبير والذكر والانثى والسعي المشي بسرعة وخفة حركة قيل لما القاها
انقلبت حية صفراء بغلظ العصا ثم تورمت وعظمت فلذلك سماها جانا تارة نظرا الى المبدأ

وثعبانا مرة باعتبار المنتهى وحية اخرى بالاسم الذي يعم الحالين وكان هذا القائل
غافل عن عبارة كانها جان في قوله تعالى كانها جان لانها صريحة في التشبيه وعدم كونها جانا
حقيقة قال خذها تناولها بيدك ولا تخف الخوف انزعاج النفس بتوقع الضرر لما رأى
موسى عليه السلام ذلك الامر العجيب الهائل ملكه من الفزع والنفار ما يملك البشر عند الاهوال
والمخاوف فهرب منها كما اخبر عنه بقوله ولى مدبرا ولم يعقب فامره الله تعالى بالاقدام
على اخذها ونهاه عن ان يخاف منها وقيل لما كان قال له ربه لا تخف بلغ من الامن و
طمأنينة النفس ان ادخل يده في فمها واخذ بلحييها كانه ضمن صيغة التكليف صيغة التكوين
وقد حققنا في تفسير سورة البقرة ان النهي كالامر يتنوع الى التكليفي والتكويني وحكمة
انقلابها وقت مناجاته تأنيسه بهذه المعجزة الهائلة حتى يلقيها لفرعون فلا يلحقه ذعر منها
في ذلك الوقت سنعيدها الاعادة رد الشيء ثانيه الى ما كان اول مرة سيرتها الاولى
هيئتها وحالتها المتقدمة والسيرة فعلة من السير كالركبة من الركوب يقال سار فلان سيرة
حسنة ثم اتسع فيها فنقلت الى معنى المذهب والطريقة وقيل سير الاولين فيجوز ان ينتصب
على الظرف اي في طريقتها الاولى حال ما كانت عصا او على نزع الخافض او على المفعول به
ان جعل اعاد منقولا من عاده بمعنى عاد اليه فيتعدى الى مفعولين او بتضمين فعلها
اي سنعيدها سائرة سيرتها الاولى عصا ينتفع الاولى به كما كانت اولا او على انه
بدل الاشتمال من الضمير المنصوب في سنعيدها اي سنعيد سيرتها الاولى واضمم يدك الى
جناحك بمعنى بعد ادخالها في الجيب على ما افصح عنه في موضع آخر يقال لكل ناحيتين جناحا
كجناحي العسكر لجنبتيه وجناحا الانسان جنباه استعيرا من جناحي الطائر وسميا جناحين
لانه يجنحهما عند الطيران اي يميلهما والجنب فيه جنوح الاضلاع وقيل المراد الى جنبك تحت
العضد دل على ذلك قوله تخرج وبدءه قوله تعالى وادخل يدك في جيبك تخرج لانه
صريح في ان المراد الدخول في الجيب والخروج منه بيضاء مشرقة مشعة قيل كان موسى عليه السلام
ادم فاخرج يده بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس يغشى البصر من غير سوء متعلق ببيضاء
كانه قال ابيضت من غير سوء والسوء الرداءة والقبح في كل شيء اي من غير ان يتقبح لما
كان خروج الشيء عن خلقته وشأن جوهره مما يستقبح ويستقذر اخبر انه لم يكن كذلك
وانما الكناية به عن البرص قبيحا بما المقام لانه غير محتمل في مقام الاعجاز والكرامة ولا وجه
للاحتراز عنه آية اخرى معجزة ثانية وقوله بيضاء وآية حالان معا من ضمير تخرج ويجوز
ان يكون الثاني حالا من ضمير الاول فيكونان من الاحوال المتداخلة او مفعولا بفعل مضمر
نحو خذ حذف لدلالة الكلام عليه لنريك من آياتنا الكبرى متعلق بالمحذوف المذكور او
بما دل عليه الآية او القصة اي دللنا بها او فعلنا ذلك لنريك والكبرى صفة لآياتنا او مفعول

ثان لنريك ومن آياتنا حال اي لنريك الكبرى من آياتنا اذهب الى فرعون امر بالذهاب
بما نيي الآيتين الى فرعون ودعوته انه طغى جاوز حد العبودية الى دعوى الربوبية
تعليل لوجوب الذهاب اليه وتحذير له من بطشه وتنبيه على صعوبة ما ابتلي به ليتلقاه
بجميل الصبر وحسن الثبات ولهذا التجاء اليه في طلب التيسير والتأييد وتفسيح الصدر
والتشجيع قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري على الابهام بايراد لي بعد الفعلين
والتوضيح بذكر الصدر والامر للتاكيد والمبالغة في طلب الشرح والتيسير واحلل عقدة
من لساني كان في لسانه رتة لما روي ان فرعون حمله يوما واخذ بلحيته كانت مرصعة بالجواهر
ونتفها جازيا ببعض ما فيها من اليواقيت فغضب وامر بقتله فقالت آسية رضي الله عنها صبي
لا يفرق بين الجمر واليواقيت فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة ووضعها في فيه فاحترق لسانه
فصار لكنة منها ولعل لذلك امتاز موسى عليه السلام باللحية من بين اهل الجنة على ما ورد
في الحديث جابر رضي وهو انه عليه السلام قال اهل الجنة مرد الا موسى بن عمران فان له
لحية الى سرته ولما كانت تلك العقدة عارضة لآفة حادثة كان المناسب لحالها التنكير
حيث لم يكن من جنس ما هو المعهود وكانت قطع اضافتها عن اللسان المنبئة عن الاتصاف
الخلقي ايضا كان لذلك وقيل انما نكرت لانه لم يطلب الفصاحة الكاملة وانما طلب حل بعضها
ارادة ان يفهم عنه فهما جيدا لان امر التبليغ لا يتيسر الا بذلك ولهذا علل بقوله يفقهوا
قولي فان التبليغ انما يحسن من البليغ ومن لساني صفة للعقدة كانه قيل عقدة
من عقد لساني او صلة لاحلل واختلف في زوال العقدة بكمالها فقيل بقي بعضها
لقوله واخي هارون هو افصح مني لسانا وقيل زالت لقوله قد اوتيت سؤلك وفي
كل من الاحتجاجين نظر اما في الاول فلان شهادة قوله هو افصح مني لسانا عليه لا له
لان فيه دلالة على ان موسى عليه السلام كان فصيحا غايته ان فصاحة اخيه كانت اكمل
وبقية اللكنة تنافي الفصاحة اللغوية المرادة ههنا بدلالة قوله لسانا واما في الثاني فلما
مر انه لم يطلب حل عقدة لسانه مطلقا بل طلب حل عقدة تمنع الافهام فلا دلالة في حصول
سؤله على زوال العقدة بكمالها نعم قوله ولا يكاد يبين يدل على الاول فتأمل واجعل لي
وزيرا ظهيرا اعتمد عليه الوزر وهو الثقل لانه يتحمل عن الملك اوزاره ومؤنته او من
الوزر الملجأ لان الملك يعتصم برأيه ويلجأ اليه اموره او معينا من الموازرة وهي
المعاونة فوزير مفعول اول لاجعل والثاني اولى ووزيرا مفعولا وقوله هارون بدل
من وزيرا لا عطف بيان لانه لا يخالف متبوعه في التعريف والتنكير وقوله اخي عطف بيان
لا بدل لان ابدال الشيء من اقل منه فاسد لا يتصور نص عليه الشيخ في دلائل الاعجاز او
وزيرا وهارون مفعولاه وقدم ثانيهما على اولهما عناية بامر الوزارة اشدد به

أزري قوتي به ظهري الشد جمع يستمسك به المجموع ومنه الربط والعقد والأزر الظهر
يقال آزرني فلان على أمري أي كان لي ظهيرا ومنه المئزر لأنه يشد على الظهر وكذا الإزار
وأشركه في أمري الإشراك الجمع بين الشيئين أو أكثر في معنى على أنه لهم بجعل جاعل
وقد أشرك الله بين موسى وهارون عليهما السلام في النبوة وقوى به أزره كما دعا
وقرئا على لفظ الخبر جوابا للأمر ولمن قرأهما على لفظ الأمر لا بد له أن يقف على
هارون أخي مرفوعا على الابتداء والجملة خبرا كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا فإن التعاون
يهيج الرغبات ويؤدي إلى تكاثر الخير وتزايده فقدم التسبيح وهو تنزيه الله تعالى
عما لا يجوز وصفه به على الذكر وهو ثناؤه تعالى بما يليق به لأن التخلية قبل التحلية إنك
كنت بنا بصيرا عالما بأحوالنا وأن التعاون مما يصلحنا وأن هارون نعم المعين
لي فيما أمرتني به والشاد لعضدي بأنه أكبر مني سنا وأفصح لسانا قال قد أوتيت
سؤلك يا موسى السؤل المطلوب فعل بمعنى المفعول كالخبز والأكل أي أعطيت ما سألته
وذلك من المنة عليه ثم ذكره تقدم منة عليه تعالى ليعظم اجتهاده وتقوى بصيرته
بقوله ولقد مننا عليك مرة أخرى المن نعمة تقطع لصاحبها عن غيره باختصاصها
به يقال من عليه إذا أنعم نعمة يقطعه إياها وأصله القطع ومنه قوله لهم أجر غير
ممنون والمرة الكرة الواحدة من المر وأخرى تأنيث آخر بمعنى غير أي منة غير هذه
المنة إذ أوحينا إلى أمك قال الجمهور هو وحي إلهام وقيل وحي إعلام إما ببعث ملك
إليها لا على وجه النبوة كما بعث إلى مريم أو بإراءة ذلك في المنام أو على لسان نبي في
وقتها كقوله وإذ أوحيت إلى الحواريين ما يوحى ما لا سبيل إلى العلم به إلا بالوحي
أو ما ينبغي أن يوحى لا محالة ولا يخل به لعظم شأنه وفرط الاعتناء به أن اقذفيه
في التابوت بأن اقذفيه أو أي اقذفيه لأن الوحي بمعنى القول والقذف هو الرمي
البعيد المستلزم لعلاقة المرمى واستعير هنا بمعنى الإلقاء فاقذفيه في اليم اليم اسم
للبحر العذب والمراد هنا النيل فليلقه اليم بالساحل ساحل البحر شاطئه سمي بذلك لأن
الماء يسحله أي يقشره فهو فاعل بمعنى ذو كذا أو لما وجب وقوع ما تعلقت إرادته
تعالى به وهو إلقاء البحر إياه بالساحل عبر بلفظ الأمر تشبيها للبحر بالمأمور المميز
المطيع الممتثل لما ورد عليه من أمر آمر مطاع على طريقة الاستعارة بالكناية وأخرج
الجواب بقوله يأخذه عدو لي وعدو له فخرج جواب الأمر مجزوما وكرر عدو للمبالغة
أو لأن الأول باعتبار الواقع والثاني باعتبار المتوقع والأحسن نظما أن يرجع الضمائر
كلها إلى موسى عليه السلام لا لما قيل أن في رجوع البعض إلى التابوت تنافر النظم الذي
ينافي الإعجاز لأنه يهم كيف ولو كان فيه ما يخل بحسن النظم لما وقع في قوله تعالى فمن بدله

بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه ثم إن موجب ذلك عدم الحسن بل عدم العصمة
لا عدم الأحسنية بل لأن المحدث عنه موسى عليه السلام لا التابوت وإنما ذكر التابوت
على سبيل الوعاء والفضلة فالملقى والمأخوذ هو موسى عليه السلام في التابوت فلا يؤدي
إلى تنافر الضمائر والظاهر أن البحر ألقاه بالساحل فالتقطه منه آل فرعون روي أنه فتح التابوت
فإذا صبي أصبح الناس وجها فأحبه عدو الله حبا شديدا كما قال وألقيت عليك محبة
مني صفة لمحبة أي محبة كائنة مني قد زرعتها في القلوب فلذلك أحبك فرعون
أو متعلق بألقيت أي أحببتك ومن أحبه الله أحبته القلوب وعلى هذا يراد المعنى المذكور
لا بطريق الكناية أو بطريق الإشارة وتنكير محبة للتعظيم أو للإبهام والتعيين
ولتصنع عطف على علة مقدرة مثل ليتعطف عليك ونحوه أو علة لمحذوف معطوف على
الجملة السابقة أي ولتصنع فعلت ذلك قال الخليل يقال صنعت الفرس وهو فرس صنيع
وهو الذي أحسن أهله القيام عليه وسيف صنيع الذي قد أحسن صيقله على عيني بمرأى
مني أي لتربى كما أريد ومجازه أن من صنع للإنسان شيئا وهو ينظر إليه صنعه له كما
يحبه ولا يتهيأ له خلافه وقيل على عيني أي على حفظي إذ تمشي أختك ظرف لألقيت أو لتصنع أو
بدل من إذ أوحينا على أن إذ عبارة عن الوقت المتسع فتقول للذين يطلبون مرضعة
تقبل ثديها وكان لا يقبل ثدي امرأة على ما ذكر في سورة القصص [illegible] فصيحة لترتيب
المذكور على المقدر هل أدلكم على من يكفله على من يضمه إلى نفسه فيربيه وأرادت بذلك
المرضعة وإنما ذكر للفظ من فرجعناك فرددناك إلى أمك وفاء بقولنا إنا رادوه إليك
ويأتي التفصيل في سورة القصص وهذه الفاء أيضا فصيحة كي تقر عينها برؤيتك وقد
مر تفسير تقر في سورة مريم ولا تحزن على فراقك قبل أو أنت على فراقك ولا يتمه سياق
الكلام في سورة القصص ويأباه قوله ولتعلم أن وعد الله حق وقتلت نفسا هي نفس القبطي
الذي استغاثه عليه السبطي فنجيناك من الغم الذي نابك بسبب قتله خوفا من عقاب الله تعالى
واقتصاص فرعون بالمغفرة والأمن منه بالهجرة إلى مدين وفتناك فتونا مصدر على فعول
في المتعدي كالثبور والشكور والكفور أو جمع فتن أو فتنة على ترك الاعتداد بتاء التأنيث
كحجور وبدور في جمع حجرة وبدرة والفتنة المحنة وكل ما يبتلي الله تعالى عباده من
نعمة أو نقمة فهو فتنة لقوله تعالى ونبلوكم بالخير والشر فتنة وأكثر استعمالها في العرف فيما
يشق على الإنسان أي اختبرناك بضروب من الاختبار سأل سعيد بن جبير رضي ابن عباس
رضي الله عنهما عنه فقال خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان فهذه
فتنة يا ابن جبير وألقته أمه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا وأجر نفسه عشر سنين
وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير

والمعنى انا عاملناك معاملة المختبر حتى خلصتك للاصطفاء بالرسالة فكل هذا من اكبر نعمه فلبثت
سنين في اهل مدين وهي مدينة شعيب عليه السلام وعن وهب انه لبث عنده ثمانية وعشرين سنين
عشر منها مهر ابنته واقام عنده ثماني عشر سنة بعد مهاجرته وولد له اولاد والفاء لتفصيل ما
اجمل من انواع الفتنة ثم جئت على قدر قدرته وعينته وهو ما سبق في قضائي بان اكلمك و
استنبئك في وقت قد وقته لذلك فما جئت الا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستاخر وقيل
هو الوقت الذي يوحى فيه الى الانبياء عليهم السلام وهو راس اربعين سنة قال الشاعر
نال الخلافة اذ كانت له قدرا كما اتى ربه موسى على قدر يا موسى تكرير عقيب ما هو غاية
الحكاية للتنبيه على انه المقصود واصطنعتك لنفسي اي اصطفيتك لمحبتي وخصصتك في مثل
حاله فيما خوله من الكرامة بمن قربه الملك واستخلصه لنفسه بمحاسن فيه اذهب انت واخوك امر
اولا موسى عليه السلام وحده بالذهاب فلما سال ان يشرك هارون عم في امره امرهما معا
اجابة لدعوته على حسب وعده وضمن كلامه التنبيه على اصالته حيث غلبه على هارون ونحوه يعم
في الخطاب ولم يقل اذهبا اخوك معطوف على الضمير المستكن في اذهب المؤكد بانت قيل اوحى
هارون وهو بمصر ان يتلقاه وقيل سمع باقباله فاستقبله باياتي بمعجزاتي ولا تنيا ولا تفترا
ولا تقصرا والونى الفتور في ذكري اي لا تنسياني حيث ما تقلبتما او في تبليغ الرسالة
فان الذكر يطلق على كل عبادة والتبليغ من اجل العبادات او في تبليغ ذكري والدعوة الي
اذهبا الى فرعون تاكيد بقوله اذهب انت واخوك بالتكرير اظهارا للاعتناء بدعوة التعيين
اليه وفيه ابهام وتوضيح وتنبيه على سبب الذهاب اليه بالرسالة من عنده بقوله انه طغى اي تجاوز
الحد في الفساد ودعوى الربوبية فقولا له قولا لينا نحو قوله هل لك الى ان تزكى واهديك الى
ربك فتخشى لانه دعوة في صورة العرض والمشورة والاستفهام حذرا ان تحمله الحمية على
ان يسطو عليكما او احتراما لما له من حق التربية وقيل كنياه او لقباه ولا بد من هذه الزيادة كيلا
يرده قوله تعالى وقال موسى يا فرعون اني رسول رب العالمين فانه لو كان مامورا بالتكنية
خاصة لما خالفه بالتلقيب لعله يتذكر او يخشى متعلق باذهبا او قولا على ارجى الوجوه
للاتعاظ والخشية وقوله لعل ليس لخفاء حاله عليه تعالى لكن امرهما بالدعاء على الرجاء فانه
اذا كان الداعي راجيا فهو احرص على الدعاء وذلك ابلغ في الزام الحجة وقيل يتذكر المتحقق
ويخشى المتوهم اي يتذكر ان تحقق صدقكما فيذعن للحق وان لم يتحقق توهم ان يكون
الامر كما تصفانه والاحسن ان يقول يتذكر المبدا او يخشى المعاد اي يتذكر حال نشاته جنينا
عاجزا عن تدبير نفسه وانه حدث بعد ان لم يكن موجودا فيرجع عن دعوى القدرة والربوبية
او يخشى عقاب الله تعالى في دعواه ذلك قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا فرط سبق وتقدم
ومنه الفارط الذي يتقدم الوارد وفرس فرط يسبق الخيل وقرئ يفرط من افرط اذا حمله

على العجلة ويفرط من الافراط اي نخاف ان يحمل علينا بما يحول بيننا وبين اتمام الدعوة
واظهار المعجزة او ان يحمله حامل من استكباره وجبروته او خوفه على الملك او شيطان
جنه او انسي من قومه القبط المتمردين على العاجلة بما ذكر او ان يفرط فيه وانما قلنا بما يحول
ولم نقل بالعقوبة كما قيل لانه مردود بقوله سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا فلا
يصلون اليكما فانه مذكور قبل قولهما هذا بدلالة قوله سنشد وقد دل على انهما محفوظان
من عقوبته او ان يطغى اي يتجاوز الحد بالتخطي الى ان يقول فيك ما لا ينبغي لجراته عليك
وقساوة قلبه وفي اطلاق الطغيان مع تقييد قسيمه بقوله علينا بطريق الرمز من حسن الادب
والتحاشي عن التفوه بالعظمة ما لا ينبغي وانما اخر لانه من اهم شيء فحاوله رفعا لاعذار فلا بد
وان يختم كلامه بما هو الاقوى قال لا تخافا انني معكما المعية ههنا بالنصرة والعون اسمع وارى
ما يجري بينكما وبينه من قول او فعل فاجازيه واكفيكما شره والافصح ان لا يقدر مفعولا
لقوله اسمع وارى فيكون مبالغة في الحفظ اي حافظ ناصر سميع بصير وان كان الحفظ
قادرا سميعا بصيرا تم الحفظ وتحققت النصرة وثبتت لدفع عن المحفوظ فاتياه فقولا انا
رسولا ربك خاطبا بقولهما ربك اعلاما له انه مربوب مملوك اذ كان هو يدعي الربوبية
والالهية فارسل معنا بني اسرائيل اي اطلقهم عن الاستعباد كما يقال ارسلنا المقيد فلا تمنعهم
عن اتباعنا ولا تعذبهم بتكليف المشاق كانت بنو اسرائيل تحت ملكة فرعون والقبط يعذبونهم
بتكليف الاعمال الصعبة وتعقيب دعوى الرسالة باطلاق بني اسرائيل لما فيه من انه لا مانع
عن دعوتهم واتباعهم وهي اهم من دعوة القبط فلا دلالة فيه على ان تخليص المؤمنين
من الكفرة اهم من دعوتهم الى الايمان على ان الظاهر مما تقدم في سورة يونس عليه السلام
انه ما امن بموسى عليه السلام في مبدا امره الا اولاد من قومه قد جئناك باية من ربك
جملة مبينة لقوله انا رسولا ربك لان الرسالة لا تثبت الا بالمجيء بالمعجزة وانما وحد الاية
ومعه ايتان لان المراد اثبات الدعوى بالبينة لا بيان تعدد الحجة ووحدتها فكانه قال قد
جئناك بحجة وبرهان على ما ادعينا من الرسالة كقوله قد جئتكم ببينة من ربكم والسلام
اي سلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة والافصح ان يكون السلام بمعنى الجنس اي
جنس السلام وما يشاكله ان يسمى سلاما والسلامة من العذاب على من اتبع الهدى على
المهتدين والذي يقابله وهو توبيخ خزنة النار والخزي والعذاب على الضالين المكذبين
انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى اوحي مبني للمفعول والمفعول الذي لم
يسم فاعله مصدر ينسبك من ان وما بعدها تقديره اوحي الينا كينونة العذاب على من
كذب وتولى وتغيير النظم باستئناف الكلام والتاكيد والتصريح بالوعيد لان التهديد
في مبدا الدعوة اهم وانجع قال فمن ربكما في الكلام حذف وايجاز يشعر بانهما

من فرط طاعتهما ومسارعتهما الى الامتثال لا ينفك فعلهما عن الامر كاللازم البين فلا
حاجة الى ذكره وهو فاتياه وقالا ما امرا به ثم ان الفاء فصيحة تفصح عن محذوف
بعد قال تقديره سمعت قولكما فمن ربكما يا موسى انما خاطب الاثنين وخص موسى عليه السلام
بالنداء لانه الاصل في الرسالة والدعوة وهارون وزيره وتابعه او لما عرف من رتة موسى
وفصاحة هارون ثم فاراد ان يفحمه فاستدعى كلامه دون كلام هارون لمكره وحاله
ويشعر بذلك قوله ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين فاجاب بالشغ جواب
وابلغه واحصره لفظا واجمعه معنى حيث قال ربنا الذي اعطى كل شئ خلقه اى اعطى كل
شئ من الانواع والاعضاء صورته وشكله الذي يوافقه ما وجه اليه من المنفعة كشكل الانسان
والفرس والعين والاذن او اعطى خليقته كل شئ يحتاجون اليه ويرتفقون به فقدم ثاني
المفعولين لانه المقصود بيانه وقيل اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة زوجا و
فيه نظر لان من الحيوان ما يكون بالتولد فلا يكون له زوج نظير في الخلق والصورة وقرئ
خلقه على الفعل الماضي صفة للمضاف اليه او المضاف على شذوذ والمفعول الثاني محذوف
اى اعطى كل شئ ما يصلحه لم يخله من اعطائه ما يليق به ثم هدى ثم عرفه كيف يرتفق بما
اعطى وكيف يتوصل به الى كماله الصوري والمعنوي طبعا واختيارا ونعته بما معناه انه
الموجد لكل شئ على وفق الحكمة المفيض على الكل كل ما ينبغي له ويليق به من الاسباب و
الآلات الهادى له الى مصالحه واستعمال الآية في تحصيل كمالاته فهو الخالق القادر الحكيم
المنعم على الاطلاق الغني بالذات وجميع ما عداه مخلوق مربوب منعم عليه مفتقر
فلذلك بهت الذي كفر وافحم عن الاعتراض عليه فصرف الكلام عنه وشرع في سؤال آخر
على سبيل الروغان عن الاعتراف بما قاله موسى وما اجاب به والحيرة والمغالطة قال
فما بال القرون الاولى ما تقدم وصلا والفاء تدل على ان السؤال مبني على قول موسى عليه السلام
والسلام على من اتبع وان العذاب على من كذب قال علمها عند ربي لما ساله عن حال
الامم الخالية والرمم البالية من الفريقين بعد الموت اجاب موسى عليه السلام بانه غيب
لا يعلمه الا الله ودل على الحصر معنى الحفظ المستفاد من عبارة عند في كتاب مثبت في اللوح
المحفوظ ولما كان الاثبات في اللوح المحفوظ مظنة الحاجة في الحفظ الى الكتابة دفعه بقوله
لا يضل ربي ولا ينسى ولقد نبه على هذا من قال لا ينسى ما علم فيذكره الكتاب ولكن
ليعلم الملائكة ان معمول الخلق يوافق معلومه ومن لم ينتبه لهذا قال ويجوز ان يكون
تمثيلا لاستحكام علمه وتمكنه في علمه بما استحفظه العالم وقيده بالكتابة ويؤيده لا يضل
ربي ولا ينسى لا يضل من ضللت الشئ اذا اخطأته في مكانه فلم تهتد له وقرئ يضل من
اضله اذا ضيعه والعرب يقول لكل ما ذهب على الانسان مما ليس بحيوان ضل بغير

الف فاما اذا كان منه فيقول اضله بالالف والاصل في الاول ضل عنه ولا ينسى من نسيه
اذا ذهب عنه بحيث لا يخطر بباله وهما حالان على العالم بالذات قبل ويجوز ان يكون سؤاله
دخلا على احاطة قدرة الله تعالى بالاشياء كلها وتخصيصه كلها بالصور والخواص المختلفة بان ذلك
يستدعي علمه بتفاصيلها وجزئياتها والقرون الخالية مع كثرتهم وتمادي مدتهم وتباعد
اطرافهم كيف احاط علمه بهم وباجزائهم واحوالهم فيكون معنى الجواب ان علمه محيط بذلك
كله وانه مثبت ولا يضل ولا ينسى ويرد عليه انه يأباه تخصيص القرون الاولى من بين الكائنات
فانه لو اخذها بجملتها لكان اظهر واقوى في تمشية ما اراده الذي جعل لكم الارض مرفوع
صفة لربي او خبر مبتدأ محذوف او منصوب على المدح وهو افصح مهدا اى كالمهد وهو
ما يمهد للصبي مصدر سمي به اى تمهدها لكم او مهد انتم تمهدونها وقرئ مهادا وهو اسم
ما يمهد كالفراش لما يفرش او جمع مهد وسلك لكم فيها سبلا سلك من التسلك بمعنى الادخال
اى حصل لكم سبلا بين الجبال والاودية والبراري تسلكونها لحوائجكم وتقلبكم في
البلاد لتبلغوا منافعها وانما قيد لكم لان معناه فيما تقدم لانتفاعكم وهنا لاجلكم
فان غير الانسان لا يشاركه في الانتفاع بالطرق بخلاف الانتفاع بتمهيد الارض الا
ان المقصود الاصلي انتفاع الانسان فلذلك خص بالذكر وانزل من السماء ماء مطرا
فاخرجنا به انزله تعالى واخراجه عبارة عن ارادته النزول والخروج لكمال مراده
العمل في شانه فالفاء للتعقيب فان تابعه الارادتين لا تتراخى عن الاولى وان تراخى
ثاني المرادين عن الاول فتامل والعدول عن لفظ الغيبة الى صيغة التكلم على الحكاية لكلام
الله تعالى للتنبيه على انه مطاع تنقاد الاشياء لامره وتذعن لمشيئته وحكمه لا يمتنع عليه شئ
ومبنى التكلم على الحكاية على ظهور اختصاص لقدرته على ذلك بالله تعالى ازواجا اصنافا
سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض من نبات بيان وصفة لازواجا وكذلك
شتى صفة للازواج ويجوز ان يكون صفة للنبات لانه في الاصل مصدر فاستوى فيه
الواحد والجمع يقال شتت الامر شتا وشتاتا وهو شتيت وشت وهم اشتات وشتى
فالشتات جمع شت وشتى جمع شتيت ذكره المرزوقي اى متفرقات في الصور والاعراض
بالاختلاف في الطعم والشكل واللون والنفع يصلح بعضها للناس وبعضها للبهائم و
لذلك قال كلوا وارعوا انعامكم ومن حكمته ونعمته على العباد ان ما يفضل عن رزقهم
ولا يصلح لهم يكون علفا لانعامهم وصيغة الامر للاباحة وهو حال من ضمير فاخرجنا على
ارادة القول اى اخرجنا اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا والمعنى اذنين في الانتفاع
بها مبيحين ان تاكلوا بعضها وتعلفوا انعامكم بعضها ان في ذلك لآيات لدلالات
لاولي النهى لذوي العقول واحدها نهية وهو العقل لانه ينهى عن المحظور او ينهى اليه

في الامور منها من الارض خلقناكم فانها اصل خلقة اول آبائكم او من الاغذية المتولدة
من الارض خلقناكم وفيها نعيدكم بالموت وتفكيك الاجزاء ومنها نخرجكم بالبعث وجمع الاجزاء
على الصورة السابقة تارة مرة اخرى ولقد اريناه بصرناه اياتنا او عرفناه صحتها كلها
تاكيد لشمول الافراد المعهودة المعلومة من بعض الآيات النازلة سابقا والتعريف الاضافة
يجرى مجرى التعريف بلام العهد قيل هي تسع الايات المختصة بموسى عليه السلام العصا واليد
وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع والدم ونتق الجبل ويرد عليه ان الحجر
ونتق الجبل من الايات التي جاء بها موسى عم لبني اسرائيل بعد هلاك فرعون ثم ان فلق
البحر ليس مما كذب فرعون بعده فكذب وابى كذبها جميعا لفرط عناده وابى الايمان
والطاعة لعتوه او ابى ان يقبل شيئا منها قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا مصر
بسحرك يا موسى تعلل من فرط الدهش والحيرة بالسحر والا فكيف يخفى عليه ان ساحرا
لا يقدر على اخراج ذى سلطان مثله من ارضه وذكر علة المجئ وهى اخراجهم والقاها
في مسامع قومه ليصيروا متعصبين له والاخراج من الوطن مما يشق فلنأتينك جواب
لقسم محذوف بسحر مثله مثل سحرك اورد ذلك على سبيل الشبهة الطاعنة في النبوة
فان المعجزة انما يتميز عن السحر بكونه مما يتعذر معارضته دون السحر فادعى القدرة
على اتيان مثله ووعد به فاجعل بيننا وبينك موعدا هو مصدر بمعنى الوعد لان الاخلاف
لا يلائم الزمان ولا المكان ويؤيده قراءة الحسن بنصب يوم الزينة اى انجاز وعدكم
يوم الزينة لا نخلفه بالرفع على الوصف للموعد وبالجزم على جواب الامر نحن ولا انت
معطوف على الضمير المستكن في نخلفه المؤكد بنحن ويجوز ان يكون الموعد اسم مكان
ويرجع الضمير في نخلفه الى ما تضمنه من معنى الوعد وعلى التقديرين انما يطابق الجواب
السؤال معنى لا لفظا لانه اخبر عن الموعد بيوم الزينة فلا يطابق المكان والمصدر
لكن يوم الزينة لا بد فيه من مكان معين مشهور بين الناس يجتمعون فيه للعيد وهو
زمان مستلزم للمكان المعلوم بذكره والمعنى وعدكم وعد يوم الزينة مكانا منصوب
بفعل دل عليه موعدا لا به لانه مصدر موصوف لان في الظرف اتساع فيكفي في العمل
فيه رائحة الفعل وان كانت ضعيفة بل لانه يلزم الفصل بينه وبين معموله بالوصف
وهو غير سائغ لان المنصوب بالمصدر من تتمته ولا يوصف الشئ الا بعد تمامه هذا على
قراءة الرفع واما على قراءة الجزم فلا مانع عن النصب بموعدا ويجوز ان يكون بدلا من
موعدا على تقدير مضاف اليه اى مكان موعد مكانا وعلى هذا التقدير ايضا يكون المطابقة
معنى سوى منصفا يستوى فيه المسافة الينا واليك وهو في النعت كقولهم قوم عدى
في الشذوذ وقرئ بالضم قال موعدكم يوم الزينة مكان لهم في كل عام يوم كانوا

يتزينون

يتزينون فيه ويتخذون فيه سوقا وانما وعدهم ذلك اليوم ليكون ظهور
الحق وزهوق الباطل على رؤس الاشهاد ويشيع ذلك في الاقطار فيتوفر
الرغبات في دين الحق وزهوق الباطل على رؤس الاشهاد يكل حد الباطل وان يحشر
الناس ضحى يجمع وقرئ على بناء الفاعل بالتاء على خطاب فرعون والياء والضمير لليوم
او لفرعون والغيبة للعادة التى يخاطب بها الملوك او خاطب القوم في قوله موعدكم وجعل
يحشر لفرعون ومحله الرفع عطفا على الزينة اخر الى ذلك الوقت ليكون ابعد عن الريبة
وابين لكشف الحق فتولى فرعون فاعرض عن موسى عليه السلام على هذا الوعد فجمع
كيده ما يكاد به يعنى السحرة وآلاتهم ثم اتى الموعد خبر عن اتيانه مصدرا باداة التراخي
وترك الاخبار عن اتيان موسى عليه السلام اشعارا بانه لا حاجة في اتيانه عليه السلام الى
الاخبار لانه على قوة وغلبة انما هو مظنة المماطلة والتراخي في جانب فرعون لانه على
ضعف قلب وفتور عزم قال لهم موسى ويلكم ويل كلمة يقال لمن يستحق الهلكة لا تفتروا
على الله كذبا بان تدعوا اياته سحرا فيسحتكم بعذاب منصوب باضمار ان وهو جواب
للنهى قرئ بكسر الحاء وضم الياء وبفتحهما والسحت لغة اهل الحجاز والاسحات لغة اهل
نجد وبنى تميم يقال سحت الله واسحته اذا استاصله واهلكه وفيه دلالة على عظم الافتراء
وانه يترتب عليه عذاب الاستيصال وقد خاب من افترى الخيبة انقطاع الرجاء بالامنية
على الطالب مما امل والافتراء انقطاع الخبر الباطل بادخاله في جملة الحق واصله القطع
من فراه يفريه فريا فتنازعوا امرهم بينهم التنازع محاولة كل واحد من المختلفين
نزع المعنى عن صاحبه وامرهم مفعول تنازعوا فيتعدى بمفعول واحد ولو حذفت
الباء يتعدى الى اثنين تقول نازعت زيدا الحديث اى اختلفوا فيما بينهم اى السحرة
وقيل فرعون وقومه في امر موسى حين سمعوا كلامه فقال بعضهم ليس هذا من كلام
السحرة واسروا النجوى اى تشاوروا في السر خفية من فرعون ان تبع فيهم ضعفا
وقالوا ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء فله امر والنجوى يكون مصدرا
او اسما ثم لقنوا هذا القول اعنى قالوا ان هذان لساحران يعنى موسى وهارون
عليهما السلام كانهم تشاوروا في تلفيقه حذرا ان يغلبا فيتبعهما الناس وهذان
اسم ان على لغة بالحارث بن كعب فانهم جعلوا الالف للتثنية واعربوا المثنى تقديرا
وقيل اسمها ضمير الشان المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها
مبتدا وخبر ويرد عليهما ان اللام لا يدخل خبر المبتدا وقيل اصله انه هذان لهما
ساحران فحذف الضمير ويرد عليه ان المؤكد باللام لا يليق به الحذف وقرئ ان هذين
وهو ظاهر ولكنه مخالف للامام وقرئ ان هذان على انها هي المخففة واللام هي الفارقة

او النافية واللام بمعنى الأبد بدان ان يخرجاكم من ارضكم الاستيلاء عليها بسحرهما
نسبوه الى هارون ايضا لشركته فى امر الدعوة ويذهبا بطريقتكم المثلى اى بمذهبكم
الذى هو افضل المذاهب باظهار مذهبه واعلاء دينه لقوله تعالى انى اخاف ان يبدل
دينكم وقيل ارادوا اهل طريقتكم المثلى وهم بنو اسرائيل فانهم كانوا ارباب علم
فيما بينهم منوا شانه الى ما قال موسى عليه السلام ارسل معنا بنى اسرائيل وقيل الطريقة
اسم لوجوه القوم الذين قدوة لغيرهم فاجمعوا بقطع الهمزة من اجمع كيدهم
فازمعوه واجعلوه مجمعا عليه لا يتخلف عنه واحد منكم كالمسئلة المجمع عليها وقرئ
فاجمعوا بهمزة الوصل من جمع ويعضده قوله فجمع كيده ثم ائتوا صفا مصطفين لانه
اهيب فى صدور الرائين قيل كانوا سبعين الفا مع كل منهم حبل وعصا واقبلوا عليه
اقبالة واحدة وقد افلح اليوم من استعلى اى ظفر وفاز بغيته من طلب العلو فى امره
وسعى سعيه اعتراض للتحريض والترغيب قالوا بعد ما اتوا يا موسى اما ان تلقى واما ان
نكون اول من القى قد سبق فى سورة الاعراف تفسيره قال بل القوا مقابلة ادب بادب
مع زيادة وهى لا سعاف الى ما قالوا اليه بالتعريض وتغيير النظم الى صيغة الامر
الموجب على المبالغة مع كلمة الاضراب ليستنفدوا وسعهم ويظهروا فى ابراز مكايد السحر ما عندهم
فيظهر الله تعالى قدرته وسلطانه وتقذف بالحق على الباطل فيدمغه ويسلط المعجزة على
السحر فيمحقه فكانت آية بينة للناظرين وعبرة مقنعة للمعتبرين فاذا حبالهم وعصيهم
اذا المفاجاة وهى لمجرد الظرفية ناصبها فعل المفاجاة ولا يقع بعدها الا الجملة الاسمية
والمفاجاة تمثيل لسرعة التخييل اى ففاجأه موسى عليه السلام وقت تخييل حبالهم وعصيهم
السعى او تخييلهم سعى حبالهم وعصيهم او تخييل الله اياه او تخييل الشئ اليه على اختلاف
القراآت يخيل اليه وقرئ تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال والعصى وابدال انها
تسعى منه بدل الاشتمال وقرئ بها وبالبناء للفاعل وايقاعه على انها تسعى بمعنى انها تخيل
سعيها وبالياء على ان الفاعل هو الله تعالى للابتلاء والمحنة وتخيل بفتح الياء بمعنى تتخيل
وطريقه طريق تخيل من سحرهم من اجل سحرهم انها تسعى انما قال تخيل لانها لم تكن
تسعى حقيقة وانما تحركت لما قيل انهم لطخوا الحبال بالزيبق وجعلوه فى داخل
العصى فلما حميت بالشمس طلب الزيبق الصعود فتحركت العصى والحبال فظن انها
تسعى فاوجس لا يجاس من الهاجس الذى يخطر بالبال فى نفسه خيفة موسى فاضمر
لخوف عظيم من مفاجاة ما فاجأه على مقتضى الجبلة البشرية الا انه اضمره
اى لم يظهر انه لا من ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه لان الخوف منه ليس
مما يحتاج فى كتمانه فلا يظهره ووجه الاطناب بزيادة الاضمار قلنا لا تخف

ما نوهمت صيغة النهى للتشجيع وتقوية القلب لا للنهى عن الخوف المذكور لانه ليس
امرا اختياريا انك انت الاعلى تعليل لما قصد بصيغة النهى وتقرير لغلبته مؤكدا بالاستئناف
وحرف التحقيق وتكرير الضمير ولفظ العلو الدال على الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل
ولام التعريف والاعلى بمجرد الزيادة لانه لم يكن للسحرة علو حتى يكون هو اعلى منهم لا بمعنى
العالى كقول الشاعر تمنى اناس ان اموت وان امت فتلك طريق لست فيها باوحد اى
بوحيد والق عطف على محذوف دل عليه سياق الكلام تقديره تثبت فى مقام الاقدام
والواو فصيحة ما ابهم هنا وعين فى سورة الاعراف حيث قال والق عصاك ومن
غفل عنه زعم ان الابهام للتحقير او للتعظيم وانما قال فى يمينك ولم يقل فى يدك لما فى
لفظ اليمين من معنى اليمن والبركة تلقف ما صنعوا تأخذ ما زوروه بعينها ابتلاعا
واصله تتلقف فحذفت احدى التائين وتاء المضارعة تحتمل التأنيث والخطاب على
اسناد الفعل الى المسبب وقرئ بالرفع على الحال او الاستئناف وبالجزم والتخفيف
على انه من لقفته بمعنى تلقفته وبتشديد القاف انما صنعوا اى الذى زوروا وافتعلوا
كيد ساحر بالرفع على ان ما موصولة والنصب على انها كافة وهو مفعول صنعوا وقرئ
سحر بمعنى ذى سحر او باطلاق السحر على الساحر مبالغة او باضافة الكيد الى السحر للبيان
كقولهم علم فقه وانما وحد الساحر لان المراد به الجنس والتنكير للتحقير لا التنكير المضاف
لان المقصود من تنكيره حاصل بالاضافة ولا يفلح الساحر اى لا فلاح لهذا الجنس وقال
فى موضع آخر ولا يفلح الساحرون لما اى لا يفيد جمعهم ولا يجدى كثرتهم وله ايضا وجه
حيث اتى حيث كان واين اقبل فالقى السحرة اقتصر هنا على حاشيتى القصة اكتفاء بما هو المقصود وقد اتى
بنوع تفصيل فى سورة الاعراف فالفاء فصيحة سجدا لله توبة عما صنعوا وتعظيما لما
راوا قال الاخفش من سرعة ما صنعوا سجدوا وكانهم القوا فما اعجب امرهم قد القوا
حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم القوا رؤوسهم بعد ساعة للشكر والسجود فرفعوا
رؤوسهم فما اعظم الفرق بين الالقائين روى انهم راوا الجنة ومنازلهم فيها فى
السجود فرفعوا رؤوسهم ثم قالوا آمنا برب هارون وموسى قدم موسى عليه السلام
فى الاعراف لاصالته فى الرسالة والدعوة واخر هنا لاكبر سن هارون عليه السلام
لانه لا يعارض وجه تقديم موسى عليه السلام المناسب للمقام رعايته ولا لان فرعون
ربى موسى عليه السلام فى صغره فلو قدم لتوهم ان المراد فرعون وذكر هارون
على الاستتباع لان المقام لا يحتمله كيف وقد سجدوا تعظيما لما راوا من موسى عليه السلام
وايضا تقدم به فى موضع آخر صريح فى انه ليس فى الترتيب نكتة معتبرة بل لمحافظة الفاصلة
والواو لا يوجب الترتيب قال آمنتم له اى بالله لاجله ودعوته وقرئ على الاستفهام

لانكار وقبل أن آذن لكم في الايمان له انه لكبيركم لعظيمكم في فنكم الذي علمكم السحر وانتم تواطأتم
على ما فعلتم فلأقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف قد سبق تفسيره في سورة الاعراف ولأصلبنكم
في جذوع النخل شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن المظروف في الظرف فاستعير في لتصوير
الاستقرار وخص النخل لطول جذوعها والمراد تشهير العقوبة ولتعلمن اينا اشد عذابا
انا على ايمانكم برب موسى عم او هو على ترك الايمان به وقيل يريد نفسه وموسى عم لقوله
آمنتم له تفاجة منه وتحقيرا قتداره وفهم وتواضع واستضعاف لموسى عم واستهزاء به
لانه لم يكن من التعذيب في شيء قط فقيل اللام مع الايمان في كتاب الله تع لغير الحق واللام
التي للتعليل ليست بصلة للايمان ولام لانه في قوله تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين على
ذلك اذ معناه ويصدر عنه الايمان لاجل المؤمنين وهو فيقنهم ودعوتهم والاول
يؤمن بالله وللمؤمنين وابقى ادوم عذابا وعقابا قالوا لن نؤثرك لن نختارك
على ما جاءنا موسى به من البينات المعجزات الواضحات والذي فطرنا عطف على ما جاءنا
او قسم فاقض ما انت قاض ما انت قاضيه اي صانعه او حاكم انما تقضي هذه الحيوة الدنيا
منصب على الظرف وقرئ تقضي على البناء للمفعول ورفع الحيوة كقولهم صيم يوم الجمعة بالاسناد
الى الظرف كالتعليل لما قبله والتمهيد لما بعده من الاستيناف اي تصنع ما تهواه او تحكم ما تراه
في هذه الحيوة الدنيا السريعة الزوال ونحن نطلب بالايمان الغفران والثواب السرمدي
فهو علينا حتمي انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا من الكفر والمعاصي وما اكرهتنا
عليه من السحر من تعلمه دروي ان رؤس السحرة كانوا اثنين وسبعين اثنان من القبط
والباقون من السبط وكان فرعون اكرههم على تعلم السحر وقيل من العمل به في معارضة
المعجزة لما روي انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما ففعل فوجدوه يحرسه عصاه
فقالوا ما هذا بسحر لان الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه ويردوه
قوله تعالى ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين فانه ظاهر في الرضاء وقوله تعالى
قالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون فانه الظاهر منه عدم علمهم بشأن موسى عم
والله خير وابقى جزاء وخير ثوابا وابقى عذابا انه ان الامر من يأت ربه مجرما
بالموت على الكفر والعصيان فان له جهنم لا يموت فيها فيستريح بالموت ولا يحيى
حيوة ينتفع بها وهو كالمثل فيما هو من شدة الحال التي يتمنى فيها الموت ومن
يأته مؤمنا بان مات على ايمانه قد عمل الصالحات في الدنيا بعد الايمان فاولئك
لهم الدرجات العلى جمع العليا اي المنازل الرفيعة واما ايثار الجمع هنا والافراد
في مقابله فللاشارة الى ما ذكر في موضعه من ان كلا من الكفرة يعذب منفردا عن الاخر
زيادة في عذابهم بالم الوحشة وان المؤمنين يتنعمون على سرر متقابلين زيادة

في لذاتهم بسرور الانس جنات عدن بدل من الدرجات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها حال والعامل فيها معنى الاشارة او الاستقرار وذلك جزاء من تزكى
تطهر من الكفر وادناس الذنوب والآيات الثلث الاخيرة يحتمل ان يكون من كلام
السحرة وان يكون ابتداء كلام من الله تعالى ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي
لما اراد الله تعالى اهلاك فرعون وقومه امر موسى عم ان يخرج بهم من مصر ليلا ويأخذ بهم
طريق البحر فمعنى فاضرب لهم فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما او فاتخذ من
ضرب اللبن اذا عمله والاضافة في عبادي للتشريف طريقا في البحر يبسا مصدر وصف
به يقال يبس يبسا ويبسا كالعدم والعدم ولذلك وصف به المؤنث فقيل شاة يبس
وناقة يبس اذا جف لبنها وقرئ يبسا ويبسا بالسكون ومعناه التخفيف يبس
او وصف على فعل كصعب وجلد او جمع يابس كصاحب وصحب وصف به الواحد
مبالغة او لتعدده معنى فانه جعل لكل سبط منهم طريقا لا تخاف دركا حال من الضمير
في فاضرب اي آمنا من ان يدرككم العدو او صفة ثانية للطريق والعائد محذوف اي
لا تخاف فيه والدرك والدرك اسمان من الادراك وقرئ لا تخف على جواب الامر
ولا تخشى استيناف اي وانت لا تخشى بمعنى ومن شأنك انك لا تخشى او عطف عليه و
الالف فيه للاطلاق كقوله وتظنون بالله الظنونا او حال بالواو والمعنى لا تخشى الغرق
فاتبعهم فرعون بجنوده فاتبعهم بمعنى فاتبعهم ويؤيده القراءة به اي فادركهم
مع جنوده اي كاد ان يلحقهم قال ابن السكيت يقال اتبعت القوم اذا كانوا قد سبقوك
فلحقتهم فهو من المتعدي الى مفعول واحد لا الى مفعولين كما توهم من قال فاتبعهم
فرعون نفسه ومعه جنوده واما قيل الباء مزيدة والمعنى فاتبعهم فرعون جنوده
فمبناه المفعول عن قوله تعالى واتبعهم فرعون وجنوده ثم ان فيه ايهام عدم اتباع
فرعون بنفسه فغشيهم الضمير له ولجنوده معا من اليم ما غشيهم الابهام للتعظيم
والمبالغة في التهويل مع الايجاز اي ما لا يمكن وصفه ولا يعلم كنهه الا الله تعالى وقرئ
فغشاهم من التغشية وهي التغطية والفاعل ما غشاهم واضل فرعون قومه عدله
بهم عن سبيل الرشاد وما هدى اي ما هداهم الى الحق وكان ردا لقوله وما اهديكم
الا سبيل الرشاد وليس هذا من باب التهكم يا بني اسرائيل خطاب لهم بعد انجائهم
من البحر واهلاك فرعون وقومه على اضمار قلنا او للذين كانوا في عهد رسول الله
عليه السلام وامتنانا عليهم بما فعل بابائهم قد انجيناكم من عدوكم فرعون و
واعدناكم بإيتاء الكتاب جانب الطور وذلك انه تعالى وعد موسى عليه السلام ان
يأتي هذا المكان ويختار سبعين رجلا يحضرون معه لنزول التورية وانما نسب اليهم

المواعدة لانها كانت لنبيهم ونقبائهم واليهم رجعت منافعها التي قامت بها شرعهم
ودينهم الايمن نصب لانه صفة جانب وقرئ بالجر للجوار لانه شاذ بل على انه نعت
للطور لما فيه من اليمن ونزلنا عليكم المن والسلوى فيه وقلنا لكم كلوا اذن لمطلق
التصرف وتخصيص الاكل بالذكر لشدة الحاجة اليه من طيبات حلالات او لذائذ ما رزقناكم
ولا تطغوا فيه اي في اكله بالتعدي الى ما لا يحل لكم والاخلال بشكره او بالتلهي والاسراف
والبطر والمنع عن المستحق فيحل بالكسر بمعنى الوجوب من حل الدين بمعنى وجب اداؤه
وبالضم بمعنى النزول عليكم غضبي عذابي وعقوبتي ولذلك وصف بالنزول صريحا
او كناية ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى سقط سقوطا لا نهوض بعده اي هلك واصله
ان سقط من جبل ونحوه فيهلك وقيل وقع في الهاوية واني لغفار لمن تاب عن
الكفر وآمن بما يجب التصديق به وعمل صالحا ثم اهتدى ثم مستمرا والتراخي الرتبي لان
المراد بالاهتداء الاستقامة والثبات على الهدى المذكورة من التوبة والايمان والعمل
الصالح وما اعجلك العجلة طلب الشيء وتحريه قبل اوانه وهي من مقتضى الشهوات فلذلك صارت
مذمومة في عامة القرآن حتى قيل العجلة من الشيطان عن قومك يا موسى اي اي شيء عجلك
عنهم وذلك ان موسى عليه السلام قد مضى مع النقباء الى الطور على الموعد المضروب فلما
دنى منه تقدمهم شوقا الى مكالمة ربه وتنجز موعده بناء على اجتهاده وظنه انه اقرب
الى رضاء الله تعالى فالقوم الذين عجل عنهم هم النقباء والمفتونون هم الذين خلفهم
مع هارون عليه السلام وهو سؤال عن سبب العجلة عن قومه على سبيل الانكار لانها زلة
في نفسها مقتضية لاهمال القوم وايهام التعظيم عليهم فلذلك اجاب عن الامرين وقدم
جواب الامر الثاني الذي هو اغفال القوم بما فيه بسط العذر وتمهيد العلة لانه اهم
هذا ما قالوا وعندي ان تعدية العجلة بعن لتضمين معنى الانقطاع والانفصال كانه قيل
ما الحامل على انفصالك عن قومك مستعجلا فكانه اصل السؤال في المعنى عن الانفصال عن
قومك هم وان كان في اللفظ عن العجلة فقدم جوابه اعتبارا للمعنى كما هو الاصل قال
هم اولاء على اثري اي على خلفي ما تقدمتهم الا بخطى يسيرة لا يعتد بها عادة وقرئ بالكسر
وبالضم والاثر بالضم بمعنى الاثر غريب وبمعنى فرند السيف مروي وجاز ان يكون مجازا
منه وعجلت اليك رب لترضى فان المسارعة الى امتثال الامر يستوجب الرضا يعني ان العجلة
وان كانت مذمومة فالذي دعاني اليها هو طلب الرضا منك محمود قال فانا قد فتنا
ابتلينا قومك بعبادة العجل من بعدك من بعد خروجك من بينهم في زيادة تعيين
ان المراد من هذا القوم غير المراد من الاول والفاء للترتيب مع قوله على مدلول ما تقدم
من بيان زيادة حرصه عليه السلام على المناجاة وكمال شوقه للمكالمة مع ربه وما يلزمها

من الغفلة عن حال قومه فكانه قال لا تشتغل بما كنت فيه ولا تغفل عما وراءك فانا
قد فتناهم واضلهم السامري بدعائه اياهم الى عبادة العجل بعد ذهاب موسى عم
الى الميقات وقد مر التفصيل في سورة الاعراف وهو منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال
لها السامرة وقيل غير ذلك وقرئ اضلهم اي اشدهم ضلالا لانه كان ضالا مضلا فرجع
موسى بعد ما استوفى الاربعين واخذ التورية الى قومه غضبان عليهم اسفا حزينا
بما فعلوا قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا وعدهم الله تعالى ان يعطيهم
التورية التي فيها هدى ونور ولا وعد احسن من ذلك افطال عليكم العهد اي الزمان
الموعود فطال عليكم الزمان يعني زمان مفارقته لهم ام اردتم ان يحل يجب عليكم غضب
من ربكم اي اردتم ان تفعلوا فعلا يستوجب الغضب فاخلفتم موعدي وعدكم اياي
بالثبات على امري وما تركتكم عليه من الثبات على الايمان فاخلفوا موعده باتخاذ العجل قالوا
ما اخلفنا موعدك بملكنا بان ملكنا امرنا اي لو ملكنا امرنا وخلينا ورأينا لما اخلفناه و
لكنا غلبنا من جهة السامري وكيده وقرئ بملكنا بالفتح وبالضم والكل في الاصل لغات
في ملكت الشيء ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم اثقالا من حلي القبط او اراد بالاوزار
انها آثام وتبعات لانهم كانوا قد استعاروا ليلة الخروج من مصر بعلة ان غدا لنا عيد
فقال السامري انما احتبس موسى عليه السلام لشؤم حرمتها لانهم كانوا معهم في حكم المستأمنين
في دار الحرب على ان الغنائم لم تكن تحل حينئذ فاحرقوها فجمعها السامري في حفرة النار
ثال عجل فانصاغت عجلا فقذفناها في نار السامري الذي اوقدها في الحفرة وامرنا
ان نطرح فيها الحلي فكذلك القى السامري اي ما معه من الحلي في النار وما معه من تراب
الذي اخذه من اثر حافر فرس جبريل عليه السلام وبعضهم جعل العدول عن القذف
المعتبر في مفهومه صلابة المرمي والبعد والكاف يتعلق بالقى اي مثل ما قذفناها القى السامري
فهو صفة مصدر محذوف تقديره القى القاء مثل القائنا فاخرج لهم السامري من الحفرة
عجلا خلقه الله تعالى من الحلي التي سبكتها النار ابتلاء لا يقال لم خلق الله عجلا من الحلي
حتى صار فتنة لبني اسرائيل وضلالا لان الله تعالى تعبدنا بالبحث عن علل احكامه لا عن علل
افعاله وصح ذلك بقوله لا يسأل عما يفعل جسدا بدل من عجلا للتنبيه على انه لم يكن ذا روح
ولذلك وصفه بقوله له خوار صوت العجل فانه لو كان ذا روح لكان الخوار من شأنه
فلا يجدي توصيفه به كما لا يجدي توصيف الانسان بالضاحك فقالوا اي السامري ومن تابعه
وافتتن به اول مرة هذا الهكم واله موسى فنسي اي فنسيه موسى هم هنا وذهب
يطلبه عند الطور او فنسي السامري اي ترك ما كان عليه من الايمان الظاهر افلا يرون
افلا يعلمون ان لا يرجع اي انه لا يرجع اليهم قولا فان مخففة من الثقيلة وقرئ بالنصب

على انها الناصبة للفعل وفعل الرؤية ح من ادلة البصر على المبالغة فى ظهوره ما ذكر بتنزيله
منزلة المبصر ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا اى لا يقدر على اضرارهم ولا على انفاعهم ولقد
قال لهم هارون من قبل من قبل رجوع موسى عليه السلام وقيل من قبل قول السامرى كانه
اول ما وقعت عليه ابصارهم حين طلعت من الحفرة افتتنوا به فبادرهم هارون عليه السلام
بالتحذير قبل ان ينطق السامرى فقال يا قوم انما فتنتم به بالعجل وان ربكم الرحمن لا غير
فاتبعونى واطيعوا امرى فى الثبات على الدين الحق وبايأه قالوا لن نبرح عليه على العجل
وعبادته عاكفين مقيمين حتى يرجع الينا موسى فان الظاهر من هذا الجواب ان يكون المراد
من قبل رجوعه ثم قال يا هارون اى قال له موسى عليه السلام لما رجع ما منعك اذ رايتهم
ضلوا بعبادة العجل الا تتبعنى ان تتبعنى فى الغضب لله وشدة الزجر على الكفر والمعاصى و
المقاتلة مع من كفر بى آمن او ان تلحق بى مع من اطاعك ولا مزيدة كما فى قوله ما منعك ان
لا تسجد ويجوز ان يكون المعنى ما حملك الى ان لا تتبعنى اى دعاك اليه افعصيت امرى بالصلابة
فى الدين والمحاماة عليه ثم اخذ بشعر راسه بيمينه ولحيته بشماله غضبا وانكارا عليه لان الغيرة
فى الله تعالى ملكته قال يا ابن ام كان اخاه لابيه وامه عند الجمهور ولكنه ذكر الام استعطافا
وترقيقا لا تاخذ بلحيتى ولا براسى اى بشعر راسى ثم ذكر عذره وما كان النهى المذكور متضمنا
لدعوى عدم العصيان والاستحقاق بموجبه اورد العذر فى صورة التعليل فقال
انى خشيت ان تقول فرقت بين بنى اسرائيل لو قاتلت او فارقت بعضهم ببعض ولم ترقب
ولم تحفظ قولى اخلفنى فى قومى واصلح لان الاصلاح كان فى حفظ الدهماء والمداراة
بهم الى ان ترجع اليهم فتتدارك الامر برايك ثم اقبل على السامرى وقال له منكرا عليه
فما خطبك سؤال القصة فلذلك اجاب ببيانها ولو كان السؤال عن مطلوبه كما انتظم
الجواب والفاء لترتيب مدلوله على مدلول ما تقدم من ظهور ان عرض هارون عليه السلام
ثم فعله كان اصلاحا فكانه قال علم خطب هذا فما خطبك قال بصرت بما لم يبصروا وقرئ
بالتاء على الخطاب اى علمت ما لم يعلموه وهو ان الرسول الذى جاءك روحانى محض لا
يمس اثره شيئا الا احياه او رايت ما لم يروه وهو ان جبريل جاءك على فرس الحياة
قيل انما عرفه لان امه القته حين ولدته خوفا من فرعون وكان جبريل عليه السلام يغذوه
حتى استقل وكان يرى منذ ذلك فقبضت قبضة من اثر الرسول من تربة موطئه وقرأ ابن مسعود
من اثر فرس الرسول ولعله سماه الرسول لانه لم يعرف انه جبرائيل عليه السلام او اراد
ان ينبه على الوقت وهو حين ارسل اليه ليذهب به الى الطور والقبضة المرة من القبض
واطلق على المقبوض وقرئ قبضة بالضم وهى اسم المقبوض وقرئ قبصة بالصاد المهملة
والاول للاخذ بجميع الكف والثانى للاخذ باطراف الاصابع فنبذتها فى الحلى المذاب او فى

جوف العجل فكان فيه اثر الحياة والنبذ طرح الشئ عن اليد خاصة وكذلك سولت زينت
لى نفسى ان افعله ففعلته اتباعا لهواى وهو اعتراف منه بالخطاء قال له موسى فاذهب من
بيننا طريدا فان لك عقوبة على فعلك فى الحياة ما عشت ان تقول لمن اراد مخالطتك جاهلا
بحالك لا مساس اى لا يمسنى احد ولا امسه وذلك انه منع من مخالطة الناس منعا
كليا وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته وكل ما يعاون به الناس بعضهم بعضا واذا ماس
احدا حم الماس والممسوس فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لا مساس وعاد فى الناس
اوحش من الوحشى النافر وقرئ لا مساس كفجار وهو علم للمسة وان لك موعدا فى الآخرة
لن تخلفه لن يخلف الله موعده بجزاءك فى الآخرة بعد ما عاقبك بذلك فى الدنيا وقرئ
لن تخلفه بكسر اللام من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا وقرئ بالنون على حكاية قول الله
تعالى وانظر الى الهك الذى ظلت اصله ظللت فحذف اللام الاولى تخفيفا عليه اى على عبادته
عاكفا مقيما لنحرقنه بالنار دل عليه قراءة لنحرقنه من الاحراق وقرئ بالتخفيف اى لنبردنه
بالمبرد وهو طريق تحريقه بالنار فانها لا تعمل فى الذهب بالتحريق الا بهذا الطريق ثم لننسفنه
لنذرينه رمادا من نسف الطعام اذا ذراه ليطيره قشوره فى اليم نسفا فلا يصادف
منه شئ والمقصود اظهار غباوة المفتونين به انما الهكم المستحق لعبادتكم الله الذى لا اله
الا هو اذ لا احد يماثله او يدانيه فى خواص الالوهية وسع كل شئ علما وسع علمه كل ما من شانه
ان يعلم وقرئ بالتشديد فصار علما احد مفعوليه وذلك ان وسع يتعدى الى مفعول
واحد وهو كل شئ وعلما نصب على التمييز فهو فى المعنى فاعل فلما نقل نقل الى التعدية اليه فصار
ما كان فاعلا مفعولا كذلك مثل ذلك الاقتصاص العجيب اى اقتصاص قصة موسى عليه السلام
وفرعون والسامرى والكاف فى محل النصب على المصدر نقص عليك من انباء ما قد سبق
من الامم السالفة واحوالهم تكثيرا للمعجزات وتذكيرا للمستبصرين والنبأ الخبر العجيب
الشان وقد آتيناك من لدنا ذكرا كتابا مشتملا على هذه القصص والاخبار حقيقا بالتفكر
والاعتبار والتنكير فيه للتعظيم وتقديم من لدنا للتخصيص اى ذكرا لا يمكن ان يؤتى الا من
عندنا وهو متعلق للتعظيم وقيل ذكرا جميلا وصيتا جليلا من بين الناس ولا يساعده قوله
من اعرض عنه عن هذا الذكر هو القرآن الجامع لوجوه السعادة فانه يحمل يوم القيامة
وزرا عقوبة ثقيلة شبه العقوبة الثقيلة على المعاقب بالحمل الفادح للحامل لصعوبة
احتماله وكونها تنقض ظهره او سبب جزاء الوزر وهو الاثم خالدين فيه حال من
المستكن فى يحمل وانما جمع على المعنى ووحد فى فانه حملا على اللفظ من فيه فى الوزر او فى حمله
وساء لهم يوم القيامة حملا ساء فى حكم بئس وفيه ضمير مبهم يفسره حملا وهو تمييز واللام
فى لهم للبيان كما فى هيت لك والمخصوص بالذم محذوف لدلالة الوزر السابق عليه

تقديره وساء حملا وزرهم يوم ينفخ في الصور وقرئ بالنون على اسناد النفخ الى الآمر تعظيما له
او للنافخ وقرئ بالياء المفتوحة على ان فيه ضمير الله تعالى او ضمير اسرافيل وان لم يجر
ذكره لانه المشهور بذلك في الصور وقرئ في الصور وقد سبق بيان ذلك ونحشر المجرمين
يومئذ زرقا اي عميا كما قال ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وهذا لان حدقة
من يذهب نور بصره تزراق وقيل زرقت عيونهم من شدة العطش وقيل اي تشوه
خلقتهم فتسود وجوههم وتزرق عيونهم يتخافتون بينهم يخفضون اصواتهم لما يملأ
صدورهم من الرعب والهول والخفت خفض الصوت واخفاؤه ان لبثتم اي في الدنيا
الا عشرا لا حاجة الى التأويل في عشرا لما نقل عن ائمة النحو انه اذا كان المعدود مذكرا وحذفته
فلك فيه وجهان يستقصرون مدة لبثهم فيها اما لتقضيها لان المنقضي وان طال قصر والانتهى
واما لاستطالتهم مدة الآخرة فان الابد يستقصر مدة الدنيا ويستحقر لبثهم
فيها بالنسبة اليه ولهذا استرجح قول من يكون اشد تقالا واستقصارا منهم وقيل في القبر
لقوله ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون الآية نحن اعلم بما يقولون وهو مدة لبثهم اذ
يقول امثلهم طريقة اعدلهم رأيا او عملا ان لبثتم الا يوما ورجحانه انه ابلغ
في الطريقة المذكورة آنفا ويسئلونك عن الجبال اي عن مآل امرها وقد سأل عنه رجل
من ثقيف بعد النزول فقل ذكرنا الفاء في الجواب ولم يذكر في سائر السؤالات ويسئلونك
عن المحيض قل هو اذى وعن اليتامى قل اصلاح لهم خير وعن الخمر والميسر قل فيهما اثم
كبير وعن الساعة ايان مرسيها قل انما علمها وعن الروح قل الروح وعن ذي القرنين قل
سأتلو لان الجواب فيها عن سؤالات واقعة قبل النزول وهنا عن سؤال علم الله تعالى وقوعه
واخبر عنه ولم يقع بعد ولذلك اجاب بالفاء الفصيحة فكان المعنى اذا سألوك فقل ينسفها
ربي نسفا قال الخليل يقلعها فيذرها فيتركها والضمير للارض للعلم بها كقوله ما ترك على
ظهرها او لكان المعنى كما قالوا يجعلها كالرمل ثم يرسل الرياح عليها فيفرقها ويذريها كما
تذري الحب فكان حق يذرها ان يصدر بالواو والفصيحة قاعا صفصفا القاع الارض
المستوية والصفصف الارض الملساء فقوله لا ترى فيها عوجا مؤكدة للاول وقوله و
لا امتا مؤكد للثاني فان الامت النتو اليسير ولا اختصاص للعوج بالكسر بالمعاني قال ابن
السكيت وكل ما ينتصب كالحائط والعود قيل عوج بالفتح والعوج بالكسر ما كان في ارض
او دين او معاش يومئذ ظرف ليتبعون مضاف الى وقت النسف اي يوم اذ نسفت
او بدل ثان من يوم القيمة يتبعون الداعي داعي الله تعالى الى المحشر وقيل هو اسرافيل
يدعو الناس قائما على صخرة بيت المقدس فيقبلون من كل صوب الى صوبه لا عوج له
في مدعوه اي لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه بل يستوون اليه من غير انحراف عن سمت

صوته وخشعت الاصوات للرحمن هيبة واجلالا والخشوع كالخضوع من صفات النفس الا انه
مظهر الاول منهما الصوت ومظهر الثاني العنق فيسند كل منهما الى مظهره فلا تسمع الا همسا
صوتا خفيا وقيل هو من همس الابل وهو صوت اخفافها اذا مشت اي لا تسمع الا خفق الاقدام
ونقلها الى المحشر يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن من مرفوع المحل بدل من الشفاعة على
تقدير حذف المضاف اي لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له الرحمن وتنفع على هذا من
جملة الافعال التي مفاعيلها نسيا منسيا واجريت مجرى الفعل اللازم في التعميم للمبالغة كقولهم
فلان يعطي ويمنع او منصوب المحل على المفعولية والاستثناء مفرغ ومعنى اذن له على هذا اذن
لاجله اي اذن للشافع واذن يحتمل ان يكون من الاذن ومن الاذن بفتح الهمزة ورضي له قولا
اي ورضي لمكانه عند الله في الشفاعة او رضي لاجله قول الشافع في شأنه او قوله لاجله في شأنه
يعلم ما بين ايديهم ما تقدمهم من الاحوال وما خلفهم وما يستقبلونه او على العكس ولا يحيطون
به علما الضمير لاحد الموصولين او لمجموعهما وعنت الوجوه للحي القيوم ذلت وخضعت وخص
الوجوه لان آثار الذل انما تظهر اولا فيها وظاهرها يقتضي العموم ويجوز ان يكون التعريف
باللام بدلا عن التعريف بالاضافة على ان المراد وجوه المجرمين ويؤيده وقد خاب من حمل ظلما
يحتمل الحال والاستئناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم والاعتراض ولا يأباه كونه في مقابلة
قوله وهو مؤمن لان التقابل المعنوي كاف فان الاستئناف اعتراض كالاستئناف لا ابتعاد عن
الحال ومن يعمل من الصالحات بعض الطاعات وهو مؤمن اذ الايمان شرط قبولها فلا يخاف
قرئ فلا يخف على النهي ظلما منع ثواب يستحق بالوعد والظلم ان يأخذ من صاحبه فوق
حقه ولا هضما ولا كسرا منه بنقصان او جزاء ظلم وهضم لانه لم يظلم غيره ولم يهضم حقه
وكذلك انزلناه قرآنا عطف على كذلك نقص اي مثل ذلك الانزال من انباء الاولين او مثل
انزال هذه الآيات المتضمنة للوعيد انزلنا القرآن كله عربيا بلسان العرب و
صرفنا فيه من الوعيد كررنا القول فيه من انواع الوعيد صار فيه له من نوع الى آخر لعلهم
يتقون لكي يتقوا المعاصي فيصير التقوى لهم ملكة او يحدث لهم ذكرا عظة واعتبارا
اسند التقوى اليهم واحداث الذكر الى القرآن مع كلمة الترجي بعد ذكر تصريف
الوعيد في القرآن لان التكرار يفيد ملكة التقوى لهم غالبا فيكونون في صورة المرجو المترجى
فيه عادة التقوى والا فلا اقل من احداث العظة فيهم حين سماعه فيتثبطون عنها فتعالى
الله ارتفع عن فنون الظنون واوهام الافهام وتنزه عن مضاهاة الانام ومشابهة
الاجسام فلا يماثل كلامه كلامهم كما لا يماثل ذاته ذواتهم استعظام له تعالى
لما نزل وصرف على عباده من الوعيد الملك النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده
ويخشى وعيده الحق العدل في حكمه وملكوته او المستحق الملك بذاته او الثابت في ذاته وصفاته

لما ذكر القرآن وانزاله قال استطرادا ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه نهى
عن الاستعجال في تلقي الوحي اي تأن فيه ريثما يسمعك جبريل عليه السلام ويفهمك ثم ابدأ
بالتحفظ كقوله لا تحرك به لسانك لتعجل به وقيل لا تبلغ ما كان مجملا حتى يأتيك بيانه وقل رب
زدني علما اي سل الله تعالى زيادة العلم بدل الاستعجال فان ما اوحي اليك تناله
لا محالة ولقد عهدنا الى آدم يقال عهد اليه الملك وعزم عليه وتقدم اليه اذا امره ووصاه عطف قصة
آدم عليه السلام على قوله وصرفنا فيه من الوعيد للدلالة على ان اساس امر بني آدم على العصيان
وعرقهم راسخ في النسيان فلهم مزيد حاجة الى تكرار الوعيد وصرفه واللام جواب قسم محذوف
من قبل من قبل هذا الزمان فنسي العهد فلم يعتن به حتى غفل عنه واغتر بقول الشيطان او
ترك ما وصي به اليه من الاحتراز عن الشجرة وقرئ فنسي مشددا مبنيا للمفعول اي نساه
الشيطان ولم نجد له عزما تصميم رأي وثباتا على ما عهد له اذ لو كان ذا عزيمة وجد لم يقبل
وسوسة الشيطان ولم يغتر بقوله والوجود ان كان بمعنى العلم فمفعولاه له عزما وان كان
بمعنى المصادفة فعزما مفعوله وله متعلق به او حال واذ قلنا اي اذكر وقت قولنا للملائكة
اسجدوا لآدم واباء ابليس وتحذيرنا اياه من كيده حتى يتبين لك انه نسي ولم يكن ذا
عزيمة وثبات ومن هنا تبين ان ما قيل ان المعنى ولم نجد له عزما على الذنب لانه اخطأ ولم يتعمد
لا يناسب سياق الكلام فسجدوا الا ابليس قد سبق القول فيه ابى جملة مستأنفة وقعت جوابا عن
سؤال سائل كانه قيل لم لم يسجد فقيل ابى اي اظهر الاباء وتثبط ويرشدك الى هذا ما في
سورة ص من قوله استكبر بدل ابى فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك عاد الجار
للدلالة على ان عداوته لها ايضا اصالة لا تبعا لزوجها فلا يخرجنكما من الجنة نهي عن كونهما
بحيث يؤثر فيهما وسوسة الشيطان ويتسبب لاخراجهما فهو مبالغة في النهي عن قبولها مع
الاشعار بعلة النهي فتشقى افرده باسناد الشقاء اليه بعد اشتراكهما في الخروج اكتفاء
لاستلزام شقائه شقاءها لانه القيم عليها والمحافظة لها مع الايجاز والمراعاة على
الفاصلة ويجوز ان يكون المراد بالشقاء التعب في طلب المعاش وذلك وظيفة الرجل وحده
ويعضده قوله ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى فانه بيان و
تذكير لما له في الجنة من اسباب الكفاية واقطاب الكفاف التي هي الشبع والري والكسوة
والكن مستغنيا عن اكتسابها والسعي في تحصيل اعواض ما عسى ينقطع ويزول بذكر نقائضها
ليطرق سمعه باصناف الشقوة المحذر منها وتباعد لعن الاصل المالوف في الذكر الى المنزل
تنبيها على ان الاوليين اصلان وان الاخيرين متممان على الترتيب فالامتنان على هذا الوجه
اظهر ولهذا فرق بين القرينتين فقيل اولا ان لك وثانيا وانك وقرئ وانك بالفتح عطفا على
ان لا تجوع وان لم يجز دخول ان على ان لان الواو ليس حكمها حكم ان لانها نائبة عن كل عامل

لا عن خصوص ان لتعلل بامتناع تعاود حرفين يعملان عملا واحدا وكذلك لم توضع للتحقيق
خاصة لتعلل بامتناع اجتماع حرفين لمعنى واحد على انها وان كانت نائبة الا انها ليست
في قوة المنوب عنه فلذلك عومل معها ما لا يعامل معه كقولك ليس زيد قائما ولا قاعدا
ولا يجوز ان تقول ليس لا قاعدا فوسوس اليه الشيطان اي فوسوس اليه وسوسته
قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد اضافها الى الخلد وهو الخلود موهما ان كل من اكل
منها خلد فهو سبب الخلود بزعمه وملك لا يبلى لا يخلق ولا يضعف فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما
وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قد سبق القول فيه وعصى آدم العصيان وقوع
الفعل او الترك على خلاف الامر والنهي فقد يكون عمدا فيكون ذنبا وقد يكون خطأ فيكون
زلة آدم ربه بعدم الانتهاء بالنهي فغوى عن الرشد حيث اغتر بقول العدو او
عن المطلوب وهو الخلد والملك الباقي وفي النعي عليه بالنعت مع صغر زلته تعظيم لها
وتشديد عليه في العتاب وتغليظ لعلو مرتبته وعدم مناسبة الزلة لمقامه وزجر
بليغ وموعظة كافة لاولاده ثم اجتباه ربه اصطفاه بالتوفيق للتوبة والقبول
بعدها والتقريب من جبى الي كذا فاجتبيته ونحو جليت على العروس فاجتليتها فاصل
الكلمة الجمع فتاب عليه فقبل توبته لما تاب وهدى الى الثبات على التوبة قال اهبطا
منها جميعا الخطاب لآدم وحواء لا له ولابليس لانه قد خرج منها قبل هذا لقوله تعالى
فاخرج منها فانك رجيم بعضكم لبعض عدو قد سبق القول فيه فاما يأتينكم مني هدى
من الكتاب والرسول فمن اتبع هداي فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ومن اعرض
عن ذكري عن الهدى الذاكر لي فان له معيشة ضنكا ضيقا مصدر وصف به ولذلك يستوي
فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى كسكرى وذلك ان المعرض عن ذكره حريص على الدنيا
منهمك عليها لا يزال همه مصروفا الى الازدياد منها يجمع ويمنع ويطمح على ما في ايدي الناس
فيطمع ويغلب عليه الشح فيضيق عيشه بخلاف الذاكر المتوجه اليه التابع للهدى المتوكل
عليه في امره فانه يعلم ان الرزق على الله تعالى فيسمح بما في يده وينفق فيعيش عيشا رافعا
كما قال تعالى فلنحيينه حيوة طيبة على انه تعالى قد يضيق بشؤم الكفر ويوسع ببركة
الايمان كما قال تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بانهم
كانوا يكفرون بآيات الله ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء
والارض ونحشره وقرئ بالجزم عطفا على محل فان له معيشة فانه جواب للشرط يوم القيامة
اعمى عن ابن عباس رضي الله عنهما اعمى البصر وهو كقوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا
وهو الوجه المناسب للسؤال قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا في الدنيا قال كذلك
اي ذلك فعلت والكاف مقحم اقحاما لا يكادون يتركونه في لغة العرب وغيرهم

ثم فشرع فقال اتتك اياتنا واضحة نيرة فنسيتها فعميت عنها وتركتها غير منظور اليها وكذلك
مثل تركك اياها اليوم تنسى تترك في العمى والعذاب وكذلك نجزي من اسرف بالانهماك
في الشهوات والاعراض عن الايات ولم يؤمن بايات ربه بل كذب وخالفها ولعذاب
الاخرة اشد وابقى اي وللحشر على العمى الذي لا يزول ابدا اشد من ضيق العيش المنقضي
او ولتركنا اياه في العمى ابدا اشد وابقى من تركه لاياتنا افلم يهد لهم مسند الى الله تعالى
او الرسول او ما دل عليه كم اهلكنا قبلهم من القرون اي اهلاكنا اياهم او الجملة بمضمونها
والفعل على الاولين معلق يجري مجرى علم ويدل عليه كم اهلكنا القراءة بالنون يمشون
في مساكنهم كناية عن مشاهدتهم اثار هلاكهم ان في ذلك لايات لاولي النهى لذوي
العقول الناهية عن التغافل والتعامي ولولا كلمة سبقت من ربك الكلمة السابقة بتاخير
عذاب هذه الامة الى الاخرة لكان لزاما لكان مثل ما نزل بعاد وثمود من عذابنا لازما
لهؤلاء الكفرة واللزام اما مصدر وصف به او فعال بمعنى مفعل اسم الة اللزوم
سمي به اللازم لفرط لزومه واجل مسمى عطف على كلمة او على المستكن في كان وهو ضمير
ذلك المشار به الى الاهلاك اي ولولا قضاء سابق ووعد بتاخير عذاب هذه الامة
الى يوم القيمة او يوم بدر واجل مسمى لاعمارهم لكان الحكم والفصل للدلالة على استقلال
كل منهما بنفي لزوم العذاب او ولولا هذه العدة لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين
لهم كما كانا لازمين لعاد وثمود ولم ينفرد الاجل المسمى عن الاخذ العاجل فاصبر على
ما يقولون الفاء للسببية جزاء لشرط مقدر اي اذا لم يعذبهم ولم يهلكهم لما ذكر فاصبر
وسبح تقييد التسبيح بالاوقات المخصوصة قرينة لكونه مجازا بمعنى الصلوة والا فلا وجه
للتخصيص بها وقوله بحمد ربك حال اي وصل وانت حامد لربك على هدايته وتوفيقه
قبل طلوع الشمس اي الفجر وقبل غروبها اي الظهر والعصر لانهما في النصف الاخير من النهار
ومن اناء الليل ومن ساعاته جمع اني بالكسر والقصر واناء بالفتح والمد فسبح اي المغرب
والعشاء وصلوة التهجد وانما قدم الزمان فيه لاختصاصه بمزيد الفضل لان الميل فيه
الى الاستراحة اقوى فكانت العبادة فيه على النفس اشد واشق فكان الثواب اكثر ولان
القلب فيه اجمع والفراغ الى الله تعالى والخلوة به ايسر واكثر ولهذا قال الله تعالى
ان ناشئة الليل هي اشد وطاء واقوم قيلا واطراف النهار تكرير لصلوة الصبح والمغرب
للزينتهما لكونهما مختلف الملائكة ومجتمعهم معناه تعمد اناء الليل واطراف النهار مختصا لها
بصلوتك وجمع الاطراف مجاوبة الاناء مع الامن من الالباس لعلك ترضى اي سبح في
هذه الاوقات طمعا ورجاء ان تنال عند الله ما ترضى به نفسك وقرئ بالبناء للمفعول
اي يرضيك ربك ولا تمدن عينيك اي نظر عينيك الى ما متعنا به مد النظر تطويله ميلا واستحسانا الخبث

لايجاد برد استحسانا للمنظور وتمنيا ان يكون للناظر ازواجا اصنافا منهم من الكفرة
ويجوز ان يكون حالا من الضمير في به والمفعول منهم اي الى الذي متعنا به وهو اصناف
بعضهم وناسا منهم زهرة الحيوة الدنيا الزهرة الزينة والبهجة وقرئ بفتح الهاء
وهي لغة فيها كالجهرة في الجهرة او جمع زاهر كالجهرة في جمع جاهر نصب على الذم او على
الاختصاص اي اعني او اخص او على المفعول الثاني لما دل عليه متعنا او على تضمينه معنى
اعطينا واما نصبه على البدل من محل الجار والمجرور اي به او من ازواجا على تقدير مضاف
اي ذوي زهرة فضعيف لانه لا يقال مررت بزيد اخاك ولان الابدال من الضمير العائد
الى الموصول ونحوه مما اختلف في جوازه وعلى قراءة الفتح نعت على انه جمع زاهر وجاز
ان يكون حالا والاضافة لفظية لان الاصل زاهرين الحيوة الدنيا وصف لهم بانهم زاهر
والدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد لنفتنهم لنبلوهم ونختبرهم
فيه او لنعذبهم في الاخرة بسببه ورزق ربك وما ادخر لك في الاخرة او ما رزقك من الهدى
خير مما منحناهم به في الدنيا وابقى لانه لا ينقطع ابدا وامر اهلك بالصلوة امره بان يامر
اهل بيته او التابعين له من امته بالصلوة بعد ما امره بها وبالصبر ليتعاونوا على الاستعانة
على خصاصتهم بها لقوله تعالى استعينوا بالصبر والصلوة ولا يهتموا بامر الرزق والمعاش
ولا يلتفتوا لفت ارباب الثروة واصطبر عليها وداوم عليها لا نسئلك رزقا
اي لا نكلفك ان ترزق نفسك نحن نرزقك فتفرغ بالك لامر الاخرة لان من كان في عمل الله
كان الله في عمله والحكم في الموضعين في صورة الخطاب الخاص والعاقبة المحمودة للتقوى
لاهل التقوى
مخصوصة بها ويلزم هذا ان يكون حسن العاقبة لاهلها خاصة فلا حاجة الى التقدير وقالوا لولا
يأتينا باية من ربه هلا يأتينا محمد باية دالة على صحة نبوته بناء على عادتهم في اقتراح الايات
وانكار ما جاء به منها وعدم الاعتداد بها تعنتا وعنادا وتنكيرها بالي عن حملها على اية
معهودة اقترحوها فالزمهم بالقران الذي هو ام المعجزات واعظمها حيث قال اولم
تأتهم بينة ما في الصحف الاولى وذلك انه برهان ما في جميع الكتب المنزلة من حيث انه
معجز بلفظه دونها فهو بالنسبة اليها حجة على صحتها لاشتماله على ما فيها وتصديقه اياها مع
اعجازه ولما كان برهانا على ما فيها كان برهانا على صحة نبوته للدلالة على انه مختص بنوع
من العلم اعلى قدرا واشرف فمنه جميع العلوم وهو خلاصة ما في الكتب الالهية من العقائد والاحكام
مع كونه اميا لم يتعلم شيئا ويتورع من تركيب الكلام لم يمكن احدا معارضته في الفصاحة والبلاغة
عند التحدي به ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله من قبل محمد او من قبل البينة وتذكير
الضمير لانها في معنى البرهان والدليل او من قبل اتيانها واتيانه بها لقالوا ربنا لولا هلا
ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل بالقتل والسبي والجزية في الدنيا ونخزى

بالعذاب ودخول النار في الآخرة قل كل أي كل واحد منا ومنكم متربص منتظر لما يؤل إليه أمرنا وأمركم في العاقبة فتربصوا فانتظروا وقرئ فتمتعوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي وقرئ السواء أي الوسط والسوء أي الشر والسوي وهو تصغيره ومن اهتدى إلى النعيم المقيم ومن في الموضعين للاستفهام ومحل الأول الرفع بالابتداء والثانية عطف عليها عطف الجملة على الجملة ويجوز أن يكون الثانية موصولة بخلاف الأول لعدم العائد فيكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على أن العلم بمعنى المعرفة أو على أصحاب أو على الصراط على أن المراد به النبي صلى الله عليه وسلم والحمد لله على التمام

المستقيم ه

اقترب للناس حسابهم أي دنا وقت إظهار ما للعبد وما عليه ليجازى بهما والحساب إخراج الكمية من مبلغ العدة والاقتراب بالنسبة إلى ما مضى لا عند الله إذ لا نسبة للكائنات بالقرب والبعد إليه تعالى أو لأن مبدأه الموت أو هو كناية عن ظهور بعض أماراته وبناسبه وهم في غفلة تنكيرها للتعظيم أي وهم مستغرقون في غفلة عظيمة لا يعرف كنهها وهذا من قبيل نسبة فعل الأكثر إلى الكل فلا ينافي كون تعريف الناس للجنس كما في قوله تعالى ويقول الإنسان أئذا ما مت الآية واللام صلة لاقترب أو تأكيد لإضافة الحساب إليهم كما في قولهم لا أبا لك والأصل اقترب حساب الناس ثم اقترب الناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم ونحوه في التأكيد تكرير الظرف كقولهم فيك زيد راغب فيك معرضون عن أسباب التنبيه كلما كرر عليهم التنبيه وجدد لهم التذكير وقرعت لهم العصا وأحدث لهم ذكر من الآيات التي تتلى وقتا بعد وقت ما تنبهوا بواحد من تلك الأذكار وما استيقظوا مرة من تلك المراد إلا استمعوه مستهزئين لاهين يلعبون فقوله ما يأتيهم من ذكر إلخ تقرير لتماديهم في الإعراض والغفلة بأن الله تعالى يجدد لهم الذكر ويكرر على أسماعهم الوعظ ليتعظوا فما يزيدهم استماع ذلك إلا لعبا واستسخارا وتلهيا راسخا في قلوبهم وجدا وعزيمة في اللهو يعني أنهم وإن فطنوا في قلة جدوى فطنهم وتمادي ذهولهم وغفلتهم عن التأمل والتبصر كأن الذهول مركوز في قلوبهم لا فطنة لهم أصلا قوله في غفلة معرضون خبران أو الظرف حال من المستكن في معرضون من ربهم صفة لذكر أو صلة لما يأتيهم محدث لم يرد به حدوث نفسه بمعنى مسبوقيته بالعدم وإن كان صحيحا لأن الكلام اللفظي حادث عند الجمهور ولا حدوث تنزيله كما زعمه الحنابلة المنكرون حدوثه لأن كلا منهما لا يناسب المقام ولا يلائم سياق الكلام بل المراد تجدد الذكر وقتا بعد وقت لما عرفت أنه أشد تأثيرا في التذكير وقرئ بالرفع حملا على المحل إلا استمعوه وهم يلعبون حال عن الواو وكذلك لاهية قلوبهم

استمعوه جامعين بين الاستهزاء به والتلهي فهما حالان مترادفان والتلهي وهو من لهيت عن الشيء لهيا ولهيانا إذا سلوت عنه وتركت ذكره وأضربت عنه ويعدى بعن ومن عند الأصمعي وهو في الحديث من باب علم أي من لهي عنه يلهى إذا ذهل وغفل ويجوز أن يكون حالا من واو يلعبون فالحالان متداخلان وقرئت بالرفع على أنه خبر آخر للضمير فالحال واحدة وفي قوله وأسروا النجوى مبالغة لأن النجوى لا يكون إلا خفية أي بالغوا في إخفائها الذين ظلموا بدل من واو أسروا وفائدة الإبدال الإشعار بأنهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما أسروا به أو منصوب على الذم أو مرفوع بالابتداء خبره أسروا النجوى قدم عليه وفائدة التقديم الاهتمام ببيان إسرارهم النجوى بالتسجيل عليه بأنه ظلم لأن الأصل وهم أسروا النجوى فوضع المظهر موضع المضمر قدم الإسرار ليفهم منه أن الإسرار هو الظلم ثم بين أن النجوى ما هو بقوله هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون ليتمكن في أنفسهم معنى بالإبهام والتبيين ويتحقق عندهم أن ذلك هو الظلم الفاحش بالدليل الواضح لتسميتهم المعجز سحرا مبينا وادعائهم أن كونه سحرا مشاهد بين واعتقادهم أن رسول الله لا يكون إلا ملكا وأن من ادعى الرسالة من البشر فهو ساحر وإنكارهم أن يحضروا السحر الذي لا شك فيه وإنما أسروا تشاورا في استنباط ما يهدم أمره ويظهر للناس فساده تثبيطا عنه وعادة للتشاور وبين الكتمان وما ذكر كل في محل النصب بدل من النجوى أو مفعول لقول مضمر قل وقرئ قال إخبارا عن الرسول وحكاية لقوله عليه السلام ربي يعلم القول في السماء والأرض هو آكد من قوله يعلم السر لأنه عام يشمل السر والجهر كأنه قال يعلم السر كله وغيره كما أن قوله السر آكد من قوله يعلم سرهم لعمومه فعمم ولم يقل في مقابلة أسروا النجوى يعلم السر ليؤكد بالطريق البرهاني ثم قرر ذلك وبين بقوله وهو السميع العليم أي مطلقا دون غيره فكيف يخفى عليه ما يسرون بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر بل الأولى للإضراب عن تجاوزهم في شأن الرسول عليه السلام وما ظهر عليه من الآيات إلى تقاولهم في أمر القرآن والثانية لإضرابهم عن كونه أباطيل خيلت إليه وخلطت عليه إلى كونه مفتريات اختلقها من تلقاء نفسه والثالثة لإضرابهم منه إلى أنه كلام شعري يخيل إلى السامع معاني لا حقيقة لها ويرغبه فيها ثم إنهم تنقلوا في مدارج الإضراب واعتبروا في كل خطوة منه نوعا من الاعتبار اللطيف قيل أضربوا عن قولهم هو سحر إلى قولهم أضغاث أحلام أي تخاليط رؤيا ثم إلى أنه كلام افتراء ثم إلى أنه قول شاعر على عادة كل مبطل في التلجلج والتزلزل في التحير والغلط وذلك يدل على فساد قولهم وبطلانه ولا يذهب عليك أن حق النظم حينئذ أن يقال بل لا بل قالوا وأما ما قيل يجوز أن يكون الكل من الله تعالى تنزيلا لأقوالهم في درج الفساد لأن كونه شعرا أبعد من كونه مفترى لأنه مشحون بالحقائق والحكم ليس فيه ما يناسب قول الشعراء

وهو من كونه احلاما لانه مشتمل على مغيبات طابقت الواقع والمفترى لا يكون كذلك بخلاف
الاحلام وهو من كونه احلاما لانه مشتمل على محاسنه من حيث انها من الخوارق فمبناه على انه
يكون من الشعر والحكمة بعيدا وعلى ان يكون الشعر كالمعجزة من خوارق العادات ولا صحة
لواحد منهما اما الاول فظاهر وكان هذا القائل غافل عن قوله عم ان من الشعر لحكمة واما الثاني
فلان الحق ان السحر امر يموه به لا حقيقة له او ترتيب لاسباب خفية وعلى كلا التقديرين ليس فيه
شيء من خرق العادة فليأتنا بآية بمعجزة عظيمة وصحة التشبيه في قوله كما ارسل الاولون
من حيث انه في معنى كما اتى الاولون بالآيات العظيمة كاليد والعصا واحياء الموتى وابراء الاكمه
لان ارسال الرسل متضمن للاتيان بها هذا اذا كان ما مصدرية واما اذا كانت موصولة
فيعنى كالتي ارسل بها الاولون فالتشبيه على ظاهره ما آمنت قبلهم من قرية اراد بالقرية
اهلها فالايجاز من جهة المجاز لا من جهة الحذف ولذلك قال في التوصيف اهلكناها دون
اهلكناهم بعد اهلاكهم عند انكارهم مما اقترحوا من الآيات لما جاءتهم افهم يؤمنون
عند اتيانها وفي ايلاء الهمزة فاء التعقيب انكار بانهم بعد ما لم يؤمن اولئك لان هؤلاء
اعتى منهم واشد عنادا وتعنتا فلو اتى بما يقترحون لكانوا اعصى منهم واشد كفرا وتنبيه
على ان عدم الاتيان بما اقترحوا ابقاء عليهم اذ لو اتى به لم يؤمنوا واستوجبوا عذاب الاستئصال
كمن قبلهم وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم جواب لقوله هل هذا الا بشر مثلكم و
ان شككتم فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون امرهم بذلك ليخبروهم ان الرسل كانوا
بشرا ولم يكونوا ملائكة والمراد من اهل الذكر اهل الكتاب وانما احالهم اليه للالزام فانهم
كانوا يشاورونهم في امر الرسول والرد عليهم ويثقون بقولهم وعلماء الاحبار
والاحالة اليهم لان اخبار الجم الغفير يوجب العلم وان كانوا كفارا وتمام الكلام في هذا
المقام قد سبق في سورة النحل وما جعلناهم اي ما جعلنا كل واحد منهم كقوله ثم نخرجكم
طفلا جسدا الجسد جسم الحيوان مخصوص به كالبدن بخلاف الجسم والجرم وهو عبارة عن
روح وجسد والروح ما لطف والجسد ما غلظ واصله يجمع الشيء واشتداده اي ما جعلنا
جسدا محضا ليس فيه روح متصرف حتى يتحلل فيحتاج الى البدن فقوله لا يأكلون الطعام تقرير
وتأكيد لذلك المعنى وجواب لقولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام ولما كان التغذي به
من لوازم التحليل المؤدي الى الفناء كان قوله وما كانوا خالدين تقريرا وتأكيدا له ونفي
عن الرسل لما اعتقدوا اختصاصه بالملك تحقيقا لكونهم من جنس البشر ثم صدقناهم الوعد
اي في الوعد فنصب بانتزاع الخافض فانجيناهم ثم قاتل بقومهم ومن نشاء يعني المؤمنين
ومن في ابقائه حكمة كمن سيؤمن هو وبعض ذريته ولذلك حميت العرب عن استيصال العذاب
واهلكنا المسرفين المجاوزين الحد بالكفر وبعضهم منه دخول بعض الكافرين تحت من نشاء

ولقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم صيتكم وشرفكم كقوله وانه لذكر لك ولقومك او موعظتكم
او ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق والكتاب القرآن والخطاب لقريش او لعامة
العرب افلا تعقلون فتؤمنوا به والفاء كالتي في فهم يؤمنون وكذا الاستفهام وكم قصمنا
واردة من غضب شديد لان القصم افظع الكسر لانه كسر يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم
بالفاء ولا يراد هاهنا صورة الكسر من قرية لما اقيمت القرية مقام اهلها وتجوز بها عنهم وصفت
بصفتهم فقيل كانت ظالمة وانشأنا بعدها اي بعد اهلاكها قوما آخرين وللدلالة على تعدي الغضب
في شأنهم الى اهلاك قريتهم ايضا باخراجها عن صلاحية الانتفاع بها قال بعدها ولم يقل بعدهم
اظهارا للتعدي مع السابق واعتبارا لما يقتضيه اللاحق فان الضمير في قوله فلما احسوا لاهل القرية
بأسنا اي ادركوا بالحس عيانا ومشاهدة شدة عذابنا على الاستعارة في الاحساس ويكون
ان يكون من قبيل الاستعارة في البأس اذا هم منها من القرية واذا للمفاجأة يركضون و
الركض ضرب الدابة بالرجل اي يهربون مسرعين على الكناية ويحتمل التمثيل على تشبيههم
في الاسراع وشدة العدو بمن يركض الدابة وان يكون لا تركضوا قولا بلسان الحال يشير الى
انهم خلفاء بان يقال لهم ذلك وان لم يقل او المقال استهزاء والقائل ملك او من ثم من
المؤمنين او حديثا يحدث به انفسهم تمنيا وارجعوا الى ما اترفتم فيه من العيش الرافه
والتنعم والاتراف ابطار النعمة والاسم الترفة وارجعوا الى وبال ما اترفتم ومساكنكم في النار
او التي كانت لكم لعلكم تسألون غدا من اعمالكم او كناية عن العذاب فان السؤال مقدمة او
تهكم وتوبيخ اي ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم حتى يسألكم من ينفذ فيه امركم ونهيكم
او يسألكم الناس في انديتكم المعاونة في نوازل الخطوب ويسألكم الوافدون عليكم ويستمطرون
سحاب ما في ايديكم ولما اخذهم العذاب ولم يروا وجه النجاة قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين
اعترفوا بالاقتراف حين لا ينفع الاعتراف فما زالت تلك دعواهم فالاشارة الى يا ويلنا لانها
دعوى اي فما زالت تلك الدعوى دعويهم والدعوى الدعوة لان المولول يدعو الويل و
يقول يا ويل تعال فهذا اوانك والويل الوقوع في الهلكة وتلك اسم ما زالت ودعواهم خبره
او بالعكس نقيض الاول انما هو في كون ضرب عيسى موسى مما يختلف اصل المعنى باختلاف
الاعراب حتى جعلناهم لضمير المنصوب هو الذي كان مبتدأ وحصيدا خامدين كانا خبرين
فنصبهما جعل جميعا على المفعولية لا على انها يقتضي ثلاثة مفاعيل بل على ان الاخيرين في حكم الواحد
اي جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود كقولهم هذا حلو حامض اي جامع الطعمين
شبههم في استيصالهم وسقوطهم بالزرع المحصود وفي دمارهم وسكونهم بالنار
الخامدة وافراد حصيدا دل على ان المثل مراد تحقيقا للكلام عن حد الاستعارة الى حد التشبيه
وما خلقنا السماء والارض وما في جهة العلو والسفل وما بينهما من العجائب والبدايع لاعبين

الصنايع لاعبين كما يصنع ابناء الدنيا انما خلقناها تسبيبا لما ينتظم به امور العباد
في المعاش والمعاد وتبصرة لاولي الالباب والابصار وتذكرة لذوي الاعتبار من النظار
فليتشبث بها طلاب الكمال ولا يغتروا بزخارفها فانها سريعة الزوال ثم بين بقوله لو اردنا
ان نتخذ لهوا لاتخذناه ان السبب مع ترك اتخاذ اللهو هو الحكمة البالغة والا فالقدرة
الباهرة لا تنحسر عن ذلك ان اراد فعله فانه على كل ما يشاء قدير والحكمة وان لم تكن
منافية لان يفعل لايجاد اللهو وهو ما يتلهى به لا من عالم الشهادة لانه اشنع وابعد
عن شان الحكيم ان كنا فاعلين ذلك ويدل على جوابه الجواب المتقدم وقيل ان نافية
وزيادة كنا لاستمرار النفي المتاخر في الاعتبار لا للنفي الاستمرار لانه لا يناسب المقام و
الجملة كالنتيجة للشرطية بل نقذف بالحق على الباطل اضراب من اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته
من اللعب اي بل من شاننا ان نغلب الحق الذي من جملته الجد على الباطل الذي من عداده
اللهو فيدمغه فيمحقه ويمحقه من دمغ الرجل اذا شج شجة تبلغ ام الدماغ فلا يحيى صاحبها
استعارة والقذف الذي هو الرمي البعيد المستلزم لصلابة المرمي لابطال الباطل بالحق
مقصودا لابطاله به ومحقه في صورة جسم صلب كالصخرة مثلا قذف به على جرم رخو اجوف
فدمغه قضاء لحق البلاغة وقرئ فيدمغه بالنصب ووجهه مع بعده الحمل على المعنى والعطف
على الحق فاذا هو زاهق هالك والزهوق ذهاب الروح وذكره لترشيح المجاز ولكم الويل
مما تصفون مما تصفونه به في حكمته وتستحيل عليه وهو في موضع الحال وما مصدرية او موصولة
او موصوفة وله من في السموات والارض خلقا وملكا ومن عنده منزلة ومكانة لا منزلا
ومكانا يعني الملائكة شبهوا في كرامتهم عند الله تعالى وقربهم بالمقربين عند الملوك من
زمرة خواصهم بيانا لشرفهم ويوقف على الارض لان من مبتدا خبره لا يستكبرون
عن عبادته لا يتعظمون عنها ويجوز ان يكون معطوفا على من في السموات والمعنى له من في
عالم الشهادة ومن في عالم الغيب ولا يستحسرون ولا يعيون منها وانما جي بالاستحسار
وهو مبالغة في الحسور والا كان نفي ادنى حسور ابلغ للايماء الى ان ما هم فيه من دوام
العبادة والدؤوب بلا فترة يوجب غاية الحسور والا كان نفي ادنى حسور ابلغ يسبحون
الليل والنهار ينزهونه ويعظمونه دائما لا يفترون حال من الواو في يسبحون وهو استئناف
او حال من ضمير قبله ام اتخذوا آلهة هي المنقطعة بمعنى بل والهمزة اضراب عما قبلها والانكار
لما بعدها وهو اتخاذ آلهة ارضية وفي قوله من الارض سواء كان صفة الآلهة او متعلقة
بالفعل على معنى الابتداء تجهيل لهم واستركاك لعقولهم وقوله هم ينشرون تهكم بهم وتوبيخ
لهم فانهم وان كانوا لا يصرحون بذلك لكنه يلزمهم بادعاء الالهية لها فان الاله هو
الذي يقدر على كل ممكن والانشاء من جملتها وهم ينكرون نسبة البعث وانشار الموتى الى

الله القادر على كل شيء ويثبتون الالهية للاصنام نحتوها فلزمهم حصر الانشار فيهم
فلذلك اوردهم المفيد للحصر مبالغة في التجهيل والتوبيخ والتهكم بآلهتهم وهو توبيخ في
توبيخ لو كان فيهما آلهة الا الله صفة لآلهة بمعنى غير الله لتعذر الاستثناء فان آلهة جمع
منكور غير محصور لا يشمل الله تعالى حتى يستثنى منه ولدلالته على الفساد انما يلزم من وجود
الهة فيهما دونه والمراد لزوم الفساد الذي ذكره لزوما ومع على ما يستفق عليه على تقدير مطلق
التعدد في الاله وانما فرض الالهة غير الله تعالى على وفق معتقدهم لزيادة تجهيلهم في هذا
الامر الجليل الشان فكانه ضمن ابطاله بطلب التوحيد ابطال معتقدهم على اخص وجوه واشنعه
لفسدتا لبطلتا لما يكون بينهما من التمانع اذ لا مجال للتوافق في المراد والا يلزم ان يتطارد
عليه القدر فسبحان الله رب العرش المحيط بجميع الاجرام الذي هو محل التدابير ومنشاء
التقادير عما يصفون عما يصفونه به مما لا يليق بشانه لا يسأل عما يفعل لعلو سلطنته
وكمال عظمته وتفرده بالالوهية ولما كان الملوك والجبابرة عادتهم ان لا يسألوا عن
افعالهم وتدابيرهم في ملكهم تهيبا واجلالا مع جواز الخطاء عليهم فلان لا يسأل رب
الارباب ومالك الملوك خالق الكل اولى مع استحالة ذلك عليه وهم يسألون لانهم مملوكون
مستعبدون والضمير للآلهة او للعباد ام اتخذوا من دونه اي من دون الله آلهة كرره
استعظاما لكفرهم استفظاعا لامرهم وتبكيتا واظهارا لغاية جهلهم وضما لانكار ان يكون
لهم دليل من العقل الى انكار ان يكون لهم دليل من النقل ولهذا رتب على الاول دليل العقل
وعلى الثاني دليل النقل يعني اوجدوا آلهة ينشرون الموتى فاتخذوهم آلهة لما وجدوا فيهم
من خواص الالوهية ام وجدوا في الكتب الالهية الامر باشراكهم فامتثلوا الامر
قل هاتوا برهانكم من العقل والنقل فانه لا يصح القول بما لا دليل عليه كيف وقد تطابقت
الحجج على بطلانه عقلا ونقلا هذا ذكر اي هذا الوحي الوارد على الانبياء عليهم السلام كلهم عظة
من معي يعني امته عليه السلام وذكر من قبلي يعني امم الانبياء الماضين عم فانظروا هل تجدون
فيها الا الامر بالتوحيد والنهي عن الشرك وقرئ ذكر من معي وذكر من قبلي بالتنوين على ان
من منصوب المحل مفعول للذكر وهو الاصل والاضافة عارضة وقرئ من معي ومن قبلي على
من الجارة وادخالها على مع غريب والوجه انه ظرف نحو قبل وبعد وعند ولدن وما اشبه
ذلك فدخلت عليه من كما دخلت على اخواته بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون بل عندهم
ما هو اصل الشر والفساد واشد الغي والضلال وهو الجهل وعدم التمييز بين الحق والباطل
فلذلك كانت عادتهم الاعراض عن الحق من التوحيد واتباع الباطل وقرئ الحق بالرفع على انه
خبر مبتدا محذوف وهي جملة موكدة وسطت بين السبب والمسبب اي كون الجهل المحض
سببا للاعراض هو الحق وقدمت على المسبب لشدة الاهتمام والاعتناء بان سبب الاعراض

ليس الا الجبل ويجوز حمل المنصوب على هذا المعنى كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل و
لا يعلمون فصل فيشتمل المفعول جار مجرى اللازم بسلب تعلق العلم عنهم راسا وهذا
الوجه افصح واعرب وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا
فاعبدون تعميم بعد تخصيص لان ذكر من قبلي خبر المشار اليه بهذا فلا يتناول الا
ذكر الموجودين بين اظهرهم وهو الكتب الثلثة والاية مقررة لما سبقها من آي التوحيد
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله تع سبحانه تنزيه
له تع عن ذلك بل عباد مكرمون اضرب عنه ثم اثبت انهم عباد والعبودية ينافي لكنهم
مكرمون مقربون وفي ذلك اخطاؤا وزلت اقدامهم لا يسبقونه بالقول لا يقولون شيئا
حتى يقوله كما هو ديدن العبيد المؤدبين واصله لا يسبق قولهم قوله فنسب السبق اليهم و
اليه وجعل القول اداته ومحله تنبيها على استهجان السبق المعرض به للقائلين على الله تعالى ما لم
يقله وانيب اللام مناب الاضافة اختصارا وتجافيا عن تكرير الضمير وقرئ لا يسبقونه بالضم
من سابقته فسبقته اسبقه وهم بامره يعملون اي كما لا يسبقونه بالقول لا يسبقونه بالعمل
فلا يعملون الا ما امرهم به يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم كالعلة لما قبله والتمهيد لما بعده
اي انهم يعني الله تع يعلم ما قدموا وما اخروا من اعمالهم اي لا يخفى عليه خافية فلاحاطتهم
بذلك يضبطون انفسهم ويحفظون على ما لم يؤمروا به قولا وفعلا ولا يشفعون مهابة منه الا
لمن ارتضى ارتضاه واهله للشفاعة وهم من خشيته مشفقون اي انهم مع ذلك
كله قاصرون حق الهيبة والعظمة على حذر ورقبة والخشية خوف مع تعظيم ولذلك
خص بها العلماء والاشفاق الخوف مع الاعتناء فان عدي بمن فمعنى الخوف فيه
اظهر وان عدي بعلى فبالعكس ومن يقل منهم من الملائكة او من الخلائق اني اله من
دونه فذلك نجزيه جهنم بعد ان وصفهم بالكرامة والقرب والاوصاف الجميلة والافعال
المرضية هدد من اشرك منهم على سبيل الفرض والتقدير وانذره بالوعد الشديد مع
احاطة علمه بانه لا يكون تعظيما لشان المشركين وتهديدا لهم بتهديد مدعي الربوبية و
مبالغة في نفي الولد اذ لو امكن لكان ربا من جنسه كذلك نجزي الظالمين من ظلم بالاشراك
وادعاء الربوبية اولم ير الذين كفروا ولم يعلموا تقرير والواو للعطف على مقدر اي
الا ينكروا قدرتنا على البعث ولم يعلموا والكفرة وان لم يعلموا لكنهم لمتمكنون من العلم به
بالاستفسار من الاحبار ومطالعة الكتب فكانهم علموا به وقيل بالنظر فان الفتق به
عارض مفتقر الى مؤثر موجب بالذات ابتداء او بوسط وفيه ان اصالة الرتق وعروض
الفتق مما لا يستقل في معرفته العقل ان السموات والارض كانتا رتقا انما قال كانتا دون
كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارضين رتقا ذات رتق وهو الالتحام ف

الانضمام او مرتوقتين اي كانتا شيئا واحدا او حقيقة متحدة وقرئ رتقا بفتح التاء
على تقدير شيئا رتقا فعل بمعنى مفعول كالنقض والرفض ففتقناهما بالتنويع والتمييز
بالصور المختلفة وجعلنا من الماء كل شيء حي وخلقنا من الماء كل حيوان لانه اعظم مواده
او لفرط احتياجه اليه وامتناع وجوده وبقائه بدونه او صيرنا كل شيء حي بسبب من
الماء وقرئ حيا على انه صفة كل او مفعول ثان والظرف لغو افلا يؤمنون مع ظهور
الايات وجعلنا في الارض رواسي ثابتات من رسى اذا ثبت ان تميد بهم مفعول له
اي كراهة ان تميد بهم وقيل لئلا تميد بهم فحذف لا لامن الالتباس وجعلنا فيها في
الارض او في الرواسي فجاجا جمع فج وهو الطريق الواسع وانما قدم على سبلا وهو
صفة له ليصير حالا مقدرة فيدل على انه حين خلقها مستعدة لذلك وليبدل منها سبلا فيدل
على انه خلقها ووسعها للسابل مع ما يكون فيه من التوكيد واخر في قوله سبلا فجاجا لبيان
والتوضيح بعد الابهام لعلهم يهتدون اي ليهتدوا بها الى مقاصدهم وجعلنا السماء
سقفا محفوظا بقدرتنا من ان يقع على الارض بغير عمد وهم عن اياتها احوالها الدالة
على وجود الصانع وكمال حكمته وقدرته وهو ما يحس منها من الكواكب وحركاتها واوضاعها
وما يعلم من علمي الهيئة والطبيعة معرضون اي هم قوم عادتهم الاعراض وهو الذي
خلق الليل والنهار والشمس والقمر بيان لبعض تلك الايات والمراد بالشمس والقمر جنس
الطوالع اكتفاء بايرادهما كل في فلك التنوين في كل عوض من المضاف اليه اي كلهم يسبحون
حال من الشمس والقمر كقوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة او استيناف وضمير كل والمراد
بالفلك الجنس كقولهم كساهم الامير حلة قالوا ان تحت السماء فلكا هو موج مكفوف فيه
الكواكب كلها ولذلك قال يسبحون كما يسبح الانسان في الماء وقيل شبهت حركتها في الاسراع
بسباحة السابح ويرده ان حق التشبيه ان يكون المشبه به اقوى من المشبه في وجه الشبه
وعكسه على ما ذكره مردود في الكلام البليغ فكيف في المعجز وانما جمع جمع العقلاء لانهم
وصفوا بوصفهم وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد كانوا يقولون نتربص به ريب المنون
فنزلت والفاء في قوله افان مت فهم الخالدون لتعليق الشرطية بما قبلها من التمهيد و
الهمزة لانكاره بعد ما تقرر ذلك كل نفس ذائقة الموت اي كل نفس حيوان ذائقة مرارة
مفارقتها جسدها وهو تقرير لما مهده وبرهان على ما انكره ونبلوكم ونعاملكم معاملة
المختبر بالشر والخير بما يجب فيه الشكر من النعم وانما قدم الشر لانه انسب بالابتلاء فتنة
ابتلاء مصدر من غير لفظه والينا ترجعون فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر و
الشكر والجزع والكفر وفيه ايماء الى ان المقصود من هذه الحياة الابتلاء والتعريض
للثواب والعقاب تقريرا لما سبق واذا راك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا اي

ما يتخذونك الا هزوا ويقولون اهذا الذي يذكر آلهتكم اي بسوء وانما اطلقه لدلالة
الاتخاذ والتعجب المفهوم من قولهم اهذا وهم خاصة بذكر الرحمن اي بذكره الرحمن
بالخير وما يجب ان يذكر به كالتوحيد والثناء عليه بما هو اهله من التسبيح والتمجيد هم كافرون
فهم احق ان يتخذوا هزوا لا انك محق وهم مبطلون فتقديم ذكر الرحمن على الكفر دلالة
على تخصيصهم الكفر بذكر الرحمن دون آلهتهم فانهم عاكفون على ثنائهم وتعظيمهم
والجملة في محل النصب على الحال اي يتخذونك هزوا والحال انهم على شيء هو اصل الهزء و
السخرية خلق الانسان من عجل جعل ما طبع عليه بمنزلة ما طبع هو منه مبالغة في لزومه له
وقلة ثباته وهو تمهيد لنهيهم عن الاستعجال ومن عجلته استعجال الوعد سأريكم
آياتي اي نقماتي في الدنيا كوقعة بدر وفي الآخرة عذاب النار فلا تستعجلون بالاتيان بها
والمفهوم مما تقدم ان الانسان اذا خلق وطبعه يكون على العجلة وهذا لا ينافي النهي عنها بل
يستوجب ويقولون متى هذا الوعد وقت العذاب او القيمة ان كنتم صادقين يعنون النبي
عليه السلام واصحابه رضه لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ذكر الوجوه لانها
اشرف ما في ظاهر الانسان ومحل حواسه وهو احرص على الدفاع عنه من غيره من
اعضائه ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون جواب لو محذوف وحين مفعول يعلم اي لو يعلمو
الوقت الذي يستعجلون عنه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت صعب يحيط بهم فيه من
قدام وخلف فلا يقدرون على دفعها من انفسهم ولا يجدون ناصرا ينصرهم لما كانوا بتلك
الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن جهلهم به هو الذي هونه عليهم او
لما استعجلوا مستهزئين او منصوب بمضمر ويعلم مطلق بلا مفعول اجراء مجرى اللازم
اي لو كان لهم علم لما كانوا مستعجلين حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم
يعلمون انهم كانوا على الباطل ح ينتفي عنهم هذا الجهل العظيم وانما وضع الظاهر فيه موضع
المضمر للدلالة على ما اوجب لهم ذلك بل تأتيهم بغتة فجاءة مصدر او حال اضراب عن
كفها النار عن وجوههم وظهورهم اي لا يكفونها بل تفجأهم فتبهتهم فتغلبهم تقول للمغلوب
في المحاجة مبهوت وقرئ الفعلان على التذكير والضمير للوعد او للحين وعلى التأنيث
يجوز ان يرجع الى العدة والموعدة او الحين على تأويل الساعة او النار او البغتة فلا
يستطيعون ردها فلا يقدرون على دفعها ولا هم ينظرون يمهلون وفيه تذكير لهم
بامهالهم في الدنيا ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله عليه السلام فحاق
فحل ونزل بالذين سخروا منهم جزاء ما كانوا به يستهزؤن وعد له عليه السلام بانه يحيق
بهم ما يفعلون به كما حاق بالمستهزئين بالانبياء عليهم السلام ما فعلوا قل من يكلؤكم
بالليل والنهار امر رسوله عليه السلام بسؤال المستهزئين عمن يحفظهم دائما وانما

قدم الليل لان الحاجة الى الحفظ فيه اكثر واظهر من الرحمن من بأسه ان اراد بكم وفي
ذكر اسم الرحمن تنبيه على ان لا كالي غير رحمته العامة وان اندفاع البأس عن الناس لا
يكون الا بها وعندي ان التنبيه فيه على ان رحمته العامة لا تمنعه عن المعصية فلا تغتروا
بها ولا يخفى ان هذا هو الانسب للمقام بل هم عن ذكر ربهم معرضون اضراب عن مقدر
اي انهم غير معرضين عن ربهم وليسوا بغافلين عنه حتى لا تجدي السؤال عنه كيف وهم
يتخذون الالهة ويعبدونها في كل وقت للشفاعة عنه تعالى بل معرضون عن ذكره فالتذ
يناسب حالهم وهذا المعنى مع ظهوره من مساق الكلام ووضوح انطباقه لمقتضى
المقام قد خفي على الناظرين فيه حتى قالوا لا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا بأسه حتى اذا كلؤا
منه عرفوا من الكالي وصلحوا للسؤال عنه ولم يتنبهوا انه ح لا يبقى وجه للامر بالسؤال و
ايضاح يجمع عبادة الذكر بل يخل بالمقصود لابهامها الشعور في الجملة ام لهم آلهة تمنعهم
تحفظهم ما يمنع العذاب من دوننا اضراب عما تقدم منكر لكلاءة آلهتهم ومنعهم من
العذاب متجاوزا منه تعالى او من عذاب يكون من عنده بما في ام من معنى بل والهمزة وهذا
الاضراب ليس للابطال ولا للترقي بل للانتقال من كلام الى آخر قيل الاضراب عن الامر بالسؤال
على الترتيب فانه عن المعرض الغافل عن الشيء بعيد وعن المعتقد لنقيضه ابعد وقد عرفت
فساد مبناه ثم انه لا ينتظم مع ذلك لاعتبار ما في الاضراب الثاني من زيادة الانكار ف
بعد التنبيه والتي قوله المعتقد لنقيضه قرينة ما فيها مرتبة ما نبهت عليه آنفا لا يستطيعون نصر
انفسهم ولا هم منا يصحبون يجارون يقال صحبك الله اي حفظك واجارك استئناف
بابطال ما ذكر فان من لا يقدر على نصر نفسه ولا يحفظه الله تعالى كيف ينصر غيره ويحفظه
بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر ثم اضرب عن المتوهم المتبادر من ظاهر
حالهم بعد ما انكره ببيان ان ما هم عليه من الحفظ والكلاءة انما هو منا لا من مانع يمنعهم
من اهلاكنا وانما حفظناهم للاستدراج وهو تمتيعه تعالى اياهم وآباءهم بما قدر لهم
من الاعمار حتى حسبوا بسبب طول مدة الامهال انهم لا يزالون كذلك وانه بسبب ما هم
عليه ثم عقبه بما يدل على انه امل كاذب وغرور باطل وهو قوله تعالى بحرية على ايدي
المسلمين افلا يرون انا نأتي الارض ارض الكفر ننقصها من اطرافها بتسليط المسلمين عليها
وهو تصوير لما كان الله يجريه على ايدي المسلمين وفي اضافة اتيانهم بامر الى نفسه
تعظيم لشأنهم افهم الغالبون انكار لغلبتهم على الرسول عليه السلام والمؤمنين بعد
هذه المغلوبية المتجددة دائما وفي التعريف تعريض بان اعداءهم هم الموقوفون
متعينون بالغلبة دونهم قل انما انذركم بالوحي بما اوحي الي من الله تعالى لا من قبل نفسي
ولا يسمع الصم الدعاء وقرئ ولا يسمع من الاسماع على خطاب الرسول ونصب الصم

وبالياء على اضماره ولا يسمع مبنيا للمفعول من اسمع وفي قراءة يسمع المبني للفاعل
على التفات وتنويه بذكر الرسول عليه السلام وتعظيم له وانما سماهم الصم ووضعه
موضع ضميرهم للدلالة على فرط تصامهم وعدم انتفاعهم بالاسماع وان جعلنا
اللام للجنس كان ابلغ لما فيه من معنى البرهان بالتعميم ونوع من الكناية وهو ابلغ
من التصريح اذا ما ينذرون منصوب بيسمع لا بالدعاء لانه مصدر فلا يعمل
الا منونا والتقييد به لكون الكلام في الانذار وللمبالغة فانهم لا يتأثرون وقت
الانذار فضلا عن ان يسمعوها ثم يذهلوا عنه ولكونه كالقرينة في الكناية كانه مثل
بقوله انما انذركم بالوحي ثم قال ولا يؤثر فيكم فانتم صم ولا يسمع هذا الجنس الدعاء
ولئن مستهم نفحة اصل النفح هبوب رائحة الشيء ويستعمل في كل قلة يقال نفحته
الدابة اذا رمحته رمحا يسيرا ونفحه بعطية اذا رضخه ففيه مبالغة من جهة مادته
الدالة على معنى القلة ومن جهة صيغته اي بناء المرة فانها لاقل ما ينطلق عليه
الاسم ومن جهة تنكيره الدال على التقليل واما المس فهو اقوى من الاصابة لما في مفهومه
من قيد زائد عليها وهو ان يتأثر منه حاسة اللمس فاختياره هنا على الاصابة للدلالة
على ان عذاب نفح وان كانت في غاية ما يتأثر منه من يصيبه من عذاب ربك ليقولن
يا ويلنا انا كنا ظالمين اي ولئن مستهم ادنى شيء من العذاب الذين ينذرون به
لاذعنوا واعترفوا بظلمهم في تصامهم واعراضهم داعين على انفسهم بالويل و
نضع الموازين القسط صفة للموازين ولم يجمع لانه مصدر وصفت به للمبالغة
كانها في نفسها عدل وجاز ان يكون على حذف المضاف اي ذوات القسط وقد سبق
ما يتعلق بوضع الموازين في سورة الاعراف وما يدل على انه حقيقة لا تمثيل واللام في
ليوم القيمة للوقت اي في يوم القيمة وقيل معناه لجزاء يوم القيمة او لاهله اي لاجلهم
على الحذف فلا تظلم نفس شيئا بنقص من ثوابه الموعود او زيادة في عذابه المعهود و
يجوز ان يكون معناه شيئا من الظلم وان كان اي ما يفعل به من النقص والزيادة
او الظلم مثقال حبة من خردل وقرئ مثقال بالرفع على كان التامة وتانيث ضمير
المثقال في اتينا بها لاضافته الى الحبة كقولهم ذهبت بعض اصابعه اي احضرناها و
قرئ آتينا بمعنى جازينا بها من الايتاء فانه بمعنى الاعطاء او المواتاة فانهم اتوه بالاعمال
واتاهم بالجزاء وكفى بنا حاسبين اذ لا مزيد على علمنا وعدلنا ولقد آتينا موسى وهارون
الفرقان وضياء وذكرا هذه الثلثة هي التورية فهي فرقان بين الحق والباطل وضياء
يستضاء به ويتوصل به الى سبيل النجاة في ظلمات الحيرة والجهالة وذكرى اي شرف
او وعظ وتنبيه او ذكر ما يحتاج اليه الناس في مصالح دينهم ودخلت الواو على

الصفات كما في قوله وسيدا وحصورا ونبيا وقرئ ضياء بغير الواو وعلى انه حال من
الفرقان ولما انتفع بذلك المتقون خصهم الله بقوله للمتقين ومحل الذين جر على الوصفية
او نصب على المدح او رفع عليه يخشون ربهم بالغيب حال من الفاعل والمفعول وهم من
الساعة القيمة واهوالها مشفقون الاشفاق خوف مع اعتناء وفي تصدير الضمير و
بناء الحكم عليه مبالغة وتعريض وهذا اي القرآن ذكر مبارك كثير خيره انزلناه على محمد
عليه السلام افانتم له منكرون استفهام توبيخ بعد وضوح اعجازه ووفور بركته ولقد
آتينا ابرهيم رشده اي الاهتداء لوجوه الصلاح واضافته ليدل على انه رشد مثله
وان له شانا وقرئ رشده وهو لغة من قبل موسى وهارون عليهما السلام او من
قبل محمد عليه السلام وكنا به عالمين علمنا انه اهل لما آتيناه او جامع لمحاسن الاوصاف
ومكارم الاخلاق اذ قال لابيه وقومه متعلق بآتينا او برشده او بمحذوف اي اذكر
من اوقات رشده وقت قوله ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون تجاهل منه عليه السلام
وتغاب لتحقير شانها وتوبيخهم على اجلالها فان التمثال جماد لا يضر ولا ينفع اصله
الصورة المصنوعة مشبهة بمخلوق من مخلوقات الله تعالى ومنه مثلت الشيء بالشيء
اذا شبهته به واللام للتعليل اي لتعظيمها وعاكفون مجرى مجرى اللازم غير منوي
المفعول اي فاعلون العكوف لاجلها وهو اللزوم للامر الا مورا ولتضمين العكوف
معنى العبادة لزيادة التوبيخ ويعضده ما في جوابهم من قولهم لها عابدين قالوا وجدنا
اباءنا لها عابدين جواب عن التوبيخ بانه طريقة اسلافنا ما احدثناها وانما تمسكنا
جوابهم دعوى سداد طريقتهم بالاسناد الى الاباء والاجداد رد عليهم حيث قال
لقد كنتم انتم تاكيد للمتصل في كنتم ليصح العطف عليه واباؤكم في ضلال مبين منخرطون
في ضلال ظاهر والتاكيد بانتم ووصف الضلال بالمبين للافادة وضوح استواء
المقلدين في ضلال لا يخفى على من له ادنى عقل لعدم تمسك الفريقين بدليل والتقليد
في الاصول غير جائز اصلا وفي الفروع انما يجوز لمن علم في الجملة كون المقلد على
الحق قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين لاستبعادهم تضليله اباهم
واباءهم حسبوا انه انما قال ما قال على وجه المزاح والمداعبة فقالوا اجئتنا بقولك
ام انت لاعب وانما غيروا النظم بادخال الهمزة على الجملة الفعلية وفرشت الجملة
الاسمية لتوطينهم انفسهم على انه من اللاعبين وسوغ ذلك لاعتقاد عنده واما
القسم الاول فلم يثبت عندهم فاظهروا انه ان ثبت فمثل ابتهج في ظلمة قال بل ربكم
رب السموات والارض الذي فطرهن اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان على
ما ادعاه والضمير في فطرهن للسموات والارض اي انشاهن من غير مثال

لا تماثيل وهو ادخل في تضليلهم والزام الحجة عليهم فكأنه قيل انه تعالى خالق
وبين مخلوقه فانى يعبد المخلوق ويجحد الخالق وانا على ذلكم المذكور من التوحيد
من الشاهدين اى من المحققين له لان الشاهد هو الذى يحقق الشيء ويحققه كأنه
قال وانا احقق ذلك واثبته بالبرهان لست مثلكم فاقول ما لا اقدر على
اثباته بالحجة واتمسك بالتقليد كما تتمسكون به وتالله وقرئ بالباء على الاصل والتاء
بدل من الواو المبدلة منها والتاء فيه تفيد معنى التعجب في المقسم عليه كأنه تعجب
من تسهل ذلك الامر الصعب على يده ولهذا اعترضه بالكيد المشتمل على نوع من الحيل
لاكيدن اصنامكم لاكيد الاحتيال في وصول الضرر الى المكيد بعد ان تولوا مدبرين
بعد ذهابكم عنها وعن قتادة انه قال ذلك سرا وقيل سمعه رجل واحد فلما ذهبوا
بقى ابرهيم عليه السلام فكسر الاصنام فالفاء في قوله فجعلهم جذاذا فصيحة والجذاذ
فعال بمعنى مفعول كالحطام من الجذ وهو القطع جمع جذاذة كزجاجة وزجاج
وقرئ بالكسر وهو لغة فيه او جمع جذيذ كخفاف وخفيف وقرئ بالفتح وجذذا
جمع جذيذ وجذذا جمع جذة الا كبيرا لهم للاصنام او للكفار روى انه عليه السلام
كسرها كلها بفأس الا كبيرها فعلق الفأس في عنقه لعلهم اليه الى الكبير يرجعون
فيسألونه عن كاسرها فيتبين لهم عجزه وقيل الى ابرهيم عليه السلام فيحاجهم بقوله
بل فعله كبيرهم فيحجهم وقيل الى الله اى يرجعون الى توحيده عند تحققهم عجز آلهتهم
ويرد عليه انه ح يكون قوله الا كبيرا لهم اجنبيا في البين قالوا اى حين راوا ذلك بعد
ما رجعوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين لشديد الظلم لجراءته على الآلهة الحقيقة
بالاعظام قالوا سمعنا فتى يذكرهم بسوء صفة مصححة لتعلق السمع به في نسبة الذكر
اليه وقيل مفعول ثان لسمع وليس بشيء يقال له ابرهيم صفة اخرى له وابرهيم فاعل
لان المراد به الاسم لا المسمى قالوا فأتوا به على اعين الناس في محل النصب على الحال اى بمرأى
منهم ومنظر بمعنى معاينا مشاهدا متمكنا صورته في اعينهم تمكن الراكب على المركوب لعلهم
يشهدون عليه بما فعله او بما سمع منه او يحضرون عقوبتنا له قالوا بعدما احضروه ءانت
فعلت هذا بآلهتنا يا ابرهيم قال ابرهيم عم بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون
اسند الفعل الى السبب مجازا اذ الحامل على كسرهم هو لانه لما غاظ زيادة تعظيمهم له تسبب
لمباشرة اياه والاحسن الافصح انه من معاريض الكلام وذلك انه لم يرد ان ينسب الفعل الى
الصنم بل اراد تقريره لنفسه على اسلوب تعريضي مع الاستهزاء بهم بالغاء ضمنه من الزامهم
الحجة وتبكيتهم لا نفيه عن نفسه واثباته للصنم لان اثباته للعاجز والامر دائر بينهما استهزاء
به واثبات للقادر وما روى ان النبي عليه السلام قال كذب ابرهيم ثلث كذبات تسمية

للمعاريض بالكذب لما شابهت صورتها صورته ويجوز ان يكون حكاية لما يؤدى اليه مذهبهم
من جوازه كأنه قال لهم ما تنكرون ان يفعله هذا واشد منه من يدعى لها وقرئ فعله كبيرهم بمعنى
فلعله اى فلعل الفاعل كبيرهم فرجعوا الى انفسهم وراجعوا الى عقولهم فقالوا فقال بعضهم
لبعض انكم انتم الظالمون بعبادة من لا ينطق ولا يمكن دفع الضرر عن نفسه لا من ظلمتموه
بقولكم انه لمن الظالمين ثم نكسوا النكس جعل الشيء اسفله اعلاه ومنه نكس المريض اذا رجع
اول حاله وهو عبارة عن اطراقهم رؤسهم خجلا والمبالغة في هذا المعنى ضمنه معنى السقوط
اى نكسوا ساقطين على رؤسهم وقوله لقد علمت الخ رمى عن حيرة ولهذا اتوا بما هو حجة عليهم
وقيل انقلبوا الى المجادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة اسفل
الشيء اعلاه ويرد عليه انه ح يضيع قوله على رؤسهم وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا
على البناء للفاعل اى نكسوا انفسهم على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فكيف تأمرنا
بسؤالها وهو على ارادة القول كان امره عليه السلام بالسؤال للتوبيخ والتبكيت وحملوه
على الحقيقة تجاهلا ثم نزلوا المخاطب منزلة الجاهل بمضمون الخبر فلذلك اكدوه بقد ولام القسم
فكانهم قابلوا توبيخه بنوع من التشنيع قال افتعبدون انكار لعبادتهم لها بعد اعترافهم
بانها جمادات لا تنفع ولا تضر من دون الله ما لا ينفعكم ان عبدتموه شيئا في موضع المصدر
اى نفعا ما فلا يضركم ان لم تعبدوه اف صوت اذا صوت به علم ان صاحبه متضجر ضجر
مما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم واصرارهم على الباطل بعد وضوح الحق
فاف بهم واللام في لكم ولما تعبدون من دون الله لبيان المتأفف به اى لكم ولآلهتكم هذا
التأفف وقيل معناه قبحا ونتنا ثم وبخهم على تمادى جهلهم بقوله افلا تعقلون اى بعد
وضوح الحق وزهوق الباطل لا تدركون قبح صنعكم قالوا اخذا في المضادة عند العجز بحجة
المحاجة حرقوه بالنار فانها اهول ما يعاقب به وافظع وانصروا آلهتكم بالانتقام منه
ان كنتم فاعلين نصرا وفيه تنزيل التسابق لانواع العذاب منزلة العدم في هذا الباب ولا يخفى
لطف هذا التعبير البليغ على ذوى الالباب قلنا يا نار كونى بردا شبهت النار لمطاوعتها ارادة
الله وامره بما مطيع لا يتوقف في الامتثال عند امر الآمر المطاوع وبولغ في ذلك باقامة كونى
ذات برد مقام ابردى ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وسلاما اى ابردى بردا
غير ضار وقيل نصب بفعله اى وسلمنا سلاما عليه روى انهم وضعوه في المنجنيق مغلولا فرموه
في نار عظيمة ولم يحترق منه الا وثاقه وعلى هذا يكون النار على حالها ولا يناسبه المبالغات المذكورة
في امر بردها فانها ظاهرة في تحولها من الحرارة الى البرودة ولا اشعار في قوله على ابرهيم
بعدم التحول لانه متعلق بقوله سلاما لا بقوله بردا فالمفهوم منه اختصاص عدم اضراره
البرد به عليه السلام وارادوا به كيدا احتيالا في اضراره فجعلناهم الاخسرين بتخييب سعيهم

برهانا قاطعا على انه على الحق وانهم على الباطل وموجبا لارتفاع درجته واستحقاقهم
اشد العذاب ونجيناه ولوطا الى الارض باركنا فيها للعالمين اى من العراق الى الشام و
بركاته الدينية العامة بعث اكثر الانبياء عليهم السلام وانتشار شرايعهم التى هى مبادى الخيرات
فى جميع اهل العالم وبركاته الدنيوية كثرة النعم والخصب بكثرة الروض والماء والشجر
والرخص فيه فهى الارض التى بورك فيه مطلقا وباركنا فيها ابلغ من باركناها لدلالته على
الظرفية والاستقرار وكانت تلك الارض محيطة بانواع تلك البركات احاطة الظرف بالمظروف
وهى مستقرة فيها لا تزول عنها وروى ان ابرهيم عليه السلام نزل بفلسطين ولوط عليه السلام
بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة النافلة ولد الولد
وهى فى الاصل الزيادة والعطية قيل نافلة زيادة على ما سال وقيل حال مختصة ولا باس
به للقرينة وكلا اى الاربعة المذكورين جعلنا صالحين لان الانبياء هم المصلحون وشرط الاصلاح
هو الصلاح وجعلناهم ائمة يقتدون بهم يهدون الناس بامرنا لهم بذلك واوحينا اليهم
فعل الخيرات للاقتداء اولانهم القيام بالهداية ضمن تكميلهم وامرهم فعلها ليتم كمالهم بانضمام
العمل الى العلم واصله ان يفعل الخيرات ثم فعل الخيرات بالاضافة وكذلك قوله واقام الصلوة
وايتاء الزكوة وهو عطف الخاص على العام للتفضيل وحذف تاء الاقامة المعوضة من احدى
الالفين لقيام المضاف اليه مقامه وكانوا لنا عابدين مختصين بنا العبادة ولوطا اتيناه
حكما حكمة وهو فعل ما ينبغى فعله وجوبا او ندبا وقيل نبوة وفصلا بين الخصوم وعلما بما ينبغى
علمه للانبياء عليهم السلام ونجيناه من القرية هى سدوم التى كانت تعمل الخبائث من اللواطة
وساير المنكرات التى باتونها فى ناديهم وصفها بصفة اهلها واسندها اليها على حذف المضاف
واقامتها مقامه على ما دل عليه التعليل بقوله انهم كانوا قوم سوء فاسقين ونكتة ذلك الاشعار
بعلاقة السببية فان للتربة تاثيرا فى تغيير طبيعة اهلها من السداد الى الفساد ولذلك قال
وانجيناه من القرية اى خلصناه من تلك التربة الخبيثة وادخلناه فى رحمتنا اى فى اهل رحمتنا
او فى الجنة انه من الصالحين الذين سبقت لهم منا الحسنى وهو كالتعليل لما تقدم ونوحا
اذ نادى اى دعا به على قومه بالهلاك من قبل اى من قبل المذكورين فاستجبنا له دعاءه فنجيناه
واهله من الكرب العظيم هو الطوفان او اذى قومه والكرب الغم المفرط ونصرناه فانتصر
من القوم الذين كذبوا باياتنا فعديته بمن لدلوله اشارة لا بما فى مفهومه من معنى المنع
ولانا ولجعلناه منتصرا انهم كانوا قوم سوء تعليل لما تقدم وتمهيد لما تاخر فاغرقناهم
لذلك اجمعين عذاب الاستيصال لشدة الغضب لكمال الاستحقاق فهم له وداود وسليمان
نصب باذكروا اذ بدل منهما يحكمان فى الحرث وهو محل الزرع اذ نفشت فيه غنم القوم
قال ابن السكيت والنفش مصدر نفشت القطن وغيره والنفش ان تنتشر الابل بالليل

فترعى وكنا لحكمهم جميع الضمير لانه اراد هما والمتحاكمين اليهما وقرى لحكمهما شاهدين عالمين ففهمناها
سليمان الضمير للحكومة والفتوى روى ان داود عليه السلام حكم الغنم لصاحب الحرث فقال سليمان
الضمير للحكومة عليه السلام وهو ابن احدى عشر سنة غير هذا ارفق بالفريقين فعزم عليه ليحكمن
فقال ارى ان يدفع الغنم الى اهل الحرث ينتفعون بالبانها واولادها واصوافها والحرث الى ارباب
الغنم يقومون عليه حتى يعود كهيئته يوم افسد ثم يترادان فقال القضاء ما قضيت وامضى
الحكم بذلك وكان ذلك باجتهاد منهما وهذا كان فى شريعتهم وعدم انتقاض الحكم الاجتهادى باجتهاد
آخر فى شريعتنا فلا دلالة فيه على انهما حكما بالوحى او كان حكم سليمان عليه السلام وحده بالوحى و
لما كان المتبادر الى الوهم من تخصيص سليمان عليه السلام بتفهيم الحكومة ان لا يكون ما قضاه
داود حكما شرعيا دفعه بقوله وكلا اتيناه حكما وعلما فالقول السابق دل على ان الصواب
كان حكم سليمان عليه السلام وهذا القول على انهما جميعا على الصواب ففيه دلالة على ان كل
مجتهد مصيب وسخرنا مع داود الجبال يسبحن حال بمعنى مسبحات او استيناف على تقدير سؤال
سائل قال كيف سخرهن فقال يسبحن اى يقدسن الله تعالى معه متعلقة به او بسخرنا وتتمة الكلام
بالتى فى سورة سبا باذن الله تعالى وانما قدم الجبال على الطير وجعلت اصلا فى التسبيح لان
تسخيرها وتسبيحها ادل على القدرة وادخل فى الاعجاز واخرق للعادة لانها جماد والطير
عطف على الجبال او مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتداء وكنا فاعلين قادرين على امثاله
ليس ببدع منا وانما كانت عجبا عندكم او فاعلين للانبياء امثال ذلك وعلمناه صنعة
لبوس لكم اللبوس اللباس والمراد الدرع قال قتادة كانت صفائح فاول من خلقها وسردها
داود عليه السلام فجمعت الخفة والتحصين لكم متعلق بعلمناه او صفة للبوس لتحصنكم من باسكم
بدل منه بدل الاشتمال باعادة الجار والضمير فى لتحصنكم لداود عليه السلام او للبوس و
قرئ بالتاء للصنعة او للبوس على تاويل الدرع وبالنون لله تعالى فهل انتم شاكرون امره فهل
تشكرون لاقتضاء الاستفهام والفعل فعدل عن الجملة الفعلية الى الاسمية ولم يقل فهل انتم
تشكرون لئلا يتوهم رايحة التجدد ويفهم منه طلب دوام الشكر وهو امر اخرج فى
صورة الاستفهام وافرغ فى هذا القالب للمبالغة فى طلب طلب دوام الشكر مع التقريع
ولسليمان الريح وسخرنا له وانما جئ باللام فيه وبمع فى داود عليه السلام على تعلقه بسخرنا
لان نفع تسخير الريح وهى جريانها بامره مختص به بخلاف تسبيح الجبال على اشتراكهما فى خرق
العادة عاصفة وصفت الريح هنا بالعصف وهو شدة الهبوب وفى سورة ص بالرخاوة
لكونها فى نفسها رخية طيبة كالنسيم وفى فعلها بكرسيه عليه السلام وابعادها به فى مدة
يسيرة عاصفة وقيل كانت عاصفة تارة ورخاء اخرى على حسب ارادته تجرى بامره ثانية
حال ثانية او بدل من الاولى او حال من ضميرها الى الارض التى باركنا فيها اى حاملة لكرسيه

اليها اي الى الشام وكان منزله بها وتحمله الريح من نواحي الارض اليها وكنا بكل شيء
عالمين فنجريه على ما تقتضيه الحكمة ومن الشياطين من يغوصون له في البحار ويستخرجون
نفايسه ومن منصوب المحل عطف على الريح او مرفوع بالابتداء ومن الشياطين خبره
قدم عليه فساغ الابتداء به وهي نكرة على انها موصوفة ويعملون عملا دون ذلك اي اعمال
أخر على ما فصل في سورة ص وكنا لهم حافظين ان يزيغوا عن امره او يميلوا الى الفساد
الذي هو مقتضى جبلتهم وايوب اذ نادى ربه نصب باضمار اذكر واذ بدل منه اني
مسني اي باني وقرئ بالكسر على اضمار القول او تضمين النداء معناه الضر بالفتح شايع
في كل ضرر وبالضم مختص بما في النفس من مرض وهزال وانت ارحم الراحمين وصف ربه
بغاية الرحمة بعدما وصف نفسه بما يوجبها واكتفى بذلك عن عرض المطلوب رعاية لحسن
السؤال ولطفه تحريا للادب وكان روميا من ولد عيص بن اسحق عليه السلام استنبأه
الله تعالى وكثر اهله وماله فابتلاه الله تع بهلاك اولاده وذهاب امواله والمرض في بدنه
ثمان عشرة سنة وقالت له امرأته يوما لو دعوت الله تع فقال لها كم كانت مدة الرخاء فقالت
ثمانين سنة فقال انا استحيي من الله تعالى ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي مدة
رخائي فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر عظيم بالشفاء من مرضه واتيناه اهله و
مثلهم معهم بما كشف الله تع عنه احيى ولده باعيانهم ورزقه مثلهم معهم رحمة على ايوب
من عندنا وذكرى للعابدين وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما
اثيب في الدنيا والاخرة او لرحمتنا للعابدين وانا نذكرهم بالاحسان ولا ننساهم واذا
اوقعنا الرحمة والذكر على العابدين ولم تخصص الرحمة بايوب دخل هو فيهم دخولا
اوليا وافاد ان الرحمة والذكر بالاحسان وكان من باب اقامة المظهر مقام المضمر
فكان آكد وابلغ لاثبات الرحمة له بالبرهان واسمعيل وادريس وذا الكفل هو الياس
عليه السلام وقيل يوشع وقيل زكريا سمي بذلك لانه كان ذا الحظ من الله تعالى او تكفل امته
وقيل كان له ضعف عمل انبياء زمانه وضعف ثوابهم والكفل يجيء بمعنى النصيب والكفالة و
الضعف كل اي كل هؤلاء من الصابرين على مشاق التكاليف وشدائد النوائب وادخلناهم
في رحمتنا قد سبق تفسيره في قصة لوط من هذه السورة وتفسير انهم من الصالحين و
ذا النون وصاحب الحوت يونس اذ ذهب مغاضبا لقومه لكثرة ما قاساهم في دعوتهم
وشدة سآمته لطول ما ذكرهم فلم يذكروا وهاجر عنهم واغضبهم بمهاجرته لخوفهم
لحوق العذاب بهم عندها وكان عليه ان ينتظر الاذن فلم يصبر فظن ان المهاجرة
اولى لكونه للغضب لله ودينه والبغض للكفر واهله فابتلي ببطن الحوت وهو بناء
المفاعلة للمبالغة لان المغالب يتقدو سعيه في الفعل او بمعنى مغضبا وقد قرئ به فظن

ان لن نقدر عليه من القدر وهو التضييق لا من القدرة ويعضده انه قرئ مثقلا او
ان يكون نقدر مخففا من التقدير بمعنى ان لن نعمل قدرتنا فيه فنادى في الظلمات اي
في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت وقيل ظلمات بطن الحوت والبحر والليل ان
لا اله الا انت بانه لا اله الا انت او بمعنى اي سبحانك ان يعجزك شيء اني كنت من الظالمين
لنفسي بالمبادرة الى المهاجرة فاستجبنا له ونجيناه من الغم غم الالتقام وكذلك ننجي المؤمنين
من غموم دعوا الله فيها بالاخلاص وقرئ ننجي مثقلا وفي الامام نجي فلذلك اخفى الجماعة النون
الثانية فانها تخفى مع حروف الفم ومن شدد الجيم فوجه صحته مشكل لا يكاد يتمشى
وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وحيدا اي ارزقني ولدا يرثني وانت خير
الوارثين استسلام وتفويض بعد السؤال لانه اقتراح وجراءة على الله تعالى اي الامر اليك
فان لم ترزقني فلا باس فانت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له
زوجه اي حسنا خلقها وكانت سيئة الخلق وقيل جعلناها صالحة للاولاد بعد عقرها و
فيه ان حق النظم والترتيب ح ان يذكر اصلحنا قبل وهبنا انهم اي الانبياء المذكورين كانوا
يسارعون في الخيرات المسارعة المبادرة وتعديتها بالى وانما عدل عنها الى في للدلالة على انهم
لا يفترون بتحصيل بعض الخيرات بل يظهرون الجد والرغبة الى تحصيل بعض آخر منها وهذه
الدلالة تحصل الخيرات ما فيه المسارعة لا ما اليه ويدعوننا رغبا ورهبا اي طمعا وخوفا
كقوله تعالى يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه وهما مصدران في موضع الحال او المفعول له اي
للرغبة فينا والرهبة منا وهو باشارته الى انهم يعلمون ان النفع والضر من الله تع تمهيد لما
دل عليه قوله وكانوا لنا خاشعين من ثباتهم واستمرارهم على تخصيص الخشوع له تع فقد سبق
تفسير الخشوع والمعنى انهم ما استحقوا الاجابة الى طلباتهم وما نالوا من الله تعالى ما نالوا الا
بهذه الخصال والتي واذكر التي يعني مريم وانما ذكرها بطريق الكناية لان تنويه الشان بالاسماء
حق الرجال احصنت فرجها الاحصان احراز الشيء من الفساد والفاء التفريعية في قوله
فنفخنا قد دلت على ان المراد حفظها من الحرام فقط لان النكاح مستحب بل سنة قديمة
فلا يصلح الاعراض عنه منشأ للتفضيل فيها اي فعلنا النفخ في مريم من روحنا من جهته
والمراد من الروح جبرائيل عليه السلام فانه نفخ في جيب درعها فوصل النفخ الى جوفها واضافته
اليه تعالى للتشريف وجعلناها وابنها اي حالهما وهي ولادتها اياه من غير فحل ولذلك
وحد قوله آية والتقدير وجعلناها آية وابنها كذلك ويعضده قراءة آيتين للعالمين
فان من تامل حالهما تحقق كمال قدرة الصانع تع ان هذه امتكم الامة الملة والاشارة
الى ملة التوحيد والاسلام اي ان هذه الملة ملتكم التي يجب ان تكونوا عليها امة حال من ملة
الاشارة في هذه اي يشار اليها امة واحدة غير مختلفة فيما بين الانبياء عليهم السلام

وقرئ امتكم بالنصب على البدل من هذه وامة بالرفع على الخبر وقرئ برفعهما على انهما
خبران او قدر للثاني مبتدأ على هي امة وانا ربكم رب واحد لا اله غيري فاعبدون
لا غيري وتقطعوا امرهم بينهم كان الخطاب اتى عاما للناس كافة فالتفت الى الغيبة
لينعى الذين تفرقوا في الدين وكانوا شيعا بقبيح فعلهم الى آخرين تمثيلا لاختلافهم فيه
وصيرورتهم فرقا واحزابا شتى اي جعلوا امر دينهم فيما بينهم قطعا كما يتوزع الجماعة
الشيء ويقتسمونه فتطير لكل قطعة ثم توعدهم بان كل واحدة من تلك الفرق الينا راجعة
لا الى غيرنا راجعون فنجازيهم ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن بالله ورسوله فلا
كفران لسعيه اي سنعبر الكفران بمنع الثواب والحرمان كما سمي الشكر اعطائه وقيل ان
الله شكور ونفي نفي الجنس للمبالغة فانه ابلغ من ان يقال فلا يكفر سعيه ثم بولغ وأكد
في عدم تضييع سعيه بان وتقديم الجار والمجرور وانا له كاتبون اي لذلك السعي في صحيفة
عمله مثبتون له فلا يضيع بوجه وحرام وقرئ وحرم كحلال وحل على قرية اي على اهل قرية
اهلكناها اردنا اهلاكهم باستيصال اهلها انهم لا يرجعون رجوعهم الى التوبة او
الحيوة ولا صلة او عدم رجوعهم للجزاء وان مع اسمها وخبرها مبتدأ خبره حرام وقرئ
انهم بالكسر على ان الكلام تم قبله والمبتدأ محذوف دلت عليه الآية المتقدمة اي وحرام على
قرية اهلكناها ذلك اي العمل الصالح والايمان والسعي المشكور غير المكفور ثم استؤنف على سبيل
التعليل فقيل انهم لا يرجعون عن الكفر وعلى قراءة الفتح ايضا لا يبعد هذا الوجه اي لانهم لا
يرجعون حتى هي التي يحكى بعدها الكلام والكلام المحكي الجملة من الشرط والجزاء اعني اذا
وما في حيزها فتحت ياجوج وماجوج المفتوح حقيقة هو السد المنسوب اليهما وانما اسند
اليهما على التجوز بعلاقة ظاهرة ونكتة لا يخفى لطف موقعها متعلقة بحرام او بمحذوف دل
عليه الكلام او بلا يرجعون اي يستمر الامتناع او الهلاك او عدم الرجوع الى قيام الساعة
وفتح السد من اماراتها كني به عنه وهم يعني ياجوج وماجوج من كل حدب مرتفع من الارض
ولفظ كل للمبالغة في الكثرة او المراد الناس كلهم ويعضده قراءة ابن عباس جدث بالجيم
والثاء وهو القبر ينسلون يسرعون واقترب الوعد الحق اي القيمة فاذا هي شاخصة ابصار
الذين كفروا جواب الشرط واذا للمفاجاة تسد مسد الفاء الجزائية لقوله اذا هم يقنطون
فاذا جاء الفاء معها تظاهرت على وصل الجزاء بالشرط فيتاكد وتوهم الجمع بين البدل والمبدل
ساقط لان اذا باقية على حالها بتمحض بدلا عنه يلزم الامتناع ويجوز ان يكون الضمير
بعدها ضمير القصة وابصار الذين كفروا مبتدأ شاخصة خبره وان يكون ضميرا مبهما يفسره
ابصار الذين كفروا يا ويلنا مقدر بالقول واقع موقع الحال من الموصول قد كنا في غفلة
من هذا اليوم بل كنا ظالمين انفسنا بعدم الاعتبار بانذار المنذر بل اضراب عن الاعتذار

في الغفلة وابطال له بالاعتراف بما هو الحق انكم وما تعبدون من دون الله اراد الاوثان
او الخطاب لغير ش لا الشيطان واعوانه لما سياتي ان ما تعبدون لا يتناول ذوي العقول
ولا دلالة على ذلك فيما روي انه عم لما تلى الآية على المشركين قال له ابن الزبعرى خصمتك
ورب الكعبة اليس اليهود قد عبدوا عزيرا والنصارى المسيح وبنو مليح الملائكة فقال
عليه السلام بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله تعالى ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى الآية وليس فيه تخصيص تاخر عن الخطاب لان ما لمن لا يعقل فلا يتناولهم
دل على ذلك ما روي ان النبي عم قال ما اجهلك بلغة قومك اما علمت ان ما لما لم يعقل فعلى
هذا يكون قوله تعالى ان الذين سبقت الآية لدفع احتمال المجاز والتغليب لا لتخصيص العام
كما سبق الى بعض الاوهام حصب جهنم الحصب ما يرمى به فعل بمعنى مفعول اي لحصب بهم في
النار وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر انتم لها واردون استيناف او بدل من حصب
جهنم واللام معوضة من على للاختصاص والدلالة على ان ورودهم لاجلها لو كان هؤلاء آلهة
ما وردوها لان المورد للنار وان لم يلزمه العذاب على ما دل عليه قوله تع وان منكم الا واردها
ليس من شان المعبود المختار وكل اي العابد والمعبود فيها خالدون اي قرنوا بآلهتهم زيادة
تعذيبهم فان ما اصابهم انما اصابهم بسببهم فاذا قرنوا ازداد غمهم وحسرتهم للغاية
المؤذي ولانهم قدروا انتفاعهم في الآخرة بهم واذا وجدوا الامر على عكس ما قدروا لم
يكن شيء ابغض اليهم منهم ومن هذا اتضح وجه خلودها في النار لهم فيها زفير انين و
تنفس شديد وفيه تجوز من جهة نسبة فعل البعض الى الكل وتغليب من جهة اطلاقه على
مجموع العقلاء وغيرهم ولا تاثير للتغليب في الاول وهم فيها لا يسمعون من الهول وشدة
العذاب وذلك بعد حين لما ورد في بعض الايات من تكلمهم مع خزنة النار ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى الخصلة الحسنى وهي السعادة والقصوى والبشرى بالثواب او التوفيق للطاعة
اولئك عنها مبعدون اشارة الى انهم يردونها ويقربون منها او لا ولما كان ذلك مظنة ان
يتاذوا عنها عند ورودهم اياها وقربهم منها دفعه بقوله لا يسمعون حسيسها صوتها الذي
يحس وحركة تلبسها حال من ضمير مبعدون يعني انهم في حال سلامتهم عنها وعن آثارها
المؤذية يردونها ويبعدون عنها وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون الشهوة طلب النفس
اللذة اي دايمون في مشتهياتهم وتقديم الظرف للاختصاص ومحافظة الفاصلة لا
يحزنهم الفزع الاكبر اي النفخة الاخيرة لقوله تعالى ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات
ومن في الارض وتتلقاهم الملائكة اي تستقبلهم مهنئين هذا يومكم يوم ثوابكم وهو مقدر
بالقول الذي كنتم توعدون توعدونه في الدنيا والعامل في يوم نطوي السماء تتلقاهم
او الفزع او لا يحزنهم والطي ضد النشر او المحو من قولك اطو عني هذا الحديث كطي السجل للكتب

طيا كطي الطومار لاجل الكتاب او لما يكتب او كتب فيه ويؤيده القراءة على الجمع اي المعاني الكثيرة المكتوبة فيه وقيل السجل ملك يطوي كتب الاعمال اذا رفعت اليه وفيه ان حق التشبيه ان يكون بالمعهود المعروف وطي ذلك الملك لم يعرف الا من هذا الكلام وقيل كاتب كان لرسول الله عليه السلام وفيه انه ليس لطيه خصوصية زائدة وتخصيص التشبيه يقتضي ذلك وقرئ السجل كالدلو والسُّجُل كالعتل وهما لغتان فيه كما بدانا اول خلق نعيده او خلق مفعول بدانا ومحل الكاف النصب على المصدر وما كافة او مصدرية اي مثل ما بدانا اول خلق او مفعول نعيد مضمرا يفسره نعيده اي نعيد اول خلق كما بداناه ويجوز ان يكون الكاف منصوبة بفعل مضمر يفسره نعيده وما موصولة واول خلق نصب على الظرف لبدانا او نصب على الحال من ضمير الموصول المحذوف المقدر في بدانا اي نعيد مثل الذي بداناه في اول خلقنا اياه او حال كونه خلق شبهت الاعادة بالابداء في تعلق القدرة بهما على السواء والمراد اثبات صحة الاعادة بالقياس الى الابداء لشمول الامكان الذاتي المصحح للمقدورية لهما اي كما ان الاول ايجاده عن عدم نعيده ثانيا عن عدم وانما وحد خلق ونكر ليفيد تفصيلهم واحدا واحدا والمعنى اول الخلائق كما تقول اول رجل جاءني بمعنى اول الرجال وانما وحدت ونكرت ليفيد تفصيلهم رجلا رجلا وعدا مصدر مؤكد لان قوله نعيده عدة للاعادة علينا اي علينا انجازه انا كنا فاعلين في الاول على ان نفعل ذلك لا محالة او قادرين على ان نفعل ذلك هذا تحرير ما قالوا والذي يخطر لي ان الخلق بمعنى المخلوق وتقييده بالاول لاخراج المخلوق ثانيا وهو الروح عن متناول الكلام لانه في اعادة البدن وهو المخلوق اولا بقوله تعالى ثم انشأناه خلقا آخر فتدبر ولقد كتبنا في الزبور في كتاب داود عليه السلام من بعد الذكر اي التورية ان الارض ارض الجنة او الارض المقدسة يرثها عبادي الصالحون عامة المؤمنين وامة محمد عليه السلام ان في هذا فيما ذكر من الاخبار والمواعظ والمواعيد لبلاغا لكفاية او لسبب بلوغ الى البغية لقوم عابدين همهم العبادة دون العادة وما ارسلناك الا رحمة للعالمين لانه جاء بما يسعدهم في الدارين ويصلح معاشهم ومعادهم واذ دياد كفر بعضهم بسببه انما هو من عند انفسهم وعنادهم لا منه وقيل كونه رحمة للكفار امنهم به من عذاب الاستيصال والمسخ والخسف وتاخير عقوبتهم قل انما يوحى الي ما في انما كافة ويجوز ان يكون موصولة بمعنى ان الذي يوحى الي انما الهكم اله واحد لان المقصود الاصلي من بعثته مقصور على التوحيد فهل انتم مسلمون مخلصون العبادة لله على مقتضى الوحي المصدق بالحجة والتوحيد مما يصلح اثباته بالسمع فان تولوا اي عرضوا عن التوحيد فقل آذنتكم اذن من اذن اذا علم لكنه شاع استعماله في الانذار اي

اعلمتكم ما امرت به او حربي لكم على سواء نصب على الحال من المخاطبين اي مستوين في الاعلام به او مستوين انا وانتم في العلم بما اعلمتكم به او في المعاداة او مصدر محذوف اي ايذانا على سواء وقيل اعلمتكم اني على سواء اي عدل واستقامة راي بالبرهان النير وان ادري وما ادري اقريب ام بعيد ما توعدون من غلبة المسلمين او من الحشر كائن لا محالة انه يعلم الجهر من القول اي ما يجاهرون به من الطعن والاسلام ويعلم ما تكتمون وما يكتمونه من الاحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه وان ادري لعله فتنة لكم وما ادري لعل تاخير هذا الموعد افتتان لكم وامتحان لينظر كيف تعملون ومتاع وتمتيع واستدراج لكم الى حين ليكون ذلك حجة عليكم وليقع الموعد به في وقت قدرته فيه بمقتضى حكمته قل رب احكم اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل المقتضي لاستعجال العذاب فعذبوا ببدر وكان مقتضى العدل ذلك وربنا الرحمن كثير الرحمة على خلقه المستعان المطلوب منه المعونة على ما تصفون ما تصفونه من الحال بان الشوكة تكون لهم وان راية الاسلام تخفق اياما ثم تسكن فخيب الله تعالى امالهم وكذب ظنونهم ونصر رسوله عليه السلام والمؤمنين عليهم

يا ايها الناس اتقوا ربكم امر بني آدم بالتقوى ثم علل امرهم به بفظاعة الساعة حيث قال ان زلزلة الساعة ليتصوروها بعقولهم ويعلموا انه لا يؤمنهم منها سوى التدرع بلباس التقوى والتردي برداء التقوى ويبقوا على انفسهم ويقوها عن الردى بملازمة التقوى والزلزلة شدة التحريك والازعاج وان يضاعف زليل الاشياء عن مقارها ومراكزها واضافتها الى الساعة اضافة المصدر الى الفاعل على التجوز في الاسناد كانها هي التي تزلزل الاشياء او الى الظرف على اجرائه مجرى المفعول به او بتقدير في كقوله تع بل مكر الليل والنهار وهذه الزلزلة هي المذكورة في قوله اذا زلزلت الارض زلزالها وعن الحسن انها تكون يوم القيمة وعن علقمة والشعبي عند طلوع الشمس من مغربها واضافتها الى الساعة لانها من اشراطها شيء عظيم علل وصفه بالعظم وابهمه تفخيما بانها شيء لا يكتنه كنه عظمته اخذ في تصوير هولها بصورة منكرة فليس المراد من قوله يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها انه كالمرضعة ووضع الجنين بل شدة الهول هذا على القول الاول والضمير للزلزلة ويوم منتصب بتذهل وقرئ تذهل معروفا ومجهولا اي تذهلها الزلزلة من الذهول وهو الذهاب عن الامر دهشة وحيرة لان الذهول لانه بمعنى السلو قال ان عرضها قلبه باعزا وكاد يذهل وما مصدرية او موصولة والمرضعة هي التي تكون في حال الارضاع ملقمة ثديها الصبي والمرضع التي شأنها ان ترضع وان لم

تباشر الارضاع وضاع واما المعنى على القول الثاني وعليه الجمهور ان هولها بحيث اذا توجهت
اليه القمت الرضيع ثديها نزعته من فيه اذ حلت عنه دهشته ولهذا احسن من قال تذهل المرضعة
عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام وترى ونطق الناس سكارى
حقيقة لا على التشبيه وما هم بسكارى في الواقع ولكن عذاب الله شديد اذهب عقولهم
لشدته وطير تمييزهم بهوله فجعلهم بحيث لا يفرق بينهم وبين من يذهب السكر بعقله وتمييزه
وانما جمع فاعل الرؤية اولا وافرد ثانيا لان الاولى علقت بالزلزلة والزلزلة يراها الناس
كلهم والثانية علقت بكون الناس على حال السكر فلا بد ان يجعل كل واحد منهم رائيا لاثر السكر على
صاحبه وقرئ ترى بالضم ونصب الناس من اريتك قائما او رؤيتك قائما ورفعه على اسناد ترى
اليهم على تاويل الجماعة وسكارى حال وقرئ سكرى كعطشى اجراء للسكر مجرى العلل ومن الناس
لا يخفى له في هذا التعبير من التحقير بانه حيث نزله بمنزلة من احتاج الى الاخبار عنه بانه من جنس
الانس من يجادل يخاصم خصومة شديدة في الله بغير علم نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلا يقول
بنات الله تع والقرآن اساطير الاولين ولا بعث بعد الموت وهي عامة في كل مجادل لا يرجع الى
علم ويتبع كل شيطان مريد في جداله وسيرته والمريد المتجرد للفساد كتب عليه اي على الشيطان
انه الضمير للشأن من تولاه اي جعله وليا وتبعه وقرئ انه بالكسر على حكاية المكتوب او اضمار القول
او تضمين كتب معناه فانه يضله خبر لمن او جواب له ويهديه الى عذاب السعير ولا يحصل منه
ولايته الا الضلال عن طريق الحق او الجنة والهداية الى عذاب النار باغوائه واغرائه الى ما يؤدي اليه
وحمله عليه اي يلزمه ذلك كانه كتب عليه اضلال من يتولاه لانه مجبول عليه وقرئ فانه بالفتح على
انه مبتدأ محذوف الخبر اي فحق انه يضله او خبر مبتدأ محذوف اي فشأنه انه يضله ولا وجه للعطف
الآن كمل الضمير للمجادل ومن تولاه ضرار وجاز على هذا ان يكون الضمير فعليه له ايضا
يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث من امكانه وكونه مقدورا وقرئ من البعث بالتحريك كالجلب
والطرد وتنوين ريب للتحقير والتقليل ولذلك جيء بكلمة الشك اي ان يختلج دليله فان بقي فيكم
ادنى ريب فانظروا في بدء خلقكم من قبله فانا خلقناكم من تراب لخلق آدم منه او من الاغذية
المتكونة منه ثم من نطفة وهي الماء القليل من النطف وهو الصب والمراد المني ثم من علقة
قطعة من الدم الجامد ثم من مضغة وهي اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ مخلقة تامة الخلق كالعود
اذا سواه وملس من قولهم صخرة خلقاء اذا كانت ملساء وغير مخلقة اي مسواة كان الله يخلق
المضغ متفاوتة في التسوية والتعديل فيتبع ذلك تفاوت الناس في الصورة والقامة والشكل
والتمام والنقص او مصورة وغير مصورة او تامة وساقط لنبين لكم بهذا التدريج
قدرتنا وحكمتنا وان من قدر على تغييره وتصويره اولا قدر على ذلك ثانيا بل هذا اهون عند
العقل وادخل في المقدورية واطلاق التبيين عن متعلق المفعول ايماء الى ان افعاله هذه يتبين

من قدرته وحكمته ما لا يدخل تحت الذكر ولا يحيط به الوصف ونقر نثبت في الارحام ما نشاء
ثبوته الى اجل مسمى وهو وقت الوضع وعلم منه حال قرينه المقابل له بطريق المفهوم ثم نخرجكم
طفلا حال وحدت لارادة الجنس او لانه مصدر في الاصل او على تاويل كل واحد وقرئ بالنصب
وكذا نخرجكم عطفا على نبين والمعنى انا خلقناكم مدرجين لغرضين احدهما التبيين والثاني الاقرار
في الارحام حتى تولدوا وتنشأوا وتبلغوا حد التكليف فتكلفوا والغرض في الحقيقة هو الاخير
اعني بلوغ الاشد والصلوح للتكليف لكن لما كان الاقرار والاخراج من مقدماته صح ادخاله
في التعليل وقرئ بالياء رفعا ونصبا ويقر بالضم من قررت الماء اذا صببته ثم لتبلغوا اشدكم
الاشد كمال القوة والعقل والتمييز وهو من الفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد وكانه شدة
في غير شيء واحد فبنيت لذلك على لفظ الجمع ومنكم من يتوفى عند بلوغ الاشد او قبله او بعده
قبل الهرم وقرئ يتوفى اليه ومنكم من يرد الى ارذل العمر الهرم والخرف لكيلا يعلم من بعد علم
شيئا ليعود كهيئته الاولى في اوان طفوليته سخيف العقل قليل الفهم والاستغراق المستفاد
من ذكر شيئا في سياق النفي للمبالغة في نسيانه ما علمه وانكاره لما عرفه وترى الارض هامدة
ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت تحركت بالنبات
وربت وانتفخت وقرئ ربأت اي ارتفعت وانبتت من كل زوج من كل صنف بهيج حسن البهيج
الحسن السار للناظر اليه وهذه دلالة ثانية على البعث كررها الله تع في كتابه لظهورها وكونها
مشاهدة ذلك اشارة الى ما ذكر من خلق الانسان في اطوار مختلفة وتحويله على احوال متضادة
واحياء الارض بعد موتها وهو مبتدأ خبره بان الله هو الحق اي حاصل بان الله هو الحق
الثابت الوجود في نفسه الذي يتحقق به الاشياء وانه يحيي الموتى وانه يقدر على احيائها
والا لما احيى النطفة والارض الميتة وانه على كل شيء قدير لان قدرته لذاته ونسبتها الى
الكل سواء فلما دلت المشاهدة على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على الكل وان
الساعة آتية لا ريب فيها لا ينبغي ان يرتاب فيها لان التغير من مقدمات الانصرام وطلائعه
وان الله يبعث من في القبور اي انه تعالى حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة و
البعث فلا بد ان يفي بما وعد ولما كان المراد احياء موتى الانسان عبر عنها بما هو مخ
تصابهم فمعنى من في القبور من مات من جنس الانسان مطلقا بطريق الكناية ومن
الناس من يجادل في الله في صفاته فيصفه بغير ما هو له نزلت في ابي جهل بغير علم ضروري
ولا هدى كسبي فانه غالبا يكون لتعليم الغير وارشاده ولا كتاب منير وحي يجادل
بتخمين وتقليد لا باحد هذه الثلاثة ثاني عطفه ثني العطف كناية عن التكبر والخيلاء بالتبختر
او عن الاعراض عن الحق استخفافا به وقرئ بفتح العين اي مانع تعطفه ليضل عن سبيل الله
تعليل للمجادلة وقرئ بفتح الياء على ان اعراضه عن الهدى المتمكن منه بالاقبال على الجدال الباطل

بعده

خرج من الهدى الى الضلال وانه من حيث هو مؤداه كالغرض له في الدنيا خزي وهو ما
اصابه يوم بدر ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق عذاب النار المحرقة ذلك بما قدمت يداك
اشارة الى الخزي والعذاب وغير النظم بالالتفات الى الخطاب واشير بلفظ البعيد للتنبيه
وتعظيم الموعد به وتهويله والايماء على تفاقم الخطب والى انه بسبب ما اقترفه من الكفر والمعاصي
وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما في بما اى وبان الله يعني ان العدل يقتضي ذلك لا الظلم
ولفظ المبالغة لان قليل الظلم منه مانع مع علمه بقبحه واستغنائه عنه كالكثير منا وللايماء الى ان
من في غاية الكمال شانه ان يكون وصفه كذلك ومن الناس من يعبد الله على حرف على طرف من
الدين لا في وسط فان اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه كالذي يكون على
طرف الجيش فان احس بالظفر قر والا فر روي انها نزلت في اعاريب قدموا المدينة وكان احدهم
اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امراته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت
منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمان وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب و
ذكر الفتنة في مقابلة الخير للتنبيه على ان الشر لا يصدر عنه تعالى قصدا انما المقصود منه الابتلاء
خسر الدنيا بذهاب عصمته والاخرة بحبوط عمله بالارتداد وقرئ بالنصب على الحال وبالرفع على
الفاعلية او على انه خبر مبتدا محذوف وعلى الاول يكون من باب وضع الظاهر موضع الضمير
تنصيصا عليه بالخسران ذلك هو الخسران المبين الظاهر الذي لا يخفى على احد يدعو من دون الله
ما لا يضره وما لا ينفعه اى لا يقدر على شيء اصلا فان النفع والضر في التعبير بهما عن جميع الاثار
كالسماء والارض في التعبير بهما عن مجموع الاجسام واعادة كلمة ما للدلالة على استقلال كل
من الوصفين المذكورين في اخراج موصوفه الى موضع الذم ذلك هو الضلال البعيد عن المقصد
مستعار من ضلال من ابعد في التيه فطالت وبعدت مسافة ضلاله يدعو لمن ضره بكونه معبودا
لايجابه القتل في الدنيا والعذاب في الاخرة اقرب من نفعه الذي يتوقع بعبادته وهو الشفاعة
والتوسل بها الى الله تعالى وانما قال اقرب ولا قرب للنفع تهكما واستهزاء بهم واللام معلقة
من حيث انه بمعنى يزعم وزعم قول مع اعتقاد وقيل انها داخلة على الجملة الواقعة مقولا اجراء
له مجرى يقول اى يقول الكافر ذلك بدعاء وصراخ حين يرى استضراره به ويأباه ما في عبارة
اقرب من معنى التفضيل ويجوز ان يكون مستانفة على ان يدعو تكرير للاول ومن مبتدا خبره لبئس
المولى الناصر ولبئس العشير الصاحب ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها
الانهار ان الله يفعل ما يريد من اثابة الموحد الصالح وعقاب الكافر الطالح لا دافع له ولا مانع من
كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والاخرة كلام فيه اختصار والمعنى ان الله تعالى ناصر رسوله في
الدنيا والاخرة فمن كان يظن من حاسديه واعاديه ان لا يفعل ذلك ويغيظه ما يفعل
الله فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فليستفرغ وسعه في ازالة غيظه اسما بيته كما يفعل

من بلغ به الغيظ كل مبلغ ثم ليختنق سمي الاختناق قطعا لان المختنق يقطع نفسه بحبس
مجاريه ومنه قيل للبهر القطع او فليمدد حبلا الى السماء المظلة وليصعد عليه ثم ليقطع الوحي
ان ينزل عليه فلينظر وليتصور في نفسه هل يذهبن كيده هل يذهب نصر الله الذي يغيظ
ان فعل ذلك وسمي فعله كيدا لانه وضعه موضع الكيد حيث اجتهد فلم يقدر الا عليه او
على سبيل الاستهزاء لانه لم يكد به محسوده انما كاد به نفسه ما يغيظ او الذي يغيظه من
نصر الله وكذلك مثل ذلك الانزال والاشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده لا انزال
آخر يقصد تشبيه هذا الانزال به فالكاف مقحم اقحاما كاللازم لا يكاد يترك في لغة
العرب وغيرهم انزلناه انزلنا القران كله ايات بينات واضحات وان الله يهدي ولان
الله يهدي به او يثبت على الهدى من يريد هدايته او ثباته انزل كذلك مبينا ان الذين
امنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا يعني عبدة
الاوثان قيل الاديان خمسة اربعة للشيطان وواحد للرحمن والصابئون نوع من النصارى
فلا يكون ستة ان الله يفصل بينهم يوم القيمة في الاحوال والاماكن فلا يجازيهم جزاء
واحدا ولا يجمعهم في موطن واحد وبالحكومة بينهم واظهار المحق منهم من المبطل وانما ادخلت
ان على كل واحد من طرفي الجملة لمزيد التاكيد ان الله على كل شيء شهيد عالم به مراقب لاحوالهم
فلينظر كل امرء معتقده وقوله وفعله وهو ابلغ وعيد الم تر الم تعلم علما يقوم مقام العيان
ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض استعير السجود للانقياد والمطاوعة لما
يريد بداية نوع من الافعال لانه هيئة من هيئات المكلف لا هيئة ادل منها على الذلة والتسخير
ومن يعم اولي العقل وغيرهم للتغليب فيكون قوله والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر
والدواب افرادا لها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها في العادة وكثير من الناس تخصيص
بعد التعميم للايماء الى ان من الناس من لا ينقاد لحكمه ولا يستخير له ولا يلزم عطفه على سائر
الساجدين المحذور عند الجمهور لما فيه من استعمال اللفظ الواحد مجازا وحقيقة في حالة
واحدة اذ يجوز ان يجعل فاعل فعل مضمر دل عليه يسجد اى ويسجد له كثير من الناس السجود
الحقيقي ويجوز ان يكون مبتدا محذوف الخبر مدلولا عليه بالخبر قسيمه اى حق له الثواب
او الخبر مذكور على ما سياتي وكثير حق عليه العذاب بكفره وابائه عن الطاعة ويجوز
ان يكون كثير الثاني تكريرا للاول مبالغة في تكثير المحقوقين بالعذاب وان يعطف
به على الساجدين بالمعنى العام موصوفين بما بعده وقرئ حق بالضم وحقا اى حق
عليهم العذاب حقا ومن يهن الله بان حكم عليه بالشقاوة فما له من مكرم يجعله سعيدا
وقرئ بالفتح بمعنى الاكرام ان الله يفعل ما يشاء من الاهانة والاكرام هذان خصمان اى
فريقان مختصمان ولذلك قال اختصموا حملا على المعنى ولو عكس وقال هؤلاء خصمان

اختصما جاز والمراد بهما المؤمنون والكافرون في ربهم في دينه او في ذاته وصفاته
وروي ان اهل الكتاب والمؤمنين تخاصموا فقال اهل الكتاب نحن احق بالله واقدم منكم
كتابا ونبيا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن احق بالله امنا بمحمد ونبيكم وبما انزل الله
من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت فالذين كفروا فصل
لخصومتهم وهو المراد بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيمة قطعت لهم على مقادير
جثثهم ثياب من نار نيران تحيط بهم احاطة الثياب واختير لفظ الماضي لانه كائن
لا محالة يصب خبر ثان او حال من الضمير في لهم من فوق رؤسهم الحميم الماء الحار يصهر
به حال من الحميم او من الضمير في رؤسهم والصهر الاذابة وقرئ بالتشديد للتكثير ما في بطونهم
من الشحوم والجلود فانه يؤثر من فرط حرارته في باطنهم تأثيره في ظاهرهم
فيذاب به ما في باطنهم وظاهرهم ولهم مقامع من حديد سياط منه جمع مقمعة و
حقيقتها ما يقمع به اي يكف بعنف كلما ارادوا ان يخرجوا منها من النار من غم بدل اشتمال
من منها باعادة الجار اول الاولى لابتداء الغاية والثانية بمعنى من اجل يعني كلما ارادوا الخروج
من النار من اجل غم يلحقهم وارادة الخروج كناية عن القرب منه كقوله يريد ان ينقض
اعيدوا فيها بالمقامع والمراد اعادتهم الى معظم النار لا انهم يخرجون منها ثم يعودون
اليها لقوله تعالى وما هم بخارجين منها وتقول فيها دون اليها وذوقوا اي وقيل
لهم ذوقوا عذاب الحريق النار البالغة في الاحراق ثم ذكر جزاء الخصم الاخر بقوله ان الله
يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار غير النظم في التفصيل
بترك العطف واستيناف الكلام وادخال حرف ان تأكيدا واسناد الادخال الى الله تعالى
تعظيما لشأن المؤمنين واحمادا لحالهم يحلون فيها من حليت المرأة اذا البست الحلي
فهي حالية شدد للتكثير وقرئ مخففا مبنيا للمفعول من اساور صفة مفعول محذوف
والاساور جمع اسورة وهي جمع سوار من ذهب بيان له ولؤلؤ عطف على اساور
او ذهب على انها مرصعة وقرئ منصوبا على اضمار فعل اي يلبسون او يؤتون او
عطفا على محل الجار والمجرور ولباسهم فيها حرير تغيير الاسلوب فيه للدلالة على ان الحرير
لباسهم المعتاد مع رعاية الفاصلة وهدوا الى الطيب من القول ابهم الفاعل ولم يقل
هداهم الله ايفاء لحق التعظيم وابهم القول وجيء بالطيب ثم بين تفخيما لشأنه و
ايماء الى انه هو الملقب بالطيب وهو قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده او كلمة التوحيد
وهدوا الى صراط الحميد كرر هدوا تنبيها على ان كل واحد منهما امر مرضي بالاصالة
تام معتد به في الهداية اليه واختير اسم الحميد من اسماء الله تعالى للاشارة الى الحضور حينئذ
القول الطيب الى طريق المستحق لذاته الحمد وهو الله تعالى او طريق المحمود عاقبته وهو

الاسلام وقيل طريق الجنة واضيف الى الله تعالى تكريما للجنة بنسبتها اليه وان طريقها طريقه
ان الذين كفروا خبر ان محذوف دل عليه جواب الشرط اي ان الذين كفروا نذيقهم من عذاب
اليم ويصدون عن سبيل الله عطف على كفروا لقوله تعالى في موضع آخر ان الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله اي يواظبون على الصدود وهو الصرف عن الخير خاصة وليس المراد الحال
او الاستقبال بل استمرار وجود الصد منهم في جميع الازمان كقولهم فلان يحسن الى الفقراء
ويكرم الضيفان ولذلك حسن عطفه على الماضي والمسجد الحرام عطف على سبيل الله الذي
جعلناه للناس مطلقا من غير فرق بين حاضر وباد فان اريد بالمسجد الحرام مكة ففيه
دليل على انه لا يجوز بيع ارض مكة ولا اجارتها ولا يعارضه قوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم
لان الاضافة باعتبار انهم يملكون البناء ولا شراء عمر رض دار السجن فيها لانه اشترى
البناء دون الارض وان اريد به البيت فالمعنى انه قبلة لجميع الناس والاول هو الظاهر
لقوله تعالى سواء العاكف فيه المقيم بمكة والباد اي الساكن في البدو اي ليس لاحد
ان يمنع احدا عنه قيل كانت بيوت مكة لا تتخذ لها ابواب حتى طرت السرقة فيهم فقال عمر رض
لرجل منهم وهو اول من اتخذ بابا اتخذت بابا لتحتجب به فقال لا ولكن احرز متاعي
عن السرقة فقال له انه لا يحل لاهل مكة ان تأخذوا اجور بيوتهم وفي جواز بيع ارض
مكة عن ابي حنيفة روايتان قال في الجامع الصغير لا يجوز وروى ابن زياد عنه انه يجوز
وللناس مفعول ثان لجعلناه وسواء خبر مقدم والعاكف مبتدأ والجملة حال او مفعول
ثان وللناس حال وقرئ سواء بالنصب على انه مفعول ثان او حال والعاكف مرفوع على
انه فاعل اي مستويا العاكف فيه والباد وقرئ العاكف بالجر على انه بدل من الناس ومن يرد
فيه ترك مفعوله ليتناول كل متناول وقرئ بالفتح من الورود بالحاد الالحاد العدول عن القصد
واصله الحاد الحافر بظلم بغير حق وهما حالان مترادفان او الثاني بدل من الاول باعادة
الجار او صلة له او ملحدا بسبب الظلم كالاشراك واقتراف الاثام وعلى قراءة فتح الباء في
يرد يكون الباء في بالحاد للتعدية اي ومن حين جعلنا لابراهيم مكان البيت مباءة اي مرجعا
يرجع اليه للعبادة ولما كان المقصود من التبوئة العبادة فسرت بالنهي عن الشرك والامر
بتطهير البيت فان في قوله ان لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع
السجود مفسرة كانه قيل تعبدنا ابراهيم قلنا له لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي عن الاوثان
والاقذار ان تطرح حوله للطائفين والمصلين واني عبر عن الصلوة باركانها للدلالة على
ان كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك وقد اجتمعت وفصل بين الاول والاخيرين بالواو
وجمع بين الاخيرين بغير واو لان القيام تعظيم لله تعالى والركوع والسجود تذلل فاتحد
هذان وغيرهما الاول وقيل هي مصدرية موصولة بالنهي اي فعلنا ذلك لئلا تشرك بعبادتي

وتطهر بيتى واذن في الناس نادفيهم وقرئ اذن من الايذان بالحج بدعوته والامر به والحج القصد البليغ الى مقصد منيع روى انه عليه السلام صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم فاجاب من قدر له ان يحج من الاصلاب والارحام بلبيك اللهم لبيك وعن الحسن انه خطاب لرسول الله عليه السلام امر ان يفعل في حجة الوداع والاول اظهر وجواب للامر ياتوك رجالا مشاة جمع راجل كقايم وقيام وعلى كل ضامر معطوف على رجال كانه قال رجالا وركبانا والضامر البعير المهزول والاطناب المعنوي وزيادة لفظ كل للمبالغة في تعميم الامر لكل من يقدر على المركب ولو ضعيفا وقدم الرجال على الركبان اظهارا لفضيلة المشاة كما ورد في الحديث ياتين صفة لكل ضامر لانه في معنى الجمع وقرئ ياتون صفة للرجال والركبان او استيناف فيكون الضمير للناس من كل فج اى طريق واسع عميق بعيد واتى عبر عن البعد بالعمق لتناسب العرض المعتبر في مفهوم الفج وقرئ معيق والمعنى واحد ليشهدوا ليحضروا متعلق باذن او بياتوك منافع لهم دينية ودنيوية وتنكيرها لان المراد نوع منها مختص بهذه العبادة ويذكروا اسم الله عند اعداد الهدايا والضحايا بذبحها وقيل كنى بالذكر عن النحر لان ذبح المسلمين لا ينفك عنه تنبيها على انه المقصود مما يتقرب به الى الله تعالى في ايام معلومات هي عشر ذي الحجة وايام النحر على ما رزقهم من بهيمة الانعام علق الفعل بالمرزوق وبينه بالبهيمة تحسينا للكلام بنوع من البلاغة لم توجد في غير هذه العبارة وتنبيها للكناية بالقرينة وتعظيم المرزوق بالابهام والتوضيح للتحريض على التقرب بها وقد سبق في المائدة ما يتعلق بتفسير بهيمة الانعام فكلوا منها امر اباحة لما عليه اهل الجاهلية من التحرج فيه او ندب لما فيه من مواساة الفقراء ومساواتهم واستعمال التواضع وهذا في هدى التطوع والمتعة والقران لانه دم نسك فاشبه الاضحية دون بقية الهدايا واطعموا البائس الذي اصابه باس اى شدة الفقير المحتاج الامر فيه للوجوب وقد قيل به في الاول ثم ليقضوا تفثهم ثم ليزيلوا عنهم اوساخهم كذا في لم يتعطوا به والمراد قضاء ازالته وقيل قضاء التفث قص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد وذلك عند الاحلال ولذلك عبر عنه بكلمة التراخي وليوفوا نذورهم مواجب حجهم والعرب تقول لكل من خرج عما وجب عليه وفى بنذره وان لم ينذر او ما ينذرون من اعمال البر في حجهم وليطوفوا طواف الزيارة الذي هو ركن الحج ويقع به تمام التحلل وقيل طواف الوداع بالبيت العتيق القديم لانه اول بيت وضع للناس او الكريم ومنه عتاق الخيل لكرائمها وعتاق الرقيق الخروج من ذل العبودية الى كرم الحرية او المعتق من الغرق لانه رفع زمن الطوفان او من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله تعالى واما الحجاج فانه

قال ابن عباس لما فرغ ابراهيم من بناء الكعبة قال رب قد فرغت من بناء الكعبة قال واذن في الناس بالحج فقال عليه السلام رب فهل يبلغ صوتي قال اذن وعلى البلاغ فصعد ابراهيم ابا قبيس فقال يا ايها الناس ان الله بنى بيتا فحجوه وفي رواية ان الله بنى لكم بيتا وامركم ان تحجوه فحجوه وفي رواية قال ان الله كتب عليكم حج البيت العتيق فحجوه فاجابوه من اصلاب الاباء وارحام الامهات لبيك لبيك وروى انه اسمع الله صوته من قضى به الحج فاجابوه وقال مقاتل بن حبان هذا امر للنبي عليه السلام ان ينادي بالحج ففعل ذلك في حجة الوداع
من تفسير الثعلبيه

فقصد اخراج ابن الزبير رض الذي تحصن به منه دون التسلط عليه ذلك خبر مبتدا محذوف اى الامر ذلك وهو وامثاله للفصل بين كلامين ومن يعظم حرمات الله احكامه وما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله تعالى بهذه الصفة فيجوز ان يكون عاما في جميع احكامه وان يكون خاصا فيما يتعلق بالحج وقيل حرمات الله البيت الحرام والمشعر الحرام والمسجد الحرام والشهر الحرام فهو اى التعظيم خير له والتعظيم القيام بمراعاتها مع اعتقاد انها واجبة المراعاة عند ربه يعنى في الآخرة واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم الا المتلو عليكم تحريمه وهو ما حرم منها لعارض كالميتة وما اهل به لغير الله فلا تحرموا منها غير ما حرم الله كالبحيرة والسائبة وفي عبارته تبليل اشارة الى ان التحريم لا يكون الا من جهة الشارع بنص متلو فاجتنبوا الرجس من الاوثان صدره بالفاء السببية لانه لما حث على تعظيم حرمات الله تعالى لزم وجوب المحافظة على حدوده واعظمها التوحيد فدخل وجوب الاجتناب من عبادة الاوثان فيه دخولا اوليا وترتب منه ومن للبيان اى الرجس الذي هو الاوثان وهي غاية المبالغة في النهى عن تعظيمها حيث سماها الرجس وعرفه بلام الجنس وامر بالاجتناب عن عينه وبينه بالاوثان كان جنس الرجس ما هو الاوثان كل ذلك تنفيرا عن عبادتها وخصوصا بجعلها الرجس الذي ينفر الانسان عنه بطبعه واجتنبوا قول الزور قرنه بالشرك في وجوب الاجتناب عنه ولم يعطف بل كرر واجتنبوا تنبيها على اصالة تحريمه وتعميما لما ذكر فان الشرك يلزمه قول الزور اذ المشرك يدعى الوهية الوثن ويدخل فيه تحريم البحاير وغيره من مفترياتهم فيكون كالعلة لتحريم الشرك بتحريم لازمه الاعم وقيل المراد بقول الزور شهادة الزور لما روى انه عليه السلام قال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله ثلثا وتلى هذه الاية والاظهر العموم ليتناول الشهادة وساير الاكاذيب والزور من الزور والازورار وهو الانحراف كما ان الافك من الافك وهو الصرف فان الكذب منحرف مصروف عن الواقع حنفاء لله مستقيمى الطريقة على امر الله واصل الحنف الاستقامة وقيل للمائل القدم احنف تفاؤلا بالاستقامة غير مشركين به غيره في العبادة وهما حالان من الواو ومن يشرك بالله لما اخذ في التمثيل عدل عن الضمير الى الاسم الظاهر في التعميم المناسب مقام التهويل فكانما خر من السماء سقط منها فتخطفه الطير الخطف الاستلاب بسرعة او تهوى به الريح اى تسقط والهوى السقوط في مكان سحيق بعيد شبه حال المشركين في هلاكه هلاكا لا خلاص معه بحال من خر من السماء فاختطفه الطير فتفرق قطعا في حواصلها او عصفت به الريح فهوت به في بعض المهالك البعيدة هذا اذا جعلته من باب التشبيه المركب وتمثيل صورة حاله بصورة حال من هلك على احدى الصورتين وان جعلته من باب التشبيه المفرق شبهت الفطرة القابلة للتوحيد في علو رتبته بالسماء والمشرك بالساقط والاهواء المردية

الموزعة افكاره بالطير المختطفة والشيطان الذي يطوح به في تيه الضلال بالريح
التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة والشرك الذي فيه بالمكان السحيق و
او للتخيير كما في قوله او كصيب او للتنويع فان من المشركين من لا خلاص له اصلا و
منهم من يمكن خلاصه بالتوبة لكن على بعد ذلك اي الامر ذلك ومن يعظم شعائر الله
معالم الدين اراد بها الهدايا لانها من معالم الحج والمختص ما قبلها وما بعدها وتعظيمها
اعتقاد كون التقرب بها من معاظم الطاعات واختيارها حسانا سمانا غالية الاثمان
وترك المكاس في شرائها روي ان عمر اهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار وجزاؤه
محذوف تقديره فهم متقون حقا لدلالة التعليل القائم مقامه ولهذا ادخل الفاء الجزائية
عليه والضمير في فانها لتعظيمات من عظموا شعائر الله من تقوى القلوب اي
ناشئة منها واللام عوض عن المضاف اليه اي من تقوى قلوبهم واضافتها اليها للاحتراز
عن تقوى المرائي لكم فيها منافع كثيرة دينية ودنيوية من درها ونسلها وظهرها
وصوفها والتصدق بثمنها بعدها الى اجل مسمى الى وقت نحرها ثم محلها الى البيت العتيق
ثم موضع حل نحرها منتهى الى البيت او قريب اليه وهو الحرم وثم يحتمل التراخي في الوقت
والتراخي في الرتبة اي لكم فيها منافع دنيوية الى وقت النحر وبعده منافع دينية اعظم
منها ولكل امة اهل دين جعلنا منسكا متعبدا او قربانا يتقربون به الى الله تعالى وقرئ
بالكسر اي موضع نسك ليذكروا اسم الله على ما رزقهم الله علة للجعل مبينة ان المقصود
من المناسك ذكر الله عز اسمه عليها من بهيمة الانعام فيه تنبيه على ان القربان لا يكون
الا من النعم فالهكم اله واحد فله اسلموا الفاء في الموضعين للسببية وتقديم له للتخصيص
اي لما كان القصد الاصلي من وضع المناسك ذكر الله وتوحيده فاعلموا ان الهكم واله
جميع الامم اله واحد فله خاصة اخلصوا الذكر دون غيره واجعلوه له سالما اي خالصا
لا تشوبوه بالاشراك البتة وبشر المخبتين المتواضعين الى سفين من الخبت وهو
المطمئن من الارض الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم هيبة منه لاشراق اشعة
جلاله عليها والصابرين على ما اصابهم من المصائب والمقيمي الصلوة في اوقاتها ومما
رزقناهم ينفقون في وجوه الخير والبدن جمع بدنة كخشب وخشبة واصله الضم و
قد قرئ به وانما سميت بها لعظم بدنها ماخوذة من بدن بدانة ومن الابل خاصة و
قد الحاق رسول الله عليه السلام البقر بالبدنة حين قال البدنة من سبعة والبقرة
من سبعة ولا دلالة فيه على صيرورة البدنة متناولة للجنسين في الشريعة وانتصابه بفعل
يفسره وجعلناها لكم وقرئ بالرفع على الابتداء كقوله والقمر قدرناه من شعائر
الله اي من اعلام الشريعة التي شرعها الله تعالى واضافتها الى اسمه تعظيم لها لكم فيها

خير منافع دينية ودنيوية فاذكروا اسم الله عليها بان تقولوا عند النحر الله اكبر لا اله
الا الله والله اكبر اللهم منك واليك صواف حال من الهاء اي قائمات قد صففن ايديهن
وارجلهن وقرئ صوافن من صفون الفرس وهو ان يقوم على ثلث وطرف سنبك الرابعة
لانها تعقل احدى يديها فتقوم على ثلث وصوافنا بالتنوين عوضا من حرف الاطلاق
عند الوقف وصوافي اي خوالص لوجه الله وصواف على لغة من يسكن الياء مطلقا كقولهم
مثل العرب اعط القوس باريها فاذا وجبت جنوبها سقطت على الارض بعد نحرها قائمة
وهو كناية عن موتها فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر اي اذا ماتت حل لكم الاكل منها
والاطعام والقانع الراضي بما عنده وبما يعطى من غير سؤال من قنعت قنوعا وقناعة
يؤيده انه قرئ القنع وهو الراضي والمعتر المعترض بالسؤال وقيل القانع السائل من قنعت
اليه اذا خضعت وسألته قنوعا والمعتر المعترض بغير سؤال وقرئ والمعتري يقال عرة
وعراه واعتره واعتراه بمعنى كذلك اي مثل ما وصفناها قياما معقولة ايديها سخرناها
لكم مع عظمها وفرط قوتها حتى تاخذوها وتعقلوها وتحبسوها صافة قوائمها ثم تطعنون
في لباتها لعلكم تشكرون انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص لن ينال الله لن يصيب رضاه و
لن يقع منه موقع القبول لحومها المتصدق بها ولا دماؤها المهراقة عند النحر من حيث انها
لحوم ودماء ولكن يناله التقوى منكم ولكن يصيبه ما يصحبه من تقوى قلوبكم التي
تدعوكم الى تعظيم امر الله تعالى والتقرب اليه والاخلاص له والنحر عنها قيل كان اهل الجاهلية
اذا نحروا البدن نضحوا الدماء حول البيت ولطخوه بالدم فلما حج المسلمون ارادوا مثل
ذلك فنزلت كذلك سخرها لكم كرر التسخير تذكيرا للنعمة وتعليلا بقوله لتكبروا الله على ما
هداكم اي لتعرفوه باقداره اياكم وتعلموا انه القادر على ما لا يقدر عليه غيره فتوحدوه
بالكبرياء وتشكرونه على انعامه عليكم بالهداية الى طريق تسخيرها وكيفية التقرب
بها فتعديته بعلى لتضمين معنى الشكر وبشر المحسنين المخلصين فيما ياتونه ويذرونه
وانما ترك المبشر به للاشارة الى انه مما لا تفيه العبارة ان الله يدافع وقرئ يدفع اي يبالغ
في الدفع مبالغة من يغالب فيه عن الذين امنوا حذف المفعول للتعميم ثم علل بقوله ان الله
لا يحب كل خوان في امانة الله كفور لنعمته اي لانه لا يحب اضدادهم وهم وضمنه الايماء الى ان
اعاديهم الواجب دفعهم هم المشركون والتنصيص عليهم بانهم الخائنون الكافرون
والتعريض بان اضدادهم هم المؤمنين هم الامناء الشاكرون وان الله تعالى يحبهم
وعلى مقتضى ما ضمنه اتى بصيغة المبالغة والا فمقتضى الظاهر نفي محبته عن كل خائن
وكافر بل اثبات بعضه لهما اذن رخص للذين حذف الماذون فيه يقاتلون
عليه وقرئ يقاتلون بفتح التاء اي للذين يقاتلهم المشركون بانهم ظلموا بسبب انهم

ظلموا وهم اصحاب رسول الله عليه السلام كان المشركون يؤذونهم وكانوا ياتون من بين
مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجر
ثم نزلت هذه الآية وهي اول ما نزل في القتال بعد ما نهى عنه عليه السلام في نيف وسبعين
آية وان الله على نصرهم لقدير وعد لهم وارد على سنن كلام الملوك المقتدرين الجبارين
وتاكيد لما سبق من الوعد بدفع اذى الكفار فان النصر ليس مطلق العون بل العون بدفع
الضرر الذين في محل جر بدل من للذين او نصب باعني او رفع باضمارهم اخرجوا من ديارهم
يعني مكة بغير حق بغير موجب استحقوا به الاخراج الا ان يقولوا ربنا الله ابدال ان يقولوا
من حق تاكيد للمدح بما يشبه الذم على طريقة قول النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب اي بغير موجب سوى التوحيد الموجب للاعزاز والتمكين
والاكرام ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض بتسليط المؤمنين على المشركين بالجهاد
لهدمت الهدم كناية عن الابطال والتعليل على وجه ابلغ اي لاستولى المشركون على اهل الملل
وعطلوا متعبداتهم صوامع وبيع وصلوات الصوامع جمع صومعة وهي متعبد الرهبانية
والبيع جمع بيعة وهي متعبد النصارى ومصلاهم والصلوات جمع صلوة وهي كنيسة اليهود
سميت صلوة لانها يصلى فيها وقيل كلمة معربة اصلها بالعبرانية صلوتا ومساجد المسلمين انما
خص التعبير بالمسجد بمصلاهم لان السجدة من اركان صلوتهم خاصة وانما اخرت عن
غيرها لما في التقديم من القرب من التهديم يذكر فيها لا في المساجد خاصة بل في جميع ما تقدم
لانه كالتعليل لصونها عن التهديم بالرفع المذكور اسم الله كثيرا صفة مصدر محذوف اي
ذكرا كثيرا ولينصرن الله من ينصره اي ينصر دينه ورسله اخبار من الله تعالى عن الغيب ووعد
الجزاء بتسليط المهاجرين والانصار على صناديد العرب واكاسرة العجم وقياصرة الروم
ينصرا وصفة اخرى للذين يقاتلون قوله ولولا دفع الله الى اعتراض بين الصفتين ان مكناهم
في الارض وبسطنا لهم في الدنيا اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن
المنكر اي قاموا بامر الدين حق القيام وعن عثمان رضه هذا والله ثناء قبل بلاء واثنى عليهم قبل
ان يحدثوا من الحدث ما احدثوا وفيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين اذ لم يستجمع ذلك
غيرهم من المهاجرين ولله عاقبة الامور اي مرجعها الى حكمه وتقديره وفيه ايضا تاكيد لوعده
وان يكذبوك تسلية للرسول عليه السلام من تكذيب قومه اياه لست باوحدي في التكذيب
فقد كذبت قبلهم قبل قومك قوم نوح نوحا عليه السلام وعاد هودا عليه السلام وثمود صالحا لم يقل
فيهما قوم صالح وقوم هود لان الاصل في التعبير هو العلم والعدول في غيرهما الى التعبير بالامر
العام لضرورة فقد العلم وقوم ابرهيم ابرهيم عليه السلام وقوم لوط لوطا عليه السلام و
اصحاب مدين شعيبا عليه السلام لم يقل هنا وقوم شعيب لان المكذبين له من قوم اصحاب

مدين خاصة وكذب موسى غير النظم فيه ولم يقل قوم موسى لان قومه بنو
اسرائيل ولم يكذبوه وانما كذبه القبط وافرد له الفعل لتعظيمه وبيان ان تكذيبه
كان اشنع وآياته كانت اعظم واشيع كانه قيل وكذب موسى مع عظم آياته ووضوح
معجزاته فما ظنك بغيره وبني الفعل للمفعول اتماما للكلام بالتجريد لما سبق له فامليت
للكافرين اي فامهلتهم الزاما للحجة ثم اخذتهم عاقبتهم مع كفرهم فكيف كان نكير
انكاري عليهم بتغيير النعمة نقمة والحيوة هلاكا والعمارة خرابا والبقاء استيصالا
فكاين من قرية منصوب المحل بفعل مقدر يفسره اهلكناها او مرفوعة بالابتداء والخبر
اهلكناها يعني باهلاك اهلها وهي ظالمة اي اهلها حال فهي خاوية جملة معطوفة
على اهلكناها لا محل لها من الاعراب او في محل الرفع على الثاني على عروشها متعلق بخاوية
او خبر بعد خبر والخاوي الساقط من خوى النجم اذا سقط او الخالي من خوى المنزل
اذا خلا من اهله والعرش كل ما يرتفع ويظل من سقف او خيمة او كرم او ساقط على عروشها
بان خرت السقوف على الارض ثم سقطت جدرانها فوق السقوف او خالية مع بقاء
عروشها وسلامتها وعلى الوجه الثاني من الاعراب فهي خاوية فهي قايمة مع عروشها او
مايلة مشرفة على السقوف الساقط بل سقطت السقوف على الارض وبقيت الجدران
مشرفة عليها وبئر معطلة عطف على قرية اي وكم بئر عامرة في البوادي فيها الماء عطلت
وتركت لا يستقى منها لهلاك اهلها وقرئ بالتخفيف من اعطله بمعنى عطله وقصر مشيد مجصص
من الشيد وهو الجص او مرفوع البنيان من شاد البناء اذا رفعه اخليناه عن ساكنيه
حذف لدلالة معطلة عليه والانسب لهذا ان معنى خاوية على عروشها خالية مع عروشها
والاظهر ان البئر والقصر على العموم اي اهلكنا البادية والحضرية جميعا فخلت القصور
عن اربابها والآبار عن ورادها افلم يسيروا في الارض حث لهم على السفر ليعتبروا
بما يرون من مصارع المهلكين وبقاء آثارهم وان كانوا قد سافروا لكنهم لم يعتبروا
فكانهم لم يسافروا لعدم الفايدة لهم فتكون لهم قلوب يعقلون بها ما يجب ان يعقل
من توحيد الله تعالى وقدرته عند الاعتبار والاستبصار او آذان يسمعون بها ما يجب
ان يسمع من الوحي والتذكير بحال من شاهدوا آثارهم وانما ذكر الاذن دون البصر
مع انه انسب ان يذكر نظرا الى انسياق الكلام للاعتبار بالآثار لان المقصود بيان
حصول طريقي العلم الاستدلال والاخذ من افواه الرجال والوصول اليهما بالبصر للاعتبار
والبصر من وسايل الطريق الاول فلذلك لم يذكر اصالة فانها الضمير للقصة وفي قراءة
ابن مسعود رضه فانه على تاويل الشان ويجوز ان يكون ضميرا مبهما يفسره الابصار وفي
تعمى راجع اليه والظاهر اقيم مقامه لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب اي ما عميت

ابصارهم عن الابصار بل قلوبهم من الاعتبار والآفة في قلوبهم باتباع الهوى
والتقليد التي في الصدور تاكيد لنفي التجوز فانه يقال القلب لب كل شيء والتنبيه
على ان العمى المتعارف الذي في البصر لا اعتداد به وليس بعمى في الحقيقة بالنسبة الى
عمى القلب فان العمى الحقيقي هو عمى القلب الذي محله القلب الصدر فهو مقرر لما ذكر ان
الامر على خلاف ما عليه الجمهور من ان العمى انما هو في البصر حقيقة وفي القلب استعارة
قيل لما نزل ومن كان في هذه اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول الله انا في الدنيا
اعمى افاكون في الآخرة اعمى فنزلت ويرد عليه انه ح يكون المعنى لا تعمى الابصار في
الآخرة ولكن تعمى القلوب ويرده قوله تعالى رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا
ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده لا بامحال ولا بامهال لانه المحال في حق
الملك المتعال وحقيقة يستعجلونك اخبار في معنى الاستفهام على سبيل الانكار اي لم يستعجلون
بالعذاب المتوعد به كانهم شاكون في وقوعه ومحال ان يخلف الله وعده فلا بد من وقوعه
وان طال الزمان وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون اي كيف يستعجلون
بعذاب من ايام عذابه في طول الف سنة من سنينكم لان ايام الشدائد طوال وكاين
من قرية كررته للتهويل وتصوير حالهم في الاملاء وبيان ان الظلمة لا يهملون غير
معذبين امهلوا ولم يهملوا وانما عطف الاول بالفاء لكونها بدلا من قوله فكيف كان
نكير وبناها على التسبب واما حكم هذه فحكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو
وهما ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك على سبيل الاعتراض وبيان ان
الاستعجال امر منكر اذ لا بد من تحقق العذاب امليت لها كما امهلتكم وهي ظالمة مثلكم
اصل من قرية من اهل قرية فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في الاعراب
ورجع اليه الضمائر والاحكام مبالغة في التعميم والتهويل ثم اخذتها بالعذاب والي
المصير اي الى حكمي مرجع الجميع وتقديم الي للاختصاص والمبالغة للوعيد اي الي لا
الى غيري قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين الخطاب عام للمؤمن والكافر والمنذر به
قيام الساعة وانما كان عليه الصلوة والسلام نذيرا مبينا لان بعثته من شرطها فاجتمع
فيه الانذار بها قالا وحالا فقوله انا لكم نذير مبين كقوله عم ان النذير العريان
وقد دلت على ذلك تعقيب الخطاب بالانذار بتفصيل حال الفريقين عند قيامها بقوله فالذين
امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة لذنوبهم عند الحساب لان الحسنات يذهبن
السيئات ورزق كريم في الجنة الكريم من كل نوع ما يجمع فيه فضائله والذين
سعوا في آياتنا بالرد والعناد بالطعن فيها حيث سموها سحرا وشعرا واساطير
وتثبيط الناس عنها يقال سعى في امر كذا اذا اصلحه او افسده بسعيه معاجزين

مسابقين في السعي جادين فيه مشاقين له او سابقين في زعمهم طامعين ان كيدهم
للاسلام يتم لهم من عاجزه فاعجزه اذا سابقه فسبقه لان كل واحد من المتسابقين
في طلب اعجاز الآخر عن اللحاق به واذا سابقه قبل اعجزه وقرئ معجزين اي مثبطين الناس
عن الايمان على انه حال مقدرة اولئك اصحاب الجحيم النار الموقدة وقيل اسم دركة
من دركاتها وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي قد سبق تفسيرهما وبيان الفرق بينهما
بعموم الثاني وخصوص الاول ومن شرط في الرسول شريعة مجددة فكانه نسي ما زعم
من الدلالة في قوله تعالى وكان رسولا نبيا على ان الرسول لا يلزم ان يكون صاحب
شريعة الا اذا تمنى تلا قال الشاعر تمنى كتاب الله اول ليلة تمنى داود الزبور على
رسل القى الشيطان في امنيته في تلاوته قالوا انه عم قرأ في نادي قومه والنجم
فلما بلغ قوله ومناة الثالثة الاخرى سكت فقال الشيطان تلك الغرانيق العلى و
ان شفاعتهن لترتجى وقراها متصلا بقراءة النبي عليه السلام فوقع عند بعضهم انه
عليه السلام هو الذي تكلم بها وهذا معنى القاء اللعين في قراءة سيد المرسلين
وكان يتكلم في زمن النبي عليه السلام ويسمع كلامه فقد روي انه نادى يوم احد
الا ان محمدا قد قتل وقال يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم وهذا
لا يخل بالوثوق على القرآن لاندفاعه بقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يرفعه
ويبطله ويخبر انه من الشيطان ثم يحكم الله آياته اي يثبتها ويحفظها عن تطرق النقصان
ولحوق الزيادة من الشيطان ولما كان الاحكام بهذا الوجه على رتبة من النسخ المذكور
صدره بكلمة ثم ولا احتمال لان يكون هذا الكلام ونظايره كقوله انا نحن نزلنا الذكر
وانا له لحافظون ايضا من زيادة الشيطان لان ظهور الاعجاز عند انضمامه الى ما يبلغ
به المجموع مقدار اقصر سورة من القرآن دل على انه من الرحمن لقوله تعالى قل لئن اجتمعت
الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله فلا دلالة في الاية على جواز السهو
على الانبياء عليهم السلام وتطرق الوسوسة اليهم والله عليم بما اوحى الى نبيه عم
وبقصد الشيطان حكيم لا يدعه حتى يكشفه ويزيله ثم ذكر ان ذلك ليفتن الله تعالى به
قوما بقوله ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة محنة وابتلاء للذين في قلوبهم مرض شك
وتردد والقاسية قلوبهم الجازمين بمعتقدهم الباطل مظهرا كان ذلك ومضمرا
من زعم ان المراد من الاول المنافق فكانه غافل عن ان المنافق اقسى قلبا من الكافر
المجاهر وان الظالمين من باب وضع الظاهر موضع الضمير تسجيلا على الفريقين بالظلم
لان القياس ان يقول بعد ذكرهما وانهم لفي شقاق خلاف بعيد عن الحق ويلزمه
البعد عن الرسول والمؤمنين وليعلم الذين اوتوا العلم الاعتقاد المطابق للواقع

ويعلم المؤمنون انه الحق من ربك اى القرآن هو الحق النازل من عند الله فلا تمكن
ما يلقى الشيطان من الباطل لا يدخل فيه فيؤمنوا به فيعتقدوا به ويطيعوا احكامه فتخبت
فتطمئن له قلوبهم بالخشوع والخضوع والخشية وان الله لهادى الذين آمنوا فيما اشكل
عليهم بالتوفيق للنظر والكشف بنور هدايته الى صراط مستقيم هو طريق التأويل لما تشابه
بالتطبيق على الاصول المحكمة فلا يلحقهم حيرة ولا يعتريهم شبهة ولا يزال الذين كفروا حتى
تاتيهم الساعة القيمة والمراد اتيان الموت فانه من طلايعها ولذلك قال عم من مات فقد قامت
قيامته بغتة فجاءة او ياتيهم عذاب يوم عقيم يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر وانما
وصف يوم الحرب بالعقم لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كالعقم وقيل العقيم الذى
لا خير فيه يقال ريح عقيم اذا لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا الملك يومئذ اى يوم القيمة
والتنوين فيه ينوب عن الجملة التى دلت عليها الغاية اى يوم تزول مريتهم لله فلا منازع
له فيه يحكم بينهم بالمجازاة والضمير يعم الفريقين دل عليه تفصيل الحكم بقوله فالذين آمنوا
وعملوا الصالحات فى جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فاولئك لهم عذاب مهين ادخال
الفاء فى خبر الثانى دون الاول تنبيه على ان اثابة المؤمنين بالجنات تفضل من الله تعالى
وان عقاب الكافر مسبب عن اعمالهم ولذلك قال لهم عذاب ولم يقل هم فى عذاب كما فى
جنات النعيم وفى تقديم الجار والمجرور دلالة على ان العذاب المهين مخصوص بهم لا يشاركهم
فيه المؤمنون ثم خص قوما من الفريق الاول بفضيلة فقال والذين هاجروا فى سبيل الله
خرجوا من اوطانهم مجاهدين ثم قتلوا فى الجهاد او ماتوا حتف انفهم ليرزقنهم الله رزقا
حسنا الرزق الحسن الذى لا يلحقه الم الانقطاع ولا يسبقه تعب الكسب وذلك فى البرزخ
قبل دخول الجنة لا اختصاص له بالمجاهدين من المؤمنين وانما سوى بين من قتل فى الجهاد و
من مات حتف انفه فى الموعد لاستوائهما فى القصد وما اصلح سعيهما من العمل وان الله لهو
خير الرازقين فانه يرزق بغير حساب ليدخلنهم مدخلا هو الجنة دل هذا على ان ما تقدم
من الترزيق قبل دخولها بدل من قوله ليرزقنهم الله يرضونه صفة للمدخل وهذا وصف
لها بكل جميل لان ما وقع موقع الرضى فقد كمل وان الله لعليم باحوال من قضى نحبه مجاهدا
وآمال من مات وهو ينتظر معاهدا حليم بامهال من قاتلهم معاندا روى ان طوائف من
اصحاب رسول الله عم قالوا يا نبى الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله تع
من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فانزل الله تع هاتين الآيتين ذلك
للفصل بين كلامين اى الامر ذلك فما بعده مستانف ومن عاقب بمثل ما عوقب به
اى لم يزد فى الاقتصاص وانما سميت الجناية المبتداة باسم جزائها الذى هو العقاب
لما بين السبب والمسبب من الملابسة فاطلق اسم المسبب على السبب مجازا او للازدواج

وليتصور سرعة اداء السبب له ثم بغى عليه بالمعاودة الى العقوبة لينصرنه الله اى من جازى
بمثل ما فعل به من الظلم ثم ظلم بعد ذلك فحق على الله تع ان ينصره ان الله لعفو بمحو اثار الذنوب
غفور يستر انواع العيوب وانما وعد المنتصر بهما لانه اتبع هواه فى الانتقام واعرض عما ندب
الله تعالى اليه بقوله فمن عفا واصلح فاجره على الله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور
وفيه تعريض بالحث على العفو فان الله تع مع كمال قدرته وتعالى شانه لما كان يعفو فغيره بذلك
اولى وتنبيه على انه قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده ذلك بان الله
يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل اى ذلك النصر بسبب ان الله تعالى قادر على التصرف فى
العالم على وفق مشيته ومقتضى حكمته وما ذكر من التقليب فى الملوين بتغليب احدهما على الاخر كناية
عن التصرف فى الافلاك بالتحريك على وجه عليه مدار الكائنات فى عالم الكون والفساد كيف يشاء و
النصر المذكور من جملة ما يقتضيه الحكمة وان الله سميع لما يقولون ولا يشغله سمع عن سمع و
ان اختلفت وتضادت الاصوات بفنون اللغات بصير بما يفعلون ولا يستر عنه شئ بشئ فى
الليالى وان توالت الظلمات ذلك بان الله هو الحق اى ذلك الوصف بكمال القدرة والعلم بسبب
انه هو الحق الثابت فى نفسه الواجب لذاته وكل ما كان كذلك كان مبدأ لما سواه عالما بذاته و
لما عداه او الثابت الالهية ولا يصلح لها الا من كان عالما قادرا وان ما يدعون من دونه
الها وقرئ بالتاء على مخاطبة المشركين وبالبناء للمفعول فيكون الواو لما فى معنى الآلهة هو
الباطل المعدوم فى حد ذاته او الباطل الالوهية وان الله هو العلى اى العالى على كل شئ بالقهر
والسلطان بدون تقدمه المكانى الكبير عن ان يساويه شئ فضلا عن ان يكون اعلى منه شانا
واكبر سلطانا الم تر ان الله انزل من السماء ماء استفهام تقرير ولهذا رفع فتصبح الارض
مخضرة عطفا على انزل اذ لو نصب جوابا له لدل على نفى الاخضرار كما فى قولك الم تر انى انعمت
عليك فتشكر والمقصود اثباته والرفع لعطفه على انزل وتسببه به مستتبعة كذلك فى المثال
لانه عطف على انعمت واما النصب فلا وجه له الا السببية عن الاستفهام ويؤل المعنى فى المثال
الى ما رايت فما شكرت اى لو رايت لشكرت وكذلك فى الآية على ان فيها مانعا اخر وهو ان
اصباح الارض مخضرة لا يصح ان يتسبب عما بعد الاستفهام وانما عدل عن الماضى ولم
يقل اصبحت لاستحضار الحال الماضية والتنبيه على كمال صنع الصانع بالمشاهدة والدلالة
على بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان وقرئ مخضرة على مفعلة اى ذات خضرة كمبقلة ومسبعة
ان الله لطيف واصل فضله او علمه الى كل شئ خبير بمصالح الخلق ومنافعهم ما فى السموات
وما فى الارض ملكا وملكا وان الله لهو الغنى فى ذاته عن كل شئ وما سواه محتاج الى الغير
الحميد المستوجب للحمد بصفاته وافعاله الم تر ان الله سخر لكم ما فى الارض من علينا بتسخير
لنا ما بنا حاجة اليه فى معايشنا من الحيوان وغيره فما اصلب منه الجمادة والحديد وقد ذلله

تتخذ منهما ما تريد فقوله ما في الارض عام لكن المراد منه ما ينفعنا بقرينة قوله لكم والفلك عطف على ما وقرئ بالرفع على الابتداء تجري في البحر بامره حال منها او خبره ويمسك السماء بيد القدرة ان تقع من ان تقع او كراهة ان تقع على الارض الا باذنه الا بمشيئته وفيه رد لاستمساكها بذاتها واما ما قيل انها مساوية لساير الاجسام في الجسمية فيكون قابلة للميل اليها بط قبول غيرها منظور فيه ان الله بالناس لرؤف رحيم لتفتحه عليهم ابواب المنافع ودفعه عنهم ابواب المضار والرؤف ابلغ من الرحيم وانما قدم عليه محافظة على الفاصلة وكذا تقديم بالناس عليهما لها وهو الذي احياكم بعد ان كنتم جمادا ترابا ونطفة وعلقة ومضغة ثم يميتكم اذا جاء اجالكم ثم يحييكم في الآخرة ان الانسان لكفور لجحود لما افاض عليه من النعم مع ظهورها لكل امة جعلنا منسكا كررت بغير واو للتاكيد والتعميم وتعليق الزيادة به وجئ بالواو في الاولى لانها وقعت مع ما يناسبها من الآي الواردة في امر النسائك فعطف عليها واما هذه فواقعة مع اجانب من معناها فلم تجد معطفا هم ناسكوه هم عاملون به فلا ينازعنك ساير ارباب الملل في الامر في امر الدين والنسائك لانهم جهال واهل عناد او لان امر دينك اظهر من ان يقبل النزاع وقيل انه نهي لرسول الله عم عن التعرض لمنازعتهم بالمناظرة المؤدية الى نزاعهم فانها انما ينفع طالب الحق وهم اهل مراء وعناد اي لا يلتفت اليهم ولا تمكنهم من ان تتنازعوا وعن منازعتهم كما تقول فلان لا يضارنك فلان اي لا يضاربه البتة وهذا انما يجوز في الفعل الذي بين اثنين وروي انها نزلت في الخزاعيين قالوا للمسلمين ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله يعنون الميتة وقرئ فلا ينزعنك اي اثبت في دينك ثباتا لا يمكنهم ان يزيلوك عنه والمراد زيادة التثبيت بما يهيج حميته ويلهب غضبه لله تعالى ولدينه وقال الزجاج هو من باب المغالبة اي لا يغلبنك في المنازعة من نازعته فنزعته اي غلبته في النزاع وادع الناس الى ربك الى عبادة ربك انك لعلى هدى مستقيم طريق الى الحق سوي وان جادلوك فقل الله اعلم بما تعملون اي ابوا الا المجادلة بعد وضوح امر دينك واجتهادك في ترك النزاع فادفعهم بان الله اعلم بما تعملون من الجدال الباطل والعناد فيجازيكم عليها وهذا وعيد مع رفق الله يحكم يفصل بينكم بثواب المؤمنين وعقاب الكافرين يوم القيمة كما فصل في الدنيا بالآيات والبينات فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين والخطاب عام وفيه تسلية لرسول الله عليه السلام لما يلقى منهم ومن اتمام التسلية تقرير علمه بمضمون ما ذكر بقوله الم تعلم ان الله يعلم ما في السموات والارض من الغيب والشهادة ان ذلك في كتاب هو اللوح المحفوظ كتبه فيه قبل حدوثه وتنكيره لانه ليس من جنس الكتب المتعارفة ولما كان الاثبات في اللوح مظنة الحاجة في الحفظ الى الكتبة دفعه بقوله ان ذلك اي الاحاطة به واثباته في اللوح على الله يسير لعدم الحاجة الى الالة فان علمه تعالى بذاته فلا يخفى عليه شيء فلا يهمنك امرهم ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به

سلطانا وما ليس لهم به علم ما لم يتمسكوا في جواز عبادته ببرهان نازل بالوحي من عند الله ولا بعلم ضروري او نظري اي ليس لهم في ذلك مستند لا من جهة النقل ولا من جهة العقل وانما قدم الوجه النقلي لانه الاصل في امر العبادة وفي العبارة عنه بما ذكر اشارة الى انه مع انقسامه الى اربعة اقسام مذكورة في علم الاصول مرجعه الى الوحي واعادة عبارة ما مع عدم الحاجة اليها في افادة المعنى المذكور كاعادتها في قوله ما لا يضره وما لا ينفعه وما للظالمين وما للذين ظلموا بهذا الظلم الشنيع من نصير يغنيهم بدفع العذاب عنهم ووضع الظاهر موضع المضمر للتسجيل على المشركين بالظلم واذا تتلى عليهم آياتنا من القرآن بينات واضحات الدلالة على العقايد الحقة تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر اي تنظر فيها ظهور ابتهاج صدر كل من يراه المنكر الانكار لفرط تكبرهم للحق وغيظهم لاباطيل اخذوها تقليدا وهذا منتهى الجهالة وان اشعار بذلك وضع الذين كفروا موضع الضمير والامر المنكر الفظيع من اثار وما يقصدونه من الشر يكادون يسطون السطو الوثب والبطش بالذين يتلون عليهم آياتنا النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم قل افانبئكم بشر من ذلكم من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم او مما اصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما تلي عليكم النار خبر مبتدا محذوف كان قايلا قال ما هو فقيل النار اي هو النار او مبتدا خبره وعدها الله الذين كفروا وقرئ بالنصب على الاختصاص وبالجر على البدل من شر وعلى هذين الوجهين يحتمل ان يكون الجملة حالا بضمار قد وان يكون استينافا كما اذا وقعت خبرا وبئس المصير النار يا ايها الناس ضرب مثل بين لكم حالة غريبة سميت على سبيل الاستعارة لان الامثال انما تسير لكونها مستغربة فاستمعوا له للمثل استماع تدبر وتفكر فلهذا نودي الناس لها واكد غرابتها بقوله فاستمعوا له وبينه ان الذين تدعون وقرئ مبنيا للمفعول من دون الله الهة يعني الاصنام لن يخلقوا ذبابا من الذب لانه يذب سمي ذبابا لانه كلما ذب لاستقذاره آب لاستكباره وتخصيصه لمهانته وضعفه وتاكيد النفي بلن للدلالة على ان خلق الذباب منهم كانه قال محال ان يخلقوه ولو اجتمعوا له وجوابه المقدر المدلول عليه بالمذكور في موضع الحال جئ بها للمبالغة اي لا يقدرون على خلقه مجتمعين له متعاونين عليه فكيف اذا كانوا منفردين وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه اي هذا الخلق الاقل الاذل لو اختطف منهم شيئا فاجتمعوا على ان يستخلصوه منه لم يقدروا عليه عن ابن عباس رض انهم كانوا يطلونها بالزعفران ورؤسها بالعسل فاذا سلبه الذباب عجزت الاصنام عن اخذه والظاهر ان المراد جعل الصناع خلقهم ذبابا وانتفاء استنقاذهم منه عند سلبه شيئا منهم مثلا لانتفاء قدرتهم المستلزم لانتفاء الالوهية التي تستلزم الاقتدار على جميع المقدورات ويستحق بها العبادة فان ما لا يقدر على خلق احقر شيء بل على الاستنقاذ منه كيف يستحق ان يعبد عبادة من له كمال القدرة على ايجاد كل شيء وللتسخير وهذا غاية في تجهيلهم واشراكهم

عقولهم ضعف الطالب والمطلوب الصنم الطالب للاستنقاذ والذباب المطلوب أن يستنقذ منه ولعل هذا التذييل لإيهام التسوية وتحقيق أن الطالب يعني الصنم أضعف لأنه قدّم عليه أن هذا الخلق الأذل هو السالب وذلك طالب خائب عن طلبه وعلى إجرائهم مجرى العقلاء بإثبات الطلب لهم وبيّن أنهم أضعف من أذل الحيوان فقد نبّه على مكان التهكم في ذلك ما قدروا الله حق قدره ما عرفوه حق معرفته حيث أشركوا به وسمّوا باسمه ما هو أبعد الأشياء عنه مناسبة وأوغل في الاتصاف بأضداد صفاته إن الله لقوي قادر على خلق الممكنات كلها عزيز غالب على كل شيء ولا يغلبه شيء فكيف يشترك به شيء يسمّى أحقر الأشياء وأعجزها وأذلها ولما قرّر الوحدانية ونفى إلهية الأنداد أراد أن ينفي عنها ما يدعون لها من التوسل بها إلى الله تعالى والتقرب إليه بتوسطها فقال الله يصطفي يختار من الملائكة رسلا يتوسطون بينه وبين الأنبياء عليهم السلام بالوحي ومن الناس رسلا يبلغون رسالاته إلى من دونهم ويدعونهم إليه ويشفعون لهم فلا وسيلة غير هذين الصنفين ولا تقرب إلى الله بغيرهم ففيه نفي لما ادعوه من قولهم ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى وقولهم الملائكة بنات الله ورد لمذهبهم واعتقادهم أن الرسول لا يكون من البشر إن الله سميع لأقوال الرسل فيما يقبل المقول بصير بأحوال الأمم في الرد والقبول يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ما مضى وما غبر لا يخفى منهم خافية وإلى الله ترجع الأمور وإليه مرجع الأمور كلها لأنه مالكها ومدبرها فلا اعتراض لأحد على حكمه وتدبيره واختيار رسله يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير ترجح في هذه الأوامر من الأخص إلى الأعم فأمر بالصلوة المشتملة على أصناف من القلبيات والقوليات والبدنيات وعبّر عنها بالركوع والسجود لأنهما أعظم أركانها ثم بمطلق العبادات كالصوم والزكوة والحج ثم بسائر الخيرات كصلة الرحم ومكارم الأخلاق والإصلاح بين الناس وأمثالها وقيل كان الناس في أول الإسلام يركعون بلا سجود ويسجدون بلا ركوع فأمروا بالجمع بينهما في الصلوة لعلكم تفلحون أي افعلوا هذا كله وأنتم راجون الفلاح غير مستيقنين به متكلين على أعمالكم وعن عقبة بن عامر رض قال قلت يا رسول الله في سورة الحج سجدتان قال نعم إن لم تسجدهما فلا تقرأهما وعن عبد الله بن عمر رض فضلت سورة الحج بسجدتين وبذلك احتج الشافعي فرأى السجدتين فيها وأبو حنيفة وأصحابه لا يرون فيها إلا سجدة واحدة لأنهم يقولون قرن الركوع بالسجود فدل ذلك على أنها سجدة صلوة لا سجدة تلاوة وجاهدوا في الله في شأنه ومن أجله بالغزو أو بمجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الأكبر لقوله عليه السلام عند رجوعه من غزوة تبوك رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر حق جهاده أصله حق جهاد فيه أي خالصا لوجه الله فأضيف الحق إلى الجهاد للمبالغة كقوله هو حق عالم ثم أضيف الجهاد إلى ضمير الله اتساعا لاختصاصه به من حيث إنه مفعول لأجله وأما للاتساع في الظرف هو اجتباكم اختاركم لدينه

ولنصرته وبناء الفعل على الضمير للاختصاص المفيد لوجوب الجهاد أي هو وحده اجتباكم دون غيره والذي اجتباه الله بنفسه لا بد له من الجهاد الأكبر لاقتضاء حق القرب والولاية والاصطفاء بقيده ووثوقه بحفظه وكلاءته ولإعلاء كلمته وإعزاز دينه ففيه تنبيه على المقتضي للجهاد وفي قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج ضيق بتكليف ما يشتد القيام به عليكم على أنه لا مانع له عنهم ولا عذر لهم في تركه وضمنه الإشارة إلى الرخصة في إغفال بعض ما أمرهم به حيث شق عليهم لقوله عليه السلام إذا أمرتكم بشيء فأتوا به ما استطعتم وقيل ذلك بأن جعل لهم من كل ذنب مخرجا بأن رخص لهم في المضايق وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات في حقوقه والأروش والديات في حقوق العباد فلا ذنب إلا وقد جعل لكم منه مخرجا ويرد عليه أن الحرج لا ينتفي بوجود المخرج في الجملة لما عرفت أنه عبارة عن الضيق لا عن عدم المخلص ملة أبيكم نصب على الاختصاص أي أعني بالدين ملة أبيكم أو على الإغراء أي الزموا ملة أبيكم أو بمضمون ما تقدم على المصدر أي وسع دينكم توسعة ملة أبيكم فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه إبراهيم عطف بيان وإنما جعله أبا لأن كل نبي أبو أمته من حيث الحقيقة وهو كان أبا محمد عليه السلام وأب لأب أو لأن أكثر العرب كانوا من ذريته فغلبوا على غيرهم هو أي الله سماكم المسلمين من قبل من قبل القرآن في الكتب المتقدمة وفي هذا أي في القرآن وقيل الضمير لإبراهيم عليه السلام وهو وإن لم يسمهم فيه المسلمين لكن سموا به بسبب تسميته أباهم مسلمين من قبل في قوله ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وقوله في هذا تقديره وفي هذا بيان تسميته إياكم مسلمين ويشهد للأول قراءة أبي رض سماكم أي هو فضلكم بالاجتباء وسماكم بهذا الاسم الأكرم ليكون الرسول يوم القيمة متعلق بسماكم أو باجتباكم شهيدا عليكم بأنه بلغكم أو بعصيان من عصى وطاعة من أطاع وتكونوا شهداء على الناس بأن الرسل قد بلغتهم فأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة أي وإذ قد خصكم بهذه الكرامة والشرف فاعبدوه وتقربوا إليه بأنواع الطاعات واعتصموا بالله وثقوا به في مجامع أموركم هو مولاكم فلا تطلبوا النصر والولاية إلا منه فنعم المولى ونعم النصير حيث لا يمنعكم رزقكم بعصيانكم ويعينكم على جلب المسار ويدفع عنكم المضار

قد أفلح المؤمنون قد تثبت المتوقع كما أن لما تنفيه وإذا دخلت على الماضي دلت على ثباته والفلاح الظفر بالمطلوب والنجاة من المرهوب أي فازوا بما طلبوا ونجوا عما هربوا وأفلح دخل في الفلاح كأبشر دخل في البشارة ويقال أفلحه إذا أوصله إلى الفلاح وعليه قراءة قد أفلح على البناء للمفعول وقرئ قد افلح بإلقاء حركة الهمزة على الدال وحذفها وقرئ قد أفلحوا على الإبهام والتفسير أو على لغة أكلوني البراغيث وأفلح بضمة اكتفاء بها عن الواو ولما كان المؤمنون متوقعين بمثل هذه البشارة

من فضل الله سبشروا بما دل على ثبوت ما توقعوا والمومن في اللغة المصدق واما في الشريعة
فقد اختلف فيه على اقوال قد سبق تفصيلها في سورة البقرة الذين هم في صلوتهم خاشعون
الخشوع في الصلوة خشية القلب مع التواضع والباد البصر موضع السجود روى انه
عليه السلام كان يصلي رافعا بصره الى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده والذين هم
عن اللغو معرضون لما بهم من الجد ما شغلهم عنه اللغو ما لا يعنيك من قول او فعل
كالهزل واللعب وكل ما توجب المودة الفاسدة لما ذكر الخشوع اتبعه الاعراض عن
اللغو ليجمع بين فعل ما ينبغي ان يفعل وترك ما ينبغي ان يترك وهما الاصلان اللذان
عليهما مدار التكليف وبالغ في اوصافهم بان بايراد الصلات جملا اسمية وتقديم
صلة الاعراض والتعبير بالاسم دون الفعل وايراد الاعراض مكان الترك لان اصله
ان يكون في عرض غير عرضه ليدل على التجنب والبعد عنه بالكلية مباشرة وتسببا وميلا
وحضورا والتعبير عنه بالاسم دون الفعل وكذلك قوله والذين هم للزكوة اي للتزكية
فاعلون لان الفاعل لا يفعل الا الحدث الذي هو المصدر ولهذا سمي الفعل المطلق
ويمكن ان يفسر بالعين وبتقدير مضاف اي لاداء الزكوة وانما لم يقل مؤدون لان في زيادة
فاعلون دلالة على المداومة والذين هم لفروجهم الفرج يشتمل على سوءة الرجل و
المراة حافظون من قولهم حفظ على عنان فرسي بمعنى امسك ولا بد فيه من تضمين
معنى النفي ليصح الاستثناء اي يمسكون لا يطلعونها على احد الا على ازواجهم او حال اي
دائبين على ازواجهم او قوامين عليهن والمعنى حافظون في كل حال الا في حال ولايتهم
على ازواجهم او متعلق بمحذوف دل عليه فانهم غير ملومين اي يلامون على كل مباشر
الا على ما اطلق لهم فانهم غير ملومين عليه او ما ملكت ايمانهم اي اماؤهم ولم يقل من اجراء
للمماليك مجرى غير العقلاء اذ الملك اصل في غيرهم والحرية فيهم لان الاناث لنقصان
عقلهن من جنس غيرهم وانما قال ما ملكت ايمانهم ولم يقل ما ملكوا اظهارا لملك اليمين
في مقابلة ملك المتعة الظاهر من قرينه واشعارا باختصاص سببه حل الوطي في الملكين المذكورين
لا بتعديهما الى ملك الرقبة فانها اذا خلت عن ملك اليمين كما في المكاتبة لا يوجد الحل المذكور
فانهم غير ملومين الضمير لحافظون او لمن دل عليه الاستثناء اي فان اطلقوها على الازواج
او الاماء فانهم غير ملومين على ذلك فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون جعل المستثنى
حدا اوجب الوقوف عنده وحذف مفعول الابتغاء للتعميم وجاء باسم الاشارة اي فاولئك
المبتغون ووسط الضمير وعرف العادون اي من احدث ابتغاء وراء ذلك الحد بعد هذه
التسمية والاشاعة فيه فاولئك هم الكاملون في العدوان المتناهون فيه كل ذلك مبالغة
في التحذير عن الزنا وافرده بالذكر بعد تعميم قوله والذين هم عن اللغو معرضون لان

المباشرة اشهى الملاهي الى النفس واعظمها خطرا والذين هم لاماناتهم وعهدهم
قيل لما يؤتمنون عليه ويعاهدون عليه من جهة الحق او الخلق وفيه انه لا حاجة الى الصرف
عن الظاهر فان العهد وكذا الامانة مما يراعى راعون الراعي القائم على الشيء بالحفظ
والاصلاح كراعي الغنم والرعية وقرئ لامانتهم على الافراد لانها في الاصل مصدر اولا
من الالباس والذين هم على صلاتهم يحافظون يواظبون عليها ويؤدونها في اوقاتها
وجاء بلفظ الفعل هنا لما فيها من التجدد والتكرار والفعل المضارع في الجملة الاسمية يدل
على دوام التجدد وقرئ بلفظ الجمع هنا ليفيد المواظبة على اعدادها وانواعها و لم
يقر به فيما سبق لان الكلام هناك في الخشوع وهو مطلوب في جنس الصلوة وفي بدء
الاوصاف وختمها بذكرها تعظيم لشانها واعلاء لقدرها اولئك الجامعون لهذه الصفات
هم الوارثون الاحقاء بان يسموا وراثا دون غيرهم الذين يرثون الفردوس اي
يصلون اليه والى ما فيه من النعيم المقيم بلا تعب الكسب ويبقى في يديهم فان الوراثة اقوى
سبب للتملك حيث لا يعقب بفسخ ولا استرجاع ولا يبطل برد ولا اسقاط والفردوس
هو البستان الواسع الجامع لاصناف الثمرات وفي اطلاق الوارثين وتقييدهم وما
تري من التفخيم لما يرثونه وتعظيمه واستعارة الوراثة وايراد اسم الاشارة اشعار
بانهم استحقوا ذلك الخطب الجليل من تلك الاعمال والصفات لا بسببها له بل بمقتضى وعده
له وهذا القدر يكفي في التحريض عليها هم فيها خالدون انث الضمير على تاويل الجنة او الطبقة
فانها وسط الجنان واعلاها طبقة ومن هنا تبين ان ما قيل انهم يرثون من الكفار
منازلهم فيها حيث لو فاتوها على انفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان منزلا في الجنة ومنزلا
في النار لا يناسب المقام ولقد خلقنا الانسان من سلالة السلالة صفوة الشيء التي تخرج
منه كانها تسل منه كالصفاوة وفعالة بناء بمعمول فيه معنى القلة كالقلامة والقمامة
والسلاقة ومن هنا للابتداء متعلقة بخلقنا وفي قوله من طين للبيان صفة لسلالة اي
سلالة من طين والانسان ادم عليه السلام ثم جعلناه ثم جعلنا نسله على حذف المضاف لقوله
تعالى وبدا خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين او الجنس لانه
لما خلق اول فرد منه من سلالة من طين وساير افراده خلقوا من ذلك الفرد كان الجنس
مخلوقا من سلالة من طين او ما قيل المراد بالطين ادم عليه السلام لانه خلق منه والسلالة
نطفته فلا وجه له لما فيه من اخراجه عليه السلام من الجنس المذكور حيث جعل مخلوقا من
نطفة بان خلقناه منها في قرار مكين مستقر حصين يعني الرحم سمي المستقر بالقرار مبالغة
كانه نفس القرار ووصف بالمكانة التي هي صفة المستقر فيه على الاسناد المجازي تنبيها على
المبالغة ثم خلقنا النطفة علقة بان احلنا النطفة البيضاء علقة حمراء بتدريج بعد

زمان خلقنا العلقة مضغة فصيرناها قطعة لحم فخلقنا المضغة عظاما بان صلبناها
فكسونا العظام لحما فانبتنا عليها لحما فصار لها كاللباس وقرئ عظما وضعا للواحد
موضع الجمع لعدم اللبس واختلاف العواطف لاختلاف الاستحالات والتكونات في التراخي
وعدمه فثم لاستحالة الزمانية والفاء للتكون الآني الاثم في قوله ثم انشاناه فانها مستعار
لما بين الخلقين من التفاوت خلقا آخر التنكير للتنويع اى نوعا آخر من الخلق مباينا للخلق الاول
بنفخ الروح فيه وجعله حيوانا مباينة ما بعدها اذ كان جمادا فجعله حيا سميعا بصيرا و
اعطاء ظاهره وباطنه في كل واحد منها عجائب حكمه وغرائب صنعه ولطائف قوة لا يفي بها
وصف واصف ولا يبلغها شرح شارح واحتج به ابو حنيفة على ان من غصب بيضة فافرخت
عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق آخر فتبارك الله فتعالى شانه في قدرته وحكمته
احسن الخالقين بدل وخبر مبتداء محذوف وليس بصفة لانه نكرة وان اضيف لان المضاف
اليه عوض من من المقدر بين تقدير الحذف لمميز لدلالة الخالقين عليه روى ان عبد
الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله عليه السلام فنطق بذلك قبل املائه
فقال له رسول الله عليه السلام اكتب هذا نزلت فقال عبد الله ان كان محمد نبيا يوحى اليه
فانا نبي يوحى الي فلحق بمكة كافرا ثم اسلم يوم الفتح وهذه الرواية غير صحيحة لان السورة
مكية وارتداده كان بالمدينة على ما اعترف به الراوي ثم انكم بعد ذلك لميتون لصائرون
الى الموت لا محالة ولذلك ذكر النعت الذي للثبوت دون اسم الفاعل وقد قرئ به ثم انكم
يوم القيمة تبعثون للمحاسبة والجزاء ومعنى التراخي قد علم من الطرف فايراد ذاته ليس
لافادته بل لابقاء حق البلاغة ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق سموات لان بعضها طورق
فوق بعض مطارقة النعل وكل شيء فوقه مثله فهو طريقه وانما العرش والكرسي فليسا من
الطرائق لعدم المماثلة بينهما وبينها وما كنا عن الخلق وما كنا عنها وعن حفظها وامساكها
ان تقع عليكم غافلين وفي التعبير عنها بالخلق فضل مبالغة في تعظيم شانها وزيادة كنا
لاستمرار النفي وانزلنا من السماء ماء بقدر بتقدير يقتضيه الحكمة او بمقدار ما علمنا من
صلاحهم فاسكناه في الارض فجعلناه ثابتا مستقرا في الارض انهارا وينابيع وانا
على ذهاب به على ازالته بالافساد او التصعيد او التعميق بحيث يتعذر استنباطه لقادرون
كما قدرنا على انزاله وفي تنكير ذهاب ايماء الى كثرة طرقه وانواعه ومبالغة في الايعاد
وتعديته بالباء تاكيد له دال على ذهاب هو معه بمنعه من الظهور ليس في الاذهاب ذلك
وهو في غاية البلاغة وزعموا انه ليس في قوله ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء
معين هذه المبالغة والبلاغة وليس الامر كما زعموا على ما تقف عليه في موضعه باذن
الله تعالى فانشأنا لكم به بالماء جنات من نخيل واعناب لكم فيها في الجنة فواكه كثيرة

من غير الجنس المذكورين تتفكهون بها ومنها ومن الجنات ثمارها وزروعها تاكلون
تغذيا او ترزقون وتحصلون معايشكم من قولهم فلان ياكل من حرفته ويجوز ان يكون المراد
لكم في النخيل والاعناب انواع من الفواكه كالرطب والعنب والتمر والزبيب والبسر والحصرم
والدبس والعصير والدبس وغير ذلك ومنها طعام تاكلونه وشجرة عطف على جنات
وقرئت بالرفع على الابتداء ومما انشأناكم به شجرة تخرج من طور سيناء جبل موسى
عليه السلام اما اسم مركب من مضاف ومضاف اليه كامرئ القيس واما اسم مضاف الى
بقعة اسمها سينا فمن كسر سين سيناء منعه الصرف للتعريف والعجمة او التانيث على
تاويل البقعة لا للالف لان الف فعلاء ليست للتانيث فانه فيعال كديماس من السنا
بالمد وهو الرفعة او بالقصر وهو النور او ملحق بفعلال من السين كعلباء وحرباء و
من فتح السين منعه لالف التانيث كصحراء تنبت بالدهن في موضع الحال اى تنبت ملتبسة
بالدهن ويجوز ان يكون الباء للتعدية كما في قولك ذهبت بزيد ويؤيده قراءة ابن مسعود
ده تخرج الدهن وصبغ الآكلين وقرئ تنبت من الانبات وهو اما من انبت بمعنى نبت
واصله دخل في النبات واما حذف مفعوله اى تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن وقرئ
على البناء للمفعول وهو كالاول وصبغ للآكلين معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف
احد وصفي الشيء على الآخر اى تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه
وكونه اداما يصبغ فيه الخبز اى يغمس فيه للائتدام وقرئ وصباغ كدماغ في دباغ وانما خص
الانواع الثلاثة بالذكر من بين الثمار لانها اكرم الشجر وافضلها واجمعها للمنافع فان النخل
والعنب يجمعان التفكه والتغذي والزيتون يجمع الاصطباح والاصطباغ وان لكم في الانعام
لعبرة تعتبرون بها وتستدلون بها نسقيكم مما في بطونها من الالبان على ما نص عليه في
سورة النحل استئناف لبيان العبرة ولكم فيها منافع كثيرة سوى الالبان ومنها تاكلون
فتنتفعون باعيانها وعليها في البر وعلى الفلك لانها سفائن في البحر تحملون في اسفاركم
وقد غلب استعمال الانعام في الابل ولذلك قرنت بالفلك لانها سفائن البر ولقد ارسلنا
نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله قصته وسائر القصص مسوقة لبيان كفران الناس
النعم المتلاحقة حتى ابتلوا بزوالها ما لكم من اله معبود غيره بالرفع على المحل و
بالجر على اللفظ والجملة استئناف تجري مجرى التعليل للامر بالعبادة افلا تتقون افلا
تخافون ان يزيل عنكم نعمه ويهلككم ويعذبكم برفضكم عبادته بعبادة غيره وكفرانكم نعمه
التي لا تحصونها والهمزة الداخلة على الفاء لانكار التعقيب بل لتعقيب الانكار فقال الملاء الاشراف
الذين كفروا من قومه قد سبق في تفسير سورة الاعراف وجه توصيف الملاء بهذا الوصف
ما هذا الا بشر مثلكم كناية على زعمهم عن نفي الرسالة عنه يريد ان يتفضل عليكم ان يطلب

الفضل ويترفع عليكم بالرياسة ولو شاء الله ان يرسل رسولا لانزل ملائكة رسلا
ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين بكون البشر رسلا او بنوح وبنبوته او بما يأمرهم
من تخصيص الله تعالى بالعبادة ونفي كل من دونه من الالهة اي بمثل هذا الكلام وذلك
لكونهم من فترة متطاولة او لفساد دهم وانهماكهم في الغي فتكذبوا في ذلك لان
يدفعوا الحق بما امكنهم ولذلك جننوه حيث قالوا ان هو الا رجل به جنة مع علمهم
انه ارجح الناس عقلا والجنة الجنون فتربصوا به فانتظروا واصبروا عليه حتى حين اي هو مجنون
فلا تعجلوا في عقوبته بل دعوه الى مدة فاما ان يموت او يرجع عن هذا او تفعلون
به ما شئتم قال رب انصرني عليهم باهلاكهم او بانجاز ما وعدتهم من العذاب بما
كذبون بسبب تكذيبهم اياي او بدل تكذيبهم اياي فاوحينا اليه اي اجبنا
دعاءه فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا مبالغة في الحفظ كان معه من الله حفاظا
يحفظونه بعيونهم لئلا يفسد عليه مفسد عمله ووحينا وامرنا وتعليمنا كيف تصنع
فاذا جاء امرنا عذابنا والمراد من مجيئه ظهور طليعته وهو فوران الماء من التنور
كما قال وفار التنور مبالغة اخرج سبب الغرق من موضع الحرق ليكون ابلغ
في الانذار والاعتبار روي انه قيل لنوح عليه السلام اذا رأيت الماء يفور من
التنور فاركب انت ومن معك في السفينة فلما نبع من التنور اخبرته امرأته
فركب فاسلك فيها سلك يجيء لازما ومتعديا وجاء اسلكه بالنقل من اللازم من كل
بالتنوين اي من كل امة زوجين اثنين تأكيد وبالاضافة اي من كل امتي الذكر
والانثى واحدين من زوجين واهلك اي اهل بيتك ومن امن معك الا من سبق
عليه القول اي القول من الله تعالى بهلاكه لكفره وانما جيء بعلى لان السابق ضار
كما جيء باللام حيث كان نافعا في قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى منهم
اي من اهلك وهذا يأبى من تخصيص تفسيره بمن امن ولا تخاطبني في الذين
ظلموا وهذا النهي عن الدعاء لهم بالانجاء على ابلغ وجه ومن حق الخطاب بالدعاء
فقد اخل بحق البلاغة جعل النهي عن الدعاء معللا بالظلم فلذلك وضع الموصول
مع الصلة موضع الضمير لم يقل ولا تخاطبني فيهم ايماء الى العلة وبما لوح الى ان
الحكمة تقتضي هلاك الظالم استانف قوله انهم مغرقون بالتأكيد اي لا محالة لظلمهم
بالاشراك والمعاصي ثم بالغ في ذلك بامره بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم عقب
النهي عن الدعاء فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فاذا تمكنتم عليها راكبين
فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين امره بالحمد على نجاته ونجاة من معه
اشارة الى ان نجاة اتباعه ايضا نعمة جليلة في حقه وامتنانا بها ايضا فلو قال

افحولوا لم يحمل هذا المعنى وايضا كبرياء الربوبية يقتضي ان لا يترقى الى خطاب
حضرتها الا نبي مثله وان كلامه يغني عن كلامهم ولا يناسب حال الاجادة الا مثله
وقل رب لما نهاه عن الدعاء لانجائهم امره بدعاء هو اهم له وانفع وهو ان
ينزل منزلا مباركا انزلني في الارض من السفينة لا في السفينة لانه عبر عنه سابقا
بعبارة تدل على الصعود وقد حصل النزاع عنه وعن اظهار الامتنان بما يترتب
عليه من نعمة النجاة منزلا مباركا يبارك لي فيه ويتسبب لزيادة خير الدارين
وقرئ منزلا بمعنى انزالا وموضع انزال وانت خير المنزلين ثناء مطابق لمسئلة
امره بان يشفعه به مبالغة فيها وتوسلا به الى الاجابة انما امره بالقولين المذكورين
لا بالحمد والدعاء تعليما لطريقتهما واظهارا لفضيلة الحمد والدعاء بالعبارتين المذكورتين
ان في ذلك فيما فعل بنوح وقومه لايات يستدل بها ويعتبر اولو الاستبصار و
الاعتبار وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية و
المعنى وان الشان والقصة كنا لمبتلين لمختبرين بهذه الايات عبادنا لننظر
من يعتبر ويتذكر لقوله ولقد تركناها اية فهل من مدكر وقيل لمصيبين قوم
نوح ببلاء عظيم وليس في الاخبارية كثير فائدة ثم انشأنا من بعدهم قرنا
اخرين عادا قوم هود عليه السلام لقوله واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد
قوم نوح فانه قول هود لا قول صالح عليه السلام ومجيء قصة هود على اثر قصة
نوح عليهما السلام في سورة الاعراف وهود والشعراء فارسلنا فيهم اي
بين اظهرهم وفي زمرتهم ولم يأتهم من موضع آخر رسولا التنكير للتعظيم
منهم من قبيلتهم ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان مفسرة لارسلنا اي قلنا
لهم على لسان الرسول اعبدوا الله افلا تتقون عذابه وادخال الهمزة على الفاء
لانكار عدم التقوى بعد العلم بانه لا اله لهم غيره وفيه تنزيل لهم منزلة العالم
به لتمكنهم من العلم وتنبيه على ظهور الدلائل على ذلك وقال الملأ من قومه الذين
كفروا لما تضمن ارسلنا معنى القول عطف عليه قولهم بالواو اي اجتمع في الحصول
ذلك القول الحق وهذا الباطل وكذبوا بلقاء الاخرة اي بلقاء ما فيها من الحسنات
والجزاء يعني بالبعث واترفناهم ونعمناهم في الحيوة الدنيا بكثرة الاموال والاولاد
ما هذا الا بشر مثلكم في الصفة والحال يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون تقرير
للمماثلة ولذلك ترك في قصة نوح عليه السلام لترك قيد المماثلة وما خبرية وحذف
العائد الى الثاني لدلالة ما قبله عليه وشاع حذف المنصوب اي تشربونه ولئن
اطعتم بشرا مثلكم فيما يأمركم به وينهاكم عنه انكم اذا واقع في جزاء الشرط وجواب للذين

قالوه بعضهم من قومهم لخاسرون بالانقياد لمثلكم ومن حمقهم انهم ابوا اتباع مثلهم وعبدوا
اعجز منهم ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما لما كان كونه ترابا معلوما بطريق العقل
وكونهم عظاما مشاهدا معلوما بطريق الحس كان الثاني اشد وقعا في الاستبعاد عند العامة
فلذلك اخره بل نقول لولا مشاهدة العظام لكان الوهم يعارض العقل في كونه ترابا فهو كالمتمم
للاول ولذلك تراه يذكر مؤخرا في جميع المواضع انكم مخرجون من العدم الى الوجود تارة اخرى
وثنى انكم للتوكيد وحسن ذلك لطول الفصل بين الاول والثاني ومخرجون خبر عن الاول
واذا المتجرد الظرفية او محذوف الجواب لدلالة ان مع اسمها وخبرها عليه او انكم مخرجون خبره
الظرف والجملة خبر ان الاول اى انكم اخراجكم اذا متم او مرفوع بفعل مقدر هو جواب الشرط
والشرطية خبر اى انكم اذا متم وقع اخراجكم هيهات هيهات من اسماء الافعال واقع موقع
بعد وفاعلها مضمر اى بعد التصديق او الوقوع واللام لما توعدون للبيان كما في هيت لك كانهم
لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل فما الذي له الاستبعاد قالوا لما توعدون او فاعلها ما
توعدون واللام زائدة اى بعد ما توعدون من البعث وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدأ
خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منونا للتنكير وبالضم منونا على انه جمع هيهة وغير منون
تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف وابدال التاء هاء ان هي الا
حياتنا الدنيا اصله ان الحيوة الا حيوتنا الدنيا فوضع موضع الحيوة لدلالة الخبر عليها حذرا
عن التكرير واشعارا بان تعينها مغن عن التصريح كقوله هي النفس ما حملتها تتحمل والمعنى لا
حيوة الا هذه الحيوة لان ان النافية دخلت على هي التي في معنى الجنس فوازنت لا التي تنفي الجنس
نموت ونحيى يموت منا بعض ويولد بعض وما نحن بمبعوثين بعد الموت ان هو ما هو
الا رجل افترى على الله فيما يدعيه من ارساله وفيما يعدنا من البعث والمفتري قد يكون صادقا
في نفسه ويكون الكذب في نسبته الى المفترى عليه فقولهم كذبا لدفع هذا الاحتمال وهذا
غاية الضلال وما نحن له بمؤمنين بمصدقين وتقديم له للحفظ على الفاصلة قال رب
انصرني عليهم وانتقم لي منهم بما كذبون قد سبق تفسيره فاجاب الله دعاءه حيث قال
عما قليل عن يتعلق بيصبحن وما زائدة لتوكيد معنى القلة او بمعنى شيء او زمن وقليل صفته
له وجواب القسم المحذوف ليصبحن نادمين على ما فعلوا اذا عاينوا ما يحل بهم فاخذتهم الصيحة
العقوبة الهائلة او صيحة جبريل عليه السلام لما عرفت ان القصة قصة هود عليه السلام لا قصة
صالح عليه السلام بالحق باستحقاقهم ذلك او بالوجه الثابت الذي لا دافع له او بالعدل من الله او
بالوعد الصدق فجعلناهم غثاء شبههم في دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل مما بلي واسود
من الورق والعيدان وهذا التشبيه يناسب حال قوم هود عليه السلام فبعدا مصدر بعد اذا
هلك وهو من المصادر المنصوبة بافعال لا يستعمل اظهارها واللام في للقوم الظالمين لبيان

من دعي عليه بالبعد ووضع الظاهر موضع الضمير للتعليل ويحتمل الاخبار ثم انشأنا
من بعدهم قرونا اخرين قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم ما تسبق من مزيدة للاستغراق
امة اجلها الوقت الذي يمضي لهلاكها وكيت وما يستاخرون الاجل ثم ارسلنا رسلنا تترى
فعلى والالف للتانيث لان الرسل جماعة وقرئ تترا بالتنوين على انه مصدر بمعنى المتواترة
وقع حالا والتاء بدل من الواو كما في تولج وتيقور اى متواترين واحدا بعد واحد من الوتر
وهو الفرد كلما جاء امة رسولها كذبوه اضاف الرسل مع الارسال الى الرسل ومع المجيء
الى المرسل اليهم لان مبدأ الارسال منه ومنتهى المجيء اليهم فالرسول يلابسهما جميعا فصح انها
اضافته اليهما فاتبعنا بعضهم بعضا فاتبعنا بعض الامم او القرون بعضا في الاهلاك وجعلناهم
احاديث اخبارا يسمر بها ويتعجب منها والاحاديث تكون اسم جمع للحديث ومنه احاديث
الرسول عليه السلام وتكون جمعا للاحدوثة وهي ما يتحدث به تلهيا وتعجبا وهو المراد هنا
فبعدا لقوم سبق تفسيره انما لا يؤمنون به ثم ارسلنا موسى واخاه هارون للاشعار بان
ارساله عليه السلام تعرض لاخوته له ونزل ذلك الوصف منزلة الاصل حيث جعل اسمه بدلا عنه
باياتنا بالايات التسع وسلطان مبين وحجة واضحة تظهر بطلان المخالف ويجوز ان يراد به العصا
وافرادها بالذكر لانها ام المعجزات واولها وتعلقت بها معجزات شتى كما ذكرنا لانها ليست بعضها
لما استبدت به من الفضل ويجوز ان يراد الايات انفسها لانها ايات وحجة بينة الى فرعون وملائه
لاستخلاص بني اسرائيل عن ايديهم على ما افصح عنه في سورة الشعراء حيث قال فاتيا فرعون
فقولا انا رسول رب العالمين ان ارسل معنا بني اسرائيل اى خلهم يذهبوا معنا الى الشام
فاستكبروا عن تقيدهما في الرسالة المذكورة عن الايمان بامرهما لا عن المتابعة لانهما عليهما السلام
يدعاهم اليها دل على ذلك قولهما خلهم يذهبوا معنا الى الشام وكانوا قوما عالين متكبرين
فقالوا انؤمن فننقاد لبشرين مثلنا البشر اسم الجنس كما يطلق على الجمع كقوله فاما ترين
من البشر احدا يطلق على الواحد كقوله بشرا سويا وبهذا الاعتبار مثنى ومثل كغير يوصف به الاثنان
والجمع والمذكر والمؤنث كقوله انكم اذا مثلهم ومن الارض مثلهن ويقال ايضا هما مثلاه
وهم امثالهم وقومهما يعني بني اسرائيل لنا عابدون على الحقيقة لانه كان يدعي الالهية فادعى
للناس العبادة فكذبوهما فكانوا من المهلكين بالغرق ولقد اتينا بعد اهلاكهم موسى الكتاب
التورية لما كان ايتاؤه موسى عليه السلام في حكم ايتائه قومه قال لعلهم يهتدون اى يعملون
بشرائعها ومواعظها فان الاهتداء بالكتب الالهية انما يحصل بالعمل بما فيها لا بعلمها وجعلنا ابن
مريم عبر عنه بكنيته دون اسمه النسب هو الادب فلا يعدل عنه الا عند فقده وامه اية بولادتها
اياه من غير مسيس فهما معا اية واحدة او وجعلنا ابن مريم اية بان تكلم في المهد وظهرت منه
معجزات اخر وامه اية بان ولدت من غير مسيس فحذف الاولى لدلالة الثانية عليها واويناهما

الى ربوة هي الارض المرتفعة قيل هي بيت المقدس وقيل غيره ذات قرار مستقر من ارض منبسطة وقيل ذات ثمار وزروع فان ساكنيها يستقرون فيها لاجلها ومعين الماء
الجاري على وجه الارض مفعول من عانه اذا ادركه بالعين نحو ركبه اذا ضربه بالركبة اي يدرك
بالعين لظهوره فميمه على هذا زائدة او فعيل من معن الماء اذا جرى واصله الابعاد
في الشئ او من الماعون الذي هو المنفعة اي نفاع فميمه اصلية يا ايها الرسل كلوا من الطيبات
هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما لانهم ارسلوا متفرقين في ازمنة مختلفة وانما المعنى الاعلام
بان كل رسول في زمانه نودي لذلك ووصي به ليعتقد السامع ان امرا نودي له جميع الرسل
ووصوا به حقيق ان يؤخذ به ويعمل عليه او هو خطاب لمحمد عليه السلام لاتصال الآية بذكره
وكان يأكل من غزل امه وهو اطيب الطيبات والمراد بالطيبات ما حل والامر للتكليف او ما يستطاب
ويستلذ والامر للترفيه والاباحة ومع الاحتمال لا يتم الاحتجاج به على الرهبانية في رفض الطيبات
بالمعنى الثاني واعملوا صالحا موافقا للشريعة اني بما تعملون عليم فاجازيكم على اعمالكم وان هذه
بالكسر على الاستئناف وبالفتح بمعنى ولان والمعلل فاتقون او هو معطوف على ما قبله اي بما تعملون
عليم وبان هذه او تقديره واعلموا ان هذه وقرئ بالتخفيف امتكم ملتكم وطريقتكم امة واحدة في
اصول الشرائع والمعتقدات او جماعتكم جماعة واحدة متفقة في التوحيد والايمان ونصبها على الحال
وانا ربكم وحدي فاتقون في شق العصا ومخالفة الكلمة فتقطعوا تقطع بمعنى قطع والضمير لما دل
عليه الامة من اربابها او لها امرهم ما امروا به من الشرائع والاحكام بينهم زبرا جمع زبور اي كتبا مختلفة
يعني جعلوا دينهم اديانا وقيل تفرقوا في دينهم كل ينتحل كتابا وعن الحسن قطعوا كتاب الله قطعا
وبؤيده قراءة زبرا بفتح الباء جمع زبرة مستعارة من زبر الحديد ويجوز ان يكون حالا من امرهم
او من الواو كل حزب كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم بما لديهم من الكتاب و
الدين او من الهوى والرأي فرحون معجبون معتقدون انهم على الحق فذرهم في غمرتهم جهالتهم
شبهها في غلبتها عليهم بالماء الذي يغمر القامة لانهم مغمورون فيها او شبهوا باللاعبين في
غمرة الماء لما هم عليه من الباطل حتى حين الى ان يقتلوا او يموتوا تسلي به رسول الله عليه السلام
عن الاستعجال بعذابهم ايحسبون انما نمدهم به اي نعطيهم ونجعله مددا لهم من مال وبنين
بيان لما الاجراء لفائدة غير معاب عليه وانما المعاب عليه اعتقادهم ان ذلك خير لهم فخبره
نسارع لهم في الخيرات والعائد من خبران الى اسمها محذوف اي نسارع لهم به والمعنى ان
هذا الامداد ليس الا استدراجا لهم الى المعاصي وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات
ومعاجلة بالثواب جزاء على حسن صنيعهم ويجوز ان يراد في جزاء الخيرات كما يفعل باهل الخير
من المسلمين بل اضراب عما يحسبونه لا يشعرون اي بل هم اشباه البهائم لا فطنة بهم
ولا شعور حتى يتأملوا ويتفكروا في ذلك فيعلموا انه استدراج لا مسارعة في الخيرات

الذين هم من خشية ربهم الخشية خوف يشوبه التعظيم مشفقون قاضون حق الهيبة
والعظمة على حذر ورقبة والاشفاق خوف مع اعتناء والذين هم بآيات ربهم المنصوبة والمنزلة
يؤمنون يصدقون مدلولها ونزولها من عند الله والذين هم بربهم لا يشركون شركا جليا ولا
خفيا والذين يؤتون ما آتوا يعطون ما اعطوه من الصدقات وقرئ يأتون ما أتوا اي يفعلون
ما فعلوه من الطاعات وقلوبهم وجلة ان لا يقبل منهم وان لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذوا به
والوجل اضطراب النفس لتوقع ما يكره انهم الى ربهم راجعون لان مرجعهم اليه او من ان مرجعهم
اليه وهو يعلم ما يخفى عليهم اولئك يسارعون في الخيرات يرغبون فيها اشد الرغبة فيبادرونها
وهم لها سابقون اي لاجلها فاعلون السبق او سابقون الناس لاجلها او اياها سابقون
اي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا حال من فاعل يسارعون او عطف على اولئك
يسارعون عطف الجملة على الجملة لها صلة سابقون او علته او خبرهم وسابقون خبر بعد
خبر والاحسن طباقا لما تقدم والاشد وفاقا له ان المعنى انهم يسارعون في نيل الخيرات
الدنيوية ويتعجلون في الدنيا المنافع ووجوه الاكرام لانهم اذا سورع بها لهم فقد سارعوا
في نيلها وتعجلوها لقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة لان فيه اثبات ما نفي عن
الكفار للمؤمنين ولا نكلف نفسا الا وسعها قدر طاقتها يريد به التحريض على ما وصف به الصالحين
وتسهيله على النفوس ولدينا كتاب اي ما عملوه غير ضايع بل مثبت في كتاب اي اللوح او صحيفة
الاعمال ينطق بالحق يبين الصدق لا يوجد فيه ما يخالف الواقع وهم لا يظلمون بزيادة
عقاب ونقصان ثواب وتعذيب بهم للملحين فقط على الفاصلة ثم عاد الى ذكر الكافرين بل
قلوبهم في غمرة في غفلة غامرة لها من هذا من الذي وصف به السابقون ولهم اعمال خبيثة من
دون ذلك متجاوزة عما وصفوا به والاشارة بذلك للتعظيم هم لها عاملون معتادون فعلها
حتى اذا اخذنا مترفيهم متنعميهم بالعذاب وهو القتل يوم بدر او الجوع حين دعا عليهم رسول
الله عليه السلام فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم
الله تعالى بالقحط حتى اكلوا الجيف والكلاب والعظام المحترقة والعلهز والاولاد اذا هم يجأرون
الجؤار الصراخ بالاستغاثة اي فاجأوا به وهو جواب الشرط والجملة مبتدأة بعد حتى و
يجوز ان الجواب لا تجأروا اليوم فانه مقدر بالقول اي قيل لهم لا تجأروا انكم منا لا تنصرون
تعليل للنهي اي لا تجأروا فانه لا ينفعكم اذ لا تمنعون منا ولا يلحقكم نصر من جهتنا قد كانت
آياتي يعني القرآن تتلى عليكم اي قد استمر تجدد تلاوته عليكم وقتا بعد وقت فكنتم على اعقابكم
تنكصون تعرضون عنها اي عن سماعها وتصديقها والعمل بها والنكوص على الاعقاب اشنع وجه
ان يرجع القهقرى وهو اقبح مشية لانه لا يرى ما وراءه مستكبرين على المسلمين وبالحرم
من لانهم يفخرون لا يظهر علينا احد لانا اهل الحرم والذي سوغ هذا الاضمار شهرتهم

بالاستكبار بالبيت او بآياتي لانها في معنى كتابي ومعنى استكبارهم به تكذيبهم به استكبارا
على التضمين او مستكبرين بسببه اى اذا تلى عليكم حدث بسببه استكباركم او يتعلق
الباء بقوله سامرا اى تسمرون بذكر القران وبالطعن فيه وذلك انهم كانوا يجتمعون حول
البيت يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القران وتسميته سحرا وشعرا والسامر كالحاضر
في الاطلاق على الجمع او بقوله تهجرون وهو من الهجر بالفتح الهذيان وبالضم الفحش وقرئ
تهجرون من اهجر في منطقه اذا افحش ومن هجر الذي هو مبالغة في هجر اذا هذى اى تعرضون
عن القران وتهذون في شانه او تفحشون افلم يدبروا القول القران ليعلموا عند تدبره
انه الحق المبين فيصدقوا به وبمن جاء به او ليخافوا عند تامله ان يصيبهم مثل ما نزل بمن قبلهم
من المكذبين من المكذبين والهمزة للتعجيب والتوبيخ اى ابعد وضوح اياتي المتلوة عليهم لم
يتدبروه وام في قوله ام جاءهم ما لم يات اباءهم الاولين منقطعة اى عدم تدبرهم
وجاءهم ما لم يات اباءهم الاقدمين من كتاب او رسول وامن من عذاب الله تعالى
فلم يخافوا كما خاف اباؤهم الاقدمون كاسمعيل عم واعقابه فالهمزة هذه للانكار
ويجوز ان يكون المراد بالاولين الذين مضوا ممن سبقوهم من الاقربين الذين قلدوهم
فيكون الهمزة للتقرير ايضا ام لم يعرفوا رسولهم اضراب عما ذكر وانكار لعدم
معرفتهم اياه لانهم عرفوه بالامانة والصدق وحسن الخلق وكمال العلم مع عدم التعلم
المعتبر ذلك مما هو صفة الانبياء فهم له منكرون تفريع على عدم معرفتهم اياه فيدخل
تحت الاضراب والانكار ولا وجه لما قيل لاحد هذه الوجوه لان الاتي بعده من جملة
الوجوه فلا وجه للفصل بينها بما ذكر ام يقولون به جنة اضراب وانكار ايضا لقولهم
به جنة لانهم كانوا يعلمون انه ارجحهم عقلا واتقنهم رايا واصوبهم نظرا ويجوز
ان يكون الهمزة للاستفهام وام هي المتصلة ويكون الكلام على طريق المجادلة بالتي
هي احسن اى اى هذه الامور كائن كما يقول المناظر ان الامر لا يخلو من احد هذه
الاقسام لكن الاقسام كلها باطلة الا القسم الاول وهو عدم التدبر وعبر عنه بقوله
بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون لمخالفته اهواءهم فلذلك لم يتدبروه
وانما قيد الحكم بالاكثر لانه كان منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه
او لقلة فطنته ولعدم فكرته لا كراهة الحق ولو اتبع الحق على سبيل الفرض والتقدير
كما يفرض المحالات اهواءهم في الشرك بان كان في الوجود الهة شتى لفسدت
السموات والارض كما سبق تقريره في تفسير قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله
لفسدتا او لو اتبع الحق الذي قام به السموات والارض اهواءهم لانقلب باطلا
ولذهب ما قام به العالم فلا يبقى شيء منه او لو اتبع الحق الذي جاء به محمد وهو الاسلام

اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله تعالى بالقيامة واهلك العالم من فرط غضبه ولو يؤخر
واما ما قيل معناه ولو كان الله الها يتبع اهواءهم ويامر بالشرك والمعاصي لما كان الها
ولكن شيطانا ففيه ما لا يخفى من جراءة على الله تعالى وسوء ادب فافحش ومن فيهن خص
العقلاء تنبيها على ان وجود الغير تبع لهم بل اتيناهم بذكرهم بالكتاب الذي هو ذكرهم
اى وعظهم او صيتهم وفخرهم او بالذكر الذي كانوا يتمنونه بقولهم لو ان عندنا ذكرا
من الاولين فهم عن ذكرهم معرضون لا يلتفتون اليه وانما اعاد الذكر باسمه تفخيما وام
في ام تسالهم منقطعة خرجا وقرئ خراجا والخرج ما تخرجه الى الامام من زكوة ارضك
والى كل عامل من اجرته وجعله وقيل والخرج ما لزمك اداؤه والوجه ان الخرج اخص من الخراج
لقولك خراج القرية وخرج الكردة زادوا اللفظ لزيادة المعنى ولذا حسنت القراءة الاولى في
يعني ام تسالهم على هداك لهم قليلا من عطاء الخلق فخراج ربك فالكثير من عطاء الخالق
خير فهو مندوح لك عن عطائهم وهو خير الرازقين تقرير لخيرية خراجه وانك لتدعوهم الى
صراط مستقيم قد سبق تفسيره في الفاتحة والتنكير هنا للتعظيم ولما الزمهم الحجة وازاح
العلة لحصر الاقسام التي يقتضي الانكار والاتهام وبين انتفاءها الا عدم التدبر وكراهتهم
الحق لمخالفته اهواءهم واقام الدليل على امتناع موافقته لما هم عليه من التقليد واتباع
الهوى لما يلزم ذلك من الفساد والكل ثبت ان ما عليه هو الصراط المستقيم الذي يبتغى استقامته
بشهادة العقول السليمة والفطرة الصادقة وانه يدعوهم اليه وانهم لكفرهم عن الصراط
المذكور لعادلون وانما عدل في قوله وان الذين لا يؤمنون بالاخرة عن الصراط لناكبون
عن الضمير الى الموصول للتنصيص على علة عدولهم وليكون كالبرهان على عدولهم لدخولهم
في الموصول دخولا اوليا ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر يعني القحط للجوا لتمادوا
في طغيانهم في افراطهم في الكفر والاستكبار عن الحق وعداوة الرسول عليه السلام و
المؤمنين يعمهون اى لعادوا الى ما كانوا عليه من اللجاج في الطغيان ولذهب عنهم هذا
الابلاس والتملق بين يديه يسترحمونه عمهين عن الهدى ثم استشهد على ذلك بقوله
ولقد اخذناهم بالعذاب اى القتل والاسر يوم بدر فما استكانوا لربهم وما يتضرعون
فما خضعوا او ما تذللوا ولم يوجد منهم تضرع استكان استفعل من الكون لان المتذلل
انتقل من كون الى كون كالمستحيل المنتقل من حال الى حال او افتعل من السكون اشبعت فتحته
حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد باب الجوع الذي هو اشد من القتل والاسر اذا
هم فيه مبلسون الابلاس اياس من كل خير وقيل السكوت مع التحير اى فابلسوا ساعتئذ
وخضعت رقابهم حتى جاء اعتاهم يستعطفك روي انه لما اسلم ثمامة بن اثال الحنفي ولحق
باليمامة ومنع الميرة من اهل مكة واخذهم الله تعالى بالسنين حتى اكلوا العلهز جاء ابو سفيان

رسول الله عليه السلام فقال له أنشدك الله والرحم ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين
فقال بلى قال قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع فنزلت وهذا صريح في أنها مدنية
فلا بد من الاستثناء من قولهم إن السورة مكية وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار
والأفئدة قليلا ما تشكرون قليلا نصب على المصدر وما زائدة للتوكيد بمعنى حقا أي تشكرا
قليلا تشكرون حقا وإنما خص السمع والأبصار والأفئدة بالذكر في مقام الامتنان لأنها
أصول المدركات المنتفع بها في المنافع الدينية والدنيوية ولا يمكن الاستكمال إلا بها فإنه
موقوف على الاعتبار والاستماع والإبصار بالنظر والاستدلال فهي أصول النعم
الموجبة للشكر ولما كان العمدة في الشكر استعمالها فيما خلقت لأجله وعقد منها الإقرار
بواجبها ومنشئها قال وهو الذي ذرأكم في الأرض خلقكم وبثكم فيها بالتناسل وإليه
تحشرون تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل و
النهار قد سبق تفسيره أي هو المختص بإعزازكم بإنشاء الجوارح المذكورة وإنشائكم
والمختص بالإحياء والإماتة وله خاصة اختلاف الليل والنهار وهو متوليه لا يقدر على
تصريفها غيره والاختصاص مستفاد من تقديم الضمير والظرف أفلا تعقلون أبعد هذه
الدلائل الواضحة لا تعقلون بالنظر والاستدلال واستعمال المدركات المذكورة أن الكل
منا وأن قدرتنا تعم الممكنات كلها وأن البعث من جملتها فلا تنكرونه والالتفات من التكلم
إلى الغيبة مما لا يخفى فائدته من التعظيم كما في ربهم وقرع العصا بالتكرير والافتنان فيه
وقرئ يعقلون بالياء على الالتفات أيضا أو على أن الخطاب السابق لتغليب المؤمنين
بل قالوا أي كفار مكة مثل ما قال الأولون كما قال الكفار قبلهم قالوا أإذا متنا وكنا ترابا
وعظاما قد سبق وجه تأخير قوله عظاما عن قوله ترابا أإنا لمبعوثون تكرار الهمزة
للمبالغة في الإنكار والاستبعاد والتأكيد بأن واللام لتوجيه الإنكار إلى الجزم بالبعث
واعتقاد تحقيقه والإيقان به كما عليه الرسول والمؤمنون ويخبرون عنه لقد وعدنا نحن
وآباؤنا هذا أي البعث من قبل مجيء محمد إن هذا إلا أساطير الأولين الأساطير جمع أسطورة
وهذا البناء لما يتلهى به كالأضحوكة والأعجوبة وقيل جمع أسطار جمع سطر وهي ما كتبه
الأولون مما لا حقيقة له قل لمن الأرض ومن فيها إنما قيل من تغليبا للعقلاء ولأنه يلزم
أن يكون له غيره من طريق الأولى إن كنتم تعلمون أي إن كنتم من أهل العلم أو من العالمين
بذلك زيادة استهانة بهم وتقرير لفرط جهالتهم سيقولون لله لأنهم مقرون بأنه الخالق
قل أي بعد ما قالوه أفلا تذكرون فتعلموا أن من فطر الأرض ومن فيها كان قادرا على
إعادة الخلق وكان حقيقا بأن لا يشرك به بعض خلقه في الربوبية قل من رب السموات السبع
ورب العرش العظيم في توصيفه بالعظيم تصغير للسموات السبع مع عظمها في جنبه

وهذا غاية في التعظيم سيقولون لله لأن ذلك أيضا قد تقرر عند العرب بإخبار أهل
الكتاب وقرئ الله بغير لام فيه وفيما بعده على ما يقتضيه لفظ السؤال والأول محمول على المعنى
لأن قوله لله معناه لله هذه الأشياء وهذا جواب صحيح قال الشاعر إذا قيل من رب
القباب بموقف ورب الجياد الجرد قيل لخالد قل أفلا تتقون أفلا تخافونه فلا تشركوا به و
لا تنكروا قدرته على بعض مقدوراته قل من بيده ملكوت كل شيء مالكيته ومدبريته وقيل الملكوت
الملك والواو والتاء للمبالغة فينبئ عن عظم الملك وهو يجير وهو يغيث من يشاء ويحمي من
يشاء من أجرت فلانا على فلان إذا أغثته منه ومنعته ولا يجار عليه ولا يغيث أحد منه أحدا
وتعديته بعلى لتضمنه معنى النصرة إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون تخدعون
فتصرفون عن توحيده وطاعته مع ظهور الأمر وتظاهر الأدلة وهذه الأسولة استهانة
بهم وتقرير لفرط جهالتهم في الأمور الدينية حيث جهلوا مثل هذه الجلي الواضح والزام
بما لا يمكن من له أدنى مسكة من العلم إنكاره ولذلك أخبر عن جوابهم قبل أن يجيبوا بقوله
سيقولون لله لأن العقل الصريح قد اضطرهم إلى الإجابة بما أجاب به فلا يمكن عاقلا أن
يجيب بجواب آخر ثم إنه روعي في السؤال وصيغة الترقي فسئل عمن له الأرض وما فيها ثم
سئل عمن له السموات والعرش العظيم والأرض بالنسبة إليه كلا شيء ثم سئل عمن بيده
ملكوت كل شيء فأتى بأعم العام وكلمة الإحاطة وأوثر الملكوت وهو الملك الواسع وقيل
بيده تصويرا وتخييلا وكذلك روعي هذه النكتة في الفواصل فعبر أولا بعدم التذكر
فإن أيسر النظر يكفي في انحلال عقدهم ثم بعدم الاتقاء وفيه وعيد ثم بالتعجب من عدم عقولهم
فيخيل الباطل حقا والحق باطلا وأبطلها التذكر والخوف بل أتيناهم بالحق بالتوحيد
واستحالة نسبة الولد والشريك إليه وإنهم لكاذبون حيث أنكروا ذلك وادعوا له ولدا و
معه شريكا ما اتخذ الله من ولد لتقدسه عن مماثلة أحد وما كان معه في الوجود من
إله يساهمه في الألوهية إذا جواب لمحاجتهم وجزاء للشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه أي
لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لذهب لانفرد كل إله بما خلق بخلقه الذي خلقه و
استبد به ولرأيتم امتياز ملك كل واحد عن ملك الآخرين ووقع بينهم التحارب و
التغالب ولعلا بعضهم على بعض ولغلب بعضهم بعضا كما هو حال ملوك الدنيا ممالكهم
متمايزة وهم متغالبون وحين لم تروا أثر التمايز الممالك والتغالب فاعلموا أنه واحد
بيده ملكوت كل شيء وأما ما قيل فلم يكن بيده ملكوت كل شيء ولم يكن واحدا لها مطلقا و
اللازم باطل بالإجماع والاستقراء وقيام البرهان على إسناد جميع الممكنات إلى واجب واحد
فيرد عليه أن الإجماع والاستقراء لا يناسب المقام وأما البرهان فإنما قام على وجوب
انتهاء سلسلة الموجودات إلى واجب بالذات ولا يلزم منه أن لا يتعدد الواجب ولا يكون

في الوجود سلسلة ينتهي بعضها الى واجب وبعضها الى واجب آخر سبحان الله عما يصفون
عما يصفونه من نسبة الولد والشريك اليه لما سبق من الدليل على فساده عالم الغيب والشهادة
خبر مبتدا محذوف وقرئ بالجر على الصفة دليل آخر على نفي الشريك بناء على توافقهم
في انه المنفرد بذلك ولذلك رتب عليه فتعالى الله عما يشركون بالفاء قل رب اما تريني
ما يوعدون ان مي للشرط وما مزيدة والنون مؤكدة لمعنى الشرط وجواب الشرط فلا تجعلني اي ان
كان من ان تريني ما تعدهم من العذاب في الدنيا او في الآخرة رب تكراره بين الشرط والجزاء
نداء معترض للتنبيه على فضل التضرع والجؤار فلا تجعلني في القوم الظالمين اي فلا تجعلني
قرينا لهم في العذاب وعن الحسن اخبره الله تعالى ان له في امته نقمة ولم تخبره افي حيوته ام بعد موته
فامره ان يدعو بهذا الدعاء وهو اما لهضم النفس والقيام بحق العبودية بين ورائهم
لقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون فقيل لهم ان الله
ما نعدهم لقادرون كانوا يستعجلون العذاب انكارا وعنادا ويضحكون منه استهزاء فقيل
لهم ان الله قادر على انجاز ما وعد عاجلا لكن يؤخره علما بان بعضهم او بعض اعقابهم
يؤمنون او لا نعذبهم وانت فيهم وقيل قد اراه يوم بدر او يوم فتح مكة ادفع بالتي هي
احسن السيئة حسنة على تكرمه هي افضل المكارم ما لم تؤد الى ثلم في الدين او ازراء بالمروة
وهو ابلغ من ان يقال بالحسنة السيئة لما فيه من صيغة التفضيل والاجمال والتفصيل بابهام
الموصول وبين الصلة اي ادفع الصفح عن الاساءة بمقابلة السيئة بما يمكن من الاحسان حتى
اذا اجتمع الصفح والاحسان وبذل الوسع فيه كانت حسنة مضاعفة بازاء سيئة ودفعا لها
بالتي هي احسن نحن اعلم بما يصفون بما يصفونك به من صفات السوء او يوصفهم لك وسوء
ذكرهم وهو وعيد لهم وتسلية له عليه السلام اي والله اعلم بقولهم وفعلهم وهو يجازيهم و
قل رب اعوذ بك امره بالتعوذ من تخاليهم بلفظ المبتهل الى ربه المكرر لنداية تضرعا وابتهالا
وبالتعوذ من ان يحضروه او يحوموا حوله من همزات الشياطين سنية حثي الشيطان الناس
على المعاصي بالوساوس يهمزا راضة للدواب على المشي بالمهماز والجمع لتعدد الوساوس
او لتنوعها او لتنوع المضاف اليه وتعددهم واعوذ بك رب ان يحضرون عن ابن عباس رض
عند تلاوة القرآن وعن عكرمة عند النزع وقيل عند الصلوة والتخصيص باحدها لانها احرى
الاحوال بان يخاف عنده حتى اذا جاء احدهم الموت يتعلق بيصفون غاية لها اي لا يزالون
يذكرونك بسوء الى هذا الوقت وما بينهما اعتراض لاغضاء عنهم مستعينا بالله على الشيطان
ان يستزله عن الحلم ويغريه على الانتصار منهم او بقوله انهم لكاذبون قال رب ارجعون تحسرا
على تفريطه السابق لا اطلع على الامر اللاحق رب ارجعون ردوني الى الدنيا والخطاب بلفظ
الجمع للتعظيم او لتكرير ارجعني كما قيل في قفا واطرق او هو يناسب الجؤار والتضرع لعلي

اعمل صالحا فيما تركت في الايمان الذي تركته اي لعلي اتي بالايمان الذي تركته من الايمان واعمل فيه صالحا
وقيل فيما تركت من المال او في الموضع الذي تركت وهو الدنيا كلا ردع عن طلب الرجعة و
استبعاد لها انها كلمة اي الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض وهو قوله رب ارجعون
الى هو قائلها لا محالة لا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة والندامة عليه او هو قائلها وحده لا يجاب اليها
ولا تسمع منه ومن ورائهم اماهم والضمير للجماعة برزخ حاجز فقال الضحاك
هو الحاجز بين الدنيا والآخرة وقيل بينهم وبين الرجوع الى الدنيا واياه قوله الى يوم يبعثون
لانه لا يصلح غاية لعدم الرجوع المذكور والعلم بانه لا رجعة يوم البعث فاذا نفخ في الصور
للبعث والنشور والقراءة بفتح الواو وبه وبكسر الصاد وتؤيد ايضا ان الصور جمع الصورة
اذ الاصل في القراءات التوافق فلا انساب بينهم يومئذ المنفي نفع الانساب لا انفسها فانه
لكل امرئ يومئذ ما كسبت لا ما انتسب قبل زوال التعاطف والتراحم من فرط الحيرة و
استيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه وفيه نظر لا انتساب
كما يتفعون اليوم وهذا ليس عقيب نفخة البعث بل بعد زمان لقوله تعالى من بعثنا من مرقدنا
فانه صريح في انهم يتساءلون وقوله تعالى واقبل بعضهم على بعض يتساءلون وقال ابن عباس
رض ذلك عند القيام بالنفخة الثانية والفاء الجزائية لا تدل على التعقيب فمن ثقلت موازينه
فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم قد سبق تفسيره في
سورة الاعراف في جهنم خالدون بدل من خسروا انفسهم والجملتان في حكم الصلة فلا محل
لهما من الاعراب او خبر بعد خبر لاولئك فهو في محل الرفع كالذين خسروا او خبر
مبتدا محذوف تلفح وجوههم النار تحرقها قال الزجاج اللفح كالنفح الا انه اشد تاثيرا
وهم فيها كالحون من شدة الاحراق والكلوح ان تتقلص الشفتان وينشمرا عن الاسنان
كما ترى الرؤس المشوية روي عن النبي عليه السلام انه قال تشويه النار فتتقلص شفته
العليا حتى تبلغ وسط راسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته الم تكن آياتي
تتلى عليكم على اضمار القول اي يقال لهم الم تكن تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون
تعنيف وتذكير لهم بما استحقوا هذا العذاب بسببه قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا
ملكتنا من قولك غلبني فلان على كذا اذا اخذه منك واسلبكه والشقاوة سوء
العاقبة وقرئ شقوتنا وشقاوتنا بفتح الشين وكسرها كالسعادة والكتابة اي غلبت
غلبت علينا الاعمال الردية والاحوال القبيحة التي شقينا بها وكنا بها قوما ضالين عن
الحق والصواب وليس هذا باعتذار بل هو اعتراف منهم بسوء الصنيع ولا حجة لما قيل
غلبت علينا ما كتب علينا من الشقاوة لانه انما يكتب ما يفعل العبد وما يعلم انه يختاره
ولا يكتب غير الذي علم انه يختاره والعلم تابع للمعلوم لا العكس فلا يكون مغلوبا

ومضطرا في الفعل بسبب التقدير لا ذلى ربنا اخرجنا منها من النار فان عدنا
الى الكفر والتكذيب فانا ظالمون لانفسنا قال اخسؤا انزجروا فيها اذلاء انزجار
الكلاب اذا زجرت يقال خسأ الكلب وخسأ بنفسه لازما ومتعديا شبهوا بالكلب
في الذلة والهوان فطردوا باخسأوا ولا تكلمون في دفع العذاب او لا تكلمون اصلا
وقيل هو اخر كلام يتكلمون اصلا قيل هو اخر ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير
والعواء كعواء الكلب لا يفهمون ولا يفهمون انه ان الشان وقرئ بالفتح اي لانه
كان تعليل لوجوب انزجارهم فريق من عبادي يعني المؤمنين وقيل هم الصحابة
رض وقيل اهل الصفة خاصة يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا من تفريع طلب المغفرة
والرحمة على الايمان دلالة على كفايته فيها وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا هزوا
وتشاغلتم ساخرين حتى انسوكم بكثرة تشاغلكم بهم ذكري اي تركتم ان تذكروني فتخافوني
في اوليائي والسخري بالضم والكسر مصدر سخر كالسخر الا ان في ياء النسب زيادة قوة في
الفعل ومبالغة كما قيل الخصوصية في الخصوص وعن الكسائي والفراء ان المكسور من الهزء
والمضموم من السخرة بمعنى الانقياد والعبودية اي تسخرتموهم واستعبدتموهم والاول مذهب
الخليل وسيبويه وكنتم منهم تضحكون استهزاء بهم اني جزيتهم اليوم بما صبروا على اذاكم
انهم بالفتح ثاني مفعولي جزيتهم وبالكسر استيناف كانه لما ابهم الجزاء للتعظيم ولم يتبينه
الجزاء ان يسال سائل كيف حالهم قال انهم هم الفائزون مخصوصون بالفوز بجميع مراداتهم
قال اي الله تعالى او المامور بسؤالهم من الملائكة وقرئ على الامر للملك او لبعض رؤساء
اهل النار كم لبثتم في الارض في الدنيا احياء وامواتا في القبور عدد سنين اي كم عدد
سنين لبثتم فكم نصب بلبثتم وعدد تمييز قالوا لبثنا يوما او بعض يوم استقصروا مدة
لبثهم فيها بالنسبة الى خلودهم في النار او لانها كانت ايام سرورهم وايام السرور
قصار او لانها منقضية في حكم المعدوم الذي يستحق ان يعبر عنه بالقلة فاسأل العادين
الذين يتمكنون من عد اياما ان اردت تحقيقها فانا لما نحن فيه من العذاب مشغولون
عن تذكرها واحصائها او الملائكة الذين يعدون اعمار الناس ويحصون اعمالهم وقرئ
العادين بالتخفيف اي الظلمة فانهم يقولون كما نقول وقرئ العاديين اي القدماء المعمرين
فانهم يستقصرونها فكيف بمن دونهم قال وقرئ قل ان لبثتم الا قليلا اي ما لبثتم الا زمانا
قليلا لو انكم كنتم تعلمون صدقهم الله تعالى في تقالهم سني لبثهم في الدنيا ووبخهم على
غفلتهم التي كانوا عليها افحسبتم توبيخ آخر على تغافلهم وتجهيل مع انكار انما خلقناكم عبثا
حال اي عابثين او مفعول له اي ما خلقناكم للعبث وانما خلقناكم لنتعبدكم ونجازيكم على اعمالكم
وهو كالدليل على البعث وانكم الينا لا ترجعون عطف على انما خلقناكم ويجوز ان يكون

معطوفا على عبثا اي للعبث ولترككم غير مرجوعين وقرئ ترجعون بفتح التاء فتعالى الله
من ان يخلق عبثا تعليل لما تقدم الملك الحق الذي يحق له الملك لان كل شيء منه واليه او الثابت
الذي لا يزول ولا يزول ملكه ومن عداه مملوك بالذات مالك بالعرض لا اله الا
هو فان ما عداه عبيده رب العرش الكريم الذي يحيط بالاجرام الكريم بالجر على انه صفة العرش
وانما وصف بالكرم والبركة الالهية تنزل منه ويجوز ان يكون توصيفه بالكرم بالنسبة الى
اكرم الاكرمين مجازا كما يقال بيت كريم اذا كان ساكنوه كراما وقرئ بالرفع على انه صفة لرب
ومن يدع مع الله الها آخر يعبده افرادا واشراكا لا برهان له به صفة اخرى لالها اي لا حجة
عليه لان البرهان عقلا او نقلا وليس في واحد منهما ما يجوز ان يكون معه اله آخر وهذا وان
كان مذكورا في موضع الصفة فليس للتمييز لان الباطل بمعزل عن ان يكون له دليل ضعيف
فضلا عن برهان جيء بها للتاكيد وبناء الحكم بالوعيد عليه تنبيها على ان التدين بما لا دليل
عليه ممنوع فضلا عما دل الدليل على خلافه او اعتراض بين الشرط والجزاء لبيان الملازمة كقولك
من احسن الى زيد لا احق بالاحسان منه مشبه قوله فانما حسابه عند ربه فهو مجازله بما يستحقه
كناية عما ذكر انه اي ان الشان وقرئ بالفتح او لانه او على انه خبر اي حسابه انه لا يفلح
الكافرون من باب وضع الظاهر موضع المضمر اذ اصله حسابه انه لا يفلح هو لان من يدع
في معنى الجمع فمعنى حسابه انه لا يفلح حسابهم انهم لا يفلحون فغير تحطيما لشانهم وتفضيحا
لصورة حالهم وايماء الى ان عدم الفلاح وكفرهم وصيغة الجمع للتنبيه على انه لا يغني
اجتماعهم والا فالظاهر ان يؤتى بصيغة الافراد لان الفلاح منتف عن جنسهم وزاوج
بين فاتحة السورة وخاتمتها بقوله قد افلح المؤمنون في الفاتحة وانه لا يفلح الكافرون
في الخاتمة وانه لا يفلح الكافرون في الخاتمة ثم علمنا سؤال المغفرة والرحمة بقوله وقل رب
اغفر وارحم وانت خير الراحمين لان الرحمة اذا ادركت احدا اغنته عن رحمة غيره
ورحمة غيره لا تغنيه عن رحمته تم بعون الله الوهاب

سورة خبر مبتدا محذوف او مبتدا لانها مختصة بالتنكير الدال على التعظيم كقولهم شر
اهر ذا ناب انزلناها صفة او خبر ومن نصبها جعلها مفسرة لناصبها فلا يكون لها محل
الا اذا قدر اتل ونحوه ولا يجوز تقدير دونك لان ادوات الاغراء لا تحذف وفرضناها ما
فيها من الاحكام وقرئ بالتشديد للتكثير او للمبالغة وانزلنا فيها آيات بينات اي دلائل
واضحات لعلكم تذكرون كي تتعظوا الزانية اي المراة التي مكنت من نفسها الزنى فالمكرهة خارجة

عن حدها لاصالتها في الزنا وذلك ان حرمة الوطء التي بها يتحقق ومنشؤها خلو المحل
عن الملكين وشبهتهما كما قدم الزاني في الحكم الآتي ذكره لاصالته فيه والزاني
رفعا بالابتداء والخبر فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة والفاء لتضمنهما معنى الشرط
لان اللام بمعنى الذي وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر والجلد ضرب الجلد
وفيه اشارة الى انه لا يبالغ ليصل الالم الى اللحم والخطاب لجماعة المسلمين الا انه لا يمكنهم
الاجتماع فينوب الامام منابهم وعموم الاية يتناول المحصن وغير المحصن ثم خص منه
المحصن بحديث الرجم وشرائط احصان الرجم العقل والبلوغ والاسلام والحرية و
الدخول بنكاح صحيح وهما على صفة الاحصان ورجمه عليه السلام يهوديين قد زنيا
كان بحكم التورية ثم نسخ يؤيده قوله عليه السلام من اشرك بالله فليس بمحصن والتغريب
المروي منسوخ بهذه الآية كالحبس والاذى في قوله فامسكوهن في البيوت وقوله
فآذوهما لان الفاء انما تدخل على الجزاء وهو اسم للكافي ولا تأخذكم بهما رأفة الرأفة
رد الرحمة واخذها كناية من تأثيرها في النفس بحيث يظهر اثرها في العمل فرجع
النهي الى المسامحة في اقامة الحد كما ينبغي في دين الله في طاعته وفي حكمه وانما قال بهما ليعلم
حكم الرأفة باحدهما بطريق الدلالة ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فان الايمان
يوجب الاجتهاد بامر الله تعالى وهذا من باب التهييج والهاب الغضب لله ولدينه وجواب
الشرط مضمر اي فاقيموا الحد ولا تساهلوا فيه وليشهد عذابهما وليحضر موضع حدهما و
تسميته عذابا دليل على انه عقوبة طائفة فرقة يمكن ان يكون حلقة وهي صفة غالبة كانها
الجماعة الحافة حول الشيء من المؤمنين كي ينزجر هو فان التفضيح قد ينكل اكثر
مما ينكل التعذيب الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة اي لا يميل الا الى نكاح واحدة منهما
والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك اي لا يميل الى نكاحها غير واحد منهما ومرجعه الى
نفي ميلها عن نكاح غيرهما فالقرينتان على سنن واحد وانما عدل في الثانية عن التصريح
الى الكناية كراهة اسناد النكاح اليها ووجه ما ذكر ان المشاكلة علة الالفة والتضام
والمخالفة سبب النفرة والافتراق وهو نظير قوله تعالى الخبيثات للخبيثين الآية فالآية
تنزيهية في نكاح البغايا اذ جعل الزنا فيها عديل الشرك في القبح وحرم ذلك على المؤمنين
لما فيه من التشبه بالفساق وحضور مواقع التهمة والتسبب بسوء المقالة فيه و
الغيبة والطعن في النسب ومجالسة الزواني كم فيها من التعرض لاقتراف المفاسد والآثام
فكيف بمزاوجتهن ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة وقيل النفي بمعنى النهي وقد قرئ
به والحرمة على ظاهرها والحكم مخصوص بالسبب الذي ورد فيه او منسوخ بقوله تعالى
وانكحوا الايامى منكم فانه يتناول المسافحات ويؤيده انه عليه السلام سئل عن ذلك

فقال اوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال والذين يرمون المحصنات اي
يقذفون الحرائر العفائف المسلمات المكلفات بالزنا لوصف المقذوفات بالاحصان وذكرهن
عقيب الزواني واشتراط اربعة شهداء بقوله ثم وكلمة التراخي دل على انه لا يجب الاتيان بالشهود
على الفور وانما عدل عن القذف الى الرمي لان القذف الرمي البعيد المستلزم للصلابة
المرمي والقيدان المذكوران اعتبارهما لا يناسب المقام لم يأتوا باربعة شهداء يشهدون
على زنا المقذوفة لان القذف بغير الزنا يكفي فيه الشاهدان ولا يجاب الحد بقوله فاجلدوهم
ثمانين جلدة لان القذف بغير الزنا لا يوجب الحد بل يوجب التعزير كقذف غير المحصنة
بالزنا ونصب ثمانين نصب المصادر كنصب مائة ونصب جلدة على التميز ولا فرق
فيه بين الذكر والانثى وتخصيص المحصنات لخصوص الواقعات او لان قذفهن كان
اغلب هذا ما قالوا واما اقول اريد الا نفس المحصنات كما في قوله والمحصنات من النساء
فلا تخصيص ولا يشترط اجتماع الشهود عند الاداء ولا شهادة زوج المقذوفة ولكن
يشترط طلب المقذوف لان فيه حقه من حيث دفع العار ولا خلاف فيه لابي حنيفة وضربه
اخف من ضرب الزنا قيل لضعف سببه واحتماله ولذلك نقص عدده ويرد عليه النقض بضرب
التعزير فيما اذا كان المقذوف غير محصن فانه اشد من ضرب الزنا مع قيام العلة المذكورة
فيه ولا تقبلوا لهم شهادة نكر شهادة في موضع النفي فتعم كل شهادة ورد شهادته ليس
لانه مفتر والا لما تخلف عنه في قذف غير المحصن بل لانه من تمام الحد فيتعلق باستيفاء
الحد او بعضه خلافا للش فيهما لا يقال حاله قبل الحد اسوأ مما بعده لانه ان اريد
انه كذلك عند الناس فمم وان اريد انه كذلك عند الله تعالى فلا يجدي لان المعتبر في
هذا الباب ما عند الناس حتى قيل يقبل شهادة الفاسق الوجيه واصل الكلام ولا تقبلوا
شهادتهم وانما غير النظم بزيادة اللام لا لافادة التنكير لانها تحصل بالتعريف الاستغراقي
على وجه اقوى بل لاظهار وجه كون الرد المذكور من الحد باشعار ان في قبول الشهادة
نفعا للشاهد لانه يتضمن الاكرام وضده يتضمن الاهانة ابدا الى آخر وقت اهليتهم
للشهادة لا الى آخر عمره ولذلك يقبل شهادة الكافر المحدود في قذف بعد اسلامه
لحدوث اهلية اخرى للشهادة بالاسلام ولا خلاف للشافعي هنا وانما خلافه في انصراف
الاستثناء الآتي ذكره اولئك هم الفاسقون كلام مستانف غير داخل في حيز جزاء الشرط لانه حكاية
حال الرامين عند الشرع الحاكم بالظاهر لا عند الله العالم بالسرائر بعد انقضاء الجملة الشرطية
وقوله الا الذين تابوا من بعد ذلك اي القذف واصلحوا احوالهم بالاستسلام للحد او
الاستحلال عن المقذوف استثناء من الفاسقين ويدل عليه تعليل الاستثناء بقوله فان
الله غفور رحيم اي يغفر ذنوبهم ويرحمهم وان في جعله جزاء الشرط الجملتين ابعد

وجعل الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية وحق المستثنى عنده ان يكون مجرورا بدلا من هم في
لهم وحقه عندنا ان يكون منصوبا لانه عن موجب تام والذين يرمون ازواجهم
هذا بيان حكم قذف الزوجات بالزنا ولم يكن لهم شهداء يشهدون لهم به الا انفسهم
بدل من شهداء او صفة لهم على ان الا بمعنى غير فشهادة احدهم اربع قرئ بالرفع على
انه خبر والمبتداء فشهادة احدهم وبالنصب لانه في حكم المصدر بالاضافة الى المصدر وهو
شهادات والعامل فيه المصدر الذي هو شهادة وعلى هذا خبر محذوف تقديره فواجب
شهادة احدهم اربع شهادات بالله متعلق بشهادات لقربها وقيل بشهادة لتقدمها انه
لمن الصادقين اي فيما رماها به من الزنا واصله على انه فحذف الجار وكسر ان وعلق العامل
عنه باللام تاكيدا والخامسة والشهادة الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين في الرمي
ويدرا عنها العذاب ويدفع عنها الحبس والجبر ان تشهد اربع شهادات بالله انه اي الرامي
لمن الكاذبين في الرمي والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين فيه قرئ والخامسة
بالنصب عطفا على اربع وبالرفع على الابتداء وما بعدها الخبر وخص الغضب في جانبها
لان النساء يستعملن اللعن كثيرا كما ورد به الحديث فربما يجترئن على الاقدام لكثرة جري
اللعن على السنتهن وسقوط وقعه عن قلوبهن فذكر الغضب في جانبهن ليكون رادعا لهن
واذا التعنا كما بين في النص لا تقع الفرقة حتى يفرق بينهما وعند زفر والشافعي تقع بتلاعنهما
الفرقة وتكون الفرقة تطليقة بائنة عند ابي حنيفة ومحمد وعند ابي يوسف وزفر والشافعي
تحريم مؤبد واما ان حكم لعان الزوج سقوط القذف عنه ثواب حكيم ترك جواب لولا وهو
ابلغ لان النفس تذهب في تقدير جوابه كل مذهب ولقد احسن من قال رب سكوت
ابلغ من النطق ان الذين جاؤا بالافك هو ابلغ ما يكون من الكذب والافتراء واصله الافك
وهو القلب لانه قول مقلوب عن وجهه والمراد ما افك به على ام المؤمنين عائشة رض وقصته
معروفة عصبة جماعة قيل من العشرة الى الاربعين ويرده ما في مصحف حفصة رض عصبة اربعة
يقال تعصب القوم اذا اجتمعوا على هيئة فشد بعضهم بعضا ومنه العصبة لانه ظهرهم العصب
ففي عبارة العصبة هنا احسن موقع ورجحانها على عبارة الجماعة من جهة الدلالة على الكم و
الكيف وهم عبد الله بن ابي راس النفاق وبئس المتعصبين وحسان بن ثابت ومسطح بن
اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم منكم من العصبة ومن من اهل ملتكم وهم ظنوا ان الافك
وقع من الكفار وفيه اظهار لوجه غرابة ذلك الافك وخبر ان عصبة وقوله لا تحسبوه مستانف
والخطاب للرسول عليه السلام وابي بكر وعائشة رض وصفوان ومن ساءه ذلك من المؤمنين
والمؤمنات والهاء للافك شرا لكم الشر ما زاد ضرره على نفعه والخير ضده بل هو خير لكم
لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله تعالى بانزال ثماني عشرة آية في براءتكم وتعظيم

شانكم وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا لكل امرئ منهم ما اكتسب
من الاثم اي لكل امرئ من العصبة جزاء اثمه على مقدار خوضه فيه مختصا به وكان بعضهم ضحك
وبعضهم تكلم فيه وبعضهم سكت وليس في عبارة امرئ اخراج حمنة بنت جحش عن هذا
الحكم بل ترك ذكرها حالة بمعرفة حالتها على الدلالة تنزيلا لشانها وتحقيرا لها والذي تولى
كبره معظمه وقرئ بالضم وهو لغة فيه اي قرب من آخر عجزه ولم يبعد عن المعاصي خصوصا
عن مثل هذه المعصية منهم من الخائضين في الافك وهو ابن ابي فانه بدا به واذاع عداوة
لرسول الله عليه السلام له عذاب عظيم في الآخرة ردي لوداد وعن عائشة رض قالت لما نزل
عذري قام النبي فذكر ذلك وتلى القرآن فلما نزل امر بالرجلين والمرأة فضرب واحد منهم
وهو حسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش قال علماؤنا وان لم يحد عبد الله
ابن ابي لان الله تعالى قد اعد له في الآخرة عذابا عظيما فلو حد في الدنيا لكان ذلك كفارة
له فيتخلص من عذابه الاخروي وانما حد هؤلاء المسلمين ليكفر عنهم اثم ما صدر عنهم من
القذف حتى لا يبقى عليهم تبعة ذلك في الآخرة وقد قال عليه السلام في الحدود انها كفارة لمن
اقيمت عليه ففي قوله تعالى له عذاب عظيم اشارة الى عدم وجوب الحد على ابن ابي ولذا لم يحده
النبي عليه السلام ثم ذكر الخائضين منه فقال لولا على اذ سمعتموه اي الافك ظن المؤمنون
والمؤمنات بانفسهم بالذين منهم فالمؤمنون كنفس واحدة وهو كقوله تعالى ولا تلمزوا
انفسكم خيرا عفافا وصلاحا وانما عدل عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر ولم يقل
ظننتم بانفسكم ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات وليدل التصريح بلفظ الايمان على ان الاشتراك
فيه يقتضي ان لا يصدق مؤمن على اخيه ولا مؤمنة على اختها قول غائب ولا طاعن ومن الادب
الحسن قل القايم به وانما جاز الفصل بين لولا وفعله بالظرف لانه منزل منزلته من حيث انه
لا ينفك عنه ولذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيره وذلك للاعتماد بالظرف والايذان بانه كان
في اول وقت السماع بالاتيان بالمخصص عليه وقالوا كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال
قرن بالنطق الصريح بالعقل ليفيد ان اللائق للمؤمن ان يبني قوله على ظن الخير في اول
وقت السماع هذا افك مبين كذب ظاهر لولا جاؤا عليه باربعة شهداء هلا جاؤا على القذف
لو كانوا صادقين باربعة شهداء فاذ لم ياتوا بالشهداء الاربعة فاولئك عند الله اي في
حكمه وشريعته وفي عبارة عند تعظيم لما في احكام الشرع من العمل بالظاهر هم الكاذبون
من جملة القول تقريرا لكونه كذبا فان ما لا حجة عليه فكذب في حكم الشرع من العمل بالظاهر
هم الكاذبون ولذلك رتب الحد عليه ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لولا
هذه لامتناع الشيء لغيره اي ولولا اني قضيت ان اتفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم
التي من جملتها الامهال للتوبة وان اترحم عليكم في الآخرة بالعفو والمغفرة بسبب لربكم و

واستسلامكم للحد لمستكم عاجلا فيما افضتم فيه يقال افاض في الحديث وخاض واندفع
عذاب عظيم يستحقرون دونه اللوم والجلد اذ ظرف لمسكم او لافضتم تلقونه التلقي كالتلقن
والتلقف الا ان في التلقي معنى الاستقبال وفي التلقن الحذف في التناول وفي التلقف الاخذ
في التناول ذكره الراغب ولا اختصاص له بالكلام فلذلك قال بالسنتكم اي ان بعضكم كان
يقول لبعض هل بلغك حديث عائشة رضي الله عنها شاع فيما بينهم وانتشر فلم يبق بيت ولا
نادٍ الا طار فيه وتقولون بافواهكم انما قيد بالافواه مع ان القول لا يكون الا بالفم لان
المراد بيان انهم يقولون كلاما لا يساعده القلب بادنى درجات العلم فالتنكير في قوله
ما ليس لكم به علم للتقليل وتحسبونه هينا سهلا لا تبعة له فهذه ثلثة آثام مترتبة علق
بها مس العذاب العظيم تلقي الافك بالسنتهم في التحدث به من غير علم واستصغارهم لذلك
وهو عند الله عظيم في الوزر ثم اخذ يذنبهم على التكلم به وكان الواجب عليهم اذ سمعتموه
بدل يقولوا به فقال ولولا وهلا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ما ينبغي وما يصح ان
نتكلم بهذا قد تقدم فائدة تقديم الظرف ووجه الفصل به بين لولا وقلتم سبحانك
للتعجب من عظم الامر ومن التعجب في كلمة التسبيح ان الاصل ان يسبح الله تعالى عند رؤية
العجب في كلمة التسبيح من حسابه ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه او لتنزيه الله تعالى من
ان يكون حرمة نبيه عليه السلام فاجرة فان فجورها تنفر عنه وتخل بمقصود الزواج بخلاف
كفرها فيكون تقريرا لما تقدم وتمهيدا لما تاخر هذا الاشارة الى القول المخصوص ويجوز
ان يكون الى نوعه فان قذف آحاد الناس محرم شرعا فضلا عن تعرض الصديقة بنت الصديق
حرمة رسول الله عليه السلام بهتان زور يبهت من يسمع عظيم وفي بعض الاخبار ان ام
ابي ايوب قالت لابي ايوب الانصاري رضي الله عنه اما بلغك ما تقول الناس في عائشة رضي الله عنها فقال
ابو ايوب سبحانك هذا بهتان عظيم فنزلت الاية على وفق قوله يعظكم الله اي يحذركم الله
ان تعودوا لمثله في ان تعودوا الى مثل ما فعلتم من القول وسماعه وتلقيه ابدا ما دمتم
احياء مكلفين ان كنتم مؤمنين فيه تهييج لهم ليتعظوا او تذكير بما يوجب ترك العود
وهو الايمان الصادع عن كل قبيح ويبين الله لكم الايات الدالة على الشرائع ومحاسن الاداب
كي تتعظوا وتتادبوا والله عليم بما يامر وينهى حكيم فيه ان الذين يحبون يؤثرون ان
تشيع ان تنتشر الفاحشة والمعنى يحبون شيوعها ويسعون لها لان عذاب الدنيا لا يكون
الا بعد اشاعتها وليس هذا من قبيل الكناية ولا من قبيل المجاز المرسل لان كلا من معنى المحبة
والاشاعة مقصود بل من قبيل الاكتفاء عن ذكر الشيء بذكر ما يقتضيه تنبيها على القوة في المقتضي
ويجوز ان يكون المعنى يشيعون الفاحشة محبين شيوعها على المضي في الذين آمنوا في
حق المؤمنين لهم عذاب اليم في الدنيا بالحد والاخرة بالنار والله يعلم بواطن الامور

وسرائر الصدور وانتم لا تعلمون فعاقبوا في الدنيا على ما دل عليه الظاهر والله تعالى
يعاقب على السرائر من حيث الاشاعة وغيرها ان لم يتوبوا عنها ولولا فضل الله عليكم و
رحمته لعجل لكم بالعذاب كرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب مع حذف الجواب مبالغة في تعظيم
الجريمة والتوبيخ لهم وان الله رؤف رحيم حيث اظهر براءة المقذوف واثاب رحيم
يغفر له حسنات القاذف اذا تاب وهذا لان الرافة رقة الرحمة وهي تناسب حال المقذوف
يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا الاتباع الاقتداء بالداعي الذاهب في جهة في اقتفاء اثره في
الذهاب في تلك الجهة فالمتبع في الحقيقة نفس الداعي لا اثره وانما اضيف الاتباع الى الاثر
تنزيلا له منزلة الداعي مبالغة خطوات الشيطان اريد بخطوات الشيطان تعدية حدود
الله بالوسوسة وتجاوزه عنها ومن يتبع خطوات الشيطان حذف جزاؤه لظهوره
واقيم عليه مقامه فانه يامر تعليل للجزاء المحذوف والجملة الشرطية قائمة مقام تعليل النهي
بالفحشاء ما افرط قبحه والمنكر ما انكره الشرع في الجملة فهو تعميم بعد التخصيص وفائدته
التنبيه بتقديم الخاص على اختصاصه وزيادة الاعتناء في شانه من جهة الامر ولولا فضل
الله عليكم ورحمته بتوفيق التوبة الماحية للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها ما زكى ما طهر
من دنسها منكم من احد ابدا ما دام حيا مكلفا ولكن الله يزكي من يشاء بحمله على التوبة
وقبولها والله سميع لمقالاتهم عليم بنياتهم ولا ياتل لا يحلف افتعال من الالية يؤيده
اولوا الفضل منكم في الدين وفيه دليل على فضل ابي بكر رضي الله عنه والسعة في المال ان يؤتوا وقرئ بالتاء على الالتفات اولي القربى والمساكين والمهاجرين في
سبيل الله صفات لموصوف واحد اي ناسا جامعين لها لان الكلام فيمن كان كذلك او لموصوفين
اقيمت مقامها فتكون ابلغ في تعليله المقصود وليعفوا ما فرط منهم وليصفحوا الصفح الاعراض
اي وليتجاوزوا عن لومهم او ليعرضوا عن العفو الا تحبون ان يغفر الله لكم هذا غاية ما تلطف
الخطاب اي فاذا احببتم مغفرة الله لكم فاغفروا لغيركم والله غفور رحيم اي فتادبوا
بادب الله واعفوا وارحموا ولما نزل الا تحبون قال ابو بكر رضي الله عنه بلى يا رب ثم عاد لمسطح
الى ما كان وكفر يمينه ان المؤمنين يرمون المحصنات العفائف الغافلات مما قذفن كناية
عن براءتهن منه المؤمنات بما يجب الايمان به استباحة لعرضهن وطعنا في الرسول والمؤمنين
كابن ابي اريد عائشة رضي الله عنها وحدها وانما جمع لان من قذف واحدا من نساء النبي عليه السلام
فكانه قذفهن واعاد الكلام دفعا لما عسى ان يسبق الى الاوهام من قضية مسطح ان سائر قذفة
عائشة رضي الله عنها مغفورون بالجلد والتوبة لعنوا في الدنيا والاخرة بحكم المنون في الدنيا يلعنهم
الملئكة في الاخرة ولهم عذاب عظيم لعظم ذنبهم ودل ذلك على معنى يعذبون وهو العامل

في يوم كالعذاب لانه موصوف تشهد عليهم وقرئ بالياء المتقدم والفصل المستثنى
هذا في حق القذفة وقوله تعالى اليوم نختم على افواههم الآية في حق المشركين فلا منافات
وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون يعترفون بها بانطاق الله تعالى على ما نطق به قوله تع
قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء بغير اختيار منهم على ما دل عليه قولهم شهدتم علينا
وفي ذلك مزيد تهويل العذاب يومئذ يوفيهم الله دينهم جزاءهم الحق بالنصب وصفا لله
على المدح لقراءة مجاهد بالرفع وقراءة يوفيهم الله الحق دينهم والاصل في القراءات التوافق
ويعلمون عند ذلك ان الله هو الحق المبين الذات بذاته الظاهر الوهيته لا يشاركه في ذلك
غيره لارتفاع الشكوك وحصول العلم الضروري ولم يغلظ الله تع في القران في شيء من المعاصي
تغليظه في افك عائشة رضه فاوجز في ذلك واشبع وفصل واجمل واكد وكرر وما ذاك
الا لامر الخبيثات من النساء والعمل للخبيثين من الرجال وكذا بقية والخبيثون للخبيثات و
الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات وفيه تنزيه عائشة رضه لانها زوجة رسول الله
عليه السلام فهي طيبة لزوج طيب وارادة المنافق القاذف خبيثة لزوج خبيث اولئك
مبرؤن مما يقولون اي فيهم واولئك اشارة الى الطيبين وانهم مبرؤن مما يقول الخبيثون
من خبيثات الكلم وهو كلام جار مجرى المثل لعائشة رضه وما رميت به من قوله لا يطابق حالها
في النزاهة والطيب ويجوز ان يكون اولئك اشارة الى اهل البيت وانهم مبرؤن مما يقول
اهل الافك لهم مغفرة في الحشر مستانف او خبر بعد خبر ورزق كريم في الجنة يا ايها الذين
امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم التي اختص بكم سكناها سواء سكنتم فيها او لم تسكنوا
اي لا تدخلوا بيوتا تسكنها غيركم وهذا يعم مسكن الاتم فانه لا يجوز ان يدخل عليها مناقضة
روي ان رجلا قال للنبي عم استاذن على امي قال نعم قال لا خادم لها غيري استاذن عليها
كلما دخلت قال اتحب ان تراها عريانة قال لا قال فاستاذن وهو تاديب بما يرجع الى
التحرز عن الاطلاع على عورة الغير حتى تستانسوا اي تستعلموا من في البيت باي وجه امكن
قال تعالى فان انستم منهم رشدا اي علمتم وفي سنن ابن ماجه عن ابي ايوب الانصاري رضه
قال قلنا يا رسول الله هذا السلام فما الاستيناس قال يتكلم الرجل تسبيحة وتكبيرة وتحميدة
وتنحنح ويؤذن اهل البيت وتسلموا على اهلها بان تقولوا السلام عليكم ادخل وعنه
عليه السلام التسليم ان يقول السلام عليكم ادخل ثلث مرات فان اذن له دخل والا
رجع وقيل ان تلاقيا بعدم التسليم والا فالاستيذان ذلكم اي الاستعلام والتسليم خير
لكم من تحية الجاهلية والدمور والدخول بغير اذن وكان الرجل من اهل الجاهلية اذا دخل
بيت غيره يقول حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل فربما اصاب الرجل مع امراته في لحاف
واحد لعلكم تذكرون متعلق بمحذوف اي انزل اليكم او قيل لكم هذا ارادة ان تذكروا

وتعملوا بما هو اصلح لكم فان لم تجدوا فيها احدا يأذن لكم وانما قال فان لم تجدوا دون
فان لم يكن لمكان التفقد المامور به في ضمن الامر بالاستيناس فلا تدخلوها يعني ان كان لكم
فيها حاجة حتى يؤذن لكم لا لان التصرف في ملك الغير بغير اذنه محظور لانه لا ينتظم ما اذا كان الداخل
محرما بل لان المانع عن الدخول ليس الاطلاع على العورات فقط بل على ما يخفيه الناس عادة
والمراد من الاذن ما يعم الاذن دلالة كما اذا عرضت حرق او غرق او نحو ذلك واما الذي
فيه منكر فلا يكون خاليا فلا يكون في معرض الاستثناء وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا ولا
تلحوا هو ازكى لكم الرجوع احد لكم عما لا يخلو عنه الالحاح من الكراهة والله بما تعملون عليم
يعلم ما تأتون وما تذرون وما خوطبتم به فيجازيكم عليه ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا
غير مسكونة كالخانات والرباطات والحوانيت فيها متاع استمتاع لكم كالاستكنان من
الحر والبرد وايواء الرجال والسلع والجلوس للشراء والبيع وذلك استثناء من الحكم السابق
لشموله البيوت المسكونة وغيرها والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد لمن دخل
مدخلا لفساد او يطلع على عورات قل للمؤمنين يغضوا ابصارهم ويحفظوا فروجهم
ما يغض البصر عنه ويحفظ الفرج لان ذلك معلوم بالعادة فان من سمعه يعلم ان المراد
منه المحرم دون المحلل فلا حاجة الا الى الاستثناء وليس كل محرم مما يجب غض البصر عنه
بخلاف حفظ الفرج فان كل ما يحرم يجب حفظه عنه فلذلك ادخل حرف التبعيض في الاول
واطلق في الثاني ذلك ازكى لهم لما فيه من البعد عن الريبة ان الله خبير بما يصنعون
من اجالة النظر واستعمال سائر الالات وما يقصدون بها فليكونوا على حذر في كل
حركة وسكون وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن انما قدم
غض الابصار على حفظ الفروج لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور وبذر الهوى و
طموح العين ولا يبدين زينتهن الزينة ما تزينت به المرأة من حلي او كحل او خضاب
والمنهي اظهار مواضع الزينة اذ اظهار عينها مباح فالمراد بها مواضعها مجازا لا اظهار مواضعها
لا لاظهار اعيانها الا ما ظهر منها اي بلا اظهار منهن كما اذا هبت الريح وكشفت الستر والا
عن الحكم الثابت بطريق الاشارة وهو الاستحقاق بالمؤاخذة في دار الجزاء بسبب ظهورها
وقد حرر وجه هذا النوع من الاستثناء في تفسير قوله الا ما قد سلف من سورة النساء وما ظهر
باظهار منهن ضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة ونحو ذلك في حكم ما ظهر بلا اظهار منهن ضرورة
واما جريان العادة والجبلة على ظهوره فلا يصلح وجها للاستثناء المذكور وليضربن وليضعن
من قولك ضربت بيدي على الحائط اذا وضعتها عليه بخمرهن جمع خمار على جيوبهن كانت
جيوبهن واسعة تبدو منها صدورهن وما حواليها وكن يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى
مكشوفة فامرن ان يسدلنها من قدامهن حتى يغطينها ولا يبدين زينتهن كرره لبيان من

او ابنائهن او ابناء بعولتهن

يحل له الابداء ومنه لم يحل له الا لبعولتهن لانه زوجهن او ابائهن ويدخل فيهم الاجداد او
اباء بعولتهن فقد صاروا محارم ايضا او اخوانهن او بني اخوانهن ويدخل فيهم النوافل
وساير المحارم كالاعمام والاخوال وغيرهم دلالة او نسائهن اي الحرائر المؤمنات فان
مطلق هذا اللفظ للحرائر والاضافة لاخراج الكافرات فانهن لا يتحرجن عن وصفهن للرجال
او ما ملكت ايمانهن يعم الاماء والعبيد لما روي عن النبي عليه السلام اتى فاطمة بعبد وهبه
لها وعليها ثوب اذا قنعت به راسها لم يبلغ رجلها واذا غطت رجلها لم يبلغ فقال انه
انه ليس عليك باس انما هو ابوك وغلامك وقال سعيد بن المسيب لا يغرنكم سورة
النور فانها في الاماء دون الذكور ويرد عليه انه حينئذ يلزم ان يكون في المذكور
اطناب مخل واللازم منتف بلا شبهة او التابعين الذين يتبعون القوم فيكلون معهم
ويرتفعون بهم غير بالنصب على الاستثناء او الحال وبالجر على البدل وعلى الوصفية اولي
الاربة الحاجة الى النساء وهم الذين لا يشتهون النساء فلا يحتاجون اليهن من
هذه الجهة وهذا ليس بواقع على الخصي والمجبوب والمخنث لانهم يشتهون ولا يشتهون
او الطفل الذين هو جنس فصلح ان يراد الجميع بدلالة الوصف لم يظهروا على عورات
النساء لعدم تميزهم من الظهور بمعنى الاطلاع او لعدم بلوغهم الى حد الشهوة
من الظهور بمعنى الغلبة ولا يضربن الى الارض بارجلهن عند المشي ليعلم ما يخفين من
زينتهن بسمع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال وانما نهي عنه لان سماع هذه الزينة
اشد تحريكا للشهوة من ابدائها فلا دلالة فيه على ان ابداء الزينة تغيير مقصود بالنهي
فيما تقدم وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون اذ لا يكاد يخلو احد منكم من تفريط سيما في الكف
عن الشهوات وقوله لعلكم تفلحون بيان انه امرهم بالتوبة لينتفعوا بذلك لا ان يكون للحق
سبحانه بها نفع وانكحوا الايامى منكم الايامى منكم ايم وهو من لا زوج له رجلا كان
او امراة بكرا كانت او ثيبا واصله ايايم فقلبت والخطاب للاولياء والسادات والامر
للندب لا يقال في الآية دليل على ان تزويج النساء الايامى الى الاولياء كما ان تزويج
العبيد والاماء الى الموالي لانا نقول الرجل لا يلي الرجل الايم الا باذنه فكذا لا يلي على
المراة الا باذنها لان الايم ينتظمها ولا فارق من جهة النظم والصالحين تخصيصهم لان
احصان دينهم والاهتمام بشانهم اهم من عبادكم وامائكم اي من غلمانكم وجواريكم
ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وعد من الله تعالى بالاغناء لقوله عليه السلام
اطلبوا الغنى من هذه الآية ولقوله عليه السلام التمسوا الرزق بالنكاح والله واسع
ذو سعة لا لوثرة اغناء الخلايق عليم يبسط الرزق ويقدر ما يقتضيه حكمته
وليستعفف وليجتهد في العفة وقمع الشهوة كما ان المستعفف طالب من نفسه العفاف

الذين لا يجدون نكاحا استطاعة تزوج من المهر والنفقة حتى يغنيهم الله من فضله انظر
كيف رتب هذه الاوامر فامر اولا بما يعصم من الفتنة ويبعد من مواقعة المعصية وهو
غض البصر ثم بالنكاح الذي يحصن به الدين المغني عن الحرام ثم بعرف النفس الامارة
بالسوء عن الطموح الى الشهوة عند العجز عن النكاح الى ان يقدر عليه والذين يبتغون
الكتاب مما ملكت ايمانكم اي والمماليك الذين يطلبون الكتابة فالذين مرفوع بالابتداء
او منصوب بفعل يفسره فكاتبوهم وهو للندب ودخلت الفاء لتضمن معنى الشرط و
الكتاب والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة وانما سمي ذلك لعبد به لان السيد كتب على نفسه
عتقه اذا ادى المال ويجوز حالا ومؤجلا منجما وغير منجم لاطلاق الامر وعدم المال
لا يستلزم العجز عن الاداء في الحال لانه قادر على الاستقراض ان علمتم فيهم خيرا قدرة
على الكسب وامانة او ديانة والندبية متعلقة بهذا الشرط كما ان الندبية في النكاح الايامى
متعلقة بشرط الصلاح واتوهم من مال الله الذي اتاكم امر للمسلمين على وجه الوجوب
باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم من الزكوة لقوله تعالى وفي الرقاب وعند الشافعي
حط لمن بدل الكتابة شيئا قل او كثر ويأباه عبارة الايتاء لانها تقع على التمليك لا على
الحط ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء يكنى بالفتى والفتاة من العبد والامة والبغاء الزنا
للنساء خاصة وهو مصدر البغي ان اردن تحصنا تعففا عن الزنا وانما قيده بهذا
الشرط لا لان الاكراه لا يتحقق بدونه لانه على تقدير التسليم يكون سببا للترك لا للذكر بل
لانها نزلت في ابن ابي وكانت له جوار يكرههن على البغاء وفيه توبيخ بالموالي اذا رغبن
في التحصن فانتم احق بذلك وايثار ان على اذا لان ارادة التحصن من الاماء كالشاذ النادر
لتبتغوا الا ابتغاءكم فان الفعل هنا منزل منزلة المصدر كما في قوله تسمع بالمعيدي خير
من ان تراه وذلك لان الابتغاء المذكور يكون سببا متقدما ولا يكون غاية متاخرة عرض
الحيوة الدنيا من اجورهن واولادهن ومن يكرههن حذف جوابه اي فعليه وباله
اكراهه لا يتعدى اليهن واقيم تعليل هذا مقامه وهو قوله فان الله من بعد اكراههن
غفور رحيم اي لهن وفي مصحف ابن مسعود رض كذلك وانما قال من بعد اكراههن لشدة
المعاتبة على المكره فان المكرهة مع قيام العذر اذا كانت بصدد المعاتبة حتى احتاجت الى
المغفرة فما حال المكره وللدلالة على ان حد الاكراه الشرعي والمعاتبة الى ان ينتهي اليه فيرتكب
ضيق والله يغفر ذلك بلطفه ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات المراد الايات التي بينت
في هذه السورة واوضحت في معاني الاحكام والحدود وجاز ان يكون الاصل مبينا فيها
فاتسع في الظرف وقرئ بالكسر اي بينت معاني الاحكام والحدود وجعل الفعل لها مجازا
او من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين ومثلا من الذين خلوا من قبلكم

اى ومثلا من امثال من قبلكم اى وقصة عجيبة مثل قصصهم وهى قصة عائشة رض فانها
كقصة يوسف ومريم عليهما السلام وموعظة للمتقين اى هم المنتفعون بها وان كانت
الموعظة للكل الله نور السموات والارض بين وضوح الدلالات وجلاء البينات وان
من ضل عن الحق فليس لخفاء الدليل واشتباه السبيل فقال الله هادى اهل السموات
والارض اى الى ما بهم الحاجة اليه فى مصالح دينهم ودنياهم وهى كلمة مطلقة فى
هذا المعنى يقال فلان نور بلده اى به يهتدون الى امورهم وعن رايه يصدرون
الى مصالحهم مثل نوره اى ضوء نوره العجيبة الشان فى الاضاءة والمراد به دلائله التى
يهتدى بها عباده كمشكوة اى كصفة مشكوة وهى الكوة فى الجدار غير النافذة فيها مصباح
سراج ضخم ثاقب المصباح فى زجاجة فى قنديل من زجاج شامى ازهر الزجاجة كأنها
كوكب درى مضئ بضم الدال وتشديد الياء منسوب الى الدر لفرط ضيائه وصفائه
وقرئ بالكسر والهمز كانه يدرأ الظلام بضوئه وقرئ بالضم والهمز شبهه فى زهرته
باحد الكواكب الدرارى كالمشترى والزهرة ونحوهما يوقد بالياء والبناء للمفعول
من اوقد وقرئ بالفوقانية كذلك على اسناده الى الزجاجة بحذف المضاف وقرئ
توقد بمعنى تتوقد بحذف التاء لاجتماع الزائدتين من شجرة اى ابتداء تقوبه من شجرة
الزيتون بمعنى روى ذباله بزيتها مباركة كثيرة المنافع اولانها تنبت فى الارض التى
بارك فيها للعالمين زيتونة بدل من شجرة نعتها لا شرقية ولا غربية اى لا نابتة فى شرق المعمورة
ولا فى غربها بل فى وسطها وهو الشام لان زيتونه اجود اولا فى مضحى تشرق الشمس عليها
دائما فتحرقها او فى مقنأة تغيب عنها دائما فتتركها نيا وفى الحديث لا خير فى شجرة الا فى نبات
فى مقنأة ولا خير فيها فى مضحى وقيل لا يلبس بحيث يقع الشمس عليها حينا دون حين بل
بحيث يقع عليها طول النهار كالتى تكون على قلة او صحراء واضحة فان ثمرتها يكون انضج و
زيتها اصفى ويرده ما دل عليه الحديث المذكور من انها انه لا خير فيها لان اشراق الشمس
عليها دائما تحرقها يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار وصف الزيت بالصفاء والوبيص
وانه يتلالؤه يكاد يضئ من غير نار نور على نور اى هذا النور الذى يشبه به الحق نور
متضاعف قد تناصر فيه المشكوة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم يبق بقية مما يقوى
النور وهذا لان المصباح اذا كان فى مكان متضايق كالمشكوة كان اجمع لنوره بخلاف
المكوة الواسع فان الضوء ينبث فيه والقنديل المورث على زيادة الانارة وكذلك
الزيت وصفاؤه محسوس معهود لعل غير معاين ولا مشهود يهدى الله لنوره اى لهذا
النور الثاقب من يشاء فان الاسباب انما تمشى بمشيته ويضرب الله الامثال للناس
تقريبا الى افهامهم وتسهيلا لسبيل الادراك والله بكل شئ عليم كبيئى كل شئ بما هو انه

ببيت به فى بيوت متعلق بمشكوة اى كمشكوة فى بيوت فيكون تقييد التمثيل
به بما يكون تحبيرا ومبالغة فان قناديل المساجد تكون اعظم ولا بنا فى جمع البيوت
وحدة المشكوة اذ المراد بها ما له هذا الوصف بلا اعتبار وحدة ولا كثرة او بيسبح
او سبح له رجال فى بيوت وفيها تكرير فيه تأكيد نحو زيد فى الدار جالس فيها
او بمحذوف اى سبحوا فى بيوت والمراد بها المساجد لان الصفة تلائمها اذن الله
اى امر ان ترفع بالبناء او التعظيم ويذكر فيها اسمه عام فيما يتضمن ذكره من المذاكرة
فى افعاله والمباحثة فى احكامه يسبح له فيها بالغدو والاصال قال ابن عباس رض كل
تسبيح فى القرآن صلوة اى يصلى له فيها بالغداة صلوة الفجر وبالاصال سائر الصلوة
فلذا وحد الغدو وجمع قرينه والاصيل فى الاصل الوقت الذى بعد العصر الى المغرب
صرح به الجوهرى وصدر الافاضل وجمعه اصل واصال وقيل والاصال جمع اصل
جمع اصيل وهو العشى فقد اخطأه مرتين وقرئ والايصال وهو الدخول فى
الاصيل وقرئ يسبح بالفتح على اسناده الى احد الظروف الثلثة ورفع رجال
عليه يسبح وقرئ بالتاء مكسورة لتأنيث الجمع ومفتوحا على اسناده الى اوقات الغدو
وانما خص الرجال بالذكر اذ ليس على النساء والصبيان والحضور فى المساجد لا تلهيهم
لا تشغلهم تجارة اى بالسفر ولا بيع اى فى الحضر وحملناهما على هذين ليكون الزيادة
افادة لا لمجرد اعادة عن ذكر الله اى خارج الصلوة واقام الصلوة اى وعن اقامة
الصلوة التاء فى اقامة عوض من العين الساقط للاعلال اذ الاصل اقوام فلما قلبت الواو
الفا اجتمع الفان فحذفت احدهما لالتقاء الساكنين فبقى اقاما فادخلت التاء عوضا عن
المحذوف فلما اضيفنا اقيمت الاضافة مقام التاء فاسقطت وايتاء الزكوة يعنى انهم يكونون
فى سبيل الكسب ولكن اذا حضر حق الله تعالى او حق عباده بدأ وبه يخافون حال من الضمير فى
تلهيهم او صفة اخرى لرجال يوما يوم القيمة اى الحامل لهم على اقامة هذه الاشياء بحذف
القيمة تتقلب فيه القلوب لبلوغها الى الحناجر والابصار او تتقلب القلوب الى الايمان بعد
الكفران والابصار الى العيان بعد انكاره للطغيان كقوله فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم
حديد ليجزيهم الله متعلق بيسبح او لا تلهيهم او يخافون احسن ما عملوا او ادناه المندوب
والاحتراز بالاحسن عن الحسن وهو المباح اذ لا جزاء له ويزيدهم من فضله
الموعود على العمل تفضلا والله يرزق ببيب من يشاء بغير حساب ثوابا لا يدخل فى حساب
الخلق تقرير للزيادة وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ المشية وسعة الاحسان والذين
كفروا اعمالهم كسراب اى الذين كفروا حالهم على ضد ذلك فان اعمالهم التى يظنونها صالحة
نافعة عند الله يجدونها لاغية محبطة فى العاقبة كالسراب وهو ما يرى فى الفلاة من لمعان

الشمس عليها وقت الظهيرة يسرب على وجه الارض كانه ماء يجرى بقيعة بمعنى القاع
او جمع قاع وهو المنبسط المستوى من الارض يحسبه الظمآن ماء التشبيه في
شدة الخيبة عند مسيس الحاجة حتى اذا جاءه اى جاء الى ما توهم انه ماء الظمآن بشدة
العطش لم يجده شيئا اى لم يجده شيئا فما يقال هذا ليس بشيء يراد به نفى نفعه هذا
اذا كان المعنى اذا جاء موضعه فمعنى لم يجده شيئا لم يجد في ذلك الموضع شيئا كان يتراءى
اى له لانه لا يجرى ذلك اذا احضر وكذلك الكافر اذا قدم يوم القيمة لم يجدها نافعة او
لا يراها لانها صارت هباء منثورا على اعماله التى هى حسبت عنده ووجد الله اى وجد
عقاب الله عنده اى يبطل حسناته ويبقى عقاب سيئاته معدا له عنده فوفيه حسابه
اى اعطاه جزاء عمله وفيا كاملا وهذا بعد تقدم حملا على كل واحد من الكفار والله سريع
الحساب لانه لا يحتاج الى عد وعقد ولا يشغل حساب عن حساب قوله ووجد الله عطف
على ما تقدم من التمثيل على سبيل العطف على المعنى ومن غفل عن هذا زعم انه من تتمة
التمثيل فتعسف في توجيهه او كظلمات في بحر او هنا كما في او كصيب وما قيل والتنويع
فان اعمالهم ان كانت صالحة فكالسراب وان كانت قبيحة فكالظلمات برده قوله
ووجد الله عنده لان الاعمال الصالحة وان لم تكن نافعة مع الكفر لا يكون في عاقبتها
وخامة لجى عميق كثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم الماء يغشاه يغشى البحر او من فيه
اى يعلوه ويغطيه موج وما ارتفع من الماء من فوقه موج اى من فوق الموج موج
آخر من فوقه اى من فوق الموج الاعلى سحاب غطى النجوم وحجب انوارها والجملة صفة
اخرى للبحر ظلمات اى هذه ظلمات بعضها فوق بعض ظلمة الموج على ظلمة البحر وظلمة
الموج على ظلمة الموج وظلمة السحاب على الموج اذا اخرج يده وهو اقرب ما يرى اليه
لم يكد يراها لم يقرب ان يراها فضلا ان يراها والضمائر للواقع في البحر وان لم يجر ذكره
لدلالة المعنى عليه ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور اى من لم يهده الله لم يهتد على
الزجاج في الحديث خلق الله الخلق في ظلمة ثم رش عليه من نوره فمن اصابه من ذلك النور
اهتدى ومن اخطأ ضل الم تر الم تعلم علما يقوم مقام العيان في الايقان ان الله يسبح
له ينزه ذاته عن كل نقص وآفة من في السموات والارض ومن لاسناد التسبيح فلا حاجة
الى التغليب وفي يعقلون اريد به الملائكة والثقلان والطير على الاول تخصيص لما فيها من
الصنع الظاهر والدليل الباهر ولذلك قيده بقوله صافات فان اعطاء الاجرام الثقيلة
ما به يقوى على الوقوف في الجو صافة باسطة اجنحتها بما فيها من القبض والبسط حجة قاطعة
على كمال قدرة الصانع ولطف تدبيره كل كل واحد مما ذكر او من الطير قد علم الخبير
لكل ما هو كذا في صلوته وتسبيحه ولا يبعد ان يلهم الله الطير

وتسبيحه كما الهمها سائر العلوم الدقيقة التى لا تكاد العقلاء يهتدون اليها والله
عليم بما يفعلون من الصلوة والتسبيح وغيرهما ولله ملك السموات والارض لا شريك
له فيه والى الله المصير مرجع الكل وانما عدل عن الضمير تفخيما الم تر ان الله يزجى سحابا معنى
يزجى يسوق قليلا قليلا ويستعمل في سوق الثقيل برفق كالسحاب والمعنى يسوق سحابه
الى سحابه ثم يؤلف بينه تذكيره للفظ اى يضم بعضه الى بعض ثم يجعله ركاما
كما بعضه فوق بعض فترى الودق المطر يخرج من خلاله من فتوقه جمع خلل كجبال في
جبل وينزل من السماء من الغمام وكل ما علاك فهو سماء من جبال فيها من قطع عظام تشبه
الجبال في عظمها من برد بيان للجبال والمفعول محذوف اى ينزل مبتدئا من السماء من
الجبال فيها من برد بردا ويجوز من الثالثة للتبعيض واقعة موقع المفعول
فيصيب به بالبرد من يشاء فيضره في نفسه او في زرعه ويصرفه عمن يشاء فلا يكاد سنا
برقه ضوء برقه يذهب بالابصار بابصار الناظرين اليه من فرط الاضاءة وذلك اقوى
الضد من الضد وقرئ يذهب على زيادة الباء يقلب الله الليل والنهار
بالمعاقبة بينهما او بنقص احدهما وزيادة الآخر ان في ذلك فيما تقدم ذكره لعبرة لدلالة
على وجود الصانع القادر العليم والتنبيه على وضوح الدلالة قال لاولى الابصار دون لاولى
البصائر ثم بين دليلا آخر فقال والله خلق كل دابة حيوان يدب على وجه الارض وقرئ
خالق كل دابة بالاضافة قال الراغب والدبيب اصله حكاية صورة حركة المشى ثم قيل دب
اذا مشى ويقال لكل ما يمشى دابة ثم خص الفرس من ماء هو جزء مادته وسبب جبلته على
ما اشير اليه في قوله تعالى ومن الماء كل شىء حى وقيل من ماء مخصوص وهو النطفة ولا يلزم ح
ان يرتكب الى ادعاء الغلبة في المخلوق من النطفة وتنزيل الغالب منزلة الكل لجواز ان
يراد من الدابة ما يتخلق بالتوالد بقرينة من ماء اى من نطفة كما اريد من الشىء في قوله تعالى
ومن الماء كل شىء حى ما به الحيوة بقرينة حى فمنهم من يمشى على بطنه كالحوت والحية سمى
الزحف مشيا استعارة لقيامه مقام المشى ليس هذا من قبيل ذكر المقيد وارادة المطلق
كما اذا ذكر المشفر واريد به الشفة مطلقا لان خصوصية الزحف مقصودة و
المشاكلة البديعية طريقة اخرى لا يصار اليها عند صحة الاستعارة البيانية ومنهم من يمشى
على رجلين ومنهم من يمشى على اربع

قيل قدم ما هو اعرف بالقدرة وهو الماشى بغير آلة مشى ثم الماشى على رجلين ثم الماشى
على اربع وفيه نظر لان مبناه الغفول عن ان المشى في الاول مستعار للزحف
يخلق الله ما يشاء كيف يشاء ان الله على كل شىء قدير فيفعل ما يشاء لقد انزلنا آيات

مبينات للحقائق بانواع الدلائل والله يهدى من يشاء بالتوفيق للنظر فيها والتدبر

لمعانيها الى صراط مستقيم هو دين الاسلام الذى يوصل الى جنة والايات للالزام حجته

بما ذكرنا انزال الايات ذكر بعدها افتراق الناس الى ثلث فرق فرقة صدقت ظاهرا

وكذبت باطنا وهم المنافقون وفرقة صدقت ظاهرا وباطنا وهم المخلصون وفرقة كذبت

كذبت ظاهرا وباطنا وهم الكافرون على هذا الترتيب فبدا بالمنافقين فقال ويقولون

امنا بالله وبالرسول بالسنتهم واطعنا الله والرسول ثم يتولى اى يعرض عنها فان

الاعراض فريق منهم من بعد ذلك

الى القائلين باسرهم فيكون اعلاما من الله تعالى بان جميعهم وان امنوا بلسانهم ثم

يؤمنوا بقلوبهم لاشتراكهم فى فساد الاعتقاد وظهور الاعراض وان كان من بعضهم

فالرضاء به من كلهم او الى الفريق المذكور خاصة وانما اتى بالواو دون الفاء لان عدم

ايمانهم ليس لتوليهم بل الامر بالعكس والتعريف للدلالة على انهم ليسوا بالمؤمنين

الذين عرفتهم وهم المخلصون على الايمان او التائبون عليه ومرجع العهد الى وصف

الايمان الخالص ولما فيه من التنصيص على نفى ذلك الوصف عنهم لم يقل وما اولئك مؤمنين

لما فيه من احتمال ان يرجع العهد الى الموصوفين به اذ لا يلزم من عدم كونهم الموصوفين

بذلك الوصف ان لا يكون موصوفا به اصلا واذا دعوا الى الله ورسوله الدعوة الى الرسول

عليه السلام وذكر الله تمهيد لتعظيم دعوته واظهار مكانته وليس هذا طريق الابدال ليحكم بينهم

اى يحكم الرسول عليه السلام لانه الحاكم ظاهرا وانما لم يقل ليحكم عليهم اشعارا بان اعراضهم

غير مخصوص بصورة الظن بالحكم عليهم بل شامل لصورة الشك فشانهم للاعراض

فيما اذا اشتبه الامر حالا واخ الحكم لهم مالا ومن غفل عن هذا الاعتبار اللطيف قال

فى قوله تعالى اذا فريق منهم معرضون فاجاء فريق منهم الاعراض اذا كان الحق عليهم

لعلمهم بانك لا تحكم لهم وهو شرح للتولى

وان يكن لهم الحق اى الحكم فى اعتقادهم ياتوا اليه مذعنين

بحكم رسولهم قال الزجاج الاذعان الاسراع فى الطاعة

ما فى الاسراع من معنى الاتيان يجوز ان يكون الى صلة لمذعنين ويكون تقديمه للاختصاص

ومحافظة الفاصلة افى قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم يتقض

الحق عليهم انما قدم صلة الحيف على قوله ورسوله اظهارا بانه على تقدير وقوعه يكون

من الله تعالى شانه عما يقول الظالمون ولا يكون فيه دخل للرسول لانه مظهر لا مثبت

فترالامر فى صدورهم عن حكومته اذا لم يعتقدوا ان الحكم لهم بان يكونوا مرضى

القلوب منافقين اومرتابين بان رأوا منك تهمة فزالت ثقتهم بك وخائفين الحيف

فى قضائه وجه التقسيم ان اما الخلل فيهم او فى الحاكم والثانى اما ان يكون

محققا عندهم او متوقعا وكلاهما باطل لان منصب نبوته وفرط امانته يمنعه فتعين

الاول فلذلك اضرب بقوله بل اولئك هم الظالمون اعنى القسمين الاخيرين لتحقيق القسم

الاول وظلمهم يعم خلل عقيدتهم وميل نفوسهم الى الحيف والفصل لنفى ذلك عن غيرهم

سيما المدعو الى حكمه نزلت

ان يخلوا من له الحق عليهم وذلك شئ لا يستطيعونه فى مجلس رسول الله عليه السلام فمن

ثمه يابون المحاكمة اليه هذا ما ادى اليه النظر الجليل والذى ادى اليه النظر الدقيق هو انه

اضرب عن نفس التقسيم بعد دع التقسيم فانهم هم الكاملون فى الظلم الجامعون لتلك الاوصاف

على الكمال فلذلك صدواعن ذكر منك يدل على ذلك اسم الاشارة والتعريف بلام الجنس

وتوسيط ضمير الفصل انما كان قول المؤمنين قرئ قول بالرفع والنصب قوى لان اولى الاسمين

يكونه اسما لكان اوغلهما فى التعريف اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم الرسول وقرئ على

البناء للمفعول واسناده الى ضمير مصدره على معنى ليفعل الحكم بينهم بحكم الله الذى انزل

عليه ان يقولوا سمعنا قوله واطعنا امره واولئك هم المفلحون الفائزون على عادتهم تعالى

فى اتباع ذكر المحق المبطل والتنبيه على ما ينبغى بعد انكاره لما لا ينبغى ومن يطع الله ورسوله

فى الاوامر والنواهى ويخشى الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل فاولئك هم

الفائزون بالنعيم المقيم واقسموا بالله جهد ايمانهم اى حلف المنافقون بالله وهو جهد

اليمين لانهم بذلوا فيها مجهودهم وجهد يمينه مستعار من جهد نفسه اذا بلغ اقصى وسعها

وذلك بالغ فى اليمين وبلغ شدتها ومكادتها واصل اقسم جهد اليمين اقسم بجهد اليمين جهدا

فحذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه مضافا الى المفعول كقولك فضرب الرقاب

حكم هذا المنصوب حكم الحال كانه قال جاهدين ايمانهم لئن امرتهم بالخروج عن ديارهم

واموالهم ليخرجن جواب لاقسموا على الحكاية قل لا تقسموا على الكذب طاعة معروفة للنبى

خير من قسمكم الذى لا تصدقون فيه ولا تصدقون او الذى يطلب منكم طاعة معروفة

لا اليمين للطاعة النفاقية المنكرة او ليكن طاعة وقرئت بالنصب على اطيعوا طاعة ان الله خبير

بما تعملون يعلم ما فى ضمائركم ولا يخفى عليه شئ من سرائركم قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول

امر بتبليغ ما خاطبهم الله به على الحكاية مبالغة فى تبكيتهم فان تولوا فانما عليه على الرسول

ما حمل من التبليغ وعليكم ما حملتم من الامتثال وان تطيعوه فى امره ونهيه تهتدوا الى

الحق وما على الرسول الا البلاغ المبين وقد ادى وانما بقى ما حملتم فان اديتم فلكم وان

فعليكم البلاغ بمعنى التبليغ كالاداء بمعنى التادية والمبين لكونه مقرونا بالايات والمعجزات ثم ذكر المخلصين فقال وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات الخطاب للنبي عم والامة او له ولمن معه ومن للبيان ليستخلفنهم في الارض ليجعلنهم خلفاء متصرفين في الارض تصرف الملوك في ممالكهم وجواب قسم مضمر تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم او الوعد في تحققه منزل منزلة القسم كما استخلف الذين من قبلهم

وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وهو الاسلام بالتقوية والتثبيت وليبدلنهم من بعد خوفهم من الاعداء امنا منهم بغلبتهم عليهم كان رسول الله عليه السلام واصحابه رض ومكثوا بمكة عشر سنين خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى انجز الله تعالى وعده فاظهرهم الله على العرب كلهم وفتح لهم بلاد الشرق والغرب يعبدونني حال من الذين لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد او استئناف ببيان المقتضي للاستخلاف والامن لا يشركون بي شيئا حال من الواو اي يعبدونني غير مشركين ويجوز ان يكون حالا بدلا من الحال الاولى ومن كفر ومن ارتد او كفر هذه النعمة بعد ذلك بعد الوعد وبعد حصول الخلافة فاولئك هم الفاسقون الكاملون في فسقهم حيث كفروا بعد وضوح مثل هذه الايات او كفروا بتلك النعمة العظيمة واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واطيعوا الرسول في سائر التكاليف الشرعية بالاوامر والنواهي ولا يبعد عطف ذلك على اطيعوا الله فان الفاصل وعد على المامور به فيكون تكرير الامر بطاعة الرسول للتاكيد وتعليق الرحمة به او بالمندرج فيه بقوله لعلكم ترحمون كما علق به الهدى لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض فانهم لا يفوتون الله تعالى بان لا يقدر عليهم فيها فالتاء خطاب للنبي عليه السلام وهو الفاعل والمفعولان الذين كفروا معجزين وقرئ بالياء و الفاعل النبي عليه السلام لتقدم ذكره والمفعولان ما ذكر ومأويهم النار عطف عليه من حيث المعنى كانه قيل الذين كفروا ليسوا بمعجزين ومأويهم النار لان المقصود من النهي عن الحسبان تحقيق نفي الاعجاز ولبئس المصير المأوى الذي يصيرون اليه يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم رجوع الى تتمة الاحكام السالفة بعد الفراغ عن الايات الدالة على وجوب الطاعة فيما سلف من الاحكام وغيرها والوعد عليها والوعيد على الاعراض عنها والمراد به خطاب الرجال والنساء غلب فيه الرجال لما روي ان غلام اسماء بنت ابي مرشد دخل عليها في وقت كرهته فنزلت والذين لم يبلغوا الحلم والصبيان الذين لم يبلغوا فكنى به عن البلوغ الى حد الرجولية ببلوغ الحلم اي الاحتلام لانه اقوى دلائله منكم من الاحرار ثلث مرات في اليوم والليلة من قبل صلوة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع و طرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب بدلا من ثلث مرات

او الرفع خبر المحذوف اي هي من قبل صلوة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة بيان للحين وهي نصف النهار في القيظ فانها وقت وضع الثياب للقيلولة ومن بعد صلوة العشاء لانه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم ثلث عورات لكم اي هذه ثلث اوقات يختل فيها تستركم ويجوز ان يكون مبتدأ ما بعده خبره وقرئ بالنصب بدلا من ثلث مرات اوقات واصل العورة الخلل ومنها الاعور المختل العين دخل غلام من الانصار على عمر رض وقت الظهيرة وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رض وددت ان الله تعالى نهى عن الدخول في هذه الساعات الا باذن فانطلق الى النبي عليه السلام و نزلت عليه الاية ثم عذرهم في ترك الاستيذان وراء هذه المرات بقوله ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن بعد هذه الاوقات في ترك الاستيذان وانما نفي الجناح عن الطرفين لان الحرمة في وقت الحرمة من الطرفين ومن هنا تبين ان الامر بالاستيذان في حق المماليك والصبيان تضمن الامر بالاحتياط في حق المخاطبين وليس فيه ما ينافي اية الاستيذان فينسخها لانه في الصبيان ومماليك المدخول عليه وتلك في الاحرار البالغين ومماليك الغير واما ما قيل هذا مما الناس فيه في غفلة وهو عندهم كالشريعة المنسوخة فمنشاؤه الغفلة عما حكاه المهدوي عن ابن عباس رض من ان ذلك كان واجبا اذ كانوا لا غلق لهم ولا ابواب ولو عاد الحال لعاد الوجوب طوافون عليكم هم طوافون استئناف لبيان العذر المرخص في ترك الاستيذان وهو شدة المخالطة وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الاحكام وفي الفرق بين الاوقات الثلث وغيرها بانها عورات دليل على تعليل الاحكام بعضكم طائف على بعض او يطوف بعضكم على بعض والجملة مؤكدة لما قبلها ويجوز ان يكون بدلا منه يعني لا بد لهم من ذلك للخدمة فلو جزم الامر بالاستيذان في كل وقت لافضى الى الحرج كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله لكم الايات اراد بالايات علل الاحكام يعني كما يبين لكم علة الاستيذان يبين العلل في غيره من الاحكام التعليلية عند الحاجة اليه والله عليم بمصالح عباده حكيم في بيان مراده واذا بلغ الاطفال منكم اي من الاحرار دون المماليك الحلم الاحتلام كناية عن بلوغهم حد الرجولية اي اذا بلغوا وارادوا الدخول عليكم فليستاذنوا في جميع الاوقات كما استاذن الذين من قبلهم اي الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الكبار من الاحرار او الذين ذكروا من قبلهم في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا الاية والمعنى ان الاطفال ماذون لهم في الدخول بغير اذن الا في العورات الثلث فاذا اعتاد الاطفال ذلك ثم بلغوا بالاحتلام او بالسن وجب ان يفطموا عن تلك العادة ويحملوا على ان يستاذنوا في جميع الاوقات كالكبار من الاحرار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم الا بالاذن كذلك يبين الله لكم اياته والله عليم حكيم كرره تاكيدا

مبالغة في الامر بالاستئذان والقواعد من النساء العجائز اللاتي قعدن عن الحيض والحمل
لكبرهن فقعودهن كناية عن الياس عن التماس الناس فالتوصيف بقوله
اللاتي لا يرجون نكاحا لا يطمعن فيه لتقرير هذا المعنى وتاكيده فليس عليهن جناح اثم و
دخلت الفاء لما في المبتدا من معنى الشرط بسبب اللام ان يضعن في ان يضعن ثيابهن اى
الظاهرة كالملحفة والجلباب الذى فوق الخمار غير متبرجات بزينة اى غير مظهرات زينة
يريد الزينة التى امر باخفائها في قوله تعالى ولا يبدين زينتهن الآية اى لا يقصدن بوضعها
التبرج ولكن التخفف وحقيقة التبرج التكلف في اظهار ما يخفى من قولهم سفينة بارجة لا
غطاء عليها الا انه خص بتكشف المراة زينتها ومحاسنها للرجال وان يستعففن اى يطلبن
العفة عن وضع الثياب فيستترن خير لهن من وضعها لانه ابعد من التهمة والله سميع لمقالتهن
للرجال عليم بمقاصدهن ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج
قال سعيد بن المسيب كان المسلمون اذا خرجوا الى الغزو مع النبي عليه السلام وضعوا
مفاتيح بيوتهم عند الاعمى والاعرج والمريض وعند اقاربهم ويأذنونهم ان ياكلوا
من بيوتهم عند الاعمى والاعرج والمريض وعند اقاربهم وكانوا يتحرجون عن ذلك و
يقولون نخشى ان لا يكون انفسهم بذلك طيبة فنزلت الآية رخصة لهم ولا على انفسكم
ان تاكلوا من بيوتكم هذا على ظاهره ولم يرد به بيان الحكم فيه بل اظهار التسوية بينه وبين
قرنائه كقوله تعالى تكلم الناس في المهد وكهلا او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم لم
يذكر بيوت الاولاد اصالة لحالها على الدلالة او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او
بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم لان الاذن
من هؤلاء ثابت دلالة او ما ملكتم مفاتحه جمع مفتح وهو ما يفتح به الغلق واريد بملكه
كونه في يده وحفظه قال ابن عباس رض هو وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته له ان
ياكل من ثمر ضيعته ويشرب من لبن ماشيته او صديقكم او بيوت صديقكم وهو يقع على
الواحد والجمع كالخليط وكان الرجل من السلف يدخل دار صديقه وهو غائب ويسال جاريته
كيسه فياخذ ما شاء فاذا حضر مولاها اعتقها سرورا بذلك فاما الآن فقد غلب الشح على
الناس فلا يوجد صديق حكمه هذا لانه يوجد ويتخلف عنه الحكم لغلبة الشح وكان
لندرة وجوده عدل فيه عن صيغة الجمع ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا مجتمعين
ورد فيمن تحرجوا من الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الاكل وزيادة بعضهم
على بعض او اشتاتا متفرقين جمع شت ورد فيمن تحرجوا عن الاكل وحده فاذا دخلتم
بيوتا من هذه البيوت فسلموا على انفسكم على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة وهذا
كقوله ولا تقتلوا انفسكم اى من هو من جنسكم تحية نصب بسلموا لانه في معنى تسليما كقولك قعدت

جلوسا من عند الله اى ثابتة بامره مشروعة من لدنه ويجوز ان يكون صلة للتحية فانها طلب
الحياة وهي من عنده مباركة لانها دعوة مؤمن لمؤمن بامر الله يرجى بها زيادة الخير و
الثواب طيبة يطيب بها نفس المستمع في حديث انس رض قال عليه السلام متى لقيت من امتى احدا
فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلوة الابرار الاوابين
كذلك يبين الله لكم الآيات كرره ثالثا لمزيد التاكيد وتفخيم الاحكام المختتمة به فصل الاولين
بما هو المقتضى لذلك وهذا بما هو المقصود منه فقال لعلكم تعقلون اى الحق والخير في الامور
انما المؤمنون اى الكاملون في الايمان الذين آمنوا بالله ورسوله من صميم قلوبهم واذا كانوا معه
على امر جامع كالجمعة والاعياد والحروب والمشاورة في الامور ووصف الامر بالجمع على
سبيل المجاز والمبالغة لم يذهبوا حتى يستأذنوه اى ويأذن لهم ولما اراد ان يريهم عظم
الجناية في الذهاب عن مجلسه عليه السلام اذا كانوا معه على امر جامع جعل ترك الذهاب
بلا اذن ثالث الايمان بالله تعالى والايمان برسوله عليه السلام وجعلهما كالتمهيد لذكره
ثم عقبه بما يزيده توكيدا وتشديدا حيث اعاده على اسلوب آخر ابلغ فقال ان
الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله وضمنه شيئا آخر وهو انه
جعل الاستئذان كالمصداق لصحة الايمانين وعرض بحال المنافقين وتسللهم لواذا
فاذا استأذنوك في الانصراف لبعض شأنهم يعرض لهم من المهام وفيه ايضا مبالغة و
تضييق للامر فاذن لمن شئت منهم فيه رفع شانه عليه السلام بتفويض الامر الى رايه
عليه السلام ففيه دلالة على ان بعض الاحكام مفوض الى رايه عليه السلام وتقييد المشية
بان يكون تابعة لعلمه بصدقه حتى يكون المعنى فاذن لمن علمت ان له عذرا تعسف ظاهر و
استغفر لهم الله بعد الاذن فان الاستئذان ولو لعذر قصور لانه تقديم لامر الدنيا على
امر الآخرة الدين ان الله غفور لفرطات العباد رحيم بالتيسير عليهم لا تجعلوا دعاء الرسول
بينكم كدعاء بعضكم بعضا نهى عن التسوية بين الدعائين والمقصود النهى عن اوانها
كجواز الاعراض والمساهلة في الاجابة والرجوع بغير اذن وذلك لان المبادرة الى اجابته
واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة وحمل الدعاء على الدعاء والتسمية او على الدعاء عليه لا
يناسب السباق واللحاق والفصل بين اجزاء الكلام بالاجنبي من المساق يخل بمقتضى
البلاغة وحسن الاتساق قد يعلم الله الذين يتسللون منكم يخرجون قليلا قليلا من الجماعة
ونظير تسلل تدرج وتدخل لواذا ملاوذة بان يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج او بان يلوذ
بمن يؤذن له فينطلق معه كانه تابعه وانتصابه على الحال اى ملاوذين فليحذر الذين يخالفون
عن امره يخالفون امره بترك مقتضاه وعن لتضمنه معنى الاعراض او يصدون عن امره دون
المؤمنين والضمير لله لان الامر له في الحقيقة او للرسول عليه السلام لان المقصود بالذكر

ومفعول يحذر أن تصيبهم فتنة محنة في الدنيا أو يصيبهم عذاب أليم في الآخرة وأو لمنع
الخلو فلا ينافي الجمع والآية تدل على أن الأمر للإيجاب ألا إن لله ما في السموات والأرض قد يعلم
ما أنتم عليه أدخل قد ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق ومرجع توكيد العلم
إلى توكيد الوعيد والمعنى أن جميع ما في السموات والأرض مختصة به خلقا وملكا وعلما فكيف يخفى
عليه أحوال المنافقين وإن كانوا يجتهدون في سترها ويوم يرجعون إليه يوم يرجع المنافقون
إليه للجزاء أي ويعلم يوم يردون إلى جزائه وهو يوم القيامة والخطاب والغيبة في الكلامين المذكورين
يجوز أن يكونا جميعا للمنافقين على طريقة الالتفات ويجوز أن يكون الأول عاما والثاني خاصا
بهم فينبئهم يوم القيامة بما عملوا بما أبطنوا من سوء أعمالهم ويجازيهم حق
جزائهم والله بكل شيء عليم فلا يخفى عليه خافية

تبارك تزايد خيره وتكاثر أو تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله وهي
كلمة تعظيم لم تستعمل إلا لله وحده والمستعمل منه الماضي فحسب وترتيبه على إنزال
القرآن لما فيه من كثرة الخير الذي نزل الفرقان مر تفسيره في آل عمران على عبده وقرئ على
عباده وهم رسول الله عليه السلام وأمته أو المرسلون بالكتب السماوية على أن الفرقان
اسم جنس لها ليكون العبد أو الفرقان للعالمين للثقلين نذيرا منذرا أو إنذارا
كالنكير بمعنى الإنكار وهذه الجملة معلومة للرسول عليه السلام ولا يلزم أن يكون الصلة
معلومة لكل أحد الذي رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أو على الإبدال من الذي نزل أو على
المدح أو نصب عليه له ملك السموات والأرض على الخصوص ولم يتخذ ولدا كما زعم اليهود
والنصارى ومشركو العرب في عزير والمسيح والملائكة ولم يكن له شريك في الملك كما
زعمت الثنوية وخلق كل شيء لا كما قالت المجوس أنه تعالى لم يخلق الظلمة ولا كما
قالت المعتزلة أنه تعالى غير خالق لأفعال العباد فقدره تقديرا أي قدر كل شيء تقديرا
يوافق الحكمة فخلقه والغلب بمحافظة الفاصلة واتخذوا من دونه آلهة لما تضمنت الكلام
إثبات التوحيد والنبوة أخذ في الرد على المخالفين فيهما والضمير للكافرين لدلالة نذيرا عليهم
لا يخلقون شيئا وهم يخلقون وصف آلهتهم بما يدل على أنها لا تستحق العبادة أي لا يقدرون
على الخلق ومع ذلك هم مخلوقون وإنما قال يخلقون إظهارا لحدوثها وفيه وجه آخر
لعدم استحقاقها بالعبادة ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ملكهما كناية عن القدرة على التصرف
فيهما بالدفع والجلب فلا حاجة إلى تقدير مضاف وتقديم الضر لأن دفعه أهم من جلب النفع

وإنما قال لأنفسهم إظهارا لغاية عجزهم فإن من لا يقدر على ذلك في حق نفسه لا يقدر عليه
في حق غيره بدون العكس ولا يملكون موتا قدمه على الحيوة على عكس ترتيب الوجود لتقديم
الضر على النفع ولا حيوة ولا نشورا أراد به الإحياء بعد الموت أي إنهم بمعزل عن الألوهية
لعرائهم عن لوازمها واتصافهم بما ينافيها وجعلها كالعقلاء لزعم عابديها وقال الذين كفروا
إن هذا ما هذا القرآن إلا إفك كذب مصروف عن وجهه افتراه اختلقه يعني محمدا عليه السلام
وأعانه عليه قوم آخرون أي اليهود فإنهم يلقون إليه أخبار الأمم وأحوال الآخرة وهو يعبر
عنه بعبارته فقد جاؤا أتوا يستعمل في معنى فعل فيعدى تعديته وأتى حذف الجار وإيصال
الفعل فلا بد فيه من اتساع ظلما بجعل الكلام المعجز إفكا مختلقا متلقفا من اليهود وزورا
بنسبة ما هو بريء منه إليه والزور القول المائل عن القصد وقالوا أساطير الأولين
ما سطره المتقدمون وقدر ببيان الأساطير اكتتبها أي كتبها لنفسه أو استكتبها وقرئ
على البناء للمفعول لأنه أمي وأصله اكتتبها كاتب له فحذف اللام وأفضى الفعل إلى الضمير فصار
اكتتبها إياه كاتب ثم حذف الفاعل وبني الفعل للضمير فاستتر فيه فهي تملى عليه أي تلقى عليه من
كتابه ليحفظها فإنه أمي لا يقدر أن يكرر من الكتاب بكرة وأصيلا البكرة أول النهار والمراد
من الأصيل آخره بقرينة المقابلة قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض من خفايا
الأحوال والسر إخفاء المعنى في القلب والمراد ما في السموات والأرض من خفايا الأحوال
يعني أن في القرآن أخبارا عما لا يعلمه إلا الله تعالى من الجنة والنار وما فيهما ولا تعرض لها في
التورية والإنجيل لو كان مأخوذا من اليهود والنصارى لم يزد على ما فيهما وأيضا فيه
أخبار عن الحوادث السماوية والأرضية قبل حدوثها وليس فيها احتمال الأخذ من كتب
المتقدمين إنه كان غفورا ساترا للذنوب ومؤخرا للانتقام رحيما بالإمهال وعدم الاستيصال
وإدرار الإنعام ليتوب بعضهم ويرجع عن الإصرار ويخرج من أصلاب المصرين أصحاب
الاعتبار والاختيار وزيادة كان لإفادة الدلالة على العادة وقالوا مال وقعت اللام في
المصحف مفصولة عن الهاء وخط المصحف سنة لا تغير هذا الرسول ما لهذا الذي يزعم
أنه رسول وفيه استهانة وتهكم يأكل الطعام ويمشي في الأسواق حال والعامل فيها هذا
والجملة الأولى كناية عن غاية الأكل ولا يخفى ما فيها من تقبيح الحال الذي يقتضيه مساق المقام
والثانية كناية عن الغرض من المشي في الأسواق وهو طلب أسباب المعاش أي إن صح أنه رسول
الملك المتعال فما باله يفعل هذه الأفعال يعنون أنه كان يجب أن يكون ملكا بريئا عن لوازم
البشرية ثم تنزلوا عن ذلك الاقتراح إلى اقتراح أن يكون إنسانا معه ملك حتى يتساندا في الإنذار
بقولهم لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا ثم تنزلوا فقالوا أو يكون له جنة يأكل منها أي إن
لم يلق إليه كنز فلا أقل أن يكون له بستان كما للدهاقين والمياسير فيتعيش بريعه وحسن

عطف المضارع وهو يلقى ويكون على الذل وهو ماض دخول المضارع وهو فيكون بينهما
وانتصب فيكون لانه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام واراد بالظالمين بقوله وقال
الظالمون اياهم باعيانهم غير انه وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالظلم ان تتبعون
الا رجلا مسحورا سحر فغلب على عقله فيخيل اليه الشيطان ملكا وكلامه وحيا انظر كيف ضربوا لك
الامثال اى قالوا فيك تلك الاقوال الغريبة واخترعوا لك تلك الاحوال النادرة فضلوا عن
طريق الحق فى جميع ذلك فلا يستطيعون سبيلا الى طعن موجه فيتهافتون ويخبطون كالمتحير
فى امره لا يدرى ما يصنع او فلا يجدون سبيل هداية ولا يطيقونه لالتباسه عليهم تبارك
الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك فى الدنيا خيرا مما قالوا وهب لك فى الدنيا او لكن
اخره الى الآخرة لانه خير وابقى وقوله جنات تجرى من تحتها الانهار بدل من خيرا ويجعل
لك قصورا عطف على محل الجزاء وقرئ بالرفع لان الشرط اذا وقع ماضيا جاز فى جزائه الجزم
والرفع ويجوز ان يكون استئنافا بوعد ما يكون له فى الآخرة وقرئ بالنصب على انه جواب
الشرط بالواو بل كذبوا بالساعة عطف على ما حكى عنهم يقول بل اتوا باعجب من ذلك كله وهو
تكذيبهم بالساعة او متصل بما يليه كانه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون الى هذا الجواب
وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك فى الآخرة وهم لا يؤمنون بها واعتدنا لمن كذب بالساعة
سعيرا وهيأنا للمكذبين بها نارا شديدة الاستعار والسعار تهيج النار لشدة الالتهاب
اذا رأتهم اذا كانت بمرأى منهم وصارت منهم بقدر ما يرى منه الرأى كقولهم تتراءى اى تتناظر
وتتقابل بحيث يكون احدهما بمرأى من الآخر على المجاز والتأنيث لانه بمعنى النار او جهنم
من مكان بعيد هو اقصى ما يمكن ان يرى منه سمعوا لها تغيظا وزفيرا صوت تغيظ شبه
صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا ما يتراءى فى بادئ
النظر والذى يظهر عند التأمل هو انه من قبيل المجاز التمثيلى الشائع فى كلام الله تعالى شبهت
النار بمن له تلك الحال وذلك فى غاية البلاغة فمفردات الكلام على حالها وانما قال لها دون منها
او فيها تنصيصا على ما به يتم التمثيل وهو ان يكون التغيظ والزفير لها لا فيها واذا القوا منها
بيانا تقدم فصار حالا مكانا ضيقا لزيادة العذاب فان الكرب مع الضيق كما ان
الروح مع السعة وعن ابن عباس رضى الله عنه انه يضيق عليهم كما يضيق الزج فى الرمح مقرنين
قرنت ايديهم الى اعناقهم فى الاغلال او يقرن مع كل كافر شيطانه فى سلسلة وفى
ارجلهم الاصفاد دعوا هنالك ثبورا هلاكا اى يتمنون الهلاك وينادونه فيقولون
واثبوراه اى تعال يا ثبور فهذا حينك فيقال لهم لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا
كثيرا وهم احقاء بان يقال لهم ذلك وان لم يكن هناك قول اى لا تقتصروا على حزن واحد بل
احزنوا حزنا كثيرا وكثرته اما لدوام العذاب متجددا واما لانه انواع وكل نوع منه يكون

ثبورا لشدته وفظاعته قل أذلك خير ام جنة الخلد التى وعد المتقون اى وعدها فالراجع
الى الموصول محذوف والاشارة الى مكان العذاب وهو النار وانما قال اذلك خير لاخير
فى النار توبيخا وتهكما للكفار والمراد من المتقين بقرينة المقابلة من يتقى انواع الكفر من
الشرك والتكذيب واضافة الجنة الى الخلد للمدح لا للدلالة على خلودها لانها حاصلة بقوله
خالدين كانت لهم جزاء على اعمالهم بالوعد الازلى ومصيرا مرجعا لهم فيها ما يشاؤن من
انواع الملاذ والمشتهيات والمشية تتبع العلم فالتفاوت فى درجات اهل الجنة فى
انواع تلذذهم بحسب علمهم وانما ذكرها مع عدم الحاجة اليه للتنبيه بتقديمه على ان حصول
كل المشتهيات لا يكون الا فى الجنة خالدين حال من احد ضمائرهم والضمير فى كان لما
يشاؤن وعلى فى قوله على ربك وعدا مسئولا لما فى منزلة الوجوب فى التأكيد بقرينة الوعد و
السؤال ومن وهم انه على حقيقته لامتناع الخلف فى وعده تعالى ثم قال ولا يلزم منه
الالجاء الى الانجاز لان تعلق الارادة بالموعود مقدم على الوعد الموجب للانجاز فقد
وهم حيث لم يعرف معنى الوجوب على الله والوجوب منه فان اللازم هو الاول والذى
صححه ودفع المحذور عنه انما هو الثانى وعدا مسئولا اى كان ذلك وعدا حقيقا بان يسأل
ويطلب ومسئولا سأله الناس فى دعائهم ويوم يحشرهم للجزاء وما يعبدون من دون
الله يعم كل معبود سواه وما وصف عام ولذلك يطلق لكل شبح يرى ولا يعرف او
يراد به الوصف ولتغليب الاصنام لاتحقيرا لان المغلب عليه من الانبياء والملائكة لا يليق
ذلك بشأنهم بل اعتبار الغلبة عبادهم وانما قلنا يعم كل معبود اذ لا قرينة للتخصيص
لا بالاصنام وذلك ظاهر ولا بالانبياء والملائكة لان كل شئ ينطق يومئذ فلا يكون السؤال
والجواب قرينة له فيقول للمعبودين أأنتم اضللتم عبادى الاضافة لتعظيم جرمهم لاضلال
لالتشريفهم لانهم المشركون هؤلاء بدل من عبادى ام هم ضلوا السبيل لاخلالهم
بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد النصيح والاستفهام للتقريع والتكذيب للعبدة
فلذلك قدم الضمير على الفعل ايلاء للحرف الاستفهام المقصود بالسؤال وهو الفاعل لا
الفعل وانما حذف صلة فعل للمبالغة قالوا سبحانك تعجبا لما قيل لهم لانهم اما ملائكة او
انبياء معصومون او جمادات لا تقدر على شئ او قصدوا به تنزيهه تعالى عن الانداد ما
كان ينبغى لنا اى ما كان يصح لنا ولا يستقيم ان نتخذ من دونك اولياء للعصمة او عدم
القدرة فكيف يصح لنا ان ندعو غيرنا ان يتولى احدا دونك وقرئ نتخذ على البناء للمفعول
من اتخذ الذى له مفعولان كقوله تعالى واتخذ الله ابرهيم خليلا ومفعوله الثانى من
ومن للتبعيض لان من لا تزاد فى المفعول الثانى بل فى الاول وعلى الاول هى زائدة لتأكيد
النفى وما تضمن قولهم ما كان ينبغى لنا انا لم نضلهم ولم نحملهم على الامتناع من الايمان

صلح ان يسندك بلكن فقالوا ولكن متعتهم وآباءهم بالاموال والاولاد وطول
العمر والسلامة من العذاب حتى نسوا الذكر حتى غفلوا عن ذكرك او التذكر لآلائك
والواو الفصيحة في وكانوا للعطف على محذوف تقديره فكفروا وكانوا قوما بورا
هالكين مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه الجمع والواحد قال ابن الزبعرى في
الواحد يا رسول الاله ان لساني راتق ما فتقت اذ انا بور فقد كذبوكم المعنى فقد
كذبكم المعبودون وهذه المفاجاة بالاحتجاج والالزام حسنة رائعة وخاصة اذا
انضم اليها الالتفات وحذف القول وقد سبق تحقيق هذا في قوله تعالى فقد جاءكم
بشير ونذير من سورة المائدة بما تقولون بقولكم فيهم انهم آلهة او هؤلاء اضلونا
والباء بمعنى في او مع المجرور بدل من الضمير وقرئ بالياء فمعناه فقد كذبوكم بقولهم
سبحانك ما كان ينبغي لنا فما يستطيعون وقرئ بالتاء على خطاب العابدين صرفا دفعا
للعذاب عنكم ولا نصرا فيعينكم عليه ثم خاطب المكلفين على العموم بقوله ومن يظلم منكم
الشرط وان عم كل من كفر او فسق لكنه في اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وهو التوبة
اجماعا وبالاحباط في الطاعة والعفو عندنا في الاصر نذقه عذابا كبيرا وهو عذاب النار
وفي عبارة نذقه اشارة الى ان العذاب جسماني وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم
ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق كسرت ان لاجل اللام في الخبر لان دخولها
وخروجها هنا سواء بل لانه موضع ابتداء تقديره الا هم يأكلون والجملة بعد الا صفة
لموصوف محذوف والمعنى وما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا وهو جواب لقولهم
آكلين وماشين وانما حذف لدلالة المرسلين عليه ويجوز ان يكون حالا اكتفى فيها
بالضمير وهو جواب لقولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق
وجعلنا بعضكم ايها الناس لبعض فتنة ابتلاء ولا دلالة فيه على القضاء والقدر
لان قوله أتصبرون علة للجعل لا للتقدير والمعنى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة لنظهر
ايكم تصبرون والفتنة ان يحسد المبتلى المعافى ويحقر المعافى المبتلى والصبر ان يحبس
نفسيهما هذا عن البطر وذاك عن الضجر وكان ربك بصيرا بصير بمن صبر وضجر من
ضجر او بالصواب فيمن ابتلى به وغيره وقال الذين لا يرجون الرجاء توقع الخير
يقوى في النفس وقوعه وبهذا القيد الاخير يفارق الامل لقاءنا بالخير لكفرهم بالبعث
او لا يخافون عقابنا اما لان الراجي قلق فيما يرجون كالخائف او لان الرجاء في لغة تهامة
الخوف واللقاء المصير الى الشيء من غير حائل ولهذا صح لقاء الجزاء لان العباد يصيرون
اليه في الآخرة وعلى هذا يصح ان يقال لا بد من لقاء الله لولا هلا انزل علينا الملائكة
رسلا دون البشر او شهودا على نبوته ودعوى رسالته او نرى ربنا جهرة

فيخبرنا برسالته ويأمرنا باتباعه لقد استكبروا في انفسهم اي في شأنها حتى
ارادوا لها ما يتفق لافراد من الانبياء الذين هم اكمل خلق الله تعالى في اكمل
اوقاتهم وما هو اعظم من ذلك وعتوا وتجاوزوا الحد في الظلم عتوا كبيرا
بالغا اقصى مراتبه حيث عاينوا المعجزات القاهرة فاعرضوا عنها واقترحوا لانفسهم
الخبيثة ما سدت دونه مطامع النفوس القدسية واللام جواب قسم محذوف
وفي الاستئناف بالجملة حسن واشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم فان في
فحوى هذا الفعل دليلا على التعجب من غير لفظه الا ترى ان المعنى ما اشد استكبارهم
وما اكبر عتوهم يوم يرون الملائكة ملائكة الموت او العذاب ويوم نصب بما
دل عليه لا بشرى اي يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى او يعدمونها وقوله
يومئذ مؤكد ليوم يرون او خبر وللمجرمين تبيين او خبر ثان او ظرف لما يتعلق
به اللام او لبشرى ان قدرت منونة غير مبنية مع لا فانها لا تعمل او باضمار اذكر ثم
اخبر فقال لا بشرى بالجنة يومئذ ولا ينتصب بيرون لان المضاف اليه لا يعمل في المضاف
ولا بشرى لانها مصدر والمصدر لا يعمل فيما قبله ولان المنفي بلا لا يعمل فيما قبل لا للمجرمين
ظاهر في موضع ضميرهم تسجيلا على جرمهم واشعارا بما هو المانع للبشرى والموجب لما
يقابلها او عام يتناول حكمه حكمهم من طريق البرهان ولا يلزم من نفي البشرى لعامة المجرمين
في نفي البشرى بالعفو والشفاعة في وقت آخر ويقولون حجرا محجورا عطف على المدلول
اي يقولون الكفرة حينئذ هذه الكلمة استعاذة وطلبا من الله تعالى ان يمنع لقاءهم وهي
مما كانوا يقولونه عند لقاء عدو او هجوم مكروه او يقولها الملائكة بمعنى حراما محرما
عليكم الجنة او البشرى وقرئ حجرا بالضم واصله الفتح او الكسر فانهما لغتان فيه غير
انه لما اختص بموضع مخصوص غير كقعدك وعمرك ولذلك لم يتصرف فيه ولا يظهر ناصبه
ووصفه بمحجورا للتأكيد كقولهم موت مائت وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء
منثورا لا قدوم هنا ولا ما يشبه القدوم ولكن مثلت حال هؤلاء واعمالهم التي
عملوها في كفرهم من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف وغير ذلك بحال من خالف
سلطانه وعصاه فقدم الى اسبابه وما تحت يديه فافسدها ومزقها كل ممزق ولم
يترك لها اثرا وعلى هذا يكون الكلام المذكور تمثيلا على سبيل الاستعارة لا استعارة في
مفرداته بخلاف ما اذا كان المعنى وعمدنا الى ما عملوا في كفرهم من المكارم فاحبطناه
فانه حينئذ يكون الاستعارة في المفردات لا في الكلام والهباء الشيء المنبث الذي تراه في
البيت من ضوء الشمس والهباء ايضا دقاق التراب ويقال له اذا ارتفع ومنثورا
صفته وليس فيه تشبيه على تقدير التمثيل واما على المعنى الثاني فقد شبه به عملهم المحبط

في حقارته وعدم نفعه ثم بالمنثور منه في انتثاره بحيث لا يقبل الاجتماع
ولا يقع به الانتفاع اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا تمييز والمستقر المكان الذي
يستقر فيه في اكثر الاوقات للتجالس والتحادث واحسن مقيلا قال الازهري القيلولة
والمقيل الاستراحة في نصف النهار وان لم يكن مع ذلك نوم وروي انه يفرغ من
الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار وفي لفظي الخير والاحسن
تهكم بهم ويوم اي اذكر يوم تشقق السماء اصله تتشقق فحذف التاء بعضهم
وادغمها في الشين الآخرون بالغمام بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام المذكور
في قوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ونزل الملائكة تنزيلا
في ذلك الغمام بصحائف اعمال العباد الملك يومئذ الحق للرحمن الثابت له لان كل
ملك يومئذ يبطل ولا يبقى الا ملكه تعالى فهو الخبر وللرحمن صلته او تبيين ويومئذ معمول
الملك لا الحق لانه المتأخر او صفة والخبر يومئذ او للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا
شديدا لما ينالهم من الاهوال والتشديد في السؤال ثم الخزي والنكال ثم النار والاغلال
ويفهم منه يسره على المؤمنين وفي الحديث يهون يوم القيمة على المؤمنين حتى يكون
عليهم اخف من صلوة مكتوبة صلوها في الدنيا ويوم يعض الظالم على يديه من فرط
الحسرة وعض اليدين كناية عن الغيظ والحسرة لانه من روادفهما ولافادة الدلالة
على استمرار تلك الحالة ضمن الفعل المذكور معنى الاستمرار فعداه بعلى والمراد بالظالم
الجنس وقيل عقبة بن ابي معيط يقول جملة في محل النصب على الحال يا ليتني اتخذت
في الدنيا مع الرسول تابعا له سبيلا هاديا اليه وتنكيره للاشعار بكمال الاتباع يا ويلتى
وقرئ بالياء وهو الاصل لان الرجل ينادي ويلته وهي هلكته يقول لها تعالي فهذا
اوانك ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يعني من اضله وفلان كناية عن الاعلام كما ان الهن
كناية عن الاجناس لقد اضلني عن الذكر عن ذكر الله او كتابه او موعظة الرسول
او كلمة الشهادة بعد اذ جاءني من الله اعتراف بالقصور من جانبه وكان الشيطان
يعني الخليل المضل او ابليس لانه حمله على مخالته ومخالفة الرسول او كل من تشيطن من
الجن والانس للانسان المطيع له خذولا مبالغة في الخذلان الى من عادته ترك من
يواليه وقت [illegible] وقال الرسول اي في الدنيا شاكيا الى الله او في الآخرة لما عدل عن سنن
ما تقدم يا رب ان قومي قريشا اتخذوا هذا القرآن مهجورا متروكا اي تركوه ولم يؤمنوا
به من الهجران وهو مفعول ثان لاتخذوا وفي هذا تعظيم للشكاية وتخويف لقومه
لان الانبياء عليهم السلام اذا شكوا الى الله تعالى قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا ثم
اقبل عليه مسليا وواعدا بالنصرة عليهم فقال وكذلك اي كما جعلنا لك جعلنا لكل نبي

عدوا من المجرمين فاصبر كما صبروا او معنى الجملة الكثرة كما في اذ نبت كل شيء فلا يشكل بآدم
عليه السلام فانه لم يكن مبتلا بعداوة قومه والعدو يجوز ان يكون واحدا وجمعا وكفى
بربك هاديا اي طريق الصبر المؤدي الى النصر والباء زائدة وهاديا تمييز ويجوز ان يكون
حالا اي كفى ربك في حال الهداية ونصيرا لك عليهم وقال الذين كفروا اي احبار اليهود
لولا هلا نزل عليه القرآن اي انزل عليه كخبر بمعنى اخبر بدلالة قوله جملة اي مجتمعا واحدة
دفعة واحدة كالتورية والزبور وهذا فضول من القول ومماراة بما لا طائل تحته [illegible]
عن مقتضى اصول البلاغة من وجوب رعاية المطابقة لمقتضى المقام في كل جملة من الكلام
ولا يتيسر تلك الرعاية عند نزول مجموع القرآن دفعة واحدة والشريعة من وجوب تقديم
المجمل والعام والمنسوخ وتاخير البيان والخاص والناسخ ولا يتيسر ذلك ايضا على التقدير
المذكور والتذكير من وجوب رعاية شرط التكرير وهو ان يكون في اوقات متعددة
مع انه للتفرقة فوايد منها ما اشار اليه بقوله كذلك جواب لهم اي انزلناه الا كذلك ف
الاشارة الى مدلول قولهم لان معناه لم ينزل عليه القرآن مفرقا فاعلم ان ذلك لنثبت
به فؤادك لنقوي بتفريقه فؤادك حتى نعيه ونحفظه لان المتلقن وان لم يكن اتباعا انما
يقوي قلبه على حفظ العلم شيئا فشيئا ولو القي عليه جملة واحدة لعجز عن حفظها ولنثبت
فؤادك عن العجز بتواتر الاصول وتتابع الرسول لان قلب المحب يسكن بتواصل كتب المحبوب
ولانه اذا نزل منجما وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون عن معارضته زاد ذلك قوة قلبه ومنها
ان نزوله بحسب الوقايع يوجب زيادة بصيرة وغوص في المعنى ومنها انضمام القرائن الحالية
الى الدلالات اللفظية فانه يعين على البلاغة واما ان الناسخ والمنسوخ لا يجتمعان وكذا
اسباب النزول لا يجتمعون فليس من الفوايد وان كان من جملة البواعث لذلك ويحتمل ان
يكون كذلك من تمام كلام الكفرة ولذلك وقف عليه فيكون حالا والاشارة الى الكتب السالفة
واللام على الوجهين متعلق بمحذوف ورتلناه ترتيلا وقرأناه عليك شيئا بعد شيء على
تؤدة وتمهل واصله الترتيل في الاسنان وهو تفليجها ولا يأتونك بمثل بسؤال عجيب
من سؤالاتهم الباطلة كانه مثل في البطلان الا جئناك بالحق الدافع له واحسن تفسيرا وبما هو
احسن بيانا التفسير الكشف عما يدل عليه الكلام الذين يحشرون اي يساقون ويجرون
على وجوههم الى جهنم ذم منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره اولئك شر مكانا اي مكانهم
شر المكان ابلغ في الدلالة على شرارتهم وقيل مكانا منصرفا واضل سبيلا وصف السبيل
بالضلال من الاسناد المجازي للمبالغة والمفضل عليه هو الرسول عليه السلام على طريقة
قوله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه الآية كانه قيل
ان حاملهم على هذه الاسولة تحقير مكانه وتضليل سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا انهم

شر مكانا واضل سبيلا ولقد آتينا موسى الكتاب التورية وجعلنا معه
اشارة الى اصالة موسى عليه السلام في امر الدعوة اخاه هرون بدل او عطف
بيان وزيرا وهو في اللغة من يرجع اليه ويتحصن برايه من الوزر وهو الملجا
والوزارة لا تنافي النبوة فقد كان يبعث في الزمن الواحد انبياء ويؤمرون
بان يوازر بعضهم بعضا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا اي فرعون
وقومه فدمرناهم تدميرا التدمير الاهلاك بامر عجيب اراد الاختصار فاقتصر
على حاشيتي القصة لانهما المقصود منها وهو الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق
التدمير بتكذيبهم فالفاء فصيحة وهي فاء السببية ولا يلزمها التعقيب وقوم
نوح والعامل فيه ما ذكر المحذوف لما كذبوا الرسل انكروا البعثة مطلقا كالبراهمة
اغرقناهم قوم نوح بالطوفان وجعلناهم وجعلنا قصتهم للناس آية عبرة
واعتدنا للظالمين لقوم نوح عليه السلام واصله واعتدنا لهم الا انه اراد تظليمهم
فاظهر وهو عام لكل من ظلم ظلم شرك ويتناول بعمومه عذابا اليما في جهنم وانما
عذابهم في البرزخ فغير متراخ عن اغراقهم وعادا وثمود عطف على هم في جعلناهم
او على الظالمين لان المعنى ووعدنا الظالمين وانما صرف ثمود على تاويل الحي او لانه
اسم الاب الاكبر وقرئ وثمود على تاويل القبيلة واصحاب الرس هم قوم شعيب عليه السلام
كانوا يعبدون الاصنام فكذبوا شعيبا فبينا هم حول الرس وهو البئر غير المطوية انهارت
بهم وبديارهم وقيل الرس قرية فقتلوا نبيهم فهلكوا وهم اصحاب الاخدود والرس
الاخذ وقرونا واهل اعصار قد مر تفسير القرن في سورة الانعام بين ذلك اشارة الى
ما ذكر كثيرا لا يعلمها الا الله وكلا ضربنا له الامثال بينا له القصص العجيبة من الامم التي كانت
قبلهم اي حذرنا كل امة ان ينزل بها ما نزل بمن قبلها فلما اصروا اهلكوا كما قال وكلا تبرنا
تتبيرا اي اهلكنا اهلاكا واصل التتبير التفتيت ومنه التبر لفتات الذهب والزجاج
وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا له الامثال وهو انذرنا او حذرنا والثاني بتبرنا
لانه فارغ له ولقد اتوا يعني اهل مكة على القرية سدوم وهي اعظم قرى قوم لوط عليه السلام
التي امطرت مطر السوء اي اهلكت بالحجارة ومطر السوء مفعول ثان والاصل امطرت
القرية مطرا او مصدر محذوف الزوائد اي امطار السوء افلم يكونوا يرونها في
مرار مرورهم فيتعظون بما يرون من آثار عذاب الله تعالى بل كانوا لا يرجون بل كانوا
كفرة لا يخافون نشورا فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا واذا راوك ان يتخذونك الا
هزوا موضع هزو او مهزوا به اهذا محكي بعد القول المضمر وهذا استصغار وتهكم
اي قائلين اهذا الذي بعث الله رسولا العائد الى الذي محذوف اي بعثه واخراجه

في معرض التسليم بجعله صلة وهم في غاية الانكار تهكم واستهزاء ان كاد ليضلنا
عن آلهتنا ليصرفنا عن عبادتها لولا ان صبرنا عليها فيه دلالة على فرط مجاهدة رسول
الله عليه السلام في دعوتهم وعرض المعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم ان يتركوا دينهم
الى دين الاسلام لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة آلهتهم ولما عدوا عبادتهم
الاصنام رشادا واعتقدوا صرفهم عنها ضلالة اوعدهم الله تعالى فقال وسوف يعلمون
حين يرون العذاب من اضل سبيلا فيه وعيد ودلالة على انه لا يهملهم وان امهلهم
ارايت من اتخذ الهه هواه اي من اطاع هواه فيما ياتي ويذر وهو عابد هواه وجاعله
الهه فيقول لرسوله هذا الذي لا يرى معبودا الا هواه كيف تستطيع ان تدعوه الى
الهدى وانما قدم المفعول الثاني للاشعار بان المعبود حقه التقديم والتعظيم فهم قد اطرحوا
بكفرهم حيث اتخذوا اهواءهم آلهة افانت تكون عليه وكيلا اي حفيظا تحفظه عن متابعة هواه
وعبادة ما يهواه او فانت تكون عليه موكلا فتصرفه عن الهوى الى الهدى عرفه ان اليه التبليغ
فقط فالاستفهام الاول للتعجب والتقرير والثاني للانكار ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون
فيجدي لهم الآيات او الحجج فتهتم بشانهم وتطمع في ايمانهم ان هم الا كالانعام بل هم اضل
سبيلا منقطعة معناه بل اتحسب كان هذه المذمة اشد من التي تقدمتها حتى حقت بالاضراب
عنها اليها وهي كونهم مسلوبي الاستماع والعقول لانهم لا يلقون الى استماع الحق اذنا ولا
الى تدبره عقلا ومشبهين بالانعام التي هي مثل في الغفلة والضلالة فقد ركبهم الشيطان
بالاستذلال لتركهم الاستدلال ثم هم ارجح ضلالة منها لان الانعام تسبح ربها وتسجد له
وتستطيع من يطعمها وتعرف من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها
وتهتدي لمراعيها ومشاربها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه اليهم من
اساءة الشيطان الذي هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع و
لا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني و
العذب الروي وانما ذكر الاكثر لان فيهم من لم يصده عن الاسلام الا حب الرياسة
وكفى به داء عضالا ولان فيهم من آمن الم تر الى ربك الم تنظر الى صنع ربك وقدرته
كيف مد الظل اي بسطه ثم الارض وذلك من حين طلوع الفجر الى وقت طلوع الشمس
في قول الجمهور لانه ظل ممدود لا شمس معه ولا ظلمة وهو اطيب الاحوال فان الظلمة الكثيفة
تنفر الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك
وصف به الجنة فقال وظل ممدود ولو شاء لجعله ساكنا ثابتا دائما لا يزول ولا يذهبه
الشمس وفيه دليل على انه تعالى يفعل بالقدرة والاختيار لا بالايجاب والاضطرار
ثم جعلنا الشمس دليلا لانه بالشمس يعرف الظل ولولا الشمس لما عرف الظل فالاشياء

نعرف باضوائها ثم قبضناه القبض جمع المنبسط من الشيء والمراد ازالته بايقاع الشمس
موقعه الينا الى حيث اردنا قبضا يسيرا سهلا او قليلا قليلا وجاء بثم في الموضعين لتفاضل
الامور وهو الذي جعل لكم الليل لباسا شبه ظلامه الساتر باللباس والنوم سباتا
راحة للابدان بقطع المشاغل واصل السبت القطع والنائم مسبوت لانه انقطع عمله وحركته
وجعل النهار نشورا ذا نشور اي انبعاث من النوم كنشور الميت او ينشر فيه الخلق للمعاش
وفي هذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق اظهار لنعمته على خلقه فان في الاحتجاب بستر
الليل فوائد دينية ودنيوية وفي النوم واليقظة الشبيهين بالموت والحيوة عبرة
لمن اعتبر وهو الذي ارسل الرياح وقرئ على التوحيد ارادة للجنس بشرا ناشرات
للسحب جمع نشور وقرئ بالفتح على انه مصدر وصف به وقرئ بشرا تخفيف بشر جمع
بشور بمعنى مبشر بين يدي رحمته قدام المطر لانه ريح ثم سحاب ثم مطر وهذه استعارة
مليحة وانزلنا من السماء ماء طهورا بليغا في طهارته وذلك لانه لم يشبه شيء بخلاف
ما نبع من الارض ونحوه فانه تشوبه اجزاء ارضية من مقره او ممره او مما يطرح
فيه وقيل مطهرا لقوله ليطهركم به وهو اسم لما يتطهر به كالوضوء لما يتوضأ به قال ثم
التراب طهور المؤمن لنحيي به بالنبات بلدة ميتا ذكر ميتا على ارادة البلد او المكان او
لانه غير جار على الفعل كسائر ابنية المبالغة فاجري مجرى الجامد ونسقيه مما خلقنا
انعاما واناسي كثيرا وقرئ نسقيه وسقى واسقى لغتان والاناسي جمع انسي على القياس
ككرسي وكراسي او انسان واصله اناسين كسرحان وسراحين فابدلت النون ياء وادغمت
وقدم احياء الارض على سقي الانعام والاناسي لان حيوتها سبب لحيوتهما فقدم ما
هو سبب حيوتهما على سقيهما وتخصيص الانعام من بين الحيوان الشارب لان عامة
منافع الاناسي متعلقة بها وكان الانعام سقي الانعام من نوع الحيوان كالانعام سقيهم
وتنكير الانعام والاناسي ووصفهما بالكثرة لان اكثر الناس منيخون بالقرب من الاودية
والانهار فبهم غنية عن سقي الماء واعقابهم وهم كثير يعيشون بما ينزل من رحمته و
تنكير البلدة لانه يريد بعض بلاد هؤلاء المتبعدين عن مظان الماء ولما كان سقي الاناسي
من جملة ما انزل له الماء وصفه بالطهور اكراما لهم وبيانا ان من حقهم ان يؤثروا الطهارة
في بواطنهم وظواهرهم لان الطهورية شرط الاحياء ولقد صرفناه بينهم صرفنا هذا
القول بين الناس في القرآن وسائر الكتب المنزلة على الرسل ليذكروا ليتفكروا ويعتبروا
ويعرفوا كمال القدرة وحق النعمة فيشكروا فابى اكثر الناس الا كفورا فابى اكثرهم الا كفران
النعمة وقلة الاكتراث لها وانما عدل عن الضمير كيلا يتوهم ان المراد اكثر ذلك الكثير او
صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة

من وابل وطل وجود ورذاذ وديمة فابوا الا كفورا وان يقولوا امطرنا بنوء كذا ولا
يذكروا صنعه ورحمته وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما من عام اقل مطرا من عام ولكن الله يصرفه
حيث يشاء وقرأ الآية ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا نبيا ينذر اهلها يعني المقصود
من البعثة ابلاغ الدعوة والزام الحجة لا الاهتمام في امر الهداية وقبولها والا لفعلنا
ما هو ادعى لذلك من دعوة كل اهل قرية بنذير مستقل فلا تطع الكافرين فلا توافقهم
في بعض الامور ابتغاء لقبولهم الدعوة ودخولهم في طريق الهداية وانما قيل نبيا ينذر
اهلها فيخف عليك اعباء النبوة لكن قصرنا الامر عليك تعظيما لشانك وتفضيلا لك على سائر
الرسل فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد في الدعوة فلا تطع الكافرين فيما يريدونك عليه فرع
على ان موجب ذلك العطف بالواو دون الفاء على ما افصح عنه من قال فقابل ذلك بالتشديد
والتصبر ولا تطع الكافرين ولم يدر ان فيه تغييرا لنظم القرآن واشارة الى المقصود فيه
وجاهدهم به بترك طاعتهم الذي دل عليه فلا تطع يعني انهم يجتهدون في ابطال حقك
فقابلهم بالاجتهاد في مخالفتهم وازاحة باطلهم جهادا كبيرا لانه جهاد مع كل الكفرة على ما
فيهم مما سبق من بعثته الى جميع القرى وحملة الامم ثم عاد الى تعداد النعم فقال وهو الذي
مرج البحرين خلاهما متجاورين متلاصقين تقول مرجت الدابة اذا خليتها ترعى وسمى
الماءين الكثيرين الواسعين بحرين هذا عذب فرات قامع للعطش من فرط عذوبته
وهذا ملح اجاج بليغ الملوحة وقرئ ملح على فعل ولعل اصله مالح فخفف كبرد في بارد
وقد نقل الازهري عن الكسائي صحة مالح وان كان الفصيح ملح وجعل بينهما برزخا
حاجزا من قدرته وحجرا محجورا وتنافرا بليغا كان كلا منهما يقول للآخر ما يقوله المتعوذ
عنه او سترا ممنوعا عن الاعين كقوله حجابا مستورا وهو الذي خلق من الماء بشرا اي
من النطفة لم يقل انسانا لان حقيقته وهو الروح غير مخلوق منها فجعله نسبا وصهرا
اراد قسم البشر قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة
بنت فلان وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن وهو كقوله فجعل منه الزوجين الذكر
والانثى وكان ربك قديرا حيث خلق من النطفة الواحدة توأمين ذكرا وانثى ويعبدون
من دون الله ما لا ينفعهم ان عبدوه ولا يضرهم ان تركوه وكان الكافر على ربه على
معصية ربه ظهيرا معينا ومظاهرا يعني للشيطان وفعيل بمعنى مفاعل غير عزيز وما
ارسلناك الا مبشرا للمطيعين ونذيرا للعاصين كافرا كان او مؤمنا قل ما اسالكم عليه
على التبليغ الذي دل عليه الا مبشرا ونذيرا من اجر الا من شاء الا فعل من شاء
ان يتخذ الى ربه سبيلا ان يتقرب اليه ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة فصور
ذلك بصورة الاجر من حيث انه مقصود فعله واستثناه منه قلعا لشبهة الطمع في

واظهار لغاية الشفقة حيث اعتد بانتفاعك نفسك بالتعرض للثواب والتخلص عن العقاب
اجرا وافيا مرضيا به مقصورا عليه واشعارا بان طاعتهم تعود عليهم بالثواب من حيث
انها بدلالة وتوكل على الحي الذي لا يموت اتخذ من لا يموت وكيلا لا يكلك الى من يموت ذليلا
يعني ثق به واسند امرك اليه في استكفاء شرورهم والاغناء عن اجورهم فانه الحقيق
بان يعتمد عليه في كل امر وسبح ونزهه عن ان يكل الى غيره من توكل عليه بحمده بتوفيقه
الذي يوجب الحمد وكفى به بذنوب عباده ما ظهر منها وما بطن خبيرا مطلعا يعني انه عالم
باحوالهم كاف في جزاء اعمالهم الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى
على العرش قد سبق الكلام فيه وذكره هنا لزيادة تقرير لكونه حقيقا بان يتوكل عليه
من حيث انه الخالق للكل والمتصرف فيه وتحريض على الثبات والتأني في الامور فانه تعالى
مع كمال قدرته وسرعة نفاذ امره في كل مراد خلق الاشياء على تؤدة وتدرج الرحمن
خبر للذي ان جعل مبتدأ او لمحذوف ان جعل صفة للحي او بدل من المستكن في استوى و
قرئ بالجر صفة للحي فاسأل به السؤال كما يعدى بعن لتضمنه معنى الاعتناء وقيل انه صلة
خبيرا اي فاسأل عما ذكر من الخلق والاستواء عالما يخبرك بحقيقته هو الله تعالى او جبريل
عليه السلام او من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك به واذا قيل لهم للمشركين اسجدوا
للرحمن قالوا وما الرحمن اي لا نعرف الرحمن فنسجد له فهذا سؤال عن المسمى به لانهم
ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم والسؤال عن المجهول بما او لانهم ظنوا انه اراد به غيره
ولذلك قالوا انسجد لما تأمرنا اي للذي تأمرنا بالسجود له او لامرك لنا من غير عرفان
وقرئ يأمرنا بالياء على انه قول بعضهم لبعض وزادهم اي الامر المذكور نفورا
تباعدا عن الايمان تبارك الذي جعل في السماء بروجا يعني البروج الاثني عشر سميت
لظهورها وارتفاعها قال الزجاج كل ظاهر مرتفع يقال له برج وجعل فيها سراجا
يعني الشمس لتوقدها قال تعالى وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا وهي الكواكب الكبار
وقيل الشمس والكواكب الكبار وهو على هذا يلزم تخصيص القمر بالذكر بعد دخوله
في السرج مع ان حق التخصيص بالذكر للشمس لظهور فضيلتها على سائرها وقمرا
منيرا اي مضيئا بالليل وقرئ قمرا كالرشد والرشد والعرب والعرب وهو
الذي جعل الليل والنهار خلفة ذوي خلفة يخلف كل منهما الآخر بان يقوم
مقامه فيما ينبغي ان يعمل فيه او بان يعتقبا لقوله تعالى واختلاف الليل والنهار وهي للحالة
من خلف كالركبة والجلسة لمن اراد ان يذكر ان يتذكر آلاء الله ويتفكر في صنعه
فيعلم انه لا بد له من صانع حكيم او اراد شكورا ان يشكر الله على ما فيه من النعم وعباد
الرحمن مبتدأ خبره في آخر السورة اولئك يجزون الغرفة او الذين يمشون على الارض

واضافتهم

واضافتهم الى الرحمن للتخصيص والتفضيل وقرئ عباد الرحمن على انه جمع عابد كتجار
تاجر وهونا حال او صفة للمشي اي هينين او مشيا هينا والهون الرفق واللين اي
يمشون بسكينة ووقار وتواضع دون مرح واختيال وتكبر ولذا ولقوله ويمشون في
الاسواق كره بعض العلماء الركوب في الاسواق واذا خاطبهم الجاهلون اي السفهاء بما
يكرهون قالوا سلاما سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم او تسلما منكم نتارككم
ولا نجاهلكم فاقيم التسلم مقام التسليم قيل نسختها آية القتال ولا وجه له لان الاغضاء عن
السفهاء مستحسن شرعا ومروءة هذا وصف نهارهم ثم وصف ليلهم بقوله والذين
يبيتون لربهم سجدا جمع ساجد وقياما جمع قائم والبيتوتة خلاف الظلول وهي ان
يدركك الليل نمت فيه او لم تنم وتخصيصها لان العبادة بالليل احمز وابعد من الرياء وتأخير
القيام لمحافظة الفاصلة والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان
غراما لازما ومنه الغريم لملازمته وهو ايذان بانهم مع حسن مخالطتهم مع الخلق واجتهادهم
في عبادة الحق وجلون من العذاب مبتهلون الى الله في صرفه عنهم لعدم اعتدادهم
باعمالهم ووثوقهم على استمرار احوالهم انها ساءت مستقرا ومقاما ساءت في حكم
بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم ضمير محذوف معناه ساءت
مستقرا ومقاما هي وهذا الضمير ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها او بمعنى احزنت
وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز والجملة تعليل للعلة الاولى او تعليل ثان
وكلاهما يحتملان الحكاية والابتداء من الله تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا الاسراف
مجاوزة الحد في الانفاق والاقتار التقصير عما لا بد منه وعن ابن عباس رض الاسراف
الانفاق في معصية الله تعالى قل او كثر والاقتار منع حق الله تعالى من المال وقال عليه السلام
من منع حقا فقد قتر ومن اعطى في غير حق فقد اسرف ولم يقتروا بضم التاء وبضم
الياء وكسر التاء وبفتح الياء وكسر التاء والقتر والاقتار والتقتير التضييق الذي
هو ضد الاسراف وكان اي انفاقهم بين ذلك اي الاسراف والاقتار قواما القوام
بالفتح العدل وبالكسر ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر
ثان او حال مؤكدة ويجوز ان يكون الخبر قواما وبين ذلك لغوا والذين لا يدعون
مع الله الها آخر اي لا يشركون ولا يقتلون النفس التي حرم الله اي حرمها يعني حرم قتلها
وهي نفس الانسان الا بالحق متعلق بالقتل المحذوف او بلا يقتلون ولا يزنون نفي
عنهم امهات المعاصي بعد ما اثبت لهم اصول الطاعات اظهارا لكمال ايمانهم واشعارا
بان الاجر المذكور موعود للجامع بين ذلك وتعريضا للكفرة باضداده ولذلك عقبه بالوعيد
تهديدا لهم فقال ومن يفعل ذلك يلق اثاما قال ابو عبيدة الاثام العقوبة وقرئ

ايا ما شدايد يقال يوم ذو ايام اى صعب يضاعف له العذاب يوم القيمة بدل
من يلق لانهما في معنى واحد اذ مضاعفة العذاب هى لقى الاثام وقرئ يضاعف على
الاستيناف او على الحال وكذلك ويخلد فيه مهانا ذليلا الا من تاب عن الكفر وآمن بمحمد
عليه السلام وعمل عملا صالحا بعد توبته فاولئك يبدل الله سياتهم حسنات بان يمحو
سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم او يوفقهم للمحاسن
بعد القبايح وكان الله غفورا ولذلك يكفر السيئات رحيما يبدلها بالحسنات ومن تاب
وعمل صالحا ومن خرج عن المعاصى ودخل في الطاعة اى تاب وحقق توبته بالعمل
الصالح فانه بذلك يتوب الى الله متابا مرضيا عنده مكفرا عنه للخطايا محصلا للثواب
والذين لا يشهدون الزور لا يقيمون الشهادة الباطلة او لا يحضرون محاضر الكذب
فان مشاهدة الباطل شركة فيه لان حضورهم ونظرهم دليل الرضا وسبب وجود
الزيادة فيه واذا مروا باللغو يعنى ان مروا باهل اللغو والمشتغلين به وكل ما ينبغى
ان يلغى ويطرح مروا كراما معرضين عنه مكرمين انفسهم عن التلوث به بالوقوف
عليه والخوض فيه والذين اذا ذكروا بايات ربهم اى قرئ عليهم القران او وعظوا به
لم يخروا عليها صما وعميانا هذا ليس بنفى للخرور بل هو اثبات له ونفى للصمم والعمى ونحوه
قال الشاعر بايدى رجال لم يشيموا سيوفهم ولم يكثر القتلى بها حين سلت اى بايدى
رجال شاموا سيوفهم فقد كثرت القتلى يعنى انهم اذا ذكروا بها خروا سجدا وبكيا
سامعين باذان واعية مبصرين بعيون راعية لما امروا به ونهوا عنه لا كالمنافقين و
اشباههم دليله قوله وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا و
بكيا فان القران يفسر بعضه بعضا والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا و
ذرياتنا من للبيان كانه قيل هب لنا قرة اعين ثم بينت القرة وفسرت بقوله من ازواجنا
وذرياتنا ومعناه اى يجعلهم الله قرة اعين وهو من قولهم رايت منك اسدا اى انت
اسدا او للابتداء على معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح فان المؤمن
اذا شاركه اهله في طاعة الله تعالى سر بهم قلبه وقر بهم عينه لما يرى من مساعدته في
الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة وتنكير الاعين لارادة تنكير القرة تعظيما فان المضاف لا سبيل
الى تنكيره الا بتنكير المضاف اليه وانما قيل اعين على القلة دون عيون لان المراد اعين المتقين
وهى قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم واجعلنا للمتقين اماما ائمة يقتدون بنا في امر
الدين باضافة العلم والتوفيق للعمل واكتفى بالواحد لدلالته على الجنس وعدم اللبس
كقوله ثم نخرجكم طفلا او لانه مصدر في الاصل او لان المراد واجعل كل واحد منا او لانهم
كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم وقيل جمع آم كصيام وصايم ومعناه

قاصدين لهم مقتدين بهم اولئك يجزون الغرفة اى الغرفات وهى العلالى في الجنة
فوحد اقتصارا على الواحد الدال على الجنس دليله قوله وهم في الغرفات آمنون بما صبروا
بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات ويلقون فيها
تحية وسلاما دعاء بالتعمير والسلامة يعنى ان الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم
او يحيى بعضهم بعضا ويسلم عليه وقرئ يلقون من لقى خالدين فيها لا يموتون ولا يخرجون
عنها حسنت اى الغرفة مستقرا ومقاما موضع قرار واقامة وهى في مقابلة ساءت مستقرا
ومقاما ومثله اعرابا قل ما يعبؤ بكم ربى ما متضمنة لمعنى الاستفهام وهى في محل النصب على
المصدر كانه قيل اى عبء يعبؤ بكم معناها ما يصنع بكم ربى من عبات الجيش اذا هياته
لولا دعاؤكم لولا دعاؤه اياكم الى الاسلام او لولا عبادتكم له اى انه خلقكم لعبادته كقوله
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اى لا اعتبار عند ربكم لعبادتكم او ما يصنع بعذابكم
لولا دعاؤكم معه آلهة وهو كقوله ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم فقد كذبتم بما
اخبرتكم به حيث خالفتموه وقيل فقد قصرتم في العبادة من قولهم كذب
القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون اى الكافرون منكم لان
الخطاب لعامة الناس بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب فسوف يكون
جزاء التكذيب واثره لزاما لازما بكم وانما اضمر من غير ذكر للتهويل
او التنبيه على انه مما لا يكتنهه الوصف وقرئ لزاما بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت

طسم بتفخيم الالف واما لتها واظهار النون وادغامها تلك اشارة الى ايات السورة
ايات الكتاب المبين المظهر الحق من الباطل لعلك باخع نفسك قاتل لها غما ان لا يكونوا
مؤمنين من اجل امتناع قومك عن الايمان لعل هنا للاشفاق اى اشفق على نفسك تخفيف
هذا الغم والهم ولما كان مظنة ان يقال ان ذلك لتنفيذ امر الله تعالى وتحصيل المرادات
الالهية من الاوامر والنواهى تدورك دفعه بقوله ان نشا ننزل عليهم من السماء
آية قاهرة قاسرة لهم على الايمان اشير الى ذلك بقوله عليهم يعنى ان ايمان تلك الطائفة
ليس بمراد لنا انما المقصود من بعثتك تبليغ احكام التكليف على ما يقتضيه الحكمة فليس
امرنا عن ارادة ولا نهيا عن كراهة فظلت عطف على ننزل عطف اكن على اصدق لانه
لو قيل انزلنا بدله لصح اعناقهم لها خاضعين منقادين الخضوع امادة الانقياد اللازم للاذعان
وهو المراد ههنا بطريق الكناية اصله فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع

الخضوع وترك الخبر على اصله وفي الكناية المقصودة من عبارة الخضوع اشارة الى
ان في تلك الآية فهي حجة وبرهان فلا يفوت الاختبار المعتبر في صحة الايمان وما يأتيهم من
ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين اى ما يجدد لهم الله تعالى بوحيه على نبيه موعظة
وتذكيرا الا استمروا على ما اعتادوا عليه من الاعراض فقد كذبوا حذف المفعول
اشارة الى ان تكذيبهم تجاوز عن حد الخصوص الى حد العموم فان تكذيبهم محمدا
عليه السلام كان تكذيبا لسائر الانبياء المخبرين عنه والمبشرين به بل تكذيبا بالله تعالى
ايضا والفاء في فسيأتيهم فصيحة تفصح عن محذوف معطوف على المذكور تقديره
واستهزءوا به انباء ما كانوا به يستهزءون اتيان الخبر عبارة عن وقوع المحذور المنتظر
وهذا وعيد لهم وايذان بانهم سيعلمون اذا مسهم العذاب يوم بدر او يوم القيمة
ما الشئ الذى كانوا يستهزءون به اولم يروا الى الارض الواو للعطف على محذوف تقديره
الم يتأملوا في عجائب قدرته تعالى ولم ينظروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج الزوج
اللون قاله الفراء وكل للاحاطة وكم للتكثير كريم كثير المنفعة يأكل منه الناس والانعام
كالرجل الكريم الذى نفعه عام وفيه دلالة على كمال القدرة ولذلك قال ان في ذلك اى انبات
تلك الانواع لآية عظيمة على ان منبتها تام القدرة والحكمة عام النعمة والرحمة وما كان
اكثرهم مؤمنين مصدقين وكان هنا صلة في قول سيبويه وهذا اخبار عن حالهم
في الواقع لا عن حالهم في علم الله وان ربك لهو العزيز المنيع الذى لا يغالب فلبس العجز
والضعف طالت مدة هواهم في الشرك والعتو الرحيم فلا يعجل بعقوبتهم اذ لا يخاف الفوت
ويقبل توبة من تاب منهم قبل الموت ولما كان مساق الكلام في بيان القدرة قدم صفة العزة
على الرحمة والرحمة اذ كانت عن قدرة كانت اعظم وقعا واذ نادى ربك موسى مقدرا
باذكر او ظرف لما بعده ان ائت ان مصدرية او تفسيرية القوم الظالمين لانفسهم ولبني
اسرائيل قوم فرعون عطف بيان وليس فيه اقتصار على قومه بل اكتفاء بالدلالة في جانب
واعتناء للاشارة الى ان ظلم قومه لاتباعهم له الا يتقون استيناف للتعجب من افراطهم في
الظلم واجترائهم عليه وقرئ بالتاء على الالتفات للتوبيخ والحث واصل الا الفاء حرف لا من
يحاجز بينه وبين الصارف والمراد اتقاء العقاب بالطاعة قال رب انى اخاف الخوف
انزعاج النفس بتوقع الضرر ان يكذبون ويضيق صدرى لتكذيبهم اياى مستأنف
او عطف على اخاف ولا ينطلق لساني بان يغلبني الحمية على ما ارى من المحال واسمع من الجدال
وينصبهما يعقوب عطفا على يكذبون فالخوف متعلق بهذه الثلثة على هذا التقدير وبالتكذيب
وحده بتقدير الرفع فارسل الى هرون اى ارسل اليه جبرائيل واجعله نبيا يعينني على الرسالة
ولم يكن هذا الالتماس منه عليه السلام توقفا في الامتثال بل التماس عون في تبليغ الرسالة

وتمهيد العذر في التماس المعين على تنفيذ الامر وكفى بطلب العون دليلا على التقبل لا على
التعلل ومن الدليل على ذلك وقوع فارسل معترضا بين الاوايل والرابعة فانه لو كان تعللا
لاخر ولهم على ذنب دعوى جرم وهو قتل القبطي فاخاف ان يقتلون كان عنده عليه
السلام خوفان خوف تلف النفس وخوف فوات مصلحة الرسالة وانما قدم الثاني على
الاول لتعلقه بمصلحة الرسالة على مصلحة نفسه كما هو اللايق وانما قدم الثاني لحكم شان
اولى من الانبياء عم قال كلا فاذهبا بآياتنا اجابة له الى الطلبتين بوعده للدفع
اللازم وردعه عن الخوف وضم اخيه اليه في الارسال والفاء فصيحة دلت على محذوف
تقديره ظاهر من التفصيل في موضع آخر حيث قال وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا
فقلنا اذهبا الآية فالخطاب في فاذهبا على تغليب الحاضر لانه معطوف على الفعل الذى دل
عليه كلا كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت والذى طلبت وهو هارون
انا معكم يعني موسى وهارون عليهما السلام وفرعون مستمعون الاستماع من السمع بمنزلة
النظر من الرؤية والكلام من قبيل التمثيل والمراد انا لكمالكم ولعدوكم كالناصر الظهير لكما
عليه اذا حضر واستمع ما يجرى بينكما وبينه فالمفردات على حقايقها كما في قوله تعالى وقدمنا
الى ما عملوا فجعلناه هباء منثورا فاتيا فرعون فقولا له انا رسول رب العالمين افرد
الرسول هنا وثنى في قوله انا رسولا ربك وذلك لانه كان في هارون عليه السلام
على ما نطق به قوله تعالى وجعلنا معه اخاه هارون وزيرا فحين قيل فقولا انا رسولا
ربك نظرا الى جهة رسالته من الله تعالى وحين قيل فقولا له انا رسول رب نظرا الى جهة
وزارته لموسى عليه السلام ويجوز ان يقال افرد الرسول لاتفاق كلمتهما ولكون موسى
عليه السلام اصلا في باب الرسالة كان مخاطبة فرعون اياه ومجادلته معه خاصة وانما زيد
هنا قوله له لعدم كاف الخطاب المغني عنه ان ارسل معنا بني اسرائيل اى بان اطلق بني اسرائيل
عن اسر الاستعباد وخلهم يذهبوا حيث شاؤا وهو كارسال الصيد واهمال القيد قال
فرعون لموسى بعد ما اتياه وقالا له ذلك الم نربك التربية تنشئة الشئ حالا بعد حال
فينا في منازلنا وليدا طفلا سمي به لقربه من الولادة ولبثت فينا من عمرك سنين قبل ملكت فيهم ثلثين
وفعلت فعلتك التى فعلت يعني قتل القبطي وبخه به معظما اياه بعد ما عدد عليه من نعمته وانما
عرض رعاية لآداب الملوك وقرئ فعلتك بالكسر لانها كانت قتله بالوكز وانت من الكافرين بنعمتي
حيث قتلت خبازي قال فعلتها اذا اى اذ ذاك وانا من الضالين الجاهلين وقد قرئ به
والمعنى من الفاعلين فعل اولي الجهل ومن الذاهبين عما يؤدل اليه الوكز لانه اراد به التأديب
والضال عن الشئ هو الذاهب عن معرفته ففررت منكم الفرار الذهاب على وجه التحرز
من الادراك لما خفتكم ان تقتلوني فوهب لي ربي حكما حكمة وجعلني من المرسلين من جملة

رسله وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة
لا يدرى ما هي الا بتفسيرها ومحل ان عبدت الرفع عطف بيان لتلك اي تعبيدك بني
اسرائيل نعمة تمنها علي كرّ على امتنانه عليه بالتربية فابطله من اصله وابى ان يسمي نعمته
الا نقمة حيث بين ان حقيقة انعامه عليه تعبيد بني اسرائيل لان تعبيدهم وقصدهم
بذبح ابنائهم هو السبب في حصوله عنده وتربيته ولو تركهم لرباه ابواه فكان فرعون
امتن على موسى عليه السلام بتعبيد قومه واخراجه عن حجر ابويه اذا حققت وتعبيدهم
تذليلهم واتخاذهم عبيدا ووحد الضمير في تمنها وعبدت وجمع في منكم وخفتكم لان
الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملائه المؤتمرين بقتله قال فرعون
وما رب العالمين لما سمع جواب ما طعن به فيه ورأى انه لم يرعو بذلك شرع في الاعتراض
على دعواه فبدأ بالاستفسار عن حقيقة المرسل قال رب السموات والارض وما
بينهما عرّفه باظهر خواصه وآثاره لما امتنع تعريف حقيقته ان كنتم موقنين اي ان كنتم
تعرفون الاشياء بالدليل فكفى خلق هذه الاشياء دليلا وان كان يرجى منكم الايقان
الذي يؤدي اليه النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب والا لم ينفع والايقان العلم الذي
يستفاد بالاستدلال ولذا لا يقال الله موقن قال فرعون لمن حوله من اشراف قومه
الا تستمعون متعجبا قومه من جوابه لانهم يزعمون قدمها وينكرون ان لها ربا فاحتاج
موسى عليه السلام الى ان يستدل بما شاهدوا حدوثه وفناءه قال ربكم عدولا الى ما
لا مجال للنزاع فيه وانما قال فرعون ورب ابائكم الاولين لان فرعون كان يدعي الربوبية
على اهل عصره دون من تقدمهم قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم
لمجنون اسأله عن شيء ويجيبني عن آخر وسماه رسولا سخرية وترفع عن نسبته
الى نفسه ولو سمي به ولذلك لم يقل الينا قال رب المشرق والمغرب وما بينهما
انتقل الى هذا لان طلوع الشمس من احد الخافقين وغروبها في الآخر على تقدير مستقيم
في فصول السنة وحساب مستو من اظهر ما استدل به ولظهوره انتقل الى الاحتجاج
به خليل الرحمن عن الاحتجاج بالاحياء والاماتة على نمرود بن كنعان ان كنتم تعقلون
اي ان كان لكم عقل علمتم انه لا يمكن معرفته الا بهذا الطريق فلما تحير فرعون ولم
يتهيأ له ان يدفع ظهور آثار صنعه قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين
عدولا الى التهديد بدعوى المحاجة بعد الانقطاع وهكذا ديدن المعاند المحجوج واللام
في المسجونين للعهد اي ممن عرفت حالهم في سجوني وكان من عادته ان يأخذ
من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة في الارض بعيدة العمق فردا لا يبصر فيها
ولا يسمع وكان ذلك اشد من القتل ولو قيل لاسجننك لم يؤد هذا المعنى وان

كان اخصر او ولو جئتك الواو للحال وهمزة الاستفهام انما دخلت على الفعل المقدر
والمعنى اتفعل بي ذلك ولو جئتك بشيء مبين صدق دعواي يعني المعجزة قال فأت به
بالذي يبين صدقك ان كنت من الصادقين في انك قادر على اثباته وهذا الكلام عدول
عن الدلالة على ان المعجزة لا يأتي بها الا الصادق فالقى عصاه فاذا هي ثعبان حية عظيمة
يقال انثعب الماء اذا جرى باتساع والمثعب المجرى الواسع ومنه الثعبان لانه يجري
باتساع لعظمه والجان انما هو الصغير من الحيات ذكره في الفائق فلا تدافع بين هذا
وبين قوله كأنها جان على ان المشابهة للجان في الاهتزاز لا ينافي الثعبانية على تقدير المخالفة
بينهما في القدر مبين ظاهر انه ثعبان حقيقة لا شيء يشبه الثعبان كما يكون
الاشياء المزورة بالشعوذة والسحر ونزع يده اي اخرجها من جيبه او كمه والنزع
اخراج الشيء مما كان متصلا به او ملابسا له فاذا هي بيضاء لها شعاع يكاد يغشى الابصار
ويسد الافق وفي قوله للناظرين دلالة على ان بياضها كان شيئا يجمع النظارة على النظر
اليه لخروجه عن العادة قال للملأ للاشراف ليلتبس عليهم حوله منصوب نصب في اللفظ
والعامل فيه ما يقدر في الظرف ونصب في المحل وهو النصب على الحال من الملأ اي كائنين حوله
والعامل فيه قال ان هذا لساحر عليم فائق في علم السحر يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره بان
يلقي العداوة والفرقة بينكم ويستميل بعضكم ليحارب به بعضكم فيخرجكم من بلادكم فماذا
منصوب لانه مفعول به من قولك امرتك بخير تأمرون تشيرون في امره من المؤامرة وهي
المشاورة قالوا ارجه واخاه اي اخر امرهما وانما اشاروا بذلك لانهم رأوا ان الناس
يفتتنون ان قتل وحسبوا ان السحرة اذا قاوموه زال ذلك الافتتان فكان له عذر
في قتله وحبسه بحسب ما يراه وابعث في المدائن حاشرين رجالا يحشرون والحشر السوق
من جهات مختلفة الى مكان واحد ثم انهم عارضوا قوله ان هذا لساحر عليم بقولهم يأتوك
بكل سحار عليم فجاؤا بكلمة الاحاطة وصيغة المبالغة ليسكنوا بعض قلقه فجمع السحرة اي
اتفق الحاشرين في المدائن فانهم حشروا فجمع السحرة فالفاء فصيحة لميقات يوم معلوم
يوم الزينة وميقاته وقت الضحى لانه الوقت الذي وقته لهم موسى عليه السلام في قوله
موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى والميقات ما وقت به اي حدد من زمان او
مكان ومنه مواقيت الاحرام وقيل للناس هل انتم مجتمعون اي اجتمعوا وهو استبطاء لهم
في الاجتماع والمراد منه استعجالهم لعلنا نتبع السحرة في دينهم ان كانوا هم الغالبين
ان غلبوا موسى وليس غرضهم اتباع السحرة وانما الغرض ان لا يتبعوا موسى عليه السلام
فساقوا الكلام مساق الكناية والغلبة الاستعلاء بالعدة فلما جاء السحرة قالوا لفرعون
ائن لنا لاجرا الاجر الجزاء على العمل بالخير واذا كان بالشر سمي عقابا ان كنا نحن الغالبين

قال نعم وانكم اذا اى حينئذ لمن المقربين التزم لهم الاجر والقربة عنده زيادة
ان غلبوا قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون لم يرد به امرهم بالسحر والتمويه بل الاذن
في تقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلا به الى اظهار الحق ولذلك زاد قوله ما انتم ملقون
فان قوله القوا كان كافيا في جوابهم حين قالوا اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين فالقوا
حبالهم وعصيهم وقالوا اى جاءوا بسحر عظيم وقالوا قالوا وفصيحة بعزة فرعون انا
لنحن الغالبون اقسموا بعزته وهي من ايمان الجاهلية والعزة القوة التي يمتنع بها من لحاق
ضيم لعلو منزلتها فالقى موسى عصاه الفاء فصيحة تنبئ عن مقدر ذكر في سورة الاعراف
فاذا هي تلقف التلقف تناول الشيء بالفم بسرعة ما يأفكون ما يقلبونه منقلبا عن وجهه
بتمويههم وتزويرهم او افكهم تسمية للمأفوك به مبالغة فالقي السحرة ساجدين لعلمهم بان
مثله لا يتأتى بالسحر وعبر عن الخرور بالالقاء بطريق المشاكلة لانه ذكر مع الالقاءات ولانهم
بسرعة ما سجدوا كانهم القوا قالوا امنا برب العالمين بدل من القي بدل الاشتمال او استئناف
رب موسى وهرون عطف بيان لرب العالمين لئلا يتوهم انهم ارادوا به فرعون لانه
حين حشر جنوده نادى فقال انا ربكم الاعلى قال امنتم له اى لموسى قبل ان اذن لكم بذلك
انه لكبيركم الذي علمكم السحر فعلمكم شيئا دون شيء فلذلك غلبكم وواعدكم ذلك و
تواطأتم عليه وقد افصح عن هذا في سورة الاعراف واراد به التلبيس على قومه كيلا
يعتقدوا انهم امنوا عن بصيرة وظهور حق فلسوف تعلمون وبال ما فعلتم فالفاء
فصيحة ومدخولها مرتبط بمحذوف وعلى هذا ما ذكر في سورة الاعراف ان هذا لمكر
مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها ثم صرح بما كنى عنه فقال لاقطعن ايديكم وارجلكم
من خلاف من كل شق طرفا وهذه الطريقة في السياسة على الحكمة فانه ح لا ييأس الجاني
عن الحيوة والتعيش فتكون القتل بعده سياسة اخرى بخلاف ما اذا قطعنا من شق واحد
فانه ح يكون القتل راحة واراحة للعذاب المحض ولاصلبنكم اجمعين اى لا اترك واحدا
منكم لا ينال عقوبته قالوا لا ضير لا ضرر ضيرا محذوف اى في ذلك وعلينا انا الى ربنا
منقلبون قد تقدم تفسيره في سورة الاعراف انا نطمع الطمع طلب النفس الخير الذي تبدر
فيها انه يكون ان يغفر لنا ربنا خطايانا اى ما فعلناه من السحر وغيره والخطيئة الزوال
عن الاستقامة المودية الى الثواب ان كنا لان كنا اول المؤمنين من اتباع فرعون او من
اهل المشهد والجملة في المعنى تعليل ثان لنفي الضير وتعليل للعلة المتقدمة وقرئ ان كنا
على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة او على طريقة المدل بامره المتحقق لصحته
واوحينا الى موسى وكان هذا بعد سنين من ايمان السحرة ان اسر بعبادي ببني اسرائيل
واضافهم الى نفسه للتشريف لانهم امنوا به وصدقوا نبيه والاسراء السير في الليل وانما قيد

قوله ليلا لان المراد السير في معظمه لا في اوايله او اواخره انكم متبعون يتبعكم عدوكم
وهو علة الامر بالسير في الوقت المذكور فانهم لو ساروا في اول الليل لتتبعهم العدو
في الحال فلا يحصل لهم التقدم وكذا لو ساروا في آخره فارسل فرعون اى ففعل موسى
ذلك وخرجوا فاخبر بذلك فرعون فارسل فرعون فالفاء فصيحة في المداين مداين مصر
وتعدية ارسل بفي دون الى للتنبيه على الاستيعاب وسرعة الامتثال من الرسل وعلى ان
ملك مصر كان معمورا في عهده بحيث سار الرسل كما خرجوا من عنده في المداين وفيه
كسر استبعاد ما ذكر في كثرة جنده حاشرين العساكر ليتبعوهم ان هؤلاء لشرذمة قليلون
على ارادة القول والشرذمة الجمع المحتقر ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم وصفهم بها وان
بصيغة الجمع باعتبار الاسباط واختار جمع السلامة الذي هو للقلة وانما استقلهم و
كانوا ستمائة الف وسبعين الفا لكثرة من معه وانهم لنا لغائظون لفاعلون ما يغيظنا
بخروجهم من مصر بلا اذن منا وذهابهم باموالنا التي استعاروها وانا لجميع حاذرون
وقرئ حذرون فالحذر المتيقظ والحاذر الذي يجدد حذره يعني نحن قوم من عادتنا
التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى حسم فساده
وهذه معاذير اعتذر بها الى اهل المداين لئلا يظن به العجز والفتور فاخرجناهم من جنات
الداعي على الخروج من جنات وعيون وكنوز انما خصها لان اموالهم الظاهرة قد
انطمست ومن غفل عن هذا قال سماها كنوزا لانهم لم ينفقوا منها في طاعة الله تعالى
ومقام كريم بهي بهيج وكذلك يحتمل النصب على اخرجناهم مثل ذلك الاخراج والجر على انه
صفة مقام اى مثل ذلك المقام الذي كان لهم والرفع على انه خبر مبتدا محذوف اى الامر كذلك
واورثناها بني اسرائيل عن الحسن لما عبروا النهر واخذوا ديارهم واموالهم فاتبعوا
مشرقين يقال اتبع فلان فلانا وتبعه اذا اقتفى اثره وقال الزجاج يقال شرقت الشمس اذا
طلعت واشرقت اذا اضاءت فلما تراءى الجمعان اى تقابلا بحيث راى كل منهما الاخر قال اصحاب
موسى انا لمدركون لملحقون قال موسى كلا لن يدركوكم فان الله تعالى وعدكم الخلاص
عنهم ان معي ربي اى وعد ربي سيهدين طريق النجاة ويجوز ان يكون من قبيل التمثيل
فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر بحر القلزم فانفلق اى فضرب فانفلق
فصار اثني عشر فرقا على عدد الاسباط وفي حذف الفعل وترتيب الانفعال على الامر المذكور
في الظاهر اشعار بان ذلك الامر الفارق اثر امره تعالى لا اثر ضرب موسى عليه السلام فكان
كل فرق كالطود العظيم كالجبل المنيف الثابت في مقره فدخلوا في شعابها كل سبط في
شعب وازلفنا وقربنا ثم حيث انفلق البحر الاخرين فرعون وقومه حتى دخلوا على اثرهم
مداخلهم وانجينا موسى ومن معه اجمعين بحفظ البحر على تلك الهيئة الى ان عبروا وانما

قال ومن معه ولم يقل قومه لينتظم مؤمن آل فرعون بين يدي موسى عم ويدل على ان
نجاتهم كانت ببركة مصاحبته موسى عليه السلام ومتابعته ثم اغرقنا الآخرين باطباق البحر
عليهم وكلمة ثم دلت على ان غرق الهالكين عن خروج الناجين وذلك حبس جبرائيل عليه السلام
اولهم ليلحق به آخرهم حتى لا يشذ منهم احد ان في ذلك اي فيما فعل بموسى عليه السلام
وفرعون لآية لعبرة عجيبة لا توصف وما كان اكثرهم مؤمنين وما تنبه عليها اكثرهم
اذ لم يؤمن بها احد ممن بقي في مصر من القبط وبنو اسرائيل بعد ما نجوا سألوا بقرة يعبدونها
واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وان ربك لهو العزيز الغالب القادر
على الانتقام من اعدائه الرحيم بتأخير العذاب برحمته ليتوب منهم من تاب واتل عليهم
على مشركي العرب نبأ ابراهيم خبره العجيب الشان اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون اي شيء
تعبدون سألهم ليريهم ان ما يعبدونه ليس بمستحق للعبادة قالوا نعبد اصناما كان
السؤال عن المعبود لا عن العبادة وانما زادوا نعبد في الجواب افتخارا ومباهاة
بعبادتها ولذا عطفوا على نعبد فنظل لها عاكفين فنقيم على عبادتها طول النهار ويحتمل
ان يكون نظل بمعنى ندوم فلا يدل على اختصاص عبادتهم بالنهار قال ابراهيم عليه السلام
هل يسمعونكم اذ تدعون فان سمع بمعنى اجاب شايع ومنه سمع الله لمن حمده او كانوا
يسمعون على معناه الحقيقي لقيل هل يسمعونكم تدعون او ينفعونكم ان عبدتموها او يضرون
ان تركتم عبادتها قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون فقلدناهم قال افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم
الاقدمون فان التقدم لا يدل على الصحة ولا ينقلب به الباطل حقا فانهم عدو لي العدو
والصديق يجيئان في معنى الوحدة والجماعة يعني لو عبدتهم لكانوا اعداء لي يوم القيمة
لقوله تعالى سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وقال الفراء هو من المقلوب
اي فاني عدو لهم وفي قوله لي دون لكم زيادة نصح ليكون ادعى لهم الى القبول
الا رب العالمين استثناء منقطع او متصل على ان الضمير لكل معبود عبدوه وقد دخل
فيه المعبود بحق ولا حاجة الى ان يقال وكان من آبائهم من عبد الله لانهم ايضا
يعبدون الله تعالى الا انهم يشركون الاصنام في العبادة دل على ذلك قوله تعالى
اذ نسويكم برب العالمين الذي خلقني بالتكوين في القرار المكين فهو يهدين لمناجح
الدنيا ولمصالح الدين والاستقبال في سيهدين مع سبق العناية بالهداية لانه
يكمل يهدين لما هو الافضل الاتم الاكمل والذي خلقني لاسباب خدمته فهو
يهدين الى آداب خلته والفاء للسببية ان جعل الموصول مبتدأ وللعطف ان
جعل صفة رب العالمين فيكون اختلاف النظم لتقدم الخلق واستمرار الهداية

والذي هو يطعمني ويسقين على الاول مبتدأ محذوف الخبر لدلالة ما قبله عليه وكذا اللذان
بعده وتكرير الموصول على الوجهين للدلالة على ان كل واحدة من الصلات مستقلة باقتضاء
الحكم اضاف الاطعام الى والي الانعام لان الركون الى الاسباب عادة الانعام واذا مرضت
لم يقل امرضني لانه قصد الذكر بلسان الشكر فلم يضف اليه ما يقتضي الصبر فهو يشفين اي
شفيت لا غير لانه يشفيني لا محالة والذي يميتني لم يقل اذا مت لانه الخروج من حبس
البلاء ودار الفناء الى روض البقاء لوعد اللقاء فليس هو كالمرض ولما كانت الاماتة
والبعث مما لا يمكن اسنادها الا الى الله تعالى كالخلق لم يحتج الى توكيد بخلاف الهداية و
الاطعام والسقي والشفاء فانها مما يمكن اسنادها الى غيره تعالى وانما اتى باداة التراخي
في قوله ثم يحيين لانه اراد الاحياء في الآخرة دون القبر وباداة التعقيب في الهداية
والشفاء لانهما يعقبان الخلق والمرض وباداة الجمع المطلق في السقي لانه قد يعقب
الاطعام وقد يتأخر عنه وقد يتقدم عليه والذي اطمع طمع العبيد في الموالي بالافضال
لا على الاستحقاق بالسؤال ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين استغفار الانبياء عليهم السلام
تواضع منهم لربهم وهضم لانفسهم وتعليم للامم في طلب المغفرة قدم الثناء على
الله تعالى وذكره بالاوصاف الحسنة بين يدي طلبته ومسألته ثم سأله تعالى فقال
رب هب لي حكما كمالا في العلم والعمل لانتظم في عداد الكاملين في صلاح الدين
الذي لا يشوب صلاحهم كبيرة ذنب ولا صغيرة والحقني بالصالحين اي الانبياء
عليهم السلام ولقد اجاب حيث قال وانه في الآخرة لمن الصالحين واجعل لي لسان صدق
اي ثناء حسنا وذكرا جميلا في العبارة باللسان عن القول ما لا يخفى من البلاغة
وانما اضافه الى الصدق اضافة الموصوف الى الصفة الدالة للاختصاص به والمرافقة
فيه احتراز عن الاطراء في شانه في الآخرين في الامم التي تجيء بعدي فاعطي ذلك فكل
اهل دين يتولونه ويثنون عليه بلا اطراء واجعلني من ورثة جنة النعيم اي وارثا
من ورثة جنة النعيم سأله ان يفعل معه من الالطاف ما يجعله عنده الطاعات
لان الجنة لا ينعم فيها الا بالاستحقاق وان كان الدخول فيها بمحض لطف الله تعالى
فلذلك قال من ورثة فان الوارث يأخذ الميراث بلا كسب منه واغفر لابي طلب
هدايته الى الايمان اقتضاء لحق ابوته ولهذا قال انه كان من الضالين اي المقيمين
على الضلال في الازمنة الماضية قال تأسفا وتلهفا لا اخبارا واظهارا وكان ذلك منه
عليه السلام قبل ان مات ابوه ولما مات على الكفر فتبين انه عدو لله تبرأ منه ولا
تخزني الاخزاء من الخزي وهو الهوان او من الخزاية وهي الحياء يوم يبعثون الضمير
للناس لانه معلوم اي لا تخزني بتعذيبي يوم المحشر على رؤوس المحشر فهو من تتمة الاستغفار

لا بنيه يوم لا ينفع مال بدل من اليوم الاول ولا بنون احدا كما ينفع في الدنيا بعذبه
ماله ويذب عنه بنوه الا من مفعول لينفع اتى الله بقلب سليم من الكفر والنفاق
فقلب الكافر والمنافق مريض لقوله تعالى في قلوبهم مرض اي ان المال اذا صرف في
وجوه البر وبنوه صالحون فانه ينتفع به وبهم سليم القلب قد صوب الخليل استثناء
الخليل اكراما له ثم جعله صفة له في قوله وان من شيعته لابرهيم اذ جاء ربه بقلب سليم
وازلفت الجنة للمتقين اي قربت عطف جملة على جملة اي تزلف من موقف السعداء
فينظرون اليها ويبتهجون بحشرهم اليها وفي اختلاف الفعلين دلالة على ان ارض المحشر
قريبة من الجحيم للغاوين الغاوي العامل بما يوجب الخيبة من الثواب واصل الغواية
الخيبة قال الشاعر فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما وقيل
لهم على وجه التوبيخ والتقريع اينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم هل ينفعونكم
بنصرهم لكم او ينتصرون او هل ينفعون انفسهم بانتصارهم وهذا لانهم والهتهم
وقود النار كما قال فكبكبوا نكسوا او طرح بعضهم على بعض فيها في جهنم هم اي الالهة
والغاوون وعبدتهم الذين برزت لهم الجحيم والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير
في اللفظ دليلا على التكرر في المعنى كانه اذا القي في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في
قعرها وجنود ابليس شياطينه او متبعوه من عصاة الانس والجن اجمعون تاكيد
للضمير الذي هو هم ولما عطف عليه وهو الغاوون وجنود ابليس هذان احتمالان
قايمان في الضمير المنفصل وما يعود عليه في قوله قالوا وهم فيها يختصمون كونه ان ينطق
الله تعالى الاصنام حتى يصح التقاول والتخاصم ويؤيده الخطاب في نسويكم تالله
ان كنا لفي ضلال مبين بين اذ نسويكم نعدلكم ايها الاصنام برب العالمين في استحقاق
العبادة وما اضلنا الا المجرمون اي رؤساؤهم الذين اضلوهم او ابليس وجنوده
ومن سن الشرك فما لنا من شافعين من الاباعد كما للمؤمنين من الانبياء والاولياء
والملائكة ولما اتى بصيغة الجمع لمصلحة الفاصلة ترك حق المقام بزيادة من التبعيضية
ولا صديق حميم من الاقارب كما نرى للمؤمنين اصدقاء قال تعالى الاخلاء يومئذ
بعضهم لبعض عدو الا المتقين والحميم من الاحتمام وهو الاهتمام وهو الذي يهمه
ما يهمك ومن الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص فلو ان لنا كرة رجعة الى الدنيا
فنكون من المؤمنين وجواب لو محذوف وهو لفعلنا كيت وكيت ولو في مثل هذا
للتمني كانه قيل فليت لنا كرة لما بين معنى لو وليت من التلاقي ان في ذلك فيما ذكر من
قصة ابرهيم عليه السلام لاية وعظة لمن اراد ان يستبصر بها ويعتبر فانها جاءت
على انظم ترتيب واحسن تقرير يتفطن المتامل فيها لغزارة علمه لما فيها من الاشارة

الى اصول الدينية والتنبيه على دلايلها وحسن دعوته للقوم وحسن مخالفته معهم وكمال
اشفاقه عليهم وتصوير الامر في نفسه واطلاق الوعد والوعيد على سبيل الحكاية تعريضا
وايقاظا لهم ليكون ادعى لهم الى الاستماع والقبول وما كان اكثرهم اكثر قومه
مؤمنين به وان ربك لهو العزيز القادر على تعجيل الانتقام الرحيم بالامهال لكي يؤمنوا هم
او احد من ذريتهم كذبت قوم نوح القوم مؤنثة ولذلك يصغر على قويمة المرسلين
قدم الكلام في تكذيبهم المرسلين اذ قال لهم اخوهم نوح انما قال اخوهم لانه كان
منهم الا تتقون خالق الانام فتتركوا عبادة الاصنام اني لكم رسول امين كان مشهورا
بالامانة فيهم كمحمد عليه السلام في قريش فاتقوا الله واطيعون فيما امركم من التوحيد
والطاعة لله تعالى وما اسألكم عليه على ما انا عليه من الدعاء والنصح من اجر
عن المنفعة المستحقة فاما الذي لا يكون مستحقا فذلك لا يسمى اجرا بل هبة ان اجري الا
على رب العالمين بحكم وعده وفيه دلالة على عظم شان ما امر بتبليغه وهذا هو الموجب
لطاعته فيما يدعوهم اليه فلذلك اعاد قوله فاتقوا الله واطيعون واما حسم الطمع
المستفاد مما تقدم فقاصر عن ايجابها ثم ان في قوله رب العالمين اشارة الى ان التزام
الاجر في ذلك لمصلحة تربيتهم لا لامر يعود الى نفسه من نفع او دفع قالوا انؤمن لك
واتبعك الارذلون للحال وقد مضمرة بعدها دليله قراءة واتباعك جمع تابع كشاهد واشهاد
او تبيع كبطل وابطال الارذلون جمع ارذل على الصحة والرذالة الخسة والدناءة وانما
استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من اهل الصناعات
الدنية واشاروا بذلك الى ان اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة وانما هو لتوقع مال
ورفعة فلذلك قال وما علمي بما كانوا يعملون انهم عملوه اخلاصا او طمعا في طعمة
وما علي الا اعتبار الظاهر ان حسابهم الا على ربي ما حسابهم على بواطنهم الا على الله
تعالى فانه المطلع على السرائر لو تشعرون لعلمتم ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون ما لا تعلمون
وما انا بطارد المؤمنين جواب لما اوهم قولهم واتبعك الارذلون من استدعاء طردهم
استنكافا عن الشركة معهم في المتابعة خصوصا اذا كان لهم فضل التقدم وقدم السبق
وتوقيفا بانهم عليه وقوله ان انا الا نذير مبين كالعلة له اي ما انا الا رجل مبعوث
لانذار المكلفين من الكفر والمعاصي سواء كانوا اعزاء او اذلاء وكم من ذليل عند
الناس وهو عزيز عند الله وبالعكس فكيف يليق بي طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء
او ما علي الا انذاركم انذارا بينا بالبرهان الواضح ثم انتم اعلم بشانكم قالوا لئن لم
تنته يا نوح عما تقول والانتهاء بلوغ الحد من غير مجاوزة الى ما وقع عن النهي و
اصل النهاية بلوغ الحد لتكونن من المرجومين من المضروبين بالحجارة قال رب ان قومي

الى

كذبون اظهارا لما يدعو عليهم لاجله وهو تكذيبهم الحق لا تخويفهم له واستثقالهم
عليه فافتح بيني وبينهم فتحا فاحكم بيني وبينهم حكما من الفتاحة وهي الحكومة و
الفتاح الحاكم لانه يفتح المستغلق ونجني ومن معي من المؤمنين من قصدهم
او شؤم عملهم فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون المملوء ومنه شحنة البلد اي الذي
يملؤه كفاية كانت السفينة مملوءة من الناس وانواع الحيوان من سباع البهائم وجوارح
الطير فكانت في قصصهم هذه نجاة في نجاة ومن هنا اتضح وجه توصيف الفلك بالوصف
المذكور في مقام الامتنان ثم اغرقنا بعد للتفاوت بين الحالين لا للتراخي ولذلك قال
بعد اي بعد انجائه ومن معه الباقين من قومه ان في ذلك لآية عظيمة شاعت وتواترت
وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز المنتقم باهانة من جحد واصر الرحيم
المنعم باعانة من وحد واقر وان ربك لهو العزيز المنتقم كذبت عاد المرسلين من قبله
وفي الاصل اسم رجل هو ابو القبيلة اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون اني لكم رسول
امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين قد تقدم
تفسيره عن قريب اتبنون بكل ريع مكان مرتفع والبناء وضع ساق على ساق الى حيث
ينتهي والريع الارتفاع من الارض ومنه الريع في الطعام وهو ارتفاعه بالزيادة
والنماء آية بناء يكون لارتفاعه كالعلامة تعبثون تلعبون وتتخذون مصانع مآخذ
الماء او قصورا مشيدة او حصونا اي تجعلون في موضع عال شرف علامة تبنونها
ولا تحتاجون اليها لسكناكم انما تريدون به المباهاة والمراءاة وذا عبث لعلكم تخلدون
ترجون الخلود في الدنيا فتحكمون بنيانها واذا بطشتم البطش العسف قتلا بالسيف
وضربا بالسوط بطشتم جبارين الجبار العالي بعظم سلطانه وهو في صفة الله تعالى
مدح وفي صفة غيره ذم وقال الحسن بطش الجبرية هو المبادرة من غير تثبت ولا توقف
مدحهم الله بذلك ونهيهم هود عليه السلام فاتقوا الله بترك هذه الاشياء واطيعون
فيما ادعوكم اليه فانه انفع لكم واتقوا الذي امدكم بما تعلمون من النعم ثم عددها
عليهم فقال امدكم بانعام وبنين قرن البنين بالانعام لانهم يعينونهم على حفظها
والقيام عليها وقرن العيون بالجنات في قوله وجنات وعيون لان فيها مدها ودوام
منافعها بكثرة الماء بالانعام مرتبا على امداده اياهم بما يعرفونه من انواع
النعم تعليل وتنبيه على الوعد عليه بدوام الامداد والوعيد على تركه بالانقطاع
ثم فصل بعض تلك النعم كما فصل بعض مساويهم المدلول عليها اجمالا بالانكار في
الا تتقون مبالغة في الايقاظ والحث على التقوى ثم اوعدهم فقال اني اخاف عليكم
عذاب يوم عظيم في الدنيا والآخرة فانه كما قدر على الانعام قدر على الانتقام قالوا

سواء علينا مستو عندنا وانما قيل علينا لان المراد الاستواء من جهتنا اوعظت
الوعظ كلام يلين القلب بذكر الوعد والوعيد ام لم تكن من الواعظين فانا لا نرعوي عما
نحن عليه وتغيير شق النفي عما يقتضيه المقابلة بارتكاب الاطناب للمبالغة في جانب السكوت
عن الوعظ لكونه مقصودا فانه الاخراج من عداد الواعظين ابلغ من نفي المباشرة للوعظ
والمحافظة على رؤس الاي ان هذا الا خلق الاولين قرئ خلق بفتح الخاء من الاختلاق
اي ما هذا الذي جئتنا به الا كذب الاولين وقرئ بضم اللام اي ما هذا الذي نحن عليه
من تهيئة اسباب المعاش واتخاذ الابنية الا عادة الاولين وما نحن بمعذبين في الدنيا
ولا بعث فلا عذاب في الآخرة فكذبوه فاهلكناهم بسبب تكذيبهم اياه بريح صرصر عاتية
ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين
اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما
اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين تقدم تفسيره وفي هذه السورة اتتركون
انكار لان يتركوا كذلك او تذكير بالنعمة في تخلية الله تعالى اياهم واسباب تنعمهم فيما ههنا
في الذي استقر في هذا المكان من النعيم آمنين من العذاب والزوال والموت ثم فسره بقوله
في جنات وعيون وهذا ايضا اجمال ثم تفصيل وزروع ونخل افرد النخل لتفضله على سائر
اشجار الجنات طلعها هو ما يخرج من النخلة كنصل السيف هضيم لين نضيج كانه قال ونخل
قد ارطب ثمره فانه ما دام رطبا فهو هضيم فاذا يبس فهو هشيم وتنحتون وتنقبون
من الجبال بيوتا فارهين بطرين وهذا هو المناسب لما في سورة الحجر من قوله آمنين
لا بمعنى حاذقين فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا اي تمتثلوا امر المسرفين انما عرف
الكلام عن الظاهر والكلية عن المبادر حيث لم يقل تطيعوا المسرفين تنزيلا لشانهم
عن درجة الاطاعة وتبعيدا لهم عن حيز المطاوعين وانما جعل الامر مطاوعا على
المجاز الحكمي فلا يناسب المقام الذين يفسدون في الارض وصف موضح لاسرافهم و
لذلك عطف ولا يصلحون على يفسدون دلالة على خلوص فسادهم المستفاد من الاسناد
الى جملة اي رض يناسب هذا قالوا انما انت من المسحرين المسحر الذي سحر كثيرا
حتى غلب على عقله ما انت الا بشر مثلنا كناية عن استحالة كونه رسولا بناء على زعموا
من ان رسول الله لا يكون من جنس البشر خصوصا بلا امتياز له عن سائر الافراد وكان صالح
عليه السلام رد قولهم هذا بان يقول اني رسول الله بواسطة الملك ولي امتياز عن سائر
البشر بالمعجزة اي الخارقة للعادة فقالوا في مقابلته فأت باية خارقة للعادة ان كنت من الصادقين
في دعواك قال هذه ناقة وفي سورة الاعراف هذه ناقة الله لكم آية لها شرب نصيب من الماء
فلا تزاحموها فيه ولكم شرب يوم معلوم لا تزاحمكم هي فيه ولا تمسوها بسوء نهي عن المس

الذى هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لانواع الاذى مبالغة في الامر وازاحة للعذر
فياخذكم عذاب يوم عظيم عظم اليوم لعظم ما يحل فيه وهو ابلغ من تعظيم العذاب لان
اليوم اذا عظم بسببه كان موقعه من العظم اشد فعقروها الفاء فصيحة والجملة المحذوفة
مذكورة في سورة الاعراف وانما اسند الفعل الى الجميع لانه كان بامرهم ومعاونتهم على ما
افصح عنه قوله فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر فاصبحوا نادمين لا على عقرها خوفا من
نزول العذاب بهم لانه مردود بقوله فاخذهم وقالوا بعد ما عقروها يا صالح ائتنا بما تعدنا
ان كنت من المرسلين بل على ترك ولدها وقد تقدم وجه ذلك في سورة الاعراف فاخذهم
العذاب اى العذاب الموعود وهو الرجفة الحادثة من الصاعقة ان في ذلك لاية عظيمة و
ما كان اكثرهم مؤمنين في نفي الايمان عن اكثرهم في هذا المعرض ايماء بانه لو امن اكثرهم او
شطرهم لما اخذوا بالعذاب وان قريشا انما عصموا عن مثله ببركة من امن منهم وان ربك
لهو العزيز الرحيم جامع لجهتي الانتقام والانعام كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم
اخوهم لوط الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر
ان اجرى الا على رب العالمين تقدم تفسيره في هذه السورة اتاتون الذكران من العالمين
اى اتاتون من الذكران من اولاد آدم مع كثرتهم وغلبة الاناث فيهم كانهم قد اعوزتكم
او اتاتون من بين من عداكم من العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم فالمراد بالعالمين
على الاول الناس وعلى الثاني كل من ينكح وهذا الجمع للتغليب وهو مبنى هذا الوجه على اختصاص
ذلك الفعل بالانسان وفيه نظر وتذرون ما خلق لكم لاجل استمتاعكم ربكم من ازواجكم
لبيان ما ان اريد به جنس الاناث او للتبعيض ان اريد العضو المباح منهن فيكون تعريضا
بانهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم وانما خص الازواج بالذكر لعمومه فان الاماء مخصوصة
بالاحرار بل انتم قوم عادون بل اضراب بمعنى الانتقال من شيء الى شيء والعادى والمعتدى
في طلب المنتهى وزيفه الحد والمراد هنا التجاوز عن حد الشهوات بالزيادة على سائر الناس
بل الحيوانات او الافراط في المعاصي مطلق وعلى هذا الاضراب للترقي قالوا لئن لم تنته اى
لم تمتنع من انكارك علينا وتقبيح امرنا يا لوط لتكونن من المخرجين من جملة من اخرجناه
من بيننا وطردناه من ديارنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على اسوء حال قال انى لعملكم
من القالين فلا اكره مفارقتكم ولا ارضى مجاورتكم والقلى البغض الشديد كانه بغض يقلى
الفؤاد وانما قال من القالين للتنبيه على انه غير منفرد بذلك بل واحد من الجماعة الموصوفين و
ايضا هو ابلغ من قال وان كان هو ارجح من جهة اللفظ لما بينه وبين قال من صنعة التجنيس
رب نجنى واهلى مما يعملون من شومه وعذابه فنجيناه واهله اى من آمن به اجمعين باخراجهم
من بينهم وقت حلول العذاب بهم الا عجوزا مقدرة في الغابرين العجوز امراته التى قد عجز

عز امو وكثيرة كبر سنها وهي امراته على ما افصح عنه قوله الا امراته كانت من الغابرين اى
الباقين من لذاتها واهل بيتها وقيل الغابر الباقي في قلة كالتراب الذى يذهب بالكنس ويبقى
غباره ثم دمرنا الاخرين اهلكناهم اشد الهلاك وامطرنا عليهم مطرا امطر الله تعالى على شذاذ القوم
حجارة فاهلكهم فساء فاعله مطر المنذرين والمخصوص بالذم وهو مطرهم محذوف والمراد بالمنذرين
جنس الكافرين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم تقدم تفسيره
كذب اصحاب الايكة قال الخليل الايكة غيضة تنبت السدر والاراك ونحوهما الشجر المرسلين اذ قال
لهم شعيب انما لم يقل اخوهم شعيب لانه لم يكن من نسبهم بل كان من نسب اهل مدين وفي ان شعيبا
اخا مدين ارسل اليهم والى اصحاب الايكة الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون
وما اسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين قد مر تفسيره في هذه السورة اوفوا الكيل
اتموه ولا تكونوا من المخسرين من حقوق الناس بالتطفيف ولو قيل لا تخسروا لكان ابلغ في النهى
على ما تقدم في تفسير ولا تركنوا الى الذين امنوا وانما عدل عنه الى ما ذكر تعريضا لاشتهارهم بتلك
الحال وزنوا بالقسطاس المستقيم الوزن وضع الشيء بازاء المعيار بما يظهر منزلته منه في تلك
المقدار اما بالزيادة او النقصان او التساوى والقسطاس الميزان او القبان فان كان من القسط
وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس والا فهو رباعى ولا تبخسوا الناس تقال
بخسه حقه اذا نقصه اياه اشياءهم دراهمهم ودنانيرهم بقطع اطرافها ولو لا المراد للنهى
عن الفساد لقيل ولا تبخسوا الناس شيئا لانه ابلغ في النهى ولا تعثوا في الارض وهذا ايضا نهى
عن فسادهم ولذلك عدل عنه الى ابلغ في النهى وهو لا تفسدوا في الارض فالعثو اشد الفساد
وذلك قد يكون مصلحة كتخريب ديار الكفار فلدفع هذا الاحتمال قيل مفسدين واتقوا الذى
خلقكم والجبلة الاولين يعنى من تقدمهم من الخلائق الجبلة واريد بها الخلق قيل الجبلة الخلق
المجتمع الغليظ ماخوذ من الجبل فيناسب التعبير بها عن خلقة عاد وثمود قالوا انما انت
من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا اتى بالواو للجمع في قصة ثمود كما قالوا انما انت ليفيد
التوكيد والتقرير والقطع بانه بشر مثلهم اى لا ينبغى ان نؤمن برسالتك الا بشيء تمتاز به
هنا ولهذا قالوا فات باية ان كنت من الصادقين واتى بها هنا للدلالة على انه جامع بين
وصفين منافيين للرسالة مبالغة في تكذيبهم فكانهم قالوا لكن وانتم في عدم صلاحية
الرسالة من جهة كوننا بشرا سواء ولكن المزية علينا في كونك مسحرا دوننا ثم اكد ذلك بقولهم
وان نظنك لمن الكاذبين والظن بمعنى اليقين ولذلك دخل ان واللام ولما كان هذا الرد
ابلغ من الاول ما طلبوا البرهان هنا كما طلب ثمود حيث قالوا فات باية ان كنت من الصادقين
بل قطعوا بما يدل على الناس من ايمانهم لعقلهم على سبيل الاستهزاء فاسقط علينا كسفا
جمع كسفة وهي قطعة من السماء ان كنت من الصادقين كما قطع قريش بقولهم لله ان كان

هذا هو الحق فأمطر علينا حجارة من السماء قال ربي أعلم بما تعملون اي ان الله تعالى اعلم
باعمالكم وبما تستحقون عليها من العقاب فان اراد ان يعاقبكم باسقاط كسف من السماء فعل
وان اراد عقابا بآخر فاليه الحكم والمشية فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة على نحو ما اقترحوا
والظلة سحابة اظلتهم بعد ما حبس عنهم الريح وعذبوا بالحر سبعة ايام فاجتمعوا
تحتها مستجيرين بها مما نالهم من الحر فامطرت نارا فاحترقوا ولهذا اي ولكونهم
معذبين في ذلك الوقت بسبب حر غير الظلة اضيف العذاب الى اليوم دون الظلة وقطع
اضافة العذاب عنها لا يخلو عن نوع اشعار بان عذابهم قبل نزول النار من الظلة
بلغ الى حد كان ذلك خلاصا لهم من العذاب انه كان عذاب يوم عظيم فيه ان وصف
اليوم بالعظم ابلغ من وصف العذاب به ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم هذا آخر القصص السبع المذكورة على وجه الاختصار
تسلية لرسول الله عليه السلام وتهديدا للمكذبين به وانه لتنزيل رب العالمين اي ان
القرآن لمنزل من عند الله لمصلحة العالمين نزل به الروح الامين اي جبرائيل عليه السلام
فانه امين الله تعالى على وحيه وقرئ نزل مشددا والروح منصوبا اي جعل الله تعالى
الروح نازلا به والباء على القرائتين للتعدية على قلبك اي فهمك القلب والمعنى عليك لانه محل
الوحي والتثبيت وليعلم ان المنزل محفوظ عن المخالطة والمغالطة لوصوله الى القلب
بالذات لا بواسطة الصوت وآلة السمع فافهم هذا السر الدقيق لتكون من المنذرين
اقتصر على الانذار لعموم العزيزين ولانه ازجر للسامع بلسان عربي بلغة العرب متعلق
بنزل ويجوز ان يتعلق بالمنذرين اي لتكون ممن انذروا بلغة العرب وهو هود
وصالح وشعيب ومحمد عليه السلام مبين للناس ما يحتاجون اليه من امور دينهم و
دنياهم وانه لفي زبر الاولين يعني ذكره مثبت في سائر الكتب السماوية وقيل ان معانيه
فيها فلا دلالة فيه على ان القرآن قرآن اذا ترجم بغير العربية والزبر جمع زبور كرسل
ورسول وقد تقدم بيانه اولم تكن لهم آية على صحة القرآن او نبوة محمد عليه السلام
ان يعلمه علماء بني اسرائيل ان يعرفوه بنعته المذكور في كتبهم وهو تقرير لكونه دليلا
وقرئ يكن بالتذكير وآية بالنصب على انها خبره وان يعلمه هو الاسم تقديره اولم يكن لهم
علم علماء بني اسرائيل آية وقرئ تكن بالتانيث وآية بالرفع على انها اسم كان وخبره لهم
وان يعلمه بدل وقيل في تكن ضمير القصة وآية خبر مقدم والمبتدأ ان يعلمه والجملة خبر
كان وقيل كان تامة والفاعل آية وان يعلمه بدل منها او خبر مبتدأ محذوف اي اولم يحصل
لهم آية ولو نزلناه على بعض الاعجمين كما هو زيادة في اعجازه او بلغة العجم فقرأه
عليهم ما كانوا به مؤمنين لفرط عنادهم واستكبارهم او لعدم فهمهم واستنكافهم

من اتباع العجم والاعجمين جمع اعجمي على التخفيف كما قالوا الاشعرون اي الاشعريون
بحذف ياء النسبة ولولا هذا التقدير لم يجز ان يجمع جمع السلامة لان مؤنثه عجماء وزيادة
كان لافادة معنى الاستمرار والمراد استمرار النفي لا نفي الاستمرار فافهم سر هذا الاعتبار كذلك
سلكناه اي مثل ما ذكرنا من ادخال التكذيب به على تقدير قراءة الاعجمي ادخلنا التكذيب به
في قلوب المجرمين بقراءة افصح العرب لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم المراد به معاينة
العذاب عند الموت وذلك ايمان يأس فلا ينفعهم فيأتيهم بغتة يعني ان العذاب الذي
يستعجلونه يجيئهم فجأة والبغتة حصول الامر العظيم الشاق من غير توقع وتقدم الاسباب
وهم لا يشعرون باتيانه فيقولوا حذف النون منه عطفا على قوله يروا هل نحن منظرون
يطلبون النظرة والامهال طرفة عين فلا يجابون اليها افبعذابنا يستعجلون فيقولون
امطر علينا حجارة من السماء فائتنا بما تعدنا وحالهم عند حلول العذاب طلب النظرة فجيء
بالهمزة للانكار والفاء للدلالة على ترتبه على السابق الا انها اخرت لان همزة الاستفهام
حقها الصدارة وان استعيرت لمعنى آخر قال يحيى بن معاذ اشد الناس غفلة من اغتر
بحياته والتذ بمراداته وسكن الى مالوفاته والله تعالى يقول افرأيت ان متعناهم سنين
ثم جاءهم ما كانوا يوعدون من العذاب ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون به في تلك السنين
في دفع العذاب وتخفيفه وانما جيء بالفاء للرؤية والاستفهام لكونه في معنى اخبروا فادة
لمعنى التعجب والانكار وان من حق هذه القصة ان يخبر بها كل احد حتى يتعجب وزيادة كان
موضعين لافادة الاستمرار وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون لم يدخل الواو على الجملة بعد الا كما
في وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم لان الاصل عدم الواو اذ الجملة صفة قرية واذا
زيدت فلتأكيد وصل الصفة بالموصوف منذرون اي بصيغة الجمع لان من قرية عام
فكأنه قيل وما اهلكنا من القرى والعدول عنه لافادة الدلالة على ان المراد الكل الافرادي
لا الكل المجموعي ذكرى تذكرة ومحلها النصب على العلة او المصدر لانها في معنى الانذار
او حال من الضمير في منذرون باضمار ذوا او بجعلهم ذكرى لامعانهم في التذكرة او
خبر مبتدأ محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية ولا يجوز ان يكون ذكرى متعلقا
باهلكنا مفعولا له لان مذهب الجمهور ان ما قبل الا لا يعمل فيما بعدها الا ان يكون مستثنى
او مستثنى منه او تابعا له غير معتمد على الاداة وما كنا ظالمين اي ليس من شأننا الظلم فنعذب
قوما غير مستحقين له ولما قال المشركون ان الشياطين تلقي القرآن على محمد عليه السلام نزل وما
تنزلت به اي بالقرآن الشياطين كما يقول قريش انه كاهن والكاهن يلقي عليه الشياطين
بل هو تنزيل رب العالمين وانما جيء بصيغة التفعيل لانه نزل نجما في ذلك على تقدير وقوعه
انما يكون بطريق استراق السمع فيتبعه نوع تمهيد لما سيأتي وما ينبغي لهم اي لا يتسهل

الشياطين ان ينزلوا به لانه مشروط بصفاء الذات وقبول فيضان الحق والانتقاش
بالصور الملكوتية ونفوسهم خبيثة ظلمانية لا تقبل ذلك والقران مشتمل على لطائف و
مغيبات لا يمكن تلقيها الا من الملئكة المطهرة الكرام البررة نفيا ولا وقوع نزول
القران بواسطة الشيطان ثم نفى لياقته لذلك الامر الخطير ثم نفى الاستطاعة والامكان
فقال وما يستطيعون اى الشيطان ذلك الامر انهم عن السمع لمعزولون استيناف
لبيان عدم استطاعتهم يعنى انهم قد عزلوا برجم الكواكب عن الاماكن التى كانوا يتحفظون
من الملئكة وهذا هو الوجه لا ما ذكره القاضى من ان ذلك مشروط بمشاركة فى صفاء
الذات لانه منقوض بوقوع الاستراق منهم قبل بعثة نبينا عم فلا تدع مع الله الها
اخر فتكون من المعذبين انما نهى النبى عليه السلام عن الشرك فى العبادة مع عدم
الحاجة اليه فى حقه تمهيدا لبيان ترتب العذاب عليه على وجه لا يختلف عنه فى حق خير
الخلق فكيف فى حق غيره وانذر عشيرتك الاقربين خصهم لنفى التهمة اذ الانسان
يساهل قرابته وليعلموا انه لا يغنى عنهم من الله شيئا فان النجاة فى اتباعه دون
قربه والعشيرة تنتظم الفخذ وما فوقها واخفض جناحك والن جانبك وتواضع
مستعار من خفض الطائر جناحه اذا اراد ان ينحط لمن اتبعك من المؤمنين من عشيرتك
وغيرهم ولا فائدة هذا التعريف التعميم ذكر قوله من المؤمنين والا فالايمان واتباعه
عليه السلام توامان فان عصوك مرتبط لقوله وانذر عشيرتك الاقربين وكان اصل الكلام
انذر اقربائك فان اتبعوك واطاعوك فاخفض لهم جناحك وان عصوك ولم يتبعوك
فتبرأ من اعمالهم الا انه غير التعبير فى احد الشقين تنزيلا للمفرد منزلة المحقق
فى الجانب الغالب وعمم حكمه تنبيها على ان امر الانذار اصله غير مخصوص انما الاختصاص
بقرابته عليه فى وصف تقديمه وخص حكم شق العصيان بهم ليظهر ذلك الحكم فى حق غيرهم
بطريق الاولى فقل لهم انى برئ لما كان الحكم فى صورة الاتباع وجوديا وفى صورة
خلافه عدميا امر بنفى الحكم فى الاولى وبالاظهار فى الثانية وهذا من دقائق الاعتبار
فلما بينه له الانذار والاخبار مما تعملون مما تعملونه او من اعمالكم امر بالبراءة من عملهم
لا منهم اشعارا بانهم لا يتركون باظهار العصيان بل يدعون الى الطاعة مرة بعد
اخرى باللطف الى ان ينزل الامر بالعنف وتوكل التوكل تفويض الامر الى من يملكه و
قرئ فتوكل على الابدال من جواب الشرط على العزيز الرحيم على الذى يقهر اعدائك بعزته
وينصرك عليهم برحمته يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم الذى يريك الرؤية
علم خاص بنوع من المحسوسات غير متوقف على النظر بل قد يحصل بطريق اخر فلذلك
دعا موسى عليه السلام قوله انظر اليك حين طلب الرؤية المعهودة حين تقوم

متهجدا وتقلبك اى ويرى تقلبك فى الساجدين فى المصلين اتبع كونه رحيما على رعيته
ما هو من اسباب الرحمة وهو ذكر ما كان يفعله فى جوف الليل من قيامه للتهجد وتردده
فى تصفح احوال المتهجدين من اصحابه رضى ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون ويعلم انهم
كيف يعبدون الله فى صلواتهم انه هو السميع العليم لما تقوله وتعمله هون عليه معاناة
مشاق ما يحمله من التهجد والتفقد حيث اخبر برؤيته له اذ لا مشقة على من يعمل بمرأى
مولاه هل انبئكم على من تنزل الشياطين انما قال تنزل لانه اكثر ما يكون فى الهواء ثم
تمر من الوحى تنزل على كل افاك اثيم على كل من يبلغ فى الافك والاثم الغاية لما بين ان
القران لا يصح ان يكون مما تنزل به الشياطين اكد ذلك بان بين ان محمدا عليه السلام
لا يصلح لان تنزلوا عليه بوجهين احدهما انها انما يكون على شرير كذاب كثير الاثم ومنهم الكهنة
والمتنبئة ومحمد عليه السلام يشتم الافاكين ويذمهم فكيف تنزل الشياطين عليه وانما
زاد كلمة كل اعتبارا لما فى من من معنى العموم والا فلا حاجة اليه فى اصل الكلام وثانيهما ما
ذكر بقوله يلقون السمع اى الافاكون يلقون السمع اى الشياطين فيتلقون منهم ظنونا
وامارات لنقصان علمهم فيضمون اليها على حسب تخيلاتهم اشياء لا يطابق اكثرها
كما جاء فى الحديث الكلمة يخطفها الجنى فيقرها فى اذن وليه فيزيدون فيها اكثر
من مائة كذبة ولا كذلك محمد عليه السلام فانه اخبر عن مغيبات كثيرة لا تحصى وقد
طابق كلها ويلقون حال اى تنزل ملقين السمع او صفة لكل افاك لانه فى معنى الجمع
فيكون فى محل الجر او استيناف فلا يكون له محل كانه قيل لم تنزل على الافاكين فقيل لانهم
يفعلون كيت وكيت واكثرهم اى اكثر الافاكين كاذبون يفترون على الشياطين ما
لم يوحوا اليهم واختصاص هذا النوع من الكذب باكثرهم لا ينافى تناول جنس
الكذب كلهم والشعراء يتبعهم الغاوون واتباع محمد عليه السلام ليسوا كذلك وهو
استيناف ابطل كونه شاعرا الم تر انهم فى كل واد يهيمون تمثيل لذهابهم فى كل
شعب من القول واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلو فى المنطق ومجاوزة الحد فى القصد
حتى يفضلوا اجبن الناس على عنترة واشحهم على حاتم ويبهتوا البرئ ويفسقوا التقى
وانهم يقولون ما لا يفعلون وذلك لغلوهم فى افانين الكلام ولهجهم بالفصاحة
والمعانى اللطيفة وقد ينسبون لانفسهم ما لا ينفع منهم ولما كان اعجاز القران من
جهة المعنى وقد قدحوا فى المعنى بانه مما تنزل به الشياطين وفى اللفظ بانه من جنس
كلام الشعراء تكلم فى القسمين وبين منافاة القران لهما ومضادة حال الرسول
عليه السلام لحال اربابهما الا الذين امنوا وعملوا الصالحات استثناء للشعراء المؤمنين
الصالحين كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن زهير وذكروا الله اى

كان ذكر الله وتلاوة القران اغلب عليهم من الشعر واذا قالوا شعرا
قالوه في توحيده تعالى والثناء عليه وانتصروا وهجوا من بعد ما ظلموا اهجوا
اى ردوا هجاء من هجاء رسول الله عليه السلام والمسلمين وسيعلم الذين ظلموا
تهديد تشديد لما في سيعلم من الوعيد البليغ في الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم
اى منقلب ينقلبون اى بعد الموت من الابهام والتهويل وقرئ اى منقلب
ينفلتون بالفاء والتاء ومآل المعنى واحد ذكره الثعلبي ختم السورة بما يقطع اكباد المتكبرين

طس تلك اشارة الى آى السورة آيات القران وكتاب مبين عطفه على القران
كعطف احدى الصفتين على الاخرى وتنكيره للتعظيم وابانته لانه يبين ما اودع
فيه من الحكم والاحكام او لصحته باعجازه وانما عرف القران ونكر الكتاب على عكس
ما في سورة الحجر لانهما اسمان علمان للمنزل على نبينا عليه السلام ووصفان له باعتبار
معناهما الاصليين فايهما جعل اسما والاخر صفة صح وكتاب قرئ بالرفع على حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه على معنى وآيات كتاب مبين هدى وبشرى
للمؤمنين حالان من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة او بدلان منها او من كتاب
او صفة له او خبران اخران او خبران لمحذوف اى هو هدى الذين يقيمون الصلوة
ويؤتون الزكوة تقدم تفسيره في سورة البقرة وهم بالآخرة هم يوقنون من تتمة الصلة
والواو للحال او للعطف وتغيير النظم للدلالة على قوة يقينهم وثباته وانهم الاوحدون
فيه او استئناف كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون
بالآخرة ويدل عليه انه عقد جملة اسمية وكرر فيها المبتدأ حتى صار معناها وما يوقن
بالآخرة حق الايقان الا هؤلاء الجامعون بين الايمان والعمل الصالح لان خوف العاقبة
يحملهم على تحمل المشاق ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم القبيحة بخلق
الشهوة فيهم حتى رأوا ذلك حسنا كما قال افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا وقد مر البحث
مستوفا في اسناد التزيين اليه تعالى في تفسير سورة البقرة فهم يعمهون يتحيرون ويترددون
في ضلالهم كما يكون حال الضال عن الطريق اولئك الذين لهم سوء العذاب بما كان منهم
من سوء الاعمال وهم في الآخرة هم الاخسرون اشد الناس خسرانا لفوات المثوبة
واستحقاق العقوبة وانك لتلقى القران اى تلقى عليك بشدة من لدن حكيم مصيب
في اقواله وافعاله عليم بكل شئ واحواله والتنكير فيهما للتعظيم وليس الاول منها شاملا

على الثاني حتى يكون حقه التأخير وهذه الآية تمهيد لما يريد ان يسوق بعدها من القصص
وما في ذلك من لطائف حكمه ودقائق علمه اذ قال موسى اى اذكر قصته اذ قال وقيل
متعلق بعليم لاهله انى آنست نارا الايناس الاحساس بالشئ مع سكون النفس اليه
سآتيكم منها بخبر اى عن حال الطريق قد ضلها ردى اذ لم يكن معه غير امرأته وانما ورد
الخطاب بلفظ الجمع للكناية عنها بالاهل اقامة لها مقام الجماعة في الانس بها والسكون
اليها في الامكنة الموحشة واتى بسين التقريب وتقليل مدة الوعد كيلا تستوحش اهلها
وفي التعبير بالايناس دون الابصار نوع تمهيد لهذا او آتيكم بشهاب قبس القبس
القطعة من النار والشهاب ما يمتد فيها واضافته اليه لانه يكون قبسا وغير قبس و
قرئ منونا على ان القبس بدل منه او وصف له لانه بمعنى المقبوس والقربان على
سبيل الظن ولذلك عبر بذلك بصيغة الجمع للترجي في موضع آخر والترديد للبيان
عدم الخلو بناء على العادة فلا ينافي الجمع وبيان ان كلا منهما امر مهم باعث للسعي في تحصيله
لعلكم تصطلون رجاء ان تستدفئوا من البرد والتاء بدل من الطاء افتعال لاجل الصاد
فلما جاءها اى النار التي ابصرها نودي ان بورك ان مخففة من الثقيلة تقديره
بانه بورك والضمير ضمير الشأن وجاز ذلك من غير عوض لان قوله بورك دعاء والدعاء
يخالف غيره في احكام كثيرة او مفسرة لان في النداء معنى القول من في النار ومن حولها
اى جعل البركة والخير فيمن في مكان النار وهم الملائكة ومن حول مكانها اى موسى عليه السلام
لحدوث امر ديني وفي تصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضى له امر عظيم تنتشر
بركته في اقطار الشام وسبحان الله رب العالمين من تمام ما نودى به لئلا يتوهم من سماع
كلامه تشبيها او للتعجيب من ذكر الامر او تعجيب من موسى عم لما دهاه من عظمته يا موسى
انه انا الله الهاء للشأن وانا الله جملة مفسرة له او للمتكلم وانا خبره والله بيان له العزيز
الحكيم صفتان لله ممهدتان لما اراد ان يظهر على يده من المعجزة المصححة اثبات النبوة والق
عصاك عطف على محذوف تقديره يفهم من التفصيل المذكور في سورة طه لا على بورك
لان الفصل بينهما لتجديد النداء في قوله يا موسى يأباه فلما رآها تهتز حال من المفعول
فان الاهتزاز تحرك بحركة متدافعتين كأنها جان اى حية سريعة الحركة ولى موسى عليه السلام
مدبرا اعرض عنها وجعلها يلي ظهره خوفا منها بمقتضى البشرية ولم يعقب لم يرجع تعالى
قد عقب فلان اذا رجع تعالى بعد ان ولى فنودى يا موسى لا تخف اى من غيري ثقة
بي او مطلقا وحذف المفعول لظهوره او مطلقا على تنزيل المتعدى منزلة اللازم انى لا يخاف
لدى المرسلون اى لا ينبغي لهم ان يخافوا حال تقربهم اياهم بالخطاب وفيه اشارة
الى ان تلك الحالة مقدمة للرسالة الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم

استثناء منقطع استدرك به ما يختلج في الصدر من نفي الخوف عن كلهم ومنهم من
فرطت منه صغيرة فانهم وان فعلوها اتبعوا فعلها ما يبطلها ويستحقون من الله مغفرة
ورحمة ولم يقصد به تعريض موسى عليه السلام بوكزه القبطي لانه عليه السلام وقتئذ مرسل
وقيل متصل وثم بدل استئناف معطوف على محذوف اي ومن ظلم ثم بدل حسنا اي اتى
بالتوبة بعد سوء مبدلا له بالحسن اي كان ذلك منه سببا لتبديل السيئة بالحسنة
وفي التعبير عنها بالحسن مبالغة في حسنها لبعدها عن مظنة شوب الريا والشرك فان
العمل قلما يخلو عنه وهذا لم يحصل بالعمل خلصا عنه وادخل يدك في جيبك اي قال
في جيبك لانه كان عليه مدرعة صوف لا كم له تخرج بيضاء فيه جمع بين امري
التكليف والتكوين من غير سوء قبيح لما كان خروج الشيء عن خلقته وجوهره مما
يستقبح ويستقذر احترز لم يكن كذلك واما البرص فيحتمل لعله في هذا المقام مثل ذلك
لا يخطر بالبال في امثال هذه الايات العظام ويحتاج الى دفعه في تسع ايات اي اية
في تسع ايات وهي العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة
والجدب ونقصان الزرع منه واما الفلق فليس منها لانه عليه السلام لم يبعث به الى فرعون
وقومه اي مرسلا اليهم انهم كانوا قوما فاسقين تعليل للرسالة فلما جاءتهم اياتنا لم
يقل جاءتهم موسى عليه السلام بها كانت خارجة عن حيز طاقته وفي بعضها لم يكن منه
عليه السلام تصرف عادي مبصرة اي ظاهرة بينة جعلت كانها تبصر فتهدي لان العمي لا تقدر
على الاهتداء فضلا عن ان يهدي غيرها ومنه قولهم كلمة عيناء وكلمة عوراء لان الكلمة
الحسنة ترشد والكلمة العوراء تغوي فهو من قبيل الاستعارة المكنية وهي ابلغ من المجاز
قالوا هذا سحر مبين واضح سحريته فقد بين المعجزة والمبين وجحدوا بها يقال جحد حقه
وبحقه بمعنى ذكره في الديوان والجحود هو الانكار للشيء المجهول به وقد يكون بعد المعرفة
تعنتا والواو في واستيقنتها للحال وقد بعدها مضمرة والاستيقان ابلغ من الايقان
انفسهم اي جحدوها بالسنتهم وقد استيقنوها بقلوبهم وفي التعبير بانفسهم عن
قلوبهم تخييل لان الاقرار منزلة الترجمان ظلما لانفسهم وعلوا ترفعا عن الايمان و
انتصابهما على العلية من جحدوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وهو الاغراق والاحراق
في الدارين ولقد اتينا داود وسليمان علما طائفة من العلم وهو علم الحكم والشرائع
او علما اي علم وقالا الواو فصيحة تفصح عن محذوف تقديره فعلا شكرا لله تعالى
مما لا يفي ببيانه العبارة وقالا الحمد لله فضلنا على كثير من عباده المؤمنين اراد بالكثير
المفضل عليه من لم يؤت مثل علمهما ودل على ذلك تقييدهم بالايمان فان الايمان لا يخلو عن
علم وفيه احراج للكفار عن حيز الاعتبار وتعظيم لنعمة التفضيل بتوصيف المفضل عليه

بالوصف الجليل ودليل على فضل العلم وشرف اهله حيث شكرا على العلم وجعلاه اساس الفضل
ولم يعتبرا دونه مما اوتيا من الملك الذي لم يؤت غيرهما وتحريض للعالم على ان يحمد الله على
ما اتاه من فضله وان يتواضع ويعتقد انه وان فضل على كثير فقد فضل عليه كثيرا وتساويا
وورث سليمان داود النبوة والملك بان قام مقامه في ذلك بعد موته ولهذا قال وورث
فان حقيقة الميراث انتقال التركة من ملك الى ملك والتركة ما بقي بعد الموت واستغير ههنا لما
ذكر واما العلم فقد شارك اباه فيه بل ترجح حيث ترجح عليه على ما افصح عنه قوله تع ففهمناها
وقال يتشهر النعمة الله واعترافا بمكانها ودعاء للناس بذكر المعجزة التي هي علم منطق
الطير وغير ذلك من عظايم ما اوتيه يا ايها الناس علمنا منطق الطير النطق والمنطق في
المتعارف الاصوات المقطعة التي يظهرها اللسان ويعيها الاذان ولا يقال لغير الانسان الا
على سبيل التبع كنوا الناطق والصامت لما له صوت ولما لا صوت له واوتينا من كل شيء المراد
به كثرة ما اوتي كما يقال فلان يعلم كل شيء ويقصده كل احد والضمير في علمنا واوتينا
له ولابيه او له وحده وهذه النون نون الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا فكلم اهل طاعته
على صفته وحاله التي كان عليها ان هذا لهو الفضل المبين قول داود على سبيل الشكر كقوله
عليه السلام انا سيد ولد ادم ولا فخر اي اقول هذا القول شكرا ولا اقول فخرا وحشر
اي جمع من جهات مختلفة سليمان جنوده من الجن والانس قدم الجن على الانس لان
مقام التسخير لا يخلو عن نوع تحقير والطير ولو كان جنس اخر لذكرها فهم يوزعون
يمنعون عن التفرق والانتشار حتى يجتمعوا في مسيرهم وذلك احسن في الهيئة واهيب
في الرؤية حتى اذا اتوا تضمين يوزعون معنى فعل يصلح حتى ان يكون غاية له اي فهم
يسيرون ملفوفا بعضهم لا يفارق بعضا على وادي النمل هو واد بالشام كثير النمل
وعدي اتوا بعلى اما لان اتيانهم كان من فوق او لانه اريد معنى قطع الوادي وبلوغ
اخره قالت نملة تاؤها للوحدة وهي في حكم المؤنث اللفظي جاز ان يعامل معاملتهم
وتمرة فلا دلالة في قالت على انها انثى يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لم يقل ادخلن لانه
جعلها قايلة والنمل مقولا لهم كما في اولي العقل واجرى خطابه مجرى خطابهم لا يحطمنكم
الحطم الكسر سليمان وجنوده نهي سليمان عليه السلام عن الحطم والمراد نهيها عن التوقف
بحيث يحطمونها كقولهم لا اريتك ههنا فهو استيناف او بدل من الامر لا جواب له
فان النون لا يدخله في السعة وهم لا يشعرون انهم يحطمونكم اذ لو شعروا لم يفعلوا قالت
النملة ذلك على وجه العذر ووصف سليمان وجنوده بالعدل فتبسم الفاء فصيحة
تفصح عن محذوف تقديره سمع سليمان كلامها فتبسم ضاحكا شارعا في الضحك اخذا
فيه من قولها متعجبا من حذرها وتحذيرها واهتدائها لمصالحها ونصيحتها للنمل

او فزعها لظهور عدله وانما قال ضاحكا لان التبسم قد يكون من غضب وقد يكون
من استهزاء وتبسم الضحك لا يكون الا عن سرور فان قلت الظاهر من هذا ان سليمان
عليه السلام كان عالما بلسان غير الطير من الحيوانات فما وجه تخصيصه بالذكر في مقام اظهار
الشكر على ما اتاه الله تعالى من جلائل النعم قلت قد اجاب الشعبي عن هذا حيث قال كان للنملة
جناحان فصارت من الطير فلذلك علم سليمان عليه السلام منطقها ولولا ذلك لما علم و
قال سائلا توفيق شكر تلك النعم الجليلة رب اوزعني ان اشكر اي يسر لي الشكر وازعا
اياه ووزع الشكر كناية عن وزع موجبه وهو النعمة فهو كلام في غاية الفصاحة
نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي ادرج فيه ذكر والديه تكثيرا للنعمة وان اعمل صالحا
ترضاه تماما للشكر واستدامة وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين في عدادهم الجنة
وتفقد الطير حقيقة التفقد تعرف فقدان الشيء فقال ما لي لا ارى الهدهد بدأ اولا
بنفسه ثم قال ام كان من الغائبين قرينة اعاد بصري عنه بسبب ولما كان المذكور في
قوة تنزل منزلته وعطف عليه على سبيل العطف من جهة المعنى وكان الغالب على ظنه
هذا الاحتمال على ما دل عليه عبارة كان فلذلك قال لاعذبنه عذابا شديدا كنتف ريشه
والقائه في الشمس وحيث النمل تاكله او جعله مع ضده في قفص او لاذبحنه ليعتبر به
ابناء جنسه او ليأتيني بسلطان مبين بحجة تبين عذره والسلطان في الاصل التسلط
به واطلق في الحقيقة على احد الامرين بتقدير عدم الثالث لكن لما اقتضى ذلك وقوع احد
امور الثلثة ثلث المحلوف عليه بعطفه عليهما فمكث اي كان غائبا فمكث قائلا فصيحة غير
بعيد عن وقت تفقده يريد به الدلالة على سرعة رجوعه خوفا منه عليه السلام ولما كان
المذكور في قوة الاخبار عن مجيئه عن قريب رتب عليه قوله فقال احطت بما علمت من جميع
جهاته شيئا لم تحط به بعض حال سباء في مخاطبته اياه بذلك تنبيه له على انه في ادنى خلق
الله تعالى من احاط علما بما لم يحط به ليتحاقر اليه نفسه ويتصاغر لديه علمه ويكون لطفا في
ترك الاعجاب الذي هو فتنة العلماء وجئتك من سبإ قرئ مصروفا على انه اسم للحي
او الاب الاكبر وغير مصروف على تاويل القبيلة والبلدة بنبإ يقين خبر له شان اتى بهذا النوع
من الاطناب من جهة المعنى تشويقا له حتى تنكسر سورة غضبه يقين محقق اني وجدت
امرأة يعني بلقيس بنت شراحيل وانما قال وجدت دون رايت اشعارا بغرابة الحال
حيث كانت تملك العظمة والشوكة وقربها لمكان مجهولا لسليمان عليه السلام واصحابه
تملكهم الضمير لسبإ او لاهلها وانما لم يقل تملكها لانه اراد بيان ملكها وسلطنتها وتعيين
ذلك بالاضافة الى اهل الديار لا بالاضافة اليها ففيه ايضا تقوية لمعنى الغرابة المقصودة
بعبادة النساء حيث كانت امرأة ملكة واوتيت من كل شيء قد يهت بما تقدم ان

المراد من كل شيء في مثل هذه المبالغة في الكثرة ولها عرش سرير عظيم كبير اقدارا وقيمة
وجدتها وقومها يسجدون يعبدون للشمس من دون الله اضلهم الله تعالى وزين
لهم الشيطان قالوا فصيحة والجملة معطوفة على مقدر اعمالهم من عبادة الشمس
وغيرها من قبائح الافعال وصدهم من صد التسبيل اذ اعترض دونه مانع من عقبة
او غيرها فاخذ في غيرها ففيه ثلث معان المنع والدفع والصرف عن السبيل لان السبيل
الذي لا يجوز سلوكه ممنوع عنه فكانه ليس بسبيل فهم لا يهتدون الا يسجدوا فان اي
فصدهم لان لا يسجدوا او زين لهم الشيطان اعمالهم لان لا يسجدوا فحذف الجار
مع ان وادغمت النون في اللام او زين لهم الشيطان ان لا يسجدوا على انه بدل من اعمالهم
او لا يهتدون الى ان لا يسجدوا او يا نداء والمنادى مضمر اي يا هؤلاء اسجدوا لله وعلى
هذا صح ان يكون استينافا من سليمان عليه السلام او من الله والوقف على لا يهتدون وكان
امرا بالسجود وعلى الاول ذما على تركه وعلى الوجهين يقتضي وجوب السجود في الجملة لا عند
قراءتها الذي يخرج الخبء في السموات والارض الخبء ما يخفى في غيره واخراجه اظهاره و
هو يعم اشراق الكواكب وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشاء فانه اخراج ما
في الشيء بالقوة الى الفعل والابداع فانه اخراج ما في الامكان والعدم الى الوجوب و
الوجود ومعلوم انه يختص بالواجب لذاته ويعلم ما يخفون وما يعلنون وصف له تعالى
بما يوجب اختصاصه باستحقاق السجود من التفرد بكمال القدرة والعلم حثا على السجود
وردا على من يسجد لغيره وتقديم ما يخفون على ما يعلنون مع مقتضى اسلوب الترقي
تاخيره عنه للتسوية بين جزئي الكلام في الاهتمام الله لا اله الا هو رب العرش
العظيم الذي هو اول الاجرام واعظمها والمحيط بجملتها فبين عظمه وعظم عرشها
بون عظيم وقرئ العظيم بالرفع نعتا لله قال سليمان عليه السلام للهدهد سننظر
من النظر بمعنى التامل اصدقت فيما اخبرت به ام كنت من الكاذبين هذا ابلغ من اكذبت
لانه اذا كان معروفا بالانخراط في سلك الكاذبين كان كاذبا بالامحالة وانما استحق هذه
المبالغة على تقدير الكذب لانه اخبر بامر عظيم وبالغ فيه اذهب بكتابي هذا فالقه انما
امره بالالقاء لان الطاير لا يمكنه تبليغ الكتاب مناولة الا انه ضمن معنى الايصال لذلك
قال اليهم اي اطرحه على وجه يصل اليهم ولما كان المقام مقام التاني الذي يقتضي قدرا
من الزمان نبه عليه بقوله ثم تول عنهم تنح عنهم الى مكان قريب بحيث تراهم ولا يرونك
ليكون ما يفعلونه بمنظر منك على ما دل عليه قوله فانظر ماذا يرجعون من الرجع لا من الرجوع
اي ماذا يرون في مقابلة كتابنا قالت يا ايها الملأ اي قالت ملكة سبإ لاشراف قومها بعد
ما فعل هدهد ما امر به اني القي الي كتاب كريم حسن مضمونه او مختوم قال عليه السلام

كرم الكتاب ختمه انه من سليمان استيناف كانه قيل لها ممن هو وما هو فقالت انه اي
ان الكتاب وانه اي المكتوب او المضمون وقرئ بالفتح على الابدال من كتاب او التعليل
لكرمه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا علي لا تترفعوا علي وان مفسرة او مصدرية فتكون
بصلتها خبر محذوف اي هو او المقصود الا ان لا تعلوا او بدل من كتاب واتوني مسلمين
مؤمنين او منقادين قولها ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها صريح في انها الدعوة
كانت دعوة السلطنة لا دعوة النبوة قالت يا ايها الملا افتوني اشيروا علي في امري اي
في الامر الذي نزل بي والفتوى الجواب في الحادثة اشتقت على طريقة الاستعارة من الفتي
بالسن والمراد هنا الاشارة عليها بما عندهم من الراي وقصدها بالرجوع الى استشارتهم
تطييب نفوسهم ليمالؤها ويقوموا معها ولذلك قالت ما كنت اي في الزمان الماضي
قاطعة فاصلة امرا اي ممضية حكما حتى تشهدون بكسر النون والفتح لحن لان النون
انما تفتح في موضع الرفع وهذا موضع النصب واصله تشهدونني فحذفت النون الاولى
للنصب والياء لدلالة الكسرة عليها وبالياء في الوصل والوقف اي تحضروني اي كانت
عادتي ان لا ابت امرا الا بمحضركم فكيف في هذه النازلة الكبرى فراجعها الملا بما يقر
عينها من اعلامهم اياها بما بهم من القوة والباس ثم سلموا الامر الى نظرها وهذه
محاورة حسنة من الجميع قالوا مجيبين لها نحن اولوا قوة واولوا باس شديد ارادوا
بالقوة قوة الاجساد والالات وبالباس النجدة والبلاء في الحرب اي قادرون على
القتال لا فتور فينا ولا قصور لو نورد عدونا وعدونا وانما قدموا هذا الكلام كيلا
يتوهم العجز من تفويض الامر اليها بقولهم والامر اليك موكول فانظري ماذا تامرين
من الحرب والصلح نطعك ونمتثل امرك قالت ان الملوك في بصيغة الجمع تنصيصا على
تعميم الحكم للافراد فان في الجنس احتمال الخصوص اذا دخلوا قرية عنوة بقرينة قوله
افسدوها بالتخريب وجعلوا اعزة اهلها اذلة اهانوا اشرافها لتستقيم لهم الامور فزيفت
ما احست منهم من الميل الى المحاربة بادعائهم اسباب الغلبة وذكرتهم سوء عاقبة الحرب
واشعرت بانها ترى الصلح مخافة ان يتخطى سليمان عليه السلام خططهم فيسرع الى اسراف
ما يقصدون من اموالهم وعماراتهم وكذلك يفعلون تاكيد لما وصفت من حالهم وتقرير
بان ذلك عادتهم الثابتة المستمرة او تصديق لها من الله تعالى واني مرسلة اليهم رسولا
بهدية بيان لما ترى تقديمه في المصالحة فناظرة منتظرة بم يرجع بالرعاية ام بالاهانة
حتى اعمل بحسب ذلك المرسلون الرسول ومن ارسل معه فلما جاء سليمان اي الرسول
وقرئ فلما جاؤا اي المرسلون قال اتمدونن بمال في قوله فما اتاني الله تعليل اي فالذي
اعطاني الله من النبوة والملك وسخر لي الجن والانس والطير والوحش والريح خير

مما اتاكم فلا حاجة لي بهديتكم ولا وقع لها عندي بل اضراب عن انكار الامداد بالمال عليه و
تعليله الى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو قياس حاله على حالهم في قصور الهمة بالدنيا
والزيادة فيها انتم بهديتكم الهدية اسم لما يهدى كما ان العطية اسم المعطى فتضاف الى
المهدي والمهدى له تقول هذه هدية فلان تريد هو الذي اهداها او اهديت اليه تفرحون
لانكم لا تعلمون الا ظاهر الحيوة الدنيا فتفرحون بما يهدى اليكم لزيادة اموالكم او بما
تهدونه افتخارا على امثالكم ارجع اليهم خطاب للرسول اليهم الى بلقيس وقومها فلناتينهم
بجنود بانواع من الجند لا قبل لا طاقة لهم بها وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة اي لا
يقدرون ان يقابلوهم ولنخرجنهم منها من ديارهم اذلة الذل ان يذهب عنهم ما كانوا
فيه من العز والملك وهم صاغرون الصغار ان يقعوا في اسر واستبعاد فلما رجع
اليها رسولها بالهدايا وقص عليها القصة قالت هو مؤيد من عند الله وما لنا به طاقة
ثم جعلت عرشها في اخر سبعة ابيات وغلقت الابواب ووكلت به حرسا يحفظونه وبعثت
الى سليمان عليه السلام اني قادمة اليك لانظر ما الذي تدعوا اليه وشخصت اليه في اثني عشر
الف قيل تحت كل قيل الوف فلما بلغت على راس فرسخ من سليمان عليه السلام يا ايها الملا
ايكم ياتيني بعرشها اراد ان يريها بذلك بعض ما خصه الله تعالى به من اجراء العجائب على
يده لتطلع على عظيم قدرة الله تعالى وعلى ما يشهد لنبوة سليمان عليه السلام حتى تصدق فيها
وتؤمن به ثم انه قصد في ضمن هذا فائدة اخرى على ما تقع قبل ان ياتوني مسلمين مستسلمين
وانما تعرض لوصفها بالاسلام اعلاما بان طلبه عرشها ليس طمعا فيه فان النبي عليه السلام بمعزل
عن مظنة الطمع في مال من علم انه ياتيه مسلما واما ما قيل انها لو اسلمت لحظر عليه مالها فلا
يوتى به فانما يصلح وجها لطلبه عرشها قبل انها مسلمة لا لتقييد امره بذلك القيد قال
عفريت العفريت الخبيث المنكر المعفر قرانه ولا اختصاص له بالجن ولذلك احتيج الى البيان
بقوله من الجن روي عن ابن عباس رضي الله عنه صخر الجني انا اتيك صالح للفعلية والاسمية
به قبل ان تقوم من مقامك يعني مجلسه للقضا وهو من الغداة الى نصف النهار واني عليه اي
على الاتيان به لقوي لقادر وانما عبر عن القدرة بالقوة للحاجة في تحصيلها ذكر الى القدرة
بالقوة امين اتي به كما هو لا اختزل منه شيئا ولا ابدله قال الفصل بين القولين لان احد
القائلين لم يكن من جملة المخاطبين والظاهر انه هو الثاني منهما واحتمال ان يكون المراد منه
الى ان الثاني سليمان عليه السلام يرده كاف الخطاب في اتيك فان صح ان يقول انا اتي
به وايضا لا يناسبه قوله فلما راه انما المناسب ح ان يقول فلما اتى به والمشهور انه
اصف بن برخيا كاتب سليمان عليه السلام ويناسبه التعبير عنه بقوله الذي عنده
علم من الكتاب وفي التوصيف به اشارة الى انه ما قدر على ما قدر عليه بقوة جسدانية بل

بغتة ممدا بنية انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك تحريك الاجفان اى بين امتداد
الطرف بفتحها وارتداده بطبقها وليس فيه وضع الطرف موضع النظر فلما رآه اى العرش والفاء
فصيحة اى اذن له سليمان فاتى فلما رآه مستقرا عنده ثابتا غير مضطرب لديه وقراره في موضعه
امر زائد على حضوره يحتاج الى فصل زمان بحسب العادة وبهذا الاعتبار كان لعبارة مستقرا
فضيلة على عبارة حاضرا قال تلقيا للنعمة بالشكر هذا اى حصول المراد وهو حضور العرش
في طرفة العين من فضل ربي عليّ واحسانه اليّ من غير استحقاق مني ليبلوني ليختبرني في صورة
الاختبار ااشكر انعامه ام اكفر اجحده ومن شكر فانما يشكر لنفسه لانه يحط به عنها عبأ
الواجب ويصونها عن وصمة الكفر ويستجلب به المزيد ويرتبط به القيد ومن كفر حذف
جزاؤه ومن فانما يكفر على نفسه اى ضرر كفره عليه لا يتعداه لظهوره بقرينة ما ذكر في قرينته
وفهم تعليله مقامه فان ربي غني عن الشكر لا يتضرر ان لم يشكر كريم بالانعام لا يتوقع
عوضا ولا يفعل لعوض حيث يفعل عند عدم حصوله فالوصف المذكور من تمام التعليل
قال نكروا اراد بتنكير عرشها تغييره عما هو عهده عندها ولذلك زاد قوله لها لا تبديل تحليها و
تغيير هيئتها اذ ح يكون منكرا مطلقا لا منكرا عندها فقط وايضا مدار الاختبار على التغيير
في الجملة واما وجه الاختبار فسيأتي تفصيله عرشها ننظر بالجزم على الجواب وقرئ بالرفع على
الاستيناف اتهتدي الى الجواب الصواب وقيل الى الايمان بالله ورسوله ويرد عليه انه ح
لا حاجة الى التنكير بل لا وجه له لان ابقاءه على حاله اعون على تحصيل هذا المراد والله الهادي
الى سبيل الرشاد ام تكون ام يظهر كونها من الذين لا يهتدون اى لا يقدرون على الاهتداء
قالوا ان الشياطين خافوا ان يتزوجها سليمان عليه السلام فيولد له منها ولد يجتمع له فطنة الانس
لانها كانت بنت جنية فيخرجون من ملك سليمان عليه الى ملك هو اشد وافظع فقالوا ان
في عقلها شيئا وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش وتعرف
ساقها ورجلها باتخاذ الصرح على ما ياتي بيانه فالمراد من كونها من الذين لا يهتدون كونها
من الطائفة الحمقى ومن هنا تبين وجه الاطناب والله اعلم بالصواب فلما جاءت الفاء
فصيحة والمعدود مطوي بادنى تامل قيل اهكذا عرشك ها للتنبيه وذا اسم الاشارة ولم يقل
اهذا عرشك ولكن امثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا قالت كانه هو فاجابت احسن جواب
فلم تقل هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع في المحتمل للامرين او لما شبهوا
عليها بقولهم اهكذا عرشك شبهت عليهم بقولها كانه هو مع انها علمت عرشها واوتينا العلم
من قبلها من تمام كلامها اى وقد اوتينا العلم من قبلها بقدرة الله وبصحة نبوتك بالايات المتقدمة
من امر الهدهد من قبل هذه الخارقة للعادة وكنا مسلمين منقادين لك مطيعين لامرك وكانها
وقفت على ما قصده سليمان عليه السلام بذلك اولا واخرا وصدها كلام مبتدأ من الله تعالى

ما كانت تعبد من دون الله اى منعها عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس ونشوها
بين ظهراني الكفرة ثم بين نشوها بينهم بقوله انها كانت من قوم كافرين وقرئ بالفتح
على الابدال من فاعل صد اى صدها نشوها بين اظهر الكفار او على التعليل بحذف اللام ان
قيل لها ادخلي الصرح الصرح هو الموضع المنبسط المنكشف من غير سقف ومنه قولهم
صرح بالامر اذا افصح به ولم يكن عنه وكان ذلك الصرح من زجاج ابيض شفاف تحته ماء
فيه سمك فلما رأته حسبته لجة اللجة معظم الماء وكشفت عن ساقيها لتخوضه والفاء فصيحة
عاطفة على مقدر تقديره فشمرت ذيلها فالمترتب على الحسبان المذكور مجموع المعطوفين و
الواو المذكورة كاشفة عن هذا وكان سليمان عليه السلام على سريره في صدر الصرح فرأى
ساقيها وقدميها حسانا فصرف بصره ثم قال لها انه صرح ممرد مملس مسوى ومنه الامرد من
قوارير من الزجاج واراد سليمان عليه السلام تزوجها فكره شعرها فعمل لها الشياطين النورة
فازالته فنكحها قالت رب اني ظلمت نفسي بعبادة غيرك واسلمت مع سليمان اى تابعة
اياه لله رب العالمين فيه التفات من الخطاب الى الغيبة اظهارا لباعث اسلامها له تعالى
وهو الوصية المستتبعة لربوبية العالمين ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم في النسب
صالحا بدل ان اعبدوا الله بان اعبدوا الله اى وحدوه فاذا للمفاجأة هم مبتدأ فريقان
خبره يختصمون صفة وهي العامل في اذا والمعنى فاذا قوم صالح فريقان مؤمن به وكافر به
يختصمون صفة وهي العامل فيقول كل فريق الحق معي وقد مر تفصيله في سورة
الاعراف حين قال الفريق الكافر يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين يا قوم لم تستعجلون
بالسيئة بالعذاب الذي توعدون به قبل الحسنة قبل التوبة لولا هلا تستغفرون الله تطلبون
المغفرة من كفركم بالتوبة والايمان قبل نزول العذاب بكم لعلكم ترحمون بالاجابة قالوا
اطيرنا بك تشاءمنا بك لانهم قحطوا عند مبعثه لتكذيبهم فنسبوه الى مجيئه والاصل
تطيرنا وقرئ به فادغمت التاء في الطاء وزيدت الالف لسكون الطاء وبمن معك من المؤمنين
قال طائركم عند الله اى سببكم الذي يجيء منه خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمته
او عملكم مكتوب عند الله تعالى فمنه نزل بكم ما نزل عقوبة لكم وفتنة وقد مر اصل ذلك
في تفسير قوله تعالى وكل انسان الزمناه طائره في عنقه بل اضراب من بيان السبب الى
بيان السبب انتم قوم تفتنون تختبرون بتعاقب السراء والضراء وكان في المدينة
مدينة ثمود وهي الحجر تسعة رهط الرهط اسم الجماعة فكانهم كانوا رؤساء يتبع كل
واحد منهم رهط كذا قال القرطبي يفسدون في الارض ولا يصلحون اى شانهم الافساد
الخالص عن شوب الصلاح قالوا اى قال بعضهم لبعض تقاسموا بالله خبر في محل الحال
باضمار قد لانه ماض اى قالوا متقاسمين او امر اى امر بعضهم بعضا بالقسم لنبيتنه

لنقتلنه مباغتة ليلا واهله ولده وتبعه ثم لنقولن لوليه لرهط الذى له ولاية الدم ما
شهدنا ما حضرنا مهلك اهله المهلك من اهلك يحتمل المصدر والزمان والمكان وكذا المهلك
بكسر اللام وقرئ بالفتح ايضا فيكون مصدرا اى لم نتعرض لاهله فكيف تعرضنا له او
ما حضرنا موضع هلاكه فكيف توفيناه وانا لصادقون فيما ذكرنا ومكروا مكرا فى ذلك و
مكرنا مكرا اى جزيناهم على مكرهم بتعجيل العقوبة وهم لا يشعرون بذلك فانظر كيف
كان عاقبة مكرهم كان ان كان ناقصة فخبرها كيف وان كانت تامة فكيف حال انا دمرناهم
قرئ بكسر الهمزة على الاستيناف وخبر محذوف او بدل من اسم كان او خبرا وكيف حال او
يكون التقدير لانا حذف حرف الجر وقومهم اجمعين بالصيحة فتلك بيوتهم خاوية ساقطة
منهدمة من خوى النجم اذا سقط او خالية من الخوى وهى حال عمل فيها تلك بما ظلموا بظلمهم
ان فى ذلك فيما فعل بثمود لاية لقوم يعلمون فيتعظون وانجينا الذين امنوا وكانوا يتقون
عصيانه ولوطا اى واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا عليه والاول انسب
لما نزل اولا والثانى لما نزل مكررا اذ قال بدل من لوطا على الاول اى واذكر وقت قول لوط
وظرف على الثانى لقومه اتاتون الفاحشة الفعلة القبيحة والمراد اللواطة ابهم هنا ثم
بينها بقوله لتاتون الرجال تقريرا وتنبيها على ان معنى الفاحشة بلغ الغاية فيها حتى صار علما
لها ثم ان فى البيان المذكور تنبيها على ان المراد من الفاحشة محلها بطريق المجاز وانيابة كناية
عن فعل اللواطة وانتم تبصرون والحال ان لكم ابصارا يعنى ان قباحة ذلك تعلم من المحسوسات
فوجود البصر كاف فى دراكها ائنكم لتاتون الرجال اثر الرجال على الذكور ليزداد قبح
الاتيان المذكور شهوة للشهوة ناظر الى قوله وانتم تبصرون كانه قبل القباحة هنا فى
درجة حتى من له البصر يرغب عنه نفرة وانتم ترغبون فيه شهوة من دون النساء
يعنى ان الله تعالى انما خلق الانثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الانثى للانثى فهو مضادة
الله تعالى فى حكمته بل انتم قوم تجهلون تفعلون فعل الجاهلين بانها فاحشة مع علمكم بذلك او
اريد بالجهل السفاهة والمجانة التى كانوا عليها وقد اجتمع الخطاب والغيبة هنا فى قوله بل انتم
تجهلون فغلب الخطاب على الغيبة لانه اقوى اذ الاصل ان يكون الكلام بين الحاضرين فما كان
جواب قومه الا ان قالوا خبر كان جواب واسمه ان قالوا اخرجوا آل لوط اى لوطا ومتبعيه
تناول الامر له عليه السلام من قريتكم انهم اناس يتطهرون يتنزهون عن القاذورات
فينكرون هذا العمل القذر ويغيظنا انكارهم تعليل للامر المذكور على وجه يتضمن الاستهزاء
لانه على طريقة لانت الحليم الرشيد فانجيناه [illegible] واهله يعنى من العذاب الواقع بقومه الا
امراته قدرناها اى قدرنا كونها استيناف للتعليل من الغابرين من الباقين فى العذاب و
امطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين مر تفسيره فى سورة الاعراف قل الحمد لله وسلام على

عباده

عباده الذين اصطفى من رسوله عم بتحميده ثم بالسلام على المصطفين من عباده توطئة
لما يتلوه من الدلالة على وحدانيته وقدرته على كل شئ وهو تعليم لكل متكلم فى امر ذى بال
بان يتبرك بهما ويستظهر بمكانهما او هو خطاب للوط عم ان يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم
على من اصطفاه الله تعالى ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم الله خير اما يشركون لاخير
فيما اشركوه اصلا حتى يوازن بينه وبين ما هو خالق كل شئ وانما هو الزام لهم وتهكم بحالهم
لينبهوا على الخطاء المفرط والجهل المورط وليعلموا ان الايثار يجب ان يكون للخير الزايد ثم عدد سبحانه
الخيرات والمنافع التى هى اثار رحمته وفضله فقال ام من بل امن خلق السموات والارض تقرير
لهم بان من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شئ وانزل لكم من السماء ماء مطرا
وفى قوله لكم تنبيه على ان الغيث وان لم يخلو عن العبث الا ان المقصود من انزاله النفع
فانبتنا صرف الكلام عن الغيبة الى التكلم تاكيدا لمعنى اختصاص الفعل بذاته وايذانا بان الحدايق
المختلفة الاصناف والالوان والطعوم والاشكال مع حسنها بماء واحد لا يقدر عليها الا هو
وحده به بالماء حدايق الحديقة البستان عليه حايط من الاحداق وهو الاحاطة ذات لم يقل
ذوات لان المعنى جماعة حدايق كما تقول النساء ذهبت بهجة حسن لان الناظر يبتهج به ثم
رشح معنى الاختصاص بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها الحدايق معنى الكينونة الانبغاء
اراد ان تاتى ذلك محال من غيره االه مع الله اغيره يقرن به ويجعل شريكا له بل هم قوم
يعدلون به غيره او يعدلون من الحق الذى هو التوحيد وبل هم بعد الخطاب ابلغ فى
تخطئة رايهم امن جعل الارض قرارا وما بعده بدل من امن خلق فكان حكمها حكمه وجعل
خلالها ظرفا اى وسطها وهو المفعول الثانى والاول انهارا وبين البحرين مثله وجعل لها
للارض رواسى جبالا تمنعها عن الحركة وجعل بين البحرين العذب والمالح حاجزا مانعا ان
يختلطا االه مع الله بل اكثرهم لا يعلمون التوحيد فلا يؤمنون امن يجيب المضطر اذا دعاه
الاضطرار افتعال من الضرورة وهى الحالة المحوجة الى اللجاء يقال اضطره الى كذا والفاعل و
المفعول مضطر والمضطر الذى احوجه مرض او فقر او نازلة من نوازل الدهر اى التجأ الى
الله تعالى او المذنب اذا استغفر او المظلوم اذا دعاه واللام للجنس لا للاستغراق فلا
يلزم منه اجابة كل مضطر ويكشف السوء اى الفقر والجور ويجعلكم خلفاء الارض اى فيها
وذلك توارثهم سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن او اراد بالخلافة الملك والتسلط و
هذا اعم من الاولين واعم واجل وقعا واهم ولهذا فصل بهم التذكر وبولغ فيه االه
مع الله قليلا ما تذكرون ما مزيدة اى تذكرون تذكرا قليلا ويجوز ان يراد بالقلة العدم
امن يهديكم يرشدكم بالنجوم فى ظلمات البر والبحر ليلا وبعلامات فى الارض نهارا والظلمات
ظلمات الليالى واضافتها الى البر والبحر للملابسة او مشتبهات الطرق على الاستعارة ومن يرسل

الرياح بشرا من البشارة وقد مر في سورة الفرقان بين يدي رحمته قدام المطر ءاله مع الله
تعالى الله عما يشركون تعالى القادر الخالق عن مشاركة العاجز المخلوق تذييل كالنتيجة
للايات السابقة امن يبدؤا الخلق ثم يعيده انما قيل لهم ثم يعيده وهم منكرون للاعادة
لانه ازيحت علتهم بالتمكن من المعرفة والاقرار ولم يبق لهم عذر في الانكار ومن يرزقكم
من السماء والارض اى باسباب سماوية وارضية ءاله مع الله يفعل ذلك قل هاتوا برهانكم
حجتكم على اشراككم ان كنتم صادقين في دعواكم ان مع الله الها آخر قل لا يعلم من في السموات
والارض الغيب الا الله استثناء من فاعل يعلم ومن الغيب وهو ما لم يقم عليه دليل ولا اطلع
عليه مخلوق مفعول له والله من من والمعنى لا يعلم احد الغيب الا الله ثم ان الله يتعالى عن ان يكون
ممن في السموات والارض ولكنه جاء على لغة بني تميم حيث يجرون الاستثناء المنقطع مجرى
المتصل ويجيزون النصب والبدل في المنقطع كما في المتصل يقولون ما في الدار احد الا حمار
نزلت الاية في المشركين حيث سالوا رسول الله عليه السلام عن وقت الساعة وما يشعرون
ايان متى يبعثون تقدم في الاعراف بل ادارك اى انتهى وتكامل من ادركت الفاكهة تكاملت
نضجا وقرئ ادرك اى استحكم واصله تدارك فادغمت التاء في الدال وزيد الف الوصل ليمكن
التكلم بها علمهم في الآخرة اى في شان الآخرة والمعنى ان اسباب استحكام العلم وتكامله بان
القيمة كائنة لا ريب فيه قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون وذلك قوله
بل هم في شك منها بل هم منها عمون فالاضرابات الثلث تنزيل لاحوالهم وتكرير لجهلهم وصفهم
اولا بانهم لا يشعرون وقت البعث ثم بانهم لا يعلمون بان القيمة كائنة ثم بانهم يخبطون
في شك ومرية فلا يزيلونه والازالة مستطاعة ثم بما هو اسوء حالا وهو العمى وقد جعل
الآخرة مبدأ عماهم ومنشأه فلذا عداه بمن دون عن لان الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذي
منعهم عن التدبر والتفكر وجاز ان يكون وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكما بهم وذلك
حيث شكوا وعموا عن اثباته الذي الطريق الى علمه مسلوك فضلا ان يعرفوا وقت كونه الذي لا
طريق الى معرفته ويجوز ان يكون ادرك بمعنى انتهى وفني من قولك ادركت الثمرة لان تلك غايتها
التي عندها تعدم وقد فسرها الحسن باضمحل علمهم وتدارك من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا
في الهلاك وقال الذين كفروا ءاذا كنا ترابا وآباؤنا ائنا لمخرجون اى من القبور احياء وتكرير حرف
الاستفهام انكار بعد انكار ودليل على كفر موكد مبالغ فيه والعامل في اذا ما دل عليه لمخرجون
لا نفسه لان همزة الاستفهام وان ولام الابتداء كل منها يمنعه عن العمل فيما قبله والضمير في انا لهم
ولآبائهم لان كونهم ترابا قد تناولهم وآباءهم لكنه غلبت الحكاية على الغائب وآباؤنا عطف على الضمير
في كنا لان المفعول ترابا جرى مجرى التاكيد لقد وعدنا هذا اى البعث نحن وآباؤنا من قبل
محمد عليه السلام قدم هنا هذا على نحن وآباؤنا وفي المؤمنين اخر عنه ليدل على ان المقصود

بالذكر

بالذكر هنا البعث وثم المبعوث ان هذا الا اساطير الاولين ما هذا الا احاديثهم و
اكاذيبهم قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين اى آخر امر الكافرين وفي
هذا ذكر الاجرام لطف بالمسلمين في ترك الجرائم كقوله فدمدم عليهم ربهم بذنبهم ولا تحزن
عليهم لاجل انهم لم يتبعوك ولم يسلموا فيسلموا ولا تكن في ضيق في حرج صدر مما يمكرون من
مكرهم وكيدهم لك فان الله يعصمك من الناس ويقولون متى هذا الوعد اى وعد العذاب
ان كنتم صادقين ان العذاب نازل بالمكذب قل عسى ان يكون ردف لكم تبعكم ردف
يتعدى بنفسه وباللام ومن وهم ان تعديته باللام بتضمين معنى متعلق في فقد وهم لان ذلك
المعنى حاصل لردف ثم ان تعديته دنى وقرب بمن لا باللام بعض الذي تستعجلون استعجلتم
العذاب الموعود وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف في وعد الملوك و
وعيدهم يدل على صدق الامر وجده وعلى ذلك جرى وعده تعالى ووعيده وان
ربك لذو فضل اى افضال على الناس بترك المعاجلة بالعذاب ولكن اكثرهم لا يشكرون
اى اكثرهم لا يعرفون حق النعمة فيه ولا يشكرونه بل يستعجلونه بجهلهم وقوع العذاب وان
ربك ليعلم ما تكن ما تخفيه قال الرماني الكنان ستر الشيء بحيث لا يلحقه اذى لمانع يصده
عنه صدورهم وما يعلنون فليس تاخير العذاب لخفاء حالهم ولكن له وقت مقدر و
ما من غائبة في السماء والارض سمى الشيء الذي يغيب ويخفى غائبة وخافية والتاء فيهما
كالتاء في العافية والعاقبة ونظائرهما الرمية والذبيحة والنطيحة في انها اسماء غير صفات
ويجوز ان يكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة كالراوية الا في كتاب مبين بين او مبين ما فيه
لمن يطالعه والمراد من الكتاب اللوح ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اى يبين لهم
القصص كلام يتلو بعضه بعضا فيما ينبئ عن المعنى اكثر الذي هم فيه يختلفون كالتشبيه و
التنزيه واحوال الجنة والنار وعزير والمسيح والاختلاف ذهاب كل واحد الى خلاف
ما ذهب اليه صاحبه وهذا تحريك للمشركين على اتباع القرآن فانه لما كان فيه بيان لاهل الكتاب
وهم يرجعون اليهم في كثير من امورهم فكان حقهم ان يرجعوا اليه لانه مرجع مرجعهم
وانه لهدى ورحمة للمؤمنين لانهم هم المنتفعون به ان ربك
وكان منزلا على بعث منهم
يقضي بينهم بين من آمن بالقرآن ومن كفر به بحكمه اى بعدله لانه لا يقضي الا بالعدل فسمى
المحكوم به حكما ويدل عليه قراءة بحكمه جمع حكمة وهو العزيز فلا يرد قضاؤه العليم بمن
يقضي له وبمن يقضي عليه فتوكل على الله ولا تبال بمعاداتهم انك على الحق المبين علل التوكل
بانه على الحق الابلج وهو الدين الواضح وفيه بيان ان صاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ
الله تعالى ونصره انك لا تسمع الموتى تعليل آخر للامر بالتوكل من حيث انه يقطع طمعه من متابعتهم
ومعاضدتهم رأسا وانما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم باستماع ما يتلى عليهم كما شبهوا

بالصم في قوله تعالى ولا تسمع الصم الدعاء ثم أكد حال الاصم بقوله اذا ولوا مدبرين لانه
اذا تباعد عن الداعي بان تولى عنه مدبرا كان ابعد عن ادراك صوته وما انت بهادي العمي
الهداية لا يلزمها الاهتداء ودل على ذلك قوله تعالى واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على
الهدى فلا جرم زيد قوله عن ضلالتهم حتى يكون المنفي الهداية المنجية عن الضلالة لا مطلق الهداية
لانها غير منتفية في حق العمي ان تسمع اي ما يجدي اسماعك الا من يؤمن بآياتنا الا الذين
يصدقون ان القرآن كلام الله تعالى اذ حينئذ يثبت نبوته عليه السلام فيقبل قوله فيجدي اسماعه
فهم مسلمون مخلصون من قوله بلى من اسلم وجهه لله اي جعله سالما لله خالصا واذا
وقع القول عليهم يعني معنى القول ومؤداه وهو ما وعدوا من قيام الساعة وعذابه بالقول
ووقوعه حصوله والمراد مشارفته وظهور اشراطها اخرجنا لهم دابة من الجساسة في الحديث
طولها ستون ذراعا ولها اربع قوائم وزغب وريش وجناحان لا يدركها طالب ولا
يفوتها هارب من الارض اي ارض مكة وروي انه عليه السلام سئل من اين مخرجها فقال
من اعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام تكلمهم وقرئ تكلمهم وقال ابو الجوزاء سألت
عبد الله بن عباس رض تكلمهم او تكلمهم فقال كل ذلك يفعل تكلم المؤمن وتكلم الكافر وقيل
تكلم بالعربية وتقول ان الناس كانوا بآياتنا خروجها وساير احوالها فانها من آيات الله
لا يوقنون لا يتيقنون وهو حكاية معنى قولها او حكايتها لقول الله او علة خروجها وقرئ
بالكسر ثم ذكر قيام الساعة فقال ويوم نحشر من كل امة فوجا اي واذكر يوم نجمع من كل امة
من الامم زمرة ومن للتبعيض لان امة كل نبي واهل كل قرن شامل للمصدقين والمكذبين ومن
في قوله ممن يكذب للتبيين بآياتنا المنزلة على انبيائنا فهم يوزعون يحبس اولهم على آخرهم
حتى يجتمعوا ثم يساقون الى موضع الحساب وهذه عبارة عن كثرة العدد وكذا الفوج عبارة
عن الجماعة الكثيرة حتى اذا جاؤوا واحضروا موقف الحساب والسؤال قال لهم تعالى تهديدا
اكذبتم بآياتي المنزلة على رسلي ولم تحيطوا بها علما الواو للحال كأنه قال اكذبتم بآياتي
بادي الرأي من غير فكر ونظر يؤدي الى احاطة العلم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق او
التكذيب او للعطف اي اجمعتم بين التكذيب وعدم القاء الاذهان لتحققها اماذا كنتم
تعملون ام اي شيء كنتم تعملون بعد ذلك وهو للتبكيت اذ لم يفعلوا غير التكذيب من الجهل
فلا يقدرون ان يقولوا فعلنا غير ذلك وانما جاز دخول ام على ما الاستفهامية لهذه
النكتة فانها عن حقيقتها كالاستفهام الى البت بالحكم لا بالمعادل بل بالاول ووقع القول
عليهم بما ظلموا احل بهم العذاب الموعود بسبب ظلمهم وهو التكذيب فهم لا ينطقون
فيشغلهم عن النطق والاعتذار قال تعالى هذا يوم لا ينطقون الم يروا ليتحقق لهم التوحيد
ويرشدهم الى تجويز الحشر وبعثة الرسل انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه بالنوم والقرار

والنهار مبصرا جعل الابصار للنهار وهو لاهله للمبالغة فيه بجعل الابصار حالا من احوال
المجعول بحيث لا ينفك عنها وهذا من باب حذف من احد المتقابلين ما اثبت في الآخر فالتقدير
جعلنا الليل مظلما ليسكنوا فيه والنهار مبصرا لينتشروا فيه ومن غفل عن هذا قال والتقابل
مراعى من حيث المعنى لان معنى مبصرا ليبصروا فيه طرق التقلب في المكاسب ان في ذلك لآيات لدلالتها
على الامور الثلاثة لان المعنى الم يعلموا انا جعلنا الليل والنهار قواما لمعاشهم في
الدنيا ليعلموا ان ذلك لم يجعل عبثا بل محنة وابتلاء ولا بد عند ذلك من ثواب وعقاب فاذا
لم يكونا في هذه الدار فلا بد من دار اخرى للثواب والعقاب لقوم يؤمنون خصوا بذلك لان الآيات
لاختصاص الانتفاع بها بهم ويوم واذكر يوم ينفخ في الصور هو قرن والنافخ اسرافيل
عليه السلام وروى ابو هريرة رض انه ينفخ ثلث نفخات الاولى نفخة الفزع ثم بعده باربعين
يوما نفخة الصعق ثم نفخة البعث فما قيل انه تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث الجيش اذا نفخ
في البوق ليس بذلك ففزع الفزع والجزع اخوان لكن الفزع ما يعتري من الشيء المخيف و
الجزع ما يعتري من الشيء المؤلم من في السموات ومن في الارض من الهول وعبر عنه بالماضي
اشعارا بتحققه ووقوعه وانه كائن لا محالة ولا حاجة الى هذا الاشعار في الاول لانه من الفزع
فالقطع بوقوع هذا يقتضي القطع بوقوع ذلك الا من شاء الله لانه لا يفزع بان ثبت الله
تعالى قلبه قالوا هم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت عليهم السلام ودرد ودرد وكل
اتوه حاضرون الموقف بعد النفخة الثانية او راجعون الى امره داخرين صاغرين وترى
الجبال تحسبها حال من المخاطب جامدة واقفة ممسكة عن الحركة من جمد في مكانه اذا لم يبرح
وهي تمر مر السحاب اي مرا مثل مر السحاب والمعنى انك اذا رأيت الجبال وقت النفخة ظننتها
في مكان وهي تسير سيرا سريعا كالسحاب اذا ضربته الريح وهكذا الاجرام المتلاصقة المتكاثرة
العظام اذا تحركت لا تكاد تتبين حركتها صنع الله مصدر عمل فيه ما دل عليه تمر لان مرورها كمر
السحاب من صنع الله تعالى فكأنه قيل صنع ذلك صنعا وذكر اسم الله لانه لم يذكر قبل الذي
اتقن كل شيء اي احكم صنعه ولقد اصاب عبادنا الصنع والاتقان محرميا وذلك ان تباعد
صورة بعدما تخلخلت وصارت كالعهن المنفوش دل على كمال الاتقان من جهة الصنع و
تركيبا لصورة في المادة وهذا الاتقان ينتظم كل شيء فيمكن تركيبه وتفكيكه انه خبير
بما يفعلون عالم بظواهر الافعال وبواطنها فيكافيهم على حسب ذلك ثم لخص ذلك بقوله
من جاء يوم القيمة بالحسنة قال اكثر المفسرين الحسنة ههنا كلمة الاخلاص والسيئة ضدها
وهو الشرك لانه قال فكبت وجوههم في النار فله خير منها اي خير حاصل من
جهتها وهم من فزع اي من فزع شديد مفرط الشدة وهو خوف النار او من فزع عظيم
وان قل وقرئ بالاضافة الى يومئذ لانه جعل يوم معمولا كالاسم الواحد والمراد به الجمعة

آمنون امن يعذب بالنار وينفعه كقوله تعالى افامنوا مكر الله ومن جاء بالسيئة فكبت يقال كبته واكبته اذا كبه وجوههم انفسهم يعبر عن الجملة بالوجه كما يعبر بالرأس والرقبة عنها في النار اى القوا على رؤسهم فيها ويقال لهم تبكيتا عند الكبت هل تجزون الا ما كنتم تعملون في الدنيا من الشرك والمعاصي انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة مكة خصها من بين البلاد باضافة اسمه اليها لانها احب بلاده اليه واعظمها عنده واليه اشار بقوله هذه اشارة تعظيم لها وتقريب والاعلام انها موطن نبيه عليه السلام وموطن وحيه الذي حرمها جعلها حرما آمنا وله كل شيء خلقا وملكا وصف ذاته بالتحريم الذي هو خاص وصفها وجعل دخول كل شيء تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخولها تحتها ولا اخفاء في ان اجراء الوصف على الله تعالى بتعظيم لشأن الوصف ولشأن ما يتعلق به الوصف وزيادة اختصاص لم يراعه عليه الوصف وجعل ذلك كالمسلم المفروغ عنه ذكر لا كذلك لو قيل الذي حرمها ووصف البلدة تخصيصا ومدحا وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين له وان اتلو القرآن من التلاوة او من التلو لقوله واتبع ما يوحى اليك امر رسوله بان يقول امرت ان اخص الله تعالى وحده بالعبادة ولا اتخذ له شريكا كما فعلت قريش وان اكون من الحنفاء الثابتين على الاسلام وان اتلو القرآن لاعرف الحلال والحرام وسائر الاحكام وما يقتضيه الاسلام فمن اهتدى باتباعه اياى في ذلك فانما يهتدى لنفسه فمنفعة اهتدائه راجعة اليه لا الي ولما حذف ذلك اقيم تعليله مقامه وهو قوله فقل انما انا من المنذرين اى وما انا الا رسول منذر وما على الرسول الا البلاغ وقل الحمد لله ثم امر ان يحمده تعالى على نعمة النبوة او على التوفيق للعلم والعمل به سيريكم آياته القاهرة في الدنيا وفي الآخرة فتعرفونها فتعرفون انها آيات الله تعالى ولكن حين لا ينفعكم المعرفة وما ربك بغافل عما يعملون فلا يغرنكم تأخير العقوبة فانه امهال لا اهمال والله اعلم

طسم تلك آيات الكتاب المبين آيات لازم ومتعد اى مبين خيره وبركته او مبين عما يهم بيانه والبيان اظهار المعنى للنفس بما يميزه من غيره مشتق من ابين كذا اذا فصلته منه نتلو نقرأ عليك اى يقرأ جبرائيل عليه السلام بامرنا ومفعول نتلو من نبأ موسى النبأ الخبر عما هو عظيم الشأن موسى وفرعون اى نتلو عليك بعض خبرهما بالحق اى محقين لقوم يؤمنون لانهم منتفعون به ان فرعون استيناف مبين لذلك البعض علا تعظم في الارض يعني مصر واتما عبر عنه بما هو اسم لجنسه لتشعار بانه طمع

ضيق ما يليق بشأنه وجعل اهلها شيعا فرقا بان اغرى بينهم العداوة كيلا يتفقوا اذهو كالتمهيد لما استأنف باخباره في قوله يستضعف طائفة منهم بنو اسرائيل منهم من الشيع المذكورة فانهم لو كانوا متفقين لما تيسر له ذلك يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم بدل منها لاستيناف البيان وقد تقدم تفسيره في سورة الاعراف انه كان من المفسدين من زمرة المعروفين بالفساد فلذلك اجترا على قتل خلق كثير لتخيل فاسد ونريد حكاية حال ماضية معطوفة على ان فرعون على من حيث انهما واقعان تفسير للنبأ او حال من يستضعف ويكون ان يتحقق تعلق الارادة بكونهن في زمان مترقب وهذا ليكون نعمة المنة اوقع وسلطان التقدير على التدبير اظهر ان نمن نتفضل عليهم بانقاذهم من بأسه على الذين استضعفوا وانما قال في الارض مع عدم الحاجة اليه ههنا ليمشي جعل التعريف في الوارثين عوضا عن الاضافة اليها ونجعلهم ائمة مقدمين في امر الدنيا والدين ونجعلهم الوارثين ان يورثون الارض المعهود ملكا كانت الوراثة اقوى سبب في الاستحقاق والتملك حيث لا يعقب بفسخ ولا استرجاع ولا تبطل برد واسقاط استعيرت من الله تعالى ونمكن لهم اصل التمكين ان يجعل للشيء مكانا يقعد عليه ويرقد فيه ثم استعيرت للتسليط واطلاق الامر في الارض ارض مصر والشام في مقام الافعال تغييها لشأن تملك الارض ونري فرعون وهامان كان هامان وزير فرعون ومدبر ملكه فلذلك شركه في اضافة الجنود اليهما في قوله وجنودهما منهم من بني اسرائيل ويتعلق بنري دون يحذرون لان الصلة لا تتقدم على الموصول ما كانوا يحذرون من ظهور موسى عليه السلام واما ذهاب ملكهم وهلاكهم فليس مما راوه ومن الحذر التوقي من الضرر وزيادة مكان لبيان استمرارهم مدة مديدة على ذلك الحذر واوحينا الى ام موسى قد تقدم تفسيره في سورة طه ان ارضعيه اى القي تدبيك فيه وان تفسيرية او مصدرية فاذا خفت عليه من القتل بان سمع الجيران صوته فينمو اعليه فالقيه في اليم قد مر تفسيره في سورة طه ولا تخافي من الغرق والضياع ولا تحزني بفراقه والاخطار به الخوف غم يلحق لمتوقع والحزن غم يلحق لواقع انا رادوه اليك بوجه لطيف لتربيته وجاعلوه من المرسلين في هذه الآية امران ونهيان وخبران بشارة فالتقطه الفاء فصيحة تفصح عن محذوف تقديره فارضعته الى ان خافت عليه فالقته في اليم فالتقطه آل فرعون اى اخذوه وقد وجدوه من غير طلب هو معنى الالتقاط ومنه اللقيط واللقطة ليكون لهم اى ليصير الامر الى ذلك لا انهم اخذوه له كقولهم للموت ما تلد الوالدة وعن هذا سموا هذه اللام لام العاقبة والصيرورة وهي في الحقيقة لام التعليل وذلك ان كونه لهم عدوا وحزنا لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لاجله وبعد اعتبار هذا التشبيه على طريقة الاستعارة المكنية لم يبق حاجة الى التجوز في اللام كما سبق الى بعض الاوهام وحزنا

وحزنا وهما لغتان كالعدم والعدم ان فرعون وهامان وجنودهما كان هامان مدبر
ملك فرعون وسائس جنده فلذلك اضافهم اليهما كانوا خاطئين مذنبين فعاقبهم الله
تعالى بان ربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على ايديهم او كانوا خاطئين في كل شيء
فليس خطاؤهم في تربية عدوهم ببدع منهم وقرئ خاطين بتخفيف خاطئين او خاطين
الصواب الى الخطاء وقالت امرأة فرعون اي لفرعون حين اخرجه من التابوت قرة عين
مر تفسيره في سورة الفرقان لي ولك اي هو قرة عين لنا لانهما لما رأياه حين اخرج من التابوت
احباه وفي الحديث انه قال لك لا لي ولو قال لي كما هو لك لهداه الله كما هداها لا تقتلوه
خطاب بلفظ الجمع للتعظيم عسى ان ينفعنا فان فيه مخايل اليمن ودلائل النفع وذلك
لما رأت برء البرصاء بريقه او نتخذه ولدا او نتبناه فانه اهل له وهم لا يشعرون
حال وذو حالها ال فرعون وتقدير الكلام فالتقطه ال فرعون ليكون عدوا وحزنا و
قالت امرأة فرعون الاية كذا وهم لا يشعرون انهم على خطأ عظيم في التقاطه ورجاء النفع
في تبنيه وقوله ان فرعون الاية جملة معترضة واقعة بين المعطوفين مؤكدة لمعنى خطئهم
وقيل هو تمام كلام امرأة فرعون اي نتخذه ولدا والناس لا يشعرون انه ملتقط بل
يظنون انه ولدنا واصبح فؤاد ام موسى معطوف على محذوف دل عليه سياق الكلام
فارغا صفرا من العقل لما دهمها من الحيرة والحيرة حين سمع وقوعه في يد آل فرعون
وقيل من الهم لفرط وثوقها بوعد الله او لسماعها ان فرعون عطف عليه وتبناه وباه
قوله ليكون من المؤمنين ويرده على الثاني قوله وقالت لاخته قصيه ان مخففة من
الثقيلة اي انها كادت لتبدي به لتظهر به والضمير لموسى والمراد امره والباء صلة لولا
ان ربطنا على قلبها الربط على القلب تقويته بالهام الصبر والثبات لتكون من المؤمنين
من المصدقين بوعدنا وجواب لولا محذوف اي لابدته وقالت لاخته قصيه اي اتبعي
اثره وتعرفي خبره فبصرت به اي رأته والقاء فصيحة عن جنب عن
بعد وهم لا يشعرون اي ال فرعون لا يعلمون انها اخته وحرمنا عليه المراضع تحريم منع لا تحريم
شرع اي منعناه ان يرتضع ثديا والمراضع جمع مرضع هي المرأة التي ترضع او جمع مرضع
وهو موضع الرضاع يعني الثدي وقيل او الرضاع ولا يلائم الجمع من قبل من قبل ان رأته اخته
فقالت اخته وقد دخلت دار فرعون بين المراضع ورأته لا يقبل ثديا هل ادلكم ارشدكم
على اهل بيت احترزت بذلك عن الرق ودناءة الاصل فانهما مما يحترز عنه في امر الرضاع
يكفلونه لكم بالارضاع وغيره وهم له ناصحون النصح اخلاص العمل من شائبة الفساد
وهو نقيض الغش روي ان هامان لما سمعه قال انها لتعرفه واهله فخذوها حتى تخبر
بحاله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون فامرها فرعون بان تأتي بمن يكفله فاتت

بامها وموسى على يد فرعون يبكي وهو يعلله فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال
لها من انت منه فقد ابى كل ثدي الا ثديك فقالت اني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي
الا قبلني فدفعه اليها واجرى عليها فرجعت الى بيتها من يومها وهو قوله فرددناه الى امه
كي تقر عينها بالمقام معه ولا تحزن بفراقه ولتعلم ان وعد الله حق علم مشاهدة ولكن اكثرهم
الناس لا يعلمون ان وعده حق فيرتابون فيه ويشبه التعريض بما فرط منها حين سمعت
بوقوعه في يد ال فرعون بجزعت ولما بلغ اشده مبلغه الذي لا يزيد عليه نشوه وذلك
يختلف باختلاف الاعصار والاقاليم واستوى واعتدل وتم استحكامه اتيناه حكما حكمة
وعلما فقها في الدين قبل ان يبعث نبيا وكذلك ومثل ذلك الذي فعلنا بموسى وامه
نجزي المحسنين على احسانهم ودخل المدينة مدينة فرعون وهي منف بعد ان غاب عنه
مدة على حين غفلة من اهلها وهو وقت القائلة وقيل ما بين العشائين وبابه قوله
استتر بالامس قيل لما اتى موسى عليه السلام حكما وعلما عاب ما عليه قوم فرعون وفشى
ذلك منه فاخافوه وخافهم فكان لا يدخل المدينة الا خائفا مستخفيا وانما قال على حين غفلة
بخلاف ما اذ لان الغفلة هي المقصودة فصار هذا كما تقول جئت على غفلة وان شئت
قلت جئت على حين غفلة بخلاف ما اذا اضيف الى ما ليس بمقصود كما اذا قلت جئت حين
غروب الشمس فانه ح لا يجوز ان يقال جئت على حين غروب الشمس فوجد فيها رجلين يقتتلان
هذا من شيعته وهذا من عدوه احدهما سبطي والاخر قبطي والاشارة على الحكاية
وفي عبارة العدو نوع دلالة على ما نقلناه آنفا فاستغاثه فسأله ان يغيثه بالاعانة
ولذلك عدي بعلى الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى اي دفع صدره
بجمع كفه فقضى عليه فقتله واصله انهى حياته من قوله وقضينا اليه ذلك الامر قال هذا
من عمل الشيطان اشار الى القتل الحاصل بغير قصد وانما جعل قتل الكافر من عمل الشيطان
وسماه ظلما لنفسه واستغفر منه لانه لم يؤذن له في القتل وعن ابن جريج ليس لنبي ان يقتل ما
لم يؤمر ولا يقدح ذلك في عصمته عليه السلام لكونه خطأ انه عدو مضل مبين ظاهر الاضلال
وبلغ ومع ظهور العداوة بدون العكس قال رب اني ظلمت نفسي بقتله فاغفر لي ذنبي فغفر له
باستغفاره انه هو الغفور لذنوب المستغفرين الرحيم بهم قال رب بما انعمت علي قسم
جوابه محذوف تقديره اقسم بانعامك علي بالمغفرة وغيرها لاتوبن فلن اكون ظهيرا
للمجرمين لكافرين او استعطاف كانه قال اعصمني بحق ما انعمت علي من المغفرة فلن اكون
ان عصمتني ظهيرا للمجرمين واراد بمظاهرة المجرمين صحبة فرعون وانتظامه في جملته وتكثير
سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد وقيل اراد اني لا اعين بعد هذا سبطيا
وكانوا يدعونه كفارا ومعين من شيعته من فرقته المتعصبة لم انسبا لا دنيا قال ابن عباس

فلم يبطش اي لم يقل ان شاء الله فابتلي ثانيه فاصبح في المدينة خائفا من قتل القبطي
يترقب اي ينتظر ما يحدث بعده فاذا الذي اذ للمفاجاة وما بعدها مبتدا استنصره
بالامس يستصرخه يصيح به من بعيد مستغيثا من قبطي اخر قال له اي لذلك السبطي موسى
انك لغوي مبين بين الغواية لانك تسارع من لا تطيقه وقيل لانك تسببت لقتل رجل و
تقاتل اخر ولا يناسبه فلما ان اراد ان يبطش لان تذكر موسى عليه السلام تسببه
لذلك المحظور باعث للاحجام لا باعث للاقدام وانما زيدان للتاكيد والتقوية بمعنى الارادة
والمقام يقتضيها وذلك ان ارادة البطش ليست على حقيقتها لانها لا تصلح ان تكون
سببا للخوف بل كناية على بسط اليد نحو المقصود بالبطش والتي تتبعها الفعل ويراد بها
انما هي الارادة البالغة الى حد العزم لا مطلق الارادة بالذي اي بذلك القبطي الذي
هو عدو لهما لموسى عليه السلام والسبطي قال السبطي لموسى عليه السلام وقد توهم
انه اراد اخذه لا اخذ القبطي حيث غلظ له في القول اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا
بالامس ان تريد اي ما تريد الا ان تكون جبارا الجبار فعال من جبره على الامر بمعنى
اجبره وهو الذي يجبر الناس على ما يريده في الارض ارض مصر وما تريد ان تكون من
المصلحين بين الناس فتدفع التخاصم بالتي هي احسن وكان قتل القبطي بالامس
قد شاع ولكن خفي قاتله فلما افشى على موسى عليه السلام علم القبطي ان قاتله موسى
فاخبر ملاء فرعون فهموا بقتله فخرج مومن من آل فرعون وهو ابن عمه ليخبره كما قال
وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى يسرع صفة لرجل او حال منه اذا جعل من اقصى المدينة
صفة له لا صلة لجاء لان تخصيصه بها يلحقها بالمعارف قال يا موسى ان الملاء ياتمرون بك
ليقتلوك يتشاورون بسببك وانما سمي التشاور ايتمارا لان كلا من المتشاورين يامر
الاخر ويأتمر فاخرج من المدينة اني لك من الناصحين اللام للبيان وليس بصلة للناصحين
لان معمول الصلة لا يتقدم على الموصول فخرج منها من المدينة خائفا يترقب لتعرض له في الطريق
او ان يلحقه من يطلبه قال رب نجني من القوم الظالمين خلصني منهم واحفظني من لحوقهم
ولما توجه التوجه الاقبال على الشيء تلقاء قبالة مدين قرية شعيب عليه السلام سميت
باسم مدين بن ابرهيم عليه السلام ولم يكن في سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر
مسيرة ثمانية ايام قال ابن عباس رضه ولم يكن له علم بالطريق الا حسن ظنه بربه قال
عسى ربي ان يهديني سواء السبيل اي وسطه ومعظم نهجه فجاءه ملك فانطلق به الى
مدين ولما ورد وصل ماء مدين ماءه الذي يستقون منه وكان بئرا وجد عليه وجد فوقه
شفيرها امة جماعة من الناس انما قال من الناس مع ان السقي لا يكون الا منهم تنبيها
لشانهم كانه قيل كانوا اناسا لا يستحقون الا التعبير باسم الجنس بل هم في ذلك في درجة

احتاجوا الى بيان كونهم من جنس الانس يسقون مواشيهم ووجد من دونهم في مكان
اسفل من مكانهم امراتين تذودان تطردان غنمهما عن الماء لئلا يختلطا بها عن المزاحمة مع تلك
الامة ترك المفعول في يسقون وتذودان لان الغرض هو الفعل لا المفعول اذ هو يكفي في
البعث على سؤال موسى عليه السلام وما زاد على المقصود بعد ذلك فضول واما البعث
على المرحمة فليس هذا موضعه فان له قولهما لا نسقي حتى يصدر الرعاء وابونا شيخ كبير
قال موسى عليه السلام ما خطبكما اي ما شانكما تذودان سالهما عن سبب الذود فاجابا
بما مرجعه الى العجز عن المزاحمة والاجتناب عن المخالطة ولما اتجه ان يقال هذه السقي كانت
للرجال فما بالكما تباشرانها تداركنا الاعتذار عنه بما تقديره ليس لنا راع وابونا
شيخ كبير فحذف صدر الكلام الاستئناف لدلالة الواو الفصيحة في اول الباقي عليه
قالتا لا نسقي غنمنا حتى يصدر الرعاء يصرف الرعاء مواشيهم عن الماء وقرئ يصدر
اي ينصرف والرعاء جمع راع وقرئ الرعاء بالضم وهو اسم جمع كالرخال وابونا عطف
على محذوف بيناه آنفا شيخ كبير في السن لا يقدر على الرعي والسقي فسقى لهما غنمهما لاجلهما
رغبة في المعروف واغاثة في الملهوف روي انه كانت ثمة بئر اخرى عليها صخرة فاقلها وحدها
واستقى منها ثم تولى الى الظل الى ظل شجرة فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير محتاج
الى الطعام قيل كان لم يذق طعاما سبعة ايام ولقد لصق ظهره ببطنه قد كان يكفيه رب اني
فقير الا انه قدم بيان سبب حاجته تمهيدا للاعتذار عما ارتكبه من مخالفة المعتاد بالخروج
الى السفر البعيد بلا زاد ومراده من النازلة المذكورة ما ابتلاه الله تعالى من قتله القبطي
فانه كان سببا لهربه من مصر بلا تدارك لعدة السفر وانما بينه بقوله من خير وفعل ما تراه
من ظاهره التشكي وانما جزم بكونه خيرا لعلمه بان الخير ما اختاره الله تعالى فجاءته احديهما
الفاء فصيحة روي انهما لما رجعتا الى ابيهما قبل الناس قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا
رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحديهما اذهبي فادعيه لي تمشي على استحياء اي
مستحيية قالت ان ابي يدعوك ليجزيك ليكافيك اجر ما سقيت لنا اجر سقيك لنا روي
انها لما قالت اجر ما سقيت لنا كره ذلك وانما اجابها ليتبرك برؤيته لا لان القاصد حرمته وانما
وضع شعيب عليه السلام الطعام بين يديه امتنع فقال شعيب عليه السلام الست جائعا
فقال بلى ولكن اخاف ان يكون عوضا عما سقيت لهما وانا اهل بيت لا نبيع دينا بالدنيا ولا
ناخذ على المعروف ثمنا فقال شعيب عليه السلام هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا فاكل فلما
جاءه الفاء فصيحة اي اجابها موسى عليه السلام فلما جاء اباهما وقص عليه القصص القصص
مصدر كالعلل سمي به المقصوص قال له لا تخف نجوت من القوم الظالمين اذ لا سلطان
لفرعون بارضنا قالت احديهما يعني التي استدعته يا ابت استاجره لرعي الغنم ان خير من استاجرت

القوي الامين تعليل جامع يجري مجرى الدليل على انه حقيق بالاستيجار وللمبالغة فيه
جعل خبرا اسما وذكر الاسم بلفظ الماضي للدلالة على انه مجرب معروف روي ان شعيبا
عليه السلام قال لها وما علمك بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر وانه صوب راسه حتى
بلغته وامرها بالمشي خلفه قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين لا دلالة
فيه على انه كانت له غيرهما اذ يكفي في الحاجة الى الاشارة عدم علم المخاطب بانه ما كانت
له غيرهما على ان تاجرني تكون اجيرا لي من اجرته اذا كنت له اجيرا ثماني حجج ظرفه والحجة
السنة لان لكل سنة حجة فسموها بها لتضمنها اياها تعظيما لها والمعنى على ان يجعل اجرى
على تزويجها اياك رعي ماشيتي ثماني سنين والتزوج على رعي الغنم جايز في شريعتنا
ايضا فان اتممت عشرا اي عمل عشر حجج فمن عندك فتفضل منك ليس بواجب عليك وفاتمام
من عندك ولا احتمه عليك ولكنه ان فعلته فهو منك تفضل وتبرع وما اريد ان اشق
عليك بالزام اتم الاجلين او المناقشة في مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال وحقيقته
شق عليه الامر انه اذا تعاظمك فكانه شق عليك ظنك باثنين تقول تارة اطيقه وطورا
لا اطيقه ستجدني ان شاء الله من الصالحين في حسن المعاملة والوفاء بالعهد ويجوز
ان يراد الصلاح على العموم ويدخل تحته حسن المعاملة والمراد باشتراطه مشيئة الله تعالى
فيما وعد من الصلاح الاتكال على توفيقه تعالى فيها وعدم الصلاح ومعونته قال موسى
عليه السلام ذلك مبتداء وهو اشارة الى ما عاهده عليه شعيب عليه السلام والخبر بيني
وبينك يعني ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قايم بيننا جميعا لا يخرج
كلانا عنه لا انا عما شرطت علي ولا انت عما شرطت على نفسك ثم قال ايما الاجلين قضيت
اي شيء قضيت وما زايدة مؤكدة لابهام اي وهي شرطية وجوابها فلا عدوان
علي اي لا يعتدى علي في طلب الزيادة عليه قال المبرد قد علم انه لا عدوان عليه في اتمهما
ولكن جمعهما ليجعل الاقل كالاتم في الوفاء وكما ان طلب الزيادة على الاتم عدوان فكذا طلب
الزيادة على الاقل والله على ما نقول من المشارطة وكيل هو من وكل اليه الامر وعدي بعلى
لانه استعمل في موضع الشاهد والرقيب فلما قضى موسى الاجل قال عليه السلام قضى اوفاهما
وتزوج صغراهما وسار باهله بامراته نحو مصر انس ابصر من جانب الطور من جهته التي
يلي الطور نارا قال لاهله امكثوا اني انست نارا لعلي اتيكم منها بخبر مر تفسيره
او جذوة بفتح الجيم وكسرها وضمها قطعة غليظة من الحطب كانت في راسها نار ولم تكن
ولذلك بينه بقوله من النار لعلكم تصطلون مر تفسيره فلما اتاها نودي من شاطئ
الواد الايمن اتاه النداء من الشاطئ الايمن لموسى عليه السلام في البقعة المباركة بتكليم
الله تعالى فيها متصل بالشاطئ او صلة لنودي من الشجرة بدل من الشاطئ بدل الاشتمال

لانها كانت نابتة على الشاطئ ان يا موسى ان مفسرة او مخففة من الثقيلة اني انا الله
رب العالمين هذا يوافق ما في سورة طه والنمل في المقصود وان خالفه في اللفظ لما دنى من
النار شملته انوار القدس واحاطت به جلابيب الانس فخاطب بالطف خطاب واستدعى
منه احسن جواب فصار بذلك مكلما شريفا اعطي ما سال وامن مما خاف وان الق عصاك
ونودي ان الق عصاك فالقاها فقلبها الله تعالى ثعبانا فلما راها الفاء فصيحة تهتز
الاهتزاز شدة الاضطراب في الحركة كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب مر تفسيره يا موسى
اقبل ولا تخف انك من الامنين عن المخاوف اسلك يدك في جيبك قال في سورة النمل وادخل
يدك في جيبك عطفا على قوله الق وترك العطف هنا كيلا يذهب الوهم الى عطفه على اقبل
تخرج بيضاء من غير سوء مر تفسيره واضمم اليك جناحك اي يد بضم جناح اليه تجلده
وضبط نفسه عند خروج يده بيضاء حتى لا يتحير ولا يضطرب من الخوف استعارة من
هيئة الطاير فانه اذا خاف نشر جناحيه وارخاهما والا فجناحاه مضمومان اليه مشمران
فهذا القول هنا بمنزلة قوله ولا تخف انك من الامنين فيما تقدم من الرهب من اجل
الرهب جعل الرهب الذي كان يصيبه سببا وعلة فيما امر به من ضم جناحه اليه والرهب الخوف
مع تحير واضطراب فذانك مخففا مثنى ذاك ومشددا مثنى ذلك واحدى النونين عوض
من اللام المحذوفة والمراد اليد والعصا برهانان حجتان نيرتان وبرهان فعلان لقولهم
ابره الرجل اذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا ابيض وقيل فعلال لقولهم
برهن من ربك مرسلا بهما الى فرعون وملايه انهم كانوا قوما فاسقين فكانوا
احقاء بان يرسل اليهم قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون بها واخي
هارون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردءا الردء العون الذي يدفع الشر عن
صاحبه يصدقني اي ردءا مصدقا وقرئ بالجزم جوابا لارسله ومعنى تصديقه
موسى عليه السلام اعانته اياه بزيادة البيان في مظان الجدال ان احتاج
ليثبت دعواه اني اخاف ان يكذبون تعليل يقوم مقام الجواب المحذوف على قراءة يصدقني
بالرفع قال سنشد عضدك باخيك سنقويك به اذ اليد تشتد بشدة العضد
لان قوام اليد والجملة تقوى بشدة اليد على مزاولة الامور ونجعل لكما سلطانا غلبة
وتسلطا او حجة فلا يصلون اليكما باستيلاء او حجاج باياتنا متعلق بيصلون اي لا
يصلون حذف لدلالة ما قبله عليه او هو بيان للغالبون في قوله انتما ومن اتبعكما
الغالبون لا صلة له بل للذي بينه ومعمول الغالبون المقدر او صلة على ان اللام فيه
للتعريف لا بمعنى الذي لامتناع تقدم الصلة على الموصول ومعمول الصلة في حكمها فلما
جاءهم موسى باياتنا بينات واضحات قالوا ما هذا الا سحر مفترى مختلق لم يفعل

من قبل مثله او سحر تعمله ثم تفتريه على الله تعالى او سحر موصوف بالافتراء كسائر
انواع السحر وما سمعنا بهذا يعنون السحر او ادعاء النبوة في آبائنا الاولين
حال منصوبة عن هذا اي كائنا في زمانهم يعني ما حدثنا بكونه فيهم وقال موسى ربي
اعلم بمن جاء بالهدى من عنده فيعلم اني محق وانتم مبطلون وقرئ بغير واو
لانه قال جوابا لمقالهم ووجه العطف ان المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما
فيميز صحيحهما من الفاسد ومن تكون له عاقبة الدار العاقبة المحمودة فان المراد
بالدار الدنيا وعاقبتها الاصلية هي الجنة لانها خلقت مجازا الى الآخرة والمقصود
منها بالذات هو الثواب والعقاب انما قصد بالعرض انه لا يفلح الظالمون لا يفوزون
بالهدى في الدنيا وحسن العاقبة في العقبى والاتيان بصيغة الجمع للايذان بان جمعهم
لا يغني وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيري نفى علمه باله غيره دون
وجوده اذ لم يكن عنده ما يقتضي الجزم به ولما كان الظاهر من نفي العلم في مقام
يقتضي نفي الوجود على تقدير ثبوته عنده اشتباه الحال فرع عليه الامر ببناء الصرح
ليصعد عليه ويطلع على حقيقة الحال بقوله فاوقد لي يا هامان على الطين قيل اول
من اتخذ الآجر فرعون ولذلك امر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظيم
ولذلك نادى هامان باسمه بيا في وسط الكلام وامر بما يؤمر به السوقة فاجعل لي صرحا
الصرح البناء العالي الظاهر ومنه التصريح لشدة ظهور المعنى لعلي اطلع الطلوع و
الاطلاع الصعود وتعديته بالى واما تعديته بعلى فباعتبار تضمينه معنى الاشراف الى اله
موسى حسب انه في مكان كما كان هو فيه واني لاظنه من الكاذبين في دعواه ان له الها
وانه ارسله الينا رسولا والظن هنا ليس بمعناه المتعارف المصطلح وهو الاعتقاد
الراجح بل بمعناه اللغوي وهو ما لا يكون جازما سواء كان راجحا او مرجوحا او مساويا
واستكبر هو وجنوده اي تعظموا في الارض ارض مصر بغير الحق بالباطل لانه كان بغير
استحقاق فان الاستكبار بالحق لله تعالى وظنوا عبر عن اعتقادهم وان كان جازما
بالظن تحقيرا له انهم الينا حسابنا وجزائنا لا يرجعون يوم القيمة وليس هذا بعذر لهم
بل ذم لهم بالجهل وترك التامل في الآيات حتى يعلموا فاخذناه وجنوده اخذ عقوبة فنبذناهم
في اليم من الكلام المفخم الذي دل به على عظمة شانه شبههم استقلالا لعددهم و
ان كانوا الجم الغفير بحصيات اخذهن احد بكفه فطرحهن في البحر فانظر يا محمد
كيف كان عاقبة الظالمين وحذر قومك عن مثلها وجعلناهم ائمة قدوة للضلال
يدعون الى النار الى موجبها من الكفر والمعاصي ويوم القيمة لا ينصرون بدفع العذاب
عنهم واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة طردا عن الرحمة او لعن اللاعنين يلعنهم الملائكة

والمؤمنون ويوم القيمة هم من المقبوحين من المطرودين او ممن قبح بسواد الوجوه
وزرقة العيون ويوم ظرف للمقبوحين ولقد آتينا موسى الكتاب التورية من بعد
ما اهلكنا القرون الاولى قوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام بصائر للناس
حال من الكتاب والبصيرة نور القلب الذي يبصر به الرشد كما ان البصر نور العين الذي
يبصر به يريد آتيناه التورية انوارا للقلوب لانها كانت عميا لا تستبصر ولا تعرف حقا
من باطل وهدى وارشادا الى الشرائع التي هي سبيل الحق ورحمة لانهم لو عملوا بها نالوا
رحمة الله تعالى لعلهم يتذكرون ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وما كنت يا محمد
بجانب الجبل الغربي وهو الذي وقع فيه ميقات موسى عليه السلام فانه كان في شق
الغرب من مكانه او الجانب الغربي منه على انه من قبيل اضافة الشيء الى صفته كقوله و
لدار الآخرة اذ قضينا اوحينا الى موسى الامر الذي اردنا تعريفه وما كنت من الشاهدين
للوحي اليه او على الوحي عليه وهم نقباؤه السبعون المختارون للميقات والمراد
الدلالة على ان اخباره عن ذلك من قبيل الاخبار عن المغيبات التي لا تعرف الا بالوحي
ولذلك استدرك عنه بقوله ولكنا انشانا قرونا فتطاول عليهم العمر ولكنا اوحينا
اليك لانا انشانا قرونا مختلفة بعد موسى عليه السلام فتطاولت المدد وحرفت الاخبار
وتغيرت الشرائع واندرست العلوم فحذف المستدرك واقيم سببه مقامه متضمنا
لدفع ما عسى ان يخطر بالبال من احتمال ان يكون اخباره عليه السلام عن ذلك بطريق
الاخذ من افواه الرجال وما كنت ثاويا مقيما في اهل مدين شعيب عليه السلام والمؤمنين
به تتلو تقرأ تعلما منهم عليهم آياتنا التي فيها قصة شعيب عليه السلام وقومه وتتلو في موضع
نصب خبر ثانيا او حال من الضمير في ثاويا ولكنا كنا مرسلين اياك ومخبرين لك بها وما كنت
بجانب الطور اذ نادينا موسى ان خذ الكتاب بقوة ولكن رحمة من ربك اي ولكن عرفناك
رحمة منا اظهارا لنبوتك وقرئت بالرفع على هذه الرحمة لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك
لوقوعهم في فترة بينك وبين خالد بن سنان العبسي عليه السلام لعلهم يتذكرون يتعظون
ولولا ان تصيبهم مصيبة عقوبة بما قدمت ايديهم من الكفر والمعاصي ولما كان اكثر الاعمال
تزاول بالايدي نسبت الاعمال اليها وان كان من اعمال القلوب تغليبا للاكثر على الاقل
فيقولوا عند العذاب ربنا لولا ارسلت الينا رسولا لولا الاولى امتناعية وجوابها
محذوف والثانية تحضيضية والفاء الاولى للعطف والثانية جواب لولا لكونها في حكم الامر
اذ الامر باعث على الفعل والباعث والمحضض من واد واحد والفاء تدخل في جوابه
والمعنى لولا قولهم اذا اصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم ربنا هلا ارسلت
الينا رسولا يبلغنا آياتك فنتبعها ونكون من المصدقين ما ارسلناك اي انما ارسلناك

قطعا لعذرهم والزاما للحجة عليهم فان قلت كيف يستقيم هذا المعنى وقد جعلت
العقوبة هي السبب في الارسال لا القول لدخول لولا الامتناعية عليها دونه قلت القول
هو المقصود بان يكون سببا للارسال والعقوبة لما كانت سببا للقول وكان وجوده
بوجودها جعلت العقوبة كانها سبب للارسال فادخلت عليها وجيء بالقول معطوفا
عليها بالفاء المعطية معنى السببية المنبهة على ان القول هو المقصود بان يكون سببا
بانتفاء وانه لا يصدر عنهم حتى يلجئهم العقوبة فنتبع آياتك اراد بالآيات المعجزات
وباتباعها العمل بموجب دلالتها فقوله ونكون من المؤمنين اي من المصدقين بربك
كالتفصيل له فلما جاءهم الحق من عندنا اي القرآن او الرسول المصدق بالكتاب
المعجز قالوا لولا اوتي هلا اعطي مثل ما اوتي موسى من الكتاب المنزل جملة واحدة
او من الآيات كاليد والعصا اولم يكفروا يعني ابناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم
وعنادهم وهم الكفرة في زمان موسى عليه السلام بما اوتي موسى من قبل هذا القول
قالوا ساحران يعني موسى ومحمدا عليهما السلام تظاهرا تعاونا باظهار تلك الخوارق
او بتوافق الكتابين وقرئ سحران اي القرآن والتوراة واسناد تظاهرهما اليهما دلالة
على سببيتهما للاعجاز وقالوا انا بكل كافرون اي بكل منهما او بكل الانبياء عليهم السلام قل
فاتوا بكتاب من عند الله اي فاذا كذبتم يا معشر العرب بهذين الكتابين فاتوا بكتاب
من عند الله هو اهدى منهما مما انزل على موسى وعلي واضمارهما لدلالة المعنى اتبعه
جواب فاتوا ان كنتم صادقين في انهما سحران مختلقان لا هداية فيهما وهذا من الشروط
التي يراد بها الالزام والتبكيت وفي مجيء حرف الشك نوع تهكم بهم فان لم يستجيبوا لك دعاءك
الى الاتيان بالكتاب الاهدى فحذف المفعول للعلم به وهذا الحذف شائع عند ذكر
الداعي وتعديته اليه باللام والى الدعاء بنفسه واما قول الشاعر فلم يستجبه عند ذاك
مجيب فمعناه فلم يستجب دعاءه على حذف المضاف فلا تعدية فيه الى الداعي فاعلم انما
يتبعون اهواءهم اذ لو اتبعوا حجة لاتوا بها ومن اضل ممن اتبع هواه استفهام
بمعنى النفي بغير هدى من الله في موضع الحال للتاكيد والتقييد لان هوى النفس قد يوافق
الحق ان الله لا يهدي القوم الظالمين والذين ظلموا انفسهم ولقد وصلنا لهم القول
التوصيل تكثير الوصل وتكريره يعني ان القرآن اتاهم متتابعا في الانزال ليتصل التذكير
او في النظم لتتقرر الدعوة بالحجة والمواعظ بالمواعيد والنصائح بالعبر لعلهم يتذكرون
ليتذكروا فيفلحوا الذين آتيناهم الكتاب من قبله من قبل القرآن وخبر الذين هم به بالقرآن
يؤمنون نزلت في مؤمني اهل الكتاب واذا يتلى القرآن عليهم قالوا آمنا به اي بانه كلام
الله تعالى انه الحق من ربنا استئناف لبيان ما اوجب ايمانهم به انا كنا من قبله من قبل

نزول القرآن مسلمين كائنين على دين الاسلام مؤمنين بمحمد عليه السلام وقوله انه تعليل
للايمان به لان كونه حقا من الله حقيق بان يؤمن به وقوله انا بيان لقوله آمنا لانه يحتمل ان
يكون ايمانا قريب العهد وبعيده فاخبروا بان ايمانهم به متقادم اولئك يؤتون اجرهم
مرتين مرة على ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقرآن قبل نزوله وبعد نزوله او بصبرهم
على اذى المشركين واهل الكتاب ويدرءون بالحسنة السيئة يدفعون بالطاعة المعصية
لقوله عليه السلام اتبع الحسنة السيئة تمحها ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير واذا سمعوا
اللغو اعرضوا عنه تكرما وقالوا للاغين لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم متاركة بهم
وتوديعا ودعاء لهم بالسلامة عما هم فيه لا نبتغي الجاهلين لا نطلب صحبتهم ولا نريدها
انك لا تهدي من احببت لا تقدر على ان تنور قلب من احببت بنور الهداية فانك شفيع
الجناية لا شريك الهداية ولكن الله يهدي من يشاء لقدا صاب بكل من عباده في الحب المشية
محو مما وهو اعلم بالمهتدين بالمستعدين لذلك قال الزجاج اجمع المفسرون على انها نزلت
في ابي طالب وانها كانت لصيغة عامة وقالوا ان نتبع الهدى معك اي وقال المشركون يا
محمد ان نتبع الهدى فنكون معك ونتبع الهدى الذي معك وهو القرآن نتخطف التخطف
الاستلاب بسرعة من ارضنا اي نخرج منها في الحال وهو فعال فاسد منهم تعللوا به عند
عجزهم عن معارضة فرد الله عليهم بقوله اولم نمكن لهم اي الم ندفع عنهم شر العرب
ولم نكن لهم حرما آمنا اي الم نجعل مكانهم في حرم ذا امن لا يستبون فيه ولا يغار عليهم
ولا يتعرض لهم بمكروه ثم هذا الحرم في موضع لا زرع فيه يجبى اليه ثمرات كل شيء اي يجمع
ويجلب اليه من كل شيء ارضه وانفعه كما يقال ثمرة الكلام ومعنى الكلية الكثرة كقوله
واوتيت من كل شيء رزقا مصدر لان معنى يجبى اليه يرزق او مفعول له او حال
من الثمرات ان كان بمعنى مرزوق لتخصصها بالاضافة كما ينتصب عن النكرة المتخصصة
بالصفة من لدنا اي تفضلا منا فاذا كان حالهم وهم عبدة الاصنام هكذا فكيف يعرضهم
للخوف والتخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد ولكن اكثرهم لا يعلمون
جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا وقيل متعلق بقوله من لدنا اي قليل منهم يتدبرون
بان ذلك رزق من عند الله تعالى اذ لو علموا انه من عند الله لعلموا ان الخوف والامن
ايضا من عند الله ثم بين ان الامر بالعكس بانهم احقاء بان يخافوا من باس الله على
ما هم عليه بقوله وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها وكم من اهل قرية كانت حالهم
كحالهم في الامن وخفض العيش حتى اشروا فدمر الله عليهم وخرب ديارهم وكم
نصب باهلكنا ومعيشتها بحذف الجار وايصال الفعل او بجعلها ظرفا بنفسه كقولك
زيد ظني مقيم او بتقدير ظرف الزمان المضاف اصله بطرت ايام معيشتها او مفعول

على تضمين بطرت معنى كفرت والبطر سوء احتمال الغنى وهو ان لا يحفظ حق الله تعالى فيه فتلك مساكنهم منازلهم باقية الآثار تشاهدونها في الاسفار لم تسكن حال والعامل فيها الاشارة الا قليلا من المسكن اي يسكنها الا المسافر ومار الطريق يوما او ساعة وكنا نحن الوارثين لتلك المساكن من ساكنيها اي لا يمكن التصرف فيها غيرنا وما كان ربك مهلك القرى اي ليس في عادته ان يهلك القرى حتى يبعث في امها في اصلها وقصبتها التي هي اعمالها لان اهلها يكون افطن وانبل رسولا يتلو عليهم اياتنا لالزام الحجة وقطع المعذرة او وما كان في حكم الله وسابق قضائه ان يهلك قرى الارض حتى يبعث في ام القرى يعني مكة رسولا وهو محمد عليه السلام والظاهر المناسب بعبارة ما كان هو الاول وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون بتكذيب الرسل والعتو في الكفر وما اوتيتم من شيء في محل النصب على الحال وذو الحال الضمير العائد من الصلة الى الموصول اي وما اوتيتموه كائنا من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها اي واي شيء اعطيتموه من اسباب الدنيا فما هو الا تمتع وزينة اياما قلائل وهي مدة الحيوة الدنيا الفانية وما عند الله وهو ثوابه خير في نفسه من ذلك لانه لذة خالصة وبهجة كاملة وابقى لانه دائم لا ينقطع افلا تعقلون ان الباقي خير من الفاني فيستبدلونه به وقرئ بالياء التحتانية وهو ابلغ في الوعظ افمن وعدناه وعدا حسنا وعدا بالجنة فان حسن الوعد بحسن الموعود فهو لاقيه مدركه لا محاله لعدم الخلف في وعده كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا الذي هو مشوب بالآلام مكدر بالمتاعب مستعقب للتحسر على الانقطاع ثم هو يوم القيمة من المحضرين للحساب او العذاب والفاء الاولى لترتب الانكار المستفاد من الاستفهام والمعنى انه لما ذكر التفاوت بين المتاع الحيوة الدنيا وما عند الله عقبه بقوله افمن وعدناه اي ابعد هذا التفاوت الجلي يستوي بين ابناء الدنيا وابناء الاخرة والفاء الثانية للتسبيب لان لقاء الموعود مسبب عن الوعد وثم لتراخي حال الاحضار عن حال التمتع وقرئ ثم هو بسكون الهاء تشبيها للمنفصل بالمتصل ويوم يناديهم نداء توبيخ وهو عطف على يوم القيمة او منصوب باذكر فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون اي تزعمونهم شركائي فحذف المفعولان لدلالة الكلام عليهما ويجوز حذفهما في باب ظننت وان لم يجز الاقتصار على احدهما قال الذين حق عليهم القول اي وجب عليهم مقتضاه وثبت وهو قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وغيره من ايات الوعيد ربنا هؤلاء مبتداء والذين صفته واغوينا صلة للذين والعائد محذوف تقديره اغويناهم واغويناهم خبر المبتداء وتقييده بقوله كما غوينا فاستفيد من الخبر ما لم يستفد من الصلة والكاف في كما غوينا صفة مصدر محذوف تقديره

اغويناهم فغووا اغواء مثل ما غوينا يعنون انا لم نغوا الا باختيارنا فهؤلاء كذلك غووا باختيارهم لان اغوائنا لهم لم يكن الا وسوسة وتسويلا فلا فرق اذا بين غينا وغيهم فان تسويلنا وان كان داعيا لهم الى الكفر فقد كان في مقابلة دعاء الله لهم الى الايمان بما وضع فيهم من ادلة العقل وما بعث اليهم من الرسل وانزل عليهم من الكتب فهو كقوله وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق الى قوله ولوموا انفسكم ويجوز ان يكون هؤلاء مبتداء والذين اغوينا خبر المبتداء واغويناهم استينافا خبار ومفيد ابقوله كما غوينا تبرانا اليك منهم مما اختاروا من الكفر ما كانوا ايانا يعبدون بل يعبدون اهواءهم ويطيعون شهواتهم واخلاء الجملتين من العاطف لكونهما مقررتين لمعنى الجملة الاولى وقيل للمشركين ادعوا شركاءكم اي الهتكم لتخلصكم من العذاب فدعوهم لفرط الحيرة بل لضرورة الامتثال فلم يستجيبوا لهم لعجزهم عن الاجابة اذ يعجزون حينئذ عن النطق كل شيء بل عجزهم عن الاستجابة ورأوا العذاب الضمير للتابع والمتبوع لو انهم كانوا يهتدون جواب لو محذوف اي لما رأوا العذاب ويوم يناديهم عطف على الاول فانه تعالى يسئل اولا عن اشراكهم به ثم عن تكذيبهم الانبياء عليهم السلام فيقول ماذا اجبتم المرسلين الذين ارسلوا اليكم فعميت عليهم الانباء يومئذ اي خفي عليهم الاخبار والاعذار خفاء لا يرجى زواله فلم يستطيعوا ان يجيبوا بما فيه نجاة لهم واتى بلفظ الماضي لتحقق وقوعه فهم لا يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضا عن العذر والجواب رجاء ان يكون عنده ما ليس عند نفسه لانهم يتساوون في العجز عن ذلك بالسبب المذكور على ما افصح عنه الفاء التفريعية لا بفرط الدهشة كما توهم فاما من تاب من الشرك واما هذه للاشعار بزيادة اعتناء بشأن ما دخلت عليه فيما يسبق له الكلام كقوله فاما الذين في قلوبهم زيغ وتصديره بالفاء لتفرعه على ما اقيم مقام قسيمه وآمن وعمل صالحا وجمع بين الايمان والعمل الصالح فعسى ان يكون من المفلحين يومئذ وعسى من الكرام تحقيق او ترج من التائب بمعنى فليتوقع ان يفلح وربك يخلق ما يشاء ويختار المشية تجامع الايجاب بالذات دون الاختيار ففيه تنصيص للرد على الفلاسفة على من زعم انه تعالى يقتضي العالم اقتضاء النار للاحراق ما كان لهم الخيرة ترك العاطف لانه تقرير لما قبله فان معنى ويختار ويخلق ما يختار اي يدخل تحت تكوينه كل ما تعلق به اختياره ويلزمه ان لا يكون لاختيار الغير تأثير والا لجاز ان لا يدخل بعض ما اختاره الله تعالى تحت تكوينه والخيرة من التخير يستعمل بمعنى المصدر كالطيرة بمعنى التطير اي ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه سبحان الله تنزيها له ان يزاحم اختيار احد اختياره وتعالى عما يشركون اي الله تعالى بريء من اشراكهم وربك يعلم ما تكن تخفي اكننت الشيء في صدري

أي خفية أسند الإخفاء إلى الصدور مبالغة وما يعلنون أي يعلم ما أضمروه كعداوة
رسول الله عليه السلام وحسده وما أظهروه كمطاعنهم فيه وهو الله الذات المستحق
للعبادة لا إله إلا هو لا معبود يستحقها إلا هو ترك العاطف لأنه تقرير لما قبله له الحمد
في الأولى والآخرة الاختصاص المستفاد من تقديم الظرف باعتبار المجموع فإن الحمد
في الدنيا وإن شاركه تعالى فيه غيره فإن المستحق للحمد لا يلزم أن يكون موليا للنعم
لكن الحمد في الآخرة لا يكون إلا له وله الحكم بالقضاء النافذ في كل شيء وإليه ترجعون
بالبعث والنشور قل أرأيتم أخبروني إن جعل الله عليكم إنما قال عليكم لأن النفع
إنما هو في تقلب فائت منهما أسمى بتقلب نفعه ضرا الليل سرمدا أي دائما من السرد و
هو المتابعة ومنه قولهم في الأشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد والميم مزيدة ووزنه
فعمل إلى يوم القيامة بالكسوف أو بإسكان الشمس تحت الأرض من إله غير الله كان حقه هل
إله فذكر من على زعمهم أن غيره آلهة غير الله صفة له يأتيكم بضياء إنما قال
بضياء ولم يقل بنهار كما قال في قرينته الآتي بليل لأن النهار لا يلزمه الضياء على ما نبهت عليه
آنفا والنفع فيه بوجود الضياء فيه فإنه لو خلا عنه لانقلب نفعه ضررا حتى قالوا إن الكسوف
ساعة يكون سببا لبعض الآفات من الزلازل وغيرها بخلاف الليل فإنه لا يخلو عن النفع
المذكور مظلما كان أو مستنيرا ولما كان مبنى ما ذكر مما لا يقف عليه عوام الأنام إلا بالسماع
عن الخواص قال هنا أفلا تسمعون ومن زعم أن ذكر السماع هنا لكثرة منفعة السماع بالضياء
فقد بعد قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار أخر أمر النهار عن أمر الليل لأنه أصل والنهار
عارض سرمدا إلى يوم القيامة بإسكان الشمس فوق الأفق أو بتحريك كرة الأرض على وفق حركتها
وإنما كان الفساد في دوام النهار في دار التكليف ولم يكن في دار النعيم لأن دار التكليف
لا بد فيها من التعب والنصب الذي يحتاج معه إلى الجمام والراحة وليس كذلك دار النعيم
من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه استراحة من متاعب الأشغال وإنما تعرض لوصف الليل
دون الضياء لأن نفعه في ذاته مقصودة بنفسه ولا كذلك الليل ولما كان ما ذكر مما يقف
عليه كل ذي بصر ولا يتوقف على آخر قال هنا أفلا تبصرون ومن في قوله ومن رحمته للسبب
جعل لكم الليل والنهار أي خلقهما لأجلكم لتسكنوا فيه أي في الليل والتنبيه على اتحاد كل من
المنفعتين في علية واحد منهما على التوزيع أعيد اللام في قوله ولتبتغوا من فضله أي في
النهار وإنما حذف اكتفاء بما ذكر في قرينه فيكون من باب اللف والنشر على الترتيب في التعبير
بالابتغاء عن كسب العبد إشارة إلى أنه لا بد له على معنى الطلب فعقبه نفي للتأثير من جهته
كما أن في قوله من فضله نفيا للإيجاب منه تعالى والوجوب عليه ولعلكم تشكرون ولكي تعرفوا
نعمة الله في ذلك فتشكروه عليها تعليل آخر للجعل المذكور ولذلك صدره بأداة العطف

ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون تكرير التوبيخ باتخاذ الشركاء ليؤذن
بأن لا شيء أجلب لغضب الله من الإشراك به كما لا شيء أدخل في مرضاته من توحيده ونزعنا
أخرجنا وأحضرنا يقال فلان ينزع إلى وطنه أي يحن إليه جئنا بمطالبه بالخروج إليهم
من كل أمة من الأمم الضالة بدليل سياق الكلام ولحاقه شهيدا شاهدا عليهم بما جاءوا
وسلم كما قال فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقال
وجيء بالنبيين والشهداء وهذا صريح في أنهم غير الأنبياء فقلنا لتلك الأمم هاتوا
برهانكم حجتكم على صحة ما كنتم تدينون فعلموا حينئذ أن الحق لله في الإلهية لا يشاركه فيها
أحد وضل عنهم وغاب عنهم غيبة الشيء الضائع ما كانوا يفترون من الوهية غير الله تعالى
والشفاعة لهم إن قارون لا ينصرف للعجمة والعلمية ولو كان فاعولا من قرنت الشيء لانصرف
كان من قوم موسى كان ابن عم موسى عليه السلام فبغى عليهم تفريع على مقدر يدل إجمالا على غناه
المفرط على ما يفصح عنه التفصيل الآتي ذكره فالفاء فصيحة والبغي طلب العلو بغير حق ومنه
قيل لولاة الجور بغاة عليهم روي أنه قال لموسى عليه السلام لك الرسالة ولهارون الحبورة
وأنا في غير شيء إلى متى أصبر وآتيناه من الكنوز من الأموال المدخرة ما إن مفاتحه ما بمعنى
الذي في موضع نصب بآتينا وإن واسمها وخبرها صلة الذي ولهذا كسرت إن والمفاتح جمع
مفتح بالكسر وهو ما يفتح به بيت المال أو الصندوق لتنوء تثقل ناء به ينوء نوءا أي حمل
على ثقل ونهض به على مشقة حتى مال تحته وهو لازم وصار هنا متعديا بالباء الذي في
قوله بالعصبة وهي الجماعة الكثيرة أولي القوة الشدة وقرئ لينوء بالياء على إعطاء المضاف
حكم المضاف إليه إذ قال له قومه منصوب ببغى وما بينهما اعتراض في معرض التعليل لا تنوء
إذ لا وجه لتخصيصه بذلك الوقت لا تفرح أريد بالفرح هنا المرح الذي يخرج إلى الأشر و
البطر ولذلك قال إن الله لا يحب الفرحين لأنه إذا أطلق صفة الفرح فهو الخارج بالمرح إلى
البطر فأما قوله فرحين بما آتاهم الله من فضله فحسن بهذا التقييد وابتغ فيما آتاك
الله من الغنى الدار الآخرة بصرفه فيما يوجبها لك ولا تنس ولا تترك ترك المنسي
نصيبك من الدنيا أي خذ مع هذا من دنياك ما لا بد لك منه في معاشك فإنك غير
ملوم على ذلك فهو على وفق قوله تعالى ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا
وأحسن إلى عباد الله تعالى كما أحسن الله إليك فيما وسع عليك وبسط لك ولا تبغ
الفساد في الأرض بالبغي والظلم إن الله لا يحب المفسدين بل يبغضهم والاكتفاء
بنفي حبه تعالى عنهم للتنبيه على أن هذا القدر يكفي في انزجار العاقل عن الفساد
قال إنما أوتيته أي المال على علم عندي أي على استحقاق لما في من العلم الذي
فضلت به الناس وهو علم التوراة أو علم الكيمياء أو بوجوه المكاسب من التجارة

لأنه والفرح بالدنيا مذموم مطلقا لأنه نتيجة حبها
والرضى بها والذهول عن ذهابها فإن العلم بأن
ما فيها من اللذة مفارق لا محالة يوجب الترح
كما قال أشد الغم عندي في سرور تيقن عنه
صاحبه انتقالا من تفسير القاضي

والزراعة وعندى صفة للعلم وزيادته لافادة معنى الاختصاص له اولم يعلم
ان الله قد اهلك من قبله من القرون هو اشد منه قوة واكثر جمعا للمال او اكثر
جماعة وعددا تعجب وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك لانه قرأه
فى التوراة او سمعه من حفاظ التواريخ والواو للعطف على مقدر اى الم يقرأ
فى التورية ولم يسمع من الحفاظ ولم يعلم او رد لادعائه العلم وتعظيمه بنفى
العلم المهم عنه اى اعنده مثل ذلك العلم الذى ادعى ولم يعلم هذا حتى نفى نفسه
مصارع الهالكين ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال استعلام فانه تعالى مطلع
عليها او معاتبة فانهم يعذبون بها بغتة كأنه لما هدد بذكر اهلاك من قبله ممن كانوا
اقوى منه واغنى اكد ذلك بان بين انه لم يكن ما يخصهم بل الله مطلع على ذنوب المجرمين
كلهم يعاقب عليها لا محالة فخرج على قومه معطوف على محذوف دل عليه سياق الكلام من
عدم تنصحه بما قيل له واظهارا اسباب البطر فالفاء فصيحة فى زينته حال من فاعل خرج
اى متزينا قال الذين يريدون الحيوة الدنيا على سبيل الرغبة فى اليسار بالتنبيه ليت
لنا مثل ما اوتى قارون غبط والغابط هو الذى يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير ان تزول
عنه انه لذو حظ عظيم الحظ الجد وهو البخت والدولة وقال الذين اوتوا العلم باحوال
النشأة الآخرة ويلكم اصله ويلك دعاء بالهلاك ثم استعمل فى الزجر والردع والبعث
على ترك ما لا يرتضى ثواب الله فى الآخرة خير لمن آمن وعمل صالحا مما اوتى قارون بل من
الدنيا وما فيها وفى حذف المفضل عليه تعظيم للمفضل كما فى قوله الله اكبر ولا يلقيها اى
لا يلقى هذه الكلمة وهى ثواب الله خير الا الصابرون على الطاعات وعن المعاصى فخسفنا
به قارون اى ساخت به الارض وذهبت فى جهة سفل الارض وبداره الارض روى
انه كان يؤذى موسى كل وقت وهو يداريه للقرابة التى بينهما حتى نزلت الزكوة فصالحه
عن كل الف على واحد فحسبه فاستكثره فشحت به نفسه فعمد الى ان يفضح موسى عليه السلام
بين بنى اسرائيل ليرفضوه فبرطل بغية لترميه بنفسها فلما كان يوم العيد قام موسى عليه السلام
خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه
فقال قارون ولو كنت قال ولو كنت قال ان بنى اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة
فاحضرت فناشدها موسى عليه السلام بالله ان تصدق فقالت جعل لى قارون
جعلا على ان ارميك بنفسى فخر موسى عليه السلام ساجدا يبكى وقال ان كنت
رسولك فاغضب لى فاوحى اليه ان مر الارض بما شئت فقال يا ارض خذيه فاخذته
الى ركبته ثم قال خذيه فاخذته الى وسطه ثم قال خذيه فاخذته الى عنقه وكان قارون
يتضرع اليه فى هذه الاحوال وموسى عليه السلام لا يلتفت اليه لشدة غضبه ثم قال خذيه

فانطبقت عليه فقال الله تعالى لموسى عليه السلام استغاث بك مرارا فلم ترحمه فوعزتى
لو استرحمنى مرة لرحمته ثم قال بعض بنى اسرائيل انما اهلكه ليرث ماله فدعا الله تعالى
حتى خسف بداره الارض وامواله فالفاء الفصيحة للعطف والتفريع على محذوف دل
عليه مفهومه الاجمالى سياق الكلام فما كان له من فئة اعوان قد مر تفسيره على وجه
التفصيل فى سورة البقرة ينصرونه من دون الله تعالى بما ذكر امتناع نصرهم بدفع عذاب
الله تعالى مع انه معلوم لان المراد بيان انه لم يكن الامر على ما قدره من امتناعه كما
وجنده فان ذلك الذى غره حتى تمرد فى طغيانه ثم اخبر انه كما لم يكن هو ايضا ممن ينتصر
بنفسه لضعفه عن ذلك واصبح الذين تمنوا مكانه منزلته لم يقل مثل مكانه اكتفاء بذكره قبل
هذا بالامس يستعمل لزمان قريب يقولون ويكأن الله اى صاروا يقول بعضهم لبعض
الم تعلموا ان الله ويكأن كلمة تقرير معناها اما ترى اما تعلم قاله الفراء روى ان اعرابية
قالت لزوجها اين ابنك فقال ويكأنه وراء البيت اى اما ترينه وقال قطرب معناه كلمتان ويك
بمعنى ويلك بحذف اللام قال عنترة ولقد شفى نفسى وابرأ سقمها قول الفوارس ويك عنتر اقدم
وهذا الحذف للتخفيف لكثرة الاستعمال واما ما قيل ان وى للتعجب وكأن للتشبيه ففيه
ان التشبيه لا يناسب المقام يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر بمقتضى
مشيئته لا لكرامة تقتضى ولا لهوان يوجب القبض لولا ان من الله علينا بصرف ما كنا تمنينا
بالامس لخسف بنا لتوليده فينا ما ولده فيه ويكأنه لا يفلح الكافرون لنعمة الله
او المكذبون برسله وبما وعدوا لهم من ثواب الآخرة تلك الدار الآخرة تلك
تعظيم وتفخيم لشأنها كأنه قال تلك التى سمعت خبرها وبلغك وصفها والدار
صفة والخبر نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض غلبة وقهرا ولا فسادا
ظلما على الناس لم يعلق الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك ارادتهما
وميل القلوب اليهما كما قال ولا تركنوا الى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون والعاقبة
المحمودة للمتقين ما لا يرضاه الله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها مر فى النمل ومن
جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات معناه فلا يجزون فوضع الذين عملوا
السيئات موضع الضمير لان فى اسناد عمل السيئة اليهم تكريرا فضل تهجين لحالهم
وزيادة تبغيض للسيئة الى قلوب السامعين الا ما كانوا يعملون الا مثل ما كانوا
يعملون وحذف المثل واقيم مقامه ما كانوا يعملون مبالغة فى المماثلة ان الذى
فرض عليك القرآن اوجب عليك القرآن تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه لرادك الى
معاد يعنى مكة اريد رده عليه السلام وقهره لاهله ولظهور عز الاسلام واهله
وذل الكفر وحزبه والسورة مكية ولكن هذه الآية نزلت بالجحفة لا بمكة ولا بالمدينة

حين اشتاق عليه السلام الى مولده ومولد ابائه قل ربي اعلم من جاء بالهدى وما يستحقه
من الثواب والنصر ومن منتصب بفعل يفسره اعلم ومن هو في ضلال مبين وما استحقه من
العذاب والاذلال يعني به نفسه والمشركين فهو تقرير للوعد السابق وما كنت ترجوا ان
تفسير لرجاد في سورة الفرقان ان يلقى يوحى اليك الكتاب اى سيردك الى معادك كما
القى اليك الكتاب وما كنت ترجوه الا رحمة من ربك هو محمول على المعنى اى وما القى
عليك الكتاب الا رحمة لاجل الترحم او الا بمعنى لكن للاستدراك اى ولكن لرحمة من ربك
القى اليك فلا تكونن ظهيرا للمجرمين عونا للكافرين ولا يصدنك عن ايات الله عن قراءتها
والعمل بها بعد اذ انزلت اليك اى بعد وقت انزاله وادع الى ربك الى عبادته وتوحيده
ولا تكونن من المشركين بمساعدتهم ولا تدع مع الله الها اخر هذا وما قبله تهييج وقطع
اطماع المشركين عن مساعدتهم على ان العصمة لا تمنع النهي والوقف على اخر لازم
لانه لو وصل لصار لا اله الا هو صفة لالها اخر وفيه من الفساد ما فيه كل
شيء هالك الا وجهه الا ذاته والوجه يعبر به عن الذات وانما قال هالك لان المراد
هالك كونه كذلك في حد نفسه وليس بمتجدد فان كل ممكن في حد نفسه ليس بموجود
له الحكم القضاء النافذ في الخلق واليه ترجعون للجزاء بالحق والله اعلم

الم مر فيه ذكرا اولا وسبق التفصيل وهنا دليل الاستقلال بنفسها او بما يعضد
معه وهو وقوع الاستفهام بعده احسب الناس الحسبان قوة احد النقيضين
على الاخر كالظن ولا يصح تعليقها بمعاني المفردات ولكن بمضامين الجمل فاذا اردت
الاخبار عن مضمون ثابت عندك على وجه الظن لا اليقين ادخلت على شطري الجملة
فعل الحسبان حتى يتم غرضك والكلام الدال على المضمون الذي يقتضيه الحسبان هنا ان
يتركوا فانه سد مسد المفعولين كما في قوله ان سبقونا ونظايره لان المعنى احسب
الناس نفسهم متروكين والترك رفض الشيء قصدا واختيارا وقهرا واضطرارا ومن
الاخير قولهم ترك فلان ما يخلف بعد موته وثاني مفعولي ان يتركوا متروك بدلالة
الحال اى كما هم او على ما هم عليه وان يقولوا بمعنى لقولهم متعلق بيتركوا على انه غير
مستقر وهم لا يفتنون غير مختبرين بما يبين به حقيقة ايمانهم نزل في جماعة امنوا
واذاهم المشركون المراد من الفتنة الامتحان بشدايد التكليف من مفارقة الاوطان
ومجاهدة الاعداء وساير الطاعات الشاقة وهجر الشهوات وبالفقر والقحط وانواع

المصايب في الانفس والاموال ومصابرة الكفار على اذاهم وكيدهم وقيل معناه
احسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم امنا فالترك احد مفعوليه وغير مفتونين من تمامه
ولقولهم هو الثاني كقولك حسبت ضربه للتاديب وفيه الفصل بين تركوا ومعموله و
ما يجئ منه من الاهتمام بشان اخرى ولقد فتنا اى اختبرنا وهو موصول باحسب وبلا يفتنون
الذين من قبلهم من الامم بانواع الفتن والمعنى ان ذلك سنة قديمة جارية في الازمان
السالفة فلا ينبغي ان يتوقع خلافها ويجوز ان يكون كقولك لا يمتحن فلان وقد من هو
خير منه بمعنى ان بعض الانبياء كزكريا ويحيى وجرجيس عليهم السلام قد امتحنوا فليعلمن
الله بالامتحان الذين صدقوا في الايمان وليعلمن الكاذبين فيه وعلم الله تعالى بالكاينات
منزه عن النسبة الى الزمان وعما يترتب عليها من التبدل والتغير فهو هنا كناية عن
تحقق المعلوم قطعا وظهوره على وجه ابلغ فالمعنى وليتميزن بذلك الصادق منهم من الكاذب
قال ابن عطاء يتبين صدق العبد من كذبه في اوقات الرخاء والبلاء فمن شكر في ايام
الرخاء وصبر في ايام البلاء فهو من الصادقين ومن بطر في ايام الرخاء وجزع في ايام
البلاء فهو من الكاذبين ويعضده قراءة فليعلمن من الاعلام اى ليعرفنهم الناس
من هم فحذف المفعول الاول ويجوز ان يكون من قولهم فارس معلم اى اعلم نفسه
في الحرب بثوب او غيره فيكون من العلامة فالمعنى فليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم
القيمة كبياض الوجه وسواده ام حسب ام هنا منقطعة لفقد شرط الاتصال وهو ان
لا يكون بعدها جملة ومعناها بل للاضراب بمعنى الانتقال عن قصة الى قصة لا بمعنى الابطال
والاضراب فيها لان هذا الحسبان ابطل من الاول لان ذلك يقدر انه لا يمتحن لايمانه وهذا
يظن انه لا يجازى بمساويه ولهذا عقبه بالذم الذين يعملون السيئات من المعاصي واما
الكفر فليس من جنس العمل لانه لا يقال الا فيما كان عن فكر وروية نص عليه الراغب فحال
الكفر يعلم مما ذكر دلالة ان يسبقونا ان يفوتونا فلا نقدر ان نجازيهم على مساويهم
بمعنى ان الجزاء يلحقهم لا محالة واشتمال صلته ان على مسند ومسند اليه سد مسد المفعولين
ساء ما يحكمون ما في موضع رفع على معنى ساء الحكم حكمهم او نصب على معنى ساء حكما
يحكمون والمخصوص بالذم محذوف اى حكما يحكمونه حكمهم هذا من كان يرجوا لقاء الله
يترقب ثوابه او يخاف عقابه فالرجاء يحتملهما فان اجل الله المضروب للثواب والعقاب
لات لا محالة تعليل لجواب الشرط المحذوف تقديره فليبادر بالعمل الصالح الذي يصدق
رجاءه ويحققه واتيان الوقت المضروب لهما كناية عن اتيانهما والتعبير عنهما بلقاء
الله للتفخيم والتهويل واضافته الى الله في الموضعين للتعظيم ويجوز ان يكون على تمثيل
حاله بحال عبد قدم على سيده بعد زمان مديد وقد اطلع السيد على احواله بحال

فاما ان يلقاه ببشر لما رضي منه افعاله او بسخط لما سخط منها وهو السميع العليم لما
يقال عباده العليم بما يعملونه فلا يفوته شيء ومن جاهد نفسه بالصبر على مخالفتها
في طاعة الله فانما يجاهد لنفسه لان منفعة ذلك ترجع ان الله لغني عن العالمين فلا ينتفع
به في طاعتهم ومجاهدتهم وانما كلفهم رحمة عليهم ومراعاة لمصالحهم والذين امنوا و
عملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم التكفير اذهاب السيئة بالحسنة كاذهاب الكفر
بالايمان والمعصية بالتوبة ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون انما قال احسن لان المباح
حسن ولا جزاء له ووصينا الانسان بوالديه حسنا باتيانهما فعلا ذا حسن او ما هو في ذاته
حسن لفرط حسنه ووصى حكمه حكم امر في معناه وتصرفه ومعنى وصيت زيدا بعمرو امرته
بتعهده ومراعاته وان جاهداك اي وقلنا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم
يعني بالهيئة عبر عن نفيها بنفي العلم اشعارا بان ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم
بطلانه فضلا عما علم بطلانه فلا تطعهما في ذلك فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق
الي مرجعكم مرجع المطيع والعاصي فانبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه وفي ذكر المرجع
والوعيد تحذير من متابعتهما على العصيان وحث على الثبات والاستقامة في الطاعة
روي ان سعد بن ابي وقاص رض لما اسلم نذرت امه ان لا تاكل ولا تشرب ولا تنتقل
من الضح حتى يرتد ولبثت ثلثة ايام كذلك فشكى سعد له الى النبي عليه السلام فنزلت
هذه الآية والتي في سورة لقمان والتي في الاحقاف والذين امنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم
في الصالحين في الانبياء والاولياء بان نحشرهم معا ومن الناس من يقول امنا بالله
في الاخبار عنهم بانهم من الناس تحقيق لشانهم فاذا اوذي في الله اي في طاعة الله
وفي للسببية كما في لمتنني فيه جعل فتنة الناس اي اذاهم له للصرف عن طاعة الله كعذاب
الله في الخوف منه فيطيعهم ولئن جاء نصر من ربك فتح وغنيمة ليقولن انا كنا معكم اي متابعين
لكم في دينكم فاعطونا نصيبا من الغنم اوليس الله باعلم صيغة اعلم هنا لمطلق الزيادة
واثبات العلم على الوجه الابلغ والواو للعطف على محذوف تقديره اليس الله باشد عذابا
من الناس بما في صدور العالمين من الاخلاص والنفاق فكيف يتوهم هذا المنافق انه يخفى
حاله على المسلمين ولا يخبرهم الله به وهو عالم وهذا تهديد وتوبيخ له كما ان قوله تعالى و
ليعلمن الله الذين امنوا وليعلمن المنافقين تهديد اخروي كني بالعلم عن اثره وهو
الجزاء على المعلوم وعبر عن الاخلاص بالايمان اخراجا للاقرار باللسان الخالي عن التصديق
بالجنان عن حد الايمان وفي اختلاف الصيغتين اشعار بثبات المنافق على النفاق ومزيته
على على الكفر بزيادة التغرير في محل وقال الذين للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل
خطاياكم امروهم باتباع سبيلهم وهي طريقتهم التي كانوا عليها في دينهم وامروا انفسهم

بحمل خطاياهم فعطف الامر على الامر وارادوا ليجتمع هذان الامران في الحصول والمعنى
تعليق الثاني على الاول على وجه المبالغة والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كانت تشجيعا
لهم على الاتباع ولهذا رد عليهم وكذبهم بقوله وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء
انهم لكاذبون في ذلك من الاولى للتبيين والثانية مزيدة للتاكيد الاستغراق و
ليحملن اثقالهم اوزار انفسهم بضلالهم واثقالا مع اثقالهم واوزار الضالين باضلالهم
وهو كما قال ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم و
ليسئلن يوم القيمة عما كانوا يفترون يكذبون على الله سوال توبيخ واللام في الفعلين
للقسم وحذف فاعلهما الواو والنون الرفع ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم
الف سنة الا خمسين عاما بعد المبعث الى حدوث الطوفان واختيار هذه العبارة لما في
ذكر الالف من تخييل طول المدة الى السامع فان المقصود تسلية رسول الله عليه السلام
وتنبيه على ما يكابده من الكفرة وجئ بالمميز اولا بالسنة ثم بالعام لان تكرار لفظ واحد
في كلام واحد حقيق بالاجتناب في البلاغة فاخذهم الطوفان فهو ما اطاف واحاط بكثرة
وغلبة من سيل او ظلام ليل او نحوهما والواقع طوفان الماء وهم ظالمون انفسهم بالكفر
فانجيناه اي نوحا واصحاب السفينة اي الذين حملهم نوح عليه السلام في السفينة و
جعلناها اي السفينة لانها بقيت اعواما حتى مر عليها الناس ورأوها فحصل لهم العلم
بها او الحادثة آية علامة او عبرة للعالمين يعتبرون بها وابرهيم عطف على نوحا وقرئ
بالرفع على تقدير ومن المرسلين ابرهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله ظرف لارسلنا
ففيه دلالة على انه لم يتهاون في امر الرسالة حيث بلغ الدعوة كما امر واتقوه ذلكم خير
لكم مما انتم عليه ان كنتم تعلمون اي ان كنتم من اهل العلم انما تعبدون من دون الله
اوثانا الوثن ما يعمل من حجر وطين وتخلقون اي تكذبون او تصنعون وقرئ تخلقون
من خلق بمعنى التكثير في خلق افكا وقرئ افكا وهو مصدر نحو كذب ولعب والافك
مخفف عنه كالكذب واللعب من اصلهما واختلاقهم الافك تسميتهم الاوثان الهة وشركاء
لله ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا استدلال على شرارة ما هم
عليه من حيث انه زور وباطل ثم استدل عليها من حيث انه لا يجدي بطائل ورزقا
يحتمل النصب على المصدر اي لا يستطيعون ان يرزقوكم وان يراد المرزوق وتنكيره
للتعميم فابتغوا عند الله لا عند الاسباب الرزق كله انما لم يقل من الله لعدم الدلالة
فيه على الامر بترك الاعتماد على الاسباب العادية ثم بين طريق الطلب فقال واعبدوه
اي في كل حال واشكروا له نعما مضى من الافضال مستعدين للغاية بهما فانه اليه ترجعون
فيجازيكم بما عملتم من الشكر والكفران والعبادة والطغيان وهو وعد ووعيد وان تكذبوا

فقد كذب امم من قبلكم كقوم صالح وهود ونوح وما على الرسول الا البلاغ المبين
اى وان كذبونى فلا تضروننى بتكذيبكم فان الرسل قبلى قد كذبتهم الامم وما ضروهم
وانما ضروا انفسهم حيث حل بهم العذاب بسبب تكذيبهم واما الرسل فقد تم امرهم حيث
بلغوا البلاغ المبين الذى لا يزول معه الشك وهو اقترانه بايات الله ومعجزاته او وان كنت مكذبا
فيما بينكم فلى فى سائر الانبياء اسوة حيث كذبوا وعلى الرسول ان يبلغ وما عليه ان يصدق
ولا يكذب فالاية وما بعدها من جملة قصة ابرهيم عليه السلام اولم يروا وقرئ بالتاء
على تقدير القول كيف يبدئ الله الخلق اى قدرته واذل وعلمه وقوله ثم يعيده ليس معطوفا
على يبدئ وليست الرؤية واقعة عليه وانما هو اخبار على حياله بالاعادة بعد الموت كما وقع النظر
فى قوله كيف بدا الخلق ثم الله ينشئ النشأة الاخرة على البدء دون الانشاء بل هو معطوف
على جملة قوله اولم يروا كيف يبدئ الخلق ان ذلك اى الاعادة على الله يسير سهل قل كانه كلام
الله تعالى لابرهيم عليه السلام سيروا فى الارض فانظروا كيف بدا الخلق على كثرتهم واختلاف
احوالهم لتعرفوا عجائب فطرة الله تعالى فى المشاهدة وبدا وابدا بمعنى ثم الله ينشئ النشأة
الاولى التى هى الابداء فانه والاعادة نشأتان من حيث ان كلا اختراع واخراج من العدم
ولما كان المقصود من السباق الاستدلال بالابداء على الاعادة والدليل النفسى اقرب و
اوضح من الافاقى ذكر الرؤية فى الاول والنظر فى الثانى وكان القياس ان يقال كيف
بدا الله الخلق ثم ينشئ النشأة الاخرة لان الكلام معهم وقع فى الاعادة فلما قررهم
فى الابداء بانه من الله تع احتج عليهم بان الاعادة انشاء مثل الابداء فاذا ما يعجزه الابداء
وجب ان لا يعجزه الاعادة فانه قال ثم الله الذى انشأ النشأة الاولى هو الذى ينشئ
النشأة الاخرة فللتنبيه على هذا المعنى ابرز اسمه واوقعه مبتدا ان الله على كل شئ قدير
ومن جملة الاشياء ما يعاد فهو قادر على الاعادة يعذب من يشاء تعذيبه ويرحم من يشاء
رحمته واليه تقلبون تردون وما انتم بمعجزين ربكم اى لا تفوتونه ان هربتم من حكمه وقضائه
فى الارض الفسيحة ولا فى السماء التى هى افسح منها وابسط لو كنتم فيها وما لكم من دون الله من ولى
يتولى اموركم فيحرسكم عن بلائى ولا نصير يمنع عذابى ويدفعه عنكم والذين كفروا
بايات الله بدلائله على وحدانيته او بكتبه ولقائه بالبعث اولئك يئسوا من رحمتى فى
الدنيا لانكار البعث والجزاء واولئك لهم عذاب اليم فى الاخرة بكفرهم فما كان جواب قومه
قوم ابرهيم عليه السلام وقرئ بالرفع على انه الاسم والخبر الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه
اى قال بعضهم لبعض او قاله واحد منهم وكان الباقون راضين ثم اتفقوا على تحريقه
فانجاه الله من النار الفاء فصيحة اى قذفوه فيها فانجاه الله من النار بجعلها عليه
بردا وسلاما ان فى ذلك فى انجائه لايات هى عدم تأثيرها فيه مع شدتها وقودها و

كونها باردة عليه حارة على ما عليه وروى انها لم تحرق الا الحبل الذى اوثقوه به وروى
انه لم ينتفع فى ذلك اليوم بالنار وذلك لذهاب حرها لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون
بها وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم فى الحيوة الدنيا اى لتتوادوا بينكم
وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها كما يتفق الناس على مذهب فيكون
ذلك سبب تحابهم وثانى مفعولى اتخذتم محذوف ويجوز ان يكون مودة المفعول الثانى
بتقدير مضاف او بتاويلها بالمودودة اى اتخذتم اوثانا سبب المودة بينكم وقرأت
منونة ناصبة بينكم والوجه ما سبق وقرئت مرفوعة مضافة على انها خبر مبتدا محذوف
اى هى مودة او سبب مودة بينكم والجملة صفة اوثانا او خبر ان على ان ما مصدرية
او موصولة والعائد محذوف وهو المفعول الاول وقرئت مرفوعة منونة ومضافة بفتح
بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض يتبرأ القادة من الاتباع و
يلعن بعضكم بعضا منها يلعن الاتباع القادة ومأويكم مصيركم جميعا النار وما لكم
من ناصرين يخلصونكم فامن له لوط اى صدقه فيما قاله واتبعه لا انه احدث الايمان فى ذلك
الوقت لان الكفر لا يجوز على الانبياء عليهم السلام وقال ابرهيم عليه السلام انى مهاجر من
كوثى وهى من سواد الكوفة الى ربى حيث امرنى ربى انه هو العزيز اى المنيع الذى يمنع
لجاء اليه ومنعه من اعدائه الحكيم الذى لا يامر الا بما فيه خير روى انه هاجر مع لوط بن
اخيه وسارة بنت عمه الى حران ثم منها الى الشام ونزل فلسطين ونزل لوط سدوم
ووهبنا له اسحق ويعقوب ولدا ونافلة حين ايس عن الولادة من عجوز
عاقر ولذلك لم يذكر اسمعيل عليه السلام وبرده قوله وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق
وجعلنا فى ذريته النبوة فانه شجرة الانبياء عليهم السلام والكتاب يريد به الجنس ليتناول
الكتب الاربعة واتيناه اجره على هجرته الينا فى الدنيا الثناء الحسن والصلوة عليه اخر الدهر و
محبة اهل الملل له واما تقدم ذكره فالعطف عليه يابى عن دخوله فى الاجر وانه فى الاخرة لمن
الصالحين الذين لهم الدرجات العلى ولوطا عطف على ابرهيم او على ما عطف عليه اذ قال لقومه
انكم لتاتون الفاحشة الفعلة البالغة فى القبح ما سبقكم بها من احد من العالمين جملة مستأنفة
مقررة لفحاشة تلك الفعلة كان قائلا قال لم كانت فاحشة فقيل لان احدا قبلهم لم يقدم عليها
ائنكم لتاتون الرجال وتقطعون السبيل طريق المارة بفعلكم الفاحشة بمن يمر بكم فترك
الناس الممر بكم وتاتون فى ناديكم مجلسكم الذى تجتمعون فيه ولا يسمى ناديا الا ما دام
فيه اهله المنكر كالمخابطة والمجامعة والسباب والفحش فى المزاح والحذف بالحصا ومضغ العلك
والفرقعة والسواك بين الناس فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت
من الصادقين قد سبق فى سورة الاعراف قال رب انصرنى بانزال العذاب على القوم المفسدين

بابتداع الفاحشة وسنّها فيمن بعدهم ووصفهم بذلك مبالغة في استنزال العذاب و
العقاب واشعار بانهم احقاء بان يعجّل لهم العذاب ولما جاءت رسلنا ابرهيم
بالبشرى بالبشارة بالولد لقوله قالوا لا توجل انا نبشرك بغلام قالوا انا مهلكوا اهل
هذه القرية قرية سدوم وهذه تشعر بانها قريبة من موضع ابرهيم عليه السلام والاضافة
لفظية لان المعنى الاستقبال ان اهلها كانوا ظالمين تعليل لاهلاكهم اي الظلم قد استمر
فيهم في الايام السالفة وهم عليه مصرون وانما قال ان اهلها ولم يقل انهم تضمينا للتعليل
الاشعار بمنشاء خبث طينتهم وموضع خبث طينتهم ففيه اشارة خفية الى ان المراد من
اهل القرية من نشاء فيها فلا يتناول لوطا ومن لم يتنبه لهذا زعم ان في قولهم الاتي
تخصيصا للاهل بمن عداه قال ان فيها لوطا معارضة للموجب بالمانع وهو كون النبي
بين اظهرهم واما الاعتراض عليهم بان فيها من لم يظلم فلا يناسب حال المعترض لان مبناه
الغفول عن الاشارة التي قدمنا بيانها قالوا نحن اعلم منك بمن فيها لننجينه واهله وليس
هنا خطاب بمعنى حكم شرعي فلا وجه لما قيل فيه تاخير البيان عن الخطاب الا امراته كانت
من الغابرين الباقين في العذاب قال في سورة الحجر قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا
ال لوط انا لمنجوهم اجمعين الا امراته والتوفيق بين القولين بان يقال ان الحكاية قد
تكون على وجه التفصيل والنقل بالعبارة او بمرادفها وقد تكون على وجه الاجمال والنقل
بحاصل المعنى والمذكور ثمة من قبيل الثاني والمذكور هنا من قبيل الاول ثم اخبر عن مصير
الملائكة الى لوط عليه السلام بعد مفارقتهم ابرهيم عليه السلام بقوله ولما ان جاءت
رسلنا لوطا سيء بهم ساءه مجيئهم وان صلة اكدت وجود الفعلين مترتبا احدهما
على الاخر كانهما وجدا في جزء واحد من الزمان كانه قيل كما احس بمجيئهم فاجأته المساءة
من غير ريث خيفة عليهم من قومه ان يتناولوهم بالفجور وضاق بهم ذرعا وضاق
بشانهم وبتدبير امرهم ذرعه اي طاقته وقد جعلوا ضيق الذرع والذراع عبارة
عن فقد الطاقة كما قالوا رحب الذراع اذا كان مطيقا له والاصل فيه ان الرجل اذا طالت
ذراعه نال ما لا يناله قصير الذراع فصار ذلك مثلا في العجز والقدرة وهو منصوب على
التمييز وقالوا عطف على محذوف متفرع على ما تقدم تقديره فكشفوا الحال وقالوا وذلك
لما راوا فيه اثر الضجرة قالوا [illegible] لا تخف الخوف انزعاج النفس بتوقع الضرر ولا تحزن
لا على تمكنهم منا لا اندفاع الخوف والحزن من تلك الجهة باعلامهم انهم رسل الله بل على نفسه
واهله لما علم ان نزولهم لحادثة عظيمة فقولهم انا منجوك تعليل لنفي الخوف والحزن و اهلك
نصب باضمار فعل لان موضع الكاف جر على المختار او بالعطف على محلها باعتبار الاصل
الا امراتك كانت اي في علم الله من الغابرين الباقين في الهلاك انا منزلون على اهل هذه

القرية رجزا من السماء عذابا منها سمي بذلك لانه يقلق المعذب من قولهم ارتجز اذا ارتجس
اي اضطرب فاستعمل لما يضطرب منه النفس بما كانوا يفسقون بسبب استمرارهم على تجدد
الفسق في كل حين ولقد تركنا منها من القرية اية بينة هي اثارها الخربة وقيل الحجارة
الممطورة وقيل الماء الاسود على وجه الارض لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في الاستبصار
والاعتبار وهو متعلق بتركنا او ببينة والى مدين وارسلنا الى مدين اخاهم شعيبا فقال
يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الاخر الامر بالرجاء امر بسببه فيقتضيه ولا يجوز فيه
ان يكون الرجاء بمعنى الخوف واليوم مجاز فيه عما فيه من الثواب او العقاب ولا تعثوا في
الارض مفسدين قد سبق تفسيره فكذبوه فاخذتهم الرجفة هي زعزعة الارض تحت القدم
وفي سورة الحجر فاخذتهم الصيحة اي صيحة جبرئيل عليه السلام وهي سبب الرجفة فاصبحوا
في دارهم في ديارهم على ما ذكر في سورة هود فاكتفى هنا بالواحد لامن اللبس جاثمين
البارك على ركبته مستقبلا بوجه الارض اي ميتين على هذه الحال وعادا وثمود منصوبان
بفعل دل عليه ما قبله مثل اهلكنا وقرئ ثمود غير منصرف على تاويل القبيلة وقد تبين لكم
ذلك يعني ما وصفه من اهلاكهم من مساكنهم من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم
بها وكانوا اهل مكة يمرون عليها في اسفارهم فيتحرزونها وزين لهم الشيطان اعمالهم
من الكفر والمعاصي فصدهم الصد الصرف عن الخير ولا يقال صده عن الشر ولكن يقال صرفه
عن الشر ولكن يقال منعه منه عن السبيل الصراط المستقيم الذي هداهم اليه الرسل وكانوا
مستبصرين متمكنين من النظر والاستبصار ولكنهم لم يفعلوا او متبينين ان العذاب لاحق
بهم باخبار الرسل لهم ولكنهم لجوا حتى هلكوا وقارون وفرعون وهامان معطوف على
عادا وتقديم قارون لشرف نسبه ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض
وما كانوا سابقين فائتين بل ادركهم امر الله من سبق طالبه اذا فاته فكلا من المذكورين
اخذنا بذنبه عاقبنا بسبب من جهته فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا الحاصب ريح ياتي بالحصباء
هي الحصاء الصغار كقوم لوط ومنهم من اخذته الصيحة كمدين وثمود ومنهم من خسفنا به
الارض كقارون ومنهم من اغرقنا كفرعون وقومه واما قوم نوح عليه السلام فليسوا من المذكورين
الغرق لا يكون الا في الماء بخلاف الخسف ولذلك زاد فيه قوله به الارض وما كان الله ليظلمهم
ليعاملهم معاملة الظالم فيعاقبهم بغير جرم وزيادة كانت لبيان انه ليس من عادته ذلك
ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالتعريض للعذاب مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء يعني
مثل من اشرك بالله الاوثان كمثل العنكبوت التاء فيه كتاء طاغوت يقع على الواحد والجمع
والمذكر والمؤنث اتخذت بيتا اي كمثل العنكبوت فيما تتخذه لنفسها من بيت فان ذلك
البيت لا يدفع عنها الحر والبرد ولا يبقى ما يبقى البيوت فكذلك الاوثان ينفعهم في الدنيا و

والآخرة ولا وجه لما قيل في تفضيل بينها بل ذلك اوهن فان لهذا حقيقة وانتفاعا ما
لانه قضية التشبيه عكس هذا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت من هنا ظهر
ان الغرض تشبيه ما اتخذوه متكلا ومعتمدا في دينهم بما هو مثل عند الناس في الوهن
والضعف لا تشبيه ذواتهم بالعنكبوت لو كانوا يعلمون يرجعون الى علم لعلموا
ان هذا مثلهم وان دينهم اوهن من ذلك ويجوز ان يخرج الكلام بعد تشبيه دينهم ببيت
العنكبوت مخرج الاستعارة فيراد ببيت العنكبوت دين المشركين وعبادة الاوثان
فيكون استعارة مصرحة تمثيلية ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء على اضمار القول
اي قل للكفرة ان الله يعلم وقرئ يدعون بالياء حملا على ما قبله وما استفهامية منصوبة
بيدعون ويعلم معلقة عنها ومن للتبيين او نافية ومن مزيدة وشيء مفعول يدعون
او مصدرية وشيء مصدر او موصولة مفعول ليعلم ومفعول يدعون عائده المحذوف
والكلام على الاولين تجهيل لهم وتوكيد للمثل وعلى الاخرين وعيد لهم وهو العزيز
الحكيم تعليل على المعنيين فان من فرط الغباوة اشراك ما لا يعد شيئا بمن هذا شانه
وان الجماد بالاضافة الى القادر القاهر على كل شيء البالغ في العلم واتقان الفعل
واتقان الغاية كالمعدوم وان من هذا صفته قادر على مجازاتهم وتلك الامثال
يعني المثل المذكور واشباهه نضربها للناس تقريبا لما بعد من افهامهم وما يعقلها لا يعقل
حسنها وفائدتها الا العالمون الواقفون على ان الامثال والتشبيهات انما هي الطريق الى المعاني
المستورة حتى تبرزها وتصورها للافهام خلق الله السموات والارض بالحق يعني
محقا يعني لم يخلقها باطلا بل لحكمة وهي ان تكون مساكن عباده وعبرة للمعتبرين بهم
ودلائل على عظم قدرته كما اشار اليه بقوله ان في ذلك لاية للمؤمنين خصهم بالذكر
لانهم المنتفعون اتل ما اوحي اليك من الكتاب تقربا الى الله بقراءته وتحفظا لالفاظه واستكشافا
لمعانيه فان القارئ المتأمل قد ينكشف له بالتكرار ما لم ينكشف له اول ما قرع سمعه واقم
الصلوة اي دم على اقامتها ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر قد مر تفسيرهما والنهي
مجاز عن المنع روي ان فتى من الانصار كان يصلي مع رسول الله عليه السلام الصلوات
ولا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له عليه السلام فقال ان صلوته ستنهاه و
لم يلبث ان تاب ولذكر الله اكبر اي والصلوة اكبر من غيرها من الطاعات وانما عبر عنها
به ليستقل بالتعليل كانه قال والصلوة اكبر لانها ذكر الله او لذكر الله اياكم برحمته اكبر
من ذكركم اياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون منه ومن ساير الطاعات فيجازيكم احسن المجازاة
ولا تجادلوا اهل الكتاب اصل الجدال شدة الفتل الا بالتي الا بالخصلة التي هي احسن كمعارضة
الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح الا الذين ظلموا منهم بالافراط

في الاعتداء والعناد فلم ينفع فيهم الرفق وقبل هنا ولا تجادلوا الداخلين في الذمة
الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية فجادلوهم بالسيف وقوله
وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم من جنس المجادلة بالاحسن وعن النبي عليه السلام
لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وكتبه ورسله وان كان باطلا
لم تصدقوه وان كان حقا لم تكذبوهم والهنا والهكم اله واحد ونحن له مسلمون
مطيعون له خاصة وفيه تعريض باتخاذهم احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله
وكذلك ومثل ذلك الانزال انزلنا اليك الكتاب مصدقا لكتبهم بان نزل على ما وصف
فيها فالذين اتيناهم الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه تفريع على نزول القران على
ما وصف في كتابهم وانما قال يؤمنون به دون امنوا به لان منهم من لم يؤمن بعد و
من هؤلاء الاشارة الى اهل مكة او الى عامة العرب لا الى من في عهد الرسول من اهل الكتاب
لانهم داخلون فيما تقدم ولا مجال لتخصيصه عن تقدم عهده عليه السلام لان التفريع يأباه
وما يجحد باياتنا مع ظهورها وقيام الحجة عليها ولذلك قال وما يجحد فان الجحد ليس مطلق
الانكار بعد المعرفة الا الكافرون الساترون للحق بعد وضوحه عندهم عنادا وما
كنت تتلو من قبله اي من قبل نزول القران عليك فيفهم منه انه عليه السلام كان قادرا
على التلاوة والخط بعده من كتاب عربيا او سريانيا او فارسيا ولا تخطه بيمينك
فان ظهور هذا الكتاب الجامع لانواع العلوم الشريفة على من لا يقدر على القراءة والخط
خارق للعادة وذكر اليمين زيادة تصوير للمنفي ونفي للتجوز في الاسناد وما فيه من
الاطناب المعنوي لافادة ان الكتابة من اشرف الصناعات فحقها ان تكون باليمين دون
اليسار المخصوصة بخسايس الامور على ما اشار اليه النبي عليه السلام بقوله اليمين للوضوء
واليسار للاستنجاء اذا لتقديره ولو كنت تتلو الكتاب وتخطه اذا لارتاب لشك
المبطلون من اهل الكتاب وقالوا الذي نجده في كتبنا امي لا يقرأ ولا يكتب وليس به وانما
سماهم مبطلين لانهم وجدوه في كتبهم كذلك فغيروه وقيل اي لو كنت ممن يخط ويقرأ
لقالوا لعله تعلم او التقطه من كتب الاقدمين وفيه ان ذلك الارتياب لا يندفع بكونه عليه السلام
اميا فان التعلم من الغير لا يتوقف على القراءة والكتابة بل هو بل القران ايات بينات في
صدور الذين اوتوا العلم مما من خصائص القران كون اياته بينات الاعجاز وكونه محفوظا
في الصدور بخلاف ساير الكتب السماوية فانها لم تكن معجزات في حدود انفسها وما كانت
تقرأ الا من المصاحف وفي قوله الذين اوتوا العلم تشريف لمن فطنه وتنبيه على ان حفظه
حقيقة انما يكون الوقوف على معانيه وما يجحد باياتنا الا الظالمون الا المتوغلون في الظلم
بالمكابرة بعد وضوح دلائل الاعجاز وقالوا عطف على اللازم مما تقدم اي لا يعتدوا واشكك

الايات وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه مثل ناقة صالح وعصى موسى ومائدة
عيسى عليهم السلام قل انما الايات عند الله ينزلها كما يشاء واما ما قيل املكها
فاتيكم بما تقترحونه فلا يناسب المقام اذ الاقتراح كان من الله تعالى منه عليه السلام
وانما انا نذير مبين ليس من شاني الا تبليغ ما امرت به من الانذار والابانة بما
اعطيت من الايات والاقتصار على ذكر الانذار لزيادة التهديد لهم والوعيد
في حقهم والافشانه عليه السلام غير مقصور على ما ذكر بل التبشير ايضا من شانه
اولم يكفهم آية مغنية عما اقترحوه انا انزلنا عليك الكتاب الكامل في جنسه يتلى عليهم
يدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول كما تزول
كل آية بعد كونها ان في ذلك اى في هذه الاية الموجودة في كل مكان وزمان
الى آخر الدهر لرحمة ونعمة عظيمة وذكرى وتذكرة لقوم يؤمنون لمن همه الايمان
دون التعنت قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يصدقني وقد صدقني بالمعجزات
او بتبليغي ما ارسلت به اليكم ونصحي ومقابلتكم اياى بالتكذيب والتعنت
يعلم ما في السموات والارض فهو مطلع على امري وامركم وعالم بحقي وباطلكم
والذين آمنوا بالباطل وهو الذى يعبد من دون الله وكفروا بالله منكم اولئك
هم الخاسرون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان ويستعجلونك بالعذاب بقولهم
امطر علينا حجارة من السماء ولولا اجل مسمى على مقتضى الحكمة لكل عذاب او قوم
لجاءهم العذاب عاجلا وليأتينهم العذاب والاجل المسمى بغتة فجاة وهم لا يشعرونه
بوقت مجيئه فليس وقته بيدهم يستعجلونك بالعذاب اعاده لربط قوله وان
جهنم لمحيطة اريد بجهنم ما يوجبها او نزل الاحاطة المقدرة منزلة المحققة للقطع بوقوعها
وهذا بحسب النظر الجليل واما الذى يقتضيه النظر الدقيق فهو انه تعالى منزه عن النسب
الزمانية فالكمالات كلها واقعة في اوقاتها المعينة بالنظر اليه تعالى فلا تكون في احد
جزئي الكلام بالكافرين اللام للعهد على وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على موجب
الاحاطة او للجنس فيكون استدلالا بحكم الجنس على حكمهم ولا وقف على الكافرين
لان يوم ظرف احاطة النار بهم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت [ارجلهم] كقوله لهم من
فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل وفي ذكر ارجلهم للدلالة على ان تلك الغشية
في حال انتصابهم ويقول الله او بعض الملائكة بامره للجزاء وتقول بالنون ذوقوا
ما كنتم تعملون اى جزاءه يا عبادي الذين آمنوا ان ارضي واسعة اى اذا لم يسهل
لكم العبادة في بلدة ولم يمكن لكم اظهار دينكم فهاجروا الى حيث يتمشى لكم ذلك
والفاء في قوله فاياى فاعبدون جواب شرط محذوف اذ المعنى ان ارضي واسعة

ان لم يخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوا في غيرها ثم حذف الشرط وعوض
من حذفه تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص ثم شجع
المهاجر بقوله كل نفس ذائقة الموت اى واجد مرارته وكربه كما يجد الذائق طعم المذوق
لانها اذا تيقنت بالموت سهل عليها مفارقة وطنها ثم الينا ترجعون بعد الموت للثواب
والعقاب ومن هذا عاقبته ينبغي ان يجتهد في الاستعداد له والذين آمنوا وعملوا
الصالحات لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة غرفا علالي وقرئ لنثوينهم من الثواء
وهو النزول للاقامة وثوى غير متعد فاذا تعدى بزيادة الهمزة لم يتجاوز مفعولا
واحدا والوجه في تعديته الى ضمير المؤمنين والى الغرف اما اجراؤه مجرى لننزلنهم و
نبوئنهم او حذف الجار وايصال الفعل او تشبيه الظرف الموقت بالمبهم تجرى من تحتها
الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين وقرئ فنعم والمخصوص بالمدح محذوف دل عليه
ما قبله ويوقف على العاملين على ان الذين صبروا خبر مبتدا محذوف اى هم الذين
صبروا على اذية المشركين والهجرة للدين الى غير ذلك من المحن والمشاق والوصل اجود
لكون الذين نعتا للعاملين وعلى ربهم يتوكلون ولا يتوكلون في جميع ذلك الا
على الله وكاين من دابة لا تحمل رزقها لا تطيق حمله لضعفها او لا تدخره وانما
يصبح ولا معيشة عندها الله يرزقها واياكم ثم انها مع ضعفها وتوكلها واياكم مع قوتكم
واجتهادكم في الكسب سواء في انه لا يرزقها واياكم الا الله فانه لو لم يقدركم ولم يقدر
لكم اسباب الكسب لكنتم اعجز من اضعف الدواب فلا تخافوا على معاشكم بالهجرة روى
روى لما امروا بالهجرة قال بعضهم كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت وهو
السميع لقولكم نخشى الفقر والضيعة العليم بما في ضمائركم ولئن سالتهم من خلق السموات
والارض وسخر الشمس والقمر المسؤل اهل مكة ليقولن الله اى هم مقرون بذلك ولا
يخفى ضعف التمسك بوجوب انتهاء الممكنات الى واحد واجب الوجود في هذا المطلب
فانى يؤفكون يصرفون عن توحيده مع اقرارهم بهذا كله الله يبسط الرزق
يوسعه لمن يشاء من عباده ويقدر يقال قدر الرزق وقتره اذا ضيقه له اى لمن يشاء
فوضع الضمير موضع من يشاء لانه مبهم غير معين فكان الضمير مبهما مثله وليس المراد
من الموسع له والمضيق عليه واحدا باعتبار الوقتين اذ ح حق قوله ويقدر ان يقدر
باداة التعاقب ان الله بكل شئ عليم يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم ولئن سالتهم
من نزل من السماء ماء فاحيى به الارض بعد موتها ليقولن الله معترفين بذلك فكيف يشركون
به ما لا يقدر على شئ اصلا قل الحمد لله على هذه النعمة العظمى فان الماء مادة حيوة كل شئ
بل اكثرهم لا يعقلون فلا يعلمون ما يقولون وما فيه من الدلالة على بطلان الشرك وصحة

التوحيد وكلمة بل اضراب عن جهلهم الخاص في الاتيان بما هو حجة عليهم يعني انهم سلبوا العقل فلا يبعد عنهم مثله وقوله قل الحمد لله معترض وياتي في سورة لقمان تفسير هذه الاية بوجه آخر وما هذه الحيوة الدنيا اشارة تحقير كيف وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة الا لهو ولعب اي ما هي لسرعة زوالها وعدم النفع ومالها الا كما يلهى ويلعب به الصبيان ويجتمعون اليه ويبتهجون به ساعة واللهو ما يتلذذ به الانسان فيلهيه ساعة ثم ينقضي وان الدار الاخرة لهي الحيوان اي هي دار الحيوة الحقيقية لعدم جريان الموت عليها او كانها في ذاتها حيوة اذ ليس فيها الا حيوة مستمرة دايمة والحيوان مصدر حيي وقياسه حييان فقلبت الياء الثانية واوا ولم يقل لهي الحيوة لما في بناء فعلان من الحركة والاضطراب والحيوة حركة والموت سكون فمجيئه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة في معنى الحيوة ويوقف على الحيوان لان التقدير لو كانوا يعلمون حقيقة الدارين لما اختاروا اللهو الفاني على الحيوان الباقي ولو وصل لصار وصف الحيوان مطلقا بشرط علمهم ذلك وليس كذلك فاذا ركبوا في الفلك متصل بما دل عليه ما قبله من شرح حالهم بطريق الاثبات وليس هنا محذوف اي هم على ما وصفوا به من الشركة والعناد فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله على تلك الحالة مخلصين له الدين حقيقة حيث لا يدعون معه غيره بعلمهم بانه لا يكشف الشدايد الا هو وهذا التوافق بين العلم والعمل حقيقة الاخلاص لا صورة وانما ساق الكلام في تقبيح حالهم وكمال القبح في انقلابهم عن الاخلاص الى الشرك بغتة فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون فاجاؤا المعاودة الى الشرك ليكفروا بما اتيناهم اللام فيه لام كي وكذا في وليتمتعوا على قراءة الكسر اي يعودون الى شركهم ليكونوا بالعود اليه كافرين بنعمة النجاة متمتعين باجتماعهم على عبادة الاصنام وتوادهم عليها والتلذذ لا غير على خلاف عادة المخلصين من المؤمنين فانهم يشكرون نعمته تعالى اذا انجاهم ويجعلون نعمة النجاة ذريعة الى ازدياد الطاعة لا الى التمتع والتلذذ وعلى هذا لا وقف على يشركون ومن جعله لام الامر مثبتا بقراءة السكون على وجه التهديد كقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر يقف عليه فسوف يعلمون سوء تدبيرهم عند تدميرهم اولم يروا اي اهل مكة انا جعلنا بلدهم حرما ممنوعا مصونا عن النهب والتعدي امنا يامن داخله سواء كان من اهله او من غيرهم عن القتل والسبي ويتخطف الناس من حولهم يختلسون قتلا وسبيا اذ كانت العرب حوله في تغاور وتناهب افبالباطل بعد هذه النعمة المكشوفة وغيرها مما لا يقدر عليه الا الله بالصنم او الشيطان يؤمنون وبنعمة الله يكفرون حيث اشركوا به غيره وتقديم الصلتين لمحافظة الفاصلة والاختصاص على طريق المبالغة ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا جعل له شريكا قايلين ما نعبدهم الا

ليقربونا الى الله زلفى وهذا القول منهم باعتبار ان التقرب لا يكون الا بالطاعة بامتثال في معنى القول بان تلك العبادة طاعة امروا بها وهذا افتراء منهم على الله تعالى ثم ان الافتراء نفسه وان كان لا يخلو عن كذب لكن المفتري قد يكون صادقا والمفتري هنا وهو كون عبادة الاصنام طاعة لما كان كذبا زاد قوله كذبا زيادة تقبيح حالهم او كذب بالحق يعني الرسول او الكتاب وفي لما جاءه تسفيه لهم حيث لم يتوقفوا ولم يتاملوا قط حين جاءهم بل سارعوا الى التكذيب اول ما سمعوه اليس في جهنم مثوى للكافرين تقرير لثوائهم فيها اي لا يثوون فيها وقد افتروا مثل هذا الافتراء على الله وكذبوا بالحق هذا التكذيب او الم يصح عندهم ان في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا مثل هذه الجراءة والذين جاهدوا فينا اطلق المجاهدة ليتناول كل ما يجب مجاهدته من الاعادي الظاهرة والباطنة بانواعها فينا في حقنا ومن اجلنا ولوجهنا خالصا لنهدينهم سبلنا لنزيدنهم هداية الى سبل الخير وتوفيقا لسلوكها كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وان الله لمع المحسنين بالنصرة والمعونة في الدنيا وبالثواب والمغفرة في العقبى والله اعلم

الم غلبت الروم في القراءة المشهورة على البناء للمفعول وسيغلبون على البناء للفاعل وقرئ على العكس واضافة غلبهم في الاول الى المفعول وفي الثانية الى الفاعل في ادنى الارض ارض العرب لانها الارض المعهودة عندهم اي في ادنى الارض العرب منهم او ارضهم اي ادنى ارضهم من العرب منهم وادنى ارضهم من العرب واللام بدل من الاضافة وقيل ادنى ارضهم الى عدوهم اما الدلالة على الاضافة فظاهرة من ذكرهم واما النهاية فلحديث المغلوبية وعن مجاهد هي ارض الجزيرة وهي ادنى ارض الروم الى فارس وقيل اذرعات وبصرى وهي ادنى ارض الشام وهم من بعد غلبهم وقرئ بسكون اللام فالغلب والغلب مصدران كالحلب والحلب سيغلبون في بضع سنين البضع ما بين الثلثة الى العشرة وفي المجمل ما بين الواحد الى التسعة روي انه لما بلغ مكة خبر غلبة فارس الروم فرح المشركون وشمتوا بالمسلمين فقالوا انتم والنصارى اهل الكتاب ونحن وفارس اميون فقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن عليكم فنزلت وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عند راس سبع سنين وقيل كان النصر يوم بدر للفريقين والمعنى على القراءة الثانية ان الروم غلبوا على ريف الشام وسيغلبهم المسلمون في بضع سنين وقد

غلبهم المسلمون في بضع سنين وقد غلبهم المسلمون في السنة التاسعة وفتحوا بعض بلادهم
لله الامر من قبل ومن بعد اي من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين و
من بعد على الجر من غير تقدير مضاف كأنه قيل قبلا وبعدا اي اولا وآخرا ويومئذ ظرف
معمول ليفرح والتنوين فيه للعوض من الجملة المحذوفة اي ويوم ان يغلب الروم فارس
يفرح المؤمنون بنصر الله وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له لما فيه من انقلاب التفاؤل
وغيظ من شمت بهم من كفار مكة او لما ظهر من صدق المؤمنين فيما اخبروا به المشركين
وقيل وافق ذلك يوم بدر وفي هذا اليوم نصر المؤمنون ينصر من يشاء فينصر هؤلاء
تارة وهؤلاء اخرى وهو العزيز الرحيم ينتقم من عباده تارة بالنصر عليهم ويتفضل
عليهم اخرى بنصرهم اياهم وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان ما تقدمه في معنى
وعد كقولك علي الف درهم عرفا لان معناه اعترف لك بها اعترافا لا يخلف الله وعده
اعتراض ولكن اكثر الناس لا يعلمون وعده او صحة وعده لبلوغهم في الجهل غايته حتى
يستحقوا ان يقال فيهم لا يعلمون مطلقا يعلمون بدل من لا يعلمون وفي هذا الابدال
مع انه من لطائف علم البديع اشعار بان سلب العلم الذي هو الجهل لا ينافي وجود
العلم بظاهر امور الدنيا بل هو هي لا فرق بينهما ظاهرا من الحيوة الدنيا فيه اشارة
الى ان للحيوة الدنيا ظاهرا وهو ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم بملاذها
وجمع اسبابها وضبطها وباطنا وهو ما يعرفه العقلاء من الاعتبار بها وبسرعة
انقضائها وكون محلها متجرا للاولياء ومجازا للآخرة يجب ان نتزود منها بالتقوى والطاعة
وتنكير ظاهرا يفيد انهم لا يعلمون الا ظاهرا واحدا من ظواهرها وهو التمتع منها
بالاكل والشرب كالبهائم لا جملتها فان من ظواهرها معرفة خواصها والاستدلال بها على
صانعها وكيفية الانتفاع بها لصلاح الدارين فعيبه ذم لهم بالجهل بليغ للاول وهم عن
الآخرة التي هي غايتها والمقصودة منها هم غافلون لا يخطر ببالهم وهم الثانية تكرير
للاولى او مبتدأ وخبره غافلون والجملة خبر للاولى وعلى كلا الوجهين في توسيطه وتكريره
اشعار بانهم معدن الغفلة عن الآخرة ومنتهاها متمادون فيها بالغون النهاية كأنهم لا
غافل غيرهم اولم يتفكروا كلمة استبطاء ومعناها هلا يتفكروا ولم اخروا التفكر والواو
للعطف على محذوف تقديره الم يلتفتوا ولم يتفكروا وقوله في انفسهم يجوز ان يكون
ظرفا وان يكون صلة للتفكر ومعنى تقييد التفكر على الاول مع انه لا يكون الا في النفس
زيادة تصوير لحال المتفكرين وتقرير كقولك كتبته بيميني كأنه قيل ولم يحدثوا التفكر
في انفسهم العاطلة الفارغة عن التفكر والتأمل وعلى الثاني معناه اولم يتفكروا في
انفسهم التي هي اقرب الاشياء اليهم وما فيها من عجائب الصنع وبدائع الحكم التي اودعها

الله تعالى فيها ادنى انتقالها في السن الى الشيخوخة والضعف وضرورة فنائها ما
خلق الله السموات والارض وما بينهما متعلق بيعلم او قول محذوف دل الكلام عليه
فيعلموا ويقولوا هذا القول الا بالحق حال اي الا ملتبسة بالحق اي بالحكمة البالغة والعدل
والصواب واجل مسمى اي وبتقدير اجل مسمى يعني ما خلقها باطلا ولا لتبقى خالدة وان
كثيرا من الناس بلقاء ربهم اي لقاء جزائه عند الاجل المسمى والبعث لكافرون منكرون
اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم تقرير لسيرهم في البلاد
ونظرهم الى آثار المدمرين من عاد وثمود وغيرهم من الامم العاتية المترتبة على ذلك
السير ثم وصف حالهم فقال كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وقلبوا وجهها
لزرع البذور واستنباط المياه واستخراج المعادن وغيرها وعمروها بالاهتمام في
امر البناء والغرس اكثر مما عمروها من عمارة اهل مكة اياها وفيه تهكم بهم لانهم اهل
واد غير ذي زرع لا عمارة لهم ولا حرث وهم مفتخرون بالدنيا مفتخرون بها مع
انهم اضعف حالا فيها اذ مدار امرها على التبسط في البلاد والتسلط على العباد و
التصرف في الاقطار بانواع الآثار وجاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او
الآيات الواضحات فما كان الله ليظلمهم فما صح له ان يظلمهم لان حاله تعالى ينافي
الظلم كناية عن عدم كون تدميرهم واستيصالهم ظلما ولكن كانوا انفسهم يظلمون
حيث اجترؤا على ما اوجب تدميرهم من الكفر والتكذيب والمعاصي ثم كان عاقبة الذين
اساؤا السوأى اي عوقبوا في الدنيا بالتدمير ثم كان عاقبتهم العقوبة التي هي اسوء
العقوبات وهي جهنم التي اعدت للكافرين فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ان الموجب
للعقوبة السوأى اساءتهم المفرطة والسوأى تأنيث الاسوء وهو الاقبح كما ان الحسنى
تأنيث الاحسن او مصدر كالبشرى نعت بها للمبالغة ان كذبوا بآيات الله علة اي لان
كذبوا او بدل من السوأى او عطف بيان له او خبر كان والسوأى مصدر اساؤا او
مفعوله اي اقترفوا الخطيئة السوأى والتهويل في ان يكون كذبوا تفسيرا وان هي المفسرة
بمعنى اي لان الاساءة اذا كانت مفسرة بالتكذيب والاستهزاء كانت في معنى القول نحو
نادى وكتب وما اشبههما ويجوز ان يكون معنى اساؤا السوأى اقترفوا الخطيئة
التي هي اسوء الخطايا وان كذبوا عطف بيان لها وخبر كان محذوف كما يحذف جواب
لو ولما للارادة الابهام اي ما لا يدخل تحت الوصف وقرئ عاقبة بالنصب على ان الاسم
السوأى وان كذبوا على الوجوه المذكورة وكانوا بها يستهزؤن عدل عن صيغة الماضي
وزاد عبارة كان للدلالة على الاستمرار التجددي في امر الاستهزاء المتضمن للتكذيب
والوقف على رؤس الفاصلة الله يبدؤا الخلق ينشئهم ثم يعيده يبعثهم ثم اليه

ترجعون للجزاء والالتفات للاستحضار والتنبيه على انه المقصود وقرئ بالياء على الاصل
ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون يسكتون متحيرين آيسين يقال ناظرته فابلس اذا
سكت وايس من ان يحتج ومنه ناقة مبلاس اذا لم يكن لها رغاء وقرئ بفتح اللام من ابلسه
اذا اسكته ولم يكن لهم من شركائهم كافرين يكفرون بالهتهم حين يئسوا منهم وانما جئ
بلم يكن وكانوا على لفظ الماضي لتحقق وقوعه وقيل كانوا في الدنيا بسببهم كافرين وزيادة
كان للمحافظة على الفاصلة ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون في الاحوال والمآل على ما
بعدها والضمير للخلق او ضمير يرجعون واعادة يوم تقوم الساعة للتهويل فاما الذين
امنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة الفاء للتفصيل والروضة البستان وكل ارض
ذات نبات وماء تسمى روضة وتنكيرها للتفخيم بالابهام اى في روضة لا يعرف قدرها
في علو شانها يحبرون يسرون من حبر اذا سره سرورا تهلل له وجهه فاما الذين
كفروا وكذبوا باياتنا فاولئك في العذاب محضرون مقيمون لا يغيبون عنه وفي بناء
الاحضار دلالة على الكره وانهم مجبرون على الحضور في العذاب واما يحبرون فلا دلالة
على انه سرور فوق ما بالطبع والعادة فلا بد من سار يسرهم بانواع المسار التى لم يكن
للانسان مثلها في الدنيا فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون لما ذكر الوعد والوعيد
واتبعه بما يتعين طريقا للخلاص عن الدركات الى الوصول الى الدرجات كانه قيل اذا
صح ووضح عاقبة المعرضين عن عبادته وطاعته والمقبلين اليها فسبحوا الله
تسبيحا دائما وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون اى تمسون فيه وتصبحون فيه
وله الحمد في السموات والارض للشواهد الناطقة فيهما باستحقاقه الحمد ممن له تميز باهلها
ووجوبه عليهم وعشيا وانما عدل هنا عن سنن نظايره لانه لم يجئ منه الفعل
لا يقال اعشى كما يقال امسى واصبح واظهر وحين تظهرون امر في صورة الاخبار وكونه
الحمد بتنزيه الله تعالى والثناء عليه في هذه الاوقات التى تظهر فيها آيات قدرته وتجدد
فيها نعمه وانما خص التسبيح بطرفي النهار لان آثار القدرة فيهما اظهر والحمد بالعشى و
الاظهار لان تجدد النعم فيهما اكثر وابين والعشى آخر النهار من عشى العين اذا نقص
نورها والظهيرة وسطه ويجوز ان يكون عشيا معطوفا على حين تمسون وقوله وله
الحمد في السموات والارض اعتراضا وقيل المراد بالتسبيح والتحميد في الاوقات المعينة
الصلوة وعن ابن عباس رضى ان الآية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلوتا المغرب
والعشاء وتصبحون صلوة الفجر وعشيا صلوة العصر وتظهرون صلوة الظهر ولا يلزم
منه ان يكون الآية مدنية لان الخمس فرضت بمكة يدل عليه حديث المعراج دلالة بينة
يخرج الحي من الميت كالطير من البيضة والحيوان من النطفة والميت من الحي بالعكس و

يحيي الارض باخراج النبات منها بعد موتها بيبسها وكذلك ومثل ذلك الاخراج تخرجون
من القبور بالبعث فانه تعقيب الموت بالحيوة واخراج الحي من الميت والمراد ان الابداء
والاعادة متساويان بالنسبة الى قدرة القادر وفي الاخراج والاحياء المذكورين
دليل قاطع على البعث ومن اياته ان خلقكم من تراب لان اصلهم منه ثم اذا انتم بشر
تنتشرون ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين في الارض ومن آياته ان خلق لكم من
انفسكم ازواجا لان حواء خلقت من ضلع آدم وسائر النساء خلقن من نطف الرجال
او لانهن من جنسهم لا من جنس آخر لتسكنوا اليها لتميلوا اليها يقال سكن اليه اذا مال
اليه ومنه السكن وهو الالف المسكون اليه وذلك ان الالف انما يكون بين المتناسبين
لان الجنسية علة الضم والاختلاف سبب التنافر وجعل بينكم بين الرجال والنساء
مودة ورحمة التوادد والتراحم بعصمة الزواج بعد ان لم يكن بينهما سابقة معرفة ولا
قرابة توجب ذلك لينتظم امر النسب والتربية والارث او بين افراد الجنس لابتناء
امر المعاش على التعاون المحوج الى التوادد والتراحم ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون
فيعلمون ما في ذلك من الحكم والمصالح ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف
السنتكم لغاتكم من العربية والعجمية وغير ذلك من لغات كل صنف واهل كل اقليم
وبينهم والوانكم اشكالكم وهيئاتكم من تخاطط الاعضاء والصور فانه لا يكاد تتفق
اثنان في الشكل والهيئة وعليه يبتني التعارف المحتاج اليه في ضبط النظام ان في ذلك
لايات حيث ولدوا من اب واحد وهم على الكثرة التى لا يعلمها الا الله متفاوتون
للعالمين لكل من له عقل من اهل العالم وقرئ بالكسر ويرجحها قوله تعالى وما يعقلها الا العالمون
ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ظاهر الآية يدل على المنام في الليل و
النهار وابتغاء الفضل فيهما وهو معنى صحيح فان المنام في النهر الصيفية الطويلة هي
القيلولة المستحبة في السنة لاستراحة القوى النفسانية وانتعاش القوى الطبيعية وكذا
ابتغاء الفضل في الليالي الطويلة الشتوية من المباحات لقصر النهر وقصورها عن حاجات
الناس ويجوز ان يكون منامكم بالليل والنهار من باب اللف وترتيبه منامكم وابتغاؤكم
من فضله بالليل والنهار اى منامكم بالليل وابتغاؤكم من فضله بالنهار ففصل بين
المتعاطفين بالزمانين اشعارا بان كل واحد من الزمانين وان اختص باحدهما فهو
صالح للآخر عند الحاجة ويؤيده هذا الاختصاص تكرر هذا المعنى في القرآن ان في ذلك
لايات لقوم يسمعون يدركون المحسوس لما كان المشار اليه من جنس ما يدرك بالسمع هذه
وبالسماع من الغير كما في وصف الاعمى والثاني لضعف الطريقين عبر به عن ادراكه اعماله
للدلالة وهذا من لطايف الاعتبار وقلما يتنبه له الا من له الاعتبار ومن آياته يريكم البرق

من آياته خبر مبتدأ محذوف اي من آياته ما يذكر او ما يتلى عليكم ثم قيل يريكم البرق بيانا
لذلك او يريكم مبتدأ على حذف ان ورفع الفعل كقوله الا ايها الزاجري احضر الوغى و
تنزيل الفعل منزلة المصدر المرفوع اي ومن آياته اراءتكم البرق كقوله تسمع بالمعيدي
خير من ان تراه او صفة لمحذوف تقديره آية يريكم بها البرق كقوله فما الدهر الا تارتان
فمنهما اموت واخرى ابتغي العيش اكدح اي تارة اموت فيها خوفا من الصاعقة وطمعا
في الغيث وقيل خوفا للمسافر وطمعا للحاضر ونصبهما على المفعول له وانما جاز مع
انهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل لان الاراءة متضمنة للرؤية او على حذف المضاف
واقامة المضاف اليه مقامه اي ارادة خوف وطمع او تاويل الخوف والطمع بالاخافة
والاطماع كقولك فعلته رغما للشيطان او على الحال اي خائفين وطامعين وينزل
من السماء ماء فيحيي به الارض بالنبات بعد موتها بيبسها وقد سبق وجه الفاء
التعقيبية بين الانزال والاحياء في تفسير سورة النحل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون
يستعملون عقولهم في استنباط اسبابها وكيفية تكونها ليظهر لهم كمال قدرة الصانع
وحكمته ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره اي بقوله كونا قائمتين والمراد به
تعلق ارادته بقيامهما في حيزهما المعينين من غير مقيم محسوس شبهنا في قيامهما على
وفق ارادته بمأمور مطيع امتثل امر مطاع بلا توان وتعبير للمبالغة في كمال قدرته
ونفاذ امره وعدم تخلف المراد عن ارادته وكذا في قوله ثم اذا دعاكم دعوة من الارض
اذا انتم تخرجون شبه الموتى بالمامور لتصور ترتب خروجهم على دعائه من غير توقف
عطف على ان تقوم على تاويل مفرد كانه قال ومن آياته قيامهما ثم خروجكم من الارض بسرعة
اذا دعاكم دعوة فيقول ايها الموتى اخرجوا وثم مستفاد لبعد هذه الحالة من قيام السموات
والارض بامره ومن خروج الموتى كلهم من الارض دفعة عند قوله قوموا واذا الاولى
شرطية والثانية للمفاجاة وهي تقوم مقام الفاء في جواب الشرط ومن الارض متعلق بدعاكم
لا بتخرجون لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبله وله من في السموات والارض قد سبق ما
يتعلق بمن في مثل هذا المقام كل له قانتون منقادون لوجود افعاله فيهم لا يمتنعون عليه
وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده بعد هلاكهم وهو اي الاعادة وتذكيره لمطابقة
اهون او على تاويل ان يعيده عليه اي اسهل عليه من الانشاء بالنسبة الى عقولكم والقياس
الى اصولكم والا فجميع الممكنات بالنسبة الى قدرته سواء والاعادة في نفسها عظيمة
ولكنها هونت بالقياس الى الانشاء وانما قدمت الصلة في قوله علي هو هين لقصد الاختصاص
ولا وجه له ههنا فلذلك اخرت وقيل الضمير في عليه للخلق اي الاعادة اهون على الخلق لانه
وجود دفعي على التمام واما الانشاء فهو وجود متدرج من النقصان الى الكمال فعليه

فيه شدة ومشقة وله المثل الاعلى في السموات والارض الوصف العجيب الشان الذي ليس لغيره
ما يساويه او يدانيه كالقدرة الكاملة والحكمة البالغة يصفه به ما في السموات والارض دلالة
ونطقا وهو العزيز القوي القادر المطلق على ابداء كل ممكن واعادته لا يعجزه شيء ولا
يمتنع عليه الحكيم الذي يجري سبحانه افعاله على مقتضى حكمته ضرب لكم مثلا في التوحيد من
انفسكم اي منتزعا من اقرب شيء اليكم وهي انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من مماليككم
من شركاء فيما رزقناكم في اموالكم التي رزقناكموها اي هل ترضون لانفسكم ان يشارككم
عبيدكم فيما رزقناكم من الاموال وغيرها وهي بشر مثلكم وانتم عبيد مثلهم فانتم فيه سواء
فتكونون انتم وهم سواء في التصرف فيها من غير فرق ومن الاولى للابتداء والثانية للتبعيض
والثالثة مزيدة لتاكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي لانه للانكار تخافونهم ان يستبدوا بالتصرف
فيها كخيفتكم انفسكم كما يخاف بعض الاحرار بعضا اذا شاركه في ميراث او مال مشترك ان
يجوزه دونه او يستقل بتدبيره والتصرف ويخافون ان يستبدوا بتصرف دونهم
بعض الاحرار بعضا فاذا لم ترضوا بذلك لانفسكم وانتم وعبيدكم سواسية في البشرية
فكيف ترضون لرب الارباب ومالك الاحرار والعبيد ان يكون بعض عبيده له شركاء
كذلك اي مثل التفصيل نفصل الآيات نبينها فان التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها تصويرا
وتمثيلا لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في تدبر الامثال بل اضطراب عن تنبيه المشركين
وهداهم واثبات ان هداهم لا يجدي عليهم شيئا اتبع التفاوت من الخطاب الى الغيبة
للاعراض والمتاركة الذين ظلموا بالشرك لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم اهواءهم بغير
علم حال انما قيده به لان العالم اذا ركب الهوى فربما يردعه علمه واما الجاهل فيهيم كالبهيمة
لا يرده شيء فمن يهدي من اضل الله فمن يقدر ان يهدي من اضل الله وخذله والفاء
للسببية والاستفهام للانكار اي اذا اتبع الظالمون اهواءهم جاهلين لا وازع لهم
فلا يقدر احد ان يهديهم وما لهم من ناصرين يخلصونهم من ضلالتهم ويمنعونهم من
تبعاتها الذين ظلموا ومن اضل الله موضوعان موضع الضمير والاول للتسجيل عليهم بالظلم
والتعليل لاتباع الهوى والثاني للتعليل لامتناع قبولهم الهدى فاقم وجهك للدين
تمثيل للاقبال عليه والاستقامة اليه بحال من قصد شيئا غير ملتفت عن سمته يمينا وشمالا
اي قوم وجهك له وعدله غير منحرف عنه اصلا وكناية عن كمال الاهتمام فان من اهتم
بالشيء غاية الاهتمام عقد طرفه عليه وسدد نظره اليه وقوم له وجهه مقبلا عليه بكليته
والفاء للسببية اي اذا لم ينجع هدايتك فيهم فاقم وجهك للدين واتركهم حنيفا حال من فيه
اقم او من الدين فطرة الله نصب على الاغراء اي الزموا فطرة الله او عليكم فطرة الله
والاضمار على خطاب الجماعة لقوله منيبين اليه فانه حال من ضمير العامل المقدر وقوله

واتقوه واقيموا ولا تكونوا فانه عطف على المقدر واضافة الفطرة الى الله وتوصيفها بقوله
التي فطر الناس عليها للاختصاص والتعظيم وانه لا ينبغي ان تبدل اذ نفي ولا يقدر احد
ان يغيرها حسما لاطماع المشركين وحكما بان توحيده ذاتي لا يمكن تغييره وبينه للتاكيد
والتقرير بقوله لا تبديل لخلق الله ففيه دلالة على ان المراد من الفطرة الخلقة اي الحالة التي
جبلوا عليها من قبولهم للتوحيد ودين الاسلام وتمكنهم من ادراكه بحيث لو خلوا وما
جبلوا عليه لما اختاروا عليه دينا اخر وشهدت عقولهم الفطرية ومن غوى
منهم فباغواء شياطين الانس والجن وقد افصح عن هذا قوله عليه السلام كل عبادي
خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وامروهم ان يشركوا بي غيري وقوله
عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه وينصرانه
ويجوز ان يراد بالفطرة ملة الاسلام فيكون معنى لا تبديل لا ينبغي ان يبدل وانما
وحد الخطاب اولا ثم جمع لان خطاب الرسول خطاب لامته فافرد تعظيما للامام
ثم جمع لان خطابه للبيان وان الدين له بالاصالة ولهم بالتبعية ذلك اشارة الى الدين
المامور باقامة الوجه له الدين القيم المستوي الذي لا عوج فيه ولكن اكثر الناس
لا يعلمون استقامته لعدم تدبرهم منيبين اليه اي راجعين الى الله بامالكم ومقبلين
عليه باعمالكم من اناب اذا رجع مرة بعد اخرى والمراد من التكرار المبالغة في الرجوع
الى الرضى والانقطاع عن الهوى او تضمين التنبيه على قبول التوبة كرة بعد اولى و
قيل الانابة الانقطاع الى الله تعالى بالطاعة واصله على هذا القطع ومنه الباب لانه
قاطع واتقوه واقيموا الصلوة خصها بالذكر لانها عماد الدين ولا تكونوا من المشركين
ممن يشرك به غيره في العبادة وفيه نهي عن الريا في الصلوة شرك خفي من الذين بدل
من المشركين فارقوا دينهم تركوا دين الاسلام وانما عبر تركهم بالمفارقة لما عرفت
انهم جبلوا على قبوله اياه وقرئ فرقوا دينهم اي جعلوه اديانا مختلفة لاختلاف
اهوائهم وكانوا شيعا يشايع كل فرقة امامها اصلها والشيع الفرق التي يجمع كل
فريق منها على مذهب خلاف مذهب الفريق الآخر كل حزب بما لديهم فرحون مسرورون
يحسبون انه الحق والجملة في محل النصب صفة شيعا او كل حزب مبتدأ خبره من الذين
فارقوا منقطعا عما قبله وفرحون صفة كل واذا مس الناس ضر شدة دعوا ربهم
منيبين اليه راجعين اليه من دعاء غيره ثم اذا اذاقهم منه من ذلك الضر رحمة
خلاصا اذا فريق منهم بربهم يشركون فاجاء فريق منهم بالاشراك وتاثرهما
في الغاية يشركون لا بربهم الذي عافاهم وفي عبارة ثم ولفظ اذاقهم اشارة الى انهم
مع امتداد ايام شدتهم وتاثرهما في الغاية يشركون كما يظهر طليعة الخلاص منها

ليكفروا بما اتيناهم اللام مجاز للعاقبة وقيل هو بمعنى التهديد فتمتعوا على الاول للتهديد
كقوله اعملوا ما شئتم والفاء للسببية على تقدير شرط محذوف اي اذا امرتم على الشرك
وتماديتم في الكفر فتمتعوا وعلى الثاني عطف على ليكفروا والالتفات من الخطاب الى الغيبة
للمبالغة في التهديد فسوف تعلمون وبال تمتعكم ام انزلنا ام بمعنى بل والهمزة بل
للاضراب عن الكلام السابق والهمزة للاستفهام عن الحجة استفهام انكار وتوبيخ عليهم
سلطانا التنكير للتعظيم وفائدته الدلالة على ان ما ينزل في مثل هذا الامر حقه ان
يكون برهان عظيم الشان واضح الدلالة ولهذا عبر عن دلالته الواضحة بالنطق
في قوله فهو يتكلم واتى بالتفريع دون التوصيف بما كانوا به يشركون بالامر الذي
بسببه يشركون به تعالى في الوهيته واذا اذقنا الناس رحمة نعمة وصحة وسعة
فرحوا بها بطروا بسببها وان تصبهم سيئة شدة بما قدمت ايديهم اي بشوم
معاصيهم اذا هم يقنطون قنطوا من الرحمة بالكلية وانما جيء بصيغة المضارعة
على حكاية الحال الماضية استحضارا لها واستفظاعا للقنوط وتنبيها على ان ذلك ديدنهم
ماضيا ومستقبلا واذا المفاجاة جواب الشرط نائب عن الفاء لتآخيهما في التعقيب
ثم انكر عليهم بطرهم وقنوطهم بانهم قد علموا ان الله هو القابض الباسط فما
لهم لا يشكرونه على نعمته ولا يرجعون اليه تائبين من معصيته كالمؤمنين حتى
يعيد عليهم رحمته ويبسط عليهم نعمته وهذا ما ذكره بقوله اولم يروا ان الله
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر عبادة واشارة ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون
فيستدلون به على كمال القدرة والحكمة بما وبخهم على البطر والقنوط وعلق البنية
بارتكاب المعاصي والذنوب حثهم على ما يجب عليهم واوعدها ارتكاب ما حرم
وحرضهم على ما يجب ان يفعل في حال النعمة ولذلك جاء بالفاء السببية وقال فآت
ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل اذ افترض حق الاخيرين بالنصيب المسمى لهما
من الزكوة وجب ان يفترض حق الاول بالنفقة الواجبة لئلا يلزم استعمال لفظ
الامر للوجوب والندب معا في استعمال واحد ولهذا احتج ابو حنيفة بهذه الآية
في وجوب النفقة للمحارم اذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب وخص الشافعي
وجوبها بالوالدين والاولاد وقاس سائر القرابات على ابن العم اذ لا ولاد
بينهم ذلك خير للذين يريدون وجه الله اي يقصدون بمعروفهم اياه خالصا و
اولئك هم المفلحون حيث حصلوا بما بسط لهم من زخارف الدنيا النعيم المقيم في
العقبى وما اتيتم من ربا زيادة محرمة في المعاملة وقرئ بالقصر اي ما جئتم به
من اعطاء ربا ليربوا في اموال الناس ليزيدوا ويزكون في اموالهم فلا يربوا

عند الله ولا يبارك فيه وقرئ لتربوا اى لتزيدوا او لتصيروا ذا ربوا وقيل هو
من ربو الحلال اى وما تعطونه من الهدية لتأخذوا اكثر منها فلا يربوا عند الله
لانكم لم تريدوا بذلك وجه الله وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله تبتغون
به وجهه خالصا فاولئك هم المضعفون المضعف ذو الضعف كالمقوى والموسر
بمعنى ذى القوة وذى اليسار وقرئ بفتح العين والراجع منه محذوف ان كانت
ما موصولة تقديره المضعفون به او فمؤتوه اولئك هم المضعفون ذووا الاضعاف
من الثواب والذين ضعفوا اموالهم ببركة الزكوة وفيه التفات حسن للتعظيم
كانه قال للملائكة وخواص خلقه تعريفا لحالهم فاولئك الذين يريدون وجه الله
بصدقاتهم هم المضعفون فهو امدح لهم من ان يقول وانتم المضعفون وتغيير
العبارة والنظم من سنن المقابلة للمبالغة فى التعميم او المدح اى من فعل ذلك فاولئك
هم المضعفون فيكون اثباتا برهانيا الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم
يحييكم هل لكم من شركائكم من يفعل ذلكم من شئ الله مبتدأ الذى خلقكم خبره
او صفته والخبر هل من شركائكم والرابط للجملة بالمبتدأ ذلكم لان معناه من
افعاله ومن الاولى والثانية تفيدان شيوع الحكم فى جنسى الشركاء والافعال
والثالثة لاستغراق النفى وكل منها مستقلة بتأكيد مقرر لتعجيز الشركاء وتجهيل عبدتها
فان معنى الاستفهام الانكارى مستلزم للنفى على سبيل التأكيد اثبت الله تعالى هذه
الافعال التى هى من لوازم الالوهية وخواصها ونفاها عن شركائهم من الاصنام و
غيرها لما دل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج من ذلك تنزهه
ان يكون له شركاء سبحانه وتعالى عما يشركون قيل لم يجيبوا عما سئل عنه عجزا قال
استبعادا سبحانه ظهر الفساد فى البر والبحر مثل الموتان فى الناس والدواب والجدب
والقحط وكثرة الحرق والغرق وقلة الزرع والنسل وخيبة الصيادين والغاصة
وخسران التجارة واحتباس الامطار ومحق البركات وشمول الآفات بما كسبت ايدى
الناس بشؤم معاصيهم وذنوبهم وقيل ظهر الفساد فى البر بقتل ابن آدم اخاه
وفى البحر بان جلندى كان يأخذ كل سفينة غصبا وعن الحسن ان المراد بالبحر المدن
والقرى التى على شاطيه ليذيقهم بعض الذى عملوا اى وباله فى الدنيا فان جزاءه
الموعود فى الآخرة ولما كان ما فى الدنيا موجب شأنه ما عملوا ومقتضى شأن ذلك العمل
نزل منزلته واللام للعلة استعيرت هنا لترتب المسبب لعلهم يرجعون لارادة الرجوع
عما هم عليه قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل امرهم بالسير
فى الارض والنظر فى آثار من اهلك الله تعالى من الامم قبلهم بسبب كفرهم ومعاصيهم

يشاهدوا مصداق ذلك ويتحققوا صدقه كان اكثرهم مشركين استيناف للدلالة على
ان منهم من اهلكهم بسبب سائر المعاصى ولم يكن الشرك وحده سبب تدميرهم كلهم
فاقم وجهك للدين القيم البليغ الاستقامة الذى لا يتأتى فيه عوج يعنى قد بلغ الانذار
مبلغه فلا يهمنك اعراض هؤلاء واقصد انت الطريق الذى يوصلك الى الطريق
المستقيم وهو ما تقدم ذكره فطرة الله التى فطر الناس عليها ذلك الدين القيم من
قبل ان يأتى يوم لا مرد له من الله يوم لا يقدر ان يرده احد او يأتى يوم لا رد له من
جهة الله اى لا يرده الله لتعلق ارادته القديمة بمجيئه يومئذ يصدعون اى يتفرقون
تفرق الاشخاص على ما ورد فى قوله تعالى يوم يكون الناس كالفراش المبثوث لا تفرق
الفريقين كما ظنه من قال فريق فى الجنة وفريق فى السعير فان المبالغة فى التفرق المستفاد
من يصدعون انما يناسب الاول ثم استأنف لبيان شأنهم فى تلك الحالة فكأنه يقول
لكل امرئ يومئذ شأن يغنيه من كفر فعليه كفره وبال كفره مبالغة فى احاطة جميع
المضار به لان المضرة الكفر ووباله غاية فى المضار لا وراء لها وهى احاطة النار به
ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون اى يسوون منزلا فى الجنة لا انهم ولا اجلب للراحة
منه وهو تمثيل لحالهم بحال من يمهد فراشه ويوطئه لنفسه فى غاية النعومة كيلا يصيبه فى
مرقده ما ينغص عليه من ادنى خشونة وتقديم الظرف فى الموضعين للاختصاص وصيغة
الافراد فى الكافر للدلالة على انفراده فى زمان عذابه تشديدا له فان الوحشة نقمة اخرى
وصيغة الجمع فى المؤمن للدلالة على ان لهم نعمة الانس زيادة على ثوابهم الجزيل وفى مقابلة
من كفر من عمل صالحا تنبيه على ان العمل الصالح من روادف الايمان لا يوجد مع الكفر ولما
كان العمل الصالح كناية عن الايمان لم يبق قسم آخر مجهول الحال ليجزى الذين آمنوا وعملوا
الصالحات من فضله مما يتفضل به عليهم لان الثواب من الفضل والعقاب من العدل
يصدعون والاقتصار على جزاء المؤمنين للاشعار بانه المقصود بالذات والاكتفاء
من جزاء الكافرين بفحوى قوله انه لا يحب الكافرين وتوصيف المؤمنين بالعمل الصالح ليس
للتخصيص بل للتنبيه على ان الايمان الكامل يستتبع العمل الصالح او يمهدون والموصول
مع صلته من باب وضع الظاهر موضع المضمر والتصريح بالتكرير للمدح والاشعار بانه هو
الموجب للكرامة واستحقاق الفضل والترغيب فى الايمان والصلاح وكذا انه لا يحب الكافرين
بعد قوله من كفر فعليه كفره فانه تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس اى تقرير الاول بالثانى
وبالعكس وذلك ان قوله ليجزى الذين الخ يدل بمنطوقه على اختصاصهم بالجزاء التكريمى وبمفهومه
على انهم اهل الولاية والزلفى وقوله انه لا يحب الكافرين لتعليل الاختصاص يدل بمنطوقه
على ان عدم المحبة اقتضى حرمانهم وبمفهومه على ان مقتضى الجزاء لاضدادهم موفر فعكس

المؤمنين ومن آياته أي ومن آيات قدرته وحكمته أن يرسل الرياح هي الجنوب والشمال
والصبا وهي رياح الرحمة وأما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه السلام اللهم اجعلها
رياحا ولا تجعلها ريحا وذلك لأن العرب تقول لا تلقح السحاب إلا من رياح مختلفة يريد اجعلها
لقاحا للسحاب ولا تجعلها عذابا وتحقيق ذلك مجيء الجمع في آيات الرحمة والواحد في قصص العذاب
وقرئ الريح على إرادة الجنس ثم عدد الغايات في إرسالها فقال مبشرات أي أرسلها للبشارة
في الغيث وليذيقكم من رحمته ولإذاقة الرحمة وهي نزول المطر وحصول الخصب الذي يتبعه
والروح الذي مع هبوب الريح وزكاء الأرض وغير ذلك عطف على علة أو على شيء محذوف
دل عليها مبشرات أو عليها باعتبار المعنى لأنه في معنى التعليل كأنه قيل ليبشركم وليذيقكم أو
متعلق بمحذوف دل عليه أن يرسل تقديره وليذيقكم وليكون كذا وكذا أرسلناها ولتجري
الفلك عند هبوبها بأمره ولتبتغوا من فضله بتجارة البحر ولعلكم تشكرون ولتشكروا نعمة الله
فيها ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم فجاؤوا بالبينات كما وتسط بين دلائل التوحيد
تسلية للرسول عليه السلام ووعدا اختصر الكلام بإدراج ذكر الغير بين في ذكر طرفي الانتقام
والنصر تنبيها بالمقصود وقصرا لطريقه والمعنى فجاؤوهم بالبينات فمنهم من آمن ومنهم من كفر
فانتقمنا في الدنيا من الذين أجرموا أي كفروا بالتدمير وكان حقا علينا نصر المؤمنين إشعار
بأن الانتقام من المجرمين كان لأجلهم وتعظيم لهم وإظهار لكرامتهم عند الله بأن جعلهم
مستحقين على الله بنصرهم ومستوجبين لأن نظهرهم على عدوهم ولذلك قدم الخبر على
الاسم اعتناء بهم وتحقيقه بنصرهم عليه وقد يوقف على حقا على أن اسم كان ضمير الانتقام
ويبتدأ علينا نصر المؤمنين اكتفاء من معنى الحق بعلينا الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا
فيبسطه في السماء أي يجعله تارة في الجو كيف يشاء سائرا وواقفا مطبقا وغير مطبق من جانب
دون جانب إلى غير ذلك ويجعله كسفا قطعا تارة أخرى وقرئ بالسكون على أنه مخفف أو
جمع كسفة أو مصدر وصف به والمراد بالسماء العلو وسمتها فترى الودق المطر يخرج في
التارتين من خلاله وسطه فإذا أصاب بالودق من يشاء من عباده يريد إصابة بلادهم
وأراضيهم إذا هم يستبشرون لمجيء الخصب وإن كانوا إن هي المخففة من الثقيلة واللام في
لمبلسين هي الفارقة بينها وبين النافية من قبل أن ينزل عليهم المطر من قبله تكرير للتأكيد
كقوله فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها والدلالة على بعد عهدهم بالمطر واستحكام
يأسهم وتمادي إبلاسهم ليفيد مبالغة في استبشارهم فإن الفرح بنزول المطر على قدر
اغتمامهم بانقطاعه ويقع به معنى التأكيد واللام في لمبلسين أي آيسين متحيرين من
النعم منقبضين وكذلك معنى التسبيب في فانظر إلى آثار رحمة الله من النبات والأشجار
وأنواع الثمار وغير ذلك أي إذا كان كل الاستبشار في نزوله وحل الغم في احتباسه فانظر

إلى آثار رحمة الله كيف هو واعتبره والضمير في فانظر لكل مخاطب كيف يحيي الأرض بعد موتها
إن ذلك لمحيي الموتى أي إن ذلك لمحيي الموتى أي إن ذلك القادر الذي يحيي الأرض بعد موتها
هو الذي يحيي الناس بعد موتهم فهذا استدلال بإحياء الموات على إحياء الأموات وفي
إن واللام تأكيد وتقوية للدليل في مقابلة إنكارهم ثم قدره ووفاه بقوله وهو على كل
شيء قدير لأن نسبة قدرته إلى جميع الممكنات على السواء ولئن أرسلنا ريحا فرأوه أي فرأوا
أثر رحمة الله لأن الرحمة الغيث وأثره النبات مصفرا يابسا حالا لأنه إذا يبس اصفر
وقيل للسحاب لأنه إذا كان مصفرا لم يمطر واللام موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط وقوله
لظلوا من بعده يكفرون جوابه ستر مسد جزاء الشرط ولذلك فسر بالمستقبل أي ليظلن من
بعد اصفراره يكفرون جوابه نحو وهذه الآيات ناعية على الكفار قلة تثبتهم وسرعة تزلزلهم
لعدم تدبرهم وسوء رأيهم فإن النظر السوي يقتضي أن يتوكلوا على الله في الأحوال كلها و
لا يضطربوا فيشكروا ربهم عند النعمة والرخاء ويصبروا عند الضيق والبلاء ولا يكفروا نعمه
في الشدة والأداء ويرضوا بما جرى من القضاء فيفوزوا في الدارين بالنعماء والفاء في
فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء للسببية أي إذا كفروا ولم تنبهوا بهذه الآيات
الواضحات ولم يسمعوه فهم موتى أو صم عمي فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم ولا تهدي
العمي وتقييد الحكم بقوله إذا ولوا مدبرين للمبالغة في غفلتهم وتماديهم في جهلهم وعدم
سماع الدعوة وإن لم يسمع فإذا كان مقبلا فربما يفطن بالإشارات والحركات وأما إذا
كان مدبرا فلا إمكان لسماعه وفهمه وما أنت بهادي العمي إنما عدل عنها عن صيغة الفعل
إلى صيغة الفاعل لأنه لم يرد نفي الهداية أصلا فإن الهداية في الجملة ممكن للأعمى بل أراد نفي
الهداية التامة ولذلك ضمنها معنى الإذهاب وقال عن الضلالة يقال هداه عن الضلالة أي
أبعده عنها بالهدى وعن قرئ وما أنت تهدي العمي فقد اكتفي بما في قوله عن الضلالة من
الدلالة على المراد والله الهادي إلى الرشاد وإن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فإن إيمانهم
يدعوهم إلى سماع اللفظ وتدبر المعنى فهم منقادون لما يأمرهم به فهم مسلمون منقادون لأوامر
الله تعالى الله الذي خلقكم من ضعف ابتدأكم منه وجعل أساس أمركم وما عليه بنيتكم الضعف
كقوله خلق الإنسان من عجل وذلك حال الطفولة والصبى وقرئ ضعف بالفتح والضم وهما
لغتان كالفقر والفقر والثاني أقوى قراءة لما روي أن ابن عمر رض قال قرأتها على رسول الله
عليه السلام من ضعف فأقرأني من ضعف بالضم ثم جعل من بعد ضعف قوة وهو حال الشبيبة
من أوان البلوغ إلى زمان الكهولة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة ثم ردكم إلى الضعف
والشيخوخة وزيادة قوله وشيبة للتنبيه على أن المراد التبدل بحسب السن فغيه دفع
لذهاب وهمهم إلى أن يراد بالجعل الأول الخلق من النطفة ومن الثاني نفخ الروح في البدن

والتنكير مع التكرير لان المتاخر غير المتقدم يخلق ما يشاء من ضعف وقوة وشيبة
وشيبة وهو العليم القدير فان هذه الانتقالات في الاحوال المختلفة دالة على انه تعالى
يخلق على مقتضى المشية والعلم والقدرة لان التغيير من صورة الى صورة والتزيد من حالة
الى حالة مع امكان خلاف ذلك دليل على الارادة المبنية على العلم والحكمة المفضية الى القدرة
ويوم تقوم الساعة القيمة من الاسماء الغالبة كالنجم للثريا والكوكب للزهرة سميت
بها لانها تقوم في اخر ساعة من الدنيا وقيل لانها تقع بغتة كما تقول لمن تستعجل في ساعة يقسم
المجرمون يحلفون كاذبين ما لبثوا في الدنيا او في القبور او فيما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع
عذابهم وفي الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث اربعون وهو يحتمل الساعات والايام
والاعوام غير ساعة الظاهر من القسم ان ما ذكروه على زعمهم لنسيانهم لانهم استقلوا
مدة لبثهم اضافة الى مدة عذابهم لان ذلك الفعل منهم قبل الدخول في زمان عذاب الآخرة
والوقوف على مدتها فلا وجه للاضافة اليها كذلك مثل ذلك الصرف عند الصدق الى الكذب و
يقولون ما هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وقال الذين اوتوا العلم والايمان من
الملك والانس والجن لقد لبثتم في كتاب الله فيما كتبه واوجبه لكم على ان في للتعليل كما في
قوله عليه السلام ان امرأة دخلت النار في هرة حبستها الى يوم البعث ردوا ما قالوه و
حلفوا عليه واطلعوهم على الحقيقة ثم وصلوا ذلك بتقريعهم على انكار البعث بقوله فهذا
يوم البعث اي فقد تبين بطلان قولكم والفاء فصيحة دخلت جواب شرط محذوف تقديره
ان كنتم منكرين البعث فهذا يومه ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق لتفريطكم في النظر فيومئذ
لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم وقرئ بالياء لان المعذرة بمعنى العذر ولان تانيثها غير
حقيقي وقد فصل بينهما ولا هم يستعتبون الاستعتاب الاسترضاء يقال استعتبني فلان
فاعتبته اي ازلت عتبه وارضيته والمعنى لا يطلب منهم ان يستعتبوا ربهم بالتوبة والطاعة
كما طلب منهم في الدنيا ولا يقال لكم استرضوا ربكم ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل
مثل ولقد بينا كل امر من امور الدين والتوحيد واحوال الآخرة في هذا القرآن بالتمثيل او
وصفنا لهم كل صفة هي في التبيين والغرابة كالمثل لصفة المبعوثين واحوالهم ومقاولتهم
وعدم فائدة معذرتهم وتوبتهم واستعتابهم ولئن جئتهم باية ليقولن الذين كفروا ان
انتم الا مبطلون ولكن لقسوة قلوبهم واحتجابها بمرض فانهم لئن جئتهم باية عظيمة
لشبهوك ومن معك من المؤمنين الى التزوير والابطال والذين كفروا موضوع موضع الضمير
للتصريح بكفرهم ذما وبيان ان كفرهم هو الموجب للعناد والانكار ونسبة المحق الى التزوير
والابطال كذلك مثل ذلك الطبع العظيم يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون من باب
اجراء المتعدي مجرى اللازم اي الذين لا علم لهم ولا يطلبونه ويجترون على معتقداتهم

الباطلة حتى طبع على قلوبهم وران بسبب الجهل المركب المانع من ادراك الحق ومعرفة المحق
والفاء في فاصبر للسببية على تقدير شرط اي اذا علمت انهم جهال مطبوع على قلوبهم فاصبر
على اذاهم ان وعد الله بنصرتك واظهار دينك على الدين كله حق لا بد من انجازه ولا يستخفنك
الذين لا يوقنون ولا يحملنك على الخفة والقلق قول هؤلاء الجهلة فانهم قوم شاكون ضالون
لا يستبدع منهم ذلك وقرئ لا يستخفنك اي لا يزيغوك فيكونوا احق بك من المؤمنين

الم تلك ايات الكتاب الحكيم سبق بيانه في سورة يونس هدى ورحمة حالان من الايات
والعامل فيهما ما في تلك من معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر او خبر مبتدا محذوف للمحسنين
الجامعين بين العلم والعمل وقوله الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة
هم يوقنون بيانه كما قال الالمعي الذي يظن بك الظن كان قد راى وقد سمعا او الذين يعملون
الحسنات كلها وخصص لفائبين بهذه الثلث بالذكر لانافتها وفضل الاعتداد بها وتكرير
الضمير للتاكيد ولما حيل بينه وبين خبره اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون سبق
تفسيره في سورة البقرة ومن الناس من يشتري لهو الحديث نزلت في النضر بن الحارث
وكان يشتري اخبار الاكاسرة من فارس ويقول ان محمدا يقص طرفا من قصة عاد وثمود
فانا احدثكم طرفا من احاديث رستم واسفنديار فيميلون الى حديثه ويتركون استماع
القرآن وقيل كان يشتري القينات ويحملهن على معاشرة من اراد الاسلام ومنعه عنه
يشغله باللهو واللهو كل باطل الهى عن الخير وعما يعني ولهو الحديث نحو السمر بالاساطير التي
لا اصل لها والغناء والاشتراء من الشراء كما روي عن النضر او من قوله اشتروا الكفر بالايمان
اي استبدلوه منه واختاروه عليه والاضافة بمعنى من وهي تبيينية سواء اراد بالحديث
المنكر او الاعم منه تم على الثاني بمعنى التبعيض باعتبار ان بينهما عموما وخصوصا من وجه
ولكن لا يكون من مقتضى الاضافة ليضل عن سبيل الله اي عن دينه او عن قراءة القرآن
وقرئ ليضل بفتح الياء ليثبت على الضلال عن الدين ويزيد فيه بغير علم بحال ما يشتريه او
بالتجارة حيث استبدل الباطل بالحق والضلالة بالهدى حال من ضمير يشتري اي جاهلا
والضمير في ويتخذها للسبيل لانها مؤنثة هزوا سخرية وقرئ يتخذ بالنصب عطف
على ليضل اولئك لهم عذاب مهين لاهانتهم الحق باستئثار الباطل عليه واذا تتلى عليه
اياتنا ولى مستكبرا متكبرا لا يعبا بها كان لم يسمعها مشبها حاله في عدم التفاته اليها حال من
لم يسمعها كان في اذنيه وقرا ثقلا لا يقدر ان يسمع كان مخففة من الثقيلة اسمها ضمير

الشان محذوف فاصلها كانه لم يسمعها جملة وقعت حالا من ضمير ولّى او ضمير مستكبرا وكان
بدل منها او حال من ضمير لم يسمع فيها حالان متداخلتان ويجوز ان يكونا جملتين
مستانفتين فبشره بعذاب اليم تهكم بهم والمعنى اعلمه ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم جنات النعيم جنة من الجنان الثمانية كالماوى والعدن وقد سبق التفصيل فى سورة
البقرة عن جنة واحدة من بالجنات للمبالغة خالدين فيها حال من الضمير فى لهم او من جنات
والعامل ما تعلق به اللام من معنى الاستقرار وعد الله حقا مصدران مؤكدان الاول
لنفسه لان قوله لهم جنات النعيم فى معنى وعدهم الله جنات النعيم فى معنى وعدكم والثانى
لغيره لان معناه الصدق والثبات وليس كل وعد كذلك وهو العزيز القوى الذى لا يغلبه
احد فيمنعه عن انجاز وعده وانفاذ وعيده الحكيم يفعل ما يفعل بمقتضى الحكمة خلق السموات
بغير عمد ترونها قد سبق فى تفسير سورة الرعد والقى فى الارض رواسى جبالا شوامخ
ان تميد بكم لئلا تضطرب بكم قيل تشابه اجزائها يقتضى تبدل احيازها واوضاعها وفيه
نظر اذ لم يثبت دليل على تشابه اجزائها بل الظاهر خلافه وبث ونشر فيها من كل دابة وانزلنا
فيه التفات فى محل البلاغة لان انشاء هذه الامور العظام خاصة ما يتم صيرورتهم من انزال
الماء وانبات اصناف النبات موضع للتنبيه والايقاظ للعبادة والشكر على النعمة والاعراض
عن الشرك من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم صنف كثير المنفعة استدل بما ذكر
من الاشياء الدالة على كمال قدرته وحكمته على الوهية وتوحيده واستحقاقه للعبودية ثم
بكتهم بقوله هذا خلق الله فارونى ماذا خلق الذين من دونه اى ماذا خلقته الهتكم حتى
استوجبوا عندكم العبادة ماذا نصب بخلق او ما مرتفع بالابتداء وخبره ذا بصلته
واورونى معلق عنه ثم اضرب عن تبكيتهم والتهكم بهم الى التسجيل عليهم بالظلم والتورط
فى ضلال ليس بعده ضلال فقال بل الظالمون فى ضلال مبين ووضع الظاهر موضع المضمر
للدلالة على انهم ظالمون باشراكهم ولقد آتينا لقمان الحكمة الجمهور على انه كان حكيما
ولم يكن نبيا والحكمة هى الكمال العلمى مع العملى اى العلم بحقايق الاشياء على ما هى عليه
والملكة التامة على الافعال الفاضلة ان اشكر لله ان هى المفسرة المقتضية للعمل الصالح والشكر
المفسر لان ايتاء الحكمة فى معنى القول وانما فسر الله الحكمة بالشكر تنبيها على ان الحكمة
المفيدة بها هى المقتضية للعمل الصالح والشكر لله والعبادة ومن يشكر فانما يشكر لنفسه
لان نفعه عائد اليها وهو دوام النعمة واستحقاق مزيدها ومن كفر جحد فجزاؤه
وهو فانما يكفر على نفسه اى ضرر كفره لا يتعدى عنها لا نفرها بقرينة قرينه واقيم
مقامه تعليل وهو قوله فان الله غنى عن الشكر لا ينتفع بوجوده ولا ينضر
بعدمه حميد بذاته حقيق بان يحمد وان لم يحمده احد او محمود نطق بحمده جميع

مخلوق فانه بلسان الحال وهو انطق من لسان المقال واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه
يا بنى تصغير اشفاق لا تشرك بالله قيل كان كافرا فلم يزل به حتى اسلم ومن وقف
على لا تشرك جعل بالله قسما ان الشرك لظلم عظيم لانه تسوية بين من لا نعمة الا منه اصلا
ووصينا الانسان بوالديه الى قوله تعملون ايتان معترضتان فى اثناء وصية لقمان لابنه
تاكيدا لما فيها من النهى عن الشرك وذكر الوالدين استطرادا كانه قال ووصينا بمثل ما وصى
به من ان الوالدين وصينا بتعظيمهما وبرهما وطاعتهما وجعلنا مما تلو البادى فى وجوب
الشكر والطاعة لهما ان امرا بالشرك لم يجز طاعتهما وتقليدهما فيه مع وجوب مصاحبتهما
فى الدنيا بالمعروف فما ظنك بغيرهما حملته امه كما وصى بالوالدين اكد الوصية فى حق
الام خصوصا بذكر مصاحبتها الحمل والفصال وما يكابده من المشاق والمتاعب فيهما
فاعترض بين المفسر والمفسر تذكيرا بحقها العظيم مفردا ولذلك قال النبى عليه السلام
لمن قال له من ابر امك ثم امك ثم قال بعد الثلثة ثم اباك وهنا حال وهو فى الاصل نصب على
المصدر من فعل وقع حالا اى تهن وهنا او ذات وهن على وهن اى تضعف ضعفا
فوق ضعف اى ضعفا متزايدا لان الحمل كلما ازداد مدته ازداد ثقلا فازداد ضعفا
فوق ضعف وفصاله فى عامين وفطامه فى انقضاء عامين وكانت ترضعه فى تلك المدة
وتوقيت الفصال بالعامين بيان ان هذه المدة اقصى غاية الرضاع ان اشكر لى ولوالديك
تفسير لوصينا والجملتان معترضتان بين المفسر والمفسر او بدل من والديه بدل الاشتمال
الى المصير هو ترغيب وترهيب وان جاهداك على ان تشرك بى ما ليس لك به علم اى
باستحقاق للاشراك وقيل اراد بنفى العلم نفى المعلوم اى ان تشرك بى ما ليس بشئ
كقوله ما تدعون من دونه من شئ فلا تطعهما فى ذلك وصاحبهما فى الدنيا معروفا
صفة مصدر محذوف اى صحابا معروفا او مصاحبا معروفا بخلق حسن وبر واحتمال
وصلة وحلم وغير ذلك مما ترتضيه الشرع ويقتضيه الكرم والمروة واتبع سبيل من
اناب الى اى سبيل المؤمنين فى دينك ولا تتبع سبيلهما فيه ثم الى مرجعكم اى مرجعك
ومرجعهما فانبئكم بما كنتم تعملون فاجازيك على ايمانك واجازيهما على كفرهما روى
انها نزلت فى سعد بن ابى وقاص رض وامه وفى القصة انها مكثت لا سلامه ثلثا لا تطعم
ولا تشرب حتى شجروا فاها ولذلك قيل من اناب اليه تعالى ابو بكر رض فانه اسلم بدعوته
يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل اى ان كانت الخصلة من الاساءة والاحسان ان
تك مثلا فى الصغر كحبة الخردل والمثقال مقدار يساوى غيره فى الوزن وقرئ مثقال
بالرفع على ان الضمير للقصة وكان تامة وتانيث المثقال لاضافته الى الحبة او لان المراد
به الحسنة او السيئة فتكن فى صخرة او فى السموات او فى الارض فى اخفى موضع واحرزه

في صخرة او على مكان كمحدب سماء من السموات او اسفله كمقعر الارض وقرئ فتكن بكسر الكاف من وكن الطائر يكن اذا استقر في وكنه اي عشه يأت بها الله يحضرها الله يوم القيمة فيحاسب بها عاملها ان الله لطيف ينفذ علمه في البواطن فيصل الى كل خفي خبير بكنهه وعن قتادة لطيف باستخراجها خبير بمستقرها يا بني اقم الصلوة تكميلا لنفسك وامر بالمعروف وانه عن المنكر تكميلا لغيرك واصبر على ما اصابك من الشدائد لا سيما في ذلك ان ذلك اشارة الى الصبر والى كل ما كلف به من عزم الامور مما عزمه الله تعالى من الامور اي قطعه قطع ايجاب والزام مصدر اطلق للمفعول ويجوز ان يكون بمعنى الفاعل من قوله فاذا عزم الامر اي جد والمعنى من عادات الامور ولا تصعر خدك ولا تلو صفحة وجهك كما يفعله المتكبرون من الصعر وهو داء يصيب البعير فيلوي عنقه منه للناس اي لاجلهم لم يقل عن الناس لان المنهي ما يكون لتصغير الناس وتحقيرهم لا الميل عنهم مطلقا فانه اذا كان لامر آخر لا يكون منهيا ولا تمش في الارض مرحا مصدر في موضع الحال بمعنى مرحا او مصدر محذوف الفعل اي يمرح مرحا او مفعول له اي للمرح يعني لاجل النظر والبطالة لا لغرض صحيح ديني او دنيوي ان الله لا يحب كل مختال فخور علة للنهي وتاخير الفخور وهو في مقابلة المقدم من المنهيين وكذا الاتيان بصيغة المبالغة لتوافق رؤس الاي وانما لم يقل فخورا حتى يكون المحبة مسلوبة عن كل منهما اصالة للتنبيه على ان الدخل في الجملة في عدم محبوبيته تعالى كاف في الانتهاء عنه ومن هنا ظهر الوجه للعدول عن اثبات البغض الى سلب المحبة ثم ان النفي داخل على اداة السور لفظا وهي داخلة عليه معنى اي لا يحب واحدا منهم والاختيال مشية المتكبر والفخر ذكر المناقب للتطاول بها على السامع واقصد في مشيك واعدل فيه اي توسط بين الاسراع والدبيب يعني لا تثب وثوب الشطار ولا تدب دبيب المتماوتين قال النبي عليه السلام يذهب بهاء المؤمن واما قول عائشة رضي الله عنها كان اذا مشى سرع فانما ارادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت وقرئ بقطع الهمزة من اقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك وانقص منه واقصر ويجوز ان يكون الغض في الصوت مستعارا من غض البصر فانه غض ان انكر الاصوات اوحشها لصوت الحمير الحمار ونهاقه مثل في الذم البليغ ولذلك تكني عنه فيقال الطويل الاذنين وفي الاية ذم بليغ للرافعين اصواتهم حيث شبهوا بالحمير واصواتهم بالنهاق ثم طرح التشبيه واخرج الكلام مخرج الاستعارة كل ذلك لتهجين رفع الصوت والتنفير عنه والحث على الغض والترغيب فيه وتوحيد الصوت لان المراد جنسه الذي هو مثل في النكر لا افراده الم تروا ان الله سخر لكم لاجلكم ما في السموات ما في جهة العلويات من

الكواكب واوضاعها والسحاب وامطارها بان جعلها اسبابا لمنافعكم وما في الارض اي في الجهة السفلية بان سلطكم عليها ومكنكم من الانتفاع بها بوسط او بغير وسط واسبغ عليكم نعمه ظاهرة محسوسة وباطنة معقولة ومخفية ما لم يدركوه بعقولكم ومن الناس من يجادل في الله في توحيده وصفاته بغير علم مستفاد من دليل ولا هدى راجع الى نبي ولا كتاب منزل بل بتقليد عرف كما صرح به في قوله واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا وفيه منع صريح عن التقليد في الاصول اولو كان الشيطان يدعوهم جواب لو محذوف لدلالة نتبع عليه اي لاتبعوهم والواو للحال والهمزة للانكار والتعجب والضمير لابائهم ولهم اي ويتبعونهم في حال دعاء الشيطان اياهم الى عذاب السعير الى ما يؤدي اليه من الشرك والتقليد ومن يسلم وجهه الى الله من سلم اليه المتاع اذا دفعه اليه ويؤيده القراءة بالتشديد وحيث عدي باللام فلتضمين معنى الاختصاص اي من يجعل ذاته ونفسه سالما خالصا لله تعالى وهو محسن في عمله فقد استمسك بالعروة الوثقى فقد تعلق باوثق ما يتعلق به مثلت حال المتوكل المفوض نفسه الى الله تعالى بحال من اراد ان يتدلى من شاهق فاحتاط لنفسه بان استمسك باوثق عروة من حبل متين مامون الانقطاع وتقديم الى الله للاختصاص اي صائرة الى الله لا الى غيره عاقبة الامور فيجازي عليها ومن كفر فلا يحزنك فلا يهمنك كفره وكيده للاسلام فانه لا يضرك في الدنيا والاخرة وقرئ ولا يحزنك والمستفيض في الاستعمال احزن في الماضي ويحزن للانبا مجردا في المستقبل الينا مرجعهم خاصة فننبئهم بما عملوا فنعاقبهم على اعمالهم ان الله عليم بذات الصدور ان الله يعلم ما في صدور عباده فيجازيهم على حسبه نمتعهم قليلا تمتيعا او زمانا قليلا فان الزائل بالنسبة الى الدائم قليل ثم نضطرهم الى عذاب غليظ استعار الغلظ من الاجرام الغليظة لثقل العذاب عليهم وشبه الزامهم العذاب باضطرار المضطر الى الشيء لا يقدر على الانفكاك منه ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لوضوح البرهان الملجئ الى الاذعان به قل الحمد لله الزامهم على اقرارهم بان الخالق هو الله وحده وانه يجب ان يكون له الحمد وان لا يعبد معه غيره بل اكثرهم لا يعلمون ان اقرارهم يلزمهم وبل اضراب عن دعوتهم لجهلهم وانهم لا ينتبهون بالتنبيه ولا يتفطنون ان قولهم عليهم لله ما في السموات والارض تقرير للتوحيد باختصاص الملك به ودخول الهتهم في ملكه ان الله هو الغني عنهم وعن اسلامهم وحمدهم الحميد المستحق للحمد المحمود منك ومن كل عارف وان يجحدوه ولو ان ما في السموات الارض من شجرة اقلام توحيد شجرة لتفصيل الجنس وبعض كل واحد من جنس الشجرة واستغراق عموم ما اي جميع ما في الارض من شجرة شجرة حتى لا يبقى واحدة

الا كانت قلما والبحر بالرفع عطفا على محل ان ومعمولها ويمده بعده حال او الابتداء على
انه مستانف والواو للحال وبالنصب عطفا على اسم ان او اضمار فعل يفسره يمده اى ولو
ثبت كون اشجار الارض كلها اقلاما وكون البحر ممدودا بسبعة ابحر وعلى الابتداء والواو
للحال اى ولو ان الاشجار اقلام فى حال كون البحر ممدودا واستغنى بالواو عن الضمير لكون
امثال هذه الاحوال جارية مجرى الظروف ويجوز ان يكون اللام بدل الاضافة اى وبحرها
والضمير للارض وقرئ وبحر يمده على التنكير ولا وجه له الا العطف على محل ان واسمها وقرئ
تمده ويمده من مد الدواة وامدها واغنى عن ذكر المداد بقوله يمده ما نفدت كلمات الله
اختار جمع القلة على جمع الكثرة وهى الكلم للاشعار بانها لا تفى بالقليل منها فضلا عن الكثير والتقدير
ولو ان اشجار الارض كلها اقلام والبحر المحيط دواة فجعل البحر بمنزلة الدواة والابحر السبعة
مملوءة مدادا تمدها ابدا وكتبت بها كلمات الله ما نفدت كلمات الله ونفدت الاقلام والمداد
لقوله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى ان الله
عزيز لا يعجزه شئ ولا يخرج عن علمه وحكمته امر ومن كان كذلك لا ينفد كلماته وحكمه
وعن ابن عباس رضى الله عنهما انها نزلت جوابا لليهود لما قالوا قد اوتينا التورية وفيها كل الحكمة
وقيل ان المشركين قالوا ان هذا كلام سينفد وقد خرجوا ان يقولوا لرسول الله عليه السلام الست تتلو فيما انزل عليك انا قد
اوتينا التورية وفيها علم كل شئ واما ما قيل انها نزلت حين سالوه عن قوله وما اوتيتم
الا قليلا ونحا لغة لنزول التورية وفيها علم كل شئ ويرد عليه انه لا يصلح سببا للنزول
اذ ليس فيما نزل تعرض لوجه التوفيق بينهما ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة الا كخلقها
وبعثها لانه لا يشغله شان عن شان فلا يتفاوت عنده القليل والكثير لانه يكفى فى وجود الكل
تعلق ارادته القديمة منضمة الى قدرته الذاتية كما قال انما امرنا لشئ اذا اردناه ان
نقول له كن فيكون ان الله سميع لكل مسموع بصير لكل فلا يشغله ادراك بعضها عن بعض
وكذلك الخلق والبعث الم تر ان الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس
والقمر كل يجرى فى فلكه الى اجل مسمى الى منتهى معين الشمس الى آخر السنة والقمر الى آخر الشهر وقيل الى
يوم القيمة لانه منتهى جريهما ومنقطعه استعمل الجرى ههنا مع حرف الانتهاء وفى فاطر مع
حرف الاختصاص اى يجرى لادراك اجل معين لان بلوغ الجرى الى منتهاها يوافق اختصاص
الجرى بادراك الاجل المعين فى المعنى فكلا المعنيين يتوافقان فى افادة المقصود وان الله
بما تعملون خبير عالم بكنهه ذلك الوصف الذى وصف به من كمال القدرة والحكمة بان الله
بسبب ان الله هو الحق الثابت فى ذاته او الثابت الالوهية وان ما تدعون من دونه الباطل
المنتفى الالوهية والمعدوم فى حد ذاته وان هو العلى الكبير السلطان او المترفع على كل شئ الكبير
عن ان يشرك به شئ الم تر ان الفلك تجرى فى البحر بنعمة الله باحسانه فى تهيئة اسبابه او برحمته

منازل الشمس والقمر

والباء للصلة او الحال وهو استشهاد آخر على باهر قدرته وكمال حكمته وشمول نعمته ليريكم من
آياته اى بعض دلائل قدرته وحكمته ورحمته ان فى ذلك لآيات لكل صبار على المشاق فيتعب نفسه
بالتفكر فى الانفس والآفاق شكور يعرف النعم ويعرف مانحها وهى صفتا المؤمن فان الايمان
نصفان نصف صبر ونصف شكر فكانه قال ان فى ذلك لآيات لكل مؤمن وقيل صبار على بلائه
شكور لنعمائه واذا غشيهم واذا علاهم وغطاهم موج مرتفع متراكم كالظلل جمع الظلة
وهى كل ما اظلك من جبل او سحاب وغيرهما وقرئ كالظلال كقلة وقلال دعوا الله مخلصين له
الدين لزوال ما يخالف الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الخوف الشديد فلما نجاهم
الى البر فمنهم مقتصد ثابت على الطريق القصد الذى هو التوحيد او باق على الاخلاص الحادث
فى البحر وقليل ما هم او متوسط فى الكفر لانزجاره بعض الانزجار وانخفاضه عن غلوائه و
ما يجحد بآياتنا الا كل ختار مبالغ فى الغدر ناقض للعهد الفطرى او لما عاهد الله عليه فى البحر
والختر اشد الغدر كفور بنعمة الله يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما التنكير للتفخيم و
التهويل لا يجزى والد عن ولده لا يقضى عنه وقرئ لا يجزئ اى لا يغنى والجملة صفة يوما و
العائد محذوف اى لا يجزى فيه ولا مولود عطف على والد او مبتدأ خبره هو جاز عن والده
شيئا وتغيير النظم بالعدول عن الجملة الفعلية الى الجملة الاسمية للتوكيد والدلالة على ان الولد
اولى بان لا يجزى شيئا عن والده وحسم اطماع المؤمنين ان ينفعوا اباءهم الكفار فى
الآخرة فانهم كانوا يتوقعون ذلك وللمبالغة فى التاكيد جئ بلفظ هو ومولود دون ولد
لان الولد قد يطلق على ولد الولد بخلاف المولود فانه لا يطلق على ولد الا بالنسبة الى الذى
ولد منه اى لو قصد النفع لمن ولد منه لم يقدر فضلا ان ينفع لاجداده كذا قيل وهينا
على تخصيص الكتاب فى الحكم والظاهر العموم فالوجه ان يقال ان الابن من شانه ان يكون جازيا
عن والده لما عليه من الحقوق والوالد يجزى لما فيه من الشفقة فليس الثانى كالاول ان وعد
الله بالثواب والعقاب حق لا يمكن خلفه فلا تغرنكم الحيوة الدنيا بزينتها فان نعيمها دانية
ولذتها فانية ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان وقرئ بضم الغين فجعل الغرور غارا للمبالغة
او ارادة زينة الدنيا لانها غرور اطلاق الاسم المسبب على السبب ان الله عنده علم الساعة
علم وقت قيامها لما روى ان الحارث بن عمرو اتى النبى عليه السلام وقال متى قيام الساعة و
انى قد القيت حباتى فى الارض فمتى السماء تمطر وحمل امراتى اذكر ام انثى وما اعمل غدا و
اين اموت فنزلت اى محفوظ علمها من جهته تعالى لا يصل اليه غيره فان كون الشئ عنده عبارة
عن كمال حفظه وبهذا الوجه يظهر اختصاص العلم المذكور به وينزل الغيث اى يرسل المطر
النافع بحسب المصالح على التدريج فى اوقات متعددة ويعلم ما فى الارحام اذكر ام انثى
احى ام ميت اتام ام ناقص وما تدرى نفس اية نفس كانت وانما جعل العلم لله تم

والدراية للنفس لما في الدراية من معنى الختل والحيلة والمعنى أنها لا تعرف وإن أعملت حيلها
ماذا تكسب غدا من خير أو شر فربما كانت عازمة على خير فعملت شرا وعازمة على شر
فعملت خيرا وما تدري نفس بأي أرض تموت أي أين تموت وربما أقامت بأرض وضربت
أوتادها وقالت لا أبرحها فترمي بها مرامي القدر حتى تموت في مكان لم يخطر ببالها وقرئ
بأية أرض وشبه سيبويه تأنيثها بتأنيث كل في كلتهن واعلم أن الانطباق على سبب
النزول المذكور والاتفاق بما روي في صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنه مفاتيح الغيب خمسة
لا يعلمها إلا الله تعالى إن الله عنده علم الساعة الآية إنما يكون على تقدير أن يظهر علم
أوقات نزول الغيث وعلم أحوال الحمل به تعالى وذلك بأن يكون تقدير قوله وينزل
الغيث وأن ينزل الغيث عطفا على الساعة يعني عنده علم الساعة وعلم إنزال الغيث فحذف
كقوله ألا أيهذا اللائمي أحضر الوغى والمعنى أن أحضر الوغى وقس على هذا ويعلم ما في الأرحام

إن الله عليم خبير

الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين إن جعل الم علما اسما للسورة فهو مبتدأ
تنزيل الكتاب خبره على أن التنزيل بمعنى المنزل ومن رب العالمين صلة تنزيل وخبر
ثان وإن جعل تعديدا للحروف فتنزيل خبر مبتدأ محذوف ومبتدأ خبره من رب العالمين
ولا ريب فيه اعتراض لا محل له من الإعراب والضمير في فيه راجع إلى مضمون الجملة أي لا ريب
في ذلك يعني في كونه منزلا من رب العالمين أو الخبر لا ريب ومن رب العالمين خبر
ثان أو حال من الضمير في فيه على أنه للتنزيل أو للكتاب أم يقولون افتراه مؤيد
لرجوع الضمير في فيه إلى مضمون الجملة وكذا قوله بل هو الحق من ربك لأن قوله هذا
مفترى إنكار لأن يكون من رب العالمين والهمزة في أم يقولون إنكار لقولهم و
تعجيب منه فيكون الكلام مصدرا بإعجازه وإثبات أنه من رب العالمين مقررا بأنه
لا ريب في ذلك ثم معقبا بالإضراب عن ذلك إلى إنكار قولهم افتراه والتعجيب منه لظهور
أمره في الإعجاز ثم بالإضراب عن ذلك إلى إنكار قولهم الإنكار إلى تقرير المقصود
بعد رد قولهم وإثبات أنه حق من ربك ثم بيان الغرض منه بقوله لتنذر قوما
ما أتاهم من نذير من قبلك لأنهم كانوا أهل الفترة ولا يشكل هذا بقوله وإن من
أمة إلا خلا فيها نذير لأنهم لم يخل عن الوقوف بشريعة ينذرهم وإن لم يأتهم نذير
لعلهم يهتدون ما تذكرهم بالله الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في
ستة أيام ثم استوى على العرش سبق تفسيره في سورة الأعراف ما لكم من دونه

من ولي ولا شفيع ما لكم إذا جاوزتم رضاء الله أحد ينصركم ويشفع لكم أفلا
تتذكرون بمواعظ الله تعالى يدبر الأمر من السماء إلى الأرض يدبر أمر الدنيا بأسباب
سماوية نازلة آثارها إلى الأرض لكل يوم من أيام الله وهي ألف سنة كما قال وإن
يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون ثم يعرج إليه أي يصعد إليه ويكتب عنده في
صحف ملائكته في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون كل وقت من أوقات هذه
المدة ما يرتفع من ذلك الأمر ويدخل تحت الوجود إلى أن يبلغ المدة آخرها ثم يدبر
أيضا ليوم آخر وهلم جرا إلى أن يقوم الساعة وقيل ينزل الوحي مع جبرائيل عليه السلام
من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في زمان وهو في الحقيقة ألف سنة لأن المسافة مسيرة
خمسمائة عام وفيه نظر إذ لا يلزم من قطع المسافة الطويلة في مدة قصيرة أن يكون تلك
المدة طويلة في الحقيقة وذلك ظاهر نعم لو قيل في قوله مقداره يجوز فإن المقدار المذكور
المسافة باعتبار قطعها المعتاد لكان له وجه ذلك عالم الغيب والشهادة فيدبر على وفق علمه
العزيز القوي بإنفاذ أمره الرحيم على العباد في تدبيره على وفق مصالحهم تفضلا وامتنانا
الذي أحسن كل شيء خلقه حسنه على وفق الحكمة والمصلحة موفرا عليه ما يستعده ويليق
به وإن تفاوت إلى حسن وأحسن وخلقه بدل منه كل شيء بدل الاشتمال وقيل علم كيف يخلقه
من قوله قيمة المرء ما يحسنه أي يحسن معرفته وخلقه مفعول ثان وقرئ بفتح اللام فالشيء
على الأول مخصوص بمنفصل وعلى الثاني بمتصل وبدأ خلق الإنسان يعني آدم عليه السلام
من طين ثم جعل نسله من سلالة النسل الذرية سميت به لأنها تنسل منه أي تنفصل
وتخرج من صلبه والسلالة ما تسل من الشيء وتخرج من ماء مهين ضعيف حقير ثم سواه
قومه بتصوير أعضائه على ما ينبغي ونفخ فيه من روحه أضافه إلى نفسه تشريفا وإظهارا
بأن له خلقا عجيبا وأن له شأنا له مناسبة ما إلى الحضرة الربوبية قال عليه السلام من عرف
نفسه فقد عرف ربه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة خصوصا لتسمعوا وتبصروا
وتعقلوا وإنما قدم السمع على البصر لحاسة نظر إلى البصر فإن الكلام على أسلوب الترقي من
الشريف إلى الأشرف فالأشرف قليلا ما تشكرون أي تشكرون شكرا قليلا وقالوا قيل القائل
أبي بن خلف ولا حاجة إلى رضاهم بقوله في الإسناد إليهم بل يكفي وجود القول بينهم
كقوله وإذ قتلتم نفسا أإذا ضللنا بالفتح والكسر في الأرض أي صرنا ترابا مخلوطا بتراب
الأرض بحيث لا نتميز منه أو غبنا فيها وقرئ صللنا من صل اللحم إذا أنتن وقيل صرنا من
جنس الصلة وهي الأرض وقرئ إذا على الخبر والعامل فيه ما دل عليه أئنا لفي خلق جديد
وهو نبعث أو نجدد خلقنا وقرئ إنا على الخبر بل هم بلقاء ربهم كافرون لما ذكر كفرهم
بالبعث أعرض عنه إلى ما هو أبلغ في الكفر بما بعد الموت من الرجوع إلى الله تعالى والجزاء

قل يتوفيكم التوفي استيفاء النفس من قولك توفيت حقي من فلان واستوفيته اذا اخذته
وافيا كاملا اي يقبض نفوسكم بتمامها ملك الموت الذي وكل بكم اي بقبض ارواحكم
عند انتهاء مدد اعماركم وفي عبارة وكل بكم اشارة الى وجه التوفيق بين هذه الآية و
بين قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها وهو فعل الوكيل فعل الموكل ثم الى ربكم ترجعون
للحساب والجزاء ولو ترى الافصح ان يكون الخطاب لكل احد مما يتأتى له الرؤية ولا يقدر
ليرى مفعول لان المعنى لو يكون منك الرؤية في هذا الوقت اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم
من الذل والحياء والندم عند ربهم عند حساب ربهم ويوقف عليهم بحق الحذف اذ
التقدير قائلين ربنا ابصرنا صدق وعدك ووعيدك وسمعنا منك تصديق رسلك
او كنا عميا وصما ابصرنا وسمعنا فارجعنا الى الدنيا نعمل صالحا اي الايمان والطاعة انا
موقنون بالبعث والحساب الان وجواب لو محذوف تقديره لرايت امرا فظيعا والمضي
فيها وفي اذ لان المترقب من الله تعالى بمنزلة الواقع ولو شئنا لآتينا كل نفس هديها ما تهتدي
به الى الايمان والعمل الصالح بالتوفيق ولكن حق القول مني سبق حكمي وقضائي وهو
لاملأن جهنم من الجنة انما قدم الجن لان المقام مقام التحقير والناس اجمعين اي ولكن
اقتضى الحكمة خلاف ذلك وما ذكر من سبق القضاء به كناية عن ذلك لا اقتضاء فليس فيه
تسبب عدم ايمانهم عن سبق التقدير الازلي به كما سبق الى بعض الاوهام فذوقوا
يعني ما انتم فيه من الحزن والغم بما نسيتم بسبب نسيانكم لقاء يومكم هذا اي بترككم العمل
لهذا اليوم كانكم نسيتموه فلم تذكروه انا نسيناكم اي تركناكم في العذاب او جازيناكم
على نسيانكم وفي استئنافه وبناء الفعل على ان واسمها تشديد في الانتقام منهم وذوقوا
عذاب الخلد اي واعلموا ان هذا العذاب خالد لكم غير زائل عنكم بما كنتم تعملون باعمالكم
من الكفر والمعاصي وانما كرر الامر للتاكيد ولما نيط به من التصريح بمفعوله وتعليله
بافعالهم السيئة كما علله بتركهم تدبر امر العاقبة والتفكر فيها دلالة على ان كلا منهما
يقتضي ذلك وهذا ينادي على انه لا عذر لهم في ذلك من جهة القضاء الازلي انما يؤمن
باياتنا الذين اذا ذكروا بها وعظوا بها خروا سجدا خوفا من عذاب الله تعالى وسبحوا
نزهوه عما لا يليق به كالعجز عن البعث بحمد ربهم حامدين له شكرا على ما وفقهم للاسلام
وآتاهم الهدى وهم لا يستكبرون عن الايمان والطاعة تتجافى ترتفع وتتنحى جنوبهم
عن المضاجع الفرش ومواضع النوم مبالغة في الاعتياد بقيام الليل كانهم يقومون
بالطبع لا بالاختيار كما يقومون لحاجاتهم الطبيعية يدعون ربهم داعين اياه خوفا
من سخطه وطمعا في رحمته وعن النبي صلعم في تفسيرها قيام العبد من الليل وقيل كان
ناس من الصحابة يصلون من المغرب الى العشاء فنزلت فيهم ومما رزقناهم ينفقون

في وجوه الخير فلا تعلم نفس واحدة من النفوس لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ما اخفي لهم
على البناء للمفعول والفاعل وقرئ وما اخفي على انه مضارع اخفيت وما نخفي وما اخفيت
والفاعل في الكل هو الله تعالى وما موصولة والعلم بمعنى المعرفة او استفهامية بمعنى اي شيء
علق عنها الفعل من قرة اعين مما تقر به اعينهم وقرئ من قرات اعين لاختلاف الانواع
جزاء بما كانوا يعملون اي مفعول له اي اخفي للجزاء او مصدر اي جزوا جزاء او حال على
التسمية بالمصدر والفاء السببية اي اذ اخفينا من كانوا يخفون عبادتنا بالليل فلا تعلم نفس
ما اخفينا لهم وفي الابهام ثم التوضيح والتفسير بقرة اعين تفخيم لشأن جزائهم وتعظيم له
وان جعل ما استفهامية زيد تعظيم على تعظيم افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا الفاء للتعقيب
والهمزة للانكار اي بعد ما ذكر من ثواب المؤمن وكرامته هل يكون مساويا للفاسق الخارج
عن الايمان في الشرف والمثوبة لا يستوون تاكيد وتصريح والجمع للحمل على المعنى اما الذين امنوا
وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى اي المأوى الحقيقي الابدي فان الدنيا منزل مرتحل
عنها وقيل نوع من الجنان كما في قوله تعالى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى عن
ابن عباس رض تأوي اليها ارواح الشهداء نزلا سبق في ال عمران بما كانوا يعملون
باعمالهم واما الذين فسقوا فمأويهم النار فجنة مأويهم النار اي النار لهم مكان جنة
المأوى للمؤمنين كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها
قد سبق تفسيره وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون اهانة لهم وزيادة
في غيظهم ولنذيقنهم من العذاب الادنى عذاب الدنيا مما محنوا به من الاسر والقتل والقحط
سبع سنين دون العذاب الاكبر عذاب الاخرة لعلهم لعل من بقي يرجعون يتوبون
عن الكفر روي ان وليد بن عقبة فاخر عليا رض يوم بدر فنزلت هذه الآية ومن اظلم
ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها ولم يتفكر فيها وثم مستعار للاستبعاد لان الاعراض
عن مثل هذه الايات مع وضوحها وانارة برهانها وارشادها الى الفوز بالسعادة
العظمى بعد التذكر بها مستبعد عقلا كما تقول لصاحبك وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها
ومنه ما في بيت الحماسة لا يكشف الغماء الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها انا من
المجرمين منتقمون استئناف مؤذن بان الانتقام منهم هو اشد انتقاما فلهذا المعنى
وضع المجرمين موضع الضمير ولقد اتينا موسى الكتاب كما اتيناك فلا تكن في مرية في شك
من لقائه من لقائك الكتاب لقوله وانك لتلقى القران اي انك وتيت مثل ما وتيته كقوله
وان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك ومن لقاء
موسى الكتاب ويؤيده انتظام قوله وجعلناه اي المنزل على موسى عليه السلام هدى لبني
اسرائيل وانما عود الضمير الى موسى عليه السلام اي من لقائك موسى فيه باه نقدير النهي

بأداة التوزيع وجعلنا منهم أئمة يهدون الناس إلى ما فيه من الحكم والأحكام بأمرنا إياهم
به أو بتوفيقنا له لما صبروا لصبرهم وقرئ لما أي حين صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون لإمعانهم
فيها النظر إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة يقضي فيميز الحق عن الباطل بتمييز المحق
عن المبطل فيما كانوا فيه يختلفون من أمور الدين أولم يهد لهم الواو للعطف على مقدر من
جنس المعطوف أي ألم يؤمنوا أو ألم تدعهم ولم يهد لهم والفاعل ما دل عليه كم أهلكنا من
قبلهم من القرون أي كثرة إهلاكنا القرون أو هذا الكلام كما هو بمضمونه كقولك يعصم لا
إله إلا هو الله الدماء والأموال أو ضمير ربك بدلالة قراءة بالنون يمشون في مساكنهم
يعني أهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون
قد سبق في تفسير سورة الروم وجه توصيف القوم بالسمع وكان الظاهر توصيفهم بالإبصار
أولم يروا الواو للعطف والاستفهام على نظيره وتأخيره عن أداته لصدارتها أنا نسوق الماء إلى
الأرض الجرز التي جرز نباتها أي قطع إما لعدم الماء أو لأنه أزيل ورعي ولا يقال للتي لا
تنبت كالسباخ جرز بدليل قوله فنخرج به زرعا وقيل اسم موضع باليمن تأكل منه أي من الزرع
أنعامهم من عصفه وتبنه وأنفسهم من حبه وثمره قدم أكلها على أكلهم لأن ما يأكله من الورق
والعصف يحصل مقدما أفلا تبصرون فتستدلون به على كمال فضله وقدرته ويقولون
متى هذا الوعد الفتح النصر أو الفصل يحصل مقدما أفلا تبصرون فتستدلون به على كمال
فضله وقدرته ويقولون متى هذا الوعد بالحكومة من قوله وفتحت السماء فكانت أبوابا لا من
قوله ربنا افتح بيننا فإن إطلاق يوم الفتح على يوم القيامة لانفتاح أبواب السماء لا للانتصار
المسلمين من الكفار إن كنتم صادقين في الوعد به قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا
هم ينظرون يوم الفتح يوم القيامة لأنه يفتح بين المؤمنين وبين أعدائهم وينصرون عليهم
وقيل هو يوم بدر أو يوم فتح مكة والمراد بالذين كفروا المقتولون في أحد اليومين فإنه
لا ينفعهم إيمانهم حال القتل ولا يمهلون وتطبيق الجواب على سؤالهم من حيث المعنى لأن غرضهم
من الاستفهام لم يكن طلب تعيين الوقت بل الاستعجال كأنه قيل لا تستعجلوا به فإنه إذا جاء لا
ينفعكم الإيمان إن آمنتم ولا تنظرون إن استنظرتم والذين كفروا من باب وضع الظاهر
موضع المضمر للتسجيل عليهم بالكفر وأن الكفر المستمر إلى وقت العذاب هو الذي يوجب عدم
نفع الإيمان ونفي الإنظار فأعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم وقيل هي منسوخة بآية
السيف وانتظر النصرة عليهم وهلاكهم إنهم منتظرون الغلبة عليكم وهلاككم وقرئ منتظرون
بفتح الظاء أي إنهم أحقاء بأن ينتظر هلاكهم أو أن الملائكة ينتظرون هلاكهم فإنهم هالكون لا محالة

يا أيها النبي نودي صلى الله عليه وسلم في جميع القرآن بيا أيها النبي ويا أيها الرسول تعظيما له
وتعليما للعباد كيف ينادونه اتق الله أمره بالتقوى تعظيما للتقوى وإعلاما للأمة بأنه باب
عظيم يجب أن يعتد به ويحافظ عليه والمراد به الأمر بالثبات على ما هو عليه ليكون مانعا له عما نهي
عنه بقوله ولا تطع الكافرين والمنافقين أي لا تساعدهم على شيء يعود بوهن الدين ولا تقبل
لهم رأيا في ذلك أن أبا سفيان وعكرمة بن أبي جهل وأبا الأعور السلمي قدموا المدينة بعد
قتال أحد فنزلوا على عبد الله بن أبي وأعطاهم رسول الله صلعم الأمان على أن يكلموه فقالوا
له ارفض ذكر آلهتنا وقل إنها تشفع وتنفع ندعك وربك ووازرهم المنافقون على ذلك فهم
المسلمون بقتلهم فنزلت أي اتق الله في نقض العهد ولا تطع الكافرين من أهل مكة والمنافقين
من أهل المدينة فيما طلبوا منك إن الله كان عليما بالخبث عما لهم حكيما في تأخير الأمر بقتالهم واتبع
ما يوحى إليك من ربك من الأمر والنهي إن الله كان بما تعملون خبيرا فموح إليك ما يصلحه ومغن عن
الاستماع إلى الكفرة وقرئ بالياء أي إن الله خبير بمكايدهم يدفعها عنك وتوكل على الله و
فوض أمرك إليه وكفى بالله وكيلا موكولا إليه كل أمر قال الزجاج ولفظ كفى وإن كان الخبر فالمعنى
اكتف بالله ما جعل الله لرجل تنكيره وزيادة من في قوله من قلبين بعد النفي للتعميم والاستغراق
أي ما جعل الله لفرد واحد من جملة الرجال فضلا عن الصبيان والنسوان قلبين البتة بوجه من
الوجوه وفي جوفه تأكيد وزيادة تصوير للسامع ليكون إذا سمع تصور جوف إنسان
مشتملا على قلبين فيكون أسرع إلى الإنكار وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم
وما جعل أدعياءكم أبناءكم وما جعل الزوجة والأمومة في امرأة ولا الدعوة في ذكر جمل نفي
اجتماع القلبين في جوف أصلا لانتفاء اجتماع الأخيرين وذلك أن العرب تزعم أن اللبيب
الأديب له قلبان ولذلك قيل لابن معمر جميل بن الأسد الفهري ذو القلبين وكان رجلا من
أحفظ العرب وأرواهم وكان يقول إن لي قلبين أفهم بأحدهما أكثر مما يفهم محمد صلى الله عليه
وسلم فأكذب الله تعالى قوله وقولهم وضرب مثلا في الظهار والتبني وأنهم كانوا يقولون للمرأة
المظاهر عنها أم ودعي الرجل ابنه والمعنى كما لم يجعل الله قلبين في جوف لأدائه إلى التناقض و
هو أن يكون كل منهما أصلا لكل القوى وغير أصل لم يجعل الزوجة والدعي الذين لا ولادة بينهما
وبينه أمه وابنه الذين بينهما وبينه ولادة ومعنى الظهار أن يقول للزوجة أنت علي كظهر أمي
مأخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لأن الظهار
كان في الجاهلية طلاقا فكانوا يتجنبون المطلقة ونظيره آلى من امرأته فإنه عدي بمن لتضمنه
معنى التباعد والإيلاء بمعنى الحلف فلا يعدى بمن وذكر الظهر في تشبيههم كناية عن البطن في
التحريم يستحيى عن ذكره لأنه يقارب ذكر الفرج فكنوا بالظهر عنه لأنه عمود البطن للتغليظ
في التحريم فإنهم كانوا يحرمون إتيان المرأة وظهرها إلى السماء والأدعياء جمع دعي وهو

المدعو ولدا فعيل بمعنى مفعول وحقه ان يجمع على فعلى كجرحى وقتلى والجمع على افعلاء انما يكون
للفعيل بمعنى الفاعل كتقي واتقياء وشقي واشقياء فهو شاذ عن القياس كقتلاء واسراء
ووجه التشبيه اللفظي ذلكم اشارة الى ما ذكر او الى الاخير قولكم بافواهكم اى لا حقيقة
له ولا يطابق الواقع والله يقول الحق ما له حقيقة عينية مطابقة له وهو يهدي السبيل سبيل
الحق وفي فصل بعض الجمل الواقعة في هذه الآية ووصل بعضها ما لا يخفى على العالم بعلم المعاني المدرك
في طرق النظم ادعوهم لآبائهم اى انسبوهم اليهم وهو افراد للمقصود من اقوال الحقة وقوله
هو اقسط عند الله تعليل له والضمير لمصدر ادعوا واقسط افعل المستعمل لمطلق الزيادة من
القسط بمعنى العدل ومعناه البالغ في الصدق فان لم تعلموا آباءهم اى ان لم تعرفوا آباءهم
حتى تنسبوهم اليهم فاخوانكم في الدين فهم اخوانكم في الدين ومواليكم واولياؤكم فيه
فقولوا هذا اخي وهذا مولاي اى في الدين وليس عليكم جناح اثم فيما اخطأتم به قبل النهي
او بعده على سبيل النسيان او سبق اللسان ولكن ما تعمدت قلوبكم ولكن الجناح فيما تعمدتموه
بعد النهي وكان الله غفورا رحيما يغفر للمخطئ ويعفو عنه وعن العامد اذا تاب النبي اولى
بالمؤمنين في كل شيء من امور الدين والدنيا فانه لا يأمرهم ولا يرضى منهم الا ما فيه صلاحهم
وفلاحهم بخلاف انفسهم فيجب ان يكون احب اليهم من انفسهم وامره انفذ عليهم من امرها
وشفقتهم عليه اتم واقدم من شفقتهم عليها وهذا اثر لديهم من حقوقها وان تبذلوها
دونه وان يتبعوا كل ما دعاهم اليه وصرفهم عنه روى انه عليه السلام اراد غزوة تبوك
فامر الناس بالخروج فقال ناس نستأذن آباءنا وامهاتنا فنزلت وفي قراءة ابن مسعود رض
النبي اولى بالمؤمنين وهو اب لهم اى في الدين وقال مجاهد كل نبي فهو ابو امته من حيث انه
اصل فيما به الحيوة الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة وازواجه امهاتهم كناية عن التحريم خاصة
ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها لسنا امهات النساء لا عنهم وعن استحقاق التعظيم اذ ح
ينتظم النساء ويرده الاثر المذكور واولوا الارحام وذووا القرابات بعضهم اولى ببعض
في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر الاسلام من التوارث بالموالات في الدين وبالهجرة
في كتاب الله اى في اللوح او فيما اوحى الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو هذه الآية او آية
المواريث او فيما فرض الله من المؤمنين والمهاجرين بيان لاولي الارحام وتخصيص المهاجرين
بالذكر بعد التعميم لرفع ما عسى ان يسبق الى الوهم من عدم تناول الحكم لهم لما فيهم من فضيلة
الهجرة او صلة لاولى اى واولوا الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين بحق الولاية
في الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا استثناء مفرغ من
اعم العام من معنى النفع والاحسان وانتصاب ان تفعلوا على الظرف اى الا وقت ان تفعلوا
وعدي بالى لانه في معنى ان تسدوا والمراد بفعل المعروف التوصية وبالاولياء المؤمنون

والمهاجرون لما بينهم من الولاية في الدين اى الاقرباء بعضهم اولى ببعض من الاجانب في كل نفع
من ميراث وهدية وهبة وصدقة ومعاونة وغير ذلك الا في التوصية كان ذلك اشارة
الى ما ذكر في الآيتين جميعا في الكتاب في اللوح او في القرآن وقيل في التورية مسطورا مثبتا
ومذكورا واذ اخذنا مقدر باذكر من النبيين ميثاقهم عهودهم بتبليغ الرسالة والدعوة
الى الدين القيم ومنك خصوصا ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم تخصيص للمشاهير
واصحاب الشرائع من اتمة محمد صلعم بالذكر لبيان شرفهم وفضيلتهم ولذلك قدم محمدا
صلى الله عليه وسلم على الجميع لكونه افضلهم وانما قدم عليه نوح في قوله تعالى شرع لكم من
الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا لان الغرض من مساق الكلام ثم بيان اصالة الدين و
قدمه واستقامته فكانه قال شرع لكم الدين الاصيل القديم الذي وصينا به نوحا في العهد
القديم والذي اوحينا اليك في العهد الحديث ووصينا به من توسط بينهما من الانبياء و
المشاهير فهو دين قديم اصيل اتفق عليه وعلى اقامته الانبياء كلهم ولم يتفرقوا واخذنا
منهم ميثاقا غليظا تكرير للتوكيد وزيادة وصف للميثاق بالعظم وفخامة الشان ولذلك نكره
وغلظه اى ميثاقا موثقا بالايمان الغلاظ وسماه ميثاقا لا عهدا دلالة على توثيقه باليمين
والغلظ استعارة من وصف الاجرام لتصوير معنى القوة والوثاقة في الحس ليسأل الصادقين
عن صدقهم تعليل لاخذنا اى اخذنا ميثاقهم ليسأل الله يوم القيمة عند موافقة الاشهاد
المؤمنين الذين صدقوا اى اشهدهم على انفسهم عن صدق عهدهم والانبياء الذين صدقوا
عهدهم عما قالوه لقومهم وتصديقهم اياهم تبكيتا لهم او المصدقين لهم عن تصديقهم
فان مصدق الصادق صادق واعد للكافرين عذابا اليما عطف على اخذنا لان المعنى اكد على
الانبياء الدعوة على دينه لاثابة المؤمنين واعد للكافرين يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة
الله عليكم اذ جاءتكم جنود يعني الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود وقريظة والنضير
وكانوا زهاء اثنى عشر الفا فارسلنا عليهم ريحا هي الصبا قال صلى الله عليه وسلم نصرت
بالصبا واهلكت عاد بالدبور وجنودا لم تروها هم الملائكة روي انه صلى الله عليه وسلم
لما سمع باقبالهم ضرب الخندق على المدينة ثم خرج اليهم في ثلثة الاف فضرب معسكره والخندق
بينه وبين القوم ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة
حتى بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فاوسفت بالتراب في وجوههم واطفأت
نيرانهم وقلعت خيامهم وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة
في جوانب العسكر فقال طليحة بن خويلد الاسدي اما محمد فقد بداكم بالسحر فالنجا النجا فانهزموا
من غير قتال وكان الله بما تعملون من حفر الخندق وغيره بصيرا وقرئ بالياء اى بما يعمل
المشركون واليهود من التحزيب والتضام اذ جاءوكم بدل من اذ جاءتكم من فوقكم من اعلى

الوادي من قبل المشرق بنو غطفان ومن اسفل منكم اي من اسفل الوادي من قبل المغرب
قريش لم نقل من تحتكم مع ما فيه من رعاية المقابلة والاختصار واظهار لما في مقابلة من التجوز
وانما اختير ذلك لانه احسن لفظا ومعنى من اعلى منكم واذ زاغت الابصار مالت عن مستوى
نظرها حيرة وشخوصا وبلغت القلوب الحناجر رعبا فان الرئة تنتفخ عند شدة الروع
فتربو ويرتفع بارتفاعها بلوغ القلب الحنجرة مثل في شدة الخفقان الشديد بتوهمهم منه
شدة انتفاخ الرئة ان قلبه بلغ الحنجرة وهي راس قصبة الرئة وهي مجرى النفس و
تظنون بالله الظنونا الظنون المختلفة والخطاب للمؤمنين فمنهم الاقوياء
الثبت الاقدام يظنون الابتلاء من الله تعالى وانجاز وعده بالنصر ومنهم الضعاف الذين
يشكون في امرهم ويتنادون والمنافقون على ما حكى الله تعالى عنهم يظنون ان المسلمين
يستاصلون هنالك ابتلي المؤمنون اختبروا ليتميز المخلص من المنافق والثابت من المتزلزل
وزلزلوا زلزالا شديدا وازعجوا اشد ازعاج مع شدة الفزع فالزلزال الاضطراب
العظيم واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ضعف اعتقاد ما وعدنا الله و
رسوله الا غرورا وعدا باطلا اذ ارادوا به ما وعده تعالى من اعلاء الدين والظفر على
المشركين واذ قالت طائفة منهم هم اوس بن قيظي ومن وافقه يا اهل يثرب اسم المدينة
وقيل اسم ارض وقعت المدينة في ناحية منها لا مقام لكم لا موضع قيام لكم هاهنا وقرئ
بالضم على انه مكان او مصدر من اقام فارجعوا المدينة واعتزلوا عن معسكر الرسول
الى منازلكم وقيل لا مقام لكم بالمدينة ان بقيتم على دين محمد فارجعوا كفارا مشركين و
اسلموا محمدا حتى يمكنكم المقام بها ويستاذن فريق منهم النبي للرجوع يقولون ان بيوتنا
عورة بسكون الواو وبكسرها فالعورة الخلل مبالغة في وصفها بالعور كان
نفسها عورة وبالكسر ذات العورة يقال عور المكان عورا اذا بدا فيه خلل يخاف منه العدو
والسارق ويجوز ان يكون عورة تخفيف عورة وما هي بعورة بل هي حصينة ان يريدون
الا فرارا ما يريدون بذلك الا الفرار من القتال ولو دخلت عليهم دخلت المدينة او بيوتهم
من اقطارها من جوانبها وحذف الفاعل للايماء بان دخول هؤلاء المتحزبين عليهم
ودخول غيرهم من العساكر سيان في اقتضاء الحكم المرتب عليه ثم سئلوا الفتنة الردة
ومقاتلة المسلمين لاتوها لاعطوها وقرئ بالقصر اي لجاؤوها وفعلوها وما تلبثوا بها
اي بالفتنة او باعطائها الا يسيرا ريثما يكون السؤال والجواب من غير توقف او بالمدينة
اي ما لبثوا بعد الارتداد الا زمانا او لبثا يسيرا لان الله تعالى يهلكهم ويستاصلهم
ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار عن ابن عباس رض عاهدوا رسول
الله ليلة العقبة ان يمنعوه مما يمنعون منه انفسهم وقيل هم قوم غابوا عن بدر فقالوا

لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن وعن محمد بن اسحق هم بنو حارثة عاهدوا يوم احد
رسول الله صلعم حين فشلوا ثم تابوا ان لا يعودوا بعد ان نزل فيهم ما نزل وكان
عهد الله مسئولا عن الوفاء به مجازى عليه اي شانه ذلك قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من
الموت او القتل لانه سبق به القضاء لانه تابع للمقتضي فلا يكون باعثا له بل لانه مقتضى
ترتب الاسباب والمسببات بحسب العادة على مقتضى الحكمة فلا دلالة فيه على ان الفرار لا يغني
شيئا حتى يشكل هذا بالنهي الواقع في الكتاب عن القاء النفس بالتهلكة وبالامر الواقع في السنة
بالفرار عن المضار كيف وقد دل قوله واذا لا تمتعون الا قليلا على ان الفرار نفعا في الجملة
اذ المعنى لا تمتعون على تقدير الفرار الا متاعا قليلا او زمانا قليلا وعن بعض المروانية
انه مر بحائط مائل فاسرع فتليت له هذه الآية فقال ذلك القليل نطلب قل من ذا الذي
يعصمكم من الله اي مما اراد الله انزاله بكم ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة العصمة
هي المحافظة من السوء فلا يكون من الرحمة فاقترانها بالسوء في حكم العصمة على طريقة علفتها
على عامل حذف وبقي معموله على عامل اخر يجمعهما معنى واحد اختصارا او يصيبكم بسوء
ان اراد بكم رحمة ويجوز ان يكون الرحمة قرينة السوء في العصمة لانها في معنى المنع كما كان
الرمح قرين السيف ومتقلدا سيفا ورمحا في التقلد لانه في معنى الحمل فلم يحتج الى تقدير و
معتقلا ولا يجدون لهم من دون الله وليا ينفعهم ولا نصيرا يدفع الضرر عنهم قد يعلم
الله قد هنا للتحقيق وان دخل على المضارع المعوقين منكم المثبطين الناس عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون والقائلين لاخوانهم من ساكني المدينة هلم الينا قد
سبق تفسيره في سورة الانعام ولا ياتون الباس الا قليلا اي زمانا قليلا اي باسا قليلا
اي يخرجون معهم يوهمون المؤمنين انهم معهم ولا يقاتلون الا قتالا قليلا اذا اضطروا
لقوله وما قاتلوا الا قليلا اشحة عليكم بخلاء عليكم وقت الامن او بالمعاونة او النفقة
في سبيل الله او الغنيمة عند الظفر جمع شحيح نصب على الحال من فاعل ياتون او المعوقين
او القائلين او على الذم فاذا جاء الخوف اي وقت الحرب رايتهم ينظرون اليك لواذا بك
تدور اعينهم في موضع الحال اي دائرة اعينهم والكاف في كالذي يغشى عليه في موضع
النصب على المصدر او ما من ينظرون اي نظرا مثل نظر الذي او دورانا مثل دوران عين الذي
يغشى عليه من الموت من شدة سكرات الموت خوفا وجبنا فاذا ذهب الخوف وحيزت
الغنائم سلقوكم ضربوكم بالسنة حداد ذربة يطلبون الغنيمة بعد ما كانت هجرة بالخوف
قال قطرب سلقت المراة وصلقت اي صيحت واصله رفع الصوت قال صلعم ليس منا من حلق
او سلق اي حلق شعره عند المصيبة او رفع صوته بالنياحة اشحة على الخير حال من ضمير سلقوكم
او نصب على الذم ويؤيده قراءة من قرا بالرفع وليس بتكرير لان كلا منهما يفيد فائدة

اخرى اولئك لم يؤمنوا اخلاصا والغاء فى فاحبط الله اعمالهم للسببية اى ابطل الله تع
ما عملوه من اعمال البر بسبب نفاقهم وعدم ايمانهم حقيقة بانه شرط صحة العبادة وقبولها
وكان ذلك الاحباط على الله يسيرا هينا لتعلق ارادته من غير مانع يمنعه يحسبون الاحزاب لم
يذهبوا من شدة الجبن والخوف فروا الى المدينة وقد انهزم الاحزاب وهم من استيلاء
الفزع عليهم لا يصدقون بذلك وان يأت الاحزاب كرة يودوا لو انهم بادون فى الاعراب
تمنوا انهم خارجون الى البدو بين الاعراب يسألون كل قادم من جانب المدينة عن انبائكم
وما جرى عليكم ولو كانوا فيكم هذه الكرة ولم يفروا الى المدينة ووقع قتال ما قاتلوا الا
قليلا الا قتالا قليلا رياء وخوفا من التعيير لقد كان لكم فى رسول الله اسوة خصلة
حسنة يجب ان يؤتسى به وهى المصابرة على الجهاد والثبات فى المحاربة ومقاساة الشدائد
والاولى بفصاحة القران ان يكون فى فى قوله لكم فى رسول الله للتجريد اى لقد كان لكم رسول
الله بنفسه اسوة حسنة اى هو قدوة يجب ان يقتدى به كما يقال لى فى فلان صديق صادق
ومعناه المبالغة فى الصداقة اى كان فيه من كمال صداقته صديقا اخر لمن كان يرجوا الله
واليوم الاخر يرجو ثواب الله او لقائه والعاقبة المحمودة وهى نعم الاخرة او ايام الله
واليوم الاخر خصوصا ويجوز ان يكون يرجوا الله من باب التوطئة كما تقول رجوت زيدا وفضله
اى فضل زيد والرجاء هنا يجوز ان يكون بمعنى الامل وبمعنى الخوف ولمن كان صلة لحسنة
او صفة لاسوة وقيل بدل من لكم كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم والاكثر على ان
ضمير المخاطب لا يبدل منه وذكروا الله كثيرا قرن الرجاء بالذكر الكثير المؤدى الى ملازمة
الطاعة لئلا يكون رجاؤه طمعا فارغا فان المقتدى برسول الله صلعم من كان كذلك ولما
راى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله لانهم وعدوا ان يزلزلوا حتى
يستغيثوه ويستنصروه فى قوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة الاية وفى قوله صلعم ان الاحزاب
سائرون اليكم بعد تسع او عشر اى فى اخر تسع ليال او عشر فلما راوهم قد اقبلوا للميعاد
قالوا ذلك وهذا اشارة الى الخطب والبلاء ايمانا بالله وبوعده وتسليما لقضائه وقدره
واظهار الاسمين فى قوله وصدق الله ورسوله للتعظيم اى ظهر صدق خبرهما او صدقا
فى النصر والثواب كما صدقا فى البلاء وما زادهم ضمير الفاعل لما راوا او للمنذر اليه بهذا
من الخطب والبلاء الا ايمانا بالله ومواعيده وتسليما لاوامره وتقاديره من المؤمنين
رجال التنكير للتفخيم صدقوا ما عاهدوا الله عليه اى صدقوا فيما عاهدوه عليه من الثبات
مع الرسول والمصابرة على قتال اعداء الدين فحذف الجار كما فى المثل صدقنى سن بكره
اى صدقنى فى سن بكره نذر رجال من الصحابة رضى الله عنهم اذا لقوا حربا مع رسول الله صلعم
ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة وسعيد بن زيد وحمزة ومصعب

وغيرهم رض ويجوز ان يجعل المعاهد عليه مصدوقا على المجاز كانهم قالوا له سنفى بك
فاذا وفوا به فقد صدقوه من قولك صدقنى اخوك اذا قال لك الصدق فمنهم من قضى نحبه نذره
بان قاتل حتى استشهد كحمزة ومصعب وانس رض قيل النحب استعارة للموت فان الموت لازم
لكل حيوان فكانه نذر لازم فى رقبته فاذا مات قضى نحبه كان هذا القائل غافل عن النذر المذكور
فى سبب النزول لان موجبه ان يكون النحب على حقيقته وقضاء نذرهم يجوز ان يكون كناية
عن شهادتهم ومنهم من ينتظر كعثمان وطلحة رض وما بدلوا العهد ولا غيروه لا المستشهد
ولا من ينتظر الشهادة ولقد ثبت طلحة مع رسول الله صلعم يوم احد حتى اصيبت يده فقال
رسول الله صلعم اوجب طلحة الى الجنة تبديلا اى شيئا من التبديل تعريض بمن بدل من اهل النفاق
وتبديلهم ولذلك قال ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين تعليلا للمنطوق
والمعرض به فجعل المنافقين كانهم قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد الصادقون بوفائهم
عاقبة الصدق فاللام مجاز للعاقبة فانها وان امكن حملها على الحقيقة بالنسبة الى الصادقين
لكن لا يمكن حملها عليها بالنسبة الى المنافقين لان التعذيب لم يكن غرضا لهم ولا يستعمل اللفظ
الواحد حقيقة ومجازا فى استعمال واحد فيجب حملها على المجاز لان كلا من الحقيقة مسوق الى غاية
من الثواب والعقاب ان شاء اذا لم يتوبوا او يتوب عليهم اذا تابوا ويجوز ان يراد يعذبهم
ان شاء او يعذبهم يوفقهم للتوبة ان الله كان غفورا بقبول التوبة رحيما بعفو الحوبة ورد
الله الذين كفروا يعنى الاحزاب بغيظهم لم ينالوا خيرا حالان متداخلان او متعاقبان اى
مغتاظين غير ظافرين ويجوز ان يكون الثانية بيانا للاولى واستئنافا وكفى الله المؤمنين
القتال بالريح والملائكة وكفى هنا بمعنى وقى يتعدى لاثنين واذا كانت بمعنى حسب فالاكثر
فى لسان العرب ان يكون الفاعل مصحوبا بالباء نحو كفى بالله وكان الله قويا على احداث ما يريده
عزيزا غالبا على كل شئ وانزل الذين ظاهروهم ظاهروا الاحزاب من اهل الكتاب يعنى
قريظة من صياصيهم من حصونهم جمع صيصة وهى ما يتحصن به من حصن وغيره وقذف
فى قلوبهم الرعب الفزع والخوف فريقا تقتلون وتأسرون فريقا انما اخر عن قوله تأسرون
وغير النظم للدلالة على ان الكل منحصر فى الفريقين قيل كان بنو قريظة ذمة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنقضوا العهد باستدعاء ابى سفيان وجاؤا بمحاربة المسلمين فلما
فرغ رسول الله صلعم من قريش ودخل الحجرة ووضع السلاح سمع وجبة على باب الحجرة فنظر
فاذا هو جبرائيل عليه السلام على فرس ابلق وعلى ثيابه النقع فقال يا رسول الله وضعت السلاح
ونحن ما وضعنا اسلحتنا بعد ان الله يامرك ان لا تصلى العصر الا ببنى قريظة فنادى رسول
الله صلعم لذلك فى المسلمين فخرجوا اليه ولحق بهم رسول الله صلعم وحاصرهم احدا وعشرين
يوما ثم نزلوا على حكم سعد بن معاذ رض فحكم بان تقتل مقاتلتهم ويسبى ذراريهم ونساؤهم

ويغنم اموالهم فقال صلعم لقد حكمت بحكم الله تعالى فيهم ففعل ذلك ومن الله على المسلمين
بذلك واورثكم ارضهم مزارعهم وديارهم حصونهم واموالهم نقودهم ومواشيهم و
وارضا لم تطؤها اى جعلها لكم بعدهم وارضا لم تطؤوها اى لم تغيروا اليها بعد قاصدين قتالها
وعد وعدهم باخذ ارض اخرى قيل هى ارض فارس والروم وقيل هى مكة وقيل هى
خيبر وفدك وكان الله على كل شىء قديرا فيقدر على ذلك يا ايها النبى قل لازواجك ان كنتن
تردن الحيوة الدنيا وزينتها ذكر الحيوة الدنيا توطئة وتمهيدا لاختصاصهن بكنتن
تردن زينة الحيوة الدنيا وكذا ذكر الله فى يردن الله ورسوله فانه لاختصاص الرسول
به فتعالين اصل تعال ان يقوله من فى المكان المرتفع لمن فى المكان المستوطى ثم كثر حتى استوى
فى استعماله الامكنة ومعنى تعالين هنا اقبلن بارادتكن واختياركن لاحد امرين ولم
يرد نهوضهن اليه بانفسهن كما تقول قام يهددنى امتعكن اعطكن متعة الطلاق
واسرحكن السراح كناية عن دفع قيد النكاح وذلك بوقوع البينونة سراحا جميلا لا ضرار
فيه اردن شيئا من الدنيا من ثياب وزيادة نفقة وتغايرن فغم ذلك رسول الله
صلعم فنزلت فبدأ بعايشة وكانت احبهن اليه فخيرها وقرأ عليها القران فاختارت
الله ورسوله والدار الاخرة فرؤى الفرح فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم اختارت جميعهن اختيارها فشكر لهن الله ذلك فانزل لا يحل لك النساء من بعد
الاية وتعليق التسريح بارادتهن زينة الدنيا وجعلها قسيمة لارادتهن الرسول
دليل على انها اذا اختارت زوجها لا يقع البينونة واما انه لا يقع الطلاق فلا دلالة فيما
ذكر عليه لما نبهت عليه ان التسريح يبنى عن البينونة وتقديم التمتيع على التسريح
المسبب عنه من الكرم وحسن الخلق وقرئ امتعكن واسرحكن بالرفع على الاستيناف وان
كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما
تنكير اجرا للتعظيم اى اجرا عظيما يستحقر دونه الدنيا وزينتها ومن للتبيين لانهن
كلهن محسنات وانما عدل فيه عن مقتضى الظاهر للدلالة على سبب استحقاقهن لاصل الاجر
والمزية فيه على ساير المحسنات يا نساء النبى من يات منكن بفاحشة مبينة بكبيرة فى القبح
مبينة ظاهر قبحها من بين بمعنى تبين يضاعف لها العذاب ضعفين ضعفى عذاب غيرهن
من النساء اى مثليه لان ما قبح من ساير النساء كان اقبح منهن فزيادة قبح المعصية
تتبع زيادة فضل العاصى وزيادة العقاب تتبع زيادة قبح المعصية ولذا فضل حد الاحرار
على العبيد ولا يرجم الكافر وعوتب الانبياء صلعم بما لا يعاتب به غيرهم من الصغاير وكان
ذلك اى التضعيف على الله يسيرا لا يمنعه عنه كونهن نساء النبى عليه السلام بل هو السبب له
فكيف يكون مانعا عنه ومن يقنت منكن يدم على الطاعة لله تعالى ورسوله صلعم وذكر الله

هنا كذكره فى قوله تردن الله ورسوله لان طاعته طاعة الله تعالى كما قال من يطع الرسول
فقد اطاع الله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين مرة على الطاعة ومرة على طلبهن رضى النبى عم
بالقناعة وحسن المعاشرة وقرئ يعمل ايضا بالياء حملا على لفظ من ويؤتها على ان فيه ضمير الله
تعالى واعتدنا لها رزقا كريما فى الجنة زيادة على اجرها يا نساء النبى لستن كاحد من النساء
فى الفضل واحد فى الاصل وحد بمعنى واحد واستعمل فى النفى العام مستويا فيه المذكر والمؤنث
والواحد وما فوقه ولذلك جاء ههنا بمعنى جماعة واحدة من جماعات النساء ان اتقيتن
الله هاهنا بمعنى استقبلتن احدا فلا تخضعن بالقول فلا تلن قولا خاضعا لينا حسنا كقول
المريبات وانتقى بمعنى استقبل معروف فى اللغة قال النابغة سقط النصيف ولم ترد اسقاطه
فتناولته واتقتنا باليد اى استقبلتنا باليد وهذا المعنى ابلغ فى مدحهن اذ لم يعلق فضيلتهن
على التقوى ولا علق نهيهن عن الخضوع بها اذ هن متقيات فى انفسهن والتعليق ظاهر
يقتضى انهن لسن متحليات بالتقوى فيطمع الذى فى قلبه مرض ريبة وفجور وقرئ
بالجزم عطفا على محل النهى على انه نهى مريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الخضوع بالقول
اى لا تخضعن فيطمع الفاجر وقلن قولا معروفا حسنا مع كونه خشنا بعيدا عن الريبة و
قرن فى بيوتكن من وقر يقر وقارا او من قر يقر حذفت الاولى من راءى اقررن
ونقل كسرتها الى القاف واستغنى بها عن همزة الوصل كقولك ظلن بكسر الظاء وقرئ
قرن بفتح القاف واصله اقررن فحذفت الراء ونقلت فتحتها الى القاف كقولك ظلن
بالفتح وقيل من قار يقار اذا اجتمع ومنه القارة للجبل لاجتماعه ولا تبرجن تبرج
الخروج بزينة تبرج الجاهلية الاولى تبرجا مثل تبرج النساء فى ايام الجاهلية القديمة التى
يقال لها الجاهلية الجهلاء وهى الزمن الذى فيه ولد ابرهيم عم كانت المرأة تلبس الدرع
من اللؤلؤ فتمشى وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال وقيل ما بين ادم ونوح عم وقيل
ادريس ونوح عم وقيل زمن داود وسليمان والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عم
ويجوز ان يكون الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق
فى الاسلام اى لا تحدثن بالتبرج جاهلية فى الاسلام تتشبهن بها باهل جاهلية الكفر و
يعضده ما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابى الدرداء رض ان فيك جاهلية
فى الاسلام قال جاهلية كفر ام اسلام وقال بل جاهلية كفر واقمن الصلوة واتين الزكوة
واطعن الله ورسوله فى ساير ما امر به ونهى عنه امرهن بالزكوة والصلوة على الخصوص
ثم بالطاعة على العموم اعتناء بشانهما وايماء الى انهما اصل جميع الطاعات البدنية والمالية
من اعتنى بهما حق الاعتناء جرتاه الى جميعها انما يريد الله استيناف لتعليل امرهن ونهيهن
بما امرهن به ونهى هن عنه ليذهب عنكم الرجس الذنب المدنس لعرضكم اهل البيت

نصب على النداء او على المدح ويطهركم عن المعاصي تطهيرا استعار الرجس للاثم والطهر
للتقوى للتنفير عن القبائح والترغيب في المحاسن وفي التصريح والتخصيص باهل البيت
تعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم وبيان لشرف اهل بيته واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات
الله والحكمة لما وعظهن بما يركب نفوسهن جمع الى اعمال التزكية ما يحلي قلوبهن من العلم
والحكمة فذهب ما يتلى في بيوتهن من الكتاب الجامع بين الايات الدالة على التوحيد و
النبوة وبين الحكم والشرائع الفنية لتعاينن العدالة في مهابط الوحي ومنازل العلم و
الهداية فيجب عليهن ان يحفظنه ولا يغفلن عنه ان الله كان لطيفا خبيرا حيث علم
ما ينفعكم ويصلحكم فانزل عليكم واخبركم به وفيه تحريض على الاتعاظ والانتهاء ان
المسلمين والمسلمات الداخلين في السلم المنقادين لحكم الله تعالى والمؤمنين والمؤمنات
المصدقين بما يجب ان يصدق به والقانتين والقانتات المداومين على الطاعة و
الصادقين والصادقات في نياتهم واقوالهم واعمالهم والصابرين والصابرات على
الطاعات وعن المعاصي والخاشعين والخاشعات المتواضعين لله المختبين اليه بقلوبهم
وجوارحهم والمتصدقين والمتصدقات بما وجب في مالهم والصائمين والصائمات
الصوم المفروض والحافظين فروجهم والحافظات عن الحرام والذاكرين الله كثيرا
والذاكرات بقلوبهم والسنتهم اعد الله لهم مغفرة لما اقترفوا من الصغائر التي
لا يخلو الانسان منها بحكم البشرية لانها مكفرات واجرا عظيما على الطاعة روي ان ازواج
النبي صلعم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير فما فينا خير نذكر به انا نخاف
ان لا يقبل منا طاعة فنزلت وقيل لما نزلت فيهن قال نساء المسلمين فما نزل فينا شيء
فنزلت وعطف الاناث على الذكور ضروري لكونهما صنفين مختلفين تحت جنس واحد
فلا بد من توسيط العاطف واما عطف الزوجين على الزوجين لتغاير الوصفين فليس
بضروري ولذلك ترك في قوله مسلمات مؤمنات وفائدته الدلالة على ان اعداد المعد
لهم للجمع بين هذه الصفات وما كان وما صح لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله
اي باداة الجمع دون التفريق للدلالة على ان احد القضائين لا ينفك عن الآخر فان قضاء
الله لا يظهر الا من جهة الرسول وقضاؤه لا يكون الا بامر الله امرا ان يكون لهم الخيرة
من امرهم ان يختاروا من امرهم شيئا بل يجب عليهم ان يجعلوا اختيارهم
تبعا لاختيار الله ورسوله ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا بين الانحراف و
سبب نزوله انه خطب رسول الله صلعم زينب بنت جحش بنت عمته على مولاه زيد
بن حارثة فابت وابى اخوها عبد الله فنزلت وقالا رضينا يا رسول الله فنكحها اياه

واذ تقول للذي انعم الله عليه بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لعتقه واختصاصه وانعمت عليه
بعتقه وتربيته وما وفقك الله في حقه يعني زيدا امسك عليك زوجك يعني زينب وذلك ان
رسول الله صلعم ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب
وسمعت زينب التسبيحة فذكرتها لزيد ففطن ذلك والقى الله تعالى في نفسه كراهة صحبتها
فاتى النبي صلعم فقال اريد ان افارق صاحبتي فقال مالك ارابك فيها شيء فقال لا والله
ما رايت منها الا خيرا ولكن لشرفها تتعظم علي فقال له امسك عليك زوجك امر بامساكها
وزيادة عليك لتضمين معنى الحبس اي احبسها ولا تطلقها واتق الله في امرها ولا تطلقها
تعللا بتعظمها وتكبرها ولا تخفي في نفسك ما الله مبديه من نكاحها كما في قوله تعالى فكلوا مما امسكن
عليكم ان طلقها زيد وهو الذي ابداه الله تعالى وتخشى الناس اي قال الناس بانه نكح امراة ابنه
وتخشى عطف على تقول والله احق ان تخشاه حال اي حقيقا في ذلك ان تخشى الله او اعتراض اي
والله احق ان تخشاه في كل حال ويجوز ان يكون الواو في وتخشى واو الحال على وانت تخشى اي
تقول امسك مخفيا في نفسك ما الله مبديه وكذا في وتخشى يحتمل العطف اي يجمع ان تقول و
تخفي وتخشى والحال اي في نفسك خاشيا شيئا قاله الناس فيك وليس العتاب في الاخفاء وحده
فانه حسن بل في الاخفاء مخافة قالة الناس فيه واظهار ما ينافي اضماره فان الاولى فيه
ان يصمت او يفوض الامر الى ربه لا يخالف سره علانيته لان الانبياء كذلك وعن عائشة رض
لو كتم رسول الله مما اوحي اليه لكتم هذه الآية فلما قضى زيد منها وطرا اذا تعلقت همة الرجل
بشيء وبلغ حاجته منه قيل قضى منه وطره اي فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وطابت عنها نفسه وطلقها
وانقضت عدتها وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق نحو لا حاجة لي فيك زوجناكها وقرئ
زوجتكها اي امرنا بتزويجها منك وتولينا تزويجها منك ويؤيده انها كانت تقول للنساء
النبي صلعم ان الله تولى انكاحي وانتن زوجكن اولياؤكن الآن انطباق التعليل الآتي ذكره
على الاول وقيل كان السفير في خطبتها زيد وذلك ابتلاء عظيم وشاهد بين على قوة
ايمانه لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا تعليل
للتزويج وهو دليل على حكمه صلعم وحكم المؤمنين واحد الا ما خصه الدليل وقضاء
الوطر هنا كناية عن الطلاق لان الحكم المذكور غير مشروط ببلوغ الحاجة منهن وكان امر الله
مفعولا جملة اعتراضية اي وكان امره الذي يريد تكوينه مكونا لا محالة كما كان تزويج
زينب ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له اي قسم الله وقدر من قولهم فرض له
في الديوان كذا ومنه فروض العسكر لارزاقهم سنة الله اسم موضوع موضع المصدر
وهو مؤكد لما تقدم اي سن الله سنة في الذين خلوا من قبل في الانبياء الماضين صلعم
وهو نفي الحرج عنهم فيما اباح لهم وتوسعه عليهم في باب النكاح وغيره وقد كانت لداود وعم

مائة امراة وثلثمائة سرية ولسليمان عليه السلام ثلثمائة حرة وسبعمائة سرية وكان امر الله
قدرا مقدورا قضاء مقضيا وحكما مقطوعا الذين يبلغون رسالات الله مجرور وصف للذين
خلوا او نصب على المدح او رفع عليه ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله تعريض بعد التصريح في قوله
وتخشى الله والله احق ان تخشاه وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف ومحاسبا للصغيرة والكبيرة
فيجب ان لا يخشى حق الخشية الا منه ما كان محمد ابا احد من رجالكم اى لم يكن ابا رجل منكم على
الحقيقة حتى تثبت بينه وبينه ما بين الاب وابنه من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه
بكونه صلعم ابا للطاهر والطيب والقاسم وابرهيم لانهم لم يبلغوا مبلغ الرجال قبله ولو بلغوا
مبلغ الرجال كانوا رجاله لا رجالهم ولا وجه لما تستفيد ان التاكيد بقوله وخاتم النبيين لا
ينتظم معه ولا يكونه ابا للحسنين لانه قصد المولود منه لا ولد الولد ولكن كان رسول الله بالنصب
على ابا احد وكل نبي ابو امته من حيث انه يعلمهم ويربيهم ويجب عليهم تعظيمه وتوقيره
وعليه شفقتهم ونصيحتهم لا في ساير الاحكام وزيد منهم تحكم حكمهم فيما ذكر لا انه ولد
منه والادعاء والتبني من باب الاختصاص والتقريب لا غير وقرئ رسول الله بالرفع على
انه خبر محذوف تقديره ولكن رسول الله من عرفتموه اى لم يعش له ولد ذكر وخاتم النبيين
اى وكان خاتم النبيين واخرهم الذى ختمهم على قراءة الكسر او ختموا به على قراءة الفتح بمعنى
الطابع ولو كان له ابن بالغ لكان نبيا لما روى انه صلعم قال حين توفى ابرهيم لو عاش لكان
نبيا فلم يكن هو خاتما فهو مؤكد لكونه ليس ابا احد من الرجال ولا يقدح في ذلك نزول
عيسى عم لانه اذا نزل كان على دينه لانه لا ينافي استقلاله في النبوة انما ينافي استقلاله
في الرسالة بل لانه صلعم كان نبيا قبله عم فلا ينافي كونه خاتما للانبياء على انه اخرهم
بعثة وكان الله بكل شىء عليما فيعلم من يليق بان يختم به النبوة وكيف ينبغي شانه يا ايها الذين
آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا اذكروا الله باصناف الذكر من التقديس والتمجيد والتكبير
والتهليل وكل ما هو اهل من انواع الثناء وسبحوه بكرة واصيلا تخصيص التسبيح بالذكر
من بين ساير الاذكار بيان لفضله واختصاصه بالشرف لان التنزيه اصل الاذكار مقدم
على كل حمد وثناء والتقييد بالوقتين المذكورين لذلك ايضا اى لبيان فضلهما وشرفهما لكونهما
طرفي الليل والنهار ومجمع الملائكة ومختلفهما ويجوز ان يراد بهما الدوام هو الذى يصلى عليكم
بالرحمة وملئكته بالاستغفار والاهتمام بما يصلحكم والصلوة المشتركة بين الله تعالى وملئكته
هى افاضة الخيرات والكمالات مما يسعد المؤمنين في الدارين ويكملهم والعناية بذلك مستعارة
من الصلوة التي هي شرف وكمال لهم ولهذا علله بقوله ليخرجكم من الظلمات الى النور اى من ظلمات
الكفر والمعاصي الى نور الايمان والطاعات ولمكانة الملائكة واسطة الفيض كان لهم مدخل
في الامداد النورية الكمالية وقيل هي الرحمة والرافة والتعطف المعنوية استعيرت من الصلوة

المشتملة على الحنو والانعطاف في الركوع والسجود للحنو والانعطاف الصوري كانعطاف العائد
على المريض والمراة على ولدها ثم نقل بكثرة الاستعمال الى الترحم والترؤف المعنويين ومنه
قولهم صلى الله عليك اى ترحم وتراف ولان الملئكة وسايط الرحمة ومستجابو الدعوة في الاستغفار
لهم نسبت الرحمة اليهم كما نسبت الى الله على ان الاستغفار ترحم وبه بدء قوله وكان بالمؤمنين
رحيما حيث اعتنى بصلاح امرهم وانافة قدرهم واستعمل في ذلك ملئكته المقربين تحيتهم من
اضافة المصدر الى المفعول اى يحيون يوم يلقونه يوم القيمة او عند الموت او الخروج
عن القبر او دخول الجنة سلام اخبار بالسلامة عن كل مكروه وآفة والتنكير للتعظيم واعد
لهم اجرا كريما في الجنة وتغيير النظم في تحيتهم واعد للمبالغة فيما هو اهم وادل على الكرامة و
للمحافظة على الفاصلة يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا على من بعثت اليهم مقبول القول
في تصديقهم وتكذيبهم وطاعتهم ومعصيتهم وهو حال مقدرة ومبشرا ونذيرا وداعيا
الى الله اى الى الاقرار به وبتوحيده وبما يجب الايمان به من صفاته باذنه بتيسيره لكلمات التصرف
للغير في حق المالك متعذر انما يتيسر بالاذن استعير الاذن للتيسير والتسهيل ايذانا بان
دعاء اهل الشرك والجاهلية الى التوحيد والاسلام امر صعب متعذر لا يستطاع الا اذا سهله
الله تعالى ويسره ولا يصح حمله على الحقيقة لان قوله ارسلناك داعيا يغني عن الاذن بمعناه
الوضعي وسراجا منيرا شبه النبي صلعم بالسراج لاستضاءة من تحير في ظلمات الجهل بنوره
واهتداء من ضل بضوئه ولان قد جلا الله تعالى ظلمات الشرك بنور توحيده او نور البصاير بنور
هدايته كما ينور الابصار بنور السراج وبولغ في وصفه بالانارة لان من السراج ما لا ينير
وقيل ذا سراج منير على ان السراج مستعار للقرآن وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا
كبيرا اى عطاء واسعا وثوابا جزيلا او فضيلة على ساير الامم ووصفه بجنس صفات ثم قابل كلا
منها بخطاب يناسبه ووصفه بكونه شاهدا واخر ما يقابله بدلالة عطف بشر عليه فانه مقابل
لمبشرا فيجب ان يكون معطوفا على ما يناسب الوصف الذى عطف عليه مبشرا وهو فراقب امتك
وقابل نذيرا بالنهي عن موافقة الكفار والمبالاة بهم الوارد في قوله ولا تطع الكافرين و
المنافقين فان ذلك شدة الانذار كانه قال خلهم وشانهم فانا اكفيكهم وذلك تهييج لهم له
صلعم على ما هو عليه من مخالفتهم وقابل داعيا الى الله باذنه بقوله وتوكل على الله فانه ميسر
لكل عسير وسراجا منيرا بقوله وكفى بالله وكيلا اى موكولا اليه للبر في الاحوال كلها لانه من اناره
برهانا على جميع خلقه حقيق بان يكتفى به عن غيره ولا يستعان الا به يا ايها الذين آمنوا اذا
نكحتم المؤمنات النكاح العقد وتخصيص المؤمنات مع ان الحكم المذكور يستوي فيه المؤمنات
والكتابيات تعليم لما هو الاولى وتحريض عليه فان الاولى بالمؤمن ان يتخير لنطفته ولا يختار
للنسل الا الطيبة الطاهرة وما في المائدة بيان الجواز ومعنى التراخي في ثم طلقتموهن دفع

لما عسى ان يتوهم ان تراخي الطلاق مدة يمكن فيه الاصابة مؤثر في العدة كما في النسب من
قبل ان تمسوهن المساس كناية عن الجماع فما لكم عليهن من عدة ايام يتربصن فيها بانفسهن
تعتدونها تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله او تعدونها
والاسناد الى الرجال للدلالة على ان العدة حق الازواج كما اشعر به فما لكم ومن قرا تعتدونها
بالتخفيف حذف الجار واوصل الفعل الى الضمير بنفسه كقوله ويوم شهدناه اي شهدنا فيه
ومنطوقه ساكت عن العدة بمجرد الخلوة الصحيحة ولا عبرة للمفهوم فلا مانع لالحاق الخلوة بالمس
في ايجاب العدة فمتعوهن للوجوب ان لم يكن مفروضا لهن فان للمفروض لها نصف المهر و
يجوز ان يحمل على الندب والاولى القدر المشترك بين الوجوب والندب فيتناولهما لان متعة
المفروض لها مستحبة ولم تجب الا لغير المفروض لها قبل المساس من المطلقات وسرحوهن اخرجوهن
من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع حق يا ايها النبي
انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن مهورهن لان المهر اجر على البضع وايتاؤها
اعطاؤها والمعتبر فيه الالتزام كما في اعطاء الجزية وقد نبه على هذا من قال اعطاؤها عاجلا
او فرضها وتسميتها في العقد فانه في حكم الاعطاء وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك وهي
صفية وجويرية فاعتقهما وتزوجهما وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات
خالاتك الجمع في العمات والخالات دون العم والخال لسبق الكلام على وفق الواقع كما في قرينة
السابق اللاتي هاجرن معك مع ليس للقران بل لوجودهما بحسب كقوله واسلمت مع سليمان
والتقييد المذكور للتخصيص لما روي عن ام هاني رضي الله عنها قالت خطبني رسول الله صلعم
فاعتذرت اليه فعذرني فانزل الله هذه الآية فلم احل له لاني لم اهاجر معه وامراة مؤمنة
ان وهبت نفسها للنبي ان اتفق ولذلك نكرها اي رضيت بالنكاح له صلعم بلا مهر فالهبة
المذكورة مجاز عن تمليك المتعة بلا عوض وليس معناه ان قالت وهبت نفسي للنبي حتى
ينتهض حجة في الخلافية المشهورة بيننا وبين الش في علينا ولنا وامراة عطف على ازواجك
وما بعدها ولا يمنعه ان الاستقبالية لان المراد بالاحلال الاعلام بالحل اي اعلمناك حل امراة مؤمنة
او نصب بفعل مضمر يدل عليه احللنا اي واحللنا لك امراة وقرئ بالفتح على التعليل بتقدير حذف
اداته او على الظرف اي وقت ان وهبت ومدة هبتها ان اراد النبي ان يستنكحها شرط للشرط
الاول في استيجاب الحل فان هبتها نفسها منه لا يوجب له حلها الا بقبوله والارادة المذكورة
عبارة عنه ولا حاجة لحملها على الحقيقة لان قوله يستنكحها يغني عن الارادة بمعناه الوضعي والعدول
عن الخطاب الى الغيبة بلفظ النبي ثم الرجوع اليه في قوله خالصة لك للايذان بانه مما خص
للنبوة وتكريره تفخيم لاستحقاق الكرامة لاجله وخالصة مصدر مؤكد كقوله وعد الله وعدا
اي خلص لك احلالها خالصة بمعنى خلوصا او حال من الضمير في وهبت او صفة مصدر محذوف

اي هبة خالصة وقرئ خالصة بالرفع اي ذلك خلوص لك من دون المؤمنين او للمراة
خالصة لك من دونهم قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم من شرائط العقد ووجوب القسم و
المهر بالوطء حيث لم يسم وما ملكت ايمانهم من توسيع الامر فيها عليهم كيف ينبغي ان يفرض عليهم
والعدول عن عبارة الاماء الى ما ذكر للدلالة على ان مدار الحل على ملك اليد ولذلك لا يتحقق الحل
اذا تخلل ملك اليد عن ملك الرقبة كما في المكاتبة لكيلا يكون عليك حرج علة لقوله خالصة لك وما بينهما
اعتراض لبيان ان الفرق بينه وبين المؤمنين ليس بمجرد التوسيع عليه كما هنا بل لمعان من
خواص النبوة يقتضي التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة وبالعكس اخرى وكان الله غفورا
رحيما لما يعسر التحرز عنه بالتوسعة في مظان الحرج ترجي بهمز وبلا همز والمعنى واحد من تشاء
منهن تؤخرها وتترك مصاحبتها فلا تقسم لها وتؤوي اليك وتضم اليك من تشاء وتضاجعها
او تطلق من تشاء وتمسك من تشاء ومن ابتغيت طلبت ممن عزلت طلقت بالرجعة فلا جناح
عليك في شيء من ذلك التفويض الى مشيئتك ادنى اقرب ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين
بما اتيتهن كلهن الى قرة اعينهن وذهاب حزنهن وحصول رضاهن جميعا لانه حكم كلهن فيه
سواء لا تفاضل بينهن فيتغايرن ثم ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وان
رجحت بعضهن على بعض علمن ان ذلك من عند الله وبوحيه وتفويضه فيطمئن نفوسهن
ويرضين ولا يتغايرن والله يعلم ما في قلوبكم وعيد لمن لم يرض منهن بما دبر الله تعالى
وفوض الى مشيئته وكان الله عليما بذات الصدور حليما لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بان
يتقى ويحذر لا يحل لك النساء اي ذلك الجنس واتيان صيغة الجمع بعد ابطاله بالتعريف لعدم
المفرد من لفظها ولم يقل امراة لعمومها المملوكة بملك اليمين والمراد المملوكة بملك النكاح بقرينة
قوله من ازواج وقرئ بالتذكير لان تانيث الجمع غير حقيقي واذا جاز بغير فصل ففي فصل
يسوغ فمع الفصل اجوز من بعد من بعد التسع لانه نصاب رسول الله صلعم من الازواج كما
ان الاربع نصاب امته او من بعد اليوم حتى انه لو ماتت واحدة منهن لم يحل له نكاح اخرى
ولا ان تبدل بهن ولا ان تستبدل بهن من ازواج لا بكلهن ولا ببعضهن بان تطلق احديهن
وتنكح اخرى مكانها لراحة لهن وجزاء على ما اخترنه ورضين به فقصر رسول الله صلعم
عليهن ومن التسع اللاتي مات عنهن ومن في ازواج من الاستغراقية مزيدة لتاكيد
نفي جنس الازواج المستبدلة وهو حال من الضمير الذي هو فاعل تبدل اي معوضا
اعجبك حسنهن او من المعمول الذي هو من ازواج لانه من سياق النفي فشابه المعرفة المستغرقة
اي تبدل لك بتجويزهم ان يقع مبتدأ وعن عايشة رضي الله عنها ما مات رسول الله صلعم حتى احل له
النساء يعني ان الآية قد نسخت ولا يخلو نسخها اما بالسنة واما بقوله تعالى انا احللنا
لك ازواجك وبقوله ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء على المعنى الثاني ف

وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف وقيل المعنى لا تحل لك النساء من بعد الاجناس الاربعة
اللاتي نص على احلالهن لك من الاعرابيات والكتابيات والغرايب والاماء بالنكاح فانهن
لا يناسبن منصب النبوة وجلالته الا ما ملكت يمينك استثناء منقطع لان النساء وان كان
يتناول الحراير والاماء لكن غلب استعماله في الازواج وهو المراد ههنا على ما مر بيانه وكان
الله على كل شيء رقيبا حافظا ههنا وهو تحذير عن مجاوزة حدوده وتخطي حلاله الى حرامه
يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي لم يقل بيت النبي كيلا يسبق الوهم الى ان المراد
بيته الذي هو فيه الا ان يؤذن لكم او الا ماذونا لكم ولا يجوز نصبه على الظرف لانهم
قد نصوا على ان المصدرية لا يكون في معناه تقول اجيئك صياح الديك وقدوم الحاج ولا يجوز
اجيئك ان يصيح الديك ولا ان يقدم الحاج الى طعام متعلق بيؤذن لانه متضمن معنى
يدعى ويعضده قوله غير ناظرين اناه غير منتظرين وقته او ادراكه حال من فاعل لا تدخلوا
او من المجرور في لكم وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير من هي له بلا ابراز الضمير
وهو غير جائز عند البصريين وقرئ اناه بالامالة لانه مصدر انا الطعام اذا ادرك
قيل الخطاب مخصوص بقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلعم فيدخلون ويقعدون
منتظرين لادراكه والا لم يجز لاحد ان يدخل بيوته الا باذن خاص والظاهر ان الخطاب
عام لغير المحارم وخصوص السبب لا يصلح مخصصا على ما تقرر في الاصول ثم يكون
وجها لتقييد الاذن بقوله الى طعام فيندفع وهم اعتبار خصوصه ولكن اذا دعيتم فادخلوا
معنى الفاء للجزاء ولا دلالة فيها للتعقيب بلا مهلة واما الفاء في قوله فاذا طعمتم فللتعقيب بلا
مهلة للدلالة على انه ينبغي ان يكون دخولهم بعد الاذن والدعوة على وجه شرعوا في الاكل
كما دخلوا ففيه تقرير لما اشير اليه بقوله غير ناظرين اناه من النهي عن الدخول للطعام قبل
ادراكه فانتشروا فتفرقوا ولا تمكثوا روي عن انس رضه انه قال انا اعلم بهذه الاية لما
زفت زينب الى رسول الله صلعم كانت معه في البيت وصنع طعاما للناس فاكلوا وتفرقوا
وبقي ثلثة نفر يتحدثون فاطالوا فقام رسول الله ليخرجوا ثم رجع فاذا الثلثة جلوس يتحدثون
وكان رسول الله صلعم شديد الحياء فتولى فلما راوه متوليا خرجوا فرجع فنزلت
ولا مستأنسين لحديث اى ولا يستأنس بعضكم لبعض لاجل الحديث او مستمعين حديث
اهل البيت والاول يوجهه سبب النزول عطف على ناظرين او منصوب على تقدير فعل اى
ولا تدخلوها او ولا تمكثوا مستأنسين ان ذلكم اى اللبث كان يؤذي النبي لتضييق المنزل
عليه واهله واشتغاله بما لا يعنيه فيستحيي منكم ولذلك صدره باداة التعليل ولو كان المعنى
يستحيي من اخراجكم لكان حقه ان يصدر بالواو العاطفة والله لا يستحيي من الحق لما كان
الحياء يمنع الحي من بعض افعاله واقواله وان كان هذا قبل ان الله لا يستحيي من الحق اى

لا يمتنع منه امتناع الحي وهو مجاز او على طريقة قوله قلت اطبخوا لي جبة وقميصا يعني ان اخراجكم
حق فينبغي ان لا يترك حياء كما لم يتركه الله تعالى فامركم بالخروج واذا سالتموهن الضمير لنساء
النبي صلعم لدلالة ذكر البيوت او دلالة الحال عليهن متاعا شيئا ينتفع به فاسالوهن المتاع
من وراء حجاب ستر روي ان عمر رضه قال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت
امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه صلعم كان يطعم ومعه بعض اصحابه رضه فاصابت
يد رجل يد عايشة فكره النبي ذلك فنزلت ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن من الخواطر الشيطانية
وما كان لكم وما صح لكم ان تؤذوا رسول الله ان تفعلوا ما يكرهه ولا ان تنكحوا ازواجه
من بعده ابدا من بعد وفاته او فراقه وخص التي لم يدخل بها لما روي ان اشعث بن قيس تزوج
المستعيذة في ايام عمر رضه فهم برجمها فاخبر بانه صلعم فارقها قبل ان يمسها فترك من غير نكير
ان ذلكم اي ايذاءه ونكاح نسائه كان عند الله عظيما ذنبا عظيما استيناف لتعظيم النبي صلعم
وايجاب حرمته حيا وميتا ولذلك بالغ في الوعيد عليه فقال ان تبدوا شيئا من نكاحهن وغيره
او تخفوه في صدوركم فان الله كان بكل شيء عليما فيعلم ذلك فيجازيكم عليه وفي هذا التعميم
مع البرهان على المقصود تهويل عظيم ومبالغة شديدة في الوعيد لا جناح عليهن في ابائهن
ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن استيناف لمن لا يجب الاحتجاب عنهم روي
انه لما نزلت اية الحجاب قال الاباء والابناء والاقارب يا رسول الله او نكلمهن ايضا وراء
الحجاب فنزلت وانما لم يذكر العم والخال مع شدة الاهتمام في البيان على ما دل عليه ما في عدم
الاكتفاء بالانتهاء في حق الاخ فان ذكر ابنه يغني عنه دلالة لانه كره ترك الاحتجاب عنهما مخافة
ان يصفاهن لابنائهما ولا نسائهن يعني نساء المؤمنات ولا ما ملكت ايمانهن العبيد والاماء
وقيل من الاماء خاصة وقد سبق في تفسير سورة النور واتقين الله فيما امرتن به التفات
الى الخطاب بعد الغيبة لاظهار الاعتناء بامر الحجاب والتشديد عليهن فيه وانه من باب
التقوى الواجب رعايته والمحافظة عليه ثم اوعد على ذلك بقوله ان الله كان على كل شيء
شهيدا سواء عنده السر والعلن لا يتفاوت عنده شيء من الاحوال فليكن عملكن في
الحجب احسن مما كان قبل الاحتجاب ان الله وملائكته يصلون على النبي يعتنون باظهار
شرفه وتعظيم شانه يا ايها الذين امنوا صلوا عليه اعتنوا انتم ايضا فانكم اولى بذلك
فقولوا اللهم صل على محمد وسلموا تسليما وقولوا السلام عليك ايها النبي والاية تدل على
وجوب الصلوة والسلام عليه صلعم في الجملة ان الذين يؤذون الله ورسوله جاز ان
يكون مجازا اي يرتكبون ما يكرهانه من الكفر والمعاصي وان يكون حقيقة وذكر الله
توطية للتعظيم والاختصاص اي يؤذون رسول الله لعنهم الله ابعدهم من رحمته في الدنيا
والاخرة واعد لهم عذابا مهينا يهينهم مع الايلام والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات

بغير ما اكتسبوا بغير جناية استحقوا بها ذلك فقد اذوا الله ورسوله وقيد ايذاء
المؤمنين والمؤمنات لان ايذاء الله ورسوله لا يكون الا بغير حق وايذاؤهم قد
يكون بحق فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا ظاهرا روى انها نزلت في ناس من المنافقين يؤذون
عليا رضه وقيل في اهل الافك وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات يا ايها النبي
قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن يغطين بها وجوههن
واعطافهن ويرخينها على ابدانهن اذا برزن لحاجة يقال اذا زال الثوب عن وجه المراة
ادني ثوبك على وجهك والجلباب الملحفة وكل ما يستتر به من كساء وغيره ومن للتبعيض
لان المراة تلتفع ببعضها وترخي بعضها على بدنها او لان لها جلابيب كانت النساء يبرزن
في اوائل الاسلام في درع وخمار كما كانت عادتهن في الجاهلية لا فرق بين الحرة والامة
في ذلك وكان الشبان والشطار يتعرضون لهن فاذا عوتبوا فيه يقولون حسبناها
امة فامرن ان يخالفن بزيهن زي الاماء فلذلك قال ذلك ادنى ان يعرفن
يميزن من الاماء والقينات فلا يؤذين فلا يؤذيهن اهل الريبة بالتعرض لهن بما
يكرهن وكان الله غفورا لما سلف منهن من التفريط رحيما بتعليمهن اداب المكارم لئن لم
ينته المنافقون عن نفاقهم والذين في قلوبهم مرض ضعف ايمان وقلة ثبات عليه و
قيل اهل الريبة والفجور والزناة من قوله فيطمع الذي في قلبه مرض والمرجفون في المدينة
الذين يرجفون باخبار السوء عن سرايا رسول الله صلعم فيقولون هزموا وقتلوا
وبالجملة ما يكسر قلوب المؤمنين والارجاف الاخبار الكاذبة لانه متزلزل غير ثابت يقال ارجف
بكذا اذا اخبر به على غير حقيقة من الرجفة وهي الزلزلة لنغرينك بهم لنامرنك بقتالهم واجلائهم او ما يضطرهم الى طلب
الجلاء قال ابن الانباري... [illegible]
جعل مجازا عن قصدهم بالسوء اي لئن لم ينته المنافقون عن نفاقهم وكيدهم والفسقة
عن فجورهم والمرجفون عن اراجيفهم لنامرنك بان تفعل بهم الافاعيل التي تسوءهم من
انواع التعذيب ثم لا يجاورونك عطف على لنغرينك وانما عطف بثم لان الجلاء عن الاوطان كان
اعظم عليهم من كل بلاء واشد من كل ما اصيبوا به من العذاب فبعد حاله عن حال المعطوف
عليه اي ثم يفعل بهم ما يضطرهم الى الجلاء الى المدينة والى ان لا يساكنوك فيها الا زمنا
قليلا ريثما يتهيئون للرحيل ويسترحون عيالهم ثم ادبر يحلون بهم ملعونين نصب على الشتم
او الحال ولا يجوز انتصابه باخذوا في قوله اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا لان
ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها والتشديد للدلالة على التكثير وكذا التنكير سنة الله في الذين
خلوا مصدر مؤكد اي سن الله في الانبياء الذين مضوا من قبل ذلك السنة وهو الاخذ والتقييد
في الذين نافقوا وافسدوا ولن تجد لسنة الله تبديلا لانه تعالى لا يبدلها ولا يقدر احد على
تبديلها يسألك الناس عن الساعة عن وقت قيامها كان المشركون يسألون رسول الله عنه

استعجالا على سبيل الهزؤ والانكار واليهود امتحانا لان الله تعالى عمى وقتها في التورية وفي
جميع كتبه قل انما علمها عند الله لم يطلع عليها احدا لا نبيا ولا ملكا ثم بين لرسول الله صلعم بقوله
وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا انها قريبة الوقوع تهديدا للمستعجلين وتذكيرا قريبا على
تاويل الشيء او اليوم او الزمان ويجوز انتصابه على الظرف اي في زمان قريب ان الله لعن
الكافرين واعد لهم سعيرا نارا مسعورة شديدة الاتقاد خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا
ينفعهم ولا نصيرا يدفع العذاب عنهم يوم ظرف ليقولون او نصب باذكر ويقولون حال
تقلب وجوههم في النار كما تقلب اللحم عند الشي او من حال الى حال ومن هيئة الى هيئة وخصت
الوجوه بالذكر لانها اشرف اعضاء الانسان واعزها او عبر بها عن الجملة وقرئ تقلب بمعنى
تتقلب ويقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا فلا نبتلى بهذا العذاب وزيادة
الالف في الرسولا والسبيلا لاطلاق الصوت جعلت فواصل الاي كقوافي الشعر
وفائدتها الوقف والدلالة على ان الكلام قد انقطع وان ما بعده مستانف وقالوا ربنا انا
اطعنا سادتنا وكبراءنا يعنون رؤساء الكفر الذين لقنوهم الكفر وزينوا لهم وقرئ ساداتنا
على جمع الجمع للدلالة على الكثرة فاضلونا السبيلا بما زينوا لنا ربنا اتهم ضعفين اي مثلي
ما اتيتنا من العذاب لضلالهم واضلالهم لنا والعنهم لعنا كبيرا كثير العدد وقرئ بالباء
اي لعنا هو اشد اللعن واعظمه يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى
فاستحقوا العذاب في العقبى فبراه الله مما قالوا في حقه لما اظهر الله تعالى براءته عليه السلام
مما قرفوه به انقطع كلما اتهم فيه فبراءه عليه السلام من قولهم فحصل لهم الخجالة في الدنيا بظهور
كذبهم وافترائهم على رسولهم وذلك ما مر في القصص من تحريض قارون امراة على قذفه بنفسها
او اتهامهم اياه بقتل هرون فاحياه الله تعالى فاخبره ببراءة موسى عم او قرفوه بعيب في
بدنه من برص او ادرة لفرط تستره حياء فاطلعهم الله على انه بريء منه وكان عند الله وجيها
ذا جاه ومنزلة فلذلك كان يدفع عنه التهم ويحافظ على ماء وجهه بصونه عن كل وصم ونقيصة
وقرئ عبد الله وجيها يا ايها الذين امنوا اتقوا الله في ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذي رسوله
وقولوا قولا سديدا السداد القصد الى الحق يقال سدد السهم نحو الرمية اذا لم يعدل به عنها
يصلح لكم اعمالكم بالقبول والاثابة عليها وذلك بالتوفيق لصالح الاعمال ويغفر لكم
ذنوبكم ويجعلها مكفرة باستقامتكم في القول والعمل ومن يطع الله ورسوله في الاوامر والنواهي
فقد فاز فوزا عظيما عاش في الدنيا حميدا وفي الاخرة سعيدا لما نهى عن القول المؤذي
لرسول الله قرر النهي بالامر بالقول السديد الحق وحفظ اللسان عن الكذب والغيبة والرمي
ليتبعا ضد الامر والنهي مترادفين عليهم من اتباع النهي الوعد الشديد في ضمن قصة موسى عم
واتباع الامر الوعد البليغ فيتقوى الصارف عن الغرض والاذى بالداعي الى الخير واتقى وافرح

القول السديد بالذكر وان كان داخلا في التقوى لانه اجتناب من رذيلة الكذب لفضله
كانه جنس برأسه كما خص جبرئيل وميكائيل من بين الملئكة انا عرضنا الامانة على السموات
والارض فابين ان يحملنها واشفقن منها الاشفاق خوف من اعتناء وحملها الانسان تقرير
للوعد السابق بتعظيم الطاعة فانه لما علق الفوز العظيم بها اراد ان يقرر انه حق لها فاستعار
الامانة لها لانها واجبة الاداء كالامانة وبين انها من عظمها بحيث لو عرضت على هذه الاجرام
العظام مع احكامها وقوتها وكانت شاعرة لابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان
مع ضعف بنيته ورخاوة قوته فجدير بالقائم كمقرها والمراعي لها ان يفوز بخير الدارين
وسعادة المنزلين وحق ان اضاع حقوقها وخانها ان يرهق باشد العذاب ويؤدب بسؤ
المآب انه كان ظلوما حيث لم يراع حقوقها ولم يؤدها ولم يف بها جهولا حيث لم يعرف عظم
قدرها وفخامة شانها فلم يؤدها وهذا حكم على الجنس بحسب الاغلب ووجه اخر وهو ان
يراد بالطاعة الانقياد لامر الله تعالى مطلقا بحيث يشمل الاختياري والطبعي وبعرضها
استدعاوها الذي يعم ارادة صدور ما خلقت هذه الاجرام لها عليها وطلبا خلق الانسان
له منه وبحملها الامتناع من ادائها والخيانة فيها يقال حمل الامانة واحتملها اذا لم يؤدها الى
صاحبها فيخرج من عهدتها وتزول عن ذمته لان الامانة اذا كانت عليه كانت كانها راكبة له وهو
حاملها كما يقال ركبته الديون وهو حاملها كما يقال ركبته الديون فاذا اداها لم تبق راكبة
له ولا يكون هو حاملها وبابائهن حملها اتيانهن بما اراد الله منه طوعا وانقيادها وباشفاقها
موافقتها لامر الله تعالى وامتناعها من مخالفته على انها مجازات فيكون المعنى ان هذه الاجرام مع
عظمها وقوتها لم يمتنع من طاعتنا وانقادت لما امرناها وادت امانتنا ولم تخن واذعنت
لما اردنا منها كقوله اتينا طائعين واما الانسان مع كونه عاقلا عالما بوجوب طاعتنا فحاله بخلاف
ذلك فانه حمل الامانة ولم يؤدها اي عصانا ولم يطع انه كان ظلوما لانه لم يؤدها وامانتنا
ولم يف بعهدنا وخاننا جهولا بوخامة عاقبته ولام التعليل للعاقبة لان التعذيب يعقب حمل
الامانة ويجوز ان يراد بالامانة العقل وما يلزمه من التكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة
الى استعدادهن وبابائهن الاباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة والاستعداد وبحمل الانسان
قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية وعلى هذا
يحسن ان يكون علة للحمل عليه فان من فوايد العقل ان يكون مهيمنا على القوتين حافظا لهما على التعدي
ومجاوزة الحد ومعظم المقصود من التكليف تعديلهما وكسر سورتهما ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين
والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات تعليل للحمل من حيث انه نتيجته كالتاديب للضرب
في ضربته تاديبا وذكر التوبة في الوعد اشعار بان كونه ظلوما جهولا في جبليته لا يخليه عن فرطات
ويتوب بالرفع على ان العلة قاصرة على فعل الحامل ويتوب الله ابتداء كلام وكان الله غفورا رحيما حيث تاب على فرطاتهم

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض قد سبق ان في وصف المحمود بعد اثبات الحمد له اشعارا
بانه موجب لاستحقاقه الحمد فالمعنى انه تعالى حقيق بالحمد لاجل انعامه بجميع النعم الدنيوية ولهذا عطف
عليه بقوله وله الحمد في الآخرة الحمد على النعم الاخروية عطف المقيد على المقيد اي انه المحمود على نعم الدنيا
في الدنيا وعلى نعم الآخرة في الآخرة وتقديم الصلة للاختصاص لكون النعم الاخروية منه تعالى بلا واسطة
واما نعم الدنيا فقد يكون بواسطة من يستحق الحمد ايضا لتسببه لها والفرق بين الحمدين بان الاول
منهما واجب دون الثاني لانه على نعمة واجبة الايصال الى مستحقها لا يتمشى على اصل اهل السنة وذلك ظاهر
ولا على اصل اهل الاعتزال لانهم ينكرون التفضل في الآخرة غايته انهم لا يوافقونا في كون الكل تفضلا
ووجوبه بحكم الوعد لا ينافيه لان الوعد منه مع عدم شموله لانواع النعم الاخروية فضلا عن افرادها
كان تفضلا وما يجب بحكم التفضل لا يخرج عن حده على انه لا يثبت به الاستحقاق فلا يجدي نفعا في
دفع الخلل فتامل وهو الحكيم المحكم في افعاله المصيب في افعاله الخبير بما في الضماير من السراير فيها
للايذان بانه تعالى كما يستحق الحمد لانه منعم يستحقه لانه منعوت بصفات الكمال وان انعامه على
وجه الحكمة والصواب وعن علم بموضع الاستحقاق والاستيجاب ثم فصل علمه وحكمته بعد الاجمال بقوله
يعلم ما يلج في الارض من ماء المطر وعروق النبات واصول الاشجار واما الكنوز والدفاين و
الاموات فمما يوضع فيها لا مما يلج فيها والولوج الدخول في مضيق وما يخرج منها من مياه العيون
والنبات والاشجار وحشرات الارض واما الفلزات فمما يخرج لا مما يخرج وما ينزل من
السماء من الملئكة والكتب وقطرات الامطار والصواعق وامثال ذلك وما يعرج فيها من الملئكة
والاعمال والابخرة والادخنة وغيرها وتعديته بفي يقال عرج في الدرجة اذا ارتقى وهو
مع وفور هذه النعم وسبوغها الرحيم بالنعم الدينية من العلم والحكمة والهداية الغفور للمفرطين
في اداء مواجب شكرها عقبه بهذين الوصفين تتميما للمقصود يعني انه تعالى مع انه اولاهم تلك
النعم وشهد منهم ذلك التقصير يزيد في تلك النعم ويغفر لهم ذلك التفريط وقال الذين كفروا
لا تاتينا الساعة النفي اما انكار واما استبطاء للموعود استهزاء وسخرية كقولهم متى هذا
الوعد قل بلى وربي لتاتينكم رد لقولهم واثبات لما نفوه بما هو الغاية في البلاغة بتكرير
الايجاب مع التاكيد القسمي واتباع المقسم به بالوصف المقرر لوقوعه والتعليل الموجب لثبوته
وقرئ لياتينكم بالياء على ان الساعة بمعنى اليوم او على ان الفاعل عالم الغيب اي
لياتينكم امره وعلى الاول كان المذكور رفعا على المدح اي هو عالم الغيب او مبتدأ خبره لا
يعزب عنه وقرئ عالم الغيب بالجر صفة لربي وعلام الغيوب للمبالغة ولا يعزب بكسر الزاء

وضمها من العزوب وهو البعد مثقال ذرة مقدار اصغر نملة في السموات والارض و
اصغر من ذلك ولا اكبر جملة مؤكدة لنفي العزوب ورفعهما على الابتداء ويؤيده القراءة بالفتح
فيهما على نفي الجنس كقوله ولا حول ولا قوة بالرفع والنصب والاستثناء في قوله الا في كتاب مبين
اي اللوح المحفوظ يأبى عطفه المرفوع على مثقال والمنصوب على ذرة على ان فتحه لامتناع الظرف
الا ان يجعل الضمير في عنه للغيب ويجعل المثبت في اللوح بارزا عن الغيب مشهودا للملاء الاعلى
كما قال بعضهم ولا يساعده المعنى لان المعنى الغيبي اذا برز الى الشهادة لم يعزب عنه بل بقي
في الغيب على ما كان عليه مع بروزه فهي جملة مستقلة والواو عاطفة للجملة على الجملة لتناسبهما
في بيان علمه تعالى بالغيب ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات تعليل لقوله لتأتينكم اولئك
لهم مغفرة ورزق كريم اذ لا تعب فيه ولا من عليه والذين سعوا في اياتنا بالابطال وتزهيد
الناس فيها معاجزين مسابقين ليفوتونا وقرئ معجزين اي مثبطين الناس عن قبولها اولئك
لهم عذاب من رجز الرجز سوء العذاب اليم وقرئ بالرفع والجر ويرى الذين اوتوا العلم اي
ويعلم اولوا العلم من اصحاب رسول الله صلعم ومن تابعهم من امته او علماء اهل الكتاب
الذين اسلموا كعبد بن سلام وكعب الاحبار واضرابهما الذي انزل اليك من ربك القران هو
الحق مفعولان ليرى وهو فصل ومن رفع الحق جعله مبتدا والحق خبرا والجملة في موضع المفعول
الثاني ليرى وهو في محل الرفع على انه كلام مستانف للاستشهاد باولي العلم عن الجهلة الساعين
في الايات وقيل في محل النصب عطفا على ليجزي اي وليعلم العلماء عند مجيء الساعة انه الحق عيانا
كما علموا الان برهانا فيحتجوا به على المكذبين الساعين او ليعلم علماء اهل الكتاب الذين لم
يؤمنوا انه الحق فيزدادوا حسرة وغما ويهدي الى صراط العزيز الحميد الذي هو التوحيد
والتدرع بلباس التقوى وقال الذين كفروا قال بعض كفار قريش لبعض هل ندلكم على رجل
يعنون النبي صلعم وانما عبروا عنه برجل على التنكير ولم يذكروا باسمه مع شهرته فيما بينهم للتعجيب
لاخراج كلامه مخرج الاعاجيب التي لا يعرف قائلها وواضعها بل يحكى للتلهي والسخرية فلذلك اخرج
مخرج من لم يعرف وفي قوله ينبئكم دون يخبركم تاييد لما ذكر فان النبا خبر فيه غرابة وشان اذا
مزقتم اذا متم وفرقتم كل ممزق منصب على المصدر او على الظرف على انه اسم مكان اي فرقتم
كل تفريق وصرتم ترابا او كل موضع تفريق كبطون السباع وحواصل الطيور ومذاهب السيول
والعامل في الظرف ما دل عليه انكم لفي خلق جديد اي بعثتم وجدد خلقكم وجديد فعيل بمعنى
فاعل من جد وبمعنى مفعول من جد الناس اذا قطعه واصله في الثوب ثم شاع وانما قدم
الظرف اعتناء باستبعاده وايذانا بانه سبب التعجب لبعده عن المعقول واصله ينبئكم انكم
تبعثون وتجدد خلقكم اذا متم فقدم واخر وبدل وغير لما قلنا ولذلك بالغوا في التاكيد
بان واللام متعجبين ومعجبين من جزمه بالبعث اي لا يقنع بامكانه بل يجزم بوقوع محال مثله وتفذ

هو التسبب في حصرهم قوله صلعم في الافتراء والجنون بناء على ان كونه صدقا وحقا مما تبين
الاستحالة عندهم فالترديد بين الشقين الكذب افترى الف استفهام دخلت على الالف الوصلية
فاسقطها للاستغناء عنها على الله كذبا قاصدا وتعمد كذبا بالغا في كذبه ام به جنة ام حل به جنون
فيقول بغير قصد عاد لوا بين الافتراء والجنون لان هذا القول عندهم انما يصدر عن احد هذين
لانه ان كان يعتقد خلاف ما اخبر به فهو مفتر وان كان لا يعتقد فهو مجنون بل الذين لا يؤمنون بالاخرة
في العذاب والضلال البعيد اضراب عن تعنيتهم لبطلانه الى ان الكافرين وقعوا بسبب انكارهم
للبعث وعدم ايمانهم في الدار الاخرة في العذاب والضلال معا ولم يفطنوا لغاية ضلالهم للقسم
الثالث الذي هو الحق وانه صلعم بعيد من القسمين المذكورين لم يتلفظ الا صدقا وحقا ووضع
الموصول موضع الضمير للايذان بان سبب استبعادهم للبعث ونسبة الافتراء والجنون اليه
الذي هو الضلال المحض انما هو عدم ايمانهم بالاخرة وقرن العذاب بالضلال اشعارا بان
العذاب يلزم الضلال غير منفك عنه كانهما في وقت واحد لسرعة اداء الضلال اليه ووصف الضلال
بالبعد من الاسناد المجازي لان البعد صفة الضلال اذا بعد عن الجادة افلم يروا الى ما بين ايديهم
وما خلفهم من السماء والارض تذكير لهم بما هم معاينوه من كمال قدرة الله تعالى وتهديد على
تكذيبهم اي اعموا فلم ينظروا الى ما احاط بجوانبهم من السماء والارض فيستدلوا بذلك على
انهم في سلطان الله يجري عليهم احكامه ان نشأ نخسف بهم الارض كما فعلنا بقارون او
نسقط عليهم كسفا قطعة من السماء كما فعلنا باصحاب الايكة لتكذيبهم بالايات البينات
بعد ظهور برهانها ان في ذلك اي في النظر الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض لاية
بينة ودلالة واضحة على قدرة الله تعالى لكل عبد منيب راجع الى الله لان الراجع اليه تعالى
متفكر في ايته الدالة على انه قادر على البعث وعلى عقاب المكذبين ولقد اتينا داود منا
فضلا على سائر الناس ويندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن او على
سائر الانبياء صلعم في زمانه وهو ما ذكر بعده من المعجزات الخاصة به يا جبال بدل من فضلا
باضمار قولنا او من اتينا باضمار قلنا اوبي رجعي معه التسبيح وقرئ اوبي من الاوب اي
ارجعي معه في التسبيح لانه اذا رجعه فقد رجع فيه وذلك يخلق صوت فيها مثل صوته معجزة
له يخلق الكلام في الشجرة وقيل سيري معه اينما سار والطير قرئ بالفتح عطفا على لفظ الجبال
تشبيها للحركة البنائية لكون بنائه بسبب لعارض وهو وقوع منادى مقام مبني لا اصلي
وهو كاف دعوى بالحركة الاعرابية او عطفا على فاعل اوبي اي اوبي انت والطير كقوله اسكن
انت وزوجك الجنة وبالنصب على محله ولانا يبعد في القراءة بالرفع لهذا لان مبناه على ان يتبعي
فيها العطف على لفظ الجبال وقد عرفت انه غير منتهي او على انه مفعول معه وقيل عطفا على
فضلا بمعنى وسخرنا له الطير واصل النظم ولقد اتينا داود منا فضلا تاويب الجبال والطير

وعدل الى هذه الصيغة للفخامة والجزالة والدلالة على كمال قدرته تعالى وعزة سلطانه و
كبريائه وجعل الجبال والطير كالعقلاء المطيعين اذا دعاهم سمعوا واجابوا واذا امرهم
اذعنوا واطاعوا اشعارا بان كل حيوان وجماد مطيع له ومنقاد لمشيئته غير ممتنع على ارادته
والنا له الحديد وجعلناه لينا كالشمع يصرفه بيده كيف يشاء بغير احماء بنار ولا ضرب بمطرقة
بالالة او بشدته او بشدة قوته عليه السلام ان اعمل ان هي المفسرة اي امرناه ان اعمل او
المصدرية اي بان اعمل سابغات دروعا صافيات تعالى سبغ الثوب اذا غطى كل ما هو
عليه فضل منه والمراد زيادته على البدن في ستر القاعدين والقائمين وهو اول من اتخذها
وكانت قبل ذلك صفائح وكانت ثقالا ولذلك امر بالتقدير بان يجمع بين الخفة والحصانة
اي لا تقصد الحصانة فتثقل ولا الخفة فتزول المنعة وقدر في السرد سرد الدروع هو
ان تحكمها وتجعل نظام حلقها ولاء غير مختلف ومنه سرد الكلام نظمه في نسق واحد وقيل
التقدير امر به في قدر الحلقة اي لا تجعلها صغيرة فتضعف ولا تقوى للدفاع ولا كبيرة
فينال لابسها من خلالها وقيل هو في المسمار اي جعل المسامير على قدر الحلق لا تغلظها
فتخرق ولا تدقها فتقلق وهذان القولان على الوجهين المذكورين في تفسير والنا له الحديد
فرد الاخبار بان درعه لم يكن مسمرة مردودة لان عدم الحاجة الى التسمير على تقدير ان يكون
الحديد لينا بالانة تعالى واما اذا كان على طبيعته ولينه داود عليه السلام بشدة قوته فلا بد
من التسمير وبهذا التفصيل ظهر فساد ما قيل ويؤيده الرد المذكور والنا له الحديد واعملوا
داود واهله صالحا عملا يوافق امر الله تعالى اني بما تعملون بصير ترغيب وترهيب ولسليمان
الريح وسخرنا لسليمان الريح فيمن نصب ولسليمان الريح مسخرة فيمن رفع غدوها
شهر ورواحها شهر اي جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشي كذلك واسلنا له عين
القطر النحاس المذاب اسال له معدن النحاس فكان ينبع له نبوع الماء من الينبوع ولذلك
سماه عين القطر وكان ذلك باليمن ومن الجن من يعمل من في محل النصب عطفا على الريح
او من الجن حاضرة بين يديه قدامه باذن ربه بتيسيره وقد سبق وجه هذه الاستعارة في سورة
الاحزاب ومن يزغ منهم يعدل منهم عن امرنا الذي امرناه به من طاعة سليمان عليه السلام
نذقه من عذاب السعير عذاب النار قيل كان معه ملك بيده سوط من نار فمن زاغ عن
امره ضربه ضربة احرقته يعملون له ما يشاء من محاريب اي مساجد انما عبر عن المسجد
بالمحراب لاختصاصه به من بين سائر البيوت وتماثيل صور الملائكة والنبيين والعباد
كانت تعمل في المساجد على هيأة كل العبادة التي اعتادوها ليراها الناس فيعبدوا نحو
عبادتهم ولم يكن عمل التصاوير اذ ذاك حراما وجفان وصحاف كالجوابي لان الماء يجبى فيها
اي يجمع جعل الفعل لها مجازا جمع جابية وهي الحوض الكبير وهي من الصفات الغالبة كالدابة

وقرئ بحذف الياء اكتفاء بالكسرة كقوله يوم يدع الداع وقدور راسيات ثابتات على الاثافي
لا تنزل عنها لعظمها وهذه الكناية كانت في منزلة التشبيه في قرينتها اعملوا ال داود
شكرا حكاية لما قيل لهم وشكرا مفعول له او حال بمعنى شاكرين او نصب على المصدر اي اشكروا
شكرا وحذف فعله لدلالة اعملوا عليه من حيث ان العمل للمنعم شكر له ويجوز ان يكون مفعولا به
على طريق المشاكلة بمعنى انا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا انتم لنا شكرا وقليل من
عبادي الشكور المتوفر على اداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه في اكثر اوقاته فلما قضينا عليه
الموت على سليمان ما دلهم الضمير للجن على موته الا دابة الارض هي الارضة اسمها السرفة
والارض مصدر ارضت الخشبة منها فعلها فاضيفت اليه تاكل منساته المنساة العصى لانه ينسأ بها
اي يطرد ويؤخر وقرئ بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلبا وحذفا وكلاهما ليس بقياس ولكن
التخفيف القياسي ومنسأته على مفعالة كما يقال في الميضأة ميضاءة ومن ساته اي من طرف عصاه
استعيرت من سأة القوس وفيه لغتان كقحة وقحة فلما خر تبينت الجن من تبين الشيء اذا
ظهر وتجلى او من تبينه اذا تحققه ان لو كانوا يعلمون الغيب ان مع صلتها بدل من الجن بدل
الاشتمال كقولك تبين زيد جهله اي تبين جهل زيد او مفعول به وعلى الاول الظهور في المعنى
للمبدل من الجن لا لهم اي ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين وعلى الثاني
معناه تحقق الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا بموته حال وقوعه فلم يلبثوا بعده
حولا في تسخيره او علم الجن كلهم علما بينا بعد التباس الامر على عامتهم وضعفتهم وتوهمهم ان
كبارهم يصدقون في ادعائهم علم الغيب لقد كان لسبا الانتظام بين القصتين ان الاولى
في مدح الشكور والثانية في ذم الكفور وبيان جزاء كفرانه وقرئ سبا منصرفا على معنى
القبيلة او المدينة وسبا بقلب الهمزة الفا في مساكنهم مواضع سكناهم وهي باليمن يقال
لها مارب وقرئ مسكنهم بفتح الكاف وكسرها على ما شذ من القياس كالمسجد والمطلع
اية اي علامة تدل على ان لهم الها خالقهم ورازقهم لان ما اعطاهم من انواع الشجر والوان
الثمر كان خارجا عن وسع البشر جنتان بدل من اية او خبر مبتدا محذوف اي هي جنتان و
قرئ بالنصب على المدح ودل ذلك على ان في رفعه معنى المدح جماعتان من البساتين كالبستانين
اثنان عن يمين وشمال جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحد منهما لتقارب
بساتينها وتقاربها والتفاف اغصانها كجنة واحدة او بستان كل رجل منهم عن يمين مسكنه
وشماله كلوا من رزق ربكم واشكروا له حكاية لما قيل لهم اي قلنا على لسان الانبياء المبعوثين
اليهم عليهم السلام او هم احقاء بان يقال لهم او قال لهم لسان الحال بلدة طيبة لم تكن سبخة
ولا عاهة فيها ولا هامة استيناف للدلالة على موجب الشكر وتعليل للامر اي هذه البلدة
التي فيها رزقكم بلدة طيبة ورب غفور وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور

فرطات من يشكره وقرئ بلدة طيبة وربا بالنصب على المدح او اسكنوا واعبدوا
فاعرضوا عن الشكر فارسلنا عليهم سيل العرم جمع عرمة وهي الحجارة المركومة والمراد
المسناة التي عقروها سكرا وقيل العرم اسم الوادي الذي فيه السكر والوادي الذي
جاء منه السيل وقيل المطر الشديد او الجرذ الذي نقب السكر عليهم وبدلناهم بجنتيهم
جنتين تسميته البدل جنتين للمشاكلة مع التهكم به ذواتي اكل خمط الاكل بالضم و
السكون هو الثمر والخمط شجر الاراك وقيل كل شجر ذي شوك وقيل كل نبت اخذ طعما
من مرارة حتى لا يمكن اكله وقرئ اكل بالتنوين والاضافة الى خمط واذا نون جعل
خمط بدلا منه كانه قيل ذواتي اكل بشع او جعل اصله ذواتي اكل اكل خمط فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه واما الاضافة فلان الخمط في معنى البرير وهو ثمره واثل شجر يشبه
الطرفاء اعظم منه واجود عودا وشيء من سدر قليل السدر شجر النبق وهو مما يطيب
اكله ولذلك كان يغرس في الجنان الاول ويرغب فيه ولذلك قيده بالقلة وبالغ فيه
بقوله وشيء من سدر اي بقي اثرها منه في الجنان المبدلة يتذكرون به ما كان ويتحسرون
عليه والاثل والسدر معطوفان على اكل لا على خمط فان الاثل لا اكل له وقرئ واثلا و
شيئا بالنصب على جنتين ذلك جزيناهم بما كفروا بسبب كفرانهم النعمة او بسبب كفرهم
في الرسل وتقديم المفعول على جزيناهم للاهتمام والتعظيم ولذلك اشير اليه بذلك
وهل نجازي بما استعمل الجزاء في معنى العقاب قيل هو نجازي بمعنى نعاقب اي هل نجازي
مثل هذا الجزاء وهو العقاب لعاجل الا الكفور الا البليغ في الكفران او الكفر وجعلنا
بينهم وبين القرى التي باركنا فيها بالتوسعة على اهلها وهي قرى الشام قرى ظاهرة متواصلة
يرى بعضها من بعض او راكبة متن الطريق او سابلة وقدرنا فيها السير قيل كان الغادي
منهم يقيل في قرية والرائح يبيت في قرية الى ان يبلغ الشام لا يخاف جوعا وعطشا و
ولا عدوا ولا يحتاج الى حمل زاد ولا ماء سيروا فيها على ارادة القول بلسان الحال اذ
لا قول ثمة ولكن لما هيئت اسبابهم ومكنوا من السير كانهم امروا بذلك واذنوا فيه
ليالي واياما امنين اي ان شئتم بالليل وان شئتم بالنهار فانه لا يختلف الامن فيها باختلاف
الاوقات او سيروا فيها آمنين وان طالت مدة سفركم وامتدت اياما وليالي او سيروا ليالي
اعماركم لا تلقون فيها الا الامن فقالوا بين اسفارنا سئموا طيب العيش وملوا العافية و
الترفه وبطروا النعمة فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو اسرائيل الثوم والبصل مكان المن
والسلوى وهو بان يجعل الله بينهم وبين الشام مفاوز ليركبوا الرواحل ويتزودوا الازواد
ويتطاولوا بها على الفقراء فعجل لهم الاجابة بتخريب القرى المتوسطة وقرئ ربنا باعد على
لفظ الخبر ومعناه على خلاف ذلك وهو استبعاد مسايرهم على قصدها ودنوها لفرط

تنعمهم وترفههم وعدم الاعتداد بما انعم عليهم فيه كانهم تشاجروا على ربهم وشكوا اليه
ومثله قراءة من قرأ ربنا بعد او بعد ورفع بين باسناد الفعل اليه وظلموا انفسهم حيث
بطروا النعمة ولم يعتدوا بها فجعلناهم احاديث اي عظات وعبر يتحدث بهم ويتمثل
فيقال تفرقوا ايدي سبا ومزقناهم كل ممزق وفرقناهم غاية التفريق فلحق غسان بالشام
وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان ان في ذلك لايات لكل صبار شكور للنعم
في الرخاء ولقد صدق عليهم ابليس بالرفع ظنه بالنصب اي حقق عليهم ظنه صادقا
وقرئ بنصب ابليس ورفع ظنه اي وجده ظنه صادقا وقرئ بتخفيف صدق على الوجهين و
معنى الاول صدق ابليس في ظنه او صدق بظنه ظنا نحو فعلته جهدك اي يجهد جهدك ومعنى
الثاني قال له ظنه الصدق حين خيله اغواؤهم يقولون صدقك ظنك وبالتخفيف ورفعهما
على ان ظنه بدل منه اي صدق عليهم ظن ابليس فاتبعوه ان جعلنا الضمير هنا وفي عليهم
لبني ادم كان كالبرهان على ان اهل سبا اتبعوا الشياطين فاغواهم ومعنى صدق ظن
ابليس في تخييله اغواءهم انه حين وجد ادم عم ضعيف العزم قد اصغى الى وسوسته قال
ان ذريته اضعف عزما منه فظن بهم اتباعه وقال لاضلنهم لاغوينهم الا فريقا من المؤمنين
فقلل المؤمنين بالنسبة الى الكفار على ان من للبيان اي الا فريقا هم المؤمنون لقوله لاحتنكن
ذريته الا قليلا ولا تجد اكثرهم شاكرين وان كان للتبعيض فهم المخلصون لقوله الا عبادي
منهم المخلصون وما كان له عليهم من سلطان من تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء
الا لنعلم من يؤمن بالاخرة الا ليظهر علمنا بايمان من آمن وشك من شك بتميزهم على مظاهر
الرسول والمؤمنون وقرئ ليعلم على البناء للمفعول والمراد بالعلم متعلقه ليترتب عليه الجزاء و
لذلك علل التسليط به وفي قوله ممن هو منها في شك تغيير لنظم الحاصلين بايراد الجملة الاسمية
وتنكير الشك وجعله مقرا لهم ما لا يخفى اي ممن هو راسخ في شك عظيم لا يرعوى منه اي لا يتوب
عن الكفر بموت وربك على كل شيء حفيظ محافظ والزنتان متآخيتان قل للمشركين ادعوا الذين
زعمتم حذف مفعولا زعمتم والتقدير زعمتموهم الهة اما الاول فلطول الموصول بصلته
واما الثاني فلقيام صفته مقامه وهي من دون الله وهو حذف شايع اذا كان معلوما
ولا يستقيم ان يكون هو مفعوله الثاني لان قولك هم من دون الله لا يلتئم كلاما ولا يملكون
لانهم لم يزعموا ذلك بل نقيضه والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع ودفع ضر كما تدعون
الله تعالى هل يستجيبون لكم بشيء لا يملكون بانفسهم واخبارهم مثقال ذرة من خير او شر
او نفع او ضر استئناف الجواب عنهم بعد امرهم اشعارا بانه متعين ضرورة لا يحتمل غيره
ولا يمكنهم الافصاح عنه لكونه حجة عليه قوله في السموات والارض تعميم عرفي لا يملكون شيئا
ما في موضع ما او لان آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها ارضية كالاصنام و

لان الاسباب لتقوية للخير والشر اما سماوية او ارضية والجملة المعطوفة على الاستيناف كلتاهما
لبيان منافات صفاتهم للالوهية بالكلية الزاما لهم وما لهم فيهما من شرك في هذين الجنسين
من شرك في خلقهما وتدبيرهما لا في ملكهما وما له من ظهير من عوين يعينه على خلقهما وتدبيرهما
يعني انهم في العجز والبعد من صفات الربوبية بهذه المثابة فكيف يصح ان يعبدوا ويدعوا
ويرجوا كما يعبد الله تعالى ويدعى ويرجى ولا ينفع الشفاعة عنده اى لا تنفعهم من جهة الشفاعة
ايضا كما يزعمون اذ لا تنفع عنده الا لمن اذن له قرئ على البناء للمفعول اى الا لمن اذن له ان
يشفع او لمن اذن ان يشفع له فان اللام المتعلقة بالشفاعة قد يكون للشافع وقد يكون
للمشفوع له والاليق بهذا الموضع ان يكون بمعنى المشفوع له واللام الثانية كالاولى في قولك
اذن لزيد لعمرو اى لاجله والمعنى لا تنفع الشفاعة الا كاينة لمن وقع الاذن للشفيع لاجله
حتى يكون ردا لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله اى لا تنفعكم شفاعتهم لانهم لا يؤذنون
ان يشفعوا لاجلكم حتى اذا فزع عن قلوبهم غاية لمفهوم الكلام فان توقف الشفاعة على
الاذن مؤذن بان ثم انتظارا للاذن وفزعا للراجين للشفاعة والشفعاء من ان لا يؤذن
لهم كانه قال يتربصون فزعين حتى كشف الفزع عن قلوبهم بالاذن في الشفاعة والتفريغ كشف
الفزع وازالته وقرئ مخففا بمعنى المشدد وقرئ بالراء المهملة والغين المعجمة اى نفي الوجل
عنها وافني من قولهم فرغ الزاد اذا لم يبق منه شيء وفرغ مخففا اصل فزع بالزاء المعجمة
فزع الوجل عنها ثم ترك ذكر الوجل واسند الى الجار والمجرور كما تقول دفع الى زيد اذا علم
المدفوع واصل المخفف فزع الوجل عنها ثم ترك ذكر الوجل واسند الى الجار والمجرور
كما تقول دفع الى زيد اذا علم المدفوع له اى انتفى عنها وفني ثم حذف الفاعل واسند الى
الجار والمجرور قالوا اى قال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم في الشفاعة قالوا الحق اى
قال القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى من المؤمنين وقرئ الحق بالرفع اى
مقوله الحق بالرفع وهو العلي الكبير ذو العلو والكبرياء وليس لملك مقرب ولا نبي مرسل
ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه وان يشفع الا لمن ارتضى قل من يرزقكم من السموات والارض
تقرير لقوله لا يملكون ولذلك امره بالجواب بعد سؤالهم قل الله لتعينه عند العقل وفيه اشعار
بانهم ان سكتوا وتلعثموا في الجواب مخافة الالزام فهم مقرون به بقلوبهم لعلمهم ان لا جواب الا
هذا وانهم انما لم ينطقوا به عنادا وحبا للشرك وافهامهم ان ينطقوا به وانا او اياكم لعلى هدى او في
ضلال مبين اى وان احد الفريقين من الموحدين الذين يخصون الرازق وحده المنفرد بالعطاء
الواجب لذاته بالعبادة ومن المشركين الذين يشركون الجماد النازل في ادنى مراتب الامكان
لعلى احد الامرين من الضلال والهدى وهو غاية في الانصاف الذي كل من سمعه من الموافق
والمخالف رضيه وفي طيه بعد ما تقدم من التقرير البليغ تعريض بمن هو في ضلال من الفريقين

ومن هو على الهدى ابلغ من التصريح لانه في صورة الانصاف المسكت للخصم المشاغب اتما
وخولف بين حرفي التعدية لان الحق كالمستعلى على جواد يركضه حيث يشاء او على منار مشرف على
كل احد مطلع على كل شيء والمبطل كالمحبوس في مطمورة لا يمكن التفصي منها لا يرى وجه الخلاص او
كالمنغمس في ظلام مرتبك لا يرى وجهة يتوجه اليها ثم اتبعه بقوله قل لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل
عما تعملون بما هو ابلغ من الاول في ارخاء العنان والانصاف وبالغ فيه حتى بلغ ذروة الاضافة
حيث نسب الاجرام الى نفسه واصحابه والعمل اليهم وبناء على الفرض والتقدير فلا يلزم اجرامهم
ولا يخلو عن التوبيخ المذكور ايضا مع التهكم قل يجمع بيننا ربنا يوم القيمة ثم يفتح بيننا بالحق
يحكم ويفصل بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار وهو الفتاح الحكيم المفصل في القضايا
المتغلقة العليم بما ينبغي ان يقضى به قل اروني الذين الحقتم به شركاء استفسار عن شبهتهم
بعد الزام الحجة بتبصيرا بانهم بخطائهم العظيم وزيادة في التبكيت اى اروني باى صفة الحقتموهم
به في استحقاق العبادة وشركتموهم به في التعظيم وكيف تا يستمعهم الجماد الذي في غاية العجز
والذلة بالقادر الذي قهر كل شيء بالقدرة كلا ردع لهم عن دينهم بعد ما دحرهم بابطال عند
المقايسة بل اضراب بعد الردع عن الشرك اى حصر الالهية في الله تعالى ومحض التوحيد وهو
العزيز الحكيم الموصول بالغلبة وكمال القدرة والحكمة تنبيه لهم على تفاحش غلطهم وتعامي بصائرهم
كانه قال اين شركائكم من هذا الوصف وهو راجع الى الله او ضمير الشان كما في قوله قل هو الله
احد وكيف ما كان فهو دال على انفراده بالوصفين الملغم اياهم الحجج وما ارسلناك الا كافة
للناس من كفاة اى منع صفة مصدر محذوف اى رسالة عامة تحيط بهم ما نقة لهم من ان
يخرج منهم احد وقال الزجاج جامعا للناس في الابلاغ والانذار فجعله حالا من الكاف
والتاء على هذا ان يكون للمبالغة كتاء الرواية والعلامة ويجوز جعله حالا من الناس متقدمة
فان تقدم الحال على صاحبه المجرور مختلف فيه ومذهب على وابن كيسان وابن برهان وابن
مالك الى انه يجوز وهو الصحيح ولا حاجة الى ان يتأول اللام بمعنى الى فان ارسل يتعدى باللام
كقوله وارسلناك للناس بشيرا ونذيرا للمطيعين والعاصين ولكن اكثر الناس لا يعلمون
فيحملهم جهلهم على مخالفتك ويقولون من فرط تعنتهم لا من فرط جهلهم ولذلك عطفه بالواو
دون الفاء متى هذا الوعد يعنون المبشر به والمنذر عنه الموعود بقوله يجمع بيننا ان كنتم
صادقين يخاطبون به رسول الله صلعم والمؤمنون ولما كان سؤالهم عن تعيين الميعاد تعنتا
وانكارا لا استرشادا جاء الجواب تهديدا ووعيدا مطابقا لما قصدوا قل لكم ميعاد يوم
الميعاد ظرف الوعد من مكان او زمان وهو ههنا الزمان والاضافة للتبيين كما تقول سحق
ثوب قتل وبؤيده انه قرئ ميعاد يوم فابدل منه اليوم وقرئ يوما على التعظيم وتقريره لكم
ميعاد اعني يوما ويجوز ان يكون الرفع ايضا على التعظيم لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون

اى اذا جاءكم لا تستطيعون عنه تاخرا ولا عليه تقدما وقال الذين كفروا لن نؤمن
بهذا القران ولا بالذى بين يديه من الكتب المتقدمة المنزلة على الانبياء صلعم الدالة
على البعث روى ان كفار مكة سالوا اهل الكتاب عنه صلعم فاخبروهم انهم يجدون
نعته فى كتبهم فغضبوا وقالوا ذلك وقيل الذى بين يديه القيمة ثم اخبر عن صورة
حالهم فى الاخرة فقال صلعم او لكل من يحق ان يخاطب ولو ترى اذ الظالمون موقوفون
عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول اى ولو ترى فى الاخرة موقفهم عند المحاسبة وهم
يتحاورون ويتراجعون القول وجواب لو محذوف للدلالة على مالا يدخل تحت الوصف
من العجب والهول والفزع يقول الذين استضعفوا اى الاتباع للذين استكبروا
للرؤساء لولا انتم لولا اضلالكم وصدكم ايانا عن الايمان لكنا مؤمنين باتباع
الرسول قال الذين استكبروا للذين استضعفوا اى بصيغة المضارع بتصوير الحال
ثم عدل عنها الى الماضى ولذلك ترك العاطف هنا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم
قد يتسع فى ظروف لا يتسع فى غيرها فيضاف بعضها الى بعض والى الجمل فكذلك اضيف
بعد الى اذ واذا الى الجملة بل كنتم مجرمين اولى الاسم الهمزة لانكار ان يكونوا هم الصادين
اياهم عن الهدى بعد ان جاءهم وتمكنوا منه وانبات انهم الذين صدوا باختيارهم
واثروا الضلال على الهدى ولذا اضرب عن دعواهم الاضلال عليهم الى انهم هم الذين
اجرموا بكسبهم وقال عطف على هذا الكلام على كلامهم الاول بالواو دون كلام المستكبرين
فى جوابهم لانه ابتداء جواب حقه الاستيناف الذين استضعفوا للذين استكبروا كر
المستضعفون عليهم وقابلوا اضرابهم باضرابهم بل مكر الليل والنهار مبطلين اضرابهم
بالاضراب عنهم عنه الى ان الاضلال كان من جهة مكركم الدايم وحملكم ايانا على الشرك
واتخاذ الانداد لا من جهتنا واختيارنا واضيف المكر الى الظرف على الاتساع واجراء
الظرف مجرى المفعول به اى مكركم لنا فى الليل والنهار ويجوز ان يكون اضافة المكر الى
الليل والنهار من باب الاسناد المجازى واضافة المصدر الى الفاعل بجعل الليل والنهار
ماكرين وقرئ مكر الليل والنهار بالتنوين ونصب الظرفين على الاصل ومكر الليل والنهار
بالرفع والنصب من الكرور اما الرفع فعلى الابتداء او الخبر اى سبب ذلك مكركم او مكركم
او مكركم او مكركم سبب ذلك واما النصب فعلى المصدر اى تكرون الاغواء مكر الليل
والنهار اذ تامروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا اذ بدل من الليل والنهار اى مكركم فى
زمان امركم ايانا بالكفر او نصب على الظرف لمكر او تعليل اى لامركم ايانا بالكفر واسروا
اى الظالمون الموقوفون الشاملون للفريقين الندامة لما راوا العذاب اى اخفوا
الكلام بالندامة فيما بينهم على سبيل المسارة والتناجى ندامة المستكبرين على الضلال

والاضلال وندامة المستضعفين على الضلال والاتباع او اظهروها على سبيل الجزع
والتفزع على ان الهمزة للازالة كما فى قولك اعتبته واشكيته وجعلنا الاغلال فى اعناق
الذين كفروا من باب وضع الظاهر موضع الضمير اى فى اعناقهم للتصريح والتنويه
بذمهم والدلالة على ان الكفر هو الذى استحقوا به الاغلال هل يجزون الا ما كانوا يعملون
اى لا يفعل بهم ما يفعل الا جزاء على اعمالهم وتعديته يجزى لتضمين معنى يقضى او لنزع
الى فض وما ارسلنا فى قرية من نذير تسلية لرسول الله صلعم بان الرسل كلهم منوا
بما منى من قومه من التكذيب والمفاخرة بالاموال والاولاد الا قال مترفوها تخصيص المتنعمين
بذلك لان معظم الدواعى الى الكفر والانكار التكبر والمفاخرة بالاموال والاسباب منشاء
الطغيان ولذلك ضموا التهكم والمفاخرة على التكذيب فقالوا انا بما ارسلتم به كافرون على
مقابلة الجمع بالجمع لان قوله من نذير فى سياق النفى للعموم ولان الانبياء صلعم كلهم متفقون
فى اثبات التوحيد والبعث وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا فنحن اولى بما تدعونه ان امكن
واولى لنفى الاثم فى قوله وما نحن بمعذبين لانهم عتقدوا ان اختصاصهم بالغنى واسباب التنعم
والرزق انما هو لكرامتهم عند الله تعالى او قاسوا امر الاخرة على امر الدنيا فقالوا ذلك على ان البعث
ان وقع لم يكونوا معذبين لانهم اكرم على الله تعالى من ان يعذبهم انما المعذبون من يهون عند
الله من اهل الفقر والفاقة وسوء الحال فى الدنيا وفيه استهزاء بالانبياء صلعم واصحابهم من
الفقراء واستهانة اى ان صدق وعدكم بالبعث فانهم المعذبون لا نحن كما فى الدنيا قل ان
ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اى يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء
مكرما كان عنده او مهانا فلا التوسيع يدل على الاكرام ولا التضييق يدل على الاهانة ولا يتعلق
السعادة والشقاوة الاخرويتان بتوسيع الرزق الدنيوى وتضييقه قيل ولو كان ذلك لكرامة
وهوان يوجبانه لم يكن بمشيته وفيه نظر لما تقرر فى موضعه ان المشية تجامع الايجاب انما المنافى
له القدرة على الفعل والترك ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك لعدم وقوفهم على مواقع الحكمة و
اسرارها فيظنون ان الغنى والفقر وكثرة الاولاد وقلتهم فى الدنيا كرامة والهوان عند
الله وقرر ذلك بقوله وما اموالكم ولا اولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى اخبر عن الاموال
والاولاد بالتى على ارادة الجماعة لان الجمع المكسر يستوى فى تانيثه العقلاء وغيرهم وقرئ
باللاتى لانها جماعات وقرئ بالذى اى بالشئ الذى وزلفى فى محل النصب على المصدر اى تقربكم
قربة كقوله انبتكم من الارض نباتا الا من آمن وعمل صالحا الظاهر انه استثناء منقطع اى لكن
من آمن وعمل صالحا فايمانه وعمله تقربانه وقيل استثناء متصل من مفعول تقربكم اى لا تقرب
الاموال والاولاد احدا الا المومن الصالح الذى ينفق امواله فى سبيل الله ويعلم اولاده الخير
والفقه فى الدين ويربيهم على الصلاح او من اموالكم واولادكم على حذف المضاف اى الا اموال من

آمن واولاده فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا اى بجاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا
الى سبع مائة مائة واكثر من اضافة المصدر الى المفعول اولئك لهم ان يجاوزوا الضعف وقرئ
جزاء الضعف على الاصل وجزاء الضعف بنصب جزاء ورفع الضعف اى لهم الضعف جزاء على
انه تمييز او مصدر لدلالة لهم على فعله اى يجزون جزاء ويجوز كونه حالا تسمية بالمصدر و
جزاء الضعف برفعهما على ان الضعف بدل من جزاء والفاء فى اولئك للسببية وبالغ بها وباسم
الاشارة وبقوله بما عملوا فان الموجب للكرامة والزلفى عند الله تعالى هو الايمان والعمل الصالح
لا غيرهما وهم فى الغرفات اى فى غرف منازل الجنة وقرئ فى الغرفة على ارادة الجنس آمنون
اى من كل مخوف ومكروه والذين يسعون فى آياتنا اى فى ابطالها وصرف الناس عنها معاجزين
مسابقين لانبيائنا او ظانين انهم يفوتوننا اولئك فى العذاب محضرون عبر عن موضع العذاب
بالعذاب مبالغة قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له انما اعاده لان
ما سبق باعتبار الاشخاص وهذا باعتبار الاوقات بالنسبة الى شخص بدلالة له فيكون ادل
على المقصود وما انفقتم من شئ فهو يخلفه عوضا اما عاجلا او آجلا لا معوض سواه وهو خير
الرازقين لانه قادر على مواصلة رزقه وزيادة ما شاء لمن شاء بغير حساب وليس العبد
كذلك واما انه رازق حقيقة دون العبد فلا يناسب تفضيل احدهما على الآخر لانه يقتضى الشركة
فى اصل الفعل حقيقة ويوم نحشرهم نصب باذكر او بقالوا نحشرهم جميعا اى المستكبرين والمستضعفين
ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون تقريعا للمشركين وتبكيتا واقناطا لهم عما يتوقعون
شفاعتهم فهو وارد على المثل السائر اياك اعنى واسمعى يا جارة وتخصيص الملائكة لا لانهم اشرف
معبوديهم لان عيسى عليه السلام اشرف منهم ولا لانحصار صلاحية الخطاب فيهم بل لان مبدأ الشرك
عبادتهم قالوا سبحانك تنزيها لك ان يعبد معك غيرك انت ولينا انت الذى نواليه من دونهم
لا موالاة بيننا وبينهم ارادوا باثبات موالاة الله تعالى ونفى موالاتهم برائتهم من الرضا
بعبادتهم لان تخصيص موالاتهم به تعالى واثبات معاداتهم اياهم ينافى ذلك ثم اضربوا عن
عبادتهم للجن بقولهم بل كانوا يعبدون الجن الشياطين الذين يتخيلونهم ذلك لانهم اطاعوهم
فى عبادة غير الله تعالى او يتوهمون الصور الجنية ويحسبونها ملائكة اكثرهم بهم مؤمنون انما
قال اكثرهم لان عبادة بعضهم كان وهما واحتمالا لا عن تصديق واعتقاد فاليوم لا يملك بعضكم
لبعض نفعا ولا ضرا اذ الامر يومئذ له ج فلا يملك احد شيئا من الضر والنفع لا لغيره ولا
لنفسه وانما نفى الملك دون القدرة لما فى البعض من القدرة على الشفاعة باذن الله ونقول
عطف على لا يملك مبين للمقصود من تمهيده للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار تخصيص العقاب
بالذين ظلموا التصدير المقاولة بهم فى قوله ولو ترى اذ الظالمون فختم باختصاصهم بالعقاب
لان الكلام فيهم وفى قوله التى كنتم بها تكذبون دلالة قاطعة على ان عود الضمير على المضاف اليه

لا يخل حسن الكلام اذ لم تكن فى محل الاشتباه واذا تتلى عليهم آياتنا آيات القرآن بينات
واضحات الدلالات على اعجازه قالوا ما هذا يعنى الرسول صلى الله عليه وسلم الا رجل يريد ان
يصدكم الصد الصرف عن الخير عما كان يعبد آباؤكم عن دين آبائكم وقالوا ما هذا يريدون
القرآن الا افك كذب مفترى على الله وقال الذين كفروا للحق لامر النبوة او للاسلام والاول
اى اطلاق الكذب عليه باعتبار معناه وهذا اى اطلاق السحر عليه باعتبار لفظه وبلاغته
لما جاءهم ان هذا اى الحق الا سحر مبين ظاهر سحريته وفى الاشارة بهذا فى المواضع الثلاثة
تحقير وانكار على جرائتهم على الله تعالى ورسوله صلعم وكتابه ورسالاته فلهذا قوبلت
بما يدل على غضب شديد وانكار عظيم وتعجيب من كفرهم بليغ بايقاع الموصول والفعل
موقع الضمير فى قوله قال الذين كفروا وتعريف الحق وايراد لما الدالة على مبادرتهم بالكفر
تسمية الحق البين بالسحر البين وما آتيناهم من كتب يدرسونها يقرؤنها وفيها دليل على صحة الشرك
امر به وقرئ يدرسونها من التدريس وهو تكرير الدرس او التكثير من درس الكتاب و
درس ويدرّسونها بتشديد الدال يفتعلون من الدرس وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير
يدعوهم اليه وينذرهم العقاب على تركه وقد بان من قبل بالبرهان وجه بطلانه فمن اين
وقعت لهم الشبهة وهذا غاية فى تجهيلهم وتسفيه رايهم ويجوز ان يكون معناه انهم
قوم جهال اميون لا كتاب لهم ولا نبى نشأوا على طباعهم الجاسية فى الجاهلية لا تتشبث لهم
بوجه ولا تمسك بشبهة كقوله ام آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون ثم هددهم بقوله
وكذب الذين من قبلهم كما كذبوا وما بلغوا معشار ما آتيناهم وما بلغ هؤلاء عشر ما
آتينا اولئك من القوة والقدرة وطول الاعمار وعظم الاجرام وكثرة الاموال وقيل معشار
العشار عشر العشر فكذبوا رسلى فكيف كان نكير فحين كذبوا رسلهم جاءهم انكارى فكيف
كان حالهم فى التدمير والاستيصال حيث لم يغن عنهم استظهارهم بما هم به مستظهرون
فما بال هؤلاء ويجوز ان يكون المعنى ما بلغ اولئك عشر ما آتينا هؤلاء من البينات والهدى
فكذبوا رسلى فاستوصلوا مع ان الحجج والبينات كم تتكرر عليهم كما تكررت على هؤلاء فكيف
كان حالهم فى انكارى فكيف يكون حال هؤلاء مع تكرر البينات وتكثرها فالتعبير و
ايعاد لهم وليحذروا من مثلها فكذبوا عطف على كذب الذين عطف المقيد على المطلق بالفاء
السببية اى فعلوا التكذيب واقدموا عليه حتى تعودوا به فصار سببا للتكذيب رسلى و
يجوز ان يعطف على بلغوا كقولك ما بلغ زيد معشار فضل عمرو فتفضل عمرو عليه قل انما
اعظكم انصح لكم بواحدة بخصلة واحدة ان فعلتم اصبتم الحق وتخلصتم وفسرها بقوله
ان تقوموا لله وهو خبر مبتدأ محذوف اى هى ان تقوموا والمراد القيام من مجلس رسول الله صلعم
ولا يجوز ان يكون عطف بيان لان بواحدة نكرة وان تقوموا لله معرفة تقديره فيا ملكم لله

والتخالف في عطف البيان لم يذهب اليه ذاهب مثنى وفرادى متفرقين اثنين اثنين
على النصفة دون العصبية والجدال او واحدا واحدا متفكرين فان الاجتماع والازدحام مما
يشوش الخاطر ويعمي البصائر ويهيج التخاصم او تقوموا بهذا الامر من قولهم قام بالامر اذا جد
فيه ومعنى لله خالصا لوجه الله معرضا عن المراء والتقليد ثم تتفكروا في امره صلعم ومحله الجر على
البيان او الرفع او النصب باضمار هو او اعني ما بصاحبكم من جنة ما نافية متعلقة بتتفكروا
اي تتفكروا فتعلموا ما به من جنة ويجوز ان يكون استينافا تنبيها من الله تعالى لهم على ان ما عرفوا
من رجاحة عقله كاف في ترجيح صدقه فانه لا يدعه ان يتصدى لادعاء مثل هذا الامر العظيم
الذي تحته ملك الدنيا والاخرة من غير تحقق بيقين وتعرف ببرهان مبين فيفتضح على رؤس
الاشهاد ويلقي نفسه في معرض الهلاك وقد انضم اليه آيات باهرة ومعجزات قاهرة ويجوز ان
يكون استفهامية اي ثم تتفكروا في احواله واقواله وافعاله هل فيه ما يتهمه ويدل على ان به جنة
وقوله ان هو الا نذير لكم يرجح كون ما نافية بين يدي عذاب شديد قدامه كقوله صلعم بعثت
في نسيم الساعة قل ما سألتكم من اجر فهو لكم جزاء الشرط اي شيء سألتكم من اجر الرسالة فهو لكم
ويجوز ان يكون ما موصولة والفاء لتضمنها معنى الشرط والغرض نفي الاجر راسا كما تقول الرجل
لصاحبه ان اعطيتني شيئا فاسترده وهو يعلم انه لم يعطه شيئا او اثبات الاجر لهم وهو ما
اراد بقوله قل ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وبقوله قل لا اسألكم
عليه اجرا الا المودة في القربى لان اتخاذ السبيل الى الله تعالى وكذا مودة قرباه فان فيه قرباهم
الى الله تعالى وعلى الاول قيل كانه جعل التنبي مستلزما لاحد الامرين الجنون وتوقع نفع دنيوي
عليه لانه لا يخلو من ان يكون لغرض اولا وايا ما يلزم احدهما ثم نفى كلا منهما ولا يخفى ضعفه لان
توقع النفع الدنيوي غير منحصر في سؤال الاجر وذلك ظاهر ان اجري الا على الله اي ما ابتغي
عليه الا الثواب وهو على كل شيء شهيد مطلع يعلم صدقي واني لا اطمع في شيء ولا اتوقع اجرا
الا منه قل ان ربي يقذف بالحق القذف مستعار من معناه لمعنى الالقاء اي يلقيه الى انبيائه
او يرمي به الباطل فيدمغه ويزهقه علام الغيوب خبر ثان او صفة لربي او على المدح محمولة
على محل ان واسمها او خبر مبتدأ محذوف او بدل من المستكن في يقذف وقرئ بالنصب صفة
لربي او على المدح اي اعني واخص وقرئ بكسر الغين كالبيوت وبفتحها كالصبور على انه مبالغة
غائب وهو البليغ في الغيبة والخفاء قل جاء الحق الاسلام وما يبدئ الباطل وما يعيد اي زهق
الباطل وهو الشرك بحيث لم يبق له اثر ولا يبدئ ولا يعيد مثل في الهلاك لان الحي اما ان يبدئ
فعلا او يعيده فاذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة فصار مثلا فيه ومنه قول عبيد اقفر من
اهله عبيد فاليوم لا يبدي ولا يعيد وقيل الباطل ابليس اي ما ينشئ خلقا ولا يعيده او ما
ينشئ والباعث هو الله تعالى وقال الزجاج اي شيء ينشئ ابليس ويعيده فجعل للاستفهام

قل ان ضللت عن الحق فانما اضل على نفسي فان وبال ضلالي على نفسي وان اهتديت فبما يوحي
الي ربي ان ضللت فبما وسوس الي الشيطان وضره علي نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي
ربي ونفعه لها فعدل الى ما ذكر فيبقى في احد القسمين الحكم وفي الآخر السبب اكتفاء بما ذكر
في احدهما عن الآخر وهذا غاية الايجاز وقلما يتنبه له الا الحذاق انه سميع قريب يسمع يرى
قول كل ضال ومهتد وفعله لا يخفى عليه منهما شيء وان اخفاه ولو ترى اذ فزعوا حذف جواب
لو للتهويل اي لرأيت امرا هائلا لا يمكن وصفه وقت الفزع وقت البعث وقيام الساعة او
وقت الموت وقيل يوم بدر ولو واذ والافعال الماضية بعدهما وهي فزعوا واخذوا وحيل
فعل كل منها للمضي والمراد بها الاستقبال للدلالة على تحقق وقوع معانيها عند الله تعالى فكل ما يفعل
الله تعالى في المستقبل فهو بمنزلة الماضي لتحقق وقوعه لا محالة فكانه قد وقع فلا فوت فلا يفوتون
الله تعالى ولا يسبقونه اي لا فوت لهم واخذوا من مكان قريب من الموقف الى النار او من
ظهر الارض الى بطنها او من صحراء بدر الى القليب والعطف على فزعوا اي فزعوا واخذوا
فلا فوت لهم او على لا فوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا واخذوا ويؤيده انه قرئ و
اخذ معطوفا على محل لا فوت اي لا فوت هناك وهناك اخذ وقالوا آمنا به اي بمحمد صلعم
لمرور ذكره في قوله ما بصاحبكم والعذاب المذكور في قوله بين يدي عذاب شديد
وانى لهم التناوش ومن اين لهم التناول والتسهل من مكان بعيد يعني تناول الايمان من مكان
بعيد فانه يكون في حيز التكليف وقد بعد عنهم تمثيل لطلبهم المستحيل وهو ان ينفعهم
الايمان وقت العذاب في الآخرة كما نفع المؤمنين في الدنيا مثل حالهم بحال من يريد ان يتناول
الشيء من غلوة كما يتناوله الآخر من قيس ذراع تناولا سهلا وقرئ التناؤش بهمزة الواو
المضمومة كما همزت اجوه وادور وعن ابي عمرو التناوش بالهمز التناول من بعد من قولك
تناءشت اذا ابطأت وتأخرت وقد كفروا به اي بمحمد صلعم او بالعذاب من قبل ذلك اوان
التكليف ويقذفون بالغيب يرجمون به ويتكلمون بما لم يظهر في رسول الله صلعم من قولهم
ساحر وشاعر وكذاب ولم يشاهدوا منه شيئا من ذلك من مكان بعيد اي قد اتوا هذا الغيب
من جهة بعيدة عن حاله صلعم لانه ابعد شيء مما جاء به الشعر والسحر وابعد شيء من عادته التي
هو معروف بها الزور والكذب وعلى تقدير عود الضمير على العذاب معنى ويقذفهم بالغيب
قياسهم امر الآخرة على امر الدنيا وهو غيب ومقذوف به من جهة بعيدة والعطف على وقد
كفروا على حكاية الحال الماضية او على قالوا فيكون تمثيلا آخر لهم بان مثلت حالهم في طلب المستحيل
وهو نفع الايمان في الآخرة بمن يقذف شيئا من لا يراه من مكان بعيد لا مجال للظن في
لحوقه لغاية بعده وقرئ يقذفون على البناء للمفعول على ان الشيطان يلقي اليهم ويلقنهم
ذلك وحيل بينهم وبين ما يشتهون من نفع الايمان يومئذ والنجاة من النار والفوز بالجنة

او من الرد الى الدنيا كما حكى عنهم بقوله فارجعنا نعمل صالحا كما فعل باشياعهم من قبل
باشباههم من كفرة الامم الدارجة انهم كانوا في شك مريب من اراب اذا اوقعه
في الريبة والتهمة او من اراب الرجل اذا صار ذا ريبة وهو فيهما مجاز في كلا المعنيين
والفرق ان المريب بالمعنى الاول منقول ممن يصح ان يكون مريبا من الاعيان و
المعنى الثاني منقول من صاحب الشك الى الشك كما تقول شعر شاعر ينعت به الشك للمبالغة

الحمد لله فاطر السموات والارض مبدعهما من الفطر بمعنى الشق ويستعمل في الخلق ابتداء
على طريقة المجاز المرتب على الكناية والاضافة حقيقية لانه بمعنى الماضي على ما قرئ بلفظه و
لذلك وصف به المعرفة جاعل الملائكة وقرئ بالرفع على المدح رسلا وسائط بين الله وبين
عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحي والالهام والرؤيا الصالحة اولي اجنحة اولي اسم
جمع لذو وهو بدل من رسلا او نعت له مثنى وثلث ورباع صفات لاجنحة غير منصرفة
اي صنف منهم اجنحتهم اثنان اثنان وصنف اجنحتهم ثلثة ثلثة وصنف اجنحتهم اربعة
اربعة وتفاوتها بحسب تفاوت مراتبهم وامورهم التي سخرت لها وما روي انه صلعم
راى جبرئيل عم ليلة المعراج وله ستمائة جناح فلعله مخصوص به فلم يذكر لانه ليس من
جنس المكرر يزيد في الخلق ما يشاء استئناف للدلالة على ان الاختلاف المذكور امر تقتضيه
مشيئته وحكمته وانما عمم الخلق ليتناول كل زيادة في جميع الخلائق كحسن الصورة و
حصافة العقل وذكاء القلب وشهامته وشجاعة النفس وسماحتها الى ما لا يتناهى ان
الله على كل شيء قدير استئناف للتعليل فان القدرة الكاملة الشاملة لا بد لها من مرجح
لا من خارج لانه ينافي كمال القدرة فهو المشية ما يفتح الله للناس استعير الفتح للاطلاق
والارسال واوما الى استعارته له بقوله فلا مرسل له مكان له فلا فاتح له من رحمة تنكيرها
للاشاعة والتعميم اي من اية رحمة كانت معنوية او صورية سماوية او ارضية فلا ممسك
لها فلا احد يقدر على امساكه وما يمسك قيد المرسل بالرحمة وقدم لانها الاصل واطلق
الممسك ليتناولها وغيرها من النقمة والغضب اشعارا بقوله سبقت رحمتي على غضبي فلا
مرسل له فلا احد يقدر على ارساله انث ضمير الاسم الاول المتضمن للشرط على المعنى لتفسيره
بالرحمة وذكر الثاني على اللفظ لا اطلاقه من بعده من بعد امساكه وهو العزيز الغالب
القادر على ما يشاء ليس لاحد ان ينازعه في الارسال والامساك الحكيم الذي لا يفعل
ما يفعل الا بحكمة واتقان علم ثم لما بين انه الموجد للملك والملكوت المتصرف في الكل

على الاطلاق امر الناس بشكر نعمه وتخصيصه به تعالى فقال يا ايها الناس اذكروا نعمة
الله عليكم الخطاب عام وكذا النعمة ولا عبرة في الخصوص في سبب النزول والمراد بذكر النعمة
شكرها بالقلب واللسان والجوارح بروينها منه لا من غيره واداء حقوقها بالثناء على
المنعم والطاعة له واستعمالها في مراضيه ثم انكر ان يكون لغيره في ذلك مدخل فيستحق ان يشرك
به بقوله هل من خالق غير الله قرئ بالحركات الثلث اما الرفع فللحمل على محل من خالق بانه وصف
او بدل فان الاستفهام بمعنى النفي او لانه فاعل خالق واما الجر فللحمل على لفظه واما النصب
على الاستثناء يرزقكم من السماء والارض صفة لخالق او تفسير لعامله ان جعلته مرفوع
المحل باضمار فعل لا بالابتداء اي هل يرزقكم من خالق او استئناف دل على ان لا خالق
غير الله وعلى وجوب شكر نعمة فهو احسن الوجوه وعلى الوجهين الاخيرين لا محل له من الاعراب
لا اله الا هو جملة مفصولة مثل يرزقكم في الوجه الثالث اذ لو وصلت مثل يرزقكم في الوجهين
الاولين لفسد المعنى لان قولك هل من خالق اخر سوى الله لا اله الا ذلك الخالق متناقض
فانى تؤفكون فمن اي وجه تصرفون عن التوحيد الى اشراك غيره وان يكذبوك فقد كذبت
رسل من قبلك تسلية لرسول الله صلعم وبعث له على التاسي بالرسل السابقين في الصبر على
تكذيبهم اي وان يكذبوك فتأس بالرسل العظام واصبر على تكذيبهم فوضع فقد كذبت
رسل من قبلك موضعه لبيان السبب واستغنى بذكر السبب عن المسبب ايجازا وتنكير رسل للتعظيم
المقتضي لزيادة التسلية والحث على الصبر اي رسل عظام ذوو عدد كثير واولوا ايات بينات
وقد بها على قريش سوء تلقيهم لايات الله وتكذيبهم بها بعد التقريع البالغ في قوله
فانى تؤفكون والى الله ترجع الامور وعد ووعيد اي فيجازيكم واياهم على الصبر والتكذيب
يا ايها الناس ان وعد الله بالجزاء بالثواب والعقاب حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا
فلا يذهلنكم الدنيا ولذاتها وشهواتها فيذهلكم التمتع بها عن السعي للاخرة وطلب ما عند
الله ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان فانه هو البالغ في امر التغرير بان يمنيكم المغفرة
مع الاصرار على المعصية فانها وان امكنت لكن الذنب بهذا التوقع كتناول السم اعتمادا
على الله تعالى بقوة الطبيعة وقرئ بالضم وهو مصدر غره كاللزوم والنهوك او جمع غار
كقاعد وقعود ان الشيطان لكم عدو تذكير لبني ادم ما فعل بابيهم ادم صلعم بالاغواء
والتغرير وتحذير عن موالاته فاتخذوه عدوا بالغ العداوة في عقائدكم وافعالكم وكونوا
على حذر منه في مجامع احوالكم انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير مبالغة في التحذير
عن عداوته بتقريرها وبيان غرضه في دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى الدنيا
الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير
اوعد لمن اجابه ووعد لمن خالفه وبنى الامر على الايمان والعمل الصالح وتركهما ليقطع

الاطماع الفارغة ويهيج الهمم العالية ولما ذكر الفريقين قرر الوعد والوعيد بقوله
افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا اى فمن زين سوء عمله لغلبة وهمه وهواه على عقله
فانتكس رأسه فرأى الباطل حقا والقبيح حسنا كمن لم يزين له بل وفق للنظر الصحيح فعرفهما و
رأى الحق حقا فاستحسنه واختاره ورأى الباطل باطلا فاستقبحه وتركه والهمزة للانكار
دخلت على الفاء العاطفة لانكار الجهل وفقد النظر والتمييز اى ابعد ما تبين عاقبة عاقبة
الفريقين من فقد التمييز واتبع الشيطان فرأى القبيح الذى زين له حسنا كمن ليس له كذلك
وانما حذف الجواب لدلالة فان الله يضل من يشاء عليه وقال الزجاج الجواب ذهبت نفسك
عليهم حسرة فحذف لدلالة فلا تذهب نفسك عليهم حسرات عليه اى فلا تهلك نفسك للحسرات
وعليهم صلة تذهب كقولك هلك عليه حبا او بيان للمتحسر عليه ولا يجوز ان يتعلق بحسرات لان
صلة مصدر لا يتقدم عليه ويجوز ان يكون حالا على انها كلها صارت حسرات لفرط التحسر
وجمع الحسرات للدلالة على تضاعف اغتمامه على احوالهم او كثرة مساوى افعالهم المقتضية
للتأسف عليهم وقرئ فلا تذهب نفسك اى فلا تهلكها والفاآت الثلث للسببية غير ان
الاوليين دخلتا على السبب والثالثة على المسبب ان الله عليم بما يصنعون وعيد لهم
بالعقاب على سوء صنيعهم والله الذى ارسل الرياح فتثير سحابا على حكاية الحال الماضية و
قد خولف به عما قبله وما بعده الى المضارع استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على
القدرة الباهرة من اثارة الريح السحاب وما يقارنه من انزال المطر وغيره وهكذا يفعل
النظم فى كل امر عجيب وفعل مختص بحال يستغرب او تهم المخاطب والمخاطب او يتميز بنوع
شرف وغير ذلك والتفت فسقناه الى بلد ميت من الغيبة الى التكلم الذى هو ادل على
الاختصاص بالقدرة الباهرة والضمير فى فاحيينا به الارض للمطر الدال عليه السحاب وللسحاب
لانه سبب السبب فهو سبب سوله بعد موتها بعد يبسها كذلك النشور اى مثل احياء الموات
نشور الاموات فى صحة المقدورية اذ لا فرق بينهما الا فى اختلاف المادة فى المقيس عليه
ولا مدخل له فيها وقيل فى كيفية الاحياء ان الله تعالى يرسل ماء من تحت العرش تنبت به اجساد
الخلق من كان يريد العزة اى القوة والقدرة والمنعة فليطلبها من عند الله تعالى فحذف الجزاء
استغناء عن المدلول بالدليل وهو قوله فلله العزة جميعا اى عزة الدنيا والآخرة ثم بين
ان الذى يطلب بها العزة هو التوحيد والعمل الصالح فقال اليه يصعد الكلم الطيب والعمل
الصالح يرفعه الكلم الطيب هو قول لا اله الا الله وصعوده اليه مجاز عن قبوله اياه والمستكن
فى يرفعه للكلم لان الصاعد بنفسه هو ولا خلاف فى ان العمل لا يقبل الا بالتوحيد والايمان ويؤيده
القراءة بنصب العمل تخصيص الله تعالى والمرفوع العمل وتخصيصه بهذا الشرف لما فيه من الكلفة
وقيل للعمل فانه يقوى الايمان ويحققه والكلم اسم جنس من الاجناس التى يفرق بين واحدها و

الجنس بالتاء كتمر وتمرة وقرئ يصعد على البناء للمفعول ويصعد على البناء للفاعل من اصعد و
نصب الكلم والفاعل هو المتكلم به لانه يصعد الى الله تعالى والذين يمكرون السيئات نعت لمصدر
محذوف اى المكرات السيئات او للمضاف الى المصدر اى اصناف المكر السيئات او ضمن يمكرون
معنى يكسبون فنصب السيئات مفعولا به والمراد مكرات قريش فى دار الندوة وقد مر تفصيلها
فى الانفال لهم عذاب شديد لا يؤبه دونه بما يمكرون به ومكر اولئك هو يبور اولئك اشارة
الى الذين يمكرون السيئات جئ به للدلالة على عظم مكرهم وانه لخبثه اوجب فساده وعدم نفاذه
وتوسيط هو للحصر اى هو خاصة يبور ويفسد دون مكر الله تعالى بهم وكون الامور مقدرة
لا ينفعهم لا يصلح علة لفساد مكرهم لما قررناه فى مواضع من انه لا تأثير فى التقدير كما زعمه
الجبرية ولا دلالة على ذلك فى قوله والله خلقكم من تراب بخلق آدم عليه السلام منه ثم من نطفة بخلق
ذريته منها ثم جعلكم ازواجا اصنافا او ذكرانا واناثا وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه
فى موضع الحال اى الا معلومة له لما اثبت القدرة الكاملة والعلم الشامل اراد اثبات القضاء
والقدر فقال وما يعمر من معمر من باب تسمية الشئ بما يؤول اليه اى وما يمد من احد لا يرى
انه يرجع الضمير فى قوله ولا ينقص من عمره اليه والنقصان من عمر المعمر محال وهو من التسامح
فى العبارة ثقة بفهم السامع هذا بحسب الظاهر من النظر واما النظر الدقيق فيحكم بصحة ان المعمر اى
الذى قدر له عمر طويل يجوز ان يبلغ حد ذلك العمر وان لا يبلغ فيزيد عمره على الاول وينقص
على الثانى ومع ذلك لا يلزم التغيير فى التقدير وذلك لان المقدر لكل شخص انما هو الانفاس
المعدودة لا الايام المحدودة والاعوام الممدودة ولا خفاء فى ان ايام قدر من الانفاس
يزيد وينقص بالصحة والحضور والمرض والتعب فافهم هذا السر العجيب الا فى كتاب وهو
اللوح او الصحيفة ان ذلك على الله يسير اشارة الى الزيادة والنقصان وما يستوى البحران
هذا فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ضرب البحرين العذب والملح مثلين للمؤمن
والكافر والعذب ما يقمع العطش ويردعه من اعذب عن الشئ اذا امسك عنه والفرات الذى
يكسر العطش والسائغ الذى يسهل انحداره والملح الماء الذى فيه ملوحة وهو الذى لشدة ملوحته
يلتهب ويقال اججت النار التهبتها والاجاج شدة الحر ثم وصف البحرين بما فيهما من النعم
والفوائد على سبيل الاستطراد امتنانا وتفضلا فقال ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون
حلية تلبسونها انما غير النظم حيث لم يقل وتلبسون حلية لتفاوت الحال حيث كان الاول سهل
المأخذ دون الثانى وفى زيادة التسبب نوع دلالة الى مزيد كلفة فى اخراجها وفى عبارة
كل دلالة على ان قوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان على ظاهره ويجوز ان يكون وصفهما
من تمام المثل وهو انهما مشتركان فى فوائد كثيرة كما ان الكافر وان كان المقصود مع
الانسان فيه مفقود وهو المقصود الاعظم من الماء فى البحر الملح ولكن قد يشارك المؤمن

في فوائد دنيوية كالشجاعة والسخاوة وامثالهما او ان الملح وان لم يبق فيه خاصية الماء
وفسد جوهره بما اختلط به وابطل فطرته كالكافر لكنه متفضل عليه بان فيه فوائد كثيرة
ومنافع جمة بخلاف الكافر فانه لا خير فيه ولا نفع فيكون على طريقة قوله تعالى فهي كالحجارة
او اشد قسوة وان من الحجارة الآية وترى الفلك فيه في كل مواخر شواق الماء بجريها
لتبتغوا من فضله من فضل الله بالنقل فيها واحمد المعلوم به بيع وتعينه واللام متعلقة بمواخر
ويجوز ان يتعلق بما دل عليه الافعال المذكورة ولعلكم تشكرون لعل مستعار من معنى الترجي
للارادة ولذلك سلك به مسلك التعليل وعطف على قوله لتبتغوا كانه قال لتبتغوا من
فضله ولتشكروا على ذلك يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر
كل يجري لاجل مسمى قد سبق تفسيره في سورة لقمان ذلكم اشارة الى الموصوف بالصفات
المذكورة وفيه اشعار بان فاعليته لها موجبة لثبوت الاخبار المترادفة الله ربكم له
الملك ذلكم مبتدأ الله عطف بيان ولا يجوز ان يكون صفة لانه علم والعلم لا يوصف به
له الملك جملة استئنافية مقررة لمعنى التعظيم الذي في ذلكم ولمعان الصفات المذكورة
او ثلاثتها اخبار مترادفة ولا يأبى المعنى عن خبرية ربكم لانه يكون قد اخبر بان المشار
اليه بتلك الصفات والافعال او الله ربكم خبران وله الملك جملة مبتدأة لا محل لها من الاعراب
واقعة في قران قوله والذين يدعون من دونه ما يملكون من قطمير مقدمة متضمنة
الى الاول لتنعقد القياس منهما برهانا دالا على انهم لم يصلح للالهية ولم يستحق العبادة
والقطمير القمع الذي في راس التمرة وقيل لفافة النواة ثم قرر نفي الالوهية عنها بقوله
ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد ولو سمعوا على سبيل الفرض والتقدير ما استجابوا
لكم بتحصيل مسؤولكم لعدم قدرتهم على شيء ويوم القيمة يكفرون بشرككم اي منكرونه هذا
على ان يكون الكلام في الاصنام فيجحدهم بان ينطقهم الله تعالى يوم القيمة فينكرون ان
يكون الكلام في الاصنام اهلا للعبادة او ينكرون ان يكون تلك العبادة حقا وانما ذكر
افعالهم بالواو والنون لانه وصفهم بصفات العقلاء وان كان في الملئكة والانبياء عليهم
السلام فمعنى قوله ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم لغيبته عنكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم لانهم
لا يملكون ذلك ومعنى انكارهم شرككم انهم يوم القيمة يقولون ما كانوا ايانا يعبدون
بل كانوا يعبدون الجن الخ وينكرون ان يكون ذلك حقا ولا ينبئك مثل خبير التنكير
للتعظيم ولا يخبرك بتحقيقه الامر على ما هو عليه خبير مثل خبير اي خبير عليهم بكل خفيه وجليه
يعني ما اخبركم به من حال الاوثان هو الحق لاني خبير بكل شيء يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله
في انفسكم وما يعن لكم وتعريف الفقراء للماهية بناء لها على المبالغة وتوسيط انتم للحصر
اي انتم جنس الفقراء مطلقا دون سائر الخلائق يعني انكم لكثرة حاجتكم وشدة افتقاركم

وغاية ضعفكم بالنسبة الى سائر الخلائق كانكم جنس الفقراء ليس غيركم فقراء ولذلك قابله
بقوله والله هو الغني مطلقا وبالذات لوجوب وجوده لا غني سواه لاحتياج الكل اليه و
زاد عليه الحميد لان الغني قد لا يجود فلا يحمد وهو الجواد المنعم بجميع النعم وقد انعم عليهم
بالوجود وبكل ما يحتاجون اليه فكان حميدا مطلقا ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد بقوم
اطوع منكم وما ذلك على الله بعزيز بصعب ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تحمل نفس اثمة
اثم نفس اخرى فلا تغتروا بقوله كبرائكم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ولا يخالف هذا قوله في
حق الضالين المضلين وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم لان الحاملين كلاهما من اوزارهم
وان تدع مثقلة نفس اثقلها الاوزار الى حملها لحمل بعض اوزارها لا يحمل منه شيء لا يحمل
شيئا من وزرها اي ولا غياث لمن استغاث منهم حذف مفعول ان تدع للتعميم اي وان
تدع كل نفس في العالم واحدا واحدا لم يجب ولهذا اضمر المدعو في ولو كان ذا قربى على حذف
الخبر ويجوز ان يكون كان تامة الا ان الناقصة اوقع وافصح انما تنذر الذين يخشون
ربهم بالغيب حال من الفاعل اي يخشونه غائبين عن عذابه او من المفعول اي يخشونه عذابه
غائبا عنهم او نصب على الظرف وفي السر والغيبة من الناس واقاموا الصلوة فانهم المنتفعون
بالانذار واختلاف الفعلين لما مر على استمرار خشيتهم ومن تزكى ومن تطهر عن دنس
المعاصي فانما يتزكى لنفسه اذ نفعه لها وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم واقامتهم الصلوة
لانهما من جملة التزكي والى الله المصير ترغيب وترهيب وما يستوي الاعمى والبصير مثل
آخر للكافر والمؤمن او للعلم والله تعالى وتأخير البصير لمحافظة الفاصلة ولا الظلمات
ولا النور مثل للباطل والحق وانما جمع الظلمات والنور لان الحق واحد بخلاف الباطل فانه على
انواع متعددة ولا الظل ولا الحرور مثل للثواب والعقاب والحرور فعول من الحر غلب على السموم
وقيل غلب على ما يكون بالليل والسموم ما يكون بالنهار والواوات بعضها عاطفة الوتر على
الوتر كالتي بين الاعمى والبصير وبعضها عاطفة الشفع على الشفع كالتي بينهما وبين ولا الظلمات ولا
النور وكرر لا فيما كرر لتأكيد المنافاة والظلمات تنافي النور والظل ينافي الحرور والاعمى
لا ينافي البصير الا في المنافاة بين الوصفين ولذلك يكون الشخص الواحد بصيرا في وقت واعمى
في وقت آخر فلذا لم يذكر لا بينهما وما يستوي الاحياء ولا الاموات مثل للعقلاء الذين دخلوا في
الاسلام والجهال الذين لم يدخلوا فيه وآثر صيغة الجمع هنا لانه اراد نفي المساواة بين الافراد اي
ليس في جنس الاموات فرد يساوي فردا من جنس الاحياء ولا صحة لهذا المعنى في الاعمى والبصير فانه
قد يوجد في جنس الاعمى ما يساوي بعض افراد البصير بل يتفضل عليه فلذلك اخرجه في صيغة الافراد
تفضيل الجنس على الجنس ان الله يسمع من يشاء هدايته فيوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته وما اعد
العقل على الاسم بعيدا انك من تشاء وما انت بمسمع من في القبور وما سلك في ارادة الاسلام

من يشاء من قوم مخذولين الا شك منه بعد ان يسمع من في القبور وهو ترشيح لتمثيل المصرين
على الكفر بالاموات ومبالغة في اقناطه عنهم ثم قال ان انت الا نذير اي ليس يسمع فان
الاسماع ليس اليك ولا حيلة لك في اسماع المطبوع على قلوبهم ما عليك الا الانذار انا ارسلناك
بالحق حال من احد الضميرين اي محقين او صفة مصدر محذوف اي ارسالا بالحق او صلة لقوله
بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق وان من امة الامة الجماعة الكثيرة والمراد هنا اهل
عصر الا خلا مضى فيها نذير من نبي او عالم قايم مقامه في الانذار وانما خصه بالذكر لان
البشارة انما تكون بالسمع فهي من خصايص الانبياء عم فالبشير لا يكون الا نبيا او نايبا منه بخلاف
الانذار فانه كما يكون بالسمع يكون بالعقل فلذلك وجدنا في كل امة دون الاول ولا يشكل
هذا بقوله تع في سورة سبا وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير لان المراد منه النذير قبلها النذير
بالسمع وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم تسلية للرسول عم جاءتهم رسلهم بالبينات
بالمعجزات الشاهدة على نبوتهم وبالزبر وبالصحف وبالكتاب المنير وبجنس الكتاب كالتورية
والزبور والانجيل ولما كانت الاشياء المذكورة في جنس الانبياء عم بعضها في جميعهم وهي
البينات وبعضها في بعضهم وهي الزبر والكتب اسند المجي بها اليهم مطلقا على ان الكل منهم جاؤا
بالكل لا ان كل واحد ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير قد سبق تفسيره في سورة سبا الم تر
ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها اي اجناسها كالتفاح والرمان والتين
والعنب وغيرها مما لا يحصى او اصنافها على ان كلا منها اصناف مختلفة او هياتها من الحمرة و
الصفرة والخضرة ونحوها ومن الجبال جدد وطرايق مختلفة الوانها اي جبال كل بعض منها على لون
وطريق مخالف لاخر كما في الثمرات او من الجبال ذو جدد اي جنس ذو خطط بيض وحمر
مختلف الوانها اي بعض مختلف الالوان وبعض على لون واحد وقرئ جدد بضم الجيم جمع جديدة
وهي الجدة وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح وغرابيب سود عطف على بيض او على جدد اي
ومن الجبال مخطط ذو طرايق مختلفة ومنها ما هو على لون واحد غرابيب والغربيب تابع في السواد
وهو من التوابع المؤكدة ومنه الغراب وعليه تفسير عكرمة ووجهه ان يضمر المذكر قبله لانه تابع
ثم اوقع بيانا له خيفة اللبس كقول النابغة والمؤمن العايذات الطير وتغيير الاصل فيه لزيادة التاكيد
كانه دال على المعنى الواحد بطريق الاضمار والاظهار فيكون كتكرير التاكيد بوجه ابلغ ومن الناس والدواب
والانعام مختلف الوانه كذلك كاختلاف الثمار والجبال انما يخشى الله من عباده العلماء ما يخشى احد
منه من عباده الا العلماء بالله وصفاته وافعاله فان الخشية على قدر العلم فمن كان اعلم بالله كان
اخشى منه وفي الحديث اعلمكم بالله اشدكم خشية ولهذا لما ذكر افعاله الدالة على كمال قدرته وعظمته
وحكمته اتبعه بقوله انما يخشى الله اي انما يخشاه مثلك ومن على صفتك فمن يعرفه حق معرفته وتاخير
الفاعل للحصر فيه ولو قدم لانعكس الحصر كما كان في المفعول ومن قرا برفع الله ونصب العلماء استعار

الخشية للاجلال والتعظيم اي ما يجل الله من بين الناس كما يجل المهيب المخشي الا العلماء ان الله عزيز
غفور تعليل لوجوب الخشية لان من قدر على العقوبة والانتقام والعفو والغفران حقه ان يخشى
ان الذين يتلون كتاب الله يداومون على قراءة القران واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم نفي
لا يقنعون بتلاوته عن حلاوة العمل به سرا وعلانية كيف اتفق من غير قصد اليهما او سرا في المسنونة
وعلانية في المفروضة يرجون تجارة خبر ان او حال من ضمير انفقوا والخبر انه غفور شكور تجارة تحصيل
ثواب بالطاعة لا طلبه لانه لا يصلح متعلقا للرجاء لن تبور لن تكسد ولن تهلك يعني بالخسران للتجارة
ليوفيهم متعلق بلن تبور او يرجون او علة للافعال المذكورة من التلاوة واقامة الصلوة
والانفاق اي فعلوا ما فعلوا من الطاعات راجين تجارة لن تبور ليوفيهم ويزيدهم اجورهم
ما وعدهم ثواب اعمالهم وانما عبر عنه بالاجر لكونه في مقابلة العمل به ويزيدهم على الموعود
به من فضله متعلق بجميع ما ذكر من التوفية والزيادة لا للزيادة خاصة اذ ح يلزم ان لا يكون تع
في التوفية متفضلا بل مؤديا ما وجب عليه كما زعمه المعتزلة انه غفور لفرطاتهم شكور لطاعاتهم
مجاز عن اعطاء الجزيل على العمل القليل والذي اوحينا اليك من الكتاب القران ومن للتبيين او الجنس
ومن للتبعيض هو الحق اي الكامل في كونه حقا مصدقا حال مؤكدة لان الحق لا ينفك عن هذا التصديق
لما بين يديه من الكتب المتقدمة ان الله بعباده لخبير بالبواطن بصير بالظواهر فلم ير فيك
اهلية واستحقاقا لهذه الكرامة لم يوح اليك هذا الكتاب المعجز وهو سابر الكتب وتقديم الخبير
لان الاعتناء بالامور الروحانية اكثر وهي العمدة ثم اورثنا الكتاب اي اعطيناه بلا كلفة
كسب كمال الميراث الذين اصطفينا من عبادنا يعني امة محمد عم فانهم مختارون من بين ساير
الامم وفي عبارة اورثنا اشارة الى ان الكتاب المذكور يكون باقيا في هذه الامة يرثه بعضهم
من بعض الى قيام الساعة ولا يضيع كما ضاع ساير الكتب فالمعنى نورثه على عادة الله تع في اخباره
عما يتحقق وقوعه وكما ان ورثة الدنيا ثلثة اصناف صاحب فرض وعصبة وذوي الارحام كذلك
ورثة الدين ثلثة اصناف فمنهم ظالم لنفسه وهو من عاش عاصيا ومات عاصيا من اهل الايمان
الذي قال النبي عم فيهم شفاعتي لاهل الكباير من امتي قدمه اهتماما لانه ابعد الاصناف عن
كرامة الاصطفاء واللام للاختصاص لان فعل الظلم يتعدى بنفسه وفايدته الاحتراز عن الظلم
لغيره لان الجاني وزره في عهدة ذلك الغير ومنهم مقتصد وهو من عاش عاصيا ومات مطيعا
ومنهم سابق بالخيرات وهو من عاش مطيعا نقل عن عمر بن الخطاب انه قال سمعت رسول الله
عم يقول سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور فالاصناف المذكورة على مراتب
في الوصول الى المقصد متاخر ومتوسط متاخر ومتوسط وسابق جايز قصب السبق لكن لا
بفضيلة ذاتية كما في سباق الدنيا بل بفضل من الله تع والى هذا اشير بقوله باذن الله بتيسيره
وقد سبق وجه هذا المجاز والباء الاول للتعدية من قولك سبقته بالكرة اذا ضربتها قبله ومنه

قوله عم سبقك بها عكاشة ذلك الاصطفاء هو الفضل الكبير لما ذكر الاصناف المذكورة بحسب
احوالهم في دار العمل فرق بينهم ولما ذكرهم باعتبار مالهم الى دار الجزاء جمعهم فقال جنات عدن
بدل من الفضل لان الفضل هو السبب في الوصول اليها فكانه من شدة اقتضائه للمسبب عنه وبتنزيل
السبب منزلة المسبب خبر عنه او خبر يدخلونها اي الفرق الثلاثة يدخلونها ويجوز ان يكون الاشارة
الى السبق واختصاص السابقين بعد التقسيم بذكر ثوابهم والسكوت عن القسمين الاخيرين لما فيه
والحث على التوبة والتشويق الى سلوك السابقين وقرئ جنات منصوبة بفعل يفسره الظاهر و
قرئ يدخلونها على بناء المفعول يحلون فيها حال مقدرة او خبر ثان وقرئ يحلون من حليت المرأة
فهي حالية من اساور من للبيان او للتبعيض اي يحلون بعض اساور كانه بعض فاق سائر الابعاض
كما سبق المسودون به غيرهم وهذا على تقدير ان يكون الاشارة الى السبق من ذهب
من للبيان لا للتبعيض اذ يكون الخبر خلوا عن الفائدة ولؤلؤا عطف على ذهب اي من ذهب مرصع
باللؤلؤ او ذهب في صفاء اللون وقرئ ولولوا عطفا على محل من اساور ولباسهم فيها حرير
التنكير للدلالة على انه نوع غير معهود من جنس الحرير وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن
همهم من خوف العاقبة او من اجل المعاش وآفاته او من وسوسة ابليس وغيرها ان ربنا
لغفور للمذنبين شكور للمطيعين الذي احلنا دار المقامة دار الاقامة من فضله من انعامه
وتفضله لا واجب عليه لا يمسنا فيها نصب لا يمسنا نصب التعب والمشقة التي تصيب المنتصب للامر ولا يمسنا
فيها لغوب اللغوب الفتور والكلال دون التعب فهو من باب الترقي لا من باب التتميم ولذلك
اعاد قوله لا يمسنا فيها ولم يقل ولا لغوب والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا
جواب النفي ونصبه باضمار ان اي لا يأتون بموت ثان فيستريحوا يقال قضى عليه اذا اماته قال تعالى
فوكزه موسى فقضى عليه فلا بد من صرف قوله فيموتوا عن الحقيقة الى المجاز صونا له عن وصمة اللاغية
وقرئ فيموتون عطفا على يقضى وادخالا له في حكم النفي اي لا يقضى عليهم الموت فلا يموتون كقوله
ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولا يخفف عنهم من عذابها من عذاب جهنم لقوله تعالى كلما خبت زدناهم
سعيرا فان فيه دلالة على ان مظنة الخفة في غيرهم مظنة الشدة في حقهم كذلك مثل ذلك الجزاء نجزي
كل كفور مبالغ في الكفر او الكفران قرئ بالنون والياء والفاعل هو الله تعالى وقرئ يجزى على بناء المفعول
واسناده الى كل وهم يصطرخون فيها يفتعلون من الصرخ وهو الصياح بجهد وشدة واستعمل في الاستغاثة
لجهد المستغيث صوته فيها في جهنم ربنا باضمار القول اي يستغيثون ويقولون ربنا اخرجنا نعمل
صالحا غير الذي كنا نعمل اعتراف منهم بان ما عملوه كان غير صالح حسبوه صالحا وتحسر عليه والدلالة على
ان طلب الخروج للتلافي او لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر اي من اراد ان يتذكر توبيخ من الله تعالى
على طلبتهم وتقرير على تقدير القول اي يقول لهم اتتمنون الرجوع ولم نعمركم مدة يمكن فيها التذكر
والتدبر وما يتذكر فيه يتناول كل عمر تمكن فيه الانسان من العمل الصالح الموجب للنجاة وان قصر الا ان

التوبيخ في المتطاول اعظم وقيل ما بين عشرين الى ستين وعنه عم الذي عذر الله فيه الى ابن آدم
ستون سنة وجاءكم النذير عطف على معنى او لم نعمركم لانه تقرير بلفظ الاستفهام ومعناه الخبر
كانه قيل قد عمرناكم وجاءكم النذير اي النبي المنذر او الكتاب وهذا الزام الحجة عليهم بالعقل و
السمع فان التذكر من باب العقل والانذار من باب السمع والفاء في فذوقوا للسببية اي ما تذكرتم
فذوقوا بسببه وكذا الثانية الآن فيها معنى التعليل فما للظالمين من نصير يدفع العذاب عنهم
ان الله عالم غيب السموات والارض ما غاب فيهما عنكم انه عليم بذات الصدور تعليل لانه اذا علم
الصدور اخفى الغيوب فاذا علمه علم كل غيب في العالم فيعلم انه لو ردهم الى الدنيا لم يعملوا غير الذي
كانوا يعملون لقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه هو الذي جعلكم خلائف في الارض يقال
للمستخلف خليفة وخليف ويجمع الخليفة على خلائف والخليف على خلفاء والخطاب عام على ان المعنى انه
جعلكم خلفاء في ارضه والقى اليكم مقاليد التصرف فيها واباح لكم منافعها لتوحدوه وتشكروه
وقيل لمن بعث اليهم رسول الله عم فانهم خلفوا من قبلهم وشاهدوا من آثار هلاكهم ما
فيه معتبر ورادع وما فيه مزدجر فمن كفر منكم وغمط مثل هذه النعمة فعليه كفره اي فعليه وبال كفره لا
على غيره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا بيان له والمقت اشد البغض والتنكير
للتعظيم ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا خسار الآخرة لمن يكفر والتصريح في موضع
الاضمار ذمهم وبيان لكون الكفر مقتضيا لكل واحد من الامرين القبيحين المذمومين بالاصالة قل
ارأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله يعني آلهتهم واضافة الشركاء اليهم للملابسة لانهم
جعلوهم شركاء لله اروني ماذا خلقوا من الارض بدل من ارأيتم بدل الاشتمال لانه اخبروني
من هؤلاء الشركاء وعما استحقوا به العبادة اي شيء من الارض استبدوا بخلقه ام لهم شرك في السموات
ام لهم شركة مع الله في خلق السموات واستحقوا بذلك الشركة في الالوهية الذاتية ام آتيناهم كتابا
ينطق بانهم شركاؤه ويجوز ان يكون الضمير في آتيناهم للمشركين كقوله ام انزلنا عليهم [illegible]
عن دليل آلهتهم من برهان عقلي ام نقلي فهم على بينة منه على حجة من ذلك الكتاب بان لهم شركة
جعلية وقرئ بينات فيكون ايماء الى ان الشرك امر خطير لا بد فيه من تعاضد الدلائل ام منقطعة على
معنى الاضراب عن العقلي والنقلي ثم اضرب عنه صريحا بقوله بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا
الا غرورا اثبت ان ذلك لاتباعهم ما هو الا غرور وهو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله
فقوله بعضهم بدل من الظالمون وهم الرؤساء والمراد من البعض الآخر الاتباع ويجوز ان يكون وعد
الشيطان للكافر كما قال يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا منياهم ان يشفع لهم اصنامهم
ويقربهم الى الله زلفى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا يمنعهما من ان تزولا لان الامساك
منع او لان لا تزولا كقوله ان تميد بكم ولئن زالتا على سبيل الفرض ان امسكهما ما امسكهما من احد
من بعده من بعد الله او من بعد الزوال واللام موطئة للقسم سادة مسد جواب الشرط ومن الاولى

من يدة لتاكيد النفي والثانية للابتداء انه كان حليما لا يعاجل بالعقوبة حيث يمسكهما وكان جديرا بهما
ان تهدا هدا لعظم كلمة الشرك كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض غفورا لمن تاب
عن الشرك ووحده مؤمنا واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم
اى واحدة من الامم من اليهود والنصارى والصابئين وغيرهم او من الامة التي يقال فيها هي احدى
الامم اى اوحدتها تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة كما يقول فلان احد الرجال ابلغ قريشا
قبل مبعث النبي عم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم الرسل
فكذبوهم فوالله لو اتانا رسول الله ليكونن اهدى من احدى الامم فلما بعث رسول الله عم كذبوه
فلما جاءهم نذير التنكير للتعظيم ما زادهم اى النذير او مجيئه والاسناد مجازى لانه هو السبب
في ان زادوا نفورا الا نفورا عن الحق وتباعدا عنه استكبارا في الارض بدل من نفورا او مفعول له
او حال اى مستكبرين ومكر السيئ عطف على نفورا على ان الاصل وان مكروا السيئ اى المكر السيئ
فحذف الموصوف استغناء بوصفه ثم بدل ان والفعل بالمصدر فصار ومكر السيئ ثم اضيف و
لا يحيق ولا يحيط المكر السيئ الا باهله وهو الماكر وفيه المكر اى لا يحيق الله فهل ينظرون
ينتظرون الا سنة الاولين انتظار سنتهم وهي نزول العذاب على من كذب من الامم قبلهم مكان
عن استقبالهم لذلك ووقوعه في المستقبل لا محالة كالشيء المنتظر فلن تجد لسنة الله تبديلا بان
لا يعذبهم ولن تجد لسنة الله تحويلا بان ينقله الى غيرهم وقوله اولم يسيروا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم استشهاد عليه بما كانوا يشاهدونه في متاجرهم ومسايرهم
الى الشام والعراق واليمن من اثار الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم وكانوا اشد منهم
قوة وما كان الله ليعجزه ليسبقه ويفوته اى ليس من شانه تعالى ذلك من شيء في السموات ولا في
الارض انه كان عليما بالاشياء كلها قديرا عليها ثم بين ان تاخير العذاب عنهم ليس للعجز بل للحكمة فقال
فقال ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا من المعاصي ما ترك على ظهرها على ظهر الارض من دابة من نسمة
تدب عليها اى الانس وحده وقيل ما ترك الانس وغيرهم من سائر الدواب بشوم ذنوبهم على
ما ورد في الاثار ويرجح الاول قوله ولكن يؤخرهم اى يؤخر كل واحد منهم الى اجل مسمى معلوم
عنده وقيل هو يوم القيمة وفيه ان الكلام يؤخر اليه فاذا جاء اجلهم وقتهم عذبهم هذف الجزاء
واقيم ما هو كالدليل عليه وهو قوله فان الله كان بعباده بصيرا وذلك
ان العمل بموجب العلم كاللازم بشان الحكيم والله اعلم بالصواب

يس كلام في الاعراب وقرئ بالكسر كجير وبالفتح كاين للمد في الهرب من التقاء الساكنين

لا للبناء او على اضمار حرف القسم ومنع الصرف وبالنصب على اتل يس وبالضم كحيث او
بالرفع على هذه يس وبتفخيم الالف وامالتها وبادغام النون في واو والقران وهي واو
القسم او العطف ان جعل يس مقسما به الحكيم ذي الحكمة ومعنى يس يا انسان بلغة طي
عند الهيثم بن عدي وبالسريانية عند ابن عباس رض وعند سعيد بن جبير رض هو اسم
من اسماء محمد عم دليله انك لمن المرسلين جواب القسم وهو رد على الكفار في قولهم لست
مرسلا على صراط مستقيم خبر بعد خبر او صلة للمرسلين او حال من المستكن في الجار والمجرور
وفائدته التصريح بالمدح والجمع بين وصفه ووصف شريعته وتعظيمه وتعظيمها المستفاد
من التنكير تنزيل العزيز الرحيم قرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وبالنصب على المدح
او على انه مصدر اى نزل تنزيل وبالجر على البدل من القران لتنذر قوما متعلق بتنزيل
او معنى الارسال في المرسلين ان جعلت ما في ما انذر اباؤهم نافية فالجملة في محل النصب
صفة لقوما اى قوما غير منذر اباؤهم مثل لقوله لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من
قبلك وفيه نظر اذ لا يلزم من عدم اتيانهم النذير ان لا يكونوا منذرين فان اتيانه باهل
الكتاب وهم يعلمون ذلك يكفي في الانذار وان جعلتها موصولة او موصوفة فهي مع
صلتها او صفتها مفعول ثان لتنذر اى لتنذر قوما الذي انذر به او شيئا انذر به
اباؤهم من العذاب كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا وان جعلتها مصدرية ففي محل
النصب على المصدر اى لتنذر قوما انذار اباىهم والمعنى انذارا مثل انذار ابائهم وعلى
الاول يتعلق فهم غافلون بالفعل المنفي اى لم ينذروا فهم غافلون عدم الانذار هو
سبب غفلتهم وعلى الباقي تعليل للارسال والانذار اى انك لمن المرسلين لتنذرهم فانهم
غافلون والمراد بابائهم الاقربون الذين في زمن الفترة والجاهلية ان حمل على ما انذر
على النفي والاقدمون من ولد اسمعيل عم الذي كانت فيهم النذارة ان حمل على الاثبات
لقد حق القول على اكثرهم اى ثبت ووجب عليهم لما علم من اعيانهم انهم يموتون على
الكفر باختيارهم اياهم واصرارهم عليه فنشاء منهم ذلك واخبر عنهم به واما قوله تعالى
لاملئن جهنم من الجنة والناس اجمعين فلا يعين الاشخاص ولا يقتضي ان يكون ذلك لكثر
المذكورين انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الاشل تصميمهم على الكفر وعدم مبالاتهم بالانذار
وتدبرهم بالايات تمثيلين تقرير لتصميمهم على الكفر وعدم ارعوائهم عن جهلهم كالمغلولين
المقمحين في انهم لا يلتفتون الى الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطاطئون رؤسهم
او جعلهم كالمحصورين المحبوسين بين سدين لا يبصرون ما قدامهم ولا ما خلفهم فلا يتبصرون
العبر ولا يتاملون في ايات الله فيعتبروا او يرجعوا فهي الى الاذقان اى هي عريضة
تبلغ عرضها الاذقان والذقن مجمع اللحيين فيضطر المغلول الى رفع وجهه الى السماء و

وذلك هو الاقماح فهم مقمحون رافعون رؤسهم غاضون ابصارهم يقال قمح البعير اذا
ترك راسه مرفوعا من ضعفه وقال الفراء المقمح الذي يغض بصره بعد رفع راسه
وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا قرئ بالفتح والضم وقيل بالفتح المصدر
وبالضم الاسم وقيل ما كان من اعمال الناس فبالفتح وما كان من خلق الله فبالضم
فاغشيناهم وقرئ بالعين الغير المعجمة من العشاء فهم لا يبصرون فلا ينتفعون بالانذار
وهو مضمون قوله سواء عليهم اانذرتهم ام لم تنذرهم قد سبق تفسيره في سورة البقرة
لا يؤمنون استيناف لبيان قدم نفع الانذار في حقهم عما يبين ان الانذار لا ينجع فيهم
وان المقصود من الانذار وهو الايمان المنذر لا يترتب عليه وان الانذار وعدمه بالنسبة
اليهم سواء اضيف انذارهم كلا انذار فقال انما تنذر اي انذار المنجح المستتبع لفائدته
من اتبع الذكر اي من لمن جاء من عند الله تعالى فالذكر القران وخشي الرحمن بالغيب الخشية
كناية عن الاعتقاد بالاوامر والانزجار عن المناهي وبحسبه قوله فبشره بمغفرة واجر كريم
وذلك ان الغفران جزاء الايمان والاجر الكريم جزاء العمل كما قال تعالى والذين امنوا وعملوا
الصالحات اولئك لهم مغفرة ورزق كريم وفي عبارة الرحمن اشارة الى ان في الخشية
من الخوف ينبغي ان لا يخلو عن الرجاء وذلك لان مقابل كل منهما مذموم وانما قال بالغيب
اذ عند العيان لا يبقى للخشية شان انا نحن نحيي الموتى نبعثهم بعد مماتهم او نخرجهم من الضلالة
بالهداية ونكتب ما قدموا واثارهم اي ما اسلفوا من الاعمال الصالحة والطالحة عبر عن احاطة
علمه باعمالهم بالكتابة تضبط بها الاشياء وكنى بها عن المجازاة فانتظم مع قوله نحيي الموتى
واثارهم وما بقي بعدهم من اثار حسنة او سيئة ونحوه قوله تعالى ينبأ الانسان يومئذ
بما قدم واخر اي قدم من اعماله واخر من اثاره وكل شيء منصوب بعامل مضمر يفسره احصيناه
وقرئ الرفع على الابتداء في امام مبين يعني اللوح المحفوظ لانه اصل الكتب ومقتداها و
اضرب لهم اي مثل لهم من قولهم عندي من هذا الضرب كذا اي من هذا المثال وهو يتعدى
الى مفعولين لتضمنه معنى الجعل وهما مثلا اصحاب القرية على حذف مضاف تقديره اجعل
لهم مثل اصحاب القرية مثلا ويجوز ان يقتصر على مثل واحد كالجعل ويجعل المقدر بدلا من
الملفوظ او بيانا له اي اضرب لهم مثلا مثل اصحاب القرية والقرية انطاكية عبر عنها هنا
بالقرية وفيما ياتي بالمدينة رعاية في كل من المقامين ما يناسبه وذلك ان ما في اصل القرية من
معنى الجمع يناسب الاصحاب وما في اصل المدينة من معنى الاقامة يناسب ما عرض ذلك الرجل من
كلامه وهو الحث على اتباع المرسلين وانتصاب اذ بانه بدل من اصحاب القرية جاءها عدل عن
الظاهر وهو ارجاع الضمير الى الاصحاب لان المذكور اوفر فائدة حيث دل على انهم بلغوا الرسالة
اليهم في قريتهم وهو مركز سكنهم المرسلون رسل الله عم ذكره ابن عباس رض وهو الظاهر

من قوله تعالى اذ ارسلنا اليهم اثنين ومن قولهم ما انتم الا بشر مثلنا وقيل رسل عيسى عليه السلام
واسناد الارسال اليه تعالى لانه فعل رسوله وخليفته وفيه تعظيم عيسى عم بعثهم دعاة الى
الحق وكانوا عبدة اوثان واذ بدل من اذ الاولى اثنين هما يحيى وبولس وقيل غيرهما فكذبوهما
فعززنا فقوينا بثالث هو شمعون وقرئ مخففا من عزه اذا غلبه وانما حذف المفعول
لان المراد ذكر المعزز به وما لطف فيه من التدبير حتى عز الحق وذل الباطل وحق الكلام المنصب الى
غرض يجعل سياقه له كان ما سواه مرفوض فقالوا انا اليكم مرسلون التاكيد بان لسبق
الانكار منهم بمضمون الخبر تبذ ببعث الرسولين والمعتبر علم المخبر بانكار المخاطب لا صدوره
منه وهو حاصل للثالث ايضا فلا صحة لما قيل انه ابتداء اخبار والثاني جواب عن انكار قالوا
ما انتم الا بشر مثلنا اي لا مزية لكم علينا يقتضي اختصاصكم بما تدعون ورفع بشر لانتقاض
النفي المقتضي اعمال ما بالا وما انزل الرحمن من شيء اي وحيا من السماء ان انتم الا تكذبون فيما
تدعون وانما اوثر صيغة الفعل مع ان صيغة الفاعل ابلغ اعتبارا للتجدد فكانه قيل تجددون الكذب
وقتا بعد وقت وتستمرون على ذلك قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون لما نفوا الرسالة وبالغوا
في ذلك قابلوا انكارهم في الجواب بمزيد التاكيد بقولهم ربنا يعلم لانه استشهاد بعلم الله
جار مجرى القسم في التوكيد كما تقول شهد الله وعلم الله وبزيادة اللام وبتقوية التاكيد و
بحسن الاستشهاد بقولهم وما علينا الا البلاغ المبين اي التبليغ الظاهر المكشوف بالايات
الشاهدة لصحته فان الاستشهاد على الدعوى انما يصح ببينة واضحة قالوا انا تطيرنا تشاءمنا
بكم يعني سمعنا منكم ما هو من جهة الفال تذيب بمكروه ويلحقنا في انفسنا او في اهلينا او في
اموالنا او غير ذلك من اسبابنا وامورنا فكفوا عن هذا الكلام ولا تعاودونا به لئن لم تنتهوا
عما نهيتم عنه لنرجمنكم لنرمينكم بالحجارة وليمسنكم منا عذاب اليم اصابة بنا شر منا
البشرة قالوا طائركم اي سبب شؤمكم معكم وهو سوء اعتقادكم وفساد اعمالكم ائن ذكرتم
بهمزة الاستفهام وحرف الشرط وقرئ ان بالف بينهما وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله
عليه اي ائن وعظتم وتوعدتم بالرجم والتعذيب وقرئ ان ذكر بهمزة الاستفهام وان
الناصبة اي اتطيرتم لان ذكرتم وقرئ ان وان بغير استفهام بمعنى الاخبار ان ذكرتم تطيرتم
وتطيرتم لان ذكرتم واين ذكرتم بمعنى شؤمكم معكم حيث جرى ذكركم وهو ابلغ لانه اذا شئتم
المكان بذكرهم كان بحلولهم فيه اشام بل انتم قوم مسرفون قوم عادتكم الاسراف في العصيان
فمن ثم جاءكم الشوم او انتم مسرفون في غيكم وضلالكم حيث تشاءمتم بمن يجب التبرك به من رسل
الله وجاء من اقصى المدينة رجل هو حبيب بن اسرائيل النجار وكان ينحت الاصنام يسعى يقصد
وجه الله بالذب عن رسله وهو من قوله وسعى لها سعيها والسعي في الاصل المشي بسرعة وخفة
حركة ثم استعير للجد في اصلاح امر وافساده قال استيناف على تقدير سوال سائل عما قال عند

ذلك يا قوم اتبعوا المرسلين باح اسلامه ليشتغل القوم عن الرسل وقوله يا قوم دلالة واظهار
منه لا مباينة بينهما ولا تهمة في ارادة النصح بهم اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون كلمة جامعة
في الترغيب اي لا تخسرون معهم شيئا من دنياكم وتربحون صحة دينكم فينتظم لكم خير الدنيا وخير الآخرة
ورشحها وقواها بابراز مناصحتهم في صورة المناصحة لنفسه ليكون ادخل في محاض النصح حيث
اراد لهم ما اراد لنفسه وليتلطف بهم ويداريهم حتى لا يتعصبوا فيقبلوا فوضع قوله ومالي لا
اعبد الذي فطرني مكان قوله وما لكم لا تعبدون الذي فطركم واوما الى المراد بقوله واليه ترجعون
مبالغة في التأكيد والانتقال والتدرج ثم عاد الى المساق الاول فقال أأتخذ من دونه آلهة اي
اصناما دل على انهم كانوا عبدة اصنام ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا
نفي الشفاعة راسا كقوله لا يرى الضب بها ينجحر ولا ينقذون لا يقدرون على انقاذي من ذلك
الضر اي لا نفع من جهتهم بالشفاعة ولا دفع بالقدرة اني اذا لفي ضلال مبين تفريع على ترك
عبادة خالقهم الى عبادة من لا يضر ولا ينفع وقد برهن في اثناء كلامه على ضلالهم حيث ذكر
ان الله تعالى هو المبدئ الفاطر واليه الرجوع ومنه الرحمة العامة الشاملة وله القدرة التامة الكاملة
وهو الذي اذا اراد باحد شيئا من الضر والنفع فعل فان تركت عبادته الى عبادة ما لا يضر ولا
ينفع ولا يغني شفاعته شيئا ولا يقدر على انقاذ من ابتلاه الله تع بالنصرة والمظاهرة او اشركته في
عبادته فاني اذا لفي ضلال مبين لا يخفى على عاقل اني آمنت بربكم فاسمعون اي فاسمعوني السماع
هنا مجاز عن الاتباع اذ لا وجه للترتيب بين سماع القول منه وايمانه قيل رجموه وهو يقول اللهم
اهد قومي وقبر في سوق انطاكية وباشتغالهم بقتله تخلص الرسل قيل ادخل الجنة استئناف لان
قصة مظنة السؤال عن حاله كان سائلا سأل فقال كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب في نصرة دينه
والتسخي بروحه فقيل قيل ادخل الجنة ولما كان السؤال عن المقول سبق الجواب لبيانه وحذف عما
لا حاجة اليه وهو بيان المقول له مع كونه معلوما وكذلك قوله قال يا ليت قومي يعلمون استئناف
على تقدير سؤال سائل عما قال عند ذلك الفعل العظيم بما غفر لي ربي ما مصدرية اي بغفران ربي
لي او موصولة اي بالذي غفر لي من ذنبي ويحتمل ان يكون استفهامية اي باي شيء غفر لي ربي
على الاصل مع ان الاكثر حذف الالف تقول قد علمت بما صنعت هذا اي باي شيء صنعت والاكثر
بم صنعت تمنى ان يعلم قومه بانه غفر له بايمانه فيرغبوا في الايمان وهذه مرتبة اولياء الله تع يريدون
الخير بمن اراد بهم الشر ويتمنون ان لا يكون لله تعالى عاصيا وجعلني من المكرمين باعطاء المنزلة
الرفيعة في الجنة دل ذلك على ان الجنة مخلوقة وعلى ان القبر روضة من رياضها وحفرة من حفر النيران
وما انزلنا على قومه من بعده من بعد قتله من جند من السماء استحقارا لاهلاكهم وايماء الى تعظيم
رسول الله عم اي كفينا امر اهلاكهم بصيحة واحدة من ملك وما انزلنا عليهم جندا من الجنود
السماوية كما فعلنا يوم بدر والخندق وما كنا منزلين وما صح في حكمتنا ان ننزل لان انزال جنود

السماء من عظائم الامور التي لا يؤهل لها الا مثلك وقد اهلك الله تع كل امة بسبب تقتضيه
حكمته ولم يرد جنود السماء لانتصار احد من الانبياء عم الا لانتصار محمد عم وذلك لكرامته عند الله
تعالى وتفضيله على سائر الانبياء عم والا لكان يكفي في نصرته ملك واحد ان كانت الا صيحة واحدة
كان القياس التذكير لان الاصل ما وقع شيء الا صيحة واحدة ولكن طوبقت بها الصيحة لانه في حكم
فاعل الفعل وعليها القراءة بالحسن فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم بتأنيث الفعل المبني للمفعول ورفع
مساكنهم وقرئ الصيحة بالرفع على كان التامة اي ما وقعت الا صيحة فاذا هم خامدون بناء على
تشبيه الحرارة الغريزية بحرارة النار وانطفائها بخمود النار على الاستعارة بالكناية اي خمدوا كما
تخمد النار وذلك ان الروح عند الفزع الشديد يتحرك مع الدم الى الباطن دفعة فيختنق من شدة
الانحصار والاجتماع فينطفئ يا حسرة على العباد الحسرة هي بلوغ النهاية في التلهف حتى يبقى القلب
حسيرا فهو لا موضع فيه لزيادة التلهف كالبصير الحسير الذي لا قوة فيه للنظر والبعير الذي لا قوة له على
المسير وهذا نداء للحسرة عليهم كانه قيل لها تعالى يا حسرة فهذه من الاحوال التي حقك ان تحضري فيها
وهي ما دل عليه ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون ويجوز ان يكون المعنى انه متحسر عليهم
من الله تع على سبيل الاستعارة والمراد تعظيم ما جنوه على انفسهم وفرط انكاره له وتعجيبه منه
ويعضده قراءة من قرأ يا حسرتا وقرئ يا حسرة العباد بالاضافة الى الفاعل او المفعول لاختصاصها
لهم من حيث انها موجهة اليهم ويا حسره على العباد على اجراء الوصل مجرى الوقف والمعنى انهم احقاء
بان يتحسر عليهم المتحسرون او هم متحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين الم يروا معلق
عن العمل بكم اهلكنا قبلهم من القرون لان كم لا يعمل فيها ما قبلها وان كانت خبرية لانها وصفت لانشاء
التكثير او لان اصلها الاستفهام وانما جاز تعليق فعل الرؤية لانه بمعنى الم يعلموا الا ان معناه نافذ
في الجملة كما نفذ في قولك الم يروا ان زيدا لمنطلق وان لم يعمل في لفظه ولهذا ابدل انهم اليهم لا
يرجعون من كم اهلكنا على المعنى لا على اللفظ تقديره الم يروا كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم
غير راجعين اليهم وقيل انه بدل من موضع كم اهلكنا وليس بدلا من كم وحده لان العامل فيه معنى اهلكنا
ولا يصلح عاملا في البدل وقرئ بالكسر على الاستئناف وقرئ الم يروا من اهلكنا والبدل على هذه
القراءة بدل الاشتمال وان كل لما جميع ان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة وما مزيدة للتأكيد و
قرئ لما بالتشديد على ان ان نافية ولما بمعنى الا وكل بمعنى الاحاطة وان لا ينقلب منهم احد
بمعنى الاجتماع وان يجمعهم المحشر والتنوين في كل عوض عن المضاف اليه اي ان كلهم محشورون مجموعون
لدينا محضرون للحساب يوم القيامة وقيل محضرون في النار معذبون وآية لهم الارض الميتة الارض
الميتة مبتدأ خبره آية لهم واحييناها استئناف لبيان كون الارض الميتة آية لهم ويجوز ان يكون
صفة للارض لان المراد الجنس المطلق لا ارض بعينها فيجوز وصفها بالنكرة وان يكون آية مبتدأ و
لهم صفتها والارض خبرها وان يكون احييناها خبرا للارض والجملة خبرية او صفة لها و

أخرجنا منها حبا المراد بالحب الجنس وتقديم الظرف في قوله فمنه يأكلون للدلالة على أن الحب
معظم ما يؤكل ويعاش به ويقوم البدن بالارتزاق منه ألا يرى أنه إذا فقد حضر الهلاك
بالقحط وعم البلاء وجعلنا فيها جنات بساتين من نخيل وأعناب من أنواع النخل والعنب ولذلك
جمعهما دون الحب فإن كونه قوام البدن باعتبار جنسه لا باعتبار تنوعه وأما ما قيل أن ذلك
لأن الدال على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الأنواع خلاف ما هو المشهور وعليه الجمهور
فإنهم قالوا في العالمين إشعار بالاختلاف دون العالم وذكر النخيل دون التمور مع مطابقتها
الحب والأعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع وفجرنا فيها وقرئ بالتخفيف و
الفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى في أن التشديد للمبالغة والتكثير من العيون من زائدة
عند الأخفش وعند غيره المفعول محذوف أي شيئا من العيون ليأكلوا من ثمره الضمير لله تعالى أي
لينتفعوا بعوائده يقال ثمرة التجارة الربح وتخصيص الأكل بالذكر لأنه معظم الفوائد وقرئ
بضمتين وهو لغة أو جمع ثمار وما عملته أيديهم عطف على الثمر أو على موضع من ثمره والمراد ما يتخذ
منه كالعصير والدبس والخل وكل ما يتخذ من التمر والعنب وقيل ما نافية والمراد أن الثمر بخلق الله
تعالى لا بفعلهم ويؤيد الأول قراءة وما عملت من غير راجع لأن حذف الراجع من الصلة أحسن
من غيرها أفلا يشكرون استبطاء وحث على شكر نعمه سبحان الذي خلق الأزواج كلها الأجناس
والأصناف مما تنبت الأرض من النخل والشجر والزرع والثمر ومن أنفسهم الأولاد ذكورا و
إناثا ومما لا يعلمون ومن أزواج لم يطلعهم الله تعالى عليها ولم يجعل لهم طريقا إلى معرفتها وآية
لهم الليل فيه الوجهان المذكوران فيما تقدم من نظيره وفي نسلخ منه النهار الوجوه المذكورة في
أحييناها الاستئناف والصفة والخبرية والسلخ الكشط يقال سلخ جلد الشاة إذا كشطه فاستعير
لإزالة الضوء وكشفه عن مكان الليل وملقى ظله فإذا هم مظلمون داخلون في الظلام والشمس
تجري لمستقر لها لحد معين من فلكها ينتهي إليه دورها في آخر كل سنة وقيل الوقت الذي
تستقر فيه وينقطع جريها وهو يوم القيمة وقرئ لا مستقر لها أي لا استقرار لها إلى أن يكورها
الله تعالى يوم القيمة على أن لا بمعنى ليس ذلك تقدير العزيز العليم ذلك الجري على هذا التقدير
العجيب ما هو إلا تقدير الغالب بقدرته على كل مقدور والعليم بكل معلوم والقمر قدرناه أي
قدرنا سيره منازل على حذف المضاف وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل كل ليلة في واحدة
منها لا يتخطاها ولا يتقاصر عنها على التساوي إلى الثالثة والعشرين فيدق مستقوسا كالعرجون القديم
ثم يستتر ليلة إذا نقص الشهر أو ليلتين إذا تم وهذا ما ذكر بقوله حتى عاد كالعرجون القديم العرجون
العود المعذق ما بين شماريخه إلى منبته من النخلة وقال الزجاج هو فعلون من الانعراج وهو
الانعطاف وقرئ العرجون بوزن الفرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون والقديم المحول
وإذا قدم العرجون دق وانحنى واصفر فشبه به من ثلاثة أوجه لا الشمس ينبغي لها أي لا يصح ولا يستقيم

لها أن تدرك القمر وتجتمع معه وتداخله في سلطانه فتطمس نوره لأن التدبير الإلهي يقتضي
المعاقبة وإيلاء الشمس حرف النفي للدلالة على أنها مسخرة لم يتيسر لها إلا ما قدر لها من السير والطلوع
وإنما وصفت بإدراك ووصف القمر بالسبق لسرعة سيره بالنسبة إليها فإنه يقطع بحركته في شهر
ما يقطع الشمس سنة من المسافة فيناسبه السبق ومن هنا ظهر نسبة السبق إلى الليل دون النهار في
قوله ولا الليل سابق النهار أي لا الليل يسبقه فيزيل ضوءه لذلك وقيل المراد بهما آيتاهما وهي
الشمس والقمر فيكون عكس الأول وذلك أن صلاح النبات والحيوان وجميع الشؤون الإلهية مبني
على تعاقبهما وأن يكون لكل منهما سلطان على حياله وقرئ سابق النهار بالتنوين ونصب النهار
على الأصل وكل التنوين عوض عن المضاف إليه أي كل واحد منهما في فلك يجري فلكه لا آخر الجمهور على أن
الفلك موج مكفوف تحت السماء يجري فيه الشمس والقمر والنجوم وعلى هذا المراد من الفلك الجنس يسبحون
فيه بانبساط في سيره وقد سبح فيه ومنه السباحة في الماء وإنما جمع جمع العقلاء للوصف بفعلهم
وآية لهم أنا حملنا لم يقل لهم الفلك كما قال وآية لهم الليل لأن العجب حملهم على الفلك لا نفس الفلك
فإنه بيت مبني من الخشب ذريتهم أولادهم ومن يهمهم حمله وقيل اسم الذرية يقع على النساء لأنهن
هن مزارعها وفي الحديث أنه عليه السلام نهى عن قتل الذراري يعني النساء وتخصيص الذريات لأنه لا قوة
لهم على السفر فكان الامتنان في حقهم أظهر في الفلك قيل المراد فلك نوح عليه السلام قال تعالى فأنجيناه ومن
معه في الفلك المشحون فعلى هذا يراد بالذرية الأسلاف لأنه من الذرء وهو الخلق فيصلح للاسم
الأصل والنسل لأن بعضهم خلق من بعض ويجوز أن يكون المعنى أنه تعالى حمل آباءهم الأقدمين
وفي أصلابهم هم وذرياتهم وتخصيص الذرية لأن الخطاب للكفار ولا فائدة في وجودهم فلم
يكن الحمل حملا لهم بل كان حملا لما في أصلابهم من المؤمنين ولم يقل على الفلك مع أنه الأنسب للحمل لأن
معنى الحفظ المستفاد من حرف الظرف أدخل في الامتنان وأنسب لما قصد من توصيف الفلك بقوله
المشحون لما كانت السفينة مملوءة بأنواع المخاوف من سباع البهائم وجوارح الطير وهوام الدواب
كان حفظ بني آدم فيما بينهم من آثار اللطف العظيم والقدرة الباهرة ولولا ذلك لاعتبار اللطيف
لكان التوصيف بالمشحون بمعزل عن مقام الغرابة المستفادة من عبارة الآية لأن القرار على الفلك
المشحون الثقيل أهون من القرار على الفلك الخالي الخفيف ولذلك لم يوصف الفلك به في قوله وعلى الفلك
تحملون وخلقنا لهم من مثله مثل جنس الفلك ما يركبون من الإبل فإنها سفائن البر أو من مثل
فلك نوح عليه السلام من السفن والزوارق وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم الصريخ والصارخ بمعنى
المستغيث ويجيء بمعنى الإغاثة لأنه في الأصل مصدر بمعنى الصراخ وقد سبق تفسيره في السورة السابقة
ولا هم ينقذون أي لا يخلصون بعد ذلك إلا رحمة منا ومتاعا إلى حين إلا لرحمة منا وتمتيع بالحياة
إلى زمان قدر لآجالهم وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم من الوقائع النازلة بالأمم المكذبة
قبلهم وما خلفكم من الساعة وأهوالها أو نوازل السماء ونوائب الأرض أو ما تقدم من ذنوبكم

وما ناص او فتنة الدنيا وعقوبة الآخرة لعلكم ترحمون لتكونوا راجين رحمة الله تع وما يأتيهم
من آية من آيات ربهم من الاولى للتاكيد وجواب اذا محذوف مدلول عليه بقوله الا كانوا عنها
معرضين كانه قال واذا قيل لهم اتقوا اعرضوا ثم قال ودأبهم الاعراض عن كل آية وموعظة
فهو تذييل مؤكد لما سبق من حديث الاعراض واذا قيل لهم انفقوا لم يذكر المنفق عليه لان
ابائهم وان كان عن الانفاق على المؤمنين خاصة الا ان موجب ما تعللوا به سد باب الانفاق
راسا وللاشعار الى هذا ترك المنفق عليه مما رزقكم الله اشارة الى ان البخل به في غاية القبح
فان البخل بالنعمات من سمج جمال الخبر قال الذين كفروا بالصانع يعني معطلة كانوا بمكة للذين
آمنوا تهكما بهم وذلك انهم لما سمعوا المؤمنين يعلقون الامور بمشية الله تع يقولون
لو شاء الله لكان كذا او فرضوا هذا الكلام فرضه واتخذوه هزوا ويستهزؤن بالمؤمنين
يجيبون به عند امرهم بالانفاق والتصريح بالوصفين من الكفر والايمان لبيان ان القول
لهم هم الكافرون والقائل لهم هم المؤمنون وان كل وصف حامل لصاحبه على ما صدر عنه
اذ كل اناء بالذي فيه يرشح وايضا لما كان الغرض الرد على المؤمنين لا الامتناع عن الاطعام
لانه مما يفتخرون به كان حق المقام التصريح بوصف الايمان في المقول له ومن هنا تبين وجه
اختيار العدول عن عبارة الانفاق الى عبارة الاطعام انطعم لما كان الاطعام ادنى وجوه الانفاق
واعلى ما يفتخرون به كان الاباء عنه اباء عن الانفاق راسا من لو يشاء الله اطعمه على زعمكم
وقيل نزلت في مشركي مكة حين استطعمهم فقراء المؤمنين من اموالهم التي جعلوها لله تع
من حرثهم وقالوا لو شاء الله لاطعمكم موهمين ان الله قادر على اطعامهم ولا يشاء اطعامهم
فنحن احق بذلك ان انتم الا في ضلال مبين حيث امرتمونا بما يخالف مشيته تع ويجوز ان لا
يكون من تتمة كلامهم ويكون جوابا من الله تع لهم او حكاية لجواب المؤمنين لهم بان ذلك
من فرط ضلالتهم وجهالتهم لان الله تعالى يطعم من يطعم باسباب منها حث الاغنياء على اطعام
الفقراء وتوفيقهم له ويقولون متى هذا الوعد اي وعد البعث ان كنتم صادقين فيما تقولون
خطاب للنبي عم واصحابه رض ما ينتظرون اراد الانتظار المفهوم من قولهم متى الا صيحة
واحدة اي عذابا يفجأهم فيستأصلهم يقال صاح بهم الزمان اي هلكوا قال الشاعر صاح
الزمان بآل برمك صيحة خروا لشدتها على الاذقان وقيل هي نفخة الاماتة ذكر في الصيحة
امور تدل على هولها وعظمها احدها التنكير وثانيها واحدة اي لا يحتاج معها الى الثانية و
تاخذهم اي تعمهم بالاخذ وتصل الى من في اقطار الارض ومثلها لا يكون الا عظيما وقوله
وهم يخصمون اي تاتيهم بغتة وهم في امنهم وغفلتهم يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم
لا يخطرون امرها ببالهم مما يعظم به الامر فان العامل المقبل على مهمته اذا صاح به صائح يكون
ادهى فانه اعظم بخلاف المنتظر لها فلا يستطيعون ان يوصوا في شيء من امورهم توصية ولا الى اهلهم

يرجعون ولا ان يرجعوا الى اهليهم ومنازلهم بل يموتون حيث تبغتهم الصيحة و
نفخ في الصور هي نفخة البعث وقد سبق في سورة المؤمنين فاذا هم من الاجداث من
القبور جمع جدث وقرئ بالفاء وانما جاء الى ربهم ينسلون النسول الاسراع في
الخروج ولفظ الرب اصاب المحز لان من اساء واضطر الى التوجه الى من احسن اليه يكون
ذلك اشد الما واكثر ندما من غيره قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا وقرئ من اهبنا من
هب من نومه اذا انتبه واهبه غيره وقرئ من هبنا بمعنى اهبنا وقرئ من بعثنا ومن هبنا
على من الجارة والمصدر وعن مجاهد للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم ولو سمتهم عذاب
الكفار في قبورهم بالنار لما صح منهم القول المذكور هذا ما وعد الرحمن هذا مبتداء وما
وعد خبره وما مصدرية او موصولة محذوف الراجع دل على هذا قوله تعالى يا ويلنا هذا يوم
الدين وصدق المرسلون اي صدق فيه ويجوز ان يكون اعتراضا افاقوا عما بهم وتنبهوا
يتذكرون ما سمعوا من الرسل فيجيبون به انفسهم او بعضهم بعضا وقيل هذا ليس من كلامهم
بل جواب الملائكة او المؤمنين لهم لكن عن سننه ومطابقته للسوال لاغراض منها تنبيههم
على ان الذي يهمهم هو السوال عن البعث لا عن الباعث ومنها تذكيرهم كفرهم وتكذيبهم
الرسل وتقريعهم على ذلك ومنها تفهيمهم البهم احوالهم الذي هم فيها واهتمامهم بوقوعها
انذر وابه كانه قيل لهم ليس هذا بالبعث الذي تعرفونه وهو بعث النائم من مرقده
حتى يهمكم السوال عن الباعث وان هذا هو البعث الاكبر ذو الافزاع والاهوال الذي وعد
الله تع في كتبه المنزلة واخبر به عن السنة رسله الصادقين ان كانت الا صيحة واحدة وقرئ
بالرفع على كان التامة والنصب في الناقصة للنفخة التي دل عليها ونفخ فاذا هم جميع لدينا محضرون
بمجرد تلك الصيحة وفي ذلك تهوين امر البعث والحشر واستغناؤهما عن الاسباب التي ينوطونهما
بالقياس على ما يشاهدونه فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون حكاية
لما يقال لهم حينئذ وكذا ما بعده من وصف اهل الجنة تصويرا للموعود وتمكينا له في النفوس وترغيبا
او ترهيبا ان اصحاب الجنة اليوم في شغل عن ذكر اهل النار ولو خطر ذلك ببالهم وقيل احد
من اقاربهم او معارفهم تنغص عليهم ما هم فيه والتنكير في شغل للتعظيم والتنبيه على انه
اعلى من يحيط به الافهام ويعرب عن كنهه الكلام والشغل العارض الذي يذهل الانسان
عن امر لولا ذلك العارض لكان متوجها اليه فاكهون وقرئ فكهون كنطس على انه حال والخبر
هو الظرف والمفاكهة والفكه المتنعم المتلذذ ومنه الفاكهة لانها مما يتلذذ به هم وازواجهم
هم مبتداء او للتاكيد للضمير في شغل او في فاكهون والمعنى على تقدير التاكيد ان ازواجهم
يشاركهم في ذلك الشغل والتفكه والاتكاء والازواج جمع زوجة وهي امرأة الرجل التي
يحل له وطئها في ظلال جمع ظلة كشعاب او ظلة كقباب ويؤيده قراءة في ظلل على الارائك

جمع اريكة وهي السرير في الحجلة وقيل الفراش فيها متكئون خبر او في ظلال خبر وعلى الارائك
مستأنف وقرئ متكئين على الحال لهم فيها فاكهة عبّر عن كل ما يتزرقون فيها بالفاكهة للتنبيه
على انهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات بانهم اجسام محكمة مخلوقة للابد فكل ما ياكلونه
على سبيل التلذذ ولهم ما يدعون يفتعلون من الدعاء اى يدعون به لانفسهم كقولك
ارتموه وتمادوه وقيل يتمنون اسنوى واحتمل اذا سوى وحمل لنفسه ويجوز ان يكون
بمعنى يتداعونه كقولك ارتموه وتماروه وقيل يتمنون من قولهم ادع على ما شئت بمعنى
تمنه على وفلان في خير ما ادعى اى في خير ما تمنى وقال الزجاج هو من الدعاء اى ما يدعونه
اهل الجنة ياتيهم وما موصولة او موصوفة مرتفعة بالابتداء ولهم خبرها سلام بدل
منها او صفة اخرى قولا مصدر مؤكد لقوله ولهم ما يدعون سلام اى عدة من رب الرحيم
والاوجه ان ينتصب على الاختصاص وهو خبر محذوف ان الله تعالى يسلم عليهم بواسطة
الملائكة او بغير واسطة مبالغة في تعظيمهم وذلك متمناهم ولهم ذلك لا يمنعونه قال
ابن عباس رضي الله عنه والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين وامتازوا اليوم يقال مازه
فانماز وامتاز بمعنى تمايز ايها المجرمون اى انفردوا عن المتقين والمراد منه اليوم يوم
المحشر قال الضحاك يمتاز اليهود فرقة والنصارى فرقة والمجوس فرقة والصابئون فرقة
وعبدة الاوثان فرقة ولكل فرقة في النار بيت يدخل فيه ويرد بابه فيكون فيه ابدا
لا يرى ولا يرى ويشكل هذا بقوله كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وقوله تعالى
ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء الم اعهد اليكم يا بني ادم في الخطاب
بني ادم نوع ايماء الى ان ذلك العهد كان في عهد ادم ان لا تعبدوا الشيطان من جملة ما
يقال لهم تقريعا والزاما للحجة وعهد الله تعالى ما ذكر في عقولهم ونصب لهم من الحجج العقلية
والادلة السمعية الامرة بعبادته الناهية عن عبادة غيره وعبادة الشيطان طاعته
فيما يوسوس به اليهم ويزينه لهم والعهد الوصية يقال عهد اليه اذا وصاه انه لكم عدو
مبين تعليل للمنع من عبادته وان اعبدوني عطف على ان لا تعبدوا هذا صراط مستقيم
اشارة الى ما عهد اليهم من معصية الشيطان وطاعة الرحمن اذ لا صراط اقوم منه جملة
استئنافية لبيان المقتضي للعهد بشقيه او بالشق الاخير والتنكير في صراط للتعظيم والمبالغة
ولقد اضل منكم جبلا كثيرا رجوع الى بيان معاداة الشيطان مع ظهور عداوته ووضوح
اضلاله لمن له ادنى عقل وتمييز فقوله افلم تكونوا تعقلون استفهام تقريع على تركهم الانتفاع
بالعقل والجبل الخلق واصل الجبل الطبع ومنه الجبل لانه مطبوع على الثبات هذه جهنم التي
كنتم توعدون بها في دار التكليف اصلوها اليوم الزموا العذاب بها واصل الصلا اللزوم
ومنه المصلي الذي في اثر السابق للزومه اثره بما كنتم تكفرون بسبب كفركم اليوم نختم

على افواههم اى نفعل بافواههم ما لا يمكنهم معه ان يتكلموا بالسنتهم وتكلمنا ايديهم
بانطاق الله اياها على ما نطق به قوله تعالى قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء
فلا مساغ للتاويل لظهور اثر المعاصي عليها ودلالتها على افعالها وتشهد ارجلهم اسند
الختم الى نفسه دون الكلام والشهادة دفعا لوهم الاجبار واظهارا لتوسط الاختيار
بعد الاقدار على النطق والتكلم ولما كان كلام الايدي اقرارا على الغير المنكر نزل
تصديق الارجل اياها منزلة الشهادة فعبّر عن تكلمها بالشهادة بما كانوا يكسبون اى
الكسب باليد اخص فيكون الاخبار منها اقرارا ومن الرجل شهادة لانها تحاضر وقلما تباشر
ولهذا خص التكلم بمعنى الاقرار بالايدي والاقرار بالارجل ولو نشاء لطمسنا على اعينهم
الطمس محو الشيء حتى يذهب اثره والطمس على العين بعفيه شقها حتى تعود ممسوحة فاستبقوا
الصراط فطلبوا الطريق الذي اعتادوا سلوكه سابقين وانما اعتبر قيد السبق على طريقة
التضمين لان التقدير في سلوكه الاعمى الطريق ح اظهر ويجوز ان يكون من باب حذف الجار
وايصال الفعل اى فاستبقوا الى الصراط او نصبا على الظرف فانى يبصرون لم يقدروا
ان يسلكوه ولم يبصروه ولم يعلموا جهة سلوكه فضلا عن غيره ولو نشاء لمسخناهم بتبديل
صورهم وابطال قواهم وقدرهم على مكانتهم في مكانهم المكانة والمكان كالمقامة والمقام
او بامكانهم فلا يستطيعون مضيا ذهابا ولا يرجعون ولا رجوعا فوضع الفعل موضعه
للفواصل اى انهم احقاء بان يفعل بهم ذلك ولا عجز فينا لكنا لم نفعل لشمول الرحمة واقتضاء
الحكمة امهالهم قيل ولا يرجعون عن تكذيبهم ومن نعمره نطل عمره وننكسه بالتشديد
وبالتخفيف من التنكيس والانكاس وقرئ بفتح الكاف من النكس في الخلق اى نقلبه فيه فلا
يزال تتزايد ضعفه وانتقاص بنيته وقواه عكس ما انشاناه عليه افلا يعقلون ان من قدر
على ذلك قدر على الطمس والمسخ فانه مشتمل عليهما وزيادة غير انه على تدرج وما علمناه
الشعر اى بتعليم القران وهو رد لقولهم ان محمدا شاعر والمراد ان القران ليس بشعر
ابن هو من الشعر فان الشعر كلام موزون مقفى منتظم من المخيلات المرغبة والمنفرة وما
ينبغي له اى لا يليق به ولا يصلح له لان الشعر يدعو الى تغيير المعنى لمراعاة اللفظ والوزن
فالشاعر يكون المعنى منه تبعا للفظ والشارع يكون اللفظ منه تبعا للمعنى وقيل لا يتاتى له ان اراد
قرضه وقوله انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب قال بعضهم انما الرواية بالاعراب لم يكن
شعرا واما ما قيل ليس هذا الوزن من الشعر فمكابرة لان اشعار العرب على هذا قد رواها
الخليل وغيره واما قوله هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت فلعله قالها ساكنة
التاء او متحركة من غير اشباع ولا يكون شعرا الا اذا كسرت التاء بالاشباع ان هو الا ذكر
اى موعظة وتذكير من الله تعالى وقران مبين كتاب سماوي بين كونه ليس من كلام

الشعر لظهور اعجازه لينذر اى القرآن او الرسول ويؤيده القراءة بالتاء الفوقانية
من كان حيا عاقلا فهما فان الغافل كالميت او مؤمنا في علم الله واختصاص الانذار به لانه هو
المنتفع منه دون غيره ويحق القول ويجب كلمة العذاب على الكافرين المصرين على الكفر وفي ذكرهم
في مقابلة من كان حيا تنزيل لهم منزلة الاموات لحرمانهم عن ثمرة الحيوة اولم يروا [illegible]
ولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا مما تولينا نحن احداثه لا يقدر على توليته غيرنا وذكر
الايدي واسناد العمل اليها استعارة من عمل يعمل بالايدي للمبالغة في الاختصاص والتفرد
باحداثها انما خصها بالذكر لما فيها من بدائع الفطرة ولطائف الحكمة وكثرة المنافع جمعا بين
اظهار القدرة والامتنان بتذكير النعمة المختصين بها ولهذا كمله بقوله فهم لها مالكون اى خلقناهم
لاجلهم وملكناهم اياها فهم فيها متصرفون تصرف الملك وذللناها لهم التذليل من جملة
النعم الظاهرة لولاه لما قدر عليها احد ولهذا الزم الله تعالى الراكب ان يشكر هذه النعمة و
يسبح بقوله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين فمنها ركوبهم هو ما يركب ومنها
يأكلون اى سخرناها لهم ليركبوا ظهرها ويأكلوا لحمها ولهم فيها منافع ومشارب مجمل
مفصل في قوله تع وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا الاية ومشارب من اللبن وما يتخذ
منه جمع مشرب وهو الشرب وموضع الشرب انما لم يقل ومنها يشربون لان ابتداء الشرب
ليس منها بخلاف الاكل افلا يشكرون لخالق هذه النعم ورازق هذه النعم واتخذوا من دون
الله آلهة بعد ما رأوا القدرة الباهرة وآثارها الظاهرة لعلهم ينصرون طمعا في ان ينصروهم
ويتعززوا بهم كما قال ليكونوا لهم عزا والامر على عكس ما قدروا لانه لا يستطيعون نصرهم وهم
لهم جند محضرون معدون لحفظهم يخدمونهم ويذبون عنهم والالهة لا استطاعة بهم
ولا قدرة على النصر فقيل هم يوم القيمة محضرون لعذابهم ويرد عليه ان فيه زيادة تفكيك
في الضماير فيفوت فضل النظم الذي هو ام اعجاز القرآن ومراعاته اهم ما يجب على المفسر وايضا
المتبادر منه لهم النفع دون الضرر وقيل محضرون اثرهم في النار يأباه عبارة الجند فانه
جند معد للحرب فلا يحزنك قولهم الفاء للسببية اى اذا علمت حالهم ومآلهم فتسل ولا يحزنك قولهم
فيك انك شاعر وساحر وكاهن او كاذب وساير وجوه الاذى بالقول فانا مجازوهم انا
نعلم ما يسرون وما يعلنون تعليل للنهي وفيه وعيد شديد لهم وزيادة تسلية لرسول الله
عم فان قلت اليس مقتضى البلاغة تقديم ما يعلنون حتى يكون نظم الكلام على اسلوب الترقي
قلت ذلك مقتضاها بحسب جليل النظر واما مقتضاها بحسب دقيقه فانما هو تأخيره حتى يكون
لكل جزئي الكلام حظ من الاهتمام وذلك انه حينئذ يكون للجزء الاول اهتمام التقديم وللجزء الثاني
اهتمام من الترجيح بعد الانتهاء بطريق الالتزام وعلى تقدير التقديم يفوت احد الاهتمامين
كما لا يخفى على ذوي الافهام اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة ايلاء الهمزة والواو العاطفة

للتقرير والتعجيب من حال الانسان اى ايكفر الانسان البعث ولم ير مبداء خلقه وابداع نشأته
وفيه تسلية اخرى لرسول الله عم بتهوين ما يقولون بالنسبة الى انكارهم البعث وتقبيح بليغ
ولا افحش ولا اعجب ولا ادل على تمادي كفر الانسان وافراط جحود النعم حيث تقرر في علمه انا
خلقناه من شيء قليل وبلغناه الى قدر جليل وانما لم يقل من ماء مهين مع ما فيه من المناسبة لتقوية
رعاية لحق الكلام بتجريده لما سيق له من المرام وذلك بحذف ما يحتمل غرضا آخر وهو الامتنان بالاعزاز
والاكرام ومن لم يتنبه لهذا قال انا خلقناه من ماء مهين شيء ما قدره وهو مع مهانة اصله و
خساسة عنصره يتصدى لمخاصمة الجبار الذي شرفه بعد خسته وكرمه بعد ذلته ويقول من يحيي
العظام فاذا هو خصيم مبين اذا للمفاجأة والفاء فصيحة للعطف على مقدر تفصيله لما بلغ
مظنة اظهار الشكر والحمد على آثار قدرتنا فاجاءها علامة الكفران والجحود مبالغا في الخصومة
معربا عما في نفسه من الخباثة وحاله ان خصامه في الزعم وصف له وابلغ حجة عليه وهو انه منشأ
من موات والاعادة اهون من الابداء فخصامه محض مكابرة وصرف معاندة وضرب لنا مثلا
انما سمى قوله مثلا لكونه امرا عجيبا وقصة غريبة كالمثل حيث انكر قدرة الله تعالى على انشاء الموات
وقد انشأه الله تع من الموات ونسي ولا يتذكر خلقه وهو اقرب شيء اليه قال من يحيي العظام
وهي رميم روي ان ابي ابن خلف اتى النبي عم بعظم بال يفتته بيده فقال اترى ان الله
يحيي هذا بعد ما رم فقال عم ويبعثك ويدخلك النار فنزلت والرميم ما بلي من العظام كان او
غيره غير صفة كالرمة والرفات لا فعيل بمعنى فاعل ولا مفعول فلهذا لم يؤنث مع كونه خبرا عن
مؤنث وقيل لانه معدول عن فاعل وكل ما كان معدولا عن وجهه ووزنه كان مصروفا عن
اخواته كبغيا في قوله ما كانت امك بغيا فانها مصروفة عن باغية وفي ظاهره دلالة على ان
في العظام حيوة وانها تنجس بالموت قل يحييها الذي انشأها اول مرة انما قال انشأها
دون احياها اشارة الى الفرق بين الاحيائين من حيث ان الاول منهما انشاء والثاني اعادة
فلا جرم يكون اهون ولا نقص في جانب الفاعل وهو بكل خلق عليم يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه
شيء من خلق المنشآت والمعادات وجمع اجزائها بعد تلاشيها وتفرقها الذي جعل لكم من الشجر الاخضر
وصف الشجر بالاخضر حملا على اللفظ وقرئ بالخضراء على المعنى نارا نوعا غريبا من النار يحدث
مما يقطر منه الماء ومن حفاظه وجه توصيف الشجر بالاخضر نقل عن ارباب الحكمة ان النار على اربعة
انواع نار تأكل ولا تشرب وهي النار المعهودة ونار تشرب ولا تأكل وهي نار الشجر ونار تأكل
وتشرب وهي نار المعدة ونار لا تأكل ولا تشرب وهي نار الحجر فاذا انتم منه توقدون لا تشكون
في انها نار تخرج منه استدل بالنشأة الاولى على الثانية ثم بانقداح النار من الشجر الاخضر وهي من
زيادة الاعراب واكثرها من المرخ والعفار يقطع منها غصنان مثل السواكين وهما خضراوان
يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهي انثى فتنقدح النار باذن الله تعالى

مع مضادة الماء النار وانطفائها به فمن قدر على ذلك كان على اعادة الغضاضة فيما
كان غضا فيبس وبلي اقدر اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم
دليل ثالث كانه قال ابعد ما مر من الدليلين لا يقدر من خلقهما مع كبر جرمهما وعظم شانهما على
خلق مثلهم مع صغرهم وحقارتهم بالنسبة اليهما وقيل على اعادتهم لان المعاد مثل للمبدأ في اصول
النسبة والذات والصفات ويرده ان المذهب خلاف ذلك بلى جواب من الله تعالى مشعر بان الجواب
متعين في هذا وهو الاثبات بعد النفي وهو الخلاق العليم المبالغة في الخلق والعلم المستفاد من الصفتين
المذكورتين تناسب المقام انما امره قوله على ما مر في سورة النحل انما قولنا لشيء اذا اردناه
ان نقول له كن فيكون ومن حمل الامر هنا على الشأن فقد غفل عن ذلك لبيان سرعة تأثير قدرته
تعالى في مراده بامر مطاع على مامور مطيع لم يلبث ان يمتثل فقال انما امره في ايجاد الاشياء
اذا اراد شيئا تكوينه ان يقول له كن اي تكون فيكون فيحدث من غير امتناع عليه ولا توقف
من المامور ولا افتقار الى الالات وهكذا من الامر حسم لمادة الشبهة في قياس قدرة الله تعالى على
قدرة الخلق وهو من الاستعارة التمثيلية يقوم مقام تعليل لقدرة الله تعالى على اعادة الموتى اي من
كان ايجاده للاشياء بهذه المثابة كيف يعجز عن الاعادة وقرئ فيكون بالنصب عطفا على تقول
والرفع على تقدير جملة اسمية اي فهو يكون معطوفة على اخرى مثلها وهي انما امره ان يقول فسبحان
تنزيه له تعالى عما وصفه به المشركون وتعجيب من ان يقولوا فيه ما قالوا والفاء للسببية اوردها
تعليلا بكونه المتصرف في ملكوت كل شيء بمقتضى مشيئته وموجب حكمته فكيف يمتنع عليه شيء والملكوت
مقابل الملك على ما ورد في الدعاء المأثور سبحان ذي الملك والملكوت فان كل شيء له جنبتان كثيفة
وروحانية لطيفة فجسمانيته الظلمانية من عالم الملك وهو عالم الخلق وعالم الشهادة وروحانيته
النورانية من عالم الملكوت وهو عالم الامر وعالم الغيب ومعنى كون ملكوت كل شيء بيده ان تصرفه
فيه بالذات لا بواسطة الاسباب العادية بخلاف ما في عالم الملك والخلق فان تصرفه فيه بواسطة الاسباب
العادية والالات على مقتضى حكمته واليه ترجعون وعد ووعيد للمقربين والمنكرين والله اعلم بالصواب

والصافات صفا الواو للقسم والصف ترتيب الجمع على خط واحد فالزاجرات زجرا صفا مصدر
مؤكد وكذلك زجرا والفاء المتوسطة بين الصفات اما لترتبها مع اتحاد الموصوف واما لترتب
الموصوفات والاول اما لترتبها في بعض الوجوه بحسب التفاضل او التناقص وكذا الثاني اما في الوجود
واما في الاعتبار ويحتمل هنا اتحاد الموصوفين وترتب الصفات في التفاضل على ان الصف طاعة وكمال
والزجر تكميل بالمنع عن الشر والسوق الى الخير والتلاوة افاضة المعارف والحكم على الانبياء ع م

او التناقص على ان الصف هو المصفوف بين يدي الله تعالى في مواطن القرب والزجر زجر الشياطين
والتلاوة الذكر بالتسبيح والتحميد وكذا اذا اريد تعدد الطوائف وتثليثها فقد ترتب في الفضل
على ان الطوائف الصافات فضلاء والطوائف الزاجرات افضل والتاليات ابهر فضلا او بالعكس
فالتاليات ذكرا اقسم الله تعالى بطوائف الملائكة الصافين في مراتب العبودية بحسب تفاوت فضائل
الانوار الالهية عليهم منتظرين لاوامره من قوله وانا لنحن الصافون الزاجرات للعباد عن المعاصي
بالهام الخير والشياطين عن التعرض لهم بالاضلال والاجرام العلوية والسفلية كالسحاب والرياح وغير
ذلك بما امروا من تدابيرها التاليات لايات الله تعالى من الكتب المنزلة على انبيائه ع م وغيرها من
التقديسات والتسبيحات وسائر الاذكار او بنفوس العلماء العباد الصافات اقدامها في الصلوات
وخصوصا في الجماعات فالزاجرات بالمواعظ والنصائح فالتاليات كلام الله تعالى وشرائعه وحكمه او
بنفوس الغزاة المجاهدين في سبيل الله تعالى وشرائعه وحكمه الصافين في صفوف الجهاد والزاجرات
للخيل الذاكرين مع ذلك لله تعالى والتالين لاياته لا يشغلهم عنها تلك الشواغل كما حكي عن علي رضه و
قيل الصافات الطير من قوله تعالى والطير صافات والزاجرات كل ما زجر عن معاصي الله تعالى والتاليات
كل من تلي كتاب الله تعالى وقرئ بادغام التاءات الثلث فيما يليها لقرب مخرجها ان الهكم لواحد جواب
للقسم وفائدة الاقسام تعظيم المقسم وتأكيد المقسم عليه على ما هو الاصل في كلامهم واما
تحقيقه بالبرهان فبقوله رب السموات والارض فان انتظامهما على الوجه الاكمل دليل على وحدة
الصانع على ما مر في تفسير قوله تعالى لو كان فيهما الهة الاية رب خبر بعد خبر او مبتدأ محذوف على
المدح اي هو رب السموات ويجوز ان يكون بدلا من واحد وما بينهما يتناول افعال العباد
فيدل على انها من خلق الله تعالى ورب المشارق مشارق الشمس في السنة وهي ثلثمائة وستون
تشرق في كل يوم في واحد وفيه نظر ويتبعها اختلاف المغارب ولذلك اكتفى بذكرها ولدلالتها عليها
كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر واما كونها ادل على القدرة وابلغ في النعمة فلا يصلح وجها للاكتفاء بالمذكور
انما يصلح وجها لتخصيص المشارق بالذكر على تقدير الاكتفاء باحدهما انا زينا السماء الدنيا القربى
بزينة الكواكب الزينة مصدر كالنسبة او اسم لما يزان به كالليقة اسم لما تلاق به الدواة واضافتها
الى المفعول ان جعلتها مصدرا اي بان زان الله تعالى الكواكب وحسنها لانها انما زينت السماء لحسنها
في انفسها واصله بزينة الكواكب بالتنوين ونصب الكواكب وقد قرئ كذلك او الى الفاعل بان زانت
الكواكب واصله بزينة الكواكب وان جعلتها اسما فالاضافة للتبيين فان الزينة مبهمة قد يكون
بالكواكب ويعضده القراءة بالتنوين وجر الكواكب على الابدال ويجوز في النصب ايضا الابدال من محل
الجار والمجرور وبهذا المعنى ويجوز على قراءة الجر ان يراد بالزينة ما زينت به الكواكب من اضوائها
واوضاعها المختلفة كشكل الثريا وبنات النعش والجوزاء وغير ذلك ويعضده قوله تعالى ولقد جعلنا في
السماء بروجا وزيناها للناظرين اي بالاشكال وعن ابن عباس رضه بزينة الكواكب بضوء الكواكب

واعلم ان تقييد السماء بالدنيا يأبى عن حمل الزينة على ما يحسب الظهور في الحس لعدم التمايز بين
العلياء والدنيا في ذلك فنفي التقييد المذكور قدح لما اشتهر من ان ما عدا القمر من الكواكب ليس في سماء
الدنيا وحفظا عطف على محل قوله بزينة الكواكب على المعنى لان المعنى انا خلقنا الكواكب زينة للسماء
وحفظا من الشيطان كما قال ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين
كما قال او منصوب بفعل مقدر على المصدر اي وحفظناها حفظا او على التعليل اي وحفظا
زيناها بالكواكب من كل شيطان مارد خارج عن الطاعة لا يسمعون ابتداء الاقتصاص لبيان حال
مسترقة السمع لا تعلق له بما قبله الا من حيث المعنى ورجوع الضمير فيه الى كل شيطان اما من حيث اللفظ
فلا يجوز ان يكون صفة لكل شيطان اذ لا معنى للحفظ من شياطين لا يسمعون ولا استئنافا اذ لو
سئل لم يحفظ من الشيطان لما صح الجواب بانهم لا يسمعون فبقي ان يكون منقطعا ومن زعم انه
تعليل اصله لئلا يسمعون فحذف اللام فبقي ان لا يسمعون فحذف ان واهدر عملها فقد ركب شططا
لان كل واحد من الحذفين غير منكر واما جمعهما فمن المنكرات التي يجب صون القرآن عنها الى الملأ الاعلى
وهم الملائكة لانهم سكان السماء والثقلان الملأ الاسفل لانهم سكان الارض وقرئ لا يسمعون
بالتخفيف وتشديد السين والميم واصله يتسمعون والتسمع تطلب السماع وعن ابن عباس رض
هم يسمعون فلا يسمعون وهذا يرجح التخفيف على التشديد وعدي يسمعون بالى لتضمنه معنى
الانتهاء اي لا ينتهون بالسمع او التسمع الى الملأ الاعلى لتضمنه معنى الاصغاء اذ حينئذ لا يلزم انتفاء
السمع او التسمع اذ لا يلزم من انتفاء المجموع انتفاء كل جزء منه فمن وهم ان فيه المبالغة في النفي فقد
وهم ويقذفون يرمون بالشهب من كل جانب من كل جهة يصعدون الى السماء منها للاستراق
دحورا مفعول له اي للدحور وهو الطرد او حال اي مدحورا او مصدر لان القذف و
الدحور متقاربان في المعنى فكأنه قيل يدحرون دحورا او على انه جاء بمعنى القبول والولوع
ولهم عذاب واصب دائم اي انهم مرجومون في الدنيا بالشهب وقد اعد لهم في الاخرة عذاب غير
منقطع الا من خطف الخطفة من رفع المحل بدل من الواو في لا يسمعون اي لا يسمع الشياطين الا
الشيطان الذي خطف الخطفة وقرئ خطف بكسر الخاء والطاء وتشديدها واصلها اختطف و
الخطف الاستلاب بسرعة والمراد استلاب كلام الملائكة مسارقة ولذلك عرف الخطفة فاتبعه لحقه
وقرئ فاتبعه بالتشديد وقدم التفصيل في تفسير سورة طه شهاب ثاقب نجم رجم اي هم مقذوفون
بالشهب مدحورون عن ذلك الا من اختلس منهم خطفة فاتبع بشهاب قيل نجوم الرجوم
غير نجوم الزينة تلك ثابتة وهذه سائرة منتقلة قال الشعبي لم يقذف بالنجوم حتى بعث محمد صلى
الله عليه وسلم فلما قذف بها جعل الناس يسيبون انعامهم ويعتقون رقيقهم يظنون انها القيامة
فاتوا عبد ياليل الثقفي وكان قد عمي فاخبروه بما فعلوه قالوا لما قالوا ان النجوم تهافت من السماء
فقال لهم لا تعجلوا فانه كان النجوم التي تعرف فهي عند قيام الساعة وان كانت نجوما لا تعرف فهو

امر حدث فنظروا فاذا هي نجوم لا تعرف قال فما مكثوا الا يسيرا حتى اتاهم خبر النبي
عم وفيما روي عن ابن عباس رض ان ذلك حدث بميلاد النبي صلى الله عليه وسلم وعلى كلا
التقديرين الحادث قذف الشياطين بالشهب لا الشهب نفسه فلا قدح فيه بدلالة اشعار
الجاهلية على وجود الشهب قبله ولا حاجة الى ان يقال ان الحادث كثرتها لا وجودها واما
ما قيل ان اصل الشهب الكواكب المشبهة بالمصابيح وان انقضاضها واشتعالها لحكمة القذف
لا باقتضاء طبعها عند وصولها الى الاثير ثاقب الشديد الاضاءة كانه يثقب بضوئه لما
كانت الهمزة في الاصل للاستفهام قيل فاستفتهم اي فاستخبرهم ولم يقل فخبرهم وان خرجت
الى معنى التقرير والضمير لمشركي مكة او لبني آدم عم اهم اشد خلقا يحتمل اقوى خلقا واصعب
خلقا واشقه على معنى الرد لانكارهم البعث والنشأة الاخرى ام من خلقنا المراد منه ما ذكر
من خلائقه من الملائكة والسموات والارض وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب
والشياطين المردة وغلب اولي العقل على غيرهم فقال من خلقنا ويدل عليه اطلاقه وتعقيبه بعد
ذلك وقراءة من قرأ ام من عددنا بالتخفيف والتشديد وقوله انا خلقناهم من طين فانه
الفارق بينهم وبينها لا بينهم وبين من قبلهم كعاد وثمود ولان المراد اثبات المعاد
ورد استحالتهم اياه والامر فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم سواء لازب لازم ما جاوره
ملاصق به اي اصل خلقهم هو الطين اللازب وليس ذلك الا التراب والماء وهو على حاله فمن
اين استنكروا ذلك بل عجبت من انكارهم البعث ويسخرون اي وهم يسخرون من تعجبك
وتقريرك للبعث وقرئ عجبت بضم التاء وحمل الكلام على المجاز فان التعجب روعة تعتري
الانسان عند استعظامه بشيء وهو على الله تعالى محال فهو في حقه اما لمجرد الاستعظام
واما على سبيل الفرض على معنى انه عند الله بمنزلة لو جاز عليه العجب لعجب والتخييل من
باب الاستعارة على ما مر في قوله يا حسرة على العباد والامر في نفسه متعجب منه وقد جاء
في الحديث عجب ربكم من الكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم واذا ذكروا لا يذكرون و
دابهم انهم اذا وعظوا بشيء لا يتعظون به واذا راوا آية عظيمة من آيات الله تعالى كانشقاق
القمر ونحوه يستسخرون يبالغون في السخرية كانهم يطلبون من انفسهم السخرية منها ويجتهدون
في ذلك ويستدعي بعضهم من بعض ان يسخر منها وقالوا ان هذا الا سحر مبين ظاهر سحريته
أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون اصله انبعث اذا متنا فبدل الفعلية بالاسمية
وقدم الظرف وكرر الهمزة مبالغة في الانكار واشعارا بان المستنكر في نفسه في هذه الحال
اشد استنكارا فهو ابلغ من قراءة ابن عامر بطرح احدى الهمزتين او اباؤنا مبتدأ خبره محذوف
تقديره مبعوثون ويدل عليه ما قبله فاذا قلت اقام زيد ام عمرو فعمرو مبتدأ محذوف
الخبر ويجوز عطفه على محل ان واسمها على خلاف مذهب سيبويه لانه يقول ان عمرا في قولك

ان زيدا قائم وعمرو مرفوع على الابتداء واما عطفه على الضمير في مبعوثون فلا يصح
لان همزة الاستفهام لا تدخل الا على الجمل فعلى تقدير العطف على المفرد كان الفعل
عاملا فيه بواسطة حرف العطف وهمزة الاستفهام لا تعمل ما قبلها فيما بعدها وادخال
الهمزة الانكارية على الواو لزيادة الاستبعاد وعلى معنى ايبعث ايضا اباؤنا يعنون
انهم اقدم فبعثهم ابعد وقرئ او اباؤنا بالواو الفاصلة قال صاحب المطالع واذا كانت
للتقرير او التوبيخ او الرد او الانكار او الاستفهام كانت مفتوحة الواو واذا جاءت
للشك او التقسيم او الابهام او التسوية او التمييز او بمعنى بل او بمعنى الى وكيف كانت عاطفة
فهي ساكنة الواو الاولون الاقدمون قل وقرئ قال نعم اي نعم تبعثون وانما اكتفى به في
الجواب لسبق ما يدل على جوازه واما قيام المعجزة على صدق المخبر عنه ووقوعه فلا يجدي في حق
القائلين انه سحر مبين والكلام معهم بعد ما انكروا الاعجاز والرسالة وانتم داخرون
صاغرون وقرئ نعم بكسر العين وهما لغتان فانما هي مبهمة لا ترجع الى شيء موضحها خبرها
ويجوز ان يرجع الى البعثة الدال عليها مبعوثون والفاء جواب شرط مقدر تقديره اذا
كانت كذلك فانما هي زجرة واحدة اي صيحة واحدة هي النفخة الثانية من زجر الداعي نعمه
اذا صاح عليها وامرها بالاعادة كما مر كن في الابتداء ولذلك رتب عليها قوله فاذا هم ينظرون
احياء يبصرون او ينتظرون ما يفعل بهم وقالوا يا ويلنا مر تفسيره في سورة يس هذا يوم
الدين كلام الكفرة هذا يوم الفصل كلام الملائكة جوابا لهم ويجوز ان يكون الاول ايضا
من كلام الملائكة وان يكون الثاني ايضا من كلام بعض الكفرة لبعضهم اي هذا يوم الجزاء الذي
ندان فيه ونجازى باعمالنا هذا يوم القضاء والفرق بين فرق الهدى والضلال الذي كنتم
به تكذبون فيه دلالة على ان الرسل عم جددوا الانذار بعذاب النار سائر الاهوال في دار
الغرار وهم اصروا على الانكار واستمروا على الاصرار احشروا الذين ظلموا خطاب من الله للملائكة
او خطاب بعضهم لبعض بامر الله والحاجة الى الحشر لانهم يخرجون من الاجداث كانهم جراد
منتشر وفراش مبثوث والحشر السوق الى المجمع واحد من الجهات المختلفة وازواجهم قرناءهم من
الشياطين قال ابو سعيد الخدري رض في تفسير قوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا
فهو له قرين اذا بعث الكافر زوج بقرينه من الشياطين فلا يفارقه وقال عطا في تفسير قوله تعالى
واذا النفوس زوجت اي قرنت نفوس المؤمنين بحور العين ونفوس الكفار بالشياطين
وما كانوا يعبدون من دون الله دل هذا على ان المراد من الذين ظلموا المشركون وقوله عم
على وفق قوله تع حكاية عن الملائكة بل كانوا يعبدون الجن دون الله بل هم عبدوا الشياطين امرهم
بذلك في جواب ابن الزبعرى دل على ان ما على عمومه وان الاصنام ونحوها غير داخلة فيه
فالضمير في قوله تعالى فاهدوهم لمجموع المذكورين الى صراط الجحيم فعرفوهم طريق النار حتى

يسلكوها وفيه تهكم بهم لما مر في تفسير سورة الفاتحة ان الهداية دلالة بلطف وفي الصراط
ايضا نوع تهكم لانه طريق مسؤول السواء فيه ولا اعوجاج وقفوهم واحبسوهم في الحبس
عند جهنم النار على ما دل عليه قوله تعالى ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون حتى
اذا جاؤها شهد عليهم سمعهم وابصارهم الآية فالسؤال في قوله تعالى انهم مسؤولون
ليس عن عقائدهم واعمالهم بل عما كانوا يرجون منه الشفاعة والنصرة بدلالة قوله تع ما لكم
لا تناصرون وقوله تعالى في موضع آخر ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم
الذين كنتم تزعمون توبيخ لهم وتهكم بهم بالعجز عن التناصر وتخليص بعضهم لبعض بعد ما كانوا
متناصرين في الدنيا متعاضدين بل هم اليوم مستسلمون اي ليس احد يقدر على نصر احد بل الكل
منقادون لما يراد بهم وكلمة بل حرف ابتداء لا عاطفة واقبل بعضهم على بعض يعني الكفرة
الشياطين يتساءلون يتخاصمون قالوا يعني الكفرة للشياطين انكم كنتم تأتوننا عن اليمين
عن القوة والغلبة حتى حملتمونا على الضلال وقهرتمونا عليه قالوا يعني الشياطين للكفرة بل لم تكونوا
مؤمنين اضراب عن مقدر دل عليه لما قبله اي ما اجبرناكم على الضلال بل انتم اعرضتم عن
الايمان واخترتم الكفر عليه بالاختيار وما كان لنا عليكم من سلطان من تسلط يسلبكم التمكن في
تخيركم بل كنتم قوما طاغين مختارين الطغيان وهذا على وفق ما في موضع آخر من قوله تعالى
قال قرينه ربنا ما اطغيته ولكن كان في ضلال بعيد فحق علينا اي اذا لم نقهركم فلزم علينا قول
ربنا انا لذائقون اي حكم ربنا بانا لذائقون العذاب لما اخبر بذلك عن انفسهم عدلوا عن
الخطاب الى نفس المتكلم فحكى الله تعالى قولهم ولو حكى وعيد الله يع كما هو لقال انكم لذائقون
فاغويناكم انا كنا غاوين فدعوناكم الى الغي لانا كنا غاوين احببنا ان يكونوا مثلنا وما اجبنا
لكم الا ما احببنا لانفسنا فلما استحببتم الغي على الرشد اي غاية ما في الباب انا دعوناكم
فلم اجبتم وقبلتم فكانه تقرير لقولهم فحق علينا قول ربنا اي ليست غوايتكم في الحقيقة
بنا ولو كان كل غواية باغواء غاو فمن اغوانا فانهم اي ان الاتباع والمتبوعين من الكفرة
والشياطين يومئذ يوم القيامة في العذاب مشتركون كما كانوا في الغواية مشتركين انا كذلك
مثل ذلك الفعل الفظيع نفعل بالمجرمين بالمشركين بدلالة السباق واللحاق وفي الاطلاق ما
لا يخفى من المبالغة في كون الاشراك جرما حيث لم يعد سائر المعاصي جرما بالنظر اليه انهم كانوا
اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون عن الاذعان والقبول ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا
لشاعر مجنون يعنون رسول الله بل جاء بالحق اضراب عن مقدر دل عليه السباق وصدق
المرسلين اذ هو وهم عليهم السلام على طريقة واحدة في دعوة الامم الى التوحيد وترك عبادة
غير الله وفيه رد على المشركين بان ما جاء به من التوحيد حق يطابق عليه البرهان العقلي والبيان
النقلي من المرسلين انكم لذائقوا العذاب الاليم بالاشراك وتكذيب الرسل وقرئ بنصب العذاب

على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله بتقدير التنوين وقرئ لذائقون العذاب على
الاصل وفي عبارة الذوق دلالة على ان لهم عذابا جسمانيا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون
الا مثل ما عملتم وانما حذف المضاف للمبالغة في المماثلة كما في التشبيه البليغ الا عباد الله
المخلصين استثناء منقطع اي لكن عباد الله المخلصين ثوابهم مضاعف وقيل متصل
عن الضمير في تجزون او لذائقوا على انها للعموم اولئك لهم تقديم للتخصيص رزق معلوم
خصائصه من الدوام وتمحض اللذة ولذلك فسره بقوله فواكه فان الفاكهة ما يتلذذ به
ولا يتقوت وذلك لانهم مستغنون عن التغذي اذ لا تحليل هناك فيكون رزقهم
كله للتفكه والتلذذ لا للتقوت وهم مكرمون عند الله لا يلحقهم هوان وذلك من اعظم
الثواب والبقية بذوي الهمم في جنات النعيم اي في جنات ليس فيها الا النعيم ظرف او
حال من المستكن في مكرمون او خبر ثان لاولئك وكذا على سرر يحتمل الحال والخبر فان
جعل خبرا كان متقابلين حالا من الضمير فيه او في مكرمون ويجوز ان يتعلق بمتقابلين
على ان متقابلين حال من مكرمون يطاف عليهم بكاس الكاس الزجاجة ما دامت فيها
الخمر وقد يطلق على الخمر مجازا كما في قوله وكاس شربت على لذة من معين من شراب
معين او نهر معين والمعين الماء الجاري على وجه الارض الظاهر للعيون وانما وصف بما
يوصف به الماء لانها تجري في الجنة في انهار كما تجري الماء قال تعالى وانهار من خمر بيضاء
لذة للشاربين صفتان لكاس ولذة وصف بالمصدر للمبالغة كانها نفس اللذة او
تانيث لذ يقال لذ الشيء فهو لذ ولذيذ ولذة تانيث لذ بوزن فعل كجلد وطب
قال ولذ كطعم الصرخدي تركته لا فيها غول اي فساد من انواع المفاسد التي يكون في
خمور الدنيا من خمار وصداع واختلاط عقل ولغو وعربدة وغير ذلك والغول الاهلاك
والافساد ومنه الغول وتقديم الظرف وايلاؤه حرف النفي لا لافادة نفي الغول عنها وانما
في غيرها اي ليس فيها ما في خمور الدنيا من اغتيال العقول ولا هم عنها ينزفون على البناء للمفعول
من نزف الشارب اذا ذهب عقله وقرئ ينزفون بضم الزاء من نزف ينزف اذا سكر
وانما افرد النزف من انواع الغول وافرده بالذكر للدلالة على ان السكر من اعظم المفاسد
كانه مفسدة براسها وجنس اخر غير داخل تحت الغول وعندهم قاصرات الطرف قصرن
ابصارهن على ازواجهن لا يمددن طرفا الى غيرهم عين نجل العين النجل العيون جمع عيناء
كانهن بيض مكنون شبههن ببيض النعام المكنون في الاداحي فانه مصون عن الغبار
في غاية الصفاء ولونها بياض به صفرة حسنة وهي احسن الوان الابدان وبها تشبه العرب
مخدراتهم وتسميهن بيضات الخدور وقيل المراد به المصون من الكسر يعني انهن عذارى
صحيحات قال الفرزدق خرجن الي لم يطمثن قبلي وهن اصح من بيض النعام وبذلك ما في

سورة الرحمن فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان قال في صفة
الحور كانهن بيض مكنون وفي صفة الولدان كامثال اللؤلؤ المكنون واشار بذلك الى ان
الحور للصحة دون الولدان لان اللؤلؤ للنظر لا للذوق والبيض لهما فاقبل بعضهم على
بعض عطف على يطاف عليهم يتساءلون اي يتحادثون على الشراب يسال بعضهم بعضا عما
جرى له وعليه في الدنيا وعن دقائقه وتغيير النظم الى الماضي للاخبار بتحقق وقوع
تلك اللذة خاصة من بين سايرها وهي التحادث على الشراب كعادة الشرب قال وما بقيت
من اللذات الا احاديث الكرام على المدام قال قائل منهم في مكالمتهم كان لي قرين جليس
في الدنيا يقول ائنك لمن المصدقين قرئ بالتخفيف والتشديد اي يوبخني على التصديق
بالبعث او التصدق ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما لا يقال ذكر كونهم ترابا تنزل من القوي
الى الضعيف في مقام الاستبعاد في ذكر ذلك غنى عن ذكر هذا لانا نقول كونهم عظاما
محقق حتما ومحقق لكونهم ترابا عظاما فلا غنية ولا تنزل فافهم هذه الدقيقة الانيقة ائنا
لمدينون لمجزيون من الدين وهو الجزاء او لمسوسون من دانه اي ساسه ومنه الحديث
العاقل من دان نفسه قال اي ذلك القائل هل انتم مطلعون الى النار لاريكم ذلك القرين
وقيل القائل هو الله تعالى وقيل بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون ان تطلعوا وقرئ
يطلعون بالتخفيف والمعنى يقال طلع علينا فلان واطلع واطلع بمعنى فاطلع اي عرض
لهم الاطلاع فقبلوا عرضه فاطلع بعد ذلك هو ايضا قرئ بالتشديد على قراءة مطلعون
مشددا وبالتخفيف على قراءة يطلعون مخففا كلاهما على لفظ المضارع المنصوب جوابا
للاستفهام وقرئ مطلعون بكسر النون والتخفيف على ارادة مطلعون اياي فوضع
المتصل موضع المنفصل كقوله هم الفاعلون الخير والامرونه وقيل شبه اسم الفاعل
في ذلك بالمضارع لما بينهما من التاخي كانه قال تطلعون وهو ضعيف لا يقع الا في الشعر
وعلى قراءة المضارع معناه هل انتم مطلعون الى القرين فاطلع ايضا وان جعلت الاطلاع
من اطلعه غيره فالمعنى انه شرط في اطلاعه اطلاعهم لرعاية ادب المجالسة وهو ان لا يستبد
بشيء دون جلسائه فاذا قبلوه فكانهم مطلعوه وقيل الخطاب على هذا للملائكة اي اطلعوني
على قريني ايها الملائكة فاطلع اصحاب من اهل الجنة عليه فراه اي قرينه في سواء الجحيم في وسطها
قال تالله ان كدت لتردين لتهلكني بالاغواء وقرئ لتغوين ان مخففة من الثقيلة واللام
هي الفارقة كقوله ان كاد ليضلنا ولولا نعمة ربي بالعصمة والهداية لكنت من المحضرين في
العذاب معك افما نحن بميتين الهمزة للتقرير والتوبيخ دخلت على الفاء العاطفة ما
بعدها على معطوف محذوف تقديره انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين من
شانه الموت وقرئ بمائتين الا موتتنا الاولى التي في الدنيا وهي متناولة لما في القبر

بعد الاجابة للسؤال ونصبها على المصدر من اسم الفاعل وقيل على الاستثناء المنقطع
وما نحن بمعذبين كما وعدنا والمعنى ان هذه حال المؤمنين وصفتهم فيما وعد الله
لهم بخلاف حال الكفار فانهم فيما يتمنون فيه الموت كل ساعة وهذا تمام كلامه لقرينه
تقريعا له بقوله معاودا الى مكالمة جلسائه بسمع من قرينه تحدثا بنعمة الله تعالى
واغتباطا بحاله وحال رفقائه وتبجحا بها وزيادة في تقريع قرينه ان هذا اي الذي
نحن فيه لهو الفوز العظيم وقيل هو من قول الله تعالى تقريرا لقوله وتصديقا له و
اشارة الى ما هم فيه من النعمة والخلود والامن من العذاب وقرئ لهو الرزق العظيم
اي ما رزقوه من السعادة لمثل هذا اي لنيل مثل هذا ان عملوا عملا فليعمل العاملون
لا للحظوظ الدنيوية المشوبة بالآلام السريعة الانصرام وهذا معنى تقديم الغاية
وايراد الفاء السببية من عادة الله تعالى ان يتبع الوعد بالوعيد فلما فرغ من
بيان الرزق المعلوم ووصف اهل الجنة في تحادثهم واتساق كلامهم الى قصة المؤمن
وقرينه شرع في رزق الكافر ووصف اهل النار فقال اذلك اي ذلك الرزق المعلوم
الموصوف خير نزلا نصب على الحال والنزل الرزق الذي يعد للنازل تكرمة له ويجوز
حمله على معنى الحاصل على معنى انه نصب على التمييز ام شجرة الزقوم صغيرة الورق منتنة
مرة حريفة تنبت بتهامة سميت به الشجرة الموصوفة وفيه ان الرزق المعلوم وما ذكر
معه من النعيم لاهل الجنة بمنزلة ما يقام للنازل وما وراءه من اللذات بعد اقامتهم
لا يدخل تحت الوصف وكذلك شجرة الزقوم وما ذكر معها انا جعلناها فتنة للظالمين محنة و
عذابا لهم في الآخرة او ابتلاء وامتحانا لهم في الدنيا حيث قالوا لما سمعوا انها في النار كيف
يكون ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا ان من قدر على خلق حيوان يعيش فيها ويلتذ
بها كالسمندر فهو قادر على خلق الشجر فيها وحفظه من احراقها انها شجرة تخرج في اصل الجحيم
وقرئ نابتة مكان تخرج قيل منبتها في قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها طلعها الطلع
ما يطلع اولا من النخلة عند اثمارها وهو كمام ثمرها كانه رؤوس الشياطين استعير الطلع
من حمل النخلة لحمل شجرة الزقوم وشبه برؤوس الشياطين دلالة على تناهيه في الكراهة وقبح
المنظر لان استقباح الشياطين وكراهة منظرها امر راسخ في طباع الناس وهذا تشبيه
تخييلي وقيل الشيطان حية عرفاء قبيحة المنظر هائلة جدا فانهم لآكلون منها من الشجرة اي من
طلعها فمالئون منها البطون اما لغلبة الجوع الشديد واستيلائه عليهم واما لانهم يقسرون
على اكلها تعذيبا ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ثم اذا شبعوا وغلبهم العطش وطال
استسقاؤهم واحرق الزقوم بطونهم سقوا شرابا من غساق او صديد مشوبا اي ممزوجا
من حميم يشوي وجوههم ويقطع امعاءهم وقرئ لشوبا بالضم وهو اسم لما يشاب ويكون

ان يكون ثم لاستبعاد البعد ما في شرابهم من مزيد البشاعة والكراهة من طعامهم ثم
ان مرجعهم لالى الجحيم اي لهم مقار ومنازل معينة في دركات الجحيم اذا جاعوا جاؤا
الى الزقوم فاذا عطشوا جاؤا الى الحميم ثم يرجعون الى مقارهم ومنازلهم من دركات
الجحيم على ما اخبر الله تعالى عنه في قوله يطوفون بينها وبين حميم آن وقرئ ثم ان منقلبهم ثم
ان مصيرهم ثم ان منفذهم لالى الجحيم انهم الفوا آباءهم ضالين تعليل لاستحقاقهم
الوقوع في تلك الشدائد كلها بمعنى ان ذلك بسبب تقليدهم آباءهم الضالين فهم على آثارهم
يهرعون الاهراع الاسراع الشديد كانما يحث صاحبه حثا وقيل اسراع فيه شبه بالرعدة
وفيه اشعار بانهم بادروا الى ذلك من غير توقف على تأمل ونظر ولقد ضل قبلهم قبل قومك
قريش اكثر الاولين بالتقليد وترك النظر ولقد ارسلنا فيهم منذرين انبياء عليهم السلام
حذروهم العواقب وانما قال فيهم دون اليهم دلالة على امعانهم في الانذار ببقائهم فيما
بينهم فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الذين انذروا فكذبوا فاهلكوا جميعا الا عباد
الله المخلصين الذين آمنوا منهم فاخلصوا دينهم لله تعالى او اخلصهم الله لدينه على
اختلاف القراءتين والخطاب للرسول عم والمراد قومه لانهم رأوا آثارهم وسمعوا اخبارهم
ثم شرع في تفصيل المنذرين والمنذرين فقال ولقد نادانا نوح حين ايس من ايمان قومه فلنعم
المجيبون اللام جواب قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف اي فوالله لنعم المجيبون
نحن والجمع في نادانا والمجيبون دليل العظمة والكبرياء واظهارهما اي ولقد دعانا
بحقنا وعظمتنا انا اجبناه احسن الاجابة ونصرناه على اعدائه وانتقمنا منهم بابلغ ما يكون
ونجيناه واهله من الكرب العظيم من الغم الذي كان فيه من اذى قومه لانه بذلك دعى ربه
فاجابه وقيل الكرب الحزن الثقيل على القلب وجعلنا ذريته هم الباقين هم الذين بقوا
وحدهم دون غيرهم ولا دلالة فيه على عدم بقاء ذرية غيره حتى تخالف ظاهر قوله تعالى
ذرية من حملنا مع نوح لان الذرية تتناول اولاد البنات عليه عند عيسى عليه السلام من
ذرية نوح عم على ما مر في سورة الانعام وتركنا عليه في الآخرين من الامم كلهم هذه
الكلمة وهي سلام على نوح في العالمين على الحكاية كقوله قرأت الحمد لله اي يسلمون عليه تسليما
ويدعون له بثبوت هذه التحية في العالمين من الملائكة والثقلين جميعا كانه قيل يثبت
الله التسليم على نوح وادامه في الكل عن آخرهم انا كذلك نجزي المحسنين علة لمجازاته بتلك
التكرمة السنية وعظمها بقوله كذلك اي مثل ذلك الجزاء العظيم ومن تبقية ذكره وتسليم
العالمين عليه ابدا باحسانه بايمانه واضافه الى ذاته تعالى في قوله انه
من عبادنا المؤمنين لاختصاصه بكل ذلك لجلالة قدر الايمان وعلو شأنه وان الغاية
القصوى من صفات المدح والتعظيم اذ جعله موجبا لكرامته واختصاصه مع كونه نبيا

مختارا ترغيبا للعباد في الايمان والازدياد فيه الى الايقان ثم اغرقنا الآخرين ثم
اخبر تعالى انه اغرق من لم يؤمن من قومه وان من شيعته لمن شايع نوحا عم في التوحيد
واصول الدين لابرهيم ولا يقدح في ذلك اختلاف الشرايع فانه يختلف بسبب اختلاف
الامم وكان بينهما الفان وستمائة واربعون سنة وما كان بينهما من الانبياء الا هود
وصالح عليهما السلام اذ جاء ربه منصوب بتقدير اذكر لا بما في الشيعة من معنى المشايعة
لان فيه الفصل بين العامل والمعمول باجنبي وهو قوله لابرهيم وايضا لام التأكيد
يمنع ان يعمل ما قبلها فيما بعدها لو قلت ان ضاربا لقادم علينا زيدا لم يجز بقلب
سليم من جميع آفات القلب كالشرك والشك والغل والغش وغير ذلك استعار المجئ به
للاخلاص والاعراض عما سوى الحق بالتوجه اليه اذ قال لابيه وقومه بدل من اذ جاء ما
ذا تعبدون سؤال توبيخ ائفكا آلهة دون الله تريدون افكا مفعول له اي اتريدون
آلهة افكا قدم المفعول وهو آلهة للعناية لان الانكار متوجه اليه ثم قدم المفعول له
لان الاهم عنده ان يكافحهم بانهم ليسوا على غرض صحيح ويقرر عليهم انهم على الباطل
ومبنى امرهم على الافك او مفعول به والآلهة بدل منه او تفسير وبيان للمبالغة جعلت نفسهم
افكا او اريد عبادتهم على حذف المضاف لدلالة ما تعبدون عليه او حال بمعنى اتريدون
آلهة من دون الله آفكين والافك اشنع الكذب واقطعه واصله قلب الشئ عن جهته الت
ي هي له فما ظنكم برب العالمين بمن هو الحقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين حتى تركتم عبادته
الى عبادة غيره وهو كالحجة على ما قبله ومعنى انكار الظن انه لا يقدر في وهم ولا ظن ما
يصد عن عبادته الى عبادة غيره فضلا عن القطع به او فما ظنكم به انه اي شئ هو حتى جعلتم
الاصنام له اندادا او فما ظنكم به انه يفعل بكم اي هل تظنون انه كيف يعاقبكم على عبادة
غيره فنظر نظرة في النجوم في اوضاعها واتصالاتها او في كتابها او في علمها [illegible] الاستدلال
على حاله وكانوا منجمين فقال اني سقيم انما قال ذلك لانهم ارادوا ان يصحبهم الى عيدهم
وكان اغلب اسقامهم الطاعون فاوهمهم السقم فهربوا منه على ما دل عليه قوله تعالى فتولوا
عنه مدبرين فاعرضوا عنه مولين الادبار مخافة العدوى لانه مرض معد ففعل باصنامهم
ما فعل وقوله اني سقيم من معاريض الكلام وليس بكذب لان سقيم القلب لكفركم او شارف
للسقم لان من كان بصدد الموت كان مستعدا للسقم والاكل صحيح من ذلك فلم يكن كاذبا
فيما اظهر من الكلام فلم يلحق به شئ من الملام اذ كان في نفسه قصد كسر الاصنام فاحتال لاظهار
الحق وابطال الباطل فكان عملا مبرورا وسعيا مشكورا فراغ فذهب في خفية من روغة
الثعلب واصله الميل بحيلة الى آلهتهم بناء على زعمهم الى اصنامهم التي يزعمونها آلهة
كقوله تعالى اين شركائي فقال الا تأكلون اي الطعام الذي عندكم ما لكم لا تنطقون

بجواب استهزاء وتهكم بها وبعبدتها وايماء الى تخطئتها عنهم فراغ عليهم فاقبل
عليهم مستخفيا ضربا نصب على الحال بمعنى ضاربا او على المصدر من فعل مقدر هو حال
اي فراغ عليهم يضربهم ضربا او من راغ لانه في معنى ضرب كانه قيل فضربهم مقبلا عليهم
ضربا وتقييده باليمين للدلالة على قوته فان قوة الآلة تستدعي قوة الفعل وقيل معناه بسبب
الحلف وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم فاقبلوا اليه اي الى ابرهيم عم يزفون يسرعون
من زفيف النعام وقرئ يزفون من ازف اذا دخل في الزفيف ويزفون من وزف يزف
اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كان بعضهم يزفون بعضا لشدة عجلتهم اليه قال
ابرهيم عم لهم بعد محاورات كانت بينهم ذكرها في سورة الانبياء اتعبدون ما تنحتون
تنحت الخشبة ونحوها تقول اتعبدون اصناما تعملونها انتم والله خلقكم وما تعملون وخلق ما تعملونه
من الاصنام فان جواهرها بخلقه واشكالها وان كانت بفعلهم ولذلك نسب اليهم عملها فانها
باقداره تعالى اياهم عليها وخلقه ما يتوقف عليه اعمالهم من الآلات والجوارح والدواعي
وقالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم في النار الشديدة الوقود من الجحمة وهي شدة
التأجج فارادوا به كيدا صنعوا لاهلاكه حظيرة مملوءة بالنار ومنجنيقا لرميه اليها من
بعيد لان شدة حرها كانت مانعة عن الحضور عندها فلذلك عبر عنه بالكيد المشتمل
على نوع من الحيلة فجعلناهم الاسفلين لما غلبهم بالحجة ارادوا ان يهلكوه كيلا يظهر
للعامة عجزهم فابطل الله تعالى كيدهم وجعلهم الاذلين الاسفلين وصار كيدهم حجة
اخرى له عم ومعجزة اخرى بالتصديق بانه من عند الله تعالى والمراد من المعجزة في امثال
هذا المقام الامر الخارق للعادة مطلقا لا مصطلح اهل الكلام وقال اني ذاهب الى ربي
مهاجرا الى حيث يأمرني ربي وهو الشام او حيث اتجرد فيه للعبادة له تعالى سيهدين
سيرشدني الى ما فيه صلاحي واستقامة امر ديني وانما بت القول لانه تعالى وعده الهداية
فبنى الامر على وعده لقوة يقينه او بناء على عادة الله تعالى معه في هدايته وارشاده لقوة
توكله وتفويضه الامر اليه تعالى ولم ينبه على الرجاء كما بنى عليه موسى عم حيث قال
عسى ربي ان يهديني سواء السبيل لانه كان في امر الدنيا لا في امر الدين فلا دلالة فيه
على قصور موسى عم في ذلك الباب والله اعلم بالصواب رب هب لي من الصالحين
او بعض الصالحين استأنس به في الغربة ويتخرج به عن الكربة اراد به الولد
لان الهبة غالبة فيه جاءت في الاخ ايضا كما في قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا
اخاه هرون لانه عم واما البشارة بالغلام فلا تدل على ارادة الولد بخصوصه
فبشرناه بغلام حليم الفاء للترتيب على هب لي كقوله تعالى فاستجبنا له ولا كلمة
اقل لفظا واكثر معنى من هذه لاحتوائها على البشارة بالولد وانه ذكر وانه يبلغ

اوان الحلم لا ان غير البالغ لا يوصف بالحلم بل لان الغلام من طر شاربه وبانه
يكون حليما وقيل ما نعت الله تعالى الانبياء عليهم السلام باقل مما نعتهم بالحلم لعزة وجوده
وما نعت به الا ابرهيم وابنه عليهما السلام فلما بلغ معه السعي متعلق ببلغ اى
بلغ السعي متعارنا له وذلك لا يقتضي بلوغهما مع حد السعي كما يقتضي قوله بلقيس اسلمت
مع سليمان ان يكون اسلامهما معا وفي الحديث كنا نحيص مع رسول الله تمامه في
صحيح البخاري كذا لا يجوز ان يتعلق بالسعي فان معمول المصدر اذا كان ظرفا او شبهه
يجوز تقديمه عليه لان الظرف مما يكفيه رايحة من الفعل فلا حاجة في العمل فيه الى تاويل
المصدر مع الفعل على انه ليس مؤول بشيء حكمه حكم ما اول به والمراد باختصاص
الاب بالسعي معه بيان صغر سنه اى لم يبلغ ان يسعى في الحوائج الا مع ابيه لا مع غيره
لان اباه ارفق الناس به واعطفهم عليه لا يكلفه الا ما يسهل عليه وغيره ربما عنف
به في الاستبعاد فلا يحتمله لانه لم يستحكم قوته ولم يصلب عوده وفائدة ذلك البيان
انه مع حداثة سنه وغضاضة عضوه بلغ مبلغا من رصانة الحلم وكبر النفس و
فسحة الصدر ما سهل عليه احتمال تلك البلية العظيمة وتيسر له الاجابة بذلك الجواب
الحكيم قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك اى بامر من الله تعالى ويدل عليه قوله
افعل ما تؤمر بعد اخرى والامر به انما كان في المنام دون اليقظة ليكون مبادرته
عليه السلام الى الامتثال ادل على كمال الانقياد والاخلاص فانظر ماذا ترى من الرأى
وانما قال على وجه المشاورة مع انه حتم من الله تع عليه ليعلم ما عنده فيما نزل
به من بلاء الله تعالى فيثبت قدمه ويصبره ان جزع ويامن عليه الزلل ان صبر و
ليوطن نفسه عليه ويتلقى البلاء مستانسا به ويكتسب المثوبة بالانقياد لامر الله تع
وقرئ ماذا تري من الاراءة اى ماذا تبصر من رأيك وتبديه وماذا ترى على البناء
للمفعول اى ماذا تريك نفسك من الرأى قال يا ابت افعل ما تؤمر اى ما تؤمره حذف
وهو منصوب واصله ما تؤمر به فحذف الجار كما حذف من قوله امرتك الخير فافعل
ما امرت به واتصل الضمير منصوبا فجاز حذفه او امرك على اضافة المصدر الى المفعول
وتسمية المامور به امرا وقرئ ما تؤمر به على الاصل ستجدني ان شاء الله من الصابرين
على الذبح او على ما قضى الله به فلما اسلما يقال سلم لامر الله واسلم واستسلم بمعنى
واحد اذا انقاد له وخضع وقد قرئ بهن جميعا واصلها من قولك سلم هذا لفلان
معناه سلم من ان ينازع فيه وقولهم سلم لامر الله تع واسلم له منقولان منه و
حقيقة معناهما اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له خالصة وكذلك معنى استسلم
استخلص نفسه لله وعن قتادة في اسلما اسلم هذا ابنه وهذا نفسه وتله للجبين

صرعه على شقه فوقع احد جنبيه على الارض تواضعا على مباشرة الامر بصبر وجلد ليرضيا
الرحمن ويخزنا الشيطان وروى ان ذلك كان عند الصخرة التي بمنى وقيل في الموضع
المشرف على مسجد منى وقيل في المنحر الذي ينحر فيه اليوم وناديناه ان يا ابرهيم في ايراد
النداء على القول اشعار بتمثيل حاله بحال من يحتاج في خطابه الى رفع الصوت وان كان
المخاطب عن قريب زجرا له عما اقبل عليه وتوغل فيه قد صدقت الرؤيا بصدق العزيمة و
الاتيان بما في وسعه من المقدمات وروى انه امر السكين بقوته على حلقه فلم يقطع
وجواب لما محذوف تقديره كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به الوصف والمقال
من استبشارهما واغتباطهما وحمدهما لله تعالى وشكرهما على ما انعم به عليهما من دفع
البلاء العظيم بعد حلوله وما اكتسبا في تضاعيفه بتوطين النفس عليه من الثواب والرضوان
والكرامة عند الله والفوز بالدين الذي ليس وراءه مطلب انا كذلك نجزي المحسنين
تعليل لتخويل ما خولهما من الفرج بعد الشدة والظفر بالبغية بعد الياس ان هذا
لهو البلاء المبين الاختبار البين الذي يتميز فيه المخلصون عن غيرهم او المحنة البينة الصعوبة
التي لا محنة اصعب منها وانما قال وفديناه والفادي بالحقيقة هو ابرهيم عم وقال تعالى
هو المفدى منه لان الله تعالى هو الذي وهب له الكبش فكان هو الممكن من الفداء بهبته
فاسند الى نفسه اسنادا الى المسبب مجازا بذبح الذبح اسم ما يذبح عظيم عظيم الجثة سمين
وهي السنة في الاضاحي وقيل عظيم القدر لانه كان فداء لنبي من انبياء الله تع وهو اسمعيل
في قول ابي بكر وابن عباس وابن عمر رض وجماعة من التابعين واسحق عم فيما روى عن علي
وابن مسعود والعباس رض وجماعة من التابعين واسحق عم والاول اظهر لانه الذي
وهب له اثر الهجرة ولان البشارة باسحق عم معطوف على البشارة بهذا الغلام ولقوله
عليه السلام انا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل عم والاخر ابوه عبد الله فان عبد
المطلب نذر ان يذبح ولدا ان سهل الله تعالى حفر زمزم او بلغ بنوه عشرا فلما سهل
خرج على عبد الله ففداه من الابل ولان ذلك كان بمكة ولان قرني الكبش كانا معلقين
بالكعبة في ايدي اسباط اسمعيل عم حتى احترق البيت ولان البشارة باسحق عليه السلام
كانت مقرونة بالاخبار عن ولادة يعقوب عليه السلام منه فلا يناسبهما الامر بذبحه
مراهقا واما ما روى انه اسحق عم فاخبار لم يثبت صحتها وتركنا عليه في الاخرين ثناء حسنا
ولا وقف عليه لان سلام ابرهيم مفعول تركنا كذلك نجزي المحسنين لم يذكر هنا انا
مع ذكرها في اواخر القصص كلها لانه قد سبق فيها مرة فاكتفى به ايجازا انه من عبادنا المؤمنين
قد سبق بيانه في هذه السورة وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين حالان مقدرتان
كقوله تعالى فادخلوها خالدين اى بشرناه باسحق عم مقدرا كونه نبيا مقضيا كونه

من الصالحين ولا حاجة الى تقدير مضاف كما قيل فان تقدير الحال لا يوجب وجود
ذي الحال بل تقدير وجوده وفي ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشانه وباركنا عليه على
ابرهيم عم وعلى اسحق بان اخرجنا من نسلهما انبياء عليهم السلام وافضنا عليهما بركات
الدين والدنيا وتكرير الجار واظهار اسحق عم لاشعار بان التبريك عليه بالاصالة وكاستقلال
لا بالتبعية لكونه نبيا وابا الانبياء بني اسرائيل عم وغيرهم كايوب وشعيب عم ومن ذريتهما
محسن في عمله بالايمان والطاعة وظالم لنفسه بالكفر والمعصية مبين ظاهر ظلمه وفيه تنبيه
على ان النسب لا يؤثر في الهدى والضلال وان الظلم في الاعقاب لا يعود بعيب ولا نقيصة
على الاسلاف وان المدح والذم انما يترتبان على كسب المرء وحسن عمله وقبحه وصلاحه
وفساده في نفسه لا على عمل الاصول والفروع واما انه لا تاثير للعرف الطيب في الخبيث اصلا
حتى يلزم انهدام الطبايع والعناصر بالكلية فينافي ما هو الظاهر من قوله تعالى عتل بعد
ذلك زنيم ومن قوله عم لا يدخل الجنة ولد الزنا ولا ولده ولا ولد ولده بعد ذلك من ان
النطفة اذا خبثت خبث الناشي منها فلا دلالة فيما ذكر عليه ولقد مننا انعمنا على موسى و
هرون بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية والدنيوية ونجيناهما وقومهما بني اسرائيل من الكرب
العظيم من استيلاء فرعون وقومه وظلمهم او من الغرق ونصرناهما الضمير لهما ولقومهما وكانوا
هم الغالبين على فرعون وقومه واتيناهما الكتاب المستبين البليغ في بيانه وهو التورية
وهديناهما الصراط المستقيم الطريق الموصل الى الحق وتركنا عليهما في الاخرين سلام على
موسى وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين مر تفسيره في هذه النوع
وان الياس لمن المرسلين قيل ان الياس لمن المرسلين كان ادريس عم رفع قبل الطوفان
الى السماء ونزل بعده ببعلبك ويعضده قراءة ابن مسعود رض وان ادريس في موضع و
ان الياس وقرئ ادراس وقيل هو الياس بن ياسين من سبط هرون اخي موسى عم
اذ قال لقومه الا تتقون الا تخافون الله اتدعون بعلا اتعبدونه وهو علم صنم كان
لهم عظموه غاية التعظيم واخدموه اربعمائة سادن يتلقون شرايع الضلالة من الشيطان
ويقولون ان بعلا امر بكذا ونهى عن كذا وكان اسم مدينتهم بك وهو من بلاد الشام
فنسبت اليه وتركب اسمها باسمه وسميت بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن يقال
من بعل هذه الدار من ربها والمعنى اتعبدون بعض البعول وتذرون احسن الخالقين
تتركون عبادة الله لم يقل وتدعون مع ما فيه من صنعة التجنيس لانه مذموم فانه
اذا كان بداعي التصنع يكون واقعا في كلام الله تعالى وكلام الرسول صلعم بل لان في دع
ايذانا بداعي الترك لا يناسب المقام وهو معنى الحفظ ومنه الوديعة الله ربكم ورب
ابائكم الاولين قرئ بالرفع على الابتداء وبالنصب على البدل وكان حمزة اذا وصل نصب

واذا وقف رفع فكذبوه فانهم لمحضرون اي في العذاب وانما اطلقه اكتفاء بالقرينة او
لاختصاص الاحضار شرعا بالشر عرفا الا عباد الله المخلصين استثناء من واو فكذبوه
او من المحضرين ولا فساد فيه لان استثناءهم من القوم المحضرين لعدم تكذيبهم على ما دل عليه
الموصوف بالمخلصين لا من المكذبين فالمعنى واحد وتركنا عليه في الاخرين سلام على الياسين
لغة في الياس وقرئ على الياسين بالوصل على انه جمع يراد به الياس وقومه كقولهم الخبيبون
والمهلبون ولا يجوز حمله على الجمع اذا قرئ بالقطع اذ لا بد للجمع من التعريف باللام واما قراءة
آل ياسين فعلى ان ياسين اسم ابي الياس اضيف اليه الآل وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه
واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الاخرين سبق بيانه وانكم يا اهل مكة
لتمرون في متاجركم الى الشام فان سدوم في طريقه عليهم على منازلهم مصبحين داخلين
في الصباح وبالليل اي ما بكرين مرورهم عليها بالليل والنهار وهو الداعي الى الاعتبار
افلا تعقلون ابعد هذه المعاينة ما لكم عقول يعتبرون بها وان يونس لمن المرسلين
قرئ يونس بضم النون وكسرها اذ ابق الى الفلك الاباق فرار العبد الى حيث لا يهتدى
الطالبة وكان يونس عم فاستعير الاباق لهربه باعتبار هذا القيد لا باعتبار القيد
الاول فقط المشحون المملو فساهم اي فاقرع اهل الفلك بالقاء السهام فكان من المدحضين
اي من المغلوبين وحقيقته من المزلقين اي عن مقام الظفر في الاسهام روي انه عم
لما وعد بعذاب قومه خرج من بينهم هاربا قبل ان يامره الله تعالى به فركب في السفينة
فوقفت فقالوا هنا ابق وفيما يزعم التجار ان السفينة اذا كان فيها ابق لم تجر
فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس عم فقال انا الآبق وزج بنفسه في الماء فالتقمه الحوت
ابتلعه ومنه اللقمة وهو مليم داخل في الملامة وات بما يلام عليه او مليم نفسه اللوم
العتب وقرئ بالفتح من ليم كما جاء مشيب في مشوب فلولا انه كان من المسبحين من
الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح والتقديس مدة عمره وقيل في بطن الحوت وهو قوله
لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل من المصلين للبث في بطنه الى يوم
يبعثون عبارة اللبث دلت على الحيوة فالمعنى لكان محبوسا في بطن الحوت الى
يوم القيمة ويفهم منه انه لا يعم الهلاك عند النفخة الاولى الحيوانات البحرية وفيه
حث على اكثار الذكر وتنبيه على ان من اقبل اليه تعالى في السراء اخذ بيده عند الضراء
واختلف في مدة لبثه في بطن الحوت ولا طائل تحت ذكره فنبذناه بان حملنا الحوت
على لفظه بالعراء بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر ونجم وما روي ان الحوت سار
مع السفينة رافعا راسه يتنفس فيه يونس عم ويسبح حتى انتهوا الى البر فلفظه مردود
بقوله تع فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت على ما مر بيانه في تفسير سورة الانبياء

وهو سقيم معتل روي ان بدنه عاد كبدن الصبي حين يولد وانبتنا عليه اي على فوقه
مظلة عليه شجرة من يقطين اليقطين ما ينبت على الارض من النجم ولا يقوم على ساق كشجر
الدبا والبطيخ والقثاء والحنظل وهو يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به والاكثر على انها
كانت الدباء وفائدة الدباء ان الذباب يتنفر منها وهي اسرع الاشجار نباتا وامتدادا
وارتفاعا ويدل عليه انه قيل لرسول الله صلعم انك لتحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس
وارسلناه الى مائة الف هو اما الارسال الى قومه المذكور او ارسال ثان الى قومه الذين خرج
من بينهم وجوز ان يكون المراد الارسال لان الواو لا تدل على الترتيب ويأباه الفاء في قوله
فآمنوا لانها تدل على التعقيب بلا مهلة او يزيدون باعتبار اخر وذلك ان المكلفين منهم كانوا مائة
الف واذا ضمت اليهم ذريتهم بعد التكليف كانوا اكثر ومن ههنا ظهر وجه التعبير بصيغة التجدد
دون الثبات واما على ما قيل ان المعنى في مرأى الناظر اي اذا نظر اليهم قال هم مائة الف او اكثر فلا
يظهر وجه العدول عن الظاهر وقرئ بالواو فآمنوا فصدقوه او جددوا الايمان بمحضره
فمتعناهم الى حين الى اجل مسمى وقرئ حتى حين فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون
معطوف على فاستفتهم في اول السورة وان تباعدت بينهما المسافة لما امر رسول الله
عليه السلام اولا باستفتاء قريش عن وجه انكار البعث وساق الكلام الجاري بما يلائمه من القصص
موصولا بعضه ببعض ثم امرهم باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى حيث جعلوا لله تعالى
الاناث ولانفسهم الذكور في قولهم الملائكة بنات الله تعالى مع كراهتهم الشديدة لهن و
استنكافهم من ذكرهن كما قال تعالى واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم
ولقد ارتكبوا بذلك في الشرك ضلالات اخر التجسيم وتجويز الفناء على الواجب الوجود
تعالى شانه لان الولادة مخصوصة بالاجسام الكائنة الفاسدة وتفضيل انفسهم عليه
تعالى حيث جعلوا اوضع الجنسين له وارفعهما لانفسهم واستهانتهم بالملائكة المقربين
حيث انثوهم ولذلك كرر الله تعالى انكار ذلك في كتابه العزيز مرات وبين فظاعتها
في ايات وجعلها مما تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا والحق
الانكار ههنا بما يرجع منها الى ما هو اقرب الى فهم العامة واقطع عندهم بمقتضى العادة التقسيم
المذكور وتانيث الملائكة حيث جعل المعادل للاستفهام ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون
وانما خص علم المشاهدة لان الانوثة ليست من لوازم ذاتهم حتى يمكن للعقل طريق الى معرفة
ذلك ولم ينزل به كتاب فلا طريق الى علم امثال ذلك الا بالمشاهدة مع ما فيه من الاستهزاء
بهم والتسفيه لرأيهم حيث يبنون بهم القول كانهم شاهدوا خلقهم والتخصيص بتقديم
الظرف في الربك ولهم وايلاؤه حرف الانكار لزيادة التشنيع وتفظيع قولهم الا انهم
من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون الافك الكلام المصروف عن الحق الى الباطل والولد

فعل بمعنى المفعول يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث بالغ في الانكار
بالواو واللام وتقديم من افكهم لظهور استحالته ووضوح حجة التوحيد اصطفى
البنات على البنين استفهام انكار واستبعاد والاصطفاء اخذ صفوة الشيء
وقرئ بكسر الهمزة وجوز ان يكون على الاخبار باضمار القول متعلقا بقوله لكاذبون
في قولهم اصطفى البنات وابداله من قولهم ولد الله على انه من كلام الكفرة وبدون
ذلك تلك القراءة ضعيفة جدا لكون هذه الجملة مكتنفة بالانكار من جانبيها واقتضاء المقام
اختصاصها بزيادة الانكار لانه بالغ في انكار الولادة فاقتضى الحال ان يقول خصوصا
الاناث او قرنها وجعلها بين نسبين وبتر نظم الكلام والجملة الاعتراضية التاكيدية
اعني وانهم لكاذبون تزيدها ضعفا لانها مقررة لنفي الولد عن اصله مؤكدة لذلك
فاذا وجهتها الى هذه خرجت عن كونها مبنية للافك وصارت كانها مجوزة للولادة
المذكورة مطرقة لصدقهم لو قالوا بها وكذا الالتفات في قوله ما لكم كيف تحكمون
اي بما لا يرتضيه عقل ويأباه افلا تذكرون انه منزه عن ذلك وقرئ تذكرون
من ذكر والاولى ان يقال ان تلك القراءة على حذف حرف الاستفهام لوضوح دلالة
قرائنه وشهادة معادلته في قوله ام لكم سلطان مبين حجة نزلت عليكم من السماء
او من خبر نبي بان الملائكة بنات الله اي لا يجوزه عقل لا نزل به نقل فان كان
شيء من ذلك فاتوا بكتابكم الذي ينطق بذلك كقوله تعالى ام انزلنا عليكم سلطانا
فهو يتكلم بما كانوا به يشركون ان كنتم صادقين في دعواكم وهذه الايات واردة
عن سخط عظيم واستبعاد لاقاويلهم شديد وما الاساليب التي وردت عليها و
التراكيب التي انتظمت بها الا ناطقة بتسفيه احلامهم وتجهيل نفوسهم واستركاك عقولهم
مع استهزاء وتهكم وتعجيب من ان يخطر مثل ذلك على بال ويحدث به نفسا فضلا ان يجعله
معتقدا ويتظاهر به مذهبا وجعلوا بينه اي بين الله تعالى وبين الجنة يعني الملائكة عليهم السلام
ذكرهم باسم الجنس وضعا منهم وتقصيرا بهم ان يبلغوا هذه المناسبة التي اثبتوها لهم
وان كانوا في انفسهم مكرمين معظمين لاقتضاء المقام التحقير نسبا وهو زعمهم انهم
بنات الله تعالى والمعنى وجعلوا بما قالوا نسبة بين الله تعالى وبينهم واثبتوا له بذلك جنسية
جامعة له وللملائكة والجنة جسم يشمل كلا منه تخفى ولا يؤنس لكن من صفاء ذاته ونورانيته
ونسك وطهر كان خيرا كان ملكا ومن تكدر جوهره واظلم وخبث ومرد وكان شرا كله
كان شيطانا وقيل قالوا ان الله صاهر الجن وقيل قالوا ان الله تعالى والشيطان اخوان
فعلى هذا لا يتناول اللفظ الملائكة ولقد علمت الجنة انهم اي الكفرة لمحضرون النار ومعذبون
بما يقولون وانما نسب العلم الى الذين ادعوا لهم تلك النسبة وعظموهم ووضع محضرون

موضع كاذبون للمبالغة في التكذيب اي ان الذين عظموهم بهذا النسب وشرفوهم يعلمون
انهم في ذلك كاذبون مفترون بما يقولون فيعذبون به وقيل ان فسرت الجنة بالشياطين جاز
ان يكون الضمير في انهم لهم اي ولقد علمت الشياطين ان الله يعذبهم ويحضرهم النار
ولو كانوا مناسبين له تعالى لما عذبهم وفيه ان علم الشياطين بذلك غير معلوم لا بشهادة
العقل ولا بشهادة النقل على ان نسبة العلم اليهم قليل الجدوى سبحان الله عما يصفون
من الولد والنسب الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع من المحضرين اي ولكن المخلصين
ناجون او من واو يصفون اي ولكن المخلصين براء من ان يصفوه به ولا ستعظام بينهم
او وقع التنزيه معترضا بين الاستثناء والمستثنى منه فانكم وما تعبدون عود الى
خطابهم ما انتم عليه على الله تعالى بفاتنين مفسدين الناس بالاغواء يقال فتن فلان
على فلان امرأته اذا افسدها عليه وانتم ضمير لهم ولآلهتهم غلب فيه الخطاب على الغايب
والفاء في فانكم للسببية من الاستثناء اي اذا كان المخلصون براء من ذلكم فلا تفتنون
انتم وما تعبدون الا من هو من اهل النار ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع وما تعبدون ساد
مسد الخبر كقولك كل رجل وضيعته فانكم مع ما تعبدون بمعنى فانكم قرناؤهم واصحابهم
لا تزالون تعبدونها ثم قال ما انتم عليه اي على ما تعبدون بمعنى فانكم بفاتنين بباعثين
او حاملين على طريق الفتنة والضلال الا من هو ضال مثلكم صال النار فهو كلام مبتدأ الا
من هو صال الجحيم بكسر اللام اي لستم تضلون احدا الا اصحاب النار الذي سبق في علمه
تعالى انهم بسوء اعمالهم يستوجبون ان يصلوها وقرئ صال بضم اللام على الجمع
والتقاء الساكنين بمعنى صالوا محمول على معنى من التوحيد في هو على لفظه او على حذف لامه
واجراء الاعراب على عينه كما حذف في قولهم ما باليت به بالة واصلها بالية من بالى كعافية
من عافى او على القلب حتى يصير صائلا ثم يقال صال في صائل كما يقال شاك في شائك
وما منا احد الا له مقام معلوم اي رتبة معلومة عند الله تعالى معينة لا يتجاوزها وهو حكاية
اعتراف الملائكة بالعبودية ردا على عبدتهم والوجه ان يكون هو وما قبله من قوله سبحان الله
الى قوله لنحن المسبحون من كلامهم متصلا بقوله ولقد علمت الجنة كانه قال ولقد علم الملائكة
ان المشركين معذبون بذلك وقالوا سبحان الله تنزيها ثم استثنوا المخلصين تبرئة لهم ثم
خاطبوا الكفرة بالافتتان بذلك للشقاوة المقدرة ثم اعترفوا بالعبودية وتفاوت مراتبهم فيه
لا يتجاوزونه وليس هذا من حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه كما قيل لان احد المحذوف
مبتدأ والا له مقام معلوم خبره وانا لنحن الصافون اقدامنا واجنحتنا في اداء الطاعة
ومنازل الخدمة وانا لنحن المسبحون المنزهون ربنا عما لا يليق بشأنه والاول اشارة
درجاتهم في الطاعة وهذا في المعارف وما في انا واللام وتوسط الفصل وتعريف الخبر

[illegible]

في حليتي اخر كلام الملائكة من التأكيد والاختصاص لانهم المواظبون على ذلك دائما
من غير فترة دون غيرهم وان كانوا ليقولون ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة
اي وانهم كانوا يقولون اي مشركو قريش لو ان عندنا ذكرا من الاولين اي كتابا من كتب
الاولين لكنا عباد الله المخلصين لاخلصنا العبادة لله تعالى ولما كذبنا وخالفنا كما كذبوا
خالفوا فكفروا به اي لما جاءهم الذكر الذي هو اشرف الاذكار والكتاب الذي هو معجز
من بين الكتب كفروا به فسوف يعلمون عاقبة كفرهم اذا حل بهم الانتقام ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا
المرسلين اي حكمنا او وعدنا لهم بالنصر والغلبة وهو قوله انهم لهم المنصورون وان
جندنا لهم الغالبون وهي باعتبار الغالب والمقتضى بالذات لا باعتبار كل فرد وانما سميت
كلمة وهي كلمات لانتظامها في معنى وقرئ كلماتنا وقرئ على عبادنا على تضمين سبقت معنى
حقت فتول عنهم فاعرض عنهم واغض على اذاهم حتى حين الى مدة يسيرة هي الموعد لنصرهم
قيل هو يوم بدر وقيل يوم الفتح وابصرهم على ما يصيبهم حينئذ من القتل والاسر والتعبير
بجيئه على صيغة الامر تنبيه على انه كائن لا محالة قريب كانه قدامك وفيه تسلية له عم و
تنفيس عنه فسوف يبصرون ما يبصرونك على ما بناك فيما قصصناك من النصرة والغلبة و
سوف للتأكيد في الوعيد لا للتبعيد روي انهم لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا
فنزل افبعذابنا يستعجلون فاذا نزل اي العذاب وقرئ على البناء للمفعول مسندا الى الجار
والمجرور كقولك ذهب بزيد وقرئ نزل متعديا بساحتهم بفنائهم فساء وقرئ
فبئس صباح المنذرين المخصوص بالذم محذوف اي فساء صباح المنذرين صباحهم
واللام للجنس لاقتضاء فعل الذم والصباح الغارة ولما كان عادة مغاويرهم ان
يغيروا صباحا سميت الغارة به اي وقت وقعت ولو عشاء شبهه بجيش هجمهم فاناخ
بفنائهم بغتة فهو من باب التمثيل وقيل هو نزول رسول الله صلعم خيبر وكانوا خارجين
الى مزارعهم ومعهم المساحي قالوا محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال عم الله
اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وتول عنهم حتى
حين وابصر فسوف يبصرون في تكريره تاكيد لوقوع الميعاد على تاكيد وتسلية بعد تسلية
واطلاق الفعلان في الثاني بعد تقييد الفعل الاول بالمفعول لزيادة المبالغة في عذابهم
كما بولغ في نصرته اي انه يبصر وهم يبصرون ما لا يحيط به الوصف من انواع المسرة او اريد
بالاول عذاب الدنيا وبالثاني عذاب الاخرة سبحان ربك رب العزة عما يصفون عما قاله
المشركون فيه واضافة الرب الى العزة لاختصاصها به اذ لا عزة الا له ولمن اعزه وقد
ادرج فيه جملة صفاته الثبوتية والسلبية مع الاشعار بالتوحيد وسلام على المرسلين
تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم به والحمد لله رب العالمين على ما افاض

[illegible]

عليهم وعلى من تبعهم من النعم وحسن العاقبة ولذلك أخره عن التسليم ولما كان مدار
الكلام في هذه السورة على مقالة المشركين في الله ونسبة الولد والشريك إليه تعالى ومقالة
الرسل معهم ومقاساتهم اياهم وما منحوا من التأييد والنصر
عليهم ختمها على وفق ما ضمنت بالتنزيه عما
يصفونه والتسليم على المرسلين بما
تحملوا من أعباء الرسالة وأذى
المرسل إليهم والتحميد على
ما أنعم به عليهم من
النصر في العواقب
وإعزاز الدين
وإعلاء كلمته
تم

قوله الدين النصيحة هي كلمة جامعة يعبر بها عن جملة هي ارادة الخير للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر عن هذا المعنى بكلمة واحدة
تحصرها وتجمع معناها غيرها وقوله عم الدين النصيحة يريد عماد الدين وقوامه النصيحة كقوله عم
الاعمال بالنيات اي صحتها وثباتها بالنية فمعنى نصيحة الله الايمان به ونفي الشريك عنه في وحدانيته وترك الالحاد
في صفاته واخلاص النية في عبادته وبذل الطاقة فيما امر به ونهى عنه والاعتراف بنعمه والشكر عليها وموالاة
من اطاعه ومعاداة من عصاه وحقيقة هذه الاضافة راجعة الى العبد في نصحه نفسه والله غني عن نصح الناصح
ومعنى نصيحة الكتاب الايمان به وبانه كلام الله ووحيه وتنزيله لا يقدر على مثله احد من المخلوقين واقامة حروفه
في التلاوة والتصديق بوعده ووعيده والاعتبار بمواعظه والتفكر في عجائبه والعمل بمحكمه والتسليم
لمتشابهه واما النصيحة لرسول الله عم فهي التصديق بنبوته وقبول ما جاء به ودعا اليه وبذل
الطاقة فيما امر به ونهى عنه والانقياد له وايثاره بالمحبة فوق نفسه ونصيحة الائمة ان يطيعهم في الحق
ولا يرى الخروج عليهم اذا جاروا وتذكيرهم برفق ولطف واعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين
وتاليف قلوب الناس لطاعتهم ومن النصيحة لهم الصلوة خلفهم والجهاد معهم واداء الصدقات اليهم وان لا يغرهم
بالثناء الكاذب وان يدعو لهم بالصلاح هذا كله على ان المراد بالائمة الخلفاء وغيرهم ممن يقوم بامور المسلمين
من اصحاب الولايات وقد يتاول ذلك بالائمة الذين هم علماء الدين وان من نصيحتهم قبول ما رووه وتقليدهم
في الاحكام واحسان الظن بهم ونصيحة عامة المسلمين ارشادهم الى مصالحهم الدينية والدنيوية وكف
الاذى عنهم وتعليمهم ما ينفعهم في دينهم ودنياهم واعانتهم عليهم قولا وفعلا وستر عوراتهم وسد خلاتهم
ودفع المضار عنهم وجلب المنافع لهم وامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق وتوقير كبيرهم ورحمة صغيرهم
وتخولهم بالموعظة الحسنة وترك غشهم وحسدهم وان يحب لهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه والذب
عن اموالهم واعراضهم قال اجماع القول فيه ان النصيحة هي خلوص المحبة للمنصوح له والتحري فيما يستدعيه حقه فلا يبعد
ان يدخل فيه بان ينصحها بالتوبة النصوح هذا احد شعب عظيم الشان وعليه مدار الاسلام والله اعلم
لطيبي شرح المشكوة

وروي في فضلها احاديث كثيرة قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان اعظم آية في القرآن الله
لا اله الا هو الحي القيوم قال ابو ذر رضي الله عنه يا رسول الله اي آية في القرآن اشرف قال آية
الكرسي ما السموات والارض من آية الكرسي الا كحلقة ملقاة في الارض ولو ان السموات والارض
وما فيهن جعلت في كفة ميزان وجعلت آية الكرسي في كفة لرجحت بهن وقال ابو هريرة رضي الله عنه
قال جبرئيل لرسول الله عليهما السلام ان عفريتا من الجن يكيدك فاطرده عنك باية الكرسي وفي الخبر من قرأ
آية الكرسي عند منامه بعث الله ملكا يحرسه حتى يصبح وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ بالايتين الايتين حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح وان قرأهما
حين يصبح حفظ بهما حتى يمسي آية الكرسي واول آية حم الى قوله واليه المصير وقال الحسن يرفعه
قال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه هل تدرون اي القرآن اعظم قالوا الله ورسوله اعلم
قال سورة البقرة قال ثم ايها اعظم قالوا الله تعالى ورسوله اعلم قال آية الكرسي في حديث
معقل بن يسار البقرة سنام القرآن وذروة سنامه آية الكرسي مع كل آية منها ثمانون الف
ملك واستخرجت آية الكرسي من كنز تحت العرش فوصلت بسورة البقرة ويس قلب القرآن
من قرأها يريد بها الله تعالى والدار الآخرة غفر له ما تقدم من ذنبه فاقرؤها عند موتاكم وفي حديث
ابن مسعود من قرأ عشر آيات من سورة البقرة اربع من اولها وآية الكرسي وآيتين بعدها وثلاث
آيات من آخرها في بيته لم يقربه شيطان ولا شيء يكرهه في اهله ولا ماله ولا يقرأن على مجنون الا افاق
من جنونه ذلك وقال النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ آية الكرسي دبر كل صلوة مكتوبة
لم يكن بينه وبين الجنة الا الموت
من التفسير الكبير

النوع الثاني ان يسعى الانسان بواسطة الرياضات والمجاهدات في ان يصير القوى الحسية
والخيالية ضعيفة فاذا ضعفت قويت القوة العقلية واشرقت الانوار الالهية في جوهر العقل وحصلت
المعارف وكملت العلوم من غير واسطة سعي وطلب في التفكر والتأمل وهذا هو المسمى بالعلوم اللدنية اذا
عرفت هذا فنقول جواهر النفس الناطقة مختلفة بالماهية فقد يكون النفس نفسا مشرقة نورانية
الهية علوية قليلة التعلق بالجواذب البدنية والنوازع الجسمانية فلا جرم كانت ابدا شديدة الاستعداد
لقبول الجلايا القدسية والانوار الالهية فلا جرم فاضت عليها من عالم الغيب تلك الانوار على سبيل الكمال
والتمام وهذا هو المراد بالعلم اللدني وهو المراد من قوله آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما واما النفس التي
ما بلغت في صفاء الجوهر واشراق العنصر فهي النفس الناقصة البليدة التي لا يمكنها تحصيل المعارف والعلوم الا بتوسط
بشري يحتال في تعليمه وتعلمه والقسم الاول بالنسبة الى القسم الثاني كالشمس بالنسبة الى الاضواء الجزئية وكالبحر بالنسبة الى
الجداول الجزئية وكالروح الاعظم بالنسبة الى الارواح الجزئية فهذا تنبيه قليل على هذا الماخذ ووراءه اسرار لا يمكن
ذكرها في هذا الكتاب
من التفسير الكبير